

مِنْهَا هَجَّ الْأَمْدَانِ

لِلشَّيْخِ إِحْسَانَ مُحَمَّدٍ دَخَلَتْ الْجُمْهُورُ الْكَدِيرُ

الْمُتَوَفَّى ١٣٧٢ هـ

عَلَّمَ سِتْرُوحَ

أَشْيَاءُ الْعِبَادِ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ

تَأْلِيفَ

زَيْنُ الدِّينِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ زَيْنِ الدِّينِ بْنِ عَلِيٍّ
الْمَعْبُورِيِّ الْمَلِيبَارِيِّ



الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين

مَنَاهِيجُ الْإِمْدَادِ

مَنَاهِيجُ الْإِمْدَادِ

للشيخ إحسان محمد دحلان
الجمفسي الكديري

على شرح

إرشاد العباد

للعلامة الفاضل الأستاذ الكامل الشيخ زين الدين عبد العزيز

ابن زين الدين المليباري عليه رحمة ذي الجلال الباري

الجزء

١

الفقر إلى فتوح الرحمن :
عبيد الله أرشد الفاطوري الإندونيسي

MAKTABAH KITAB NUSANTARA

**DILARANG
MEMPERJUALBELIKAN PDF INI**

Perpustakaan
Ubaidillah Arsyad

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أحيا بذكرك قلوب عبادك العارفين وأماط عن بواطنهم حجب الخفاء فقاموا لإرشاد العباد إلى علوم الدين وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المين وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين وصلى الله وسلم عليه وعلى أنه السادة الأكرمين وأصحابه مصابيح الأمم ومفاتيح الكرم وكنوز العلم ورموز الحكم صلاة وسلاما دائمين متلازمين بدوام الكرم والنعمة .

وبعد ، فيقول العبد الفقير لرحمة ربه الغنى المقدر لكثرة الذنوب والمساوى إحسان بن المرحوم الشيخ محمد دحلان الجاوي الشافعي مذهبا الكديري إقليما الجمفسي منشأ ومقاما هذا مادعت إليه حاجة المتقهمين لإرشاد العباد تأليف الإمام المحقق والعلامة والفهامة المدقق ، شيخ الإسلام والمسلمين شمس الملة والدين الشيخ زين الدين بن عبد العزيز بن زين الدين المليباري الفتناني عفى عنه ربه الذاني وعمه برحمته وأسكنه فسيح جنته من شرح يحل ألفاظه ويبين مراده ويكشف لطلابه تقابه مع فوائد لا بد منها ودقائق لا يستغنى عنها على وجه لطيف ومنهج متين فجاء بحمد الله جامعا للشوارد مكمل للفوائد ضابطا لما أهمل مفصلا لما أجمل كافلا لبيان ما فرق فيه من الأقوال معينا لأهل التدريس في سائر الأحوال ولست أقول ذلك لأنفق البضاعة بل لأشرك أرباب الصناعة وناداني لسان الإنصاف غير متلبث قال وأما بنعمة ربك فحدث فحدث روى الترمذي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده فعند ذلك قلت ما أذكر للفخر والسعة بل لإبانة الحق وحسن الصنعة أسأله تعالى أن يعينني على إكماله ويسر الأسباب في افتتاحه واختامه .

بسم الله الرحمن الرحيم

وما حملنى على جمعه إلا دعوة رجل صالح ينتفع منه بمسألة فيعود نفعها علي في قبري لحديث إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعوه وأنا وإن كنت لست أهلاً لهذا الشأن لكن التشبه بالرجال الكرام فلاح في كل آن، وسميته مناهج الإمداد في شرح إرشاد العباد إلى سبل الرشاد وأنا مع وضعي هذا الكتاب ما أبرئ نفسي ولا كتابي من خلل وريب ولا أبيع بشرط البراءة من كل غيب بل أعترف بكمال القصور وأسأل الله الصفع عما جرى به القلم بهذه السطور وأعتذر لك أيها المتصف من خطأ أو زلة فالجواد قد يكبو والفتى قد يصبر وقد كتب أستاذ البلغاء القاضي الفاضل عبد الرحمن البيساني إلى أحد العلماء الكاتب الأصهباني معذراً عن كلام استدركه عليه أنه وقع لي شيء ولا أدري أوقع لك أم لا وما أنا أخبرك به وذلك أنني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل والله المسئول أن يتقبله بقبول حسن وأن يعينني على سلوك نهج يرتضيه أهل الحق بالوجه المستحسن وهذا حين الشروع في المقصود بعون القادر المعبود وهو المعين المحيى عليه توكلت وإليه أنيب.

قال المصنف رحمه الله تعالى ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الباء فيها قيل أنها زائدة فلا تحتاج إلى ما يتعلق به أو للاستعانة أو للمصاحبة متعلقة بمحذوف هو اسم فاعل خبر مبتدأ محذوف أو فعل أو فاعل أو حال من فاعل الفعل المحذوف أي ابتدئ بتركاً أو مستعينا بالله أو مصدر مبتدأ خبره محذوف أي ابتدء بسم الله ثابت ولا يضر على هذا الأخير حذف المصدر وإبقاء معموله لأنه يتوسع في الجار والجرور ما لا يتوسع في غيرهما وتقديم المفعول ههنا أوقع كالقديم في قوله بسم الله مجراها وقوله إياك نعبد لأنه أهم وأدل على الاختصاص وأدخل في التعظيم وأوفق للوجود فإن اسمه تعالى مقدم لأنه جل وعز قديم واجب الوجود لذاته وإنما كسرت الباء ومن حق الحروف المفردة أن تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الأمر ولأم الجار إذا دخلت على المظهر كما في قولك المال لزيد للفرق بينهما وبين لام التأكيد والاسم لغة ما أبان عن منسب وإصطلاحاً ما دل على معنى في نفسه غير متعرض ببنيته لزمان ولا دال جزء من أجزائه على جزء معناه والتسمية جعل ذلك اللفظ دالاً على ذلك المعنى واشتقاقه من السمو وهو العلو وزناً ومعنى ﴿والله﴾ علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع الحمد وأكثر أهل العلم على أنه اسم الله الأعظم (وقد ذكر في القرآن العزيز في اثنين وثلاثين وستين موضعاً ولفظه عربي ومشتق من اله وقيل غير ذلك مما هو مذكور في كتب العربية مما لا نطيل بذكره في هذا المحل والرحمن والرحيم صيغتا مبالغة من رحم بالكسر ينزله منزلة اللازم أو يجعله لازماً بنقله لفعل بالضم والرحمة لغة رقة القلب تقتضي الميل والانعطاف وهذا مستحيل في حق الله تعالى لكن أسماء الله تعالى المأخوذة من نحو ذلك من محل ما استحلت معناه الحقيقي على الله سبحانه وتعالى كالغضب والرضا والحبة ونحوها فإنها إنما تؤخذ باعتبار الغايات مثلاً الرحمة هي رقة القلب غايتها الإنعام على من رحمه وهذا بناء على أنها من صفات الأفعال وهو أحد قولين ثانيهما أنها من صفات الذات فتحمل على إرادة الخير فمعنى الرحمن الرحيم على الأول المنعم وعلى الثاني مريد الإنعام كذا ذكره الشبرايملى.

* فائدة * قد ورد أن الله تعالى أنزل مائة كتاب وأربعة كتب على سبعة من الأنبياء وأنه أودع ما فيها في أربعة في القرآن والزبور والإنجيل والفرقان وأودع ما فيها في القرآن وأودع ما في الفاتحة وأودع ما في الفاتحة في بسم الله الرحمن الرحيم بل قيل أنه أودع ما فيها في الباء لأنها إشارة إلى بي كان ما كان وبى يكون ما يكون وهذا المعنى يرجع إليه جميع ما يؤخذ من القرآن وأودع ما في الباء في النقطة لأنها إشارة إلى المركز الحقيقي الذي عليه مدار الأشياء وهو وحدته تعالى .

تنبيهان : الأول ذهب الإمام مالك وجماعة إلى أن البسمة ليست في أوائل السور من القرآن أصلاً وإنما هي للفصل بين السور والدليل على ذلك أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ قسمت الصلاة يعني الفاتحة أو قرأتها بيني وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدى وإذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى أنشئني عبدى وإذا قال مالك يوم الدين قال الله تعالى مجدني عبدى وإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال الله تعالى هذه بيني وبين عبدى ولعبدى ما سأل وإذا قال إهدنا الصراط المستقيم إلى آخرها قال الله تعالى هذه لعبدى ولعبدى ما سأل رواه مالك في الموطأ ومسلم واللفظ له قال النووي وهذا من أوضح أدلة المالكية ومنها ما رواه مالك والبخاري عن أنس رضي الله عنه قال صليت خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم فكانوا يفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين ولم يكونوا يفتحون القراءة بسم الله الرحمن الرحيم فإن قلت لو كان البسمة غير القرآن لكبر مشبهاً واللازم باطل بإجماع فكذا الملزوم فالجواب أن قرأتها ظنية لا قطعية حتى يكفر مشبهاً ألا ترى أن من استحل شرب الخمر فإنه لا يكفر لأن أبا حنيفة يقول بجله بخلاف من استحل شرب الخمر فإنه يكفر لاجتماعهم على حرمة وذهب الإمام الشافعي وغيره إلى أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة الإبراء والدليل على ذلك أحاديث كثيرة أيضاً منها قوله ﷺ فاتحة الكتاب سبع آيات أولهن بسم الله الرحمن الرحيم والحاصل أن المالكية قالوا أن البسمة ليست آية من القرآن إلا في سورة النحل وأقاموا على ذلك أدلة والشافعية قالوا أنها منه وأقاموا على ذلك أدلة قال الزرقاني في شرح الموطأ قد كثرت الأحاديث الواردة في البسمة إثباتاً ونقياً وكل من الأمرين صحيح لأن النبي ﷺ قرأها وتركها وجهر بها وأخفاها والذي يوضح صحة الأمرين ويزيل الإشكال عن الفريقين ما أشار له جماعة من المتأخرين من أن إثباتها ونقياً كلاهما قطعي ولا يستغنى بذلك فإن القرآن نزل على سبعة أحرف ونزل في مرات متكررة فنزل في بعضها بزيادة وفي بعضها بحذف كقراءة مالك ومالك وتجرى تحتها ومن تحتها في براءة وأن الله هو الغنى الحميد وأن الله الغنى الحميد في السورة الجديد فلا يشك أحد أن القراءة بإثبات هو ونحوها متواترة قطعية الإثبات وأن القراءة بحذف ذلك أيضاً متواترة قطعية الحذف وأن الحذف والإثبات سواء في التواتر وكذا القول في البسمة أنها نزلت في بعض الأحرف فلم تنزل في بعضها فإثباتها قطعي وحذفها قطعي وكل متواتر وكل في السبع إن بعض القراء قرأوا بإثبات البسمة وبعضهم قرأوا بحذفها وقراءة السبع كلها متواترة وألطف من ذلك أن نافعاً له راويان قرأ أحدهما عنه بإثباتها والآخر عنه بحذفها فدل على أن الأمرين توطأ عنه بأن قرأ بالحرفين معا كل بأسانيد متواترة كذا قاله العلامة ابن سعيد الصقني .

النبية الثاني : أن للبسمة فضائل وخواص كثيرة منها ما أخرجه الديلمي عن ابن مسعود مرفوعاً من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم له كل حرف أربعة آلاف حسنة ومحى عنه أربعة آلاف سيئة ورفع له أربعة آلاف درجة وفي الحديث إذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قالت الجنة ليك وسعديك اللهم إن عبدك فلانا قال بسم الله الرحمن الرحيم اللهم أخرجه عن النار وأدخله جنتك وأخرج ابن العرابي في فتوحاته المكية بسنده عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه مرفوعاً قال الله تعالى يا إسرافيل بعزتي وجلالي وجودي وكومي

الحمد لله

من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلة بفاتحة الكتاب مرة واحدة أشهدوا على أني قد غفرت له فقبلت منه الحسنات وتجاوزت له عن السيئات ولا أحرق لسانه بالنار وأجيره من عذاب القبر ومن عذاب النار وعذاب يوم القيامة والفرج الأكبر ولقائي قبل الأنبياء والأولياء أجمعين وقال بعض الصحابة من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم إثني عشر ألف مرة فبعد كل ألف يصلي ركعتين ثم يصلي على النبي ﷺ ويسأل حاجته ثم يعود إلى القراءة وكلما أكمل ألفا فعلى مثل ذلك إلى انقضاء العدد المذكور فإن حاجته تقضى كأنه ما كانت وقال أبو الحسن الشاذلي من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم إثني عشر ألف مرة فك رقبته من النار واستجبت له دعوته **قال** بعض العارفين من قرأ البسلة عند دخوله على جبار تسع عشرة مرة آمنه الله تعالى شره وقال بعضهم من كب بسم الله الرحمن الرحيم في أول يوم من الحرم مائة وثلاث عشرة مرة وحملت لم ينل حاملها مكروه هو وأهل بيته مدة عمره ومن استيقظ من منامه وقال بسم الله الرحمن الرحيم رزقه الله رضوانه الأكبر وقال الإمام العارف سيدي عبد الله اليافعي **عليه** مما نقله بعض العارفين لقضاء الحوائج أن من كانت له حاجة مهمة فليكتب في رقعة بسم الله الرحمن الرحيم من عبده الذليل إلى ربه الجليل رب أني متسني الضر وأنت أرحم الراحمين ثم يرمى بالرقعة في ماء جار ويقول إلهي بمحمد وآله الطيبين إقض حاجتي ويسمها فإنها تقضى بإذن الله تعالى.

الحمد لله أي مملوك أو مستحق له أو مختص به وأصله حميت حمدا لله ثم استغنى بالمصدر عن الفعل فحذف ثم رفع المصدر ثم أدخلوا عليه ال للدلالة على الدوام فصار الحمد لله فعلم من ذلك أن الدوام والاستمرار إنما استفيد من العدول عن الجملة الفعلية إلى الاسمية لأن قولنا زيد قائم لا يدل إلا على ثبوت القيام لزيد وأما دوامه واستمراره فإنما جاء من جهة العدول.

بدأ المصنف رحمه الله كتابه بعد التيمن بالبسلة بحمد الله تعالى آداة لحق شيء بما يجب عليه من شكر نعمائه التي تأليف هذا الكتاب أثر من آثارها اقتداء بالكتاب العزيز وعملًا بخبر كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع وفي رواية بحمد الله وفي رواية بالحمد لله وفي رواية بالحمد لله في رواية كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجزم رواه أبو داود وغيره وحسنه ابن الصلاح وغيره ومعنى ذي بال أي حال يهتم وفي رواية للإمام أحمد لا يفتح بذكر الله فهو أتم أو أقطع فإن قيل نرى كثيرا من الأمور يبدأ بسم الله ولا تتم وكثيرا بعكس ذلك قلنا ليس المراد التمام الحسن ولهذا قال بعضهم المراد من كونه ناقصا أن لا يكون معتبرا في الشرع ألا ترى أن الأمر الذي ابتدئ فيه بغير بسم الله غير معتبر شرعا وإن كان تاما حسيا ولا تعارض بين روايتي البسلة والحمدلة لأن الابتداء حقيقي وإضافي فالحقيقي حصل بالبسلة والإضافي بالحمد لله وجملة الحمد لله خبرية لفظا انشائية بمعنى لحصول الحمد بها مع الإذعان لمبدؤها وقيل أنها خبرية لفظا ومعنى ويجوز أن تكون موضوعة شرعا للإنشاء والحمد مختص بالله تعالى كما أفادته الجملة سواء جعلت لام التعريف فيه للاستغراق كما عليه الجمهور وهو ظاهر أم للجنس كما عليه الزحشرى لأن لام الله للأخصاص فلا فرد منه لغيره إذ الحمد في الحقيقة كله لله إذ ما من خير إلا وهو مولى به بوسط أو بغير وسط كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وفيه إشعار بأنه حي قادر مرید عالم إذ الحمد لا يستحقه إلا من كان هذا شأنه أم للعهد كالتى في قوله تعالى إذ هما في النار كما نقله الشيخ عز الدين بن عبد السلام وأجازه الواحدى على معنى أن الحمد الذي حمد الله به نفسه وحمد به أنبياءه وأوليائه مختص به وأولى الثلاثة الجنس لأنه يدل بالانتماء على ثبوت جميع المحامد له فهو استدلال برهاني وهو كدعوى الشئى بينة الذي هو أقوى من الدعوى المجردة والحمد لغة هو الثناء باللسان على الجميل الاختيارى على جهة التبجيل سواء أعلق بالفضائل أم بالفواضل وعرفا فعل

الذي أرشدنا إلى طاعته وزجرنا عن معصيته وأشهد أن لا إله إلا الله إقرارا بوحديته وأشهد أن محمدا

ينبئ عن تعظيم المنعم لكونه منعما على الحامد أو غيره فيتناول القول والفعل قال بعض المحققين من الصوفية وهو بالفعل أقوى منه بالقول لأن الأنفال التي هي آثار السخاوة مثلا تدل عليها دلالة عقلية قطعية لا يتصور فيها تخلف بخلاف الأقوال فإن دلالتها عليها وضعية وقد يتخلف عنها مدلولها ومن هذا القبيل حمد الله وثناؤه على ذاته وذلك أنه تعالى حين بسط بساط الوجود على إمكانات لا تحصى ووضع عليه موائد كرمه التي لا تنهاى فقد كشف سبحانه عن صفات كماله وأظهرها بدلالة قطعية تفصيلية غير متناهية فإن كل ذرة من ذرات الوجود تدل عليها ولا يتصور في العبارات مثل هذه الدلالات ومن ثم قال عليه الصلاة والسلام سبحانه لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقد بسط الكلام على الحمد والشكر الحق زكريا الأنصاري في شرح البهجة وغيره..

* تنبيه * المخبر بالحمد حامد بخلاف المخبر بالصلاة فليس بمصل ولذا يثاب الحامد مطلقا ولا يثاب المصلي إلا إذا قصد الإنشاء وسوى الدبلي في شرح الشفاء بن الصلاة على النبي ﷺ والحمد في الثواب ولو قصد الإخبار قال بعض الشافعية أفضل الحامد أن يقال الحمد لله حمدا يوافق نعمه ويكافئ مزيده وقيل أفضل الحامد أن يقال الحمد لله بجميع حامده كلها ما علمت منها وما لم أعلم زاد بعضهم عدد خلقه كلهم ما علمت منهم وما لم أعلم الذي أرشدنا ﴿أهدانا﴾ إلى طاعته ﴿في النهاية أرشده﴾ بمعنى وفقه وهداه والرشاد والرشد بضم الراء واسكان الشين وفتحها تقيض النفي وهو الهدى والاستقامة يقال رشد يرشد رشدا يوزن عجب يعجب عجباً ويوزن أكل يأكل أكلا بضم الهمة ﴿وزجرنا﴾ أى منعنا ﴿عن معصيته﴾ يقال رجرت زجرا من باب قتل منعه فانزجر وازدجر ازدجارا والأصل از تجر على إفتعل يستعمل لازما ومتديا قاله الفيومي ﴿وأشهد﴾ هذا كما قاله ابن سعيد الصفى معطوف على متعلق الجار والمجرور في البسطة أو على معنى الحمد بناء على معنى أحمد الله حمدا وليس هذه الجملة حالا من واحد منهما لأن الجملة الحالية إذا كانت مضارعية مثبتة واشتملت على ضمير صاحبها يمنع دخول الواو عليها وأما نحو قمت وأصك وجهك فشاذا أو مزيل كما في كعب العربية والشهادة لغة الإخبار بصحة الشيء عن مشاهدة وتحيي بمعنى أداء الشهادة وبمعنى الحضور وبمعنى القسم والمراد بها هنا الإقرار باللسان والإذعان بالقلب أى أقر وأذعن لكن استعملها في إقرار اللسان وإذعان القلب مجاز لغوى صار حقيقة عرفية والإقرار بدون إذعان لا يكفي كما وقع لكثير من المنافقين وأتى المصنف رحمه الله بالشهادة لقوله ﷺ كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء أى في النقص وهذا الحديث صحيح وقيل حسن .

﴿أن لا إله إلا الله﴾ أن مخففة من الثقلية واسمها ضمير الشأن محذوف وجملة لا إله خبر وإلا الله بالرفع بدل من محل لامع اسمها لأن محلها رفع بالابتداء عند سبويه أو بدل من الضمير المستتر في خبر لا المحذوف أو بالنصب على الاستثناء ولا يصح جعله بدلا من محل اسم لأن لا لا تعمل في المعارف ومعناه الحقيقي لا يعبد بحق في الوجود إلا الله ويلزم من ذلك كونه مستغنيا عما عداه ومفتقرا إليه كل ما سواه فتفسير الشيخ السنوسى لها تفسير باللازم ﴿إقرارا بوحديته﴾ أى بأنه سبحانه وتعالى واحد في ذاته فلا تعدد له بوجه وصفاته فلا نظير له بوجه وأفعاله فلا شريك له بوجه ﴿وأشهد﴾ هذه الجملة الفعلية معطوفة على مثلها والجامع بينهما عقلى وهو الاتحاد في المسند والمسند إليه مع مناسبة في متعلق بهما وإنما أوصل الثانية بالأولى لدفع توهم الرجوع عن الأولى ونظيره في دفع التوهم قولهم لا وأيدك الله كما قاله السعد ﴿أن﴾ سيدنا ﴿محمد﴾ علم على نبينا ﷺ منقول من اسم مفعول المضعف يسمى به بالهام من الله تعالى بأنه يكثر حمد الخلق له لكثرة خصاله الجميلة لطابق اسمه صفته وتشرقاه لموافقة الاشتقاق

رسول الله اعترافا بنبوته والصلاة والسلام على من أرسله الله لإرشاد العباد وعلى آله وصحبه

في الحميد من أسمائه تعالى كما روى في السير أنه قيل لجده عبد المطلب وقد سماه في سابع ولادته لموت أبيه قبلها لم سميت ابنك محمد وليس من أسماء آبائك ولا قومك قال رجوت أن يحمده في السماء والأرض وقد حقق الله رجاءه كما سبق في علمه.

مسألة * فائدة * نقل العلامة المناوي عن كعب الأخبار أنه قال اسم النبي عند المؤمنين محمد وعند الله طه يس وعند أهل الجنة الكرم وعند أهل النار عبد الجبار وعند أهل العرش عبد المجيد وعند سائر الملائكة عبد الحميد وعند الأنبياء عبد الوهاب وعند الشياطين عبد القهار وعند الجن عبد الرحيم وعند الحيان عبد القدوس وعند الهوام عبد الغياث وعند السباع عبد السلام وعند سائر الوحوش عبد الرزاق وعند البهائم عبد المؤمن وعند الطيور عبد الغفار فإن قلت لم يخص هذا الاسم بالذكر مع أن أسماء عليه السلام على ما ثبت قلت لأنه أشرفها وأشهرها وتكرره في القرآن دون غيره ولم يسم به أحد قبله لكن لما قربت ولادته مع إشاعة أهل الكتاب يبعث نبي اسمه محمد سمي جماعة أولادهم محمدا طمعا في النبوة والله أعلم حيث يجعل رسالته وجلتهم أربعة عشر وقيل خمسة وقد ذكرنا ذلك في شرحنا على منهاج العابدين ﴿رسول الله﴾ للإنس والجن اتفاقا لقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا فإن قلت إن قوله تعالى أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا وقوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وقوله تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا غير ذلك من الآيات يؤهم اختصاص إرساله بالإنس فالجواب أن الغرض من هذه الآيات التعميم في جميع الناس وعدم اختصاص الرسل بعضهم كما يزعمه اليهود من اختصاص رسالته بالعرب والصحيح أنه أرسل لجميع الحيوان والجمادات بأن ركب فيها إدراك المؤمنين به وتخضع له كما ركب في جبل أحد لما صعد النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان فتحرك. فضر به النبي ﷺ برجله وقال أثبت يا أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان وعبر بالرسول دون النبي إشارة إلى أن رسالته أشرف نبوته خلافا للعز بن عبد السلام القائل بأن النبوة أفضل لعلقتها بالحق وتعلق الرسالة بالخلق ورد بأن الرسالة فيها التعلقان ولا يثبت النبي والرسول على نبوته ورسالته لأن الإنسان لا يثبت إلا على ما كان مكتسبا له وهما ليسا بمكتسبين على الصحيح ﴿اعترافا﴾ أي إقرارا بنبوته والصلاة والسلام ﴿أتى بها امتثالاً لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وقد فسر قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك بأن معناه لا أذكر إلا وقد تذكر معنى والصلاة من الله رحمة مقرونة بتعظيم ومن الملائكة استغفار ومن المكلفين تضرع ودعاء وقرن بينها وبين السلام خروجاً من كراهة إفراد أحدهما عن الآخر والسلام والتسليم من كل آفة ونقص بمعنى لازمه وهو طلب الكمال بمعنى زيادته لأن الكامل يقبل الكمال وزيادة على كماله ﴿على من أرسله الله لإرشاد العباد﴾ أي لهداية عباده ﴿وعلى آله﴾ وهم في مقام الزكاة ينو هاشم والمطلب عند الإمام الشافعي ووافقه أشهب وبنو هاشم فقط على المعتمد عند المالكية وقال أبو حنيفة هم فرق خمسة آل وآل العباس وآل جعفر وآل عقيل وآل الحرث بن عبد المطلب وأما في مقام الدعاء فكل مؤمن ولو عاصيا وهذا المعنى هو اللاحق من المقام مقام الدعاء ﴿وصحبه﴾ بسكون الحاء وأصله صاحب فحذفت الألف للتخفيف فصار صاحب بكسر الحاء ثم خفف بحذف الكسرة فسكن وهو اسم جمع لصاحب عند سيوبه بمعنى الصحابي وهو من اجتمع بيننا محمد ﷺ من جنس العقلاء ولو جنيا أو أو غير يميز اجتماعا متعارفا على وجه الأرض ولو لحظة مؤمنا به في حال حياته يقظة ولو أعمى فعمى والخضر والياض عليهم السلام صحابة على المعتمد لأنهم اجتمعوا به في الأرض وعيسى آخر الصحابة مؤمنا به في البشر وهو أفضل من جميع الصحابة وقد قال السبكي في ذلك:

المهتدين إلى سبل الرشاد ﴿ وبعد ﴾ فهذا كتاب انتخبته من كتابي الزواجر ومرشد الطلاب لشيخ مشايخ الإسلام وملكى العلماء الأعلام شيخنا الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر

من باتفاق جميع الناس أفضل من ✽ غير صحاب أبي بكر ومن عمر
ومن على ومن عثمان وهو قتي ✽ من أمة المصطفى المختار من مضر

﴿ المهتدين ﴾ نعت لم يذكر ﴿ إلى سبل الرشاد ﴾ متعلق بقوله لإرشاد العباد والسبل بضمين جمع سبيل وهو الطريق ويذكر ويؤث كما
قاله الفيومي ﴿ وبعد ﴾ أى بعد ما تقدم من البسملة والحمدلة والصلاة والسلام على من ذكر وهذه كلمة يؤتى بها للدلالة على الانتقال من
كلام إلى آخر وأتى بها المصنف رحمه الله اقتداء به ﷺ فإنه كان يأتى بها فى خطبه ومراسلاته والواو فى وبعد تحتل وجودها ثلاثة الأول
أن تكون عاطفة قصة على قصة وأما مقدرة فى الكلام والفاء دالة عليها التاني أن تكون الواو نائبة عن أما والفاء واقعة فى جواب الواو
النائبة عن أما وهذه الواو الغز فيها بعضهم بقوله من بحر الوافر :

وما واو لها شرط يليه ✽ جواب قرنه بالفاء حمًا

أجاب بعضهم بقوله كذلك : هي الواو التى قرنت ببعده ✽ وأما أصلها والأصل مهما

واختصت الواو من بين سائر حروف العطف بالنيابة عن أما لأنها أم الباب ولأنها قد تستعمل للاشتقاق كما التالث أن تكون للاشتقاق
وأما مقدرة وبعد فى محل نصب على الظرفية والعامل فيها يكن أو أما بناء على أنها من توابع الشرط كما ذكره الخطيب والكلام عليها كثير
شهير ليس هذا محل بسطه ﴿ فهذا ﴾ المؤلف الحاضر ذهنا أن ألف بعد الخطبة أو خارجا أيضا أن ألف قبلها ﴿ كتاب انتخبته ﴾ أى
اخترته ﴿ من كتابي ﴾ بالثنية وتحذف النون للإضافة ﴿ الزواجر ﴾ عن اقتراف الكبائر ﴿ ومرشد الطلاب لشيخى ﴾ بصيغة التثنية ﴿
مشايخ ﴾ أهل ﴿ الإسلام وملكى ﴾ بالثنية أيضا ﴿ العلماء ﴾ العالمين جمع عليهم ككريم وكرماء وهو جمع قياسى أو جمع عالم وهو
قياسى أيضا لأن فعلا يطرد جمعا لفاعل إذا دل على مدح نحو صالح أو ذم نحو فاسق كما إفاده الاشمونى فى شرح قول الخلاصة :

ولكرنم وبجمل فعلا ✽ كذا لما ضاهاهما قد جعل

﴿ الأعلام ﴾ أى الذين هم كالأعلام التى يهتدى بها أو كالأعلام جمع علم بمعنى الجبل والمراد الذين هم كالجبال فى الثبات على الحق وعدم
الترنزل قال الخطيب ولما كان العالم يهتدى بعلمه جعل علمه كالراية أو كالنار على الجبل لأن كلا منهما مما يهتدى به إلى المقصود كما ذكره
الاجهرى وهذا لا يظهر إلا إذا كان العلم على النار ولم يرد إطلاقه عليها فالمناسب تشبيههم بالجبال فى الثبات كما ذكر ﴿ شيخنا الشيخ
شهاب الدين أحمد بن حجر ﴾ وفضائله لا تحفى .

وقد ذكر سيدى الحبيب عبد القادر بن شيخ العبدروس باعلوى أنه ولد رحمه الله فى رجب سنة تسع وتسعمائة ومات أبوه
وهو صغير فكله الإمامان الكاملان علما وعملا العارف شهاب الدين بن أبى الحماثل وشمس الدين الثناوى ونقله الثانى من بلده إلى مقام
سيدى احمد البدوى ويقرأ هناك مبادئ العلوم ثم إلى الجامع الأزهر وعمره أربع عشرة سنة وسلمه لرجل صالح فحفظه منظما بليغا
وقدم مكة آخر سنة ثلاث وثلاثين وجاور بها سنة ثم عاد إلى مصر ثم حج بعياله آخر سنة سبع وثلاثين ثم عاد ثم حج سنة أربعين وجاور
بها يؤلف ويفى ويدرس إلى أن توفى فى رجب سنة أربعين وسبع وسبعين ودفن بالمعلى ومدة إقامته بها ثلاث وثلاثون سنة وإنما اشتهر
بأبن حجر قيل لأن أحد أجداده كان ملازما للصمت لا يتكلم الا للضرورة أو حاجة فشبهه بحجر ملقى

الهيتمي وجدنا زين الدين بن علي المعبري رضي الله عنهما وحشرنا في زمرتهما وزدت فيه ما يسر من الأحاديث والمسائل الفقهيات والمواعظ والحكايات ﴿وسميت بإرشاد العباد إلى سبيل الرشاد﴾ راجيا من الله الجواد أن يرشدني به وجميع العباد إلى دار الخلود إنه كريم ودود ﴿روى﴾ الشيخان

﴿الهيتمي﴾ بالمشاة الفوقية نسبة لهيم إلى محلة أبي الهيم قرية في إقليم الغربية من إقليم مصر خلافا لما اشتهر من قراءته بالمثلثة كما ذكره الفاكهي في ترجمته ﴿وجدنا﴾ الشيخ ﴿زين الدين بن علي المعبري﴾ بكسر الميم نسبة إلى معبر بلد ساحل بحر الهند كما في القاموس ﴿رضي الله عنهما﴾ أي أبعد عنهما السخط بواسطة الرضا وفي هذا إشارة إلى أن استعمال الترضى في غير الصحابة جائز كما هنا وإن كان الكثير استعماله في الصحابة والترحم في غيرهم كما قاله الرملی ﴿وحشرنا﴾ أي جمعنا ﴿في زمرتهما﴾ أي جماعتها ﴿وزدت فيه﴾ أي في هذا الكتاب ﴿ما يسر﴾ أي ما يفرح طالب العلم ﴿من الأحاديث والمسائل الفقهية والمواعظ والحكايات﴾ المفيدة.

﴿وسميت بإرشاد العباد إلى سبيل الرشاد﴾ حال كوني ﴿راجيا من الله الجواد﴾ بالتخفيف أي الكثير الجود أي العطاء قيل لم يرد بالجواد توقيف وأسماؤه تعالى توقيفية فلا يجوز اختراع اسم أو وصف له تعالى إلا بقرآن أو خبر صحيح مصرح به إلا بأصله الذي اشتق منه فقط ويشترط أن لا يكون ذكره لمقابلة كما هو ظاهر نحو أم نحن الزارعون والله خير الماكرين وليس كذلك بل رواه الترمذي في جامعه واليهقي في الأسماء والصفات مرسلًا واعتضد بمسند وبالإجماع كما في النهاية ﴿أن يرشدني به﴾ أي بسبب هذا الكتاب ﴿و﴾ أن يرشد ﴿جميع العباد إلى دار الخلود﴾ أي الجنة ﴿إنه﴾ سبحانه وتعالى ﴿كريم﴾ أي مفضل يعطي من غير مسئلة ولا وسيلة ﴿ودود﴾ أي كثير ألف لعباده والتودد لهم بوافر النعم وصرف النعم وإيصال الخيرات ودفع المضرات فالله يحب الخير لجميع الخلق ويحسن إليهم في جميع الأمور وذكر بعضهم أن من قرأه ألف مرة على طعام وأكله مع زوجته غلبها محبة ولم يمكنها سوى طاعته .

﴿روى الشيخان﴾ افتتح المصنف رحمه الله بهذا الحديث إقتداء بالسلف فإنهم كانوا يستحبون بمصنفاتهم به تبيينها للطالب على حسن النية واهتمامه بذلك واعتناؤه به ولأنه من أجل أعمال القلوب والطاعة المتعلقة بها وعليها مدارها وهو قاعدتها . فهو من قاعدة الدين تضمنه حكم النيات التي محلها القلب بخلاف الذكر الذي محلها اللسان ولهذا لو نوى بلسانه دون قلبه أو قرأ الفاتحة بقلبه دون لسانه لم يصح فهو أصل في وجوب النية في سائر العبادات لأنها كالأرواح للأشباح ولأنها أصل للإخلاص أيضا لقوله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والإخلاص هو النية ولقول أبي داود أنه نصف الفقه والشافعي وأحمد أنه ثلث العلم وسببه كما قال الیهقی أن كسب العبد بقلبه ولسانه وجوارحه فالنية أحد أقسامه الثلاثة وأرجحها لأنها تكون عبادة بافرادها بخلاف الآخرين ولهذا كانت نية المزمع خيرا من عمله قال العراقي وكلام الإمام أحمد يشعر بأنه أراد بكونه ثلث العلم معنى آخر فانه قال أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث حديث الأعمال بالنيات وحديث من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وحديث أن الحلال بين والحرام بين انتهى . ولأن القول والعمل يدخلهما الفساد بالرياء ونحوه بخلاف النية وقال أبو عبيد ليس شئ من أخبار النبي ﷺ . أجمع وأغنى وأكثر فائدة وإبلغ من هذا الحديث ذكره أبو الفضل الشبشي .

والمراد بالشيخين البخاري والمسلم لأنهما المراد عند الإطلاق في علم الحديث بخلافهما في الفقه فان المراد بهما النووي والرافعي كما قرره مشايخنا لكن لما كان في الإطلاق نوع إبهام خصيصا على المبتدئ الذي لا يعرف هذا الاصطلاح بينهما المصنف رحمه الله

البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنما الأعمال بالنيات

على سبيل البدلية بقوله ﴿البخاري ومسلم﴾ في صحيحهما الذين هما اصح الكتب المصنفة في الحديث باجماع المحققين من العلماء وقول الشافعي رحمته لا أعلم كتابا بعد كتاب الله أصح من موطن مالك رحمته إنما قيل قبل ظهورهما فلما ظهرا كانا بذلك أحق وأولى وبما يدل على ما ذكر تقسيم الحديث الصحيح إلى سبعة أقسام أحدها ما اتفق عليه الشيخان وثانيها ما انفرد به البخاري وثالثها ما انفرد به مسلم ورابعها ما خرج على شرطهما وخامسها ما خرج على شرط البخاري وسادسها ما خرج على شرط مسلم وسابعها ما حكم بصحته إمام معين ولا معارض له والجمهور على أن أصح الكتاين كتاب البخاري وقال أبو علي النيسابوري شيخ الحاكم ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم ووافقة على ذلك بعض المغاربة وقيل هما سواء والأوجه قول الجمهور لأمر منها أن البخاري لا يروى عن شيخ إلا بعد ثبوت اجتماعه بمن يروى عنه ومسلم يكفى بالمعاصرة فقط ومنها أن البخاري كان أعلم من مسلم بالفن اتفاقا مع كونه تلميذه وخبرجه أي كثير التخرج والرواية عنه ومن ثم قال الدراقطني لولاه ما راج مسلم ولا جاء وقول أبي علي المذكور ليس صريحا في أصحيه على البخاري لصدقه بالمساواة ونظيره قوله رحمته ما أقلت الغبراء ولا أطلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر فانه ليس صريحا في أنه أصدق العالم اجمع لأن نفي اصدقية أحد عليه لا يستلزم نفي مساواة غيره له في الصدق كما قاله ابن حجر.

والبخاري بالحاء المعجمة نسبة إلى بخاري بلدة معروفة وراء النهر وهو أبو عبد الله محمد بن اسمعيل صاحب ذيل الفضل على بحر الزمان الذي قال فيه إمام الأئمة ابن خزيمة ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث منه. ومناقبه جمّة انفردت بالتأليف ولم يقرأ كتابه في كرب الافرج ولد رحمه الله تعالى ببخاري بعد صلاة الجمعة ثالث عشر شوال سنة أربع وتسعين ومائة قبل وفاة الشافعي بعشر سنين وتوفي ليلة السبت ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين وله من العمر اثنان وستون سنة إلا ثلاثة عشر يوما وما أحسن قول الكمال بن أبي شريف ولد في صدق وتوفي في نور ودفن بجزنتك بفتح الحاء المعجمة وسكون الراء وفتح المثناة الفوقية وسكون النون وهي قرية على فرسخين من سمرقند وذكر العلانة الكرماني أنه لما دفن البخاري فاج من قبره رائحة القالية أطيب من ريح المسك وظهر سوار ابيض من السماء مستطيل حذاء القبر فكان الناس يرفعون منه التراب حتى ظهرت الحفرة فنصب عليه خشب مسك فصاروا يأخذون ما حواله من التراب والحصى واقام ريح ذلك الطيب اياما كثيرة حتى تواتر في جميع البلاد رحمه الله تعالى.

وأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ولد سنة أربع ومائتين أي في السنة التي توفي فيها الإمام الشافعي رضي الله عنه وتوفي في خمس بقين من رجب سنة احدى وستين ومائتين بنيسابور وله من العمر سبع وخمسون سنة وقد أعظم الله سبحانه وتعالى به النفع للمسلمين ورفع له ذكرا صالحا في الغابرين وجعل أفئدة من المسلمين بعده تهوى إليه وربط على قلوبهم للوثوق به والاعتماد عليه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. ومناقبه جمّة رحمته عن عمر بن الخطاب رحمته قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ﴿أي سمعت كلامه حال كونه يقول فيقول في موضع نصب حالا من رسول الله لأن سمعت لا يتعدى إلى مفعولين فهي حال مبينة للمحذوف المقدّر بكلام لأن الذات لا تسنع وقيل مفعول ثان لسمعت وجيء بالحال مضارعا بعد سماع ماضيا اما لكونه حكاية حال ماضية أو لإحضاره في ذهن السامع لأن المضارع مما يدل على الحال الحاضر الذي من شأنه أن يشاهد كأنه يستحضر بلفظه صورة كونه صلى الله عليه وسلم متكئا يشهدا السامع قائله الشبشري ﴿إنما الأعمال﴾ أي الشرعية البدنية أفعالها وأفعالها فريضها وقليلها وكثيرها الصادرة من المؤمنين ﴿بالنيات﴾ أي الصحيحة بسبب النيات غالبا فلا يرد نحو الصدقة والوقف وغسل الميت وإزالة النجاسة وترك الزنا فإن ذلك

وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله

يصح بدون نية لكن لا يحصل الثواب إلا اذا نوى ذلك فلا يحصل له ثواب إزالة النجاسة إلا اذا قصد إستئصال الشارع ولا يحصل له ثواب ترك الزنا إلا اذا قصد أنه تركه إستئصالا للشارع وكذا نحو القراءة والأذان والذكر لا يحتاج إلى نية لصراحتها بالإلزام الكاملة .

والنيات جمع نية وهي لغة القصد وشرعا قصد الشيء مقترنا بفعله فان تراخى عنه كان عزما قاله الجرجاني والحصر فيما ذكر من حصر المبتدأ في الخبر وجمعت النية وان كان مصدرا قصدا للتنوين اذا المصدر لا يجمع الا باعتبار الأنواع وهنا لما قابلت الأعمال وكان كل عمل له نية جمعت باعتبار تغاير عمل العاملين ومقاصد التاوين ﴿ وانما لكل ﴾ لكل اسم موضوع لاستغراق أفراد المنكر نحو كل نفس ذائقة الموت ولاستغراق أجزاء المعرف نحو أكلت كل الرغيف وحينئذ يقال كل رمان مأكول ولا يقال كل الرمان مأكول ﴿ امرئ ﴾ أى رجل وفيه لفتان امرئ بوزن زبرج ومرء بوزن فلس وحكى الضم ولا جمع له من لفظه وعينه تابعة للامه في الحركات الثلاث قال الله تعالى إن امرؤ هلك ما كان أبوك امرأ سوء لكل امرئ وفي مؤنثه أيضا لغات امرأة وامرأة ومرة لكن في الحديث أطلقه على كلا النوعين بدليل قوله بعد فمن الدالة على العموم بل قال الحراني انه يشترك فيه الرجل والمرأة على انه يمكن ان يقال على الاول انما خصه بالذكر لشرفه واصالته وغلبة دوران الاحكام عليه ﴿ ما نوى ﴾ أى جزء الذى نواه فما اسم موصول وجملة نوى صلتها والعائد محذوف كما تقرر أى جزء شيء نواه فما اسم نكرة موصوفة او جزء نية فما مصدرية والحصر في هذا عكس ما قبله لانه حصر الخبر في المبتدأ اذ الحضور فيه بانما المؤخر دائما والحصر هنا مفاد بكل من انما وتقديم الخبر كما ذكره المدابغى ثم المراد من هذه الجملة غير المراد من التى قبلها بان يقال المراد من تلك حصر المبتدأ في الخبر ومن الثانية عكسه كما مر وأن المراد من تلك بيان توقف الصحة على النية ومن هذه توقف الثواب عليها او ان تلك لم تعد تعين العمل بالنية وهذه إفادة لأنه لو نوى صلاة كانت فائتة والا فهي تطوع لم تجزئه عن فرضه لانه لم يخض النية ولم يعين بها شيئا ثم لما كان في نيتك الجملتين نوع إجمال ذكر ﷺ عقبهما مفرعا عليهما تفصيل بعض ما تضمنناه زيادة للإيضاح ونصا على صورة السبب الباعث على هذا الحديث وهي ما روى وان قال بعض الحديثين لم نر سندا صحيحا ان رجلا من مكة كان يهودى امرأة تسمى أم قيس فخطبها فامتنعت حتى تهاجر فلما هاجرت إلى المدينة هاجر لأجلها فعرض به تنفيرا عن مثل قصده فقال ﴿ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ﴾ أى قصدا ونية إلى هنا وفيما يأتى متعلقة بهجرته ان قدرت تامة ومحذوف هو خبرها ان قدرت ناقصة قاله الشوبرى والمعنى على الاول فمن وجدت هجرته إلى الله ورسوله إلى اخره وعلى الثانى فمن كانت هجرته واقعة إلى الله ورسوله أى من كان إنتقاله إلى الله ورسوله الخ .

قال الشيخ المناوى فى شرحه الكبير على الجامع الصغير ما نصه ثم أصل الهجرة الإنتقال من محل إلى محل كما تقرر لكن كثيرا ما يستعمل فى الاشخاص والأعيان والمعانى وذلك فى حقه تعالى اما على التشبيه البالغ أى كانه هاجر اليه أو الإستعارة التمشيكية أو هو على حذف مضاف أى محل رضاه وثوابه وأمره وبرحمته أو يقال الإنتقال إلى الشيء عبارة عن الإنتقال إلى محل يجده فيه ووجدان كل أحد وينيله على ما يليق به وكذا محل النيل أعم من الحال المعنوية والمراتب العلية والأمكنة الصورية وكذا تراهم ينتقلون من مرتبة إلى مرتبة ومن مقام إلى مقام فالمراد من الإنتقال إلى الله الإنتقال إلى محل قربه المعنوى وما يليق به ألا ترى إلى ما اشتهر على ألسنة القوم من السير إلى الله أو نحو ذلك أو يقال أن ذكر الله للعظيم والبرك ومثله غير عزيز أرايت ما ذكروه فى قوله سبحانه فان الله خمسة وللرسول أو للإيمان إلى الإتحاد على ما قرروه فى قوله تعالى ان الذين يبايعونك الآية ان المعاملة مع حبيب الله كالمعاملة مع الله فيده يده وبيعه بيعته والهجرة اليه

ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه

هجرة إليه وأمثال هذه المسامحات في كلام الشارع كثيرة وإنما تولوا قثم وجه الله .

والحاصل أنه أريد بالهجرة هنا مطلق الإنعزال والتجاوز من شئ إلى شئ صورياً كان أو معنويًا ﴿فهجرته إلى الله ورسوله﴾ أي ثواباً وأجرًا فليس الشرط هنا عن الجزاء لأنهما وإن اتحد في اللفظ اختلفا معنى وهو كاف في اشتراط تغاير الجزاء والشرط والمبتدأ والخبر كما قاله ابن حجر ﴿ومن كانت هجرته لدنيا﴾ وفي رواية إلى دنيا وهو بضم أوله والقصر بلا تنوين للتأنيث والعلمية وحكي الكسر والتنوين وسميت بذلك لدنوها وبسببها على الدار الآخرة واللام للتعليل أو بمعنى إلى وهي جميع المخلوقات أظهر من القول بأنها الأرض لما عليها والجو والهواء لخروج السماء وأهلها وتطلق الدنيا على الذهب والفضة وعلى ما يتمتع به من ذهب أو فضة أو امرأة أو ملبوس وهذا الأخير هو المراد كما قاله الجرداني ﴿نصيبها﴾ جملة في موضع جر صفة لدنيا قاله القسطلاني وقال الشيخ الشبرايملى حال مقدرة أي مقدراً إصابته وتحصيلها انتهى وشبه تحصيلها عند امتداد الاطماع إليها بإصابة الغرض بالنهم بجامع سرعة الوصول وحصول المقصود ﴿أو امرأة﴾ أو إلى امرأة .

فإن قيل فما فائدة التخصيص على المرأة مع كونها داخلية في معنى الدنيا لقوله صلى الله عليه وسلم إنما الدنيا متاع وليس من متاع الدنيا شئ أفضل من المرأة الصالحة فالجواب من وجوه :

الوجه الأول أن دنيا نكرة في سياق الإثبات فلا تسم فلا يلزم دخولها فيها ورد ذلك بأنها واقعة في سياق الشرط قتم .

الوجه الثاني أنه للتشبيه على زيادة التحذير فيكون من باب ذكر الخاص بعد العام كما في قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكائيل الآية لكن ينكر عليه قول ابن مالك في شرح العمدة إن عطف الخاص على العام يختص بالواو ونحوه للشيخ خالد رحمه الله تعالى وأجيب أن الدمايني أشار إلى جواب عطف الخاص على العام وعكسه أو ذهب بعضهم إلى أن الأجود جعل أو في الحديث للتقسيم وجعلها قسماً متابلاً للدنيا أي إذا نبشدة فتحتها ولذلك روى أسامة بن زيد عن رسول الله ﷺ أنه قال ما تركت في الناس بعدى فتنة أضرم على الرجال من النساء وقال بعض العارفين ما أسس الشيطان من إنسان قط إلا أنه من قبل النساء وقال سفيان قال إبليس بهمي الذي إذا رميت به لم أخطئ النساء وكذا في خبر أحمد النظر إلى محاسن المرأة من سهام إبليس ومن ثم جعلن في القرآن عين الشهوات قال تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أيها الناس لا تطيعوا للنساء أمراً ولا تدعوهم بدبرن أمر عيش فإنهن إن تركن وما يردن أفسدن الملك وعصين المالك وجدناهن لادين لهن في خلواتهن ولا ورع لهن عند شهواتهن اللذة بهن بسيرة والخيرة بفتح أوله بهن كثيرة فاما صوالهن ففاجرات وأما طوالهن فعاشرات وأما المعصومات فهن المعدومات فهن ثلاث من خصال اليهود يتظلمن وهن الظالمات ويتمتعن وهن الراغبات ويحلفن وهن الكاذبات فاستعذوا بالله من شرارهن وكونوا على حذر من خيارهن والسلام .

الوجه الثالث التلويح بأنها سبب لورود الحديث كما سبق وذكر الدنيا معها إما زيادة على السبب تحذيراً من قصد ما نظير هو الطهور ماؤه الحل ميتة بعد السؤال عن طهورية ماء البحر ولأن أم قيس انضم لجمالها مال فقصد هما مهاجرهما وإما لأن السبب قصد نكاحها وقصد غيره دنيا قاله ابن حجر وغيره ﴿ينكحها﴾ أي يتزوجها كما في رواية البخاري ﴿فهجرته إلى ما هاجر إليه﴾ من الدنيا والمرأة وإن كانت صورتها صورة الهجرة لله ورسوله والمعنى من كانت نيته في الهجرة تحصيل الدنيا أو التزوج بالمرأة فهجرته إلى ما هجر


إليه من الدنيا والمرأة قيحة غير صحيحة أو غير مقبولة ولا نصيب له في الآخرة وأورد الظاهر في الجملة المذكورة تبركا والتذاذاً بذكر الله تبارك وتعالى ورسوله ﷺ وتعظيماً لهما بال تكرار وتركه هنا حثاً على الإعراض عن الدنيا والنساء وعدم الاحتفال بشأنهما وتنبيهاً على أن العدول عن ذكرهما أبلغ في الزجر عن قصدهما فكأنه قال إلى ما هاجر إليه وهو حقير لا يجدي ولا ذكرهما يحلو عند العامة فلو كرر ربما علق بقلب بعضهم به وظنه العيش الكامل فضرب عنهما ضحاً لذلك وذم قاصد أحدهما وإن مباحاً لكونه خرج لطلب فضيلة الهجرة وأبطن غيره فالمراد بقربة السياق ذم من هاجر لطلب المرأة بصورة الهجرة الخالصة فمن طلب الدنيا أو الزوج مع الهجرة بدون ذلك التوبة أو طلبهما لا على صورة الهجرة فلا يذم بل قد يمدح إذا كان قصده بتحصيل النكاح الإعفاف مثلاً وتحصيل المال كفاية عياله وقد نبه بالدنيا والمرأة على ذم الوقوف مع حظ النفس والعمل عليه ذكره الجرداني.

* فائدة * العمل إما رياء محض بأن يراد به غرض دنيوي فقط ولو مباحاً فهو حرام لا ثواب فيه وإما مشوب برياء ولا ثواب فيه أيضاً للخبر الصحيح من عمل عملاً يشرك فيه غيري فإنا منه بريء هو الذي أشرك وحمل الغزالي الإشراك فيه على المساواة محله في إشراك دنيوي لارياء فيه على أن هذا لا يؤثر في منع الثواب مطلقاً كما يدل عليه نص الشافعي والأصحاب أن من حج بنية التجارة كان له ثواب بقدر قصده الحج ذكره العلامة ابن حجر وحاصله كما قاله المدائني أن الشخص إذا وقع عبادة وشرك فيها بين دنيوي ودنيوي فالذي رجحه ابن عبد السلام أنه لا ثواب له مطلقاً عملاً بظاهر الخبر واختار الغزالي اعتبار الباعث على العمل قال فإن كان الأغلب قصد الديني فله أجر بقدره أو الدنيوي أو تساوي فلا أجر له وحمل الخبر على ما إذا غلب قصد الدنيوي أو تساوي وظاهره أن الحكم كذلك وإن وجد هناك رياء مع أنه متى وجد في العبادة رياء انحبط ثوابها وإن قل الرياء فإطلاقه ليس مسلماً ولهذا اعتبر على العلامة ابن حجر وحمل كلامه على ما إذا لم يكن الخاطئ الآخر رياء كما لو حج نأويًا مع حجه التجارة أو توضعاً نأويًا التبرداً أو التنظيف ثم إن الشمس الرملة اعتمد كلام الغزالي مع الحمل المذكور والشيخ ابن حجر لم يعتمد بل اعتمد أنه إذا لم يكن رياء يثاب بقدر قصد الديني وإن قل ولهذا استدرك عليه بقوله أن هذا لا يؤثر إلى آخره.

﴿باب الإيمان﴾ قال الله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ﴿أي وحدوا﴾ ربكم

﴿باب الإيمان﴾

هو خير لمبتداء محذوف أي هذا باب يذكر فيه الإيمان أو أنه مفعول لفعل محذوف أي اذكر باب الإيمان وأما جره بحرف مقدر والتقدير انظر في باب الإيمان فهو شاذ واعلم أن اسم الإشارة في التقدير الأول راجع للبحث بتمامه من أول الباب إلى آخره ويحتمل أنه راجع للمعاني التي في ذهنه رحمه الله تعالى أو للألفاظ أو للنقوش أو للمعاني مع النقوش أو للثلاثة فهذه سبع احتمالات أبداهما السيد الجرجاني ثلاثة فرادية وثلاثة ثنائية وواحد ثلاثي قال العلامة ابن محمود في شرح ابن داود وقد استعمل لفظ باب في زمن التابعين قاله المناوي ومثله في حاشية الخرشبي قال بعضهم وانظر لفظة كتاب وفصل استعمال في أي زمن وفي الموطاء التعبير بكتاب فيكون لفظ كتاب في زمن التابعين بناء على أن الإمام مالكا صاحب الموطاء من التابعين أو في زمن تابع التابعين بناء على أنه من تابعهم وهو الصحيح وقال بعضهم في تقريره على الخرشبي أن استعمال لفظ كتاب من استعمال لفظ باب انتهى . والباب في اللغة ما يتوصل به إلى الشيء وهو حقيقة في الأجسام كباب المسجد مجاز في المعاني كما هنا وأما في عرف العامة فهو الهيئة المركبة من خشب ومسامير أو من جريد أو نحو ذلك وأما في الاصطلاح فهو اسم لجملة مخصوصة من مسائل العلم قال بعضهم وقد يطلق الباب مجازا على كل شيء موصل ومنه قول بعض العارفين مخاطبا للنبي صلى الله عليه وسلم

وأنت باب الله أي امرئ  أنام من غيرك لا يدخل

والباب كما قال ابن هشام في بعض كتبه يذكر ويؤنث فيقال باب وبابة كما يقال طريق وطريقة أما تذكره فظاهر وأما ثانيه فباستقرار كونه ترجمة .

والإيمان لغة هو مطلق التصديق سواء كان لما جاء به النبي ﷺ بالضرورة أو لغيره وشرعا التصديق بكل ما علم بالضرورة بحجج نبينا ﷺ به من عند الله ولا يعتبر إلا مع التلفظ بالشهادتين من القادر كما قاله الشهاب الرملي وخرج بالضرورة ما علم بالاستدلال وخبر الأحاد وكذا جمع عليه لا يعرفه إلا الخواص كاستحقاق السدس لبنت الإبن مع بنت الصليب ونحوه فلا يجب الإيمان به ولا يكفر منكره ولو عالما به على المعتمد كما قاله القليوبي لأنه وإن كان معلوما من الدين ونصا فيما جاء به النبي ﷺ لكنه ليس ضروريا لعدم شهرته بين العامة وقولهم إلا مع التلفظ بالشهادتين أي لأن تصديق القلب باطن خفي فلا بد له من علامة ظاهرة تدل عليه وهذا صريح في أن النطق بهما من القادر شرط في صحة إيمانه وهو ضعيف كالقول بأنه جزء من حقيقة الإيمان وعليهما فمن صدق بقلبه ولم ينطق بلسانه مع القدرة فهو كافر والمعتمد أن النطق بالشهادتين شرط في اجراء الأحكام الدينية فقط كما هو مذهب الجمهور وعليه فمن صدق بقلبه ولم ينطق بلسانه مع تمكنه من النطق فهو مؤمن عند الله غير مؤمن عسما فلا تجزئ عليه الأحكام الدينية من الصلاة عليه والوارث والمناكحة وغيرها كما في شرح زبدة لكن محل ذلك إن طلب منه الإقرار ولم يأت بالقرينة كقوله باتفاق كما قاله بعضهم وخرج بالقادر على النطق المعاجز عنه لخرس أو سكرة أو احترام منية قبل التمكن منه فإنه يكون مؤمنا كذا قاله الرملي وهو مسلم في غير الخرس أما فيه فإشارة الأخرس قائمة مقام نطقه فلا بد منها كما نقله الديباني من شرح هداية الناصح ﴿قال الله تعالى يا أيها الناس﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما يا أيها الناس خطاب لأهل مكة ويا أيها الذين آمنوا خطاب لأهل المدينة وهو منا خطاب عام لبائتر المكثين كما في الحازن ﴿واعبدوا﴾ أي وحدوا (ربكم) قال ابن عباس رضي الله عنهما وكل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد واصل العبودية التذلل

الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴿عقابه﴾ (الذي جعل) أي خلق ﴿لكم الأرض فراشا﴾ أي بساطا يفرش ﴿والسمااء بناء﴾ ﴿سقفا﴾ وأنزل من السمااء ماء فأخرج به من ﴿أنواع﴾ الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا ﴿أي شركاء في العبادة﴾ وأنتم تعلمون ﴿أنه الخالق ولا يخلقون ولا يكون إلها إلا من يخلق﴾

والعبادة غاية التذلل ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال والإنعام وهو الله تعالى قاله النسفي وغيره ﴿الذي خلقكم﴾ أي نسما من النطفة صفة جرت على الرب للعظيم والخلق إيجاد الشيء على تقدير واستواء وأصله التقدير يقال خلق النعل إذا قدرها وسواها بالمقياس ﴿والذين من قبلكم﴾ تناول لكل ما يقدم الإنسان بالذات أو الزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم أي وخلق الذين من قبلكم ﴿(لعلكم تتقون) عقابه﴾ قيل معناه تكونوا على رجاء التقوى بأن تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

قال البيضاوي نبه سبحانه وتعالى به على أن التقوى منتهى درجات السالكين فهو التبرئ عن كل شئ سوى الله إلى الله وأن العابد ينبغي أن لا يفتقر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال الله سبحانه وتعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا يزجون رحمته ويخافون عذابه ﴿(الذي جعل) أي خلق (لكم الأرض فراشا) أي بساطا يفرش﴾ صفة ثانية أو مدح منصوب أو مرفوع أو مبتداء خبره فلا تجعلوا وجعل من الأفعال العامة يجيء على ثلاثة أوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله :

وقد جعلت قلوب بني سهيل من الأكوار مرتعها قريب

ويعنى أوجد فيتعدى إلى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور ومعنى صير فيتعدى إلى مفعولين كقوله تعالى جعل لكم الأرض فراشا والتصير يكون بالفعل تارة وبالقول والعقد أخرى ومعنى جعلها فراشا أن جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما طبعه من الإحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهينة لأن يتعدوا ويناموا عليها كالفرش المبسوط وذلك لا يستدعى كونها مستطحة لأن كربة شكلها مع عظم حجمها وإتباع جرمها لا تأبى الإفتراش عليها ذكره البيضاوي ﴿(والسمااء بناء) سقفا﴾ مرفوعا كقوله تعالى وجعلنا السمااء سقفا محفوظا والبناء مصدر سمي به المبنى بيتا كان أو قبة أو خباء ومنه بنى على أهله لأنهم كانوا إذا تزوجوا بنوا عليها خباء جديدا ﴿(وأنزل من السمااء ماء فأخرج به من أنواع (الثمرات)﴾ أي وأصناف النبات ﴿(رزقا لكم)﴾ أي طعاما لكم ولسائر الخلق قاله النسفي ﴿(فلا تجعلوا الله أندادا) أي شركاء في العبادة﴾ والأنداد جمع ند وهو المثل المماثل قال ابن جرير :

أينما تجعلون إلي ندا وما نيم لدى حسب نديد

من تديد ندودا إذا انقر وناددت الرجل خالفته خص للمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي للمماثل في القدر ﴿(وأنتم تعلمون)﴾ أنه الخالق ولا يخلقون ﴿أي الانداد﴾ ولا يكون إلها إلا من يخلق ﴿مضمون الآيتين كما صرح به البيضاوي هو الأمر بعبادة الله سبحانه وتعالى والنهي عن الإشراك به والإشارة إلى ما هو العلة والمقتضى وبيانه أنه تعالى رتب الأمر بالعبادة على صفة الربوبية إشعارا بأنها العلة لوجوبها ثم بين ربوبية بأنه سبحانه وتعالى خالقهم وخالق أصولهم وما يحتاجون إليه في معاشهم من المقالة والمظلمة والمطاعم والملابس فإن الثمرة أعم من المطعم والرزق أعم من المأكول والمشروب ثم لما كانت هذه الأمور التي لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته سبحانه وتعالى رتب عليها النهي عن الإشراك به ولعله سبحانه وتعالى أراد من الآية الأخيرة مع ما دل عليه ظاهر آية وسبق فيه الكلام الإشارة إلى تفصيل خلق الإنسان وما أفاضل عليه من المعاني والصفات على طريق التمثيل ومثل البدن بالأرض والنفس بالسمااء والعقل

وقال تعالى ﴿ومن لم يؤمن بالله ورسوله فأنا أعدنا للكافرين﴾ سعياء أي نارا شديدة ﴿وآخر﴾ سلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل

بالماء وما أفاضل عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وإزدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من إزدواج القوى السماوية الفاعلة والأرضية المنفعلة بقدرة الفاعل المخار فإن لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطالعا ﴿وقال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعدنا للكافرين سعيرا﴾ أي نارا شديدة ﴿وضع الكافرين موضع المضمر ايذانا بأن من لم يجمع بين الإيمان بالله ورسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير وتكثير سعيرا للتحويل اولانها نار مخصصة.

﴿(وأخرج)﴾ أى نقل ﴿مسلم﴾ فهذا الحديث من أفرادهِ ولم يخرج البخارى عن عمر شيئا وإنما أخرج هو ومسلم عن أبى هريرة نحوه وهو حديث متفق على عظم موقعه وكثرة أحكامها لإشتماله على وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان وأعمال الجوارح وإخلاص السرائر والتحفظ من أفات الأعمال حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه فهو جامع لطاعات الجوارح والقلب أصولا وفروعا حقيق بأن يسمى أم السنة كما سميت الفاتحة أم القرآن لتضمنها جمل معانيه ومن ثم قيل لو لم يكن فى السنة جميعها غيره لكان وافيًا بأحكام الشريعة لإشتماله على جملتها مطابقة وعلى تفصيلها تضمنًا فهو جامع لها علما ومعرفة وأدبا ولطفا ومرجعه من القرآن والسنة كل آية أو حديث تضمن ذكر الإسلام أو الإيمان أو الإحسان أو الإخلاص أو المراقبة أو نحو ذلك أفاده ابن حجر رحمته عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بينما هو هي مثل بين فى كون كل منهما ظرفا يضاف للجُملة الإسمية والفعلية ومعناه بين أوقات كذا لأن بين يقتضى شيئين فضاعدا وأصلها بين التى هي ظرف الزمن زيدت عليها الألف لتكفيها عن غملها الذى هو الحفظ كما زيدت عليها ما أيضا لذلك وما بعدها مرفوع على الإبتداء قاله الشبشرى وقوله شيئين فضاعدا. نحو جئت بين العشائين وجلست بين القوم فيمتنع عطف غير المتعدد بالفاء كجلست بين زيد فبكر لإفادتها جلوسه بين زيد فقط كما قاله الدبلجى وأما قول امرئ القيس .

فانك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

بالقاء في إحدى الروايتين فعلى تقدير بين أماكن الدخول فاماكن حومل فهو بمثابة اختصم الزيدون فالعمرون والدخول بفتح الدال والحومل بفتح الفاء موضعان ويسقط بكسر السين ما تساقط من الرمل واللى بكسر اللام والقصر رمل يعوج ويلتوى ذكر ذلك المدابغى وقد أفرد بعضهم الكلام على بين بالتأليف **﴿نحن﴾** ضمير للمتكلم المعظم نفسه أو ومنعه غيره كما هنا بدليل قوله الآتى أناكم يعلمكم دينكم **﴿عند﴾** ظرف مكان غير متضمن ولا يدخل عليها حرف جر غير من وتعم المملوك الحاضر والغائب بخلاف لدى تختص بالحاضر كما فى شرح الأربعين أى بالمملوك الحاضر تقول عندى مال وإن كان غائبا ولا تقول لدى مال إلا اذا كان حاضرا قاله الحريرى وأبو هلال العسكري وابن الشجرى وزعم المعرى أنه لا فرق بين لدى وعود وقول غيره أولى لما ذكره المدابغى عن الأشموني **﴿رسول الله ﷺ ذات يوم﴾** تأنيث ذو بمعنى صاحب أى بينما نحن عنده فى ساعة ذات مرة من يوم فحذف ذلك لوضوح المراد منه كما حذف من قول امرئ القيس.

لذلك من أم الحويث قبلها * وحارتها أم الرباب بأسل

تضع منها المسك ان هي اقبلت * نسيم الصبا جانت بركة القرنفل

أى تضرع تضرعا مثل تضرع نسيم الصبا ﴿اذ طلع علينا رجل﴾ اذ ظرف زمان أى بينما نحن فى أوقات كوننا عنده فافجأنا طلوع رجل
أى ملك فى صورة رجل والتين للتعظيم ولم يقل دخل إشعارا بعظم الرجل ورفعة قدره كأنه يستعارة من طلعة الشمس فاذا للمفاجأة

شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبته إلى ركبته ووضع كفيه على فخذيه

وقع جوابا لينما لتضمنها معنى الشرط وهي العامل في بينما حذرا من بقائها بلا عامل ظاهر لإظافتها إلى ما بعدها والمضاف لا يعمل فيما قبله كما قاله الشبيري ﴿شديد بياض الثياب﴾ من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها والثياب جمع ثوب من ثاب إذا رجع لرجوعه عن البدن وانضمامه إليه وهو كل ما يلبس من قطن أو كان أو حرير أو صوف أو غير ذلك.

وفي رواية النيسابوري عن أبي هريرة وأبي ذر رضي الله عنهما أحسن الناس وجها وأطيب الناس ريحا كان ثيابه لا يمسها دنس فيه نذب تنظيف الثياب وتحسين الهيئة بإزالة ما يؤخذ للفطرة وتطيب للرائحة عند الدخول للمسجد وعلى نحو العلماء ونذب للعلماء والمتعلم لأنه معلم بدليل قوله الآتي يعلمكم دينكم ومتعلم بمقاله وحاله ومن ثم استحب عمر رضي الله عنه البياض للقاري واستحبه بعض لمنسنا قال ابن حجر يتبغى نذبه لكل اجتماع به ما عدا العيدين إذا كان عنده أرفع منه لأنه يرم زينة وأظهار للنعمة ﴿شديد سواد الشعر﴾ وهذا ما قبله نعت سبي لرجل كما لا يخفى قال الدجلى وفيه مطابقة بين بياض وسواد وقال الشبرخيتي إنما قدم البياض على السواد لأن البياض خير الألوان وقوله الشعر أى شعر اللحية كما وقع مصرحاً به في رواية ابن حبان ﴿لا يرى﴾ حال من رجل أو صفة له بضم التحتية مبنياً للمفعول أبلغ في نفى الرؤية من نرى بالتثنية مبنياً للفاعل وقد روى كل منهما هور وابتان ﴿عليه أثر السفر﴾ من نحو غبرة وشعوثة ﴿ولا يعرف منا أحد﴾ لا ينافي أنه كان يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي وهو صاحب حسن الصورة لأن ذلك كان غالباً لاداننا وأيضاً زاد في العناية عليهم أذهيته هيئة حضري ساكن معهم بالمدينة وهم عارفون بمن فيها وسؤاله سؤال أعرابي جاهل بالدين لا إلمام له بالمدينة وإلا لما جهل ذلك وهذا صريح في أنهم وأوه قاله ابن حجر وذكر الغزالي وآخرون أن رؤية الملائكة بمكة إلا أنها كرامة يكرم الله بها من شاء من أوليائه ووقع ذلك لجماعة من الصحابة ولما رأى ابن عباس جبريل قاله النبي ﷺ لن يراه خلق الأعمى إلا أن يكون نبياً. ولكن يكون ذلك آخر عمره رواه الحاكم وكذا رآه عائشة وزيد بن أرقم وخلق لما جاء نسأل عن الإيمان ولم يعموا لأن الظاهر أن المراد من رآه منفرداً به كرامة له كذا في الفتاوى وشرح المشكاة لابن حجر ولما عسى ابن عباس انشأ يقول

إن يذهب الله من غنى نورهما * فبغى لسانى وقلبي للهدى نور

﴿حتى جلس إلى النبي ﷺ﴾ أى دنا حتى جلس قريباً وعبارة الشبرخيتي قال الطيبي حتى جلس متعلق بمحذوف يدل عليه طلع أى استأذن ودنا حتى جلس، أمرويه يندفع ما قيل أنه ليس في الكلام ما هذا غاية له.

والحاصل أن في حتى الداخلة على الجملة الماضية قولين زعم ابن مالك أنها جارة والجمهور على أنها ابتدائية وقال ابن حجر قد يشكل التعبير بالي هنا لأنها لإنتهاء وهي إنما تكون في تمتد كالسفر دون الجلوس إذ لا إمداد فيه فلتكن بمعنى عند أومع ﴿فأسند﴾ أى ألصق ﴿ركبته إلى ركبته﴾ ظاهره أنه جلس بين يديه وهو كذلك إذ لو جلس إلى جانبه لما أمكنه إلا إسناد ركة واحدة وهو غير جلوس المتعلم بين يدي شيخه للتعلم.

وإنما فعل ذلك جبريل للتنبيه على ما ينبغي للسائل من قوة النفس وعدم الإستحياء عند السؤال وإن كان السؤال ممن يحترم ويهاب وعلى ما ينبغي للمسؤول من التواضع والصنع عن السائل وإن تعدي ما ينبغي من الإحترام للمسؤول والأدب معه ﴿ووضع كفيه على فخذيه﴾ الضمير في كفيه للرجل وفي فخذيه كذلك لأنه أقرب إلى التوقير كما قاله النووي ووافقه التوريشي شارح المصابيح وحزم

وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة

البغوى والإسماعيلي والنسبي بأن الضمير راجع للنبي ﷺ ورجحه الطيبي وقواء ابن حجر بأن رواية خزيمة ثم وضع يديه على ركبتي النبي ﷺ قال والظاهر أنه أراد بذلك المبالغة في تعمية أمره ليقوى الظن بأنه من جفأة الأعراب ﷺ وقال يا محمد ﷺ قال الشبشري وإنما ناداه كما تناديه الأعراب به مع أنه حرام تعمية لحاله ولأن حاله يدل على أنه لم يحج متعلما وإنما جاء معلما أو قبل العلم بتحريمه وبما تقرر علم أن نداء غيره ممن يستحق التوقير باسمه ليس بجورام بل هو خلاف الأول إلا أن يتأذى به فينبغي تحريمه ﷺ أخبرني عن الإسلام ﷺ أي عن حقيقة ﷺ فقال رسول الله ﷺ بحببائه عن ماهية الإسلام وحقيقته مبادر من غير استفسار عن أن السؤال عن ذلك أعن شروطه أو أركانه أو غيرهما من لواحقه إشارة إلى أن للمسؤول من مفت وغيره أن يجيب على ما فهمه بالقرينة اذهى كالنص فجاز الاعتماد عليها سؤالا وجوابا ومن ثم لو قيل لمفت أيجوز كذا فأشار بما يشار به كنم جاز الاعتماد على أنه أفتى بالجواز كما قاله ابن حجر.

* قاعدة * إشارة الناطق لاغية إلا في الإفتاء كأن يقال له أيجوز فعل كذا وكذا فشير أي نعم وفي الإجازة كأن يقال له أجزتني في البخاري مثلا فشير أي نعم وفي الأمان مع الكفار كأن يقال له أقرتنا بداركم على أن نلتزم لكم كذا جزية فشير ويريد أي نعم وأما إشارة الأخرس المفهمة فمعتد بها إلا في ثلاثة مواضع في الحث فيها فيما لو حلف قبل خرسه أن لا يتكلم زيدا ثم خرس وكلمه فإنه لا يحنث وفي الصلاة فلو أشار فيها لم تبطل ولهذا يصح بيعه وهو في الصلاة بالإشارة ولا تبطل صلاته وفي الشهادة فلا تقبل شهادته بها مطلقا قاله المدائني ﷺ الإسلام أن تشهد ﷺ أي تعلم وتصدق ﷺ أن ﷺ مخففة من الثبيلة واسمها ضمير شأن أي أنه ﷺ لا إله إلا الله ﷺ لا هي النافية للجنس على سبيل النصيص على كل فرد من أفرادها وإلا الله قيل خبر والحق أنه محذوف والأحسن فيه لا إله موجود إلا الله كما قاله السعد ﷺ و ﷺ أن تشهد ﷺ أن محمدا رسول الله ﷺ بالمعنى المذكور أي بلفظ تشهد دون تعلم لأن الشهادة أبلغ وأخص من العلم إذ كل شهادة علم وليس كل علم شهادة ﷺ و ﷺ أن ﷺ تقيم الصلاة ﷺ أي تأتي بها بأركانها وشروطها وتواظب عليها في أوقاتها وهي لغة الدعاء بخير وشرعا أقوال وأفعال غالبا مفتحة بالكبير محتمة بالتسليم فدخلت صلاة الأخرس ومن لم يلزمه إلا إجراؤها على قلبه إذ لا تسقط مادام العقل موجودا.

قال الزباد في حاشية المنهج وأنا ما نقل عن بعض الأباحين من أن العبد إذا بلغ غاية المحبة في الله وصفى قلبه واختار الإيمان على الكفر من غير النفاق سقط عنه الأمر والنهي ولا يدخل النار بإرتكاب الكبائر فردّه التنازلي بشرح العقائد بأنه كبر وضلال فإن أكل الناس في المحبة والإيمان الأنبياء خصوصا حبيب الله مع أن التكليف في حقهم أتم انتهى ووجوب تركها أو قطعها لنحو إنقاد غريق أو تجهيز ميت خيف إقتباره عذر في الإخراج عن الوقت إذا توقف ذلك عليه لا في مطلق الترك إذ يجب قضاؤها بعد ذلك وأصلها صلوة بوزن فعلة ولا مائها وأو بدليل جمعها على صلوات واختار بعض المحققين أنها مأخوذة من الصلوى بوزن الفتى عرق متصل بالظهر يفرق عند عجب الذنب ويمتد منه عرقان في كل ورك عرق يقال لهما الصلوات فإذا ركب المصلي إحنى صلاه وتحرك ومنه سمي ثاني خيل السباق مصليا لأنه يأتي مع صلوئ السباق وقيل أنها مأخوذة من قولهم صليت العود إذا قومته لأن الصلاة تحمل الإنسان على الإستقامة وتنهاه عن المعصية قال الله عز وجل إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل أنها مأخوذة من الصلة لأنها تصل بين العبد وخالقه بمعنى أنها تدنيه من رحمه وتوصل إلى كرامته وحبته

وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا قال صدقت قال فعجبنا له سألوه ويصدق قال فأخبرني عن الإيمان قال أن تؤمن بالله

﴿وأن تؤتى الزكاة﴾ أى تعطيتها لمستحقها أو للإمام ليدفعها لهم فحذف المفعول الأول لأن الإتياء يتعدى لمفعولين أو لهما فاعل فى المعنى ﴿وأن تصوم﴾ شهر ﴿رمضان﴾ وسمى بذلك لإستحداد حر الرضاء فيه حين وضع له هذا الإسم ولا يكره ذكره بدون الشهر كما يؤخذ من كلامه ﷺ وصححه النووي فى شرحي المذهب ومسلم وغيرهما وقال فى المجموع أن القول بالكراهة خلاف الصوابه ﴿وأن تحج البيت﴾ والبيت إسم جنس ثم غلبت على الكعبة كقوله النجم على الثريا ﴿إن استطعت إليه سبيلا﴾.

والمراد بالإستطاعة هنا وجدان الزاد والراحلة ونحوهما لا مطلق القدرة على الوصول إذ هي شرط فى التكليف وقيد الحج بالإستطاعة دون المذكورات قبله مع أنها مشروطة أيضا فيها لوجود عظم المشقة فيه دونها وقول إليه قال زين العرب أى الى البيت أو الى الحج لدلالة تحج عليه وهو متعلق بسبيلا لأنه بمعنى موصول ومبلغ وسبيلا مفعول به لامتياز نقله الشوبرى عن عقود الزجرى وقال الشبرخيتي سبيلا مفعول به أو تميز عن نسبة الإستطاعة الى البيت أى إن استطعت سبيلا البيت فأخر ليكون أوقع وتقديم إليه عليه للإختصاص وسبيلا أى طريقا وتنكيره للنفوس اذ التكرار فى الإثبات قد تعم كما ذكره الزحشرى فى قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت.

* تنبيه * السيل ورد فى القرآن على وجوه الأول البلاغ كما فى قوله تعالى والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا يعنى بلاغا الثانى الطاعة كقوله تعالى فى البقرة الذين يتفقون أموالهم فى سبيل الله يعنى فى طاعة الله الثالث المخرج كقوله تعالى فى بنى إسرائيل أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فظلموا فلا يستطيعون سبيلا أى مخرجا من الحبس الرابع المسلك كقوله تعالى فى النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقارء سبيلا أى مسلكا الخامس العلل كقوله تعالى فإن اطعنكم فلا تبغوا عليهم سبيلا أى عللا السادس الدين كقوله تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين أى دين المؤمنين السابع الهدى كقوله تعالى فى النساء ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا أى يضل الله عن الهدى فلن تجد له هدى الثامن الحجة كقوله تعالى فما جعل الله لكم عليهم سبيلا أى حجة التاسع الطريق كقوله تعالى فالنساء والمستضعفين من الرجال الى قوله ولا يهدون سبيلا أى طريقا الى المدينة العاشر العدوان كقوله تعالى فى شورى فاولئك ما عليهم من سبيل أى عدوان الحادى عشر الطاعة كقوله تعالى فى الفرقان إلا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا أى طاعة الثانى عشر الملة كقوله تعالى فى يوسف قل هذه سبيلي أى ملتى ، اهـ اهـ كلام الشبرخيتي قال المدافى ولا يخفى ما فى هذا التنبيه من التساهل لصحة تفسير السيل بالطريق فى غالب هذه الآيات ولهذا فسر العلامة ابن حجر فى قوله إن استطعت إليه سبيلا بطريق قتائل ﴿قال﴾ أى السائل للمصطفى ﷺ ﴿صدقت﴾ أى فيما أجبت به ﴿قال﴾ أى عمر رضى الله عنه ﴿فعجبنا له﴾ أى لأجله أو منه لأن عجب يتعدى بمن والتعجب حالة تعرض للقلب عند الجهل بسبب الشئ ﴿وسأله ويصدق﴾ إنما تعجبوا بما ذكر لأن تصديقه يقتضى أن له بهذه الأشياء علما وهي لا تعلم إلا من قبله ﷺ وليس هو بمعروف السماع منه أو من حيث أن سؤاله يؤذن بعدم علمه بما سأل عنه وتصديقه يؤذن بأنه عالم به فظاهر حاله أنه عالم به غير عالم ثم زال عجبهم بقوله بعد هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم فظهر أنه كان عالما فى صورة متعلم تعليمًا لهم وتبيينًا أفاده الشبرخى.

﴿قال فأخبرني عن الإيمان قال أن تؤمن بالله﴾ قال بعضهم وفى تفسير الإيمان بما ذكر تعريف الشئ بنفسه وليس كذلك اذ المراد من الحدود الإيمان الشرعى ومن الحد الإيمان اللغوى أو المتضمن للإعتراف ولهذا عدى بالباء أى أن تصدق معترفاً بكذا وليفظ الإيمان بالله

وملائكته وكتبه

متناول للإيمان بوجوده وبصفاته التي لا تتم الألوهية إلا بها وظاهر الحديث يقتضى تغاير الاسلام والإيمان لأن جبريل عليه السلام يسأل عنهما سؤالين فأجيب عنهما بجوابين وفسر الاسلام بأعمال الجوارح كالصلاة ونحوها والإيمان بعمل القلب وقد اختلف العلماء فى ذلك فقال الزمهرى الاسلام الكلمة الواحدة والإيمان العمل واحتج بالآية يعنى قوله سبحانه وتعالى قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم وذهب غيره الى أن الاسلام والإيمان شئ واحد واحتج بقوله تعالى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين.

قال الخطابى قد تكلم فى هذا الباب رجلان من كبار أهل العلم وصار كل واحد منهما الى قول من هذين ورد الآخر منهما على المتقدم وصنف عليه كتابا تبلغ عدد أوراقه المائتين قال الخطابى والصحيح من ذلك أن يفيد الكلام فى هذا ولا يطلق وذلك أن المسلم قد يكون مؤمنا فى بعض الأحوال ولا يكون مؤمنا فى بعضها والمؤمن مسلم فى جميع الأحوال فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمن وإذا حملت الأمر على هذا استقام لك تأويل الآيات واعتدل القول فيها ولم يختلف شئ منها وأصل الإيمان التصديق وأصل الاسلام الإستسلام والإتقاد فقد يكون المرء مستسلما فى الظاهر غير منقاد فى الباطن وقد يكون صادقا فى الباطن غير منقاد فى الظاهر وقال أيضا وقوله **﴿الإيمان بضع وسبعون شعبة فى هذا الحديث بيان أن الإيمان الشرعى إسم لمعنى ذى شعب وأجزاء أدنى وأعلى فالإسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها والحقيقة تقتضى جميع شعبة وتسوفها ويدل عليه قوله **﴿الحياة شعبة من الإيمان اه الشبشىرى.****

* فائدة * قال أبو إسحق الأسفرائنى جمع أهل الحق ما قيل فى التوحيد فى كلمتين إحداهما أن كل ما تصور فى الافهام فآله تعالى بخلافه الثانية إعتقاد أن ذاته ليست مشبهة بالذوات ولا معطلة عن الصفات وقد أكد ذلك سبحانه وتعالى بقوله فى كتابه المين وهو أصدق القائلين ولم يكن له كفوا أحد وهذا فى غاية الجودة والإيجاز ويرحم الله القائل :

كل ما ترتقى اليه **﴿بوهم **﴿من جلال وقدره وثناء****
فالذى أبدع البرية أعلى **﴿منه سبحانه مبدع الأشياء**

﴿وملائكته **﴿جمع ملك أصله ملاك بسكون اللام قبل الهزة المفتوحة فنقلت الفتحة الى اللام ثم حذفت الهزة قال الشاعر :**

ولست بأنسى ولكن بملاك **﴿**

ولهذا يرد بالجمع الى أصله على ملائكة آدم د وعن الشوبرى وهم أجسام علوية نورانية مشككة بما شاءوا من الاشكال والإيمان بهم التصديق بوجودهم وبأنهم كما وصف الله تعالى عباد مكرمون كذا قاله الشبشبرى لا كما زعم اليهود من تنقصهم قال السعد التفتازانى فى شرح العقائد النسبية وما زعم عبدة الأصنام من أنهم بنات الله تعالى محال باطل وإفراط فى شأنهم كما أن قول اليهود إن الواحد فالواحد منهم قد يرتكب الكفر ويعاقبه الله وبالمسخ تفرط وتقصير فى حالهم.

فإن قيل أليس قد كفر إبليس وقد كان من الملائكة بدليل صحة إستثنائه منهم قلنا لا بل كان من الجن ففسق عن أمر ربه لكنه لما كان فى صفة الملائكة فى باب العبادة ورفعة الدرجة وكان جنيا واحدا مغمورا فيما بينهم صح إستثناؤه منهم تغليبا وأما هاروت وماروت فالأصح أنهما ملكان لم يصدر عنهما كفر وكيرة وتغديهما إنما هو على وجه المغاربة كما يعاتب الأنبياء على الزلة والشهو وكنا بعضا من الناس ويقولان إنما نحن فتنة فلا تكفر ولا كفر فى تعليم السحر بل فى إعتقاده والعمل به أفاده المدابنى **﴿وكتبه **﴿والإيمان بها التصديق****

ورسوله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ﴿ومن الله تعالى﴾ قال صدقت

بأنها كلام الله تعالى الأزلي القديم بذاته المنزه عن الحرف والصوت وبأنه تعالى أنزلها على بعض رسله بألفاظ حادثة في ألواح أو على لسان الملك وبأن كل ما تضمنته حق وصدق وبأن بعض أحكامها نسخ وبعضها لم ينسخ قال الزمخشري وغيره وهى مائة كتاب وأربعة كتب أنزل منها خمسون على شيث وثلاثون على إدريس وعشرة على آدم وعشرة على إبراهيم والتوراة والزبور والإنجيل والفرقان اهـ . وقدم الملائكة على الكتب والرسول نظرا للترتيب الوجودى ﴿إن الله تعالى أرسل الملائكة بالكتاب الى الرسول له لأنهم أفضل من الأنبياء والأصح أن الأنبياء أفضل منهم كما ذكره المدائنى عن الشرحبى ﴿ورسله﴾ والإيمان بهم التصديق بما جاءوا به عن الله تعالى وبأنه جل وعز أرسلهم الى الخلق لهدايتهم وتكميل معاشيهم ومعاذهم وأبدىهم بالمعجزات الدالة على صدقهم فبلغوا عنه رسالته وبينوا للمكلفين ما أمروا ببيانته وأنه يجب إحترام جميعهم ولا فرق بين أحد منهم فى الإيمان به وأنه تعالى يترهم عن كل نقص فهم معصومون مطلقا ﴿واليوم الآخر﴾ وهو يوم القيامة والإيمان به التصديق بوجوده وجميع ما اشتمل عليه وسمى آخر لأنه آخر أيام الدنيا وآخر الأزمنة المحدودة ﴿والقدر خيره وشره من الله تعالى﴾ وفى رواية وتؤمن بالقدر خيره وشره وفى أخرى لمسلم والقدر كله ومعنى الإيمان به أنا نعتقد أن الله تعالى قدر الخير والشر قبل خلق الخلق وأن جميع الكائنات بقضاء الله وقدره وأنه يريد لها ويكفى فى ذلك اعتقاد جازم بذلك من غير نصب برهان على المختار كما قاله الشبشى ﴿قال صدقت﴾ قيل ويؤخذ من الحديث تكفير القدريّة بأنكار القدر لأنه جعل الإيمان به من جملة أركان الدين التي يكفر منكر واحد منها ويشهد له بترثة ابن عمر منهم وخبر القدريّة بجوس هذه الأمة والأشبه عدم كفرهم لتعارض شبه عندهم فلهم نوع عذر انتهى .

والحاصل كما قاله ابن حجر فى شرح الأربعين أن أهل السنة اختلفوا فى تكفير المخالف فى العقائد بعد الإتفاق على أن ما كان من ضروريات يكفر مخالفه كالقول بقدم العالم ونفى حشر الأجساد ونفى علمه تعالى بالجزئيات وإثبات أنه تعالى موجب بالذات لا بالإختيار تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا بخلاف ما ليس من ضرورياته كنفى المعتزلة مبادئ الصفات من نحو العلم والقدرة مع إثباتها بقولهم عالم قادر ونحوهما وكقولهم إن الشر غير مراد له تعالى وإن القرآن مخلوق فقيل بكفرهم لأن نفى مبادئ الصفات وعموم الإرادة جهل بالله تعالى والخبر من قال القرآن مخلوق فهو كافر والمختار الذى عليه جمهور المتكلمين والفقهاء أنه لا يكفر أحد من المخالفين فى غير الضرورى والجهل به تعالى من بعض الوجوه غير مكفر وليس أحد من أهل القبلة يجهله تعالى إلا كذلك فإنهم على اختلاف مذاهبهم اعترفوا بأنه تعالى قديم أزلى عالم قادر موجد لهذا العالم والخبر المذكور غير ثابت أو المراد بالمخلوق فيه المخلوق أى المقتضى ومدعى ذلك غير كافر إجماعا نعم يندعون ويفسقون لوجوب إصابة الحق عينا فى مسائل الخلاف فى أصول الدين ووجه تشبيه القدريّة بالمجوسى أن المعتزلة الذين هم القدريّة أنكروا إيجاد البارئ تعالى فعل العبد فجعله بعضهم كالجباريّة غير قادر على عينه وجعله بعضهم كالبلخى وأتباعه غير قادر على مثله وجعلوا العبد قادرا على فعله فهو إثبات للشريك كقول المجوسى بالإيمان والكفر عندهم من فعل العبد لا من الرب سبحانه ويقوى القول بتكفيرهم بذلك وإن كان المختار خلافه إنهم خبروا بيد عنهم هذه إجماع متقدم على الأمة على الإتهال اليه تعالى أن يرزقهم الإيمان ويحجبهم الكفر انتهى .

وقوله كنفى المعتزلة مبادئ الصفات الخ المبادئ جمع مبدأ والمبدأ هو الذى اشتق منه الوصف كالعلم المشتق منه عالم فالمعتزلة زعموا أنه عالم لا علم له وقادر لا قدرة له الى غير ذلك وهو محال ظاهر بمنزلة قولنا أسود ولا سواد له وقد نطقت النصوص بثبوت علمه

قال فأخبرني عن الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك

وقدرته وغيرهما كقوله تعالى فاعلموا أنما أنزل بعلم الله إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ودل صدور الأفعال المتيقنة على وجود علمه وقدرته لا على مجرد تسميته عالما وقادرا وقوله والخبر المذكور غير ثابت أي بل أورده ابن الجوزي في الموضوعات بلفظ من قال القرآن مخلوق فقد كفر وأقره الجلال في اللالين وقوله أن يرزقهم الإيمان الخ معمول للإبتهاال اذلول أن الإيمان والكفر من الله لما أجمع مقدمو الأمة من الأئمة على سؤال الله تعالى أن يرزقهم الإيمان ويحبسهم الكفر كذا قرره المدابغي .

* فائدة * قال العلامة ابن حجر منع جماعة منهم أبو حنيفة وأصحابه أنا مؤمن إن شاء الله وإنما يقال أنا مؤمن حقا وأجازه آخرون وقال السبكي وهم أكثر السلف من الضحابة والتابعين ومن بعدهم والشافعية والمالكية والحنابلة ومن المتكلمين الأشعرية والكلاية وهو قول سفيان الثوري انتهى وفي شرح مسلم عن أكثر أصحابنا المتكلمين لا يقول أنا مؤمن مقتصرا عليه بل يضم إليه إن شاء الله تعالى وعن الأوزاعي وغيره التخيير وهو حسن صحيح إذ من أطلق نظر إلى أنه جازم في الحال ومن قال إن شاء الله تعالى إما للتبرك أو للجهل بالخاتمة والكافر في التقييد بأن شاء الله كالمسلم اه ملخصا . وقد نظم بعضهم :

من قال إني مؤمن يمنع من * مقاله إن شاء ربي يافطن
وذا لمالك وبعض تابعيه * يوجب أن يقول هذا يانيه
ومثل ما لمالك للحنفي * والشافعي جوز هذا فاعرف
امنعه إجماعا إذا اراد به * الشك في إيمانه يا منبه
كعدم المنع إذا به يراد * تبرك بذكر خالق العباد
فالخلف حيث لم يرد شك ولا * تبركا فكأن هذا ممقلا

وليس الخلاف فيمن يأتي بأن شاء الله شاكا في ثبوت الإيمان له حالا لأنه كافر بل هو فيمن هو جازم به خلا غير أن بقاءه على الموت عليه غير معلوم ووجه جواز أنه ليس القصد بالإستثناء فيه إلا التبرك إتباعا لقوله تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله فإنه يعم طلب الإستثناء حتى في قطعي الحصول وقد صرح به فيه في لدخلن المسجد الحرام إن شاء الله مع أن خبره تعالى قطعي الصدق تعليما وتاديبا لعباده في صرف الأمور كلها إلى شئته ووجه ربطته بالمشيئة أن المعبر في النجاة هو الموت على الإيمان وهذا غير معلوم وهو أمر مستقبل فصح ربطه بها لا تعليقا بل تبركا وإتباعا وخوفا من سوء الخاتمة وأما توجيه منعه بأن تركه أبعده عن التهمة بعدم الجزم به في الحال الذي هو كفر وتقدير أنه قصد غير التعليق فربما إعتادت نفسه التردد في الإيمان لكثرة إشعار النفس بواسطة الإستثناء بتردد ما بثبت الإيمان واستحماره فجوابه أنه تهمة مع القرائن القطعية باتقانها وأيضا إشعار اللفظ بما مر إنما هو بالنظر للتعليق وليس الكلام فيه إذا الغرض أنه إنما قصد التبرك لما مر على أنه لو فرض أنه أطلق فلم يقصد تعليقا ولا تبركا فالذي يظهر أنه لا إثم عليه أيضا لأن الغرض أنه جازم بالإيمان في الحال وإيهام لفظه تدفعه قرائن احواله .

﴿ قال فأخبرني عن الإحسان ﴾ يعني به الإخلاص لأنه فسر به بما معناه ذلك ويجوز أن يعني به إجادة العمل من أحسن في كذا إذا جاد فعله وهذا التفسير أخص من الأول وهو سؤال عن الحقيقة كالذي قبله ليعلم الحاضرون ﴿ قال أن تعبد الله ﴾ من عبد اطاع والتعبد التمسك والعبودية إلى الخضوع والذل ﴿ كأنك تراه فإن لم تراه فإنه يراك ﴾ .

وتفسير الإحسان بذلك هو من تفسير الشين بسببه توسعا لأن من عمل عملا وعلم أن عليه في عمله رقبيا لا يدع شيئا من وجوه الإحادة إلا ويأتي به وهو مع ذلك من جوامع كلمه ﷺ. لأنه شمل مقام المشاهدة ومقام المراقبة ويوضح لك ذلك بأن تعرف أن للعبد في عبادته ثلاثة مقامات الأول أن يفعلها على الوجه الذي يسقط معه الطلب بأن تكون مستوفية للشروط والأركان الثاني أن يفعلها كذلك وقد استغرق في بحار المكاشفة حتى كأنه يرى الله وهذا مقامه ﷺ كما قال وجعلت قره عيني في الصلاة الثالث أن يفعلها كذلك وقد غلب عليه أن الله تعالى يشاهده وهذا مقام المراقبة فقولنا لم تكن تراه تزول عن مقام المكاشفة إلى مقام المراقبة أي إن لم تعبدته وانت من أهل الرؤية فاعبده بحيث تعتقد أنه يراك وكل من المقامات الثلاثة إحسان إلا أن الإحسان الذي هو شرط في صحة العبادة إنما هو الأول لأن الإحسان بالآخرين من صفة الخواص ويتعذر من كثير وإنما آخر السؤال عن الإحسان لأنه صفة الفعل أو شرط في صحته والصفة بعد الموصوف وبيان الشرط متأخر عن الشروط.

* تنبيه * حكى عن بعض شيوخ الطريق وهو محمد بن سكران أنه ذكر هذا الحديث يوما فقال اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه ثم وقف وهي إشارة صوفية أي فإنك إذا أفنيت نفسك ولم ترها شيئا شاهدت ربك لأنها حجاب دونه فإذا أقيت الحجاب شاهدت الجناب ويشبه هذا ما حكى عن بعضهم أنه قال رأيت رب العزة في المنام فقلت يا رب كيف الطريق اليك فقال خل نفسك وتعال ذكره أبو الفضل الشبشري لكن قال ابن حجر في شرح الأربعين ومن البعيد وقف بعض الصوفية على تراه الثاني لظنهم أن المراد أنك إذا أفنيت عن نفسك فلم ترها شيئا شاهدت ربك لأنها الحجاب بينك وبين شهوده والمعنى وإن صح إلا أن لفظ الحديث لا ينطبق عليه فتزيله عليه جهل من قائله بقواعد العربية وأساليبها إتهن. وكذا قال الصلاح الصفدي وغفل هذا القائل للجهل بالعربية عن أنه لو كان المراد ما زعم لكان قوله تراه محذوف الألف لأنه يصير مجزوما لكونه على ما زعمه جواب الشرط وتعبه الدامني بقوله إنما تصح هذه الدعوى الذي عارض بها الصفدي لو كان الجواب في هذه الصورة مما يجب جزؤه وهو ممنوع فقد نص الإمام جمال الدين بن مالك في التسهيل على أن الشرط إذا كان منفيًا بلم جاز رفع الجواب بكثرة وكفانا به حجة على أن الشراح قبلوا هذا منه ولم يتعقبوه وعليه فيصح قولنا إن لم يقيم زيد يقوم عمرو ويتخرج عليه الحديث فلا يكون رفع الفعل المضارع الذي هو تراه مانعا من دعوى كونه جوابا للشرط انتهى.

وقال في الخلاصة:

وبعد ماض رفعك الجزأ حسن *

قال العلامة الأشموني في شرحه مثل الماض المضارع المنفى بلم تقول إن لم تقيم أقوم وقد يشمله كلامه قال:

* ورفع بعد مضارع ومن *

قال الشارح المذكور وقد عرفت أن قوله بعد مضارع ليس على إطلاقه بل محله في غير المنفى بلم كما سبق كذا ذكره م د قبل وفي الحديث دلالة على أن رؤيته تعالى في الدنيا ممكنة عقلا لأن المنفى الممكن كزيد لم يقيم وامكانها في الدنيا عقلا هو الحق ومن ثم سألها موسى عليه السلام ومن الحال أن يسأل نبي ما لا يجوز على الله تعالى لأن ذلك جهل بالله تعالى وبما يجب له ويستحيل عليه والنبي معصوم منه قطعاً أما في الآخرة فهي ممكنة بل واقعة كما صرح به النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي كادت تتواتر وقد ذكرنا بعض ذلك في كتابنا سراج الطالبين شرح مناهج العابدين وخلاف المعزلة في ذلك لسوء جهلهم وفرط عنادهم وتصرفهم في النصوص بأرائهم القاصرة الفاسدة فنعوذ بالله تعالى من أحوالهم.

قال فأخبرني عن الساعة أي عن زمن وجود يوم القيامة قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل قال فأخبرني عن إماراتها قال أن تلد الأمة ربتها أي سيدتها يعني يكثر عقوق الأولاد لأهاتها فيعاملونهم معاملة عن سيد أمته من الإهانة والسب

قال أي الرجل السائل (فأخبرني عن الساعة) أي عن زمن وجود يوم القيامة وسميت بها ساعة مع طول زمنها إما لوقوعها بغتة لأنها تفجأ الناس فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة حتى أن من يتناول لقمة لا يميل حتى يتلعها وحتى أن الرجلين يكون بينهما الثوب لا يتبايعانه ولا يطويانه ولذا قال المفسرون في قوله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون أي يتخاصمون في ما جرهم ومعاملتهم فيموتون في مكانهم واما السرعة حسابها واما تسمية لكل باسم البعض والمراد اول ساعاتها واما لأنها على طولها كساعة عند الله على الخلق واما لأن طولها على الكفار واما المؤمنون فإنها تكون عليهم كساعة لحديث أبي سعيد الخدري قال قرأ رسول الله ﷺ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فقلت ما أطول هذا فقال النبي ﷺ والذي نفسي بيده ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة المكتوبة يصلها في الدنيا .

والساعة لغة قطعة زمن غير معين ولا محدود وفي اصطلاح المؤقتين ونحوهم جزء من أربعة وعشرين جزءا من الليل والنهار وفي عرف أهل الشرع عبارة عن القيامة وهو المراد هنا وأصلها سرعة بتحريك الواو وقلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها قال في شرح المصباح الساعات المعبر بها عن القيامة ثلاث ساعات الكبرى وهي بعث الناس للنحاسية والمجازاة والوسطى وهي موت أهل القرن الواحد والصغرى وهي موت الإنسان فساعة كل احد موته وهي المشار إليها بقوله قد خسر الذين كذبوا بقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة وهذه الحسرة تنال العبد عند موته قال ﷺ من مات فقد قامت قيامته وفي رواية ساعاته إنتهى . والمزاد في هذا الحديث الكبرى كما هو معلوم قال أي النبي ﷺ ما المسؤول عنها بأعلم من السائل أي بل كلاهما سواء في عدم علم زمن وجودها قاله العلامة ابن حجر وكلمة ما نافية بمعنى ليس وزاد في رواية أبي عروة فنكس فلم يحبه ثم عاد فلم يحبه ثلاثا ثم رفع رأسه فقال ما المسؤول عنها أي عن زمنها بأعلم خبر ما وزيدت الباء لتأكيد معنى النفي لا يقال لفظ أعلم يفيد الإشتراك في العلم والنفي توجه الزيادة فيلزم تساويها في العلم به لأننا نقول اللازم ملتزم لأنهما متساويان في القدر الذي يعلمان منه وهو نفس وجودها أو أن المصطفى تقي أن يكون صالحا لأن يسئل منه ذلك لما عرف أن المسؤول في الجملة ينبغي كونه أعلم من السائل والمراد أن الله إسنأثر بعلمها قاله المناوي فقول ابن حجر أي بل كلاهما الخ عبارة غيره هذا الجواب لا يدل لأنه ﷺ كان لا يعلم متى الساعة بل مساواة السائل للمسؤول في علمها ولكن ظواهر القرآن والسنة تدل على أن علم الساعة مما إسنأثر الله بعلمه إنتهى شوبري فقله أيضا أي بل كلاهما الخ تفسير مراد لا تفسير معنى ظاهر الحديث قاله المدائني ففي هذا الحديث أنه ينبغي للمفتي والعالم وغيرهما إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم وأن ذلك لا ينقصه بل يستدل به على ورعه وتقواه ووفور علمه ومن ثم قال على كرم الله وجهه وأبردها على كبدى إذا سئلت عما لا أعلم أن أقول لا أعلم .

قال فأخبرني عن إماراتها بفتح الهمزة أي أشراطها وعلاماتها الدالة على قربها ورمزها روى أمارتها بالإنفراد قال ﷺ أن تلد الأمة ربتها أي سيدتها وفي رواية ربتها والرب المالك وأنت على معنى النسيئة ليشمل الذكر والأنثى وقيل كراهة أن يقول ربتها تعظيما للفظ الرب ولذا ورد لا يقل أحدكم ربي وليقل سيدي ومولاي يعني يكثر عقوق الأولاد لأهاتها فيعاملونهم معاملة السيد أمته من الإهانة والسب ويشهد لذلك حديث أبي هريرة المرأة مكان الأمة وحديث لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا .

وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان

قال الشبشى واختلف فى معناه على أقوال أصحابها أنه إخبار عن كثرة السرارى وأولاده من ولدها من سيدها بمنزلة سيدها لأن مال الإنسان صائر إلى ولده وقد يتصرف فى الحال تصرف المالكين إما بالإذن أو بقرينة الحال أو عرف الإستعمال وعبر بعضهم عنه بأن يستولى المسلمون على أولاد الكفار فتكثر السرارى فيكون ولد الأمة من سيدها بمنزلة سيدها لشرفه بأبيه ثانيها أن معناه أن الأمة تلدن الملوك فتكون أمه من جملة رعيته إذ هو سيدها وسيد غيره من رعيته ثالثها أن معناه أنه يفسد أحوال الناس فيكثر بيع أمهات الأولاد فى آخر الزمان فيكثر ترددها فى أيدي المشتري حتى يشتريها ابنها من غير علم أنها أمه ويحتمل على هذا القول أن لا يختص هذا بأمهات الأولاد فإنه يتصور فى غيرهن بأن تلد الأمة ولدا حراما من غير السيد بشبهة أو رقيقا من نكاح أوزنا ثم تباع الأمة فى صورتين يعا صحيحا وتدور فى الأيدي حتى يشتريها ولدها وهذا أكثر وأعم من تقديره فى أمهات الأولاد قال الأبي بضم الهمة قائل ذلك لم يقله تفسير الحديث حتى يقال أنه يتصور فى غيرهن وإنما ذكره من حيث أن الشارع عقوب بالخصوصية لما فيه عقوب من فساد الحال بكثرة بيعهن لغلبة الجهل واستخفافا بالحكم انتهى . ومنه ما ذكره المصنف بقوله يعنى وقيل معناه كناية عن رفع الأسافل لأن الأمة إذا ولدت من سيدها ارتفعت منزلتها ويشهد لذلك المعنى حديث لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع وقيل غير ذلك ﴿وأن ترى الحفاة﴾ قال المدابغى ترى أي تعلم أو تبصر والأول أولى لشموله الأعمى فعلى الأول الجملة يتطاولون فى موضع المفعول الثانى وعلى الثانى فى موضع الحال والمسموع بناؤه للفاعل انتهى .

والحفاة جمع حاف بالحاء المهملة وهو من لا نعل فى رجله قاله ابن حجر ﴿العراة﴾ جمع عار وهو من لا شئ على جسده وفى رواية الحفدة أى الخدمة وأل هنا وإن احتملت الإستراق إلا أن العادة القطعية دالة على تخصيصه وإن كل واحد منهم لا يحصل له ذلك فالأول كونها للمعهود عند المخاططين أو لتعرف للماهية ذكره ابن حجر ﴿العالة﴾ بفتح اللام المخففة جمع عائل وهو الفقير والعيلة الفقر يقال عال الرجل يعيل عيلة إذا افتقر وأعال يعيل إذا كثر عياله قاله الشبشى ﴿رعاء الشاء﴾ بكسر الراء والمد ويجوز ضمها جمع راع ويجمع أيضا على رعاة بضم الراء وزيادة التاء بلامد وأهل الرعي الحفظ والشاء الغنم وهو جمع شاة وخصهم بالذكر لأنهم أضعف أهل البادية وجاء فى رواية لمسلم رعاء البهم بفتح الباء جمع بهمة وأصلها صفار الضأن والمعز ذكورا كانوا أو أناثا وقد يخص بالمعز وأصله من استبهم عن الكلام ومنه البهمة انتهى شبشى قوله وقد يخص بالمعز كعب الشيخ الشوبرى قال بعضهم وقيل أولاد الضأن خاصة واقتصر عليه الجوهري انتهى . فقول الشبشى وقد يخص بالمعز صوابه بالضأن فليراجع أفاده المدابغى ﴿يتطاولون فى البنيان﴾ يتأخرون فيه ويتكاثرون به حتى يقول الواحد منهم لصاحبه بنيانى أطول من بنيانك تها به وعجبا قاله المناوى وهو مفعول ثان إن جعلت الرؤية قلبية وحال إن جعلت بصرية كما مر والبيان مصدر بمعنى المبني .

قال فى شرح الأربعين وهو كناية عن كون الأسافل يصيرون ملوكا أو كالملوك أى إذا رأيت أهل البادية الغالب عليهم الفقر وأشباهم من أهل الحاجة والفاقة قد ملكوا أهل الحاضرة بالقهر والغلبة فكثرت أموالهم واتسع فى الحطام آمالهم فقرق همهم إلى تشييد المباني وهدم أركان الدين بعدم العمل بأى المائى فذاك من علامات الساعة ومن ثم صح لا تكون الساعة حتى يكون أسعد الناس لكع بن لكع أى ليم ابن ليم كما مر وصح أيضا من أشراط الساعة أن توضع الأخيار وترفع الأشرار وقد بالغ صلى الله عليه وسلم فى رواية فى تحقيرهم فوصفهم بأنهم صم بكم أى جهلة رعاء جملة رعاء لم يستعملوا أسماعهم ولا أنسنتهم فى علم ونحوه من أمر دينهم فلعدم حصول ثمرتى

﴿يعني يصير الأسافل كالمملك﴾ ثم انطلق فلبث مليا ﴿أي زمانا كثيرا﴾ ثم قال يا عمر أتدري من السائل قلت الله ورسوله أعلم قال فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم ﴿قال﴾ التاج السبكي

السمع واللسان صاروا كأنهم عدموهما ومن ثم قال الله تعالى في حقهم أولئك كالأنعام بل هم أضل إبتى وفيه دلالة على كراهية ما لا تدعو الحاجة إليه من تطويل البناء وتشيد.

وفي الحديث يؤجر ابن آدم على كل شيء إلا ما يضعه في هذا التراب ومات ﷺ لم يضع حجرا على حجر ولا لبنة أي لم يشيد بناينا ولا طوله ولا تأنق فيه إبتى الشبثي وقال م د كراهية تنزيه لأنه متى أطلقت الكراهة فالمراد بها ذلك قوله ﴿يعني يصير الأسافل كالمملك﴾ معناه كما ذكره أنبا.

﴿ثم انطلق﴾ أي الرجل السائل عما ذكر ﴿فلبث﴾ بقاء مضمومة أي استمر ساكنا عن الكلام في هذه القضية وفي رواية فلبث أي استمر النبي صلى الله عليه وسلم ساكنا عن ذلك ﴿مليا أي زمانا كثيرا﴾ فحذف الموصوف لظهوره من الملوان الليل والنهار وأما المهور فهو من الملاء أي اليسار وفي رواية فلبث إخبارا عن نفسه وبينت رواية أبي داود والترمذي وغيرهما أنه ثلاث وظاهره أنها ثلاث ليل وقد بنا فيه خبر أبي هريرة فادبر الرجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ردوه فأخذوا ليردوه فلم يروا شيئا فقال هذا جبريل وأجيب بأنه يحتمل أن عمر لم يحضر قوله هذا بل كان قد قام فأخبر النبي ﷺ عمر بأنه جبريل بعد ثلاث. ﴿ثم قال﴾ أي النبي ﷺ ﴿وما عمر﴾ تخصيصه من بين الصحابة بالذكر يدل على جلالته ورفعة مقامه ومنزله عند النبي ﷺ ﴿أتدري من السائل﴾ فيه نذب تنبيه المعلم تلامذته والكبير من دونهم على فوائد العلم وغرائب الوقائع طلبا لتفهم ومزيد فائدة فهم وتيقظهم ﴿قلت الله ورسوله أعلم﴾ فيه حسن ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم من مزيد الأدب معه ﷺ برب العلم إلى الله وإلى الله إبتى مع قال زين العرب في شرحه للمصايح لم يقل أعلما لأن من التفضيلية مقدرة أي الله ورسوله أعلم من غيرهما إبتى وإذا كانت مقدرة فأفعل التفضيل على تفرد دانما قاله بعضهم قوله برب العلم إلى الله وإلى الله قال الشبرخي ومن المعلوم أنما يحسن عدة من الأدب لو كانوا يعلمون من السائل وردوا العلم إليه إجلاله وهم كانوا غير عالمين قطعا إلا أن يقال أن فيه حسن الأدب من جهة تفويض العلم إليهما بخلاف لا يعلم إبتى.

﴿قال فإنه جبريل﴾ وفي رواية هذا جبريل قال المناوي والفاء جواب شرط أي فأنما إذا فوضم العلم إلى الله ورسوله فإنه جبريل على تأويل الإخبار أي تفويضكم ذلك سبب الإخبار بأنه جبريل وقرينة الشرط قوله الله ورسوله أعلم وجبريل إسم سرراني غير منصرف للعلمية والعجبية وهو مركب من جبر وهو العبد وإيل وهو الله أو الرحمن أو العزيز فمعناه عبد الله أو عبد الرحمن أو عبد العزيز ﴿أتاكم يعلمكم﴾ أي بسبب سؤاله فنسبة التعليم إليه مجازي والا فالعلم لهم حقيقة هو النبي ﷺ ﴿دينكم﴾ أي قواعده وأحكامه وفي رواية ابن حبان يعلمكم أمر دينكم فخذوا عنه وفيه أنه الدين هو مجموع الإسلام والإيمان والإحسان ولا ينافيه أن الإسلام وحده يسمى ديننا بنص إن الدين عند الله الإسلام لأنه كما يطلق على ذلك المجموع يطلق على هذا الفرد إما بالإشتراك أو الحقيقة والمجاز أو التواطؤ وغير ذلك وقوله يعلمكم جملة حالية لكنها حال مقدرة لأنه لم يكن وقت الإتيان معلما إبتى شوبري ويجوز أن تكون حالا مقيدة بحمل قوله يعلم على يريد التعليم كما ذكره الدماميني.

﴿قال التاج السبكي﴾ هو العلامة الإمام والفهامة الحسام تاج الدين أبو نصر الشيخ عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي الأنصاري السبكي ولد سنة ٧٢٧ صاحب التصانيف المشهورة الطبقات وشرح مختصر ابن الحالج وجمع الجوامع في الأصول وغيرها وتوفي سنة

الإسلام أعمال الجوارح ولا يعتبر إلا مع الإيمان والإيمان تصديق القلب ولا يعتبر إلا مع التلفظ بالشهادتين وتقل النووي في شرح مسلم اتفاق أهل السنة والحدثين والفقهاء والمتكلمين على أن من آمن بقلبه ولم ينطق بلسانه مع قدرته كان مخلداً في النار انتهى ﴿واعلم﴾ أنه يشترط في إسلام كل كافر التلفظ بالشهادتين لا إتيان لفظ أشهد فالأظهر الإكتفاء بلا إله إلا الله محمد رسول الله وهو مقتضى كلام الروضة لكن الذي اعتمده بعض المتأخرين اشتراطه وهو مقتضى كلام العباب

٧٧١ رحمه الله ونفعنا به ﴿الإسلام أعمال الجوارح﴾ أى الأعضاء فى المختار وجوارح الإنسان أعضاؤه التى يكسب بها ﴿ولا يعتبر إلا مع الإيمان والإيمان تصديق القلب ولا يعتبر إلا مع التلفظ﴾ أى النطق ﴿بالشهادتين﴾ أى لان تصديق القلب باطن خفى فلا بد له من علامة ظاهرة تدل عليه قاله الديا طلى .

﴿وتقل النووي فى شرح مسلم اتفاق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على أن من آمن بقلبه ولم ينطق بلسانه مع قدرته﴾ أى على النطق ﴿كان مخلداً فى النار انتهى﴾ . كلام النووي فى شرح مسلم قال العلامة ابن حجر هذا معترض بأنه لإجماع على ذلك وبأن لكل من الأئمة الأربعة قولاً أنه مؤمن عاص يترك التلفظ بل الذى عليه جمهور الأشاعرة وبعض حنفى الحنفية كما قاله المحقق الكمال ابن الهمام وغيره ان الاقرار باللسان إنما هو شرط لإجراء أحكام الدنيا فقط قيل لو أجريت عليه لنطقه بلسانه وهو كافر باطنا كنكاح مسلمة وأخذ ميراث قريب مسلم ثم زال كفره القلبي احتمل حل الوطء والأخذ لقيام التلفظ به المقتضى لإجراء الأحكام عليه والأظهر أى بل الصواب عدم حل الوطء إلا بعد تجديد النكاح وعدم حل الأخذ من تركته قريبه المسلم لأننا لم نأخذه بما فى باطنه أولاً لعدم ظهوره لغيره وقال المدائنى يمكن حمل كلام النووي على ما إذا طلب منه ذلك وهو قادر عليه فامتنع منه فلا إعتراض .

﴿واعلم﴾ هذا خطاب لكل مكلف يأتى منه العلم وهى كلمة يؤتى بها للاعتناء بما بعدها أى تنبه إليها الطالب وتيقظ فانه لا عذر بالجهل مع وجود العلماء وإنما قال اعلم ولم يقل اعرف اقتداء بقوله تعالى فاعلم انه لا إله إلا الله وليعلموا إنما هو إله واحد أفمن يعلم هل يستوى الذين يعلمون ﴿أنه﴾ أى الحال والشأن وهو ضمير فسر بجملة . قال فى الفية :

ومضمرة الشأن ضمير فسر بجملة كأنه زيد سرى

﴿يشترط فى إسلام كل كافر التلفظ بالشهادتين لا﴾ يشترط فيه ﴿إتيان لفظ أشهد فالأظهر الإكتفاء بلا إله إلا الله محمد رسول الله وهو﴾ أى عدم اشتراط لفظ أشهد ﴿مقتضى كلام الروضة﴾ ويؤيده إكتفاؤهم فى حق من لم يرد بشيئ بآمنت وكذا من لم يرد به الوعد بالله أو أسلمت لله والله خالقى أو ربى ثم يأتى بالشهادة الأخرى أى الشهادة لمحمد ﷺ بالرسالة بأن يقول بعد قوله آمنت محمد رسول الله فإذا أكتفوا بنحو الله خالقى مع أنه لا شئ فيه من الوارد نظراً للمعنى دون اللفظ فأولى الإكتفاء بلا إله إلا الله كما هو واضح لأنه وجد فيه لفظ الوارد ومعناه نظراً للرواية يقولوا بدل يشهدوا فى قوله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا الحديث فعلم أنهم لم يتعبدوا هنا بلفظ الوارد فيكفى بدل إله بارئ أو رحمن أو رزاق وبدل الله محى أو ميت أو أحد تلك الثلاثة أو من فى السماء دون ساكن السماء أو من آمن به المسلمون وبدل محمد أحمد وأبو القاسم وبدل الإغير وسوى وعدى وبدل رسول نبى ﴿لكن الذى اعتمده بعض المتأخرين اشتراطه﴾ أى الإتيان بلفظ أشهد ﴿وهو مقتضى كلام العباب﴾ معتمد .

وعبارة الشمس الرملى فى شرح المنهاج ولا بد فى صحة الإسلام مطلقاً يعنى سواء كان من الكافر الأصلي أو المرتد من الشهادتين ولو بالعجمية وإن أحسن العربية ويعتبر ترتيبها وموالاتهما كما جرى به الوالد رحمه الله تعالى فى شروط الإمامة ثم الإعراف

فعليه لو قال أعلم أو أسقطهما فقال لا إله إلا الله محمد رسول الله لم يكن مسلما ولبعض أئمتنا رأي ثالث وهو اشتراط أشهد أو مرادها كأعلم فينبغي لكل من يسلم الاحتياط بأن يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ومعنى أشهد أعلم وأبين ويشترط ترتيبهما فلا يصح الإيمان بالنبي قبل الإيمان بالله لا الموالاة بينهما ولا العربية وإن أحسنها لكن يشترط فهم معنى ما تلفظ به وهو أنه لا معبود بحق في الوجود إلا الله المنفرد بالألوهية وأن يزيد المشرك كفرت بما كنت أشركت به وأبا بريء من كل دين يخالف دين الإسلام

برسالته ﷺ إلى غير العرب ممن ينكرها أو البراءة من كل دين يخالف دين الإسلام ولا بد من رجوعه عن اعتقاده ارتد بسببه ولا يعزr مرتد تاب على أول مرة ومن نسب إليه ردة وجاء ما يطلب الحكم بإسلامه تكفى منه بالشهادتين ولا يتوقف على تلفظه بما نسب إليه ويتخذ من كلام الشافعي أنه لا بد من تكرار لفظ أشهد في صحة الإسلام وهو ما يدل عليه كلامهما أي الشيخين الرافعي والنووي في الكفارة وغيرهما لكن خالف فيه جمع فهنا لا بد من تكرار لفظ أشهد على المعتمد بخلاف الشهد فإنه يكفى وأن محمداً رسول الله كما صرحوا به في موضعه وتلخص أنه لا بد في صحة الإسلام مطلقا على المعتمد من الشهادتين وترتيبهما لاموالتهما وتكرار لفظ أشهد ولبعضهم:

شروط الإسلام إلى اشتباه ﷺ عقل بلوغ عدم الإكراه

والنطق بالشهادتين والولا ﷺ والسادس الترتيب فأعلم واعلم

وانظر هل يشترط ذكر الواو بين الشهادتين كما في الشهد أولا كما في الأذان وجروه ثم رأيت النور الشبرا ملسى في حاشيته على م ر في باب الزدة قال مانصه قوله أنه لا بد من تكرار لفظ أشهد أي وعليه فلا يصح إسلامه بدونه وإن أتى بالواواتى قال المدابغى فأنهم قوله وإن أتى بالواو أن الإتيان بالواو ليس بشرط في صحة الإسلام بل المدار على تكرار لفظ أشهد مطلقا انتهى ﷻ فعليه ﷻ أي فإذا جربنا على هذا الإشتراط ﷻ لو قال أعلم ﷻ أي بدل أشهد كما قاله ابن حجر ﷻ أو أسقطهما فقال لا إله إلا الله محمد رسول الله لم يكن مسلما ﷻ ويوافقه رواية أمرو أن أقاتل الناس حتى يشهدوا الحديث : ويؤيده أن الشارع تعبدنا بلفظ أشهد في أداء الشهادة فلا يكفى أعلم ونحوها وإن ردت أشهد أي في إفادة مطلق العلم لا مطلقا لأن الشهادة أخص منه فكل شهادة علم ولا عكس واستدل أي بعض المتأخرين له بكلام الروضة في الكفارة .

ﷻ ولبعض أئمتنا رأي ثالث وهو اشتراط أشهد أو مرادها كأعلم فينبغي لكل من يسلم الاحتياط ﷻ والإجتهاد ﷻ بأن يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ﷻ وأقره ابن حجر في شرح الأربعين :

ﷻ ومعنى أشهد أعلم ﷻ بمعنى أتيقن وأذعن فلا يكفى العلم وحده ولا العلم والتيقن من غير إذعان كما وقع لبعض المنافقين قاله المدابغى ﷻ وأبين ﷻ أي بلسانه قاصدا به الإنشاء ﷻ ويشترط ترتيبهما ﷻ أي الشهادتين ﷻ فلا يصح الإيمان بالنبي قبل الإيمان بالله لا الموالاة بينهما ﷻ أي لا يشترط ذلك وهذا ضعيف كما علمت ﷻ ولا العربية ﷻ معتمد ﷻ لكن يشترط فهم ما تلفظ به وهو ﷻ أي معنى ما تلفظ به ﷻ أنه ﷻ أي الحال والشأن ﷻ لا معبود بحق في الوجود إلا الله ﷻ بالرفع بدل من محل لا مع إسمها لأن محلها رفع بالإبداء عند سنيوره أو بدل من الضحير المستتر في خبر لا المحذوف والتقدير لا إله موجود إلا الله أو بالنصب على الإستثناء ولا يصح جعله بدلا من محل إسمه لأن لا لاتعمل في المعارف ﷻ المنفرد بالألوهية وأن يزيد المشرك كفرت بما كنت أشركت به وأنا بريء من كل دين يخالف دين الإسلام ﷻ أي وأن يزيد بعد الشهادتين قوله كفرت بما كنت أشركت به وقيل لا يجب إلج وأن يزيد المشبه أيضا البراءة من التشبيه بما لم يعلم بحق محمد ﷻ بنفيه أي فإن علم بحق محمد ﷻ بنفى التشبيه لم تشترط زيادة البراءة من التشبيه منه فيكفى علمه ودخوله في الشهادتين

فلا يصير المشرك مؤمنا حتى يضم إلى الشهادتين ذلك كما في الروضة والعباب وقيل لا يجب زيادة ذلك ﴿واعلم﴾ أن الإيمان بالله اعتقاد أنه واحد لا نظير له في ذاته وصفاته ولا شريك له في الألوهية وهي استحقاق العبادة وأنه قديم لا ابتداء لوجوده

﴿فلا يصير المشرك مؤمنا حتى يضم﴾ أي حتى يجمع ﴿إلى الشهادتين ذلك﴾ أي كبرت بما كتبت الخ ﴿كما في الروضة والعباب وقيل لا يجب زيادة ذلك﴾ أي كبرت بما كتبت أشركت الخ .

﴿واعلم أن الإيمان بالله اعتقاد أنه واحد لا نظير له في ذاته﴾ أي نفسه وعينه وهذا اللفظ ليس من كلام العرب إنما يستعمله المتكلمون فيقولون ذات الشيء بالمعنى الذي ذكرناه ويستعملونه مفردا ومضافا لظاهر تارة ومضمر أخرى وينكرونه مقطوعا عن الإضافة ومعرفة ومعرفة بال فيقولون ذاتك وذات من الذوات فيجرونه مجرى النفس به عليه الراغب قاله الزبيدي .

* تنبيه * أكره العلماء أن الواحد والأحد بمعنى واحد وقال الأزهرى بين الواحد والأحد في صفاته تعالى أن الأحد بنى لنفى ما يذكر معه العدد والواحد إسم لمفتح العدد وتقول ما أتاني منهم واحد وجائني منهم واحد والواحد بنى لإقطاع النظر وعون المثل وقال بعضهم الواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له ألبة ثم يطلق في كل موجود حتى أنه ما من عدد إلا ويصح وصفه به فيقال عشرة واحدة ومائة واحدة ﴿وصفاته﴾ أي وأفعاله ﴿ولا شريك له﴾ أي لا يتصور أن يشاركه غيره فيه أصلا فهو الواحد المطلق قال المدائني وهذا تأكيد لما قبله كما لا يخفى ﴿في الألوهية وهي استحقاق العبادة﴾ أي والإيمان بأنه تعالى منفرد بخلق الذوات بصفاتها وأفعالها ويقدم ذاته وصفاته الذاتية قال الحنفية وأفعاله ككونه خالقا ورازقا فإن هذا الوصف ثابت له في الأزل والأشعرية يردون ذلك إلى صفات القدرة وبأن ذاته لها صفة حية منزهة عن الروح وعلم بلا إرشام لصورة في قلب ولا دماغ وإنما هو صفة تميز بها الأشياء بكل جزء كان أو كان قبل وجوده بعلم واحد إذ كل من صفاته لا تكثير فيه وإنما التكثير في التعلقات والمتعلقات لم يتجدد له علم بحسب تجدد المعلوم وقدرة على الممكنات وإرادة لجميع الكائنات لم تتجدد له إرادة بتجدد المرادات وبأن الطاعات بإرادته ومحبه ورضاه وأمره والكل بقضائه وقدره وسمع بلا صياح لكل خفي وبصر بلا حدة تعالى الله عنها لكل موجود وكلام قائم بذاته منزّه عما يعتري كلامنا النفس من الخرس الباطن وهو عدم الإقتدار على إرادة الكلام النفسى ليس بصوت ولا حروف وبأنه تعالى منزّه عن قيام حادث به كحركة أو سكون أو تحيز فصفاته ليست أعراضا ولا عن ذاته ولا غيرها بناء على أن الغيرين ما ينفك أحدهما عن الآخر والإيمان بأنه تعالى أحدث العالم بإختياره من غير أن يحصل له به كمال لم يكن قبله ولم يتجدد له بإيجاده إسم ولا صفة بل لم يزل وبأسمائه وصفاته ذاته لا شبه له في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله وبأنه منزّه عن الجهة والجسمية وصفاتها ولوازمها وكل صفة نقص لا كمال فيها وبأنه لا يكون في ملكه إلا ما يشاء من خير وشر ونفع وضرب لا تقع لحة ناظر ولا فلة خاطر إلا بإرادته تعالى وبأنه الغني المغنى المطلق فكل موجود مفقر إليه تعالى في وجوده وبقائه وسائر ما يمد به ويجمع ذلك كله أنه تعالى منصف بكل كمال منزّه عن كل وصف لا كمال فيه واجب الوجود لذاته منفرد باستحقاق العبودية على العالم إذ هو مالكة حقيقة لأنه الذي أوجدهم من العدم وبالألوهية والقدم والبقاء والخلق والقدرة لبثت إسناد جميع الحوادث إليه تعالى مع مشاهدة كمال الإحسان في خلقها وترتيبها وبالإرادة لأن تخصيص بعض الممكنات بالوقت الذي أوجده فيه دون ما قبله أو ما بعده ليس إلا لمعنى هو الإرادة ﴿وأنه قديم﴾ إشتهر وصف البارئ تعالى بالقديم في عبارات المتكلمين ولم يرد في شئ من القرآن والآثار الصحيحة وصفه تعالى به لكنه قد ورد في بعض الأدعية وأحسبها مأثورة يا قديم الإحسان

وباق لإنتهاء لأبدية

قال الزيدى قد أجمعت الأمة على وصفه تعالى به وورد ذكره في بعض الأخبار التي ذكرت فيها الأسماء الحسنى ودل عليه من القرآن قوله عز وجل وما نحن بمسبوقين والخبر الذي ورد ذكره هو ما أخبر به الشيخ المسند الجليل عمر بن أحمد بن عقيل إجازة عن الإمام الحافظ عبد الله بن سالم البصرى أخبرنا محمد بن علاء الدين أخبرنا علي بن يحيى أخبرنا عبد الله بن يوسف أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ أخبرنا عبد الرحيم بن محمد أخبرنا عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافى أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم البزدوى قراءة عليه وأنا أسمع أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسى أخبرنا أبو القاسم عبد الواحد بن أبي المطر الصيدلانى إجازة أخبرنا أبو سعد إسماعيل بن أحمد بن عبد الملك النيسابورى أخبرنا أبو الرجاء خلف بن عمر بن عبد العزيز الفارسى حدثنا الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمى أخبرنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر حدثنا عبد الله بن زيد البجلي بالكوفة حدثنا محمد بن عمرو بن الوليد الكندى حدثنا خالد بن مخلد حدثنا عبد العزيز حصين حدثنى أيوب السخيتانى وهشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال إن لله تعالى تسعة وتسعين إسما من أحصاها كلها دخل الجنة فساقها وذكر فيها بند الفتح القديم الوتر الفاطر الرزاق .

واختلف فى وصفه بأنه قديم فمنهم من قال يستحقه لنفسه وبه قال أبو الحسن الأشعري فعلى هذا هو من صفة الذات ومنهم من قال إنه تعالى قديم بمعنى يقوم به وهو قول عبد الله بن سعيد فيكون من أسماء الصفة الأزلية القائمة به شرح هذا القول أن الأشعري يقول إن القديم معناه المقدم فى وجود ما يكون بعده .

والتقدم نوعان أحدهما تقدم بلا ابتداء كقدم البارى عز وجل وصفاته القائمة بذاته على الحوادث كلها وهذا هو المراد من قول المصنف قديم لا ابتداء لوجوده . والثانى التقدم بغاية كقدم بعض الحوادث على بعض وأجاز وصف القديم على الله تعالى وعلى صفاته الأزلية وقال إن القديم قديم لنفسه لا بمعنى يقوم به فلا ينكر وصف صفاته الأزلية بهذا الوصف كما لا ينكر وصفها بالوجود إذ كان موجودا لنفسه وقال عبد الله بن سعيد وأبو العباس القلانسى وهما من قدماء الأشاعرة إن القديم قديم بمعنى يقوم به فهم يقولون إن الإله سبحانه قديم بمعنى قائم به ويقولون إن صفاته قائمة به موجودة أزلية ولا يقال أنها قديمة ولا محدثة .

* تنبيه * الأزلى إستمرار الوجود فى أزمنة مقدمة غير متناهية فى جانب الماضى والأزلى ما ليس بمسبوق بالعدم ويقال إن أصله يزلى منسوب إلى قولهم للقديم لم يزل ثم نسب إلى هذا فلم يستقم إلا باختيار فقالوا يزلى ثم أبدلت الياء ألفا للتحفة فقالوا أزلى كما قالوا فى الرنح المنسوب إلى ذى يزن أزنى وإلى يشرب نصل أشربى نقله الصغاني عن بعض أهل العلم ﴿ لا ابتداء لوجوده ﴾ الوجود صفة نفسية على المشهور لا توصف بالوجود أى فى الخارج ولا بالعدم أى فى الذهن لأنها من جملة الأحوال عند القائل بها وهو زائد على الذات كما ذهب إليه الفخر الرازى والجمهور وأما على القول بأنه عين الذات كما ذهب إليه الأشعري فجعله صفة للذات نظرا إلى أنها توصف به فى اللفظ فيقال ذات الله موجودة ﴿ وبقا لإنتهاء لأبدية ﴾ قال الزيدى والأبدى ما لا يكون متعبدا والوجود ثلاثة أقسام لا رابع لها أزلى أبدى وهو الحق سبحانه وتعالى ولا أزلى ولا أبدى وهو الدنيا وأبدى غير أزلى وهو الآخرة وعكسه محال إذ ما ثبت قدمه إستحال عدمه .

وبالملائكة اعتقاد أنهم مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون صادقون فيما أخبروا به وبالكتاب اعتقاد أنها كلام الله الأزلي القائم بذاته المنزه عن الحرف والصوت وأن كل ما تضمنته حق وأن الله تعالى أنزلها على بعض رسله بألفاظ حادثة في الوجود أو على لسان الملك وبالرسل اعتقاد أن الله أرسلهم إلى الخلق ونزهمهم عن كل وخيمة ونقص فهم معصومون من الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها

﴿و﴾ أن الإيمان ﴿بالملائكة﴾ اعتقاد أنهم مكرمون ﴿عند الله عز وجل﴾ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴿أي﴾ بأنهم سفراء الله تعالى بينه وبين خلقه متصرفون فيهم وأنهم بالغون في الكثرة ما لا يعلمه إلا الله تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو أظت السماء وحق لها أن تثبت ما من موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد أو راعك انتهى حج. قال الطيبي الأبيط صوت الأقباب وأبيط الإبل أصواتها وخفيها أي أن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلت حتى أظت وإن لم يكن ثم أبيط وإنما هو كلام يقرب أريد به تقرير عظمة الله تعالى ممد عن الشيرا حتى ﴿صادقون فيما أخبروا به﴾ أي عن الله تعالى لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ولا يتوالدون ولا ينامون ولا تكتب أعمالهم لأنهم الكتاب ولا يحاسبون لأنهم الحساب ولا توزن أعمالهم لأنهم لا سيات لهم ويحشرون مع الجن والإنس يشفعون في عصاة بني آدم ويبراهم المؤمنون في الجنة ويدخلونها ويتناولون النعمة فيها بما شاء الله لكن قال أحمد السنجي وجاء عن مجاهد ما يقتضي أنهم لا يأكلون فيها ولا يشربون ولا يتناكحون وأنهم يكونون كما كانوا في الدنيا وهذا يقتضي أن الحور والولدان كذلك انتهى ويموتون بالنفخة الأولى الاحملة العرش والرؤساء الأربعة فإنهم يموتون بعدها أما قبلها فلا يموت أحد منهم كذا ذكره بعض المحققين.

﴿و﴾ أن الإيمان ﴿بالكتاب﴾ اعتقاد أنها كلام الله الأزلي القائم بذاته المنزه عن الحرف والصوت ﴿و﴾ اعتقاد ﴿أن كل ما تضمنته حق﴾ أي صواب ﴿و﴾ اعتقاد ﴿أن الله أنزلها على بعض رسله بألفاظ حادثة في الوجود﴾ أي بأن كانت مكتوبة عليها كالنورة ﴿أو﴾ على لسان الملك ﴿أي المشاهد كما روى أن اليهود قالوا الرسول الله ﷺ ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نيا كما كلمه موسى ونظر إليه فقال لم ينظر موسى إلى الله فنزل وما كان لبشر أن يكلمه إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما شاء قال بعضهم في تفسير ذلك أي ما صح لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحى إليه وحيا أي كلاما خفيا يدرى بسرعة كما سمع إبراهيم في المنام أن الله يأمرك بالذي ولدك وكما الهمت أم موسى أن تقذفه في البحر أو من وراء حجاب أو ألا أن يرسل رسولا أي ملكا جبريل فيحكم الرسول أي المرسل إليه بأمر ربه ما يشاء.

﴿و﴾ أن الإيمان ﴿بالرسل﴾ اعتقاد أن الله أرسلهم إلى الخلق ونزهمهم عن كل وخيمة ﴿أي ثقلة﴾ ونقص ﴿والمراد العيب الذي ينقص رتبهم كما قرره بعضهم﴾ فهم معصومون من الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها ﴿على المختار بل هو الصواب وما وقع في قصص يذكرها المفسرون وفي كتب قصص الأنبياء مما يخالف ذلك لا يعتمد عليه ولا يلتفت إليه﴾ حل ناقلوه كالبغوي والواحدى وما جاء في القرآن من إثبات العصيان لآدم عليه السلام ومن معاتبة جماعة منهم على أمور فعلوها فإنما هو من باب أن للسيد أن يحاطب عبده بما شاء وأن يعاتبه على خلاف الأولى معاتبة غيره على العصية ومن باب حسنات الأبرار سيئات المقربين كذا قاله العلامة ابن حجر وغيره.

واعلم أن الرسل أفضل عباد الله قال تعالى وكلا فضلنا على العالمين ولا يعلم عددهم إلا الله أولهم آدم وخاتمهم وأفضلهم سيدنا محمد ﷺ وكلهم من نسل آدم عليه السلام وأنهم صادقون في جميع أقوالهم في دعوى الرسالة وفيما بلغوه عن الله تعالى وفي الكلام العرفي نحو أكلت وشربت وأنهم معصومون عن الوقوع في محرم أو مكروه وأنهم مبلغون ما أمروا بتبليغه للخلق وإن لم يكن أحكاما وأنهم حاذقون

لأن كنت مكانا آدم لا أملك التجارة بشتى ما عالج تتركب على الخلق من الخير العاطف، وإن لم يكون من ذلك؟
سيدنا محمد ﷺ لا ألف

وباليوم الآخر وهو من الموت إلى آخر ما يقع اعتقاد وجوده وما اشتمل عليه من سؤال الملكين

بحيث يكون فيهم قدرة على إلزام الخصوم ومخاججهم وإبطال دعاويهم فهذه الصفات الأربعة تجب للمرسلين وأما الأنبياء غير المرسلين فلا يكونون سبلقين وإنما يجب عليهم أن يبلغوا الناس أنهم أنبياء ليحرموا وقد (وي) أن عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وقيل مائتا ألف وأربعة وعشرون ألفا وقيل ألف ومائتا ألف وخمسة وعشرون ألفا وأن عدد المرسلين منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر وقيل وأربعة عشر والمذكور منهم في القرآن بأسماء الأعلام ثمانية وعشرون نبياً آدم وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف ولوط وموسى وهارون وشعيب وزكرياء ويحيى وعيسى وداود وسليمان وإلياس واليسع وذوالكفل وأيوب ويونس ومحمد ﷺ وذو القرنين وعزير ولقمان على القول بنبوة الثلاثة والصحيح فيهم الإسكاف عن حصرهم في عدد لأنه ربما أدى إلى إثبات النبوة والرسالة لمن ليس كذلك في الواقع أو إلى نفي ذلك عن من هو كذلك في الواقع فيجب التصديق بأن الله رسلاً وأنبياء على الإجمال قال السحيمي نعم يجب على المؤمن أن يعلم ويعلم صيانه ونسائه وخدمه أسماء الرسل المذكورين في القرآن كما تقدم حتى يؤمنوا به ويصدقوا بجمعهم تفضيلاً وأن لا ينطق أن الواجب عليهم الإيمان بمحمد فقط فإن الإيمان بجميع الأنبياء سواء ذكر اسمهم في القرآن أو لم يذكر واجب على كل مكلف . وأولو العزم منهم خمسة فيجب أن يعلم ترتيبهم في الأفضلية لأنهم ليسوا في مرتبة واحدة .

والمراد من العزم هنا الصبر وتحمل المشاق أو الجزم كما فسر به ابن عباس في الآية فأفضلهم سيدنا محمد فسيدنا إبراهيم فسيدنا موسى فسيدنا عيسى فسيدنا نوح صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ويلهم في الأفضلية بقية الرسل ثم بقية الأنبياء وهم متفاوتون فيما بينهم عند الله لكن يتمتع التعيين علينا على تفاوتهم لأنه لم يرد فيه تعليم من الشارع ثم رؤساء الملائكة كجبريل ونحوه ثم الأولياء خصوصاً سيدنا أبو بكر وبقية الصحابة رضي الله عنهم لحديث إن الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين ثم عوام الملائكة ثم عوام البشر كما ذكره م. ر. وغيره .

﴿و﴾ أن الإيمان ﴿باليوم الآخر﴾ وصف بذلك لأنه لا ليل بعده ولا يقال يوم من غير تقييد إلا لما يعقبه ليل انتهى حجج أو لأنه آخر لأوقات المحدودة فليس بعده يوم آخر أو لتأخره عن الأيام المنتهية من أيام الدنيا ﴿وهو من الموت إلى آخر ما يقع﴾ وعلى هذا فالقبر من الآخرة ولذا يقولون من مات قامت قيامته أي الصغرى ويسمى قيامة على هذا القيام الميت ﴿فيه﴾ من الإضطجاع إلى القعود لسؤال الملكين ثم نسم القبر عليه فأشبه يوم القيامة الكبرى وقال الزمخشري أوله من وقت الحشر إلى ما لا يتناهى أو إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ﴿إعتقاد وجوده وما اشتمل عليه من سؤال الملكين﴾ أي منكر ونكير وهما شخصان أسودان أزرقان هيبان هائلان يقعدان مبد في قبره هذا في حق المقبور في غيره بعد الموت سويًا تاماً ذا روح وجسد كامل الجواس واقفى الشمس الرملى بأن السؤال على رأس وحده إن انفصل لوجد أدلة النطق واقفى الحافظة السيوطى بأن الميت إذا نزل لا يسأل حتى يدفن قال بعضهم ومثله المصلوب بسألانه أو أحدهما عن التوحيد والرسالة يترققان بالمؤمن وينهران المنافق والكافر ولو تمزقت أعضاؤه أو أكلته السباع في أجوافها وكذا نريق والحريق وإن ذرى في الرج .

وقال القرطبي اختلفت الأحاديث في كيفية السؤال والجواب وذلك بحسب الأشخاص فمنهم من يسئل عن بعض إعتقاداته منهم من يسئل عن كلها انتهى . وهذا السؤال والجواب خاص بهذه الأمة والمراد بها أمة الدعوى فيدخل المؤمنون والمنافقون والكافرون رد في حق جماعة أنهم لا يسئلون كالمرباط والشهيد بأنواعه والمراد به التخفيف لا مطلقاً وفي سؤال الأبطال الوقف وجزم السيوطى

ونعيم القبر أو عذابه والبعث والجزاء والحساب والميزان والصراط

بعدم السؤال لعدم تكليفهم كالملائكة لا الخلق قاله الزبيدي ﴿ونعيم القبر﴾ أي لمن يكون من أهل النعمة وهو حق ثابت لما ورد في ذلك من النصوص ولا يختص بمؤمني هذه الأمة كما أنه لا يختص بالمقبور ولا بالمكفين فيكون لمن زال عقله أيضا وتعتبر الحالة التي زال عقله وهو عليها من كفر وإيمان ونحوهما ومن نعيمه توسيعه وقبح طباق فيه من الجنة ووضع قنديل فيه وملاؤه بالروح والريحان وجعله روضة من رياض الجنة وكل هذا محمول على الحقيقة عند العلماء ﴿وعذابه﴾ أي القبر وهو حق ثابت كما في حديث مسلم المرفوع إن هذه الأمة تبلى في قبورها فلولا أن لا تدفنوا ليدعون الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه ثم أقبل ﷺ بوجهه علينا فقال تعوذوا بالله من عذاب القبر الحديث.

* تنبيه * واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ وأضيف إلى القبر لأنه الغالب والافكل ميت أراد الله تعذيبه ناله ما أراد قهره أو لم يقهر وحله الروح والبدن باتفاق وبعد إعادة الروح له أو إلى جزء منه على قول من قال إن المعذب بعض الجسد وهو قسمان دائم وهو عذاب الكفار ومنقطع وهو عذاب العصاة ﴿والبعث﴾ وهو إعادة الخلق بعد إحيائهم بجميع أجزائهم الأصلية التي من شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره وقد ورد بذلك الآيات والأثار وأكثرها لا يحتمل التأويل ولا يفرق في ذلك بين من يجاسب كالمكلف وغيره كما صححه النووي واختاره والبعث والنشور عبارة عن معنى واحد وهو الإخراج من القبور بعد جمع جميع الأجزاء الأصلية وإعادة الروح إليها وإن إعادة الأجسام عن عدم محض فيوجد ما الله تعالى بعد إندامها بالكلية وقيل عن تفريق محض فيذهب الله العين والأثر جميعا بحيث لا يبقى في الجسم جوهران فردان على الاتصال وعلى القول الأول يكون الجسم الثاني هو الأول المعدوم بعينه لا مثله وفي إعادة العرض القائم بالأجسام تبعاً لمحلله مذهبان الأول تعاد بأشخاصها التي كانت في الدنيا قائمة بالجسم حال الحياة وهو قول الأشعري والثاني إمتناع إعادة مطلقاً لأن المعاد إنما يعاد بمعنى فلزم قيام المعنى بالمعنى وهو قول الفلاسفة وبعض المعتزلة والكرامية والخوارج والراجح وفي جواز إعادة الزمن قولان ذكره المحقق الزبيدي ﴿والجزاء﴾ أي للعمل إن خيراً فخير وإن شراً فشر ﴿والحساب﴾ جاء ذكره في حديث عمر رفعه أخرجه البيهقي في البعث وهو توفيق الله عباده قبل الإنصراف من المحشر على أعمالهم.

وأول من يحاسب هذه الأمة وتفاوت الناس فيه إلى مناقش في الحساب وإلى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون فيسأل الله تعالى من يشاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين ويسأل المبتدعة عن السنة ويسأل المسلمين عن الأعمال قولاً كانت أو فعلاً أو اعتقاداً ﴿والميزان﴾ أي ذى الكفتين واللسان وصفته في العظم أنه مثل طباق السماوات والأرض توزن فيه الأعمال بقدره الله تعالى والصبح يومئذ ثاقيل الذر والجرود تحقيقاً لتمام العدل وتوضع صحائف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله وتطرح صحائف السيئات في صورة قبيحة في كفة الظلمات فيخف بها الميزان بعدل الله قاله الغزالي وهل الموزون الكعب التي اشتملت على أعمال العباد أو أعيان الأعمال قولان الأول ذهب إليه جمهور المفسرين والامام أبو المعالي واستقر به ابن عطية ومن فوائد الوزن إمتحان العباد بالإيمان بالغيب في الدنيا وجعل ذلك علامة لأهل السعادة والشقاوة وتعرف العباد ما لهم من الجزاء على الخير والشر وإدانة الحجة عليهم والله الموفق ﴿والصراط﴾ وهو لغة الطريق الواضح لأنه يبلغ المارة وشرعاً جسر ممدود على قعر جهنم يرده الأولون والآخرون ذاهبين إلى الجنة لأن جهنم بين الموقف والجنة أحد من السيف وأدق من الشعر تزل به أقدام الكافرين والمنافقين بحكم الله تعالى فتهدى بهم إلى النار وثبت عليه أقدام المؤمنين بفضل الله تعالى

والجنة والنار والقدر اعتقاد أن ما قدره الله في الأزل لا بد من وقوعه وما لم يقدره يستحيل وقوعه وأنه تعالى قدر الخير والشر

فيساقون إلى دار القرار كذا قاله الفزالي وقوله أدق من الشعر مذهب أهل السنة بقاءه على ظاهره ومع تفريض حقيقته إليه سبحانه وتعالى وطوله ثلاثة آلاف سنة ألف صعود وألف هبوط وألف استواء وجبريل في أوله وميكائيل في وسطه وفي حافيه كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به وفيه سبع قناطير يسئل العبد عند كل واحد عن نوع من العبادات ومرور العباد عليه متفاوت في سرعة النجاة وعدمها ومنهم من يجوز كطرفة العين بعده كالبرق الخاطف بعده كالريح العاصف بعده كالطير بعده كالجواد السابق ثم الجواز سعيًا ومشيًا وحبوًا على حسب تفاوت الأعمال ويتسع الصراط ويدق بحسب ابتشار النور وضيقة ومن هنا كان دقيقًا في حق قوم وعريضًا في حق آخرين وهو واحد في نفسه والحكمة فيه ظهور النجاة من النار وأن تصير الجنة أسر لقلوبهم وتحسر الكافر بفوز المؤمنين بعد اشتراكهم في العبور ﴿والجنة والنار﴾ وهو مخلوقان الآن اتفق على ذلك أهل السنة والجماعة عملاً بالقرآن وما ورد في ذلك من الآثار ووافقنا في ذلك بعض المعتزلة كأبي على الجبائي وأبي الحسن البصري وبشر بن المعتمر.

وقال بعضهم كأبي هاشم وعبد الجبار وآخرين إنما يخلقان يوم القيامة قالوا لأن خلقهما قبل يوم الجزاء عبث لا فائدة فيه فلا يليق بالحكيم وضعفه ظاهر لما تقرر من بطلان القول بتعليل أفعاله تعالى بالفوائد والدليل على وجودهما الآن قوله تعالى وسار عوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين وفي النار أعدت للكافرين في آية كثيرة ظاهرة في وجودهما إذ لا استحالة فيه وكون الشيء شيئاً ومعدلاً لغيره فرع وجوده وكذا قصة آدم وحواء. أسكن أنت وزوجك الجنة فكلام من حيث شئنا إلى أن قال وطبقا يحصنان عليهما من ورق الجنة وحمل مثله على بستان من بساتين الدنيا كما زعمه بعض المعتزلة يشبه التلاعب أو العناد إذ المتبادر من لفظ الجنة باللام العهدية في إطلاق الشارع ليس إلا الجنة الموجودة في السنة وظواهر كثيرة من الكتاب والسنة تصيره ما قطعية باعتبار دلالة مجموعها وأجمع الصحابة رضوان الله عليهم على فهم ذلك من الكتاب والسنة ومن شبه المعتزلة قالوا لو خلقا لهلكا لقوله تعالى كل شيء هالك إلا وجهه واللازم باطل للإجماع على دوامهما والجواب تخصيصهما من عموم آية الهلاك جمعا بين الأدلة ولا يقال من طرف المعتزلة لا فائدة في خلقهما قبل يوم الجزاء لأنه عبث فلا يليق بالحكيم والجواب أن نفى الفائدة في خلق الجنة الآن بمنوع إذ هي دار نعيم أسكنها تعالى من يرحمه ويسبحه بلا فترة من الحور والولدان والطير وقد روى الترمذي والبيهقي من حديث علي رفعه أن في الجنة مجتمعا للحور العين يرفغن بأصوات لم تسمع الخلاق بمثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبذ الحديث وروى نحوه أبو نعيم في صفة من حديث ابن أبي أوفى ومن هذا ذهب الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى إلى أن الحور العين لا يمتن بها وأنهن فيمن استثنى الله بقوله فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء على أن نفى الفائدة في تعقل الزاعم لا ينفي وجود الحكمة في نفس الأمر وإن لم يحط بها علما والله سبحانه وتعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ثم يخلف العلماء في محلها والأكثر على أن الجنة فوق السموات عملاً بقوله تعالى عند سدرة المنتهى عند حاجنة المأوى وقوله عليه السلام في وصف جنة الفردوس سقناها عرش الرحمن وعلى أن النار تحت الأرض وهذا لم يرد فيه نص صريح وإنما هي ظواهر والحق في ذلك تفريض العلم إلى الله تعالى.

﴿وأن الإيمان﴾ بالقدر ﴿بحرك الدال المهمة وقد تسكن مصدر قدرت الشيء بفتح الدال مخففة إذا احطت بمقدار و﴾ فيه عوض عن المضاف إليه أي بتقدير الله سبحانه وتعالى الأمور وإحاطته بها علما ﴿إعتقاد ما قدره الله في الأزل لا بد من وقوعه وما لم يقدر يستحيل وقوعه﴾ إعتقاد أنه تعالى قدر الخير والشر أي الحلو والمر والخير والطاعة والشر والمعصية والحلو ما استطابه النفس

قبل خلق الخلق وأن جميع الكائنات بقضائه وقدره.

وتأمل إليه كالغيث والخصب والسعة والعافية والسلامة من الآفات والمر ما تكرمه النفس وتنفر منه كالجذب والفتح والمرض والبلاء وقد نظم ذلك الشيخ الشهاب السندوي فقال رحمه الله تعالى:

الخير في قدر يسنى طاعة ❊ والحل لذتها وحسن ثوابها

والشر معصية تنافم أمرها ❊ والمر محنتها وسوء عقابها

ومشيئة مع قدرة. وإرادة ❊ مجموعها قدر نفير بلابها

﴿ قبل خلق الخلق ﴾ اعتقاد ﴿ أن جميع الكائنات بقضائه وقدره ﴾ أي وإرادته لقوله تعالى خلق كل شيء والله خلقكم وما تعملون إنا كل شيء خلقناه بقدر ينصب كل كما اجمع عليه السبعة وحينئذ فقد نص على عموم الخلق اذ تقديره حينئذ إنا خلقنا كل الشيء خلقناه بقدر ويرفعها يزول هذا المعنى اذ تقديره حينئذ إن كل شيء مخلوق لنا بقدر فلا يكون نصا في عموم الخلق لأنه يحتمل أن خلقناه في موضع الخير للبدا والجملة خير إن بقدر حال والمعنى إن كل شيء مخلوق لنا حال كونه بقدر وهو المقصود. ويحتمل كون الفعل وصفا مخصصا لكل أول شيء ويقدر هو الخير وليس المقصود لإيهامه وجود شيء لا بقدر لكونه غير مخلوق فلما كان محتملا للمقصود وغيره لم يكن نصا بخلاف النص لأنه لم يمكن حينئذ جعل الفعل وصفا لأن الوصف لا يعمل فيما قبله فلا يفسر عاملا فيه بل الجملة مفسرة لا محل لها من الإعراب ولقوله تعالى وما تشاؤون إلا أن يشاء الله وإجماع السلف والخلف على صحة قول القائل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن والخبر كل شيء بقدر حتى العجز والكيس والقضاء عند الأشاعرة إرادته الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال أي في المستقبل والقدر إيجادها إياها على قدر مخصوص في ذاتها وأفعالها والقضاء علمه أولا بالأشياء على ما هي عليه والقدر إيجادها إياها على ما يطابق العلم وقد نظم ذلك على الأجهوري فقال:

إرادة الله مع التعلق ❊ في أزل قضاؤه فحقق

والقدر الإيجاد للأشياء على ❊ وجه معين أرادته علا

وبعضهم قد قال بمعنى الأول ❊ العلم مع تعلق في الأزل

والقدر الإيجاد للأمور ❊ على وفاق علمه المذكور

وإنه يرحم من يشاء من خلقه فضلا ويعذب من يشاء منهم عدلا كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وإنه أعلم بطبائع خلقه منهم قال عز وجل هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فما فعل فيهم فهو غير ملوم ولا يطلعون على علمه ولا على عدله وإن له تكليفهم بما يشاء من الأفعال مع تقدير أسباب منعمهم منها وهو المسمى بتكليف ما لا يطاق ومن ثم قال بعض العلماء يجب السكوت عن كيف في صفاته وعن لم في أفعاله فلا يقال كيف علمه كيف قدرته وهكذا.

واعلم أن الإيمان لما قدر على قسمين أحدهما الإيمان بأنه تعالى سبق في علمه ما يفعله العباد من خير وشر وما يجازون عليه وأنه كذب ذلك عنده وأحصاه وأن أعمال العباد تجري على ما سبق في علمه وكتابه. ثانيهما أنه تعالى خلق أفعال عباده كلها من خير وشر وكفر وإيمان وهذا القسم تنكره القدرة كلها والأول لا ينكره إلا غلاتهم وكفرهم بإنكاره كثيرون ومحل الخلاف حيث لم ينكروا العلم القديم أي أثبتوا العلم القديم ونفوا تعلقه بالأشياء على ما هي عليه قبل وقوعها تعالى الله عن ذلك والإكفر نص عليه الشافعي وأحمد

﴿وأخرج﴾ أحمد والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جددوا إيمانكم قيل وكيف نجدد إيماننا يا رسول الله قال فأكثروا من قول لا إله إلا الله * والشيخان عن عثمان بن مالك أن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يتغنى بذلك وجه الله * وابن عساکر عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حدثني جبريل قال يقول الله تعالى لا إله إلا الله حصني فمن دخله أمن من عذابي * والطبراني عن أبي الدرداء ليس من عبد يقول لا إله إلا الله مائة مرة إلا بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولم يرفع لأحد يومئذ عمل أفضل من عمله إلا من قال مثل قوله أو زاد * وابن ماجه عن أم هانئ لا إله إلا الله لا يسبقها عمل ولا تترك ذنبا *

وغيرهما كذا قاله ابن حجر وغيره.

﴿وأخرج﴾ أي نقل إمام أهل السنة ﴿أحمد﴾ بن محمد بن حنبل ولد سنة ١٦٤ وتوفي ضحوة يوم الجمعة ١٢ من ربيع الأول سنة ٢٤١ والحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن البيع صاحب المستدرک ولد في ربيع الأول سنة ٣٢١ وتوفي في ٣ صفر الخير سنة ٤٠٥ ﴿عن أبي هريرة﴾ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جددوا إيمانكم قيل وكيف نجدد إيماننا يا رسول الله قال فأكثروا من قول لا إله إلا الله ﴿فإنها تزيد القلب نورا وهي كالسيف القاطع للنفس الأمارة فإنها ترقى الملازم لها إلى أن تكون نفسه لوامة ثم مطمئة قال العزیزی وإسناد أحمد صحيح﴾.

﴿و﴾ أخرج الشيخان عن عثمان بن مالك أن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يتغنى ﴿أي يطلب﴾ بذلك ﴿أي بالقول المذكور﴾ وجه الله ﴿أي ذاته وهذا جرى على مذهب الخلف وعليه بالإضافة للبيان أما إن جزيئا على مذهب السلف من إثبات وجهه له تعالى منزله عن مسلمات الحديث بالإضافة على معنى اللام ثقله بعض المحققين عن الصبان وأقره﴾.

﴿و﴾ أخرج ابن عساکر عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حدثني جبريل قال يقول الله تعالى ﴿في الحديث القدسي والكلام الإنسي﴾ لا إله إلا الله حصني فمن دخله أمن من غضبي ﴿فمن أراد دخول ذلك الحصن فليجمع جوارحه فينطق بالشهادة بلسانه عن جميع ذاته وقلبه وجوارحه والحصن بكسر الحاء المكان الذي لا يقدر عليه يقال تحصن إذا دخل الحصن واحتمى به قاله العزیزی وقال الحنفی معناه من أسلم ونطق بالشهادتين من الكفار أمن من الخلود في النار﴾.

﴿و﴾ أخرج الطبراني عن أبي الدرداء ليس من عبد يقول لا إله إلا الله مائة مرة ﴿أي مخلصا وهذا الحديث كأمثاله يدل على شرف هذه الكلمة فمن سمع فضلها وترك الإشتغال بها كان محروما من الخير الكثير ومن لازمها تغيرت نفسه من كونها أمارة إلى كونها لوامة ثم مطمئة لكن لا بد من شيخ مسلك عارف بدواء النفس أفاده الحنفی ﴿لا بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر﴾ أي التمام وهو أربعة عشر وإنما سمي القمر فيها بسبب أنه يهدر أي يسرع بالطلوع فيسبق طلوعه عند مغيب الشمس ﴿ولم يرفع لأحد يومئذ﴾ أي يوم القيامة ﴿عمل أفضل من عمله إلا من قال مثل قوله أو زاد﴾ على ذلك.

﴿و﴾ أخرج محمد بن يزيد بن ماجه القزويني ولد سنة ٢٠٩ وتوفي يوم ٢٢ رمضان سنة ٢٧٣ ﴿عن أم هانئ بنت أبي طالب﴾ لا إله إلا الله لا يسبقها عمل ﴿فهي ترفع قبل غيرها من الأعمال قال العلقمي لأنها مبدأ الأعمال المعتمد بها فعمل الكافر لا يعتد به إلا أن يثاب على ما تقدم منه من قربات كعتق وصدقة ونحو ذلك إن استمر على الإسلام ومات عليه﴾ ولا تترك ذنبا ﴿فإذا أتى بها الكافر مع قربتها وهي شهادة الرسالة كفر الله عنه كل ذنب فإن الإسلام يحجب ما قبله﴾.

والترمذي والنسائي عن جابر أفضل ذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله * والنسائي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال موسى عليه السلام يا رب علمني شيئا أذكرك به فقال قل لا إله إلا الله فقال يا رب كل عبدك يقول هذا إنما أريد شيئا تخصني به فقال يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع جعلت في كفة ولا إله إلا الله في كفة لمالت بهن لا إله إلا الله * وأبو يعلى عن أبي بكر رضي الله عنه وعن ذر بنه عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار واكثروا منها فان إبليس قال أهلك الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك أهلكهم بالأهواء وهم يحسبون أنهم مهتدون * وابن أبي الدنيا والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه حضر ملك الموت رجلا يموت فشق أعضائه فلم يجد عملا خيرا ثم شق قلبه فلم يجد فيه خيرا ففك لحية فوجد طرف لسانه لاصقا بجنته يقول لا إله إلا الله فغفر له بكلمة الإخلاص * وأبو داود وأحمد عن معاذ بن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة نسأل الله الكريم الودود أن يحتم كلامنا بكلمة التوحيد.

﴿و﴾ أخرج أبو عيسى محمد بن عيسى ﴿الترمذي﴾ ولد سنة ٢٠٩ ومات في رجب سنة ٢٧٩ ﴿و﴾ أحمد بن شعيب ﴿النسائي﴾ بنون فسين مهمة مفتوحين نسبة إلى نسا مدينة بخراسان ومثله فيما ذكر النسوي بالواو ولد سنة ٢١٥ وتوفي يوم الإثنين ١٢ من صفر الخير سنة ٣٠٣ كما ذكره بعضهم في علم الحديث وأخرج أيضا ابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه عن جابر ﴿قال الترمذي حسن غريب والحاكم صحيح كما ذكره العزيزي عن المناوي﴾ أفضل الذكر لا إله إلا الله ﴿لأنها كلمة التوحيد والتوحيد لا يماثله ولأن لها تأثيرا في تطهير الباطن فيفيد نفى الآلهة بقوله لا إله ويثبت الوجدانية لله تعالى بقوله إلا الله ويعود الذكر من ظاهر لسانه إلى باطن قلبه فيتمكن فيه ويستولى على جوارحه ويجدد حلاوة هذا من ذاق ولأن الإيمان لا يصح إلا بها أي مع محمد رسول الله وليس هذا فيما سواها من الأذكار ﴿وأفضل الدعاء الحمد لله﴾ إطلاق الدعاء على الحمد من باب المجاز ولعله جعل أفضل الدعاء من حيث أنه سؤال لطيف يدق مسلكه ومن ذلك قول أمية بن أبي الصلت حين خرج إلى بعض الملوك يطلب نائله :

إذا أتني عليك المرء يوما * كفأك من تعرضه الثناء

وقيل إنما جعل الحمد أفضل لأن الدعاء عبارة عن ذكر وأن يطلب منه حاجته والحمد لله يشعلها فإن من حمد الله إنما يحمد الله على نعمه والحمد على النعمة طلب مزيد قال الله تعالى لنن شكرتم لأزيدنكم ويستفاد من هذا الحديث أن لا إله إلا الله أفضل من الحمد لله .
﴿والنسائي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ﴾ قال قال موسى عليه السلام يا رب علمني شيئا أذكرك به فقال قل لا إله إلا الله فقال يا رب كل عبدك يقول هذا إنما أريد شيئا تخصني به فقال يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع جعلت في كفة ولا إله إلا الله في كفة لمالت بهن لا إله إلا الله .

وأبو يعلى عن أبي بكر رضي الله عنه وعن ذر بنه عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار واكثروا منها فان إبليس قال أهلك الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك أهلكهم بالأهواء وهم يحسبون أنهم مهتدون . وابن أبي الدنيا والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه حضر ملك الموت رجلا يموت فشق أعضائه فلم يجد عملا خيرا ثم شق قلبه فلم يجد فيه خيرا ففك لحية فوجد طرف لسانه لاصقا بجنته يقول لا إله إلا الله فغفر له بكلمة الإخلاص . وأبو داود وأحمد عن معاذ بن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة نسأل الله الكريم الودود أن يحتم كلامنا بكلمة التوحيد .

﴿وحكى﴾ إمامنا محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه قال رأيت بمكة نصرايا يدعى بالأسقف وهو يطوف بالكعبة فقلت له ما الذي رغبتك عن دين آبائك فقال بدلت خيرا منه قلت فكيف كان ذلك فحكى لي أنه ركب البحر قال فلما توسطنا فيه انكسرت المركب فسلمت على لوح فما زلت الأمواج تدافعني حتى رستني في جزيرة من جزائر البحر فيها أشجار كثيرة ولها أثمار أحلى من الشهد وألين من الزبد وفيها نهر جار عذب قال فقلت الحمد لله على ذلك آكل من هذا الثمر وأشرب من هذا النهر حتى يأتي الله تعالى بالفرج فلما ذهب النهار وجاء الليل خفت على نفسي من الدواب فعلوت شجرة ونمت على غصن فلما كان في وسط الليل وإذا بداية على وجه الماء تسبح الله تعالى بلسان فصيح لا إله إلا الله الغفار محمد رسول الله النبي المختار فلما وصلت الدابة إلى البر إذا رأسها رأس نعام ووجهها وجه إنسان وقوائمها بغير وذنبها ذنب سمكة فخفت على نفسي الهلكة فنزلت من الشجرة ووليت هاربا فالتقت إلى وقالت قف والا هلكت فوقفت فقالت لي ما دينك فقلت النصرانية فقالت ويحك يا خاسرا رجع إلى الحنيفية فانك قد حلت بقاء قوم من مؤمني الجن لا ينحوس منهم إلا مسلم فقلت وكيف الإسلام قالت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقلتها ثم قالت الدابة تريد المقام هنا أم الرجوع إلى أهلك فقلت الرجوع إلى أهلي فقالت امكث مكانك حتى يجتاز بك مركب فمكثت مكاني ونزلت الدابة في البحر فما غابت عن عيني حتى مر مركب وركاب فأشرت إليهم فحملوني فإذا في المركب اثنا عشر رجلا كلهم نصاري وقصص عليهم قصتي فأسلموا كلهم .

﴿وحكى﴾ الشيخ عبد الله الياضي رحمه الله في كتابه روض الراحين أنه كان في الأمم الماضية ملك تمرد على ربه فغزا المسلمين فأخذوه أسيرا فقالوا بأي قتلة نقتله فأجمع رأيهم على أن يجعلوا له قمعا عظيما ويجعلوه فيه وتوقد تحته النار ولا يقتلوه حتى يذيقوه طعم

﴿وحكى﴾ إمامنا محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه قال رأيت بمكة نصرايا يدعى بالأسقف وهو يطوف بالكعبة فقلت له ما الذي رغبتك عن دين آبائك فقال بدلت خيرا منه قلت فكيف كان ذلك فحكى لي أنه ركب البحر قال فلما توسطنا فيه انكسرت المركب فسلمت على لوح فما زلت الأمواج تدافعني حتى رستني في جزيرة من جزائر البحر فيها أشجار كثيرة ولها أثمار أحلى من الشهد وألين من الزبد وفيها نهر جار عذب قال فقلت الحمد لله على ذلك آكل من هذا الثمر وأشرب من هذا النهر حتى يأتي الله تعالى بالفرج فلما ذهب النهار وجاء الليل خفت على نفسي من الدواب فعلوت شجرة ونمت على غصن فلما كان في وسط الليل وإذا بداية على وجه الماء تسبح الله تعالى بلسان فصيح لا إله إلا الله الغفار محمد رسول الله النبي المختار فلما وصلت الدابة إلى البر إذا رأسها رأس نعام ووجهها وجه إنسان وقوائمها بغير وذنبها ذنب سمكة فخفت على نفسي الهلكة فنزلت من الشجرة ووليت هاربا فالتقت إلى وقالت قف والا هلكت فوقفت فقالت لي ما دينك فقلت النصرانية فقالت ويحك يا خاسرا رجع إلى الحنيفية فانك قد حلت بقاء قوم من مؤمني الجن لا ينحوس منهم إلا مسلم فقلت وكيف الإسلام قالت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقلتها ثم قالت الدابة تريد المقام هنا أم الرجوع إلى أهلك فقلت الرجوع إلى أهلي فقالت امكث مكانك حتى يجتاز بك مركب فمكثت مكاني ونزلت الدابة في البحر فما غابت عن عيني حتى مر مركب وركاب فأشرت إليهم فحملوني فإذا في المركب اثنا عشر رجلا كلهم نصاري وقصص عليهم قصتي فأسلموا كلهم .

﴿وحكى﴾ الشيخ عبد الله الياضي رحمه الله في كتابه روض الراحين أنه كان في الأمم الماضية ملك تمرد على ربه فغزا المسلمين فأخذوه أسيرا فقالوا بأي قتلة نقتله فأجمع رأيهم على أن يجعلوا له قمعا عظيما ويجعلوه فيه وتوقد تحته النار ولا يقتلوه حتى يذيقوه طعم

العذاب ففعلوا ذلك به فجعل يدعو آلته واحدا بعد واحد يا فلان إنما كنت أعبدك اتقдан بما أنا فيه فلما رأى الآلهة لا تغنى عنه شيئا رفع رأسه إلى السماء وقال لا إله إلا الله ودعا مخلصا فصب الله عليه مشعب ماء من السماء فأطفأ تلك النار وجاءت ريح فاحتملت ذلك القمم وجعلت تدور به بين السماء والأرض وهو يقول لا إله إلا الله فقدفته إلى قوم لا يعبدون الله عز وجل وهو يقول لا إله إلا الله فاستخرجوه وقالوا وبحك مالك فقال أنا ملك بنى فلان كان من أمري وخبري كيت وكيت وقص عليهم القصة فآمنوا .

﴿وحكى﴾ أيضا فيه عن الشيخ أبى زيد القرطبي قال سمعت في بعض الآثار أن من قال لا إله إلا الله سبعين ألف مرة كانت له فداء من النار فعلت على ذلك رجاء بركة الوعد فعملت منها لأهلي وعملت منها أعمالا ادخرتها لنفسى وكان إذ ذاك بيت معنا شاب يقال إنه يكشف في بعض الأوقات بالجنة والنار وكانت الجماعة ترى له فضلا على صغر سنه وكان في قلب منه شيء فاتفق أن استدعانا بعض الإخوان إلى منزله فنحن تناول الطعام والشاب معنا إذ صاح صيحة منكرة واجتمع في نفسه وهو يقول يا عم هذه أمي في النار وهو يصبح بصياح عظيم لا يشك من سمعه أنه عن أمر فلما رأيت ما به من الإنزعاج قلت في نفسي اليوم أجرب صدقه فالحمى الله

العذاب ففعلوا ذلك به فجعل يدعو آلته واحدا بعد واحد يا فلان إنما كنت أعبدك اتقدان بما أنا فيه فلما رأى الآلهة لا تغنى عنه شيئا رفع رأسه إلى السماء وقال لا إله إلا الله ودعا مخلصا فصب الله عليه مشعب ماء من السماء فأطفأ تلك النار وجاءت ريح فاحتملت ذلك القمم وجعلت تدور به بين السماء والأرض وهو يقول لا إله إلا الله فقدفته إلى قوم لا يعبدون الله عز وجل وهو يقول لا إله إلا الله فاستخرجوه وقالوا وبحك مالك فقال أنا ملك بنى فلان كان من أمري وخبري كيت وكيت وقص عليهم القصة فآمنوا .

﴿وحكى﴾ أيضا فيه ﴿أى فى كتابه رياض الصالحين﴾ عن الشيخ أبى زيد ﴿المالكى﴾ القرطبي قال سمعت في بعض الآثار ﴿وهى المنقولة عن الصحابي وأما المنقول عن النبى ﷺ﴾ يقال له حديث كما أفاده الحمى ﴿أن من قال لا إله إلا الله سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار﴾ وفى رواية أن من قال لا إله إلا الله سبعين ألف مرة أعق الله بها رقبته أو رقبته من قالها له من النار ﴿فعلت على ذلك﴾ أى الذكر بالعدد المذكور ﴿رجاء بركة الوعد﴾ والذى فى هذا الأثر ﴿فعملت منها لأهلى﴾ أى من ذكرها لأهلى أى أنه جعل لكل واحد منهم سبعين ألفا ﴿وعملت منها أعمالا ادخرتها﴾ أى اتخذتها ذخيرة ﴿لنفسى﴾ وكان ﴿أى الحال والشأن﴾ إذ ذاك ﴿أى حين فرغت من تلك الأعمال﴾ بيت معنا شاب يقال ﴿بين الناس﴾ أنه يكشف ﴿بالبناء للمفعول أى يزال له الحجاب ويطلعه الله على الأمور المغيبة كالعرش واللوح وغير ذلك﴾ فى بعض الأوقات بالجنة والنار وكانت الجماعة ترى له ﴿أى لذلك الشاب﴾ فضلا ﴿أى فضيلة على غيره﴾ على صغر سنه وكان فى قلبى منه ﴿أى من أمر هذا الشاب من المكاشفة﴾ شىء ﴿من الكشف﴾ فاتفق أن استدعانا بعض الإخوان إلى منزله ﴿أى منزل بعض الإخوان﴾ فنحن نحن ﴿تناول الطعام والشاب﴾ المذكور ﴿معنا إذ صاح﴾ وبكى وخر مغشيا عليه كما قاله الجردانى ﴿صيحة منكورة﴾ ومزعجة ﴿واجتمع فى نفسه وهو يقول﴾ لبنى زيد ﴿يا عمى هذه﴾ روح ﴿أى فى النار﴾ لأن الجسم لا يدخل النار إلا يوم القيامة فالروح تنفصل بعد الموت عن الجسم فيبقى الجسم فى القبر والروح تارة تذهب للجنة أو النار أو لغير ذلك على حسب أعمالها ﴿وهو يصبح بصياح عظيم لا يشك من سمعه﴾ أى ذلك الصياح ﴿أنه عن أمر﴾ من الأمور المخفية ﴿فلما رأيت ما به﴾ أى بالشاب المكاشف ﴿من الإنزعاج﴾ والقلق ﴿قلت فى نفسى﴾ أى فى قلبى ﴿اليوم أجرب﴾ أى أستحن ﴿صدقه﴾ فى مكاشفته ﴿فالحمى الله﴾ والإلهام إلقاء الخير فى القلب بطريق الفيض لا بالإكساب قال فى القاموس الهمة الله خيرا لقنه إياه أى إلقاءه فى قلبه

سبعين ألفا ولم يطلع على ذلك أحد إلا الله فقلت في نفسي الأثر حق والذين روه صادقون اللهم إن السبعين ألفا فداء هذه المرأة أم هذا الشاب فما استتمت الحاطر في نفسي إلا أن قال يا عم ها هي أخرجت الحمد لله .

﴿فصل في الردة﴾ هي أفحش أنواع الكفر قال الله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضللاً بعيداً

﴿سبعين ألفا﴾ التي إدخرتها لنفسى قال بعضهم وذلك لأنه لم يحصل له ثمرتها فيجوز له أن يغير نيته ويجعلها لغيره ﴿ولم يطلع على ذلك أحد إلا الله فقلت في نفسي الأثر حق والذين روه صادقون اللهم إن السبعين ألفا فداء هذه المرأة أم هذا الشاب﴾ من النار ﴿فما استتمت الحاطر في نفسي إلا أن قال﴾ وفي رواية حتى قال ﴿يا عمى ها﴾ أداة تنبيه ﴿هي﴾ أى روح أسمى ﴿أخرجت﴾ من النار وأمر بها إلى الجنة كما قاله الجرداني و﴿الحمد لله﴾ على سلامة أسمى من النار . وفي الروض بعد هذا فحصلت لى الفائدتان إيماني بصدق الأثر وسلاسى من الشاب وعلمى بصدقه رضى الله عنهما ونفعنا بهما .

* خاتمة * فى لا اله إلا الله أسرار منها اثنا عشر حرفاً وهي عدد شهور السنة فمن قالها مخلصاً كثرت عنه ذنوب السنة ومنها أن الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة وهي مع محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفاً كل حرف يكفر ذنوب ساعة ومنها قول الرازى فى تفسيره لا تكون المعصية إلا من الأعضاء السبعة وهي الأذان والعينان واللسان واليدان والبطن والفرج والرجلان وأبواب جهنم سبعة ولا اله إلا الله محمد رسول الله سبع كلمات فكل كلمة تكفر معصية عفو واحد وتسد باباً من أبواب جهنم بفضل الله ورحمته عن قائلها قاله الجرداني .

﴿فصل فى﴾ بيان أحكام ﴿الردة﴾ هي لغة الرجوع عن الشيء إلى غيره وقد تطلق على الإمتناع من أداء الحق كما نعى الزكاة فى الزمان الصديق رضى الله عنه وشرعاً قطع من يصح طلاقه دوام الإسلام بنية كفر وغيرها ومن ثم قال المصنف رحمه الله ﴿أفحش أنواع الكفر﴾ وأغلظها حكماً لأن من أحكام الردة بطلان التصرف فى أمواله بخلاف الكافر الأصلي ولا يقر بالجزية ولا يصح تأمينه ولا مهادته بل متى لم يتب حالاً قتل كما قاله الشبرا مىلى والردة إحدى الكلمات الخمس المذكورة فى قول اللقاني رحمه الله تعالى :

وحفظ دين ثم نفس نسب * ومثلها عرض وعقل قد وجب

ولهذا شرعت الحدود فشرع القصاص حفظاً للنفس وقتل الردة حفظاً للدين وحد السرقة حفظاً للمال وحد القذف والزنا حفظاً للعرض والنسب فهما من واحد وإنما اختلف حدهما وحد الشرب فقط حفظاً للعقل ولا يقال على قوله أفحش الكفران مقتضاه أن كل مرتد أقبح من أبى جهل وأبى لهب وأضرأ بهما من الذين عاندوا الحق وأذوه ﷺ وأصحابه بأنواع الأذية وصدوا عن الاسلام من أراد الدخول فيه وعذبوا من أسلم بأنواع تعذيب الى غير ذلك من المهاتح لأن أقبح نوع من نوع لا تقتضى أن كل فرد للاول أقبح من كل فرد للثاني كما تقرر فى محله كذا قاله الشرواني عن الشبرا مىلى .

﴿قال الله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ لأنه ثبت الحكم على خلود عذابه ولأنه ذنب لا ينمحي عنه أثره فلا يتعد للعفو بخلاف غيره ﴿ويغفر ما دون ذلك﴾ أى ما دون الشرك صغيراً كان أو كبيراً ﴿لمن يشاء﴾ تفضلاً عليه وإحساناً ﴿ومن يشرك بالله﴾ يعنى يجعل منه شريكاً غيره ﴿فقد ضل ضللاً بعيداً﴾ أى عن الحق والضراب .

وقال تعالى إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار وأخرج ابن ماجه والبيهقي عن أبي الدرداء قال أوصاني خليلي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يشرك بالله شيئا وإن قطعت أو حرقت ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه الذمة ولا تشرب الخمر فإنه مفتاح كل شر *

ومعنى الآية كما في الخازن أن الله لا يغفر لمشرك مات على شركه ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء من أصحاب الذنوب والآثام ففي الآية دليل على أن صاحب الكبيرة إذا مات من غير توبة فإنه في خطر المشيئة إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة بمنه وكرمه وإن شاء عذبه في النار ثم أدخله الجنة برحمته وإحسانه لأن الله تعالى وعد المغفرة لما دون الشرك فإن مات على الشرك فهو محلد في النار لقوله إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفي الآية رد على المعتزلة والقدرية حيث قالوا لا يجوز في الحكمة أن يغفر لصاحب كبيرة وعند أهل السنة إن الله تعالى يفعل ما يشاء لا مكروه له ولا حرج عليه.

ويدل على ذلك أيضا ما روى عن ابن عمر قال كما على عهد رسول الله ﷺ إذا مات الرجل على كبيرة شهدنا أنه من أهل النار حتى نزلت هذه الآية إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فأسكننا عن الشهادة وقال ابن عباس لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين الرجل يعمل من الصالحات لم يدع من الخير إلا عمله غير أنه مشرك قال عمر هو في النار فقال ابن عباس الرجل لم يدع شيئا من الشر إلا عمله غير أنه لم يشرك بالله شيئا فقال عمر الله أعلم قال ابن عباس إني لأرجو له كما أنه لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما في القرآن أحب إلي من هذه الآية إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء أخرجه الترميذي وقال حديث حسن غريب وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ما الموحبان قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار.

﴿وقال تعالى﴾ وقال المسيح يا بني إسرائيل أعبدوا الله ربي وربكم ﴿إنه من يشرك بالله﴾ أي في عبادته أو فيما يختص به من الصفات والأفعال ﴿فقد حرم الله عليه الجنة﴾ يمنع من دخولها كما يمنع الحرم فإنها دار الموحدين ﴿ومأواه النار﴾ يعني أنه يصير إلى النار في الآخرة فإنها المعدة للمشركين ﴿وما للظالمين من أنصار﴾ أي وما لهم أحد ينصرهم من النار.

﴿وأخرج﴾ أي نقل محمد بن يزيد ﴿ابن ماجه﴾ القزويني ﴿و﴾ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي ابن موسى ﴿البيهقي﴾ عن أبي الدرداء بفتح المهملين وسكون الراء عويم بن عامر الأنصار الخزرجي كان فقيها عالما شهد المشاهد وسكن الشام ومات بها سنة اثنتين وثلاثين مروياته مائة وتسعة وسبعون كما ذكره المناوي ﴿قال أوصاني﴾ أي أمرني ﴿خليلي رسول الله ﷺ أن لا يشرك بالله شيئا وإن قطعت أو حرقت ولا تترك صلاة مكتوبة﴾ أي مفروضة حال كونك ﴿متعمدا فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة﴾ ومثله ما أخرجه أحمد والبيهقي قال ﷺ من ترك صلاة متعمدا فقد برى من ذمة محمد ﷺ وعند ابن أبي شيبة في المصنف عن أبي الدرداء وعن الحسن مرسلان ترك صلاة مكتوبة حتى تقوته من غير عذر فقد حبط عمله وعند أبي نعيم من حديث أبي سعد من ترك الصلاة متعمدا كتب اسمه على باب النار فيمن يدخلها وعند البيهقي في المعرفة عن نوفل من ترك الصلاة فكأنما ترك أهله وماله قاله الزيد ﴿ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر﴾ كما قال عثمان بن عفان ﴿إجنبوا الخمر فإنه كان من قبلكم رجل يعبد ويعزل الناس فلقية امرأة بني أي زانية فارسلت جاريتها إليه فقالت إنا ندعوك لشهادة فلما دخل من باب أغلقت الباب حتى اقضى إلى تلك المرأة عندها غلام وقح من خمر فقالت والله ما دعوتك لشهادة وإنما دعوتك لتقع على أو تقتل هذا الغلام أو تشرب هذا الخمر فاختر

والطبراني من بدل دينه فأقتلوه ولا يقبل الله توبة عبد كفر بعد إسلامه أي مادام مصرا على كفره * والشافعي والبيهقي من غير دينه فاضربوا عنقه أعادنا الله منها بمنه وكرمه ﴿واعلم﴾ أن من أنواعها أن يعزم مكلف مختار على الكفر في زمن قريب أو بعيد أو يتردد فيه أو يعلقه باللسان أو القلب على شيء ولو محالا عقليا فيكفر حالا

شرب الخمر على الزنا والقتل لأن كلا منهما أعظم وزرا من شرب الخمر فلما شربها واقعها وقتل الغلام.

* تنبيه * إعلم أنه قد ورد الزجر عن ترك الصلاة في أحاديث كثيرة منها ما تقدم ذكره ومنها ما في الحديث القدسي تارك الصلاة ملعون وجاره إن رضى به ملعون أو لولا أنني حكم عدل لقلت كل من يخرج من ظهره نلعون إلى يوم القيامة وفي الحديث أن جبريل وميكائيل قالوا إن الله تعالى قال من ترك الصلاة فهو ملعون في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وذكر النبي ﷺ الصلاة يوما فقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له تورا ولا برهانا ولا نجاة وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف ومن تركها للملكه فهو مع فرعون ومن تركها للماله فهو مع قارون ومن شغلته عنها رياسة فهو مع هامان.

* وحكي * أن رجلا قال لإبليس أحب أن أكون مثلك قال أترك الصلاة ولا تحلف صادقاً عنه على ذلك الجرداني.

﴿و﴾ أخرج سليمان الحميني ﴿الطبراني من بدل دينه فأقتلوه﴾ سواء كان رجلا أو امرأة والنهي عن قتل النساء محمول على الحريات كما قاله الرملي وغيره ﴿ولا يقبل الله توبة عبد كفر بعد إسلامه أي مادام مصرا﴾ أي استمرا وبقيا ﴿على كفره﴾ ﴿و﴾ أخرج محمد بن إدريس ﴿الشافعي﴾ المتوفى سنة أربع ومائتين بمصر وأبو بكر أحمد بن الحسين ﴿البيهقي﴾ صاحب السنن الكبرى ﴿من غير دينه فاضربوا عنه﴾ أي بالسيف أو غيره ﴿أعادنا الله﴾ جملة دعائية ﴿منها﴾ أي من الردة ﴿بمنه﴾ وفضله ﴿وكرمه﴾ وإحسانه.

﴿واعلم أن من أنواعها﴾ أي الردة ﴿أن يعزم﴾ أي يقصد ﴿مكلف﴾ أي بالغ عاقل ﴿مختار على الكفر﴾ وحينئذ لا تصح ردة صبي ولو ميذا ولا ردة مجنون لعدم تكليفيهما فلا إعتداد بقولهما واعتقادهما والمراد أنه لا يترتب عليهما حكم الردة والا فالردة فعل معصية كالزنا فكيف يوصف بالصحة وعدمها ولا ردة مكره وقلبه مطمئن بالإيمان كما نص عليه الكتاب العزيز فإن رضي بقلبه فمرتد.

* تنبيه * لو تجرد قلبه عند الإكراه على اللفظ عن إعتقاد إيمان وكفر فعلى كونه مرتدا وجهان وينبغي أن لا يكون مرتدا لأن الإيمان كان موجودا قبل الإكراه وقول المكره ملني ما لم يحصل له إختيار لما أكره عليه كما لو أكرهه على الطلاق فإن العصمة كانت موجودة قبل الإكراه فإذا لم يحصل منه إختيار لما أكره عليه لم يقع عليه طلاق ذكره الخطيب في شرح المنهاج ﴿في زمن قريب﴾ أي مستقبل ﴿أو بعيد﴾ كالسنة الآتية فيكفر حالا لأن الإيمان لا يكون إلا مؤبدا لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ومعنى آمنوا أي داوموا على الإيمان ولأنه رضي كفر نفسه ورضا الإنسان بكفر نفسه كفر قطعاً كثيراً استحساناً للكفر ﴿أو﴾ لم يعزم على كفر نفسه ولكن ﴿يتردد﴾ أي المكلف ﴿فيه﴾ أي في الكفر أو بفعله أو لا فيكفر حالا لمناقاته للإسلام كما في التحفة لا إن حصلت له وسوسة فتردد في الإيمان أو الصانع أو تعرض بقلبه تنقيص أو سب وهو كاره لذلك كراهة شديدة ولم يقدر على دفعه فإنه لا يكون عليه شيء والأثم وذلك لأنها لا تستقر فهي من الخاطر لا الإعتقاد فيستعين على دفعها سبحانه وتعالى اذ هي من الشيطان نقله العلامة بابصيل عن الأعلام لابن حجر ﴿أو﴾ لم يتردد فيه ولكن ﴿يعلقه﴾ أي الكفر ﴿باللسان أو القلب على شيء ولو﴾ كان الشيء ﴿محالا عقليا فيكفر حالا﴾ أي فيما يظهر كما نقله الشيخان عن التمهة وجزم به البغوي وغيره كالخلمى وصححه الرباني وقول الشافعي في الأم كل ما لم يحرك به لسانه فهو حديث النفس الموضوع عن بني آدم لا يخالفه خلافا لمن وهم فيه لأنه محمول على الخاطر الذي لا يستقر كما حمل الأئمة الحديث عليه

أو يعتقد ما يوجب أو يفعله أو يتلفظ بما يدل عليه مع اعتقاد أو عناد أو استهزاء كان يعتقد قدم العالم أو الروح أو حدوث الصانع
وقتل الإمام عن الأصولين أن من نطق بكلمة الردة وزعم أنه أضمر تورية كفر ظاهرا وباطنا وأقواهم على ذلك وكان معنى قصده التورية
أنه إعتقد مدلول ذلك اللفظ وقصد أن يوارى على السامع والا فالحكم بالكفر باطنا فيه نظر وفي التحفة وقل الإمام عن الأصولين أن
إضمار التورية أي فيما لا يحتملها كما هو ظاهر لا يفيد فيكفر باطنا أيضا لحصول التهاون منه وبه فارق قبوله في نحو الإطلاق باطنا.

* نبيه * ويشكل على ما ذكر من أن تعليق الكفر باللسان أو القلب على شيء ولو محال عقليا كفر ما في البخاري من عدة
طرق أن خبابا رضي الله عنه طلب من العاصي بن وائل السهمي ديناً له عليه فقال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد فقال لا أكفر به حتى يميتك الله ثم
يميتك فهذا تعليق الكفر بمحكي ومع ذلك لم يكن فيه كفر وقد يجاب بأنه لم يقصد التعليق قطعاً وإنما أراد تكذيب ذلك اللعين في إنكاره
البعث ولا ينافيه قوله حتى لأنها تأتي بمعنى إلا المتقطعة فتكون بمعنى لكن التي صرحوا بأن ما بعدها كلام مستأنف وعليه أخرج ابن
هشام الخضر أوى حديث كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه أي لكن أبواه قال وقد ذكر النحويون هذا يعني كون حتى بمعنى
إلا في أقسام حتى وخرجوا عليه قوله يعني قول خباب حتى الخ انتهى.

ونظير ذلك ما وقع لأسامة لما قتل من قال لا إله إلا الله ظاناً أنه إنما قالها تقيّة يعني خوفاً من أن يقتله المسلمون فلامه رسول الله ﷺ
حتى قال تمت أي لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم رواه مسلم وهذا التمني يقتضي الكفر لكنه لم يقصد ظاهراً اللفظ من تمنى استمراره
على الكفر بل أن ذلك الفعل الذي هو القتل وقع منه قبل إسلامه حتى يكون مغفورا له فتأمل كلام هذين القولين يعني قول خباب وقول
أسامة رضي الله عنهما فإن الكلام فيهما مهم ومع ذلك لم يوضحوه.

ثم رأيت بعض شراح البخاري قال لا يقال مفهوم الغاية في قول خباب رضي الله عنه إنه يكفر بعد الموت لأن ذلك الكفر بعده
محال فكانه قال لا أكفر أبداً كما في قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت إلا المرة الأولى في أن ذكر الإستثناء للتأكيد انتهى وفيه نظر لأنه إن
أراد بعد موت نفسه كان غلطاً لأنه قال حتى يميتك الله ثم يميتك أو بعد موت العاصي ثم يميتك فليس هذا بمحال بل هو ممكن كما تقرر فإن
قلت بل هو محال لأن خباباً بعد بعث العاصي يكون قد مات فكانه علق بما بعد موت نفسه قلت هذا لا يوجب الإستحالة لأنه يمكن عقلاً
وعادة إن الله يميت العاصي ثم يميت لوقته وخاباب حي فلا إستحالة بوجه فالحق ما ذكرته على أنك قد علمت أن التعليق بمثل هذا المحال
يقتضي الكفر قاله العلامة ابن حجر في شرح المنهاج ﴿أو﴾ لم يعلق بما ذكر ولكن ﴿يعتقد ما يوجب﴾ أي الكفر وإن لم يظهر بقول أو فعل
كما في الأعلام ﴿أو يفعله﴾ أي ما يوجب الكفر ﴿أو يتلفظ بما يدل عليه﴾ أي الكفر ﴿مع اعتقاد﴾ لذلك الفعل أو القول ﴿أو﴾ مع ﴿عناد﴾
من الفاعل أو القائل بأن عرف أنه الحق وامتنع أن يقول به كأن يقول الله ثالث ثلاثة أو يسجد لصنم عنادا لمن يخاصه مع اعتقاد أن
الله واحد أو أن السجود لا يكون إلا لله ﴿أو استهزاء﴾ أي إستحفاف ومثل ابن حجر بقوله كأن قيل له قص أظفارك فإنه سنة فقال
لا أفعله وإن كان سنة أي وقصد الإستهزاء كما صوبه النووي وبه يدفع قول الرشيد قوله كأن قيل له قص الخ صريح هذا السياق أن هذا
بمجرده استهزاء ولو لم يقصد به إستهزاء والإعتقاد الذي يوجب الكفر ﴿كأن يعتقد قدم العالم﴾ كما قاله الفلاسفة العالم بفتح اللام وهو ما
سوى الله تعالى ﴿أو﴾ قدم ﴿الروح أو﴾ كأن يعتقد ﴿حدوث الصانع﴾ وهو الله سبحانه وتعالى.

فإن قيل إطلاق الصانع على الله تعالى لم يرد في الأسماء الحسنى وإنما ذلك من عبارات المتكلمين المجوزين بالإطلاق بالإشتقاق
والراجع أن أسماء تعالى توقفية أجيب بأن البيهقي رواه في الأسماء والصفات وقال تعالى صنع الله الذي أتقن كل شيء وقال ﴿الله﴾ إن الله

أو ينفي ما هو ثابت لله تعالى بالإجماع كالعلم والقدرة أو يثبت ما هو منفي عنه بالإجماع كاللون أو يعتقد ويجوب غير واجب كصلاة سادسة وصوم غير رمضان أو يشك في تكفير اليهود والنصارى وكان يسجد لمخلوق كضم وشمس

صنع كل صانع وصنعه زواه الحاكم في أوائل المستدرك من حديث خذيفة وقال إنه صحيح على شرط مسلم قاله الخطيب ﴿أو﴾ أن ﴿ينفي ما هو﴾ من الصفات الذاتية القديمة ﴿ثابت لله تعالى بالإجماع﴾ الذي هو في الأصل العزم قال تعالى فاجمعوا أمركم ثم شاع في الاتفاق من الجمع حقيقة في المحسوس مجازا في المعاني ومعناه اتفاق مجتهدي هذه الأمة وهو نوعان عام كاجتماع الأمة على الصلاة وعدد ركعاتها بما يعرفه العام والخاص وإنكار هذا كفر إلا أن يكون المنكر قريب عهد بالإسلام وخاص وهو ما يعرفه العلماء فقط كحرمة الجمع بين المرأة وعمتها كما قاله الشهاب الخفاجي وذلك ﴿كالعلم والقدرة﴾ أي كأن يعتقد نفي أصل علمه تعالى مطلقا وبالجزئيات هذا إذا كان متعمدا أما الجاهل فقليل لا يكفر قاله الأشعري لأنه لم يعتقد اعتقادا يقطع بصوابه فهو معذور وقيل يكفر وليس الجهل عذرا .

وأما من لا ينكر أصل الصفة كالمعتزلة وبعد الفلاسفة القائلين بنفي الصفة القائمة بالذات وإثبات الوصف فيقولون عالم بلا صفة علم زائدة على ذاته بل بذاته قالوا لأن تعدد القديم إنما هو تعدد ذوات قديمة فبعضهم كفرهم وهو مبني على أن لازم المذهب مذهب لأنه يلزمهم أنه إذا انتفى العلم مثلاً انتفى الوصف به إذ عالم هو من قام به العلم والصحيح أن لازم للمذهب ليس بمذهب وعليه فلا يكفرون بذلك كما في الشفاء وشرحه للشهاب ﴿أو﴾ أن ﴿يثبت ما هو منفي عنه﴾ تعالى ﴿بالإجماع﴾ وذلك ﴿كاللون﴾ أو أنه تعالى متصل بالعلم أو خارج عنه على ما فيه من نزاع وتفصيل حاصله أن النقص إما أن يعتقد إتصافه تعالى به صريحا أو لازما فالأول كفر إجماعا والثاني كذلك على خلاف فيه الأصح منه عندنا عدم الكفر فعلم أن الجسم أو الجاهل لا يكفر بما يلزم من النقص إلا إن اعتقده أو صرخ به قاله في الزواجر ﴿أو﴾ أن ﴿يعتقد وجوب غير واجب﴾ بالإجماع ﴿كصلاة السادسة﴾ أو زيادة ركعة في واحدة من الصلوات الخمس كما قاله القليوبي ﴿وصوم غير رمضان أو﴾ أن ﴿يشك في تكفير اليهودي والنصارى و﴾ الفعل المكفر ﴿كأن يسجد لمخلوق﴾ قال القليوبي ولو حيا والركوع كالسجود ومنه الإحناء عند ملاقة العظماء وقبده شيخنا الرملي بما إذا قصد بذلك تعظيم الراكع له أو الساجد له كتعظيم الله تعالى والأفلاو ﴿ك﴾ أن يسجد ل ﴿صنم﴾ وكذا السحر الذي فيه عبادة كوكب لأنه أثبت لله شريكا كما قاله الخطيب ﴿و﴾ سجود ل ﴿شمس﴾ لأنه يدل على عدم التصديق ظاهرا ونحو نحكم بالظاهر ويؤخذ منه أنه لو سجد لنحو شمس وقلبه مطمئن بالتصديق لم نحكم بكفره فيما بينه وبين الله تعالى وإن أجري عليه حكم الكفر في الظاهر كما أن النطق غير داخل في حقيقة الإيمان إنما هو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية لأن الإيمان على طريقة المتكلمين له ثمرتان النجاة في الآخرة وشرطها التصديق فقط وإجراء أحكام الدنيا ومناطها النطق بالشهادتين مع عدم السجود لغير الله تعالى ومن جعله شرطا لم يرد أنه ركن حقيقي والالام يسقط عند العجز والإكراه بل أنه دال على الحقيقة التي هي التصديق إذ لم يمكن الإطلاع عليها .

وبما يدل على أنه ليس شطرا ولا شرطا الأخبار الصحيحة يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان قيل يلزم على عدم كون النطق شطرا ولا شرطا أن لا يعتبر النطق في الإيمان وهو خلاف الإجماع على أنه يعتبر وإنما الخلاف في أنه شرط أو شرط وأجيب بأن النزالي نقل منع الإجماع بكونه أي المصدق التارك للنطق بلا عذر مؤننا وبأن الإمتناع عن النطق كالمعاصي التي تجامع الإيمان وتبعه المحققون على هذا ولم ينظروا لأخذ التورى بقضية الإجماع أن من ترك النطق اختيارا خلد أبدا في النار سواء أفتلنا أنه شرط هو واضح أو شرط لأن باتفاقه تنفي الماهية لكن أشار بعضهم إلى أن هذا يعني ما إختاره التوروي مذهب الفقهاء والأول يعني ما إختاره النزالي

أو يمشی إلى الكنائس مع أهلها بزهم من الزناير وغيرها أو يلقى ورقة فيها شيء من القرآن أو العلم الشرعي أو اسم الله تعالى أو اسم نبي أو

ومن تبعه مذهب المتكلمين ويؤيده يعني كون الأول مذهب المتكلمين قول حافظ الدين النسفي كون النطق شرطاً لإجراء الأحكام لا لصحة الإيمان بين العبد وربّه هو أصح الروايتين عن الأشعري وعليه الماتردى انتهى ولا يشكل عليه أي الأول أنه شرط أو شرطاً لمر في معناهما اللاتق بمذهب المتكلمين لا الفقهاء فتأمل ذلك فإنه مهم لأهم منه قاله ابن حجر ونقله العلامة إبراهيم في حاشية الأنوار .

قال العلامة بابصيل وما وقع في الحلية عن القاضي عن النص أن المسلم لو سجد لصنم في دار الحرب لم يحكم برده ضعف وواضح أن الكلام في المختار وإنما لم يكفر بالسجود للوالد والعالم على جهة التعظيم لأن الوالد ورد الشرع بتعظيمه بل ورد شرع غيرنا بالسجود له كما في قوله تعالى وخروا له سجداً بناءً على أن المراد ظاهره ومشى عليه جمع وقالوا إنه شرع من قبلنا وقال آخرون أن المراد به الإحناء وعلى كل فقد ثبت هذا الجنس للوالد فكان شبهة دائرة لكفر فاعله بخلافه لنحو صنم فإنه لم يرد هو ولا ما يشاهده في شريعة من الشرائع ولا نظر لقصد التقرب في ما لم يرد الشرع بتعظيمه فاندفع إشكال الغزيرين عبد السلام الفرق بين السجود للصنم والسجود للوالد على جهة التعظيم . ﴿أو﴾ أن ﴿يمشي إلى الكنائس﴾ جمع كيسة وهي متعبد النصارى كما في المختار ﴿مع أهلها﴾ حال كونه ﴿بزهم﴾ أي بهتهم التي يتلبسون بها ﴿من الزناير﴾ جمع زناير بوزن تفاع وهو خيط غليظ فيه ألوان يشد في الوسط فوق الثياب وغيرها ﴿كالبُرَيْطَةِ﴾ وذلك كأن يشد على وسطه زنايراً أو يخيط فوق الثياب بموضع لا يعتاد الخياطة عليه كالكتف ما يخالف لونها أو يضع البريطة فيكفر بذلك .

وأفهم قوله أو يمشی إلى الكنائس مع أهلها بزهم أنه لو فقد أحدهما كان مشى إلى الكنائس لا بزهم بل بزى المسلمين أو تزياً بزهم من غير مشى إليها لا يكفر وهو كذلك كما قاله السيد البكري ﴿أو﴾ أن ﴿يلقى ورقة فيها شيء من القرآن﴾ في قاذورة ولو طاهرة بالفعل أو بالعزم والتردد فيه وسه بها كإلقائه فيها وألقى بعضهم به وضع رجله عليه وتوزع فيه كما قاله القليوبي .

* فائدة * وقع السؤال عن شخص يكتب القرآن برجله لكونه لا يمكنه أن يكتب يديه لما منع بهما والجواب عنه كما أجاب به شيخنا الشوبرى أنه لا يحرم عليه ذلك والحالة هذه لأنه لا يعد إزراء لأن الإزراء أن يقدر على الحالة الكاملة وينقل عنها إلى غيرها وهذا ليس كذلك قاله الشبرا ملسى ونقله الشرواني ﴿أو﴾ فيها شيء من ﴿العلم الشرعي﴾ كما قاله الروياني وفي إطلاقه نظر ولو قيل لا بد من قرينة تدل على الإستهزاء لم يعد كذا قاله ابن حجر واعتمده المغنى تبعاً لابن المقرئ وعليه فما جرت به العادة من البصاق على اللوح لإزالة ما فيه ليس بكفر وينبغي عدم حرمة أيضاً ومثله ما جرت العادة به أيضاً من مضغ ما عليه قرآن أو نحوه للتبرك به أو للصيانة عن النجاسة .

وبقي ما وقع السؤال عنه وهو أن الفقيه مثلاً يضرب الأولاد الذين تعلمون منه بالواحهم هل ذلك كفر أم لا وإن رماهم بالألواح من بعد فيه نظر والجواب عنه أن الظاهر الثاني لأن الظاهر من حاله أنه لا يريد الإستهفاف بالقرآن نعم يبقى حرمة لإشعاره بعدم التعظيم كما قالوا فيما لو روح بالكراسة عليه كما قاله الشبرا ملسى قال ابن حجر في الإعلام وهل مراد الروياني بالعلوم الشرعية الحديث والتفسير والفقه والآنها كالنحو وغيره وإن لم يكن فيها آثار سلف أو يختص بالحديث والتفسير والفقه الظاهر الإطلاق وإن كان بعيد المدرك في ورقته من كتاب نحو مثلاً ليس فيها اسم معظم ﴿أو﴾ يلقى ورقة فيها شيء من ﴿اسم الله تعالى أو اسم نبي﴾ من الأنبياء ﴿أو﴾ اسم

ملك في مستقذر ولو طاهرا كبراق أو مخاط أو بلطخ ذلك أو مسجدا بنجس ولو معفوا عنه وكان يتكرر نبوة نبي أجمع عليها

﴿ملك﴾ من الملائكة ﴿في مستقذر﴾ أي نجس مطلقا كما في الاعلام وقال بعضهم ﴿ولو﴾ كان الشئ المستقذر ﴿طاهرا﴾ وصرح به في التحفة ﴿كبراق أو مخاط﴾ أو مني .

* تنبيه * البصاق بوزن غراب وهو بالزاي أو الصد أو السين بمعنى واحد كما أفاده القوس والمخاط بضم الميم السائل من الأنف ﴿أو﴾ أن ﴿يلطخ﴾ أي يلوث ﴿ذلك﴾ أي الذي فيه شئ من القرآن أو نحوه ﴿أو﴾ يلطخ ﴿مسجدا بنجس ولو﴾ كان النجس ﴿معفوا عنه﴾ وكذا الكعبة بل قال ابن حجر ولو قيل إن تلطخ الكعبة بالقذر الطاهر كذلك لم يبعد إلا أن كلامهم رعا ياباه .
* فائدة * للجلال السيوطي مصنف حافل جليل سماه تنزيه الأنبياء عن تسفيه الأغبياء يتعين الوقوف عليه واستقاده ما فيه وهو من جملة ما سطر في قلوبه ومن جملة ما فيه قوله وقع أن رجلا خاصم رجلا فوقع بينهما سب كبير فشب أحدهما الآخر إلى رعي المعزى فقال له ذلك تنسبني إلى رعي المعزى فقال له والد القاتل الأنبياء رعو المعزى أو ما من نبي إلا رعى المعزى وذلك بحضرة جمع كثير من العوام فترافعوا إلى الأحكام فسئلت ماذا يلزم الذي ذكره الأنبياء مستدلا بهم في هذا المقام فأجبت بأنه يعزر التعزير البالغ لأن مقام الأنبياء أجل من أن يضرب مثلا لأحد الناس ثم ذكر أن المستدل بأمثال ذلك تارة يكون في مقام تدريس والإفتاء والتصنيف وتقرير العلم بحضرة أهله وهذا الإنكار عليه وتارة يكون في الخصام والتبري من معرة أو نقص ينسب إليهما هو أو غيره وهذا محل الإنكار لأميما إذا كان بحضرة العوام وفي الأسواق وفي التفاوض في السب والقذف ونحو ذلك ولكل مقام مقال ولكل محل حكم يناسبه .

ثم ذكر أنه سئل شيخ الإسلام حافظ العصر ابن حجر عما يقع في الموالد من بعض الوعاظ أنهم يذكرون في مجالسهم الحلقة المشتملة على الخاص والعام من الرجال والنساء ماجرت هي بخلة بكمال التعظيم حتى يظهر من السامعين لها حزن وورقة فيبقى في حيز من يرحم لا من يعظم ومن ذلك أنهم يقولون إن المراضع حضرن ولم يأخذنه لعدم ما له الإخيلية رغبت في رضاعه شفقة ويقولون إن النبي ﷺ كان يرعى غنما وينشدون :

بأغنامه سار الحبيب إلى المرعى ﷺ فيا حبيذا راع فؤادي له يرعى

وفيه فما أحسن الأغنام وهو سوقها فأجب بما نصه ينبغي لمن يكون فاطنا أن يحذف من الخبر ما يوهم في الخبر عنه نقضا ولا يضره ذلك بل يجب انتهى قاله ابن قاسم الصبادي ونقله الشرواني ﴿و﴾ الإعتقاد المكفر ﴿كان ينكر﴾ رسالة واحد من الرسل أو ﴿نبوة نبي﴾ من الأنبياء المنصور عليهم في القرآن العظيم بذكر اسمه صريحا كما قاله الشهاب الخفاجي أو الرسالة أو النبوة التي ﴿أجمع عليها﴾ بالإجماع القاطع أو بالخبر المشهور المتفق عليه بمن يعتد به من رواة الحديث وعلماء الدين الذي لا يقبل الكذب أو أن ينكر واحدا من الملائكة المجمع عليهم كجبريل وميكائيل ومطلس واصل الملائكة ومالك ورضوان وحملة العرش والزانية وغيرهم بخلاف من لم يثبت تعيينه باسمه كذلك كالحضر ولقمان الحكيم لابن عاد وكان أسود وليس بعبد وقيل عبد حبشي أو نوبي وقيل كان نيا خياطا والأكثر على خلافه وذو القرنين كان في زمن الخليل عليه سلام سمي بذلك لأن قومه ضربوه على قروني وأسه وقيل غير ذلك والأكثر على أنه رجل صالح على دين الخليل عليه السلام وكبريت بنت عمران والمشهور أنها صديقة لأن النبي لا يكون إلا رجلا كما قال العلامة أبو حنيفة الأرسني .
وما كانت نيا قبط أشي ﷺ ولا عبد وشخص ذواق

ورجحه القرطبي نبوتها قال والد كورة لا تشرط في النبي بل في الرسول وأسية امرأة فرعون والصحيح أنها مؤمنة صالحة .

أو إنزال كتاب كذلك كالنوراة والإنجيل وزبور داود وصحف إبراهيم أو آية من القرآن مجعاً عليها كالمعوذتين أو ينكر وجوب واجب أو نذب مندوب أو تحريم حرام أو تحليل حلال أجمع عليها وعلم من الدين ضرورة كركعة من إحدى المكتوبات وصوم رمضان وكالرواتب وصلاة العيد

﴿أو﴾ أنه ينكر ﴿إنزال كتاب﴾ من الكتب السماوية ﴿كذلك﴾ أي أجمع عليه ﴿كالنوراة﴾ سيدنا موسى ﴿والإنجيل﴾ سيدنا عيسى ﴿وزبور داود﴾ وصحف إبراهيم ﴿عليهم الصلاة والسلام﴾ قبل الكتب المنزلة من السماء إلى الدنيا مائة وأربعة صحف شيت بستون وصحف إبراهيم ثلاثون وصحف موسى قبل النوراة عشرة والنوراة والإنجيل والزبور والفرقان وفي صحف موسى عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجبت لمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل ﴿أو﴾ أن ينكر سورة أو ﴿آية﴾ أو حرفاً ﴿من القرآن﴾ العظيم ﴿مجعاً عليها﴾ أي على ثبوتها ﴿كالمعوذتين﴾ بخلاف البسلة كما في الإعلام قال في التحفة أوصفة من وجود الأداء المجمع عليها انتهى وإنكار المصحف بمعنى القرآن كفر إجماعاً بخلاف إنكار صحف الأعمال كما في الإعلام.

* تنبيه * قول المصنف رحمه الله تعالى كالمعوذتين بكسر الواو المشددة وفيه إشارة إلى أن سقوطهما من مصحف ابن مسعود رضي الله عنه لا يمنع من دعوى الإجماع على قرآنيتهما كذا قاله السرواني عن الشبرايملى ﴿أو﴾ أن ﴿ينكر وجوب واجب أو نذب مندوب﴾ لقوله ﷺ والتارك لدينه المفارق للجماعة ﴿أو﴾ ينكر ﴿تحريم الحرام﴾ لحديث معاوية بن قرة عن أبيه أنه ﷺ بعث إياه إلى رجل عرض بامرأة أبيه فضرب عنقه واصطفى ماله وحل هذا على أنه استحل ذلك قاله في الغيرة ﴿أو تحليل حلال أجمع عليها﴾ أي على الواجب والمندوب والحرام والحلال أنها كذلك ﴿وعلم من الدين ضرورة﴾ أي لا يحتاج إلى الاستدلال فتستوى فيه العامة والخاص ومثل الواجبات ﴿كركعة﴾ أو نخور كوع أو سجدة ﴿من إحدى﴾ الصلوات ﴿المكتوبات﴾ أي المفروضات الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح ﴿و﴾ كذا نخور زكاة و ﴿صوم رمضان﴾ وحج ووضوء لنحو الصلاة من كل ما يتوقف صحته عليه وأما ما لا يعرفه إلا الخاص كاستحقاق بنت الإبن السدس مع بنت الصلب وتحريم نكاح المعتدة فلا يكفر منكروه للعذر بل يعرف الصواب ليعتده وظاهر هذا أنه لو كان يعرفه أنه يكفر إذا أجده وظاهر كلامهم أولاً أنه لابد أن يعرفه الخاص والعامة والأفلايكفر وهذا هو الظاهر قاله الخطيب في شرح المنهاج ولكن مع اعترافه بأصل العدة والإفانكار العدة من أصلها كفر لثبوتها بالنص وعليه بالضرورة كما قاله الشبرايملى ﴿و﴾ مثل المندوبات ﴿كالرواتب﴾ للصلوات المكوبة ﴿وصلاة العيد﴾ كما صرح به البغوي قال من أنكر السنن الاربعة أو صلاة العيدين يكفر والمراد كما قاله ابن حجر إنكار مشروعيتها لأنها معلومة من الدين بالضرورة والمنكر هيئة الصلاة زعماً منه أنها لم ترد إلا بجملة وهذه الصفات والشروط لم ترد بنص جلي يكفر أيضاً إجماعاً.

* تنبيه * قال الغزالي من زعم أن له مع الله حالاً أسقط عنه نحو الصلاة أو تحريم نحو شرب الخمر وجب قتله وإن كان في الحكيم مخلوده في النار نظراً وقل مثله أفضل من قتل مائة كافر لأن ضرره أكثر انتهى ولا نظر في مخلوده لأنه مرتد لاستحلاله ما علمت حرمة أو نفيه وجوب ما علم وجوبه ضرورة فيهما ومن ثم حزم في الأنوار بمخلوده.

ووقع لليافعي مع جلالة في روضه لو أذن الله تعالى لبعض عباده أن يلبس ثوب حرير مثلاً وعلم الإذن يقينا فلبسه لم يكن منتهكاً للشرع اليقين له من حيث حصوله للخضر بقتله للغلام إذ هو ولي لا نبي على الصحيح انتهى وقوله مثلاً ربما يدخل فيه ما زعمه بعض المتصوفة الذي ذكره الغزالي ويفرض أن اليافعي لم يرد مثلاً إلا ما هو مثل الحرير في أن استحلاله غير مكفر لعدم علمه بضرورة فإن أراد بعدم

وكشرب الخمر والزنا واللواط ووطء الحائض وإيذاء مسلم وأخذ مكس ورياء ورشوة وصلاة بلا وضوء وكاليع والنكاح أو ينكر إعجاز القرآن أو صحبة أبي بكر رضي الله عنه أو البعث أو الجنة أو النار أو كان يكذب نيا أو يستخف به أو يملك أو يسبها ولو تعرضا أو يقذف عائشة رضي الله عنها أو يدعى النبوة أو يصدق مدعيها وكان يرضى بالكفر كإكراه مسلم عليه أو إشارته عليه به أو إشارته على كافر بأن لا يسلم وإن لم يستشره وكمنع تلقين كافر كلمة الإسلام إذا طلبها منه واستمهاله منه ولو ساعة بخلاف الدعاء بنحو لا رزقه الله الإيمان أو سلبه عن فلان المسلم إن أراد تشديد الأمر لا الرضا به وكان يفضل الولي على النبي أو يجوز بعثة نبي بعد نبينا ﷺ وكان يقول إنه رأى الله عيانا في الدنيا أو كلمه شفاهها أو إن الله يحل في صورة حسنة

إتهاكه للشرع أن له نوع عذر وإن كما تقضى عليه بالإثم بل والفسق أن أدام ذلك فله نوع إجتاه وأنه لاحرمة عليه في لبسه كما هو الظاهر من سياق كلامه فهو زلة منه لأن ذلك اليقين إنما يكون بالإلحام وهو ليس بحجة عند الأئمة إذ لا ثقة بخواطر من ليس بمعصوم ويفرض أنه حجة فشرطه عند من شد بالقول به أن لا يعارضه نص شرعي أنه ارتكب معصية عظيمة قال الأذرعي والتصويب ظاهر فيما عدا إشارته عليه بأن يسلم وقال الزركشي بل الصواب ما قاله المتوال كذا ذكره في الأسنى ﴿وكشرب الخمر والزنا واللواط ووطء الحائض وإيذاء مسلم وأخذ مكس ورياء ورشوة وصلاة بلا وضوء وكاليع والنكاح أو ينكر إعجاز القرآن أو صحبة أبي بكر رضي الله عنه أو البعث أو الجنة أو النار أو كان يكذب نيا أو يستخف به أو يملك أو يسبها ولو تعرضا أو يقذف عائشة رضي الله عنها أو يدعى النبوة أو يصدق مدعيها وكان يرضى بالكفر كإكراه مسلم عليه﴾ أي الكفر ﴿أو إشارته عليه﴾ أي على المسلم ﴿به﴾ أي بالكفر ﴿أو إشارته على كافر﴾ أراد الإسلام ﴿بأن لا يسلم﴾ أي بأن يستهزئ على كفره ﴿وإن لم يستشره﴾ قال ابن حجر وإن لم يكن طالبا للإسلام فيما يظهر ﴿وكمنع تلقين كافر كلمة الإسلام﴾ أي الشهادتين ﴿إذا طلبه﴾ أي طلب الكافر الإسلام ﴿واستمهاله﴾ أي طلب إسهال الكافر ﴿منه﴾ أي من اليقين ﴿ولو﴾ كان الإسهال ﴿ساعة﴾ أي قطعة من الزمن كقوله له إصبر حتى أفرغ من شغلي أو خطبتي ولو كان خطيبا كما صرح به ابن حجر في الإعلام لأنه إختار الكفر على الإسلام وهذا كله نقله في الروضة عن المتوال وأقره ونقله منه النووي في مجموعه ما عدا إشارته به على مسلم لكنه قال وما قاله إفراط والصواب بخلافه ﴿بخلاف الدعاء﴾ على الكافر ﴿بنحو لا رزقه الإيمان أو﴾ قال لمسلم ﴿سلبه الله عن فلان المسلم﴾ وهذا ﴿إن أراد﴾ الداعي بما ذكر ﴿تشديد الأمر﴾ والعقوبة عليه ﴿لا الرضا به﴾ أي بعدم الإيمان بمن ذكر أو سلبه عنه وإن رضي بذلك كفر ﴿وكان يفضل الولي على النبي﴾ أو يقول الأئمة أفضل من الأنبياء هذا إن علم معنى ما قاله لا أن جهل ذلك لقرب إسلامه أو بعده عن المسلمين فلا يكفر به لعذره كما صرح به الخطيب ﴿أو﴾ أن ﴿يجوز بعثة﴾ رسول أو ﴿نبي بعد﴾ وجود ﴿نبينا﴾ محمد ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ كالحرية القائلين بتواتر الرسل وإنها لا تنقطع فيقولون يحدث في كل زمن رسول يوحى إليه.

قال في التحفة وعيسى نبي من قبله ﷺ فلا يرد على قوله أو يجوز ومثلهم من جوز الرسالة أو النبوة لاحد في زمنه ﷺ كمسيلمة والاسود العنسي أو ادعى مشاركة علي رضي الله عنه له ﷺ كأكثر الرافضة ﴿و﴾ سئل الأقوال المكشورة ﴿كان يقول﴾ الشخص أن الربوبية إذا ظهرت زالت العبودية يريد بذلك رفع الأحكام أو يقول أنا الله وهو أنا أو يقول ﴿إنه رأى الله عيانا في الدنيا أو كلمة تنهاها﴾ أي ليس بينه وبينه شيء لقوله تعالى لن تراني ولكن انظر إلى الجبل. ﴿أو﴾ أن يقول ﴿إن الله يحل﴾ أي يقع ويدخل ﴿في صورة حسنة﴾ لأن الحلول على الله تعالى غير جائز والقائل به كافر كما في الأنوار

أو إنه يطعمه ويسقيه أو أسقط عنه التمييز بين الحلال والحرام أو إن العبد يصل إلى الله من غير طريق العبودية أو أنه وصل رتبة سقط عنه التكليف بها وكذا يكفر من سخر باسم الله تعالى أو نيه أو بأمره أو نيه أو بوعده أو وعيده أو صغر اسم الله أو وصفه كالله ملي أو غير شيئا من القرآن أو زاد كلمة فيه معتقدا أنها منه أو بسل عند شرب خمر أو زنا استخفافا باسم الله أو قال لو أمرني الله أو رسوله بكذا لم أفعله أو إنه لو أعطاني الجنة ما دخلتها استخفافا أو عنادا ولو أخذني بترك الصلاة مع ما بي من الشدة والمرض ظلمني أو لو شهد عندي نبي أو ملك ما صدقته

﴿أو﴾ يقول ﴿إنه﴾ تعالى ﴿يطعمه ويسقيه أو أسقط﴾ أي أسقط فأو بمعنى الواو كما في الأنوار ﴿عنه التمييز بين الحلال والحرام﴾ وإنه يأكل من الغيب يأخذ منه ﴿أو﴾ يقول ﴿إن العبد يصل إلى الله من غير طريق العبودية أو﴾ يقول ﴿إنه وصل ربه سقط عنه التكليف بها﴾ أي بسبب تلك الرتبة لأنه ينفي وجوب ما علم وجوبه ضرورة ﴿وكذا﴾ أي مثل الكفر المذكور ﴿يكفر من سحر﴾ واستهزاء وتهاون ﴿باسم﴾ من أسماء ﴿الله تعالى أو﴾ باسم ﴿نبيه﴾ أو رسوله ﴿أو بأمره﴾ تعالى ﴿أو نيه أو بوعده﴾ بالثواب لمن آمن ﴿أو وعده﴾ بالعقاب لمن كفر قال في الأعلام كذا نقله الشيخان في الحنفية وأقرأه وهو واضح جلي إلا أن محل ذلك أي السخرية باسم الله أو أمره أو وعده إن صدر ممن لا يخفى عليه نسبة ذلك إليه سبحانه وتعالى لا سيما الأسماء المشتركة فيستفسر ويعمل بتفسيره ﴿أو﴾ من ﴿صغر اسم الله أو﴾ صغر ﴿وصفه﴾ استخفافا بذلك فإنه يكفر ﴿ك﴾ قوله ﴿الله ملي﴾ بضم الميم وفتح اللام تصغير ملي بفتح الميم وكسر اللام بمعنى غنى مقدر وفيه لغتان الهمز والياء مع الإدغام كما أفاده الفيومي ﴿أو﴾ من غير شيئا من القرآن ﴿أو زاد كلمة فيه﴾ مجعما على نفسها منه لكن لا مطلقا بل إن زادها ﴿معتقدا أنها﴾ أي تلك الكلمة ﴿منه﴾ أي من القرآن فخرجت الزيادة والنقص الواقعة في القرآن من حروف وكلمات بل وآيات كالبسلة في الفاتحة فإنها ليست من القرآن إذا ما بين دفتي المصحف متواتر من أول الحمد إلى قل أعوذ برب الناس كما قاله العلامة بابصيل ﴿أو بسل﴾ أي قرأ بسم الله ﴿عند﴾ إرادة ﴿شرب الخمر أو عند زنا استخفافا بسم الله﴾ فالكثير من حيث الاستخفاف باسمه تعالى المستلزم للاستخفاف به تعالى لا من حيث العصية.

* فائدة * قال الخطيب ونقل المازري عن الطرزي في كتاب اليواقيت وغيره أن الأفعال التي أخذت من أسمائها سبعة بسل إذا قال بسم الله وسبحل إذا قال سبحانه الله وحوقل إذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله وحيعل إذا قال حي على الفلاح وحمل إذا قال الحمد لله وهل إذا قال لا إله إلا الله وجعقد إذا قال جعلت فداك وهذا الباب سماعي لا يقاس عليه أو قال المكلف لو أمرني الله أو رسوله بكذا أي من نحو صلاة أو صدقة سوا كان فعلا أو تركا أو غير ذلك ﴿لم أفعله﴾ أو قال لو صارت القبلة في جهة ما صليت إليها ﴿أو﴾ قال ﴿إنه﴾ تعالى ﴿لو أعطاني الجنة ما دخلتها استخفافا﴾ بوعده تعالى ﴿أو عنادا﴾ له تعالى في الجميع وقال صاحب الأنوار في مسألة لو أعطاني الجنة ما دخلتها أنه يكفر والأولى كما قال الأذرعى وتبعه المصنف أنه إن قال ذلك استخفافا أو استغناء كبر وإن أطلق فلا كما ذكره الخطيب في شرح المنهاج ﴿و﴾ قال جوابا لمن قال له لا تترك الصلاة مثلاً فإن الله تعالى يأخذك بذلك ﴿لو أخذني بترك الصلاة﴾ أو الصوم مثلاً ﴿مع ما بي من الشدة والمرض ظلمني﴾ فيكفر استخفافا بالوعيد مع نسبة الظلم إلى الملك الحق سبحانه وتعالى ﴿أو﴾ قال في دعوى مثلاً ﴿لو شهد عندي نبي أو ملك ما صدقته﴾ ولا أقبله قال في الأعلام كذا نقله الشيخان عن الحنفية وأقرأه والذي يظهر أنه لو قال رسول بدل نبي كان كذلك بل هو أولى.

أو قال المؤذن يكذب أو صوته كالجرس وأراد تشبيهه بناقوس الكفرة أو الاستخفاف بالأذان ومن قال مستخفاً شيعت من القرآن أو الصلاة أو الذكر أو لأخاف القيامة أو أي شيء المحشر أو جهنم أو أي شيء عملت وقد ارتكب معصية أو أي شيء أعمل بمجلس العلم وقد أمر بحضوره أو قصعة تريد خير من العلم أو لعنة الله عالم غن أن لم يرد لم يرد الاستغراق والالام يشترط استخفاف لشموله الأنبياء والملائكة أو تشبه بالعلماء أو الوعاظ أو المعلمين على هيئة مزرية محضرة جماعة حتى يضحكوا أو يلبعوا استخفافاً أو ألقى فتوى عالم أو قال أي شيء هذا الشرع وقصد الاستخفاف ومن تمنى كفراً ثم إسلاماً حتى يعطى دراهم مثلاً

وسئل السبكي عن رجل سئل في شيء فقال لو جأني جبريل ما فعلت كذا وكذا فقال لا يكفر لأن هذه العبارة تدل على تعظيم جبريل قال الصوري وهو صحيح ﴿أو قال﴾ عند سماع الأذان ﴿المؤذن يكذب﴾ في أذانه ﴿أو صوته﴾ أي المؤذن ﴿ك﴾ صوت ﴿الجرس﴾ بفتحين وهو الذي يعلق في عنق البعير وغيره والذي يضرب به أيضاً وفي الحديث لا تصحب الملائكة رفقة فيها جرس ﴿وإراد﴾ القائل بهذا القول ﴿تشبه﴾ أي المؤذن ﴿بناقوس الكفرة﴾ وهو خشبة طويلة يضربها النصاري إعلالاً للدخول في صلاتهم قاله الفيومي ﴿أو أراد الاستخفاف﴾ أو التهاون أو الاستهزاء ﴿بالأذان﴾ كذا يكفر ﴿من قال مستخفاً﴾ وقد قال له غيره ألا تقرأ القرآن أو أتصلي أو ألا تذكر ﴿شيعت من القرآن أو﴾ فعل من ﴿الصلاة أو﴾ من ﴿الذكر﴾.

* تنبيه * نقل العراقيين عن الشافعي تكفير القائل بخلق القرآن ونفى الرزية قال النواوي في صلاة الجماعة والصواب أنه لا يكفر وتناول الناص على المراد كفران النعم لا الإخراج عن الملة كذا قاله البيهقي وغيره من المحققين لاجتماع السلف على الصلاة خلف المعتزلة ومناكحتهم وموادتهم.

وقد استشكل الشيخ عز الدين في القواعد أن أصحابنا كفروا من اعتقد أن الكواكب فعالة ولم يكفروا المعتزلة في اعتقادهم أن العبد يخلق أفعاله ويمكن أن يقال في الجواب أن صاحب الكواكب اعتقد فيها ما يعتقد في الإله من أنها مؤثرة في جميع الكائنات كلها بخلاف المعتزلة فانهم قالوا إن العبد يخلق أفعاله فقط كذا ذكره الشوري ﴿أو﴾ قال ﴿لأخاف القيامة﴾ قال الأذراعي وغيره هذا إذا قصد الاستخفاف والالام لا يكفر ويحمل الإطلاق على قوة رجائه وسعة غفران الله ورحمته كذا في الأسنى ﴿أو﴾ قال ﴿أي شيء المحشر أو﴾ نار ﴿جهنم أو﴾ قال ﴿أي شيء عملت و﴾ الحال أنه ﴿قد ارتكب معصية أو﴾ قال ﴿أي شيء أعمل بمجلس العلم و﴾ الحال أنه ﴿قد أمر بحضوره﴾ أو قال قصعة تريد خير من العلم وظهره أنه في ذلك كله يريد الاستخفاف والاستهزاء قال الفيومي تريد فعل بمعنى مفعول ويقال أيضاً مشرود يقال ترد الخبز ترداً من باب قل إذا نقت ثم تله بمرق والاسم الردة ﴿أو﴾ قال ﴿لعنة الله على كل عالم﴾ قاصداً الاستخفاف هذا ﴿أن لم يرد الاستغراق والالام﴾ بأن إرادته ﴿لم يشترط استخفاف لشموله﴾ أي كل عالم ﴿الأنبياء والملائكة﴾ عليهم الصلاة والسلام ﴿أو﴾ من ﴿تشبه بالعلماء أو الوعاظ أو المعلمين﴾ للصبيان ﴿على هيئة مزرية﴾ يعني على حالة يدل على التهاون والاستهزاء والاهانة ﴿محضرة جماعة حتى يضحكوا أو يلبعوا أو ألقى فتوى العالم﴾ في سؤال استفاء فيه ﴿أو قال﴾ أي وقال فأو بمعنى الراو كما في الزواج ﴿أي شيء هذا الشرع﴾ وربما لم تكن لم تطابقه ﴿و﴾ هذا ظاهر كما في الاعلام أن ﴿قصد الاستخفاف﴾ بالشرع ومحتمل الإطلاق لأن قرينة رسمه تدل على الاستخفاف وبعبارة الزواج أو ألقى فتوى عالم وقال أي شيء هذا الشرع أو قصد الاستخفاف. ﴿و﴾ كذا يكفر ﴿من﴾ أي مسلم رأى غيره أعطى من أسلم دراهم فجعل هذا المسلم الرائي قد ﴿تمنى كفراً ثم إسلاماً حتى يعطى﴾ أي يعطيه ذلك الغير ﴿دراهم مثلاً﴾ أي قال لي كنت كافراً فأسلم فاعطى

أو أن لا يحرم الله ما لم يكن حلالا في زمن قط كالزنا والظلم والقتل أو نسب الله إلى الجور في التحريم أو قال في المكس ونحوه إنه حق السلطان معتقدا أنه حق ومن لبس زي كافر ميلا لدينه أو ضلل الأمة أو سب الشيخين أو الحسن والحسين ومن قيل له ما الإيمان فقال لا أدري استخفافا أو ألت مسلما فقال لا عمدا أو لم تأمر بالمعروف فقال مالي بهذا الفضول أو قلم أظفارك فهو سنة فقال استهزاء بها لا أفعل وإن كان سنة ومن قال لمحو قتل الحوقلة لا تنفي من جوع أو لمن شنت كثيرا يرحمك الله لا تقول هكذا قاصدا أنه غني عن الرحمة أو أجل من أن يقال له ذلك أو لمن فعل قبيحا شرعا كقتل السارق وضرب المسلم ظلما أحسنت أو لزوجه أنت أحب إلى من الله ورسوله وأراد

مالا وذلك لأنه تمنى أن يكون كافرا في الحال فيسلم لينال بذلك دنيا قاله الشوبري ﴿أو﴾ تمنى ﴿أن لا يحرم الله ما لم يكن حلالا في زمن قط كالزنا والظلم﴾ للغير ﴿والقتل﴾ أي قتل النفس بغير حق وهذا يكفر على الأصح ومقابله أنه لا يكفر بذلك التمني كما صرح به الخطيب ﴿أو نسب الله إلى الجور﴾ أي الميل عن طريق الصواب ﴿في التحريم﴾ أي تحريم المحرمات ﴿أو قال في المكس ونحوه إنه حق السلطان﴾ أي ثابت ولازم له ﴿معتقدا أنه﴾ أي نحو المكس ﴿حق﴾ أي صواب.

﴿و﴾ يكفر ﴿من لبس زي كافر﴾ أي لباسه وهيته ﴿ميلا لدينه﴾ والا فلا كما أشار إليه السيد البكري ﴿أو ضلل الأمة﴾ أي نسبهم إلى الضلال أو كفر الصحابة بأن نسبهم إلى الكفر أو انكر مكة أو البيت أو المسجد الحرام كما صرح بهما في الروضة ﴿أو﴾ شك في مكة أيضا بأن قال لا أدري أن هذه المسماة بمكة هي مكة أو غيرها وكذا يكفر من ﴿سب الشيخين﴾ أي أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قاله الشبرايملي ﴿أو الحسن والحسين﴾ أي علي رضي الله عنهم وهذا ضعيف والمعتمد عدم كفره كما صرح به الشمس الرملي في النهاية قال ولا يكفر بسب الشيخين أو الحسن والحسين إلا في وجه حكاه القاضي قال الشبرايملي وابن قاسم العبادي هذا الوجه ضعيف وجزم به الشرواني في حاشية التحفة.

﴿و﴾ يكفر ﴿من قيل ما الإيمان فقال لا أدري استخفافا﴾ أي احتقارا كما قاله شيخ الإسلام زكريا ﴿أو﴾ قيل له ﴿ألت مسلما فقال لا﴾ أي ألت مسلما حال كونه ﴿عمدا﴾ أي قصدا أو نودى يا يهودى أو نحوه فأجاب بقوله ليك أو نحوه قال في الروضة وفيه نظر إذا لم ينو شيئا وقال الأذرعى الظاهر أنه لا يكفر إذا لم ينو غير إجابة الداعي كذا في الاسنى ﴿أو﴾ قيل له ﴿لم تأمر بالمعروف﴾ ولم تنه عن المنكر ﴿فقال﴾ بقصد الاستهزاء ﴿مالي﴾ أي أي شئ لي ﴿بهذه الفضول أو﴾ قيل له ﴿قلم﴾ أي قص ﴿أظفارك فهو سنة﴾ أي سنة رسول الله ﷺ ﴿فقال استهزاء بها﴾ أي بهذه السنة ﴿لا أفعل﴾ قص الأظفار ﴿وإن كان سنة﴾ كذا نقله الشيخان عنهم وافرهم الرافعي وقال في الروضة المختار لا يكفر إلا أنه قاله بقصد الاستهزاء وتبعه المصنف وما اختاره متعين وكقص الأظفار حلق الرأس كما صرح به الرافعي عنهم وأقره لكن محله أن كان في نسك والا فلا لاختلاف العلماء في كراهته قاله العلامة بابصيل.

﴿و﴾ يكفر ﴿من قال لمحو قتل﴾ أي لشخص يقول لا حول ولا قوة إلا بالله ﴿الحوقلة لا تنفي﴾ أي لا تكفي ﴿من جوع﴾ ولا تدفع عنه ﴿أو﴾ قال ﴿لمن شمت﴾ أي دعا واجاب عاطشا ﴿كيرا﴾ بقوله ﴿يرحمك الله﴾ يا هذا ﴿لا تقل هكذا﴾ أي يرحمك الله ﴿قاصدا أنه﴾ أي الكير ﴿غني عن الرحمة أو﴾ أنه ﴿أجل﴾ أي أعظم ﴿من أن يقال له﴾ أي لذلك الكير ﴿ذلك﴾ القول المذكور وهو يرحمك الله ﴿أو﴾ قال ﴿لمن فعل قبيحا شرعا كقتل السارق وضرب المسلم ظلما أحسنت﴾ في فعلك ﴿أو﴾ قال ﴿لزوجته أنت﴾ بكسر التاء ﴿أحب إلي من الله ورسوله وأراد﴾ القائل

حبة التعظيم لا الميل أو لمسلم يا كافر بلا تأويل أو دع العبادات الظاهرة الشأن في عمل الأسرار ومن قال إنه يوحى إليه وإن لم يدع نبوة أو إنه يدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعاقب الحور قبل موته أو إن النبوة مكسبة أو إن مرتبتها تنال بصفاء القلب أو إن صدق الأنبياء فيما قالوه نجونا أو الله يعلم أنى فعلت كذا وهو كاذب فيه أو مطرنا بنجم كذا مریدا أن للنجم تأثيرا فيه ومن قال إن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم كان أسود أو ليس بقرشي أو عربي أو أنسي أو لا أدري أهو الذي بعث بمكة أو مات بالمدينة أعاذنا الله من الكفر وحمانا بما يحجر إليه . **﴿وروي﴾** مسلم عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ملك فيمن قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك إني قد كبرت

﴿حبة التعظيم لا الميل أو﴾ قال **﴿لمسلم يا كافر﴾** وإنما كفر مكفره لانه سمي الاسلام كفرا والخبر مسلم من دعا رجلا بالكفر أو قال عدوا لله وليس كذلك إلا بآء عليه أى رجع عليه هذا ان كفره **﴿بلا تأويل﴾** للكفر بكفر النعمة أو نحوه والا فلا يكفر وهذا ما نقله فى الروضة عن المولى واقره .

والأوجه ما قاله التنويز فى شرح مسلم أن الخبر محمول على المستحل فلا يكفر غيره وعليه يحمل قوله فى أذكاره أن ذلك يحرم تحريما مغلظا قاله فى الأسنى **﴿أو﴾** قال **﴿دع العبادات الظاهرة﴾** أى اترك الصلاة والزكاة والصوم والقرآن وأعمال البر **﴿الشأن﴾** المدوح هو **﴿فى عمل الأسرار﴾** كذا يكفر **﴿من قال إنه يوحى إليه وإن لم يدع نبوة أو إنه يدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعاقب الحور﴾** أى يجعل يديه على عنقه وضماها إلى نفسه **﴿قبل موته﴾** فهذا يكفر إجماعا كما صرح به الأنوار **﴿أو﴾** قال **﴿ان النبوة مكسبة أو ان مرتبتها﴾** أى النبوة **﴿تنال بصفاء القلب﴾** كما زعم الخيرية أنها تدرك بالريضة وتصفية الباطن وترك الشهوات وأن نور القدم انتقل من آدم عليه السلام إلى أنبياء حتى وصل لسيدنا محمد **﴿ثم انتقل إلى على﴾** ثم إلى أولاده وثم فيهم قبهم الله تعالى وهذا الزعم باطل اتفاقا لأن النبوة لم تكن كذلك أصلا والله در القائل

ولم تكن نبوة مكسبة * ولورقى فى الخير أعلى عقبه

﴿أو﴾ قال **﴿إن صدق الأنبياء فيما قالوه نجونا أو﴾** قال **﴿الله يعلم أنى فعلت كذا﴾** أى شيئا **﴿وهو كاذب فيه﴾** أى فى فعل ذلك الشيء **﴿أو﴾** قال **﴿مطرنا بنجم كذا﴾** أى الثريا مثلا **﴿مریدا أن للنجم تأثيرا فيه﴾** أى فى المطر والاعتقاد ذلك فلا يكفر **﴿و﴾** يكفر **﴿من قال إن نبينا محمدا﴾** كان أسود أو ليس بقرشي أو **﴿ليس﴾** بغيري **﴿أو قال إنه جن كما فى المغنى وذلك لأن رصفه﴾** بغير صفته نفى له وتكذيب به كذا قاله فى الأسنى **﴿أو﴾** قال **﴿لا أدري أهو الذى بعث﴾** أى أرسل **﴿بمكة أو مات بالمدينة أعاذنا الله﴾** جملة دعائية **﴿من الكفر وحمانا﴾** أى منعنا **﴿مما يحجز﴾** أى من الأسباب المذكورة **﴿إليه﴾** أى الكفر ولو قال يلهمنى الله ما احتاج إليه من أمر الدين فلا احتاج إلى العلم والعلماء فيبتدع كذاب يلعب به الشيطان ومن أظهر الوجد والسكر ولا يستقيم ظاهره ولا يتقيد جوارحه بالورع فمغرور بعيد من الله تعالى ومن تخلى واعتزل وترك الجماعات والجامعات بلا عذر شرعى فيبتدع لا يقبل الله الزهد كذلك ولو ادعى الكرامات لنفسه بلا غرض دينى فكاذب يلعب به الشيطان ولو قال فى غير الغلبات أى غلبات الشوق بما يقبى لسرى الحق فى موضع فهو بعيد من الله تعالى مبتدع قاله فى الأنوار .

﴿وروي مسلم﴾ قال حدثنا هداى بن خالد حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى **﴿عن صهيب﴾** قال قال رسول الله **﴿كان ملك فيمن كان قبلكم﴾** من الأمم الماضية **﴿وكان له ساحر فلما كبر قال للملك إني قد كبرت﴾** وصرت

فأبعث إلى غلاما أعلمه السحر فبعث إليه غلاما يعلمه وكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه وكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب فقال إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر فيما هو على ذلك إذا أتى على ذابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل فأخذ حجرا فقال اللهم إن كان أمر الراهب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب أي بني أنت اليوم أفضل مني وقد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبلى وإن ابليت فلا تدل على وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوى الناس من سائر الأدواء فسمع جلس الملك وكان قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة فقال هي لك إن أنت شفيتني فقال إني لا أشفي أحدا إنما يشفي الله فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك فآمن بالله فشفاه الله فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك فقال ربي قال أولك رب غيري قال ربي وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجنى بالغلام فقال له

شيخا ﴿ فابعث ﴾ أي فارسل ﴿ إلى غلاما أعلمه السحر فبعث ﴾ أي أرسل الملك ﴿ إليه ﴾ أي إلى الساحر ﴿ غلاما يعلمه ﴾ أي يعلم الساحر هذا الغلام ﴿ وكان في طريقه إذا سلك ﴾ أي الغلام إلى الساحر ﴿ راهب ﴾ قال الفيومي والراهب عابد النصارى والجمع رهبان ﴿ فقعد ﴾ الغلام ﴿ إليه ﴾ أي إلى الراهب ﴿ وسمع كلامه ﴾ فأعجبه ﴿ وكان إذا أتى ﴾ الغلام ﴿ الساحر ﴾ أي مكانه ﴿ مر ﴾ أي اجتاز الغلام ﴿ بالراهب وقعد ﴾ أي الغلام ﴿ إليه ﴾ أي إلى الراهب ﴿ فإذا أتى الغلام الساحر ضربه ﴾ أي ضرب الساحر هذا الغلام وإذا رجع من الساحر قعد إلى الراهب وسمع كلامه فإذا أتى أهله ضربه ﴿ فشكا ﴾ الغلام ﴿ ذلك ﴾ الذي فعله الساحر والأهل من ضربهم له ﴿ إلى الراهب فقال ﴾ الراهب للغلام يا هذا ﴿ إذا خشيت الساحر فقل ﴾ له ﴿ حبسني أهلي وإذا خشيت أهلك فقل ﴾ لهم ﴿ حبسني الساحر فينما هو ﴾ أي الغلام ﴿ على ذلك ﴾ وفي رواية كذلك أي استمر الحال التي أمره بها الراهب ﴿ إذ ﴾ جواب فينما ﴿ أتى ﴾ الغلام في طريقه ﴿ على ذابة عظيمة ﴾ يخشى بها الناس ﴿ قد حبست ﴾ أي منعت تلك الدابة ﴿ الناس ﴾ أي مرورهم بذلك الطريق ﴿ فقال ﴾ الغلام ﴿ اليوم ﴾ أي في هذا اليوم وهو يوم حبس الدابة أنا ﴿ أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل فأخذ ﴾ أي الغلام ﴿ حجرا واحدا ﴾ فقال ﴿ أي فدعا الغلام ﴾ اللهم ﴿ أي يا الله ﴾ إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة ﴿ بهذا الحجر ﴾ حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الغلام ﴿ الراهب فأخبره ﴾ بقصته مع الدابة ﴿ فقال ﴾ له ﴿ الراهب أي بني أنت اليوم أفضل مني وقد بلغ من أمرك ما أرى ﴾ من الكرامة ﴿ وإنك ستبلى ﴾ أي سوف تمتحن بالبلية ﴿ وإن ابليت ﴾ بالبناء للمفعول ﴿ فلا تدل على ﴾ بل أكم أمرى ﴿ وكان الغلام يبرئ الأكمه ﴾ أي خلق أعشى ﴿ والأبرص ويداوى الناس من سائر الأمراض فسمع جلس الملك ﴾ خير الغلام ﴿ وكان ﴾ المجلس ﴿ قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة فقال ﴾ المجلس أي هذه الهدايا الكثيرة ﴿ لك ﴾ وفي رواية ما فهناك ﴿ إن أنت شفيتني ﴾ من عمى بصري ﴿ فقال ﴾ الغلام ﴿ إني لا أشفي أحدا إنما يشفي الله فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك فآمن ﴾ المجلس الأعشى ﴿ بالله ﴾ فدعا الغلام ﴿ فشفاه الله فأتى ﴾ المجلس الأعشى بعد برئه من العمى ﴿ الملك فجلس إليه كما كان يجلس ﴾ قبل البرء ﴿ فقال له الملك من رد عليك بصرك فقال ﴾ المجلس رده ﴿ ربي قال ﴾ الملك ﴿ أولك رب غيري ﴾ وكان الملك قد ادعى الربوبية ﴿ قال ﴾ المجلس ﴿ ربي وربك الله ﴾ وحده لا شريك له فغضب ﴿ الملك فأخذه فلم يزل ﴾ أي الملك ﴿ يعذبه ﴾ أي المجلس ﴿ حتى دل ﴾ أي ارشد المجلس للملك ﴿ على الغلام فجنى بالغلام فقال له ﴾ أي الغلام

الملك أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ به الأكهم والأبرص وتفل وتفل فقال إني لأشقى أحدا إنما يشفى الله تعالى فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجئ بالراهب فقيل ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمشار فوضع المشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جئ بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه والإفاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كهانهم الله فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور وتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والإفاقدفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كهانهم الله فقال للملك إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به قال ما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهمًا من كنانتي

﴿الملك أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ به الأكهم والأبرص وتفل وتفل﴾ كذا ﴿وتفعل﴾ كذا من مداوة الناس من سائر الأمراض ﴿فقال﴾ الغلام ﴿إني لأشقى أحدا إنما يشقى الله﴾ فضرب الملك ﴿فلم يزل يعذبه حتى دل﴾ للملك ﴿على الراهب فجئ﴾ بالراهب فقيل ﴿له﴾ ارجع عن دينك فأبى ﴿أي استع الراهب من الرجوع عن دينه بل ثبت عليه﴾ فدعى ﴿بالبناء للمفعول أي طلب وأتى﴾ بالمشار ﴿قال النووي هو مهموز في رواية الأكثرين ويجوز تخفيف الحزرة بقلبها ياء وروى المشار بالنون وهما لغتان صحيحتان انتهى وهو ما نشره ويسمى عند أهل جاوه بالقراجي﴾ فوضع المشار في مفرق رأسه ﴿بكسر الراء الأولى أي وسطه﴾ فشق ﴿أي شق الملك مفرق الراهب﴾ به ﴿أي بالمشار﴾ حتى وقع ﴿على الأرض﴾ شقاه ﴿أي شقا عبد الراهب نصفين﴾ ثم جئ بجلوس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى ﴿الجلوس عن ذلك﴾ فوضع المشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جئ بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه ﴿أي رد الملك هذا الغلام وسلمه﴾ إلى نفر ﴿بفتحين أي جماعة من الرجال﴾ من أصحابه ﴿أي جنود الملك﴾ فقال ﴿الملك لهم﴾ اذهبوا به ﴿أي مع الغلام﴾ إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغت ذروته ﴿بضم الذال وكسرها أي أعلاها﴾ فإن رجع ﴿الغلام﴾ عن دينه ﴿واعترف برئيسي فذاك﴾ والإلا ﴿بأن يرجع عن دينه بل استمر عليه﴾ فاطرحوه ﴿أرموه من أعلى الجبل يسقط إلى الأسفل فيموت﴾ فذهبوا ﴿أي هؤلاء النفر﴾ به فصعدوا به الجبل ﴿كما أمرهم الملك﴾ فقال ﴿أي فدعا الغلام﴾ اللهم اكفهم بما شئت فرجف بهم الجبل ﴿أي اضطرب وتحرك حركة شديدة﴾. وحكى القاضى عن بعضهم أنه رواه فزحف بالزأى والحاء وهو بمعنى الحركة لكن الأول هو الصحيح المشهور قاله النووي ﴿فسقطوا وجاء﴾ الغلام ﴿يمشى إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال﴾ الغلام ﴿كهانهم الله فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال﴾ الملك ﴿اذهبوا به فاحملوه﴾ أي هذا الغلام ﴿في قرقور﴾ بضم القافين أي السفينة الصغيرة وقيل الكبيرة واختار القاضى الصغيرة بعد حكايته خلافا كثيرا كذا في شرح مسلم ﴿وتوسطوا به البحر﴾ فإن رجع عن دينه ﴿فذاك﴾ والإفاقدفوه ﴿في البحر﴾ فذهبوا به ﴿كما أمره الملك﴾ فقال ﴿الغلام﴾ اللهم اكفهم بما شئت فانكفأت ﴿أي انقلبت﴾ بهم السفينة فغرقوا به ﴿أي بالماء﴾ وسلم الغلام ثم ﴿جاء يمشى إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال﴾ كهانهم الله فقال ﴿الغلام﴾ للملك إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به قال ﴿الملك﴾ ما هو ﴿أي الذي أمرت لي به﴾ قال تجمع الناس في صعيد واحد ﴿قال النووي والصعيد هنا الأرض الباروة﴾ وتصلبني على جذع ﴿من تحل﴾ ثم خذ سهمًا من كنانتي ﴿والكنانة بالكسر جمعة السهام من آدم وبها سميت القبيلة كما في المصالح وفي المختار للكلمة التي يحمل فيها

ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قل باسم الله رب الغلام ثم ارم فإنك إذا فعلت ذلك قتلتي فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهمًا من كتابته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوق السهم في صدغه فوضع يده على صدغه فمات فقال الناس آمنت برب الغلام فأتى الملك فقيل له أرايت ما كنت تحذره قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فأمر بالأخدود بأفواه السكك فخذت وأضربت فيها النيران وقال من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها أو قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتعاسيت فقال الغلام يا أمه اصبري فإنك على الحق

السهم ﴿ ثم وضع السهم في كبد القوس ﴾ أي مقبضها عند الرمي ﴿ ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارم ﴾ أي ارمني به ﴿ فإنك إذا فعلت ذلك ﴾ أي الذي أقوله لك ﴿ قتلتي فجمع ﴾ أي الملك ﴿ الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ ﴾ الملك ﴿ سهمًا من كتابته ﴾ أي الغلام ﴿ ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال ﴾ الملك ﴿ بسم الله رب الغلام ثم رماه فوق السهم في صدغه فوضع ﴾ الغلام ﴿ يده على صدغه فمات ﴾ أي الغلام رحمة الله عليه ﴿ فقال الناس آمنت برب الغلام فأتى ﴾ الملك فقيل له أرايت ما كنت تحذره ﴿ من الإيمان بالله ﴾ قد والله نزل بك حذرك ﴿ أي ما كنت تحذر وتحاف ﴾ قد آمن الناس ﴿ برب الغلام ﴾ فأمر ﴿ أي الملك ﴾ بالأخدود ﴿ قال النورى والأخدود الشق العظيم في الأرض وجمعه أخاديد ﴾ بأفواه السكك ﴿ أي بآبواب الطرق كما قاله النورى ﴾ فخذت ﴿ أي حفرت الأخدود ﴾ وأضرم ﴿ أي ألهب ﴾ فيها النيران وقال ﴿ الملك ﴾ من لم يرجع عن دينه فأقحموه ﴿ أي اطرخوه ﴾ فيها ﴿ كرها وفي رواية فأقحموه فيها ومعنى ذلك ارموه فيها من قولهم أحميت الجديدة وغيرها إذا أدخلتها النار لتحسن ﴾ أو قيل له ﴿ أي لمن لم يرجع عن ذلك ﴾ اقتحم ففعلوا ﴿ أي الذين لم يرجعوا عن دينهم وآمنوا برب الغلام ﴾ حتى جاءت امرأة آمنت برب الغلام ﴿ ومعها صبي فتعاسيت ﴾ أي توقفت ولزمت موضعها وكرهت الدخول في النار ﴿ فقال الغلام ﴾ أي ذلك الصبي الذي معها ﴿ يا أمه ﴾ أي يأم ﴿ اصبري ﴾ ولا تعاسي ﴿ فإنك على الحق ﴾ فالتقى الصبي وأمه فيها وفي الحديث إثبات كرامات الأولياء وفيه جواز الكذب في مصلحة ترجع إلى الدين وفيه انقاذ النفس من الهلاك سواء نفسه أو نفس غيره ممن له حرمة قاله النورى.

وقال ابن عباس كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس شرحبيل بن شرحبيل في الفقرة قبل مولد النبي ﷺ بسبعين سنة وكان في بلاده غلام يقال له عبد الله بن قامر وكان أبوه يسلمه إلى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد من طاعة أبيه فجعل يختلف إلى المعلم وكان في طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فأعجبه ذلك وذكر نحوه حديث صهيب.

وقال وهب بن منبه أن رجلاً كان قد بقى على دين عيسى فوقع إلى بنجران فأحبوه فسار إليه ذو نواس اليهودي بمجنوده من حمير وحيرهم بين النار واليهودية فأبوا عليه فخذ الأخدود وحرق اثني عشر الفا ثم غلب رباط على اليمن فخرج ذو نواس هارباً فاقحم البحر بفرسه ففرق وقال محمد بن اسحق عن عبد الله بن أبي بكر أن خربة احتقرت في زمن عمر بن الخطاب فوجدوا عبد الله بن قامر واضعاً يده على ضربة رأسه إذا أبطت يده عنها انبعثت دماً وإذا تركت ارتدت مكانها وفي يده خاتم حديد فيه مكتوب ربى الله فبلغ ذلك عمر فكذب أن اعبدوا عليه الذي وجدتم عليه وقال سعد بن جبير وابن أبيزى لما انهزم أهل اسفند هار قال عمر بن الخطاب أي شيء يجري على الجوس من الأحكام فإنهم ليسوا بأهل كتاب فقال علي بن أبي طالب بلى قد كان لهم كتاب وكان الحمر قد أحلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فوقع على أخته فلما ذهب عنه السكر ندّم وقال لها ويحك ما هذا الذي أتيت وما المخرج منه قالت المخرج منه أنك تحطب الناس وتقول إن الله قد أحل نكاح الأخوات فإذا ذهب في الناس وتناسوه خطبتهم فحرمة مقام خطيباً بذلك

﴿وحكى﴾ ابن الجوزي عن أبي علي البربري قال إن ثلاثة إخوة من الشام كانوا يغزون وكانوا فرسانا شجعانا فأسرهم الروم مرة فقال الملك إني أجعل فيكم الملك وأزوجكم بناتي وتدخلون في النصرانية فأبوا وقالوا يا محمداه فأمر بثلاث قدور فصب فيها الزيت ثم أوقد تحتها النار ثلاثة أيام يعرضون في كل يوم على تلك القدور ويدعون إلى النصرانية فيأبون فألقى الأكبر في القدور ثم الثاني ثم أدنى الأصغر فجعل يفتنه عن دينه بكل أمر فقام إليه عليج فقال أيها الملك أنا أقتنه عن دينه قال بماذا قال قد علمت أن العرب أسرع شيء إلى النساء وليس في الروم أجمل من بناتي فادفعه إلى حتى أخليه معها فإنها ستقتنه ف ضرب له أجلا أربعين يوما ودفعه إليه فجاء به وادخله مع ابنته وأخبرها

فقال إن الله قد أحل لكم نكاح الأخوات فقال الناس بأجمعهم معاذ الله أن نؤمن بهذا أو نقر ما جاءنا به من نبي ولا أنزل علينا في كتاب فبسط فيهم السوط فأبوا أن يقرؤا فجرد فيهم السيف فأبوا أن يقرؤا به فخذ لهم الأخدود وأوقد فيها النيران وعرضهم عليها فمن أبي قدفه في النار ومن أجاب أطلقه.

وروى عن علي قال أن أصحاب الأخدود نبيهم حبشي بعث من الحبشة إلى قومه ثم قرأ على ﷺ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك الآية فدعاهم فتابه أناس فقاتلهم الكفار فقتل أصحابه وأخذ من انقلت منهم فاقنوه ثم أخذوا له أخدودا فملأوها نارا فمن تبع ذلك النبي رمى به في النار ومن تابعهم تركوه فجاءوا بإمرأة معها صبي رضيع فجزعت فقال الصبي يا أماء قعي ولا تقاعسي وقيل كانت الأخدود ثلاثة واحدة بنجران باليمن والأخرى بالشام والأخرى بفارس خرقوا بالنار فأبوا التي بالشام فنوا بطاموس الرومي وأما التي بفارس فبختنصر ويزعمون أنهم أصحاب دانيال وأما التي باليمن فذنو ناس يوسف فأما التي بالشام وفارس فلم ينزل الله فيهم قرآنا وانزل في التي بنجران اليمن وذلك أن القصة كانت مشهورة عند أهل مكة فذكر الله تعالى ذلك لأصحاب رسول الله ﷺ يحملهم بذلك على الصبر وتحمل المكاره في الدين كذا قاله الحارز.

﴿وحكى﴾ الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن ﴿ابن الجوزي عن أبي علي البربري قال إن ثلاثة إخوة من أهل الشام كانوا يغزون﴾ أهل الروم ﴿وكانوا فرسانا شجعانا فأسرهم﴾ أي حبسهم وقيدهم ﴿الروم مرة فقال الملك﴾ أي ملكهم وهو نصراني ﴿أجعل فيكم الملك وأزوجكم بناتي وتدخلون في دين﴾ النصرانية فأبوا ﴿أي امتنعوا عن دينهم﴾ وقالوا يا محمداه فأمر ﴿الملك﴾ بثلاث قدور ﴿جمع قدر مثل حمل وحمول وهي آنية يطبخ فيها﴾ فصب عليها الزيت ﴿وهو دهن الزيتون﴾ ثم أوقد تحتها النار ثلاثة أيام يعرضون ﴿بالبناء للمفعول﴾ في كل يوم على تلك القدور ويدعون ﴿بالبناء للمفعول أيضا﴾ إلى النصرانية فيأتون ﴿عند القدور﴾ فألقى ﴿الملك﴾ الأكبر ﴿منهم﴾ في القدور ثم ﴿ألقى﴾ الثاني ﴿في القدور الثانية﴾ ثم أدنى ﴿أي قرب الملك﴾ الأصغر فجعل ﴿الملك﴾ يفتنه ﴿أي الإصغر﴾ عن دينه ﴿أي يرجع عنه وليدخل دين النصرانية﴾ بكل أمر ﴿وحيلة﴾ فقام إليه ﴿أي إلى الملك﴾ عليج ﴿قال القيوسي والعلج الرجل الضخم من كبار العجم وبعض العرب يطلق العلج على الكافر مطلقا والجمع علوج مثل حمل وحمول وأعمال﴾ فقال أيها الملك أنا أقتنه عن دينه ﴿أي هذا الأصغر﴾ قال ﴿الملك﴾ بماذا ﴿أي بأي شيء﴾ تفعل فتنه ﴿قال﴾ العلج ﴿قد علمت﴾ بضم التاء ﴿أن العرب أسرع شيء إلى النساء وليس في﴾ بلدنا ﴿الروم أجمل﴾ وأحسن ﴿من بناتي فادفعه﴾ أي أيها الملك هذا الأصغر ﴿إلي حتى أخليه﴾ أي أتركه ﴿معه﴾ أي مع بناتي ﴿فإنها تفتنه ف ضرب له﴾ أي قدر الملك ﴿له﴾ أي للعلج ﴿أجلا﴾ أي مدة ﴿أربعين يوما ودفعه﴾ أي دفع الملك الأصغر وسلمه ﴿إليه﴾ أي للعلج ﴿فجاء به﴾ أي مع الأصغر إلى بيته ﴿فادخله مع ابنته وأخبرها﴾ أي أخبر

بالأمر فقالت له دعه فقد كفيتك أمره فأقام معها نهاره صائمه وليله قائم حتى مضى أكثر الأجل فقال العليج لابنته ما صنعت قالت ما صنعت شيئا هذا رجل فقد أخويه في هذه البلدة فأخاف أن يكون امتناعه من اجلهما كلما رأى آثارهما ولكن استزد الملك في الأجل وانفني وإياه إلى بلد غير هذا فزاده أياما فأخرجهما إلى قرية أخرى فمكث على ذلك أياما صائمه النهار وقائم الليل حتى إذا بقي من الأجل أيام قالت له الجارية ليلة يا هذا اني أراك قدس ربا عظيما واني قد دخلت معك في دينك وتركت دين آبائي قال لها فكيف الحيلة في الحرب قالت أنا أحتال لك وجاءت به بداية فركبا وكانا يسيران الليل ويكتمان النهار فبينما هما يسيران ليلة إذ سمعا وقع خيل فإذا بأخويه ومعهما ملائكة رسلا إليه فسلم عليهما وسألهما عن حالهما فقالا ما كانت الا الغطسة التي رايت حتى خرجنا في الفردوس وإن الله أرسلنا إليك لنشهد تزويجك بهذه الفتاة فزوجوه إياها ورجعوا وخرج إلى بلد الشام فأقام معها ثبنا الله بالقول الثابت وحمانا من الكفر والتناق

العليج بنته ﴿ بالأمر ﴾ المقصود وهو الإفتان عن دين هذا الأصغر ﴿ فقالت ﴾ بنته ﴿ له ﴾ أي لأبيها ﴿ دعه ﴾ أي اتركه معي ﴿ فقد كفيتك أمره فأقام ﴾ الأصغر ﴿ معها نهاره صائمه وليله قائم ﴾ بنحو صلاة وغيرها ﴿ حتى مضى أكثر الأجل ﴾ المذكور وهو أربعون يوما ﴿ فقال العليج لابنته ما صنعت ﴾ أي أي شيء صنعت هذا الرجل ﴿ قالت ما صنعت شيئا ﴾ أي لست اضع في هذا الرجل شيئا من الإفتان لا ﴿ هذا الرجل فقد أخويه ﴾ لقتل الملك إياهما ﴿ في هذه البلدة ﴾ أي الروم ﴿ فأخاف أن يكون امتناعه ﴾ عن محبتي ﴿ من اجلهما ﴾ أي الأخوين ﴿ كلما رأى ﴾ هذا الأصغر ﴿ آثارهما ولكن استزد الملك ﴾ أي أطلب من الملك ان تزيد ﴿ في الأجل وانفني ﴾ بكسر الفاء أي أخرجني وابعدني ﴿ وإياه ﴾ عن هذه البلدة ﴿ إلى بلد غير هذا ﴾ أي الروم فطلب العليج من الملك ما ذكر من الزيادة ﴿ فزاده ﴾ في الإمهال أياما فأخرجهما ﴿ أي أخرج العليج ابنته والأصغر من بلد الروم ﴾ إلى قرية أخرى فمكث ﴿ أي أقام الأصغر ﴾ على ذلك ﴿ أي في ذلك المكان الآخر ﴾ أياما ﴿ حال كونه ﴾ صائمه النهار وقائم الليل حتى بقي من الأجل ﴿ الذي أمهله الملك ﴾ أيام قالت له ﴿ أي للأصغر ﴾ الجارية ﴿ أي الشابة التي هي بنت العليج ﴾ ليلة ﴿ من الليالي ﴾ يا هذا ﴿ الرجل ﴾ اني أراك ﴿ لا تزال ﴾ قدس ﴿ وتسبح ﴾ ربا عظيما واني قد دخلت معك في دينك وتركت دين آبائي ﴿ وهو دين النصرانية ﴾ قال لها ﴿ إن كنت كذلك ﴾ فما الحيلة ﴿ والحيلة الخدع في تدبير الأمور وهو قلب الفكر حتى تهدي إلى المقصود ﴾ في الحرب ﴿ عن الملك وغيره ﴾ قالت أنا أحتال ﴿ أي أطلب الحيلة ﴾ لك وجاءت به بداية فركبا ﴿ أي الرجل والمرأة ﴾ وعانا يسيران الليل ويكتمان ﴿ بفتح الميم من باب قعد أي يستخيان ويستتران ﴾ النهار فبينما يسيران ليلة إذ سمعا وقع خيل ﴿ أي نزوله من السماء ﴾ فإذا بأخويه ﴿ المذكورين الملقين في القدور ﴾ ومعهما ﴿ أي الأخوين ﴾ ملائكة ﴿ حال كونهم ﴾ رسلا إليه ﴿ أي إلى أخيهما الأصغر ﴾ فسلم إليهما وسألهما عن حالهما ﴿ حين ألقيا في تلك القدور وما بعد ذلك ﴾ فقالا ما كانت ﴿ أي الحالة عند الإلقاء ﴾ إلا الغطسة ﴿ أي الغمسة يقال الغطس في الماء الغمس وبابه ضرب كما أفاده في المختار ﴾ التي رايت حتى خرجنا ﴿ من القدور فإذا أنا ﴾ في ﴿ جنة ﴾ الفردوس ﴿ أي النسبي والافردوس الحقيقي لا تكون إلا للنبي ﷺ ﴾ في هذا الوقت ﴿ ان الله أرسلنا إليك لنشهد تزويجك بهذه الفتاة فزوجوه ﴾ أي الأصغر المذكور ﴿ إياها ﴾ أي الفتاة ﴿ ورجعوا ﴾ إلى الفردوس ﴿ وخرج ﴾ الأصغر ﴿ إلى بلاد الشام فأقام معها ﴾ أي زوجته ﴿ ثبنا الله ﴾ جملة دعائية ﴿ بالقول الثابت ﴾ وهو لا إله إلا الله ﴿ وحمانا ﴾ وحفظنا ﴿ من الكفر والتناق ﴾ آمين.

﴿تنبيهات﴾ أحدها أن من ارتكب مكفرا يحبط جميع أعماله ويجب عليه قضاء الواجب منها وينفسخ النكاح حالا ولو بعد الدخول عند جماعة من الأئمة كأبي حنيفة بل عند إمامنا الشافعي رضي الله عنهما أن ثواب العنل يحبط لكن لا يحبط نفس العمل أي من حيث إنه لا يجب القضاء وأن النكاح ينفسخ حالا إن كان قبل الدخول وبعد العدة إن كان بعده ﴿والثاني﴾ أنه يجب على الإمام أو نائبه استتابه فوراً ويحرم إهماله فإن تاب قبل منه

* تنبيهات * ثلاثة ﴿أحدها﴾ أن من ارتكب مكفرا من المكفورات السابقة ﴿يحبط﴾ بالبناء للمفعول ﴿جميع أعماله﴾ الحاصلة منه قبل الردة فكانه لم يعمل شيئا ويترتب على ذلك وجوب مطالبته به في الآخرة كما قاله السيد البكري ﴿ويجب عليه قضاء الواجب منها﴾ في مدة الردة وإن فعلها فيها لأنه لا تصح منه عبادة ﴿وينفسخ النكاح حالا ولو بعد الدخول﴾ أي وطء زوجته المسلمة أو وصول المنى المحترم لفرجها لأن النكاح لم يتأكد حينئذ لفقد غايته هذا إن لم يعودا أو يعودا المرتد منهما إلى الإسلام في مدة العدة كما قاله بعضهم والمراد بتبين بطلانه من حين الردة منهما أو من أحدهما فلا ينفذ طلاق ولاظهار ولاإبلاء وأن جمعهما الإسلام دام النكاح بينهما لتأكده ونفذ ما ذكر فعلم أن النكاح فيما ذكر موقوف أن عاد للإسلام في العدة دام والأتين بطلانه من حين الردة ويحرم الوطء في زمن التوقف ولا أحد فيه نعم فيه التعزير وليس له في زمنه نكاح نحو أختها ﴿عند جماعة من الأئمة كأبي حنيفة بل عند إمامنا الشافعي رضي الله عنهما أن ثواب العمل يحبط﴾ بمجرد الردة ﴿لكن لا يحبط نفس العمل أي من حيث إنه لا يجب القضاء﴾ وظن الأستاذ أن إحباط ثواب الأعمال بمجرد الردة يناقض إحباطها للعمل فاعترض به وليس كما ظن إذ إحباط العمل الموجب للإعادة غير إحباط مجرد ثوابه إذ الصلاة في المنصوب لا ثواب فيها عند الجمهور مع صحتها وزعم الإمام عدم إحباطها للعمل وإن مات كافرا بمعنى أنه لا يعاقب عليها في الآخرة غريب بل الصواب إحباطه وإن فعل حال الإسلام لأن شرطه موت الفاعل مسلما ولا صار كأنه لم يفعل فيعاقب عليه قاله ابن حجر ﴿وإن النكاح ينفسخ حالا﴾ أي في حالة الردة ﴿إن كان﴾ الإرتداد ﴿قبل الدخول﴾ أي وطئها ﴿وينفسخ﴾ بعد العدة إن كان بعده ﴿أي بعد الدخول﴾

النتية ﴿الثاني﴾ أنه أي الحال والشأن ﴿يجب على الإمام أو نائبه استتابه﴾ أي طلب التوبة من المرتد بأن يقول له تب وارجع لدين الإسلام وذلك لاحترامه بالإسلام قبل وربما عرضت له شبهة فيسفي في إزالتها لأن الغالب أن الردة تكون عن شبهة عرضت وثبت وجوب الاستتابة عن عمر ؓ وروى الدارقطني عن جابر أن امرأة يقال لها أم رومان ارتدت فأمر النبي ﷺ أن يعرض عليها الإسلام فإن تابت والا قتلت وفي قول تستحب استتابة الكافر الأصلي فإن قيل يدل لذلك أنه ﷺ لم يستتب العربيين أجيب فأنهم حاربوا والمرتد إذا حارب لا يستتاب كما في المغني وتكون الاستتابة ﴿فورا﴾ أي حالا ﴿ويحرم إهماله﴾ في الأظهر للخبر الصحيح من يدل دينه فاقتلوه قاله في التحفة ووجه الدلالة ما أفادته الفاء من التعقيب كما قاله الرشيدى ولأن قتله المرتب عليها حد فلا خرق كسائر الحدود لكن السكران يسن تأخيرهم إلى الصحو فلو قتله أحد قبل الاستتابة عزر فقط ولا شيء عليه لاحذاره قاله الشبرايملى وأقره الشرواني وفي قول يمهل في الاستتابة ثلاثة أيام لأثر عن عمر ؓ في ذلك وأخذ به الإمام مالك وقال الزهري يدعى إلى الإسلام ثلاث مرات فإن أبى قتل وعن علي ؓ أنه يستتاب شهرين وقال النخعي والثوري يستتاب أبدا وعلى التأخر بحبس مدة الإهمال ولا يخلى سبيله ﴿فإن تاب﴾ أي أسلم ﴿قبل﴾ إسلامه ﴿منه﴾ وترك لقوله تعالى قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ولحبر فإذا قالوها عصموا من دماءهم وأموالهم ولا فرق في ذلك بين من ارتد بسبب النبي ﷺ أو بسبب نبي غيره وهو المعتبد بذهابا لكن أخير قتله

على الأصح ولا فيقتله بضرب عنقه لا بنحو إحراق ولا يدفن في مقبرة المسلمين

مطلقا تاب أم لا ونقل الفارسي والخطابي من أئمتنا الإجماع عليه في سب هو قذف لا مطلقا هذا صواب النقل عن الفارسي ومن بالغ في الرد عليه الغزالي قاله ابن حجر ﴿على الأصح﴾ وقيل لا يقبل إسلامه إن ارتد إلى كفر خفي كنادقة وهم من يظهر الإسلام ويخفي الكفر كما قاله الشيخان هنا وفي الفرائض وصفة الأئمة وقالوا في اللعان هم من لا ينتقل دينه وصوبه الأسنوي في المهمات وقال الأذرعى إنه الأقرب فإن الأول هو المناق وقد غابوا بينهما وقيل لا يقبل إسلامه إن ارتد إلى كفر باطنية وهم القائلون بأن القرآن باطنيا وأنه المراد منه دون الظاهر كذا قاله الخطيب في شرح المصباح.

* فرع * ولا يعزr مرتد تاب على أول مرة خلافا لما يفعله جهلة القضاة ومن جهلهم أيضا أن من ادعى عليه عندهم بردة أو جاءهم يطلب الحكم بإسلامه يقولون له تلفظ بما قلت وهذا غلط فاحش فقد قال الشافعي رحمته الله إذا ادعى على رجل أنه ارتد وهو مسلم لم اكشف عن الحال وقلت له قل أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله وانك برى من كل دين يخالف دين الإسلام انتهى ويؤخذ من تكرره رحمته الله لفظ أشهد أنه لا بد في صحة الإسلام وهو ما يدل عليه كلام الشيخين في الكفارة وغيرها لكن خالف فيه جمع وفي الأحاديث ما يدل لكل قاله في التحفة قال ابن التقيب في مختصر الكفاية وهما أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وهذا يؤيد من أفتى من بعض المتأخرين بأنه لا بد أن يأتي بلفظ أشهد في الشهادتين واللام يصح إسلامه وقال الزنككوني في شرح التبيين وهما لا إله إلا الله محمد رسول الله وظاهره أن لفظة أشهد لا تشترط في الشهادتين وهو يؤيد من أفتى بعدم الإشراط وهي واقعة حال اختلف المقنون في الإفتاء في عصرنا فيها والذي يظهر أن ما قاله ابن التقيب محمول على الكمال وما قاله الزنككوني محمول على أقل ما يحصل به الإسلام فقد قال رحمته الله أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله رواه الشيخان كذا قاله الشرواني ﴿والا﴾ أى وإن لم يَب ﴿فيقتله﴾ أى الإمام أو النائب كفرا لاحدا فلو قتله غيره عزز لأقباته على الإمام ومحلّه إذا كان المرتد حرا فان كان رقيقا جاز للسيد قتله في الأصح لأنه ملكه فله فعل ما يتعلق به من تأديب ونحوه ﴿بضرب عنقه﴾ بالسيف ﴿لا بنحو إحراق﴾ للأمر بإحسان القتل في خبر إذا قتلتم فأحسنوا القتلة ﴿ولا﴾ لا يصلى عليه قال في الفتح للنهي عنها في القرآن ومنه صغير كافر وصف الإسلام بناء على الأصح من عدم صحة إسلامه وإن كان من أهل الجنة لتصريحهم بأنه يعامل بأحكام الدنيا كإرث كافر له وعدم قتل مسلم به ولا شك أن الصلاة عليه من أحكام الدنيا الواجبة علينا إكراما للمسلمين وهذا ليس منهم إفتاء بعضهم بوجوب الصلاة عليه ليس في محله ولا يغسل ولا يكفن قال الماوردي ﴿ولا يدفن﴾ المرتد ﴿في مقبرة المسلمين﴾ لخروجه بالردة عنهم ولا في مقابر الكفار لما تقدم له من حرمة الإسلام انتهى.

والذي يظهر كما قاله الخطيب أن حرمة الإسلام انقطعت بموته كافرا فلا مانع من دفنه في مقابر الكفار فقد مر أول الباب أن الردة أفحش الكفر بل يجوز اعزاء الكلاب عليه إذا لا حرمة له كالحربي والزندني أما الذي في المعاهد والمساكن فيجب تكفينهم ودفنهم علينا إذا لم يكن لهم مال أو متفق أو كان وتعذر وفاء بذمتهم كما يجب إطعامهم وكسوتهم ومال المرتد موقوف على الأظهر إن أسلم بأنه لم يزل عن ملكه عنه وإن مات مرتدا بان زواله عنه وأنه في ليت المال جزاء ما أكسبه في مدة الإسلام والردة وسواء ارتد في صحته أو مرضه ومحل الخلاف في غير ما ملكه في الردة بنحو اضطهاد واحتطاب والافورباق على إباحته.

﴿وثالثها﴾ أنه يشترط في صحة توبته النطق بالشهادتين فلا يحصل إسلامه ككافر أصلي إلا بذلك ويزيد حتماً من كفره بإنكار معلوم من الدين بالضرورة اعترافه بما كفره بإنكاره وندب لكل مرتد الاستغفار

﴿وثالثها﴾ أي التنبهات ﴿أنه يشترط في صحة توبته﴾ أي المرتد وغيره من الكفار كما حكى الإجماع عليه في شرح مسلم ﴿النطق﴾ أي التلفظ ﴿بالشهادتين﴾ من الناطق فلا يكفي ما بقلبه من الإيمان وإن قاله به الغزالي وجمع المحققين لأن تركه للتلفظ بهما مع قدرته عليه وعلمه بشرطيته أو شطريته لا يقصر عن غور من مصحف بقدر ولو بالعجمية وإن أحسن العربية على المنقول المعتمد والفرق بين التلفظ وبين تكبيرة الإسلام جلبي بترتيبهما ثم الإقرار برسالة ﷺ إلى غير الصواب ممن ينكرها أو البراءة من كل دين يخالف دين الإسلام وبرجوعه عن الاعتقاد الذي ارتد بسببه كأن يقول برئت من كذا فيبرأ منه ظاهراً وأما في نفس الأمر فالعبرة بما في نفسه قاله ابن حجر وغيره لكن يرد على قولهم أن كون الشين شطراً أو شرطاً من خطاب الوضع وهو لا يؤثر فيه الجهل فتأثير الجهل هنا يزيد ما قاله المتكلمون واختاره الغزالي وجمع المحققين من أن الإيمان التصديق فقط ووجوب النطق بالشهادتين على القادر به وجوب فقهي يوجب تركه إلا لم لا الكفر كذا قاله الشرواني ﴿فلا يحصل إسلامه﴾ أي المرتد ﴿ككافر أصلي إلا بذلك﴾ أي النطق بالشهادتين .

* فائدة * يصح الإسلام بنسائر اللغات كما قاله ابن الصباغ وغيره وبإشارة الآخر من نعم لولفن العجمي الكلمة العربية فقالها ولم يعرف معناها لم يكف ويسن امتحان الكافر بعد الإسلام بتقريره بالبعث بعد الموت ولو قال بدل محمد رسول الله في الشهادتين أحمد أو أبو قاسم رسول الله كفاءه ولو قال النبي بدل رسول الله كفاءه لا الرسول فإنه ليس كرسول الله فلو قال آمنت بمحمد النبي كفى بخلاف آمنت بمحمد الرسول لأن النبي لا يكون إلا نبي الله تعالى والرسول قد يكون لغيره وبخلاف آمنت بمحمد كما فهم بالأولى .

* تنبيه * غير وسوى وما عدا ونحوها في الاستثناء كالألف في الإكفاء بها كقوله لا إله غير الله أو ما عدا الله أو ما خلا الله ولو قال كافر أنا منكم أو مثلكم أو مسلم أو ولي محمد وأحبه أو أسلمت أو آمنت لم يكن اعترافاً بالإسلام لأنه قد يريد أنا منكم أو مثلكم في البشرية أو نحو ذلك من التأويلات فإن قال آمنت أو أسلمت أو أنا مؤمن أو مسلم مثلكم أو أنا من أمة محمد ﷺ أو دينكم حق أو قال أنا برىء من كل من يخالف الإسلام أو اعترف من كفر بإنكار وجوب شيء بوجوبه فبغيره طريقان إيجادهما وهي ما عليها الجمهور وهي الراجحة لا يكون ذلك اعترافاً بالإسلام والثانية ونسبها الإمام للمحققين أنه يكون اعترافاً به ولو قال أنا برىء من كل ملة تخالف الإسلام لم يكف على الطريقين لأنه لا ينفي التعطيل الذي يخالف الإسلام وهو ليس بملة ولو قال لا رحن أو لا برىء إلا الله أو آمن به المسلمون لم يكف كما قاله بعض المتأخرين خلافاً للحليمي ومن قال آمنت بالذي لا إله غيره لم يكن مؤمناً بالله لأنه قد يريد الوثن وكذا لا إله إلا الملك أو الرزاق لأنه قد يريد السلطان الذي يملك أمر الجند ويرتب أرزاقهم فإن قال آمنت بالله ولم يكن على دين قبل ذلك صار مؤمناً بالله فيأتي بالشهادة الأخرى وإن كان مشركاً لم يصير مؤمناً حتى يضم إليه وكفرت بما كنت أشركت به ومن قال بقدم غير الله كفى للإيمان بالله أن يقول لا قديم إلا الله كمن لم يقل به ومن لم يقل به يكفيه أيضاً الله ربى ذكر ذلك الشيخ الخطيب في شرح المنهاج

﴿ويزيد حتماً﴾ أي وجوباً ﴿من كفر بإنكار معلوم من الدين بالضرورة﴾ أي معلوم من أدلة ديننا علماً يشبه الضروري الذي لا يحتاج إلى نظر واستدلال بحيث استوى في معرفته العامة والخاصة قال الأخصري :

والنظري ما احتاج للتأمل * وعكسه هو الضروري الجلي

﴿اعترافه﴾ أي إقراره بالنصب مفعول يزيد ﴿بما كفره بإنكاره وندب لكل مرتد الاستغفار﴾ أي طلب المغفرة من الله تعالى بل يجب

﴿باب العلم﴾

﴿قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ أي ويرفع درجات العلماء منهم خاصة وقال الله عز وجل ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ أي لا يستويان

عليه الإقلاع عن كل ما وقعت به الردة وأن يتوب من كفره قال الإمام وإذا أسلم فليس إسلامه توبة من كفره وإنما توبته الندم على كل ما صدر منه من الكفر والعزم على أن لا يعود لمثله قال في الزواج ولا يتصور أن يؤمن ولا يندم على كفره بل تجب مقارنة الإيمان للندم على الكفر ثم وزر الكفر بسقط بالإيمان والندم على الكفر بالإجماع وهذا مقطوع به وما سواه من ضروب التوبة مظنون قبوله غير مقطوع به وقد اجمعت الأمة على أن الكافر إذا أسلم وتاب عن كفره صحت توبته وإن استدام معاصي أخرى كما دل عليه كلام الزركشي .

* خاتمة * لو ارتد الزوجان وهى حامل أو ارتد أحدهما قبل الحمل فالولد مسلم بالتبعية ولو انعقد بين المرتدين فله حكمهما فيكون مرتدا تبعا لهما فلا يسترق ولا يقتل حتى يبلغ فيستتاب فإن أصر قتل وخالف البلقيني فقال إنه مسلم كما صححه الرافعي أو بين مرتد وكافر أصلي فكأن أصلي تغليباً له لأنه يقر على دينه بخلاف المرتد فيقر بالجزية إن كان الأصلي ممن يقر بها كمن أحد أبويه مجوسي والأخرى وثني وإن كان كنياً فالولد كتابي كما في الأسنى وغيره .

﴿باب فضيلة طلب العلم وتعليمه ونشره وذم كمانه عمن يستحقه وذم

من أراد بعلمه غير وجه الله من الآيات والأخبار .

فمن الآيات ما ﴿قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم﴾ بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وإيوائهم غرف الجنان في الآخرة ﴿والذين أوتوا العلم درجات أي ويرفع درجات العلماء منهم﴾ أي من المؤمنين ﴿خاصة﴾ بما جمعوا من العلم والعمل فإن العلم مع علو درجته يقتضى للعمل المقرون به مزيد رفعه ولذلك يقتدى بالعالم في أفعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب قاله البيضاوي قال الحسن قرأ ابن مسعود هذه الآية وقال بأنها للناس أفهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم فإن الله تعالى يقول يرفع المؤمن العالم فوق المؤمن الذي ليس بعالم درجات وقال ابن عباس رضى الله عنهما في تفسيرها للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمئة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمئة عام والدرجة هى نحو المنزلة لكن يقال للمنزلة درجة إذا اعتبرت بالصعود دون الإمداد على البسطة كدرجة السطح والسلم ويعبر بها عن المنزلة الرفيعة وهى المراد هنا وفى هذه الآية تنبيه على تفاوت منازل العلوم وتفاوت أربابها ورفعة درجات أهل العلم والإيمان وقد أخبر الله سبحانه فى كتابه برفعة الدرجات العلى فهذه أربعة مواضع أحدها هذا والثانى قوله تعالى أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم والثالث قوله تعالى درجات منه ومغفرة ورحمة والرابع قوله فأولئك لهم الدرجات العلى فهذه أربعة مواضع فى ثلاثة منها الرفعة بالدرجات لأهل الإيمان الذى هو العلم النافع والعمل الصالح والرابع الرفعة بالجباد فعادت رفعة الدرجات كلها إلى العلم والجهاد اللذين بهما قوام الدين ذكره العلامة مرتضى الحسنى .

﴿وما ذكره المصنف بقوله﴾ قال الله تعالى عز وجل قل هل يستوي الذين يعلمون ﴿أي ما عند الله من الثواب والعقاب﴾ والذين لا يعلمون ﴿ذلك﴾ أي لا يستويان ﴿قال البيضاوي﴾ نفى لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نقيها باعتبار القوة العملية علو وجه أبلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للأول على سبيل التشبيه أى كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القاتون والعاصون انتهى ،

﴿وأخرج﴾ ابن عبد البر عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم
إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب *

قال الشهاب في حاشيته قوله وقيل تقرير للأول عطف على ما قبله بحسب المعنى إذ التقدير والذين يعلمون والذين لا يعلمون هم القاتون وغيرهم فيتحдан بحسب المعنى أو المراد بالثاني غير الأول وإنما ذكر على طريق التشبيه كأنه قيل لا يستوى القات وغيره كما لا يستوى العالم والجاهل فيكون ذكره على سبيل التمثيل ففيه تأكيد من وجه آخر كذا نقله الحسيني وأقره ومنها قوله عز وجل شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلاث بأهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا واجلا لا وبلا وقوله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء وقوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقوله تعالى قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به تنبيها على أنه اقتدر بقوة العلم وقوله عز وجل وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا من أن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم وقوله تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون وقوله عز وجل ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فانظر كيف رد حكمه في الوقائع إلى استنباطهم وألحق رتبهم برتبة الأنبياء في كشف حكم الله هذا من الآيات.

﴿و﴾ أما من الأخبار فما ﴿أخرج﴾ أي نقل أبو عمرو يوسف بن عبد الله ﴿ابن عبد البر﴾ التمرى القرطبي في العلم من رواية أبي عانكة ﴿عن أنس﴾ ﴿قال﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم أي الشرعى قال الحنفى سواء فرض العيني أو الكفائي أو المندوب وهو ما زاد على قدر ما يحتاج إليه في الإفتاء والتدريس ودفع الشبه وقوله ﴿ولو بالصين﴾ كناية عن الحث على طلبه ولو بحصول المشقة وقال المناوى أي ولو كان يمكن تحصيله بالرحلة إلى مكان بعيد جدا كمدينة الصين ولهذا سافر جابر بن عبد الله من المدينة إلى مصر في طلب حديث بلغه عن رجل بمصر قال العلامة الحسيني.

وهذا الحديث كما قاله البيهقي مشهور وأسانيده ضعيفة وأخرجه ابن عبد البر أيضا من رواية الزهري عن أنس وفي استاده يعقوب ابن اسحق العسقلاني فقد كذبه البيهقي قلت رواه من طريق عبيد بن محمد عن ابن عيينة عن الزهري قاله السخاوى وأخرجه ابن عبدى أيضا من رواية الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رفعه ثم قال هذا من وضع الجوبارى لابن كرام باطل بهذا الإسناد انتهى قلت وحديث أنس أيضا أخرجه الخطيب في الرحلة والديلمى في مسند الفردوس وزادا كاليهقي وابن عبد البر بآخره ﴿فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم﴾ أي فرض عين كالتوحيد والفقه وعلم أداب القلوب كالحسب والعجب والرياء أو فرض كفاية كالتفسير والحديث والطب لعموم نفعه وهذا ليس قيدا فمثله الأتى والحنثى لكن لما كان الغالب أن الرجال هم المقصدون لطلب العلم خصهم ونظير ذلك كثير كقوله ﷺ المحمل من سلم المسلمون من لسانه ويده إلى غير ذلك من الأخاديت قاله الديماطى وقال ﷺ ﴿إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب﴾ الأجنحة جمع جناح بالفتح وهو اللطائر بمنزلة اليد للإنسان ووضع أجنحتها عبارة عن حضورها بجلسه وتوقيره وتعظيمه أو إبعائه على بلوغ مقاصده أو قيامهم في كيد أعدائه وكفايته شرهم أو من تواضعها ودعائها له يقال للرجل المتواضع خافض الجناح قال السيد السهوى والأقرب كونه بمعنى ما ينظم هذه المعاني كلها كما يرشد إليه الجمع بين الفاظ الروايات.

وروى النوى في بستانه بسنده إلى زكريا الساجي كما تمشى في أزقة البصرة إلى بعض الحديثين فأسرعنا ومعنا رجل فاجر فقال ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها كالستهزي فما زال من موضعه حتى جفت رجلاه وسقط وروى محمد بن طاهر المقدسي بسنده إلى الإمام أبي داود قال كان في أهل الحديث خلع سمع بحديث أن الملائكة تضع الخ ف يجعل في نعله مسامير حديد وقال أريد أن أطأ أجنحة الملائكة فأصابته الاطلة في رجله وفي رواية فشلت يده ورجلاه وسائر أعضائه قال العراقي أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال هذا اللفظ لأحمد وفي رواية له ما من خارج يخرج من بيته إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يضع وهو لفظ ابن ماجه وقال الحاكم يضع وأخرجه الثلاثة وابن حبان من حديث أبي الدرداء وقالوا رضا لطالب العلم ليس فيه بما يضع وأخرجه الذهبي في كتاب العلم من رواية زياد بن ميمون عن أنس بمثله انتهى قلت أما حديث أنس فقد أخرجه ابن عساكر والطيالسي والبخاري والبيهقي ولفظهم طالب العلم تبسط له الملائكة أجنحتها رضا بما يطلب وأما حديث أبي الدرداء فقد أخرجه الإمام أحمد أيضا وابن ماجه وأما حديث صفوان فأخرجه الطيالسي أيضا ولفظه بما يطلب كما للمصنف.

وقرأت في إصلاح المستدرک للحافظ العراقي بخطه وقد ساق هذا الحديث من طريق الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا عمر عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن جيسن أتيت صفوان بن عسال المرادي فقال ما جاء بك قال قلت جئت لأطلب العلم قال فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من خارج يخرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رفعا بما يضع ثم قال وأخرجه الطبراني عن اسحق بن إبراهيم عن عبد الرزاق مثله وهو حديث صحيح أخرجه ابن ماجه عن محمد بن يحيى عن عبد الرزاق مقتصرا على المرفوع منه دون سؤال صفوان لزر عما جاء به وجوابه ورواه ابن حبان في صحيحه في ثلاثة أنواع عن ابن خزيمة عن محمد بن يحيى ومحمد بن رافع عن عبد الرزاق وقال في نوع منها وأخبرنا محمد بن اسحق بن خزيمة بخبر غريب ورواه الحاكم عن محمد بن يعقوب الأصم عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن أبي وهب عن معاوية بن صالح عن عبد الوهاب ابن بخت عن زر عن صفوان قوله غير مرفوع وزاد في آخره حتى يرجع وقال هذا إسناد صحيح فان عبد الوهاب ابن بخت من ثقات المعربين وثباتهم وقد احتج به ولم يخرجنا هذا الحديث قال ومدار هذا الحديث على عاصم عن زر وله عن زر شهود ثقات غير عاصم منهم المنهال بن عمرو وقد اتفقا عليه ثم رواه من رواية عارم عن الصعق ابن حزر عن علي بن الحكم عن المنهال بن عمرو عن زر بن جيسن قال جاء رجل من مراد يقال له صفوان بن عسال إلى رسول الله ﷺ فذكره مرفوعا لكنه مرسل كما سيذكره بعد ثم قال الحاكم وقد خالفه شيبان ابن فروج فقال حدثنا الصعق بن حزر حدثنا علي بن الحكم البنانى عن المنهال بن عمرو عن زر بن جيسن عن عبد الله بن مسعود قال حديث صفوان بن عسال المرادي قال أتيت رسول الله ﷺ وهو في قبة من ادم احمر فقلت يا رسول الله إني جئت اطلب العلم فقال مرحبا بطالب العلم إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها ثم يركب بعضها بعضا حتى يلبفوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب قال هذا رجاله محتج بهم في الصحيح إلا أن ذكر ابن مسعود فيه نوع من المزبد في متصل الأسانيد وقال وقد صرح زر بسأعه له من صفوان ويحتمل أنه سمعه من ابن مسعود عن صفوان ثم سمعه من صفوان ثم قال الحاكم وقد أوقف هذا الحديث جماعة منهم أبو حبان الكلبي عن طلحة بن مصرف عن زر ثم رواه من رواية الحسن بن صالح عن أبي خباب موقوفا على صفوان والذي أسنده أحفظ والزيادة منهم مقبولة وهذا حديث صحيح وقد أورد العراقي على الحاكم في هذا السياق ثمان مؤاخذات تركها خوف الإطالة كذا ذكره الحسيني.

والديلمي عن ابن عباس طلب العلم ساعة خير من قيام ليلة وطلب العلم يوما خير من صيام ثلاثة أشهر * والترمذي عن
سخبرة من طلب العلم كان كفارة لما مضى والثوري عن عائشة رضي الله عنها من انتقل ليتعلم علما غفر له قبل أن يخطو * وابن
عساكر والديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما خير سليمان عليه السلام بين المال والملك والعلم فاختر العلم فأعطى الملك والمال
لاختياره العلم *

﴿ و ﴾ أخرج ﴿ الديلمي ﴾ في مسند الفردوس ﴿ عن ابن عباس ﴾ رضي الله عنهما بإسناد ضعيف كما في العزري
﴿ طلب العلم ساعة ﴾ واحدة ﴿ خير من قيام ليلة ﴾ أي التهجد ليلة كاملة ﴿ وطلب العلم يوما ﴾ واحدا ﴿ خير من صيام ثلاثة أشهر ﴾
غير رمضان لأن نفع العلم متعد وصحة العبادة تتوقف عليه قال المناوي هذا فيمن طلب علما شرعيا ليعمل به .
* تنبيه * قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى لا بد للعبد من العلم والعمل لكن العلم أولى بالتقديم وأخرى بالتعظيم لأنه
الأصل المرفوع والدليل المستوعب فيجب تقديمه كما أنه يجب أن يعرف المعبود ثم يعبده وكيف تعبد من لا تعرف ولأنه يجب أن تعلم ما يلزمك
فعله من الواجبات الشرعية على ما أمرت به .

* فائدة * قال بعضهم من ذهب إلى عالم وجلس عنده ولم يتدر على حفظ شيء مما قاله أعطاه الله سبع كرامات أولها ينال
فضل المعلمين وثانيها ما دام عنده جالسا كان محبوبا عن الذنوب والخطايا وثالثها إذا خرج من منزله نزلت عليه الرحمة ورابعها إذا جلس
عنده نزلت الرحمة على العالم فتصيبه بركه وخامسها تكب له الحسنات ما دام مستعيا وسادسها تحفه الملائكة بأجنتها وسابعها كل
قدم يرفعهما ويضعها تكون كفارة للذنوب ورفعا للدرجات وزيادة في الحسنات وأما الذي يحفظ فله أضعاف ذلك مضاعفة وقال بعضهم
ولم يكن لحضور مجلس العلم منفعة سوى النظر إلى وجه العالم لكان واجبا على العاقل أن يرغب فيه فكيف وقد أقام النبي ﷺ العلماء
مقام نفسه فقال من زار عالما فكأنما زارني ومن صافح عالما فكأنما صافحني ومن جالس عالما فكأنما جالسنى ومن جالسنى في
الدنيا أجلسه الله تعالى معي يوم القيامة في الجنة .

﴿ و ﴾ أخرج ﴿ الترمذي ﴾ عن سخبرة من طلب العلم كان كفارة لما مضى ﴿ من ذنوبه ﴾ ﴿ و ﴾ أخرج ﴿ الفيرازي ﴾ في الألقاب
﴿ عن عائشة رضي الله عنها من انتقل ﴾ أي تحول ماشيا أو راكبا من محله إلى محل آخر ﴿ ليتعلم علما ﴾ من العلوم الشرعية ﴿ غفر له ﴾
أي ما تقدم من ذنوبه الصغائر ﴿ قبل أن يخطو ﴾ أي خطوة من موضعه إذا أراد بذلك وجه الله تعالى قال الحنفى فيغفر له بمجرد نيته
الذهاب لطلب العلم قبل أن يسمى بالفعل .

﴿ و ﴾ أخرج ﴿ ابن عساكر والديلمي ﴾ عن ﴿ ترجمان القرآن عبد الله ﴾ ﴿ ابن عباس رضي الله عنهما ﴾ بإسناد حسن كما قاله
الزبيدي وقال العزري حديث ضعيف ﴿ خير سليمان ﴾ بن داود بن إيسا ﴿ عليه الصلاة والسلام بين المال والملك والعلم فاختر العلم ﴾
دونهما لأنه نظر إلى العلم فرآه باقيا إلى الأبد ورأى المال والملك عارضين زائلين فاختر الباقي على الفاني ﴿ فأعطى ﴾ بالبناء للمفعول أي
أعطاه الله ﴿ الملك والمال ﴾ زيادة على ما اختاره ﴿ لاختياره العلم ﴾ وذلك لحسن نظره وإخلاصه عليه الصلاة والسلام ولذلك أثنى الله
عليه في كتابه فقال وورث سليمان داود واتفق المفسرون على أن هذه الوراثة هي النبوة والعلم وهذا هو المناسب للجلالة بمقام الأنبياء .

والطبراني عن أبي أمامة أنما ناش نشأ في طلب العلم والعبادة حتى يكبر أعطاه الله يوم القيامة ثواب اثنين وسبعين صديقا * وابن نجار عن أنس العلماء ورثة الأنبياء يحبهم أهل السماء ويستغفر لهم الحيان في البحر إذا ماتوا إلى يوم القيامة * والبخاري عن معاوية من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين *

﴿ وأخرج ﴾ الطبراني ﴿ في المعجم الكبير من رواية يوسف بن عطية قال حدثنا مرزوق أبو عبد الله الحمصي عن مكحول ﴿ عن أبي أمامة ﴾ رفعه ﴿ أنما ناش ﴾ وفي رواية ناش ﴿ نشأ في طلب العلم ﴾ على الشرعى وما كان آله قاصدا بطلبه ونجى الله وقوله ﴿ ولا عبادة ﴾ تعم بعد تخصيص ويستمر في ذلك ﴿ حتى يكبر ﴾ بفتح الباء أى يطعن فى السن ويموت على ذلك ﴿ أعطاه الله يوم القيامة ثواب اثنين وسبعين صديقا ﴾ بكسر الصاد وتشديد الدال المكسورة أى مثل ثوابهم أجمعين ويوسف بن عطية الصغار منكر الحديث ورواه الطبراني فى مسند الشاميين من رواية أبي سنان الشامي عن مكحول مقتصرا على ذكر العبادة وقال أجرة تسعة وتسعين صديقا وأبي سنان هو العسقلاني مختلف فيه قاله الزبيدي وفيه فضل طلب العلم وعن أنس ابن مالك عن النبي ﷺ أنه قال ستعلم كسلان يعنى لا يجتهد فى طلب العلم أفضل عند الله من سبعمائة عابد مجتهد وقال ﷺ من طلب العلم وأدركه كان له ككل من الأجر وقال عليه الصلاة والسلام من كانت همته فى طلب العلم سمي فى السماء نيا وكب الله له بكل شعرة فى جسده ثواب نبي وكأنا أعتق بكل قدم رقبة وبنى الله له بكل عرق فى جسده مدينة فى الجنة ويدخل مع النبيين بغير حساب ذكره الجرداني ..

﴿ وأخرج ﴾ ابن النجار ﴿ فى تاريخه ﴾ عن أنس ﴿ العلماء ﴾ أى علوم الشرعية من فقه وحديث وتفسير وروثة الأنبياء ﴿ قال الخطيب وإنما سمي العلماء ورثة الأنبياء لقوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية ﴾ يحبهم أهل السماء ﴿ أى سكانها من الملائكة وتستغفر لهم الحيان فى البحر إذا ماتوا ﴾ إلى يوم القيامة ﴿ وكذا فى حياتهم وخص الموت بذلك لأنه أخرج إلى طلب الاستغفار كذا قاله الحفنى قال الزبيدي الحديث الأول وهو العلماء ورثة الأنبياء أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من حديث أبي الدرداء قاله العراقى وقال السخاوى فى المقاصد رواه أحمد وأبو داود والترمذى وآخرون عن أبي الدرداء مرفوعا بزيادة أن العلماء لم يرثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم وصححه ابن حبان والحاكم وغيرهما وحسنه حمزة الكنانى وضعفه غيرهم لكن له شواهد يقوى بها ثم قال السخاوى ولفظ الترجمة عند الديلمى من حديث محمد بن مطرف عن شريك عن أبي اسحق عن البراء بن عازب بزيادة الحديث الثانى وهو يحبهم أهل السماء وتستغفر لهم الحيان فى البحر إذا ماتوا وكذا ورد لفظ الترجمة بلا سند عن أنس بزيادة وإنما العالم من عمل يعلمه انتهى وعمل زيادة الديلمى عن البراء أورده ابن النجار فى تاريخه عن أنس كـ تقدم للمصنف وذكر الأجهورى فى شرح مختصر البخارى ما نصه إنما خص الموت بالذكر لكونه لسانا له وما لسان له ربما يتوهم عد استغفاره لمعلم الخير بخلاف غيره من الحيوان فإنه وإن صغر له لسان انتهى .

فان قلت ما الحكمة فى أن الله تعالى خلق كل مخلوق بلسان بعضها ناطق وبعضها غير ناطق وليس للسك لسان أصلا فالجواب لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام وأمر الملائكة بالسجود له فسجدوا كلهم إلا إبليس لعنه الله تعالى وأخرجه من الجنة ومسحه فأهبط إلى الأرض فجاء إلى البحار فأول من رآه السك فأخبرهم بخلق آدم عليه السلام وقال إنه يسطاد يأخذ دواب البر والبحر فجعلت السك تخبر خلق البحر بخلق آدم تقول لا أمان لنا بعد هذا فى هذا الماء فذهب الله تعالى لسانها قاله الخطيب عن تحفة المسائل .

﴿ وأخرج ﴾ البخارى ﴿ ومسلم ﴾ عن معاوية ﴿ من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ﴾ وكذا أخرجه الإمام أحمد .

والطبراني والبيهقي عن أبي هريرة ما عبد الله بشيء أفضل من الفقه في الدين

طريقه والترمذي وأحمد أيضا عن ابن ماجه عن أبي هريرة قال قال ابن حجر وقد أخرجه أبو يعلى من حديث معاوية من وجه آخر ضعيف وزاد في آخره ومن لم يفقهه في الدين لم ينل الله به وفي الصحيحين ومسنده أحمد بعد قوله في الدين زيادة إنما أنا قاسم والله يعطى ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله عز وجل قال بعض الشراح إن لم نقل بعموم من فالأمر واضح إذ هو في قوة بعض من أريد له الخير وإن قلنا بعمومها يصير المعنى كل من يراد به الخير وهو مشكل بمن مات قبل البلوغ مؤمنا ونحوه فإنه قد أريد به الخير وليس بفقير ويحاج بأنه عام مخصوص كما هو أكثر العمومات أو المراد من يرد الله به خيرا خاصا على حذف الصفة انتهى قال الشيخ أبو الحسن السندی في حاشية البخاري الوجه حمل الخير على العظيم على أن التنكير للتعظيم فلا إشكال على أنه يمكن حمل الخير على الإطلاق واعتبار تنزيل من لم يفقه في الدين منزلة العدم بنسبته إلى الفقيه في الدين فيكون الكلام مبني على المبالغة كأن من لم يعط الفقه في الدين ما أريد به الخير وما ذكر من الوجوه لا يناسب لمقصود ويمكن حمل من على المكلفين لأن كلام الشارع غالبا يتعلق ببيان أحوالهم فلا يرد من مات قبل البلوغ أو أسلم ومات قبل بحجى وقت الصلاة مثلا أي قبل تقرر التكليف إلخ الله أعلم انتهى.

وقال القسطلاني قوله يفقهه أي يجعله فقيها في الدين والفقه لغة الفهم والحمل عليه هنا أولى من الاصطلاح ليعم فيهم كل علم من علوم الدين ومن في الحديث موصولة تضمنت معنى الشرط وخير نكرة في سياق الشرط فتصير كالنكرة في سياق النفي أي جميع الخيرات انتهى وفيه أمران الأول ما ذكره في أن من موصولة وانها تضمنت معنى الشرط وهو صريح في أنها عوملت معاملة في الجزم بها وكلام المغنى صريح بخلافه حيث قال من على أربعة أوجه شرطية واستفهامية وموصولة ونكرة موصوفة ثم قال يقول من يكرمنى أكرمه فيحمل من الأوجه الأربعة أن قدرتها شرطية جازمت الفعلين أو موصولة أو موصوفة رفعتها أو استفهامية رفعت الأول وجزمت الثاني لأنه جواب بغير الفاء انتهى والحديث محتمل الموصول والموصوف والنكرة الموصوفة أيضا قائل والثاني أن النكرة في سياق النفي أو الشرط لا تعم بهذا الوجه أي بأن يراد بها جميع الأفراد مرة واحدة وإنما تعم بمعنى من يرد الله به خيرا أي خيرا كان كما يقال جاءني رجل أو أحد من الرجال وأيضا من يرد الله به جميع الخيرات يفقهه في الدين يفيدان خياره جميع الخيرات لا تتم بلا فقه في الدين فإنه أمر ظاهر ولا يفيدان الفقه في الدين لبيان كيفية إعطاء جميع الخيرات الذي يتضمنه الشرط والجزاء قد يقصد به ذلك قائل قال ابن القيم وهذا إذا أريد بالفقه العلم المستلزم للعمل وأما إن أريد به مجرد العلم فلا يدل على أن من فقه في الدين أراد به خيرا فإن الفقه حينئذ يكون شرطا لإرادة الخير وعلى الأول يكون موجبا قال الخطيب الشربيني وهذا الحديث من أقوى الدلائل على الحكم على طالب العلم بإذن الله أراداه واصطفاه لأن إرادة الله الخير بالإنسان منبئة عنا روى أن عمر رضي الله عنه كان لا يخاطب خطبة إلا قال من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين يأتيا الناس تفقهوا وزود في بعض طرق صحيح الحديث بعد قوله يفقهه في الدين ويلهمه رشده كما في الجامع الصغير قال المناوي في شرحه وكان جدي الشرف المناوي إذا أراد الذهاب إلى الدرس وقف زمنا يستحضر فيه الإخلاص والتخلي عن الشوائب الدنيوية ثم يمضي.

﴿و﴾ أخرج الطبراني والبيهقي عن أبي هريرة ﴿ما عبد الله﴾ ما نافية وعبد بضم العين مبني للمفعول ﴿بشيء﴾ أي بعبادة من العبادات ﴿أفضل﴾ هو مجرور بالفتحة صفة لشيء ويجوز رفعه على الخبرية بمبتدأ محذوف والجملة في محل جر صفة لشيء أيضا ﴿من الفقه في الدين﴾ لأن أداء العبادات يتوقف على معرفة الفقه إذ الجاهل لا يدري كيف يتقى لا في جانب الأمر ولا في جانب

ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه

النهى وبذلك يظهر فضل الفقه وتميزه عن سائر العلوم بكونه أهمها وإن كان غيره أشرف والمراد بالفقه المتوقف عليه ذلك ما لا رخصة للمكلف في تركه دون ما لا يقع إلا نادرا أو نحو ذلك.

وذهب بعض الصوفية إلى أن المراد بالفقه هنا المعنى اللغوي فقال هو الفهم وإنكشاف الأمور والفهم هو العارض الذي يعترض في القلب من النور فإذا عرض انفتح بصر القلب فرأى صورة الشيء في صدره حسنا كان أو قبيحا فالانفتاح هو الفقه والعارض هو الفهم فإذا فهم سر معاملات الله هانت عليه الكلفة وعبد الله بانسراح وانسباط وذلك أفضل العبادات بلا ريب قاله الحسيني عن المناوي ﴿ولفقيه واحد﴾ أي عالم بعلوم الشريعة الظاهرة والباطنة حتى عرف كيد الشيطان واطلع على وسائل النفس فأتقنها وعرف غورها وغايتها كذا ذكره العناني فعلم أن المراد به العارف بالله تعالى لا العارف بالبيع والشراء والطلاق والعناق ولا المدرس لأبواب الفقه فيعزز ويكرم إذ هذا قد استحوذ عليه الشيطان واستضواه الطغيان وأصبح يعاجل حظه مشغوبا فصار يرى المعروف منكرا والمنكر معروفا نقله الديلمياطي عن الغزالي وأقره ﴿أشد على الشيطان﴾ أي لأن الشيطان كلما فتح بابا على الناس من الهوى بين الفقيه العارف مكايده فيسد ذلك الباب ويرده خاسئا ولذا نقل عن بعضهم أن موت العالم أحب إلى إبليس من سبعين عابدا كما قاله المناوي ﴿من ألف عابد﴾ أي غير فقيه لأن ذلك العابد لعدم ما عنده من الفقه المتقدم ربما يبادر للزينة التي زينها له الشيطان لأنه لا يعرف كيده ومكره فيظن أن ذلك حسن فلا تنفعه مع ذلك عبادته ولا يحفظه عن وسائل الشيطان قاله الديلمياطي.

قال الذهبي وهذا الحديث لو صح نص في الفقيه الذي تبصر في العلم ورقى إلى درجة الإجهاد وعمل بعلمه لا كفقيه اشتغل بمحض الدنيا ﴿ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه﴾ ويان هذا الحديث أنه أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو بكر الأثيري في فضل العلم وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث أبي هريرة بأسناد ضعيف والترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس بسند ضعيف فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد قاله العراقي قال الشيخ مرتضى الحسيني كل جملة من الثلاثة حديث مستقل أما الأولى منها فقد أخرج البيهقي في شعب الإيمان من رواية عيسى بن زياد الدورقي حدثنا مسلمة بن ثقب عن نافع عن ابن عمر رفعه ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين وقال تفرد به عيسى بن زياد بهذا الإسناد قال وروى من وجه آخر ضعيف والمحفوظ هذا اللفظ من قول الزهري وفي بعض روايته ما عبد الله بشيء أفضل وأما قول الزهري فقد أخرجه أبو نعيم في الحلية من رواية هشام بن يوسف حدثنا معمر عن الزهري قال ما عبد الله بأفضل من العلم. وأما الثانية فقد أخرج الترمذي وابن ماجه عن ابن عباس كما قاله العراقي ولفظ ابن ماجه فقيه واحد من غير لام ولفظ الترمذي فقيه أشد من غير ذكر واحد.

أما الترمذي فقد أخرجه في كتاب العلم وابن ماجه في كتاب السنة من بسنها وقال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه أي من رواية الوليد بن مسلم عن روح بن جناح عن مجاهد عن ابن عباس وأورده ابن الجوزي في العلل وقال لا يصح والمتهم به روح بن جناح قال أبو حاتم يروى عن الثقات ما لم يسمعه من ليس متبحرا في صناعة الحديث شهد له بالوضع انتهى. وأورد الحديثين معا جماعة وهم الثلاثة الذين ذكرهم العراقي أنا والبيهقي في الشعب والدارقطني في السنن والقضاعي في مسند الشهاب وأحمد بن منيع في مسنده كلهم من حديث يزيد بن عياض عن صفوان بن سليم عن سليمان بن يسار عن أبي هريرة مرفوعا ويزيد بن عياض قال فيه النسائي متروك وقال ابن معين لا يكتب حديثه وقال الشيخان منكر الحديث وقال مالك هو أكذب من ابن سميان وقال العدني في مسنده حدثنا

وابن النجار عن محمد بن علي ركنان من عالم أفضل من سبعين ركعة من غير عالم * وأبو نعيم والخطيب عن أبي هريرة خيار أمتي علماؤها وخير علمائها رحاؤها ألا وإن الله تعالى يغفر للعالم أربعين ذنبا قبل أن يغفر للجاهل ذنبا واحدا ألا وأن العالم الرحيم يحيي يوم القيامة وإن نوره قد أضاء يمشي فيه ما بين المشرق والمغرب كما يضيء الكواكب الدري * والدبلي عن ابن عباس إذا مات العالم صور الله علمه في قبره يؤنسه إلى يوم القيامة ويدركه

يوسف بن خالد البصري عن مسلم بن قصب عن نافع عن ابن عمر رفعه ما عبد الله بشيء أفضل من تقه في دين وفي المقاصد قال الطبراني لم يرويه عن صفوان إلا يزيد وسنده ضعيف وللعسكري من حديث الوليد بن مسلم حدثنا راشد بن جناح عن مجاهد عن ابن عباس رفعه الفقيه الواحد أشد على إبليس من ألف عابد ورواه الترمذي وقال غريب وابن ماجه والبيهقي ثلاثهم من جهة الوليد بن مسلم فقال عن روح بن جناح بدل راشد ولفظه فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد وسنده ضعيف لكن يتأكد أحدهما بالآخر وفي الفردوس للدبلي بلا سند عن ابن مسعود رفعه لعالم واحد أشد على إبليس من عشرين عابدا . وأما الجملة الثالثة فقد روى الخطيب في تاريخه من طريق الأعرج عن أبي هريرة ولفظه أن لكل شيء دعامة ودعامة هذا الدين الفقه وأخرج أحمد بن منيع في مسنده من طريق زياد بن عياض عن صفوان بن سليم عن سليمان بن يسار عن أبي هريرة رفعه لكل شيء عماد وعماد الدين الفقه وأخرج أبو نعيم في الحلية من هذه الطريق ولفظه ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين قال وقال أبو هريرة لأن اتقته ساعة أحب إلى من أن أحيا ليلة حتى أصبح أصلها ولفظه أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شيء دعامة ودعامة هذا الدين الفقه .

* تنبيه * في هذا الحديث نوع لطيف من أنواع البديع يسمى بالتأسيس والتفريع وذلك أن يمهّد قاعدة كلية لما يقصده المتكلم ثم ترتب عليها المقصود كقوله ﷺ لكل شيء قلب وقلب القرآن يس رواء الترمذي عن أنس وقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن ماجه عن أنس لكل دين خلق وخلق هذا الدين الحياء قال في عقود الجمان :

وقد وجدت مقصدا بديعا ✽ سمية التأسيس والتفريعا

قاعدة كلية يمهدها ✽ يبنى عليها شعبة يقصدها

مثاله لكل دين خلق وخلق ذي الدين الحياء الموفق ✽ وأخرج ابن النجار عن محمد بن علي ✽ مرسلا ✽ ركنان من عالم ✽ أي عامل بعلمه ✽ أفضل من سبعين ركعة من غير عالم ✽ لأن الجاهل بكيفية العبادة لا تصح عبادته وإن صدقت الصحة وهذا حديث حسن لغيره كما في العززي ✽ وأخرج أبو نعيم والخطيب عن أبي هريرة ✽ والقضاعي عن ابن عمر بإسناد ضعيف وقال الحفص هذا الحديث متكلم فيه بالوضع وإن كان معناه واردا إذ فضل العلماء ثابت ✽ خيار أمتي علماؤها ✽ العاملون بعلمهم ✽ وخيار علماءها رحماؤها ✽ لكثرة النفع بهم ونشر العلم عنهم ✽ ألا ✽ بالتخفيف حرف تنبيه ✽ وإن الله تعالى يغفر للعالم العامل ✽ أربعين ذنبا قبل أن يغفر للجاهل ✽ البذي هكذا ثبت في رواية من عزى المؤلف الحديث لتخرجه ولعله سقط من قلمه والمراد غير المعذور في جهله كذا قاله العززي ✽ ذنبا واحدا ✽ إكراما للعلم وأهله الظاهر أن المراد بالأربعين الكثير ✽ ألا وأن العالم الرحيم ✽ بخلق الله ✽ يحيي يوم القيامة وأن نوره ✽ أي نور علمه ✽ قد أضاء له يمشي فيه ✽ أي مقدار ✽ ما بين المشرق والمغرب كما يضيء الكواكب الدري ✽ أي الأبيض في السماء والظاهر أن فاعل يمشي ضمير يعود على العالم .

✽ وأخرج الدبلي عن ابن عباس ✽ رضى الله عنهما ✽ إذا مات العالم صور الله علمه في قبره يؤنسه إلى يوم القيامة ويدركه ✽

عنه هوام الأرض * وأبو الشيخ والديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما إذا اجتمع العالم والعابد على الصراط قيل للعابد ادخل الجنة وتنعم بعبادتك وقيل للعالم قف هنا فاشفع لمن أحبيت فانك لا تشفع لأحد إلا شفعت فقام مقام الأنبياء * والخطيب عن عثمان رضي الله عنه أول من يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء وهو عن أنس فضل العالم على غيره كفضل النبي على أمته *

أى يدفع ﴿عنه﴾ أى عن العالم ﴿هوام الأرض﴾ جمع هامة مثل دابة ودواب ماله سم يقتل كالحية قاله الأزهرى وقد تطلق الهوام على ما لا يقتل كالحشرات ومنه حديث كعب بن عجرة وقد قال له عليه الصلاة والسلام أيؤذك هوام رأسك والمراد القمل على الاستعارة بجامع الأذى.

﴿و﴾ أخرج ﴿أبو الشيخ﴾ عبد الله بن حبان فى كتاب الثواب ﴿والديلمي﴾ فى مسند الفردوس وكذا أبو نعيم ﴿عن ابن عباس رضي الله عنهما إذا اجتمع العالم بالعلم الشرعى النافع ﴿والعابد﴾ أى القائم بوظائف العبادات وهو جاهل بالعلم الشرعى أى بما زاد على الفرض العين منه ﴿على الصراط﴾ هو جسر ممدود على من جهنم أوله الموقف وآخره باب الجنة يردّه الأولون والآخرون فالمرور عليه هو ورود النار المذكور فى قوله تعالى وإن منكم إلا واردها كما رجحه النووي لأن جهنم بين الموقف والجنة أرق من الشعر وأحد من السيف مثل حد موسى كما ورد فى الحديث ﴿قيل﴾ أى يقول بعض الملائكة أو من شاء الله من خلقه بأمره ﴿للعابد﴾ أدخل الجنة ﴿أى برحمة الله وترفع لك الدرجات فيها بملكك﴾ وتنعم ﴿بتشديد العين﴾ بعبادتك ﴿أى سبب عمالك الصالح فإنه قد تفعلك لكنه قاصر عليك﴾ وقيل للعالم قف هنا ﴿أى عند الصراط﴾ واشفع لمن أحبيت ﴿أى أردت أن تشفع له سواء سبقت محبته له فى الدنيا أولا قاله الحنفى﴾ فانك لا تشفع لأحد ﴿أى ممن أذن لك فى الشفاعة له﴾ إلا شفعت ﴿أى قبلت شفاعتك جزاء لك على الإحسان إلى عباد الله بملكك أشار به كما قاله الحنفى عن الأجهورى إلى شرف العالم على غيره مثل العابد ووجهه أن نفعه متعد منه إلى غيره والعابد نفعه قاصر عليه وفيه حث للأمة على الإشتغال بالعلم وتحصيله والمراد بالعالم من يعمل بعلمه وإلا فلا يكون شافعا بل ليه يشفع فى نفسه وأنى له ذلك ﴿فقام مقام الأنبياء﴾ فى كونه فى الدنيا هاديا للإرشاد وفى العقبى شافعا فى المعاد قال العزيمى وهذا حديث ضعيف.

﴿و﴾ أخرج المهرمبى فى كتاب فضل العلم والعلماء و﴿الخطيب﴾ البغدادى فى تاريخه ﴿عن عثمان﴾ بن عفان ﴿أول﴾ من يشفع يوم القيامة ﴿عند الله﴾ الأنبياء والعلماء بالعلوم الشرعية العاملون بعلمهم ﴿ثم الشهداء﴾ الذين بذلوا أنفسهم لإعلاء كلمة الله قال الحنفى أى فى معركة الكفار فالعلماء مقدمون عليهم فى الشفاعة وهذا حديث ضعيف متجبر كما قاله العزيمى قال صاحب القوت وقدم العلماء على الشهداء لأن العالم إمام أمة فله مثل أجور أمته والشهيد عمله لنفسه انتهى . ولما كان العلماء يحسنون إلى الناس بعلمهم الذى أفنوا فيه نفائس أوقاتهم أكرمهم الله تعالى بولاية مقام الإحسان إليهم فى الآخرة بالشفاعة فيهم جزاء وفاقا وأخذ بقضية هذا الخبر جمع فصرحوا بأن العلم أفضل من القتل فى سبيل الله لأن المجاهد وكل عامل إنما يتلقى عمله من العالم فهو أصله وأسسه وعكس آخرون وقد رويت أحاديث من الجانين وفيها ما يدل للفرق وقال ابن الزمكاكنى وعندى أنه يجب التفضيل وإن حمل على بعض الأحوال أو بعض الأشخاص كل بدليل قاله القرطبى ﴿وهو﴾ أى وأخرج الخطيب البغدادى أيضا ﴿عن أنس﴾ فضل العالم على غيره كفضل النبي على أمته ﴿لأنه وارثه وقائم مقامه فى التبليغ والهداية.

وعن جابر أكرموا العلماء فإنهم ورثة الأنبياء فمن أكرمهم فقد أكرم الله ورسوله * وابن عساكر عن أبي سعيد من علم آية من كتاب الله أو بابا من علم أنى الله أجره إلى يوم القيامة * وابن ماجه عن معاذ بن أنس من علم علما فله أجر من عمل به ولا ينقص من أجر العامل * وأحمد عن معاذ لأن يهدي الله بك رجلا خيرا لك من الدنيا وما فيها * وابن النجار عن ابن عباس الندو والرواح

﴿و﴾ أخرج الخطيب ﴿عن جابر﴾ ﴿أكرموا العلماء﴾ العاقلين بأن تعاملوهم بالإجلال والإعظام والتوقير والإحترام والإحسان إليهم بالقول والفعل ﴿فإنهم ورثة الأنبياء﴾ فمن أكرمهم فقد أكرم الله ورسوله ﴿قال العزيزي حديث ضعيف لكن يعضده حديث أكرموا العلماء فإنهم ورثة الأنبياء﴾ أخرجه ابن عساكر عن ابن عباس باسناد ضعيف ﴿و﴾ أخرج ﴿ابن عساكر﴾ في تاريخه ﴿عن أبي سعيد﴾ الحدرى رضي الله عنه ﴿من علم﴾ غيره بالتشديد ﴿آية من كتاب الله أو بابا من علم﴾ شرعى ﴿أنى الله أجره إلى يوم القيامة﴾ فلا ينقطع بموته ﴿و﴾ أخرج ﴿ابن ماجه عن معاذ بن أنس﴾ واسناده حسن ﴿من علم﴾ بفتح اللام المشددة ﴿علما﴾ أى شرعيا ﴿فله أجر من عمل﴾ أى كأجره ﴿به﴾ أى بمقتضى العلم ﴿ولا ينقص﴾ الأجر الحاصل له ﴿من أجر العامل﴾. وأخرج ﴿أحمد عن معاذ لأن يهدي الله بك رجلا خيرا لك﴾ بفتح اللام الموحدة للقسم وإن وصلت في تأويل مصدر مبتدأ وخبر خبره أى والله هداية الله بك رجلا مثلا فذكره وصف طردى للإخراج المرأة والاقتصار على الواحد من الاقتصار على أقل الشئ أى هدايته بتعلمه مسئلة في دينه وهذا يدل على فضل العلم والتعليم وشرف منزلة أهله بحيث أنه إذا اهتدى به رجل واحد كان خيرا له من الدنيا وما فيها فما الظن بمن يهتدى به كل يوم طوائف من الناس أفاده الخطيب الشيرينى ﴿من الدنيا وما فيها﴾ أى نعيم ثواب ذلك خير من كل ما ينعم به فى الدنيا أو أفضل من التصديق بجميع ما فى الدنيا لو ملك وفى نسخة خيرا لك من حمر النعم وهذا رواه أحمد فى مسنده قال حدثنا ابن شريح حدثنى بقية حدثنى ضبارة بن عبد الله عن دريد بن نافع عن معاذ بن نافع عن معاذ بن جبل أن النبى ﷺ قال له يا معاذ لأن يهدي الله على يديك رجلا من أهل الشرك خيرا لك من أن تكون لك حمر النعم واسناده منقطع لأن دريد بن نافع لم يسمع من أحد من الصحابة إنما أنسل عنهم وفى الباب عن سهل بن سعد ورواه البخارى والمسلم والنسائى من رواية أبى حازم عن سهل بن سعد فى قصة بعث النبى ﷺ على بن أبى طالب إلى خيبر وفى آخره فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خيرا لك من أن تكون لك حمر النعم قاله العراقي قال الزيدى ولفظ البخارى فى الصحيح حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبى حازم أخبرنى سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فذكر الحديث فى طلبه عليا وأعطاه الراية فيه قال على يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال أقعد على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم أدعهم إلى الإسلام وأخبرنى بما يجب عليهم من حق الله فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خيرا لك من أن تكون لك حمر النعم.

وأخرج الطبرنى والترمذى عن أبى رافع قال بعث رسول الله ﷺ عليا إلى اليمن فعقد له لواء فلما مضى قال يا أبا رافع الحق ولا تدعه من خلفه وليقف ولا يلتفت حتى أجيئه فأتاه وأوصاه بما شاء وقال لأن يهدي الله على يديك رجلا خيرا لك بما طلعت عليه الشمس وغربت قال البيهقى فيه يزيد بن زياد مولى ابن عباس ذكره المزي فى الرواية عن أبى رافع وابن حبان فى الثقات وأخرج أبو داود عن سهل بن سعد بلفظ والله لأن يهدي الله بك رجلا خيرا لك من حمر النعم.

﴿و﴾ أخرج أبو مسعود الاصبهانى فى معجمه و﴿ابن النجار﴾ فى تاريخه والديلمى فى مستند الفردوس ﴿عن ابن عباس﴾ رضى الله عنهما ﴿الندو﴾ أى الذهاب أول النهار ﴿والرواح﴾ أى الذهاب آخره.

إلى المساجد في تعليم العلم أفضل عند الله من الجهاد في سبيل الله *

إلى المساجد في تعليم العلم الشرعي ﴿ أفضل عند الله من الجهاد في سبيل الله ﴾ لأن الجاهد يقاتل قوماً مخصوصين في قطر مخصوص والعالم حجة الله على المعارض في سائر الأقطار ويده سلاح العلم يقاتل به ولهذا سماه الزيدى الجاهد الأكبر ومن الآثار قول علي بن أبي طالب عليه السلام العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإتقان قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة ونقله الزيدى ولزكاة العلم طريقان أحدهما تعليمه والثاني العمل به فإن العمل به أيضا ينجمه ويكبره وقوله عليه السلام والمال تنقصه النفقة لا ينافي قوله عليه السلام ما نقصت صدقة من مال فإن المال إذا تصدقت منه وانفقت ذهب ذلك القدر وأما العلم فكالمتبسط من النار لو اقتبس منها العالم لم يذهب منها شيء بل يزيد ثم قال وفضل العلم على المال يعرف بوجوه سوى الأوجه الثلاثة التي ذكرها أمير المؤمنين: أحدها أن العلم ميراث الأنبياء والمال ميراث الملوك والأغنياء. الثاني أن صاحب المال إذا مات فارقه ماله والعلم يدخل مع صاحبه قبره. الثالث أن المال يحصل للمؤمن والكافر والبر والفاجر والعلم النافع لا يحصل إلا للمؤمن. الرابع أن العالم يحتاج إليه الملوك فن ذونهم وصاحب المال إنما يحتاج إليه أهل العدم والفاقة. الخامس النفس تشرف وتزكو بجمع العلم وتحصيله وذلك من كمالها وشرفها والمال لا يزكيها ولا يكملها ولا يزيد لها صفة كمال بل النفس تنقص وتشج وتبخل بجمعه والحرص عليه فحرصها على العلم عين كمالها وحرصها على المال عين نقصها. السادس المال يدعوها إلى الطغيان والفخر والعلم يدعوها إلى التواضع. السابع أن غنى العلم أجل من غنى المال فإن المال في ليلة أصبح صاحبه فقيراً معدماً وغنى العلم لا يخشى عليه الفقر بل هو في زيادة أبداً فهو الغنى العالی حقيقة كما قيل:

غنيت بلا مال عن الناس كلهم * فإن الغنى العالی عن الشيء لآبه

الثامن أن المال يستعبد صاحبه ومجبه فيجعله عبداً والعلم يستعبد لربه فهو يدعو إلى عبودية الله وحده. التاسع أن حب العلم وطلبه أصل كل طاعة وحب المال وطلبه أصل كل سيئة. العاشر قيمة الغنى ماله وقيمة العالم علمه فهذا مقوم بماله فإذا عدم ماله عدمت قيمته والعالم لا تزول قيمته بل هي في تضاعيف أبداً. الحادي عشر أن جوهر المال من جنس جوهر البدن وجوهر العلم من جنس جوهر الروح والفرق بينهما كالفرق بين الروح والجسد. الثاني عشر أن العالم إذا عوض عليه بحصة من العلم بالدنيا بما فيها لم ير ضاراً عوضاً عن علمه والغنى العاقل إذا رأى شرف العالم وكماله به يود أن له علمه بغناء أجمع. والثالث عشر أن العالم يدعو الناس إلى الله بعلمه وحاله وجامع المال يدعوهم إلى الدنيا بماله وقاله. الرابع عشر أن غنى المال قد يكون سبب هلاك صاحبه فإنه معشوق النفوس فإذا رأيت من يستأثر بمعشوقها عليها سعت في هلاكه وأما غنى العلم فنسب حياة الرجل وحياة غيره والناس إذا رأوا من يستأثر عليهم به أحبه وخدموه. الخامس عشر أن اللذة الحاصلة من غنى المال إن التذ صاحبه بنفس جمعه فزهية وأما باتفاقه في شهواته فبهيمية وأما لذة العلم ففعلية. السادس عشر أن المال إنما يمدح صاحبه بتخليه عنه والعلم إنما يمدح بتخليه به. السابع عشر أن طلب الكمال ببناء المال كالجامع بين الضدين وبيانه أن القدرة صفة كمال وصفة الكمال محبوبة بالذات والإستغناء عن الغير أيضاً صفة كمال محبوبة بالذات فإذا مال الرجل بطبعه إلى السجاء فهذا كمال مطلوب للعلاء محبب للنفوس وإذا التفت إلى أن ذلك يقتضي خروج المال من يده وذلك يوجب نقصه واحتياجه إلى الغير وزوال قدرته تقوت نفسه عن فعل المكرمات وظن أن أساكه في المال كماله فلاجل ميل الطبع إلى المدح يحب الجود ولأجل قوت القدرة بسبب إخراجه يجب إبقاء ماله فبقي القلب في مقام المعارضة بينهما فمنهم من يرجح عنده جانب

والطبراني عن ابن مسعود أيما رجاء آتاه الله علما فكلمه أجمع الله يوم القيامة بلجام من نار *

البذل ومنهم من يؤثر الإمساك ومنهم من يبلغ به الجهل إلى الجمع بين الوجهين فيعد بالجود رجاء المدح وعند حضوره لا يفي فيقع في أنواع الفضائح وإذا تأملت أحوال الأغنياء تراهم يشكون ويبكون وأما غنى العلم فلا يعرض له شيء من ذلك وتعب جمعه أقل من تعب جمع المال . الثامن عشر أن اللذات الحاصلة من المال إنما هي حال تجدد فقط وأما حال دوامه فإما أن تذهب أو تنقص لمحاولة تحصيل الزيادة دائما فهو في فقر مستمر لبقاء حرصه بخلاف غنى العلم فإن لذته في حال بقاءه مثلها في حال تجدده بل أزيد . التاسع عشر أن غنى المال يستدعي الإحسان إلى الناس فصاحبه إن سد على نفسه هذا الباب مقوه فيألم قلبه وإن فتحه فلا بد من الميل إلى بعض وإسكاف عن بعض وهذا يفتح عليه باب العداوة والمذلة من المحروم والمرحوم فالحرور يقول كيف جاد على غيري والمرحوم دائما يستشرف لتظيره على الدوام وهذا قد يتعذر غالبا فيفضي إلى ما ذكرنا ولذا قيل إبق شر من أحسنت إليه وصاحب العلم يمكنه بذهلك للكل من غير نقص فيه . والعشرون أن غنى المال يفيض الموت للتمتع بماله وأما العلم فإنه يجلب للعبد لقاء ربه ويزهده في هذه الدنيا . الحادي والعشرون أن الأغنياء يموتون فيموت ذكروهم والعلماء بخلاف ذلك وما أحسن قول بعضهم :

وفى الجهل قبل الموت موت لأهله ❖ وليس لهم حتى النشور تشور

وأرواحهم في وحشة من قبورهم ❖ وأجسامهم قبل القبور قبور

وقال الآخر : قد مات قوم وما ماتت مكارمهم ❖ وعاش قوم وهم في الناس أموات

وقال آخر : وما دام ذكر العبد بالفضل باقيا ❖ فذلك حي وهو في القرب هالك

ومن تأمل أحوال أئمة الإسلام تحقق أنه لم ينفذ إلا صورهم والاف ذكرهم والثناء عليهم غير منقطع وهي هذه الحياة حقا حتى عد ذلك حياة ثانية كما قاله المتنبي :

ذكر القى عيشه الثاني وحاجته ❖ مافاته وفضول العيش أشغال

ومن الآيات التي وردت في ذم كتمان العلم قوله تعالى لتين للناس ما نزل إليهم وقوله عز وجل وإن فرقا منهم ليكنون الحق وهم يعلمون وهذا تحريم للكتمان كما قال تعالى في الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ﴿١٠١﴾ من الأخبار التي وردت ذلك ما أخرجه الطبراني عن ابن مسعود ؓ ﴿أيما رجل آتاه الله بالمد ﴿علما﴾ شرعا ﴿فكلمه﴾ عن الناس عند الحاجة ﴿أجمعه الله﴾ أي جعل في فيه شيئا من النار يشبه اللجام ﴿يوم القيامة بلجام من نار﴾ لما أجمع لسانه عن قول الحق والإخبار عن العلم والإظهار له عوقب في الآخرة بلجام من نار قال العزيمي حديث ضعيف وقال العراقي لا يصح إلا حديث أبي هريرة وعبد الله بن عمر وابن عباس أما حديث أبي هريرة فرواه أبو داود والترمذي وابن ماجه في صحيحه من رواية علي بن الحكم عن عطاء بن أبي رباح عنه رفعه ولفظه من سئل عن علم فكلمه أجمع الله بلجام من نار يوم القيامة هذا لفظ أبي داود وقال الترمذي من سئل عن علم علمه فكلمه أجمع يوم القيامة بلجام من نار وقال حديث حسن وقال ابن ماجه ما من رجل يحفظ علما فيكتمه إلا أتى يوم القيامة بلجما بلجام من نار وقال ابن حبان من كتم علما يلجم بلجام من نار يوم القيامة ورواه الحاكم في المستدرک من رواية القاسم بن محمد بن حماد عن أحمد بن عبد الله بن يوسف عن محمد بن ثور عن ابن جريج قال جاء الأعمش إلى عطاء فسأله عن حديث فحدثه فقلنا له تحدث هذا وهو عراقي فقال لأنى سمعت أبا هريرة يحدث عن النبي ﷺ قال من سئل عن علم فكلمه جىء به يوم القيامة ملجما بلجام من نار وقال هذا حديث حسن صحيح على

شرط الشيخين ولم يخرجاه قال العراقي لا يصح من هذا الطريق لضعف القاسم ابن محمد بن حماد الدلال الكوفي قال الدارقطني حدثنا عنه وهو ضعيف فلماذا لم أخرجه من هذا الوجه وإنما يعرف هذا من حديث علي بن الحكم عن عطاء عن أبي هريرة ثم قال الحاكم ذكرت شيخنا أبا علي بهذا الباب ثم سأله هل يصح شيء من هذا الأسناد عن عطاء فقال لا قلت لم قال لأن عطاء لم يسمعه من أبي هريرة ثم رواه له أبو علي عن محمد بن أحمد بن سعيد الواسطي عن أزهر بن مروان عن عبد الوارث بن سعيد عن علي بن الحكم عن عطاء عن رجل عن أبي هريرة قال الحاكم فقلت له قد أخطأ فيه أزهر بن مروان أو شيخكم وغير مستبدع منهما الوهم،

ثم رواه الحاكم من رواية مسلم بن إبراهيم عن عطاء عن عبد الوارث عن علي بن الحكم عن رجل عن أبي هريرة قال فاستحسنه أبو علي واعترف لي به قال الحاكم ثم لما جمعت الباب وجدت جماعة ذكروا فيه سماع عطاء من أبي هريرة وأما حديث عبد الله بن عمرو فقال العراقي رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرک فابن حبان من طريق أبي طاهر بن السرح والحاكم من رواية ابن عبد الحكم كلاهما عن ابن وهب عن عبد الله بن عياش عن أبيه عن أبي عبد الرحمن الجلي عن عبد الله بن عمرو رفعه ولفظه من كم علما ألهمه الله يوم القيامة بلجام من نار قال الحاكم هذا إسناد صحيح لا غبار عليه من حديث المصريين على شرط الشيخين وليس له علة قال العراقي في إصلاح المستدرک أما على شرط الشيخين فلا وقد علله ابن الجوزي في العلال المتناهية بأن فيه عبد الله بن وهب قال ابن حبان دجال يضع الحديث قال العراقي وهذا تخليط من ابن الجوزي وإنما هو عبد الله بن وهب الإمام صاحب الإمام مالك والاسناد مصريين فلا يلتفت إلى كلام ابن الجوزي ولو أنه بعد الله ابن عياش لكان له وجه فقد ضعفه أبو داود والنسائي وهو قريب من ابن لهيعة وأخرج له مسلم حديثاً واحداً ووثقه ابن حبان قال الزبيدي وحديث ابن عمرو وهذا قد أخرجه الطبراني أيضاً في الكبير.

وأما حديث ابن عباس فرواه الطبراني أيضاً باسناد لا بأس به وأبو علي باسناد جيد قاله العراقي ولفظه من كم علما ينتفع به يعلمه ألجم بلجام من نار وأخرج أيضاً من حديث سعيد بن الدخاس من علم شيئاً فلا يكمه وأخرج ابن عساكر والخطيب والطبراني أيضاً بلفظ من سئل عن علم نافع فكفه جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار أفاد ذلك العلامة الزبيدي قال العلقمي وهذا الحديث خرج علي معنى مثلك العقوبة للذنوب وهذا في العلم الذي يتعين عليه كمن رأى كافر يريد الإسلام يقول علموني ما الإسلام وما الدين وكيف أصلي وكن جاء يستقينا في حلال أو حرام فيلزم وليس الأمر كذلك في نوافل العلم التي لا ضرورة بالناس إلى معرفتها أو كانوا لا يفهمون العلوم التي سألوا عنها لعدم الأهمية للاشتغال بها ولذلك قيل كل عبد بعمارة عقله وزن له بميزان فهمته حتى تسلم منه وينتفع بك والواقع الإشكال تفاوت المعيار وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل أما سمعت رسول الله ﷺ قال من كم علما نافعاً جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار فقال في جوابه أترك اللجام وأذهب فإن جاء من يفهمه وكفه فليجنى فقد قال الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم بما علموا أن حفظ العلم من يفسده ويضره أولى وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق والله در القائل:

أشرد راين سارحة النعم ✽ فأصبح نحزونا براعية الغنم

فلن لطف الله اللطيف بلطفه ✽ وصادفت أهلاً للعلوم وللحكم

فن منع الجهال علماً أضاعه ✽ ومن منع المستوجين فقد ظلم

لأنهم أسوأ بجهلهم لقدرة ✽ فلانا أضحي أن أطوقه بهم

نشرت مفيداً واستفدت مودة ✽ والافتحزون لدى ومكم

والنسائي عن أبي هريرة تعلم علما مما يتنغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ربحها * وابن ماجه عنه من تعلم العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله جهنم *

قال العلامة المناوي وجعل بعضهم حبس كسب العلم من صور الكسب سيما إن عزت نسخة وأخرج البيهقي عن الزهري إياك وغلول الكسب قيل وما غلولها قال حبسها انتهى وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية حماد بن عبد الله قال سمعت الشعبي يقول لا تمنعوا العلم أهله فتأثموا ولا تحدثوا غير أهله فتأثموا .

ثم اعلم أن ما ذكر في فضل العلم إنما هو فيمن طلبه مريدا به وجه الله تعالى فمن أراد لغرض دنيوية كرياسة أو مال أو منصب أو جاه أو شهرة أو جدل فهو مذموم قال الله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب . وعن أبي جعفر محمد بن علي في قوله تعالى فككبكبوا فيها هم والفاوون قال الفاوون قوم وضعوا الحق والعدل بالسنتهم وخالفوا إلى غيره هذا من الآيات وأما من الأخبار فكثيرة منها ما في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه أي تخرج أمعاؤه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا فيجتمع عليه أهل النار فيقولون يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتية وأنهى عن المنكر وآتية .

﴿ و ﴾ منها ما أخرجه ﴿ النسائي عن أبي هريرة ﴾ ﴿ من تعلم علما ممن يتنغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب عرضا ﴾ وفي رواية عرضا بالعين المهملة أي مباحا ﴿ من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ربحها ﴾ وهو كناية عن عدم دخولها أي مع السابقين فلا ينافي أن كل من مات مؤمنا يدخلها أو هو محمول على الزجر كما قاله الخطيب الشرنوبى وكذلك رواه أبو داود وابن ماجه من رواية سعيد بن يسار عن أبي هريرة وإسناده صحيح رجاله رجال البخارى قال العراقي وقد رواه مثل ذلك الإمام أحمد والحاكم والبيهقي وأخرج الديلمي في مسند الفردوس عن أبي سعيد رفعه من تعلم الأحاديث ليحدث بها الناس لم يرح راحة الجنة وأن ربحها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام قال العراقي وفي الباب عن ابن عمر رواه الترمذى وابن ماجه وقول المنذرى في مختص السنن أن الترمذى روى حديث أبي هريرة وهو أنما روى حديث ابن عمر ولفظهما مختلف فيه انتهى والذي عن ابن عمر في هذا المعنى من تعلم علما لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار رواه الترمذى وقال حسن غريب ولعل هذا الحديث الذي أشار له العراقي قاله الزبيدي .

﴿ و ﴾ منها ما رواه ﴿ ابن ماجه عنه ﴾ أي أبي هريرة ﴿ من تعلم العلم ليباهى به العلماء ﴾ أي يباخرهم ويطاولهم به ﴿ أو يمارى به السفهاء ﴾ أي يجادلهم به ويخاصمهم والمارة المجادلة والحاجة ﴿ أو يصرف به وجوه الناس ﴾ أي أشرفهم ﴿ إليه أدخله الله جهنم ﴾ وهذا رواه من رواية عباد بن سعيد المتعبرى عن جده عن أبي هريرة رفعه وعباد بن سعيد المتبرى ضعيف كما قاله العراقي ولكن أخرج ابن ماجه أيضا من رواية ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر رفعه لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا تماروا به السفهاء ولا لتجتروا به في المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار . قال العراقي وإسناده على شرط مسلم .

وفي الباب من عبد الله بن عمر وكعب بن مالك ومعاذ وأنس وأم سلمة رضي الله عنهم فحديث ابن عمر رواه ابن ماجه من رواية أبي كرب الأزدي عن نافع عنه رفعه من طلب العلم ليماهى به السفهاء أو ليباهى به العلماء أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو في النار وأبو كرب مجهول وروى الترمذى من حديث خالد بن دريك عن ابن عمر رفعه من تعلم علما لغير الله وأراد به غير الله فليتبوأ مقعده

وابن أبي الدنيا واليهقي عن الحسن مرسلًا من عبد يخطب خطبة إلا الله سائله عنها يوم القيامة ما أراد بها قال فكان مالك بن دينار إذا حدث بها بكى ثم يقول اتحسبون عيني تقر بكلامي عليكم وأنا أعلم أن الله سألني عنه يوم القيامة ما أردت به فأقول أنت الشهيد على قلبي لو لم أعلم أنه أحب إليك لم أقرأ على اثنين أبدًا

من النار واسناده جيد وأما حديث كعب بن مالك فرواه الترمذي من رواية اسحق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله قال حدثني ابن كعب بن مالك عن أبيه رفعه من طلب العلم ليجازي به العلماء أو ليماري به السفهاء أو يصرف وجوه الناس إليه أدخله الله النار وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه واسحق بن يحيى تكلم فيه من قبل حفظه قال الزيدى وأخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة والطبراني من هذا الطريق ولفظهما من طلب العلم لأحدى ثلاث ليجازي به العلماء أو ليماري به السفهاء أو يصرف وجوه الناس إليه أدخله الله النار وأما حديث معاذ فرواه الطبراني من رواية شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عنه رفعه من طلب العلم لياهي به العلماء ويماري به السفهاء في المجالس لم يرح رائحة الجنة وشهر بن حوشب مختلف فيه وأما حديث أنس فرواه أبو بكر البزار والطبراني في الأوسط من رواية سليمان بن زياد بن عبد الله حدثنا سفيان أبو معاوية عن قتادة عن أنس رفعه من طلب العلم لياهي به العلماء ويماري به السفهاء ويصرف به وجوه الناس إليه فهو في النار قال البزار لا تعلمه يروى عن أنس إلا بهذا الإسناد تفرد به سليمان ولم يتابع عليه ورواه عنه غير واحد وأما حديث أم سلمة فرواه الطبراني من رواية عبد الخالق بن زيد عن أبيه عن محمد بن عبد الملك بن مروان عن أبيه عنها رفعه من تعلم العلم لياهي به العلماء أو يماري به السفهاء فهو في النار وعبد الخالق بن زيد بن واقد منكر الحديث قاله البخاري وعبد الملك بن مروان أورده الذهبي في الميزان وقال إنني له العدالة وقد سفك الدماء وفعل الأباطيل قال الزيدى عبد الخالق المذكور قال الذهبي في الديوان قال النسائي ليس بثقة وقوله إنني له العدالة الخ صحيح ولكن قد يقال يحتمل هذا الحديث في حال استقامته قبل أن تصدر منه الأباطيل وهكذا أخرجه تمام الرازي في فوائده أيضًا وأخرج ابن النجار في تاريخه عن أم سلمة من طلب علما لياهي به العلماء فهو في النار وأخرجه ابن عساكر أيضًا ولكن عنده من طلب علما لياهي به الناس والباقي سواء وأخرجه الدارمي في سنده من رواية مكحول عن ابن عباس رفعه من طلب العلم لياهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يريد أن يقبل بوجوه الناس إليه أدخله الله جهنم ذكره الزيدى ﴿و﴾ منها ما أخرجه أبو بكر ﴿ابن أبي الدنيا واليهقي عن الحسن﴾ البصري ﴿مرسلًا﴾ والحديث المرسل هو ما رواه التابعي صغيرًا أو كبيرًا عن النبي ﷺ ولم يذكر من حدثه به وذهب بعضهم إلى أن المرسل إنما هو رواية التابعي الكبير فقط كسعيد بن المسيب وغيره وأما رواية التابعي الصغير كالزهرى ونحوه فإنها عنده لا تدخل في المرسل بل هي من باب المنقطع لأن أكثر رواية صفار التابعين عن كبارهم وأطلق بعضهم المرسل على كل ما سقط منه راو أو أكثر من راو واشتهر هذا عند الأصوليين والفقهاء وهو اختلاف في الاصطلاح فقط قال السيوطي:

المرسل المرفوع بالتابع أو * ذى كبر أو سقط راو قد حكوا

﴿ما من عبد يخطب خطبة إلا الله سائله عنها﴾ أى عن الخطبة ﴿يوم القيامة ما أراد بها﴾ هل قصد وجه الله أو أمرا دينيا ﴿قال﴾ أى الحسن وفي العزيزي قال المناوى ﴿فكان مالك بن دينار إذا حدث بهذا﴾ الحديث ﴿بكى﴾ حتى ينقطع صوته ﴿ثم يقول﴾ اتحسبون ﴿أى أنظنون﴾ عيني تقر ﴿بكسر القاف وفتحها أى تبرد سرورا وفرحا﴾ بكلامي عليكم وأنا أعلم أن الله سألني عنه ﴿أى عن الكلام﴾ يوم القيامة ما أردت به ﴿هل أردت لى أو لغيره﴾ فأقول أنت ﴿يا رب﴾ الشهيد على ﴿ما في﴾ قلبي لو لم أعلم أنه ﴿أى الحديث يعنى قراءته﴾ أحب إليك لم أقرأ على اثنين أبدًا..

وقال شيخنا شيخ مشايخ الإسلام والمسلمين قطب الزمان شمس دائرة العرفان لسان الملكوت القدسي في عالم التمكين زين العابدين أبو بكر محمد بن أبي الحسن البكري الصديقي رضي الله عنه فيما أوصاني به اجعل الإخلاص فيما تفيد وتستفيد شعارك والأدب مع الله فيما تعلمه وتعلمه دثارك ولا تبخل على طالب بتعليم ما علمه الله إياك متحررا فيه تحري من يعلم أن الله يراه انتهى رزقنا الله الإخلاص في طلب العلم ونشره وفي جميع الطاعات * وفي الغاية للخصني قال السيد الخليل ضرار بن عمرو إن قوما تركوا العلم وبجالة أهل العلم واتخذوا محارِب وصلوا وصاموا حتى يسس جلد أحدهم على عظمه خالفوا فهلكوا والذي لا إله غيره ما عمل عامل على جهل إلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح وصفهم بالهلاك ﴿تنبيه﴾ إن أول واجب على الآباء للأولاد تعليمهم أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث بمكة

وقال شيخنا شيخ مشايخ الإسلام والمسلمين قطب الزمان شمس دائرة العرفان لسان الملكوت القدسي في عالم التمكين زين العابدين أبو بكر محمد بن أبي الحسن البكري الصديقي رضي الله عنه فيما أوصاني به اجعل الإخلاص فيما تفيد وتستفيد شعارك ﴿بكسر أوله وفتح أي علامتك﴾ واجعل ﴿الأدب مع الله فيما تعلمه﴾ للطالين وفيما ﴿تتعلمه﴾ من الشيخ ﴿دثارك﴾ بكسر الدال وهو في الأصل ما يثد ثوبه الإنسان وهو ما يليق به من كساء أو غيره فوق الشعار ﴿ولا تبخل على الطالب﴾ أي طالب العلم ﴿بتعليم ما علمه الله إياك﴾ حال كونك ﴿متحررا﴾ أي مجتهدا ﴿فيه﴾ أي في التعليم ﴿تحري﴾ أي كاجتهاد ﴿من يعلم أن الله يراه﴾ في جميع أحواله ﴿انتهى﴾ كلام أبي الحسن البكري ﴿رزقنا الله﴾ جملة دعائية ﴿الإخلاص في طلب العلم ونشره﴾ الإخلاص ﴿في جميع الطاعات وفي﴾ كتاب ﴿الغاية للخصني﴾ ما نصه ﴿قال السيد الخليل ضرار بن عمرو إن قوما تركوا العلم﴾ أي طلبه ﴿تركوا﴾ بجالة أهل العلم واتخذوا محارِب ﴿أو مساجد﴾ وصلوا وصاموا حتى يسس جلد أحدهم على عظمه ﴿وهم﴾ خالفوا ﴿شرائع نبيهم بترك العلم والعبادة مع الجهل﴾ فهلكوا ﴿الله﴾ الذي لا إله غيره ما عمل عامل على جهل إلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح ﴿قال المصنف﴾ وصفهم ﴿أي وصف السيد ابن عمرو هؤلاء القوم﴾ بالهلاك

* تنبيه * إعلم ﴿أن أول واجب﴾ حتى يكون ذلك مقدما على الأمر بالصلاة كما قاله جمع ﴿على الآباء للأولاد تعليمهم أن النبي﴾ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف القرشي ﴿ولد﴾ و ﴿بعث بمكة﴾ زادها الله شرفا واختلف في عام ولادته والمشهور أنه عام الفيل وفي شهرها والمشهور أنه ربيع الأول وفي يومها والجمهور على أنه يوم الإثنين لكن اختلف في أنه للبتين خلقتا من ربيع الأول أو لثمان قال القسطلاني وهو اختيار أهل الحديث أو لعشر أو لاثني عشر قال بعضهم وعليه أهل مكة في زيارتهم موضع مولده الآن أي الزيارة الكبرى والافهم يزورونه يوم ثمان أيضا وهذا هو المشهور وقال به ابن اسحق وغيره قيل والحكمة في كون ولادته ﴿في غير الأشهر الحرم تشرف الزمان به لا عكسه وكونها في ربيع الأول الإشارة لشبهه شرعه بالربيع الذي هو أعدل الفصول ولعظيم قدره وأنه رحمة للعالمين

✓ * تنبيه * وعمل المولد واجتماع الناس مستحسن قال الإمام أبو شامة شيخ النور ومن أحسن ما ابتدع في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده من الصدقة والمعروف واطهار الزينة والسرور فإن فيه مع الإحسان للفقراء أشعارا بمحبته وتبظيمه شكرا لله على ما من به علينا قال السخاوي وحدث عمل المولد بعد القرون الثلاثة ثم لا يزال المسلمون يفعلونه وقال ابن الجوزي من خواصه أنه أمان في ذلك العام وبشرى عاجلة وأول من أحدثه من الملوك المظفر قال الحافظ ابن الجوزي في مبراة الزمان حكى لي من

ومات ودفن بالمدينة

خضر سماط المظفر في بعض المواليد أنه عد فيه خمسة آلاف رأس غنم شواء وعشرة آلاف دجاجة ومائة ألف ربدية وثلاثين ألف صحن حلواء وكان يحضره أعيان العلماء والصوفية ويصرف عليه ثلاثمائة ألف دينار واستنيط الحافظ ابن حجر تخرج عمل المولد على أصل ثابت في الصحيحين أنه ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسالهم فقالوا هو يوم اغرق الله فيه فرعون ونجى فيه موسى فقال نحن أولى به منكم وأما بعثه ﷺ فهو يوم الإثنين لسبع عشرة خلت من رمضان لولسبع وأربع وعشرين منه أو لثمان من ربيع الأول بعد أن كمل سنة أربعين سنة قيل وأربعين يوماً أو عشرة أيام أو شهرين أو غير ذلك فبدئ ﷺ أولاً بالرؤيا الصادقة تمر بنا ثلاثين فجاء الملك جبريل وقال اقرأ إلى آخر القصة المشهورة فأرسله الله تعالى للعالمين بشيراً ونذيراً وصدقه من كُتبت له السعادة الأبدية وكذبه من كُتبت له الشقاوة الأخروية.

﴿ومات﴾ ﷺ ﴿ودفن بالمدينة﴾ المنورة وتوفي ﷺ يوم الإثنين لليلتين من ربيع الأول كما رجحه كثيرون وقيل لاثنين عشرة ورجحه آخرون وذلك حين اشتد الضحى لا في الساعة التي دخل فيها المدينة قال ابن عباس رضي الله عنهما ولد نبيكم يوم الإثنين وخرج من مكة يوم الإثنين ودخل المدينة يوم الإثنين وتوفي يوم الإثنين ولما أرادوا غسله سمعوا قائلاً يقول اغسلوه في ثيابه فغسلوه في قميصه والذين تولوا غسله علي والعباس وابناء الفضل وقثم وأسامة بن زيد وشقران وكفن في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة ولما فرغوا من جهازة ﷺ يوم الثلاثاء وضع على سريره في بيته ثم دخل الناس أرسلاً يصلون عليه الرجال فالنساء فالصبيان ولم يؤمهم أحد. واختلفوا في موضع قبره فقال أبو بكر سمعته ﷺ يقول ما دفن نبي إلا حيث يموت كما في الموطن وغيره واختلفوا هل يلحد أولاً فجاء أبو طلحة وروى عنه ﷺ أنه قال اللحد لنا والشق لغيرنا فحضر له حول فراشه في منزل عائشة ودفنوه يوم الثلاثاء وقيل ليلة الأربعاء وإنما أخرج دفنه مع أنه قد نهى عنه قيل لعدم اتفاقهم على موته فقال بعضهم إنما أخذه ما كان يأخذه عند الوحي وقيل غير ذلك وسببه أنه لما قبض عليه الصلاة والسلام دهش أصحابه دهشة عظيمة وركت عقولهم وحاشت أحلامهم وأفحموا واختلطوا وصاروا فرقا وكان ممن اختلط عمر رضي الله عنه فجعل يصيح ويحلف مامات رسول الله ﷺ ويتهدد من يقول ذلك واقعد علي بن أبي طالب وأخرس عثمان واضنى عبد الله بن أنس حتى مات كذا واضطرب الأمر وحل الخطب ولم يكن فيهم أثبت من العباس وأبي بكر رضي الله عنهم أجمعين.

وروى عن عائشة أنه لما مات ﷺ كان أبو بكر بالنسخ فقام عمر يقول والله مامات رسول الله ﷺ فجاء أبو بكر فكشف عنه ﷺ وقبله وقال بأبي أنت وأمي ما أطيبك حياً وميتاً والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتين أبداً ثم خرج فقال أيها الخائف على رسلك فجلس عمر فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال الأمان كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وقال إنك ميت وإنهم ميتون وقال وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فلقاها الناس منه بالقبول فما سمع بشر منهم إلا يتلوها فقال عمر والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر يتلوها فعرقت حتى اهويت إلى الأرض فعرفت أنه ﷺ قد مات وكل ذلك من أبي بكر وعيناه تهلان وروى أنه قال لعمر أما علمت أنه ﷺ قال يوم كذا وكذا فقال أشهد أن الكتاب كما أنزل وأن الحديث كما حدث وأنه تعالى حي لا يموت إنا لله وإنا إليه راجعون قال أنس رضي الله عنه لما كان اليوم الذي دخل فيه ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه اظلم منها كل شيء.

شيء

﴿اعلم﴾ أن أول ما يلزم المكلف تعلم الشهادتين ومعناها وجزم اعتقاده ثم تعلم ظواهر علم التوحيد وصفات الله تعالى وإن لم يكن عن الدليل ثم ما يحتاج إليه لإقامة فرائض الدين كآركان الصلاة والصوم وشروطهما والزكاة إن ملك ما لا نصيبا ولو كان هناك سماع والحج إن كان مستطيعا له ثم على الأحكام التي يكثر وقوعها إن أراد أن يباشر عقدا يباعا كان أو غيره كالأركان والشروط لاسيما في الرويات لمن خاض فيها وكواجبات القسم بين الزوجات والقيام بالمالك ويجب أيضا تعلم دواء أمراض القلب كالحسد والرياء

﴿اعلم﴾ أن أول ما يلزم المكلف أي البالغ العاقل ﴿تعلم﴾ كمتى ﴿الشهادتين﴾ فهم ﴿معناها﴾ وجزم اعتقاده ولو اجمالا ومما أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ومعنى الكلمة الأولى أن يعلم ويعتقد ويؤمن أن لا معبود بحق مستغنيا عن كل ما سواه ومفتقرا إليه كل ما عداه موجود وثابت في الوجود إلا الله إذ لو وجد غيره لفسدت السموات والأرض أنى لم توجدا لكن عدم وجودهما باطل بالمشاهدة فبطل ما أدى إليه وهو تعدد الإله وثبت تقيضه وهو أن الإله الموجود هو الله الواحد الأحد وقد سئل سيد الطائفة الصوفية الجنيد رحمه الله عن التوحيد فقال أن ترى جميع حركات العباد وسكناتهم فعل الله فإذا عرفت ذلك فقد وحدته وبعضهم:

هو الله لا تسأل سواه فإنه ﷻ هو الواحد القهار للضدي يقر

قال بعض العارفين سلطان الأسماء في الباطن الواحد كما أن سلطانها في الظاهر الرحمن لأنه اقتضى ظهور الرحمة بإيجاد الموجودات لإظهار آثار الأسماء والصفات والواحد اقتضى وحدانية الأشياء في الباطن فتلاشت عندها حقيقة الكثيرة وشاهده لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حيث قدم الواحدية على القاهرية وحظ العبد منه أن يغوص في لجة التوحيد حتى لا يرى من الأزل إلى الأبد إلا الواحد وأفعالنا الإختيارية لنا منها الكسب فالثواب أو العقاب من حيث أن لنا فيها اختيارا وهي في الحقيقة مخلوقة له تعالى والله ذو القاتل:

شهودك الفعل من الفعل ﷻ في كل شيء وحدة الأفعال

ومعنى الكلمة الثانية أن يعلم ويعتقد ويصدق ويؤمن أن سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القرشي عبد الله ورسوله إلى جميع الخلق ولد بمكة ونبت بها وهاجر إلى المدينة ومات ودفن بها وأنه ﷺ صادق في جميع ما أخبر به من أمور الآخرة وغيرها.

﴿ثم﴾ يلزم ﴿تعلم﴾ ظواهر علم التوحيد وصفات الله ﴿بما﴾ يجب له عز وجل وما يستحيل وما يجوز وقد تكفل بها علماء التوحيد ﴿وإن لم يكن عن الدليل﴾ ثم ﴿تعلم﴾ ما يحتاج إليه لإقامة فرائض الدين كآركان الصلاة والصوم وشروطهما و﴿يلزمه تعلم مسائل الزكاة إن ملك ما لا نصيبا﴾ لكن لا تلزمه الزكاة في الحال إنما تلزمه عند تمام الحول من وقت الإسلام فإن لم يملك إلا الأبل لم يلزمه إلا تعلم زكاة الأبل وهكذا في سائر الأصناف من الأموال ﴿ولو كان هناك﴾ أي في الزكاة ﴿ساع﴾ و﴿تعلم﴾ الحج إن كان مستطيعا له ثم على الأحكام التي يكثر وقوعها إن أراد أن يباشر عقدا يباعا كان ﴿العقد﴾ أو غيره كالأركان والشروط لاسيما في الرويات لمن خاض فيها وكواجبات القسم بين الزوجات ﴿لن تزوج أكثر من واحدة﴾ و﴿واجب﴾ القيام بالمالك ﴿أي من الإماء والعبيد﴾

﴿ويجب أيضا﴾ أي كوجوب تعلم ما ذكر ﴿تعلم دواء أمراض القلب﴾ وعلة المهلكة وذلك ﴿كالحسد﴾ وهو كراهية النعمة على المسلم وتبغى زوالها عنه وخرج به الغبطة فإنها تمنى مثل نعمة الغير من غير زوالها عنه وتكون واجبة إن كانت تلك النعمة واجبة كالإيمان والصلاة المكثرة والزكاة فيجب أن يكون مثل القائم بذلك والا كان راضيا بالمعصية والرضا بها حرام ومندوبة إن كانت مندوبة كالخروج في العلم والتأليف والتدريس ومباحة إن كانت مباحة كالتكاح وتسمى منافسة ومنه قوله تعالى وفي ذلك أي الرحيق وهو شراب أهل الجنة فينافسون المنافسون أي فليرغب الراغبون قال ابن حجر في الزواج نعم المنافسة في المباحة تنقص من الفضل وتناقض الزهد

والرضا والتوكل وتحجب عن المقامات الرفيعة من غير إثم نعم ينبغي التنبيه لدقيقة هي أن من أسس من أن ينال نعمة الغير فبالضرورة أنه يعتقد أنه ناقص عن صاحبها فيجب مساواته ولا يحصل حينئذ إلا بزوالها عنه فإن كان بحيث لو قدر على إزالتها عنه أزالها فهو حسود حسدا مذموما وإن كان عنده تقوى تمنعه عن إزالتها مع قدرته عليها وعن محبة زوالها عنه فلا إثم عليه لأن هذا أمر جبلي لا يتفك عنه ولعله المعنى في خبر كل ابن آدم حسود وبعيد ممن يريد مساواة غيره في النعمة فيعجز عنها سيما الأقران أن يتفك عن الميل إلى زوالها فهذا الحسد من المنافسة يشبه الحسد المحرم فينبغي الاحتياط التام فإنه متى صفا لمحبة نفسه ومال لزوال تلك النعمة عنه فهو مرتكب للحسد الحرام ولا يتخلص عنه إلا بقوة إيمانه ورسوخ قدمه في التقوى.

واعلم أن الحسد من أمراض القلوب العظيمة وأمراض القلوب لا تدأوى إلا بالعلم والعمل فالعلم النافع لمرض الحسد أن تعرف أنه يضر دنيا ودينا ولا يضر المحسود دنيا ولا دينا إذ لا تزول نعمة بحسد قط واللام يبق نعمة على أحد حتى الإيمان لأن الكفار يحبون زواله عن أهل بل المحسود منتفع بحسده له دينا لأنه مظلوم من جهتك سيما إن أبرزت حسدك إلى الخارج بالغيبة وهتك السر وغيرهما من أنواع الإبداء فهذه هدايا تهدي إليه حسناتك بسببها حتى تلقى الله يوم القيامة مفلحا محرورا من النعم كما حرمت منها في الدنيا ودينا لسلامته من غمك وحزنك وغيرهما ومتى انكشف غشاء بصيرتك وزين قلبك وتأملت ذلك ولم تكن عدو نفسك ولا صديق عدوك أعرضت عن الحسد أصلا ورأسا حذرا من أنك به قد وقعت في ورطة عظيمة هي أنك قد سخطت قضاء الله وكرهت قسمته وعدله وهذه جناية على الدين وكيف لا وقد فارقت بذلك الأنبياء والأولياء والعلماء العاملين في حبه ووصول الخير لعباد الله وشاركت إبليس والشياطين في محبتهم للتومنين بالبلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تأكل حسناته كما تأكل النار الحطب هذا مع ما ينضم لذلك من ضررك الديني بتوالي الهم والنعم عليك كلما رأيت محسودك يزايد في النعم وأنت تنافس فيها فإن هذا من جملة آفات حسدك فانت دائما في غاية الحزن وضيق الصدر وتشعب القلب كما تشعب لأعدائك فلو فرض أنك لم تؤمن ببعث ولا حساب لكان من المحرم ترك الحسد حتى تسلم من هذه العقوبات الدنيوية الفاجرة قبل العقوبات الأخروية فظهر أنك عدو نفسك وصديق عدوك إذا تماطيت ما تضررت به في الدنيا والآخرة وانتفع به عدوك فيهما وصرت مذموما عند الخلق والخالق حالا ومالا وأما العمل النافع لذلك الحسد فهو أن تكلف نفسك أن تفعل بالمحسود خدما إقتضاه حسدك فتعوضه بالذم والمدح وبالكبر عليه التواضع له ومنع إدخال رفق عليه زيادة سحر الإرفاق به وهكذا فهذا يضعف داء الحسد وكلما زدت من ذلك زاد تناقص الحسد إلى أن ينعدم فافهم تسلم والله الموفق واليه ترجع الأمور.

﴿والرياء﴾ وهو العمل لأجل طلب المنزلة والتعظيم عند الناس بعمل الآخرة ثم هو ثلاثة أقسام كما ذكره حجة الإسلام الغزالي الأول ما يحرم ولا تتعد به الأعمال وهو أن يكون الباعث على فعل نحو الصلاة مجرد الرياء بأن لا ينهضه إليه إلا ذلك القصد ويقارن التحريم الثاني ما لا يحبط الأعمال وهو أن يرد خاطره في استناده بأن يكون لا يفرض أنه ليس في الصلاة لأنشأها ولكن هذا يحبط ثوابها إن ختمها وهو مستصحب له فإن رجع عنه أثناءها حصل له الثواب إن تاب وندم الثالث أن يرد بعد الفراغ منها بحيث يعقد نحو الصلاة مثلا ويستمر فيها حتى يحتملها على الإخلاص ثم تظهر منه رغبة في الإظهار والتحدث بها فيفعل ذلك وهذا مخوف فإن تاب وندم رجع له الأجر وسقط عنه الإثم وفي التحفة في باب الوضوء إن قصد العبادة يثاب عليه بقدره وإن انضم إليه غيره مما عدا الرياء ونحو مساويا أو

راجحاً وفي باب الصلاة عن الحليمي كل عمل لم يعمل بمجرد التقرب به إليه تعالى لم يثب عليه وإن سقط بالفرض منه الوجوب ومراده السلام من الرياء انتهى.

قال في الزواجر والحاصل أن المتجه ترجيحه أنه متى كان المصاحب لقصد العبادة رياء مباحاً لم يسقط الثواب من أصله بل يثاب على قدر قصد العبادة وإن ضعف أو محوماً سقط من أصله كما دلت عليه الأحاديث الكثيرة ولا يعكر عليه قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره لأن تقصيره بقصد المحرم أوجب سقوط قصد الأجر فلم يبق له ذرة من خير وأطال في ذلك ثم قال إنه درجات متفاوتة في القبح فاقبحها الرياء في الإيمان وهو شأن المنافقين المرادين بقوله تعالى إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار وهم الآن قليل نعم كثر من هو مثلهم في القبح كالمعتدين للبدع المكفرة ويليهم المرءون بأصول العبادة الواجبة كأن يعتاد تركها في الخلوة ويفعلها في الملاء خوفاً للمذمة وهذا أيضاً عظيم عند الله لأنه يدل على غاية الجهل ويليهم المرءون بالنوافل كأن يعتاد تركها في الخلوة فقط خوف الانتقاص بعدم فعلها في الملاء ويليهم المرءون بأوصاف العبادة كتحسينها وإطالة أركانها وإظهار التشعشع فيها واستكمال سائر مكملاتها في الملاء والإقتصار في الخلوة على أدنى الواجبات لحوف وغيره فهذا محصور أيضاً لأن فيه كالذي قبله تقديم المخلوق على الخالق فدلّت قرائن حاله على أنه ما يشبه على ذلك إلا نظر الخلق ورجاء محمدتهم وللمرائي لأجله درجات أيضاً فاقبحها أو يقصد التمكن من معصية كمن يظهر الورع والزهد ليولى المناصب وتودع عنده الودائع أو تقرض إليه تفرقة الصدقة وقصده الخيانة في ذلك وكمن يعظ أو يعلم أو يعلم للظفر بامرأة أو غلام فهو لآء اقبح المرائين عنده تعالى لأنهم جعلوا طاعته سلماً إلى معصية ووصلة لفسقهم وسوء عاقبته ويليها من يهتم بمعصية أو خيانة فيظهر الطاعة والصدقة قصد الدفع تلك التهمة ويليها أن يقصد نيل حظ مباح نحو مال أو نكاح من خطوط الدنيا ويليها أن يقصد بإظهار عبادته وورعه وخشوعه أن لا يحقر وينظر إليه بعين النقص أو أن يعد من جملة الصالحين وفي الخلوة لا يفعل شيئاً من ذلك ومن ذلك أن يترك إظهار الفطر في يوم يسن صومه خشية أن يظن به أنه لا اعتناء له بالنوافل فهذه أصول درجات الرياء ومراتب أصناف المرائين.

قال حجة الإسلام الغزالي وجميعهم تحت مقته تعالى وغضبه فعلى العاقل أن يشمر كل مرفق عن مساعد الجدد في إزالته بالمجاهدة وتحمل المشاق والمكابدة لقوة الشهوة إذ لا ينفك أحد عن الإحتياج لذلك إلا من رزق قلباً سليماً تقياً خالصاً عن شوائب ملاحظة الأعراض والمخلوقين ومستغرقاً في شهود رب العالمين وقليل ما هم وإلا فغالب الخلق إنما طبع عليه أذ الصبي يخلق ضعيف العقل تمتد العين للخلق كثير الطمع فيهم فيرى بعضهم ويتضرع فينل عليه حب التواضع بالضرورة ويتربص ذلك في نفسه فإذا كمل عقله ووفق لاتباع الحق رأى ذلك مرضاً مهلكاً فاحتاج إلى دواء يزيله ويقطع عزوقه باستئصال أصوله من حب لذة المحمدة والجاه والطمع فيما في أيدي الناس وذلك الدواء النافع هو أن يعرض عن كل محذور لما فيه من المضرة وفوات صلاح القلب وحرمان التوفيق في الحال والمنزلة الرفيعة في المال والعقاب العظيم والحزى الظاهر ولو لم يكن في الرياء إلا إجباط عبادة واحدة لكفى في شؤمه وضرره فقد يحتاج الإنسان في الآخرة إلى عبادة ترجح بها كفة حسناته ولا ذهب به إلى النار ومن طلب رضا الخلق في سخط الله عليه واستخطهم عليه على أن رضاهم غاية لا تدرك كما قال بعض العارفين وكل ما أَرْضَى قوماً أغضب آخرين ثم أرى غرضه في مدحهم وإثارة على ذم الله وغضبه مع أن مدحهم لا يفيد نفعاً ولا يدفع عنه ضرراً وإنما ذاك منه تعالى وحده فهو المستحق لأن يقصد وحده إذ هو المسخر للقلوب بالمنع والإعطاء فلا رازق ولا معطى سواه ولا يخلو الطامع في الخلق من الذل أو المنة والمهانة فكيف يترك ما عنده تعالى برجاء كاذب وهم فاسد على

أنهم لو اطلعوا عليه لطردوه ومقتوه واحرموه فمن نظر لذلك بعين البصيرة فرت رغبته في الخلق واقبل عليه تعالى بالصديق فهذا دواء علمي وهناك دواء عملي وهو أن يعود إخفاء العبادة كإخفاء الفواحش ليقنع قلبه بعلمه تعالى وإطلاعه ولا تنازعه نفسه بطلب علم غيره ويتكيف الإخفاء وإن شق عليه ابتداء لكن من صبر عليه مدة سقط عنه ثقله وأمد الله تعالى فيه من فضله بما يكون سببا لرقبه إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فمن العبد المجاهدة في وقوع باب الكرم ومن الله تعالى الهداية والفتح إنه لا يضع أجر الحسين وإن تكلم حسنة بضاعتها وبوت من لذه أجر أعظيما.

﴿والعجب﴾ وهو شهود فاعل العبادة صادرة من النفس غائبا عن المنة التي من الله تعالى عليه بها حتى تقوى لها فاعتقد كمال نفسه وفرح بذلك الكمال ونسي التكبر المتعالي وما خاف عليها من الزوال وفي الزواجر أنه استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى الله تعالى فإن انضم لذلك توقعه جزاء عليها لاعتقاده أن له عند الله حقا وأنه منه بمكان سمي مندولا فالإدلال من العجب وأنه من الكائنات المهلكة كما صرح به القرطبي وغيره لقوله صلى الله عليه والسلام لولم تذنبوا لحيث عليكم ما هو أكبر منه العجب وإن العجب يحبط عمل سبعين سنة ولو كان العجب رجلا لكان رجل سوء.

* تنبيه * كل علة علاجها إنما يكون بضدها وعلة العجب الجهل الخفض وشفاؤها النظر إلى ما لا ينكره أحد وهو أنه تعالى هو المقدر لك على نحو العلم والعمل والمنعم عليك بالتوفيق لحيازته وبملكك ذانئب أو مال أو جاه وكيف يعجب الشخص بما ليس إليه ولا منه وكونه محلا له لا يجد به شيئا لأن الحل لا مدخل له في الإيجاد والتحصيل وكونه سببا تزول ملاحظته له إذا تأمل أن الأسباب لا تأثير لموجد ما فينبغي أن يكون إعجابه بما أسداه إليه الحق وأجزاء عليه وآثره به دون غيره من مزايا جوده وكرمه مع عدم سابقة استحقاق منه لذلك فإن قال لولا ما علم في من صفات محمودة ما أثربني بذلك قيل له وتلك الصفات أيضا من خلقه قال السمرقندي ومن اراد أن يكسر العجب فعليه أن يرى التوفيق منه تعالى فيشتغل حينئذ بالشكر ولا يعجب بنفسه وأن ينظر لنعماته عليه فيشتغل بالشكر عليها ويستقل عمله فلا يعجب به وأن يخاف عدم قبوله فيشتغل به ولا يعجب بنفسه وأن ينظر في ذنوبه ويخاف أن ترجح سيئاته بحسناته وكيف يعجب المرء بعله ولا يدرى ما يخرج من كتابه يوم القيامة.

قال في الزواجر وكيف يسوع لمن إنطوى عنه علم خاتمة أن يعجب بأي نوع من أنواعه فلا أعبد من إبليس ولباس ولا أقرب ولا أشفق من أبي طالب على نبينا ﷺ ولا أشرف من الجنة ومكة وقد علمت ما وقع لأولئك من خاتمة السوء والعياذ بالله تعالى وما وقع لآدم في الجنة ولكفار مكة فيها فاحذر العجب والغرور بنسب أو علم أو محل أو غير ذلك هذا كله إن كنت تعجب بحق فكيف وكثيرا ما يقع بباطل قال تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا الآية وقد أخبر ﷺ أن هذا يلبس على آخر هذه الأمة إذ جميع أهل البدع والضلال إنما أصرروا عليها لعجبهم بآراءهم الفاسدة وبذلك هلكت الأمم السابقة لما اختلفوا فرقا وأعجب كل راء برأيه كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين أيجسبون أنما نمدهم به من مال وبين نساوع لهم في الخيرات بل لا يشعرون أي أن ذلك كان مقاما واستدراجا سنسد رجهم من حيث لا يعلمون وأملى لهم إن كيدى سن.

قال في روح النيان في سورة الحج وفي الخيرات الله تعالى قال للنبي قل للقرى لا تعجبك قوتك فإن أعجبتك قوتك فادفع الموت عن نفسك وقل للعالم لا يعجبك علمك فإن أعجبك علمك فآخبرني متى أجلك وقل للفتى لا يعجبك مالك وعناك فإن أعجبك فاطعم.

والكبر واعتقاد ما ورد به الكتاب والسنة

خلقى خلقى غداء واحدا فالإنسان عاجز والله على كل شيء قدير ومنه النعمة إلى الصغير والكبير نقله العلامة بابصيل في بعض كتبه .
 ﴿ والكبر ﴾ أى التكبر على عباد الله وهو رد الحق واستحقار الناس كما قال ﷺ الكبر بطل الحق بفتح الموحدة والمهملة أى رده
 ودفعه وغفط الناس بفتح المهملة المعجمة وسكون الميم والمهملة أى إحتقارهم وازدراءهم وكذا غمضهم بالمهملة وفى رواية الحاكم
 وازدراء الناس وأفحش أنواعه التكبر على الله ككبر فرعون ونمرود حيث استنكها أن يكونا عبيدين له تعالى وادعيا الربوبية قال تعالى
 إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين أو على رسوله ﷺ بأن يمتنع من الاقياد له تكبرا جهلا وعنادا كما حكى الله
 ذلك عن كفار مكة وغيرهم من الأمم والتكبر على عباد الله تعالى وإن كان دون ما ذكر إلا أنه عظيم إثمه لأن الكبرياء والعظمة يلقيان
 بالملك القادر القوى المتين دون التبد العاجز الضعيف فتكبره فيه منازعة لله فى صفة كما قال تعالى فى الحديث القدسى الكبرياء ردائي
 فمن نازعنى فى ردائي قضمته وفى رواية عذبه وفى أخرى ألقيته فى جهنم ويثعن على كل إنسان الإخلاص من ورطته إذ هو من
 المهلكات ولا يخلو أحد من شئ منه فلا رآته فرض عين ولا تمكن بمجرد التمنى بل بالمعالجة باستعمال أدوية النافعة فى إزالته من أصله
 بأن يعرف نفسه حق المعرفة بأن يلمل أن بدايته من أذل الأشياء وأحقرها وهو التراب ثم المنى ووسطه من عدم التأهل لاكتساب العلوم
 والمعارف وحيازة المناصب ونهايته الزوال والقناء والعود إلى مثل بدايته ثم إعادته إلى ذلك الموقف الأكبر ثم إلى الجنة والنار ومن أظهر ما
 أشار لكل ذلك قوله تعالى قل الإنسان ما أكفره إلى آخر السورة وقوله تعالى هل أتى على الإنسان الآيات فمن تأمل ذلك ونظائره علم أنه
 أذل وأحقر من كل ذليل وحقير ولا يليق به إلا الذل والتواضع بأن يعرف ربه ليعلم أنه لا تليق العظمة إلا له عز وجل بخلاف نفسه فإنه لا يليق
 به الفرج لحظة فكيف البطر والخيلاء ولو ظهر له آخر أمره والعباد بالله لربما إختار أن يكون بهيمة ولو كلبا سيما إن كان فى علمه تعالى أنه
 من أهل النار فمن هذا حاله وعاقبته كيف يتكبر ويرى نفسه شئنا وأى عبد لم يذنب ذنبا يستحق به العقوبة إلا أن يعفو الله الكريم بفضله
 فمن تأمل ذلك حقيقة التأمل زال عنه النظر لعلمه وعمله وغيرهما وتواضع لله وفرأيه من كل شئ وعلم أنه أحقر وأذل شئ كيف وهو
 يجوز أن يكون عند الله شئنا وسيأتى الكلام على أدلة ذم الكبر من الكتاب والسنة فى بابيه من هذا الكتاب وقد أعمل الناس بطب
 أمراض القلوب وعللها المهلكات واشتغلوا بطب الأجساد مع أنه لا سلامة فى الآخرة إلا بسلامتها إلا من أتى الله بقلب سليم والله ولى
 التوفيق والهداية . ﴿ و ﴾ يجب ﴿ اعتناء ما ورد به الكتاب ﴾ العزيز وهو القرآن العظيم ﴿ والسنة ﴾ النبوية وذلك كالبعث والحشر
 والقيامة والحساب والثواب والعقاب وغيرها .

باب الوضوء

أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ * وأبو الشيخ عن ابن مسعود أمر بعبد من عباد الله تعالى يضرب في قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل ويدعو حتى صارت جلدة واحدة فامتلا قبره عليه نارا فلما ارتفع عنه قال علام جلد تموني إنك صليت صلاة غير طهور ومررت بمظلوم فلم تنصره * والبيهقي عن سليمان إذا توضأ العبد تحت عناء ذنوبه كما تحت ورق هذه الشجرة * ومسلم عن أبي هريرة إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب * وأبو داود عن ابن عمر من توضأ على طهر كسب له عشر حسنات

باب بيان الوضوء مع فضله

أخرج الشيخان وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ لا يقبل الله صلاة أحدكم والمراد بالقبول هنا ما يراد في الصحة وهو الجزاء وحقيقة القبول ثمة وقوع الطاعة بحرية رافعة لمعنى الذمة ولما كان الإتيان بشروطها مظنة الاجزاء الذي تقبل ثمرته عبر عنه بالقبول مجازا وأما القبول المنفي في مثل قوله ﷺ من أتى عرافا لم تقبل له صلاة فهو الحقيقي لأنه قد يصح الفعل ويختلف القبول لما عرفت عن سراج المنير وفي لفظ لا يصح صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ أي بالماء أو ما يقوم مقامه

أخرج أبو الشيخ ابن حبان عن ابن مسعود أمر بعبد من عباد الله تعالى يضرب في قبره مائة جلدة فلم يزل هذا العبد يسأل ربه ويدعو أن يخفف عذابه حتى صارت تلك المائة جلدة واحدة فامتلا قبره عليه نارا فلما ارتفع العذاب عنه قال العبد للملك الذي يضربه علام أي على أي شيء جالد تموني أي ضربتموني قال الملك إنك صليت صلاة في وقت واحد غير طهور بضم الطاء أي تطهر من وضوء أو غيره ومررت بمظلوم فلم تنصره

أخرج البيهقي عن سليمان عن أبي هريرة إذا توضأ العبد أي فأحسن وضوءه بأن راعى لشروطه وسنته وآدابه تحت عناء أي سقطت عن الموضوعي ذنوبه كما تحت ورق هذه الشجرة أيام الشتاء والمراد الصغائر كما قاله بعضهم

أخرج مسلم في صحيحه إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن شك من الراوى فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة والمراد بالخطايا الصغائر دون الكبائر كما قاله النووي نظر إليها بعينه وفي رواية بعينيه مع الماء قال القاضي والمراد بخروجها مع الماء المجاز بالإستعارة في غفرانها لأنها ليست بأجسام فتخرج حقيقة كذا في شرح مسلم أو مع آخر قطر الماء هو شك من الراوى أيضا فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها أي إكسبتها يده مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل رجله خرج من رجله كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا وخالصة من الذنوب

أخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال الترمذي أسناده ضعيف من توضأ على طهر أي جدد وضوءه وهو على طهر الوضوء الذي صلى به فرضا أو نفلا فإن لم يصل بالوضوء الأول صلاة مطلقا فلا يستحب تجديد الوضوء كسب له بالبناء للمفعول عشر حسنات أي بالوضوء المجدد قال بعضهم يشبه أن يكون المزداد كسب الله به وضوءات فإن

﴿وحكى﴾ الغزالي أنه روى بعض الموتى في المنام فقيل له كيف حالك فقال صليت يوما بلا وضوء فوكل على ذنبي وروعتني في قبري فحالي معه في سوء حال ﴿وحكى﴾ أنه رمدت عين الجنيد مرة فقال الطيب إن ترد عينيك فلا توصل إليهما ماء فلما ذهب الطيب توضأ وضئى ونام فبرئت عينه فسمع هاتنا يقول ترك الجنيد عينه في رضائي فلو طلب مني الجهنمين بذلك العزم لأجبت فلما جاء الطيب ورأى العين صحيحة قال ما فعلت قال توضأت وصليت وكان الطيب نصرانيا فآمن في الحال وقال هذا علاج الخالق لا المخلوق وكنت أنا أرمد وكنت أنت الطيب ﴿وحكى﴾ الياقنى عن سهل بن عبد الله قال أول ما رأيت من العجائب والكرامات

أقل ما وعد به الله من الأضعاف الحسنة بعشرة أمثالها وقد وعد الله بالواحد سبعمائة ووعد ثوابا يغير حساب وقد يؤخذ من قوله توضحاً أن الغسل لا تجديد فيه كالتميم وهو الأصل ذكره بعضهم في تنقيحه.

﴿وحكى﴾ الإمام حجة الإسلام ﴿الغزالي﴾ رحمه الله ﴿أنه﴾ أى الحال والشأن ﴿روى بعض الموتى في المنام﴾ أى رأى بعض الناس ﴿فقيل له كيف حالك فقال﴾ البعض ﴿صليت يوماً واحداً﴾ بلا وضوء فوكل ﴿بالبناء للمفعول﴾ على ذنبي ﴿بهمز وبذونه وقع على الذكر والأنثى وربما دخلت الهاء فى الأنتى فقيل ذنبة﴾ يروعتني ﴿بضم الياء وفتح الراء وكسر الواو المشددة أى يخوفنى ويفزعنى﴾ فى قبري فحالى معه ﴿أى مع الذنبي﴾ فى سوء حال ﴿وأشده﴾.

﴿وحكى﴾ أنه رمدت عين الجنيد ﴿أى أصابها رمد وهو وجع العين وهذا أبو قاسم جنيد بن محمد سيد هذه الطائفة الصوفية وأصله من نهاوند منشأ ومولده بالعراق وأبوه كان يبيع الزجاج فذلك يقال له القواريرى وكان فقيهاً على مذهب أبى ثور وكان يفتى فى حلقة محضرته وهو ابن عشرين سنة صاحب خال السرى والحريث الحاسبي ومحمد بن علي القصاب مات سنة سبع وتسعين ومائتين كذا قاله القشيري ﴿مرة فقال الطيب﴾ النصراني المسمى بالدوكونر عند أهل جاوه بعد أن جاءه ﴿إن﴾ لم ﴿ترد عينيك﴾ إلا الصحة ﴿فلا توصل إليهما ماء فلما ذهب الطيب﴾ من عند الجنيد خافه ولا يعمل بقوله ثم ﴿توضأ وضئى ونام﴾ واستيقظ من نومه ﴿فبرئت عينه﴾ من الرمد ﴿فسمع﴾ الجنيد ﴿هاتفا﴾ أى صوت قائل لا يرى شخصه ﴿يقول﴾ الهاتف من قبله تعالى ﴿ترك الجنيد عينه﴾ ولم يبال بقول الطيب ﴿فى رضائي﴾ أى لأجله ﴿فلو طلب﴾ الجنيد ﴿منى الجهنمين﴾ أى اتقاد القوم الذين هم من أهل جهنم منها ﴿بذلك العزم لأجبت﴾ طلبه ﴿فلما جاء الطيب﴾ إلى الجنيد ﴿ورأى العين﴾ أى عينه ﴿صحيحة قال ما فعلت قال﴾ الجنيد ﴿توضأت وصليت﴾ ونمت واستيقظت فبرئت عيني كما ترى ﴿وكان الطيب نصرانياً فآمن فى الحال وقال هذا﴾ أى الوضوء ﴿علاج الخالق﴾ جل وعز ﴿لا المخلوق وكنت أنا﴾ حين أقول لك ما ذكر ﴿أرمد﴾ أى لعدم يقينى بعلاج الخالق ﴿وكنت أنت الطيب﴾ صاحب اليقين بذلك وإيمان هذا النصراني معدود من جملة كرامة الجنيد رحمة الله عليه كما قاله بعضهم.

﴿وحكى﴾ الياقنى ﴿فى كتابه روض الرماحين فى حكاية الصالحين﴾ عن ﴿أبى محمد﴾ سهل بن عبد الله ﴿السترى﴾ أحد أئمة الصوفية لم يكن له فى وقته نظير فى المعاملات والورع وكان صاحب كرامات لثى ذا اللون المصرى بمكة سنة خروجه إلى الحج توفى كما قيل سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقيل ثلاث وسبعين ومائتين رحمة الله عليه ﴿قال أول ما رأيت من العجائب والكرامات﴾ جمع كرامة وهى الأمر الخارج للعادة غير متعارف لدعوى النبوة والكتاب العزيز والسنة ناطقان بذلك فمن ذلك قصة مرثم وعرش بلقيس وخبر البقرة المشهورة.

قال الأستاذ أبو القاسم القشيري فى الرسالة إن كثيراً من المقدورات تعلم اليوم قطعاً أنه لا يجوز أن تظهر كرامة لولى لضرورة أو شبه

أنني خرجت يوما إلى موضع خال فطاب لي المقام فيه ووجدت من قلبي إلى الله عز وجل وحضرت الصلاة وأردت الوضوء وكانت عادتي من صباي تجديد الوضوء لكل صلاة فكانني اغتست لفقد الماء فبينما أنا كذلك وإذا دب يمشي على رجليه كأنه إنسان معه جرة خضراء قد أمسك يده عليها فلما رأيته من بعيد توهمت أنه آدمي حتى دما مني وسلم على ووضع الجرة بين يدي فجاءني أعراض العلم فقلت الجرة والماء من أين هو فنطق الدب وقال يا سهل إنا قوم من الوحوش قد انقطعنا إلى الله تعالى بعزم الحبة والتوكل فبينما نحن نتكلم مع أصحابنا في مسألة إذ نودينا ألا إن سهلا يريد ماء لتجديد الوضوء فوضعت هذه الجرة بدى وإذا يجني ملكا فدنوت منهما وصبا فيها هذا الماء من الهواء وأنا أسمع خرير الماء قال سهل فغشى على فلما أفقت إذا بالجرة موضوعة ولا أعلم بالدب أين ذهب وأنا متحسر إذ لم أكله وتوضأت فلما فرغت أردت أن أشرب منها فنوديت من الوادي يا سهل لم يؤذن لك في شرب هذا الماء بعد فبقيت الجرة تضطرب وأنا أنظر إليها فلا أدري أين ذهبت .

ضرورة منها حصول إنسان لامن أبوين وقلب جماد بهيمة وأمثال هذا يكثر انتهى قال التاج السبكي وهذا حق يخص قول غيره ما جاز أن يكون معجزة نبى جاز أن يكون كرامة لولى لا فارق بينهما إلا التحدى لكنه مرجوح فقد قال الزركشى ما قاله القشيري مذهب ضعيف والجمهور على خلافه وقد أنكروا على القشيري حتى ولده أبو نصر في كتابه المرشد فقد قال بعض الأئمة ما وقع معجزة لنبي لا يجوز تقدير وقوعه كرامة لولى كقلب العصا ثعبانا وإحياء الموتى والصحيح يجوز جملة بخوارق العادات كرامات للأولياء وفي الإرشاد لإمام الحرمين مثله وفي شرح مسلم للنووي في باب البر والصلة أن الكرامات تجوز بخوارق العادات على اختلاف أنواعها ومنعه بعضهم وادعى أنها تختص بمثل إجابة دعاء ونحوه وهذا غلط من قائله وإنكار للحسن بل الصواب جريانها بقلب الأغنياء ونحوها ﴿أنني خرجت يوما إلى موضع خال﴾ من الثامن ﴿قطاب لي المقام﴾ بضم الميم أى الإقامة ﴿فيه﴾ أى في الموضع ﴿ووجدت من قلبي﴾ قربا ﴿إلى الله عز وجل وحضرت الصلاة وأردت الوضوء﴾ المحدد لأنى على طهر ﴿وكانت عادتي من صباي﴾ أى من صغرى ﴿تجديد الوضوء لكل صلاة﴾ فرضا أو نقلا كما هو دأب الصالحين ﴿فكانني﴾ بنفسى ﴿اغتست﴾ وحزنت ﴿لفقد الماء فبينما أنا كذلك﴾ أى الغتسام والحزن ﴿وإذا دب﴾ هو حيوان خيث ﴿يمشي على رجليه كأنه إنسان معه جرة خضراء﴾ والجرة فتح الجيم إناء معروف والجمع جرار مثل كلبة وكلاب ﴿قد أمسك﴾ الدب ﴿يده﴾ وفى الروض يديه ﴿عليها﴾ أى على الجرة ﴿فلما رأيته من﴾ مكان ﴿بعيد توهمت أنه آدمي﴾ لحمله الماء ﴿حتى دما﴾ أى قرب ذلك الدب ﴿منى وسلم على﴾ هذا من جملة كرامة سهل رحمه الله ﴿ووضع الجرة بين يدي فجاءني أعراض العلم﴾ أى اعتراض العلم كما فى نسخة الروض أى اعتراض من جهة العلم ﴿فقلت﴾ هذه ﴿الجرة والماء من أين هو فنطق الدب وقال يا سهل إنا قوم من الوحوش قد انقطعنا إلى الله تعالى بعزم الحبة والتوكل فبينما نحن نتكلم مع أصحابنا في مسألة إذ نودينا ألا﴾ أداة تنبيه ﴿أن سهلا يريد ماء لتجديد الوضوء﴾ قال الدب ﴿فوضعت هذه الجرة بدى وإذا يجني ملكا فدنوت منهما وصبا فيها﴾ أى الملكان ﴿فيها﴾ أى فى الجرة ﴿هذا الماء من الهواء وأنا أسمع خرير الماء﴾ أى صوته ﴿قال فغشى على فلما أفقت﴾ من تلك الغشية ﴿إذا بالجرة موضوعة ولا أعلم بالدب أين ذهب وأنا متحسر﴾ أى متلهف وحزين ﴿إذ لم أكله﴾ أى هذا الدب ﴿وتوضأت فلما فرغت﴾ من الوضوء ﴿أردت أن أشرب منها﴾ أى من الجرة ﴿فنوديت من﴾ جانب ﴿الوادي يا سهل لم يؤذن﴾ الله تعالى عز وجل ﴿لك فى شرب هذا الماء﴾ الذى فى الجرة وفى الروض لم يأن لك شرب هذا الماء ﴿بعد﴾ أى الآن يعنى فى الدنيا ﴿فبقيت الجرة تضطرب وأنا أنظر إليها فلا أدري أين ذهبت﴾ تلك الجرة .

﴿فصل﴾ في أحكام الوضوء شروطه ماء مطلق وظن أنه مطلق وإسلام وتميز وعلم فرضيته وعدم ظن فرضه نقلا وعدم حائل ولا منغير للماء على العضو كوسخ تحت ظفر

﴿فصل﴾

وهو لغة الحاجز بين شيئين واصطلاحاً اسم لجملة مختصة من العلم مشتملة على فروع ومسائل غالباً والفرع ما يبنى على غيره وعكسه الأصل والمسائل جمع مسألة وهي لغة مطلق السؤال واصطلاحاً مطلوب خبري يترجم عليه في العلم ﴿في أحكام الوضوء﴾ هو يضم الواو اسم للفعل وهو الميراد هنا ويفتحها اسم للماء الذي يتوضأ به في الأشهر وقيل بالفتح فيهما وقيل بالضم فيهما وهو أضعفها وهو اسم مصدر إذ قياس المصدر التوضوء بوزن التكلم والتعلم وقد استعمل استعمال المصادر أصله من الوضأة وهي النظافة والنضارة والضياء من ظلمة الذنوب وفي الشرع أفعال مخصوصة مفتحة بالنية.

وكان فرضه مع فرض الصلاة كما رواه ابن ماجه وذلك قبل الهجرة سنة أو ستة عشر كما قاله الشوبري وهو معقول المعنى خلافاً للإمام وابن عبد السلام حيث قالاً هو تعبدى لا يعقل معناه لأن فيه مسخاً ولا تنظيف فيه وهذا ضعيف والمعتمد كما قاله الخطيب أنه معقول المعنى لأن الصلاة مناجاة للرب تعالى فطلب التنظيف لأجلها وإنما اختص الرأس بالمسح لستره غالباً فاكفى فيه الماء بأدنى طهارة وخصت الأعضاء الأربعة بذلك لأنها محل اكتساب الخطايا أولاً لأن آدم مشى إلى الشجرة برجليه وتناول يده وأكل منها فمعه ومن رأته ورفها والراجح أن التعبدى أفضل من معقول المعنى لأن الإمتثال فيه أشد ولأن فيه ارغاما للنفس وعبرة ابن حجر في القاروى الحديثة سئل هل التعبدى أفضل أو معقول المعنى فأجاب بقوله قضية كلام العز بن عبد السلام أن التعبدى أفضل لأنه لخص الانقياد بخلاف ما ظهرت عليه فإن ملائسته قد يفعله لأجل تحصيل علة وفائدته وللوضوء شروط وفروض وسنن فين المصنف تلك الشروط بقوله..

﴿شروطه﴾ أي الوضوء وكذا الغسل والشروط جمع شرط بسكون الراء وهو لغة تعليق أمر مستقبل بمثله أو الزام الشيء والزامه ويفتحها العلامة واصطلاحاً ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم وجود ولا عدم لذاته قاله ابن حجر ﴿ماء مطلق﴾ أي عند عدم الاشتباه وهو ما يقع عليه اسم الماء بلا قيد وإن وشح من بخار الماء المغلى أو استهلك فيه الخليط أو قيد بموافقة الواقع كماء البحر بخلاف ما لا يذكر الا مقيداً باضافة كماء ورد أو بصفة كماء دافق أو بلام العهد كالماء في قوله صلى الله عليه وسلم إذا رأت الماء ﴿ور﴾ علم أو ﴿ظن أنه مطلق﴾ هذا إنما هو شرط عند الاشتباه لا مطلقاً فإنه إذا لم يكن اشتباه يكتفى استصحاب الإطلاق ولا يشترط ظنه كذا ذكره الخطيب عن المدائني ﴿واسلام﴾ لأن الوضوء عبادة والكافر ليس من أهلها ﴿وتمييز﴾ استثنى غير المميز إذا وضأه وله في الحج مثلاً ﴿وعلم فرضيته﴾ أي علم بكون كل من الوضوء والغسل فرض وهو ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه لأن الجاهل بفرضيته غير مسكن من الحزم بالنية فلا تصح من جهل فرضيته ﴿وعدم ظن فرضه﴾ الميعن ﴿نقلاً﴾ فلا بد أن يميز فرائضه من سننه أو يعتقد أن فيه فرضاً وسنة وإن لم يميز أحدهما عن الآخر أو يعتقد أن أفعاله كلها فروض هذا كله صحيح والمضمر أن يعتقد أن فيه فروضاً وسنناً ويعتقد أن الفرض سنة وهذا تفصيل في حق الناس أما العالم فلا بد فيه من التمييز قاله الخطيب ﴿وعدم حائل﴾ أي جرم كيف يمنع وصول الماء للبشرة بين الماء والغسل ومثله المسحوك كما هو ظاهر وذلك ككورة وشمع ودهن جامد وعين خبز بخلاف دهن مانع وإن لم يثبت الماء عليه وبخلاف أثر خبز وحناء فإنه يضر والمراد بالأثر مجرد اللون بحيث لا يتحصل بالحث مثلاً منه شيء ﴿ولا منغير للماء على العضو﴾ تنزيهاً صاراً والحائل ﴿كوسخ تحت ظفر﴾ أي من أظفار اليدين أو الرجلين قال في شرح العباد وما في الإجابة بما نقله

وكرعفران وصندل وجرى الماء عليه ودخول وقت لذائم حدث ﴿وفروضة﴾ نية أداء فرض الوضوء أو الطهارة لاستباحة الصلاة الزركشي عن كثيرين وأطال فهو وغيره في ترجيحه وأنه الصحيح المعروف في المساحة عما تحت الأظفار من الوسخ دون نحو العجين ضعيف بل غرب كما أشار إليه الأذرعى ونقله بعضهم .

﴿و﴾ أما تمثيل المغير الذي على العضو فهو ﴿كرعفران وصندل﴾ هو شجر طيب الرائحة كما في المختار ﴿وجرى الماء عليه﴾ أى على العضو المغسول كالوجه واليدين والرجلين وخروج به المسوح كالرأس فلا يشترط فيه الجرى ولا يكفي أن يمسسه الماء لأنه لا يسمى غسلا قال في الغياب ومن ثم لم يحز الغسل بالثلج والبرد إلا إن ذابا وجريا على العضو ﴿ودخول وقت لذائم الحدث﴾ كسلسر ومسحاضة وشرطه أيضا ظن دخوله فلو توجها قبل دخول الوقت لم يصح لأنه طهارة ضرورية ولا ضرورة قبل الوقت وإنما فروض الوضوء فذكرها بقوله .

﴿وفروضة﴾ ستة أربعة بنص القرآن وإثبات بالنسبة وهما النية والترتيب وعددها ستة عندنا خلافا للسادة الحنفية والمالكية ولم يعدوا الماء ركنا هنا مع عدد الترتيب ركنا في التيمم لأن الماء غير خاص بالوضوء بخلاف التراب فإنه خاص بالتيمم ولا يرد عليه التجاسة المعلقة لأنه غير مظهر فيها وحده بل الماء بشرط استزاجه بالتراب على أن بعضهم قال إنه لا يحسن عد التراب ركنا لأن الآلة جسم والفعل عرض فكيف يكون الجسم جزءا من العرض قاله في النهاية وأجيب بأن الركن استعماله لأدائه فإن تعلق الأحكام إنما هو بفعل المكلف لا الأعيان .

أحدها ﴿نية﴾ وضوء أو ﴿أداء فرض الوضوء﴾ أو رفع حدث لغير ذائم حدث حتى في الوضوء المحدد أو الطهارة عنه ﴿أو الطهارة لاستباحة﴾ معتقرا إلى وضوء ﴿الصلاة﴾ ومن المصحف ولا تكفى نية استباحة ما يندب له الوضوء كقراءة القرآن أو الحديث وكدخول مسجد وزيارة قبر .

والأصل في وجوب النية قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين إنما الأعمال بالنية المعتمد بها شرعا ولأن الوضوء عبادة محضة طريقه الأفعال فلم يصح من غير نية كالصلاة فاحترز بالعبادة عن الأكل والشرب والنوم ونحو ذلك وبالخصصة عن العدة وبطريقه الأفعال قال صاحب البيان عن الأذان والخطبة وقيل عن إزالة التجاسة وستر الغورة فإن طريقها التروك وحيثها لغة القصد وشرعا قصد الشيء معتقرا بفعله وحكمها الوجوب كما علم بما مر ومحلها القلب المقصود بها تميز العبادة عن العادة كالجلوس للإعكاف تارة والاستراحة أخرى أو تميز رتبها كالصلاة تكون للفرض تارة وللنفل أخرى وشرطها إسلام الناوي وتميزه وعلمه بالمتوى وعدم إتيانه بما ينافيها بأن يصحبها حكما وأن لا تكون معلقة فلو قال إن شاء الله تعالى فإن قصد التعليق أو أطلق لم تصح وإن قصد التبرك صحت ووقتها أول الفروض كأول غسل جزء من الوجه هنا كما سيأتي وإنما لم يوجبوا المقارنة في الصوم لعسر مراقبة الفجر وتطبيق النية عليه وكيفيتها تختلف بحسب الأبواب فيكفى هنا نية رفع حدث كما مر كذا قاله الخطيب .

* تنبيه * لا يشترط في النية الإضافة إلى الله تعالى لكن تسحب كما في الصلاة وغيرها ولو توجها الشاك بعد وضوئه في حدثه احتياطا فبان تحملا لم يحزه للتردد في النية فلا ضرورة كما قضى فائدة الظهر مثلا شاك في أنها عليه ثم بان أنها عليه لا يكفي أي إذا لم يسن حدثه فإنه يحزه للضرورة ولو توجها الشاك وجوبا بأن شك بعد حدثه في وضوئه فتوضأ آخره وإن كان مترددا لأن الأصل بقاء الحدث بل لو نوى في هذه إن كان محدثا فعن حدثه بالإيجاد صح أيضا نقله في المجموع عن البيهقي وأقره ومن نوى بوضوئه تبردا أو شيب

عند أول غسل جزء من الوجه وغسل الوجه

يحصل بدون قصد كتنظيف ولو في أثناء وضوئه مع نية معتبرة جاز على الصحيح لحصول ذلك من غير نية كصلى نوى الصلاة ودفع الغريم فإنها تجزئته لأن إشتاله عن الغريم لا يفترق إلى نية والثاني يضر لما في ذلك من التشريك بين قرينة وغيرها فإن فقد النية للمعتبة كان نوى التبرد أو نحوه وقد غفل عنها لم يصح غسل ما غسله بنية التبرد ونحوه ويلزمه إعادته دون إستئناف الطهارة قال الزركشي وهذا الخلاف في الصحة أما الثواب فالظاهر عدم حصوله وقد إختار النزالي فيما إذا شرك في العبادة وغيرها من أمر ديني اعتبر الباعث على العمل فإن كان القصد الديني هو الأغلب لم يكن فيه أجر وإن كان القصد الديني أغلب فله بقدره وإن تساوى تساقطا واختار ابن عبد السلام أنه لا أجر فيه مطلقا سواء أ تساوى القصد أم إختلفا .

ويجب أن تكون النية ﴿عند أول غسل جزء من الوجه﴾ فما تقدم عليها منه لاغ وما قرنها هو أوله فتجب إعادة ما غسل منه قبلها لأن القاعدة أنه يشترط إقتران النية بأول الواجبات كالصلاة وغيرها من العبادات ما عدا الصوم فتصير فيه المقارنة بل الشرط فيه تقدمها على الفجر وأما إقترانها بما قبله من سنته الداخلة فيه ففيه خلاف قليل يكفي قرنها بسنة قبله لكونها من جملة الوضوء والأصح المنع لأن القصد من العبادات أركانها والسنة تواب أما الإستنجاء فلا يكفي إقترانها به قطعاً وموضع الخلاف عند عزوها قبل الوجه فإن بقيت إلى غسله فهو أفضل ليثاب على سنته السابقة لأنها عند خلوها عن النية غير مثاب عليها بخلاف من نوى صوم قبل الزوال حيث يثاب من أوله لأن الصوم خصلة واحدة لا يتبعض وأما الوضوء فأفعال متصلة والإعتفاف فيها أبعد وأيضاً فلا ارتباط لصحة الوضوء بسنته لصحة بدونها بخلاف بقية النهار .

* فائدة * لو نسي النية عند غسل الوجه لم يجزه هذا بناء على مذهب الشافعي في إيجابه النية في طهارة الحدث والغسل من الجنابة نظراً للخبر السابق إنما الأعمال بالنيات وبه قال مالك وأحمد وغيرهما من الأئمة خلافاً لأبي حنيفة فإنه قال لا تجب النية فيهما ويصحان مع عدمها إلا أن أحمد يقول من بدأ بالنية عند غسل أول جزء من أجزاء الوجه لا تصح طهارته ذكره ابن هبيرة وقال الرافعي لا يجوز أن تأخر النية عن أول غسل الوجه لأنها لو تأخرت لخلا أول الفرض عن النية وإذا لم تأخر فأما أن تحدث مقارنة لأول غسل الوجه أو تقدم فإن حدثت مقارنة لأول غسل الوجه صح الوضوء ولا يجب الإستصحاب إلى آخر الوضوء لما فيه من العسر ولكن لا يحصل ثواب ما قبله من السنن وقال النووي قلت وفي الحاوي وجه أنه يثاب عليها والله أعلم ثم قال الرافعي وإن تقدمت عليه نظر إن استصحبها إلى أن ابتداء بغسل الوجه صح الوضوء وحصل ثواب السنن المنوية قبله وإن قارنت ما قبله ففي صحة الوضوء وجهان أحدهما الصحة وأصحهما المنع ثم قال وقول النزالي في الوجيز وقت النية حالة غسل الوجه مؤول لأن إطلاق غسل الوجه يتناول جميعه والجميع ليس بوقت النية لا بمعنى أنه يجب إقتران النية بالكل كقولنا وقت الصوم النهار لأنه يجوز أن يغسل الوجه على التدرج ولا تقترن النية بما سوى الجزء الأول ولا بمعنى أنه تجزئ النية في أي بعض من أبعاضه إنفقت كقولنا وقت كذا لأن إقترانها بما سوى الجزء الأول لا يغني فإذا المراد أول غسل الوجه قاله الزبيدي .

﴿و﴾ ثانياً ﴿غسل﴾ ظاهر ﴿الوجه﴾ لقوله تعالى فاعسلوا وجوهكم وإرجاء والمراد بالغسل الإتصال سواء كان بفعل الممرض أم بغيره وكذا الحكم في سائر الأعضاء وأما باطنه كباطن العين والشم والأنف وإن ظهر بنحو قطع إذا التبرع بالأصل وإنما جعل في النجاسة ظاهر النظم فلا يجب غسله نعم يجب غسل ما باشره القطع ووجد الوجه طويلاً ما بين منابت شعر رأسه وتحت منتهى لحية

وعرضا ما بين أذنيه فعنه موضع الغنم وكذا التحذيف في الأصح لا النزعتان وهما ياضان يكتنفان الناصية قال النووي قلت صح الجمهور أن موضع التحذيف من الرأس والله أعلم لأن اتصال شعره بشعر الرأس ونقل الرافعى ترجيحه في شرحه عن الأكثرين وتبع في الحرر ترجيح الغزالي للأول ومن الرأس أيضا الصدغان وهما فوق الأذنين متصلان بالعذارين لدخولهما في تدوير الرأس ويسن غسل موضع الصلغ والتحذيف والنزعتين والصدغين مع الوجه للخلاف في وجوبها في غسله ويجب غسل جزء من الرأس ومن الحلق ومن تحت الحنك ومن الأذنين ويجب أدنى زيادة في غسل اليدين والرجلين على الواجب فيهما لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ومن الوجه البياض الذي بين العذار والأذن لدخوله في حده وما ظهر من حمرة الشفتين ومن الأنف بالجدع ويجب غسل كل هذب وحاجب وعذار وشارب وخد وعنفقة شعر أو بشر وقيل لا يجب غسل باطن عنققة كثيفة واللحية إن خفت كهدب فيجب غسل ظاهرها وباطنها ولا فليغسل ظاهرها وفي قول لا يجب غسل خارج عن حد الوجه من لحية وغيرها كالعذار خفيفا كان أم كثيفا لا ظاهرا ولا باطنا لخروجه عن محل الفرض ومن له وجهان وكان الثاني مسامتا للأول وجب عليه غسلهما كاليدين على عضو واحد أو رأسان كفى مسح بعض أحدهما والفرق أن الواجب في الوجه غسل جميعه فيجب غسل ما يسمى وجهها وفي الرأس بعض ما يسمى رأسا وذلك يحصل ببعض أحدهما نقله بعضهم عن المجموع وأقره .

* تنبيه * قال الرشيدى وقع السؤال في الدرس عما لو تأخر أذناه خلفه بأن صارتا قريبتين من القفا هل يجب غسل ما بينهما قياسا على المرفق أم لا ويعتبر قدره من المعتدل من غالب أمثاله ويحجب عنه بأنه ينبغي أن لا يجب غسل ما زاد على ما يكون غاية للوجه من معتدل الخلقة من أمثاله ويفرق بين هذا وبين ما لو خلق مرفقه فوق المعتاد بأن المرفق جزء من اليد وقد خلق الفسل بها في الآية مع المرفق وفي الوجه أمر بفسل ما يسمى وجهها وهو ما تقع به المواجهة والأذن إنما جعلت علامة على حده فاذا جعلت قريبة من القفا فما بينها وبين الوجه لا تقع به المواجهة فلم تشمله الآية والعلامة ليست قطعية حتى يرجع إليها وإن خالفت العادة وبقي ما لو تقدمت أذناه قريبا من العينين مثلا هل يجب غسلهما أم لا فيه نظر ويحجب عنه بأن الظاهر أنه يجب غسلهما ويعتبر محلها الأصلي بقالب الناس .

﴿ وثالثها غسل اليدين ﴾ من الكفين والذراعين والآية والإجماع ﴿ مع المرفقين ﴾ بكسر الميم وفتح الفاء أفصح من عكسه أو قدرهما إن فقدنا كما نبه عليه في الباب كما روى مسلم عن أبي هريرة ؓ في سنة وضوء رسول الله ﷺ أنه توضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى أشبع في العضد ثم اليسرى حتى أشبع في العضد إلى آخره للإجماع ولقوله تعالى وأيديكم إلى المرافق ووجه دلالة الآية على ذلك أن تجعل اليد التي هي حقيقة إلى المنكب على الأصح مجازا إلى المرفق مع جعل إلى غاية للفسل الداخل هنا في المغيار بقرئتي الإجماع والإحياط للعبادة والمعنى اغسلوا أيديكم من رؤوس أصابعها إلى المرافق أو للمعية كما في قوله تعالى من أنصاري إلى الله ويزدكم قوة إلى قوتكم أو تجعل باقية على حقيقتها إلى المنكب مع جعل إلى غاية للترك المقدور ولتخرج الغاية والمعنى اغسلوا أيديكم واتركوا منها إلى المرافق قال البيضاوى في تفسيره قيل إلى بمعنى مع أى كما تقدم أو أن إلى متعلق بمحذوف تقديره وأيديكم مضافة إلى المرافق ثم قال ولو كان كذلك لم يكن بمعنى التحديد ولا لذكره مزيدة فائدة لأن مطلق اليد يشتمل عليها أى المرافق ثم ذكر أقوا آخر يطول الكلام بذكرها فلترجع ولا بد من غسل جزء من العضد ليحقق غسل اليد وللحديث المذكور فإن قطع بعض ما يجب غسله وجب غسل ما بقي لغيره إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ولأن الميسور لا يسقط بالمعسور أو قطع من مرفقه فيجب غسل رأس

ومسح بعض الرأس

عظم العضد على المشهور أو قطع من فوق مرفقه ندب غسل باقى عضده كما لو كان سليم اليد لئلا يخلو العضو عن طهارة ويجب غسل ما على اليدين من شعر وإن كثف وأظفار وإن طالت كيد أو سلعة نبتت فى محل الفرض وباطن ثقب أو شق فيه لأنه صار ظاهراً نعم إن كان لهما غوز فى اللحم لم يجب إلا غسل ما ظهر منهما وكذا يقال فى بقية الأعضاء .

* فرع * لو قطعت يده ثم الصقها فى حرارة فإن التحمت بحيث صار يخشى محذور تيمم يمنع عليه قطعها ويجب غسلها والا فلا قاله الرملى وغيره .

* فرع آخر * لو كان فاقداً اليدين أو أحدهما فنسل بعد الوجه ما يجب غسله منهما إن كان ثم ما يجب غسله ثم مسح الرأس وتم وضوءه ثم نبت له يدان بدل المفقودتين فهل يجب غسلهما الآن ويعيد ما بعدهما من الرأس والرجلين أو لا فيه نظر والذي يظهر الثانى لأنه لم يخاطب بغسلهما حين الوضوء لفقدتهما فمسحه للرأس وقع صحيحاً معتداً به فلا يطله ما عرض من نبات اليدين وكما لو غسل وجهه أو مسح رأسه ثم نبت له شعر فيهما حيث لا يجب غسله ولا مسحه كذا قاله الرشيدى وفى الروضة للنووى ولو طالت أظفاره وخرجت عن رؤوس الأصابع وجب غسل الخارج على المذهب وقيل قولان وإذا توضعاً ثم قطعت يده أو رجله أو حلق رأسه لم يلزمه تطهير ما إنكشف ذكره العلامة الزيدى .

﴿ و ﴾ رابعها ﴿ مسح بعض الرأس ﴾ قال تعالى وامسحوا برؤوسكم وروى مسلم أنه ﷺ توضعاً فمسح بناصيته وعمامة ويجزئه المسح ولو بعض شعرة واحدة ولو بعدد لا ما خرج من الشعر ولو بالمد إلى جهة سفله عن حد الرأس فلا يكفي المسح عليه أو قدر بعض شعره من البشرة ولو من ذى رأسين فيكفى مسح بعض أحدهما واكتفى بمسح البعض فيما ذكر لأنه المفهوم من المسح عند إطلاقه ولم يقل أحد بوجوب خصوص الناصية وهى الشعر الذى بين التزعتين والإكفاء بها يمنع وجوب الإستيعاب ومنع وجوب التقدير بالربع أو أكثر لأنها دونه والباء إذا دخلت على متعدد كما فى الآية تكون للتبويض أو على غيره كما فى قوله تعالى وليطوفوا بالبيت تكون للإصاق ولو قطر الماء على الرأس أو وضع يده المبتلة عليه أو تعرض للمطر ناوياً للمسح ولم يمسح بالماء فى شىء منها أجزاءه لحصول المقصود من وصول البلل إليه ولو غسله لم يكره لأنه الأصل إذ به تحصل النظافة ولم يستحب لأنه ترك ما يشبه الرخصة ويجزئ مسح ببرد وثلج لا يذوبان لحصول المقصود به ويجزئ غسلهما إن ذابا وجوبا على العضو لذلك .

* تنبيه * قال الشافعى فى شرح النقاية المسح الإصابة قال الشافعى وهو رواية عن أحمد الفرض فيه ما يقع عليه اسمه وقال مالك وأحمد جميع الرأس ودليلهم جميعاً آية الوضوء ومعنى الباء فى برء وسكم للإصاق ومسح بعض رأسه وسرعته كلاهما ملصق المسح برأسه فأخذ الشافعى رحمه الله بالمتيقن وأخذ مالك بالاحتياط وأخذ أبو حنيفة رحمه الله ببيان رسول الله ﷺ وهو روى مسلم والطبرانى عن عروة بن المغيرة بن شعبة عن أبيه أن النبى ﷺ توضعاً ومسح بناصيته وعلى الحنفين وروى أبو داود والحاكم وسكت عنه من حديث أبى معقل قال رسول الله ﷺ يترضاً وعليه عمامة قطرية فادخل يده من تحت العمامة فمسح مقدم رأسه ولم ينتقض العمامة ومعلوم أن الناصية ومقدم الرأس أحد جوانبها الأربعة فلو كان مسح الربع ليس بمجزئ لم يقتصر ﷺ فى ذلك الوقت عليه ولو كان مسح ما دونه مجزئاً لفعله ﷺ ولو مرة فى عمره تعليماً للجواز انتهى . وفى شرح المختار الآية بجملة فى مسح الرأس لأنه يحتمل إرادة الجمع وإرادة ما يطلق عليه اسم المسح وإرادة بعضه وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه حصر عن عمامته ومسح على ناصيته فصار بياناً للآية

وغسل الرجلين مع الكعنين والترتيب

وحجة على المخالف والمختار مقدار الناصية هو ربع الرأس لكونه إحدى جوانبه الأربع .

فإن قيل لم قلت أنه يحمل في حق المقدار والجمل ما لا يمكن العمل به قبل البيان وقد أمكن العمل به قبل البيان ههنا لأنه لما كان المراد به مطلق البعض ويخرج عن العهدة بأدنى ما يطلق عليه اسم البعض كما قلنا في الركوع والسجود قلنا مطلق البعض غير مراد بالإجماع إذ ذلك يحصل بغسل الوجه فلا حاجة إلى إيجاب على حذو فعلم أن المراد به بعض معتد كالثلث أو الربع كما قرره المحققون .

فإن قلت المدعى ربع غير معين والدليل يدل على ربع معين وهو الناصية ولم يوافق الدليل المدلول والموافقة شرط بينهما كما بين الشهادة والدعوى قلت الحديث يحتمل معنيين التعيين وبيان المقدار وقد عرف أن خبر الواحد يصلح مبينا لمجمل الكتاب والبيان إنما يكون في موضع الإجمال ولا إجمال في المحل لأنه معلوم وهو الرأس وأن الإجمال في المقدار لأنه الثلث أو الربع وقوله عليه والسلام يصير بياناً له .

فإن قلت لم سمي المجتهد مفروضاً والفرض ما ثبت بدليل قطعي لا شبهة فيه ويكفر جاحده والإختلاف بين الأئمة يورث الشبهة ولهذا لا يكفر جاحد مسح مقدار الناصية قلنا الجواب عنه بوجهين أحدهما أنه أراد بالمفروض المقدار لأن الفرض في اللغة عبارة عن التقدير والثاني أراد به المفروض عندنا لأنه المفروض في نفس الأمر كما تقول أن تعديل الأركان فرض عند أبي يوسف وقراءة الفاتحة فرض عند الشافعي والعقدة على رأس كل شفع في النوافل فرض عند محمد كذا قاله الزبيدي .

﴿و﴾ خامسها ﴿غسل الرجلين﴾ بقوله تعالى وأرجلكم إلى الكعنين قرئ بالنصب وبالجر عطفاً على الوجوه لفظاً في الأول ومعنى في الثاني لجره بالجوار أو لفظاً أيضاً عطفاً على الرؤس ويحتمل المسح على مسح الخف أو على الغسل الخفيف الذي تسميه العرب مسحاً ونكة إثاره طلب الإقتصار إذا لرجل مظنة الأسراف وعليه فالباء المقدرة للإلصاق والحاصل عليه الجمع بين القراءتين وما صح من وجوب الغسل ﴿مع الكعنين﴾ من كل رجل وهما العظامان النانئان عند مفصل الساق والقدم ويجب إزالة ما يذاب في الشق من نحو شمع ولو لم يكن لرجله كعب اعتبر قدره من المعتدل من غالب أمثاله ولو قطع بعض قدمه وجب غسل الباقي وإن قطع فوق الكعب فلا فرض عليه ويسن غسل الباقي كاليد ويأتي فيهما ما تقدم من غسل شعر وسلة ونحو ذلك وحل تعين وجوب غسلهما في حق من لم يرد المسح على الخفين قاله في النهاية .

﴿و﴾ سادسها ﴿الترتيب﴾ بأن يغسل وجهه مع النية ثم يديه ثم يمسح رأسه ثم يغسل رجليه لأنه ﷺ لم يتوضأ إلا مرتباً ولو .

يجب لتركه في وقت أو دل عليه بآثار للجواز كما في التلث ونحوه ولما صح من قوله ﷺ ابدءوا بما بدأ الله به الشامل للوضوء وإن ورد في الحج إذا عبرة بعموم اللفظ وهو عام ولأنه تعالى ذكر ممسوحاً بين مغسولات وتفرق المتجانس لا تركبه العرب إلا لفائدة وهي هنا وجوب الترتيب لاندبه بقرينة الأمر في الخبر ولأن العرب إذا ذكرت متعاطفات بدأت بالأقرب فالأقرب فلما ذكر فيها الوجه ثم اليدين ثم الرأس ثم الرجلين دل على الأمر بالترتيب والأفعال فاعملوا وجوهكم وامسحوا برءوسكم واغسلوا أيديكم وأرجلكم ولأن الأحاديث المتضمنة الشائعة في صفة وضوئه ﷺ مصرحة به ولأن الآية بيان للوضوء فلو قدم عضواً على محله لم يعتد به ولو غسل أربعة أعضائه معاً ولو بغير أذنه ارتفع حدث وجهه فقط حيث نوى معه لأن المعية تنافي الترتيب فلو اغتسل محدثاً أصغر فقط بنية رفع الحدث أو نحوه ومعتمداً فالأصح أنه إن أمكن تقدير ترتيب بأن غطس ومكث قدر الترتيب صح له الوضوء لأن الترتيب حاصل في الحالة المذكورة وإن يمكن تقدير ترتيب بأن خرج حالاً أو غسل أسافله قبل أعاليه كما ذكره في المحرر فلا يجزئه لأن الترتيب من واجبات الوضوء والواجب

﴿فرع﴾ لو شك في تطهير عضو قبل الفراغ من الرضوء طهره وما بعده أو بعد الفراغ لم يؤثر ﴿وسننه﴾ التسمية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه رواه أحمد وأبو داود * ثم غسل الكفين ثم السواك لا يستطع بفعل ما ليس كذلك قال النووي قلت الأصح الصحة بلا مكث والله أعلم لأن الترتيب يحصل في لحظات لطيفة وهذا هو المعول عليه في التعليل.

﴿* فرع﴾ لو شك في الغسل المتوضئ أو الغسل ﴿في تطهير عضو قبل الفراغ من الرضوء﴾ أى من وضوئه أو غسله ﴿طهره﴾ أى طهر ذلك العضو المشكوك فيه ﴿و﴾ كذلك طهر ﴿ما بعده﴾ من الأعضاء بالنية للوضوء لاشتراط الترتيب فيه بخلاف الغسل فلا يبعد غسل ما بعد العضو المشكوك فيه لعدم اشتراط الترتيب فيه أفاده السيد البكرى ﴿أو﴾ شك ﴿بعد الفراغ﴾ من طهره ﴿لم يؤثر﴾ أى لم يضر شكه بعد الفراغ استصحاباً بالأصل الطهر فلا نظر لكونه يدخل الصلاة بطهر مشكوك فيه كما قاله في التحفة وحزم به بعضهم ثم لما فرغ المصنف ذكر الأركان شرع في بعض السنن فقال رحمه الله ﴿وسننه﴾ أى الرضوء أى ومن سننه ﴿التسمية﴾ أوله للأخبار الواردة في ذلك منها ما رواه النسائي بإسناد جيد عن أنس قال قال بعض أصحاب النبي ﷺ وضوءاً فلم يجدوا فقال صلى الله عليه وسلم هل مع أحد منكم ماء فأتى بماء فوضع يده في الإناء الذي فيه الماء ثم قال توضعوا بسم الله أى قائلين ذلك فرأيت الماء يغور من بين أصابعه حتى توضع نحو سبعين رجلاً ومنها ما رواه النسائي وابن خزيمة توضعوا بسم الله ومنها ما ذكره بقوله ﴿قال رسول الله ﷺ لا صلاة﴾ صحيحة ﴿لمن لا وضوء له ولا وضوء﴾ كاملاً ﴿لمن لم يذكر اسم الله عليه رواه أحمد﴾ فى سننه ﴿وأبو داود﴾ وابن ماجه والحاكم عن سعيد بن زيد وإنما لم تجب التسمية لآية الرضوء المينة لواجباته وأما خبر لا وضوء لمن لم يسم الله فرده الشافعية بضعفه أو حمله على الكامل وأقلها بسم الله وأكملها بسم الله الرحمن الرحيم ثم الحمد لله على الإسلام ونعمته الحمد لله الذى جعل الماء طهوراً زاد الغزالي في بداية الهداية رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك أن يحضروك ويسن التعوذ قبلها وتسبى لكل أمر ذى بال عبادة وغيرها كغسل وتيمم وتلاوة ولو من أثناء سورة وجماع وذبح وخروج من منزل لا للصلاة والحج والأذكار وتكره لمكروه ويظهر كما قاله الأذرعى تحريمها لحرم فإن ترك التسمية عمداً أو سهواً أو فى أول طعام أو شراب فى أثناءه يأتى بها تداركاً لما فاته فيقول بسم الله أوله وآخره وفهم من هذا أنه لا يأتى بها بعد الفراغ فى وضوءه وهو كذلك بخلاف الأكل فإنه يأتى بها بعده كما أفاده بعضهم لقياً الشيطان ما أكله وهل هو حقيقة أو لا كل محتمل وعلى كونه حقيقة لا يلزم أن يكون داخل الإناء فيجوز وقوعه خارجه .

* تنبيه * التسمية صارت علماً على بسم الله الرحمن الرحيم والا فالتسمية مصدر سمي يسمى تسمية فلا يعترض على المصنف فى التعبير بالتسمية أفاده السوفى .

﴿ثم﴾ من سنن الرضوء ﴿غسل للكفين﴾ مع الكوعين مع التسمية المقرنة بالنية القلبية وإن لم يرد ادخالهما فى الإناء كان صب على كفيه بنحو إبريق أو تيقن طهرهما للاتباع فإن شك فى طهرهما كره غسهما فى ماء قليل لا كثير قبل غسلهما ثلاثاً لخبر إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده فى الإناء حتى يغسلها ثلاثاً فإنه لا يدري أين باتت يده رواه الشيخان الا قوله ثلاثاً فمسلماً أشار فيما علل به إلى احتمال نجاسة اليد فى النوم والحق بالنوم غيره فى ذلك أما إذا تيقن طهرهما فلا يكره غسهما ولا يسن غسلهما قبله .

﴿ثم﴾ من سننه ﴿السواك﴾ وهو لغة الدلك وآله وشرعاً استعمال عود أو نحوه كاشنان فى الأسنان وما حولها وهو سنة مطلقاً لخبر السواك بطهارة للفم مرضاة للرب رواه ابن خزيمة وحيان فى صحيحهما رواه البخارى بصيغة الجزم والمطهرة بفتح الميم

بكل خشن

وكسرها كل إباء يتطهر به فشبه السواك به لأنه يطهر الفم قاله في المجموع وقال الجوهرى المطهرة والمطهرة الأدوات والفتح أعلى ويقال السواك مطهرة انتهى . قال أبو الخير القزويني في كتاب خصائص السواك ويجب السواك على من أكل الميتة عند الاضطراب لإزالة الدسومة النجسة ويؤخذ من تعليله أن الواجب إزالتها بسواك أو غيره فلا يجب السواك عينا وهو ظاهر قاله شيخ الإسلام وحله في الوضوء على ما قاله ابن الصلاح وابن النقيب في عمدته بعد غسل الكفين وكلام الإمام وغيره يميل إليه وينبغي اعتناؤه وقال الغزالي كلما وردى والقفل مجله قبل التسمية قال ابن النقيب في نكته أو معها مخالفا لما في عمدته قال الأذرعى وإذا تركه أوله أرى أن يأتي به في اثنته كالتسمية وأولى قال ولم أره منقولا انتهى وهو حسن وقضية تخصيصهم الوضوء بالذكر أنه لم يطلب السواك للغسل وإن طلب بكل حال قيل ولعل سبب ذلك الأكفاء باستحبابه في الوضوء المستنونة فيه ويسن كونه في عرض الأسنان ظاهرا وباطنا في طول الفم لخبر إذا استكم فاستكوا عرضا رواه أبو داود في مراسيله ويجزئ طولا لكن مع الكراهة لأنه قد يذمى اللثة ويفسد لحم الأسنان وقيل إن الشيطان يسلك طولا أما اللسان فيسن أن يسلك فيه طولا كما ذكره ابن دقيق العيد واستدل بخبر في سنن أبي داود ويحصل ﴿بكل خشن﴾ مزيل للفلح طاهر كعود من أراك أو غيره أو خرقة أو أشنان لحصول المقصود بذلك لكن العود أولى من غيره والأراك أولى من غيره من العيدان .

* تنبيه * وخشن بكسرتين كما قاله الأشموني في شرح قوله وفعل أولى وفعل بفعل لكن جوز القاموس فيه فتح الحاء وكسر الشين * فائدة * قد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما في السواك عشر خصال يذهب الحفر ويحلو البصر ويشد اللثة ويطيب الفم وينقى البلغم وتفرج له الملائكة ويرضى الرب تعالى ويوافق السنة ويزيد في حسنات الصلاة ويصحح الجسم وزاد غيره ويزيد الحفظ وينبت الشعر ويصفى اللون وزاد الشيخ السيد موسى بن أسعد الحامسنى الحنفى الدمشقى في شرح منظومة السواك له حصلا في السواك غير ما ذكر منها أنه يورث الفنى مع الأمان عليه ويطرد وساوس الشيطان ويفصح اللسان ويهضم الطعام ويفزر المنى ويبطن الشيب ويشد الظهر ويؤنس في اللحد ويوسع له في قبره ويزيد في العقل ويذكر الشهادة عند الموت ويسهل خروج الروح من البدن ويذهب الجوع وينور الوجه ويسكن الصداع ويقطع الرطوبات وقد نظم بعض الفضلاء :

فوائد السواك عشرون تحب * مطهرة للفم مرضاة لرب
يفرج أسلاكها يغبط الشيطان * يطيب نكهة جلاء الأسنان
يحد أبصارا وتؤتى السنة * يحسن الصوت يزكى الفطنة
يشد لحم ميت الأسنان * يزيد في فصاحة اللسان
يذكر الميت بالشهادة * يبنى لمن اعتقد أعداده
يبطن الشيب يزيد الأجر * يسهل الفرع يقوى الظهر
يزيد في العقل على المعتاد * وقاطع رطوبة الأجساد

انتهى وفي تاريخ داريا لعبد الصمد الخولانى عن انس رضي الله عنه رفعه عليكم بالسواك فنعم الشيء السواك يذهب الحفر وينزع البلغم ويحلو البصر ويشد اللثة ويذهب بالبخر ويصلح المعدة ويزيد في درجات الجنة ويحمد الملائكة ويرضى الرب ويفض الشيطان قال الترمذى الحكيم ويلعب ريقه في أول استياكه فانه ينفع من الجذام والبرص وكل داء سوى الموت ولا يبلغ بعد شيئا فانه يورث النسيان وذكر المرواني

إلا لصائم بعد الزوال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء رواه مالك والشافعي

في البحر دعاء السواك ، فقال ويقول عند السواك اللهم يضرب أسناني وشدة به لثاتي وبارك لي فيه يا أرحم الراحمين .

ولا يكره السواك ﴿ إلا لصائم بعد الزوال ﴾ لخبر الصحيحين لخوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك والخلوف بضم الخاء تغير رائحة الفم والمراد الخلوف بعد الزوال لخبر أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسا ثم قال وأما الثانية يمسون وخلوف أفواههم أطيب عند الله من ريح المسك رواه السمعاني وقال حديث حسن كما ذكره في المجموع عن حكاية ابن الصلاح والمساء بعد الزوال وأطيبية الخلوف تدل على طلب إبقائه فكرهت زواله فيما ذكر وقيل لا تكره واختاره في المجموع على ما وقع في بعض نسخه وصحح فيه ما اقتضاه كلامهم أن الكراهة تزول بالغروب والمعنى في اختصاصها بما بعد الزوال أن تغير الفم بالصوم إنما يظهر حينئذ قاله الرافعي ونقله شيخ الإسلام واقره .

* فائدة * وقع خلاف بين الشيخ تقي الدين بن الصلاح والشيخ عز الدين بن عبد السلام في أن رائحة المسك للخلوف هل هي في الآخرة فقط أم في الدنيا والآخرة وصنف كل منهما تصنيفا فقال ابن عبد السلام بالأول لما في رواية مسلم للخلوف فم الصائم عند الله يوم القيامة وقال ابن الصلاح بالثاني لحديث السمعاني ولقوله عليه السلام للخلوف فم الصائم حين يخلف روى هذه الرواية ابن حبان في صحيحه ويخلف بفتح الياء وضم اللام وفي الإعجاز أنه لو لم يتفق له الفطر فأصبح صائما كره له السواك قبل الزوال وبعده وحرم به في الأنوار قال الشوبري وقوله فقال ابن عبد السلام بالأول قال شيخنا أي فيكون ثواب ريح الخلوف أكثر من ثواب ريح دم الشهادة أما نفس زهوق الروح بالشهادة فليس الكلام فيه وإنما كان أكثر ثوابا لأنه نشأ عن عبادة يبعد فيها الرياء بخلاف القتال فيشوبه أمور لا تحفى ويتأكد السواك لكل وضوء وصلاة ولونقلا وطواف وسجود شكر وقراءة وصفرة أسنان وتغيير فم وعند نقطة من نوم وعند دخول منزل ولينوبه السنة ولا يكره بسواك غيره بإذنه ويحرم بدونه أن لم يعلم رضاه به وكيفية ذلك أن يبدأ بجانب فمه الأيمن ويذهب إلى الوسط ثم الأيسر ويذهب إليه .

واعلم أن الأحاديث في فضل السواك كثيرة منها ما أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالوضوء لكل صلاة طاهرا أو غير طاهر فلما شق ذلك عليه أمر بالسواك لكل صلاة فكان ابن عمر يرى به قوة وكان لا يدع الوضوء لكل صلاة ومنها ما أخرجه الشافعي وأحمد والنسائي وابن حبان والحاكم والبيهقي عن عائشة وابن ماجه عن أبي أمامة بلفظ السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وزاد الطبراني في الأوسط عن ابن عباس ومجالة للبصر وفي الكبير عنه يطيب الفم ويرضى الرب ومنها ما أخرجه الديلمي في الفردوس عن أبي هريرة السواك سنة فاستأكروا أي وقت شتم ومن حديث عائشة السواك شفاء من كل داء إلا السهام والسم الموت ومنها ما أخرجه أبو نعيم في كتاب السواك من حديث عبد الله بن عمرو رفعه لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم أن يستأكروا بالأشجار وأخرج أيضا في كتاب السواك عن عبد الله بن عمرو بن خلخلة ورافع بن خديج معا السواك واجب وغسل الجمعة واجب على كل مسلم وعن عبد الله بن جزء السواك من الفطرة ومن ذلك ما ذكره المصنف بقوله ﴿ قال رسول الله ﷺ لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء ﴾ أي أمر بإيجاب فيأكد السواك للوضوء وحمله بين غسل الكفين والمضمضة كما قاله ابن حجر ﴿ رواه مالك والشافعي ﴾ والبيهقي في السنن الكبرى عن أبي هريرة والطبراني في الأوسط عن علي وإسناده حسن كما في العزيمى فإن قلت هو ~~لا~~ ليس له الاستقلال بالفرض وإنما يبلغ ما أمر بتبليغه من الأحكام عن الله تعالى قلنا أجيب بأنه يحتمل أنه فوض إليه ذلك بأن خيره الله

ثم المضمضة والاستنشاق والمبالغة فيهما لمفطر وجمعها بثلاث غرف والاستنثار

تعالى بين أن يأمر من أمر إيجاب وأمر ندب فاختر الأسهل لهم وكان ﷺ رءوفا رحيفا قاله الشبرا ملسي .

﴿ثم﴾ من سننه ﴿المضمضة و﴾ بعدها ﴿الاستنشاق﴾ لحديث مسلم ما منكم من أحد يقرب وضوءه ثم يتمضمض ويستنشق ويستنثر الاخرت خطايا فيه وخياشيمه مع الماء ومعنى خرت سقطت ولم يجبا لما مر في التسمية ويحصل اقلهما بإيصال الماء إلى الفم والأنف وإن لم يدركه في الفم ولا مجه ولا جذبه في الأنف ولا نثره واكملهما بأن يديره ثم يمحه أو يجذبه ثم ينثره وعلم بما قدرته في كلامي ان الترتيب بينهما مستحق لا يستحب عكس تقديم اليمنى على اليسرى وفرق الروياني بان اليمين مثلا عضوان متقنان اسما وصورة بخلاف الفم والأنف فوجب الترتيب بينهما كاليد والوجه فلو أتى بالاستنشاق مع المضمضة حسبت دونه أو أتى به فقط حسب له دونها أو قدمه عليها فقضية كلام المجموع ان المؤخر يحسب قال بعضهم وهو الوجه كظاثره في الصلاة والوضوء ومن فوائد غسل اليمين والمضمضة والانتشاق اولا معرفة اوصاف الماء وهي اللون والطعم والرائحة هل تغيرت اولا ويسن أخذ الماء باليد اليمنى والاطهر ان فصلهما أفضل من جمعها الآتي لما رواه أبو داود انه ﷺ فصل بينهما ثم الاصح على هذا الأفضل يتمضمض بغرفة ثلاثا ثم يستنشق باخرى ثلاثا حتى ينقل من عضو إلى عضو الأبعد كمال ما قبله فذلك أفضل من الفصل بست غرفات والثاني ان الست غرفات أفضل بان يتمضمض بثلاث ثم يستنشق بثلاث وهذه انظف الكيفيات واضعفا وقدم الفم على الأنف لشرفه فانه مدخل الطعام والشراب اللذين بهما قوام البدن وهو محل الأذكار الواجبة والمندوبة والامر بالمعروفة والنهي عن المنكر وغير ذلك .

﴿ثم﴾ من سننه ﴿المبالغة فيهما لمفطر﴾ لقوله ﷺ للقيظ بن صبرة أسبغ الوضوء وخلل بين الأصابع وبالغ في الاستنشاق الا ان تكون صائما رواه الترمذي وصححه وفي رواية الباء ولابن في جمعه لحديث الثوري صحيح ابن القطان اسنادها اذا توضأت فأبلغ في المضمضة والاستنشاق ما لم تكن صائما والمبالغة في المضمضة ان يبلغ الماء إلى أقصى الحنك ووجهي الاسنان واللثة وفي الاستنشاق أن يصعد الماء بالنفس إلى الخيشوم اما الصائم فلا تسن له المبالغة بل تكره كما في المجموع لحرف الإفطار الا أن ينسل فيه من نجاسة وإنما لم يحرم ذلك لكونهما مطلوبين في الوضوء بخلاف قبله الصائم الحركة لشهوته لانه هنا يمكنه اطباق حلقه ومج الماء لا يمكنه رد المنى اذا خرج ولأن القبلة غير مطلوبة بل داعية إلى ما يضاذه الصوم من الإنزال بخلاف المبالغة ويتخذ من ذلك حرمة المبالغة على صائم فرض غلب على ظنه سبق الماء إلى جوفه ان فعلها وهو ظاهر قاله الرملي .

﴿و﴾ من سننه ﴿جمعها﴾ إلى المضمضة والاستنشاق وهو أفضل على الأظهر كما قاله النووي لصحة الأحاديث الصريحة في ذلك ولم يثبت في الفصل شيء كما قاله ابن الصلاح والنووي في المجموع وأما حديث أبي داود المتقدم ففي اسناده ليث بن أبي سلبه وقد ضعفه الجمهور وعلى تقدير همنه يحمل على أن الجواز جمعا بين الأحاديث ويكون الجمع ﴿بثلاث غرف﴾ يتمضمض من كل ثة يستنشق وقيل يجمع بينهما بغرفة واحدة وفي كيفية الجمع بغرفة واحدة وجهان احدهما يتمضمض منها اولا ثلاثا ثم يستنشق كذلك والثاني يتمضمض منها ثم يستنشق منها ثم يفعل كذلك ثانيا وثالثا واستحسنه في الشرح الصغير قاله في النهاية .

﴿و﴾ من سننه ﴿الاستنثار﴾ للأمر به في خبر الصحيحين هو ان يخرج بعد الاستنشاق ما في انفه من ماء وأذى بخنصر يد.

اليسري قاله الخطيب .

ومسح كل الرأس والأذنين ظاهرا وباطنا وتحليل شعر كفيف من لحية وعارض وأصابع اليدين بالتشبيك والرجلين من أسفل بمخصر يده اليسرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل فقال لي إذا توضأت

﴿و﴾ من سننه ﴿مسح كل الرأس﴾ لأنه أكثر ما ورد في صفة وضوئه ﴿وخروجا من خلاف من أوجبه والسنة في كيفية أن يضع يده على مقدم رأسه ويلصق سبابته بالأخرى وإبهامه على صدغيه ثم يذهب بهما إلى قفاه ثم يردهما إلى المكان الذي ذهب منه أن كان له شعر ينقلب فيكون حينئذ ذهابه وعوده مسحة واحدة لعدم تمامها بالذهاب فإن لم يكن له شعر ينقلب لضفوه أو قصره أو عدمه لم يرد إذ لا فائدة له فإن رد لم تحسب ثانية لأن الماء صار مستعملا ولا ينافيه ما لو إن غمس في ماء قليل ناويا رفع حدثه ثم أحدث حال انقماشه فله أن يرفع الحدث المتجدد به قبل خروجه لأن ماء المسح نافه لا قوة له كقوة هذا ولهذا لو أعاد ماء غسل الذراع مثلا ثانيا لم تحسب غسلة أخرى لكونه نافها بالنسبة إلى ماء الانقماش ولو مسح جميع رأسه وقع قدر ما يقع عليه الاسم فرضا والباقي سنة كظيره من تطويل الركوع والسجود والقيام .

﴿و﴾ بعد مسح الرأس يمسح ﴿الأذنين ظاهرا وباطنا﴾ بماء جديد لأنه ﴿مسح في وضوئه برأسه وأذنيه ظاهرها وباطنها وادخل أصبعيه في صماخى أذنيه رواه أبو داود بإسناد حسن أو صحيح وكيفية المسح أن يدخل مسبحته في صماخيه ويديرهما في المعاطف ويمسح إبهاميه على ظاهر أذنيه ثم يلصق كفيه وهما مبلولتان بالأذنين استظهارا وتأخير مسح الأذنين عن الرأس مستحق كما هو الأصح في الروضة فلو قدم لم يكف وغسلهما أيضا مع الوجه ومسحهما مع الرأس حسن للخروج من الخلاف فيهما فقد قيل انهما من الرأس وقيل من الوجه والمشهور لا ولا وأما خبر الأذنين من الرأس فضعيف وكان ابن سريج يفعل ذلك لما قلناه قال في الروضة وفعله هذا حسن وقد غلظ من غلظه فيه زاعما أن الجمع بينهما لم يقل به أحد ودليل ابن سريج نص الشافعي والأصحاب على استحباب غسل النزعتين مع الوجه مع انهما يمسحان في الرأس أى ولم يقل بذلك أحد قاله في الأسنى .

﴿و﴾ من سننه ﴿تحليل شعر كفيف من لحية وعارض﴾ ويكون بأصابعه من أسفله لأنه ﴿كان إذا توضأ يخلل لحية رواه الترمذى وصححه وللخبر الآتى أما الشعر الخفيف أو الكثيف الذى فى حد الوجه من لحية غير الرجل وعارضيه فيجب إيصال الماء إلى ظاهره وباطنه ومنايته بتحليل أو غيره ومحل سنة التحليل فى غير المحرم أما هو فلا يلا يزدى إلى تساقط شعره كما قاله المتولى وحزم به ابن المقرئ فى روضه وهو المعتمد .

﴿و﴾ من سننه تحليل ﴿أصابع اليدين بالتشبيك﴾ بينهما ﴿و﴾ أصابع ﴿الرجلين﴾ لخبر لقيط السابق وروى البيهقى بإسناد جيد كما فى المجموع عن عثمان ؓ أنه توضأ فخلل بين أصابع قدميه وقال رأيت رسول الله ﷺ فعل كما فعلت فيخللها ﴿و﴾ من أسفل بمخصر يده اليسرى ﴿يبدأ بمخصر الرجل اليمنى ويختم بمخصر الرجل اليسرى هذا ما ذكره الأكرهون وصححه فى الروضة وخالفه فى المجموع فحكى فيه ثلاثة أوجه أحدها هذا والثانى بمخصر اليد اليمنى والثالث ما قاله الإمام أنهما سواء ثم قال وهو الواجب المختار وقال فى التحقيق انه المختار وإيصال الماء إلى ما بينهما واجب إذا كانت ملتقة لا يصل الماء إليه الا بالتحليل أو نحوه ولو كانت ملتحة لم يجز فتحكى وذكر المصنف حديث تحليل اللحية بقوله ﴿قال رسول الله ﷺ أتاني جبريل فقال إذا توضأت﴾ قال الحنفى هذا يقتضى ان الوضوء شرع بمكة وهو كذلك وان كانت آية الدالة عليه مدنية وذلك الوضوء قيل لو كفى قل وقيل لصلاة الليل وقيل كان للركعتين اللتين أمر بهما قبل طلع الشمس وقبل الغروب لا للخمس لأنها لم تكن شرعت حينئذ

فخلل لحيتك رواه ابن أبي شيبه وقال صلى الله عليه وسلم خللوا بين أصابعكم لا يخلل الله بينها بالنار ثم قال ويل للأعقاب من النار روى الدارقطني وذلك الأعضاء وأن يقول ثلاثا آخره مستقبلا إلى القبلة رافعا يديه وبصره إلى السماء ولو أعمى أشهد أن لا إله إلا الله وحده شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وسلم

﴿ فخلل لحيتك ﴾ أى أوصل الماء إلى أصول شعرها نداء بونه به على ندب تحليل كل شعر يجب غسل ظاهره فقط وهو الذى لا ترى بشير عند التخاطب لأن لحية ﷺ كذلك أما اللحية فيجب إيصال الماء إلى باطنها كما مر ﴿ رواه ابن أبي شيبه ﴾ عن انس بن مالك قال المزني حديث حسن وذكر أيضا حديث تحليل الأصابع فقال ﴿ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خللوا بين أصابعكم ﴾ أى أصابع أيديكم وأرجلكم إذا تطهرتم ﴿ لا يخلل الله بينها ﴾ بالنار ﴿ فالتحليل سنة وصرفه عن الوجوب خبر توضحا كما أمر الله ﴾ وليس فيما أمر الله به ذكر تحليل وهذا الوعيد لمن يعلم أنه لا يصل الماء إلى يديه إلا به وأما غيره فالقصد منه الحث على هذا الفعل ﴿ قال ﴾ ﴿ ويل للأعقاب من النار ﴾ أى شدة هلكة لأصحاب الأعقاب التى لا يصيبها ماء الطهارة من عذاب جهنم ﴿ رواه الدارقطني ﴾ عن عائشة باسناد ضعيف كما فى المزني .

﴿ و ﴾ من السنن ﴿ ذلك الأعضاء ﴾ وهو إمرار اليد عليها عقب ملاقاتها للماء خروجاً من خلاف من أوجبه وهو الإمام مالك واحتياطا وتحصيلا للنظافة .

﴿ و ﴾ من سننه ﴿ أن يقول ﴾ المتوضىء ﴿ ثلاثا ﴾ أى ثلاث مرات كما قاله الشبرا ملى ﴿ آخره ﴾ أى عقب الوضوء بحيث لا يطول بينهما فصل عرفا فيما يظهر لكن هذا إنما هو فى الأفضل وأما السنة فتحصل ما لم يحدث فيما يظهر كما قاله الشوبرى حال كونه ﴿ مستقبلا إلى القبلة ﴾ أى بصدرة كما فى الصلاة قاله السيد البكرى ﴿ رافعا يديه ﴾ قال الشوبرى كهيئة الداعى حتى عند قوله أشهد أن لا إله إلا الله ولا يقيم السبابة خلافا لما يفعل بعض الطلبة من تجاورى الجامع الأزهر ﴿ و ﴾ رافعا ﴿ بصره إلى السماء ولو ﴾ نحو ﴿ أعمى ﴾ كمن فى ظلمة وذلك كما قاله السويفى لأن السماء قبله الدعاء والطالب لشيء يسقط كفيه لأخذه والداعى طالب ولأن حوائج العباد فى خزائنه تحت العرش فالداعى يمد يديه لحاجته ﴿ أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﴾ لخبر مسلم الآتى وزاد الترمذى على مسلم ﴿ اللهم اجعلني من التوابين ﴾ أى من الذنوب والراجعين عن العيوب قال السويفى وليس فيه دعاء صريحا ولا لزوما بأكثار وقرع الذنب منه بل بانه اذا وقع منه ذنب ألهم التوبة وإن كثر تعلما للأنة كما ورد ﴿ واجعلني من المتطهرين ﴾ أى بالإخلاص عن تبعات الذنوب السابقة وعن التلوث بالسيئات اللاحقة أو من المتطهرين من الأخلاق الذميمة فيكون فيه إشارة إلى أن طهارة الأعضاء الظاهرة لما كانت يدينا طهرناها وأما طهارة الأعضاء الباطنة فانما هى بيدك يارب فانت تطهرها بفضلك قاله العلامة ملا على القارى على المشكاة وقيل من المتطهرين أى المتزهرين من الذنوب وزاد الحاكم على مسلم أيضا ﴿ سبحانك ﴾ أى أسبحك وأنزهك عما لا يليق بك ﴿ اللهم ﴾ أى يا الله ﴿ و ﴾ سبحتك ونزهتك حال كونى متلبسا ﴿ بحمدك ﴾ أى بالثناء عليك ﴿ أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك ﴾ أى أطلب منك المغفرة وهى ستر الذنب من غير مصاحبة عقوبة ﴿ وأتوب إليك ﴾ أى أسألك أن تتوب على قال السويفى وإن لم يكن متلبسا بالتوبة لأنه خبر مقصوده الانشاء أو المراد أنى بصورة التائب الخاضع الذليل فلا يقال انه كذب كما فر أذكار الحج ويسن أن يقول بعده ﴿ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل محمد وسلم ﴾ كما نقله الخطيب عن المجموع وأقره .

وأن يقرأ إنا أنزلناه بعده كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع بصره إلى السماء ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده إلى آخره فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ فقال بعد فراغه سبحانك اللهم وبحمدك إني أتوب إليك كعب في ورق ثم جعل في طابع فلم يكسر إلى يوم القيامة رواه الحاكم وقال من قرأ سورة إنا أنزلناه في أثر وضوئه مرة كان من الصديقين ومن قرأها مرتين كعب في ديوان الشهداء ومن قرأها ثلاثة حشره الله مع الأنبياء رواه الديلمي *

﴿و﴾ يسن ﴿ان يقرأ إنا أنزلناه﴾ ثلاثا كما قاله الشبرايملى ﴿بعده﴾ أى بعد دعاء الوضوء المذكور ﴿كذلك﴾ أى مستقبلا للقبلة لكن بلا رفع يد وبصر قال السويفى ويقدمه على إجابة المؤذن لأنه لعبادة فرغ منها للخبر الآتى ويسن بعد قراءة السورة المذكورة اللهم اغفرلى ذنبى ووسع لى فى دارى وبارك فى رزقى ولا تقننى بما زويت عنى ﴿وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فأحسن الوضوء﴾ بأن داعى لشروطه وسننه وآدابه ﴿ثم رفع بصره إلى السماء ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده إلى آخره﴾ وهو ما ذكره آنفا ﴿فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء﴾ وهى كما فى تحفة الحبيب باب الصدقة وباب الصلاة وباب الصوم ويقال له الرمان وباب الجهاد وباب الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وباب الراحمين وباب من لا حساب عليهم وباب التوبة وقد قيل إن باب التوبة زائدة على أبواب الجنة كما قاله الإمام أبو عبد الله الترمذى فى نوادر الأصول وجعل الله تعالى للجنة بابا زائدا وهو باب محمد صلى الله عليه وسلم وهو باب الرحمة وباب التوبة فهو منذ خلقه الله تعالى مفتوح لا يغلق فإذا طلعت الشمس من مغربها أغلق فلم يفتح إلى يوم القيامة وسائر أبواب الأعمال مقسومة على أعمال البر ثم قال فأما باب التوبة من الجنة الزائد على الأبواب فليس هو باب عمل وإنما هو باب الرحمة العظمى وإنما فتحت الأبواب الثمانية تكرامة له والافهوا إذا انصف بصفة من هذه إنما يدخل من بابها فلو انصف بصفتين فأكثر فالظاهر أنه يتخير أو يقال يدخل من الباب الذى لازم صفته أكثر وقال الرحمانى وهل هذا الفتح فى وقت خاص أو فى أوقات مخصوصة وقائل هذا الذكر كثير فهل تفتح للجميع فى آن واحد بحيث يظن كل واحد أنها إنما فتحت لأجله فى كل ذلك نظرو هذه الترددات حورها الفهم والا فالواجب إيمان به من غير بحث لخبر المعصوم وقد انتهى القرطبى أبوابها إلى ثمانية عشر وجمع بينهما بأن الثمانية أبواب السور وهى الكبار والثمانية عشر داخل السور وأفضلها جنة عدن وهى مسكن نبينا لكن يعارضه رواية استلوا الله الفردوس الأعلى فإنه أفضل الجنان وأعلما انتهى والجنة فى السماء السابعة لما ورد أن سقفا عرش الرحمن ﴿رواه مسلم﴾ فى صحيحه .

﴿وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ فقال بعد فراغه سبحانك اللهم وبحمدك﴾ أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك و﴿إني أتوب إليك كعب﴾ أى هذا اللفظ ليقبى ثوابه قال الشبرايملى ويتجدد ذلك بعدد الوضوء لأن الفضل لا حجر عليه فإذا قالها ثلاثا عقب الوضوء كعب ثلاث مرات وما ذلك على الله بعزيز قاله السريفى فى تحفة الحبيب ﴿فى ورق﴾ بفتح الراء هو الجلد الذى يكب فيه وتكسر الراء فى لغة قليلة ﴿ثم جعل﴾ أى طبع ﴿فى طابع﴾ بكسر الباء وفتحها الحتم ﴿فلم يكسر إلى يوم القيامة﴾ أى لم يتطرق إليه ابطال أو يصون صاحبه من تعاطى مبطل بأن يرتد والعياذ بالله تعالى والافقد تقرر أن جميع الأعمال يتطرق إليها الإبطال بالردة قاله الشوبرى وقال بعضهم لم يتطرق إليه كناية عن عدم بطلان ثوابه وفيه بشرى بأن من قاله لا يرتد وأن يموت على الإيمان ﴿رواه الحاكم﴾ وصححه .

﴿وقال﴾ صلى الله عليه وسلم فى فضيلة قراءة إنا أنزلناه ﴿من قرأ سورة إنا أنزلناه فى أثر وضوئه مرة﴾ واحدة ﴿كان من الصديقين﴾ أى من جملتهم ﴿ومن قرأها مرتين كعب فى ديوان الشهداء ومن قرأها ثلاثا حشره الله﴾ أى جمعه ﴿مع الأنبياء﴾ رواه الديلمي .

وتثليث كل والتوجه للقبلة في كل وقرن النية بأول السنن المقدمة على غسل الوجه ليثاب عليها والتلفظ بها سرا وتعهد الفضون وكذا الموق واللاحظ بالسبابة إذا لم يكن فيها رمص يمنع وصول الماء إلى محله والا فواجب وأخذ ماء الوجه بكفيه معا وعدم لطمه به والبداة فيه بأعلاه وفي اليدين والرجلين بالأصابع وإن صب عليه غيره وفي الرأس بمقدمه وإطالة الغرة والتحجيل

﴿و﴾ من سننه ﴿تثليث كل﴾ من مغسول ومسوح وذلك وتحليل وسواك وبسملة وذكر قبله أو بعده للاتباع في أكثر ذلك ويحصل التثليث بغمس اليد مثلا ولو في ماء قليل إذا حركها مرتين ولو ردد ماء الغسلة الثانية حصل له أصل سنة التثليث كما استظهره ابن حجر وإنما لم يجب لأنه ~~توضأ مرة وتوضأ مرتين~~ توضأ مرة وتوضأ مرتين مرتين .

﴿و﴾ من سننه ﴿التوجه﴾ أي الاستقبال ﴿للقبلة في كل﴾ أي في كل وضوئه فإن اشتبهت عليه تحرى ندبا كما نقله الكردى عن الإيعاب لأنها أشرف الجهات .

﴿و﴾ من سننه ﴿قرن النية﴾ أي نية سنن الوضوء أو نية الوضوء ويتضمن من نحو آتوية مثلا ثلاثا يفوته سنة المضضة والإستشاق ﴿بأول السنن المقدمة على غسل الوجه ليثاب عليها﴾ أي السنن المقدمة عليه فينوي مع التسمية عند غسل الكفين كما صرح به ابن الفركاح بأن يقرنها بها عند أول غسلها كما يقرنها بتكثير الإحرام فاندفع ما قيل إن قرنها بها مستحيل لأنه يسن التلفظ بالنية ولا يعقل التلفظ معه بالتسمية ومن صرح بأنه ينوي عند غسل الكفين الشيخ أبو حامد والقاضي أبو الطيب وابن الصباغ فالمراد بتقديم التسمية عليه تقديمها على الفراغ منه وبذلك علم محل النية المسنونة لكن الغزالي في الإحياء جعل محلها بعد غسل الكفين وجعل كالماوردي والفتال محل السواك قبل التسمية .

﴿و﴾ من سننه ﴿التلفظ﴾ أي النطق ﴿بها﴾ أي بالنية ليساعد اللسان القلب وللخروج من خلاف من أوجبه ﴿سرا﴾ بحيث يسمع نفسه كما قاله الخطيب .

﴿و﴾ من السنن ﴿تعهد الفضون﴾ أي مكاسر الجلد احتياطا ﴿وكذا الموق﴾ بالهمز وتركه وهو طرف العين الذي يلي الأنف ﴿و﴾ مثله ﴿اللاحظ﴾ وهو الطرف الآخر يتعهد ذلك ﴿بالسبابة﴾ اليمنى للأيمن والأيسر باليسرى ومحل سنة غسلها ﴿إذا لم يكفها رمص﴾ محرقة وبسخ أبيض يجتمع في الموق كما في القاموس ﴿يمنع وصول الماء إلى محله﴾ أي محل الرمص من الموق واللاحظ ﴿والا﴾ يكن فيها رمص يمنع ذلك ﴿ف﴾ غسلها ﴿واجب﴾ كما ذكره في المجموع .

﴿و﴾ منها ﴿أخذ ماء الوجه بكفيه معا﴾ منها ﴿عدم لطمه﴾ أي الوجه ﴿به﴾ أي بالماء واللطم خلاف الأولى كما قاله الخطيب .

﴿و﴾ منها ﴿البداة فيه﴾ أي في غسل الوجه ﴿بأعلاه﴾ أي بأعلى الوجه لكونه أشرف ولكونه محل السجود كما في شرح الروض زاد المرحوم وأيضاً لإخدار الماء بسهولة ﴿و﴾ منها البداة ﴿في﴾ غسل ﴿اليدين والرجلين بالأصابع وإن صب الماء عليه﴾ أي المتوضئ ﴿غيره﴾ كما جرى عليه التنوي في تحقيقه خلافا لما قاله الصيمري من أنه يبدأ بالكعب إذا صب عليه غيره هذا هو المعتمد ويلحق بما لو صب عليه غيره ما لو توضأ من نحو الحنفية فإنه يبدأ بالمرق في اليد والكعب في الرجل قاله الخطيب وغيره

﴿و﴾ منها البداة ﴿في الرأس بمقدمه﴾ منها ﴿إطالة الغرة﴾ بغسل زائد على الواجب من الوجه من جميع جوانبه وغايتها غسل صفحة العنق مع مقدمة الرأس ﴿و﴾ إطالة ﴿التحجيل﴾ بغسل زائد على الواجب من اليدين والرجلين وغايتها استيعاب العضدين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أمي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع أن يطيل غرته فليفعل رواه الشيخان وقال صلى الله عليه وسلم الحلية من المؤمنين حيث يبلغ الوضوء رواه مسلم واليامن والولاء

والساقين ولا فرق في ذلك بين بقاء محل الفرض وسقوطه والأصل في ذلك خبر الصحيحين الذي ذكره المصنف بقوله ﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أمي﴾ أي أمة الإجابة وهم المسلمون أي المتوضئون منهم ﴿يدعون﴾ بضم أوله أي يسمون أو ينادون ﴿يوم القيامة﴾ إلى موقف الحساب أو الميزان أو الصراط أو الحوض أو دخول الجنة أو غير ذلك ﴿غرا﴾ بضم الغين وشدة الراء جمع أغراى ذو غرة وأصلها بياض بجبهة الفرس فوق الدرهم ثم استعملت في الجمال والشهرة وطيب الذكر والمراد بها هنا النور الكائن في وجوه أمة محمد ﷺ وهو منصوب على الحال أي أنهم إذا دعوا على رؤوس الأشهاد ونودوا بهذا الوضوء كانوا على هذه الصفة ﴿محجلين﴾ بالمهمل والجيم من التحجيل وهو بياض يكون في ثلاث قوائم من قوائم الفرس والمراد به هنا أيضا النور ﴿من آثار الوضوء﴾ استدلال الحلي بهذا الحديث على أن الوضوء من خصائص هذه الأمة وفيه نظر لأنه ثبت في البخاري في قصة سارة مع الملك الذي أعطاهما هاجر أن سارة لما هم الملك بالنو منهما قامت توضأ وتصلى وفي قصة جريح الراهب أيضا أنه قام فتوضأ وصلّى ثم كلم الغلام فالظاهر أن الذي اختصت به هذه الأمة الغرة والتحجيل لا أصل الوضوء قاله العزيزي ﴿فمن استطاع﴾ أي قدر ﴿منكم﴾ أيها المؤمنون ﴿أن يطيل غرته﴾ زاد مسلم وتحجيلة ﴿فليفعل﴾ رواه الشيخان ﴿عن أبي هريرة﴾ وقال صلى الله عليه وسلم تبلغ الحلية بكسر الحاء المهملة أي التحلى بالذهب المكمل بالدر ﴿من المؤمن﴾ يوم القيامة ﴿حيث يبلغ الوضوء﴾ قال المناوي أي ماؤه وقال أبو عبيد آزاد بالحلية هنا التحجيل لأنه العلامة الفارقة بين هذه الأمة وغيرها ونازعه بعضهم ثم قال لو حمل على قوله تعالى يحلون فيها من أساور لكان أول ورده التوربشتى بأنه غير مستقيم إذ لا رابطة بين الحلية والتحلى قال ويمكن أن يجاب بأنه مجاز عن ذلك وقال الحنفى كل محل وصله الوضوء يكون فيه حلى في الجنة ولو في الرأس أو العنق وإن كان حلى الدنيا في الأيدي أو الأرجل فقط لأن جميع أمور الجنة إنما تشارك أمور الدنيا في الاسم فقط وقال الشبرخي المراد بالحلية الغرة والتحجيل والمعنى الأول أظهر لحمله الحديث على ظاهره ﴿رواه مسلم﴾ عن أبي هريرة ؓ.

﴿و﴾ منها ﴿اليامن﴾ أي تقديم اليمين على اليسار للاقطع ونحوه في جميع الأعضاء ولغيره في يديه ورجليه وإن كان لا بس خف فيما يظهر خلافا لمن قال بمنسجها مع لانه ﷺ يحب اليامن في تنعله وترجله أي تسريح شعره وطهوره في شأنه كله مما هو من باب التكرم كالكحل وتقف إبط وحلق نحو رأس ولبس نحو نعل وثوب وتقليم ظفر وقص شارب ومصافحة ونحو ذلك أما الكتان والخذان والأذنان لغير نحو الأقطع فيطهران معا قاله في النهاية .

﴿و﴾ منها ﴿الولاء﴾ وهو التابع بحيث ينسل العضو الثاني قبل جفاف الأول مع اعتدال الزمان والمزاج والهواء ويقدر المسح مفسولا وقد يجب الولاء لضيق وقت وفي وضوء نحو سلس وأوجب الموالاة القديم الخبر أنه ﷺ رأى رجلا يصلى وفي ظهر قدميه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء فامر أن يعيد الوضوء وأجيب بضعف الخبر ودليل الأول وهو السنة أنه ﷺ توضأ في السوق فغسل وجهه ويديه ومسح رأسه فدعى إلى جنازة فأتى المسجد بمسح على خفيه وصلى قال الشافعي وبينهما تقريق كبير وضح عن ابن عمر التقريق ولم ينكره أحد عليه ولأنها عبادة لا يبطلها التقريق اليسير فكذا الكثير كالتحج ونحو الخلاف حيث لا عذر مع البطول أما مع العذر فلا يضر قطعا وأما اليسير فبالإجماع قاله الرملى وغيره .

وترك التكلم والاستعانة والتشيف والنقض بلا حاجة وتوقى الرشاش ووضع ما يغترف منه عن يمينه وما يصيب منه عن يساره

﴿و﴾ منها ﴿ترك التكلم﴾ في جميع وضوئه بلا حاجة للكلام أما معها كأمير معروف ونهى عن منكر فلا يتركه بل قد يجب الكلام كما إذا رأى نحو أعمى يقع في بئر وغير ذكر أما الذكر فلا يسن ترك التكلم به ولا يكره على غير المتوضىء أن يسلم عليه ولا صدور السلام من المتوضىء ابتداء ولا رده إذا سلم عليه وفي فتاوى الحجة التكلم أى بكلام الدنيا والبر في أثناء الوضوء مكروه وفي الإغتسال أشد كراهة وفي العوارف أدب الصوفية في الوضوء حضور القلب في غسل الأعضاء سمعت بعض الصالحين يقول إذا حضر القلب في الوضوء يحضر في الصلاة وإذا دخل السهو فيه دخلت الوسوسة في الصلاة ذكره الحسيني ﴿و﴾ ترك ﴿الاستعانة﴾ بصب الماء عليه من غير عذر لأنها ترفه لا يلبق بحال المتعبد فهي خلاف الأولى كما إقتضاء كلامه لا مكروهة وفي إحضار الماء مباحة وفي غسل الأعضاء من غير عذر مكروهة وتجب على عاجز ولو بأجرة مثل وجدها فاضلة عما يعتبر في الفطرة على الأوجه والأصل بالتيمم وأعاد قال الزركشى وينبغي أى في عدم كراهتها أن يكون المعين أهلاً للعبادة ليخرج الكافر ونحوه انتهى وإطلاقهم بخالفه وتعبيره بالإستعانة جرى على الغالب على أن المعين ترد لغیر الطلب كاستحجر الطين أى صار حجراً فلو أعانته غيره مع قدرته وهو ساكت متكن من منعه كان كطلبها فيكون خلاف الأولى ﴿و﴾ ترك ﴿التشيف﴾ من بلل ماء وضوئه فهو خلاف الأولى كما في النهاية لخبر الصحيحين عن ميمنة رضى الله عنها قالت أتيت النبي ﷺ بعد إغتساله بمندل فردّه وجعل ينقص الماء بيده ولأنه أثر عبادة فكان تركه أولى واختار في شرح مسلم أنه مباح تركه وفعله سواء هذا إذا لم يحجج إليه لخوف برد أو التصاق بنجاسة أو نحوه والا فلا يسن تركه قاله في المجموع قال الأذرعى بل يتأكد منه إذا خرج عقب الوضوء في محل النجاسات عند هبوب الريح وكذا لو آله شدة برد الماء أو المرض أو الجرح أو كان يتيم أثره أو نحوه قال في المجموع قال الماوردي فإن كان معه من يحمل الثوب الذي يستشف به وقف عن يمينه انتهى قال في الذخائر وإذا تشف فالأولى أن يكون بذيله وطرف ثوبه ونحوهما ذكره في شرح الروض .

فإن قيل كان الأولى للمصنف أن يعتبر بالتشيف على زنة الضرب لأن فعله نشف بكسر الشين على الأشهر كما ذكره أهل اللغة والتعبير بالتشيف يقتضى أن المسنون ترك المبالغة فيه وليس مراداً أجيب بأن التشيف أخذ الماء بخرقة ونحوها كما في القاموس والتعبير به هو المناسب وأما النشف بمعنى الشرب فلا يظهر هنا إلا بنوع تكلف كما قاله أبو عبد الله الغياثي قاله الخطيب في شرح منهاج ﴿و﴾ ترك ﴿النقض﴾ للماء في الأصح لأنه كالتبرى من العبادة فهو خلاف الأولى أيضاً كما جزم به النووي في التحقيق وقال في شرح مسلم والوسيط أنه الأشهر قال في المهمات وبه الفتوى وقيل مكروه كما جزم به الرافعي في شرحه وقيل مباح تركه وفعله سواء ورجحه النووي في زيادة الروضة والمجموع ونكت التنيه وهذا إذا كان ذلك ﴿بلا حاجة﴾ فإن كان ثم حاجة كما ذكر فلا يسن تركه بل يتأكد منه كما سبق عن المجموع وأقره الشراوى هنا .

﴿و﴾ منها ﴿توقى الرشاش﴾ فلا يتوطأ في موضع يرجع إليه رشاش الماء ﴿و﴾ منها ﴿وضع ما﴾ أى الإباء الذي ﴿يغترف﴾ أى المتوضىء ﴿منه﴾ كدح ﴿عن يمينه﴾ لأن الإغتراف منه حينئذ أمكن له ﴿وضع ما﴾ أى الإباء الذي ﴿يصب منه﴾ كإبريق ﴿عن يساره﴾ لأن الصب حينئذ أمكن له وفي شرح الروض قال في المجموع واستثنى السرخسى ما إذا فرغ من غسل وجهه ويمينه فيحول الإباء إلى يمينه ويصب على يساره حتى يفرغ من وضوئه لأن السنة في غسل اليد أن يصب الماء على كفه فيغسلها ثم يفصل ساعده ثم مرفقه قال ولم يذكر الجمهور هذا التحويل .

والشرب من فضل وضوئه والاجتهاد في إسباغ الوضوء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسبغ عبد الوضوء إلا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ورش ماء بين إزاره بعده كبعد استنجاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل في أول ما أوحى إلي فلعمني الوضوء فلما فرغ الوضوء أخذ غرفة من الماء فنضح بها فرجه رواه أحمد الحاكم لا مسح الرقبة ودعاء الأعضاء أما حديثهما فموضوع

﴿ منها ﴾ الشرب من فضل وضوئه ﴿ بفتح الواو اسم للماء الذي توضع به وذلك الخبر أن فيه شفاء من داء ﴾ ﴿ و ﴾ منها ﴿ الاجتهاد ﴾ أي بذل الجهد ﴿ في إسباغ الوضوء ﴾ أي بالمبالغة فيه سيما في الشتاء فإنه من دعائم الدين وعزائم المتقين قال بعض السلف وضوء المؤمن في الشتاء بالماء البارد أفضل من عبادة الرهبان كلهم وكان ابن عمر رضي الله عنهما يفسر الإسباغ بالإنقاء وهذا من تفسير الشيء بلازمه إذا الإتمام يلزم الانقاء عادة قاله في شرح الإحياء ﴿ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسبغ عبد الوضوء إلا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ﴾ والمراد من الذنوب الصغائر لا الكبائر كما قاله بعضهم .

﴿ منها ﴾ رش ماء بين إزاره ﴿ أو سراويله ﴾ بعده ﴿ أي بعد الوضوء وهو المسمى بالإنضاح وهذا أن توهم حصول مقدر له كما استظهره ابن حجر وعليه يحمل رشه صلى الله عليه وسلم كما في الخبر الذي أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث سفيان بن الحكم الثقفى ﴿ كبعد استنجاء ﴾ فإنه يسن له بعده نضح فرجه وإزاره من داخله بأن يصب عليهما شيئا من الماء ﴿ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل في أول ما أوحى إلي ﴾ بالبناء للمفعول ﴿ فعلمني الوضوء ﴾ أي بالفعل لا بالقول ﴿ فلما فرغ الوضوء ﴾ أي آتمه وفي الجامع الصغير فعلمني الوضوء والصلاة فلما فرغ من الوضوء ﴿ أخذ غرفة من الماء فنضح بها فرجه ﴾ أي رش الإزار الذي يلي محل الفرج من آدمى والا فجبريل لا فرج له إذ لا يتصف بذكورة ولا أنوثة فيندب ذلك لدفع الوسواس ﴿ رواه أحمد ﴾ والدارقطني ﴿ والحاكم ﴾ عن أسامة بن زيد حب المصطفى وابن حبان ﴿ لا ﴾ يسن ﴿ مسح الرقبة ﴾ وهي كما في المختار مؤخر أصل العنق وفي شرح البهجة العنق هو الوصلة بين الرأس والجسد وفي القاموس الوصلة بالضم الإتصال وكل ما اتصل بشيء فيما بينهما وصلة والجمع وصل كصرد وهذا ما عليه النووي وأكثر المتأخرين مقلدون له لأنه لم يثبت فيها شيء أصلا ولهذا لم يذكره الشافعي ومقدمو الأصحاب وجرى الرافعي وغيره كصاحب الحاوي على نذبه ولهذا قال الرافعي وهل يمسح بماء جديد أو بما بقي من بلل مسح الرأس والأذنين بناء بعضهم على وجهين في أنه سنة أم أدب إن قلنا سنة مسح بماء جديد وإن قلنا أدب فيمسح بالبلل الباقي ،

واعلم أن السنة والأدب يشتركان في أصل الندية والاستحباب لكن السنة ما يتأكد شأنها والأدب دون ذلك ثم إختيار الروايين ينبئ أن يمسحه بماء جديد وميل الأكثرين إلى أنه يكفي بالبلل الباقي وهو قضية كلام السنعودي وصاحب التهذيب لأن السنعودي ذكر أنه غير مقصود في هبته بل هو تابع للقفا والقفا تابع للرأس لتطويل الغرة وقال صاحب التهذيب يستحب مسح تبعا للرأس أو الأذن إطالة للغرة وإذا كان استحبابه لتطويل الغرة كفى فيه البلل الباقي انتهى ونقله الزبيدي وأقره ﴿ و ﴾ لا ﴿ دعاء الأعضاء ﴾ عند غسلها أو مسحها وهو أن يقول عند غسل كفيه اللهم احفظ يدي عن معاصيك كلها وعند المضمضة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وعند الإستنشاق اللهم أرحني رائحة الجنة وعند غسل الوجه اللهم يضر وجهي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وعند غسل اليد اليمنى اللهم أعطني كتابي يميني وحاسبني حسابا يسيرا وعند غسل اليسرى اللهم لا تعطيني كتابي بشمال ولا من وراء ظهري وعند مسح الرأس اللهم حرم شعري وبشري على النار وعند مسح الأذنين اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وعند غسل رجلين اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل فيه الأقدام كذا في النهاية ﴿ أما حديثهما ﴾ أي مسح الرقبة ودعاء الأعضاء ﴿ فموضوع ﴾ أي

أو شديد ضعفه فلا يعمل بهما

فمكذوب على النبي ﷺ ﴿أو شديد ضعفه فلا يعمل بهما﴾ بسبب كون الراوى كذاباً أو متهما بالكذب أو بالوضع .

قال النووى وخبر مسح الرقبة أمان من الغل موضوع لكنه معترض اعترضه جمع منهم ابن الرفعة وغيره بأن الخبر ليس بموضوع بل هو ضعيف فقط على أن الماوردى قال بل فيه خبر صحيح وأقره الأذرى ورده ابن حجر فى الإيعاب بأن الماوردى ليس من أئمة الفن فلا يعتمد عليه لا سيما وقد حكم عليه النووى بالوضع وهو من أئمة المرجوع إليهم بصحة الحديث وضعفه على أن ابن عبد السلام وصاحبه ابن دقيق العيد شرطاً للعمل أن لا يعتقد للعمل به ثبوته لئلا ينسب للنبي ﷺ ما لم يقله وأن يندرج تحت أصل عام يدل عليه فعلى تسليم أن حديثه ضعيف لا يعمل به على ما اشترطه هذان الإمامان سيما وقد أقرهما جمع محدثين محققين إليهم المرجع فى ذلك انتهى لكن قال الحافظ ابن حجر تعقب آل ؟ النووى ابن الرفعة بأن البغوى من أئمة الحديث وقال باستحبابه ولا مأخذ لاستحبابه إلا خبر أو أثر لأن هذا لا محال للقياس فيه وقال السيوطى فى الأزهار النضة حواشى الروضة أن للحديث شواهد وذكرها وقال الأذرى إن كلام جماعة من المحدثين يقتضى حسن الحديث .

قال الكردى والحاصل أن المتأخرين من أئمتنا أو أكثرهم قد قلدوا الإمام النووى فى كون هذا الحديث لا أصل له ولكن كلام المحدثين يشير إلى أن للحديث طرقات وشواهد يرتقى بها إلى درجة الحسن فالذى يظهر أنه لا بأس بمسحه وقول ابن حجر السابق لا أصل له عام يدل عليه قد ينظر فيه أو فى إطلاقه لما ذكره فى غاية الغرر قاله بعض المحققين قال الخطيب فى شرح التبيين قال النووى فى الأذكار والتفحيم لم يحجى فى دعاء الأعضاء شيء عن النبي ﷺ والرافعى قال ورد به الأثر عن السلف الصالحين قال الجلال الحلى وفاتهما أنه روى عن النبي ﷺ من طرق فى تاريخ ابن حبان وغيره وإن كانت ضعيفة للعمل بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال وأجاب بعضهم بأن شرط العمل بالحديث الضعيف أن لا يكون شديد الضعف وأن يدخل تحت أصل عام وأن لا يعتقد سنيته بذلك الحديث انتهى ما نقله الخطيب وأقره فى النهاية وفى هذا الشرط الأخير نظر لا يخفى انتهى وقال ابن قاسم فى حاشية التحفة بل لا وجه له لأنه لا معنى للعمل بالضعيف فى مثل ما يجب فيه إلا كونه مطلوباً طلباً غير جازم وهو سنة وإذا كانت سنة تعين إعتقاد سنيته وقال شيخ الإسلام فى شرح الروض فى قول الروض لا أصل له أى فى الصحة والافتقار روى عنه ﷺ من طرق ضعيفة فى تاريخ ابن حبان وغيره ومثله يعمل به فى فضائل الأعمال انتهى وذكر نحوه فى شرح البهجة وقال فى النهاية بعد عبارة الحلى السابقة ولهذا اعتمد الوالد استحبابه وأفتى به وقال ابن قاسم فى حواشى شرح المنهج مشى الرمل على استحبابه ومنع شدة ضعف أحاديثه وهذا هو الذى يميل إليه الفقير إذ قد ورد وهى مناسبة للحال فلتسن والله أعلم . وقد قال ابن حجر فى شرح العباب فى قول الأذرى لا ينبغي ترك هذا الدعاء ولا يعتقد أنه سنة فإن الظاهر أنه لم يثبت فيه شيء إلى آخره ما نصه يؤيد ما قاله أولاً قول النووى فى الدعاء السابق عند السواك وهذا لا بأس به وإن لم يثبت له أصل فإنه دعاء حسن انتهى فكذا نقول هنا فى دعاء الأعضاء انتهى وعليه لا خلاف بين ابن حجر والرمل وشيخ الإسلام إلا أن القائلين بأن حديثه يعمل به الفضائل يقولون يؤتى بهذا الدعاء بإعتقاد سنيته ومن قال لا يعمل به يقول يؤتى به لكونه مناسباً للحال جليل الموقع لكن لا يعتقد سنيته فطلب الإتيان لا اختلاف به وإنما الاختلاف فى كونه يعتقد سنيته أولاً وفى شرح العباب لابن حجر ما نصه نعم فيها أى أدعية الأعضاء حديث حسن وهو ما من مسلم يقول حين يتوضأ بسم الله ثم يقول لكل عضو أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ثم يقول حين يفرغ اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين إلا فتحت له ثمانية أبواب الجنة

﴿فرع﴾ يقتصر حتماً على الواجب لضيق وقت عن إدراك الصلاة كلها فيه وإدراك جماعة أولى من التلث وسائر سنن الوضوء غير ذلك ما لم يرج جماعة أخرى ﴿ومكروهاته﴾ الإسراف في الماء وتقديم اليسرى على اليمنى والتقص عن الثلاثة والزيادة عليها

يدخل من أيها شاء فإن قام من فوزه ذلك فصلى ركعتين يقرأ فيهما ويعلم ما يقول انقل من صلاته كيوم ولدته أمه ثم يقول له استأنف العمل فهذا مصرح بنسب الشاهد المذكور عنه عند كل عضو وسنده حسن قاله المستغنى فيعين أن لا يكون من محل الخلاف بين النوى وغيره في أدعية الأعضاء فاستفده انتهى كلام شرح العباد بل كرر فيه في صحة واحدة وكأنه لم يستحضره حيث ذكره ثانياً وذكر في الموضع الأول أن المستغنى أخرجه وقال حسن غريب فزاده على الثاني الغرابة وهي لا تنافي الحسن كما لا يخفى بل ولا الصحة لكن أورده الحافظ ابن حجر في تخرجه أحاديث الأذكار عن رواية الحافظ المستغنى في كتاب الدعوات وقال بعد ذكره وهذا حديث غريب وفيه تعقب على المصنف أي النوى في قوله في الفعل الذي قبل هذا أن الشاهد بعد التسمية لم يرد انتهى ونبه على ذلك ابن اليم في قياس تخرجه الأذكار فقال لعله سقط هنا لفظة حسن .

* تنبيه * الحديث الموضوع لا يحتاج به في الأحكام ولا في الفضائل بل لا تجوز روايته إلا للتعريف بحاله قال العراقي :

شَرُّ الضَّعِيفِ الْخَبَرُ الْمَوْضُوعُ ❖ ❖ ❖ الْكُذِبُ الْمَخْتَلَفُ الْمَصْنُوعُ

وكيف كان لم يحجر وأذكره ❖ ❖ ❖ لمن علم ما لم يبين أمره

﴿فرع يقتصر﴾ الموضي ﴿حتماً﴾ أي وجوباً ﴿على الواجب﴾ من غسل أو مسح فلا يجوز تلث في غسل الأعضاء ولا إتيان سائر السنن فعليه كانت كالمضمضة والاستنشاق أو قوله كالأذكار الواردة قبله أو بعده لكن محل هذا بالنسبة لضيق الوقت فقط ﴿لضيق وقت عن إدراك الصلاة كلها فيه﴾ كما صرح به النوى وغيره وتبعه المتأخرون وذلك بأن لم يدركها رأساً أو بعضها في الوقت فضيق الوقت عن إدراكها كلها فيه صادق بصورتين والحاصل مزاده أنه لو تلث أو أتى بالسنن كلها لخرج جزء من الصلاة عن وقتها فيجب عليه حينئذ ترك التلث وترك الإتيان بالسنن أو لقلة ماء بحيث لا يكفي إلا الفرض فلو كان معه ماء لا يكفي لتسمة طهره أن تلث أو أتى السنن أو احتاج إلى الفاضل لعطش محترم حرم استعماله في شيء من السنن وكذا يقال في الغسل ﴿وإدراك جماعة أولى من التلث﴾ أي تلث الوضوء ﴿وسائر سنن الوضوء غير ذلك﴾ أما ذلك فينبغي تقديمه على الجماعة لأنه قيل بوجوبه وما كان من السنن كذلك نحو مسح جميع الرأس قدمت على الجماعة ﴿ما لم يرج جماعة أخرى﴾

ولما فرغ المصنف من ذكر سنن الوضوء شرع في ذكر مكروهاته فقال رحمه الله ﴿ومكروهاته﴾ أي الوضوء أمور منها ﴿الإسراف في الماء﴾ ولو بسط نهر وهو أخذ الماء زيادة عما يكفي العضو وإن لم يزد على الثلاث فليس ذلك مكرراً مع قوله والزيادة عليها وذلك لما رواه أحمد وابن ماجه من حديث سعيد أنه لما مر به ﷺ وهو يتوضأ فقال له ما هذا الشرف يا سعيد قال أي الوضوء سرف قال نعم وإن كنت على نهر جار ولخير أبي داود بإسناد صحيح عن عبد الله بن مغفل قال سمعت رسول الله ﷺ يقول أنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء والاعتداء في الأول يكون بالإسراف أو الزيادة على الثلاث وفي الثاني يكون بسؤال درجة الأنبياء مثلاً .

﴿ومنها﴾ تقديم ﴿اليمنى﴾ على اليسرى ﴿على اليمنى﴾ ﴿منها﴾ لئلا ينسى عنه في صحيح ابن حبان .

﴿ومنها﴾ التقص عن الثلاثة والزيادة عليها ﴿حل كراهتها﴾ كما قاله الشراقي إذا كانت متيقنة وكان الماء مباحاً أو مملوكاً وأتى بها بقصدية الوضوء أو أطلق فإن شك أخذ باليقين أو كان الماء موقوفاً على من يتطهر به أو يتوضأ منه كالدائرس والرباط حرمت

من غير ماء موقوف فمعه حرام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا الوضوء فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم رواه أبو داود ﴿وحكى﴾ الشيخ معين الدين حسن السجزي أنه كان مع الشيخ أجل سري يوماً فحضر وقت الصلاة فجدد الشيخ أجل سري الوضوء وسها عن تحليل الأصابع فنهق هاتف يا أجل تدعى بحبة محمد صلى الله عليه وسلم وتكون من أمته وتترك سنته فحلف الشيخ أجل لا أترك سنة من سنته عليه السلام من وقتنا هذا إلى وقت الموت وقال الشيخ معين الدين كنت إذا رأيت الشيخ أجل رأيت كأنه ينام فسأله عنه فقال أنا من ذلك الوقت الذي نسبت تحليل الأصابع على هذا الوقت في الحيرة كيف ألقى بهذا الوجه محمداً ﷺ

لأنها غير مأذون فيها وإن أتى بها بنية التبرد أو مع قطع نية الوضوء عنها فلا كراهة وكذا إذا كان النقص لحاجة كبرد وخرج بالزيادة على الثلاث الثلاث فلا تحرم ولو من موقوف على التطهير قال السيد مرتضى الحسيني قيل المنهى عن الزيادة والنقصان ما إذا كان معتقداً سنتها فأما لو زاد لطمأنينة القلب عند الشك فلا بأس به كما أشار إليه النووي لأنه ﷺ أمر بترك ما يربيه كذب في الكافي وغيره وفي الخلاصة وأن غسل مواضع الوضوء أربع مرات يكره قال الفقيه أبو جعفر لا يكره إلا إذا رأى السنة فيما وراء الثلاث وهذا إذا لم يفرغ من الوضوء فإن فرغ ثم استأنف الوضوء لا يكره بالاتفاق.

وحل الكراهة في الزيادة على الثلاث إذا كانت ﴿من غير ماء موقوف﴾ أن كانت تلك الزيادة ﴿منه﴾ أي من الماء الموقوف فهي ﴿حرام﴾ لأنها غير مأذون فيها وذلك أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف الطهور فدعا بماء في إناء فغسل كفيه ثلاثاً ثم غسل وجهه ثلاثاً ثم غسل ذراعيه ثم مسح برأسه أدخل أصبعيه السبابتين باطن أذنيه ثم غسل رجليه ثلاثاً ثلاثاً ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا الوضوء ﴿أي الكامل والأفضل الوضوء يحصل بدون ذلك﴾ فممن زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم رواه أبو داود ﴿واللفظ له والنسائي وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قاله العراقي والإحتجاج بهذا الإسناد صحيح فإن المراد بمجد عمرو عند الإطلاق أبو أمية وهو عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما كما ذكره السيد مرتضى وفي شرح الروض وقال في المجموع إنه صحيح قال تقياً عن الأصحاب وغيرهم والمعنى فمن زاد على الثلاث أو نقص منها فقد أساء وظلم في كل من الزيادة والنقص وقيل أساء في النقص وظلم في الزيادة وقيل عكسه ثم قال فإن قيل كيف يكون النقص عن الثلاث إساءة وظلماً ومكروها وقد ثبت أنه ﷺ فعله فإنه توضاً مرة مرة وتوضاً مرتين قلنا ذلك لأن لبيان الجواز وكان في ذلك الحال أفضل لأن البيان واجب.

﴿وحكى﴾ الشيخ معين الدين حسن السجزي ﴿بالفتح والكسر نسبة إلى سجستان الاقليم المعروف﴾ أنه كان مع الشيخ أجل سري يوماً فحضر وقت الصلاة فجدد الشيخ أجل سري الوضوء ﴿وذلك لخبر أبي داود وغيره من توضاً على طهر كتب له عشر حسنات﴾ وسها عن تحليل الأصابع فنهق هاتف يا أجل تدعى أنت ﴿بحبة محمد صلى الله عليه وسلم وتكون من أمته وتترك سنته﴾ التي منها تحليل الأصابع ﴿فحلف الشيخ أجل﴾ والله ﴿لا أترك سنة من سنته عليه السلام من وقتنا هذا﴾ أي الوقت الذي بعد هذا التنبيه من الهاتف ﴿إلى وقت الموت﴾ أي وقت موتي ﴿وقال الشيخ معين الدين كنت﴾ بعد هذا الهاتف ﴿إذا رأيت الشيخ أجل رأيت كأنه ينام﴾ لكن لا ينام حقيقة ﴿فسأله عنه﴾ ما السبب في هذا الحال الذي رأيت منك ﴿فقال﴾ الشيخ ﴿أنا من ذلك الوقت الذي نسبت تحليل الأصابع إلى هذا الوقت في الحيرة﴾ والدمش ﴿كيف ألقى بهذا الوجه محمداً صلى الله عليه وسلم﴾ وهذا منه يدل على خوف التعصير في شدة إهتمامه بسنته ﷺ.

﴿وحكى﴾ عن الفضيل بن عياض أنه نسي في الوضوء غسل اليد مرتين فلما صلى ونام في تلك الليلة رأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا فضيل العجب منك أنك تترك في الوضوء سنتي فاتبه الفضيل من هيئته وجدد الوضوء من أوله ووظف على نفسه خمسمائة ركعة إلى سنة كفاية لذلك فنعى الله به وسائر الأولياء ورزقنا اتباعهم ﴿ونواقضه﴾ يتقن خروج غير منه .

﴿وحكى عن﴾ أبي علي ﴿الفضيل بن عياض﴾ بن مسعود بن بشر التميمي ولد بسمرقند ونشأ بأبيورد بفتح الهمة وكسر الباء وسكون الياء آخر الحروف وفتح الواو وسكون الراء المهمل ثم دال مهملة أيضا بلد من خراسان ويقال أيضا أبا ورد ومات بمكة في الحرم سنة سبع وثمانين ومائة قال الفضيل بن موسى كان الفضيل شاطرا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس وكان سبب توبته أنه عشق جارية فينما هو يرتقى الجدران إليها سمع نالها يتلو الميكان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فقال يارب قد آن فرجع فأواه الليل إلى خربة فإذا فيها رفقة فقال بعضهم نرتحل وقال قوم حتى نصبح فإن فضيلا على الطريق يقطع علينا قتال الفضيل وامتنهم وجاور الحرم حتى متى رحمه الله ﴿أنه نسي في الوضوء غسل اليد مرتين فلما صلى ونام في تلك الليلة رأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا فضيل العجب منك أنك تترك في الوضوء سنتي فاتبه الفضيل من نومه ﴿من هيئته﴾ لأجل هيئته ﴿وجدد الوضوء من أوله﴾ أي الوضوء ﴿ووظف على نفسه﴾ كل يوم ﴿خمسمائة ركعة إلى سنة كفاية لذلك﴾ أي لترك غسل اليد مرتين ﴿فنعى الله به﴾ أي ببركة وعلومه ومعارفه ﴿وسائر الأولياء﴾ وهم العارفون بالله تعالى حسبا يمكن المواظبون على الطاعات المجتنبون للمعاصي المعترضون عن الانهماك في اللذات والشهوات ﴿ورزقنا اتباعهم﴾ ثم ذكر المصنف نواقض الوضوء فقال

﴿ونواقضه﴾ أي الأسباب التي يبطل بها الوضوء أربعة فقط ثابتة بالأدلة واختصاص النقض بها غير معقولة فلا يقاس عليها غيرها وأما شفاء دائم الحدث وما الحق به فمذكورة في بابه مع أنه نادر وأما الردة فلا تنقض الوضوء لأنها لا تحبط العمل لا أن اتصلت بالموت ونزع الحنف يوجب غسل الرجلين فقط وإعادة التيمم وما الحق به من وضوء نحو السلس مذكور حكمه في بابه فلا تنقض بالقهقهة في الصلاة ولا بالبلوغ بالسن ولا بأكل لحم الجوزور وإن اختار النوى من جهة الدليل النقض به وذكر أن فيه حديثين صحيحين ليس عنهما جواب شاف قال ابن قاسم بل عنهما الجواب الشافي وهو جواب الأصحاب بسننه بهم بحديث جابر كان آخر الأمرين من رسول الله ﷺ ترك الوضوء مما غيرت النار انتهى وما يضعف النقض به أن القائل به لا يعديه إلى شحمه وسنانه مع أنه لا فرق ورد ذلك بأنهما لا يسميان لحما كما في الإيمان فأخذ القائل بظاهر النص ويحاج بأنه عمم عدم النقض بالشحم مع شموله لشحم الظهر والجنب الذي حكم العلماء في الإيمان بشمول اللحم ولا نقض أيضا بالنجاسة الخارجة من غير الفرج كهيء وفصد وحجامة لما روى من أن رجلين من أصحابه ﷺ حرسا المسلمين في غزوة ذات الرقاع فقام أحدهما يصلي فرماه رجل من الكفار بسهم فترعه وصلى ودمه يجري وعلم به ﷺ ولم ينكره وأما صلواته مع الدم فقليلة ما أصابه منه أولئك لم يلشخص نفسه بنفسه وإن كثر قاله الرملي وغيره .

أحدهما ﴿يتقن خروج﴾ شين من أحد السيلين وخروج به الدخول فلا ينقض والأوجه كما في شرح الإرشاد أنه لو رأى على ذكره بل لا ينقض وضوءه إلا إذا لم يحتمل طوره من خارج خلافا للفرزى كما لو خرجت منه رطوبة وشك أنها من الظاهر أو الباطن زاد الشبرا ملسى ولا تكلف إزالتها وإن أدى ذلك إلى التصاق رأس ذكره بثوبه لانا لم نحكم بنجاستها ﴿غير منه﴾ أي مني الشخص نفسه وحده الخارج أول مرة أما هو فلا ينقض كأن احتلم متوضىء وهو ممكن مقعده لأنه أوجب أعظم الأمرين وهو الغسل أما لو خرج منه مني غيره ولو مع مني أو مني نفسه وحده ثانيا بأن أدخله في قصبة ذكره ثم خرج منه فينقض وضوءه كما قاله السيد البكري

ولو ربحا من فرج وغلبة على العقل لا بنوم ممكن مقعد

﴿ولو﴾ كان الخارج ﴿وربحا من فرج﴾ قال تعالى أو جاء أحد منكم من الغائط والآية والغائط المكان المظلم من الأرض تقضى فيه الحاجة سمي باسمه الخارج للمجاورة قال القاضي أبو الطيب وفي الآية تقديم وتأخير ذكره الشافعي عن زيد بن أسلم تقديرها إذا قسم إلى الصلاة من النوم أو جاء أحد منكم من الغائط أو لا قسم النساء فاعسلوا وجوهكم إلى قوله أو على سفر فيقال عقبه فلم تجذوا ماء فقيموا صعيدا قال وزيد من العالمين بالقرآن والظاهر أنه قررهما توقيفا مع أن التقدير فيها لا بد منه فإن نضمها يقتضي أن المرض والسفر حد ثان ولا قائل به انتهى وفي الصحيحين أنه ﷺ قال في المذي ينسل ذكره ويتوضأ وفيهما شكى إلى النبي ﷺ الرجل يجبل إليه أنه يجد الشيء في الصلاة فقال لا ينصرف حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا والمراد العلم بخروجه لا سمعه ولا شمه وليس المراد حصر الناقض في الصوت والريح بل نفى وجوب الوضوء بالشك في خروج الريح ويقال بما في الآية والأخبار كل خارج مما ذكر وإن لم تدفعه الطبيعة كعود أخرج من الفرج بعد أن أدخل فيه وخرج بالسيلين غيرهما فلا نقض بالخارج منه لأن الأصل أن لا نقض حتى يثبت بالشرع ولم يثبت والقياس يمنع هنا لأن علة النقض غير معقولة كما مر نعم استثنوا من ذلك المنفتح تحت المعدة قاله في شرح الروض

﴿و﴾ ثانيا ﴿غلبة على العقل﴾ وهو غريزة منبعها العلم بالضرورات عند سلامة الآلات سواء أزال يجنون وهو زوال الشعور من القلب مع بقاء حركة الأعضاء وقوتها أم باغماء وهو زواله منه مع قوتها أم بسكر وهو زواله منه مع طرب واختلاط نطق أم بنوم وهو زواله منه استرخاء المفاصل أم بغير ذلك الخبر العينان وكاء السه فن نام فليوضأ رواه أبو داود وابن ماجه وابن السكن في صحاحه وغير النوم مما ذكر أبلغ منه في الذهول الذي هو مظنة لخروج شيء من دبره كما أشعر به الخبر إذا لبس الدبر وكاؤه مغلظه عن أن يخرج منه شيء لا يشعر به والعيان كناية عن اليقظة ولا يضر في النقض بزوال العقل الذي هو مظنة لخروج الخارج كون الأصل عدم خروج شيء لانه لما جعل مظنة لخروجه من غير شعوره أقيم مقام اليقين كما أقيمت الشهادة المفيدة للظن مقام اليقين في سفل الذمة

* تنبيه * لو أغشى عليه وهو جالس في الشهد متكئا بطلت صلاته لا تقاض وضوئه صرح به أبو الفرج العجلي بخلاف ما لو نام في الصلاة ممكن المقعدة فانه لا تبطل صلاته ان قصر زمان النوم فان طال وكان في ركن قصير بطلت لا تقاطع الموالاة بتطويل الركن القصير أو في ركن طويل كالشهد لم تبطل صلاته هذا مقتضى القواعد وقد صرح به الامام في الطواف ﴿لا﴾ زواله ﴿بنوم﴾ قاعد ﴿ممكن مقعد﴾ أي إليه من مقره فلا ينتقض وضوؤه ولو استدأى إلى مالو زال لسقط أو احتيا بان يجلس على إليه رافعا ركبته محتويا عليهما يديه أو غيرهما الخبر مسلم عن أنس ﷺ كان أصحاب رسول الله ﷺ ينامون ثم يصلون ولا يتوضئون وحمل على نوم الممكن مقعد جمعا بين الأخبار ولا منه حينئذ خروج الخارج ولا عبرة باحتمال خروج ريح من القبل لند رته ولا فرق بين التحيف وغيره وهو ما صرح به في الروضة وغيرها وقال ابن الرفعة انه المذهب لكن نقل في الشرح الصغير عن الروياني أن التحيف ينتقض وضوؤه وقال الأذرعى انه الحق وخارج بزوال العقل النعاس وحديث النفس وأوائل نشوة السكر فلا تقض بها ويقال للنعاس سنة والفرق بينه وبين النوم أن النوم فيه غلبة على العقل وسقوط الحواس والنعاس ليس فيه ذلك وإنما فيه قوت الحواس لأنه ريح لطيف يأتي من قبل الدماغ يغطي العين ولا يصل إلى القلب فإن وصل إليه كان نوما ومن علامته سماع كلام الحاضرين وإن لم يفهمه ومن علامة النوم الرقيا ولا تمكن لمن نام على قفاه ملصقا مقعدا بمقره ولو زالت إحدى ألبته قبل إتيائه ولو كان يستشفرا نقض وضوؤه وإن لم تقع يده على الأرض لم ينقض لحظة وهو نائم غير ممكن أو زالت مع إتيائه أو شك في أن زوالها قبل إتيائه أو لا أو في أنه نائم أو نعس فلا نقض لأن الأصل الطهارة نعم لو

ومس فرج آدمي ببطن كفه وتلاقى بشرتي ذكر وأنثى

رأى رؤيا وشك أنام أم لا فعليه الرضوء لأن الرؤيا لا تكون إلا بنوم ثقلة في الجموع عن نص البويطي ثم قال فيه ولو تيقن النوم وشك هل كان ممكنا أم لا فلا وضوء عليه قال وقول البغوي لو تيقن رؤيا ولا تذكر نوما فعليه الرضوء ولا يحمل على النوم ممكنا لأنه خلاف العادة مزيل أو ضعيف انتهى . ولعل الفرق بينهما وبين مسألة النص أن الرؤيا في تلك اعتضدت بأحد طرفي الشك الموافق لها بخلافها في هذه أو أنه فهم من كلام البغوي أن مراده بعدم التذكر أنه شك هل نام ممكنا أم لا وهو ما فهمه الاستنوي في الغارز وقد يستشكل على الأول بتحقيق الرؤيا مع عدم تحقق النوم مع أنها من علامته كما مر ويحاج بأن علامة الشيء ظنية لا تستلزم وجوده ولو سلم استلزامها له فلا يلزم من وجود الشيء العلم به قال في الروضة قال الشافعي والأصحاب يستحب الرضوء من النوم ممكنا للخروج من الخلاف قاله ابن المقرئ وغيره .

﴿و﴾ ثالثها ﴿مس﴾ شيء من ﴿فرج آدمي﴾ قبل أو دبر من نفسه أو غيره ذكرًا كان أو أنثى متصلا أو منفصلا والجنس كالآدمي إذا كان على صورة الآدمي وسمى الفرج فرجا لانقراجه وانفتاحه لأن فيه ثقبه مفتوحة وشمل ما يقطع في ختان المرأة ولو بارزا حال اتصاله قاله ابن خنجر ومثله القلفة حال اتصالها انتهى فإن قطعها فلا تنقض بمسهما كما قاله الشنبري ﴿ببطن كفه﴾ بلا حائل لحديث الترمذي وغيره إذا أفصى أحدكم يده إلى فرجه وليس بينهما ستر ولا حجاب فليتوضأ والأفضاء لغة المس ببطن الكف ومس الفرج من غيره افحش من مسه من نفسه لمسكه حرمة غيره ولهذا لا يتعدى التنقض إليه والمراد ببطن الكف المنطبق عند وضع إحدى اليدين على الأخرى مع تحمل سير وشمل إطلاقه الذكر المبان لصدق الإسم وأما فرج المرأة المبان فحكمه كذلك إن بقي الإسم والا فلا ويؤخذ من ذلك أن الذكر لو قطع ودق حتى خرج عن كونه يسمى ذكرًا أنه لا ينتقض وهو كذلك .

ولا ينتقض مس فرج بهيمة في الجديد إذا لا حرمة لها في ذلك والقديم وحكام جمع جديد أنه ينتقض كفرج الآدمي والرافعي في الشرح حكى الخلاف في قبلها وقطع في دبرها بعدم التنقض وتعقبه في الروضة بأن الأصحاب أطلقوا الخلاف في فرج البهيمة فلم يخصوا به القيل انتهى .

وينقض مس فرج الميت والصغير وحل الجب والذكر الأشل وباليه الشلاء في الأصح ولا تنقض رؤس الأصابع وما بينهما وحرفها وحرف الكف لخروجها عن سمته ولأنه لا يعتمد على اللبس بها وحدها من أراد لبس الملموس وخشوته وقيل تنقض رؤس الأصابع دون ما بينها ويجزى ذلك في حرف الكف وينقض بمس باطن أصبع زائدة إن كانت على سنن الأصابع الأصلية فإن كانت على ظهر الكف فلا والمزاد بين الأصابع فيما يظهر النقر التي بينها وما حاذها من أعلى الأصابع إلى أسفلها ويجزى جوانبها والأوجه أن العبرة في العمل والمسامحة بوقت المس دون ما قبله وما بعده قاله في النهاية .

﴿و﴾ رابعها ﴿تلاقى بشرتي ذكر وأنثى﴾ ولو بلا شهوة ولو مع نسيان أو إكراه سواء أكان العضو زائدا أم أصليا سليما أم أشل لقوله تعالى أو لامستم النساء أي لمستم كما قرئ به وهو الجنس باليد كما فسره ابن عمر لا جامعهم لأنه خلاف الظاهر وقد عطف اللبس على المجين من الغائط ورتب عليهما الأمر باليتم عند فقد الماء فدل على كونه حدثا كالمجين من الغائط والمعنى فيه أنه مظنة ثوران الشهوة وسوء أكان الذكر فحلا أم عينا أم مجبوا أم خصيا أم مسوحا وسواء أكانت الأنثى عجوزا لا تشهى غالبا أم لا إذا ما من ساقطة إلا ولها لا فطة وسواء أكان اللبس باليد أم غيرها وبالبشرة ما ليس بشعر ولا سن ولا ظفر ويدل له عبارة الأنوار وشمل اللحم لحم الأسنان

بكبر لا مع محرمية ومحرم بالحدث صلاة وطواف وسجود ومس وحمل ما كتب فيه قرآن لدراسة لا مع تفسير زاد عليه
واللثة واللسان وباطن العين ومحل ذلك حيث لا حائل ولا فلا نقض ولو رقيقاً لا يمنع إدراكها ﴿بكبر﴾ فيها فلا نقض بتلاقيهما مع صغر
فيهما أو في أحدهما لاتقاء مظنة الشهوة والمراد بذى الصغر من لا يشتهي عرفاً غالباً عند آرباب الطباع السليمة ولا يتقيد بسبع سنين
لاختلاف ذلك باختلاف الصغار كما جرى عليه بعضهم ﴿لا﴾ تلاقى بشرتهما ﴿مع محرمية﴾ بينهما بنسب أو رضاع أو مصاهرة
لاتقاء مظنة الشهوة والحرم من حرم نكاحها على التأيد بسبب مباح لحرمتها ذكره النووي في دقائقه وخرج بالتأيد المرتدة والجوسية
وأخت الزوجة ونحوها ممن يحرم جمعها معها وقد يقال أخت الزوجة ونحوها جلال نظراً إليها بخصوصها وإنما الحرام جمعها معها وبقوله
بنسب مباح أم الموطوءة بشبهة ونحوها إذ النسب إما حرام إن كانت الشبهة شبهة محل كوطء الأمة المشتركة أو شبهة طريق كالوطء
بالنكاح والشرء الفاسدين أولاً يوصف بإباحة ولا تحريم إن كانت الشبهة شبهة فاعل كوطء من ظنها زوجته لكونه ليس فعل مكلف
لكونه غافلاً وبقوله لحرمتها الملاعة فإن تأيد تحريمها لا لحرمتها بل للتغليظ عليها واعتراض عليه بمن وطئت بشبهة ثم تزوجها ودخل بها إذ
المتجه الحكم على أمهاتها وبناتها بالمحرمية ولم يشملهن التعريف لأن تحريمهن كان قبل السبب المباح ويستحيل تحصيل الحاصل وبأزواج
النبي ﷺ فإن التعريف يشملهن وليس محارم وبالموطوءة في الحيض والاحرام ونحوهما وبالمعقود على أمها عقداً حراماً كان وقع بعد
الخطبة وأجاب الفاياني عن الأول بأن المحرمية ثبتت بالسبب المباح بعد أن لم تكن وهذه الأمور معرفات فحصل بوطء الشبهة
الحرمة المؤبدة لا على جهة المحرمية وبالسبب الحرمة المؤبدة على جهة المحرمية فللحرمة المؤبدة جهةتان واعتباران وعن الثاني بأن
المزاد بالحرمة المؤبدة الأولية والإحترام الأولى في زوجات النبي ﷺ والثنى لمن رضى الله عنهم وعن الثالث والرابع بأن المراد بإباحة
النسب نظراً لذاته وهو في المذكورات كذلك وإنما حرم فيهن نظراً لعارضه قاله الشويرى ثم بين المصنف ما يحرم بالحدث الأصغر والأكبر
فقال ﴿ومحرم بالحدث﴾ وهو هنا المنع المترتب على نواقض الوضوء ﴿صلاة﴾ ولو نافلة وصلاة جنازة إجماعاً وآية إذا قسم إلى الصلاة
أى قسم محدثين ولغير الصحيحين لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ والقبول يقال لحصول الثواب ولوقوع الفعل صحيحاً
والمراد هنا الثاني بقرينة الإجماع لأنه الذى يلزم من نفيه نفي الصحة فالمعنى لا تصح صلاة إلا بوضوء وفي معناها خطبة الجمعة
﴿وطواف﴾ ولو نفلاً لأنه ﷺ توضأ له وقال لتأخذوا عني مناسككم ورواه مسلم ولغير الطواف بمنزلة الصلاة إلا أن الله قد أحل فيه المنطق
فمن نطق فلا ينطق إلا بخير ورواه الحاكم وصححه على شرط مسلم ﴿وسجود﴾ لتلاوة أو شكر لأنه في المعنى الصلاة قال ابن الصلاح
ما يفعله عوام الفقراء من السجود بين يدي المشايخ فهو من العظام أى الكبار ولو كان بطهارة وإلى القبلة وأخشى أن يكون كبراً وقوله تعالى
وخزوا له منسوخاً أو مؤول بمنقادين أو يخزوا لأجله سجد الله شكراً على أن شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا وإن ورد في شرعنا ما يقرره
﴿ومس وحمل﴾ مصحف و ﴿ما كتب فيه قرآن﴾ والمصحف اسم للمكروب من كلام الله بين الدفتين وذلك لقوله تعالى لا يمسه إلا
المطهرون أى المطهرون وهو خبر بمعنى التهيؤ وقوله ﷺ لا يمسه المصحف الا طاهر وقيس الحمل على المس لأنه أبلغ وأفحش منه نعم لو
دعت ضرورة إلى حمله كأن خلف عليه تنجساً أو كافراً أو تلعناً أو ضياعاً وعجز عن الطهارة وعن إيداعه مسلماً ثقة حمله حتماً ويجب
التيسر له إن أمكنه كما في النهاية ﴿لدراسة﴾ خرج ما كتب لغيرها وما على النقد إذ لم يكتب للدراسة وهو لا يكون قرآناً إلا بالقصد
﴿لا﴾ يحرم حمل المصحف ولا منه ﴿مع تفسير زاد عليه﴾ أى على المصحف يقينا أما إذا كان التفسير أقل أو مساوياً أو مشكوكاً
في نقله وكثرته فلا يحمل هذا ما جرى عليه الرملى وجرى ابن حجر على حمله مع الشك في الأكرية أو المساواة وقال لعدم تحقق المانع وهو

ولا قلب ورقه يعود إن لم ينفصل عليه

الإستواء ومن ثم حل نظير ذلك في الضبة والحرير ونقل بعضهم عن فتاوى الجمال الرملى أنه سئل عن تفسير الجلالين هل هو مساو للقرآن أو قرآنه أكثر فأجاب بأن شخصا من اليمن تتبع حروف القرآن والتفسير وعدهما فوجد هما على السواء إلى سورة كذا ومن أواخر القرآن فوجد التفسير أكثر حروفا فعلم أنه يحل حمله مع الحدث على هذا انتهى وقال الشرواني نقلا عن شيخه والورع عدم حمل تفسير الجلالين لأنه وإن كان زائدا بحرفين ربما غفل الكاتب عن كتابة حرفين أو أكثر .

* تنبيه * ذكر في النهاية أن العبرة بالقلة والكثرة على الأوجه باعتبار الحروف لا الكلمات وإن العبرة في الكثرة وعدمها في المس بحال موضعه وفي الحمل بالجميع كما أفاد ذلك الوالد رحمه الله تعالى انتهى . قال الشبرايملى وهل العبرة بالملفوظ من الحروف أو المرسوم الأقرب الثاني وعليه فيظهر أنه يعتبر في القرآن رسمه بالنسبة لحفظ المصحف الإمام وهو الذى كان يقرأ فيه سيدنا عثمان واتخذ لنفسه وإن خرج عن مصطلح علم الرسم لأنه ورد له رسم لا يقام عليه فيتعين إعتباره به وفي التفسير رسمه على قواعد علم الخط لأنه لما لم يرد فيه شيء وجب الرجوع فيه للقواعد المقررة عند أهله كما ذكره ابن حجر وفي شرح الإرشاد له أن الكثرة من حيث الحروف لفظا لا رسما انتهى والأصح حل حمله أى القرآن فى أمتة تبعها لها إن لم يكن مقصودا بالحمل وحده بأن قصد الأمتة فقط أو لم يقصد شيئا أو قصد هما كما اقتضاء كلام الرافعى فى الثالثة وهو المعتمد بخلاف ما إذا قصده فقط والمراد بالأمتة الجنس ولو حمل حامل المصحف لم يحرم لأنه غير حامل له عرفا ولو حمل مصحفا مع كتاب فى جلد واحد فحكمه حكم المصحف مع المتاع فى التفصيل السابق وأما من الجلد فيحرم مع مس السائر للمصحف دون ما عدها كما أفتى به بعضهم

* فائدة * وقع السؤال فى الدرس عن شخص سليم توشا قبل أن يستنجى وأراد مس المصحف هل يحرم عليه أم لا وأجيب عنه بعدم الحرمة لصحة وضوئه وغايته أنه مس بعض طاهر مع نجاسة بعض أعضائه وذلك لا أثر له فى جواز المس بل قال النووي أنه غير مكروه خلافا للنسوى ﴿ولا﴾ يحرم ﴿قلب ورقه يعود﴾ لأنه ليس حملا ولا فى معناه ﴿إن لم ينفصل﴾ أى الورق ﴿عليه﴾ أى على العود قال بعضهم نقلا عن العلامة الكردى الذى يظهر من كلامهم أن الورقة المثبتة لا يضر قلبها بنحو العود مطلقا وغير المثبتة لا يضر قلبها إلا إن انفصلت على العود عن المصحف .

* فوائد * يكره كب القرآن على حائط ولو لمسجد وثياب وطعام ونحو ذلك ويجوز هدم الحائط ولبس الثوب وأكل الطعام ولا يضر ملاقاته ما فى المعدة بخلاف ابتلاع قرطاس عليه اسم الله تعالى فإنه يحرم ولا يكره كب شيء من القرآن فى إناء ليسقى مائه للشفاء خلافا لما وقع لابن عبد السلام فى فتاويه من التحريم وأكل الطعام كشرب الماء فلا كراهة فيه ويكره إحراق خشب نقش بالقرآن إلا إن قصد به صيانة القرآن فلا يكره كما يؤخذ من كلام ابن عبد السلام وعليه يحمل تحريق عثمان رضي الله عنه المصاحف ويحرم كب القرآن أو شيء من أسمائه تعالى بنجس وعلى نجس ومسه به إذا كان غير مغفوع عنه كما فى المجموع لا بظاهر من متنجس ويحرم الوطء على فراش أو خشب نقش بالقرآن كما فى الأنوار أو شيء من أسمائه تعالى ولو خيف على مصحف تنجس أو كافر أو تلف بنحو غرق أو ضياع ولم يتمكن من تطهره جاز له حمله مع الحدث فى الأخيرة ووجب فى غيرها صيانة له كما مرث الإشارة إليه ويحرم السفر به إلى الأرض الكفار إذا خيف وقوعه فى أيديهم وتوسده وإن خاف سرقة وتوسد كب علم محترم إلا لخوف من نحو سرقة نعم إن خاف على المصحف من تلف بنحو جرق أو تنجس أو كافر جاز له أن يتوسده بل يجب عليه ويتنجس الكافر من مسه لاسمائه ويحرم تعليمه وتلقينه إن

ويجب على نحو الوالي منع غير يميز مصحفا ولو حا فيه قرآن ولو بعض آية لا يميز لحاجته .

كان معاندا وغير المعاند إن رجي إسلامه جاز تعلبه والافلا وتكره القراءة بفهم متجسس قاله الخطيب ﴿ ويحب على نحو الولي ﴾ كالعلم ﴿ منع غير يميز مصحفا ﴾ أي حملة أو مسه ﴿ ولو حا ﴾ من كل ما كتب ﴿ فيه قرآن ﴾ لدرس ولو كبر اللوح عادة كتاب كبير جاز مس الخالي عن القرآن منه ولا يحرم مس ما محي بحيث لا يقرأ إلا بكبير مشقة قاله السيد البكري ﴿ ولو ﴾ كان نحو المصحف ﴿ بعض آية لا ﴾ منع صبي ﴿ يميز ﴾ من حمل ومس نحو مصحف كلوجه ﴿ لحاجته ﴾ أي حاجة تعلبه ودرسه ووسيلتهما كحملة للمكب والإتيان للمعلم ليعلمه منه ويجب على المعلم الطهارة ولا يجوز له حملة ومس من غيرها نعم أفتى الحافظ ابن حجر بأنه يسامح لمؤدب الأطفال الذي لا يستطيع أن يقيم على الطهارة في مس الألواح لما فيه من المشقة لكن ينعى لأنه أسهل من الوضوء نقله بعضهم .

* فرع * لو وضع المصحف على كرسي من خشب أو جريد لم يحرم مس الكرسي قاله الطبرلاوي وعبد الحميد وكذا الرملي لأنه منفصل انتهى وأطلق الزنادي الحرمة في الكرسي فشم الخشب والجريد انتهى وظاهره أنه لا فرق بين الحاذي للمصحف وغيره كما قاله الشيراملسي .

* خاتمة * وقع السؤال عن خزانين من خشب أحدهما فوق الأخرى ووضع المصحف في السفلي فهل يجوز وضع النعال ونحوها في العليا فأجاب الرملي بالجواز لأن ذلك لا يعد إخلالا بحرمة المصحف قال بل يجوز في الخزانة الواحدة أن يوضع المصحف في رفها الأسفل ونحو النعال في رف آخر فوقه قلله ابن قاسم قال الشيراملسي وينبغي أن مثل ذلك في الجواز ما لو وضع النعل في الخزانة وفوقه حائل كقروة ثم وضع المصحف فوق الحائل كما لو صلى على ثوب مفروش على نجاسة أما لو وضع المصحف على خشب الخزانة ثم وضع عليه حائلا ثم وضع النعل فوقه فمجل نظر ولا يبعد الحرمة لأن ذلك يعد إهانة للمصحف .

﴿باب الغسل﴾

أخرج الطبراني عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقى الختانان وغابت الحشفة فقد وجب الغسل أنزل أو لم ينزل والنسائي وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها إذا استيقظ أحدكم من نومه فرأى بللا ولم ير أنه احتلم اغتسل وإذا رأى أنه احتلم ولم ير بللا فلا غسل عليه *

﴿باب مطبوعة و﴿الغسل﴾﴾

هو بالضم اسم من الإغتسال وهو تمام غسل الجسد واسم للماء الذي يغتسل به أيضا والضم هو الذي يستعمله الفقهاء أو أكثرهم لأنه يجوز فتح الفين كضمها والفتح أفصح وأشهر عند أئمة اللغة واصطلاحا غسل البدن بالماء الطهور من جنابة أو حيض أو نفاس والجنابة حالة تحصل عند إلقاء الختانين أو خروج المنى على وجه الشهوة فيصير من قامت به جنبا قاله المرتضى ﴿أخرج﴾ الحافظ سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير تصغير مطر ﴿الطبراني﴾ نسبة إلى طبرية وهي قسبة الأردن روى عنه الحافظ أبو نعيم وغيره ولد سنة ستين ومائتين بطيرة الشام وتوفي في ذي القعدة سنة ستين وثلاثمائة بأصبهان ذكره العلامة محمد الأمير الأزهرى ﴿عن﴾ عبد الله ﴿ابن عمر﴾ رضي الله عنهما ﴿قال قال رسول الله ﷺ إذا التقى الختانان﴾ أي محل ختان الرجل وخفاض المرأة فجمعتهما بلفظ واحد تغليا والمراد إذا تحاذيا ﴿وغابت الحشفة﴾ أي رأس الذكر في الفرج ﴿فقد وجب الغسل﴾ على الفاعل والمفعول ﴿أنزل﴾ أي أخرج المنى ﴿أو لم ينزل﴾ وأخرج ابن ماجه عن عائشة إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل قال العلامة الحنفى وهذا الحديث ناسخ للحضر في حديث إنما الماء من الماء وزيد بن ثابت ؓ لم يبلغه هذا الحديث فكان يفتى بعدم وجوب الغسل على من جامع ولم ينزل فبلغ سيدنا عمر ؓ فأخضره وزجره فذكر ابن ثابت له حديث إنما الماء من الماء فطلب منه إثباته فأثبت ثم انحط الأمر على نسخ حضره بهذا الحديث ثم موضع الختان كما قاله المرتضى عن الرافعي غير معتبر بعينه لا في الذكر ولا في الحل فذكره غالبي أما في الذكر فمقطوع الحشفة إذا غيب مقدار الحشفة لزمه الغسل فإنه في معنى الحشفة ومعلوم أن أسفل من الحشفة ليس موضع ختان لكن تقييب قدر الحشفة مغبر فلو غيب البعض لم يجب الغسل لأن التحاذي لم يحصل به غالبا وحكى ابن كج أن تقييب بعض الحشفة كتقييب الكل وروى وجه أن تقييب قدر الحشفة من مقطوع الحشفة لا يوجب الطهارة إنما الموجب تقييب جميع الباقي إذا كان مثل الحشفة أو أكثر قال النووي في الروضة قلت هذا الوجه مشهور وهو الراجح عند كثير من العراقيين ونقله صاحب الحاوي عن نص الشافعي ولكن الأول أصح والله أعلم وأما في الحل فلان الحل الذي هو موضع الختان قبل المرأة وكما يجب الغسل بالإيلاج فيه يجب بالإيلاج في غيره كالإتيان في الدبر وكذلك فرج البهيمة خلافا لأبي حنيفة ولا فرق بين الإيلاج في فرج الميت والإيلاج في فرج الحي وخالف أبو حنيفة في فرج الميت وكذا قال في الصغيرة التي لا تشتهي ولا يجب إعادة غسل الميت بسبب الإيلاج فيه على أظهر الوجهين.

﴿وأخرج﴾ النسائي وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها إذا استيقظ أحدكم من نومه فرأى بللا ﴿مع تحقق كونه منيا﴾ ولم ير أنه احتلم ﴿أي خرج منه المنى﴾ في حال نومه هذا هو المراد وإن كان أصل الاحتلام مطلقا ﴿وإذا رأى أنه احتلم ولم ير بللا﴾ فلا غسل عليه ﴿قال السيد أحمد زروق الاحتلام بصورة محرمة عقوبة معجلة وبغير صورة نعمة وبصورة شرعية كرامة وقد نظم ذلك

فقال: من يحلم بصورة شرعية * فانه كرامة مريضة

وان يكن بصورة قدحرت * فهو اذا عقوبة تعجلت

وسمويه عن أنس إذا وجدت المرأة في المنام ما يجد الرجل فلتغتسل * والطبراني عن ابن عباس إن الملائكة لا تحضر الجنب ولا المتضخ بالخلق حتى يغتسل * وأبو داود والنسائي لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جنب * وأحمد وأبو داود عن علي رضي الله عنه من ترك موضع شعرة من تجنابة لم يغسلها فعل به كذا وكذا من النار قال علي فمن ثم عادت شعر رأسي وكان يحجز شعره *

أولا بصورة فذلك نعمة ❦ حكاة زروق عليه الرحمة

وذكر أيضا أنه ينهي عن إتيان الزوجة بعد الاحتلام فإن ذلك يورث الجنون في الولد كذا قاله الخطيب.

❦ أخرج ❦ سمويه عن أنس ❦ رضي الله عنه ❦ إذا وجدت المرأة في المنام ما يجد الرجل ❦ من خروج النبي مع رؤية الليل ❦ فلتغتسل ❦ ❦ أخرج ❦ الطبراني عن ❦ عبد الله ❦ ابن عباس ❦ رضي الله عنهما ❦ أن الملائكة ❦ أي الملائكة التي تنزل بالرحمة والبركة إلى الأرض ❦ لا تحضر الجنب ❦ وهو يطلق على المفرد وغيره أي لا تدخل البيت الذي فيه جنب قال ابن رسلان يحتمل أن يراد به الجنابة من الزنا وقيل هو الذي لا يتوضأ بعد الجنابة وضوا كاملا وقيل هو الذي يتهاون في غسل الجنابة فيمكث من الجمعة إلى الجمعة لا يغتسل إلا الجمعة ويحتمل أن يراد به الجنب الذي لم يستعد بالله من الشيطان عند الجماع ولم يقل ما وردت به النسبة اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا فإن من لم يقله تحضره الشياطين ومن حضرته الشياطين تباعدت عنه الملائكة ❦ ولا ❦ تحضر ❦ المتضخ بالخلق ❦ أي المتطبخ به والخلق مثل رسول ما يتخلق به من الطيب قال بعض الفقهاء وهو مانع فيه صفة ومثله الزعفران كما في رواية وذلك لأنه يلبس بمعصية حتى يقلع عنه أو لأنه تكره رائحته أو رؤية لونه ❦ حتى يغتسل ❦ أي الجنب والمتضخ.

❦ أخرج ❦ أبو داود والنسائي ❦ وابن حبان في صحيحه كلهم من رواية من نظره فيه البخاري ❦ لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جنب ❦ قال أبو سليمان الخطابي وغيره والمراد بالملائكة فيه ملائكة البركة والرحمة دون الحفظة فانهم لا يمتنعون لأجل ذلك قيل وليس المراد بالجنب من يؤخر الغسل إلى حضور الصلاة فيغتسل بل من يتهاون بالغسل ويتخذ ذلك عبادة فانه كان صلى الله عليه وسلم يطوف على نسائه بغسل واحد ففيه تأخير الغسل عن أول وقت وجوبه بل قالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم ينام وهو جنب ولا يمس ماء والمراد بالصورة كل مصور من ذوات الأرواح سواء كانت أشخاصا منتصبية أو كانت منقوشة في شئ أو جدار أو منسوجة في ثوب أو غير ذلك والمراد بالكلب الذي لا تدخل الملائكة لأجله وينقص بسبب اقتنائه من عمل المقتني له كل يوم قيراطان كما في الأحاديث الصحيحة غير كلب الصيد والحراسة كذا قيل وهو قاصر فإن ذلك مصرح به في نفس تلك الأحاديث أخرج الشيخان من اقتنى كلبا إلا كلب الصيد أو ماشية فانه ينقص من آخره كل يوم قيراطان وفي رواية لهما من عمله وفي آخره لهما كل يوم قيراطا إلا كلب حرث أو ماشية ورواية القيراطين فيها زيادة علم فهي مقدمة وفي أخرى لمسلم من اقتنى كلبا ليس بكنب صيد أو ماشية ولا أرض فانه ينقص من آخره قيراطان كل يوم والترمذي وحسنه لولا أن الكلب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم أو من أهل بيت يرتبطون كلها الانقص من عملهم كل يوم قيراطا إلا كلب صيد أو كلب حرث أو كلب غنم قاله في الزواجر.

❦ أخرج ابن أبي شيبة ❦ أحمد وأبو داود ❦ وابن ماجه وابن جرير ❦ عن علي رضي الله عنه ❦ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ❦ من ترك موضع شعرة من ❦ جسده ❦ في ❦ جنابة لم يغسلها فعل بها كذا وكذا من النار ❦ أي فيها ❦ قال علي فمن ثم ❦ أي من أجل هذا الوعيد الشديد ❦ عادت شعر رأسي وكان ❦ كرم الله وجهه ❦ يحجز ❦ من باب قتل أي يقطع ❦ شعره ❦

بن ماجه والترمذي عن أبي هريرة إن تحت كل شعرة جنابة فاعسلوا شعر واقوا البشرة * وهما عن ابن عمر لا يقرأ الجنب والحائض
بما من القرآن * والنسائي عن عائشة رضي الله عنها وجهوا هذه البيوت عن المسجد فإني لأحل المسجد لحائض ولا جنب * وأبو
ود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه من أتى حائضا في فرجها أو امرأة في دبرها أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله
عليه وسلم *

﴿و﴾ أخرج ابن ماجه والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه إن تحت كل شعرة جنابة ﴿فإن قلت هذا الحديث يقتضي أن
جنابة متعددة مع أنها لا تعدد فالجواب أنه على حذف مضاف والتقدير فإن تحت كل شعرة سبب جنابة أو مسبب جنابة فالذي تحت
شعر سبب في بقاء الجنابة من حيث بقاءها إذا ترك غسل لعة أو أن الجنابة سبب في وجوب غسل ما تحت كل شعرة فوجوب غسله
سبب عن الجنابة وترك غسله سبب في بقاءها ذكره بعضهم عن العلامة الأمير ﴿فاعسلوا الشعر﴾ أي جميع الشعر من لحية ورأس
حاجب وهدب وشارب وعنفقة وإبط وعانة وغير ذلك ﴿واقوا﴾ بهمة قطع مقروحة ﴿البشر وهما﴾ أي وأخرج ابن ماجه
الترمذي وكذا أحمد في مسنده ﴿عن﴾ عبد الله ﴿ابن عمر﴾ رضي الله عنهما ﴿لا يقرأ﴾ بكسر الهمزة هي وبضمها خبر بمعناه
الجنب ولا الحائض شيئا من القرآن ﴿فيحرم عليهما ذلك حيث قصد القرآن ومثلها النفساء﴾.

﴿و﴾ أخرج النسائي عن عائشة رضي الله عنها وجهوا هذه البيوت عن المسجد فإني لأحل المسجد ﴿أي المكث فيه
الحائض ولا جنب﴾ أي ولا نفساء قال المناوي فيحرم عند الأئمة الأربعة وبإباح العبور انتهى وقال العلقمي يحرم على الجنب اللبس في
مسجد ويجوز له العبور من غير لبس سواء كان له حاجة أم لا وحكى ابن المنذر مثل هذا عن ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن
سبيب وابن جبير والحسن البصري وعامر بن دينار ومالك بن انس وحكى عن سفيان الثوري وأبي حنيفة وأصحابه وإسحاق بن
إبراهيم أنه لا يجوز له العبور إلا إذا لم يجد بدا منه فيتوضأ ثم يمر وقال أحمد يحرم المكث وبإباح العبور للحاجة لا لغيرها وقال المعزني وداود
ابن المنذر يجوز للجنب المكث في المسجد مطلقا وحكاها الشيخ أبو حامد عن زيد بن أسلم.

﴿و﴾ أخرج أبو داود والترمذي والنسائي ﴿عن أبي هريرة رضي الله عنه﴾ أن رسول الله ﷺ قال ﴿من أتى حائضا في
رجها أو امرأة في دبرها أو﴾ أي ﴿كاهنا﴾ فضدقه بما يقول قال ابن حجر والكاهن هو الذي يخبر عن بعض المضمرات فيصيب بعضها
بخطيئ أكثرها ويزعم أن الجن تخبره بذلك وفسر بعضهم الكهانة بما يرجع لذلك فقال هي تعاظم الأخبار عن المغيبات في مستقبل
زمان وإدعاء علم الغيب وزعم أن الجن تخبره بذلك ﴿فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم﴾ أي من الكتاب والسنة أي
رتكب ذلك أن استحله أخباره وتصديقه أو أن صدقه في دعواه الإطلاع على الغيب أو المراد كما في النهاية كثران النعمة وقد عده
ملازمة ابن حجر في الزواجر وطء الحائض من الكيلاث وذكر هذا الحديث ثم قال بعده قال الترمذي ضعف محمد يعني البخاري هذا
الحديث من قبل إسناده ورواه النسائي من طرق عن أبي هريرة من قوله.

* تنبيه * ما ذكر من أن ذلك كبيرة بقله في زيادة الروضة عن الحاملي وفي الجمع عن الشافعي ؑ وكذا نقله في شرح المذهب
بن الحاملي أيضا قال شيخ الاسلام الجلال البلقيني والظاهر أن الشيخ محي الدين لم يروه عن غيره فبقوله نقل مستغرب له وقد جاء فيه
قديس وذكر ما مر ثم قال فهذا الحديث لا حجة فيه لضعف إسناده كما قاله البخاري فلا ينبغي أن تثبت الكبيرة بذلك مع احتمال تأويله
أن يكون مستحلا فإنه محرم بالإجماع أي المعلوم من الدين بالضرورة فيكفر مستحله وقال الشيخ صلاح الدين الملا في أن الرطء في الحيض

والشيخان عن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان جنباً فأراد أن يأكل أو يشرب أو يتوضأ وضوءه للصلاة ومسلم عن أبي سعيد الخدري إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ بينهما *

جاء في بعض الأحاديث لمن فاعله ولم أقف إلى الآن على ذلك انتهى لكن جرى جماعة على ما مر من أنه كثيرة لكن النبوي نقله في الروضة والمجموع عن الشافعي رحمهما الله وقد ذكر العلامة ابن حجر أيضاً أن أئبان الكاهن مع التصديق بما يقول من الكبائر وكذا أئبان العراف وأئبان طارق وغير ذلك ثم ساق الأحاديث الواردة في ذلك فقال وأخرج البزار باسناد جيد عن عمران بن حصين رحمهما الله قال قال رسول الله ﷺ ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن له أو سحر أو سحر له ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ورواه الطبراني من حديث ابن عباس دون قوله ومن أتى الخ باسناد حسن والبزار باسناد جيد قوي من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد برىء مما أنزل الله على محمد ﷺ ومن أتاه غير مصدق له لم تقبل له صلاة أربعين ليلة والطبراني من أتى كاهناً فسأله عن شيء حجبت عنه التوبة أربعين ليلة فإن صدقه بما قال فقد كفر والطبراني باسنادين أحدهما ثقات لدينا من تكهن أو استقسم أو رجع من سفر تطير أو مسلم من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً والأربعة والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل الله على محمد ﷺ والبزار وأبو يعلى باسناد جيد موقوف على ابن مسعود قال من أتى عرافاً أو كاهناً أو ساحراً فسأله فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ والطبراني في الكبير بسند رواه ثقات من أتى عرافاً أو ساحراً أو كاهناً يؤمن بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ وأبو داود وابن ماجه من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد وأبو داود والنسائي وابن جبان في صحيحه العيافة والطيرة والطرق من الجبت وهو يكسر الجيم كل ما عبد من دون الله .

* تنبيه * هذه المذكورات هو وإن لم أره كذلك صريح هذه الأحاديث في أكثرها وقياساً في البقية وهو ظاهر لأن الملاحظ في الكل واحد والكاهن تقدم بيانه والعراف بفتح المهملة وتشديد الراء قيل الكاهن ويرده الحديث السابق عرافاً أو كاهناً وقيل الساحر وقال البغوي هو الذي يدعى معرفة الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها كالمنسروق من الذي سرقه ومعرفة مكان الضالة ونحو ذلك ومنهم من يسمى المنجم كاهناً قال أبو داود والطريق أي بفتح فسكون الزجراي زجرا الطير ليسين أو يتشائم بطيرانه فإن طار إلى جهة اليمن يمين أو إلى جهة الشمال تشائم وقال ابن فارس الضرب بالخصى وهو نوع من التكهن والمنهى عنه من علم النجوم هو ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث الآتية في مستقبل الزمان كجنى المطر ووقوع الثلج وهبوب الريح وتغير الأسفار ونحو ذلك يزعمون أنهم يدركون ذلك بسيرا للكواكب لا اقترانها وافتراقها وظهورها في بعض الأزمان وهذا علم استأثر الله به لا يعلمه أحد غيره فمن ادعى عليه بذلك فهو فاسق بل ربما يؤدي به ذلك إلى الكفر أما من يقول إن الاقتران والافتراق الذي هو كذا جعله الله علامة بمقتضى ما اطردت به عادته الإلهية على وقوع كذا وقد يتخلف عنه لاثم عليه بذلك وكذا الأخبار عما يدرك بطريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف بها الزوال ووجه القبلة وكم مضى وكم بقي من الوقت فإنه لاثم فيه بل هو فرض كفاية قال بعضهم والحذور اسناد الآثار إلى الكواكب واعتقاد أنها فاعلة وموجدة والأفلاخ وذو الأصل لا سيما من عنده أدنى سكة من علم العقائد .

وخرج رحمهما الله الشيخان البخاري ومسلم رحمهما الله عن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان جنباً فأراد أن يأكل أو يشرب أو يتوضأ وضوءه للصلاة رحمهما الله أخرجه رحمهما الله مسلم عن أبي سعيد الخدري رحمهما الله إذا أتى رحمهما الله أي جامع رحمهما الله أحدكم أهله رحمهما الله أي زوجته أو أمته رحمهما الله ثم أراد أن يعود رحمهما الله إلى الجماع الثاني رحمهما الله فليتوضأ بينهما رحمهما الله أي بين الجماع الأول والثاني

والبزار عن ابن عباس إن الله ينهاكم عن التعري فاستحبوا من ملائكة الله الذين لا يفارقونكم إلا عند ثلاث حالات الغائط والجنابة والغسل فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستر بثوبه أو بجدمة حائط أو بعبيره * وعبد الرزاق عن ابن جريح قال بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج فإذا هو بأجير له يغتسل عاريا فقال لا أراك تستحي من ربك خذا جارئك لا حاجة لنا بك ﴿وحكى﴾ أبان بن عبد الله البجلي هلك جار لنا فشهدنا غسله وحمله إلى قبره فإذا فيه شبيه بالهرة فزجرناه فلم ينزجر فضرب الحفار جبهته بيده

﴿وخرج﴾ البزار وابن عباس ﴿عنه﴾ أن الله ينهاكم عن التعري ﴿أي﴾ عن العورة ﴿فاستحبوا﴾ من ملائكة الله الذين لا يفارقونكم إلا عند ثلاث حالات ﴿أحدها﴾ عند الغائط و﴿ثانيها﴾ عند الجنابة و﴿ثالثها﴾ عند الغسل فإذا اغتسل أحدكم بالعراء ﴿أي﴾ المكان المتسع الذي لاسترة به ﴿فليستر بثوبه أو بجدمة﴾ بفتح الجيم ﴿حائط﴾ أي قطعة بناء ﴿أو بعبيره﴾ وأخرج أحمد وأصحاب السنن الأربعة والحاكم والبيهقي أحفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك قيل إذا كان القوم بعضهم في بعض قال فإن استطعت أن لا يرينها أحد فلا يرينها قيل فإذا كان أحدنا خاليا قال فإن الله أحق أن يستحيا منه من الناس وأخرج أحمد وأبو داود والنسائي أن الله تعالى حيي ستر يحب الحياء والستر فإذا اغتسل أحدكم فليستر وأخرج الحاكم عن جابر بن صخر رضي الله عنه أنه نهى أن ترى عوارتنا وأخرج الطبراني عن العباس رضي الله عنه نهى أن أمشي عاريا وأخرج الترمذي إياكم والتعري فإن معكم من لا يفارقكم لا عند الغائط وحين يفضي الرجل إلى أهله فاستحبواهم وأكرمواهم وأخرج ابن عباس كره أن الله عز وجل حيي عليهم ستر فإذا اغتسل أحدكم فليستر ولو بجرم حائط وأخرج عبد الرزاق أن الله عز وجل حيي يحب الحياء ستر يحب الستر فإذا اغتسل أحدكم فليؤثر وأخرج الطبراني بإيها الناس أن ربكم حيي كريم فإذا اغتسل أحدكم فليستر وأخرج الديلمي لا تدخلن الماء إلا بمزور فإن للماء عينين ﴿وخرج﴾ عبد الرزاق عن ابن جريح بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج فإذا هو بأجير له يغتسل عاريا فقال لا أراك تستحي من ربك خذا جارئك لا حاجة لنا بك ﴿

* تنبيه * قال العراقي يباح كشف العورة في الخلوة في حالة الاغتسال مع إمكان الستر وبه قال الأئمة الأربعة وجمهور العلماء من السلف والخلف وخالفهم ابن أبي ليلى فذهب إلى المنع منه واحتج بما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال لا تدخلوا الماء إلا بمزور فإن للماء عامرا وهو حديث ضعيف لا يوضح الاحتجاج به وإن صح فهو محمول على الأكمل وذكر ابن بطلال باسناد فيه جهالة أن ابن عباس لم يكن يغتسل في بحر ولا نهر إلا وعليه أزار فإذا سئل عن ذلك قال إن له عامرا قال وروى برد عن مجكول عن غطبة عن النبي ﷺ قال من اغتسل بلبيل في فضاء فليتحاذر على عورته ومن لم يفعل ذلك فاصابه لم فلا يلومن إلا نفسه وفي مراسلات الزهري عن النبي ﷺ قال لا تنبسلوا في الصخر إلا أن تجدوا متواريا فليخط أحدكم كالدائرة ثم يسمي الله ويغسل فيها وفي مصنف ابن أبي شيبة عن أبي موسى الأشعري قال إني لا أغتسل في البيت المظلم فلهي ظهره إذا أخذت ثوبي حياء من ربي وعنه أيضا ما أقمت صلي في غسلي منذ أسلمت .

قال الحافظ ابن رجب ﴿وحكى﴾ الهيثم بن عدي حدثنا أبان بن عبد الله البجلي ﴿بفتح الباء والجيم نسبة إلى بجيله قبيلة من اليمن﴾ هلك أي مات ﴿جار لنا فشهدنا غسله﴾ وكنهه ﴿وحمله إلى قبره فإذا فيه﴾ أي في القبر حيوان ﴿شبيه بالهرة فزجرناه﴾ أي منعناه ﴿فلم ينزجر فضرب الحفار جبهته﴾ أي الشبيه بالهرة ﴿بيده﴾ والتيمم بفتح الباء والزاء وسكون الياء بينهما المدورة الكبيرة تنقلح من الأرض أو حديدة كأنها رأس فأس كما أفاده القاموس

فلم يبرح فتحولوا إلى قبر آخر فلما ألحد فإذا هو فيه فصنعوا به ما صنعوا فلم يلتفت فقال القوم إن هذا الأمر ما رأينا مثله فادفنوا صاحبكم فدفنوه فلما سوى عليه اللبن سمعنا قضضة عظيمة فذهب عمي وغيره إلى امرأته فقالوا ما حال زوجك وحدثوها بما رأوا فقالت كان لا يغتسل من الجنابة ﴿وحكى﴾ الغزالي أنه رأى رجل في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال دعني فإني لم أتمكن من غسل يوم من الجنابة فالبسني الله ثوبا من النار أتقلب فيه

﴿فلم يبرح﴾ أي لم يزل في ذلك القبر ﴿فتحولوا إلى قبر آخر فلما ألحد﴾ بالبناء للمفعول أي حفر ﴿فإذا هو﴾ أي ذلك الهر ﴿فيه﴾ أي في القبر الآخر ﴿فصنعوا به﴾ أي بالهر ﴿ما صنعوا﴾ أولا من الزجر ﴿فلم يلتفت﴾ ولم يذهب فرجعوا إلى قبر ثالث فلما ألحد فإذا ذلك الهر فيه فصنعوا به مثل ما صنعوا فلم يلتفت ﴿فقال القوم﴾ يا هؤلاء ﴿إن هذا الأمر﴾ وهو وجود الهر في هذا المكان ﴿ما رأينا مثله فادفنوا صاحبكم فدفنوه فلما سوى عليه اللبن﴾ بكسر الباء ما يعمل من الطين ويسمي به ﴿سمعنا قضضة عظيمة﴾ أي صوت تفرقا وفي نسخة قعقة عظيمة قال الحريري والقعقة صوت السلاح وصوت الجلد اليابس إذا حرك ﴿فذهب عمي وغيره إلى امرأته﴾ أي الميت ﴿فقالوا﴾ يا هذه ﴿ما حال زوجك وحدثوها بما رأوا﴾ من الهر وما سمعوا بعد الدفن ﴿فقالت كان لا يغتسل من الجنابة﴾ وأخرج ابن أبي الدنيا عن عمرو بن دينار قال كان رجل من أهل المدينة كان له أخت فماتت فجعلها وحملها إلى قبرها فلما دفنت ورجع إلى أهله ذكر أنه نسي كيسا كان معه في القبر فاستعان برجل من أصحابه فأتيا القبر فنبشاه فوجد الكيس فقال للرجل تنح عني حتى أنظر على أي حال أختي فرفع بعض ما على اللحد من اللبن فإذا القبر يشتعل نارا فردوه وسوى القبر ورجع إلى أمه فسألها عن حال أخته فقالت كانت تؤخر الصلاة ولا تصلي فيما أظن بوضوء وتأتي أبواب الجيران إذا ناموا فتلطم أذنها أبوابهم فتخرج خديشهم ﴿وحكى﴾ الإمام العالم الهمام حجة الإسلام أبو حامد ﴿الغزالي﴾ أسكنه الله محبوبه دار السلام ونظمتنا في سلك أحنابه في يوم الجمع والزحام قال ابن أسعد الياقني والغزالي هو الخبر العظيم الذي باهى به سيدنا محمد ﷺ وموسى وعيسى عليهما السلام بقوله ﷺ أني أمنكما خبر هكذا فقالا عليهما السلام لا وذلك الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي روي بذلك بالاسناد المتصل العالي عن الشيخ الكبير العارف بالله أبي الحسن الشاذلي وشهد له أيضا الصديقون بالصدقية العظمى المقام العالي البعيد المرمي وفيه قلت .

أبو حامد غزال غزل مدقق ✽ من العلم لم يغزل كذاك بمغزل

به المصطفى باهي لقيس بن مريم ✽ له قال صدقا خاليا عن تقول

أصبر كهذا في حواريك قال لا ✽ وناهيك في هذا الفخار المؤئل

له في منامي قلت أنت حجة ✽ لاسلامنا لي قال ماشئت بي قل

وذكر الشيخ العارف بالله الخير الشهير البصير أحمد بن أبي الخير الصياد رحمه الله ونفع به العباد كلاما تابعا عنه بالاسناد من جملة أنه رأى في بعض الأيام وهو قاعد أن أبواب السماء مفتحة وإذا بعصبة من الملائكة قد نزلوا إلى الأرض ومعهم خلع خضر وداية من الدواب فوقفوا على رأس قبر من القبور وأخرجوا شخصا من قبره وألبسوه الخلع وأمر كعبه على الداية وصعدوا به إلى السماء ثم لم يزالوا يصعدون به من سماء إلى سماء حتى جاوزوا السموات السبع كلها وخرق بعد ما سبعين حجابا قال فعجبت من ذلك وأردت معرفة ذلك الرأكب فقيل لي هذا الغزالي ولا أعلم لي أن بلغ انتهاء رضي الله عنه وعن علماء المسلمين ﴿أنه﴾ أي الحال والشأن ﴿وروى رجل في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال دعني﴾ أي أترك عن سؤال ﴿فإني لم أتمكن من غسل يوم من الجنابة فالبسني الله ثوبا من النار أتقلب فيه﴾

﴿وحكى﴾ اليافعي أن الشيخ عز الدين بن عبد السلام احتلم في ليلة باردة فأتى إلى الماء وهو جامد فكسره واغتسل وكادت روحه تخرج من شدة البرد ثم احتلم في ليلة ثانيا فأتى إلى الماء واغتسل فغشي عليه فسمع يقال له لا عوضك بها غز الدنيا والآخرة أعزنا الله معه في الدارين .

﴿فصل﴾ موجب الغسل جنابة بخروج منيه أو دخول حشفة وقدرها فرجا

﴿* وحكى *﴾ الإمام أبو محمد عبد الله بن أسعد ﴿اليافعي﴾ اليمنى نزل الحرمين الشريفين تقمده الله برحمته واسكنه فسيح جنه ﴿ان الشيخ﴾ سلطان العلماء ﴿غز الدين﴾ عبد العزيز ﴿بن عبد السلام﴾ السلمي الدمشقي تفقه على الفخر بن عساكر وبرع في فنون العلم كان مجبولا على ترك التكلف طلبا في الدين له مكاشفات وكرامات وترجمته طويلة ومناقبه جزيلة توفي سنة ست وستين رحمه الله رحمة واسعة ﴿احتلم﴾ أى رأى في منامه خروج المنى ﴿في ليلة باردة فأتى إلى الماء وهو جامد فكسره﴾ أى ماء الجامد ﴿واغتسل وكادت﴾ أى قاربت ﴿روحهم تخرج من شدة البرد ثم احتلم في ليلة ثانيا فأتى إلى الماء واغتسل فغشي عليه فسمع﴾ ابن عبد السلام قولا ﴿يقال له لا عوضك بها﴾ أى بهذه الفعلة ﴿غز الدنيا والآخرة﴾ وهذا منه يدل على قوته في الدين والا فالعدول إلى التيمم جائز اذ ذاك كما قاله بعضهم ﴿أعزنا الله﴾ جملة دعائية ﴿معه﴾ أى مع العزيز بن عبد السلام ﴿في الدارين﴾ أى في الدنيا والآخرة .

﴿فصل﴾ في السبب الذي يوجب الغسل والكلام أولا في موجباته وشروطه وفروضه وسننه ومكروهاته وقد بدأ منها بالاول فقال ﴿موجب الغسل﴾ بكسر الجيم أى سببه وأما الموجب فبفتحها فهو المسبب الذي هو الغسل خمسة احدها ﴿جنابة﴾ بالاجماع لقوله تعالى وإن كنتم جنبا فاطهروا وهى لغة البعد وشرعا أمر معنوى يقوم بالبدن يمنع صحة الصلاة حيث لا مخرج ولا يحصل ﴿بخروج منيه﴾ أولا أى بروز منى نفسه وانفضاله إلى ظاهر الحشفة وظاهر فرج البكر إلى محل الاستنجاء فى فرج الثيب وهو ما يظهر عند جلوسها على قدميها سواء كان خروجه من طريقه المعتاد ولو لم يستحكم بان خرج لعله أو من غير طريقه المعتاد كأن خرج من صلب الرجل وترائب المرأة بشرط ان يكون مستحكما أى لالعله اذ كان المعتاد انسدادا عارضا فان كان أصليا فلا يشترط فيه ذلك وخرج بمنى غيره كان رطت المرأة فى دبرها فاغتسلت ثم خرج منها منى الرجل فلا يجب عليها إعادة الغسل أو وطئت فى قبلها ولم يكن لها شهوة كصغيرة أو كان لها شهوة ولم تقضها ككائمة فكذلك لا إعادة عليها وقولى أولا خرج به ما لو استدخله بعد خروجه ثم خرج ثانيا فلا يغسل كذا صرح به بعض المحققين ﴿أو﴾ ب ﴿دخول حشفة﴾ وهى كما فى الصحاح والقاموس ما فوق الختان فلا تحصل ببعضها ولو مع أكثر الذكر بأن شق وأدخل أحد شقيه كما هو صريح كلامهم والاصل فى ذلك قوله ﷺ إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل والمراد بالاتقاء المحاذاة لأن ختان المرأة فرق مدخل الذكر وإنما يتحاذيان بتغيب الحشفة ﴿أو قدرها﴾ من مقطعا وإن جاوز حد الاعتدال فلا يعتبر قدر حشفة معتدل ولا ادخال قدرها مع وجودها فيمليظها كما لو شئ ذكره وأدخل قدرها منه خلافا لبعض المتأخرين ولا ادخال دونها وإن لم يبق من الذكر غيره ﴿فرجا﴾ قبل أو دبرا ولو من ميب أو بهيمة كسكنة وغير ميمز وإن لم يشه ولا حصل انزال ولا قصد ولا انتشار ولا اختيار أو مجايل غليظ ولو كانت الحشفة أو قدرها من مبان واعتبار يوكل إلى نظر الفقيه والأوجه انه يرى اعتبار ذلك كما قالوا فيمن لا مرفق له ولا كعب يقدر بقدره ولا يعاد غسل الميت اذا ألح فيه أو استرج ذكره لسقوط تكليفه كالبهيمة وإنما وجب غسله بالموت تنظيها وأكراما له ولا يجب بوطء الميت حد ولا مهر كما لا يجب بقطع يدها دية نعم تفسد به العبادات وتجب به الكفارة فى الصوم والحج وكما يناط الغسل بالحشفة يحصل بها التخليل ويجب الحد بآيلاجها على ما يأتى فى محله وتحرم به الزبية ويلزم المهر والعدة وغير ذلك من بقية الأحكام

وحيض ونفاس ونحو ولادة وموت ﴿وشروطه﴾ ماء مطلق

ويستثنى الخنثى فلا غسل بإيلاج خشقته ولا بإيلاج في قبله ولا على المولج فيه فيما إذا اجتمعا ولو خلق له ذكران يبول بهما فأولج أحدهما وجب الغسل ولو كان يبول بأحدهما وجب الغسل بإيلاجه دون الآخر إن لم يسامت العامل ولو أولج خنثى في دبر رجل تخيرا بين الوضوء والغسل.

﴿ثانيها﴾ حيض لقوله تعالى فاعزّلوا النساء في الحيض أي الحيض والخبر البخاري أنه ﷺ قال لفاطمة بنت أبي جishi إذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة وإذا أدبرت فاغسلي وصلي وهو دم يخرج من أقصى رحم المرأة في وقت مخصوص هذا معناه شرعا وأما لغة فهو السيلان يقال حاض الوادي إذا سالت وأقل سنه تسع سنين قمرية وأقله يوم وليلة وأكثره خمسة عشر يوما كأقل طهر بين الحيضتين.

﴿ثالثها﴾ نفاس لأنه دم حيض يجمع ويعبر مع خروج كل منهما وانقطاعه القيام إلى الصلاة أو نحوها كما في الرافعي والتحقيق وإن صح في المجموع أن موجب الانقطاع فقط قاله الخطيب والحق أن القيام للصلاة شرط لفورية الغسل للأصل وجوبه قال ابن العماد ويجب على الزاني الغسل من الجنابة فوراً وفيه نظر وإن وافقه عليه الزركشي لانقضاء المعصية بالفراغ من الزنا وأنه يفرق بينه وبين من عصى بالنجاسة لبقاء العصيان بها ما بقيت فوجبت إزالتها كذا ذكره الشوبري وأقله لحظة وغالبه أربعون يوماً وأكثره ستون يوماً.

﴿رابعها﴾ نحو ولادة من القاء العلقه والمضغة لكن لا بد في العلقه أن يخبر القوا بل بأنها أصل آدمي ويكفي واحدة منهن خلافاً لما قاله بعضهم ولو ألفت بعض الولد وجب عليها الوضوء دون الغسل وكذا لو خرج بعضه ثم رجع فيجب الوضوء دون الغسل ولو خرج الولد مقطوعاً في دفعات وكانت توضع في كل مرة وتصلي ثم تم خروجه وجب الغسل ولا تنقض الصلوات السابقة لأنها وقعت قبل وجوب الغسل بتمام خروج الولد ولو ولدت من غير الطريق المعتاد فالذي يظهر وجوب الغسل أخذاً بما يحجثه الرملي فيما لو قال إن ولدت فأنب طالق فولدت من غير طريقه المعتاد وقال بعضهم قد يتجه عدم الوجوب لأن علته أن الولد منى منعقد ولا عبرة بخروجه من غير طريقه المعتاد مع افتتاح الأصلي ورد بأن الولادة نفسها موجبة للغسل فهي غير خروج المنى ويتعلق بالعلقه أحكام ثلاثة وجوب الغسل وإفطار الصائمة وتسنية الخارج عقبها بقباضها ومزجها بالمضغة على العلقه بأنها تنقض بها العدة ويحصل بها الاستبراء وأمية الولد وإذا ولدت الصائمة ولذا جافا فإنها تفطر على المعتد والحق أن العلقه والمضغة من نحو الولادة لا منها لأن الولادة إنما تطلق حقيقة على التام.

﴿خامسها﴾ موت لمسلم غير شهيد والموت عدم الحياة ويعبر عنه بمفارقة الروح الجسد وقيل عدم الحياة عما من شأنه الحياة وفي تفسير ابن عادل عن ابن الخطيب الحق أنه وجودي ويوافقه ما نقله الصفوي عن صاحب الودان عدمية الموت كانت منسوبة إلى القدريّة انتهى هذا وفي حواشي السيوطي أن طائفة من أهل الحديث ذهبوا إلى أن الموت جسم والاحاديث والآثار مصرحة بذلك قال والتحقيق أنه هذا الجسم الذي على صورة كبش كما أن الحياة جسم على صورة فرس لا يمر بشيء إلا حي وأما المعنى القائم بالبدن عند مفارقة الروح فإنما هو أثره فاما أن يكون تسميته بالموت من باب الجواز لا الحقيقة أو باب المشترك وحينئذ فالامر في النزاع قريب انتهى ورده ابن حجر في عامة فتاويه فقال وانفقوا على أنه ليس بجوهر ولا جسم وحديث يؤتى بالموت في صورة كبش إلى آخره من باب التمثيل انتهى ثم صحح كونه أمراً وجودياً قاله الشبرا ملسي.

﴿وشروطه﴾ أي الغسل أربعة أجدها ﴿ماء مطلق﴾ وهو ما يقع عليه اسم الماء بلا قيد وإن رشح من بحار الماء الظهور المغلي واستهلك فيه الخليط أو قيد بموافقة الواقع كماء البحر بخلاف ما يذكر الأقيداً بإضافة كماء ورد أو بصفة كماء دافق أو بلام العهد كالماء

وعدم حائل ولا مغير للماء على العضو كوسخ تحت ظفر وكزعفران وصندل وسدر وجري الماء عليه ﴿وفروضة﴾ نية أداء فرض الغسل أو رفع نحو جنبابة وتعميم ظهر البدن حتى ما تحت القلفة من الألف بالماء ﴿فرع﴾ لا يجب يقن عموم الماء بل يكفي فيه كالوضوء غلبة الظن بالعموم ﴿وسننه﴾ تسمية وإزالة قدر ثم وضوء

في قوله نعم إذا رأت الماء ﴿و﴾ ثانياً ﴿عدم حائل﴾ بين الماء والمغسل ككورة وشمع ودهن جامد وعين حبر وحناء بخلاف دهن جاراي مانع وإن لم يثبت الماء عليه وأثر حبر وحناء ﴿و﴾ ثالثاً أن لا يكون ﴿مغير للماء على العضو﴾ تغيراً ضاراً ومثل المصنف للحائل بقوله ﴿كوسخ تحت ظفر﴾ من أظفار اليدين أو الرجلين ﴿و﴾ مثل المغير بقوله ﴿كزعفران وصندل﴾ وهو شجر معروف ﴿وسدر﴾ رابعاً ﴿جري الماء عليه﴾ أي على العضو فلا يكفي أن يمسه الماء بلا جريان لانه لا يسمى غسلاً.

﴿وفروضة﴾ أي الغسل ولو مستنونا شيئاً أحدهما ﴿نية أداء فرض الغسل﴾ أو أداء الغسل أو فرض الغسل أو الغسل المفروض أو الواجب أو الطهارة للصلاة أو الغسل لها فيما يظهر لا الغسل فقط لانه قد يكون عادة وقد يكون عبادة وبه فرق الوضوء أو رفع الحدث أو الحدث الأكبر أو عن جميع البدن تعرضه للمقصود فيما سنوي رفع الحدث ولا استلزام رفع المطلق رفع المقيد فيهما إذ رفع الماهية يستلزم رفع كل من أجزائها فلا يقال الحدث حيث أطلق منصرف للأصغر غالباً ﴿أو﴾ نية ﴿رفع نحو جنبابة﴾ من الحيض للحائض أي رفع حكمه وهو المنع من نحو الصلاة ويجب أن تكون النية مقرونة بأول المغسول من البدن ولو من أسفله فلزوني بعد غسل جزء وجب إعادة غسله ولو نوى رفع جنبابة وغسل بعض البدن ثم نام فاستيقظ وأراد غسل الباقي لم يحتج إلى إعادة الباقي لعدم اشتراط الموالاة فيه بل هي سنة فقط كما صرح به في المتهاج في باب التيمم ﴿و﴾ ثانياً ﴿تعميم ظاهر البدن﴾ حتى الأظفار وما تحتها والشعر ظاهراً وباطناً وإن كثف وما ظهر من نحو منبت شعرة زالت قبل غسلها وما يظهر من ضمناخي الأذنين ومن فرج المرأة عند قعودها لقضاء الحاجة ﴿حتى ما تحت القلفة من الألف﴾ فيجب غسل باطنها لأنها مستحقة الإزالة قال البغوي ومن باطن جدري اتضح ويكون التعميم بالماء ﴿و﴾.

* فائدة * لو اتخذ له أئمة أو أنفا من ذهب أو فضة وجب عليه غسله من حدث أصغر أو أكبر ومن نجاسة غير معفو عنها لانه وجب عليه غسل ما ظهر من الأصبع والأنف بالقطع وقد تذر للذر فصارت الأئمة والأنف كالأضليلين ﴿فرع﴾ لا يجب يقن عموم الماء على البشرة والشعر ﴿بل يكفي فيه﴾ أي في الغسل ﴿كالوضوء﴾ كما أنه يكفي في الوضوء ﴿غلبة الظن بالعموم﴾ أي بعموم الماء على ما ذكر ولما تكلم المصنف على الفرائض شرع يتكلم على السنن فقال.

﴿وسننه﴾ أي الغسل ﴿تسمية﴾ مقرونة بالنية أي القلبية والا فيتذر أن يجمع بين التسمية والنية اللفظية معاً وقد تقدم في الوضوء بيان أكملها وهو بسم الله الرحمن الرحيم وأقلها جسم الله وقيل تكروه التسمية لأنها قرآن قال ابن قاسم نقل عن الجوهرى ويسن له كما قاله المدابغى الذكر بعدها وما نقله من الكراهة ضعيف وما ذكره من التعليل بقوله لأنها قرآن فيه شيء إذا كان مقتضى التعليل الحرمة فانهم ﴿وإزالة قدر﴾ بالمنعجة طاهراً كان كالملى أو نجساً كودي استظها را وإن قلنا يكفي لهما غسلة واحدة وقيدها في المجموع في باب نية الوضوء بالنجاسة الحكيمة وأطلق في مواضع أخرى وهو أوجه فتكفي الغسلة لهما إذا زال النجس به وإن كان عينياً فبعد إزالة القذر سن مضمضة واستنشاق وهما سنتان مستقلتان غير المشتمل عليهما الوضوء ﴿ثم وضوء﴾ كالملا للإتباع زواه الشيخان فهو أفضل من تأخير قدميه عن الغسل وفي قول يؤخر غسل قدميه لما روى البخارى عن ميمونة في صفة غسل النبي ﷺ بوضوء وضوء للصلاة غير

وتخليل وتعهد غصون وموق ولحاظ وذلك وتيامن وتوجه للقبلة وترك استعانة في صب والشهادتان بعده وتثليث وولاء ﴿ومكروهاته﴾
إسراف في الماء وترك وضوء ومضمضة واستنشاق .

غسل قدميه قال في المجموع نقلا عن الأصحاب وسواء أقدم الوضوء كله أم بعضه أم آخره أم فعله في أثناء الغسل فهو محصل للسنة لكن
الأفضل تقديمه ثم إن تجردت جنباته عن الحدث كان احتلم وهو جالس متكئ نوى سنة الغسل والانوى رفع الحدث الأصغر وظاهر
كلامهم أنه لا فرق في ذلك بين أن يقدم الغسل على الوضوء أو يؤخره عنه ولو ترك الوضوء أو المضمضة أو الاستنشاق كره له ويستحب له
أن يتدارك ذلك ولو توضأ قبل غسله ثم أحدث قبل أن يغتسل لم يحتاج لتحصيل سنة الوضوء إلى إعادته بخلاف من غسل يديه في الوضوء
ثم أحدث قبل المضمضة مثلاً فإنه يحتاج في تحصيل السنة إلى إعادة غسلها بعد نية الوضوء لأن تلك النية بطلت بالحدث ﴿وتخليل﴾
لأصول الشعر من الرأس واللحية وغيرهما ثلاثاً بيده المبلولة بأن يدخل أصابعه البشر في الماء ثم في الشعر ليشرب بها أصوله ففي التحفة
ويسن تخليل سائر شعوره قال والحرم كغيره لكن يتحرى الرفق خشية الإتيات ﴿وتعهد غصون﴾ أي مكاسر جلد ومعاطف كان يأخذ
الماء بكفه فيجعله على المواضع التي فيها انعطاف والتواء كالأذنين وطبقات البطن وداخل السرة وإنما سن تعهد ما ذكر لأنه أقرب إلى الثقة
بوصول الماء وأبعد عن الإسراف فيه ويتأكد في الأذن فيأخذ كفاً من ماء ويضع الأذن عليه برفق ليصل الماء إلى معاطفه وزواياه ﴿و﴾
تعهد ﴿موق﴾ وهو طرف العين الذي يلي الأنف ﴿و﴾ تعهد ﴿لحاظ﴾ بفتح اللام وهو الطرف الآخر الذي يلي الصدغ وسنية ما ذكر إن
لم يكن بهما رمص والاوجب كما في الوضوء .

﴿و﴾ من السنن ﴿ذلك﴾ لبدنه خروجاً من خلاف من أوجبه وهو الإمام مالك القائل بوجوب إمرار اليد على البدن في غسل
الجنبات وقال الأئمة الثلاثة أن ذلك مستحب ووجه الأول المبالغة في إنعاش البدن من الضعف الحاصل له من سريان لذة خروج المنى
والجماع ووجه الثاني الإكفاء بمرور الماء على سطح البدن فإنه يحیی بالطبع كل ما مر عليه من البدن قاله الشعراي وإنما لم يجب عندنا لأن
الآية والأحاديث ليس فيها تعرض لوجوبه ﴿و﴾ منها ﴿تيامن﴾ أي تقديم الأيمن على الأيسر فيبدأ أولاً بالجهة اليمنى من جسده ظهراً
وبطناً فيفيض الماء عليها من قدام ثم من خلف ثم يغتسل الجهة اليسرى كذلك وهذا في غسل الحى وأما في غسل الميت فيغسل شقه
الأيمن من قدام ثم الأيسر كذلك ثم يحرفه ويغسل شقه الأيمن من خلف ثم الأيسر كذلك لأنه أسهل على الميت والغسل ﴿و﴾
منها ﴿توجه﴾ أي استقبال ﴿القبلة﴾ لأنها أشرف الجهات ﴿و﴾ منها ﴿ترك﴾ تكلم بلا حاجة وتشيف بلا عذر أما بها فلا يسن تركه
لذلك كما مرفى الوضوء وترك ﴿استعانة في صب﴾ للماء عليه لأنها ترفه لا يلبق بالمعبد فهي خلاف الأولى كما مرفى الوضوء ﴿و﴾
منها ﴿الشهادتان﴾ المتقدمتان في الوضوء وهما أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله مع ما ذكر
معهما هناك وهو أن يزيد اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين سبحانه اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك
وأتوب إليك وأن يصلى ويسلم على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد وإن يقرأ أنا أنزلناه وأن يقول ذلك كله ثلاثاً مستقبلاً للقبلة رافعاً يديه
وبصره إلى السماء ولو أعمى ﴿بعده﴾ أي بعد الغسل ﴿و﴾ منها ﴿تثليث﴾ لغسل جميع البدن والدلك والتسمية والذكر عقبه فيغسل
رأسه أولاً ثلاثاً ثم شقه الأيمن ثلاثاً من قدام ومن خلف ثم الأيسر كذلك ويدلك ثلاثاً ويخلل ثلاثاً ﴿و﴾ منها ﴿ولاء﴾ قال في التحفة
بتفصيله السابق انتهى وهو أن الموالاة سنة في حق السليم وواجبة في غيره ولما تكلم على سنن الغسل شرع يتكلم على مكروهاته فقال
﴿ومكروهاته﴾ أي الغسل ﴿إسراف﴾ أي مجاوزة الحد ﴿ففي﴾ استعمال ﴿الماء﴾ وترك وضوء ﴿ترك﴾ مضمضة واستنشاق .

* خاتمة * قال الرملي وغيره لا يستحب تجديد الغسل لعدم وروده مع ما فيه من الحرج بخلاف الوضوء فيسن تجديده اذا صلى
 في الاولى صلاة تامة ولو تحية مسجد وركعة واحدة اذا اقتصر عليها لاسجدة تلاوة او شكر لعدم كونهما صلاة ولا طوافا وان كان ملحقا
 بالصلاة ولو جدد قبل ان يصلّي به كره تنزيها لا تحريما ويسن ان لا يتقص ماء الوضوء فيمن اعتدل جسده عن مد تقريبا وهو رطل وثلاث
 بعداوي وماء الغسل عن صاع تقريبا وهو اربعة امداد لأنه ﷺ كان يوضئه المد وينسله الصاع اما من لم يعتدل جسده فيعتبر بالنسبة الى
 جسده ﷺ زيادة ونقصا كما قاله ابن عبد السلام ولاحد لماء الغسل والوضوء فلو نقص عن ذلك مع الاسباع كفى فقد نقل عن امامنا ﷺ
 انه قال قد يرفق الفقيه بالقليل فيكفيه ويحرق الآخر بالكثير فلا يكتفي ويستحب الاقتصاد على المد والصاع لأن الرفق محبوب قال
 الغزالي في الاحياء لا ينبغي ان يخلق او يقلم او يستحد او يخرج دما او بين من نفسه جزأ وهو جنب اذا سائر أجزائه يرد اليه في الآخرة
 فيعود جنبا ويقال ان كل شجرة تطالب بجنابها ومن اغتسل الجنابة وجمعة بينهما حصلا كما لو نوى الفرض وتحية المسجد أو لأحدهما
 حصل فقط عملا بما نواه وإنما لم يندرج النفل في الفرض لأنه مقصود فأشبهه سنة الظهر مع فرضه وفارق بما لو نوى بصلاته الفرض دون
 التحية حيث تحصل وإن لم ينوها بأن القصد ثم إشغال البقعة بصلاة وقد حصل وليس القصد هنا النظافة بدليل أنه يسم عند عجزه عن
 الماء فلو نوى غسل الجنابة ونفى غسل الجمعة وقتلنا بمحصولهما بنية أحدهما ففيه احتمالا أن أظهرهما عند الإمام عدم الحصول نعم لو
 ظلمت منه أغسال مستحبة كعند وكسوف واستسقاء وجمعة ونوى أحدها حصل الجميع لساواتها لجنوبه وقياسا على ما لو اجتمع عليه
 أسباب أغسال واجبة ونوى أحدها لأن مبنى الطهارات على التداخل.

باب فضل الصلاة المكتوبة

﴿قال﴾ الله تعالى : إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا أي مفروضا موقوتا أي مقدرا وقتها فلا تؤخر عنه وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله أي الصلوات الخمس ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﴿وأخرج﴾ الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما افترض الله على أمي الصلوات الخمس وأول ما يرفع من أعمالهم الصلوات الخمس وأول ما يسألون من أعمالهم الصلوات الخمس فمن كان ضيع شيئا منها يقول الله تبارك وتعالى انظروا هل تجدون لعبدي نافلة من صلاة يمتون بها ما نقص من الفريضة وانظروا في صيام عبدي شهر رمضان فإن كان ضيع شيئا منه فانظروا هل تجدون لعبدي نافلة من صدقة يمتون بها ما نقص من الزكاة فيؤخذ ذلك على فرائض الله وذلك برحمة الله وعده

باب فضل صلاة المكتوبة

أي المفروضة التي هي الصلوات الخمس وهي أحد أركان الإسلام وفرضها أفضل الفرائض وتفضلها أفضل النوافل ولا يغذر أحد في تركها ما دام عاقلا وقدمها على ما بعدها لأنها أفضل العبادات البدنية وبعد ما الصوم ثم الحج ثم الزكاة هذا عند تساوي الزمان المصروف في العبادة والأكيف يفضل ركعتان صوم يوم وفرضت الصلاة بمكة ليلة الأسراء قبل الهجرة بسنة في السماء بخلاف سائر الشرائع ففرضت في الأرض .

اعلم أن الصلاة فريضة ثابتة بالكتاب والسنة أم الكتاب فانه ﴿قال الله تعالى﴾ أقيموا الصلاة وقال أيضا وقوموا لله قانتين وقال أيضا حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقال أيضا فسبحنا الله حين تمسون وحين تصبحون الآية وقال أيضا ﴿ان الصلاة كانت﴾ أي صارت ﴿على المؤمنين كتابا موقوتا﴾ والكتاب هنا بمعنى المكتوب ﴿موقوتا أي مقدرا وقتها فلا تؤخر عنه﴾ على أي حال كان من خوف أو أمن وقيل معناه فرضا واجبا مقدرا في الحضر أربع ركعات وفي السفر ركعتين ﴿وقال تعالى﴾ أيضا ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم﴾ أي لا تشغلكم ﴿أموالكم﴾ هو التصرف فيها والسعي في تدبير أمرها بالنماء وطلب النجاج ﴿ولا أولادكم﴾ وسروركم بهم وشغقتكم عليهم والقيام بمؤنهم ﴿عن ذكر الله﴾ قال الخازن ﴿أي﴾ عن ﴿الصلوات الخمس﴾ وزاد غيره أو عن القرآن وسائر العبادات المذكورة للمعبود ﴿ومن يفعل ذلك﴾ أي ومن شغله ماله وولده عن ذكر الله ﴿فأولئك هم الخاسرون﴾ أي في تجارتهم حيث ائروا الفاني على الباقي .

﴿و﴾ أما سنة فقد ﴿أخرج الحاكم﴾ في كتاب الكنى والالقب ﴿عن ابن عمر رضي الله عنهما قال﴾ رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما افترض الله على أمي الصلوات الخمس ﴿فرضت أولا اهتماما بشأنها﴾ وأول ما يرفع من أعمالهم الصلوات الخمس ﴿قال المناوي﴾ يموت المصلين واتفاق خلفهم على تركها انتهى ويحتمل أن يكون المراد أول ما يرفع إلى الله تعالى من ثواب أعمالهم ثواب الصلوات فلا تعارض بينه وبين حديث أول ما يرفع من الناس الأمانة وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة ﴿وأول ما يسألون من أعمالهم﴾ يوم القيامة ﴿الصلوات الخمس﴾ فمن كان ضيع شيئا منها يقول الله تعالى وتبارك ﴿للا تتركه﴾ انظروا هل تجدون لعبدي نافلة من صلاة يمتون ﴿بضم فكسر﴾ بها ما نقص من الفريضة وانظروا في صيام عبدي شهر رمضان فإن كان ضيع شيئا منه فانظروا هل تجدون لعبدي نافلة من صيام يمتون بها ما نقص من الصيام وانظروا في زكاة عبدي فإن كان ضيع شيئا منها فانظروا هل تجدون لعبدي نافلة من صدقة يمتون بها ما نقص من الزكاة فيؤخذ ذلك على ﴿فرائض الله﴾ فعلى بمعنى عن ﴿وذلك برحمة الله وعده﴾ قال العلامة الحفني حاصله

فإن وجد فضلا وضع في ميزانه وقيل له أدخل الجنة مسرورا وإن لم يوجد له شيء من ذلك أمرت به الزبانية تأخذه بيده ورجليه ثم يقذف به في النار * ومسلم عن جابر مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار عذب على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فما يبقى ذلك من الدنس * أحمد عن أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج زمن الشتاء والورق يتهافت فأخذ

إن من ضيع فرضا من صلاة أو غيرها بأن تركه بالمرء أو ترك شرطه أو ركنه أو ترك الإخلاص فيه بأن صاحبه نحو رياء جبر الله تعالى ذلك بالنفل الذي من جنسه بأن يجعل شيئا من النوافل على قدر ما أراد تعالى مكان الفرض الذي تركه أو ترك نحو شرطه أو يجعل ذلك النفل جابرا للرياء الذي صاحب الفرض فلا يؤخذ بذلك فإنه تعالى إذا كان يعفو عن العبد بدون جابر فبالأولى مع الجابر من النوافل ﴿فإن وجد﴾ أي ذلك العبد ﴿فضلا﴾ قال المناوي أي زيادة بعد تكميل الفرض ﴿وضع في ميزانه﴾ فرجح ﴿وقيل له﴾ من قبل الله على لسان بعض الملائكة ﴿أدخل الجنة مسرورا وإن لم يوجد له شيء من ذلك﴾ أي من الفرائض والنوافل التي يكمل بها ﴿أمرت﴾ بالبناء المفعول ﴿به الزبانية﴾ أي أمرهم الله بالقائه في النار ﴿تأخذه بيده﴾ وفي رواية بيديه ﴿ورجله﴾ والأخذ بتلك الهيئة اهانة له ﴿ثم يقذف به في النار﴾ وهذا الحديث حسن لغيره كما قاله العزيزي وفي الشرح الترمذي هذا الذي ورد من أكمال ما يتقص العبد من الفريضة بما له من الطوع يحتمل أن يراد به ما انتقصه من السنن والهيئات المشروعة المرغب فيها من الخشوع والأذكار والأدعية وأنه يحصل له ثواب ذلك في الفريضة وإن لم يفعله في الفريضة وإنما فعله في الطوع ويحتمل أن يراد به ما ترك من الفرائض رأسا فلم يصله فيعوضه الله من الطوع وأنه تعالى يقبل من التطوعات الصحيحة عوضا عن الصلوات المفروضات والله سبحانه وتعالى أن يفعل ما يشاء فله الفضل والمنزل له أن يسامحه وإن لم يصل شيئا لأفرضا ولا نفلا قال القاضي أبو بكر بن العربي والأظهر عندي أنه يكمل له ما نقص من فرض الصلاة وأعدادها بفضل الطوع لقوله في الحديث الآخر ثم الزكاة كذلك وسائر الأعمال وليس في الزكاة إلا فرض أو نفل فلما يكمل فرض الزكاة بتفاتها كذلك الصلاة وفصل الله أوسع وكرمه أعم وأتم قاله العزيزي .

﴿و﴾ أخرج ﴿مسلم﴾ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال لو أن نهرًا بين ياب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا لا يبقى من درنه شيء قال فذاك مثل الصلوات الخمس يحو الله بهن الخطايا ﴿وأخرج مسلم﴾ أيضا ﴿عن جابر﴾ بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ ﴿مثل الصلوات الخمس﴾ المكوبة ﴿كمثل نهر﴾ بفتح الحاء وسكونها ﴿جار عذب﴾ أي طيب لأموحة فيه ﴿على باب أحدكم﴾ إشارة إلى شهودته وقرب تناوله ﴿يغتسل فيه كل يوم خمس مرات﴾ استهامية في محل نصب لقوله ﴿يبقى﴾ بضم أوله وكسر ثالثة وقدم عليه لأن الاستفهام له الصدر ﴿ذلك من الدنس﴾ بالتحريك الونسخ قال في النهاية الدنس الونسخ وقد دنس الثوب اتسخ وأخرجه أبو يعلى عن انس والطبراني عن أبي امامة وعند الراهمري من حديث أبي هريرة مثل الصلوات الخمس مثل رجل على باب نهر جار غمر يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فما ذا يبقى من درنه قال المناوي في شرح الجامع وفائدة التمثيل التأكيد وجعل المعقول كالحسوس حيث شبه المذنب المحافظ على الخمس بحال يغتسل في نهر كل يوم خمسا بجامع أن كلا منهما تزيل الاقدار وخص النهر بالتمثيل المناسبة لتمكين حق الصلاة ووجوبها لأن التهرلنة ما أخذ لجزء محامكا وفيه فضل الصلاة لأول وقتها لأن الاغتسال في أول اليوم اقوى والبلغ في النظافة ذكره الزبيدي وظاهر الحديث كما في العزيزي أنه شبه الصلاة بالنهر فالصلاة تزيل الذنوب وهي غير محسوسة والنهر تزيل الونسخ وهو محسوس .

﴿و﴾ أخرج ﴿أحمد عن أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج زمن الشتاء والورق يتهافت﴾ أي يتساقط ﴿فأخذ﴾

بغصنين من شجرة قال فجعل ذلك يهافت قال: فقال يا أبا ذر فقلت ليلى يا رسول الله فقال إن العبد المسلم ليصلي الصلاة يريد بها وجه الله فهافت عنه ذنوبه كما تهافت هذا الورق عن هذه الشجرة * والطبراني والبيهقي عن ابن عمر أن العبد إذا قام يصلي أتى ذنوبه كلها فوضعت على رأسه وعاتيقه فكلما ركع أو سجد تساقطت عنه ذنوبه * ومسلم عن عثمان رضي الله عنه ما من امرئ مسلم يحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت له كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يأت كبيرة وذلك الدهر كله * والبيهقي عن أنس ما من حافظ يرفعان إلى الله تعالى بصلاة رجل مع صلاة إلا قال الله تعالى أشهد كما أني قد غفرت لعبدي ما بينهما وفي كتاب الزواجر لشيخنا خاتمة المحققين أحمد بن حجر الهيتمي رضي الله عنه قال بعضهم ورد في حديث من حافظ على الصلاة أكرمه الله بخمس خصال يرفع عنه ضيق العيش وعذاب القبر ويعطيه الله كتابه يمينه ويمر على الصراط كالبرق ويدخل الجنة بغير حساب ومن تهاون عن الصلاة

عليه الصلاة والسلام ﴿بغصنين من شجرة قال﴾ أبو ذر ﴿جعل ذلك﴾ أي الورق ﴿تتهافت قال﴾ أبو ذر ﴿فقال﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿يا أبا ذر فقلت ليلى يا رسول الله قال﴾ إن العبد المسلم ليصلي الصلاة يريد بها وجه الله ﴿أي ذاته﴾ فتهافت عنه ذنوبه كما تهافت هذا الورق عن هذه الشجرة و﴿أخرج﴾ الطبراني والبيهقي عن ابن عمر ﴿بن الخطاب﴾ أن العبد إذا قام يصلي أتى ﴿بالبناء للمفعول﴾ بذنوبه كلها فوضعت على رأسه وعاتيقه فكلما ركع أو سجد تساقطت عنه ذنوبه و﴿أخرج﴾ مسلم عن عثمان رضي الله عنه ﴿بن عفان﴾ ما من امرئ مسلم يحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوؤها وخشوعها وركوعها ﴿وجميع أركانها وشروطها﴾ إلا كانت له كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يأت كبيرة ﴿قال النووي﴾ معناه أن الذنوب كلها تغفر إلا الكبائر وليس المراد أن الذنوب تغفر ما لم تكن كبيرة فإن كانت فلا تغفر شيئا من الصفات ﴿وذلك الدهر كله﴾ قال المناوي في شرح الكبير الصفات بالفرائض

* فائدة * قال العلقمي قال شيخنا قال النووي قد يقال إذا كفر الوضوء الذنوب فماذا تكفر الصلاة والجماعات ورمضان أي صومه وضوم عرفة وعاشراء وموافقة تأمين الملائكة فقد ورد في كل أنه يكفر والجواب ما أجاب به العلماء أن كل واحد من المذكورات صالح للتكفير فإن وجد ما ينكفروه من الصفات ككفره وإن لم يصادف صغيرة ولا كبيرة كتبت به حسنات ورفعت به درجات وإن صادف كبيرة أو كبائر ولم يصادف صغيرة رجونا أن يخفف من الكبائر .

﴿و﴾ أخرج ﴿البيهقي عن أنس﴾ بن مالك ﴿ما من حافظ يرفعان إلى الله تعالى بصلاة رجل﴾ قال المناوي الباء زائدة ﴿مع صلاة﴾ إلا قال الله تعالى أشهد كما أني قد غفرت لعبدي ما بينهما ﴿أي متى رفع الحافظان صلاتي فرض لعبد كالصبح والعشاء أو الظهر والعصر الا غفر الله تعالى له ما بينهما من الصفات وإنما قيدنا بصلاة الفرض لأن الصلاة إذا اطلعت انصرفت للكاملة قاله العلامة الحنفى .

﴿وفي كتاب الزواجر﴾ عن إقتراف الكبائر ﴿لشيخنا﴾ العلامة والبحر الفهامة خاتمة أهل الفتاوى والتدريس ناشر علوم الامام محمد بن ادريس ﴿خاتمة المحققين﴾ شهاب الملة والدين وخادم شريعة سيد المرسلين سيدى أبى العباس ﴿أحمد بن﴾ محمد بن علي بن ﴿حجر الهيتمي﴾ السعدي الأنصاري ﴿رضي الله عنه﴾ قال بعضهم ﴿و﴾ ورد في الحديث أن من حافظ على الصلاة ﴿المكتوبة في جماعة كما قاله أبو الليث﴾ أكرمه الله بخمس خصال ﴿أولها﴾ يرفع عنه ضيق العيش ﴿ثانيها﴾ يرفع عنه عذاب القبر ﴿ثالثها﴾ يعطيه الله كتابه ﴿أي كتاب أعماله﴾ يمينه ﴿ومن أوتي كتابه بذلك فقد فاز فوزا عظيما﴾ ﴿و﴾ رابعها أنه ﴿يمر على الصراط﴾ أي جسر جهنم ﴿كالبرق﴾ الخاطف في سرعته ﴿و﴾ خامسها أنه يدخل الجنة بغير حساب ﴿ومن تهاون عن الصلاة﴾ أي بالصلوات الخمس في

عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة خمسة في الدنيا وثلاثة عند الموت وثلاثة في قبره وثلاثة عند خروجه من القبر * فلما اللواتي في الدنيا فالأولى ينزع البركة من عمره والثانية يحى سيما الصالحين من وجهه والثالثة كل عمل يعمل لا يأجره الله عليه والرابعة لا يرفع له دعاء إلى السماء والخامسة ليس له حظ في دعاء الصالحين وأما التي تصيبه عند الموت * فالأولى أنه يموت ذليلاً والثانية يموت جائعاً والثالثة يموت عطشاناً ولو سقى بحار الدنيا ما روى من عطشه * وأما التي تصيبه في قبره : فالأولى يضيق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه ، والثانية يوقد عليه القبر ناراً يتقلب على الجمر ليلاً ونهاراً ، والثالثة يسقط عليه في قبره ثعبان اسمه الشجاع الأقرع عينا من نار وأظفاره من حديد كل ظفر مسيرة يوم يكلم الميت فيقول أنا الشجاع الأقرع وصوته مثل الرعد القاصف يقول أمرني الله أن أضربك على تضييع صلاة الصبح إلى طلوع الشمس وأضربك على تضييع صلاة الظهر إلى العصر وأضربك على تضييع صلاة العصر إلى المغرب وأضربك على تضييع صلاة المغرب إلى العشاء إلى الفجر كلما ضرب ضربة يغوص في الأرض سبعين ذراعاً فلا يزول في الأرض معذباً إلى يوم القيامة * وأما التي تصيبه عند الخروج من القبر في موقف القيامة فشدة الحساب وسخط الرب ودخول النار *

الجماعة كما قاله المحقق السمرقندي ﴿عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة خمسة﴾ منها ﴿في الدنيا وثلاثة عند الموت وثلاثة في قبره وثلاثة عند خروجه من القبر فأما اللواتي في الدنيا فالأولى تنزع البركة من عمره﴾ ومن كسبه ورزقه ﴿والثانية يحى سيما الصالحين﴾ أي علامتهم وينزع سيما الخير ﴿من وجهه﴾ ويكون بغضا في قلوب الناس ﴿والثالثة كل عمل يعمل لا يأجره الله عليه﴾ ولا يقبل منه ﴿والرابعة لا يرفع له الدعاء للبناء للمفعول﴾ له دعاء إلى السماء ﴿يعنى لا يستجاب دعاؤه﴾ والخامسة ليس له حظ في أي نصيب ﴿في الدعاء الصالحين وأما التي تصيبه﴾ أي العقوبة التي تصيب المتهاون بما ذكر ﴿عند الموت فالأولى أنه يموت ذليلاً﴾ أي حقيراً ويشد نزاع روحه ﴿والثانية﴾ أنه ﴿يموت جائعاً والثالثة﴾ أنه ﴿يموت عطشاناً ولو سقى بحار الدنيا ما﴾ نافية ﴿روى﴾ بوزن رضي في المصباح روي من الماء يروي رياء والإسم الرى بالكسر فهو ريان والمرأة ري وزان غضبان وغضبى والجمع في المذكر والمؤنث رواء وزان كتاب ويعدى بالحمة والتضعيف فيقال أرويته ورويته فارتوى منه ﴿من عطشه وأما﴾ العقوبة ﴿التي تصيبه في قبره فالأولى يضيق عليه القبر﴾ بعد سزال منكرو ونكير ويعصره ﴿حتى تختلف أضلاعه والثانية يوقد عليه القبر ناراً﴾ فـ ﴿يتقلب على الجمر﴾ جمع جمرة مثل ثمرة وتمر وهي القطعة المثلثة من النار ﴿ليلاً ونهاراً والثالثة يسقط﴾ أي يتهر ويغلب ﴿عليه﴾ أي على المتهاون المذكور ﴿في قبره ثعبان﴾ أي حياة عظيمة وهو فعلان ويقع على الذكر والانتى والجمع الثعابين ﴿اسم الشجاع الأقرع﴾ أي الذي ليس في رأسه شعر وهو يدل على كثرة سمه كما قاله بعضهم ﴿عينا من النار وأظفاره من حديد﴾ طول ﴿كل ظفر﴾ منها ﴿مسيرة يوم يكلم﴾ أي الشجاع الأقرع ﴿الميت فيقول أنا الشجاع الأقرع وصوته مثل الرعد القاصف﴾ أي الشديد الصوت ﴿يقول أمرني الله أن أضربك على﴾ أي لأجل ﴿تضييع صلاة الصبح إلى طلوع الشمس وأضربك على تضييع صلاة الظهر إلى العصر وأضربك على تضييع صلاة العصر إلى المغرب وأضربك على تضييع صلاة المغرب إلى العشاء وأضربك على تضييع صلاة العشاء إلى طلوع الفجر﴾ الصادق ﴿فكلما ضرب ضربة يغوص في الأرض سبعين ذراعاً﴾ فيدخل أظفاره تحت الأرض ويخرجه ﴿فلا يزال في الأرض﴾ أي في القبر ﴿معذباً إلى يوم القيامة﴾ نعوذ بالله من عذاب القبر.

﴿وأما﴾ العقوبة ﴿التي تصيبه عند الخروج من القبر في موقف القيامة فشدة الحساب وسخط الرب﴾ عليه ﴿ودخول النار﴾

وفي رواية فإنه يأتي يوم القيامة وعلى وجهه ثلاثة أسطر مكتوبات في السطر الأول يا مضيع حق الله والسطر الثاني يا مخصوصا بغضب الله والسطر الثالث ضيعك الله كما ضيعت في الدنيا حق الله فأبأس اليوم أنت من رحمة الله ﴿وروي﴾ أن في جهنم واديا يقال له ملم فيه حياة كل حية بشخن رقبة البعير طولها مسيرة شهر تلتع تارك الصلاة فيغلي سهما في جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه ﴿وروي﴾ أيضا أن امرأة من بني إسرائيل جاءت إلى موسى عليه السلام فقالت يا نبي الله أذنبت ذنبا عظيما وقد تبت إلى الله تعالى فادع الله أن يغفر لي ذنبي ويتوب علي فقال لها موسى وما ذنبك قالت يا نبي الله زينت وولدت ولدا وقتله فقال موسى عليه السلام اخرجي يا فاجرة لئلا تنزل نار من السماء فتحرقنا بشؤمك فخرجت من عنده منكسرة القلب فنزل جبريل عليه السلام وقال يا موسى الرب تعالى يقول لك لم رددت الثانية يا موسى أما وجدت شرأ منها قال موسى يا جبريل ومن شر منها قال من يترك الصلاة عامدا متعمدا انتهى *

وفي رواية فإنه يأتي يوم القيامة وعلى وجهه ثلاثة أسطر مكتوبات في السطر الأول ﴿منها﴾ يا مضيع حق الله والسطر الثاني يا مخصوصا بغضب الله ﴿وسخطه﴾ والسطر الثالث ضيعك الله كما ضيعت في الدنيا حق الله فأبأس ﴿واقطع﴾ اليوم ﴿أي يوم القيامة﴾ أنت من رحمة الله ﴿وما ذكره في هذا الحديث من تفصيل العدد لا يطابق جملة الخمس عشرة لأن الفصل أربع عشرة فقط فلعل الراوي نسي الخامس عشر وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال إذا كان يوم القيامة يؤتى برجل فيوقف بين يدي الله عز وجل فيأمر الله به إلى النار فيقول يا رب بماذا فيقول تعالى بتأخير الصلاة عن أوقاتها وحلفك بي كاذبا قال بعضهم أيضا عن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه قولوا اللهم لاتدع فينا شقيا ولا محروما ثم قال ﷺ أتدرون من الشقى المحروم قالوا ومن هو يا رسول الله قال تارك الصلاة لأنه لا حظ له في الإسلام قال أيضا ويروي أنه أول ما يسود يوم القيامة وجوه تاركي الصلاة .

﴿وروي﴾ أن في جهنم واديا يقال له ملم ﴿بفتح اللامين بينهما ميم ساكنة﴾ فيه ﴿أي في الوادي﴾ حيات كل حية بشخن رقبة البعير ﴿أي بغلظها﴾ طولها مسيرة شهر تلتع ﴿من باب قطع أي تمض﴾ تارك الصلاة ﴿في ذلك الوادي﴾ فيغلي سهما والسم ما يقتل بالفتح في الأكثر جمعه سموم مثل فلس فلوس ﴿في جسمه سبعين سنة ثم يتهرى﴾ أي يسقط عن العظم لحمه ﴿ويتنع عظمه وإن في جهنم واديا يسمى جب الحزن فيه عقارب كل عقرب قدر البغل الأسود له سبعون شوكة في كل شوكة ذوابة من سم تضرب تارك الصلاة ضربة وتفرغ سهما في جسده فيجده حرارة سهما ألف سنة ثم يتهرى لحمه على عظمه ويسيل من فرجه الصديد وتلعنه أهل النار نعوذ بالله من النار .

﴿وروي﴾ أيضا أن امرأة من بني إسرائيل جاءت إلى موسى عليه الصلاة والسلام فقالت يا نبي الله أذنبت ﴿أي ارتكبت﴾ ذنبا عظيما وقد تبت إلى الله تعالى فادع الله أن يغفر لي ذنبي ﴿أن﴾ يتوب علي ﴿أي يقبل توبتي﴾ فقال لها موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر النبيين ﴿وما ذنبك قالت يا نبي الله زينت وولدت ولدا وقتله﴾ أي الولد ﴿فقال موسى عليه الصلاة والسلام﴾ اخرجي يا فاجرة ﴿من عندي﴾ لئلا تنزل نار من السماء فتحرقنا ﴿تلك النار﴾ بشؤمك ﴿وقبح فعلك﴾ فخرجت المرأة ﴿من عنده﴾ عليه السلام حال كونها ﴿منكسرة القلب فنزل جبريل عليه السلام وقال يا موسى الرب تعالى يقول لك لم﴾ أي لا شيء ﴿رددت﴾ الفاجرة ﴿الثانية﴾ إلى الله تعالى ﴿يا موسى أما وجدت شرأ منها﴾ أي الفاجرة ﴿قال موسى يا جبريل ومن﴾ هو ﴿شر منها قال﴾ جبريل هو ﴿من يترك الصلاة﴾ حال كونه ﴿عامدا متعمدا انتهى﴾ كلام الشيخ ابن حجر في الزواجر فلازم التوبة أيها العبد الضعيف وبادر إليها ما دام باب التوبة مفتوحا إن الرضا ليلوح وأنشد بعضهم في المعنى هذه الأبيات .

وأخرج أحمد وابن حبان من حافظ على الصلوات كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف * مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة * والترمذي بين الكفر والإيمان ترك الصلاة * وأبو داود بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة * وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وحبان والحاكم عن بريدة العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة

قم في ظلام الليل واقصد مهينا * يراك إليه في الدجى توسل
وقل يا عظيم العفول لا تقطع الرجا * فانت المنى يا غايى والمزمل
فيا رب فاقبل توبتى بفضل * فما زلت تغف عن كثير وتمهل
إذا كنت تحفوني وأنت ذخيرتى * لمن اشتكى حالى ومن أترسل
حقيق لمن أخطأ وعادلا مضى * ويبقى على أبوابه يتذل
ويسكى على جسم ضعيف من البلى * لعل يجود السيد المتفضل
قصدت الهى رحمة وفضلا * لمن تاب من زلته يقبل

﴿وأخرج أحمد﴾ بسند جيد ﴿و﴾ الطبراني و﴿ابن حبان﴾ في صحيحه انه ﷺ قال ﴿من حافظ على الصلوات الخمس﴾ أى على فعلهن باكمال طهورها وأداءها في مواقيتها ﴿كانت له نورا﴾ في قبره وحشره ﴿وبرهانا﴾ تخاصم انه وتحتاج ﴿ونجاة يوم القيامة﴾ ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة ﴿حشر﴾ مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف ﴿قال بعض العلماء وانما حشر مع هؤلاء لأنه ان اشتغل عن الصلاة بماله أشبه قارون فيحشر معه او بملكه أشبه فرعون فيحشر معه أو بوزارته أشبه هامان فيحشر معه أو بتجارته أشبه ابي بن خلف تاجر كمار مكة فيحشر معه وقال الزبيدي وفي ذكر أبي بن خلف مع هؤلاء الثلاثة اشارة الى أنه أشقى هذه الأمة وأشد هاعذابا مطلقا وهو الذى آذى الله ورسوله وبالغ في ذلك حتى قتله الله بيد رسوله صلى الله عليه وسلم يوم احد ولم يقتل احدا بيده قط غيره وفي الخبر أشقى الناس من قتل نبياً او قتله نبي وقد جاء في المحافظة على الخمس أيضا ما أخرجه أحمد والطبراني والبيهقى عن حنظلة الكاتب رفعه من حافظ على الصلوات الخمس المكتوبة على ركوعهن وسجودهن ووضوئهن ومواقينهن وعلم انهن حق من عند الله عز وجل دخل الجنة او قال وجبت له الجنة وفي لفظ حرم على النار وأخرج الحاكم والبيهقى من حديث ابى هريرة من حافظ على هؤلاء الصلوات المكتوبة لم يكتب من الغافلين :

﴿و﴾ أخرج ﴿مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه﴾ عن جابر ﴿بين الرجل﴾ أى الانسان ذكر اكان أو أنثى ﴿وبين الكفر﴾ بالله وكررين لمزيد التأكيد ﴿ترك الصلاة﴾ مستداً والظرف خبره ومعلقه محذوف تقديره ترك الصلاة وصلة بين العبد والكفر والمعنى يوصله اليه وبهذا التقدير زال الاشكال فان المبادران الحاجز بين الايمان والكفر فعل الصلاة لا تركها قال بعضهم هو محمول على المستحل أو ان فعله فعل أهل الكفر وأنه يستحق بتركها عقوبة الكافر وهي القتل ﴿و﴾ أخرج ﴿الترمذي بين الكفر والإيمان ترك الصلاة﴾ لأنه اذا تركها يكون مشبهاً للكفار فانما يتميز عنهم بما فيه حث على المحافظة على الصلاة.

﴿و﴾ أخرج ﴿أبو داود﴾ وابن ماجه ﴿بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة﴾ وأخرج ﴿أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه﴾ وحبان والحاكم عن بريدة ﴿رضى الله تعالى عنه بأسانيد صحيحة﴾ العهد الذى بيننا وبينهم ﴿يعنى المنافقين هو﴾ الصلاة ﴿شبه

ومن تركها فقد كفر* والطبراني ومن ترك الصلاة متعمدا فقد كفر جهارا* وفي رواية سندها حسن عز الإسلام وقواعد الدين ثلاثا عليهن أسس الإسلام ومن ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم شهادة أن لا إله إلا الله والصلاة المكتوبة وصوم رمضان وفي رواية أخرى سندها حسن أيضا من ترك واحدة منهن فهو بالله كافر ولا يقبل منه صرف ولا عدل وقد حل دمه وماله* والترمذي كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة*

الموجب لا بقائهم وحقن دماهم بالعهد المقضى لا بقاء المعاهد والكف عنه* ومن تركها فقد كفر* هو توبيخ لتارك الصلاة وتحذيره من الكفر أي سيؤديه ذلك إليه إذا تهاون بالصلاة وقال في النهاية قيل هولاء تركها جاحدا لها .
 ﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني﴾ عن أنس وإسناده حسن ﴿ومن ترك الصلاة﴾ أي صلاة من الخمس ﴿متعمدا فقد كفر جهارا﴾ قال المناوي أي استوجب عقوبة من كفر أو قارب أن يكفر فإن تركها جاحدا لوجوبها كفر حقيقة وقال العلامة الحفنى فقد كفر جهارا أي أن يستحل ذلك والا فالمراد كفران النعمة لأن شكر نعمة الله تعالى إنما يكون بالمحافظة على فرائضه والتباعد عن منهياته أو المراد فعل فعل الكافرين ﴿وفي رواية﴾ لأبي يعلى عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿سندها حسن عرى الإسلام﴾ أي الأمور التي يستمسك بها فيه جمع عروة بالضم وأصلها أذن الكوز فاستعملت في ذلك على التشبيه ﴿وقواعد الدين﴾ جمع قاعدة وهي الأمر الكلي المنطبق على جميع جزئياته ﴿ثلاث عليهن أسس الإسلام من ترك واحدة منهن فهو بها﴾ أي بتركها أي سببه ﴿كافر حلال الدم﴾ زاده دفعا لتوهم أن المراد كفر النعم ﴿شهادة أن لا إله إلا الله﴾ أي وأن محمدا رسول الله فاكفى باحدا هما عن الأخرى ﴿والصلاة المكتوبة﴾ أي الصلوات الخمس ﴿وصوم رمضان﴾ وهذا بالنسبة للشهادة على بابه وبالنسبة للصلاة والصوم أن ترك ذلك جاحدا لوجوبه والا فهو زجر وتهويل ﴿وفي رواية أخرى سندها حسن أيضا﴾ أي كالرواية السابقة ﴿من ترك واحدة منهن فهو بالله كافر ولا يقبل منه صرف﴾ أي فرض ﴿ولا﴾ يقبل منه ﴿عدل﴾ أي نفل ﴿وقد حل دمه وماله﴾ وأخرج الطبراني وغيره بإسنادين لأبأس بهما عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أوصاني خليلي ﷺ بسبع خلال قال لا تشركوا بالله شيئا وإن قطعتم أو حرقتم ولا تتركوا الصلاة تعمدًا فمن تركها متعمدا فقد خرج من الملة ولا تتركوا المعصية فإنها سخط الله ولا تشربوا الخمر فإنها رأس الخطايا كلها الحديث .

﴿و﴾ أخرج ﴿الترمذي﴾ كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة ﴿وصح خبرين العبد وبين الكفر والإيمان الصلاة فإذا تركها فقد أشرك وأخرج البزار لإسهم في الإسلام لمن لا صلاة له ولا صلاة لمن لا وضوء له وأخرج الطبراني لا إيمان لمن لا أمانة له ولا صلاة لمن لا طهور له ولا دين لمن لا صلاة له إنما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد وأخرج ابن ماجه والبيهقي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال أوصاني خليلي ﷺ أن لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت وإن أخرجت ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدا فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر وأخرج البزار وغيره بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما قام بصري أي ذهب مع بقاء صحة الحدة قيل نداويك وتدع الصلاة أياما قال لا إن رسول الله ﷺ قال من ترك الصلاة لقي الله وهو عليه غضبان .

وأخرج الطبراني بسند لا بأس به في المتابعات أتى رسول الله ﷺ رجل فقال يا رسول الله علمني عملا إذا أنا عملته دخلت الجنة قال لا تشرك بالله شيئا وإن عذبت وحرق وأطع والدك وإن أخرجاك من مالك ومن كل شيء هلاك ولا تترك الصلاة متعمدا فإن من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله الحديث وفي رواية سندها صحيح لكن فيه انقطاع لا تشرك بالله شيئا وإن قتلت وحرق ولا

وابن أبي شيبه والبخاري في تاريخه موقوفا على علي رضي الله عنه قال من لم يصل فهو كافر * ومحمد بن نصر وابن عبد البر موقوفا على ابن عباس من ترك الصلاة فقد كفر * وابن عبد البر موقوفا على جابر من لم يصل فهو كافر * وقال محمد بن نصر سمعت اسحق بن راهويه يقول صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن تارك الصلاة كافر وقال ابن حزم قد جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن من ترك صلاة واحدة حتى يخرج وقتها فهو كافر مرتد * **تنبيه** قال جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم بكفر تارك الصلاة وإباحة دمه منهم عمر بن الخطاب وابن عباس وابن مسعود وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبو هريرة وأبو الدرداء وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم ومن غير الصحابة أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وعبد الله بن المبارك والنخعي والحاكم وابن عيينة

شعق والدليك وإن أمر أن يخرج من أهلك ومالك ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدا فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ولا تشرب خيرا فإنه أي شرها رأس كل فاحشة وإياك والمعصية فإن بالمعصية حل سخط الله وإياك والقرار من الزحف وإن هلك الناس وإن أصاب الناس فائت وأتق على أهلك من طولك ولا ترفع عصاك عنهم أديا وأخرج ابن حبان في صحيحه بكروا بالصلاة في يوم النسيم فإنه من ترك الصلاة فقد كفر وأخرج الطبراني عن أميمة مولاة رسول الله ﷺ قالت كتبت أصيب على رأس رسول الله ﷺ وضوءه قد دخل رجل فقال لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت وحرقت بالنار ولا تعص والدليك وإن أمر أن تخلى من أهلك ودياك فتحله ولا تشرب خيرا فإنها مفتاح كل شر ولا تترك صلاة متعمدا فمن فعل ذلك فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله الحديث وأخرج أبو نعيم من ترك الصلاة متعمدا كتب الله اسمه على باب النار ممن يدخلها .

وأخرج الطبراني والبيهقي من ترك الصلاة فأنما وتر أهله وماله وأخرج الحاكم عن علي أنه ﷺ قال والله يا معشر قرش تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة أولا بعث عليكم رجلا يضرب أعناقكم على الدين الحديث وأخرج أحمد بسند صحيح لكن فيه انقطاع لا تترك الصلاة متعمدا فإنه من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ورسوله وأخرج الأصبهاني من ترك صلاة متعمدا أحبط الله عمله وبرئت منه ذمة الله حتى يراجع الله عز وجل توبة وأخرج أحمد مراسلا أربع فرضهن الله في الإسلام فمن أي ثلاث لم يفتن عنه شيئا حتى يأتي بهن جميعا الصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت .

روى أخرج ابن أبي شيبه والبخاري في تاريخه موقوفا على علي رضي الله عنه قال من لم يصل فهو كافر * **روى** أخرج محمد بن نصر وابن عبد البر موقوفا على ابن عباس رضي الله عنهما من ترك الصلاة فقد كفر * **روى** أخرج ابن عبد البر وغيره موقوفا على أبي الدرداء قال لا إيمان لمن لا صلاة له ولا صلاة لمن لا وضوء له وأخرج أيضا ابن عبد البر موقوفا على جابر ﷺ من لم يصل فهو كافر وقال محمد بن نصر سمعت اسحاق بن راهويه يقول صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن تارك الصلاة كافر * وكذلك كان رأى أهل العلم من لدن النبي ﷺ أن تارك الصلاة عمدا من غير عذر وحتى يذهب وقتها كافر * وقال ابن حزم قد جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن من ترك صلاة واحدة حتى يخرج وقتها فهو كافر مرتد * وقال أيوب ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه .

* **تنبيه** قال جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم بكفر تارك الصلاة وإباحة دمه منهم أي الصحابة عمر ابن الخطاب وابن عباس وابن مسعود وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبو هريرة وأبو الدرداء وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم ومن غير الصحابة الإمام أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وعبد الله بن المبارك وإبراهيم النخعي والحاكم وابن عيينة هكذا في بعض النسخ وفي الزواجر والحاكم بن عيينة

وأبواب السخيان وأبو داود الطيالسي وأبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب وابن حبيب وغيرهم وقال الشافعي رضي الله عنه وآخرون إن تارك الصلاة يكفر إن استحل الترك أو جحد الوجوب ولا يقتل بترك أداء صلاة واحدة حتى يخرج وقت الجمع بضرب عنقه بالسيف إن لم يمت بعد استتابته كترك الصلاة وقيل يضرب بالعصا وقيل ينحس بحديد إلى أن يصلي أو يموت وقال الغزالي لو زعم زاعم أن بينه وبين الله حالة أسقطت عنه الصلاة فلا شك في وجوب قتله وقتل مثله أفضل من قتل مائة كافر وقال أحمد بن حنبل لا يصح نكاح تاركة الصلاة ولكن في مذهبنا أن نكاح الذمية أولى من نكاح تاركها .

﴿وأبواب السخيان وأبو داود الطيالسي . وأبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب وابن حبيب وغيرهم وقال الشافعي رضي الله عنه وآخرون إن تارك الصلاة يكفر إن استحل الترك أو جحد﴾ أي إنكر ﴿الوجوب وال﴾ استحل أو جحد ﴿يقتل﴾ التارك ﴿بترك أداء صلاة واحدة﴾ فإذا أمر بها في وقتها ﴿حتى يخرج وقت الجمع﴾ للصلاة ولم يصلها ثم قيل له صلها فابى يقتل ﴿بضرب عنقه بالسيف إن لم يمت بعد استتابته كترك الصلاة﴾ كلها ﴿وقيل يضرب بالعصا وقيل ينحس﴾ أي يطعن ﴿بحديد إلى أن﴾ يتوب و﴿يصلي أو﴾ إلى أن يموت ﴿إن لم يمت ولم يصل .

* فرع * إذا قال حين ارادة قتله صليت في بيتي أو تركتها بعد رما صحيح في الواقع ككسيان ونوم واغماء أو باطل كقوله كان علي نجاسة أو تركتها للبرد أو عدم الماء يعذر بذلك ولا يقتله لأنه لم يتحقق منه تعمد تأخيرها عن الوقت بغير عذر ولا بد أن أمره بها بعد ذكر العذر وجوبا في العذر الباطل ونذبا في الصحيح فيما يظهر أن يقول له صل فإن امتنع لم يقتل لذلك وإن قال تعمدت تركها بلا عذر قتل ولو يقتل ولا أصلها أو سكت لتحقق جنايته بتعمد التأخير من تركها بعذر ككسيان أو نوم لم يلزمه قضاؤها فورا بل يجوز له قضاؤها على التراخي لأنه يقضي صلاة الصبح التي فاتته بالتقويم حتى خرجوا من الوادي رواه الشيخان أو بلا عذر يلزمه قضاؤها فورا لتقصيره لكنه لا يقتل بفائته فاتته بعذر لأن وقتها موسع أو بلا عذر وقال أصلها لتوبته بخلاف ما إذا لم يقتل ذلك كما مر آنفا قاله ابن المقرئ وغيره .

﴿وقال﴾ حجة الاسلام ﴿الغزالي لو زعم زاعم أن بينه وبين الله حالة أسقطت عنه الصلاة﴾ وأحلت له شرب الخمر وأمره بالسلطان كما زاعمه بعض المتصوفة ﴿فلا شك في وجوب قتله﴾ وإن كان في النار نظر ﴿وقتل مثله أفضل من قتل مائة كافر﴾ لأن ضرره أكثر ﴿وقال أحمد بن حنبل لا يصح نكاح تاركة الصلاة و﴾ يصح عند غيره ﴿لكن في مذهبنا أن نكاح الذمية أولى من نكاح تاركها﴾ أي الصلاة

* ثمة * قال في الزواجر وزد في الحديث الصحيح مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع أي أن ميزوا واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع قال الخطابي هذا الحديث يدل على أغلاظ العقوبة لتارك الصلاة إذا بلغ تاركها لها وكان بعض أصحاب الشافعي يحتج به في وجوب قتله ويقول إذا استحق الضرب وهو غير بالغ فيدل على أنه بعد البلوغ يستحق من العقوبة ما هوأ من الضرب وليس بعد الضرب شيء أشد من القتل انتهى وفيه ما فيه وما وجه به قتله أن تاركها جنى على جميع الأنبياء والملائكة والمؤمنين لأنه يجب عليه في الشهاد أن يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين قال صلى الله عليه وسلم إذا قلها بلغت كل عبد صالح في السماء والأرض وهذه الجناية العايمة لا يليق بها إلا القتل والأولى أن يستدل لقتله بالأحاديث الصحيحة السابقة أن تاركها تبرأ منه ذم الله وذمة رسوله وأنه لا عهد له لأن ذلك ظاهر أو صريح في اهدار دمه ومن لازم اهداره وجوب قتله وإنما لم يقتل بترك الزكاة لأنه يمكن أخذها منه بالمقاتلة ولا بترك الصوم لأنه يمكن الجأزه إليه بالحبس ومنع المفطر كالطعام والشراب فإنه إذا علم أنه لا يخلص له أن يتناول منه

﴿فصل﴾ في تحريم تأخير الصلاة عن وقتها عمدا واستحباب تعجيلها لأول الوقت قال الله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون قال النبي ﷺ هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها والويل شدة العذاب وقيل واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره فهو مسكين من يؤخر الصلاة عن وقتها ﴿وأخرج﴾ الحاكم والترمذي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ من جمع بين صلاتين فقد أتى بابا من أبواب الكبائر * وأبو داود وابن ماجه عن ابن عمر ثلاثة لا يقبل الله تعالى منهم صلاة الرجل يوم قوما وهم له كارهون

إراوى ليل وصام ولا يترك الحج لانه على التراخي ويمكن قضاؤه من تركه والصلاة ليست كذلك في الكل فلم يناسب عقوبة تركها الا

الكل وإذا جازت المناقاة لتخليص الزكاة فلان يجوز القتل بحمل الناس بالخوف منه على فعل الصلاة من باب أولى.

﴿* فصل *﴾ في تحريم تأخير الصلاة عن وقتها عمدا و﴿ في ﴾ استحباب تعجيلها لأول الوقت ﴿أخرج﴾ البزار بسند ضعيف عن محمد بن أبي وقاص قال سألت النبي ﷺ عما ﴿قال الله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ أي غافلون غير صالين بها وقال النبي صلى الله عليه وسلم هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها ﴿وأخرج﴾ أبو يعلى بسند حسن عن مصعب بن سعد قال قلت لأبي أيها أرايت قوله تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون أي لا يسهوا أي لا يحدث نفسه قال ليس ذلك إنما هو إضاعة الوقت وقال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس ويصلون في العلانية إذا حضروا معهم لقوله تعالى الذين هم يراءون وقال في وصف المنافقين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس وقيل ساء عنها لا يبالي صلى أو لم يصل وقيل لا يرجون لها ثوابا إن صلوا ولا يخافون عليها عتابا إن تركوا وقيل غافلون عنها ويتهاونون بها كما تقدم وقيل هم الذين إن صلوا صلوا رياء وإن فاتتهم لم يتدبروا عليها وقيل هم الذين لا يصلونها لمواقفتها ولا يمتنون ركوعها ولا سجودها وقيل كما قال تعالى عن صلاتهم ساهون بلفظة عن علم أنها في المنافقين والمؤمنين قد يسهو في صلاته والفرق بين السهوين أن سهو المنافق هو أن لا يذكرها ويكون فارغا عنها والمؤمن إذا سها في صلاته تداركه في الحال وجبره بخروج السهو فظهر الفرق بين السهوين وقيل السهو عن الصلاة هو أن يبتلى ناسيا لذكر الله في جميع أجزاء الصلاة وهذا لا يصدر إلا من المنافق الذي يعتقد انه لا فائدة في الصلاة فأما المؤمن الذي يعتقد فائدة صلاته وأنها عليه واجبة ويرجو الثواب على فعلها ويخاف العقاب على تركها فقد يحصل له سهو في الصلاة يعني انه يصير ساهيا في بعض أجزاء الصلاة بسبب وارد يرد عليه بوسوسة الشيطان أو حديث النفس وذلك لا يكاد يختلف منه أحد ثم يذهب ذلك الوارد عنه فثبت بهذا الفرق أن السهو عن الصلاة من أفعال المنافق والسهو في الصلاة من أفعال المؤمن.

﴿و﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿الويل شدة العذاب﴾ وأخرج أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم عن أبي سعيد بإسناد صحيح ويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره ﴿وقيل﴾ ويل اسم ﴿واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت﴾ تلك الجبال ﴿من شدة حره فهو مسكين من يؤخر الصلاة عن وقتها﴾ ويتهاون بها إلا أن يتوب إلى الله تعالى ويندم على ما فرط. ﴿وأخرج﴾ الحاكم بسند فيه من اختلف في توثيقه والأكثر على عدمه ﴿والترمذي عن ابن عباس﴾ رضي الله عنهما قال الحاكم صحيح ورده الذهبي ﴿من جمع بين صلاتين من غير عذر﴾ كسفر ومطر ﴿فقد أتى بابا من أبواب الكبائر﴾ لأن إخراج الصلاة عن وقتها بدون عذر كبيرة قال المناوي تمسك به الحنفية على منع الجمع في السفر وقال الشافعي السفر عذر ذكره العزيمي

﴿وأخرج﴾ أبو داود وابن ماجه عن عمرو بن العاص بإسناد ضعيف كما في المجموع ﴿ثلاثة لا يقبل الله تعالى منهم صلاة﴾ أي قبل لا كاملا ﴿الرجل﴾ ومثله المرأة للنسائي ﴿يوم قوما وهم﴾ أي أكرهم ﴿له كارهون﴾ لمعنى مذموم فيه شرعا لأن الإمامة شناعة

الرجل يوم قوما وهم له كارهون والرجل لا يأتي الصلاة إلا دبارا والدبار أن يأتيها بعد أن يفوتها ورجا اعتبد محررا أي جعله عبدا
 ﴿وروي﴾ الذهبي أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا صلى العبد الصلاة في أول وقت صعدت إلى السماء ولها نور حتى تنهي إلى العرش
 فتستغفر لصاحبها إلى يوم القيامة وتقول له حفظك الله كما حفظني وإذا صلى العبد الصلاة في غير وقتها

ولا يستغفر العبد إلا بمن يحبه وذلك كوال ظالم وكتغلب عن الإمامة للصلاة ولا يستحقها ولا يتحرز من النجاسات أو لا يأتي بهيات
 الصلاة أو يتعاطى معيشة مذمومة أو يعاشر أهل الفسوق ونحوهم فيكره له أن يؤمهم ولا يكره إذا كرهه الأقل وكذا إذا كرهه نصفهم وأما
 اقتداؤهم به فلا يكره وصورة المسئلة أن يتخلفوا هل هو بهذه الصفة أم لا فيعتبر قول الأكثر ﴿والرجل﴾ الذي ﴿لا يأتي الصلاة إلا دبارا﴾
 ومعنى ﴿الدبار﴾ بكسر الدال ﴿أن يأتيها بعد أن يفوتها﴾ أي يصلّيها حين ادبار وقتها قال الحنفى بعد خروج وقتها كما في المختار
 وكان يصلّيها آخر الوقت بحيث لا يسعها جميعها وكان ذلك ديدنه وعادته فلا تثقل صلاته قبولا كاملا يترتب عليه الإحسان منه تعالى
 ﴿ورجل اعتبد محررا أي جعله﴾ أي جعل الحر ﴿عبدا﴾ بأن اتخذه وصار يبيعه فلا تقبل صلاته وإن وافقه الحر على بيع نفسه أو المراد
 أنه عتقه سرا ولم يخبره بذلك واستمر يستخدمه كما كان قبل العتق فمعنى اعتبه صيره كالعبد في الإستخدام فلا تقبل صلاته قبول كمال
 لتعديده .

وأخرج الطبراني أول ما يسئل عنه العبد يوم القيامة ينظر في صلاته فإن صلحت فقد أفلح وإن فسدت فقد خاب وخسر وأخرج
 ابن عساکر أول ما يحاسب به العبد صلاته فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله ثم يقول انظروا هل لعبدى نافلة
 فإن كانت أتم بها القرينة ثم الفرائض كذلك لعائدة الله ورحمته وأخرج أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم أول ما يحاسب الناس به يوم
 القيامة من أعمالهم الصلاة فيقول ربنا عز وجل ملائكتك وهو أعلم انظروا في صلاة عبدى أتمها أم نقصها فإن كانت تامة كتبت تامة وإن
 كان انتقص منها شيئا قال انظروا هل لعبدى من تطوع فإن كان له تطوع أتموا لعبدى فريضته من تطوعه ثم يأخذ الأعمال على ذلكم وأخرج
 الطيالسي والطبراني والضياء في المختار أناني جبريل من عند الله تبارك وتعالى فقال يا محمد إن الله عز وجل يقول إنى افترضت على أمك
 خمس صلوات فمن أوفى بهن على وضوئهن ومواقيتهن وركوعهن وسجودهن كان له بهن عهد أن ادخله الجنة ومن لقينى قد انتقص من
 ذلك شيئا فليس له عندى عهد أن شئت عذبه وإن شئت رحمته وأخرج البيهقي للصلاة ميزان فمن أوفى استوفى .

وأخرج الديلمي الصلاة تسود وجه الشيطان والصدقة تكسر ظهره والتحابب في الله والتودد في العلم يقطع دابره فإذا فعلتم ذلك
 تباعد منكم كقطع الشمس مغربها وأخرج الترمذى وابن حبان والحاكم اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم
 وأطيعوا إذا امرتكم تدخلوا جنة ربكم وأخرج أحمد والشيخان وأبو داود والنسائي أحب الله تعالى الصلاة لوقتها ثم بر الوالدين ثم الجهاد
 فى سبيل الله وأخرج البيهقي عن عمر رضي الله عنه قال جاء الرجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أى الأعمال أحب إلى الله فى الإسلام فقال
 الصلاة لوقتها ومن ترك الصلاة فلا دين له والصلاة عماد الدين ولذلك لما طعن عمر رضي الله عنه قيل له الصلاة يا أمير المؤمنين قال نعم أمانه لاحظ
 لأحد فى الإسلام أضاع الصلاة وصلى ﷺ وجرحه يجرى دمه .

﴿وروي الذهبي أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا صلى العبد الصلاة فى أول الوقت﴾ وأسبغ لها وضوءها وأتم لها ركوعها
 وسجودها وخشوعها ﴿صعدت إلى السماء ولها نور حتى تنهى إلى العرش فتستغفر لصاحبها إلى يوم القيامة وتقول﴾ بلسان حالها ﴿
 حفظك الله كما حفظني وإذا صلى العبد الصلاة فى غير وقتها﴾ ولم يسبغ لها وضوءها ولم يتم لها ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها

صعدت إلى السماء وعليها ظلمة فإذا انتهت إلى السماء تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها ﴿وأخرج﴾ أبو الشيخ عن ابن عمر فضل الوقت الأول كفضل الآخر على الدنيا * والترمذي عنه الوقت الأول من الصلاة رضوان الله والوقت الآخر عفو الله * والطبراني عن أم فروة أحب الأعمال إلى الله تعجيل الصلاة لأول وقتها ﴿روى﴾ البخاري عن الزهري قال دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يكي فقلت ما يكيك فقال لا أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة

﴿صعدت إلى السماء وعليها ظلمة﴾ سوداء تقول ضيعك الله كما ضيعني ﴿فإذا انتهت إلى السماء تلف﴾ أي تجمع ﴿كما يلف الثوب الخلق﴾ أي القديم المستعمل ﴿ويضرب بها وجه صاحبها﴾

﴿وأخرج أبو الشيخ﴾ أي ابن حبان ﴿عن عمر﴾ بن الخطاب بإسناد ضعيف ﴿فضل الوقت الأول على الآخر﴾ أي فضل الصلاة في أول الوقت على الصلاة في آخره ﴿كفضل الآخرة على الدنيا﴾ قال المناوي هذا نص صريح في أن الآخرة أفضل من الدنيا وبه قال جمع فتول الدنيا أفضل لأنها مزرعة الآخرة يرد بهذا

﴿وأخرج﴾ الترمذي عنه ﴿أي عن ابن عمر﴾ الوقت الأول من الصلاة ﴿أي يقع الصلاة أول وقتها يحصل به﴾ رضوان الله ﴿بكسر الراء وضما﴾ بمعنى الرضا وهو خلاف السخط قال الحنفى هذا يدل لنا في عدم سن تأخير الصبح إلى الاسفرار والاضاءة ﴿والوقت الآخر عفو الله﴾ لأن التأخير لآخر الوقت أن كان بحيث لا يسعها فهو حرام يحتاج للعفو وإن كان بحيث يسعها ففيه نوع تقصير يحتاج إلى العفو أيضا وإن لم يكن اثما ذكره العلامة الحنفى قال ابن الترمي روى عن أبي بكر الصديق ؓ أنه قال فيه رضوان الله أحب إلينا من عفو قال علماءنا لأن رضوانه للمحسنين وعفو للمقصرين

﴿وأخرج﴾ الطبراني عن أم فروة أحب الأعمال إلى الله ﴿أي عند الله﴾ تعجيل الصلاة لأول وقتها ﴿قال العلقمي ومن حصل ما أجاب به العلماء عن هذا الحديث وغيره مما اختلفت فيه الأجوبة بأنه أفضل الأعمال أن الجواب اختلف لاختلاف أحوال السائلين بأن أعلم كل قوم بما يحتاجون إليه أو بما هو اللائق بهم أو كان الاختلاف باختلاف الأوقات بأن يكون العمل في ذلك الوقت أفضل منه في غيره وقد تظاهرت النصوص على الصلاة أفضل من الصدقة ومع ذلك قد يعرض حال يقتضي مواساة المضطر فتكون الصدقة حينئذ أفضل أو أن أفضل ليست على بابها بل المراد بها الفضل المطلق أو المراد من أفضل الأعمال فحذفت من كما يقال فلان أفضل الناس ويراد من أفضلهم فعلى هذا يكون الإيمان أفضلها والباقيات مساوية في كونها من أفضل الأعمال أو الأحوال ثم يعرف فضل بعضها على بعض بدلائل تدل عليها وسعنا المحبة من الله تعالى تعلق الإرادة بالثواب

﴿روى البخاري﴾ عن أنس بن مالك قال ما أعرف شيئا مما كان على عهد النبي ﷺ قال أليس ضيعتم ما ضيعتم فيها والمراد باضاعتها إخراجها عن وقتها قال تعالى فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة قال البيضاوي تركوها وأخروها عن وقتها انتهى والثاني هو قول ابن مسعود رضي الله عنه ويشهد له ماضي الطبقات لابن سعد عن ثابت البناني فقال رجل فالصلاة يا أبا حمزة قال جعلتم الظهر عند المغرب أفتلك صلاة رسول الله ﷺ وروى البخاري أيضا ﴿عن الزهري﴾ محمد بن شهاب ﴿قال دخلت على أنس بن مالك﴾ بدمشق ﴿بكسر الراء﴾ فتح الميم لما قدمها شاكيًا من والي العراق الحجاج الوليد بن عبد الملك بن مروان ﴿وهو﴾ والحال أن أنس ﴿يكي﴾ فقلت ما يكيك فقال ﴿يكيني أني﴾ لا أعرف شيئا مما أدركت ﴿في عهد رسول الله ﷺ﴾ أي شيء موجودا من الطاعات معمولاً به على وجهه بالنسبة إلى ما شاهده من أمراء الشام والبصرة خاصة ﴿إلا هذه الصلاة﴾ بالنسبة إلى الاستسنة أو

وهذه الصلاة قد ضيعت قال الكرمانى والمراد بتضييعها تأخيرها عن الوقت المستحب لأنهم أخروها عن وقتها بالكلية ﴿وروى﴾ عن عقيل بن أبي طالب كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا جمل يعد وحتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله الأمان فلم يلبث حتى جاء خلفه أعرابي ومعه سيف مسلول فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماذا تريد من هذا المسكين قال يا رسول الله اشتريته بشئ كثير وليس هو يطيعني فأريد أن أذبحه وأتبع بلحمه فقال النبي صلى الله عليه وسلم للجمل لم تعصيه فقال يا رسول الله لست أعصيه لأنى لست أقدر على العمل ولكن أعصيه لأن القبيلة التي أنا فيها ينامون عن صلاة العشاء الأخيرة فلو عاهدك أن يصلى العشاء الأخيرة عاهدتك أن لا أعصيه مادمت حيا فإني أخاف أن ينزل عليهم عذاب من الله عز وجل فأكون فيهم فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم العهد على الأعرابي أن لا يترك الصلاة وسلم إليه الجمل فرجع إلى أهله ﴿وحكى﴾ عن بعض السلف أنه دفن أخاه مات فسقط منه كيس فيه مال في قبرها ولم يشعر به حتى انصرف عن قبرها ثم ذكره فرجع إلى قبرها فنشبه بعدما انصرف الناس فوجد القبر يشتعل عليها نارا فرد التراب إليها ورجع إلى أمه بأكيا حزينا فقال يا أماء أخبريني عن أختي وما كانت تعمل قالت وما سؤالك عنها قال يا أمى رأيت قبرها يشتعل عليها نارا قال فبككت وقالت يا ولدى كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها

البديلة ﴿وهذه الصلاة قد ضيعت﴾ بضم الصاد المعجمة وكسر المشاة التحية المشددة باخراجهما عن وقتها فقد صح أن الحاج واجبه الولد وغيرهما كانوا يؤخرون الصلاة عن وقتها وهو يرذركم لا يخفى على ما ﴿قال الكرمانى والمراد بتضييعها تأخيرها عن الوقت المستحب لأنهم﴾ أى أهل دمشق ﴿أخروها عن وقتها بالكلية﴾

﴿وروى عن عقيل بن أبي طالب﴾ قال ﴿كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا جمل يعدو﴾ أى يسرع ﴿حتى بلغ﴾ أى الجمل ﴿رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله أسألك﴾ الأمان ﴿والسلامة من صاحبى﴾ فلم يلبث حتى جاء خلفه أعرابي ﴿صاحب الجمل﴾ ومعه سيف مسلول ﴿أى متروع عن غمده﴾ فقال النبي صلى الله عليه وسلم للأعرابي ﴿ماذا تريد من هذا﴾ الجمل ﴿المسكين﴾ أى الذليل المتهور ﴿قال يا رسول الله اشتريته بشئ كثير وليس هو﴾ أى هذا الجمل ﴿يطيعنى فأريد أن أذبحه وأتبع بلحمه فقال النبي صلى الله عليه وسلم للجمل لم﴾ أى لاى شيء ﴿تعصيه﴾ ولم تطفه ﴿فقال﴾ الجمل ﴿يا رسول الله لست أعصيه لأنى لست أقدر على العمل ولكن أعصيه لأن القبيلة﴾ أى أهلها ﴿التي أنا فيها ينامون عن صلاة العشاء الأخيرة فلو عاهدك﴾ هذا الأعرابي ﴿أن يصلى العشاء الأخيرة عاهدتك أن لا أعصيه مادمت حيا﴾ أى مدة حياتى ﴿فأنى أخاف أن ينزل عليهم﴾ أى على أهل القبيلة ﴿عذاب من الله عز وجل فأكون فيهم فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم العهد على الأعرابي أن لا يترك الصلاة والسلام﴾ عليه الصلاة ﴿إليه﴾ أى إلى الأعرابي ﴿الجمل فرجع﴾ الأعرابي مع جملة ﴿إلى أهله﴾

﴿وحكى عن بعض السلف﴾ رحمه الله ﴿أنه دفن أخاه مات فسقط﴾ عند الدفن ﴿منه﴾ أى من البعض ﴿كيس﴾ وهو ما يخاط من خرق ﴿فيه﴾ أى فى الكيس ﴿مال فى قبرها ولم يشعر﴾ أى لم يعلم ﴿به﴾ أى بسقوطه ﴿حتى انصرف عن قبرها ثم ذكره﴾ أى تذكر الكيس ﴿فرجع﴾ بعض السلف ﴿إلى قبرها فنشبه بعدما انصرف الناس﴾ من قبرها ﴿فوجد﴾ البعض ﴿القبر يشتعل عليها﴾ أى على أختها ﴿نارا فرد التراب إليها ورجع إلى أمه﴾ حال كونه ﴿بأكيا حزينا فقال يا أماء أخبريني عن﴾ حال ﴿أختى وما كانت تعمل﴾ فى حياتها ﴿قالت﴾ أمه ﴿وما سؤالك عنها﴾ أى ما السبب فى سؤالك عن أختك ﴿قال يا أمى﴾ انى ﴿رأيت قبرها يشتعل عليها نارا قال﴾ أخوها ﴿فبككت﴾ أمى ﴿وقالت يا ولدى كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها﴾ قال المصنف .

فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها فكيف حال من لا يصلي فنسأل الله تعالى أن يعيننا على المحافظة عليها بكمالها في أوقاتها إنه جواد كريم رؤوف رحيم ﴿تنبيهات﴾ أحدها أن أخرج الصلاة عن وقتها بلا عذر من أكبر الكبائر المهلكة فيجب على من فوتها بغير عذر القضاء فوراً وصرف جميع زمنه للقضاء ما عدا الوقت الذي يحتاج لصرفه في تحصيل ما عليه من مؤنة نفسه وعياله

﴿فهذا﴾ المذكور من حالها ﴿حال من يؤخر الصلاة عن وقتها فكيف حال من لا يصلي فنسأل الله تعالى أن يعيننا على المحافظة عليها﴾ أي على الصلاة ﴿بكمالها في أوقاتها إنه﴾ تعالى ﴿جواد﴾ بالتخفيف أي كثير الجود أي العطاء بمعنى الاعطاء وهذا كما قاله الشبرايمسلى صادق بكون المعطى قليلاً أو كثيراً فيحقق مع الاعطاء القليل أصل الجود وهو من صفات الأفعال كما يفيد التفسير بالاعطاء وفي شرح المناوي عند قوله ﷺ السخاء خلق الله الأعظم مانصه قال الراغب السخاء هيئة في الإنسان داعية إلى بذل المقنيات حصل معه البذل أم لا ويقابله الشخ والجود بذل المتنى هذا هو الأصل وقد يستعمل كل منهما على الآخر انتهى وهو يفيد أن بذل ما لا يعد للقيمة لا يسمى جوداً ويستفاد منه توجيه ما قيل من أنه تعالى يوصف بالكرم ولا يوصف بالسخاء لأنه حيث كان عبارة عن الهيئة للإنسان ظهر امتناع إطلاقه على الله لأن هيئة الإنسان من توابع الجسم وهي حالة عليه تعالى ﴿كريم﴾ أي متفضل يعطي من غير مسألة ولا وسيلة ﴿رؤوف﴾ أي ذورأفة وهي شدة الرحمة ﴿رحيم﴾ أي ذورحمة كثيرة فالرؤوف البالغ من الرحيم والراحم والفرق بين الرؤفة والرحمة أن الرحمة احسان مبدؤه شفقة المحسن والرأفة احسان مبدؤه فاقة المحسن إليه.

* تنبيهات * أربعة ﴿أحدها أن أخرج الصلاة عن وقتها﴾ وتقديمها عليه ﴿بلا عذر من أكبر الكبائر المهلكة﴾ على ما نقله الشيخان عن صاحب العدة وأقرأه وتقييد الأتوار لذلك بلا إعادة ليس في محله لأنه وإن أعادها في الوقت هو يفعلها قبله بعدما متلاعب بالدين وأما قول الأسنوي أن عند الشيخين تقديم الصلاة على وقتها كبيرة لا تحقيق له لأنه إن كان معتقداً للجواز فلا كلام فيه وإن كان عالماً بالمنع فالصلاة فاسدة وجنئذ فإن صلاها في وقتها فالتحريم وقع لكونه أتى بصلاة فاسدة فينبغي التعبير به ولا يقتصر على هذه الصورة الشاذة النادرة وإن لم يصلها في وقتها فالتعصيان بالتأخير وبالصلاة الفاسدة فهو ليس في محله أيضاً ومن ثم قال الأذرعى ما ذكره تحليط وليس مراد صاحب العدة وغيره بتقديم الصلاة على وقتها إلا إذا قدمها عالماً بعدم دخول الوقت وإن ذلك لا يجوز وهذا ما اقتضاه كلام خلافت من الأئمة ولا نزاع فيه ولا ريب أنه من الكيان والتلاعب بالدين سواء قضاها أم لا انتهى وفي التهذيب حكاية وجه ضعيف أن ترك الصلاة الواحدة إلى أن يخرج وقتها ليس بكبيرة وإنما ترك الشهادة به إذا اعتاده قال الحلبي ترك الصلاة كبيرة فإن اتخذ عادة فهو فاحشة فإن أقامها ولم يوفها حقها من الخشوع كأن التفت فيها أو فرقع أصابعه أو استمع إلى حديث الناس أو استوى الحصا أو أكثر من مس اللحية فذلك من الصغائر انتهى قال الأذرعى قضية كلام غيره عند ذلك من المكروهات والقلب إلى ما قاله رحمه الله أميل انتهى وهو مرافق للوجه الموجب للخشوع فعليه كل ما نافي الخشوع من أصله بأن لا يوجد في جزء منها يكون محرماً أما على الأصح أن الخشوع سنة فلا حرمة في شئ من ذلك قاله في الزواجر ﴿فيجب على من فوتها بغير عذر القضاء فوراً﴾ يجب ﴿صرف جميع زمنه للقضاء ما عدا الوقت الذي يحتاج لصرفه ما﴾ يجب ﴿عليه من مؤنة نفسه وعياله﴾ ومحرم عليه التطوع مع صحته خلافاً للزركشي ويسن ترتيب الفاتحة فيقضى الصبح قبل الظهر وهكذا وتقديمه على حاضرة لا يخاف فوتها إن فات بعد ذلك وإن خشي فوت جملتها على المعتد وإذا فات بلا عذر فيجب تقديمها أما إذا خاف فوت الحاضرة بأن يقع بعضها وإن قل خارج الوقت فيلزمه البدء بها ويجب تقديم ما فات بغير عذر على ما فات بعد روان فقد الترتيب لأنه سنة والبداء واجب ويندب تأخير الرواتب عن الفرائض بعد ذلك ويجب تأخيرها عن

وكما يحرم الإخراج عن الوقت يحرم تقديمها عنه عمدا * وثانيها أن الصلاة تجب أول الوقت وجوبا موسعا فله التأخير عن أوله إلى وقت يسعها ما لم يظن فوتها بشرط العزم على فعلها فيه ولا عصي بالتأخير كمن نام بلا غلبة بعد دخول الوقت وقبل فعلها حيث لم يظن الاستيقاظ قبل ضيق الوقت أو إيقاظ غيره له * وثالثها أن فضيلة أول الوقت تحصل بإستغاله بأسباب الصلاة كلها مرة وستر أول الوقت ثم يصلها *

الفوائد بغير عذر ﴿ وكما يحرم الإخراج ﴾ أي إخراج الصلاة ﴿ عن الوقت يحرم تقديمها عنه عمدا ﴾ فهو من الكبائر كما تقدم .
﴿ وثانيها ﴾ أي التنبهات الأربعة ﴿ أن الصلاة تجب أول الوقت ﴾ أي أول وقته المحدود شرعا ﴿ وجوبا موسعا ﴾ أي موسعا فيه فلا يجب فعل الصلاة بأول الوقت على الفور ويستمر ذلك إلى أن يبقى من الوقت قدر يسعها بأخف ممكن فيضيق حينئذ ﴿ فله التأخير عن أوله إلى وقت يسعها ما لم يظن فوتها ﴾ ولا يأنم بتأخيرها إلى آخره أن عزم في أوله على فعلها فيه كما قال ﴿ بشرط العزم على فعلها فيه ﴾ أي في الوقت وهذا عزم خاص ويجب عليه أيضا عزم عام وهو أن يعزم عقب البلوغ على فعل كل الواجبات وترك كل المعاصي كما صرح بذلك ابن قاسم في الآيات البيّنات ﴿ والا ﴾ يعزم على ذلك الفعل ﴿ عصي بالتأخير ﴾ وإن أخرها مع العزم على ذلك ومات في أثناء الوقت وقد بقي منه ما يسعها قبل فعلها لم يعص بخلاف الحج فانه موسع ولكنه يأنم بالموت بعد التمكن من فعله ولم يفعله إذ لو لم يحكم بعصيانه لأدى إلى فوات معنى الوجوب وأما الصلاة فلها حالة أخرى يعصى فيها وهو إخراجها عن وقتها فإن غلب على ظنه موته في أثناء الوقت بعد مضي قدرها كان لزمه قود فطالبه ولي الدم باستقائه فامر الإمام بقلته تعينت الصلاة في أول الوقت فيعصى بتأخيرها عنه لأن الوقت تضيق عليه بظنه والشك هنا كالظن كما اقتضاء كلام النووي في التحقيق ثم لو لم يمت في أثناءه لم تصر بفعلها في باقيه قضاء ﴿ كمن نام بلا غلبة بعد دخول الوقت وقبل فعلها ﴾ أي الصلاة فإن غلب لا يحرم ولا يكره أيضا كما صرح به في النهاية ﴿ حيث لم يظن الاستيقاظ قبل ضيق الوقت ﴾ لعادة ﴿ أو إيقاظ غيره ﴾ أي غير النائم ﴿ له ﴾ أي للنائم .

* فروع * يستحب إيقاظ النائم للصلاة لاسيما إذا ضاق وقتها كذلك إذا رأى نائما أمام المصلين حيث قرب منهم بحيث يعد عرفا أنه سواء أدب أو في الصف الأول أو في محراب المسجد أو على سطح المسجد لا حاجز له أو نام وبعضه في الشمس وبعضه في الظل وبعد طلوع الفجر وقبل طلوع الشمس أو نام قبل صلاة العشاء أو بعد صلاة العصر أو خاليا في بيت وحده أو نامت المرأة مستلقية ووجهها إلى السماء أو نام رجل على وجهه منطبقا قال ابن العماد لو عصي النائم بالنوم كما إذا نام عند ضيق الوقت وجب عليه أن ينهيه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

﴿ وثالثها ﴾ أي التنبهات الأربعة أنه يسن تعجيل الصلاة لأول الوقت إذا تيقنه ولو عشاء لقوله ﷺ في جواب أي الأعمال أفضل الصلاة في أول وقتها رواه الدارقطني وقال الحاكم أنه على شرط الشيخين وعن ابن عمر مر فوعا الصلاة في أول الوقت رضوان الله وفي آخره عفوانه رواه الترمذي قال الشافعي رضي الله عنه إنما يكون للمحسنين والعفريشبه أن يكون للمقصرين و ﴿ أن فضيلة أول الوقت تحصل بإستغاله بأسباب الصلاة كلها ﴾ وأذان ﴿ وسر ﴾ للعودة وأكل لقم موخرة للخشوع كما قاله ابن حجر ﴿ أول الوقت ثم يصلها ﴾ ولا يكلف العجلة على خلف العادة ويحتمل مع ذلك شغل خفيف وكلم قصير وإخراج حدث يدافعه وتحصيل ماء ونحو ذلك وفي قول تأخير العشاء ما لم يجاوز وقت الاختيار أفضل لخبر الشيخين أنه ﷺ يستحب أن يؤخر العشاء قال الأذرعى وهذا هو المنصوص في أكثر كنهه الجديدة وقال في المجموع أنه أقوى دليلا انتهى قيل والحكمة في تأخيرها إلى وقت الاختيار لتكون وسط الليل بازاء صلاة

ورابعها أنه يندب تأخير الصلاة عن أول وقت لمن يتقن جماعة أثناءه وإن فحش التأخير ما لم يصدق الوقت وكذا لمن ظنّها إذا لم يفحش التأخير بحيث لا يزيد على نصف الوقت ولا يندب التأخير مطلقاً لمن شك فيها .

الظهر في وسط النهار والمشهور استحباب التعجيل عموم الأخاديت ولأنه هو الذي واطب عليه ﷺ وحمل بعضهم القولين على حالين فحيث قيل التعجيل أفضل أريد ما إذا خاف النوم وحيث قيل التأخير أفضل أريد ما إذا لم يخف ، ويستثنى من التعجيل الظهر فيسن الإبراد في شدة الحر إلى أن يصير للحيطان ظل يمشي فيه طالب الجماعة لخبر الشيخين إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة وفي رواية للبخاري بالظهر فإن شدة الحر من فيح جهنم أي هيجانها وانتشار طهيها أجارنا الله منها ولا تؤخر عن نصف الوقت على الصحيح وخرج بالصلاة الأذان وبالظهر غيرها من الصلوات ولو جمعة فلا يسن فيها الإبراد أبداً غير الجمعة فلنقد العلة المذكورة وأما الجمعة فلنخبر الصحيحين عن سلمة كما نجتمع مع رسول الله ﷺ إذا زالت الشمس ولأن الناس مأمورون بالتبكير إليها فلا يتأدون بالحر فإن قيل ورد في الصحيحين أنه ﷺ كان يبردها أجيب بأنه فعله بياناً للجواز جمعاً بين الأدلة مع أن الخبر رواه الاسماعيل في صحيحه في الظهر فتعارضت الروايتان فيعمله بخبر سلمة لعدم المعارض والأصح اختصاص الإبراد ببلد حار وجماعة نحو مسجد يقصدونه من بعد ويمشون إليه في الشمس فلا يسن الإبراد في غير شدة الحر ولو بقطر حار ولا في قطر معتدل أو بارد وإن اتفق فيه شدة الحر ولا ينعى منفرداً أو جماعة بيته أو بمحل حضره جماعة لا يأتهم غيرهم أو يأتهم غيرهم من قرب أو بعد لكن يجد ظلاً يمشي فيه إذ ليس في ذلك كبير مشقة نعم الإمام الحاضري في المسجد الذي يقصده الجماعة من بعد يسن له الإبراد اقتداء به ﷺ .

﴿ورابعها﴾ أي التنبهات الأربعة وهذا آخرها ﴿أنه﴾ أي الحال والشأن ﴿يندب تأخير الصلاة عن أول الوقت لمن يتقن﴾ وجود ماء أو ستر أو قدرة على القيام أو ﴿جماعة أثناءه﴾ أي الوقت ﴿وإن فحش التأخير﴾ ولمن اشتبه عليه الوقت في يوم غيم حتى يتقنه أو يظن فواته إن أخره ولدائم الحدث إذا رجا الانقطاع وللواقف بعرفة فيؤخر المغرب وإن كان نازلاً وقتها ليجتمع مع العشاء بمزدلفة إذا كان سفره سفر قصر وللمعذور في ترك الجمعة فيؤخر الظهر إلى اليأس من الجمعة إذا أمكن زوال عذره ولمن يرعى الجمار ولمسافر ساثر وقت الأولى وندبه ﴿ما لم يصدق الوقت﴾ أي مدة عدم ضيق الوقت فإن ضاق الوقت بان بقي منه ما لا يسع الصلاة كاملة فلا يندب بل يحزم ﴿وكذا﴾ يندب تأخيرها ﴿لمن ظنّها﴾ أي الجماعة ﴿إذا لم يفحش التأخير﴾ وذلك ﴿بحيث لا يزيد﴾ أي التأخير ﴿على نصف الوقت﴾ فإن فحش بحيث يزيد على ما ذكر فلا يندب ﴿ولا يندب التأخير مطلقاً﴾ أي سواء فحش التأخير أولاً ﴿لمن شك فيها﴾ أي في جماعة .

* ثمة * من وقع بعض صلاته في الوقت وبعضها خارجه فالأصح أنه ان وقع في وقتها ركعة أو أكثر فالجميع أداء الخبر من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة أي مؤداة والا بأن وقع فيه دون ركعة فقصاء كلها لفهم الخبر المأراذ مفهومه أن من لم يدرك ركعة لا يدرك الصلاة مؤداة ولا شتمال الركعة على معظم أفعال الصلاة وغالب ما بعدها كالتكرير لما قبلها فكان تابعاً لها والمراد بالركعة تحصيل جميعها بسجودتيها ومن كان لو اقتصر على أركان الصلاة أدركها ولو حافظ على سنتها فات بعضها فالإتيان بالسنة أفضل كما أفتى به البنوي وحزم به صاحب الأنوار وهو المعتمد ومن جهل الوقت لغيم أو حبس في مكان مظلم أو نحوهما اجتهد بما يغلب على ظنه دخوله برود ونحو كصوت ذلك جرت أصابته للوقت وجوبا إن عجز عن اليقين وجوازا إن قدر عليه هذا كله إن لم يخبره ثقة عن مشاهدة فان أخبرها عن علم امتنع عليه الاجتهاد كوجود النص لانه خبر من أخبار الدين فرجع فيه الاجتهاد إلى قول الثقة كخبر الرسول ولا فرق بين

﴿فصل في أحكام الصلاة﴾ شروطها ستر

الأعمى والبصير في ذلك إى الاجتهاد والعمل بقول الثقة ومقتضى كلام الروضة العمل بقول المخبر عن علم ولو أمكنه هو العلم بخلاف القبلة وفرق بينهما بذكر الأوقات فيعسر العلم كل وقت بخلاف القبلة فانه اذا علم عينها مرة واحدة اكفى به بقية عمره مادام مقيما بمحلها فلا عسر ومن قدر على الاجتهاد لم يقلد مجتهدا لأن المجتهد لا يقلد مجتهدا نعم لأعمى البصر والبصيرة تقلد بصير ثقة عارف بدخول الوقت وأذان العدل العارف بالمواقيت في الصحراء كالأخبار عن علم وله تقليده في الغيم لانه لا يؤذن عادة الا في الوقت ولو صلى من غير اجتهاد لزمه الاعادة سواء تبين أن صلاته في الوقت أو لا لتركه الواجب ويلزم المجتهد التأخير الى أن يغلب على ظنه دخوله وتأخيرها الى خوف الفوات أفضل ويجوز للمنجم والحاسب العمل بمعرفتهما بل يجب عليه ذلك كما قاله ابن قاسم وليس لأحد تقليدهما فيه قاله في النهاية نعم في الصوم أن لغيره العمل به فيتحمل مجتهدا وان يفرق بأن أمارات دخول الوقت أكثر وأيسر من أمارات دخول رمضان كما نقله ابن قاسم عن ابن حجر والأقرب عدم الفرق فإن المدار على ما يغلب على الظن دخول الوقت وهو حاصل حيث اعتقد صدقه ثم رأيت الرملي صرح به في فتاويه والحاسب من يعتمد منازل القمر وتقدير سيره والمنجم من يرى أن أول الوقت طلوع النجم الفلاني فان صلى باجتهاد ثم يتقن أن صلاته وقعت قبل الوقت أو بعضها ولو تكثيره الاحرام قضاهما في الاظهر لفوات شرطها وهو الوقت ومقابلته لا قضاء اعتبارا بما في ظنه وان لم يتقن وقوعها قبل الوقت بان لم ين الحال أو بان وقوعها فيه أو بعده فلا قضاء عليه والواقعة بعده قضاء لكن لا اثم فيها وينبغي كما قاله الشبرايملي أنه اذا فات بعذر وكان عزمه على الفعل وإنما تركه لقيام العذر به حصل له ثواب على العزم يساوى ثواب الاداء أو يزيد عليه .

﴿فصل في أحكام الصلاة﴾ من شرائط وفرائض وسنن وغيرها والمراد بالأحكام المحكوم بها وهي الأمور المطلوب فعلها أو تركها في الصلاة طلبا جازما أو غير جازم وطلب الفعل الجازم في الأركان والشروط وغير الجازم في السنن وأما طلب الترك غير الجازم ففي المكروهات . ﴿شروطها﴾ ستة جمع شرط بسكون الراء وهو لغة الزام الشيء والتزامه لا العلامة وان عبر بها بعضهم فانها انما هي معنى الشرط بالفتح والالزام من جهة الشارط والالتزام من جهة المشروط عليه فالشارع ألزم المكلف اذا اراد الدخول في الصلاة أن يكون متطهرا مثلا والمكلف التزم ذلك ويطلق أيضا على تعليق أمر بأمر يقع كل منهما في المستقبل ك تعليق الشارع صحة الصلاة على نحو الطهر وتعليق طلاق الزوجة على الدخول بالدار واصطلاحا ما توقف عليه صحة الصلاة وليس منها وهذا تعريف لشرط الصلاة خاصة أما تعريفه من حيث هو اصطلاحا فهو ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته أول السنة ﴿ستر﴾ العورة عن العيون ولو كان خاليا أو في ظلمة مجرم ظاهر بمنع رؤية لوى البشرة وذلك لاجتماعهم على الامر به فيها والامر بالشيء نهى عن ضده وهو هنا يقتضى الفساد لقوله تعالى خذوا زينبتكم عند كل مسجد قال ابن عباس المراد به الثياب في الصلاة وفي اطلاق الزينة على الثياب اطلاق اسم الحلال على الحلل وفي اطلاق المسجد على الصلاة اطلاق اسم الحلل على الحال لوجود الاتصال الذاتي بين الحال والحلل لان أخذ الزينة وهي عرض حال فأريد محلها وهو الثوب مجازا ولما صح من قوله ﷺ لا يقبل الله صلاة حائض اى بالغة الانحمار اذا الحائض من حيضها لاتصح صلاتها بخمار ولا غيره وظاهر أن غير البالغة كالبالغة لكنه قيد بها جريا على الغالب من أن الصلاة من النساء لاتكون غالبا الا من البالغات وحكمة وجوب الستر فيها ما جرت به عادة فريد التمثيل بين يدي كبير من التجميل بالستر والتطهير والمصلى يريد التمثيل بين يدي ملك الملوك والتجميل له بذلك أولى .

رجل وأمة ما بين سرة وركبة وحره غير وجه وكف من الأعلى والجوانب بما لا يحكى اللون إن قد روا عليه

ويجب سترها في غير الصلاة أيضا لما صح من قوله ﷺ لا تمتشوا عراة وقوله عليه الصلاة والسلام الله أحق أن يستحي منه قائل الزركشي والعورة التي يجب سترها في الخلوة السوانان فقط من الرجل وما بين السرة والركبة من المرأة عليه الامام واطلاقهم محمول عليه انتهى وظاهر أن الخنثى كالمراة وفائدة السر في الخلوة مع ان الله تعالى لا يحجبه شئ فيرى المستور كما يرى المكشوف أنه يرى الاول نادبا والثاني تاركا للأدب فان دعت حاجة الى كشفها لاغتسال أو نحوه جاز بل صرح صاحب الذخائر بجواز كشفها في الخلوة لأدنى غرض ولا يشترط حصول الحاجة وعد من الاغراض كشفها لتبريد وصيانة الثوب عن الأدناس والغبار عند كس البيت ونحوه نعم لا يجب سترها عن نفسه في غير الصلاة وانما يكره نظره اليها من غير حاجة أما فيها فواجب فلورأى عورة نفسه في صلاته بطلت والعورة لغة التقصان والشئ المستقبح ويسمى ما بين سرة الرجل وركبة عورة لتبج ظهوره وتطلق شرعا على ما يجب ستره في الصلاة وهو المراد هنا وعلى ما يحرم النظر اليه وهو المراد في النكاح وعورة ﴿رجل﴾ اى ذكر ولو كانا فرا أو عبدا أو صبيا وان لم يكن ميمزا وتظهر فائدته في طوافه إذا احرم عنه وليه ﴿و﴾ كذا ﴿أمة﴾ مدبرة أو مكاتبة أو مبعوضة أو أم ولد ﴿ما بين سرة وركبة﴾ في الأصح الحاقا لها بالرجل بجامع أن رأس كل منهما ليس بعورة أما نفس السرة والركبة فليستا منهما لكن يجب ستر بعضهما ليحصل سترها والثاني عورتها كالحره الا رأسها اى عورتها ما عبدا وجهها وكفيها ورأسها وذلك لما روى الحرث بن أبى اسامة عن أبى سعيد الخدرى ؓ أن النبى ﷺ قال عورة المؤمن ما بين سرتة الى ركبته وقيد به لأنه الممثل للأوامر فلا ينافى أن الكافر كذلك ولخبر اليهودى اذا زوج احدكم أمته عبده أو أجيده فلا تنظر اى الامة الى عورته والعورة ما بين السرة والركبة وهذا من تمة الحديث وهو محل الاستدلال ﴿و﴾ ستر ﴿حره﴾ ولو صغيرة ميمزة أو غيرها ﴿غير وجه وكف﴾ ظاهرا وباطنا وحد الكفين كائن الى الكوعين وذلك لقوله تعالى ولا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها قال ابن عباس وغيره هو الوجه والكفان ولأنهما لو كانا عورة في العبادات لما وجب كشفهما في الاحرام ولأن الحاجة تدعو الى ابرازهما .

واعلم أن للحره أربع عورة فعند الأجانب جميع البدن وعند المحارم والخلوة ما بين السرة والركبة وعند النساء الكافرات ما لا يبدو عند الممته وفي الصلاة جميع بدنها ما عبدا وجهها وكفيها ويجب الستر ﴿من الأعلى والجوانب﴾ لا من الأسفل فلورثت العورة من ذيله كان كان بعلو الرزية بسفل لم تنضر اورثت حال سجوده فكذلك لا تنضر ثقله بعضهم عن ابن حجر ويكون الستر ﴿بما﴾ اى يحرم ﴿لا يحكى اللون﴾ اى لون البشرة بمعنى لا يصفه الناظر من ورائه لاحجمها فلا يكفى ثوب رقيق ولا مهمل التسج لا يمنع ادراك اللون ولا زجاج يحكى اللون لأن مقصود الستر لا يحصل بذلك أما ادراك الخبج فلا يضر لكبه للمرأة منكروه وللرجل خلاف الاول قاله الماوردى وغيره واشترط ستر العورة ﴿ان قد روا﴾ اى الرجل والحره والأمة ﴿عليه﴾ اى الستر أما العاجز عما يستر العورة بأن لم يجد ما يستره فيصلى عاريا ويتم ركوعه وسجوده ولا يعلد تعليه لأنه عذر عام ربما اتصل ودام ولا يجب عليه ان يضع ظهر كفه على قبله والآخر على دبره .

* فروع * لو وجد بعض سرة لزمه التستر به فان كفى سواتيه ولو مع زيادة لزمه البدأة بالسوانين لأنهما أغلظ من غيرهما ولأن غيرهما كالتابع وان كفى أحدهما لزمه البدأة بستر القبل ذكرنا او غيره ثم الدبر لأنه يتوجه بالقبل القبلة فبستره اهم تعظيما ولأن الدبر مستور غالبا بالاليتين بخلاف القبل والخنثى المشكل يبدأ رجوبا بما شاء من قبله اذا وجد كافى أحدهما والاولى ان يستر ذكره عند المرأة وفرجه عند الرجل وانها شاء عند الخنثى قاله الأسنارى وليس للعارى غصب الثوب ويجب عليه قبول عارية وإن لم يكن للمعبر غيره وقبول

وتوجه للقبلة إلا في صلاة شدة الخوف ونقل سفر مباح

هبة الطين ونحوه لا قبول هبة الثوب لثقل المنة وإن وجد ثمن الثوب أو الماء قدم الثوب وجوزاً لدوام النفع به ولأنه يجب تحصيله للصلاة وللصون عن العيون ولأنه لا بدل له بخلاف ماء الطهارة ويستحب للرجل أن يلبس للصلاة أحسن ثيابه ويتقصد ويتعمم ويتطيلس ويرتدي فيتزأ ويتسرول لأنه يرند التمثل بين يدي الله فتجمل بذلك فإن اقتصر على ثوبين قميص مع رداء أو أزار أو سراويل أولى من رداء مع أزار أو سراويل وبالجملة فالمستحب أن يصلي في ثوبين لظاهر قوله تعالى خذوا زينكم عند كل مسجد والثوبان أهم الزينة والخبر إذا صلى أحدكم فليلبس ثوبين فإن الله أحق أن يزين له فإن لم يكن له ثوبان فليزأ إذا صلى ولا يشتمل اشتعال اليهود رواه البيهقي ثم إن اقتصر على واحد فالأولى قميص لأنه أسهل للبدن ثم رداء ثم أزار ثم سراويل وإنما كان الأزار أولى لأنه يتجافى عنه ولا يتين منه حجم أعضائه بخلاف السراويل ويختلف بازاره إن اتسع ويخالف بين طرفيه والابان ضاق أتزره به وجعل شيامنه على عاتقه لخبر الصحيحين عن جابر رضي الله عنه إذا صليت وعليك ثوب واحد فإن كان واسعاً فالتحف به وإن كان ضيقاً فأتزر به ولفظ مسلم فإن كان واسعاً فخالف بين طرفيه وإن كان ضيقاً فاشدده على مقبوك وفي الصحيحين خبر لا يصلي أحدكم في الثوب الواحد ليس على عاتقه منه شيء قال في المذهب وشرحه فإن لم يجد ثوباً يجعله على عاتقه جعل حبلًا حتى لا يخلو من شيء ويكره ترك ذلك ويستحب للمرأة في الصلاة قميص سابغ لجميع بدنها وخمار وجلباب كيف فوق ثيابها يتجافى عنها ولا يبين حجم أعضائها والخش كإمرأة قاله في المطلب كذا في الروض وغيره .

﴿ثانيها﴾ توجيه ﴿بالصدر﴾ لا بالوجه فاللغات به مكروه فقط والتوجه بالصدر محله في القيام والقعود أما في الركوع والسجود فمعظم البدن وهذا في حق القائم أو القاعد أما المضطجع فيجب بالوجه ومقدم البدن والمستلقي فكذلك مع أخمضه ويجب رفع رأسه قليلاً إن أمكن في الكعبة وهي سقوفة ﴿للقبلة﴾ أي لعينها يقينا في القرب وظناً في البعد لوجهها على الصحيح لخبر أنه ﷺ صلى ركعتين في وجهها وقال هذه القبلة وأما خبر ما بين المشرق والمغرب قبله فمحمول على أهل المدينة ومن دنا منهم والأصل في اشتراط التوجه لها قبل الإجماع قوله تعالى قول وجهك شطر المسجد الحرام أي نحوه والتوجه لا يجب في غير الصلاة فيتعين فيها وخبر مسلم إذا قامت إلى الصلاة فاسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة وكبر ﴿الافني﴾ حق العاجز عنه كمرض لا يجد من يوجهه للقبلة ومربوط على خشية ومشرف على الغرق إذا كان على لوح وخاف من الاستقبال الغرق ورأى الدابة إذا خاف من نزوله عنها على نفسه أو ناله أو انتطاعاً عن رفقة فيصلي بحاله وبعد لندرة عذره فلو أمكنه أن يصلي إلى القبلة قاعداً أو إلى غيرها قائماً وجب الأول لأن فرض القبلة أكد من فرض القيام بدليل سقوطه في النفل مع القدرة من غير عذر كما نقله بعضهم عن الزملي والافني ﴿صلاة شدة الخوف﴾ ولو فرضا في قتال مباح كقتال المسلمين للكفار وقاتل العدل للبغي وما ألحق به كهروب من حريق وسيل وسبع وحية فيصلي كيف أمكنه ما شأوا ركباً مستقبلاً أو مستدبراً ومن الخوف المحذور لترك التوجه كما قاله الشرفاوي خوفاً من فوات الوقت والحال أنه في أرض مغصوبة فله أن يحرم ويتوجه للخروج ويصلي بالأيام ويجب عليه القضاء للتقصير ﴿و﴾ الافي اشتباه قبله فاذا تحير الجتهد لفهم أو غيره من تعارض الأدلة أو لم يجد العاجز من يقلده يصلي بحاله لجرمة الوقت ويعيد لأنه عذر نادراً قاله شيخ الإسلام وغيره والمعتمد أنه لا يصلي إلا عند ضيق الوقت ما لم يبرح زوال التحير والأصلي من أوله كما قد الظهورين قاله الشرفاوي والافي ﴿نقل سفر مباح﴾ ولو قصيراً فلا يشترط فيه التوجه بل يصلي إلى صواب مقصده لا يتابع في الراكب رواه الشيخان وقيس به الماشي ولأن الناس محتاجون إلى الأسفار فلو شرطنا فيها الاستقبال للنفل لأدى إلى ترك أورادهم أو مصالح معاشهم ففي جواز تركه إعاقة على الجميع بين مصلحتي المعاشي والمعاد وخرج بالمباح سفر المعصية فلا

ومعرفة دخول وقت ولو ظنا

يجوز ترك القبلة في النفل. لا بقر ومسافر عليه دين حال قادر عليه من غير إذن دأته ثم ان كان المسافر راكبا وأمكنه التوجه في جميع صلاته وأتم ركوعه وسجوده لزمه ذلك والا فالأصح أنه ان سهل عليه التوجه وجب في التحريم فقط والا فلا يكفيه أن يؤم بركوعه وسجوده أخفض وان كان ماشيا لزمه إتمام ركوعه وسجوده والتوجه فيهما وفي إحرامه وجلسه بين السجدين ولا يمشی الا في قيامه واعتداله وتشهده وسلامه وخرج بالسفر الحضر فلا يجوز وان احتج فيه الى التردد كالسفر لعدم وروده وخرج بالنفل الفرض ولو منذورا أو كحائيا قال في المنهج ولو صلى فرضا على دابة واقفة وتوجه وأتمه جاز والا فلا انتهى ومثل الواقعة السائرة اذا كان زمامها يميز بضبطها ﴿و﴾ ثالثها ﴿معرفة دخول وقت﴾ يقيناً بل ﴿ولو ظنا﴾ اي ناشأ عن اجتهاد بان اجتهاد لنحو غيم وعلى هذا فالمراد بالمعرفة هنا مطلق الادراك ليصح جعلها شاملة لليقين والظن والافحقيقها الادراك الجازم وهو لا يشمل الظن فمن صلى بدونها لم تصح صلاته وان وقعت في الوقت لأن الاعتبار في العبادات بما في ظن المكلف وبما في نفس الأمر فقط .

* تمة * اذا أردت بيان الوقت الذي تجب معرفة فاقول لك أول الوقت في الظهر زيادة الظل بعد انتهاء الشمس الى وسط السماء أو حدوثه بعد ذلك ان لم يبق عنده ظل وذلك يتصور في بعض البلاد كمكة وصنعاء اليمن في أطول ايام السنة وجميع وقته اختيار الى ان يصير ظل الشيء مثله غير الظل الموجود عند الاستواء ان كان ظل واعتبر المثل بقامتك أو غيرها قال العلماء وقامة الانسان ستة أقدام ونصف بقدم نفسه وما ذكر من أن الجميع وقت اختيار صحيح وتحريره ما في المجموع حيث قال قال الأكرث وللظهر ثلاثة أوقات وقت فضيلة اوله ووقت اختيار الى اخره ووقت عذر وقت العصر لمن يجمع .

وقال القاضى لها اربعة أوقات وقت فضيلة اوله الى ان يصير ظل الشيء مثل ربه ووقت اختيار الى ان يصير مثل نصفه ووقت جواز الى آخره ووقت عذر وقت العصر لمن يجمع ولها أيضا وقت ضرورة ووقت جرمة وهو آخره بحيث لا يسعها ولا عذر ويجوز ان في سائر أوقات الصلوات .

ثم بعد مصير ظل الشيء مثله غير ما ذكر لا يدخل وقت العصر لا بحدوث زيادة فاصلة بينه وبين وقت الظهر وأما قول الشافعى فاذا جاوز ظل الشيء مثله بأقل زيادة فقد دخل وقت العصر فليس مخالفاً لذلك بل يحمل على أن وقت العصر لا يكاد يعرف الا بها وهي منه ويمتد وقته الى الغروب لخبار جبريل المشهور مع خبر الصحيحين من أدرك ركعة من الصبح قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح ومن أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر والاختيار من أول وقت العصر يمتد الى مصير ظل الشيء مثله غير ظل الإستواء .

وقت المغرب بسقوط قرص الشمس وان بقي الشعاع في الصحاري وهو القوس المستعلى وذهابه عن اعلى الخيطان والجبال دليل لسقوط القرص في العمران والجبال ويبقى وقت المغرب قدر زمن أذان واقامة وخمس ركعات وسطا مع شروط الصلاة كالطلب الخفيف في التيمم والوضوء والغسل ومع السنن المطلوبة لها ولشروطها كعمم وتقص وتثليث بلا اسراع ومع كسر حدة جوع بلقم فان أحرم بها فله مدها بطويل في القراءة وغيرها الى دخل وقت الغشاء كثيرها وان كان وقتها ضيقاً ولأنه ﷺ كان يقرأ فيها بالأعراف في الركعتين كتبهما رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين وفي البخارى نحوه وقراءته لها تقرب من مغيب الشفق لتدبره لها .

ومعرفة كيفية الصلاة بأن يعرف فرضيتها ويميز فرائضها من سنتها إلا في حق العامي إذا لم يقصد النفل بما هو فرض وطهارة عن حدث وطهارة بدن ومعرفة كيفية الصلاة بأن يعرف فرضيتها ويميز فرائضها من سنتها إلا في حق العامي إذا لم يقصد النفل بما هو فرض وطهارة عن حدث وطهارة بدن وملبوس

والقديم وهو المختار في التحقيق وغيره والضوابط في الروضة والأظهر في المنهاج والصحيح في المجموع وغيره استداد وقت المغرب إلى مغيب الشفق الأحمر وذلك أول وقت العشاء ومن لا عشاء لهم بأن يكون بينا لا يغيب فيها شفقهم قدرون قد رما يغيب فيه الشفق بأقرب البلاد إليهم كعادم القوت الجزئي في الفطرة ببلده والاختيار يمتد إلى ثلث الليل والجواز مع الكراهة إلى الفجر الصادق وذكر في المجموع للعشاء أربعة أوقات الوقآن المذكوران ووقت فضيلة أول الوقت ووقت عذر وقت المغرب لمن يجمع .

والفجر الصادق أول وقت الصبح ويمد إلى طلوع الشمس والاختيار يمتد إلى الاستقار وله وللصلاة أربعة أوقات الفضيلة وهي أوله ثم الاختيار إلى الاسفار في الصبح وإلى مصير ظل الشيء مثله في العصر ثم الجواز بالكراهة إلى الحمرة التي قبل طلوع الشمس والصفرة التي قبل غروبها ثم الجواز بالكراهة وهي وقت الاصفرار منهما أي من وقتي الصبح والعصر وقت عذر وهو وقت الظهر لمن يجمع وخرج بالصادق الكاذب وهو ما يطلع مستطيلاً بأعلاه ضوء كذب السرحان وهو الذنب ثم يذهب وتعبه ظلمة غالباً ثم يطلع الفجر الصادق منشراً وسمى الأول كاذباً لأنه يضيء ثم يسود ويذهب والثاني صادقاً لأنه يصدق عن الصبح وبينه وصلاة الصبح نارية لآية كلاً واشربوا حتى تبن لكم الخيط الأبيض والاختيار الصحيحة في ذلك وهي عند الشافعي والأصحاب الصلاة الوسطى لآية حافظوا على الصلوات إذا لقنوت إلا في الصبح والخبر مسلم قالت عائشة لمن يكتب لها مصحفاً كتب والصلاة الوسطى وصلاة العصر ثم قالت سمعتها من رسول الله ﷺ إذ العطف يقتضي التغاير قال النووي عن صاحب الحاوي الكبير صحت الأحاديث أنها العصر كخبر شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ومذهب الشافعي اتباع الحديث فصار هذا مذهبه ولا يقال فيه قولان وقال في شرح مسلم الأصح أنها العصر كما قاله الماوردي .

﴿و﴾ رابعها ﴿معرفة كيفية الصلاة﴾ هذا كما قاله الشرقاوي شرط لكل عبادة فكان الأولى إسقاطه ﴿و﴾ بأن يعرف فرضيتها أي كونها فرضاً وهذا لا بد منه في حق العامي وغيره وأما تمييز الفرائض عن السنن فيتحالفان فيه كما أشار إلى ذلك بالأستثناء ﴿و﴾ أن ﴿يميز فرائضها من سنتها﴾ إلا في حق العامي إذا لم يقصد النفل بما هو فرض ﴿فيغتر عدم التمييز من العامي في صورة الإطلاق وكذا لو اعتقد أن كلها فرض أو بعضها فرض وبعضها سنة ولم يميز ولم يقصد بفرض معين نفلاً والمراد بالعامي من لم يحصل طرفاً من الفقه يهتدى به إلى باقيه ويستفاد من كلام المجموع تبعاً للغزالي أن المراد به هنا من لم يميز فرائض صلاته من سنتها وإن العالم من يميز ذلك وحينئذ فإدعى عليه أن اشتراط معرفة الكيفية في حق العالم تحصيل الحاصل إذ لا معنى لاشتراط معرفة العارف قاله الشرقاوي قد يقال المراد الثاني فمن شأنه تمييز ذلك بأن تأهل له فعالم ومن لا فعاليه ويستقر الثاني دون الأول فلا اعتراض .

﴿و﴾ خامسها ﴿طهارة عن حدث﴾ أكبر أو أصغر فلو صلى بدونها ولو ناسياً لم تصح صلاته إلا فاقد الطهورين الماء والتراب فيصلى بحاله وجوباً للفرض لحمة الوقت ويعيد إذا وجد أحدهما وإنما يعيد بالتراب بمحل يسقط فيه فرضه بالتميم .

﴿و﴾ سادسها ﴿طهارة بدن﴾ حتى داخل أنفه أو عينه أو أذنه فلو أكل متنجساً لم تصح صلاته ما لم يغسل فيه لفظ أمر النجاسة ﴿وملبوس﴾ من ثوب وغيره من كل محمول له وإن لم يتحرك بحركته وملاق ذلك ولا يضر نجس يحاذيه لعدم ملاقاته له فصار كما

ومكان عن نجس لا عن دم نحو برغوث ودمل وحجم وإن كثر بغير فعله ولا عن قليل دم أجنبي غير نحو كلب ودم نحو حيض ولا عن روث وبول نحو خفاش وإن كثر

لو صلى على بساط طرفه نجس أو مفروش على أرض نجسة فإن صلاته تصح لكن إذا عرق قدمه فالتصق بالبساط المذكور وصار متعلقا به عد خاملا له فتبطل صلاته إن لم يفصله عنه نعم تكره الصلاة مع غاظة النجس كاستقبال متنجس أو نجس ولو حبس بمحل نجس صلى وتخافى عنه قدر ما يمكنه ولا يجوز له وضع جبهته ولا غيرها من أعضاء السجود على الأرض بل يتحنى بالسجود إلى قدر لو زاد عليه لاقتى النجس ثم بعيد ولو تعلق به في صلاته صبى أو هرة لم يعلم نجاسة متفد هما لم تبطل صلاته نظرا للأصل من الطهارة فإن علم نجاسة متفد هما ثم غابا زمنًا يمكن فيه غسله فهو باق على النجاسة فتبطل الصلاة بتعلقهما بالمصلى ولا يحكم بنجاسة ما أصاب متفد هما المذكور كالهرة إذا أكلت فأرة ثم غابت غيبة يمكن طهر فيها ﴿ومكان﴾ للصلاة ﴿عن نجس﴾ غير معفو عنه فلا تصح الصلاة معه ولو ناسيا أو جاهلا وجوده أو كونه مبطلا لأن الطهر عن النجس من قبيل الشروط وهي من باب خطاب الوضع الذي لا يؤثر فيه الجهل أو النسيان قاله ابن حجر واعترض بأن الموانع أيضا من ذلك الباب ويؤثر فيها النسيان فالأولى أن يقال أن الشروط من باب المأمورات فلا يؤثر فيها النسيان بخلاف الموانع فإنها من باب المنهيات والنسيان يؤثر فيها .

و ﴿لا﴾ يشترط الطهارة ﴿عن دم نحو برغوث﴾ مما لا نفس له سائلة كبعوض وقمل وحيتنذ يعنى عن الدم المذكور في ملبوسه ولومع رطوبة بدنه من عرق ونحوه أو وضوء أو غسل ولو للبرد أو التنظيف أو ما يتساقط من الماء حال شربه أو من الطعام حال أكله أو بصاقه في ثوبه وغير ذلك مما يشق الاحتراز عنه وخرج بدم البرغوث جلده فلا يعنى عنه في بدن وثوب ﴿و﴾ دم نحو ﴿دمل﴾ كثيرة وخرج وقبحه وصدیده ﴿و﴾ دم ﴿حجم﴾ وفصد من نفسه قل أو كثر ﴿وإن كثر﴾ الدم أو القيح أو الصديد فيهما وأتشر الدم وجاوز البدن إلى الثوب بعرق ونحوه أو فحش الدم الأول بحيث طبق الثوب الملبوس ويعنى عن كثيره حال كونه حاصلا له ﴿بغير فعله﴾ وبأن لا يجاوز محله فإن جاوزه عفى عن قليله فقط فإن كثر بفعله قصدا فلا يعنى إلا عن القليل على الأصح وحل العفو هنا وفيما يأتي بالنسبة للصلاة ونحوها لا انحوائه أو ماء قليل فلو وقع الملوث بذلك فيهما نجسهما حيث لم يحتج له فلو أدخل يده لأخرج ما في الأناء أو الأكل منه وهي ملوثة بذلك لم يضر بل يعنى عنه أن كان ناسيا وإن كان عامدا لم يعف عنه بل ينجس ما أصابه وهذا هو الذي اعتمدته العلامة الحنفى خلافا لمن أطلق العفو .

﴿ولا﴾ يشترط ذلك ﴿عن قليل دم أجنبي غير نحو كلب﴾ من خنزير بخلاف كثيره فلا يعنى عنه ومن الأجنبي دم انفصل من بدنه ثم عاد إليه فيعفى عن قليله دون كثيره ومثل ذلك كما قاله الكردي ما جاوز محله من دم الفصد والحجامة ﴿و﴾ قليل ﴿دم نحو حيض﴾ ورعاف كما في المجموع ويقاس بهما دم خارج من سائر المنافذ كالعين والأنف والأذنين إلا الخارج من معدن النجاسة كمحل الغائط فلا يعنى عنه أصلا والضابط في القلة والكثرة العرف فمأعده قليلا فهو قليل وماعده كثيرا فهو كثير وقل الكثير ما بلغ حدا يظهر للنظر من غير تأمل وإمعان وقيل أنه ما زاد على الدينار وقيل أنه قدر الكف فصاعدا وقيل ما زاد عليه وقيل ما زاد على الظفر ﴿ولا عن روث وبول وخفاش﴾ بضم الخاء وفتح الفاء المشددة أى الرطوبات فيعنى عنهما في المكان والثوب والبدن وكذا ونيم الذباب وبوله وحل استحماره ﴿وإن كثر﴾ أى الروث والبول فلا فرق في ذلك بين كثيره وقليله ومثله أيضا لافرق بين رطبه وباسبه كما في التحفة .

ويعنى عن ذرق طيور في المسجد وإن كثرت ما لم يتعمد ملاقاته من غير حاجة ولم يكن هو أو مماسه رطباً ﴿وفروضها﴾ نية فعلها مع تعيين ذات وقت أو سبب ومع نية الفرض فيه كأصلي فرض الظهر

﴿ويعنى عن ذرق طيور في المسجد وإن كثرت ما لم يتعمد ملاقاته من غير حاجة ولم يكن هو﴾ أى ذرق الطيور ﴿أو مماسه رطباً﴾ وكذا يعنى في فراشه على الأوجه إن كان جافاً ولم يتعمد ملامسته ومع ذلك لا يكلف تحرى غير محله لا في الثوب مطلقاً على المتمد قاله في التحفة ولما تكلم المصنف رحمه الله على الشروط شرع بتكلم على الفروض فقال .

﴿وفروضها﴾ أى الصلاة أى أركانها أربعة عشر يجعل الطمأنينة في محالها ركناً واحداً أحدها ﴿نية﴾ المصلي بالقلب والأصل فيها قوله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين قال الماوردي والاخلاص في كلامهم النية وقوله ﴿انما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى﴾ وأجمعت الأمة على اعتبار النية في الصلاة وجعلها الغزالي شرطاً قال الرافعي لأنها تتعلق بالصلاة فتكون خارجة عنها ولا تعلق نفسها أو افرقت إلى نية أخرى قال والأظهر عند الأكثرين ركنيتها ولا يبعد أن تكون من الصلاة وتعلق بما عداها من الأركان أى لا بنفسها أيضاً ولا تنقصر إلى نية ولك أن تقول يجوز تعلقها بنفسها أيضاً كما قاله المتكلمون كل صفة تتعلق بما لا يؤثر بحوز تعلقها بنفسها وبغيرها كالعلم والنية وإنما لم تنقصر إلى نية لأنها شاملة لجميع الصلاة فتحصل نفسها وبغيرها كاشاة من أربعين فانها تركى نفسها وبغيرها قاله في شرح الروض .

قال الرافعي ثم النية في جميع العبادات معتبرة بالقلب فلا يكفي النطق مع غفلة القلب ولا يضر عدم النطق ولا النطق بخلاف ما في القلب كما إذا قصد الظهر وسبق لسانه إلى العضر وحكى صاحب الانصاح وغيره عن بعضهم أنه لا بد من التلفظ باللسان لأن الشافعي رحمه الله قال الحاج لا يلزمه إذا أحرم ونوى بقلبه أن يذكر بلسانه فليس كالصلاة التي لا تصح إلا بالنطق قال الجمهور لم يرد الشافعي اعتبار اللفظ بالنية فانما أرد التكير فان الصلاة إنما تنعقد بلفظ التكير وفي الحاج يصير محرماً من غير لفظ انتهى وبدأ المصنف رحمه الله بالنية لأن الصلاة لا تنعقد إلا بها ويشترط فيها الجزم فلو أعقبها بلفظ إن شاء الله أو نواه فان قصد فيهما التبرك أو أن الفعل واقع بالمشيئة لم يضر والتعلق أو أطلق ضر وكذا كل ما يجب فيه النية ويجب فيها قصد ﴿فعلها﴾ أى الصلاة أى إيقاعها فلا يكفي إحضارها في الذهن مع الغفلة عن فعلها لانه هو المطلوب وذلك لتمييز عن بقية الأفعال وأما المقيد بوقت أو سبب فلا بد ﴿مع﴾ نية فعل الصلاة من ﴿تعيين﴾ صلاة ذات وقت ﴿كسنة الظهر مثلاً لتمييز عن غيره والتعيين﴾ إما بما اشتهر به أو بما لاضافة كسنة الظهر القبليّة وينوي في الجمعة قبلتها وبعديتها ولا يجب تعيين المؤكدة ولا يكفي في العيد نية سنة العيد بل لا بد من تمييزه بإضافة للفطر أو الأضحى ونحو الكسوف ﴿أو﴾ ذات ﴿سبب﴾ كالعيد والخسوف .

﴿و﴾ أما الفرض فلا بد ﴿مع﴾ نية الفعل والتعيين من ﴿نية الفرض فيه﴾ أى في الفرض ولو كفاية أو نذراً وإن كان نوى صياً لتمييز عن الفعل فيحضر المصلي ذلك في ذهنه ويقصده قاله ابن المقرئ وما ذكره من اشتراط نية الفرضية في صلاة الصبي هو ما صححه الشيخان لكنه خلف في المجموع فضعفه وقال الصواب أنها لا تشترط في حقه وكيف ينويها وصلاته لا تقع فرضاً ومثل المصنف بمثال جامع للثلاثة قصد الفعل والتعيين ونية الفرضية بقوله ﴿كأصلي فرض الظهر﴾ أى كأن يقصد بقلبه ذلك وإن لم ينطق به ومثله أصلي الظهر فرضاً أو فرض الجمعة وإن أدرك الإمام في تشهداتها وبتمها حينئذ ظهرها .

* فائدة * العبادات المشروطة فيها النية في وجوب التعرض للفرض خمسة أقسام الأول يشترط بلا خلاف كالزكاة هكذا في

ويجب قرنها بأول التكبيرة واستصحابها إلى آخرها كما في الروضة وأصلها والمختار الأكفاء بالمقارنة العرفية بحيث يعد مستحضرا للصلاة وتكبيرة تحرم وتعين فيه الله أكبر

الديري وليس كذلك لأن نية الفرضية في المال ليست بشرط لأن الزكاة لا تقع الا فرضا وبه فارقت ما لو نوى صلاة الظهر الثاني عكسه الحج والعمرة الثالث يشترط على الأصح كالصلاة الرابع عكسه كصوم رمضان على ما في المجموع من عدم الاشتراط الخامس عبادة لا يكفي فيها ذلك بل يضر وهي التيمم فانه اذا نوى فرضه لم يكف قاله الخطيب .

﴿ويجب قرنها﴾ أي النية ﴿بأول التكبيرة واستصحابها إلى آخرها﴾ أي التكبيرة ﴿كما في الروضة وأصلها﴾ وذلك لأن التكبير كما في النهاية أول أفعال الصلاة فوجب مقارنتها لذلك كالحج وغيره الا الصوم بأن يستحضر في ذهنه ذات الصلاة وما يجب التعرض له من صفاتها ثم يقصد فعل ذلك المعلوم ويجعل قصده هذا مقارنا لأول التكبير ولا يغفل من تذكره حتى يتم تكبيره ولا يجزئه توزيعه عليه فلو عجزت قبل تمامه لم تصح صلاته لأن النية معتبرة في الانعقاد ولا يحصل الابتسام التكبيرة ﴿والمختار﴾ في المجموع وغيره ما اختاره الامام والغزالي من انه ﴿الأكفاء بالمقارنة العرفية﴾ كما اكفوا بالاستحضار العرفي ﴿بحيث يعد مستحضرا للصلاة﴾ واعلم أن لهم مقارنة حقيقية واستحضارا حقيقيا تفصيلين ومقارنة عرفية واستحضارا عرفيا اجمالين والمقارنة الحقيقة بعد الاستحضار الحقيقي والعرفية بعد الاستحضار العرفي فالاستحضار الحقيقي أن يستحضر في ذهنه ذات الصلاة أي أركانها الأربعة عشر التي من جملتها النية وما يجب التعرض له فيها بأن يقصد كل ركن بذاته على الخصوص وتكون هيته أمامه كالغروس والمقارنة الحقيقة أن يقرن هذا المستحضر بأول جزء من أجزاء التكبيرة ويستديم ذلك إلى آخرها والاستحضار العرفي أن يستحضر هيئة الصلاة اجمالا بأن يقصد فعلها وبعبارة من ظهر أو عضر وينوي الفرضية والمقارنة العرفية أن يقرن هذا المستحضر اجمالا بأي جزء من أجزاء التكبيرة هكذا قاله الشرقاوي ..

﴿ثانيها﴾ تكبيرة تحرم من اضافة السبب للسبب لأنه يحرم بها ما كان حلالا قبلها ككل وكلام ذلك لخبر المسيب صلاته إذا تمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع ثم تعبد قائما ثم أسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ثم افعل ذلك في صلاتك كلها وفي صحيح ابن حبان بدل قوله حتى تعبد قائما حتى تطمئن قائما ﴿وتعين﴾ على القادر ﴿فيه﴾ أي في التكبير لفظ ﴿الله أكبر﴾ قال الرافعي فلا يجوز له الغدول إلى ذكر آخر وان قرب منها كقوله الرحمن أجل ورب اعظم قال لا يجوز له قوله الرحمن الرحيم أكبر فلا يجوز له ترجمته أي التكبير بلسان آخر وخالفنا أبو حنيفة في الفصلين جميعا فحكم بأجزاء الترجمة وبأجزاء التسيب وسائر الأذكار إلا أن ينكر اسماعلى سبيل النداء كقوله يا الله وكقوله اللهم اغفر لي الله أكبر وحكى ابن كعب وجهها لأصحابنا انه تنعقد الصلاة بقوله الرحمن أكبر الرحيم أكبر كانه اعتبر لفظ التكبير بأعلاء ذلك ولم يعتبر اسما من أسمائه تعالى بخصوصه ولو قال الله الأكبر أجزاء لأن زيادة الالف واللام لا تبطل لفظ التكبير ولا المعنى بل فيه مبالغة واشعار بالاختصاص وزيادة لا تنير النظم ولا المعنى كزيادة المد حيث يحتمله وكقوله الله أكبر من كل شيء أو أكبر وأجل وأعظم وقال مالك وأحمد لا يجوز له قوله الله أكبر وحكى قول عن القديم مثل مذهبهما ومن حكاه القاضي أبو الطيب الطبري وذكر أن أبا محمد الكرايسي نقل عن الأستاذ أبو الوليد روايته ولز قال الله الجليل أكبر ففي انعقاد الصلاة وجهان أظهرهما الانعقاد وكذا اذا أدخل بين كلمتي التكبير شيئا آخر من نعوت الله بشرط أن يكون قليلا كقوله الله عز وجل أكبر وأما اذا أكثر بينهما فلا ولو عكس وقال الأكبر الله فظاهر كلامه في الأم والمختصر أنه لا يجوز وهذا

ويجب إسماع التكبير نفسه إن كان صحيح السمع ولا عارض من لفظ ونحوه وكذا كل ركن قولي وقيام لقادر في فرض والعاجز عنه ولو بنحو دوران رأس في سفينة قعد ثم اضطجع ثم استلقى

الخلاف يجرى أيضا في قوله أكبر الله وقيل لا يجرى بخلاف قال ويجب على المصلي أن يحترز في لفظ التكبير عن زيادة تغير المعنى بأن يقول الله أكبر استهما أو يقول أكبر فالأكبار جمع كبر بحركة وهو الطبل ولوزاد واوا بين الكلمتين اما ساكنة أو متحركة فقد عطل المعنى فلا يجرى به أيضا قال والعاجز عن كلمة التكبير أو بعضها له حالتان أحدهما إن كان أخرس أو نحوه يأتي بحسب ما يمكنه من تحريك اللسان وشقيقه بالتكبير وإن كان ناطقا لكن لم يطاوعه لسانه فيأتي بترجمان بخلاف سائر الأذكار وأبو حنيفة يجوز سائر الأذكار في حال القدرة وفي حال العجز أولى وجميع اللغات في الترجمة والحالة الثانية أن يمكنه كسب القدرة عليها بتعلم أو مراجعة فيلزمه ذلك وقال النووي في الروضة ومن فروع هذا الفصل ما ذكره صاحب التلخيص والبقوى والأصحاب أنه لو كبر للإحرام أربع تكبيرات أو أكثر دخل في الصلاة بالأوتار وبطلت بالاشفاق وصورته أن ينوي بكل تكبيرة افتتاح الصلاة ولم ينو الخروج من الصلاة بين كل تكبيرتين فبالأولى دخل في الصلاة وبالثانية خرج وبالثالثة دخل وبالرابعة خرج وبالحامسة دخل وبالسادسة خرج وهكذا أبدا لأن من اقتح صلاة ثم نوى افتتاح صلاة بطلت صلاته ولو نوى افتتاح الصلاة بين كل تكبيرتين فبالثانية يخرج وبالتكبير يدخل ولو لم ينو بالتكبير الثانية وما بعدها افتتاحا ولا خروجا صح دخوله بالأولى وباقي التكبيرات ذكر لا تبطل به الصلاة قاله الزبيدي .

﴿ ويجب إسماع ﴾ المصلي جميع حروف ﴿ التكبير نفسه ﴾ ووجوب ذلك ﴿ إن كان صحيح السمع ﴾ وخرج به ما إذا لم يكن صحيح السمع بأن كان أصم فلا يجب عليه ذلك بل يجب عليه أن يرفع صوته بقدر ما يسمعه لو كان صحيح السمع ﴿ ولا عارض ﴾ أي مانع من الإسماع موجود ﴿ من لفظ ﴾ أي ارتفاع أصوات ﴿ ونحو ﴾ فلو كان هناك عارض لم يجب عليه الإسماع ولكن يجب عليه ما مر ﴿ وكذا ﴾ يجب الإسماع ﴿ كل ركن قولي ﴾ من الفاتحة والتشهد وغيرهما ويعبر إسماع المندوب القولي كالسورة والتشهد الأول والسيحاح وغير ذلك لأجل حصول السنة فلم يسمعه نفسه لا يحصل له السنة ﴿ أو ﴾ ثالثها ﴿ قيام ﴾ أو بدله ﴿ لقادر ﴾ عليه ولو بعين أو بأجرة مثل قادر عليها فاضله عما يعتري في ركعة الفطر هذا إن كان يحتاجه عند ابتداء النهوض لكل ركعة فإن احتاجه في جميع صلاته لم يجب أو عكازة وإن احتاجها في جميع صلاته وهذا هو المعتد فالمعين يجب ابتداء لا دواما بخلاف العكازة فإنها تجب دواما أيضا ولو بإعارة أو إجارة قدر عليها بما في شراء ماء الوضوء لاهية لها أو ثمنها فلا يلزمه القبول ﴿ في فرض ﴾ أي عيني أو كفائي فيشمل المندوبة والمعادة وصلاة الصبي وإن لم يجب فيها بخلاف المعادة والأصل في ذلك خبر البخاري عن عمران بن حصين كانت بي بواسير فسألت النبي ﷺ عن الصلاة فقال صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب زاد النسائي فإن لم تستطع فستلقا لا يكف الله نفسا إلا وسعها وأجمع الأمة على ذلك وهو معلوم من الدين بالضرورة .

﴿ أو ﴾ خرج بالقادر على القيام ﴿ العاجز عنه ﴾ حيا كالقعد أو شرعا كاحتياجه في مداواته من وجع العين إلى الاستلقاء فلا يجب عليه القيام ﴿ ولو ﴾ خاف راكب مشقة ﴿ بنحو دوران رأس في سفينة ﴾ أو خاف غرقا ﴿ قعد ﴾ أي فصلى قاعدا ولا يعيد ﴿ ثم اضطجع ثم استلقى ﴾ بخلاف ما إذا صلى قاعدا الزحمة فيها فانه يعيد لندرة ذلك وما لو كان به سلس بول لوقام سال بوله وإن قعد لم يسأل فانه يصلي قاعدا ولا إعادة والضابط كل ما يذهب خشوعه وكماله أو يحصل به مشقة لا تحتمل عادة وهي المرادة بالشديدة كان يجوز ترك القيام وخرج بالفرض النفل للقادر على القيام فعلة قاعدا أو مضطجعا فإن استلقى مع إمكان الإضطجاع لم يصح وإن أم

وقراءة الفاتحة مع البسملة

الركوع والسجود لعدم وروده .

* نعمة * إعلم أن شرط القيام نصب فقار الظهر وهو عظامه لا نصب الرقبة لأنه يستحب أطرق الرأس فلا استند إلى شيء كجدار أجزأه ولو تحامل عليه وكره استناده وإن كان بحيث يرفع قدميه وهو مستند أو انحنى قريبا من خد الركوع أو انحنى على أحد جنبيه لم يصح في الثلاث لأنه لا يسمى فيها قائما بل مائلا في الأخيرتين ومعلقا نفسه في الأولى ولو قدر العاجز على القيام متكئا على شيء أو على القيام على ركبتيه أو قدر على النهوض بمعين ولو بأجرة مثل وجدها لزمه ذلك لأنه ميسوره ولو تقوس ظهره كالراكع أجزأه قيامه كذلك لأنه أقرب إلى القيام من غيره ويزيد للركوع انحناء أن قدر ليحيز الركبان وإن عجز عن الركوع والسجود فقط فعل الممكن ثم إن لم يطق انحناء أو ما بهما قائما قدر إمكانه لأن الميسور لا يسقط بالمعسور ومن قدر على القيام والاضطجاع فقط قام بدل القعود أو ما بالركوع والسجود إمكانه وتشهد قائما ولا يضطجع قاله شيخ الإسلام وغيره .

﴿ رابعها ﴾ قراءة الفاتحة ﴿ أى فاتحة الكتاب ﴾ وهى سورة الحمد ولها أسماء غيرهما وإنما سميت فاتحة لأنه يفتح بها القراءة فى الصلاة وقال الغزالي فى الوجيز ثم الفاتحة بعده متعينة قال الرافعى فى شرحه للمضلى حالان أحدهما أن يقدر على قراءة الفاتحة الثانية أن لا يقدر عليها فى الأول يتعين عليه قراءتها فى القيام أو ما يقع بدلا عنه ولا يتقزم مقامها شيء آخر من القرآن ولا ترجعها وبه قال مالك وأحمد خلافا لأبى حنيفة حيث قال الفرض فى القراءة آية من القرآن سواء كانت طويلة أو قصيرة وبأى لسان قرأ جاز وإن كان ترك الفاتحة مكروها والعدول إلى شيء آخر أساءة ولا فرق فى تعيين الفاتحة بين الإمام والمأموم فى الصلاة السرية وفى الجهرية قولان أحدهما لا يجب على المأموم وبه قال مالك وأحمد وأصحهما أنه يجب عليه أيضا وهذا القول يعرف بالجديد ولم يسمع من سماعا عن الشافعى فنقله عن بعض أصحابه عنه يقال أنه أراد الربع وأما القول الأول فقد نقله سماعا عن الشافعى وقال أبو حنيفة لا يقرأ المأموم لا فى السرية ولا فى الجهرية وحكى القاضي ابن كجب أن بعض أصحابنا قال به وغلط فيه قال الزيدى الأذلة السمعية عند أصحابنا أربعة قطعى الثبوت والدلالة كالتصوص المتواترة وقطعى الثبوت ظنى الدلالة كآيات المؤولة وظنى الثبوت قطعى الدلالة كإخبار الآحاد التى مفهومها قطعى وظنى الثبوت والدلالة كإخبار الآحاد التى مفهومها ظنى فبالأول يثبت الفرض وبالتالي وبالثالث يثبت الوجوب وبالرابع يثبت السنة والاستحباب ليكون ثبوت الحكم بقدر دليله فتعين قراءة الفاتحة فى الصلاة عندنا واجب لمواظبته ﷺ وقوله عليه الصلاة والسلام لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب وهو خبر آحاد فأوجب العمل فتكره الصلاة بتركها تحريما ولا تنفسد بترك الفاتحة لو قرأ غيرها لا إطلاق قوله تعالى فاقروا ما تيسر من القرآن ولا يقيد إطلاق الكتاب بالخبر المذكور لأنه نسخ ولا يجوز بخبر الواحد ولا يجوز أن يجعل يانا لأنه لا إجمال فيها بل إذا حمل ما يتعذر العمل به قبل البيان والآية ليست كذلك فإن قلت هو خبر مشهور فتجوز الزيادة به قلنا نعم إذا كان محكما وما روى محتمل لأنه يجوز أن يراد به نفي الجواز وأن يراد به نفي الفضيلة وصح الاستدلال بالآية لأن المراد منها قراءة القرآن بحقيقته ويدل عليه السياق وهو قوله عقيبها وقيموا الصلاة وهذا تفسير بحقيقتها والحقيقة مقدمة على الجواز فهو مقدم على ما قال بعض المفسرين بأن المراد من الآية الصلاة بدليل السياق فقالوا فى تفسيرها بأن تصلوها ما تيسر لأنه تفسير بالجواز وتأيد بالحديث المتين للفرائض ثم اقروا ما تيسر معك من القرآن على أن هذا فى الواقع عند الإجماع وهو يكفى للسنة فإن القراءة ركن فى الصلاة بالإجماع ﴿ مع ﴾ قراءة ﴿ البسملة ﴾ لأنها آية كاملة من الفاتحة عملا لما صح من قوله ﷺ إذا قرأتم بالفاتحة فاقرءوا بسم الله الرحمن الرحيم فإنها أم القرآن والتسبيح الثانى وبسم الله

كل ركعة إلا ركعة مسبوق ويجب رعاية حروفها

الرحمن الرحيم إحدى آياتها ويحجر بها حيث يحجر بالفاتحة للاتباع رواه أحد وعشرون صحابياً بطرق ثابتة كما قاله ابن عبد البر وقول انس كان النبي ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما يفتحن الصلاة بالحمد لله رب العالمين أي سورة الحمد لما صح أنه كان يحجر بالبسملة وقال لا ألوي أقدي برسول الله ﷺ وقوله صليت مع هؤلاء وعثمان فلم أسمع أحدا منهم يقول بسم الله الرحمن الرحيم رواية للفظ الأول بالمعنى الذي عبر عنه الراوي بما ذكر بحسب ما فهم وإيضاً فهو معارض بقول ابن عباس رضي الله عنهما كان ﷺ يستفتح الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم وما تقدم عن الصحابة المذكورين على أن ابن عبد البر قال لا يجوز الاحتجاج به لتلونه واضطرابه فإنه صح عنه عبارات مختلفة المعاني منها أنه قال كبرت ونسيت وأنه سئل أكان عليه الصلاة والسلام يستفتح بالحمد لله أم بالبسملة فقال أنك تسألني عن شيء لا أحفظه وما سألتني عنه أحد قبلك فحزم تارة بالاثبات وتارة بالنفي وتارة توقف وكلها صحيحة فلما اضطربت وتعارضت سقطت ورجحنا الإثبات للقاعدة والجهر لارواته أكثر وتركه عليه السلام للجهر في بعض الأحيان لبيان الجواز والبسملة آية أول كل سورة سوى برراءة لما صح من قوله ﷺ أنزلت على أنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم أنا أعطيناك الكوثر إلى آخرها ولأن الصحابة أجمعوا على إثباتها في المصحف بخطه في أوائل السور سوى برراءة دون الأعراس وترجم السور والعود فلوم تكن قرأنا لما أجازوا ذلك لكونه يحمل على اعتقاد ما ليس بقرآن قرأنا ولو كانت للفصل كما يقوله الحنفية لآثبت أول برراءة ولم تثبت أول الفاتحة وما قيل من أن القرآن إنما ثبت بالتواتر رد بان محله فيما ثبت قرأنا قطعاً أما ما ثبت قرأنا حكماً فيكفي فيه الظن كما يكفي في كل ظني على أن إثباتها في المصحف بخطه من غير نكير في معنى التواتر وإيضاً فقد ثبت التواتر عند قوم دون غيرهم لا يقال لو كانت قرأنا لكفر جاحداً لانا نقول ولوم تكن قرأنا لكفر مشبهاً وإيضاً فالتكفير لا يكون بالظنيات كذا ذكره في النهاية وتكون قراءة الفاتحة ﴿كل ركعة﴾ في قيامها ومنه القيام الثاني من ركعتي صلاة الخسوف أو بدله المنفرد وغيره كما تقدم فرضاً كانت أو نقلاً وذلك لما صح من قوله ﷺ للمسيء صلاته ثم اقرأ بأم القرآن ثم افعل ذلك في كل ركعة أي مرة في القيام فقط وقد تجب أكر منها نحو نذر كان نذر قرأتها كلما عطس فعطس في الصلاة قرأها إن كان في القيام والآخرها لما بعد الفراغ لأن محل القراءة إنما هو القيام فلا يقرأ في غيره ولو الاعتدال ودل على أن محلها القيام فلا تجزئ في نحو الركوع لما صح من قوله عليه الصلاة والسلام إن نيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً .

* فائدة * قال الدميري وفي تفسيره في الدين بن مخلد أن إبليس لعنه الله رن أربع رنات رنة حين لعن ورنة حين أبط ورنة حين ولد ﷺ ورنة حين أنزلت فاتحة الكتاب ﴿إلا ركعة مسبوق﴾ بها حقيقة كأن وجده راكعاً أو حكماً كأن زحم عن السجود فأنها لاتعين على الأصح وظاهر كلامه عدم لزوم المسبوق الفاتحة وهو وجه والأصح أنها وجبت عليه وتحملها عنه الإمام وتظهر فائدة الخلاف فيما لو بان إمامه محدثاً أو في خامسة أن الركعة لا تحسب له لأن الإمام ليس أهلاً للتحمل فعمل المراد أن تعيينها لا يستقر عليه لتحمل الإمام عنه ويتصور سقوط الفاتحة أيضاً في كل موضع حصل للمأموم فيه عذر تخلف بسببه عن الإمام بأربعة أركان طويلة وزال عذره والإمام راكع فيتحمل عنه الفاتحة كما لو كان بطئ القراءة أو نسي أنه في الصلاة أو امتنع من السجود بسبب زحمة أو شك بعد ركوع إمامه في قراءة الفاتحة فتخلف لها نية على ذلك الأسنوي ﴿ويجب رعاية حروفها﴾ أي الفاتحة وذلك بأن يأتي بتلك الحروف كلها ويخرج كل حرف من مخرجه وعددها مائة وأحدى وأربعون حرفاً بالبسملة من غير ألف مالك والرحمن ومن غير عدد المشدد بحرفين وفي منهاج التنوي ولا يجوز نقص حروف البدل عن الفاتحة في الأصح قال الخطيب الشرنيني وحروفها مائة وستة وخمسون حرفاً بالبسملة وقراءة مالك

وتحارجها وتشديداتها وإعرابها المخل للمعنى وموالاتها كالتشهد فإن تخلل سكوت طال أو قصد به قطع القراءة أو ذكر قطع الموالاة
بالألف قال في الكفاية وبعد الحرف المشدد من الفاتحة مجرفين من الذكر ولا يراعي في الذكر التشديد ﴿و﴾ رعاية ﴿اعرابها﴾ أي
الحروف بأن يخرج كل حرف من مخرجها كما تقدم ولا حاجة إلى ذكر هذا للإستغناء عنه برعاية الحروف إذ هي تستلزمه فلذا أسقطه
النووي في منهاجه وابن المقري في روضه فلو أبدل ضادا بظاء لم تصح قراءته لتلك الكلمة في الأصح لتغيره النظام واختلاف المعنى فإن
الضاد من الضلال والظاء من قولهم ظل يفعل كذا ظلولا إذا فعله نهارا وقياسا على باقي الحروف والقول الثاني تصح لعسر التمييز بين
الحرفين على كثير من الناس والخلاف مخصوص بقادر لم يعتمد أو عاجز أمكنه التعلم فلم يتعلم أما العاجز عن التعلم فتجزئه قطعا وهو أي
والقادر المتعمد لا تجزئه قطعا ولو أبدل الضاد بغير الظاء لم تصح قراءته قطعا ولو أبدل ذال الذين المعجمة بالمهملة لم تصح كما اقتضى إطلاق
الرافعي وغيره الجزم به خلاف للزركشي ومن تبعه ولو نطق بالكاف مترددا بينها وبين الكاف كما ينطق بها العرب صح مع الكراهة كما
جزم به الروياني وغيره وإن قال في الجمع فيه نظر ﴿و﴾ رعاية ﴿تشديداتها﴾ أي الفاتحة وفي شرح المنهاج للخطيب تشديد الفاتحة
منها لأنها هيئات لحروفها المشددة ووجوبها شامل لحياتها فالحكم على التشديد بكونه من الفاتحة فيه تجوز كذا عبر في المحرر وهي أربع
عشرة تشديدة منها ثلاث في البسمة فلو خفف فيها بطلت قراءة تلك الكلمة لتغيره النظام بل قال في الحاوي والبحر لو ترك الشدة من
قوله إياك تعبد متعمدا وعرف معناه أنه يكفر لأن الإيا ضوء الشمس وقال الغزالي في الوجيز ثم كل حرف وتشديد ركن قال الرافعي لا
شك أن فاتحة الكتاب من هذه الكلمات المنظومة والكلمات المنظومة مركبة من الحروف المعلومة فإذا قال الشارع ﷺ لا صلاة إلا بفاتحة
الكتاب فقد وقف الصلاة على جملتها والموقوف على أشياء مفقود عند بعضها كما هو مفقود عند كلها فلو أدخل بحرف منها لم
تصح صلاته ﴿و﴾ رعاية ﴿اعرابها﴾ أي الفاتحة ﴿المخل﴾ أي المفسد ﴿للمعنى﴾ كاللحن الذي يغير المعنى ككسرتاء أنعمت
أوضحها وكسراياك فإن تعمد ذلك وعلم تحريمه بطلت صلاته والاقراءتها وأخرج به ما لا يغيره كالعالمون بدل العالمين والحمد لله بضم الهاء
ونحوهما فلا تبطل الصلاة بذلك مع القدرة والعلم والتعمد ﴿و﴾ رعاية ﴿موالاتها﴾ بأن يصل بعض كلماتها ببعض من غير فضل الإبدار
تنفس فلا يضر وإن طال لأنه معذور كما نقله في المجموع عن نص الأم وإن أشعر كلام الروضة بخلافه لا يتابع مع خبر صلوا كما رأيتموني
أصلي فلو أدخل بها ساهيا لم يضر كما لو طول ركعا قصيرا ساهيا بخلاف ما لو ترك الفاتحة سهوا فإنه يضر لأن الموالاة صفة والقراءة أصل ولا
يرد على ذلك نسيان الترتيب حيث كان ضارا الآن أمر الموالاة بأسر من الترتيب لما مر من أن تطويل الركن القصير لا يضر بخلاف الترتيب فإنه
لا يند بالمتقدم من سجود على ركوع مثلا والأوجه ﴿ك﴾ ما قال الزركشي الحاق ﴿التشهد﴾ فيما ذكر لاساؤا لركان فيما يظهر فإنه
كما قاله الشبرا ملسي إذا شك فيها أوفى صفتها وجب اعتادتها مطلقا فوراً ومن ذلك ما لو شك في شيء من الأعضاء السبعة هل
وضعه أولا فيعيد السجود وإن كان الشك بعد الفراغ منه هذا إن كان إماما أو منفردا أو بعد سلام الإمام إن كان مأموما حيث استنع عليه
الرجوع إليه بأن تلبس مع الإمام بما بعده ﴿ذ﴾ يعيد الفاتحة ﴿ان تخلل سكوت طال﴾ بحيث زاد على سنكة الاستراحة بلا عذر من
جهل أو سهو فلو كان تخلل السكوت الطويل سهوا أو جهلا أو كان السكوت لذكر آية لم يضر أي فلا يقطع الموالاة ﴿أو﴾ قل السكوت لكن
﴿قصد به قطع القراءة﴾ فإنه يقطعها لاقتران الفعل بنية القطع ﴿أو﴾ تخلل ﴿ذكر﴾ أجنبني لا يتعلق بالصلاة ﴿قطع الموالاة﴾ وإن قل
كالتحميد عند العطاس واجابة المؤذن والتسبيح للداخل لأن الاشتغال به يروهم الاعراض عن القراءة فليست ألتفتها هذا إن تعمد فإن كان
سهوا لصحح المنصوص أنه لا يقطع بل ينسى وقيل إن طال الذكر قطع الموالاة والأفلا

فان تعلق بالصلاة كتابينه وسجوده لقراءة إمامه وفتح عليه فلا وترتيبها ولو شك في حرف أو آية قبل فراغها لا بعده أو هل قرأ استأنفها وكالفاتحة في ذلك سائر الأركان ومحرم وقفة لطيفة بين السين والتاء من نستعين وتعتمد تشديد مخفف ثم قدرها من بقية القرآن فمن ذكر أو دعاه

* فائدة * الذكر باللسان ضد الانصات وذاله مكسورة وبالقلب ضد النسيان وذاله مضمومة قاله الكسائي وقال غيره هما لغتان بمعنى واحد ذكره الخطيب في شرح المنهاج ﴿ فان تعلق ﴾ الذكر ﴿ بالصلاة ﴾ كتابينه وسجوده لقراءة إمامه وفتح عليه ﴿ إذا توقف فيها والفتح هو تلقين الآية عند التوقف فيها وحمله كما في التمة إذا سكت فلا يفتح عليه مادام يردد التلاوة وكسؤال رحمة واستعاذة من عذاب القراءة آيتهما ﴿ فلا ﴾ يقطع الموالة في الأصح لانه من مصلحتها فلا يجب استئنافها وان كان هو الأولى كما في المجموع خروجاً من خلاف من قطع الموالة به ومقابل الأصح يقطعها لانه ليس بمندوب كالحمد عند العطاس وغيره ورد بان ذلك ليس من مصلحة الصلاة ﴿ و ﴾ يجب رعاية ﴿ ترتيبها ﴾ أي الفاتحة بان يأتي بها على نظمها المعروف لانه مناط البلاغة والاعجاز فلو بدأ بنصفها الثاني مثلاً ثم أتى بالنصف الأول لم يعتد بالثاني وينى على الأول ان سها بتأخيرها ولم يطل الفصل ويستأنف ان تعمد ولم يغير المعنى أو طال الفصل بين فراغه من النصف الأول وتذكره فان تركه عامداً ولم يغير المعنى استأنف القراءة وان غيره بطلت صلاته ﴿ ولو شك في ﴾ ترك ﴿ حرف ﴾ فأكثر من الفاتحة ﴿ و ﴾ ترك ﴿ آية ﴾ أو أكثر منها ﴿ قبل فراغها ﴾ أي الفاتحة استأنف وجوبا من أولها لكن محله كما مر ان طال زمن الشك ووقع الشك في ترك حرف مبهم فان وقع الشك في ترك حرف معين ولم يطل زمنه أعاده فقط وبنى عليه ﴿ لا ﴾ يجب الاستئناف ان كان الشك بعده ﴿ أي بعد فراغ الفاتحة وتماها لان الشك كما في النهاية يكثر لكثرتها فعفى عنه للمشقة فاكفى فيها بغلبة الظن بخلاف بقية الأركان ﴿ أو ﴾ شك ﴿ هل قرأ ﴾ الفاتحة أم لا ﴿ استأنفها ﴾ لأن الأصل عدم قراءتها ﴿ وكالفاتحة في ذلك ﴾ أي في التفصيل المذكورين ان يكون الشك في أصل الركن أو صفة من صفاته وإذا كان في صفة فلا يخلو اما ان يكون قبل التمام فيؤثر أو بعده فلا يؤثر ﴿ سائر الأركان ﴾ فيقال فيها ان وقع الشك في صفة من صفاتها بعد تمام الركن لا يؤثر وان وقع قبل التمام أثر وأتى بها كما لو شك في أصلها ﴿ ومحرم وقفة لطيفة ﴾ أي تعمدتها ﴿ بين السين والتاء من نستعين ﴾ وبه يعلم كما في فتح الجواد عن المجموع انه يلزم قارئ الفاتحة وغيرها الاتيان بما اجمع القراء على وجوبه من مد وأدغام وغيرهما قال العلامة الكردي ونقله السيد البكري ووجه ذلك ان الحرف ينقطع عن الحرف بذلك والكلمة عن الكلمة والكلمة الواحدة لا تحتمل القطع والفصل والتوقف في اثانها وانما القدر الجائز من التريل أن يخرج الحرف من مخرجه ثم ينقل إلى الذي بعده متصلاً به بلا وقفة ﴿ و ﴾ محرم ﴿ تعمد تشديد ﴾ حرف ﴿ مخفف ﴾ كان نطق بكاف إياك مشددة وأجزأه ذلك الحرف الذي شدده لكن مع الإساءة كما قاله الماوردي والرويانى ﴿ ثم ﴾ ان عجز المصلى عن الفاتحة لعدم معلم أو مصحف أو بلادة أو ضيق وقت عن تعلم ذلك لزمه قراءة ﴿ قدرها من بقية القرآن ﴾ ولو مفرقا بشرط ان يكون سبع آيات لأن الفاتحة كذلك بعد البسملة آية فلا تكفى آية طويلة كآية الدين بالبقرة ويشترط ان لا تنقص حروفها عن حروف الفاتحة ولو في ظنه وهى بالبسملة كما تقدم مائة وستة وخمسون حرفاً باثبات الف مالك والمراد ان المجموع لا ينقص عن المجموع لا ان كل آية أو نوع من الذكر والدعاء من البدل قد رآية من الفاتحة فان عجز عن ذلك لزمه قراءة قدرها ﴿ فمن ذكر أو دعاه ﴾ فهو بخير بينهما والأفضل الذكر ويجب كون ذلك سبعة أنواع كما قاله البغوي في الذكر ومثله الدعاء مثلاً من الذكر سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا يقال ان حروف هذه لا تبلغ حروف الفاتحة لانا نقول انه يكرر ذلك إذا لم يحفظ غيره حتى

ثم وقفة بقدرها وركوع بانحناء بلغ راحيته ركبته واعتدال يعود لبدء وسجود مرتين بوضع بعض الجبهة مكشوفاً إن أمكن على غير محمول تحرك بحركة

يلغ حروفها ويعبر تعلق الدعاء بالآخرة قاله شيخ الإسلام وهو المعتمد ولو غير العربية فيجب ترجمة المتعلق بالآخرة على عربية غيره فإن لم يعرف غير المتعلق بالدنيا أتى به وأجزأه ومن المتعلق بالآخرة اللهم اغفر لي وارحمني وسامحني وارض عني ومن المتعلق بالدنيا اللهم ارزقني زوجة حسنة أو وظيفة ﴿ثم﴾ ان عجز عن ذلك كلها حتى ترجمة الذكر والدعاء لا بد له ﴿وقفة قدرها﴾ أي الفاتحة أي بالنسبة للوسط المعتدل في ظنه وذلك لأن القراءة والوقوف كانا واجبين فإذا تذر أحدهما بقي الآخر قال ابن النقيب وهل يندب أن يزيد في القيام قدر سورة لم ار من ذكره وفيه نظر انتهى وينبغي كما قاله الخطيب أن يزيد ذلك.

﴿و﴾ خامسها ﴿ركوع﴾ للأمر به في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اركعوا وخبر المصلي صلاته وللإجماع ويتحقق الركوع بانحناء ﴿أي خالص عن الانحناس وهو ان يخفض عجزته ويرفع اعلاه ويقدم صدره والابطالت﴾ ببلغ ﴿بتشديد اللام أي أوصل ذلك الانحناء﴾ راحيته أي معتدل الخلقه ﴿ركبته﴾ فلو طالت يده أو قصرنا أو قطع شيء منهما لم يعتبر ذلك ولو عجز عنه إلا بمعين أو اعتماد على شيء أو انحناء على شقه لزمه والعاجز ينحني قدر امكانه فان عجز عن الانحناء اصلاً أو مأ برأسه ثم بطرفه والراحتان تشبه راحة والمراد بها بطن الكف خاصة فلا يكفي ببلوغ الاصابع وما ذكر أقل الركوع وأما أكمله فيأتي في السنن انه تنويّة ظهر وعنق وأخذ ركبته بكفيه.

﴿و﴾ سادسها ﴿اعتدال﴾ ولو في نفل على المعتمد وهو لغة الاستقامة والمائلة ونحوهما وشرعاً يتحقق ﴿يعود﴾ بعد الركوع ﴿لبدء﴾ بان يعود لما كان عليه قبل ركوعه من قيام أو قعود فدخل مصلي النفل من اضطجاع مع القدرة لانه يقعد قبل ركوعه فلا يجوز له العود إلى الاضطجاع قبل قعوده اما لو صلاه كذلك مع العجز وركع انحناء في حال الاضطجاع فيعتدل بعوده لانه لا يتقدم على القعود ولو صلى نفلًا قائماً مع القدرة فركع وهرقائم واعتدل وهو جالس لم يكف لانه لم يعد لما كان عليه قبل قوله الشراوى ولو شك في اتمام الاعتدال عاد إليه غير المأموم فوراً وجوباً والابطالت صلاته والمأموم يأتي بركعة بعد سلام امامه.

﴿و﴾ سابعها ﴿سجود مرتين﴾ في كل ركعة للكتاب والسنة والاجماع وانما عدا ركنا واحدا لكونها متحدتين كما عند بعضهم الطائفة في محالها الاربعة ركنا واحداً لذلك وانما كرر السجود دون غيره لما فيه من زيادة التواضع بوضع الجبهة على مواطئ الاقدام الموجب لقبول الدعاء وهو لغة الخضوع والذلة والانخفاض وقد يطلق على الركوع ومنه قوله تعالى وخروا له سجداً وشرعاً ما ذكره بقوله ﴿بوضع بعض الجبهة مكشوفاً ان امكن﴾ أي سهل بحيث لا ينال به مشقة لا تحتل عادة وذلك لما صرح من قوله ﷺ إذا سجدت فمكن جبهتك ولا تنقرقرا رواه ابن حبان في صحيحه وخبر خباب بن الارت شكونا إلى رسول الله ﷺ حر الرضاء في جباهنا واكفنا فلم يزل شكوانا ورواه سبل بنير جباهنا واكفنا فلم نجب مباشرة المصلي بالجبهة لأرشداهم إلى سترها ﴿على غير محمول﴾ للمصلي ﴿يتحرك﴾ المحمول له ﴿بحركه﴾ كحوسرير يتحرك بحركه وانما اكفى بالسجود على نحو السرير المتحرك بحركه لانه ليس بمحمول له والمؤثر انما هو المحمول له ولا يضر السجود على محمول لم يتحرك بحركه لانه في حكم المنفصل وخرج بقوله على غير محمول له ما لو سجد على محمول يتحرك بحركه كطرف من عمامته فلا يصح وبطل الصلاة ان تعمه وعلم تحريمه والاعاد السجود فقط ولو سجد على شيء فالصق بجبهته صح ووجب ازالته للسجود الثاني

والركبتين وبطن الكفين وأصابع القدمين ويجب أن ينال مسجده ثقل رأسه ويرتفع أسافله على أعاليه

﴿و﴾ يجب خلافا للرافعي وضع جزء من ﴿الركبتين﴾ ومن ﴿بطن الكفين﴾ سواء الأصابع والراحة ﴿و﴾ من باطن ﴿أصابع القدمين﴾ على مصلاه لخبر الصحيحين أمرت أن أسجد على سبعة أعظم على الجبهة وأشار يده إلى أنفه واليدين والركبتين وأطراف القدمين وإنما لم يجب الأيما بها عند العجز وتقربها من الأرض كالجبهة لأن معظم السجود غاية الخضوع بالجبهة دونها واكتفى بوضع جزء من كل منها لصدق اسم السجود عليها بذلك ﴿و﴾ ويجب أن ينال مسجده ﴿بفتح الجيم وكسرها محل سجوده﴾ ثقل رأسه ﴿لخبر السابق﴾ وإذا سجدت فمكن جبهتك ومن الثقل أن يتحامل بحيث لو فرض تحته قطن أو حشيش لا تنكس وظهر أثره في يد لو فرضت تحته ذلك واكتفى الإمام بأرخاء رأسه قال بل هو أقرب إلى هيئة التواضع من تكلف التحامل وينال معناه يصيب ويحصل ومسجده هنا منصوب وثقل فاعل قال الأذرعى لو كان لواجن لأمكنه وضع الجبهة على الأرض ونحوها هل يجزى ما سبق من الوجوب في إعادته على القيام لم أر له من ذكره والظاهر بجبهته انتهى هذا هو المعتقد كما قاله الشبرا ملسى وحل وجوب التحامل في الجبهة فقط فلا يجب بغيرها من بقية الأعضاء كما اقتضاه كلام الروضة وأصلها واعتمده الزركشى وغيره خلافا لبعضهم في شرح منهجه تبعا لابن العباد حيث قال بوجوب التحامل في الجميع ﴿و﴾ أن لا يهوى لغير السجود بأن يهوى بقصده أو لا يقصد شيء فلو سقط لوجهه من اعتداله وجب القود إلى الاعتدال ليهوى منه لا تناء الهوى في السقوط فإن سقط من هوى لم يكلف القود بل يحسب له ذلك سجودا نعم أن سقط على جبهته وقصد الاعتماد عليها أو لجنبه فاقبل بنية الاستقامة فقط لم يجزه السجود فيها فيعيد بعد الجلوس في الثانية ولا يقوم فإن قام عالما عامدا بطلت صلاته فإن اقبل بنية السجود أو لا بنية شيء أو بنية وبنية الاستقامة أجزأه على الصحيح حتى في الآخرة خلافا لابن العباد وإن نوى صرفه عن السجود بطلت صلاته أيضا لزيادته فعلا فيها عامدا من غير عذر وإنما لم تعتد صلاة من قصد بتكثير الاحرام الافتتاح والهوى لانه يغتفر في الدوام ما لم يغتفر في الابتداء ولكن الأصل عدم دخوله فيها ثم والأصل بقاؤه فيها هنا فلا يخرجها عنها عدم قصده ركنها ولا تشريكه مع غيره قاله في النهاية وأن ﴿يرتفع أسافله﴾ أى عجيزته وما حولها ﴿على أعاليه﴾ من رأسه في الأصح لما صح عن البراء ؓ انه فعل ذلك وقال هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل أخرجه أبو داود والنسائي وصححه ابن حبان فلو انعكس أو تساوى لم يجزه نعم لو صلى في سفينة مبالا ولم يتمكن من ارتفاع ذلك لميلها صلى على حسب حاله ووجبت عليه الإعادة لأن هذا عذر نادر ومقابلته وثقله الرافعي في شرح المسند عن النص انه يجوز مساواتهما لحصول اسم السجود فلو ارتفعت الأعلى لم يجز جزما كما لو آكب على وجهه وبد رجليه نعم لو كان به غلة لا يمكنه السجود معها الا كذلك أجزأه ولو لم يتمكن منه الا بوضع نحو وسادة وجب أن جعل منه التنكيس والاسن ولا يجب لعدم حصول مقصود السجود حينئذ خلافا لما في شرح الصغير من الوجوب مطلقا أى حصل تنكيس أم لا ولا يشكل بما في المرض من انه اذا لم يمكنه الانتصاب الا باعتماده على شيء لزمه لأنه هناك اذا اعتمد على شيء أى بنية القيام وهنا اذا وضع نحو الوسادة لا يأتى بنية السجود فلا فائدة في الوضع

* فرع * لو تعارض عليه التنكيس ووضع الأعضاء فهل يراعى الأول أو الثاني فيه نظر والأقرب أنه يراعى التنكيس للاتفاق عليه عند الشيخين بخلاف وضع الأعضاء فإن فيه خلافا ذكره الشبرا ملسى .

* تنبيه * حكمة تكرار السجود دون الركوع ما تقدم ذكره من زيادة التواضع بوضع الجبهة على مواضع الأقدام الموجب لقبول الدعاء وقيل هو تعبدى لا يطلب فيه المعنى كاعداد الركعات وعزاء شيخ الاسلام في المبسوط لأكثر المشايخ وقال منهم من يذكر لذلك

وجلس بينهما ولا يطوله ولا الاعتدال وطمانينة فيها ويجب أن لا يقصد بالركن غيره وتشهد أخير التحيات لله سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله

حكمة فيقول إنما كان السجود شئ ترغيبا للشيطان فإنه أمر بالسجود فلم يفعل فنحن نسجد مرتين ترغيبا له وإلى أشار النبي ﷺ في سجود السهو ترغيبا للشيطان وفي معراج الداريا لما أخذ الله الميثاق من ذرية آدم عليه السلام أمرهم بالسجود فسجدوا المسلمون كلهم وبقي الكافرون فلما رفعوا رؤوسهم رأوا الكفار لم يسجدوا فسجدوا وثانيا شكر الما وفقهم الله تعالى إليه فصا المفضوض سجدتين وزاد في المستثنى شرح النافع قبل أن الأول لشكر نعمة الإيمان والأخرى لبقاء الإيمان والله أعلم .

﴿و﴾ ثامتها ﴿جلوس بينهما﴾ أي السجدةتين ولو في النافلة على المعتد وذلك لخبر المصنف صلواته ويجب أن لا يقصد برفع رأسه فزعامن نخولس عقرب فلم يكف بل يجب عليه العود إلى السجود ثم يرفع رأسه للجلوس ﴿ولا يطوله﴾ أي الجلوس بينهما ﴿ولا﴾ يطول ﴿الاعتدال﴾ لانهما غير مقصودين لذاتهما بل شرع الاعتدال للفصل بين الركوع والسجود وشرع الجلوس للفصل بين السجدةتين فكانا ركنين قصيرين وهذا هو المعتد قال ابن حجر فان طول أحدهما فوق ذكره المشروع فيه قد رافعة في الاعتدال وقد والتشهد في الجلوس عامدا لما بطلت صلاته انتهى ونقله الشبرا المصنف فان كان ناسيا أو جاهلا فلا تبطل صلاته ولكن يسجد للسهو كما قاله السيد البكري .

﴿و﴾ تاسعها ﴿طمانينته﴾ أي المصلي بحيث يفصل رفعه عن هويته وأقلها أن تستقر أعضاؤه ﴿فيها﴾ أي في الركوع والثلاثة بعده للأمر بها في الخبر المذكور وإنما عدها ركنا واحدا في محالها الأربعة لتجانسها كما عدها السجدةتين ركنا كذلك ﴿ويجب﴾ على المصلي ﴿أن لا يقصد بالركن غيره﴾ .

﴿و﴾ عاشرها ﴿تشهد أخير﴾ والتشهد تفعل من شهد سمي بذلك لاشتماله على النطق بشهادة الحق تغليبا له على بقية أذكاره لشرفها وهو من إطلاق اسم البعض على الكل وللتشهد أقل وأكمل وأقله المنقول عن نص الشافعي ﴿التحيات لله سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله﴾ وأن محمدا رسول الله ﴿قال الرافعي مكذاري أصحابنا العراقيون وتابعهم الروياني وأسقط الصيدلاني وبركاته وقال محمد رسول الله وحكاه صاحب التهذيب إلا أنه لم يقل في الثانية وأشهد وهذا هو الذي أورده الغزالي في الوجيز وحكاه ابن كج فاذا حصل الخلاف في المنقول عن الشافعي في ثلاثة مواضع أحدها في وبركاته والثاني في وأشهد في الثانية والثالث في لفظ الله في الشهادة فمنهم من أكتفى بقوله ورسوله ثم نقلوا عن ابن سريج طريقة أخرى وهي التحيات لله سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأسقط بعضهم لفظ السلام الثاني وأكتفى بأن يقول أيها النبي وعلى عباد الله الصالحين وأسقط بعضهم لفظ الصالحين ويحكي هذا عن الحلبي وقال النووي قلت روى سلام عليك ورسوله علينا وروى السلام بالالف واللام فيهما وهذا أكبر في روايات الحديث وفي كلام الشافعي وانفق أصحابنا على جواز الأمرين هنا بخلاف سلام التحلل قالوا والأفضل هنا بالالف واللام لكثرة زيادته وموافقته سلام التحلل والله أعلم ثم قال الرافعي قال الأئمة كان الشافعي اعتبر في حد الأقل ما رآه مكررا في جميع الروايات ولم يكن تابعا لغيره وما انفردت به الروايات وكان تابعا لغيره جوز حذفه وابن سريج نظر إلى المعنى وحذف ما لا يغير به المعنى فأكتفى بذكر السلام عن الرحمة والبركة وقال بدخولها فيه وأعلم أن جميع ما ذكره الأصحاب من اعتبار التكرير وعدم التبعية أن جعلوه ضابطا لحد الأقل فذاك وإن عللوا حد الأقل به فقيه اشكال لأن التكرير في الروايات يشعر بأنه لا بد من التكرير ومن الجائز أن يكون الجزئ هذا

وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعده اللهم صل على محمد وتسليمة أولى السلام عليكم

القدر مع ما تفرد به كل رواته وأما أكمله فشيأتي في السنن .

* تنبيهات * الأول أن الامام مالك رحمه الله اختار تشهد عمر بن الخطاب التحيات لله الزايات لله الطيبات الصلوات لله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله رواه عن الزهري عن عروة عن عبد الرحمن أنه سمع عمر يعلم الناس التشهد على المنبر يقول قولوا فسأله ورواه الشافعي عن مالك بهذا الإسناد ورواه مالك من طريق أخرى عن هشام بن عروة عن أبيه أن عمر فذكروه وأوله بسم الله خير الأسماء قال الحافظ وهذه الرواية منقطعة وفي رواية للبيهقي تقديم الشهادتين على كلمتي السلام ومعظم الروايات على خلافه وقال الدارقطني في العلل لم يختلفوا في أن هذا الحديث موقوف على عمر ورواه بعض المتأخرين عن ابن أبي أويس عن مالك مرفوعاً وهو وهم .

الثاني اختار أبو حنيفة وأحمد تشهد ابن مسعود وهو عشر كلمات التحيات لله والصلوات الطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أخرجه الستة وقال الترمذي وهو أصح شيء في التشهد والعمل عليه عند أكثر أهل العلم ثم روى بسنده عن خفيف أنه رأى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إن الناس قد اختلفوا في التشهد فقال عليك تشهد ابن مسعود وقال البزار أصح حديث في التشهد عندى حديث ابن مسعود وروى عنه من ينف وعشرين طريقاً ولا أعلم شيئاً روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد أثبت منه ولا أصح أسانيد ولا أشهر رجالاً ولا أشد تظافراً بكثرة الأسانيد والطرق وقال مسلم إنما اجتمع الناس على تشهد ابن مسعود لأن أصحابه لا يختلف بعضهم بعضاً وغيره قد اختلف أصحابه عليه وقال محمد بن يحيى الذهلي حديث ابن مسعود أصح ما روى في التشهد وروى الطبراني في الكبير من طريق عبد الله بن بريدة الخصب عن أبيه قال ما سمعت في التشهد أحسن من حديث ابن مسعود ووقع في رواية النسائي سلام علينا بالتنكير وفي رواية الطبراني سلام عليك بالتنكير أيضاً وثبت فيه الواو بين الجملتين وهي تقضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه فيكون كل جملة ثناء مستقلاً بخلاف غيرها من الروايات فإنها ساقطة وبسقوطها يصيرها صفة لما قبلها ولأن السلام فيه معرف وفي غيره منكر والمعرف أعم .

الثالث قد روى التشهد من الصحابة غير من ذكر أبو موسى الأشعري وابن عمر وعائشة وسمرة بن جندب وعلي وابن الزبير ومعاوية وسلمان وأبو حميد وأبو بكر موقوفاً وعمر مرفوعاً وطلحة بن عبيد الله وأنس وأبو هريرة وأبو سعيد والفضل بن عباس وأم سلمة وحذيفة والمطلب بن ربيعة وابن أبي أوفى فجملة من رواه أربعة وعشرون صحابياً لا نطيل بذكر أسانيدهم لأن ذلك يخرجنا عن المقصود ﴿ وحادي عشرها ﴾ صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعده ﴿ أي بعد تشهد أخير فلا تجزئ قبله لأنه لا بد من الترتيب بينها وبين التشهد وأقلها ﴾ اللهم صل ﴿ أي ارحمه رحمة مقرونة بالعظيم أو صلى الله ﴾ ﴿ على محمد ﴾ أو على رسوله أو على النبي دور أحمد لعدم وروده وسيذكر أكملها في السنن وأعلم أنه يشترط في الصلاة على النبي ﷺ شروط التشهد من رعاية الكلمات والحروف ورعاية التشديدات واسماعه نفسه وكونها بالعربية .

﴿ وثاني عشرها ﴾ تسليمة أولى ﴿ خبر مفتاح الصلاة الوضوء وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم رواه أبو داود والترمذي بأسناد صحيح وأقلها ﴾ السلام عليكم ﴿ ويكره عليكم السلام ولا يجزئ سلام عليكم بالتنكير ولا سلام الله أو سلامي عليكم بل تبط الصلاة أن تمعد وعلم كما ذكره بعضهم عن شرح الإرشاد لابن حجر .

وقعود الثلاثة وترتيبها كما ذكر ﴿وسننها﴾ نوعان هيئات منها الإضافة إلى الله تعالى والتعرض للاستقبال وعدد الركعات والأداء والقضاء وإن لم يكن عليه فائنة مماثلة للمؤداة

﴿و﴾ ثالث عشرها ﴿قعود لثلاثة﴾ وهي الشهادتان الأخير والصلاة على النبي ﷺ والتسليمة الأولى.

﴿و﴾ رابع عشرها ﴿ترتيبها﴾ أي الفروض المقدمة ﴿كما ذكر﴾ أي على الوجه الذي ذكر في عدها ويستثنى منه النية مع التكبيرة الإحرام فلا يجب الترتيب بينهما بل يجب مقارنة النية لتكبيرة الإحرام وكذا جعلهما مع القراءة في القيام وكذلك الشهادتان والصلاة على النبي ﷺ مع الجلوس والدليل وجوب الترتيب الإتيان فقد قال عليه الصلاة والسلام للأعرابي إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ثم كذا فذكرها بالفاء أولاً ثم بهم وهما للترتيب فإن تركه عمداً كان سجدة قبل ركوعه أو ركع قبل قراءته بطلت صلاته بالإجماع لكونه متلاعباً فإن قدم ركناً قولاً غير سلام كشهد على سجود أو قولاً على قول كالصلاة على النبي ﷺ على الشهادتين لم تبطل لكن لا يعتد بما قدمه بل عليه أعادته في محله وإن ترك ذلك الترتيب سهواً فما فعله بعد المتروك لوقوعه في غير محله فإن تذكر المتروك قبل بلوغ مثله من ركعة أخرى فعله بعد تذكره فوراً وجوباً فإن تأخر بطلت صلاته وإن لم يذكر حتى بلغ مثله تمت به ركعته لوقوعه عن متروكه وتدارك الباقي من صلاته للقضاء ما بينهما نعم إن لم يكن المثل من الصلاة كسجود تلاوة لم يحجزه لعدم شمول نية الصلاة لها هذا إن عرف عين المتروك ومحله والا أخذ باليقين وأتى بالباقي وسجد للسهو في جميع الأحوال ثم حل ما تقرر ما لم يوجب الشك استئنافاً فإن أوجبه كشكه في النية أو تكبيرة الإحرام فلا يجزئه ذلك بل لا بد من استئنافها فلا سجود للسهو ولو كان المتروك السلام وتذكره قبل طول الفصل أتى به ولا سجود وكذا بعد طوله كما يحته بعضهم وهو ظاهر إذا غابته أنه سكوت طويل وتعده غير مبطل فلا يسجد للسهو ولما فرغ المصنف من ذكر الفرائض شرع في الذكر السنن فقال :

﴿وسننها﴾ أي الصلاة ﴿نوعان﴾ أحدهما ﴿هيئات﴾ والمراد بها ما ليس ركناً فيها ولا بعضاً يجبر بالسجود فلا يسجد لتركها فإن سجد لشئ منها عامداً عالماً بطلت صلاته إلا أن كان جاهلاً معدوراً لقرب عهده بالإسلام أو نسيه بعداً عن العلماء ﴿منها﴾ الإضافة إلى الله تعالى أي استحضارها في ذهنه والمراد بها الإضافة اللغوية وهي الإسناد وذلك بأن يسند ما تراه إلى الله تعالى أي يلاحظ ذلك وإنما لم تجب الإضافة لأنها في الواقع لا تكون إلا لله تعالى ﴿و﴾ منها ﴿التعرض للاستقبال وعدد الركعات﴾ كان يقول أصلي فرض الظهر أربع ركعات مستقبلاً لله تعالى للخروج من خلاف من أوجب التعرض لها ولتأخر عن غيرها بالنسبة لعدد الركعات فلو عين عدداً وأخطأ العدد بطلت الصلاة لأنه نوى غير الواقع وفرضه الرافعي في العالم وقضيه أنه لا يضر في الغلط وأبداه الأسنوي بما ذكره في نية الخروج وغيره من أن الخطأ في العين لا يضر قاله ابن المقري وغيره وقال بعضهم الوجه أنه يضر في الغلط أيضاً إذا قلنا عدة أن ما يجب التعرض له تفصيلاً أو جملة يضر الخطأ فيه ثم رأيت المسئلة في المجموع في باب الوضوء فقال لو غلط في عدد الركعات فنوى الظهر ثلاثاً أو خميساً قال أصحابنا لا يصح ظهرك وسئل البارز عن رجل كان في موضع عشرين سنة يترائي له الفجر فيصلي ثم يتبين له خطأ فماذا يقضي فأجاب بأنه لا يجب عليه القضاء صلاة واحدة أي وهي الأخيرة لأن صلاة كل يوم تكون قضاء عن صلاة اليوم الذي قبله انتهى قال في التحفة ولا يبارضه النص على أن من صلى الظهر والاجتهاد فبان قبل الوقت لم تقع غنة فائنة عليه لأن محله هذا فيمن أدى بقصد أنها التي دخل وقتها والاول فيمن أدى بقصد التي عليه من غير أن يقصد التي دخل وقتها ﴿و﴾ ذكر ﴿الأداء والقضاء﴾ وهذا ﴿إن لم يكن عليه فائنة مماثلة للمؤداة﴾ أي للمقضية والإبان كان عليه فائنة مماثلة لما ذكر وجب التعرض للأداء أو القضاء لما اعتد به الأذرع في لأجل التميز وجري بعضهم

والنطق بالمنوي ونظر موضع سجوده مطرقاً رأسه قليلاً ثم رفع يديه

بعد الوجوب مطلقاً والأصح صحة الأداء بنية القضاء وعكسه أن عذر بنحو غيم كان ظن خروج وقتها فنولها قضاء فتبين بقاءه أو ظن بقاءه فنولها أداء فتبين خروجه فعلى كل تصح الصلاة ومثله ما إذا قصد المعنى اللغوي إذا كل يطلق على الإخرافة تقول قضيت الدين وأدبته بمعنى واحد قال الله تعالى فإذا قضيتُم مناسككم أي أدبتم أيها وإن لم يعذر بما ذكر أو لم يقصد المعنى اللغوي بأن نوى الأداء عن القضاء وعكسه عامداً عالماً لم تصح صلاته للتلاعب.

﴿و﴾ منها ﴿النطق بالمنوي﴾ قيل التكبير ليساعد اللسان القلب ولأنه أبعد عن الوسواس وللخروج من خلاف من أوجبه قال الشبرايملى هنا وفي سائر ما يعتبر فيه النية ولو قلب المصلي صلاته التي هو فيها صلاة أخرى عالماً عامداً بطلت أو أتى بمنافى الفرض لا النفل كان أحرم القادر بالفرض قاعداً أو أحرم به قبل وقته علماً عامداً لم تتعد صلاته للتلاعب فإن كان له عذر كظنه دخول الوقت فأحرم بالفرض قلبه نفلاً لأدراك جماعة مشروعة وهو منفرد فسلم من ركعتين ليدركها أو ركع مسبوق قبل تمام الكعبة جاهلاً انقلب نفلاً لعذره إذا يلزم من بطلان الخصوص وهو الفرض بطلان العموم وهو النفل ولو قلبها نفلاً معيناً كركتي الصبح لم تصح لافتقاره إلى تعيين ولو لم تشرع في حقه الجماعة التي أراد فعلها مع الانام وكان في صلاة الظهر مثلاً فوجد من يصلي العصر لم يحجز له قطعها كما في المجموع ولو علم كونه أحرم قبل وقتها في أثباتها لم يثبت بطلانها وإنما وقعت له نفلاً لقيام عذره كما لو صلى باجتهاد بغير القبلة ثم تبين له الحال فإن كان بعد فراغها وقعت له نفلاً أو في أثباتها بطلت وامتنع عليه الاستمرار فيها.

* فروع * لو قال شخص لآخر صل فرضك ولك علي دينار فصلى بهذه النية لم يستحق الدينار وأجزأته صلاته ولو نوى الصلاة ودفع الغريم صحت صلاته لأن دفعه حاصل وإن لم يتو بخلاف ما لو نوى بصلاته فرضاً ونفلاً غير نحو تحية المسجد لتشريكه بين عبادتين لا تندرج أحدهما في الأخرى ولو قال أصلي لثواب الله تعالى أو لله رب من عقابه صحت صلاته خلافاً للفخر الرازي قال الجمال الرملي ويمكن حمل كلام الفخر الرازي على من يحض عبادته لذلك وحده ولكن يبقى النظر في بقاء السلامة انتهى قال ابن قاسم لعل الوجه أن يقال إن أراد بالمحض المذكور أنه لم يفعله إلا لأجل ذلك بحيث أنه لو لم يفعل مع اعتقاده استحقاق الله ذلك لذاته فالوجه صحة عبادته كما قد يصرح بذلك نصوص الرغبة والترهيب إذ غاية الأمر أنه تعدد الاحلال بحق الخدمة مع اعتقاده ثبوته وبجود ذلك لا ينافي في الصحة ولا الإيمان وإن أريد أنه لم يفعله إلا لأجل ذلك مع عدم اعتقاد الاستحقاق المذكور فالوجه عدم إيمانه وعدم صحة عبادته.

﴿و﴾ منها ﴿نظر موضع سجوده﴾ أي المصلي في جميع صلاته ﴿مطرقاً رأسه قليلاً﴾ وإن كان أعشى أو في ظلمة بأن تكون حاله حالة الناظر محل سجوده لأن جمع النظر في موضع أقرب إلى الخشوع وموضع سجوده أشرف وأسهل وخارج موضع سجوده المصلي على جنازة فينظر إليها واستثنى من النظر إلى موضع السجود حالة الشهد فإن السنة إذا رفع نسبته أن لا يجاوز بصره إشارته ذكره في المجموع وفيه حديث صحيح في سنن أبي داود قال الجمال الرملي ويظهر أن محل ذلك ما دامت مرتفعة والاندب نظر محل السجود انتهى ويؤخذ من ذلك كما قال الشبرايملى أنه لو قطعت سبابته لا نظر إلى موضعها بل إلى موضع سجوده وعن جماعة أن المصلي في المسجد الحرام ينظر إلى الكعبة لكن صوب البلقيني أنه كثير وقال الأسنوي أن استحباب نظره إلى الكعبة في الصلاة وجه ضعيف وقيل ينظر في القيام إلى موضع سجوده وفي الركوع إلى ظهر قدميه وفي السجود إلى أنفه وفي القعود إلى حجره لأن استداد البصر ليهي فإذا قصر كان أولى وبهذا جزم البغوي والمتولي قاله الخطيب ﴿ثم رفع يديه﴾ يعني كفيه أي المصلي من انام وغيره ولو امرأة وإن صلى من اضطجاء

بكشف حذو منكبيه مع ابتداء تحريم وركوع ورفع منه ومن تشهد أول ووضع يمين على كوع يساره تحت صدره وتفرق قدميه قدر شبر في القيام وافتتاح سرا المستكن إن لم يتعوذ أو يجلس مع إمامه

﴿بكشف﴾ أي مع كشفهما ويكره خلافه ومع تفرق أصابعها تفرقا وسطا ليكون لكل عضو استقلال بالعبادة ويسن عند الجمال الرملي أن يميل أطرافها نحو القبلة ولا يسن عند ابن حجر ﴿حذو﴾ بذال معجمة أي مقابل ﴿منكبيه﴾ ثنية منكب وهو مجمع عظم العضد والكف وهذا بيان للأكمل والسنة تحصل بأي رفع كان كما قاله الشرقاوي .

ويبتدئ الرفع ﴿مع ابتداء تحريم﴾ وينصبه مع انتهائه على المعتمد والدليل على سنية الرفع في ذلك الإجماع كما نقله ابن المنذر وخبر ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه حذو منكبيه إذا افتتح الصلاة متوقفاً عليه قال في شرح مسلم وغيره معنى حذو منكبيه أن تحاذي أطراف أصابعه أعلى أذنيه وإبهامه شحمتي أذنيه وراجتاه منكبيه بل قال البخاري روى الرفع سبعة عشر صحابياً ولم يثبت عن أحد من الصحابة خلافه فإن لم يكن الرفع الإزيادة على المشروع أو نقص منه أتى بالممكن منهما فإن أمكنه الاتيان بكل منهما فالزيادة أول لأنه أتى بالماثور وزيادة فإن لم يمكنه رفع إحدى يديه رفع الأخرى وأقطع الكفين يرفع ساعديه وأقطع المرفقين يرفع عضديه تشبيهاً برفع اليدين والحكمة في الرفع أن يراه الأصم فيعلم دخوله في الصلاة كالأعمى يعلم بسماع التكبير أو إشارة إلى رفع الحجاب بين العبد والمعبود أو يستقبل بجميع بدنه وقال الشافعي هو تعظيم لله وإتباع لسنة رسوله ﷺ ﴿و﴾ مع ﴿ركوع﴾ أي ويبتدئ الرفع فيه مع ابتداء التكبير ولا يديه إلى انتهائه لأنه إذا حاذى كاهه منكبيه انحنى وأرسل يديه ﴿ورفع منه﴾ أي من الركوع ويبتدئ الرفع فيه مع ابتداء رفع رأسه فإذا استوى قائماً أرسلهما إلى جانبيه إرسالاً خفيفاً ﴿و﴾ رفع ﴿من تشهد أول﴾ للاتباع فيهما قال السيد البكري وانظر متى يكون ابتداء رفع اليدين هل هو عند ابتداء الرفع من التشهد الأول أو بعد وصوله إلى حد أقل الركوع والظاهر الثاني وإن كان ظاهر عبارته الأول لأنه في ابتداء رفعه منه يكون معتمداً عليهما ﴿ووضع﴾ يده ﴿يمينى على كوع يساره﴾ بأن يقبض كوعها وبعض رسفها وساعدها بكف اليمين بعد الرفع للتحريم وجعلهما ﴿تحت صدره﴾ وفوق سترته مائلاً إلى جهة يساره لأن القلب فيها .

روى ابن خزيمة في صحيحه عن وائل بن حجر صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده اليمنى على يده اليسرى على صدره أي آخره فيكون اليد تحته بقرينة رواية تحت صدره وروى أبو داود بإسناد صحيح على ظهر كفه اليسرى والرسغ والساعد والحكمة في جعلهما تحت الصدر أن يكونا فوق أشرف الأعضاء وهو القلب وقيل الحكمة فيه أن القلب محل النية والعادة جارية بأن من احتفظ على شيء جعل عليه يديه ولهذا يقال في المبالغة أخذه بكلتا يديه والركوع العظيم الذي يلي إبهام اليد والرسغ بالسين أفصح من الصاد وهو المفصل بين الركوع والساعد ﴿وتفرق قدميه قدر شبر﴾ بكسر الشين ما بين طرفي الخنصر والإبهام بالتفريج المعتاد والجمع اشبار مثل حمل وأحمال والمراد بالشبر الوسيط المعدل ﴿في القيام وافتتاح﴾ أي دعاؤه بعد التحريم بفرض أو نقل غير صلاة الجنائز ولو على قبر وغائب على الأرجح ﴿سرا المستكن﴾ من منفرد وإمام وأمرؤ تمكن منه بأن أدرك إمامه في القيام دون الاعتدال وأمن فوت الصلاة أو الأداء وقد شرع فيها وفي وقتها ما يسع جميعها أو غلب على ظنه أنه مع اشتغاله به يدرك الفاتحة قبل ركوع إمامه وحل سنه ﴿إن لم يتعوذ﴾ أي لم يشرع في تعوذ أو قراءة ولو سهواً فإن شرع في ذلك فات عليه فلا يندب له العبور إليه لفوات محله ﴿أو﴾ لم يجلس ﴿مع إمامه﴾ فإن جلس معه بأن كان مسبوقاً وأدركه في التشهد فلا يسن الاتيان به إذا قلم وأراد قراءة الفاتحة .

والحاصل أن دعاء الافتتاح لا يسن إلا بشروط خمسة أن يكون في غير صلاة الجنائز وأن لا يخاف فوت وقت الأداء وأن لا يخاف

وهو وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيئا مسلما وما أنا من المشركين ثم تعوذ له بكل ركعة

المأموم فوت بعض الفاتحة وأن لا يدرك الإمام في غير القيام فلو أدركه في الاعتدال لم يفتح وأن لا يشرع المصلي مطلقا في التعوذ أو القراءة ﴿وهو﴾ أي دعاء الافتتاح ﴿وجهت وجهي﴾ أي قصدت عبادتي قال الجمال الرملي وقال بعضهم معنى وجهت أقبلت والوجه الذات كمن به عنها إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون كله وجهها مقبلا على ربه لا يلتفت إلى غيره في جزء منها ويجتهد في تحصيل الصدق خوفا من الكذب في هذا المقام ﴿للذي فطر السموات والأرض﴾ أي خلقهما على غير مثال سابق ﴿حنيئا﴾ أي ما تلاعن كل الأديان إلى دين الإسلام وهو عند العرب من كان على ملة إبراهيم عليه السلام ﴿مسلمًا وما أنا من المشركين﴾ تأكيد لمسلمًا أو تأسيس بحمل النفي عاندا إلى أنواع الشرك الظاهر والباطني لكن هذا بالنسبة للخواص ﴿ان صلاتي﴾ أي الصلاة المعروفة ﴿ونسكي﴾ أي عبادتي فعطفه عام ﴿ومحياي ومماتي﴾ أي حياتي وموتي ﴿الله رب العالمين﴾ أي مملوكين له ﴿لا شريك له وبذلك﴾ أي بالدعاء والصلاة والتسك أو بأحدهما ﴿أمرت وأنا من المسلمين﴾ وإن كان الذي في الآية وأنا أول المسلمين وذلك للتابع رواه مسلم الكلمة مسلما فابن حبان وفي رواية وأنا أول المسلمين وكان يقول بما فيها تارة لأنه أول مسلمي هذه الأمة أي في الوجود الخارجي فلا ينافي أنه أول المسلمين مطلقا كما قاله ابن حجر تقدم خلوداته وافتراخ النبوة عليه قبل خلق جميع الموجودات فلا يجوز لغيره ﴿ذكرها﴾ إلا أن قصد لفظ الآية ومعلوم أن المرأة تأتي بجميع ذلك بالفاظه المذكورة للتغليب الشائع لغة واستعمالا وإرادة الشخص في نحو حنيئا محافظة على لفظ الوارد فاندفع بذلك قول الأسنوي أن القياس مراعاة صيغة التأنيث وهي المشركات والمسلّمات وقول غيره القياس حنيئة مسلمة قال الشبرايملي ومع ذلك لو أتت به حصلت السنة وسرع المأموم بالدعاء المذكور ويقتصر عليه ليسمع قراءة إمامه ويزيد المنفرد وإمام علم رضا مقد به اللهم أنت الملك لا اله إلا أنت سبحانك وبحمدك أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق لا يهديني لأحسها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت ليك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك أي لا يتقرب به إليك أنا بك وإليك تباركت وتعاليت استغفرك وأتوب إليك .

وصح في دعاء الافتتاح أخبار آخر منها الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ومنها الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ومنها اللهم باعدني بيني وبين خطايا كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم تقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسلني بالماء والثلج والبرد رواه الشيخان والمراد المغفرة لا الغسل الحقيقي بها وبأي الأدعية افتتح حصل أصل السنة لكن الأول أفضلها قاله في المجموع وظاهره استحباب الجمع بين جميع ذلك لمنفرد وإمام من ذكر وهو ظاهر خلافا للأذرعى .

﴿ثم﴾ يسن ﴿تعوذ له﴾ أي لمنه ويشترط فيه شروط الافتتاح لكن يفارقه في أنه يسن في صلاة الجنازة وفيما لو اقتدى بإمام جالس وجلس معه فيأتي به بعد قيامه لأنه كقراءة لم يشرع فيها وحله بعد الافتتاح وتكبير صلاة العبد ويحصل أصل السنة بالآيتين ببعضه نظير ما مر في الافتتاح وتعوذ ﴿بكل ركعة﴾ أي في كل ركعة على المذهب ولو للقيام الثاني من صلاة الخسوف لأنه مأمور به للقراءة وقد حصل الفصل بين القرائتين بالركوع وغيره والأصل في ذلك قوله تعالى فاذا قرأت القرآن أي أردت قراءته فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم حتى لو قرأ خارج الصلاة استحب له الابتداء بالتعوذ وبالسلمة سواء افتتح من أول سورة أو من أثنائها كذا رأيته في زيادات أبي عاصم العبادي نقله عن الشافعي والنقل في السلمة غرب فقطن له والتعوذ في الركعة الأولى أكد بما بعدها للاتفاق عليها ولا تستحب إعادته بعد سجدة التلاوة ويستحب لعاجز أن يأتي بذكر يدل القراءة فيما يظهر خلافا لصاحب المهمات والطريق الثاني

سرا ووقف على رأس كل آية من الفاتحة حتى البسمة ويكره الوقف على أنعمت عليهم وتأمين بتخفيف ومد ولما نوم سماع قراءة إمامه معه ولو تركه الإمام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمن الإمام

قولان أحدهما هذا يعني يتعوذ كل ركعة والثاني يتعوذ في الأولى فقط لأن القراءة في الصلاة واحدة ولو أمكنه بعض الاقتراح أو التعوذ أتى به محافظة على المأمور به ما أمكن وعدم ندمهما لغير المتمكن بأن اخلت فيه شرط من الشروط السابقة بل قد يحرم أن أحدهما عند خوف ضيق الوقت قاله الجمال الرملي وغيره ويسن قراءة ﴿سرا﴾ أي استحيابا في الجهرية والسرية كسائر الأذكار والمستحبة بحيث يسمع نفسه لو كان سمعها ويحصل بكماله ما اشتمل على التعوذ من الشيطان وأفضله على الإطلاق أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الرافعي هكذا ذكره الشافعي وورد في الخبر وحكى عن القاضي الرباني بغض أصحابنا أن الأحسن أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا شك أن كلامها جائز يؤدي به الغرض.

* تنبيه * قال الرافعي وهل يجهر بالتعوذ فيه قولان أحدهما يستحب الجهرية في الصلاة الجهرية كالسمية والتأمين وأصحهما وهو الذي ذكره الغزالي في الوحي أن المستحب فيه الأسرار بكل حال كما تقدم لأنه ذكر شرع بين التكمير والقراءة فيسن فيه الأسرار كدعاء الاستفتاح وذكر الصيلائي وطائفة من الأصحاب أن الأول قول القديم والثاني الجديد وحكى في البيان القولين على وجه آخر فقال أحد القولين أنه يتخير بين الجهر والأسرار ولا ترجيح والثاني أنه يستحب فيه الجهر ثم نقل عن أبي علي الطبراني أنه يستحب فيه الأسرار والقول القديم أخرجه الشافعي في الأم من طريق صالح بن أبي صالح أنه سمع أبا هريرة وهو يرمي الناس رافعا صوته يقول ربنا انا نعوذ بك من الشيطان الرجيم قال وكان ابن عمر يتعوذ سرا ذكره الزبيدي.

﴿و﴾ يسن ﴿و﴾ وقف على رأس كل آية من الفاتحة ﴿لما﴾ صح أنه ﴿كان﴾ يقطع قراءة آية آية يقول بسم الله الرحمن الرحيم ثم يقف الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف ﴿حتى﴾ على آخر ﴿البسمة﴾ خلافا لجمع قائلين أنه يسن وصل البسمة بالحمد لله للإمام وغيره وتعجب ابن حجر منه في التحفة للحديث المذكور ﴿ويكره الوقف على أنعمت عليهم﴾ لأنه ليس بوقف لتعلقه بما بعده ولا منتهى آية عندنا فإن وقف على هذا لم يضر في صلاته والأولى عدم الإعادة من أول الآية من قوله صراط الذين ﴿و﴾ يسن عقب الفاتحة بعد سكتة لطيفة أو بدلا أن تضمن دعاء فيما يظهر بما كان للمبدل ﴿وتأمين﴾ أي قوله آمين سواء كان في صلاة أم لا لكنه فيها أشد استحبابا لخبر أنه ﴿كان﴾ إذا فرغ من قراءة أم القرآن رفع صوته فقال آمين يمد بها صوته وآمين اسم مبني على الفتح مثل أين وكيف بمعنى استجب ﴿بتخفيف﴾ للميم ﴿ومد﴾ هذه هي اللغة المشهورة الفصيحة قال الشاعر:

آمين آمين لا أرضي بواحدة * حتى أبلغها الفين آمينا

ويحوز القصر لعدم إخلاله بالمعنى وحكى مع المدلفة ثالثة وهي الإمالة وحكى التشديد مع القصر والمد أي قاصدين اليك وأنت أكرم أن تحب من قصدك وهو لحن بل قيل شاذ منكرك لكن لا تبطل الصلاة لقصد الدعاء كما في الجميع خلافا لما في الأنوار وغيره ولوزاد بعد آمين الحمد لله رب العالمين أو غيره من الذكر فحسن.

﴿و﴾ يسن ﴿لما نوم﴾ في الجهرية تأمين ﴿سمعت قراءة إمامه معه﴾ أي مع تأمين إمامه لا قبله ولا بعده كما في النهاية قال المحلي فإن لم يتفق ذلك أمن عقب تأمينه ﴿ولو تركه الإمام﴾ أو أخره عن الزمن المستنون فيه التأمين أمن المأموم جهرا أم سريا قبله في الثانية ولا ينظره اعتبارا بالمشروع وليس في الصلاة ما تسن مقارنته فيه غيره والأصل في ذلك ما ﴿قال﴾ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمن الإمام

فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه رواه الشيخان ثم قراءة شيء من القرآن ولو آية والأولى ثلاث آيات في أولين لغير مأموم سمع قراءة إمامه وفهمه فذكره له .

فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة ﴿١﴾ أي وهم يؤمنون مع تأمين الإمام قال العلقمي على الجامع المراد بتأمين الملائكة استغفارهم انتهى قال الشبر السلي في أنه إن كان مأخذه قولهم إن الصلاة من الملائكة الاستغفار بمعنى أنه متى ذكر عن الملائكة شيء من أنواع الدعاء يكون محمولا على الاستغفار ففيه أنهم إنما جعلوا ذلك تفسيرا لصلاة الملائكة أي دعائهم وهو ظاهر فيما لو أسند اليهم الدعاء بغير لفظ مخصوص أما إذا أسند اليهم كذلك هنا وجب حمله على ظاهره حتى يوجد صارف ومعلوم أن معنى تأمين الملائكة قولهم آمين ويصرح به قوله في الرواية الثانية الآية وقالت الملائكة في السماء آمين وإن كان مسنده في ذلك أنه ورد أن تأمين الملائكة استغفارهم لا قولهم آمين فمسلم لكن كان عليه أن ينقله ﴿غفر له ما تقدم من ذنبه﴾ وقول رسول الله ﷺ إذا قال أحدكم آمين وقالت الملائكة في السماء آمين فوافقت أحدهما الإخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ﴿رواه﴾ ما ﴿الشيخان﴾ والمراد الصغائر فقط وإن قلل ابن السبكي في الاشياء والنظائر أنه يشمل الصغائر والكبائر ولفظ مسلم إذا قال أحدكم في الصلاة آمين فظاهرهما الأمر بالمقارنة بأن يقع تأمين الإمام والمأموم والملائكة دفعة واحدة ولأن المأموم لا يؤمن لتأمين إمامه بل لقراءته وقد فرغت وبذلك علم أن المراد بقوله إذا آمن إذا أراد التأمين ويوضحه خبر الصحيحين إذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين .

قال النووي ومعنى موافقته للملائكة أنه وافقهم في الزمن وقيل في الصفات من الاخلاص وغيره قال وهؤلاء الملائكة قيل هم الحفظة وقيل غيرهم لخبر فوافق قوله قول أهل السماء وأجاب الأول بأنه إذا قالها الحفظة قالها من فوقهم حتى تنتهي إلى السماء ولو قيل بأنهم الحفظة وسائر الملائكة لكان أقرب .

* فائدة * يجهر المأموم خلف الإمام في خمسة مواضع تأمين يؤمن مع تأمين الإمام وفي دعائه في قنوت الصبح وفي قنوت الوتر في النصف الثاني من رمضان وفي قنوت النازلة في الصلوات الخمس وإذا قبح عليه ذكر ذلك الخطيب في شرح المنهاج .

﴿ثم﴾ يسن للإمام والمنفرد ﴿قراءة شيء من القرآن﴾ غير الفاتحة ﴿ولو آية والأولى ثلاث آيات﴾ بعد الفاتحة في مكتوبة سواء كانت سرية أو جهرية ولومندورة خلافا للاستوى أو نافلة ولم تجب تلك القراءة للحديث الصحيح أم القرآن عوض من غيرها وليس غيرها عوضا منها قاله ابن حجر وتسن الآية ﴿في﴾ ركعتين ﴿أوليين﴾ من رباعية أو ثلاثية ولا تسن في الأخيرتين لغير مسبوق أما هو فمفرد وهما إن تمكن لأن ذلك أول صلاته فإن لم يتمكن قراها فيهما من صلاته لثلاث خلوعنها ويكررهما مرتين ثالثة المغرب إلى انقضاءها بدلا عن قراءتها في الأولتين وبحل ندب قراءتها فيما انفرد به ما لم تسقط عنه تبعاً للفاتحة بحمل الإمام لها ولا فلا يقرؤها ومثل المسبوق مأموم فرغ من الفاتحة قبل إمامه في السرية فإنه يقرؤها فيهما وإنما تسن قراءة الآية ﴿لغير مأموم﴾ من إمام ومنفرد ﴿سمع قراءة إمامه وفهمه﴾ أي فهم ما قرأه الإمام في الجهرية أما المأموم المذكور ﴿فذكره له﴾ قراءتها للنهي الصحيح عن قراءتها خلف الإمام في قوله ﷺ إذا كنتم خلفي فلا تقرأوا إلا بأم القرآن حسن صحيح وقيل تحرم قال في التحفة وأخير إن أدى غيره بل يستنع لقراءة إمامه لقوله تعالى وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وانصتوا والاستماع مستحب لا واجب والمشهور أن السنة في حقه تأخير الفاتحة في الأولين إلى ما بعد فاتحة إمامه ولو في السرية ويعرف فراغ فاتحة الإمام فيها بظنه قال الجمال الرملي في النهاية ولم يذكر ما يقوله غير السامع في زمن سكوته ويشبه أن يقال يظيل دعاء الافتتاح الوارد في الأحاديث أو يأتي بذكر آخر أبا السكوت المحض فبعيد وكذا قراءة غير الفاتحة فيعتن استحباب أحد هذين يعني إطالة دعاء الافتتاح والبيان بذكر آخر انتهى .

كجهر خلفه وتحصل بإعادة الفاتحة إن لم يحفظ غيرها وتكرير سورة واحدة في الركعتين وسورة كاملة أفضل من البعض وإن طال في غير التراويح وكون السورتين متواليتين ما لم تكن التي تليها أطول وعلى ترتيب المصحف

قال الذهبي وما ذكره من اطالة الوارد في الأحاديث ظاهر في الركعة الأولى والألف الثانية لا افتتاح لها يأتي فيها بذكر ويجب كما قاله الشرقاوي على من علم أن امامه لا يقرأ السورة أو السورة قصيرة ولا يمكن من اتمام الفاتحة بعده أن يقرأها معه ولا يرد هذا على قولهم لا تسن المقارنة الألفي التأمين لأن هذا واجب وكلامهم في المنذوبات فإن لم يسمع قراءته كان بعد المأموم عنه أو كان به أصم أو سمع صوتاً لا يفهمه كما قاله النووي في أذكاره أو كانت الصلاة سرية ولم يجهر الامام فيها أو جهرية وأسرفها قرأ المأموم السورة في الأصح اذ لا معنى لسكوته أما إذا جهر الامام في السرية فإن المأموم يستمع لقراءته كما صرح به في المجموع اعتباراً بفعل الامام وصحح الرافعي في الشرح الصغير اعتباراً للمشروع في الفاتحة فعلى هذا يقرأ المأموم في السرية مطلقاً ولا يقرأ في الجهرية مطلقاً ومقابل الأصح لا يقرأ مطلقاً لا إطلاق النهي ﴿كجهر﴾ أي ككراهة جهر المأموم ﴿خلفه﴾ أي خلف الامام .

﴿وتحصل﴾ قراءة الآية أي أصل سنتها ﴿بإعادة الفاتحة إن لم يحفظ غيرها﴾ أي غير الفاتحة فيما يظهر فيكررها بتمامها إن أراد تحصيل سنة السورة الكاملة أو بعضها وإن قل أن أراد أن أصل السنة هذا وقد يقال الأولى عدم تكريرها فإن ذلك يبطل للصلاة على قول الآن يقال محل جريان القول بالبطلان في غير هذه الصورة كذا قاله الشبرايملي فمن حفظ غيرها لا يحصل أصل السنة بإعادتها لأن الشيء الواحد لا يؤدي به فرضاً ونقلاً ولا يشبه تكرار الركن ﴿و﴾ يحصل ﴿بتكرير سورة واحدة﴾ ولو حفظ غيرها ﴿في الركعتين﴾ أي الأولين وقراءة البسملة لا يقصد التي هي أول الفاتحة قال الشبرايملي فإن كان بقصد ذلك لم تحصل به السنة بل تبطل به الصلاة إن قلنا بأن تكرير بعض الركن القولي مبطل .

﴿وسورة كاملة أفضل من البعض﴾ أي بعض طويلة وذلك لأن الابتداء بها والوقوف على آخرها صحيحان بالقطع بخلافهما في بعض السورة فانهما قد يخفيان ﴿وإن طال﴾ البعض يعني أطول من السورة الكاملة قال ابن قاسم المعتمد انه إنما هي أفضل من قدرها من طويلة انتهى لأطول منها كما في النهاية ثم محل أفضليتها ﴿في غير التراويح﴾ أما فيها فقراءة بعض الطويلة أفضل كما أتت به ابن عبد السلام وغيره وعلوه بأن السنة فيها القيام بجميع القرآن وعليه فلا يختص ذلك بالتراويح بل كل محل ورد فيه الأمر بالبعض فالإقتصار عليه أفضل كقراءة آتي البقرة وآل عمران في ركعتي الفجر قال الشبرايملي يؤخذ من ذلك أن محل كون البعض أفضل إذا أراد الصلاة بجميع القرآن فيها فإن لم يرد ذلك فالسورة أفضل ثم رأيت في سم على منهج التصريح بذلك وعبارته وافق الرملي على أن محل تفضيل قراءة بعض الطويلة في التراويح إذا قصد القيام بجميع القرآن في رمضان فإن لم يقصد ذلك فهو كغيره كما هو ظاهر .

﴿و﴾ يسن ﴿كون السورتين متواليتين ما لم تكن التي تليها أطول﴾ فإن كانت أطول كالأنفال وبراءة لم يكن تركه خلاف الأولى فلا تطول الثانية على الأولى وهو خلاف السنة قال ابن المقرئ وغيره ويستحب أن تكون قراءة الركعة الأولى أطول للاتباع ولأن النشاط فيها أكثر فنخف في غيرها حذراً من الملل نعم ما ورد من طول قراءة الثانية يتبع كسبح وهل أتاك في العبد ﴿وعلى ترتيب المصحف﴾ بأن يقرأ الفلق ثم قل أعوذ برب الناس فلو عكس كان خلاف الأولى .

* تنبيه * لا يصل آخر السورة بتكبير المحوي بل يفصل بينهما ويسكت بقدر سبحان الله وهو أحد الوجوه في تفسير قوله عليه الصلاة والسلام نهى عن المواصلة في الصلاة قال الخطيب في شرح المنهاج السكات المنذوبة في الصلاة أربع سبكات للامام بعد تكبيرة

وقراءة الم تنزل وهل أتى في صبح الجمعة والجمعة والمنافقين أو سبج وهل أذاك فيها وفي عشائها والكافرون والإخلاص في مغربها وفي صبح
المسافر والمعوذتين في مغرب السبت

الأجرام يفتح فيها وسكة بين ولا الضالين وآمين وسكة للإمام بين التأمين في الجهرية وقراءة السورة بقدر قراءة المأموم الفاتحة وسكة قبل
تكبيرة الركوع قال في المجموع وتسمية كل من الأولى والثانية سكة مجاز فانه لا يسكر حقيقة لما تقر فيهما وعداها الزركشي خمسة
الثلاثة الأخيرة وسكة بين تكبيرة الأحرار والافتتاح والقراءة وعليه لا يجاز إلا في سكة الإمام بعد التأمين والمشهور الأول انتهى .

قل في الإيعاب بعد ذكر سنية فصل الإمام بين التأمين والسورة بمن يكون قد قرأ المأموم الفاتحة مالم يخلصه وإن كان بطيء القراءة
فيما يظهر نعم لا يسن السكوت لأصم ومن لا يرى قراءة الفاتحة بعد الإمام لا تغني العلة وهي تفرغ المأموم لسماع السورة وهل يلحق بهما من
يعلم الإمام منه أنه لا يستمع قراءته بل يقرأ معه أم لا إرشاد إلى الاستماع المتدوب ولعل الثاني أقرب انتهى وكتب عليه العلامة عبد الله بن
الحسيني بن عبد الله بافقيه ولو قيل الأتيق بأهل زماننا هو الأول يعني به الحاق المذكور لم يكن بعيدا لكثرة ما يرد عليهم في الصلاة ولكراهتهم
التطويل بحيث تخرجهم تلك الكراهة إلى حد أن لا تحضر قلوبهم في غالب الصلاة أو جميعها بل قد يفيض بالبعض إلى ترك الجماعة كما هو
مشاهد وذرة المفاسد أولى من جلب المصالح .

﴿و﴾ يسن للحاضر سواء كان منفردا أو أمانا لقوم محصورين وغيرهم ﴿قراءة الم تنزل﴾ السجدة في الركعة الأولى ﴿و﴾ في
الثانية ﴿هل أتى﴾ على الإنسان ﴿في صبح الجمعة﴾ لما روى عن أبي هريرة ؓ قال قال كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة الم تنزل في
الركعة الأولى وفي الركعة الثانية هل أتى قال الخطيب فان ترك الم تنزل في الأولى سن أن يأتي بها في الثانية فان اقتصر على
بعضهما أو قرأ غيرهما خالف السنة قال الفارقي ولو ضاق الوقت عنهما أتى بالممكن ولو آية السجدة وبعض هل أتى قال الأذرعى ولم أراه
لغيره وعن أبي إسحاق وابن أبي هريرة لا تسحب المداومة عليهما يعرف أن ذلك غير واجب وقيل للشيخ عماد الدين بن يونس أن العامة
صاروا يرون قراءة السجدة يوم الجمعة واجبة وينكرون على من تركها فقال تقرأ في وقت وتترك في وقت آخر فيعلمون أنها غير واجبة قال
السيد البكري تبع للشرقاوى تسن المداومة عليهما والقول بأن يترك ذلك في بعض الأحيان لا يعتد العامة وجوبه بخلاف للوارد ويلزم
عليه ترك أكثر السنن ﴿و﴾ قراءة سورة ﴿الجمعة والمنافقين﴾ في الأولى والثانية ﴿أو سبج وهل أذاك﴾ كذلك ﴿فيها﴾ أي في صلاة
الجمعة ﴿وفي عشائها﴾ أي الجمعة ﴿و﴾ قراءة سورة ﴿الكافرون والإخلاص في مغربها﴾ لما صح عنه ؓ أنه كان يقرأ في عشاء ليلة
الجمعة بالجمعة والمنافقين وفي مغربها بالكافرون والإخلاص .

﴿و﴾ يستحب كما قاله الشيخ أبو محمد في مختصره والغزالي في عقود المختصر والاحياء أن يقرأ ﴿في﴾ الأولى من ﴿صبح
المسافر﴾ قل يا أيها الكافرون والثانية الإخلاص قال الشبرا ملى ظاهره ولو يوم الجمعة ويوجه بأنه لاستغاله بأمر السفر طلب منه
التخفيف ثم ما ذكره من المسافر هو شامل للملوكان سائرا أو نازلا ليس متها في وقت الصلاة للسير ولا متوقعا له ولو قيل إذا كان نازلا
كما ذكر لا يطلب منه خصوص هاتين السورتين لأطمئنانه في نفسه لم يبعد ثم رأيت في شرح المنهاج لابن حجر مانصه وأما المسافر فسن له
في صبحه في الجمعة وغيرها الكافرون والإخلاص لحديث فيه وإن كان ضعيفا وورد أيضا أنه ﷺ صلى في صبح السفر بالمعوذتين وعليه
فيصير المسافر بخير ما في الحديثين لكن قضية كون الحديث الثاني أقوى سندا وإثارا هم التخفيف للمسافر في سائر فرائضه أن المعوذتين
أولى ﴿و﴾ يسن أن يقرأ كما قال الناشري التابع للغزالي سورة ﴿المعوذتين في﴾ أولى وثانية ﴿مغرب السبت﴾ وعلة بعضهم بأن

الشياطين تنشر عند السبت بعد خروج يوم الجمعة .

* فائدة * قال العلامة عبد الله بن الحسينى باقيه ونقله الفقيه عبد الرحمن بن محمد مفتى الديار الحضرية المشهور بإعلوى لم تأق فى كتب الحديث والفقه والتصوف على ندب سور مخصوصة فى الصلوات الخمس وغيرها سوى ما ذكره وفى مغرب ليلة الجمعة وعشاؤها وصبحها وصلاة الجمعة من السور المشهورة وفى ليلة السبت من ندب المعوذتين وما ورد من طوال المفصل وأوساطه وقصاره وما ذكره فى العيدين والاستسقاء والخسوف بما لا يخفى نعم استحسن بعض العلماء قراءة سورتي الإخلاص فى كل صلاة لم يرد فيها قرآن مخصوصه .

وذكر بعضهم أن الصلوات التى يسنّ فيها السورتان المذكورتان اثنا عشرة بمغرب ليلة الجمعة وصبح المسافر أبدا وراتبة العشاين والصبح وركعتي الاحرام والطواف والتحية وصلاة الحاجة وعند السفر فى بيته وعند القدوم فى المسجد والتقديم للقتل وأما عمل أهل الفضل من أئمة السلف وتوظيف أوقاتهم وتنوع كيفياتهم من سائر العبادات فمما لا يدخل فى الحصر فكم لكل منهم طريقة وكيفية وغايتهم واحدة وآخرهم ترتيبا خاتمة المحققين القطب الحبيب عبد الله الحداد وحاصل ما ذكره تلميذه السيد محمد بن سميط فى غاية المقصد والمراد أنه فى آخر عمره اقتصر فى الصبح على أوساط المفصل كالأعلى والغاشية فى يوم الجمعة دائما وفى غيره ريمأقرأهما وريمأقرأ غيرهما وإذا قرأ الطارق فى أولى الصبح فالتين فى الثانية أو البلد فالشمس أو الليل فالقد رأولم يكن فالعاديات .

وأما المغرب فى ليلة الجمعة والثلاثاء بسورتي الإخلاص وفى السبت والأربعاء بالمعوذتين وفى الأحد بالفيل وقرش وفى الاثنين والخميس بالماعون والكوثر وفى ثالثة كل ليلة ربنا لاترغ قلوبنا الى الوهاب وأما العشاء فيقرأ فيها اما الضحى وألم نشرح أو النصر أو التين والقدر أو الزلزلة والتكاثر أو القارعة والتكاثر أو الحمزة والفيل ويقول فى ثالثها أنت ولي فى الدنيا الى الصالحين وفى الآخرة ربنا آتئامن لدنك الى رشدا وريمأقرأ فى العصر التكاثر والعصر والإخلاص ويقرأ فى ثالثة الظهر والعصر ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وفى رابعتهما ربنا آتئافى الدنيا حسنة الآية .

وأما النوافل فيقرأ فى ركعتي الفجر بآتي البقرة وآل عمران وريمأقرأ بسورتي الإخلاص أو ألم نشرح ويصلى قبلية الظهر أربعاً بسلام واحد يقرأ فى كل ركعة بآية الكرسي ومقرئ من ليس وثلاث من الإخلاص ويصلى بعدية الظهر ركعتين بالمعوذتين وريمأصلاها أربعاً ويصلى سنة العصر أربعاً مفصولة بالزلزلة والعاديات والقارعة والتكاثر وفى ذلك أثر ذكره الجيئ فى كتاب البركة ويصلى بعدية المغرب ركعتين بسورتي الإخلاص ويقرأ فى قبلية العشاء بقرش والتكاثر ويقرأ فى بعديتها بالم السجدة والمملك وفى آخر وقتة اقتصر على المعوذتين ويصلى قبلية الجمعة أربعاً بتسليمة واحدة يقرأ فى الاولى آية الكرسي وأول الجمعة الى فينبكم بما كنتم تعملون وفى الثانية آمن الرسول الى آخر السورة وبقية الجمعة وفى الثالثة آية الكرسي وأول المنافقين الى ولكن المنافقين لا يعلمون وفى الرابعة بقية السورة ثم آية الكرسي وآخر الحشر هو الله الذى يصلى الضحى ثمانية يقرأ بالشمس والضحى وألم نشرح والنصر والتكاثر وقرش والمعوذتين على الترتيب واقتصر آخر عمره فى الصلاة الأولى على أربع يقرأ فى الاولى أفحسبم الى آخر السورة وقوله فسبحان الله الى تخرجون وفى الثانية والصافات الى لأواب وفى الثالثة حم غافر الى المصير وآية الكرسي وفى الرابعة لقد جاءكم رسول الى آخر السورة وريمأقرأ فيها لقد صدق الله رسوله الرؤيا الى آخر السورة أو الى فتحا قريباً

وجهر واسرار في حلليهما وتدبر قراءة وذكر

﴿و﴾ يسن ﴿جهر واسرار﴾ بقراءة الفاتحة أو بدلا والسورة وحده الجهر أن يسمع من يليه وحده الاسرار أن يسمع نفسه فقط حيث لا مانع والتوسط بينهما أن يزيد على أدنى ما يسمع نفسه من غير أن يبلغ الزيادة إلى سماع من يليه وهذه الحالة أن أمكت فهي المراد في نافلة الليل الآتية والا فالمراد بالتوسط فيها الاسرار نارة والجهر أخرى والمعمد عدم امكانها وان المراد المعنى الثاني ﴿في حلليهما﴾ المعروفين للاتباع رواء الشيخان وحل الجهر في الصبح والجمعة والعيدين وخسوف القمر والاستسقاء وأولى العشائين والتراويح ووتر رمضان وركن الطواف ليلا أو وقت صبح وحل الاسرار في غير ذلك الا نوافل الليل المطلقة في توسط فيها بين الجهر والاسرار وتقدم معناه ولا يجهر مصل وغيره ان شوش على نائم أو مصل أو نحوه كقارئ ومدرس ومصنف ومطالع والعبارة في القضاء بوقته وهو المعتمد وقيل بوقت الأداء وجهر المرأة دون جهر الرجل وحل جهرها اذا لم تكن بحضرة أجنب ومثلها الخنثى فان كانت بحضرتهم سن لها الاسرار وكذا الجهر ولا تبطل الصلاة ويسن لها الاسرار أيضا بحضرة الخنثى لاحتمال ذكوريته وللخنثى الاسرار بحضرة مثله لاحتمال أنوثته القارح وذكره السامع وتكثيرهما في الجهر والاسرار كالقراءة فيما ذكر ﴿وتدبر قراءة﴾ أي تأمل معانيها اجمالا لا تفصيلا كما هو ظاهر لأنه يشغله عما هو يصدده ويسن ترتيلها أيضا وهو الثاني في اخراج الحروف فافراط الاسراع مكروه قال بعضهم وحل ذلك حيث أحرم الوقت يسعها والاوجب الاسراع وصرف الترتيل أفضل من صرف غيره فنصف السورة مثلا معه أفضل من تمامها بدونه ولعل هذا في غير ما طلب بخصوصه كقراءة الكهف يوم الجمعة فان اتمامها مع الاسراع أفضل من بعضها مع الثاني ذكره الشبرايملى قال وقولهم تطويل القيام أفضل من عدد الركعات محله أيضا في النفل المطلق أما نحو الوتر فالحفاظة على العدد المطلوب فيه أفضل وان قصر الزمن وذلك لقوله تعالى أفلا يتدبرون القرآن ولأنه يكمل به مقصود الخشوع ﴿و﴾ تدبر ﴿ذكر﴾ كسيح ودعاء قياسا على القراءة.

* مهمة * اعلم ان المصلى اذا وجه وجهه قلبه الى مولاه وقرأ مثلا اهدنا الصراط المستقيم فان كان من أهل الظاهر فاما أن يذهب فهمه في أول وهلة الى تصرف حروفها وتعليقها بأن يخطر بباله ان اهدنا صيغة أمر وأن أصله اهدى كضرب سقطت ياءها للإضافة الى ضمير المتكلم وأنه من باب ضرب هداية يهديه وأنه متعد وان همزة الأمر مكسورة وان المستقيم صيغة اسم فاعل من استقيم وهل سينه أصلية أم زائدة وهل ألفها منقلبة عن زار أو باء وماعلة قلبها أيضا الى أمثال ذلك فهذا نظر أهل التصريف الظاهر واما أن يذهب فهمه الى معنى الهداية هل هي اراءة الطريق أو الارشاد وهل اشتقاقه من الهدى أو من الهدى وان الصراط اسم للطريق وهل هو مرادف له أو مغاير وان الاستقامة هو الاعتدال مشتق من القيام أو القومة الى غير ذلك من المعاني وهذا نظر أهل العلم بجواهر الألفاظ المعبر عنه بعلم اللغة واما أن يذهب فهمه الى تركيب حروفها ومخارجها فيخطر بباله مخرج الصاد والطاء والقاف وأنه يجوز ان يقول الصراط بالسين والزواط بالزاي لقرب المخارج وما لها من الترفيق والتبخيم والاشمام والقلقلة والامالة والتحفظ على مخرج الدال حتى لا يشبه بالطاء وعلى مخرج القاف حتى لا يخلطه بالكاف العجبة الى غير ذلك وهذا انظر أهل القراءة واما ان يذهب فهمه الى تركيب هذه الجملة من حيث المجموع فيقول اهدنا فعل أمر مضاف الى الضمير المتكلم وفيه ضمير مستتر تقديره أنت وان المخطب هو الله تعالى والصراط مفعول اهدنا وهو يتعين فيه النصب والمستقيم صفة فهي مجموعها جملة انشائية ولا يكاد يتجاوز فهمه الى معنى الصراط ولا استقامته وأمثلة ذلك هو نظر أهل الاعراب وهو من خواص هذه الأمة الحمديّة واما ان يذهب فهمه الى خواص الجملة الانشائية وما لها من التجديدات والفارقات بينها وبين الاسمية وتفاوت مراتبهما وتناسبهما مع السياق الى غير ذلك من الأسرار الناشئة من التركيب الجمعي فهذا انظر اليائنين.

وتكبير في كل خفض ورفع من غير ركوع ومده إلى أن يصل إلى الركن المنتقل إليه ووضع راحتيه على ركبتيه وتسوية ظهر وعنق في الركوع
 وأن يقول فيه سبحان ربي العظيم

وقد يعرض على قلبه حينئذ أن اهدنا الصراط مرزوق من بحر الرجز أو الكامل وقد دخل بعض العلل وهو نظر أهل العروض فكل هؤلاء من أهل الظاهر ينظرون إلى ظاهر اللفاظ أفراداً وتركيباً وكل ذلك ليس مراداً في التفهم المأمور وإن كان من أهل الباطن يذهب فهمه إلى شرف أم الكتاب وأنها السبع المثاني وأنها مكرمة هذه الأمة ومن خصوصيتها وإن الله تعالى خاطب بحبيبه صلى الله عليه وسلم وأمره بالدعاء والتضرع وأن يعلم أنه بذلك وأن الهداية بتوفيق الله تعالى وبحض فضله وكرمه وأنه ما أمر بالدعاء إلا وقد تفضل عليهم بالإجابة وإن الصراط المستقيم هو الذي لا عوجاج فيه ولأنه وصاحب هذا المقام يراعى حد الوسط في كل أمر من مطعم ومشرب وملبس وكل أمر ديني ودنيوي وهذا نظر أهل المرتبة الأولى من أهل الباطن ومنهم من تجارز بعد فهم هذا إلى أن المراد بالصراط المستقيم هو التمسك بظاهر الشريعة والعرض عليه بالتواجد وأنه هو الموصوف بهذا الوصف وصاحب هذا المقام يقف في العبارات عند الإشارات وهو نظر أهل المرتبة الثانية من أهل الباطن ومنهم من يعد وفهمه إلى معنى آخر في الصراط المستقيم فيقول المراد به كلمة الإخلاص وأنه ما يجام من أبا التمسك بها فالمدومة عليها سبب النجاة وسبب خلوص القلب من الأوهام والشكوك وصاحب هذا المقام من المستهدين في ذكر الله تعالى لا يغفل عن مذكوره قط وهو نظر أهل المرتبة الثالثة من أهل الباطن ومنهم من يفهم من الصراط المستقيم معنى آخر وراء ذلك ويقول إن الصراط المستقيم هو محمد ﷺ وقد أمرنا بتابعه واقتناؤه سبيله وأنه هو الموصوف بكمال الاستقامة وهو المخاطب بقوله تعالى فاستقم كما أمرت ولا متابعة أشرف من متابعة الأحوال بعد التابعة بالأقوال والمعنى إرشادنا إلى متابعة أحوال هذا النبي الكريم ﷺ وصاحب هذا المقام شديد الملازمة للأحوال الباطنة وأشرفها الوفاء بكل العهود ويعبر عن هذا المقام بالثناء في الرسول وهو نظر أهل المرتبة الرابعة من أهل الباطن ومنهم من تجارز فهمه بعد إحاطته بما سبق إلى أن المراد بالصراط المستقيم هو وحدة الوجود ويقول لبقاء للبشرية بعد ظهور سلطان الحقيقة ويقول هذا هو الصراط المستقيم الذي سلكه المحققون من العارفين بالله تعالى وصاحب هذا المقام إن دامت معه هذه الملاحظة انمحت أو صافه البشرية بالكلية وانسحب بالصفات الملكية الروحانية وهو مقام الصديقين نفعنا الله بهم أجمعين فانظر ما ذكرت لك من التفصيل في جملة واحدة مما تقرأه في صلاتك التي هي سلم الوصول ومعراج الحق وهكذا تفرضه في كل جملة من جل القرآن لتكون من أهل العرفان قاله الزيندي.

﴿و﴾ سن لمنفرد وإمام وبأمرهم ﴿تكبير في كل خفض﴾ لركوع أو سجود ﴿ورفع﴾ من السجود أو من تشهد الأول للاتباع هذا ﴿من غير ركوع﴾ وأما الرفع من الركوع فيقول فيه سمع الله لمن حمده كما يأتي ﴿ومده﴾ أي التكبير ﴿إلى أن يصل إلى الركن المنتقل إليه﴾ أي الذي ينتقل الشخص إليه وإن فصل بين الركن المنتقل عنه والركن المنتقل إليه بجلسة الاستراحة قال بعضهم والحكمة في مشروعية التكبير في الخفض والرفع إن المكلف لما أمر بالنية أول الصلاة مقرونة بالتكبير وكان من حقه أن يستصحبها إلى آخر صلاته أمر أن يجدد العهد في آياته بالتكبير الذي هو شعار النية انتهى ويقطع التكبير في صلاة التسيح ولا يمد في جلسة الاستراحة بل يقوم غير مكبر ولا يأتي بتكبيرتين لأنه مكروه ﴿وضع راحتيه على ركبتيه﴾ في الركوع وترقعة أصابعه للقبلة حالة الوضع ﴿وتسوية ظهر وعنق﴾ أي ورأس ﴿في الركوع﴾ بأن يمد يدهما حتى يصيرا كالصفيحة الواحدة للاتباع وهذا أكمل الركوع في حق القائم أما القاعد فاقبل الركوع في حقه بحاذة جبهة مأمراً بركبتيه واكمله بحاذاتهما محل سجوده ﴿وأن يقول فيه﴾ أي في الركوع ﴿سبحان ربي العظيم﴾ أي

وبحمده ثلاثا وفي رفعه منه سمع الله لمن حمده وفي اعتداله ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد
ذاتا وصفات ﴿وبحمده﴾ أي وسبحته حال كونه متلبسا بحمده فالواو عاطفة أو زائدة ﴿ثلاثا﴾ للاتباع رواه مسلم وغيره هذا الذي
الكمال ويأتي الامام بها وان لم يرض المأمومون فان زاد عليها بغير رضاهم كره وأكمل منها خمس الى احدى عشرة وأقله مرة
والاقتصار عليها خلاف الأولى وهو مراد من عبرائه مكروه والاثان بالثلاث مع الدعاء أولى من الزيادة عليها مع عدمه ﴿و﴾ ان يقول
﴿في رفعه منه﴾ أي من الركوع الى الاعتدال ﴿سمع الله لمن حمده﴾ أي تقبل منه حمده وجازاه عليه وقيل غفرله للاتباع رواه الشيخان
مع خبر صلوا كما رأيتموني أصلي ولو قال من حمد الله سمع له كفى في تأدية أصل السنة لأنه أتى باللفظ والمعنى بخلاف أكبر الله لكن الترتيب
أفضل وسواء في ذلك الامام وغيره

وأما خبر اذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا ربنا لك الحمد فمعناه قولوا ذلك مع ما علمتموه من سمع الله لمن حمده لعلمهم بقوله
صلوا كما رأيتموني أصلي مع قاعدة التأسي به مطلقا وانما خص ربنا لك الحمد بالذكر لانهم كانوا لا يسمعون غالبا ويسمعون سمع الله لمن
حمده ويسن الجهر بالامام والمبلغ ان احتج اليه لانه ذكر انتقال ولا يجهر بقوله ربنا لك الحمد لانه ذكر الرفع فلم يجهر به كالسبح وغيره
وقد عمت البلوى بالجهر به وترك الجهر بالسبح لأن أكبر الأئمة والمؤذنين صاروا جهلة بسنة سيد المرسلين ويزيد المنفرد في الركوع اللهم لك
ركعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وشعري وبشري وما استقلت به قدمي لله رب
العلمين ﴿و﴾ أن يقول بعد اتصاف ﴿في اعتداله ربنا لك الحمد﴾ هكذا هو في حديث ابن عمر باسقاط الواو ويروى فيه أيضا ولك
الحمد باثباتها والروايتان معا صحيحتان قاله الرافعي قال الحافظ أما الرواية باثبات الواو فمتفق عليها وأما باسقاطها ففي صحيح أبي
عوانة .

وذكر ابن السكن في صحيحه عن أحمد أنه قال من قال ربنا قال ولك الحمد ومن قال اللهم ربنا قال لك الحمد وفي البحر عن
الجبتي أفضلها اللهم ربنا ولك الحمد ويليه اللهم ربنا لك الحمد ويليه ربنا لك الحمد وقال أبو جعفر لا فرق بينهما أي بين اسقاط الواو وبين
ولك الحمد باثباتها واختار صاحب المحيط اللهم ربنا لك الحمد ثم قال الحافظ قال الأصمعي سألت أبا عمرو بن العلاء عن الواو في قوله
ربنا ولك الحمد فقال هي زائدة وقال النووي في شرح المذهب يحتمل انها عاطفة على محذوف أي ربنا أطعناك وحمدناك ولك الحمد
اتى هكذا قدره الراعي في التبيين وفي الدراية ان الاول أظهر وفي شرح المنية قيل الاظهر اثبات الواو لأن الكلام عليه جملتان وفي
شرح المنهاج قال في الأم هو أحب الى لأنه جمع معنيين الدعاء والاعتراف أي ربنا استجب لنا ولك الحمد على هدايتك ايانا وزاد في
التحقيق بعده حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ولم يذكره الجمهور وهو في البخاري من رواية رفاعه بن رافع وفيه انه ابتد به بضعة وثلاثون
ملكا يكتبونه وذلك ان عدد حروفها كذلك وأغرب النووي في المجموع حيث قال لا يزيد الامام على ربنا لك الحمد الا برضا المسلمين
المؤمنين وهو مخالف لما في الروضة والتحقيق وقد جاءت زيادة بعد قوله لك الحمد فيما أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن أبي أوفى
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع رأسه من الركوع قال سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد ﴿ملء السموات وملء
الأرض وملء ما شئت من شيء بعد﴾ أي بعدهما كالعرش والكرسي وغيرهما مما لا يعلم علمه إلا هو ويجوز في ملء الرقع على الصفة
والنصب على الحال أي مالا لو كان جسما ويزيد المنفرد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لمانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينه
ذا الجد منك الجد والحق به امام قوم محصورين رضوا بالتطويل :

ورفع اليدين في القنوت حذو منكبيه وجهه إمام به وتأمين مأوم سمع قنوت إمامه سماعه محققا للدعاء منه والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وآله فيه

* تنبيه * وقع في المذهب وفي الشرح باسقاط الالف من أحق وباسقاط الواو قبل كلنا. وتعبه النووي فقال هكذا نقله الأصحاب في كتب المذهب والذي في صحيح مسلم وغيره أحق بإثبات الالف وكلنا لك عبد بزيادة الواو وكلاهما حسن لكن ما ثبت في الحديث أولى انتهى قال ابن الملقن وتلميذه الحافظ هو في سنن النسائي بحذفهما فتفى النووي إياه غريب ﴿ و ﴾ الصحيح أنه يسن ﴿ رفع اليدين في القنوت ﴾ وفي سائر الأدعية اتباعا كما رواه البيهقي فيه باسناد جيد وفي سائر الأدعية الشخان وغيرهما ومقابله عدم رفعهما في القنوت لأنه دعاء في صلاة فلا يستحب الرفع فيه قياسا على دعاء الافتتاح والشهد وفرق الأول بأن يديه فيه وظيفة ولا وظيفة لهما هنا وتحصل السنة برفعهما سواء أكانتا متفرقتين أم ملتصقتين وسواء أكانت الأصابع والراحة مستويتين أم الأصابع أعلى منها والضابط أن يجعل بطونها إلى السماء وظهورها إلى الأرض وخبر كان ﷺ لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا في الاستسقاء نفى وما هنا إثبات وهو مقدم على النفي أو محمول على رفع خاص وهو المبالغة فيه ويجعل فيه وفي غيره ظهر كفيه إلى السماء أن دعاء الرفع بلاء ونحوه من المشاق التي تحصل من غير قيام البدن وعكسه أن دعاء التحصيل شيء أخذنا مما ذكره في الاستسقاء ولا يعترض بأن فيه حركة وهي غير مطلوبة في الصلاة إذ محله فيما لم يرد واستحب الخطابي كشفهما في سائر الأدعية ويكره للخطيب رفع يديه حال الخطبة قاله البيهقي لجديث فيه في مسلم ويكره خارج الصلاة رفع اليد المتنجسة ولو بجائل فيما يظهر والأوجه أن غاية الرفع ﴿ حذو منكبيه ﴾ مع بقاء الكفين على بسطهما إلا أن اشتد الأمر ولا يرفع بصره إلى السماء قاله القزالي وقال غيره الأولى رفعه إليها أي في غير الصلاة ورجحه ابن العماد وتسن الإشارة بسبابة اليمنى وتكره باصبعين كما قاله ابن حجر .

وقال النووي الأصح أنه لا يستحب مسح على الوجه قطعا بل نص جماعة على كراهته ﴿ وجهه إمام به ﴾ أي القنوت ندباً في الصلاة الجهرية والسرية كما في قنوت النازلة في الظهر والعصر ويجهر به أيضاً في المداواة والمقضية قال الماوردي ولكن مثل جهره بالقراءة ولا يجهر به مأوم لم يسمع قنوت إمامه ومنفرد فيسران به مطلقاً ﴿ وتأمين مأوم ﴾ جهره ﴿ سمع قنوت إمامه سماعاً محققاً للدعاء منه ﴾ أي من القنوت ومن الدعاء الصلاة على النبي ﷺ فيؤمن لها على الأوجه وأما الثناء وهو فانك تقضى إلى آخره في قوله سرّاً أو يقول أشهد أو بلى وأنا ذلك من الشاهدين أو نحو ذلك أو يستمع والأول أولى أما مأوم لم يسمعه أو سمع صوتاً لا يفهمه فيقنت سرّاً .

﴿ و ﴾ تسن على الصحيح ﴿ الصلاة ﴾ والسلام كما في الأذكار ﴿ على النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ على ﴿ آله فيه ﴾ يعني في آخره للأخبار الصحيحة في ذلك وتسن الصلاة على الأصحاب أيضاً قياساً على ما تقدم خلافاً لمن نفى سنية ذلك وقد استشهد الأسيدي لسن الصلاة بالآية والزر كشى لسن الآله بحرف كيف نصلى عليك ولا ينافي ذكر الصحب هنا إطلاقهم على عدم ذكرها في صلاة الشهد لأن الفرق بينهما أنهم ثم اقتصروا على الوارد وهما لم يقتصروا عليه بل زادوا ذكر الآل بحثاً فقتسنا بهم الأصحاب وكأن الفرق أن مقابلة الآل بآل إبراهيم في أكثر الروايات ثم تقتضي عدم التعرض لغيرهم وهنا لا مقتضى لذلك والثاني لا تسن بل لا تجوز حتى تبطل الصلاة بفعلها على وجه أنه نقل ركعة قولاً إلى غير موضعه واحترازاً بآخره عن عدم استحبابها فيما عداه وإن قال في العدة لا بأس به الأولى وآخره لورود أثر فيه وما ذكره العجلي في شرحه من استحباب الصلاة عليه لمن قرأ فيها آية متضمنة اسم محمد ﷺ افتى النووي بخلافه قال الشبرايمسلى ظاهره اعتناء المفتي به وأنه لا فرق في عدم الاستحباب بين كون الصلاة عليه بالاسم الظاهر أو بالضمير ولكن حملة ابن حجر

وأبان إمام بصيغة جمع فيه وفي دعاء التشهد فيكره تخصيص نفسه ووضع ركبتيه مفترقتين بقدر شبر ثم كفيه مكشوفتين حذو منكبيه ناشرا أصابعه مضومة للقبلة ثم جبهته وأنفه معا وتفرق قدميه بشبر منصوبتين موجهتا أصابعهما للقبلة وإبرازهما من ذيله في السجود وأن يقول فيه سبحانه ربي الأعلى ويحمده ثلاثا

في شرح العباب بعد كلام ذكره على ما إذا كانت الصلاة بالاسم الظاهر دون ما لو كانت بالضمير ونقل ابن قاسم عن الرملي طلبها وفاقا للعجلي .

﴿ ويسن ﴾ إتيان إمام بصيغة جمع فيه ﴿ أي في القنوت لأن البيهقي رواه في إحدى روايته بلفظ الجمع فحمل على الإمام فيقول اللهم اهدنا وهدكنا ﴾ وفي دعاء التشهد فيكره ﴿ للإمام ﴾ تخصيص نفسه ﴿ بالدعاء لخبر لا يؤم عبد قوما فيخص نفسه بدعوة دونهم فان فعل فقد خانهم رواه أبو داود والترمذي وحسنه وقضية هذا طراد في سائر أدعية الصلاة وبه صرح القاضي حسين والغزالي في الإحياء في كلامه على التشهد ونقل ابن المنذر عن الإشراق عن الشافعي أنه قال لا أحب للإمام تخصيص نفسه بالدعاء دون القوم والجمهور لا يذكروا إلا في القنوت قال ابن المنذر وقد ثبت أنه ﷺ كان إذا كبر في الصلاة يقول قبل القراءة اللهم تقنى اللهم اغسلني الدعاء المعروف وبهذا أقول انتهى وقال ابن القيم في الهدى إن أدعية النبي ﷺ كلها بلفظ الأفراد ولم يذكر الجمهور التفرقة بين الإمام وغيره إلا في القنوت فليكن الصحيح كما في النهاية اختصاص التفرقة بالقنوت دون غيره من أدعية الصلاة وكان الفرق بين القنوت وغيره أن الجميع مأمورون بالدعاء بخلاف القنوت فإن المأموم يؤمن فقط .

﴿ ويسن في سجوده ﴾ وضع ركبتيه ﴿ قبل وضع الكفين والجبهة حال كون الركبتين ﴾ مفترقتين بقدر شبر ثم ﴿ وضع كفيه ﴾ وخالف الإمام مالك فقال يضع كفيه ثم ركبتيه ﴿ مكشوفتين حذو منكبيه ﴾ أي مقابلهما للاتباع في ذلك ﴿ ناشرا ﴾ أي لا قابضا ﴿ أصابعه مضومة ﴾ ومكشوفة أي لا مفرجة ﴿ للقبلة ﴾ للاتباع رواه في النشر البخاري والضم ابن حبان وكونهما للقبلة البيهقي ويسن رفع ذراعيه عن الأرض معتمدا على راحتيه للأمر به في خبر مسلم ويكره بسطهما للنهي عنه نعم لو طال سجوده وشق عليه الاعتماد على كفيه وضع ساغديه على ركبتيه لحديث فيه ذكره في المجموع ﴿ ثم ﴾ وضع ﴿ جبهته وأنفه ﴾ مكشوفًا للاتباع أيضا رواه أبو داود ويكره مخالف الترتيب المذكور وعدم وضع الأنف كما نص عليه في الأم وكون وضع الجبهة والأنف ﴿ معا ﴾ هو ما قاله في أصل الروضة والحرر والمجموع عن البندنجي وغيره لكن في موضع آخر منه عن الشيخ أبي حامد الغزالي أنها كعضو واحد يقدم أيها شاء وإنما لم يجب وضع الأنف كالجبهة مع أن خبر أمرت أن أسجد على سبعة أعظم ظاهره الوجوب لانه ﷺ حين ذكر الحديث أشار عند ذكر الجبهة إلى أنفه فاستفادة وجوب وضع الأنف بواسطة إشارته ﷺ إليه لامن اللفظ الجرد للأخبار الصحيحة المقتصرة على الجبهة قالوا وتحمل أخبار الأنف على التدب قال في المجموع وفيه ضعف لأن روايات الأنف زيادة ثقة ولا منافاة بينهما انتهى وبجواب عنه يمنع عدم المنافاة اذ لو وجب وضعه لكانت الأعظم ثابتة فينافي تفضيل العدد بحمله وهو قوله سبعة أعظم قاله الجمال الرملي وغيره ﴿ وتفرق قدميه بشبر ﴾ أي بقدره ﴿ منصوبتين ﴾ حال كونه ﴿ موجهتا أصابعهما ﴾ أي ظهورهما ﴿ للقبلة وإبرازهما ﴾ أي إخراج القدمين ﴿ من ذيله في السجود ﴾ قال بعضهم هو واضح في غير المرأة والحشى لأن ذلك مبطل لصلاتهما ويسن فتح عينيه حالة السجود كما قاله ابن عبد السلام وأقره الزركشي .

﴿ ويسن ﴾ أن يقول ﴿ أي الإمام وغيره ﴾ فيه ﴿ أي في السجود ﴾ سبحانه ربي الأعلى ويحمده ثلاثا للاتباع رواه

ومحافة ذكر عضديه عن جنبيه وبطنه عن فخذه فيه وفي الركوع وضم غيره واقتراش في جلوس بين السجدين ووضع كفيه قريبا من ركبته ناشرا أصابعه وأن يقول فيه ربي اغفر لي ثلاثا وارحمني واجبرني وارفعني وارزقني واهدني وعافني

بلا تثلث مسلم وبه أبوداود والتلث أدنى الكمال وأقله أن يقال ذلك مرة وأكمله إحدى عشرة ويزيد المنفرد وإمام قوم محصورين رضا بالتطويل اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين للاتباع رواه مسلم زاد في الروضة قبل تبارك بحوله وقوته قال فيها ويستحب فيه سبوح قدوس رب الملائكة والروح قال في المجموع وكذا اللهم اغفر لي ذنبي كله دقة وجله أوله وآخره وعلانيته وسره اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وبغفرك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

ويأتى المأموم بما يمكنه من غير تخلف وخص الوجه بالذكر لأنه أكرم جوارح الانسان وفيه بهاؤه وتعظيمه فاذا خضع وجهه لشيء خضع له سائر جوارحه ولو قال سجدت لله في طاعة الله لم تبطل صلاته ونقل عن الزبائدي ان مثل ذلك سجد الفاني للباقي ويكثر كل من المنفرد وإمام من مر الدعاء فيه لخبر مسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا فيه الدعاء وهو محمول على ما ذكر ويسن ذلك للمأموم اذا أطال امامه سجوده وتخصيص الرافعي وغيره الدعاء بالسجود يفهم أنه لا يشرع في الركوع وليس كذلك بل هو في السجود أكد ﴿ومحافة﴾ اي مبادعة ﴿ذكر﴾ اي بحق ولو صيا ﴿عضديه عن جنبيه﴾ هذا في غير العاري والسلس أما العاري فالأفضل في حقه الضم في الركوع والسجود وان كان خاليا وأما السلس فيجب عليه الضم على المعتمد اذا استسبك حدثه به ﴿وبطنه عن فخذه﴾ فيه اي في سجوده ﴿وفي ركوع﴾ اي ركوعه ﴿وضم غيره﴾ اي الذكر من المرأة والحنث فلا يجافيان لأن الضم أستر لها وأحوط له ﴿واقتراش﴾ كأن يجلس على كعب يسراه بحيث يلي ظهرها الأرض سمي بذلك لأنه جعل رجله كالفرش له ﴿في جلوس بين السجدين﴾ ووضع كفيه على فخذه ﴿قريبا من ركبته﴾ بحيث تلتصق رءوس الأصابع ﴿ناشرا أصابعه﴾ الى القبلة قياسا على السجود وغيره ولا يضر في أصل السنة فيما يظهر ان عطف رءوس الأصابع على الركبتين والحكمة في ذلك منع يديه من العبث وان هذه الهيئة أقرب الى التواضع ﴿وأن يقول فيه﴾ اي في الجلوس بين السجدين ﴿رب اغفر لي﴾ اي ما وقع من ذنوبي وما سيقع منها لأن حذف المفعول يؤذن بالعموم ومعنى غفران ما سيقع أنه إذا وقع تقع مغفورا فيطلب من الله الآن غفرانه إذا وقع ﴿ثلاثا﴾ لم يذكر التثنية في هذا التلث في منهاجه الآن نص القوت لأبي طالب ثم يقول رب اغفر لي وارحمني ثلاثا ولعل المصنف تبعه في ذلك ﴿وارحمني﴾ اي رحمة واسعة والافلاخلو أحد عن رحمة ما ﴿واجبرني﴾ اي أغثنى من جبر الله مصيبيته اي رد عليه ما ذهب منه اي عوضه وأصله من جبر الكسر فعطف ارزقني عليه من عطف العام لأن الرزق يفتح الرءاء اعطاء ما ينتفع به مطلق ولو قليلا والجبر اعطاء المال الكثير خاصة ﴿وارفعني﴾ اي في الدنيا والآخرة أخذنا من حذف المفعول ﴿وارزقني﴾ اي رزقا واسعا وحل جواز ذلك ان قصد الرزق من الحلال أو أطلق والاحرم ﴿واهدني﴾ اي لصالح الأعمال ﴿وعافني﴾ اي من بلاء الدنيا والآخرة وذلك للاتباع روى بعضه أبوداود وباقيه ابن ماجه وزاد في الاحياء واعف عني بعد قوله وعافني وفي تحرير الجرجاني يقول زيادة على ما تقدم رب اغفر ورحم وتجاوز عما تعلم انك أنت الأعز الأكرم وقال المتولي يستحب للمنفرد وإمام قوم محصورين رضا بالتطويل أن يزيد على ما تقدم في كلام المصنف رب هب لي قلبا نقيا من الشرك بريئا لا كافرا ولا شقيا .

وجلسة الاستراحة وافتراش فيه وفي تشهد أول واعتماد على الأرض بطن كفيه عند نهوضه من سجود وقعود وتورك في تشهد أخير لا يعقبه سجود سهو ووضع كفيه في تشهده على طرف ركبته ناشرا أصابع يسراه بضم وجاعلا أصابع يمينه كما قد ثلاثة وخمسين ورفع مسبحتها عند همزة إلا الله منحنية قليلا وابقاؤها مرفوعة إلى

وفي رواية لمسلم أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله كيف أقول حين أسأل ربي قال قل اللهم اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني فان هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك لأن الغفر الستر والعافية اندفاع البلاء عن العبد والأرزاق نوعان ظاهرة للأبدان كالأنفوس وباطنة للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم ﴿وجلسة الاستراحة﴾ بعد سجدة ثانية يقوم عنها للاتباع رواه البخاري وأما خبر وائل بن حجر أنه ﷺ كان إذا رفع رأسه من السجود استوى قائما فغرب أو محمول على يان الجواز فلو تركها الإمام وأتى بها المأموم لم يضر تخلفه لأنه يسير وبه فارق ما لو ترك التشهد الأول ولا تن بعد سجدة التلاوة ولللمصلي قاعدا قال البغوي ولو صلى أربع ركعات بشهد جلس للإستراحة في كل ركعة منها فمحل التشهد ويكره تطويلها على الجلوس بين السجدين ذكره في التسمية ﴿وافتراش فيه﴾ أي في جلوس الإستراحة للاتباع رواه الترمذي وقال حسن صحيح ولأنه جلوس يعقبه حركة كجلوس التشهد الأول وهذا الجلوس ليس من الركعة الثانية ولا من الأولى بل مستقل فأهمل بين الركعتين على الصحيح وقبل من الأولى وقبل من الثانية وتظهر فائدة الخلاف في الأيمان والتعاليق فاذا قال لعبده ان صليت ركعة فانت حر عتق برقع رأسه من السجود الثاني أو قال له ان شرعت في ركعة ثانية فانت حر عتق بالقيام على المعتمد ﴿و﴾ افتراش ﴿في تشهد أول﴾ وكذا في تشهد أخير ان يعقبه سجود سهو وخرج به ما إذا لم يعقبه ما ذكر فيسن فيه التورك ﴿واعتماد على الأرض بطن كفيه﴾ وأصابعه مبسوطة على الأرض ﴿عند نهوضه﴾ أي قيامه ﴿من سجود﴾ في الركعة الأولى أو الثانية ﴿و﴾ من ﴿قعود﴾ للإستراحة أو التشهد للاتباع في الأول رواه البخاري ولأنه أبلغ في الخشوع والتواضع وأعون للمصلي ﴿وتورك﴾ قال القليوبي ولولم يصل من جلوس ومثله الافتراش في محله ﴿في تشهد أخير﴾ وهو ما يعقبه سلام ومثله كما ذكره الشرقاوي بقلا عن الشويري سجود التلاوة والشكر خارج الصلاة فالسنة فيهما أن يجلس متوركا بان يلصق وركه الأرض وينصب رجله اليمنى للاتباع ﴿لا يعقبه سجود سهو﴾ فان عقبه ذلك فلا يتورك بل يفتش وكذا سبق في تشهد امامه الأخير لأن الافتراش هيئة المستوفى فيسن في كل جلوس تعقبه حركة لأنها أسهل عنه والتورك هيئة المستقر ﴿ووضع كفيه في قعود﴾ تشهده ﴿أي الأولى والأخير وكقعودها غيره من بقية جلسات الصلاة﴾ على طرف ركبته ﴿حال كون الواضع كفيه﴾ ناشرا أصابع يسراه بضم ﴿أي مع جمع للأصابع ولا ينفق بينها﴾ وجاعلا أصابع يمينه كما قد ثلاثة وخمسين ﴿وهذا أولى﴾.

وانما كانت هذه الكيفية ثلاثا وخمسين لأن في الأيهام والمسبحة خمس عقد وكل عقدة بعشرة فذلك خمسون والأصابع المقبوضة ثلاثة وهذه طريقة لبعض الحساب وأكبرهم يسمونها تسعة وخمسين يجعل الأصابع المقبوضة تسعة نظرا إلى عقدتها فالخلاف انما هو في المقبوضة أم هي ثلاثة أو تسعة وقد ذكر العلامة الكردي كيفية العدد بالكف والأصابع بما لا مزيد لحسنه فلينظر فانه مهم ﴿ورفع مسبحتها﴾ أي أصابع يمينه ﴿عند﴾ الابتداء ﴿همزة الا الله﴾ لأنه حال اثبات الوجدانية لله تعالى ويكون قاصدا بذلك أن المعبود واحد ليجمع في توحده بين اعتقاده وفعله وتكره الإشارة بغير المسبحة وان قطعت وذلك للاتباع حال كون المسبحة ﴿منحنية قليلا﴾ لئلا تخرج عز سمت القبلة وفيه خبر صحيح في أبي داود وخصت المسبحة بذلك بان لها اتصالا بمناط القلب فكانها سبب لحضوره ولا يحركها بل يكره لأنه قد يذهب الخشوع فان حرك لم تبطل صلاته لأن الحركات الخفيفة لا تؤثر ﴿وابقاؤها﴾ أي المسبحة ﴿مرفوعة إلى﴾ الشروع في

القيام أو السلام وأن لا يجاوز بصره إشارته ونظر إليها حال رفعها وأن يأتي في التشهدين بأكمل التشهد وهو التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وبعد تشهد أخير بأكمل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على

﴿القيام﴾ في التشهد الأول ﴿أو السلام﴾ في التشهد الأخير لأن الأواخر والغايات هي التي عليها المدار فطلب منه ادامة استحضار التوحيد والاخلاص حتى يفارق آخر صلاته لتكون خاتمتها على أتم الأحوال وأكملها وهذا هو المعنى الذي رفعت لأجله فلذا طلب منه استمرار رفعها ولو قطعت سبابة اليمنى لم يرفع اليسرى.

واعلم أن رفع مسبحة اليمنى خاص بهذا المحل تعبدا فلا يقاس به غيره فيما يفعل بعد الوضوء وعند رؤية الجنازة لأصل له ﴿وأن لا يجاوز بصره﴾ إلى تمام السلام وهذا حال رفع المسبحة أما في غير ذلك فيديم النظر إلى موضع سجوده فيكون ما ذكره هنا مستثنى من ذلك ولا يكره تغميض عين لا يضرب قد يجب صرفا عن نحو عورة أو مردود قد يندب إذا كان أمامه ما يلهي ﴿إشارته﴾ أي محل إشارته وهو المسبحة وذلك للاتباع رواه أبو داود بإسناد صحيح ﴿ونظر إليها﴾ أي قصر النظر إلى المسبحة ﴿حال رفعها﴾ ولو مستورة بنحركم في التشهد لخبر صحيح فيه كما قاله ابن حجر ﴿وأن يأتي في التشهدين بأكمل التشهد وهو التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله﴾ رواه مسلم عن ابن عباس.

وجاء في الصحيحين عن ابن مسعود بلفظ التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك إلى آخره إلا أنه قال وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وفيه أخبار آخر بنحو ذلك قال النووي وكلها مجزئة يتأدى بها الكمال وأصحها خبر ابن مسعود ثم خبر ابن عباس لكن الأفضل تشهد ابن عباس لزيادة لفظ المباركات فيه ولتوافقه قوله تعالى تحية من عند الله مباركة طيبة ولآخره عن تشهد ابن مسعود قاله في شرح الروض قال الزبيدي لأدري من أين له أن تشهد ابن عباس متأخرا عن تشهد ابن مسعود حتى قطع بذلك ولا يلزم من صغر سنه تأخر تعليمه وسماعه عن غيره ولا أعلم أحدا من الفقهاء وأهل الآثار رجح رواية صغار الصحابة على رواية كبارهم عند التعارض وابن عباس كان كثيرا ما يسمع الحديث من غيره من الصحابة فيرسله وقد أخرج الدارقطني وحسن سنده عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب أخذ يده فعلمه وزعم أن رسول الله ﷺ أخذ يده فعلمه التشهد فدل هذا على أن ابن عباس أخذ التشهد عن عمر وعمر قديم الصحبة والتحيات جمع تحية ما يحیی به من سلام وغيره والقصد بذلك الثناء على الله تعالى بأنه مالك لجميع التحيات من خلقه وجمعت لأن كل ملك كان له تحية معروفة يحیی بها ومعنى المباركات الناميات والصلوات هي الصلوات الخمس وقيل غير ذلك ومنه كل صلاة وقيل الرحمة وقيل الدعاء والطيبات الأعمال الصالحة وقيل الثناء على الله تعالى وقيل باطاب من الكلام والسلام قيل معناه اسم السلام أي اسم الله عليك من حيث البركة والرحمة فكانه قيل بركة هذا الاسم محبطة بك وقيل غير ذلك وعليها أي الحاضرين من إمام ومقدم وملائكة وغير ذلك والعباد جمع عبد والصالحين جمع صالح وهو القائم بما عليه من حقوق الله تعالى وحقوق عبادة والرسول مبلغ خبر مرسله.

ولا يشترط ترتيب التشهد حيث لم يغير معناه فإن غير لم يضح وتبطل صلاته إن تعمد أما موالاته فشرط كما في التسمية وقال ابن الرفعة إنه قياسي ما مر في قراءة الفاتحة وأن يأتي ﴿وبعد تشهد أخير بأكمل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على﴾

إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد . ثم بالدعاء الماثور اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمي إنك أنت الغفور الرحيم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك

إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ﴿ وفي الأذكار وغيره الأفضل أن يقول اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد وكذا في التحقيق

قال في المهمات واشتهر زيادة سيدنا قبل محمد وفي كونها أفضل نظر وفي حفظي أن الشيخ عز الدين بناء على أن الأفضل سلوك الأدب أم أمثال الأمر فعلى الأول يستحب دون الثاني انتهى قال ابن ظهيرة الأفضل الاتيان بلفظ السيادة كما صرح به جمع وبه أفتى الجلال الحلبي جازما به قال لأن فيه الاتيان بما أمر به وزيادة الأخبار بالواقع الذي هو أدب فهو أفضل من تركه وإن تردد في أفضليته الاستوى انتهى وحديث لا تسيدوني في الصلاة باطل لأصل له كما قاله بعض متأخري الحفاظ .

* تنبيه * آل إبراهيم اسماعيل وإسحاق وأولادهما قاله الزمخشري وخص إبراهيم بالذكر لأن الصلاة من الله هي الرحمة ولم تجمع الرحمة والبركة لنبي غيره قال الله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد فسأل ﷺ اعطاء ما تضمنته هذه الآية من سابق اعطاؤه لإبراهيم .

﴿ ثم ﴾ يأتي ﴿ بالدعاء الماثور ﴾ بالمثلثة أي المنقول عن النبي ﷺ وهو أفضل من غيره ومن الماثور ﴿ اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ﴾ رواه مسلم والمراد بالتأخير إنما هو بالنسبة إلى ما وقع لأن الاستغفار قبل الذنب محال قاله أبو الوليد النيسابوري نقلا عن الأصحاب . ورد بأن الحال إنما هو طلب مغفرته قبل وقوعه إنما الطلب قبل وقوعه أن يغفر إذا وقع فلا استخالة فيه ومنه أيضا ﴿ اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ﴾ يحتمل أن المراد بفتنة الممات الفتنة التي تحصل عند الاحتضار وأضافها للممات لاتصالها به أو أن المراد بها ما يحصل بعد الموت كالفتنة التي تحصل عند سؤال الملكين وهذا أظهر لأن ما يحصل عند الموت شمله فتنة الحيا نقله الشيرازي عن العلقمي ﴿ ومن فتنة المسيح ﴾ بالحاء المهملة على المعروف ﴿ الدجال ﴾ وسمى بالمسيح لأنه يمسح الأرض كلها أي يطوفها الأسكة والمدينة وقيل غير ذلك وسمى الدجال لكذبه وتمويهه وروى البخاري ﴿ اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ﴾ بالمثلثة في أكثر الروايات وفي بعضها بالباء الموحدة ﴿ ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمي إنك أنت الغفور الرحيم ﴾ ومنه أيضا ﴿ يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ﴾ ويسن أن لا يزيد الإمام في الدعاء على قدر أقل الشهد والصلاة على النبي ﷺ كما قاله العمران نقلا عن الأصحاب لانه تبع لهما فان زاد عليهما لم يضر لكن يكره التطويل بغير رضا المؤمنين وخرج بالإمام غيره فيطيل ما أراد ما لم يخف وقوعه به في سهو كما جزم به جمع ونص عليه في الأم وقال فان لم يزد على ذلك كرهته ومن جزم بذلك النووي في مجموعه فانه ذكر النص ولم يخالفه قاله الخطيب .

وتسليمة ثانية وزيادة رحمة الله فيهما والقبول بوجهه يمينا وشمالا في تسليمته ناويا السلام على من التفت إليه من ملائكة ومؤمني انس وجن وينويه على من خلفه وأمامه بأيهما شاء

* تنبيه * للمصلي أن يدعو بما شاء من أمر الدنيا والآخرة في صلاته وهو مذهب الشافعي ومالك ودليلهم ظاهر قوله ﷺ في حديث ابن مسعود ثم ليخير أحدكم من الدعاء أعجبه إليه فیدعوه وقال أبو حنيفة وأحمد لا يدعوا إلا بما يشبه ألفاظ القرآن والأدعية المأثورة عن النبي ﷺ ولا يدعوا بما يشبه كلام الناس ومن أصحاب أبي حنيفة من يقول يجوز الدعاء بما لا يطلب إلا من الله تعالى وأما إذا دعا بما يمكن أن يطلب من الآدميين بطلت صلاته وقال أحمد لو قال اللهم ارزقني جارية حسنة ونحو ذلك فسدت صلاته ودليلهم صريح قوله ﷺ أن يطلب من الآدميين بطلت صلاته لا يصلح فيها شئ من كلام الناس رواه مسلم فحصل التعارض بين الحديثين فقدم المانع على المسيح .

ومعنى قولهم بما يشبه ألفاظ القرآن كالذي تقدم من الاستعاذة عن الأربع عذاب القبر وغيره وكقوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وغير ذلك فإن هذه الأدعية تشبه ألفاظ القرآن وليست بقرآن لأنه لم يقصد بها القراءة بل الدعاء بها مع الجنابة والحيض ومعنى قولهم بما يشبه كلام الناس أي بما لا يستحيل طلبه منهم نحو قوله اللهم اكسني اللهم زوجني فلانة أو أعطني مالا أو ساعا وما أشبه ذلك حتى لو قال ذلك في وسط الصلاة قبل القعود الأخير قدر التشهد فسدت صلاته وأما بعد التشهد فلا ولكن تكون ناقصة لترك السلام الذي هو واجب وخروجه منها بدونه بمنزلة ما لو تكلم أو عمل عملا آخر مناف للصلاة وجعل صاحب الهداية قوله اللهم ارزقني بما يشبه كلام الناس وصححه في الكافي واعترضه الكمال ابن الهمام في فتح القدير ورجح عدم الفساد وقال لأن الرازي في الحقيقة هو الله تعالى وفي الخلاصة ولو قال ارزقني فلانة الأصح أنها تفسد أو ارزقني الحج الأصح لا تفسد وفي قوله اكسني ثوبا والعن فلانا واغفر لعني وخالي تفسد وفي ارزقني رؤيتك لا تفسد هذا كله كلام ابن الهمام على أن الرافعي قد نقل عن إمام الحرمين أنه حكى في النهاية عن شيخه أنه كان يتردد في قولهم اللهم ارزقني جارية حسنة صفحتها كذا يميل إلى المنع منه وأنه يبطل الصلاة .

وقال ابن المنير الدعاء بأمور الدنيا في الصلاة خطر وذلك أنه قد يلبس عليه الدنيا الجائزة بالمحذور فيدعوا بالمحذور فيكون عاصيا متكلما في الصلاة فيبطل صلاته وهو لا يشعر ألا ترى أن العامة يلبس عليها الحق بالباطل فلو حكم حاكم على غامى بحق فظنه باطلا فدعا على الحاكم باطلا بطلت صلاته وتميز المحذور الجائزة من المحرمة عسر جدا فالصواب أن لا يدعوا بدنياه الأعلى ثبت من الجواز ﴿وتسليمة ثانية﴾ للاتباع رواه مسلم واستثنى من ذلك مسائل منها ما لو عرض بعد الأولى منافع كحدث وخروج وقت الجمعة بخلاف وقت غيرها من الصلوات وانقضاء مدة مسح وتحرق خف فيحرم الاتيان بها حينئذ لأنها وإن لم تكن جزءا من الصلاة على المعتمد فهي من توابعها وملحقاتها ﴿وزيادة﴾ لفظة ﴿رحمة الله فيهما﴾ أي في التسليمين دون وبركاته على المنقول في غير الجنائز أما فيها فليس زيادته لكن اختار بعضهم ندب وبركته في غيرها أيضا وحكى السبكي فيها ثلاثة أوجه أشهرها لا تسن ثانيها تسن ثالثها تسن في الأولى دون الثانية ﴿والقبول بوجهه يمينا وشمالا في تسليمته﴾ حتى يرى خده اليمين في التسليمة الأولى واليسر في الثانية ﴿وناويا السلام﴾ أي ابتداء ﴿على من﴾ أي على شخص ﴿التفت﴾ أي المصلي ﴿إليه﴾ أي إلى ذلك الشخص ممن عن يمينه بالتسليمة الأولى وعن يساره بالتسليمة الثانية ﴿من ملائكة ومؤمني انس وجن وينويه﴾ السلام ﴿على من خلفه وأمامه بأيهما﴾ أي الأولى والثانية ﴿شاء﴾ لكن نية السلام على من ذكر بالتسليمة الأولى أفضل من الثانية .

والمأموم الرد على من سلم عليه وإدراجه بلامد ونية خروج من الصلاة بالتسليم الأولى .

﴿وأبعض﴾ وهي تشهد أول وقعود له وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعده وعلى آله بعد التشهد الأخير وقنوت في اعتدال آخر صبح وتر نصف آخر من رمضان كاللهم اهديني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك أي فيما أعطيت

﴿و﴾ ينوي ﴿مأموم الرد على من سلم عليه﴾ من امام وغيره فينوي الرد على الامام بأي سلاميه شاء ان كان خلفه والثانية ان كان عن يمينه وبالأولى ان كان عن يساره وينوي بعض المأمومين أيضا الرد على بعض فينويه من على يمين المسلم بالتسليم الثانية ومن على يساره بالأولى ومن خلفه وأمامه بأيها شاء وبالأولى أفضل ﴿وإدراجه﴾ أي اسراع السلام ﴿بلامد﴾ فما يفعله المبلغون من مده خلاف الأولى ﴿ونية خروج من الصلاة بالتسليم الأولى﴾ أي عند ابتدائها .

﴿و﴾ الثاني من النوعين ﴿أبعض﴾ يجبر تركها سهوا أو عمدا بسجود السهو ندبا واعلم أن الأبعض اسم للاركان فاطلاقها على السنن التي تجبر بالسجود على طريق التشبيه بالأركان بجامع الجبر في كل وان كان جبرا للأولى بالسجود والثانية بالتدارك واستعير اسم المشبه به وهو الأبعض للمشبه وهذا باعتبار الأصل ثم صار حقيقة عرفية في ذلك ﴿وهي﴾ أي الأبعض ﴿تشهد أول﴾ ولو في نقل لانه تركه ناسيا وسجد قبل أن يسلم وقيس بالنسيان العمدي بجامع الخل بل خلل العمدا كتركه كان للجبر أحوج . والمراد بالتشهد الأول اللفظ الواجب في الأخير فلا يسجد لترك ما هو سنة فيه أي الأخير كلفظ أشهد الثانية اذ الواجب وأن محمدا رسول الله أو عبده ورسوله أو رسوله وكالصلاة على آل في سنة في الأخير وفي الأول خلاف الأول على المعتمد وقيل مكروهة فلا يسجد لترك ذلك ولا لقوله ﴿وقعوده﴾ أي للتشهد الأول لانه مقصود له فكان مثله ويتصور ترك القعود وحده وكذا القيام للقنوت وحده فيما إذا لم يحفظ التشهد والقنوت فالسنة في حقه أن يجلس في الأول ويقوم في الثاني بقدرهما من فعل نفسه لو كان قادرا فإدام يجلس ولم يقم صدق عليه أنه ترك ذلك وحده دون التشهد والقنوت لأن الفرض أنه لا يحسنهما فلا يقال انه تركهما لأن ترك الشيء فرع احسانه ﴿وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعده﴾ أي التشهد الأول لانه ذكر يجب الاتيان به في الجلوس الأخير فيسجد لتركه في الأول كالتشهد ﴿و﴾ صلاة ﴿على آله بعد التشهد الأخير﴾ كالصلاة عليه ﷺ في الأول بأن يتقن المأموم ترك امامه لها بعد أن يسلم امامه وقبل أن يسلم هو ﴿وقنوت في اعتدال آخر صبح وتر نصف آخر من رمضان﴾ ويسجد تاركة تبعا لامامه الحنفى وان فعله المأموم لان ترك امامه له ولو اعتقاد في حكم السهو الذي يلحقه منه .

والمراد بوتر النصف الأخير من رمضان وتر رمضان لا الوتر الواقع فيه فلو قضى فيه وتر غيره لم يفت بخلاف ما لو فات وتر رمضان فقضاء في غيره فانه يفت عملا بالأصل فيهما من أن القضاء يحكي الأداء فلا يسجد لتركه في الأولى دون الثانية ولو فات وتر النصف الأول فقضاء في الثانية لم يفت عملا بما ذكر فالنصف الأخير في كلامه قيد خرج به وتر النصف الأول .

واعلم أن القنوت لغة هو الثناء وشرعا ذكر مخصوص مشتمل على ثناء ودعاء كاللهم اغفر يا غفور وارحمي يا رحيم فالثناء حصل بغفور ورحيم والدعاء باغفر وارحم ومثل الذكر المخصوص آية تتضمن ذلك كآخر سورة البقرة بشرط أن يقصد بها القنوت ﴿و﴾ ك﴿القنوت المشهور وهو﴾ اللهم اهديني ﴿أي دلني﴾ فيمن هديت ﴿أي مع من هديت وكذا فيما بعده﴾ وعافني ﴿من البلياء﴾ فيمن عافيت وتولني فيمن توليت ﴿أي توليت أمره﴾ وبارك لي فيما أعطيت ﴿أي انزل يا الله البركة وهي الخير الإلهي فيما أعطيت لي وفي هنا

وقتي شر ما قضيت فانك تقضى ولا يقضى عليك وانه لا يذلل من واليت ولا يعز من عادت تباركت ربنا وتعاليت فلك الحمد على ما قضيت استغفرك وأتوب إليك ويجزى آية فيها دعاء إن قصده وكذا يجزى دعاء محض ولو غير مأثور وقيام له وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله بعده لا قبله فلو ترك شيئا من هذه الأبحاث ولو عمدا أو شك في تركه سجد سجدتين ندبا قيل السلام

على حقيقتها ﴿وقتي شر ما قضيت﴾ أي ما قدرته وحكمت به على ﴿فانك تقضى ولا يقضى عليك﴾ أي تحكم على جميع الخلق ولا يحكم أحد عليك وهذا أول البناء وما تقدم كله دعاء ﴿وانه لا يذلل﴾ بكسر الذا ل ﴿من واليت﴾ أي لا يحصل له ذل.

قال الرافعي وزاد العلماء فيه ﴿ولا يعز﴾ بكسر العين ﴿من عادت﴾ أي لا يحصل له عز ﴿تباركت ربنا وتعاليت﴾ قال في الروضة وقد جاءت في رواية للبيهقي وبعدة ﴿فلك الحمد على ما قضيت﴾ هو شامل للخير والشر وعليه فيقال كيف حمد على قضاء الشر وقد طلب رفعه فيما سبق بقوله وقتي شر ما قضيت والجواب أن الذي طلب رفعه فيما مضى هو المقضى من المرض وغيره مما تكرمه النفس والحمد عليه هنا هو القضاء الذي هو صفته تعالى وكلها جميلة يطلب الثناء عليها قاله الشبرا ملسي وزاد الشرقاوي على أن بعضهم قال بوجوب الرضا بالمقضى من خير وشر كما يجب الرضا بالقضاء وعليه فلا مانع من الحمد على المقضى من حيث كونه فعلا لله تعالى وإن طلب رفع الشر منه لكرهه النفس له من حيث ذاته ﴿استغفرك وأتوب إليك﴾ صلى الله عليه وسلم سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

وفي الروضة قال جمهور أصحابنا لا بأس بهذه الزيادة يعني قوله فلك الحمد إلى آخره وقال أبو حامد والبندنجي وآخرون مستحبة لورودها في رواية البيهقي وهذا قنوت النبي ﷺ ومثله قنوت عمر وأبنته ونسبته إليه لانه رواه عنه ﷺ أو قاله من عنده وهو اللهم أنتستعينك وتستغفرك وتستهديك وتؤمن بك وتوكل عليك وتشتي عليك الخير كله وتشكرك ولا تكفرك وتخلع وتترك من يفجرك أي يعصيك اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد بكسر الفاء أي نسرع نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك الجد بكسر الجيم أي الحق بالكفار ملحق ولوقنت بهذا المروي عن عمر كان حسنا لكن الأول أحسن لانه ثبت على النبي ﷺ ولهذا قدم على هذا فن ثم لو أراد أحدهما فقط اقتصر على الأول.

﴿ولاًتعتن كلمات القنوت وحينئذ﴾ يجزى ﴿عنهما﴾ آية فيها دعاء ﴿وثناء﴾ إن قصده ﴿كآخر البقرة﴾ كما تقدم وذلك كقوله تعالى ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقوا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴿وكذا يجزى﴾ عن كلمات القنوت ﴿دعاء محض ولو غير مأثور﴾ كما في المجموع عن الماوردي قال الأذرع في إطلاقه نظر ويظهر انه لا يكتفى الدعاء المحض ولا سيما بأمر الدنيا فقط بل لابد من تعجيد ودعاء انتهى والأوجه كما في شرح العباب الأول فيكتفى الدعاء فقط لكن بأمور الآخرة أو أمور الدنيا وقد وافق للأذرع عن الشهاب الرملي حيث أفتى بأنه لابد في بدل القنوت أن يكون دعاء وثناء وقضية إطلاقه اعتبار ذلك أيضا في الآية ﴿وقيام له﴾ أي للقنوت ﴿وصلاة على النبي ﷺ﴾ صلاة ﴿على آله بعده﴾ أي بعد القنوت ﴿لا قبله فلو ترك شيئا من هذه الأبحاث ولو عمدا أو شك في تركه سجد سجدتين ندبا﴾ وحملها ﴿قيل السلام﴾ بحيث لا يتخلل بينهما شيء من الصلاة كما أفاده تصديره قبل وذلك لانه ﷺ صلى بهم الظهر فقام من الأولين ولم يجلس فقام الناس معه حتى إذا قضى الصلاة وانتظر الناس تسليمه كبر وهو جالس فسجد سجدتين قبل أن يسلم رواه الشيخان.

كنسها بما يبطل عمده كطويل ركن قصير وقيل كلام وأكل وتكرير ركن فعلى أو نقل قولاً إلى غير محله أو شك فيما صلاه واحتل زيادة * ومن السنن المتقدمة عن الدخول في الصلاة الأذان والإقامة

قال الزهدي وفعله قبل السلام هو آخر الأمرين من فعله ﷺ ولأنه لمصلحة الصلاة فكان قبل السلام كما لو نسي سجدة منها وأجابوا عن سجوده بعده في خبر ذي الدين بحمله على أنه لم يكن عن قصد مع أنه لم يرد لبيان حكم سجود السهو سواء كان السهو بزيادة أم بنقص أم بهما وقضية كونه سجدين أنه لو سجد واحدة بطلت صلاته وهو ما حكى عن ابن الرفعة لكن حزم القفال في فتاويه بأنها لا تبطل وقد يحمل كلام ابن الرفعة على ما إذا قصد سجدة ابتداء وكلام القفال على ما إذا قصد الاقتصار عليها بعد فعلها قاله شيخ الإسلام **رحمتهما** بما يبطل عمده كطويل ركن قصير

وضابط الطويل أن يزيد على قدر ذكر الاعتدال المشروع فيه في تلك الصلاة بالنسبة للوسط المعتدل لالحال المصلى فيما يظهر
قدر الفاتحة ذاكرة كان أو ساكنا وعلى قدر الجلوس بين السجدين المشروع فيه كذلك قدر الشاهد الواجب قاله في التحفة ﴿وقليل
كلام﴾ كالكلمتين والثلاث وقليل ﴿أكل﴾ بضم الهاء لأن المراد به المأكول ولا يضح فتحها على إرادة الفعل وهو المضغ لأن القليل منه وهو
ما دون الثلاث لا يبطل الصلاة وإن تعدد والمراد هنا ما يبطل عمده دون سهوه ﴿وتكرير ركن فعلى﴾ كسجود أو ركوع فيسجد لسهوه
لأن تعدده يبطل وذلك لأنه ﷺ صلى الظهر خمسا وسجد للسهو متفق عليه وخرج بما يبطل عمده ما يبطل سهوه أيضا ككلام كثير أو أكل
أو فعل كثير فلا سجود في ذلك لأنه ليس في صلاة وما لا يبطل سهوه ولا عمده كالفعل القليل والاتفات بالوجه فلا يسجد لسهوه ولا عمده
لعدم ورود السجود له ولأن العمد في محل العفو فسهوه أولى كما قاله الخطيب في شرح المنهاج ﴿أو نقل﴾ مطلوباً ﴿قولاً﴾ غير مبطل
نقله ﴿إلى غير محله﴾ ولو سهواً ركنا كان كفاتحة وتشهد أو بعض أحدهما أو غير ركن كسورة منقولة إلى غير القيام من ركوع أو اعتدال
أو سجود فإن نقل السورة إلى ما قبل الفاتحة لم يسجد لأن القيام محلها في الجملة أو الفتوى إلى ما قبل الركوع أو بعده في الوتر في غير نصف
رمضان الثاني فيسجد له أما نقل الفعل فيبطل تعدده .

وخرج بقول غير مبطل ما يبطل كالسلام وتكبير التحريم بأن كبر يقصده وأما السلام فيبطل وإن لم يقصده لما فيه من الخطأ فلو قصد بالتكبير الذكر لم تبطل ﴿أو شك فيما صلاه واحتمل زيادة﴾ وإنما يسن السجود لذلك لخبر مسلم إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدرك أصلي ثلاثاً أم أربعاً فليطرح الشك ولين على ما استيقن ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم فإن كان صلى خمسا شفعن له صلاته وإن كان صلى اثماً للأربع كانتا ترغيباً للشيطان ومعنى شفعن له صلاته ردتها السجدة تان مع الجلوس بينهما لأربع لجبرهما خلل الزيادة كالنقص لأنهما صيروا ما ساء وقد أشار في الخبر إلى أن سبب السجود هنا التردد في الزيادة لأنها إن كانت واقعة فظاهر وإلا فوجود التردد يضعف النية ويحجج للجبر ولهذا يسجد وإن زال تردده قبل سلامه قاله بعضهم عن النهاية وأما ما لا يحتمل زيادة كأن شك في ركعة من رباعية أم ثلاثية أم رابعة فتذكر قبل القيام للرباعية أنها ثلاثة فلا يسجد لأن ما فعله منها مع التردد لا بد منه سواء قدر أنها ثلاثة أو رابعة فلا تردد هنا فالزيادة حتى يسجد له فإن تذكر بعد القيام لها يسجد لترده حال القيام إليها في زيادتها .

﴿ومن السنن المتقدمة عن الدخول﴾ أي التلبس والشروع ﴿في الصلاة﴾ شيان أحدهما ﴿الأذان﴾ والأذن والتأذين بالمعجمة لغة الإعلام قاله الله تعالى وأذان من الله ورسوله وشرعا قول مخصوص يعلم به وقت الصلاة المفروضة ﴿و﴾ ثانيها ﴿الإقامة﴾ في الأصل مصدر أقام وسمى به الذكر المخصوص لأنه يقيم إلى الصلاة ومشروعية الأذان والإقامة ثابتة بالإجماع وإنما الخلاف في كيفية

فبستان لمكتوبة ذكر وان بلغه أذان غيره وإقامة لامرأة ويجب سماعها

مشروعيتها وحينئذ فالأصح أنهما ﴿فبستان﴾ على الكفاية ولو للجمعة فيحصلان بفعل البعض كابتداء السلام ولو أذن في جانب من بلد كبير حصلت السنية لأهل ذلك الجانب فقط أما في حق المنفرد فهما سنة عين والضابط أن يكون بحيث يسمعه جميع أهلها لو أصغوا إليه لكن لا بد في حصول السنة بالنسبة لكل أهل البلد من ظهور الشعار كما ذكر قالوا وإنما لم يجب عملا بقوله صلى الله عليه وسلم إذا أقيمت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم لأنهما اعلام بالصلاة ودعاء إليها كقوله الصلاة جامعة وضعه في المجموع يعنى القياس على الصلاة جامعة بأنه ليس في ذلك شعار ظاهر بخلاف الأذان وفي المهمات بأن ذلك دعاء إلى مستحب وهذا دعاء إل واجب ويدل على عدم وجوب الأذان أيضا أنه صلى الله عليه وسلم تركه في ثانية الجمع ولو كان واجبا لما تركه للجمع الذي ليس بواجب ولذكره صلى الله عليه وسلم في خبر المسيء صلاته كما ذكر الوضوء والاستقبال وأركان الصلاة وقيل كل منهما فرض كفاية لأنهما من الشعائر الظاهرة وفي تركهما تهاون فعليه لو تركهما أهل بلدة قوتلوا بخلاف ذلك على الأول .

وإنما يشرعان ﴿لمكتوبة ذكر﴾ وخرج بها المندورة وصلاة الجنائز وسائر النوافل فلا يؤذن لها ولا يقيم لعدم وزودها فيها بل يكرهان لغير المكتوبة كما صرح به في الأنوار وبالذكر غيره من المرأة والخنثى لأن الأذان من وظائف الرجال ولو أذنت المرأة للرجال المريدن للصلاة أو الخنثى لم يصبح أذانها وأثبت لحرمة نظرها إليها المسبب عن أذانها فانه يسن النظر إلى المؤذن كما يأتي وكذا لو أذن الخنثى للرجال أو النساء ورفع في هذا صوته فزق ما يسمعهن أو الخنثى كما هو ظاهر لحرمة نظر الكل إليه أما إذا أذن كل من المرأة والخنثى لنفسه أو أذنت المرأة للنساء كان جائزا غير مستحب ولا يشكل حرمة أذانها بجواز غنائها مع استماع الرجل له لأن الغناء يكره للرجل استماعه وإن أمن الفتنة والأذان يستحب له استماعه فلو جوزناه للمرأة لأدى إلى أن يؤمر الرجل باستماع ما يخشى منه الفتنة وهو ممنوع ولأن فيه تشبها بالرجال بخلاف الغناء فانه من شعار النساء ولأن الغناء ليس بعبادة والأذان عبادة والمرأة ليست من أهلها فيجزم عليها بتعاطيها كما يحرم عليها تعاطي العبادة الفاسدة ولانه يستحب النظر إلى المؤذن حاله أذانه فلو استحبيناه للمرأة لأمر السامع بالنظر إليها وهذا مخالف لمقصود الشارع ولأن الغناء منها إنما يباح للأجانب الذين يؤمن اقتنائهم بصوتها والأذان مشروع لغير معين فلا يحكم بالأمن من الاقتان فنبعت منه وفارق الرفع هنا الرفع بالتلبية بان الإصغاء إليها غير مطلوب ﴿وان بلغه أذان غيره﴾ على المتمد لكن بشرط أن لا يكون مدعوا به فان كان مدعوا به بأن سمعه من مكان وأراد الصلاة فيه وصلى مع أهله بالفعل فلا يندب له الأذان قال الشهاب الرملى وغيره وما في شرح مسلم من انه اذا سمع أذان الجماعة لا يشرع له الأذان يحمل على ما اذا أراد الصلاة معهم وصلى كذلك ﴿واقامة لامرأة﴾ لأن الإقامة لاستنهاض الحاضرين وليس فيها رفع كالأذان .

﴿وجيب سماعها﴾ أى الأذان والإقامة وسمعهما مثل قوله وان كان السامع جنبا وحائضا ونحوهما خلافا للسبكي في قوله لا يجيبان لخبر كرمته أن أذكر الله الأعلى طهر قال والتوسط انه يسن للمحدث وللجنب والحائض لانه صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله على كل أحيانه الا الجنابة ولابنه في التوشيح في قوله ويمكن أن يتوسط فيقال تجيب الحائض لطول أمدها بخلاف الجنب والخبر ان لا يدلان على غير الجنابة وليس الحيض في معناها كما ذكر انتهى ودعواه أن الخبرين لا يدلان على غير الجنابة نظر بل ظاهر الأول الكراهة للثلاثة وقد يقال يزيد ما كراهة الأذان والإقامة لهم ويفرق بان المؤذن والمقيم مقصران حيث لم يتطهرا عند مراقبتهما الوقت والحجب لا تقصير منه لأن اجابته تابعة لأذان غيره وهو لا يعلم غالبا وقت أذانه وشملت عبارة المصنف المجامع وقاضى الحاجة غير أنها إنما يجيبان

ولو تألبا ومتوضعا وبحوقل ويصدق إن جعل وثوب ويقول بعدهما اللهم صل وسلم على محمد

بعد فراغهما كما في المجموع وظاهر أن محله ما لم يطل الفصل عرفا والالم تستحب لهما الإجابة ومن في صلاة لكن الأصح عدم استحباب الإجابة في حقه بل هي مكروهة .

﴿ولو﴾ كان السامع ﴿تألبا﴾ أي قارنا للقرآن ﴿و﴾ ذاكرا و﴿متوضعا﴾ سن له الإجابة وقطع ما هو فيه أو طائفا أجابه في طوافه كما قاله الماوردي ويستحب أن يجيب في كل كلمة عقبها بأن لا يقارنه ولا يتأخر عنه قاله في المجموع قال الأسنوي ومقتضاه الاجزاء في هذه الحالة وهي المقارنة والتأخر وعدمه عند التقدم وهو كذلك وما ذهب إليه ابن العباد من عدم حصول سنة الإجابة في حالة المقارنة محمول على نفي الفضيلة الكاملة وأفهم قول المصنف سامعها عدم استحباب الإجابة إذا علم بأذان غيره أو إقامته ولم يسمع ذلك لصنم أو بعد وقال في المجموع أنه الظاهر لأنها معلقة بالسامع في خبر إذا سمع المؤذن وكما في نظيره في تشييت العاطس قال وإذا لم يسمع الترجيع فالظاهر أنه تسن الإجابة لقوله ﷺ قولوا مثل ما يقول ويلعل مثل ما تسمعون وصرح الزركشي وغيره باستحباب الإجابة في جميعه إذا لم يسمع البعض سواء كان من الأول أو من الآخر وهو ظاهر كما يؤخذ من كلام المجموع ﴿وبحوقل﴾ الجيب أي يقول في الأذان لاحول ولا قوة إلا بالله أربعاء في الإقامة مرتين أي لاحول لي عن المعصية ولا قوة لي على ما دعوتني إليه الأبلك وانما سنت الحوقلة لقوله في خبر مسلم وإذا قال حي على الصلاة قال أي سامعه لاحول ولا قوة إلا بالله وإذا قال حي على الفلاح قال لاحول ولا قوة إلا بالله ولما في الخبر لصحيح من قال ذلك مخلصا من قلبه دخل الجنة .

* فائدة * الحاء والعين لا يجتمعان في كلمة واحدة أصلية الحروف تقرب مخرجهما إلا أن تؤلف كلمة من كلمتين كقولهم حيعل فانها مركبة من كلمتين من حي على الصلاة ومن حي على الفلاح ومن المركب من كلمتين قولهم حوقل إذا قال لاحول ولا قوة إلا بالله هكذا قاله الجوهري وقال الأزهرى وغيره حوقل بتقديم اللام على القاف فهي مركبة من حاء حول وقاف قوة وكقولهم يسمل إذا قال بسم الله وحمل إذا قال الحمد لله والهيللة إذا قال لا إله إلا الله والجمعلة جعلت فداءك والطلبة أطال الله بقاءك والذمعة أدام الله عزك والفلاح الظفر بالمقصود والنجاة من المهرب قال الأسنوي والقياس أن السامع يقول في قول المؤذن الأصلا في رحالكم لاحول ولا قوة إلا بالله كذا قاله الخطيب في شرح المنهاج ﴿ويصدق﴾ أي يقول ضدقت وبررت مرتين أي صرت ذابرا أي خير كثير ﴿ان جعل﴾ أي أتى بالجمعلة ﴿و﴾ ان ﴿ثوب﴾ أي أتى بالتثويب في الصبح ويجيب سامع الإقامة بمثل ما سمعه إلا في كلمتي الإقامة فإنه يقول أقامها الله وأدامها وجعلني من صالحى أهلها ﴿ويقول﴾ أي كل من مؤذن ومقيم في سامعها ﴿بعدهما﴾ أي بعد الفراغ من الأذان والإقامة هذا هو المنقول لكن في شرح الوسيط وتبعه بعضهم أن الصلاة المطلوبة للإقامة إنما تكون قبلها قال السيد السهمودي في حواشى الروضة ولعله سبق قلم فإن المعروف والوارد في أحاديث يعمل بها في الفضائل أنه بعدها وقد أفتى شيخنا الثوري بندها قبل الإقامة فإن كان مستفاده ما تعقبه السهمودي فقد علمت ما فيه والا فكان عليه أن ينبه على المشهور أي من طلب بعد الإقامة انتهى ذكره الشبرا ملسي ﴿اللهم صلى وسلم على محمد﴾ وتحصل السنة بأي لفظ أتى به مما يفيد الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ومعلوم أن أفضل الصيغ على الراجح صلاة الشهد فينبغي تقديمها على غيرها ومن الغير ما يقع للمؤذنين من قولهم بعد الأذان الصلاة والسلام عليك يا رسول الله إلى آخر ما يأتون به فيكفي .

اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته لما روي الشيخان إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم

* فائدة * قال الحافظ ابن حجر ويؤكد الصلاة عليه ﷺ في مواضع ورد فيها أخبار خاصة أكثرها بأسانيد جياذ عقب اجابة المؤذن وأول الدعاء وأوسطه وآخره وفي أوله أكد وفي آخر القنوت وفي أثناء تكبيرات العبد وعند دخول المسجد والخروج منه وعند الاجتماع والتفريق وعند السفر والقدوم منه والقيام لصلاة الليل وختم القرآن وعند الهم والكرب والتوبة وقراءة الحديث وتبليغ العلم والذكر ونسيان الشيء وورد أيضا في أحاديث ضعيفة عند استسلام الحجر وطنين الأذن والقلية وعقب الوضوء وعند الذبح والعطاس وورد المنع منها أيضا انتهى وذكره الشبرا نلسي في حواشي النهاية ثم يقول عقب ذلك ﴿اللهم﴾ أصله يا الله حذف ياءه وعرضت عنها الميم ولهذا امتنع الجمع بينهما ﴿رب هذه الدعوة﴾ بفتح الدال هي دعوة الأذان ﴿التامة﴾ سميت تامة لكمالها وسلامتها من نقص يتطرق إليها ﴿والصلاة القائمة﴾ أي التي ستقام ﴿آت﴾ أي أعط ﴿محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته﴾ لقوله ﷺ من قال ذلك حين يسمع النداء حلت له شفاعتي يوم القيامة رواه البخاري والوسيلة أصله ما يوسل به إلى الشيء والجمع وسائل والمراد منها في الحديث القرب من الله تعالى وقيل منزلة في الجنة كما ثبت في صحيح مسلم وقيل قبان في أعلى عليين أحدهما من لزوة بيضاء يسكنها محمد وآله والأخرى يا قوتة صفراء يسكنها إبراهيم وآله والمقام المذكور هو المرد في قوله تعالى عسى أن يعثرك ربك مقاما محمودا وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء يوم القيامة يحمد فيه الأولون والآخرون رواه البزار من حديث أبي هريرة وقال مجاهد والطبري المقام الحمد أن الله يجلسه على العرش ووقع في الحرر والشرح المقام الحمد معرفا ونكرة في المجموع واعترض برواية النسائي وابن خزيمة وابن حبان والبيهقي له معروفا بأسناد صحيح فإن قيل ما فائدة طلب ذلك له ﷺ وهو واجب الوقوع بوعده الله تعالى أوجب بأن في ذلك اظهارا لشرفه وعظم منزلته ﷺ وقول المصنف الذي وعدته في محل نصب بدل من قوله مقاما لانعت له لانه يجوز ابدال المعرفة من النكرة ولا يجوز نعت النكرة بالمعرفة ولا عكسه ويجوز أن يكون منصوبا بتقدير أعني ومرفوعا خبر لمبتدأ محذوف .

ويسن الدعاء بين الأذان والاقامة لما ورد أن الدعاء بين الأذان والاقامة لا يرد فادعوا وإن يقول المؤذن ومن سمعه بعد أذان المغرب اللهم هذا اقبال لي لك وادبارها رك واصوات دعائك اغفر لي ويقول كل منهما بعد أذان الصبح اللهم هذا اقبال لها رك وادبار لي لك واصوات دعائك اغفر لي وأكد الدعاء كما في الباب سؤال العافية في الدنيا والآخرة .

واعلم ان الاصل في الأذان والاقامة قبل الإجماع قوله تعالى إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة وقوله عز وجل وإذا ناديتهم إلى الصلاة هذا من الآيات واما من الاخبار فكثيرة منها ما ذكره بقوله ﴿لما روى الشيخان﴾ عن مالك ابن الحويرث قال اتينا رسول الله ﷺ ونحن شبيبة متقاربون فاقمنا عنده عشرين ليلة وكلن نوسل الله صلى الله عليه وسلم رجيا زفيا فظن انا قد اشتقنا اهلنا فسالنا عن تركنا من اهلنا فأخبرنا فقال ارجعوا إلى اهلكم فاقموا فيهم وعلوهم ومروهم ﴿فاذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم﴾ ثم ليؤمكم أكبركم هذا لفظ مسلم .

وروى أبو داود بأسناد صحيح عن عبد الله بن زيد بن عبد ربه قال لما امر النبي ﷺ بالناقوس يعمل ليضرب به الناس لجمع الصلاة طاف بي وأنا ثائم رجل يحمل ناقوسا في يده فقلت يا عبد الله أتبيع الناقوس فقال وما تصنع به فقلت ندعوه به إلى الصلاة قال أولا أدلك على ما هو خير من ذلك فقلت بلى قال تقول الله أكبر الله أكبر إلى آخر الأذان ثم استأخر عني غير بعيد ثم قال وتقول إذا قمت إلى الصلاة الله

وابن نجار عن أبي هريرة ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن ما أخذن إلا بسهمة

أكبر الله أكبر إلى آخر الإقامة فلما أصبحت أتيت النبي ﷺ فاخبرته بما رأيت فقال إنها رؤيا حق إن شاء الله قم مع بلال فأتى عليه ما رأيت فانه أمدى منك صوتا فقامت مع بلال فجعلت ألقيه عليه فيؤذن به فسمع ذلك عمر بن الخطاب وهو في بيته فخرج يجر رداءه ويقول والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل ما رأى فقال ﷺ فله الحمد وفي سيرة الشامي قال أهتم صلى الله عليه وسلم كيف يجمع الناس للصلاة فاستشار الناس فقيل انصب راية ولم يعجبه ذلك فذكر له القنع وهو البوق فقال هو من أمر اليهود فذكر له الناقوس فقال هو من أمر النصارى فقالوا لورفعنا نارا فقال ذلك للمجوس فقال عمر أولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة فقال ﷺ يا بلال قم فناد بالصلاة قال النورى هذا النداء دعاء إلى الصلاة غير الأذان كان شرع قبل الأذان قال الحافظ ابن حجر وكان الذي ينادى به بلال الصلاة جامعة انتهى .

قال الشيرازي ملسى وهو كما ترى مشتمل على النهي عن النقوس والأمر بالذكر ثم رأيت في سيرة شيخنا الحلبي بعد ما ذكر ما نصه وقيل أهتم رسول الله ﷺ هو وأصحابه بالناقوس أي اتفقوا عليه فنحت ليضرب به المسلمون انتهى وعلى هذا يرد قول من منع الناقوس وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ونقله ابن حجر الهيثمي في شرح العباب والشيرازي ملسى في خواشي النهاية .

وقد استشكل اثبات حكم الأذان برؤيا عبد الله بن زيد لأن رؤيا غير الأنبياء لا يبنى عليها حكم شرعي وأجيب باحتمال مقارنة الوحي بذلك أولآنه ﷺ أمر بمقتضاها لينظر أيعر على ذلك أي من الله أولا ولا سيما لما رأى نظمها بعد دخول الوسواس فيه وهذا يبنى على القول بجواز اجتهاده ﷺ في الأحكام وهو المنصور في الأصل ويؤيد الأول ما رواه عبد الرزاق وأبو داود في المراسيل من طريق عبيد بن عمير الليثي أحد كبار التابعين أن عمر لما رأى الأذان جاء ليخبر النبي ﷺ فوجد الوحي قد ورد بذلك فمارعاه الأذان بلال وقال له النبي ﷺ سبقك بذلك الوحي وهذا أصح مما حكى الداودي عن ابن اسحاق أن جبريل أتى النبي ﷺ بالأذان قبل أن يخبره عبد الله بن زيد وعمر بثمانية أيام انتهى .

وقال فيه أيضا انه وردت أحاديث تدل على أن الأذان شرع بمكة قبل الهجرة منها للطبراني انه لما أسرى بالنبي ﷺ أوحى الله إليه الأذان فنزل به فعلمه بلالا ولدا رقتني في الافراد من حديث أنس أن جبريل أمر النبي ﷺ بالأذان حين فرضت الصلاة واسناده ضعيف أيضا وللبرار وغيره من حديث علي قال لما أراد الله أن يعلم رسوله الأذان أتاه جبريل بدابة يقال لها البراق فركبها فقال الله أكبر الله أكبر وفي آخره ثم أخذ الملك يده فأم أهل السماء وفي أسناده متروك أيضا ويمكن على تقدير الصحة أن يحمل على تعدد الأسراء فيكون ذلك وقع بالمدينة والحق انه لا يصح شيء من هذه الأحاديث انتهى باختصار وذكر الشامي مثله مع زيادة قال الشيرازي ملسى أقول وتقدير صحة محي الوحي قبله بثمانية أيام يمكن حمله على انه أوحى إليه بأن يعلم الناس بوقت الصلاة من غير بيان لما يعلم به ثم بسبب هذا الاجمال وقعت المشاورة فيما يعلم به ثم بعد المشاورة جاء الوحي بخصوص كلمات الأذان ليلة الرؤية فلما أخبر بالرؤية قال سبقك الوحي بهذه الكلمات والمراد سبقك في هذه الليلة بهذه الكلمات وعلى تقدير صحة حديث أن جبريل حين أراد أن يعلمه الأذان أتاه بالبراق إلى آخره فيمكن انه علمه ليأتي به في ذلك الموطن ولا يلزم منه مشروعيته لأهل الأرض .

﴿ ر ﴾ روى ﴿ ابن النجار ﴾ في تاريخه ﴿ عن أبي هريرة ﴾ رضى الله عنه ﴿ ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن ﴾ من الفضل ومزيد الثواب ﴿ ما أخذن ﴾ بالبناء للمجهول ﴿ إلا بسهمة ﴾ بضم السين وسكون الهاء وفتح الميم أي بقرعة وذلك كناية عن شدة الحرص والتنازع لذلك فاذا جاء شخص يسألك على ذلك فقل له لا تقدم على الإيقرة فان هذا خير عظيم لا ينبغي الإيتار به

حرصا على ما فيهن من الخير والبركة التأذين بالصلاة والتهجير بالجماعات والصلاة في أول الصفوف وابن أبي شيبة والبيهقي عن سليمان الفارسي موقوفا قال إذا كان الرجل في أرض فأقام الصلاة صلى خلقه ملكا فإذا أذن وأقام صلى خلقه من الملائكة ما لا يرى طرفاه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده ويؤمنون على دعائه * وأحمد ومسلم إذا سمعهم المؤذن يقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فأنه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم صلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو

﴿حرصا على ما فيهن من الخير﴾ الأخرى ﴿والبركة﴾ النبوية أحدها ﴿التأذين بالصلاة﴾ فإن المؤذن يغفر له مدى صوته ﴿و﴾ ثانيا ﴿التهجير﴾ أي التذكير للمسجد ﴿بالجماعات﴾ أي المحافظة عليها في أول الوقت ﴿و﴾ ثالثها ﴿الصلاة في أول الصفوف﴾ وهو الذي يلي الإمام .

﴿و﴾ روى ﴿ابن أبي شيبة والبيهقي عن سليمان الفارسي﴾ رضي الله عنه ﴿موقوفا﴾ عليه ﴿قال إذا كان الرجل في أرض فأقام الصلاة صلى خلقه ملكا﴾ أي أكرامه ﴿فإذا أذن وأقام صلى خلقه من الملائكة ما لا يرى طرفاه﴾ لكثرتهم ﴿يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده ويؤمنون على دعائه﴾ وقال السعيد بن المسيب من صلى بأرض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فإذا أذن وأقام صلى وراءه أنبأ الجبال من الملائكة وأخرج أبو الشيخ في كتاب الأذان والخطيب وابن الجار عن أبي هريرة من أذن خمس صلوات إيمان واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن أم أصحابه خمس صلوات إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن عمر أنه قال لرجل ما عملك قال الأذان قال نعم العمل يشهد لك كل شيء سمعك وأخرج أيضا عن سعد لأن أقوى على الأذان أحب إلى من أني أنجب وأعتز وأجاهد وأخرج أيضا عن طريق هشام بن يحيى قال حدثت أن رسول الله ﷺ قال لو علم الناس ما في الأذان لحاربوه وأخرج أيضا وسعيد بن منصور عن الحسن قال المؤذن المحسب أول من يكسى يوم القيامة .

﴿و﴾ روى ﴿أحمد ومسلم﴾ عن عمرو بن العاص ﴿إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول﴾ الأحى على الصلاة وحى على الفلاح والصلاة خير من النوم في أذان الصبح فيقول لا حول ولا قوة إلا بالله في الأولين وفي الثالث صدقت وبررت وقد مر مثل ذلك ﴿و﴾ ثم صلوا على ﴿أي ندايا وسلموا قال المناوي وصرف عن الوجوب للإجماع على عدمه خارج الصلاة﴾ فأنه ﴿أي الشأن﴾ من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ﴿قال العلقمي قال عياض معناه رحمه وتضعيف أجره لقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قال وقد تكون الصلاة على وجهها وظاهرها تشریفه بين الملائكة كما في الحديث وإن ذكرني في ما لا ذكرته في ما لا خير منه .

قال ابن العربي إن قيل قد قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فما فائدة هذا الحديث قلت أعظم فائدة وذلك أن القرآن اقتضى أن من جاء بحسنة تضاعف عشر أو الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حسنة ومقتضى القرآن أن يعطى عشر درجات في الجنة فأنظر الله تعالى أن يصلي على من صلى على رسوله عشر أو ذكر الله للعبد أعظم من الحسنة مضاعفة قال وتحقيق ذلك أن الله لم يجعل جزاء ذكره إلا ذكره وكذلك جعل جزاء ذكر نبيه ذكره قال العراقي ولم يقتصر على ذلك حتى زاده كتابة عشر حسنات وحط عشر سيئات ورفع عشر درجات كما ورد في أحاديث ﴿ثم صلوا الله لي الوسيلة﴾ سبق في علم الله أنها له وإنما الطلب لها له لمزيد الخير للطالب وفسر ما صلى الله عليه وسلم بقوله ﴿فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله﴾ الذين هم أصفياءه وخلاصة خواص خلقه ﴿وأرجو أن أكون أنا هو﴾ أي أنا ذلك العبد قال المناوي وذكره على منهج الترجي تأديبا وتشريفا وقال العلقمي قال القرطبي قال ذلك قبل أن يوحى إليه أنه صاحبها ثم أخبر بذلك ومع ذلك فلا بد من الدعاء بها فإن الله يريد بكثرة دعاء أمه رقيه كما زاده بصلاتهم ثم يرجع

فمن سألني الوسيلة حلت عليه الشفاعة * وروى من تكلم في وقت الأذان خيف عليه زوال الإيمان . والارتداء والتعمم والاستياك عند القيام إلى الصلاة لما روي الشيخان لا يصلين أحدكم في الثوب الواحد ليس على عاتقه منه شيء * وابن عساكر صلاة تطوع أو فريضة بعمامة تعدل خمسا وعشرين صلاة بلا عمامة وجمعة بعمامة تعدل سبعين جمعة بلا عمامة * والشيخان لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة * وابن زنجويه وصححه الحاكم صلاة بالسواك أفضل من سبعين صلاة بغير سواك ﴿قال﴾

ذلك عليهم بنيل الأجور ووجوب شفاعته صلى الله عليه وسلم .

﴿فمن سألني الوسيلة﴾ أي طلبها لي من الله تعالى وهو مسلم ﴿حلت عليه الشفاعة﴾ قال العلقمي أي وجبت وقيل غشيت ونزلت به وقال المناوي أي وجبت وجوبا واقعا عليه أو ناله أو نزلت به مبة صالحا أم طالما فالشفاعة تكون لزيادة الثواب والمغفرة عن العقاب أو بعضه ﴿وروى من تكلم في وقت الأذان﴾ أي أذان المؤذن ﴿خيف عليه زوال الإيمان﴾ من السنن المتقدمة عن الدخول في الصلاة ﴿الارتداء﴾ أي لبس الرداء ﴿والتعمم﴾ أي لبس العمامة ﴿والاستياك عند القيام إلى الصلاة﴾ وذلك ﴿لما روى الشيخان لا يصلين أحدكم في الثوب الواحد ليس على عاتقه منه شيء﴾ و﴿ابن عساكر﴾ عن ابن عمر وكذا الديلمي عنه ﴿صلاة تطوع أو فريضة بعمامة﴾ قال الحفني إنما خصها لأن الناس يتساوون فيها والا فالمطلوب التزين بأحسن الثياب لانه في خدمة ملك الملوك ﴿تعدل خمسا وعشرين صلاة بلا عمامة﴾ والشارع يعلم سر ذلك العدد وإنما عرفنا منه المضاعفة والزيادة فالقصد التكثير لا التحديد وكذا ما بعده ﴿وجمعة بعمامة تعدل سبعين جمعة بلا عمامة﴾ قال العزيز لأن الصلاة مناجاة للحضرة الالهية فمن أخل بالتجمل لدخول تلك الحضرة كان ناقص الثواب ومن تجمل لذلك عظم ثوابه لرعايته الآداب .

﴿و﴾ روى ﴿الشيخان﴾ والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة وأحمد وأبو داود عن زيد بن خالد ﴿لولا أن أشق على أمتي﴾ أي لولا المشقة موجودة ﴿لأمرتهم﴾ أي أمرا يجاب ﴿بالسواك﴾ وهذا كما قاله الحفني يدل على جواز الاجتهاد منه ﷺ وانه تعالى فرض إليه الأمر في ذلك ﴿عند كل صلاة﴾ فرضا أو نفلا وروى الحاكم عن العباس بن عبد المطلب لولا أن أشق على أمتي لفرضت عليهم السواك عند كل صلاة كما فرضت عليهم الوضوء وروى الحاكم والبيهقي عن أبي هريرة لولا أن أشق على أمتي لفرضت عليهم السواك مع الوضوء والأخوات صلاة العشاء إلى نصف الليل وروى سعيد بن منصور عن مكحول برسلا لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك والطيب عند كل صلاة وروى أبو نعيم في كتاب السواك عن ابن عمر وابن العاص لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم أن يتسأكوا بالاسخار .

﴿و﴾ روى ﴿ابن زنجويه﴾ في كتاب الترتيب عن عائشة ورواه عنه أيضا عن أحمد وغيره ﴿وضححه الحاكم صلاة بالسواك﴾ عند ارادتها ﴿أفضل من سبعين صلاة﴾ قال المناوي أي من صلوات كثيرة انتهى وعليه ليس المراد التجديد ﴿بغير سواك﴾ ومحله قليل تكثيره الأحرام فإن فاته السواك حينئذ تداركه في الصلاة بحركة قليلة ونقص الأئمة يرى أن السواك لا يطلب للصلاة أصلا وإنما يطلب للوضوء لكونها طهارة مثل الوضوء فيكون جميعا بين الطهارةتين .

﴿قال﴾ ابن المقري وغيره ويستحب للرجل أن يلبس للصلاة أحسن ثيابه ويتعمم ويتطيلس ويرتدى ويرزأ ويسرول فإن اقتصر على ثوبين فقميص مع رداء أو أزار أو سراويل وبالجملة فالمستحب أن يصلح في ثوبين لظاهر قوله تعالى خذوا زينكم عند كل مسجد والثوبان أهم الزينة والخبر إذا صلى أحدكم فليلبس ثوبين فإن الله أحق أن يزين له فإن لم يكن له ثوبان فليزرأ إذا صلى ولا يشغل

النوري في المجموع يسن أن يجعل في عاتقه ثوبا فإن لم يجد جعل جبلا عليه حتى لا يخلو من شيء ويكره ترك ذلك ككشف رأس * وقال شيخنا ابن حجر إن التعم والاسباك يستحبان ولو بعد الدخول في الصلاة إن أمكن فعلها بفعل قليل واتخاذ بستره وهي شاخص طوله ثلثا ذراع وبينهما ثلاثة أذرع فبسط المصلي فخط أمامه طولا فندب دفع مار مكلف

اشتغال اليهود رواه البيهقي ثم ان اقتصر على واحد فالأولى قميص لأنه أستر للبدن ثم أزار ثم سراويل وانما كان الأزار أولى لأنه يتجاني عنه ولا بين عنه حجم أعضائه بخلاف السراويل وتقل الروباني عن الأصحاب عكسه ونقله ابن الرفعة عن الحاملي والبندنجي عن النص لأن السراويل أجمع في السترة الثوب الواحد يلتحف به ان اتسع ويخالف بين طرفيه والا تزر به وجعل شيئا منه على عاتقه لخبر الصحيحين عن جابر رضي الله عنه اذا صليت وعليك ثوب واحد فان كان واسعا فالتحف به وان كان ضيقا فاتزر به ولفظ مسلم فان كان واسعا وخالف بين طرفيه فان كان ضيقا فامدده على حقوله .

وقال ﴿النوري في المجموع يسن﴾ للمصلي ﴿أن يجعل في عاتقه ثوبا﴾ فإن لم يجد جعل جبلا عليه حتى لا يخلو من شيء ويكره ترك ذلك ﴿أي الجعل المذكور﴾ ككشف رأس ﴿فانه يكره ويستحب للمرأة في الصلاة قميص ساين لجميع بدنها وخمار وجلباب كثيف فوق ثيابها يتجاني عنها ولا بين حجم أعضائها والجلباب الملحفة والخنثى كالمرأة قاله في المطلب ويجب عليها فيه اذا لم يجد ستره عمل ستره يستبرها حتى من حشيش واتلاف الثوب وبيعه في الوقت كالماء اذا أتلفه أو باعه فيه فيعصى بذلك ان لم يكن حاجة ويصلي عربانا في الأولى ولا إعادة عليه ولا تصح صلاته في الثانية ما قدر على الثوب وهوياق على ملكه لعدم صحة البيع وكالبيع الهبة ونحوها ولا يباع للستر مسكن ولا خادم كما في الكفارة نقله الزركشي عن ابن كج في الكفارات وأقره وغلط من خالفه .

﴿وقال شيخنا﴾ العلامة ﴿ابن حجر﴾ الهيتمي رحمه الله رحمة واسعة ﴿ان التعم والاسباك يستحبان ولو بعد الدخول في الصلاة ان أمكن فعلها بفعل قليل و﴾ يسن للمصلي ﴿اتخاذ ستره﴾ يتوجه اليها نحو جدار أو سارية أو خشبة مبنية أو الى نحو عصا منرورة كستاع عند عجزه عن المرتبة الأولى للاتباع في ذلك رواه الشيخان وخبر استروافى صلاتكم ولوبسهم رواه الحاكم وقال على شرط مسلم ﴿وهي﴾ أي السترة ﴿شاخص طوله ثلثا ذراع﴾ فأكثر تقريبا ﴿وبينهما﴾ أي بين السترة والمصلي ﴿ثلاثة أذرع﴾ فأقل بدارع اليد وهل تحسب الثلاثة من رءوس الأصابع أو من العقب فيه احتمال والأوجه الأول ويسن له أن يميل السترة عن وجهه يمينه أو يسرة ولا يجعلها بين عينيه فان عجز عن المرتبة الثانية سن له ﴿بسط المصلي﴾ كسجادة بفتح السين .

﴿ف﴾ ان عجز عن المرتبة الثالثة سن ﴿خط أمامه﴾ أي قبالة خطا ﴿طولا﴾ كما في الروضة ﴿ف﴾ اذا صلى الى شيء من السترة المذكورة على هذا الترتيب يحكم للمصلي وكذا لنيره كما صرح به الاسنوي وغيره تنقها ﴿ندب دفع مار﴾ بينه وبينها والمراد بالمصلي والخط أعلاما ﴿مكلف﴾ خلافا للشهاب الرملی حيث قال لا فرق بين البهيمه والصبي والمجنون وغيرهم لأن هذا من باب دفع الصائل والصائل يدفع مطلقا أي ولورقيقا انتهى ونقله ابن قاسم وغيره واذا دفع المار دفع بالاسهل فالاسهل كدفع الصائل فان أدى الى موته فهدر قال الأصحاب ويدفعه يده وهو مستقر في مكانه ولا يحل له المشي اليه لأن مفسدة المشي أشد من المرور وقضية هذا أن الخطوة أو الخطوتين حرام وان لم تبطل بهما الصلاة وليس مرادا أي لا يحل حلا مستويا الطرفين فيكره ولودفعه ثلاث مرات مزايا بطلت صلاته كما في الأنوار .

وحرم مرور حينئذ وقال البغوي في شرح السنة إذا بين الإمام موضع صلاته بعضا أو غيرها لا حاجة للمؤمنين إلى غرز العنزة وغيرها لما روي أبو داود إذا صلى أحدكم فليجعل تلقاء وجهه شيئا فليصب عصا فإن لم يكن معه عصا فليخطط بين يديه ثم لا يضره ما مر أمامه * والشيخان إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس فأراد أحد أن يجاز بين يديه فليدفعه فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان *

﴿وحرم﴾ على الصحيح ﴿مرور﴾ بينه وبين ستره ﴿حينئذ﴾ أي عند سن دفعه وهو في صلاة صحيحة في اعتقاد المصلي فيما يظهر فرضا كانت أو نفلا ولو كانت السترة آدميا أو بهيمة أو امرأة ولم يحصل له بسبب ذلك اشتغال ينافي خشوعه فقليل يكفي والا بأن كانت الدابة تقورا أو امرأة يشغل قلبه به لم يعد تلك السترة على ما يحثه بعضهم لكرهية الصلاة اليها حينئذ قال ومثل ذلك فيما يظهر أيضا الموصلي بصير إلى شاخص مزوق هذا والأوجه عدم الأكفاء بالسترة بالأدنى ونحوه أخذا بما يأتي أن بعض الصفوف لا يكون سترة لبعض آخر والقول الثاني لا يحرم بل يكره ولو استرسترة في مكان منصوب لم يحرم المرور بينه وبينها ولم يكره كما أفتى به بعضهم وسواء في حرمة المرور مع السترة أو وجد المار سبيلا غيره أم لا كما صرح به في الروضة نعم قد يضطر المار إلى المرور بحيث يلزمه المبادرة لأسباب لا تخفى كإذار نحو مشرف على الهلاك تعين المرور طريقا لانتقائه وإنما المرور مع السترة المقررة بخلاف ما إذا فقدت أو كانت وتباعد عنها أكثر من ثلاثة أذرع أو اختل بشرط من شروطها لأن القصد من السترة أن يظهر لصلاته حرمة يضطرب فيه في حركاته وانتقالاته فإذا لم يسترفه المهدر لحرمة نفسه وكذا لو قصر المصلي بأن وقف في قارعة الطريق أو بشارع أو درب ضيق أو نحو باب مسجد كالحل الذي يغلب مرور الناس به في وقت الصلاة ولو في المسجد كالمطاف وكان ترك فرجة في صف أمامه فاحتج بالمرور بين يديه لفرجة قبله فلا يحرم المرور في جميع ذلك ولو في حرمة المصلي وهو قد راس كان سجوده خلافا للخوارزمي بل ولا يكره عند التقصير ولا يجوز الدفع وإن تعددت الصفوف وروهم من ظن أن هذه المسئلة كمسئلة التخطي يوم الجمعة فقيدها بصفين ولو أزيلت سترته حرم على من علم به المرور كما يحثه الأذرع لعدم تقصيره وقياسه أن من استرسترة يراها مقلده ولا يراها مقلد المار تحريم المرور لو قيل باعتقاد المصلي في جواز الدفع وفي عدم تحريم المرور باعتقاد المار لم يعد وكذا إن لم يعلم مذهب المصلي ولو عجز عن سترة حتى عن الخط لم يكن له الدفع كما رجحه الأذرع خلافا للزركشي ولو صلى بلا سترة فوضعها غيره بلا إذنه اعتد بها كما يحثه ابن الاستاذ ويكره كما في المجموع أن يصلي وبين يديه رجل أو امرأة يستقبله ويراه انتهى ولو مر بين يديه شيء كمرأة وخمار وكلب لم تبطل وأما خبر مسلم يقطع الصلاة المرأة والكلب والخمار فالمراد به قطع الخشوع للشغل بها والأوجه أن بعض الصفوف لا يكون سترة لبعضها كما هو ظاهر كلامهم.

﴿وقال البغوي في شرح السنة إذا بين الإمام موضع صلاته بعضا أو غيرها لا حاجة للمؤمنين إلى غرز العنزة﴾ وهي عصا أقصر من الرمح ولها زج من أسفلها والجمع عنز وعنزات مثل قصبة وقصب ﴿وغيرها﴾ ودليل ما ذكر ما ذكره بقوله ﴿لما روى أبو داود﴾ وغيره ﴿إذا صلى أحدكم فليجعل تلقاء وجهه شيئا فليصب عصا فإن لم يكن معه عصا فليخطط بين يديه﴾ خطأ ﴿ثم لا يضره ما مر أمامه﴾ وخبر إذا صلى أحدكم إلى سترة فليدن منها لا يقطع الشيطان عليه صلاته رواه أبو داود وصححه الحاكم وقال على شرط شيخين.

﴿و﴾ روى الشيخان إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس فأراد أحد أن يجاز بين يديه فليدفعه فإن أبى ﴿استغ﴾ فليقاتله فإنما هو شيطان ﴿أي﴾ مع شيطان أو هو شيطان الأنس وقضيه وجوب الدفع وقد يحثه الاستنوى لحرمة المرور وهو قادر على إزالتها وليس كدفع الصائل انتهى وجوابه أن المرور يختلف في تحريمه ولا ينكر إلا الجمع على تحريمه وأنه إنما يجب الإنكار حيث يؤد إلى فوات مصلحة أخرى فإن أدى إلى فوات مصلحة أو الوقوع في مفدة أخرى لم يجب كما قرره في موضعه وهنا لو اشتغل بالدفع

وهما لو يعلم المار بين يدي المصلي إلى السترة ماذا عليه من الإثم لكان أن يقف أربعين خريفا خيرا له من أن يمر بين يديه * والطبراني أن سلة الإمام سترة من خلفه وتسيح وتحميد وتكبير وتهليل واستغفار عشرا عشرا إذا أراد القيام إلى الصلاة لما روي ابن السني عن أم رافع أنها قالت يا رسول الله دلني على عمل يأجرني الله عز وجل عليه قال يا أم رافع إذا قمت إلى الصلاة فسبحي الله تعالى عشرا وهليله عشرا واحمديه عشرا وكبريه عشرا واستغفريه عشرا فانك إذا سبحت قال الله تعالى هذا لي وإذا هليلت قال الله تعالى هذا لي وإذا حمدت قال الله تعالى هذا لي وإذا كبرت قال الله تعالى هذا لي وإذا استغفرت قال الله تعالى قد فعلت ذلك ﴿ومكروهاتها﴾ ترك كشف يديه عند تحريمه وسجوده والصاق

لغات مصلحة أخرى وهي الخشوع في الصلاة وترك العبث فيها وأنه إنما يجب النهي عن المنكر بالأسهل فالأسهل والاسهل هو الكلام وهو ممنوع منه فلما انتفى سقط ولم يجب بالفعل وإن النهي عن المنكر إنما يجب عند تحقق ارتكاب المنكر عليه للإثم وهنا لم يتحقق ذلك لاحتمال كونه جاهلا أو ناسيا أو غافلا أو أعمى وإن إزالة المنكر إنما يجب إذا كان لا يزول إلا بالنهي والمنكر هنا يزول بانقضاء مروره ﴿وهما﴾ أي وروى الشيخان وأصحاب السنن ﴿لو يعلم المار بين يدي المصلي إلى السترة ماذا عليه من الإثم لكان أن يقف أربعين خريفا﴾ أي سنة ﴿خيرا له من أن يمر بين يديه﴾ قال الترمذي وقد روى عن أنس أنه قال لأن يقف أحدكم مائة عام خيرا له من أن يمر بين يدي أخيه وهو يصلي وصح فيه حديث وهو لو يعلم أحدكم ماله في أن يمشی بين يدي أخيه معترضا وهو يناجي ربه لكان أن يقف في ذلك المكان مائة عام أحب إليه من الخطوة التي خطاها وروى ابن عبد البر موقولا أن يكون الرجل رمادا يذرى به خيره من أن يمر بين يدي رجل متعمدا وهو يصلي.

﴿و﴾ روى الطبراني ﴿عن أنس باسناد ضعيف﴾ أن سترة الإمام سترة من ﴿وفي رواية لمن﴾ خلفه ﴿من المقتدين لانه تابع يكفيه سترة امامه قاله بعضهم والمعتد ان ذلك لا يكفي فيندب للمأموم اتخاذ سترة أيضا﴾ ﴿و﴾ يسن ﴿تسيح وتحميد وتكبير وتهليل واستغفار عشرا عشرا إذا أراد القيام إلى الصلاة﴾ وذلك ﴿لما روى ابن السني عن أم رافع أنها قالت يا رسول الله دلني على عمل يأجرني الله عز وجل عليه قال﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿يا أم رافع إذا قمت﴾ أي أردت القيام ﴿إلى الصلاة فسبحي الله تعالى﴾ أي قولي سبحان الله ﴿عشرا﴾ أي عشر مرات ﴿وهليله﴾ أي قولي لا اله الا الله ﴿عشرا واحمديه﴾ أي قولي الحمد لله ﴿عشرا وكبريه﴾ أي قولي الله اكبر ﴿عشرا واستغفريه﴾ أي قولي استغفر الله ﴿عشرا فانك إذا سبحت قال الله تعالى هذا﴾ التسيح ﴿لي وإذا هليلت﴾ أي قلت لا اله الا الله ﴿قال الله تعالى هذا﴾ التهليل ﴿لي وإذا حمدت قال الله تعالى هذا﴾ التحميد ﴿لي وإذا كبرت قال الله تعالى هذا﴾ التكبير ﴿لي وإذا استغفرت قال الله تعالى قد فعلت ذلك﴾ أي أعطيت مسؤلك الذي هو غفران الذنوب ولما فرغ المصنف من ذكر بعض بالسنن شرع يتكلم على المكروهات فقال

﴿ومكروهاتها﴾ أي الصلاة يعني ما يكره فعله فيها لأن المكروهات ليست منها ﴿ترك كشف يديه عند تحريمه وسجوده﴾ وركوعه لمناقاته التواضع ﴿والصاق﴾ عضديه بجنبه في ركوعه وسجوده والصاق بطنه بنخذه فيها المخالفة لها سنة النبي ﷺ المطالبة طلبا مؤكدا واقعاء الكلب بأن يجلس على وركيه ناصبا ركبته للنهي عنه رواه الحاكم وصححه البيهقي بأسانيد وضعفها ثم قال والاقعاء نوعان أحدهما هذا وهو منهى عنه والثاني وصح فعله عن النبي ﷺ أن يضع أطراف أصابع رجليه وركبته على الأرض وأليه على عقيه وهو سنة في الجلوس بين السجدين وقرة الثواب لمناقاته الخشوع واقتراض السبع في سجوده للنهي عنه في خبر مسلم في حق

قدمه وتقديم إحداهما واعتماد عليها في القيام وجهر بمحل اسرار وعكسه وخفض رأسه في ركوع ومخالفة ترتيب ذكرناه في وضع أعضاء السجود بسط الذراعين على الأرض وترك وضع الأنف فيه وترك رجل بجافة فيه وفي الركوع وترك تعوذ وسورة وتكبير انتقال وأقل تسبيح ركوع وسجود وذكر اعتدال وجلوس بين السجدين وتعوذ بعد تشهد أخير وإسراع وتخصيص إمام نفسه بالدعاء وتخلّف مأموماً جلسة استراحة تركها الإمام وكف شعر وثوب ومسح وجهه من نحو غبار وترويح على نفسه وبصق أماماً ويمينا

الرجل وقيس به غيره وإيطان المكان الواحد أي ملازمته وهذا الغير الإمام في الحراب أما هو فلا يكره له خلافاً للسيوطي حيث قال إنها بدعة مفوتة فضيلة الجماعة له ولئن ائتم به فالمعتد أنه ليس من مكروهات الصلاة ولا يفوت فضيلة الجماعة قاله الشرقاوي والباق **قدمه** وتقديم إحداهما **على الأخرى** **واعتماد عليها** أي على إحدى الرجلين **في القيام** من غير حاجة لمنافاته الخشوع فإن كان به عذر كرجع الأخرى لم يكره **وجهر بمحل اسرار** أي حيث لا عذر فإن حصل عذر كأن كثر اللفظ عنده فاحتاج للجهر يأتي بالقراءة على وجهها فلا كراهة **وعكسه** أي اسرار بمحل جهر **ومبالغة** **خفض رأس** عن الظهر **في ركوع** وكذا أخفضه عن أكمل الركوع وإن لم يبلغ كما دل عليه كلام الشافعي وذلك لمجاوزته فعله **فانه** كان إذا ركع لم يشخص رأسه أي لم يرفع ولم يصوبه أي لم يخفضه وإطالة الشهد الأول والاضطجاع وتشبيك الأصابع **ومخالفة ترتيب ذكرناه** في وضع أعضاء السجود وبسط الذراعين على الأرض وترك وضع الأنف فيه **أي في سجوده** وترك رجل **خرج به غيره** بجافة فيه **أي في السجود** وفي الركوع وترك تعوذ **وترك** **سورة** **وترك** **تكبير انتقال** **وترك** **أقل تسبيح ركوع** **وتسبيح** **سجود** **وترك** **ذكر اعتدال** **وترك** **جلوس بين السجدين** **وترك** **تعوذ** **من عذاب القبر وغيره** **بعد تشهد أخير وإسراع** للصلاة لمنافاته الخشوع وكذا الإدراك التحريم وغيره مع الإمام نعم أن توفق إدراك الجماعة أو الجمعة عليه سن في الأول ووجب في الثاني **وتخصيص إمام نفسه بالدعاء** وتخلّف مأموماً جلسة استراحة تركها الإمام وكف شعر وثوب **أي أو ثوب فالواو بمعنى** أو كفا في المنهاج وذلك لخبر أمرت أن لا أكف الشعر أو الثياب والكفت بمشاة في آخره هو الجمع قال تعالى ألم نجعل الأرض كفافاً أحياء وأمواتاً أي جامعة لهم ومنه كفا في المجمع أن يصلى وشعره معقوص أو مردود تحت غمامته أو ثوبه أو كفه مشرو ومنه شد الوسط وغرز العذبة .

والمعنى في النهي عن كف ذلك أنه يسجد معه أي غالباً ولهذا نص الشافعي على كراهة الصلاة وفي إبهامه الجادة التي يحجرها وتر القوس قال لثني امره أن يفضي ببطون كفيه إلى الأرض وينبغي كما قال الزركشي تخصيصه أي في الشعر بالرجل أما المرأة ففي الأمر بتنقيتها الصفات مشقة وتغيير لحياتها المنافية للجمال وبذلك صرح في الأحياء وينبغي الحاق الخنثى بها ويسن لمن رآه كذلك ولو مصلياً أن يحله حيث لا قننة نعم لو بادر شخص وحل كفه المشمرو كان فيه مال وتلف كان ضامناً له كما اتفق به بعضهم **ومسح وجهه من نحو غبار وترويح على نفسه وبصق أماماً** أي قبل وجهه **ويمينا** لحديث الشيخين إذا كان أحدكم في الصلاة فإنما يناجى ربه فلا يبرز بين يديه ولا عن يمينه زاد البخاري فإن عن يمينه ملكاً ولكن عن يساره أو تحت قدمه ويكره البصاق عن يمينه وأمانه وهو في غير الصلاة أيضاً كما قاله النووي خلافاً لما رجحه الأذرعى تبعاً للسبكي من أنه مباح لكن محل كراهة ذلك أمامه إذا كان متوجهاً للقبلة كما مجته بعضهم إكراماً لها .

* فائدة * روى ابن عساكر عن عبادة بن الصامت عن معاذ بن جبل أنه قال ما برقت عن يميني منذ أسلمت قال الديلمي ويستثنى من البصاق عن يمينه ما إذا كان بمسجد النبي ﷺ فان بصاقه عن يمينه أولى لأن النبي ﷺ عن يساره انتهى وهو ظاهر إذا كان

وأشارة مفهومة وتناوب واختصار واعتماد على اليد اليسرى في الجلوس وتقليب اليدين عند التسليمين .

﴿فائدة﴾ يحرم الالتفات في الصلاة

القبر الشريف عن يساره فان قيل عن يساره ملك آخر فما وجه إختصاص المنع بما ذكر اجيب بأن الصلاة أم الحسنات البدنية فلا دخل لكاتب السيئات فيها ففى الطبرانى فإنه يقوم بين يدي الله تعالى وملكه عن يمينه وقرينه عن يساره فالبصاق حينئذ إنما يقع على القرين وهو الشيطان ولعل ملك اليسار حينئذ يكون بحيث لا يصيبه شئ من ذلك هذا إذا كان فى غير مسجد فان كان فيه بصق فى ثوبه فى الجانب الأيسر وحك بعضه ببعض ولا يبصق فيه فإنه حرام كما صرح به فى المجموع والتحقيق ويجب الإنكار على فاعله وان قال فى المهمات ان المشهور الكراهة لحديث الشيخين البصاق فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها أى ولو فى تراب المسجد لظاهر الخبر بل يبصق فى طرف ثوبه فى بجانبه الأيسر ككفه وبصق ويزق لغتان بمعنى واحد ومن رأى بصاقاً أو نحوه فى المسجد فالسنة ان يزيله وان يطيب محله قاله فى المجموع وإنما لم تجب الإزالة منه مع كون البصق محرماً فيه للاختلاف فى تحريمه كما قيل به فى دفع المار بين يدي المصلى كما مر وبحت بعضهم جواز ذلك اذا لم يبق له أثر أصلاً والمراد ان ذلك يقطع الحرمة حينئذ وإنما يحرم فيه أن بقي جرمه لأن استهلاكه فى نحو ماء مفضضة وأصاب جزءاً من اجزائه دون هوائه وسوا كان الفاعل عن داخله أم خارجه لأن الملاحظ التقدير وهو منتهى فى ذلك كالتقصيد فى إناؤه أو على قمامة به وان لم يكن ثم حاجة وما زعمه بعضهم من حرمة فى هوائه وان لم يصب شيئاً من اجزائه وان القصد مقيد بالحاجة اليه فيه مردود ويجب اخراج نجس فوراً عينا على من علم به وان لم يتعد به واضعه .

ولا يحرم البصق على حصر المسجد ان امن وصول شئ منه له من حيث البصاق فى المسجد كذا فى النهاية وغيره ﴿وأشارة﴾ بلا حاجة أى بنحو عين او حاجب او شفة ولو من اخرس ولا تبطل بها الصلاة خلافاً لبعضهم فى الأخيرين وقوله ﴿منه﴾ ليس بقيد ومحل كراهتها ما لم تكن على وجه اللعب والا بطلت ﴿وتناوب﴾ خبر مسلم اذا تناوب احدهم وهو فى الصلاة فليرده ما استطاع فان احدهم اذا قال هاها ضحك الشيطان منه ولا تختص الكراهة بالصلاة بل خارجها كذلك قال الحافظ ابن حجر والمراد بكونه مكروهاً أن يجزى معه والا فدفعه وردّه غير مقدور له وإنما خص الصلاة فى بعض الروايات لأنها أولى الاحوال به وبكوه التفتيح فيها لانه عبث ومسح نحو الحصى لسجوده عليه للنهي عن ذلك ولمخالفته التواضع والخشوع ﴿واختصار﴾ بأن يجعل يده أو يديه على خاصرته ومحل الكراهة ما لم يكن لحاجة كعلة يجنبه والا فلا كراهة .

والخاصرة هى ما بين رأس الورك واسفل الاضلاع وتفسير الاختصار بذلك هو المشهور وقيل هو اختصار السورة بأن يقرأ بعضها وقيل هو الاقتصار على آيات السجدة لسجودها وقيل اختصار السجدة التى انتهى فى قراءتها إليها فلا يسجد ها وقيل اختصار الصلاة فلا يند قيامها وركوعها وسجودها وذلك للنهي عنه فى خبر الصحيحين فى الرجل وقيس به غيره ولما ورد الاختصار راحة اهل النار اى فعل اليه فى صلاتهم وهم اهل النار وليس المراد راحتهم فيها الا راحة لهم حينئذ وعلى المشهور اختلف فى علة النهي فقيل لانه فعل الكفار وقيل فعل المكبرين وقيل فعل الشيطان وحكى فى شرح مسلم ان ابليس هبط من الجنة كذلك ﴿واعتماد على اليد اليسرى فى الجلوس وتقليب اليدين عند التسليمين﴾ أى الاولى والثانية .

﴿فائدة﴾ * يحرم الالتفات فى الصلاة ﴿برجعه يمينه او يسرة فانه اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد كما صح فى البخارى ولما فاتته الخشوع وقد روى ابو داود والنسائى لا يزال العبد مقبلاً على العبد فى صلاته ما لم يلتفت فإذا التفت انصرف عنه ولو

على ما قاله المتولي والحليمي ورفع البصر عن موضع سجوده على ما قاله الأذرعى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام في الصلاة فالتفت رد الله عليه صلاته رواه الطبراني وقال صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم فاشتد قوله في ذلك حتى قال لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم رواه البخاري * وروي أن سبب ابتلاء يعقوب بابنه يوسف عليهما السلام أنه التفت في صلاته إليه وهو نائم محبة له ويكره تحريم الصلاة عند الاستواء إلا يوم الجمعة

حول صدره عن القبلة بطلت كما لو قصد به اللعب وعلم حرمة ذلك ﴿على ما قاله المتولي والحليمي﴾ وقال النووي في منهاجه بكرامته وقال الأذرعى والمختار أنه ان تعمد مع علمه بالخبر حرم بل تبطل ان فعله لعبا انتهى ومحل الخلاف اذا لم تكن حاجة والا فلا يكره لأنه ﷺ كان في سفر فارسل فارسا إلى شعب من اجل الحرص فجعل يصلى وهو يلتفت إلى الشعب رواه ابو داود باسناد صحيح وخرج بما ذكره اللع بالعين دون الالتفات فانه لا بأس به فعلى صحيح ابن حبان من حديث على بن شيان قال قدمنا على النبي ﷺ وصلينا معه فلمح بمؤخر يمينه رجلا لا يقيم صلبه في الركوع والسجود فقال لا صلاة لمن لا يقيم صلبه.

﴿و﴾ يحرم ﴿رفع البصر في موضع سجوده﴾ على العايد العالم بالنهاى المستحضر له ﴿على ما قاله الأذرعى﴾ وقال النووي يكره وروى انه ﷺ كان اذا صلى رفع بصره إلى السماء فنزل قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون فظا طأ رأسه رواه الحاكم من حديث ابى هريرة وقال انه على شرط الشيخين ﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام في الصلاة فالتفت﴾ اى لغير حاجة والا كملاحظة متاع او خوف من عدو فلا بأس به ﴿رد الله عليه صلاته﴾ قال المناوى لم يقبلها بمعنى انه لا يشبه عليها واما الفرض فيسقط انتهى فحمل الحديث على الالتفات لا تبطل به الصلاة ﴿رواه الطبراني﴾ في معجمة الكبير عن ابى الدرداء واسناده ضعيف ﴿وقال صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام﴾ اى ما حالهم ﴿يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم فاشتد﴾ اى قوى ﴿قوله في ذلك حتى قال لينتهن﴾ جواب قسم محذوف والاصل لينتهون ﴿عن ذلك﴾ اى عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة ﴿اولتخطفن أبصارهم﴾ بضم الفوقية وفتح الفاء نبيا للمفعول وأوللتخير تهديدا وهو خبر بمعنى الامر والمعنى ليكون منكم الانتهاء عن رفع البصر إلى السماء او خطف الابصار عند رفعها من الله تعالى أما رفع البصر إلى السماء في غير الصلاة لدعاء ونحوه فجوزوه الا كثرون كما قاله القاضى عياض لأن السماء قبلة الدعاء كالكعبة قبلة الصلاة وكرهه آخرون ونقل الديمري عن الغزالي فى الإحياء أنه قال يستحب أن يرمى بصره إلى السماء فى الدعاء بعد الوضوء ﴿رواه البخاري﴾ ويكره نظرها يليه عن الصلاة ككوب له اعلام لخبر عائشة كان النبي ﷺ يصلى وعليه خبيصة ذات اعلام فلما فرغ قال ألهتنى اعلام هذه اذهبوا بها إلى ابى جهنم واثنوا بانجانيته رواه الشيخان.

﴿وروى أن سبب ابتلاء يعقوب بابنه﴾ اى لفراق ابنه ﴿يوسف عليهما﴾ الصلاة و﴿السلام أنه﴾ اى يعقوب عليه السلام ﴿التفت في﴾ اثناء ﴿صلاته إليه وهو﴾ اى ابنه ﴿نائم محبة له﴾ اى لأجل المحبة لابنه يوسف عليه السلام ﴿ويكره تحريما﴾ اى كرامة تحريم ﴿صلاة عند الاستواء﴾ كما صححه في الروضة والمجموع هنا وان صححه فى التحقيق وفى الطهارة من المجموع أنها كرامة تنزه لما روى مسلم عن عقبة بن عامر ثلاث ساعات كان رسول الله ﷺ فيها نائما ناضى فيهن او ان تقبر فيهن موتا حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس وحين تضيف للغروب فالظهيرة شدة الحر وقائمتها هو البعير يكون باركا فيقوم من شدة حر الارض وتضيف بقاء مشاة من فوق ثم ضاد معجمة ثم مشاة من تحت مشددة اى تميل وتزول الكرامة بالزوال واعلم ان وقت الاستواء لطيف لا يتسع للصلاة ولا يكاد يشعر به حتى تزول الشمس الا ان التحريم يمكن إيقاعه فيه فلا تصح الصلاة ﴿الا يوم الجمعة﴾

وبعد أداء صبح وعصر حتى ترتفع وتغرب شمس الإسبب غير متأخر كركعتي تحية ووضوء وكهانة لم يقصد تأخيرها إليها لاستثنائه في خبر أبو داود وغيره والأصح جواز الصلاة في هذا الوقت مطلقا سواء حضر إلى الجمعة أم لا وقيل يختص بمن حضر الجمعة وصححه جماعة وقيل يختص بمن حضر وغلبه النعاس في دفعه بركعتين .

﴿و﴾ تكراه أيضا ﴿بعد أداء صبح﴾ وبعد صلاة ﴿عصر﴾ أداء ولو بمجموعة في وقت الظهر ﴿حتى ترتفع﴾ الشمس في الأولى كرمح في رأي العين والا فالمسافة بعيدة جدا ﴿و﴾ حتى ﴿تغرب الشمس﴾ في الثانية للنهي عن ذلك بعد الصلاتين في الصحيحين وروى مسلم فإنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار وبقي للكرهية وقتان آخران ذكرهما الرافعي في الحرر وغيره والنووي في الروضة وهما عند طلوع الشمس حتى ترتفع وعند الاصفرار حتى تغرب ويمكن اندراجهما في عبارة المصنف بتأويل غير أن الكراهية بعد أداء الصبح والعصر خاصة بمن صلى وعند الطلوع والاصفرار ولا فرق في ذلك بين من صلى الصبح والعصر ومن لم يصلهما ويتسع وقت الكراهية في الأولين لمن بادر بفعل الفرض أول وقته ويضيق لمن أخره إلى آخر الوقت ويجمع الكراهيتان فيمن فعل الفرض ودخل عليه كراهية الوقت وزاد بعضهم كراهية وقتي آخرين وهما بعد طلوع الفجر إلى صلاته وبعد المغرب إلى صلاته وقال إنها كراهية تحريم على الصحيح ونقله عن النص انتهى والمشهور في المذهب أن الكراهية فيهما للتنزيه .

قال الأصحاب وإذا صلى في الأوقات المنهي عنها عزر ولا تتعدا إذا قلنا أنها كراهية تحريم وكذا على كراهية التنزيه على الأصح فإن قيل يلزم من عدم الاعتقاد أن الكراهية للتحريم لا للتنزيه لأن الأقدام على العبادة التي لا تتعد حرام اتفاقا لكونه تلاعبا أجيب بأنه لا يلزم من القول بعدم الاعتقاد القول بأن الكراهية للتحريم لأن نهي التنزيه إذا رجع إلى نفس الصلاة يضاد الصحة كهي التحريم كما هو مقرر في الاصول ﴿الاسبب غير متأخر﴾ مقدما كالجنازة والفائنة وسجدة التلاوة والشكر أو مقارنا ككسوف واستسقاء وإعادة صلاة جماعة ونسيم وأشار إلى بعض أمثلة ذلك بقوله ﴿كركتي تحية﴾ لمسجد لم يدخل إليه بقصد ما فقط ﴿و﴾ ركعتي ﴿وضوء﴾ وطواف وفي الصحيحين في توبة كعب بن مالك أنه سجد سجدة للشكر بعد صلاة الصبح قبل طلوع الشمس وفيهما عن أبي هريرة أنه ﷺ قال لبلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة قال ما عملت عملا أرجى عندي من أني لم انظر ظهوراني ساعة من ليل أو نهار الاصليت بذلك الطهور ما كتب الله لي أن أصلي والدف صوت النعل وحركته على الأرض أما ماله سبب متأخر كركعتي الاستخارة والاحرام فإنه لا ينعقد كالصلاة التي لا سبب لها لأن الاستخارة والاحرام سببها متأخر عنهما والمراد بالتقدم وقسيمه بالنسبة إلى الصلاة كما في المجموع أو إلى الأوقات المكروهة على ما في أصل الروضة والأول أظهر على ما قاله الأسنوي وعليه جرى ابن الرفعة فعليه صلاة الجنازة ونحوها سببها متقدم وعلى الثاني قد يكون مقدما وقد يكون مقارنا بحسب وقوعه في الوقت أو قبله ﴿وكهانة﴾ ولوافلة تقضى لغير كفارتها أن يصلها إذا ذكر ذكرها وخبرناه ﷺ صلى بعد العصر ركعتين وقال هما اللتان بعد الظهر ونفى مسلم لم يزل يصلها حتى فارق الدنيا أي لأن من حرص صلاته أنه إذا عمل عملا دارم عليه ففعلها أول مرة قضاء ويعدّه فلا فليس لمن قضى فيها فائنة المداومة عليها وجعلها وردا ونقل ابن المنذر والاجماع على أن الفائنة تفعل بعد الصبح والعصر قاله في النهاية ﴿لم يقصد تأخيرها﴾ أي النافلة ﴿إليها﴾ أي إلى الأوقات الكراهية والابان قصد تأخيرها ليقضيها في هذه الأوقات فيكره ذلك هذا إذا لم يعلم بالنهي عن ذلك وأما إذا علم به وقصد تأخيرها ليفعلها في الوقت المكروه فيحرم مطلقا ولو فائنة يجب قضاؤها فوراً لأنه معاند للشرع وعبر الزركشي وغيره بمراغم للشرع بالكلية وهو مشكل لكثيرهم من قيل لمعص أظفارك فقال لا فعله رغبة عن السنة فإذا اقتضت الرغبة

وتنزيها صلاة بمدافعة حدث وبحضرة طعام يتوق إليه وبطريق في بنيان ومقبرة سواء أصلي إلى القبر أم عليه أم بجانبه

عن السنة التكفير فأولى هذه المعاندة والمراغمة وبحاجبتين حمل هذا على أن المراد أنه شبه المراغمة والمعاندة لأنه موجود فيه حقيقتها وقول جمع المكروه تأخيرها إليه لا إيقاعها فيه مردود بأن المنهى عنه بالذات الإيقاع لا التأخير قاله ابن حجر ونقله الشبرايملي وقرره .

﴿و﴾ يكره ﴿تنزيها صلاة بمدافعة حدث﴾ من بول أو غائط أو ريح بل السنة كما في النهاية وغيره تفريع نفسه من ذلك لأنه محل بالخشوع وإن خاف فوت الجماعة حيث كان الوقت متسعا وقيل يسر وإن فات الوقت ونقل عن القاضي حسين أنه قال إذا انتهى به مدافعة الأخبثين إلى أن ذهب خشوعه لم تصح صلاته ولا يجوز له الخروج من الفرض بطر وذلك له فيه الآن غلب على ظنه حصول ضرر بكنهه يسبح التيمم فله حينئذ الخروج منه وتأخير عن الوقت والعبرة في كراهة ذلك بوجوده عند التحريم ويلحق به فيما يظهر ما لو عرض له قبل التحريم فردّه وعلم من عادته أنه يعود له في أثناءها .

﴿و﴾ تكره الصلاة أيضا ﴿بحضرة﴾ بتلث الحاء المهملة ﴿طعام﴾ مأكل أو مشرب ﴿يتوق﴾ بالقاف والتاء المشناة من فوق أي يشاق ﴿إليه﴾ لخبر مسلم لا صلاة أي كاملة بحضرة طعام ولا هو يدافعه الأخبثان بالمثلثة أي البول والغائط والشرب كالأكل وتوقان النفس وتوقان النفس في غيبة الطعام بمنزلة حضوره قاله في الكفاية وهو ظاهر إن كان يرجى حضوره عن قرب بحيث لا يفخس معه التأخير وإن كان تهوؤ الأكل إنما يأتى بعد مدة قليلة كما يؤخذ من كلام ابن دقيق العيد بل قيل إن غيبة الطعام ليست كحضوره مطلقا لأن حضوره يوجب زيادة تشوق وتطلع إليه وتغير المصنف بالتوق يفهم أنه إنما يأكل ما ينكسر به التوقان لكن الذي جرى عليه في شرح مسلم في الأعدار المرخصة في ترك الجماعة أنه يأكل حاجته بكاملها وهو الأصوب ومحل ذلك حيث كان الوقت متسعا بأن يسعها كلها أداء بعد فراغ الأكل .

﴿و﴾ تكره ﴿بطريق﴾ للنهي عن الصلاة في قارعة الطريق وهي أعلاه وقيل صدره وقيل ما برز منه والكل متقارب والمراد هنا نفس الطريق كما قاله ابن الأثير في النهاية فلماذا عبر به المصنف والظاهر أنه لا فرق بين البنيان والبرية وصححه في الكفاية ولكن المعتمد ما صححه في التحقيق من الكراهة ﴿وفي بنيان﴾ دون البرية وفي قول أن الصلاة في الشوارع باطلة بناء على تغليب الغالب الظاهر على الأصل ﴿و﴾ تكره أيضا ﴿ففي مقبرة﴾ ظاهرة وهي التي لم تنبش أو نبشت وفرش عليها طاهرا أو نبشت عليها حشيش غطاها كما هو ظاهر لظاهره لخبر مسلم لا تتخذوا القبور مساجد أي أنها كم عن ذلك وخبر لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها وعلته محاذاته للنجاسة ﴿سواء أصلى إلى﴾ استقبال ﴿القبر أم﴾ صلى ﴿عليه أم بجانبه﴾ كما نص عليه في الام ومن ثم لم تفرق الكراهة بين المنبوشة بمحائل وغيرها ولا بين المقبرة القديمة والجديدة بأن دفن بها أول ميت بل لو دفن ميت بمسجد كان كذلك وتنفي الكراهة عند اتقاء المحاذاة وإن كان فيها بعد الموتى عنه عرفا .

ويستثنى كما قاله ابن السبكي في التوشيح مقابر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أي إذا كانت ليس فيها مدفون سوى نبي أو أنبياء فلا تكره الصلاة فيها لأن الله حرم على الأرض أكل أجسادهم ولأنهم أحياء في قبورهم يصلون ويلحق بذلك كما قاله بعض المتأخرين مقابر شهداء المعركة لأنهم أحياء واعتبر الزركشي كلام التوشيح بأن تجوز الصلاة في مقبرة الأنبياء ذريعة إلى اتخاذها مسجدا وقد ورد النهي عن اتخاذ مقابرهم مسجدا وسد الذرائع مطلوب لاسيما تحريم استقبال رأس قبورهم غير معول عليه لأنه يعتبر للتحريم هنا قصد استقبالها تبركا أو نحوه ولا يلزم من الصلاة إليها استقبال رأسه ولا اتخاذ مسجدا على أن استقبال قبر غيرهم مكروه أيضا كما

﴿ومبطلاتها﴾ نطق بحرفين ولاء ولو في تنحج أو حرف منهم من كلام بشر

إفاده خبر ولا تصلوا إليها فحينئذ الكراهة لشين استقبال القبر ومخاذاة النجاسة والثاني منق عن الأنبياء والأول يقتضى الحرمة بالقيد الذى ذكرناه وهو استقبالها للتبرك أو نحوها لأفضائه إلى الشرك . واحترزنا بقولنا طاهرة عن النجسة فلا تصح الصلاة فيها إلا بجائز قال النوى ونكرو الصلاة فى الحمام والمزلة والكبسة وعطن الأبل وماوى الشياطين كالخمار وموضع المكس ونحو ذلك من المعاصى الفاحشة وفى الوادى الذى نام فيه ﷺ لأنى غيره من الأودية وإن أطلق الرافعي تبعا للإمام والغزالي الكراهة فى بطون الأودية مطلقا وعللوه باحتمال السيل المذهب للخشوع .

قال الشهاب الرملي وحل الكراهة فى جميع ما مر ما لم يعارضها خشية خروج وقت وإنما لم يقتض النهى هنا الفساد عندنا بخلاف كراهة الزمان لأن تعلق الصلاة بالآوقات أشد لأن الشارع جعل لها أوقانا مخصوصة لاتصح فى غيرها فكان الحلل فيها أشد بخلاف ألا مكنة تصح فى كلها ولو كان الحل منصوبا لأن النهى فيه كالحرر لأمر خارج منكف عن العبادة فلم يقتض فسادها ثم شرع المصنف فى ذكر مبطلات الصلاة فقال .

﴿ومبطلاتها﴾ أى الصلاة ﴿نطق بحرفين ولاء﴾ قياسا على الفعل ولو بغير لغة العرب افهما كتم أولا كن ومن وإن كان لمصلحة الصلاة إذ أقل ما ينبنى منه الكلام حرفان وتخصيصه بالفهم اصطلاح للنحاة قال الشرقاوى ولا بد أن يكونا من غير قرآن وذكر ودعاء كما سيأتى وإن يتلفظ بذلك ويسمع نفسه أن كان صحيح السمع ولا عارض والا فلا بطلان وكذا يقال فى الحرف المفهم ولو قصد أن يأتى بكلام مبطل ثم نطق بحرف ولو غير مفهم بطلت صلاته والأصل فى ذلك خبر مسلم كنا تكلم فى الصلاة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وروى مسلم أيضا عن معاوية بن الحكم قال بينا أنا أصلى مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلت له يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم فقلت وأكل أماء ما شأنكم تنظرون إلى فجعلوا يضربون بأيديهم بأفخاذهم فلما رأيتهم يصمتون سكوت فلما قال ﷺ يا معاوية إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن فبأبى و أمى ما رأيت قبله ولا بعده أحسن تعليما منه فوالله ما نهرنى ولا ضربنى ولا شتمنى إنما قال إن هذه الصلاة إلى آخره ولم يأمر بالقضاء لأنه جاهل معذور بقرب عهده بالإسلام ﴿ولو﴾ ظهر الحرفان ﴿فى تنحج﴾ صادر منه لغير تعذر قراءة واجبة كفاحة ومثلها كل واجب قول كشهد أخير وصلاة فيه فلا تبطل الصلاة بظهور حرفين فى تنحج لتعذر ما ذكر من القراءة الواجبة وما كان مثلها كما يأتى .

والمراد بالتعذر أن لا تمكنه القراءة مع عدم التنحج ﴿أو حرف منهم﴾ كق فعل أمر من الوقاية وع فعل أمر من الوعى بمعنى الحفظ يقال المسألة أى احفظها ، وف ، من الوفاء يقال ، ف ، أى بالنذر مثلا وش من الوشى وهو السعي بين الناس بالفساد وكذا مدة بعد حرف فى الأصح وإن لم يفهم إذا المد ألف أو واو أو ياء فالمعدود فى الحقيقة حرفان ومقابله لا تبطل لأن المدة قد تنق لاشباع الحركة ولا تعد حرفا وفى الأنوار أنها لا تبطل بالبصق أى حيث لم يظهر به حرفان أو حرف منهم كما هو ظاهر إلا أن يتكرر ثلاث مرات متواليات أى مع حركة عضر يبطل تحريكه ثلاثا كلحى لاشفة كما لا يخفى ﴿من كلام بشر﴾ والمراد به ما يصلح لخطابهم ولو حديثا قدسيا ولو من التوراة أو الإنجيل أو منسوخ التلاوة أو خطب به غير البشر كذلك أو أرض كقوله يا أرض ربى وربك الله ولو لمصلحة الصلاة أو كره لندرة الأكرام فيها وخرج بكلام البشر كلام الله تعالى والدعاء والذكر ومنه ما لو قال المأموم بعد قراءة لعماسه صدق الله العظيم فلا تبطل به صلاته لأنه ذكر ليس فيه خطاب آدمى ولا بد من تقييد الذكر بنوع المحرم ليخرج ما لو أتى بالفاظ لا يعرف معناها ولم يضعها العارفون ومن تقييد الدعاء

لا يسير كلام سبق لسانه إليه أو نسي أو جهل تحريمه فيها أو قرب عهده بالإسلام أو نشأ بعيداً عن العلماء

بذلك أيضاً ليخرج ما لو دعا على الإنسان أو طلب قدراً من المال لا يمكن تحصيله لمثله عادة وبأن لا يخاطب به غير نبينا ﷺ من البشر فلو قال رحمك الله ولوليت يصلي عليه صلاة الجنائز ضرر.

﴿ لا ﴾ يبطل الصلاة ﴿ يسير كلام ﴾ أي كلام يسير أي قليل عرفاً بأن يكون ست كلمات فأقل كما وقع في قصة ذي الدين في خبر الصحيحين عن أبي هريرة صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر أو العصر فسلم ركعتين ثم أتى خشبة بالمسجد واتلاء عليها لأنه غضبان فقال له ذو الدين أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله فقال من لأصحابه أحق ما يقول ذو اليدش قالوا نعم فصلى الركعتين آخرين ثم سجد سجدتين وجه الدلالة أنه تكلم معتقداً أنه ليس في صلاة وهم تكلم بجوزين النسخ ثم بنى هو وهم فيها أو أن ذا الدين كان جاهلاً بتحريم الكلام أو أن كلام أبي بكر وعمر كان على حكم الغلبة لوجوب الإجابة عليهما قال ابن قاسم وقد اشتملت قصة ذي الدين على آتيانه بست كلمة فيضبط بها الكلام اليسير انتهى قال الشيرازي لمسلم ولعله عد أقصرت الصلاة كلمتين وأم نسيت كذلك ويا رسول الله كذلك ﴿ سبق لسانه إليه ﴾ أي إلى اليسير وذلك لعذره بل هو أولى من الناس لعدم قصده كما في النهاية ﴿ أو نسي ﴾ أنه في الصلاة مع الكلام اليسير لعذره أيضاً بخلاف ما لو نسي تحريم ما أتى به فأنها تبطل كسيان نجاسة في ثوبه قال الشهاب الرملي ولو ظن بطلان صلاته بكلامه سائياً ثم تكلم يسيراً عمداً لم تبطل انتهى وهو كما قوله الشيرازي لمسلم ظاهر حيث لم يحصل من مجموعهما كلام كثير متوال والابطال لأنه لا يتأيد عن الكثير سهواً وهو مبطل ثم عدم البطلان هنا قد يشكك عليه ما قالوا في الصوم من البطلان فيما لو أكل ناسياً فظن البطلان فأكل عامداً وقد يجاب بأن من ظن بطلان صومه قد يجب عليه الإمساك فأكله بعد وجوب الإمساك عليه تجريمه يدل على تهاونه فأبطل ولا كذلك الصلاة وفرق أيضاً بأن جنس الكلام العمدة كالحرف الذي لا يفهم مغتفر في الصلاة بخلاف الأكل عمداً فإنه غير مغتفر ﴿ أو جهل تحريمه ﴾ أي تحريم الكلام اليسير الذي أتى به ﴿ فيها ﴾ أي في الصلاة وإن كان عالماً بتحريم جنس الكلام أي بعض أفراد الذي يوجد فيها ما عدا ذلك الفرد الذي أتى به ،

قال الشيرازي ونقله السرقاوي ويؤخذ من ذلك صحة نحو المبلغ والفتاح على الإمام بقصد التبليغ أو الفتح فقط الجاهل باستناع ذلك وإن علم امتناع جنس الكلام بل ينبغي صحة صلاته حينئذ وإن لم يقرب عهده بالإسلام ولا نشأ بعيداً عن العلماء لمزيد خفاء ذلك انتهى قال الشيرازي وقوله بقصد التبليغ أي وإن لم يحتاج إليه بأن سمع المأمورون صوت الإمام ولا يقال أنه مستغن عنه حينئذ فيضرو وقوله نحو المبلغ أي كالكلام الذي يرفع صوته بالكثير لأعلام المأمورين ويخرج بجهل تحريمه ما لو علمه وجهل كونه مبطلاً فبطل صلاته به كما لو علم تحريم شرب الخمر دون إيجابه الحد فإنه يحسد إذا كان حقه بعد العلم بالتحريم الكف ،

﴿ أو ﴾ محل كون جهل التحريم عذراً لا يبطل الصلاة إذا ﴿ قرب عهده بالإسلام ﴾ وإن كان بين المسلمين ﴿ أو نشأ بعيداً عن العلماء ﴾ أي عن يعرف بطلان الصلاة بذلك . بأن يخلو محلله الذي هو فيه عن ذكر قال ابن حجر ويظهر ضبط البعد بما لا يجدر مؤنة يجب بذلها في الحج توصله إليه أي إلى من يعرف ذلك ويحتمل أن ما هنا اضيق لأنه واجب فوراً صالة بخلاف الحج وعليه فلا يمنع الوجوب عليه إلا الأمر الضروري لا غير فيلزمه مشي إطاقه وإن بعد ولا يكون نحو دين مؤجل عذراً له ويكلف بيع نحو قبه الذي لا يضطر إليه وقال ابن قاسم ونقله الرملي ويحتمل أنه يضبط بما لا حرج فيه أي شقة لا تحتمل عادة انتهى وينبغي أن الكلام فيمن علم بوجوب شيء عليه وأنه يمكن تحصيله بالسفر أما من نشأ بادية ورأى أهله على حالة ظن منها أنه لا يجب عليه شيء إلا ما تعلمه منهم وكان في الواقع ما تعلمه

ولا يتنجح تعذر ركن قولي وإن كثر ولا ضحك وبكاء وسعال وعطاس إن غلبت وقلت وفعل فاحش كثرية أو كثير يقينا
غير كاف فمعدور وإن ترك السفر مع القدرة عليه قاله الشبرا ملسي

﴿ ولا ﴾ تبطل الصلاة ﴿ يتنجح تعذر ركن قول ﴾ كالفاتحة والشهد فيتنجح لاسماع نفسه بذلك لا للجهر فلا يتنجح له وإن
نذره وهذا إن لم تكن الجماعة شرطا كالجمعة كأن كان الإمام من الأربعين وتوقف سماعهم على جهره بتكثير الانتقالات فيكون حينئذ
مباحا بالركن فيتنجح حينئذ ﴿ وإن كثر ﴾ أي التنجح بأن ظهر منه حرفان فأكثر ولو جهل بطلانها بقليل التنجح مع علمه بتحريم الكلام
فمعدور لحناه حكمه على العوام ﴿ ولا ﴾ تبطل ﴿ ضحك وبكاء ﴾ وأين وتارة وتفتح بالقيم أو الألف ﴿ وسعال وعطاس ﴾ وتأويب إن
ظهر من ذلك حرفان أو حرف مبهم ولو من كل نغمة ونحوها ﴿ إن غلبت وقلت ﴾ أي المذكورة من الضحك وما بعده فإن لم يظهر منه ذلك
فلا بطلان باتفاق وإن ظهر منه أكثر من حرفين القلة المذكورة بطلت صلاته إلا إذا صار ذلك مرضيا مزنا بحيث لم يحل زمن من الوقت
يسع الصلاة بلا نحو سعال فلا تبطل كبسلس الحدث ولا إعادة قال القليوبي المراد بالغلبة عدم قدرته على دفعه انتهى وخرج
إياها لوقصد التنجح ونحوه كأن تعدد السعال لما يجده في صدره فحصل منه حرفان مثلا من مرة أو ثلاث حركات متوالية فتبطل الصلاة به
وهذا خصوصا في شربة التباك كثير كذا في بشري الكريم قرره بعضهم

﴿ و ﴾ من مبطلات الصلاة ﴿ فعل فاحش كثرية ﴾ لمنا فاتها للصلاة واقفى الشهاب الرملي رحمه الله بأن حركة جميع البدان
كالوثبة الفاحشة فتبطل بها وليس من حركة جميع البدن ما لموشى خطوتين قال في فتاويه ما حاصله وليس من الوثبة ما لو حمله آسان فلا
تبطل صلاته بذلك انتهى وظاهره كما قاله الشبرا ملسي وإن طال حمله وهو ظاهر حيث استمرت الشروط موجودة من استقبال القبلة
وغير ذلك وليس مثل ذلك ما لو تعلق بجعل تبطل صلاته بذلك أما أولا فلأن مسألة التعليق إنما ذكرها فيمن فعل ذلك عوضا عن القيام
على قدميه وأما ثانيا فلأن تعلقه يتسبب إليه فهو من فعله

﴿ فرع ﴾ لو فعل مبطلا كثرية قبل تمام تكبيرة الاحرام ينبغي البطلان بناء على الأصح أنه بتمام التكبيرة تبين دخول الصلاة من أول
التكبيرة وفاقا لرملي خلافا لما رأيت في فتوى عن الخطيب رحمه الله ويلزمه أن يجوز كشف عورته في أثناء التكبيرة وأن يجوز
مصاحبة النجاسة في أثنائها والأفيا الفرق فيما مل قاله ابن قاسم والظاهر الضرر وإن فعل ذلك فزعا من حية مثلا وينبغي خلافه وأنه
لا تبطل بها صلاته لأنه معدور فيها ﴿ أو ﴾ فعل ﴿ كبير يقينا ﴾ ولو نية فلو شك في كثرته فلا بطلان لأن الأصل الاستمرار على الصحة
وتعرف القلة والكثرة بالغرف فما بعده الناس قليلا كترع خف ولبس ثوب لم يضر وكذلك الضربتان والخطوتان وإن اتسعا حيث لا وثبة
أما الثلاث من ذلك وغيره فكثيرة إن تواترت وإن كانت بقدر خطرة واحدة متفرقا أما لو تفرقت بحيث تعد الثانية منقطعة عن الأولى أو
الثالثة منقطعة عن الثانية فلا يضر ولو نوى ثلاثة أفعال ولاء وفعل واحدا منها أو شرع فيه ضرر كما مررت الإشارة إليه ولو جهل شخص
مضليا ومشى به ثلاث خطوات متوالات لم تبطل صلاة الحمول لأن الخطوات لا تنسب له لكن إن فعل شيئا من أركانها حال حملها لم يحسب
له حيث لم يمكنه إقامه حينئذ والمعتمد أن الخطوة نقل القدم إلى أي جهة كانت فإن نقلت الأخرى عدت ثانية سواء سوى بها الأولى أم
قدمها عليها أم أخرها عنها إذ المعتبر تعدد الفعل وذهاب الرجل وعوده ما يند مرتين مطلقا سواء حصل اتصال أم لا بخلاف ذهاب اليد
وعودها على الاتصال فإنه مرة واحدة وكذا أرفعها ثم وضعها ولو في غير موضعها وأما رفع الرجل فإنه بعد مرة ووضعها مرة ثانية إن
وضعها في غير موضعها على المعتمد كما قاله الشبرا ملسي خلافا لما في الحلبي والفرق بين اليد والرجل أن الرجل عادتها السكون بخلاف

من غير جنسها كثلاث خطوات وتحريك كف ثلاثا يحك لغير شدة جرب ولاء بحيث يعد كل متصلا على ما قبله ولو سهوا لا خفيف وإن
كثرت متواليات تحريك أصابعه وأجفانه ومفطر وتعمد تكرير ركن فعلي

اليد ويكون الفعل المذكور ﴿من غير جنسها﴾ كالمشى والضرب،

وأما قيد المصنف في ذلك مع أن الذي من الجنس يبطل أيضا لأن ما كان من جنسها لا يتقيد بالكثرة كزيادة الركوع ولئلا يتقرر مع
ما يأتي من تقرير الركن الفعلي لأنه من جنس ما يجوز فعله فيها ولأن ما كان من جنسها فيه تفصيل إن كان لغير المتابعة كزيادة الركوع أو
السجود عامدا عالما بالتحريم ضر وإن كان لها كان اقتدى بمن اعتدل من الركوع لم يضر لأنه تلزمه متابعته في الزوائد وكذا الركوع أو سجدة
قبل إمامه فإن له العود وإن صدق عليه أنه زاد ركوعا أو سجودا لأنه يغفر للمتابعة وكذلك في غير صلاة شدة الخوف وغير نقل السفلى
أما فيها فيغفر فيهما الفعل الكثير للحاجة ﴿كثلاث﴾ مضافات و ﴿خطوات﴾ قال بعضهم لا يشترط في الثلاث أن تكون من جنس
واحد بل إذا كانت من جنسين كخطوتين وضربة أو من ثلاثة كخطوة وضربة وخلع نعل أبطلت الصلاة أيضا ﴿وتحريك كف ثلاثا يحك﴾
لغير شدة جرب ولاء بحيث يعد كل ﴿من الأفعال﴾ متصلا على ما قبله ﴿أما إذا كان الجرب شديدا بأن لا يتقدر معه على عدم الحك فلا
تبطل بتحريك كفه للحك له ثلاثا ولاء لضرورة ومثله الفعل ويؤخذ من ذلك أنه لو ابتلى بحركة اضطرابية ينشأ عنها عمل كثير اغتفر له
والأولى في حق المصلي التحرز عن الأفعال الخفيفة المتوالية ويستحب الفعل القليل لقل نحو عقرب أو استياك ويكره لغير ذلك ﴿ولو﴾
كان الفعل الكثير ﴿سهوا﴾ مع أنه لا مشقة في الاحتراز عنه بخلاف القليل لا يفسد لخبر الصحيحين أنه ﷺ صلى وهو حامل أمانة فكان
إذا سجد وضعها وإذا قام حملها نعم إن لم يقصد بالقليل اللعب فإن قصده به ذلك كأن أقام أصبعه الوسطى في صلاته لشخص لأعيا معه
بطلت صلاته ومنه ما نفع لأهل الرعونة من مد رجله ليضعها على ذيل صاحبه بقصد اللعب ليعجزه عن القيام من السجود فتبطل صلاته
بمجرد مد رجله قاله الشرقاوي ومن هنا يؤخذ جواز حادثة وهي أن شخصا وضع شيئا عند مصلي ليحفظه فأخذ المصلي وأخذ
قاصدا إيقاع صاحبه في الحيرة عند مجيئه فقياس ما هنا البطلان بمجرد مديده مثلا للأخذ ﴿لا﴾ فعل ﴿خفيف وإن كثرت متواليات تحريك
أصابعه﴾ بلا حركة كفه في نحو سبحة أو حك أو نحو ذلك تحريك لسانه ﴿وأجفانه﴾ وشفية وذكر مرارا ولاء فلا تبطل بذلك في
الأصح إذا لم يحل ذلك بهيمة الخشوع والتعظيم والثاني تبطل بذلك لأنها أفعال كثيرة متوالية فأشبهت الخطوات فإن حرك كفه في ذلك ثلاثا
متواليات بطلت خلافا للزركشي.

﴿و﴾ من المبطلات ﴿مفطر﴾ للصائم لتلاعبه وذلك إن وصل لجوفه كأن أدخل عودا أو نحوه وإن قل في فيه أو أذنه أو دبره
ولو بلا حركة فيه لأن الحركة وحدها فعل يبطل كثيره وخرج بالمفطر غيره فلا يبطل الصلاة إلا الأكل الكثير فيبطلها مع النسيان وإن لم يبطل
الصوم حينئذ ففي المفهوم تفصيل فلا يرد أن ظاهر عبارته أن الأكل كثيرا ناسيا لا يفسد الصلاة كما في الصوم مع أنه يفسدها.
والحاصل أن كل ما أبطل الصوم أبطل الصلاة إلا الأكل الكثير سهوا فيبطلها دونه والفرق أن لها هيئة مذكورة فكان التفسير فيها
أشد بخلافه وأما ذات أفعال منظومة والفعل الكثير يقطع نظمها بخلافه فانه كف ﴿و﴾ منها ﴿تعمد تكرير ركن فعلي﴾ وإن لم يطمئن قاله
شيخ الإسلام زكريا نعم القعود القصير كأن جلس عن قيام سجد لا يفسد لأنه معهود في الصلاة انتهى والقعود القصير بأن كان بقدر المطلوب
في جلسة الاستراحة وهو قذر الطمأنينة وأما ما زاد عليها فغير مطلوب فيها وإن جاز فإن طول القعود هنا عمدا بأن زاد فيه على
قدر الطمأنينة بطلت صلاته كما قاله الشرقاوي.

وأطالة فعلى قصر عمدا وإخلال شرط من شروطها وترك ركن من أركانها ﴿وحكى﴾ عن الشيخ معين الدين أنه قال كان الشيخ أحمد الغزنوي ساكنا في غار قريب من الشام فزرته فإذا ما عليه إلا الجلد والعظم وهو جالس على سجادة وبين يديه أسدان فقال لي من أين تصل قلت من بغداد قال مرحبا وأكثر خدمة الفقراء حتى يعظم أمرك واني سكنت في هذا الغار منذ أربعين سنة واعتزلت الخلق ولكن ما استرحت من البكاء منذ ثلاثين سنة لأجل خوف شيء قلت ما هو قال الصلاة إذا صليت نظرت في وبكيت وقلت لو اخلت ذرة من الشروط ضاعت جميع أعمالي وضرب بطاعتي على وجهي فان كنت يا فقير تقدر أن تخرج من عهدة الصلاة فعلت أمرا والا ذهب العمر بالفنلة وضاع وأخرج الطبراني وابنا خزيمة وحبان في صحيحهما أن رسول الله ﷺ رأى رجلا لا يتم ركوعه وينقر في سجوده وهو يصلي فقال صلى الله عليه وسلم لو مات هذا على حاله مات على غير ملة محمد ﷺ ثم قال ﷺ مثل الذي لا يتم ركوعه وينقر في سجوده مثل الجائع يأكل التمرة والتمرتين لا يفيان عنه * وأحمد لا ينظر الله إلى عبد لا يقيم صلبه من سجوده وركوعه والطبراني

﴿و﴾ منها ﴿أطالة﴾ ركن ﴿فعلى قصر عمدا﴾ بأن يزيد في الاعتدال على الدعاء الوارد فيه بقدر الفاتحة وفي الجلوس بين السجدين على الدعاء الوارد فيه بقدر الشهادتين نقص عن ذلك وبكلمة لم يضرب ولا يعتبر مع الشهادتين على النبي ﷺ نعم لا يضرب تطويل الاعتدال في الركعة الأخيرة من سائر الصلوات لأنه معهود في الصلاة في الجملة كباقي صلاة النازلة ولا تطويل الجلوس بين السجدين في صلاة التيسير ﴿و﴾ منها ﴿إخلال شرط من شروطها﴾ أي الصلاة

﴿و﴾ منها تقديم الركن القولي عمدا على غيره لأن ذلك يحل بصورة الصلاة ومنها ﴿ترك ركن﴾ ولو قوليا عمدا ﴿من أركانها﴾ لما لم يختلف تركه سهوا لعدوه فيبذره إن لم يفعل مثله من ركعة أخرى والإقام مقامه ولما ما بينهما وأتى بركعة ﴿وحكى﴾ عن الشيخ معين الدين الصفري ﴿أنه قال كان الشيخ أحمد الغزنوي ساكنا في غار﴾ وهو ما ينحت في الجبل شبه المغارة فإذا اتسع قيل كهف والجمع غيران مثل نار ويزان قاله الفيومي ﴿قريب من﴾ بلاد ﴿الشام فزرته فإذا ما﴾ أي ليس ﴿عليه﴾ أي على الشيخ الغزنوي ﴿إلا الجلد والعظم﴾ من الهزال لكثرة الاجتهاد والمجاهدة ﴿وهو جالس على سجادة وبين يديه أسدان فقال﴾ الشيخ الغزنوي ﴿لي من أين تصل قلت من بغداد قال مرحبا وأكثر من خدمة الفقراء﴾ من الصالحين ﴿حتى يعظم أمرك﴾ بركعتهم ﴿واني سكنت في هذا الغار منذ أربعين سنة واعتزلت الخلق﴾ وانفردت بنفسي ﴿ولكن استرحت من البكاء منذ ثلاثين سنة لأجل خوف شيء قلت ما هو﴾ أي شيء تخاف منه ﴿قال الصلاة﴾ أي ﴿إذا صليت نظرت في﴾ أي تفكرت في نفسك ﴿وبكيت وقلت لو اخلت ذرة من الشروط ضاعت جميع أعمالي وضرب﴾ بالبناء للمفعول ﴿بطاعتي على وجهي﴾ كناية عن خيبة وخسرانه ﴿فان كنت يا فقير﴾ إلى ربك الفنى المقدر ﴿تقدر أن تخرج من عهدة الصلاة﴾ بأن أتيت بأركانها وشروطها على أكمل وجه ﴿فعلت أمرا﴾ عظيما ﴿والا﴾ أي وإن لم تفعل ذلك ﴿ذهب العمر بالفنلة وضاع﴾ لعدم الحضور وغيره. ﴿وأخرج الطبراني وابنا خزيمة وحبان في صحيحهما أن رسول الله ﷺ رأى رجلا لا يتم ركوعه وينقر﴾ أي يضرب في الأرض بجبهته ﴿في سجوده وهو يصلي فقال﴾ رسول الله ﷺ ﴿لو مات هذا الرجل على حاله مات على غير ملة محمد ﷺ ثم قال ﷺ مثل الذي لا يتم ركوعه وينقر في سجوده مثل الجائع يأكل التمرة أو التمرتين لا يفيان﴾ أي لا يفيان عنه ﴿أي الجائع﴾.

﴿و﴾ أخرج الإمام أحمد ﴿من حديث أبي هريرة بأسناد صحيح كما قاله العراقي﴾ لا ينظر الله ﴿يوم القيامة﴾ إلى عبد لا يقيم صلبه من ﴿وفي رواية بين﴾ سجوده وركوعه ﴿وأخرج﴾ الطبراني ﴿في الأوسط من حديث ثمانين بسند ضعيف من صلى

من صلاتها لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم لها خشوعها ولا ركوعها ولا سجودها خرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق ثم ضرب بها وجهه * ومسلم يا فلان ألا تحسن صلاتك ألا ينظر المصلي إذا صلى كيف يصلي فإنما يصلي لنفسه * والديلمي وحسنه الحافظ ابن حجر أذكر الموت في صلاتك فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته لحري أن يحسن صلاته وصل صلاة رجل لا يظن أنه يصلي صلاة غيرها * وأبو داود عن عبد الله بن الشخير قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وفي صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء

الصلوات لوقتها وأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها خرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني و * من صلاتها * أي الصلوات * لغير وقتها ولم يسبغ * لها * وضوءها ولم يتم لها خشوعها ولا ركوعها ولا سجودها خرجت وهي سوداء مظلمة تقول * بلسان حالها ويحتمل أنها تحسم ويكون لها صوت * ضيعك الله * أي منع الرحمة والثواب عنك كما قاله الحنفى * كما ضيعتني حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت * أي ضيت هو ظاهر على التجسيم والافتقار كناية عن الحية والخسيران * كما يلف الثوب الخلق * أي القديم المستعمل * ثم ضرب * بالبناء للمفعول * بها وجهه * والظلمة والبيهق في الشعب من حديث عبادة بن الصامت بسند ضعيف نحوه ولفظ البيهق في الشعب من توفاء فسبغ الوضوء ثم قام إلى الصلاة فآتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت حفظك الله كما حفظتني ثم أصدعها إلى السماء ولها ضوء ونور فتحت لها أبواب السماء حتى ينتهي بها إلى الله فتشفع لصاحبها وإذا لم يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها قالت ضيعك الله كما ضيعتني ثم أصدعها إلى السماء وعليها ظلمة فغلقت دونه أبواب السماء ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها

* * * روى * مسلم * عن أبي هريرة قال صلى بنا رسول الله ﷺ يوما ثم انصرف فقال * يا فلان ألا تحسن صلاتك ألا ينظر المصلي إذا صلى كيف يصلي فإنما يصلي لنفسه * أنى والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي وفي رواية هل ترون قبلي ههنا فوالله ما يخفى علي ركوعكم ولا سجودكم أنى لأراكم من وراء ظهري وفي رواية أتموا الركوع والسجود فوالله أنى لأراكم من بعدى إذا ركعتم وسجدتم قال العلماء معناه أن الله تعالى خلق له ﷺ إدراكا في فقاء ينصربه من ورائه وقد انخرق العادة له ﷺ بأكثر من هذا وليس يمنع من هذا عقل ولا شرع بل ورد الشرع بظاهر فوجب القول به قال القاضي قال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وجهور العلماء هذه الرؤية رؤية العين حقيقة وفيه الأمر باحسان الصلاة والخشوع وإتمام الركوع والسجود وجواز الحلف بالله تعالى من غير ضرورة لكن المستحب تركه الحاجة تأكيد أمر وتنخيسه والمبالغة في تحقيقه وتمكينه من النفوس وعلى هذا يحمل ما جاء في الأحاديث من الحلف وقوله ﷺ أنى لأراكم من بعدى أي من ورائي كما في الروايات الباقية قال القاضي عياض وحمله بعضهم على ما بعد الوفاة وهو بعيد عن سياق الحديث هكذا في شرح مسلم

* * * أخرج * الديلمي وحسنه الحافظ ابن حجر * المستلاني * أذكر الموت في صلاتك فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته لحري * أي لجدير * أن يحسن صلاته وصلى صلاة رجل * أي كصلاته بالخشوع وتدبر القراءة والذكر * لا يظن أنه يصلي صلاة غيرها * أي غير صلاته التي فعلها

* * * أخرج * أبو داود عن عبد الله بن الشخير قال رأيت رسول الله ﷺ يصلي وفي صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء * يعني يسبغ لصدره غليان كغليان القدر في القاموس يرحل على وزن منبر قد يطبخ فيه من حجارة أو نحاس قال صاحب العوارف

﴿فائدة﴾ قال السيد معين الدين الصفري في تفسيره جوامع التبيان والأصح أن الخشوع من فرائض الصلاة.

وروت عائشة أن رسول الله ﷺ كان يسمع من صدره أزيز كأزيز المرجل حتى كان يسمع في بعض سكك المدينة وكان سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام إذا قام إلى الصلاة كان يسمع خفقان قلبه من ميل وفي التهذيب عن أبي النضر اسحاق بن إبراهيم قال كنت أرى سعيد بن عبد العزيز التوحي مستقبل القبلة يصلي فكنت أسمع لدموعه وقعا على الحصى قال بعضهم وهو مروان بن محمد الأسدي قلت لسعيد يا أبا محمد ما هذا البكاء الذي يعرض لك في الصلاة فقال يا ابن أخي وما سؤالك عن ذلك قلت لعل الله عز وجل أن يتغمضني به قال فاقمت إلى الصلاة الأمثلت لي جهنم وروى أن رسول الله ﷺ رأى رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ويروى أن الحسن البصري رحمه الله نظر إلى رجل يعبث بالحصى في الصلاة ويقول اللهم زوجني الحور العين فقال له الحسن بنس الخاطب أنت تخطب الحور العين وأنت تعبث بالحصى.

﴿* فائدة *﴾ قال السيد معين الدين الصفري رحمه الله ﷺ في تفسيره جوامع التبيان والأصح أن الخشوع أي في الصلاة وهو إقبال القلب على ذلك مأخوذ من خشعت الأرض إذا سكنت وأطمانت ﴿من فرائض الصلاة﴾ قال الله تعالى وأقم الصلاة لذكري وظاهر الأمر الوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيما الصلاة لذكره قال تعالى ولا تكن من الغافلين نهى وظاهره التحريم وقال عز وجل ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون قيل سكارى من كثرة الاهتمام بأمور الدنيا وقيل سكارى من حب الدنيا وقال وهب بن منبه المراد به ظاهره فقيه على هذا تنبيه على شكر الدنيا الذين فيه العلة فقال حتى تعلموا ما تقولون ولا يتم هذا الاجتناع الظاهر مع خشوع الباطن وكما يصل لم يشرب خمرا ولا قارف مسكرا وهو لا يعلم ما يقول في صلاته لغفلة عن أدلة الخشوع في الصلاة.

وقال صاحب القوت وروى معنى الآية أي قوله تعالى وأقم الصلاة لذكري عن رسول الله ﷺ إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وشعرت المناسبك لإقامة ذكر الله تعالى ثم قال أيضا فإذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود الأعظم والمبتغى عظمة ولا هبة ولا إجلال مقام ولا حلالة أفهام فمما قيمة ذكرك فأنما صلاتك حينئذ كعمل من أعمال دنياك وقد جعل رسول الله ﷺ الصلاة قسما من أقسام الدنيا إذا كان المصلي على مقام من الهدى فقال حبيب إلى من دنياكم ذكر منها الصلاة فهي دنيا لمن كان همه الدنيا وهي آخرة لأبناء الآخرة وهي صلة ومواصلة لأهل الله عز وجل البر الوصول.

وقال رسول الله ﷺ من لم تنته صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يرد من الله الأجر رواه علي بن سعيد من حديث الحسن بإسناد صحيح وذلك لأن صلاته ليست هي المستحق بها الثواب بل هي وبال يتوهم عليها العقاب قال الحراني هذه الآفة غالبية على كثير من أبناء الدنيا وقال المناوي استدلل به الغزالي على اشتراط الخشوع للصلاة قال لأن صلاة الغافل لا تمتع عن الفحشاء انتهى والغزالي تابع لصاحب القوت في ذلك وقال صاحب القوت بعد أن أورد الحديث المتقدم ما نصه وكما قال عليه الصلاة والسلام من لم يترك قول الزور والعمل به فليس لله عز وجل حاجة في أن يترك طعامه وشرابه فالمراد من الصلاة والصيام ترك المخالفة والآثام فهما رياضة للمريد على المواصلة ولذلك أمرهما مولانا تعالى في قوله واستعينوا بالصبر والصلاة أي على محاربة النفس وعلى صلاح القلب وعلى طريق الآخرة وعلى ترك المعاصي والشهوات فجعلهما شيئين يستعان بهما على أمر الدين وقال صاحب القوت أيضا في باب المحافظة على الصلاة ما نصه وعلامة قبول الصلاة أن تنها في تضاعفها عن الفحشاء والمنكر والفحشاء الكبائر والمنكر ما أنكروه أهل العلم والمؤمنون فمن انتهى رفعت

وقال سفيان الثوري من لم يخشع فسدت صلاته.

صلاته الى سدرة المنتهى ومن تحرقته الأهواء فقد ردت صلاته ردا فهو انتهى.

فان قلت ان حكمت بطلان الصلاة وخففت حضور القلب شرطا في صحتها اذ لا مخالفة لاعتقاد المشروط بانعدام الشرط خالفت اجماع العلماء والفقهاء من المذاهب المتبوعة فانهم لم يشترطوا في صحتها الاحضور القلب عند التكبير الاول فاذا حدث شيء بعد ذلك من الغفلة الطارئة في أفعالها فالعبد معذور والصلاة صحيحة والفرص عنه ساقط قلت أولا دعوى الأجماع ممنوعة لمخالفة سفيان الثوري وغيره في ذلك كما سيأتي وثانيا كلام الفقهاء على ظاهر الشرع وكلام سفيان على باطنه فافترقا وثالثا كلام الفقهاء محمول على حصول أصل الصحة وكلام سفيان وغيره محمول على نفي الكمال ورابعا سلمنا ان الفقهاء صححوا بما أدى اليه علمهم بمقتضيات أقوال أنتمهم فهلا يأخذ المصلي بالاحتياط ليدوق لذة المناجاة فالتقوى غير التقوى.

وقد أشار الى ذلك كله حجة الاسلام الغزالي فقال فاعلم أنه قد تقدم في كتاب العلم ان الفقهاء لا يتصرفون في الباطن ولا يتقون على القلوب ولا في طريق الآخرة بل يتنون ظاهرا أحكام الدين على ظاهرها أعمال الجوارح وظاهرها الأعمال كاف لسقوط القتل وتعزير السلطان فأما انه هل ينفع في الآخرة أم لا فليس هذا من جدو الفقه ولا من حظ الفقيه وإنما لسان حاله يقول أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر على أنه لا يمكن أن يدعى الأجماع من السادة الفقهاء في هذه المسئلة فقد وجد لهم مخالف ومنازع لم يسلم لهم ذلك ﴿و﴾ أنه نقل عن بشر بن الحرث الشهير بالخافى أحد الأقطاب الجامعين بين الشريعة والحقيقة فينا رواه عنه الامام أبو طالب المكي في كتابه قوت القلوب أنه قال ﴿قال سفيان﴾ بن سعيد ﴿الثوري﴾ أحد الفقهاء المتبوعين ﴿من لم يخشع فسدت صلاته﴾

وروى عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة أسرع اى منها الى الثواب وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعبدا اى قرضا من نفسه لمعرفة ذلك وهو في الصلاة فلا صلاة له وروى أيضا مسندا قال رسول الله ﷺ ان العبد يصلي الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها وهذا لو نقل عن غيره عليه الصلاة والسلام لجعل مذهبا فكيف لا يتسك به وقال عبد الواحد بن زيد البصري أجمعت العلماء على أنه ليس للعبد من صلاته ما عقل منها فجعله عبد الواحد اجماعا من العلماء والحق الرجوع في ذلك الى أدلة الشرع والأخبار والآثار ظاهرة الثبوت والدلالة في هذا الشرط الذي هو الخشوع وحضور القلب الا ان مقام التقوى في التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور همم الخلق فلا يمكن ان يشترط على الناس احضار القلب في جميع الصلاة فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الأقلون منهم واذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب في جميع حالات الصلاة للضرورة العامة فلا مرد له ولا منعه الا ان يشترط ما ينطلق عليه اسم الحضور أو اسم الخشوع ولو في اللحظة الواحدة وهو أقل الدرجات وأولى اللحظات به لحظة التكبير الاول فالتصريح على التكليف بذلك وأفتينا به لعامة الناس لأجل تصحيح عباداتهم ونحن مع ذلك نرجو ان لا يكون حال الغافل في جميع صلاته ما يعد التكبير مثل حال التارك للحضور بالكلية فانه على الجملة على الفعل ظاهرا وأحضر القلب لحظة فبين حالهما تفاوت بين وكيف لا يكون ذلك والذي صلى مع الحدث ناسيا صلاته باطلة عند الله تعالى إذ لا يتقرب اليه الا بالطهارة ولكن له أجر ما بحسب فعله حيث انه أقدم على أداء ما أمر به وعلى قدر قصوره وعذره الذي هو النسيان وعدم الشعور بكونه محدثا ونفع هذا الرجاء الذي تقدم فنخشى أن يكون حاله اى هذا المستخضر قلبه لحظة واحدة أشد من حال التارك للحضور بالكلية وكيف لا يكون أشد والذي يحضر بساطة الخدمة ويتهاون بالحضرة الالهية للمخاطبة والمساورة بعدم الاعتناء بها ويتكلم بكلام

وقال سيدي القطب العارف بالله محمد المبكر رضي الله عنه وتقعنا به وإنما يورث ذلك إبطالة الركوع والسجود

الغافل عن المعاني الداهل عن أسرار الخطاب الداني المستخفر لجلال المخاطب وعظمته أشد حالاً وأنشأ مآلاً من الذي يعرض عن الخدمة ولا يحضرها وإذا تعارضت أسباب الخوف والرجاء صار الأمر محضاً في نفسه فاليك الخيرة بعد ذلك في الاحياط والتساهل أما أن تأخذ بالاحياط فهو الأقوى وأما أن تأخذ بما صححه الفقهاء فعليه القوى وهذا يحط الجواب وفصل الخطاب ومع هذا الذي ذكرناه من التفصيل فلا مطمع لأحد في مخالفة الفقهاء فيما أفتوا به من صحة الصلاة مع وجود الغفلة فإن ذلك ضرورة المفتى أي يضطر إليه ولا يحيد له عنه كما سبق التنبيه عليه وبالجملة من عرف سر الصلاة بأنها مناجات مع رب الأرباب ولا تتم المناجاة إلا بحضور القلب علم أن الغفلة تضادها مضادة كلية وقصورهم الخلق وأفهامهم عن إدراك المعاني الغريبة أحد الأسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من أسرار الشرع.

* تنبيه * قال الزبيدي أعلم أن العلماء رحمهم الله تعالى اختلفوا في الخشوع فأكثرهم يجعلونه من سنن الصلاة وعليه مشي الرافضي والنووي وغالب الأصحاب وجعله أبو طالب المكي وغيره من العارفين شرطاً في الصلاة ووافقهم الغزالي على ذلك كما تقدم وهذا القدر قد فهموه من الكتاب والسنة فرجحوا اشتراطه فيها ثم اختلفوا في الخشوع ماذا قال جماعة من السلف الخشوع من الصلاة السكون فيها وقال البغوي في شرح السنة الخشوع قريب من الخضوع الآن الخضوع في البدن والخشوع فيه وفي الصوت وقال غيره الخشوع الاتقياء للحق وقيل هو الخوف الدائم في القلب وقال أبو البقاء هو الذل والتضائل والتواضع لله بالقلب والجوارح فقد اختلفت عينا واتهم فيه ومن ذلك منشأ اختلافهم هل من أعمال القلب أو من أعمال الجوارح وقد جزم غير واحد من الأئمة أنه من أعمال القلب ففي شرح المذهب روى البيهقي بسنده قال الخشوع في القلب فإذا كان كذلك فمعنى خشوعه خضوعه بخشية فيكون مع حضور القلب مترادفاً وقال الجلال السيوطي في التبرج اختلفوا في الخشوع هل هو من أعمال القلب كالخوف أو من أعمال الجوارح كالسكوت أو هو عبارة عن المجموع وقال الرازي الثالث أولي وقال سيدي القطب العارف بالله محمد المبكر رضي الله عنه وتقعنا به أي وببركه وعلومه آمين ﴿ وإنما يورث ذلك ﴾ أي الخشوع ويعينه وحصله ﴿ إطالة الركوع والسجود ﴾ وما يقتضيه الخشوع أيضاً ويكون سبباً فيه استحضار المصلّي أنه بين يدي ملك الملوك الذي يعلم السر وأخفى يتأجبه ويخاطبه وأنه عز وجل ربما تجلّى علي من ترك الخشوع بصفة القهر فيعاقبه ويرد عليه صلاته وما يحصل الخشوع أيضاً الهمة .

قال الغزالي وغيره أعلم أن حضور القلب سببه الأعظم الهمة وهي القوة الراسخة في النفس الطالبة لمعاني الأمور ولها مرتبتان الأولى اعتناء القلب بالشئ المطلوب والثانية توجهه وقصده بجميع قواه الروحية إلى جناب الحق لحصول الكمال له أو لغيره والمواد ثمانية مطلق الاعتناء فإن قلبك تابع لملكك فلا يحضر معك إلا فيما يملك إليه أي فيما تصرف همتك إليه ومهما أهلك أمر خيراً كان أو شراً حضر القلب عنده شاء أم أبى فهو مجبول على ذلك وسخر فيه ومن هنا مدحوا علو الهمة وكبرها وجعلوه من أمارات الإيمان والعالي الهمة على الإطلاق من لا يرضى بالهمم الحيوانية قدر وسعه فلا يصير عبد غاربه بطنه وفرجه بل يجتهد أن يتخصص بمكارم الشريعة فيصير من خلفاء الله تعالى وأوليائه ومجاوريه في الآخرة والقلب إذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعللاً كما ذهب إليه الوهم بل جاثلاً ومتحركاً مضطرباً فيما الهمة مصروفة إليه من أمور الدنيا أما في دكانه أو عند زوجته أو بعض معاملاته أو بعض مشتهيات نفسه فيما تحمله خسة همة عليه فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب في الصلاة إلا بصرف الهمة إليها حتى يتبعها القلب والهمة من شأنها تحري معالي الأمور لكبتها لما

وقال شيخ مشايحنا زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى إن نظر موضع السجود أقرب إل الخشوع وروى

استعملت في أضدادها مالت إلى الملاذ والمشتبهات وهي إذا انتصرف إلى الصلاة وهي من معاني العبادات وشرائط القرب المنجيات ما لم يتبين أن الفرض المطلوب منوط بها ومعلق عليها وذلك هو الإيمان والتصديق الجزم بأن الآخرة خير وأبقى بنص القرآن ويوطن في نفسه أن الصلاة وسيلة إليها فإذا أضيف ذلك إلى حقيقة العلم بحجارة الدنيا وحجارة مهماتها فيعلم أن حياتها مستعارة وحياة دار الآخرة مخلدة وأنه لا اعتداد بماله فناء كما قال القائل .

ومن سره أن لا يرى مأسؤه * فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقد

ويعلم أن من عظمت همته لم يرض بقنية مستعارة فإن أمكنه أن يقتنى قنية مريدة وحياة مخلدة فليفعل فلا يعتمد على ظل زائل وجدار مائل وما وقف الله عبدانهم ما ذكره الأحص له من مجموعها حضور القلب في الصلاة وما يتعلق من الأمور المذكورة ليكن قبل دخوله في حضرة الصلاة للاستغفار خاضعاً بما يخالف حال الصلاة ويمثل هذه العلة يحضر قلبك إذا حضرت بين يدي بعض الأكابر من أهل الدنيا من لا يقدر على مضرتك ولا على منفعتك فإذا كان لا يحضر قلبك عند المناجاة والمخاطبة مع ملك الملوك ورب الأرباب الذي بيده الملك والمملوك وبقبضة قدرته النفع والضر وهو السميع البصير المطلع على هواجس الضمير فلا تظن أن له سبياً آخر سوى ضعف الإيمان وانطمان أنواره فاجتهد الآن في تحصيل الطريق الذي يدل على تقوية الإيمان وعود الأنوار إليه وانسبائها على الجوارح والظواهر كما قيل .

وإذا حلت الهداية قلباً * نشطت للعبادة الأعضاء

وقال شيخ مشايحنا الإمام المشهور زكريا الأنصاري وهو من جمع الله له بين الفقه والتصوف رحمه الله تعالى رحمة واسعة أن نظر موضع السجود أقرب إلى تحصيل الخشوع وروى عن مسلم بن يسار البصري وهو من الفقهاء العاملين والأولياء الصالحين أنه كان إذا دخل في الصلاة يقول لأهله تحدثوا بما تريدون وافشوا سركم فاني لأسمع وهذا من شدة خشوعه رحمه الله وأخرج صاحب الحلية من طريق معتمر قال بلغني أن مسلماً كان يقول لأهله إذا كانت لكم حاجة فتكلموا وأنا أصلي ومن طريق هرون بن معروف عن ضمرة عن ابن شاذب قال كان مسلم بن يسار يقول لأهله إذا دخل في الصلاة في بيته تحدثوا فليست أسمع حديثكم ومن طريق ابن المبارك عن جبير بن حبان قال ذكر لي مسلم بن يسار رقة التفاته في صلاته فقال وما يدريكم أين قلبي ومن طريق معتمر سمعت كهساي يحدث عن عبد الله بن مسلم بن يسار عن أبيه أنه كان يصلي ذات يوم فدخل رجل من أهل الشام ففرغوا واجتمع له أهل الدار فلما انصرف قالت له أم عبد الله دخل هذا الشامي ففرغ أهل الدار فلم تنصرف قال ما شعرت وبهذا الإسناد قال ما رأيته يصلي قط الاظننت أنه مريض ومن طريق عفان عن سليمان بن مغيرة عن غيلان بن جرير قال كان مسلم إذا رأى يصلي كأنه ثوب ملقى ومن طريق زيد بن الحباب عن عبد الحميد بن عبد الله بن مسلم بن يسار قال كان مسلم بن يسار إذا دخل المنزل سكبت أهل البيت فلا يسمع لهم كلام وإذا قام يصلي تكلموا وضحكوا ومن طريق معاذ بن معاذ عن ابن عون قال رأيت مسلم بن يسار يصلي كأنه وتد لا يميل على قدم مرة ولا قدم مرة ولا يحرك له ثوباً وقال معاذ مرة لا يتروح على رجل مرة أو قال يستند ومن طريق ابن المبارك عن سفيان عن رجل عن مسلم بن يسار أنه سجد سجدة فوقع ثيابه ومن طريق أبي إياس معاوية بن قرة قال كان مسلم بن يسار يطيل السجود أراد أن يرفع يديه فوقع يديه فسقطا فدفنهما وفي القوت كان مسلم بن يسار يصلي ذات يوم في جامع البصرة فوقع خلفه أسطوانة معقود بناؤها على أربع طاقات

عن أبي طالب رضي الله عنه في بعض الحروب الجهادية أصيب بسهم ثم جذب السهم من عضوه الشريف وبقي النصل فيه فقالوا إذا لم يخرج العضو لا يمكن استخراج النصل منه وخاف من إيذاء أمير المؤمنين وقطع عضوه فقال رضي الله عنه إذا اشتغلت بالصلاة فاستخرجوه فافتح الصلاة وهم قطعوا أم جرحوا العضو واستخرجوا النصل وهو رضي الله عنه لم يتغير في صلاته فلما فرغ قال لم تستخرجوه فقالوا قد استخرجناه فانظر إقباله على ربه حتى لم يحس بجرح العضو واستخراج النصل من جوف اللحم فنحن إذا عشنا قملة أو برغوث بل إذا وقع علينا ذباب تشوش ولا يبقى لنا حضور فإين نحن من تلك الحالات والمقامات

فصامع بها أهل السوق فدخلوا المسجد وهو قائم يصلي كأنه وتد فالتقل من صلاته فلما فرغ جاء الناس يهتفون فقال وعلى أي شيء تهتفون قالوا وقعت هذه الأسطوانة العظيمة وراءك فسلمت منها فقال همى وقعت قالوا وأنت تصلي قال فإني ما شعرت بها وأخرج صاحب الخلية من طريق عون بن موسى قال سقط حائط المسجد ومسلم بن يسار قائم يصلي فما علم به ومن طريق مبارك بن فضالة عن ميمون بن بيان قال ما رأيت مسلم بن يسار ملتفتا في صلاته قط خفيفة ولا طويلة ولقد انهدمت ناحية من المسجد ففرغ أهل السوق لهذته وإني لفي المسجد في الصلاة فما التفت .

وأبلغ مما ذكر ما روى عن أمير المؤمنين أبي الحسين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه في بعض الحروب الجهادية أنه أصيب بسهم ثم جذب كرم الله وجهه من عضوه الشريف وبقي النصل في أي حديدة السهم فيه أي في العضو فقالوا أي قومه يا أمير المؤمنين إذا لم يخرج العضو لا يمكن استخراج النصل منه أي من العضو ولكننا نخاف من إيذاء أمير المؤمنين وقطع عضوه فقال لهم إذا اشتغلت أنا بالصلاة فاستخرجوه أي النصل من العضو فافتح الصلاة وهم قطعوا أم جرحوا العضو الذي فيه النصل واستخرجوا النصل وهو لم يحس ولم يتغير في صلاته فلما فرغ من الصلاة قال لعدم إحساسه وشعوره باستخراجهم ذلك النصل من العضو لشدة خشوعه وإقباله لربه لم يأت شيء لم تستخرجوه أي النصل فقالوا قد استخرجناه وكان إذا حضروا الصلاة يزلزل ويرتعد بدنه ويتلون قليل له مالك يا أمير المؤمنين فيقول لهم جاء وقت أداء أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وهي الصلاة في أحد الوجوه المذكورة في الآية في تفسير الأمانة فانظر إلى إقباله كرم الله وجهه على ربه حتى لم يحس ولم يشعر بجرح العضو واستخراج النصل من جوف اللحم فنحن لتصور همتنا إذا عشنا قملة أو برغوث بل إذا وقع علينا ذباب تشوش ولا نخشع بسببه ولا يبقى لنا حضور فإين نحن من تلك الحالات الشريفة والمقامات الرفيعة وحالنا هذا بعيد مما تقدم وما روى عن خلف بن أيوب العامري البلخي أنه قيل له ألا يؤذيكَ الذباب في صلاتك فتطرد ما يذكرك قال لا أعرد نفسي شيئا فشد على صلاتي فأن الحركات المتوالية مضرة في الصلاة قيل له وكيف تصبر على ذلك قال بلغني أن النساق يصبرون تحت أسواط السلطان يقال فلان صبور ويفخرون بذلك فأنا قائم بين يدي ربي أنا فأنحرك لذبابه وهذا يشبه الخشوع والخوف ومراقبة جلال الله وعظمته وقد وقع مثل ذلك لأهل المدينة مالك بن أنس رحمه الله تعالى لسبعة زبهر كذا وكذا مرة وهو يقرأ عليه حديث رسول الله ﷺ فلم يتحرك ولم يتحمل تأذ بامع رسول الله عليه وسلم .

قال الزبيدي وما وقع لي أني خرجت مع بعض الصالحين لزيارة بعض الأولياء وفي الرجوع مررتا على موضع فيه الخصرة والماء الجاري والزهور والرياحين وهو على خليج من خلجان البحر ليس به ماء والموضع مشهور بكثرة البعوض المعروف بالناموس وهي هذه الوباء الساعية بحيث لا يمكن الإنسان أن يصبر إلا أن يلتفت بثوبه ويده مذبذبة وكان إذا كان به رجل من الصالحين قصدنا زيارته

﴿وحكى﴾ عن زين العابدين على بن حسين أنه كان إذا توضأ أصفر لونه وإذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة فقليل له مالك فقال ويحكم أندرون بين يدي من أقوم ولمن أريد أن أناجي وأنه وقع حريق في بيته وهو ساجد فجعلوا يقولون له يا ابن رسول الله النار فما رفع رأسه فقليل له في ذلك لما رفع رأسه فقال ألهني عنها النار الكبرى فانظر أيها الغافل في الصلاة بين يدي من تقوم ومن تناجي واستح أن تناجي مولاك بقلب غافل وصدر مشحون بوساوس الدنيا وخباثات الشهوات أما تعلم أنه مطلع على سريرتك وناظر إلى قلبك وإنما يتقبل من صلاتك بقدر خشوعك وخضوعك وتواضعك وتضرعك فاعبده في صلاتك كأنك تراه

فسألت صاحبى الذى أنا معه عن حال ذلك الرجل الصالح كيف يفعل إذا وقف في الصلاة وهو قد يطيل فيها من هذه الدواب المؤذية قال قد سبق لى السؤال عنه فقال لى يا أخى أنا إذا وقفت في الصلاة أذكر نفسى كأنى على الصراط وكان جهنم بين يدي فلا يحظر ببالى الناموس ولا غيره وهذه الحالة تحصل من الخشوع والمهابة

﴿وحكى عن﴾ الإمام ﴿زين العابدين﴾ ومنازل القاتنين العابد الوفى الجواد الخفى ﴿على بن الحسين﴾ بن على ﴿عليه السلام﴾ أنه كان إذا توضأ أصفر لونه وإذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة فقليل له مالك فقال فيحكم أندرون بين من أقوم ولمن أريد أن أناجي وفى أنساب قرش قال مصعب بن عبد الله الزبيرى عن مالك لقد أحرم على فلما أراد أن يقول ليلىك قالها فأغمى عليه حتى سقط عن ناقته فهش ويلغنى أنه كان يصلى فى كل يوم وليلة ألف ركعة إلى أن مات وكان يسمى بالمدينة زين العابدين لعبادته وقال غيره كان إذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة فقليل له مالك فقال ماتدرون بين يدي من أقوم ومن أناجى وفى القوت وقال على بن الحسين ﴿عليه السلام﴾ من اهتم بالصلوات الخمس فى موافقتها وأكمل ظهورها لم يكن له فى الدنيا عيش وكان إذا توضأ للصلاة تغير لونه وارتعد فقليل له فى ذلك فقال أندرون على من أدخل وبين يدي من أقف ولمن أناطب وماذا يريد على وأخرج أبو نعيم فى الحلية فى ترجمته من طريق محمد بن زكريا الغلابى عن العنبي عن أبي قال كان على بن الحسين إذا فرغ من وضوئه وضار بينه وبين صلاته أخذته رعدة ونفضة فقليل له فى ذلك فقال ويحكم أندرون إلى من أقوم ومن أريد أن أناجى .

﴿وحكى أيضاً﴾ أنه وقع حريق في بيته وهو ساجد ﴿فى صلاته﴾ فجعلوا ﴿أى الناس﴾ يقولون له يا ابن رسول الله ﴿اجتنب﴾ النار فما رفع رأسه فقليل له فى ذلك ﴿أى فى عدم رفع رأسه﴾ لما رفع رأسه فقال ﴿ألهني﴾ أى شغلنى ﴿عنها﴾ أى عن هذه النار ﴿النار الكبرى﴾ أى ذكرها وخوفها وهى نار جهنم ﴿فانظر﴾ وتأمل ﴿أيها الغافل﴾ فى الصلاة بين يدي من تقوم ومن تناجى ﴿فى صلاتك﴾ وكيف تناجى وماذا تناجى وعظم فى نفسك قدر المناجاة فانه مقام لا أشرف منه بأن يرفع الحجاب من بين ويؤذنه بمشاهدة العين ﴿واستح فى أن تناجى مولاك بقلب غافل﴾ عما أنت فيه ﴿وصدر مشحون﴾ أى مملوء ﴿بوساوس الدنيا وخباثات الشهوات﴾ أما تعلم أنك فى الحال قائم بين يدي الله عز وجل وعن يمينك ويسارك الملائكة و﴿أنه﴾ تعالى ﴿مطلع﴾ أى عالم ﴿فى سريرتك﴾ أى ما تكتم فى قلبك ﴿وناظر إلى قلبك﴾ وهو مقام الاحسان واليه الإشارة فى الحديث فان لم تكن تراه فانه يراك كما يأتى فى بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الدنيا كيف يقبل عليك الجلال والخوف من وقوفك بين يديه ويعرق الجبين ﴿وأما يتقبل﴾ الله ﴿فى صلاتك بقدر خشوعك﴾ أى حضور قلبك ﴿وخضوعك﴾ أى سكون جوارحك ﴿وتواضعك﴾ أى تذلل لك ﴿وتضرعك﴾ أى خلوصك فى الدعاء ﴿فاعبده﴾ سبحانه وتعالى ﴿فى صلاتك كأنك تراه﴾ أى اعبدته تعالى حال كونك فى صلاتك مثل ما تكونك راتبه فانك لو قدرت أنك قمت فى عبادة ربك وأنت تعابنه لم تترك شيئاً مما تقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السجدة

فإن لم تكن تراه فإنه يراك فإن لم يحضر قلبك بما ذكرنا ولم تسكن جوارحك لقصور معرفتك بجلال الله تعالى فقد رآن رجلا صالحا من وجوه أهل بيتك ينظر إليك كيف صلاتك فعند ذلك تحضر قلبك وتسكن جوارحك ثم ارجع إلى نفسك وقل ألا تستحى من خالقك ومولائك الذي هو مطلع عليك وناظر إلى قلبك أهو أقل عندك من عبد عباده وليس يده ضرك ولا تفعلك فما أشد طغيانك وجهلك وما أعظم عداوتك لنفسك

واجتماعك بظاهرك وباطنك على الاعتناء بتسميها على أحسن الوجوه ﴿فإن لم تكن تراه﴾ أن للشرط ولم تكن تراه جملة وقعت فعل الشرط فإن قلت أين جزاء الشرط قلت محذوف تقديره فأحسن العبادة ﴿فإنه يراك﴾ أذهوقائم على كل نفس بما كسبت مشاهد لكل أحد من خلقه في حركته وسكونه .

فإن قلت لم لا يكون قوله فإنه يراك جزاء الشرط قلت لا يصح لأنه ليس مسببا عنه ويتبغى أن يكون فعل الشرط سببا لوقوع الجزاء كما تقول في أن جنتي أكرمك فإن الجحى هو السبب للأكرام وعدمه سبب لعدمه وههنا عدم رؤية العبد ليست بسبب لرؤية الله تعالى فإن الله تعالى يراه سواء وجدت من العبد رؤية أم لم توجد فإن قلت ما القاء في قوله فإنه قلت للتعليل على ما لا يخفى .

* تنبيه * حكى عن بعض شيوخ الطريق وهو محمد بن سكران أنه ذكر نحو هذا اللفظ من الحديث فقال أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه ثم وقف وهي إشارة صوفية أي فأنك إذا أفنيت نفسك ولم ترها شيئا شاهدت ربك لأنها حجاب دونه فإذا ألقيت الحجاب شاهدت الجنان ويشبه هذا ما حكى عن بعضهم أنه قال رأيت رب العزة في المنام فقلت يا رب كيف الطريق إليك فقال خل نفسك وتعال قيل أوحى الله إلي بنص الصديقين عاد نفسك فليس في المملكة من يزار عنى غيرها وعن بعضهم إذا أردت أن تتناسى بالله فاستوحش من نفسك ﴿فإن لم يحضر قلبك بما ذكرنا﴾ من أن الله مطلع على سريرتك وناظر إلى قلبك ﴿ولم تسكن جوارحك﴾ أي أعضائك ﴿لقصور معرفتك بجلال الله تعالى فقد رآ﴾ وافرض في دوام قيامك في صلاتك ليحصل لك التحقق بحسن الوقوف بين يدي مولائك فيها ﴿أن رجلا صالحا من وجوه﴾ أي أشراف ﴿أهل بيتك﴾ أو من ترغب في أن يعرفك بالصلاح والخير من غير أهلك ﴿ينظر إليك﴾ بعين راقبة ليعلم ﴿كيف صلاتك فعند ذلك﴾ أي عند نظر الرجل إليك ﴿تحضر قلبك وتسكن﴾ أطرافك وتخشع ﴿جوارحك﴾ وتسكن جميع أجزائك الظاهرة خيفة أن ينسبك ذلك الرجل إلى قلق الخشوع قال الراغب في الذريعة ونقله بعضهم وأقره حتى الإنسان إذا هم بتبيح أن يتصور أجل من في نفسه حتى كأنه يراه فالإنسان يستحي من يكبر في نفسه ولذلك لا يستحي من الحيوان ولا من الأطفال ولا من الذين لا يميزون ويستحي من العالم أكثر مما يستحي من الجاهل ومن الجماعة أكثر مما يستحي من الواحد .

﴿ثم﴾ بعد احساسك من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد متسكن مثله مثلك في العبودية ﴿ارجع إلى نفسك﴾ بالمعانية ﴿وقل﴾ لها يا نفس السوء أنك تدعين معرفة الله عز وجل وحبه ﴿ألا تستحى من خالقك ومولائك الذي هو مطلع عليك وناظر إلى قلبك﴾ إذ قدرت اطلاع عبد ذليل من عباده عليك خشعت جوارحك وحسنت صلاتك ولا تخشين لعظمة تعالى ﴿أهو﴾ جل وعز ﴿أقل﴾ أي أصغر وأحقر ﴿عندك من عبد من عباده وليس يده ضرك ولا تفعلك فما﴾ تعجبية ﴿أشد طغيانك وجهلك وما أعظم عداوتك لنفسك﴾ لأنك وقرت عبدا من عباده وتماسكت عند ملاحظته ولا توقرن الله تعالى وتخشين الناس ولا تخشين الله وهو جل وعز أحق أن تخشيه فأنك إذا علمت أن الله يراك استحييت من ارتكاب الغفلة في عبادته ومن لم يستحي من ربه فليس له نصيب في معرفته والحياء من الله هو الأصل والأساس ولذلك لما قال أبو هريرة رضي الله عنه لرسول الله ﷺ كيف الحياء من الله تعالى حين سمع استحيوا من

فعالج قلبك بهذا فعسى أن يحضر معك في صلاتك فإنه انعقد اجتماع العلماء على أنه لا يكسبك لك من صلاتك إلا ما عقلت منها وأما ما أتيت به مع الغفلة ولو حكم بصحته ظاهرا فهو إلى الاستغفار أحوج لأنه إلى العقوبة أقرب قال الفقيه إسماعيل المقرئ رحمه الله :

تصلى بلا قلب صلاة بمنثها * يكون الفتى مستوجبا للعقوبة
تظل وقد أتممتها غير عالم * تزيد احتياطا ركعة بعد ركعة
فويلك تدري من تناجيه معرضا * وبين يدي من تنحني غير محبت
تخاطبه إياك تعبد مقبلا * على غيره فيها لغير ضرورة
ولورد من ناجاك للغير طرفه * تميزت من غيظ عليه وغيره
أما تستحي من مالك الملك أن يرى * صدودك عنه يا قليل المروءة
الهي اهدنا فيمن هديت وخذ بنا * إلى الحق نهجا في سواء الطريقة

الله حق الحياء فقال ﷺ تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من أهلك وروى من قومك ﴿فعالج﴾ أي زول وداو ﴿قلبك بهذا﴾ الذي ذكرناه من الحيل ﴿فعسى﴾ قلبك ﴿أن يحضر معك في صلاتك﴾ والمقصود من سياق المصنف أن المصلي إذا وقف في مقام المناجاة لا يذكر معه غيره ولا يشيئ على أحد سواه ولا يشكوا إليه ويكون أبدا بين يديه مانلا وبالحق له قائما وقائلا وله معظما وهو في نظره إليه مشفق وفي إقباله عليه مطرق اجلالا وحياء لانه يعلم سره ونجواه وهو أقرب إليه من حبل الوريد ﴿فإنه﴾ أي الشأن ﴿انعقد اجتماع العلماء﴾ كما قاله عبد الواحد بن زيد البصري ﴿على أنه لا يكسبك لك من صلاتك إلا ما عقلت﴾ أي تدبرت ﴿منها﴾ وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى ﴿وأما ما أتيت به﴾ في صلاتك من القراءة والاذكار ﴿مع الغفلة﴾ والسهو عما أنت فيه بأن لم يحضر قلبك ﴿ولو حكم بصحته ظاهرا فهو إلى الاستغفار﴾ والتكثير أي فعل الكفرة من صدقة ونحوها ﴿أحوج لأنه﴾ لا تخلو صلاتك عن الخلل لعدم حضورك وحينئذ هو ﴿إلى العقوبة أقرب﴾ وأسرع منه إلى الثواب كما ذكر عن الحسن البصري .

﴿قال﴾ العلامة ﴿الفقيه إسماعيل المقرئ رحمه الله﴾ تعالى من بحر الطويل .

تصلى بلا قلب صلاة بمنثها * يكون الفتى مستوجبا للعقوبة
تظل وقد أتممتها غير عالم * تزيد احتياطا ركعة بعد ركعة
فويلك تدري من تناجيه معرضا * وبين يدي من تنحني غير محبت
تخاطبه إياك تعبد مقبلا * على غيره فيها لغير ضرورة
ولورد من ناجاك للغير طرفه * تميزت من غيظ عليه وغيره
أما تستحي من مالك الملك أن يرى * صدودك عنه يا قليل المروءة
الهي اهدنا فيمن هديت وخذ بنا * إلى الحق نهجا في سواء الطريقة

﴿تصلى﴾ أيها الغافل ﴿بلا﴾ حضور ﴿قلب صلاة بمنثها﴾ يكون الفتى مستوجبا للعقوبة . تظل ﴿تفعل صلاة﴾ وقد أتممتها ﴿بركوعها وسجودها حال كونك﴾

﴿خاتمة﴾ في الأذكار الماثورة بعد الصلاة المكتوبة ﴿روي﴾ الترمذي عن أبي أمامة قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الدعاء اسمع قال جوف الليل الآخر ودين الصلوات المكتوبات ﴿وقال﴾ النووي أجمع العلماء على استحباب الذكر والدعاء بعد الصلاة فمن الذكر الماثور ما أخرجه ابن السني وأبو يعلى عن البراء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استغفر الله دبر كل صلاة ثلاث مرات فقال استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفرت ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف ويزيد فيه العظيم بعد الصبح والمغرب * ومسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت

﴿غير عالم﴾ ولا متفكر في قراءتها وأذكرها وتهتك في عدد ركعاتها ولذا ﴿تزيد احتياطا﴾ أي لأجل الاحتياط ﴿ركعة بعد ركعة﴾ فويلك تدري من يتأخيه ﴿بصلواتك حال كونك﴾ معرضا عنه ﴿وبين يدي من نتحنى﴾ بركوعك ﴿غير محبت﴾ أي غير خاضع وخاشع له بقلبك ﴿مخاطبة﴾ جل وعز يقولك ﴿إياك نعبد﴾ وقد كان قلبك ﴿مقبلا على غيره﴾ سبحانه وتعالى ﴿فيها﴾ أي في تلك المخاطبات ﴿غير ضرورة﴾ وتأمل حق التأمل ﴿لورد من نأجك الغير﴾ أي لغيرك ﴿طرفه﴾ أي بصره كيف ﴿تميزت﴾ أي انفصلت عن الذي نأجك وعزله ﴿من﴾ أجل ﴿غيط﴾ أي شدة غضب ﴿عليه﴾ ومن ﴿غيرة﴾ وحرارة الصدر ﴿أما تستحي من مالك الملك أن يرى﴾ صدودك ﴿أي اعراضك﴾ عنه يا قليل المروة ﴿والأدب﴾ الهنيئ الهدى فيمن هديت ﴿أي معهم﴾ وخذ بنا * إلى الحق نهجا ﴿أي طريقا واضحا﴾ في سواء الطريقة ﴿أي في وسطها وصوابها﴾

﴿* خاتمة *﴾ نسال الله حسناتها ﴿في الأذكار الماثورة﴾ أي المنقولة عن النبي ﷺ ﴿بعد الصلاة المكتوبة﴾ روى الترمذي عن أبي أمامة ﷺ ﴿قيل لرسول الله ﷺ أي الدعاء اسمع﴾ أي أقرب اجابة ﴿قال جوف الليل الآخر ودبر﴾ أي عقب ﴿الصلوات المكتوبات﴾ أي المفروضات ﴿وقال النووي﴾ رحمه الله تعالى ﴿أجمع العلماء﴾ أي اتفقوا ﴿على استحباب الذكر والدعاء بعد الصلاة فمن الذكر الماثور ما أخرجه﴾ بتشديد الراء أي نقله ﴿ابن السني وأبو يعلى عن البراء﴾ بن عازب ﴿قال قال رسول الله ﷺ من استغفر الله دبر كل صلاة﴾ أي عقبها ﴿ثلاث مرات فقال استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفرت ذنوبه﴾ قال العلامة الحنفى ولو الكبار وغفوا الله واسع ولذا قال سيدنا على ﷺ عجبت لمن معه النجاة ولم ينسج قيل وما النجاة قال الاستغفار فإنه ينزل الران عن القلب ويكفر الذنوب استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء الآية ﴿وان كان قد فر من الزحف﴾ أي بغير عذر فهو كبير ﴿يزيد فيه﴾ أي الاستغفار ﴿العظيم﴾ بأن يقول استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه هذا هو الأكل كما قاله الحنفى ﴿بعد الصبح والمغرب﴾ من الماثور ما رواه ﴿مسلم﴾ وأحمد وغيرهما عن ثوبان قال ﴿كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته﴾ أي سلم منها ﴿استغفر﴾ لله ثلاثا ﴿زاد في رواية البزار ومسح وجهه يده اليمنى﴾ وقال اللهم أنت السلام ﴿أي المختص بالتزهد عن النقائص والعيوب لا غيرك﴾ ومنك السلام ﴿أي السلامة من النقائص لمن أردت له ذلك﴾ تباركت ﴿أي تعظمت وتجدت﴾ إذا الجلال والإكرام ﴿لا تستعمل هذه الكلمة في غير الله تعالى﴾

وروى مسلم أيضا عن الغيرة بن شعبة كعب اليعاربة أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة وسلم قال ﴿لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت﴾ قال بعضهم مانع اسم لا مبنى معها على الفتح في محل نصب ولما أعطيت متعلق بمحذوف خبر ما أي لا مانع يمنع لما أعطيت وليس متعلقا بما في المذکور والإكثار شيئا بالمضاف لأنه اتصل به شيء

ولا معطى لما منعت ولا راد لما قضيت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له
النعمة وله الفضل والثناء الحسن لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون * وهو أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح
الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر * والرافعي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صليتم
صلاة الفرض فقولوا في عقب كل صلاة عشر مرات لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير يكتب له من
الأجر كأنما أعتق رقبة ويزيد فيها بحبي ويميت يده الخير بعد الصبح والعصر والمغرب * والحريث بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم إن فاتحة الكتاب وآية الكرسي وشهد الله إلى الإسلام وقل اللهم إلى حساب . معلقات ما بينهن وبين الله حجاب قلن يا رب أتهبطنا
إلى أرضك وإلى من يعصيك قال الله تعالى بي حلفت لا يقرؤن أحد دبر كل صلاة

من تمام معناه فيجب نصبه مع التثنية ويجوز أن يكون متعلقا به ويكون ذلك جريا على طريقة البغداديين الذين يجرون التشبيه بالمضاف مجرى
المضاف وعلى هذا فالجبر محذوف أي موجود وكذا يقال في قوله ﴿ولا معطى لما منعت﴾ وقوله ﴿ولا راد لما قضيت﴾ ليس في
صحيح مسلم في باب الدعاء بعد الصلاة ولعله رواية أخرى في غيره ﴿ولا ينفع ذا الجد﴾ بفتح الجيم أي صاحب الغنى أو المال أو الحظ
أو النصب ﴿منك﴾ أي عندك ﴿الجد﴾ بفتح الجيم أي جده وإنما ينفعه وينجيه العمل الصالح كقوله تعالى المال والبنون زينة الحياة
الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ،

وروى مسلم أيضا عن أبي الزبير قال كان ابن الزبير يقول في دبر كل صلاة حين يسلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد وهو على كل شيء قدير ﴿ولا حول ولا قوة إلا بالله﴾ وقوله ﴿العلي العظيم﴾ ليس في مسلم كما تقدم ﴿لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له
النعمة والفضل وله الشاء الحسن لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون﴾ وقال ابن الزبير كان رسول الله ﷺ يهلل بين دبر كل صلاة
﴿وهو﴾ أي وروى مسلم عن أبي هريرة ﴿أيضا﴾ أي كما تقدم ﴿قال رسول الله ﷺ من سبح الله﴾ بأن يقول سبحان الله ﴿في دبر كل
صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله﴾ بأن يقول الحمد لله ﴿ثلاثا وثلاثين وكبر الله﴾ بأن يقول الله أكبر ﴿ثلاثا وثلاثين﴾ فذلك تسعة وتسعون ﴿وقال
تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياهم وإن كانت﴾ في الكثرة ﴿مثل
زبد البحر﴾ وهو ما يعلو على وجهه عند هيجانه .

﴿و﴾ من المأثور أيضا ما أخرجه الإمام عبد الكريم القزويني ﴿الرافعي﴾ في تاريخه تاريخ قزوین عن البراء بن عازب قال ﴿قال
رسول الله ﷺ إذا صليتم صلاة الفرض﴾ يعني المكتوبات الخمس ﴿فقولوا﴾ ندبا ﴿في عقب كل صلاة عشر مرات لا إله إلا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير يكتب له﴾ بالبناء للمفعول وفيه حذف أي فقاتل ذلك بقدر الله له أو بأمر الملك أن
يكتب في اللوح أو الصحف ﴿من الأجر كأنما أعتق رقبة﴾ أي أجر كاجر من أعتق رقبة قال المصنف ﴿ويزيد فيها﴾ أي في هذه الكلمة
﴿بحبي ويميت يده الخير﴾ أي والشر ﴿بعد الصبح والعصر والمغرب و﴾ منه ما رواه ﴿الحريث بن عمر عن رسول الله ﷺ أن فاتحة
الكتاب وآية الكرسي و﴾ آية ﴿شهد الله﴾ أنه لا إله إلا هو ﴿إلى﴾ قوله ﴿الإسلام و﴾ آية ﴿قل اللهم﴾ مالك الملك ﴿إلى﴾ قوله
﴿حساب معلقات﴾ في كنز تحت العرش كما في خبر آخر ﴿ما﴾ نافية ﴿بينهن وبين الله حجاب قلن﴾ أي الفاتحة وما بعدها ﴿يا رب
أتهبطنا﴾ أي أنزلنا ﴿إلى أرضك وإلى من يعصيك قال الله تعالى﴾ لمن ﴿بي حلفت لا يقرؤن أحد دبر كل صلاة﴾ أي في عقبه

الإجمعت الجنة مثواه على ما كان فيه وأسكنته حظيرة القدس ونظرت إليه بعيني المكشوفة في كل يوم سبعين مرة وقضيت له كل يوم سبعين حاجة وأدناها المغفرة وأعدته من كل عدو وحاسد ونصرته * والنسائي وابن حبان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت * وأبو يعلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من جاء بهن مع الإيمان دخل من أي أبواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من عفا عن قاتله ومن أدى ديناً خفياً ومن قرأ دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات قل هو الله أحد * وأبو داود والترمذي عن عقبة بن عامر قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقرأ المعوذات دبر كل صلاة * وورد التهليل عشر مرات ﴿وحكى﴾ عن الحفار بن يزيد المشهور بالفضل والصلاح أنه احتقر قبراً فإذا رجل قاعد على منبر وعند طربق رطب قال فقال لي أقامت القيامة فقلت لا فقلت له بالذي أحلك هذه الحلة بم نلت هذا قال كنت أقول دبر كل صلاة لا إله إلا الله أرضى بها ربي لا إله إلا الله أفني بها عمري لا إله إلا الله أقطع بها دهرى لا إله إلا الله أونس بها قبري لا إله إلا الله ألقى بها ربي لا إله إلا الله أعد ما لكل شيء يجرى * ومن الدعاء المأثور ما أخرجه أبو داود والنسائي عن معاذ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده وقال يا معاذ والله إني لأحبك فقال أو صيكت يا معاذ لا تدعن

﴿الإجمعت الجنة مثواه على ما كان﴾ من النعيم ﴿فيه﴾ أي في مثواه ﴿وأسكنته حظيرة القدس ونظرت إليه بعيني المكشوفة في كل يوم سبعين مرة وقضيت له كل يوم سبعين حاجة وأدناها المغفرة وأعدته من كل عدو وحاسد ونصرته﴾ من ذلك ما أخرجه ﴿النسائي وابن حبان﴾ عن أبي أمامة قال ﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت﴾ أي الموت وهذه الحديث أسناده حسن كما في العزري .

﴿و﴾ من ذلك ما أخرجه ﴿أبو يعلى﴾ عن جابر ﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من جاء بهن مع الإيمان دخل من أي أبواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء﴾ أخذها ﴿من عفا عن قاتله﴾ ثانياً ﴿من أدى ديناً خفياً﴾ أي دفع ديناً لو ارث الميت ولم يعلم ذلك الوارث به ﴿و﴾ ثالثاً ﴿من قرأ دبر كل صلاة مكتوبة﴾ أي مفروضة من الخمس ﴿عشر مرات قل هو الله أحد﴾ وقامه عند أخرجه فقال أبو بكر أو أحداً من يارسل الله قال أو أحداً من .

﴿و﴾ من ذلك ما رواه ﴿أبو داود والترمذي﴾ والنسائي وابن حبان والحاكم في صحيحهما وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ﴿عن عقبة بن عامر قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقرأ المعوذات﴾ وهذا اللفظ لأبي داود والنسائي ولفظ الترمذي أن أقرأ بالمعوذتين في دبر كل صلاة قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق فينبغي كما قاله النووي أن يقرأ وقل أعوذ برب الناس ﴿دبر كل صلاة وورد﴾ في رواية أخرى ﴿التهليل﴾ أي لا إله إلا الله ﴿عشر مرات وحكى﴾ عن الحفار بن يزيد المشهور بالفضل والصلاح أنه احتقر قبراً فإذا رجل قاعد على منبر وعند طربق رطب قال ﴿الحفر﴾ فقال ﴿الرجل﴾ لي أقامت القيامة فقلت لا فقلت له ﴿أنسم﴾ بالذي أحلك ﴿أي أنزلك﴾ هذه الحلة بم ﴿أي بأي شيء﴾ نلت هذا ﴿الذي رأيت من كرامتك﴾ قال كنت ﴿في الدنيا﴾ أقول دبر كل صلاة لا إله إلا الله أرضى بها ربي لا إله إلا الله أفني بها عمري لا إله إلا الله أقطع بها دهرى لا إله إلا الله أونس بها قبري لا إله إلا الله ألقى بها ربي لا إله إلا الله أعد ما لكل شيء يجرى ومن الدعاء المأثور ما أخرجه أبو داود والنسائي واللفظ له والحاكم وابن حبان في صحيحهما وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ﴿عن معاذ﴾ بن جبل ﴿أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده﴾ يوماً ﴿وقال يا معاذ والله إني لأحبك فقال﴾ له معاذ باني أنت وأنت يارسل الله وأما الله أحبك قال ﴿أو صيكت يا معاذ لا تدعن﴾ أي لا تتركن

في دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك * وابن السني عن أبي أمامة ما دنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في دبر كل صلاة مكتوبة ولا تطوع إلا سمعته يقول اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها اللهم انعشني واجبرني واهدني لصالح الأعمال والأخلاق إنه لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيئها إلا أنت * وهو أيضا عن أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا انصرف من الصلاة اللهم اجعل خير عمري آخره وخير عمل خواتمه واجعل خير أيامي يوم ألقاك * وعن أبي بكر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دبر الصلاة اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر * وأحمد عن أم سلمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الصبح قال اللهم إني أسألك علما نافعا وعملا متقبلا ورزقا طيبا * وهو عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرك شفتيه بعد صلاة الفجر بشيء فقلت يا رسول الله ما هذا الذي تقول قال اللهم بك أحاول وبك أصاول وبك أقاتل *

﴿ في دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعني على ذكرك ﴾ وتلاوة كاياك ﴿ وشكرك وحسن عبادتك ﴾ أي إيقاعها على الوجه الحسن وذلك باستيفاء شروطها وأركانها ومستجباتها وأوصى بذلك معاذ الصنابحي وأوصى به الصنابحي أبا عبد الرحمن وأوصى به أبو عبد الرحمن عقبة بن مسلم

﴿ من ما أخرجه ﴾ ابن السني ﴿ والطبراني ﴾ عن أبي أمامة ﴿ الباهلي ﴾ قال ﴿ ما دنوت ﴾ أي ما قربت ﴿ من رسول الله ﴾ في دبر كل صلاة مكتوبة ولا ﴿ صلاة ﴾ تطوع إلا سمعته يقول اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها ﴿ أي صغيرها وكبيرها قال العلامة الحفني وخطايا جمع خطيئة ويقال خطية وهي مرادفة للذنب فهما بمعنى الاسم كفا في كتب اللغة وإن كان أصل العطف يقتضي المغايرة ﴿ اللهم انعشني ﴾ بهمة قطع ويجوز وصلها أي أي قوتي وفرحتي يقال أنعشه قواء وفرحه ﴿ واجبرني ﴾ يطلق الجبر على سلامة العظم المتكسر وعلى إزالة الفقر بحصول الغنى وزد ما ذهب من الشخص أو تعويضه بدله وهو المراد هنا قال المناوي قال في الصحاح الجبران تعني الرجل من فقر أو تصلح غظمه من كسر ﴿ واهدني لصالح الأعمال ﴾ أي الأعمال الصالحة ﴿ والأخلاق ﴾ جمع خلق بالضم الطيبة والسجبة ﴿ أنه ﴾ وفي زواية فانه ﴿ لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيئها إلا أنت ﴾ أي لأنك المقدر للخير والشر فلا يطلب جلب الخير ولا دفع الضر إلا منك قال الحفني وهذا يدل على حذف من الأول فكأنه قال واهدني لصالح الأعمال والأخلاق واصرف عني سيئها فانه إلى آخره ﴿ وهو ﴾ أي وأخرج ابن السني ﴿ أيضا ﴾ كما تقدم ﴿ عن أنس ﴾ ﴿ كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا انصرف من الصلاة اللهم اجعل خير عمري آخره ﴾ واجعل ﴿ خير عملي خواتمه واجعل خيرا يامى يوم ألقاك ﴾ .

ومن ما أخرجه النسائي واللفظ له والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ﴿ عن ﴾ مسلم بن ﴿ أبي بكر ﴾ عن أبيه ﴿ قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دبر الصلاة ﴾ في سمعني اللهم عافني في بصرى ﴿ اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر ﴾ أي فقر النفس أو الفقر الخوج للسؤال ﴿ وعذاب القبر ﴾ منه ما أخرجه ﴿ أحمد عن أم سلمة ﴾ زوج النبي ﴿ قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الصبح ﴾ أي فرح من صلاته ﴿ قال اللهم إني أسألك علما نافعا وعملا متقبلا ﴾ بفتح الباء أي مقبولا بأن يكون مقرونا بالاخلاص ﴿ ورزقا طيبا ﴾ أي حلالا ملائما للقوة على الطاعة والعبادة ﴿ وهو ﴾ أي وأخرج أحمد ﴿ عن صهيب ﴾ قال ابن علان ينسب هنا ولا في كتاب ابن السني والمسمى بصهيب من الصحابة اثنان صهيب بن سنان المشهور بالرواية أحد المعذنين في الله وصهيب بن النعمان ﴿ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرك شفتيه بعد صلاة الفجر بشيء فقلت يا رسول الله ما هذا الذي تقول قال اللهم بك أحاول وبك أصاول وبك أقاتل ﴾ أي عدوك وعدوى ولفظ أبي داود كان إذا غزا قال اللهم أنت عضدي ونصيري وبك أحاول وبك

وأبو داود عن ابن الحارث التميمي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أمر إليه فقال إذا انصرفت من صلاة المغرب فقل اللهم أجرني من النار سبع مرات فانك إذا قلت ذلك ثم مت من ليلتك كب لك جواز منها وإذا صليت الصبح فقل كذلك فانك إن مت كب لك جواز من يومك منها.

﴿فائدة﴾ يسن إمام يريد تعليم المأمومين إسرار بالذكر والدعاء وجرهما لإمام يريد. ولداع غير مصلى وخطيب رفع يديه الطاهرين حذو منكبيه

أصول وبك أقاتل وفي رواية للنسائي من حديث صهيب أيضا رب بك أقاتل وبك أحول وبك أصول وبك لاحول ولا قوة الا بك قال الخطابي معنى أحول أحال قال وفيه وجه آخر وهو أن يكون معناه المنع والدفع من قولك حال بين الشينين إذا منع أحدهما من الآخر فمعناه لا تمنع ولا تدفع الا بك.

﴿و﴾ من ذلك ما أخرجه أبو داود عن مسلم بن الحارث التميمي الصحابي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أسس أي أخفى الكلام إليه فقال إذا انصرفت من صلاة المغرب فقل اللهم أجرني من النار سبع مرات فانك إذا قلت ذلك الدعاء ثم مت من ليلتك كب لك جواز أي أمان منها وإذا صليت الصبح فقل كذلك فانك إن مت من يومك كب لك جواز من منها هكذا في أذكار النووي.

﴿* فائدة *﴾ يسن لغير إمام يريد تعليم المأمومين أسرار بالذكر والدعاء وجرهما إلى الذكر والدعاء لإمام يريد. أي تعليمهم ﴿و﴾ يسن لداع غير مصلى وغير خطيب رفع يديه أما المصلى فلا يسن له رفع اليدين في الدعاء إلا في القنوت وأما الخطيب فانه يكره له ذلك في الدعاء ذكره البيهقي في باب صلاة الجمعة واحتج بحديث في صحيح مسلم صريح في ذلك ولو فقدت أحدهما أو كان به علة رفع الأخرى الطاهرين أما المنتجسان فانه يكره رفعهما ولو بحتل حذو منكبيه إلا إذا اشتد الأمر فانه يجاوز المنكبي قال الحلبي وغاية الرفع حذو المنكبين وقال الغزالي حتى يرى بياض إبطيه قال في الإيعاب وينبغي حمل الثاني على ما إذا اشتد الأمر ويؤيده ما في مسلم من رفعه يديه في الاستسقاء حتى يرى بياض إبطيه.

فإن قيل إذا كان الحق سبحانه وتعالى ليس في جهة فمأحكمة رفع الأيدي بالدعاء نحو السماء فالجواب من وجهين ذكرهما الطرطوشي أحدهما أنه محل تعبد كاستقبال الكعبة في الصلاة والصلاة الجبهة بالأرض في السجود مع تنزهه تعالى عن محل البيت ومحل السجود فكان السماء قبلة الدعاء وثانيهما أنها لما كانت مهبط الرزق والوحي وموضع الرحمة والبركة على أن معنى المطر ينزل منها إلى الأرض فيخرج نباتا وهي مستكن الملاء الأعلى فإذا قضى الله أمرا ألقاه إليهم فيلقونه إلى أهل الأرض وكذلك الأعمال ترفع وفيها غير واحد من الأنبياء وفيها الجنة التي هي غاية الأمان فلما كانت معدن هذه الأمور العظام ومعرفة القضاء والقدر انصرفت إليهم اليها وتوفرت الدواعي عليها قال ولقد أجاب القاضي ابن فرمة لما صلى ذات ليلة في دار الوزير المهلب وأبو اسحاق الصابي يرمقه فأحسن به القاضي فلما سلم قال له مالك ترمقني يا أخا الصائبة أحببت الشريعة الصافية قال بل أخذت عليك شيئا قال ما هو قال رأيك ترفع يديك نحو السماء وتخضع بجهتك على الأرض فيطول بك أين هو فقال انتا ترفع أيدينا إلى مطالع أرزاقنا ونخضع جياها على مصارع أجسادنا نسعد بالاول أرزاقنا ونسدد بالثاني شرمصار عنا لم نسمع قوله تعالى وفي السماء رزقكم وما تعدون وقال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال المهلب ما ظن أن الله خلق في عصورك مثلك.

ومسح وجهه بهما بعد الفراغ ورفع بصره إلى السماء واقتاحه بحمد الله وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وختمه بهما.

﴿و﴾ يسن ﴿مسح وجهه بهما﴾ أي يديه يعني بكفيه ﴿بعد الفراغ﴾ من الدعاء ﴿ورفع بصره إلى السماء﴾ خلافاً للإمام حجة الإسلام الغزالي حيث قال ولا يرفع بصره إلى السماء أي في حال الدعاء واستدل على ذلك بقوله ﷺ لينتهن أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أولخطفتن أبصارهم قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي هريرة وقال عند الدعاء في الصلاة قال العلامة الزبيدي وكذلك رواه النسائي والطبراني في الكبير وفي رواية أولخطفتن الله أبصارهم وروى أحمد ومسلم وأبو داود من حديث جابر بن سمرة لينتهن أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لا ترفع إليهم أبصارهم وقد ظهر بذلك الزيادة أن النهي خاص في الصلاة فلا يستقيم استدلال حجة الإسلام كما لا يخفى على أنه ورد في صحيح مسلم من حديث ابن عباس ما يدل على جواز رفع البصر إلى السماء في حال الدعاء وهو ما رواه عبد بن حميد عن أبي نعيم عن اسماعيل بن مسلم عن أبي التوكل عنه أنه بات في بيت النبي ﷺ فقام من الليل ثم خرج فنظر في السماء ثم تلا إلى آخر الحديث وأخرجه البخاري كذلك قال النووي في الأذكار في باب ما يقول إذا استيقظ من الليل ونخرج من بيته يستحب له أن ينظر إلى السماء ويقرأ الآيات الخواتم من سورة آل عمران ثبت في الصحيحين أنه ﷺ كان يفعله إلا النظر إلى السماء فهو في صحيح البخاري دون مسلم قال الحافظ بل ثبت ذلك في مسلم أيضاً وسبب خفاء ذلك على الإمام الغزالي أن مسلماً جمع طرق الحديث كما دته فساقها في كتاب الصلاة وأفرد طرقاً منها في كتاب الطهارة وهي التي وقع عنده التصريح فيها بالنظر إلى السماء ووقع ذلك أيضاً في طريقين آخرين مما ساقه في كتاب الصلاة لكنه اقتصر في كل منهما على بعض المتن فلم يقع عنده فيهما التصريح بهذه اللفظة وهي في نفس الأمر عنده فيهما وأما البخاري فلم يقع عنده التقييد بكون ذلك عند الخروج من البيت وليس في شيء من الطرق الثلاثة التي أشرت إليها التصريح بالقراءة إلى آخر السورة وإنما وقع ذلك من طرق أخرى ليس فيها النظر إلى السماء لكن الحديث في نفس الأمر واخذ فذكر بعض الرواة ما لم يذكر بعض رواة العلم وروى الطبراني من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت ما خرج رسول الله ﷺ من بيتي صباحاً إلا رفع بصره إلى السماء وقال الحديث .

﴿و﴾ يسن ﴿اقتاحه﴾ أي الدعاء ﴿بحمد الله﴾ وعدم اقتاحه بالسؤال والمراد كما قاله الزبيدي أن يبتدئ أو لا بما فيه الثناء على الله تعالى ثم يسأل الحاجة كما قال تعالى حاكياً عن يونس عليه السلام لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وعن إبراهيم عليه السلام ربنا أنك تعلم ما نخفي وما نعلن إلى يوم يقوم الحساب وعنه الذي خلقني فهو يهدين الآيات وعن شعيب عليه السلام وسع ربنا كل شيء علماً إلى وأنت خير الفاتحين وعن موسى عليه السلام رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين وعن يوسف عليه السلام رب قد آتيتني من الملك وعلمتني الآية وعن الملائكة عليهم السلام ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا وقال أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا .

وفي السنن عن أبي هريرة كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجزء وقال سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ما سمعت رسول الله ﷺ يستفتح الدعاء الاستفتاح بقول رب العلى الأعلى الوهاب رواه أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد ﴿و﴾ بـ ﴿صلاة على النبي ﷺ وختمه﴾ أي الدعاء ﴿بهما﴾ أي بالحمد والصلاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سأل أحدكم ربه مسئلة فتعرف الإجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات ومن أبطأ عنه شيء من ذلك فليقل الحمد لله على كل حال قال العراقي رواه البيهقي في الدعوات من حديث أبي هريرة وللحاكم نحوه من حديث عائشة مختصراً بإسناد ضعيف وذلك لأن أحوال المؤمنين كلها خير وقضاء الله له بالسراء

والتأمين واستقبال القبلة إن كان مفرداً أو مأموماً أما الإمام فيستقبل المأمومين بوجهه في الدعاء.

والضراء رحمة ونعمة ولو انكشف له الفطاء لفرج بالضراء أكثر من السراء وهو أعلم بمصالح عبادته وروى البيهقي أيضاً في الاسماء والصفات من حديث حبيب بن أبي ثابت قال حدثنا شيخ لنا من رسول الله ﷺ كان إذا جاءه شيء يكرهه قال الحمد لله على كل حال وإذا جاءه شيء يعجبه قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى من أراد أن يسأل الله عز وجل حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ ثم يسأل حاجته ثم يحتم بالصلاة عليه ﷺ فإن الله عز وجل يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع وفي رواية يرد ما بينهما قال الزبيدي والمعنى أن الكرم لا يناسبه أن يقبل الطرفين ويرد الوسط قال الزركشي واستشكل بعض مشايخنا قول الداراني بأن قولنا اللهم صل على محمد دعاء والدعاء متوقف على القبول وفيه نظر انتهى. ويروى عن الداراني أيضاً بلفظ إذا أرادت أن تسأل الله حاجة فصل على محمد ثم سل حاجتك ثم صل على النبي ﷺ فإن الصلاة على النبي ﷺ مقبولة والله عز وجل أكرم من أن يرد ما بينهما أخرجه النعماني بالوجهين كذا في القول البديع للحافظ السخاوي ويروى في الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال إذا سألت الله حاجة فابدأ بالصلاة على فإن الله أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضى أحدهما ويرد الأخرى رواه أبو طالب المكي في القوت وقال العراقي لم أجده مرفوعاً وإنما هو موقوف على أبي الدرداء رضي الله عنه وهو وإن كان موقوفاً فهو شاهد لقول الداراني وما يؤيده أيضاً ما أخرجه أبو داود عن فضالة قال سمع النبي ﷺ رجلاً يدعوه في صلاته لم يجد الله ولم يصل على النبي ﷺ قال عجل هذا ثم دعاه فقال إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم يصل على النبي ﷺ ثم يدعوه بما شاء ورواه النسائي وزاد سمع النبي ﷺ رجلاً يصلي فمجد الله وحمده وصلى على النبي ﷺ فقال أدع تحب وسل تعط

وما يدل على إجابة الدعاء بعد التحميد ما روى عن أنس قال جاءت أم سليم فقلت يا رسول الله علمني كلمات أدعوهن فقال تسبحين عشراً وتحمدين عشراً وتكبرين عشراً ثم تسألين حاجتك فانه يقول قد فعلت رواه صاحب التبصرة وأخرجه الترمذي عن معاذ سمع النبي ﷺ رجلاً يقول يا ذا الجلال والإكرام فقال قد استجيب لك فسل وفي المستدرک عن أبي امامة رفعه أن الله ملكاً موكلًا بمن يقول يا أرحم الراحمين فمن قالها ثلاثاً قال له الموكل إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فسل والمعنى فيه أن ذكر الله بالثناء والتعظيم كلا كبير العظيم للنفس في تصفيتها وإشراقها حتى يكون الموهوب أقرب إليها فلها قدم الثناء على الدعاء ويسن أيضاً الختم برسالة قبل من أنت السميع العليم وبب علينا أنك أنت التواب الرحيم سبحانه ربك رب العزة عما يصفنون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ﴿٥٠﴾ الختم بالتأمين ﴿٥١﴾

﴿٥٠﴾ استقبال القبلة ﴿٥١﴾ حالة الذكر والدعاء فقد ورد أكرم المجالس ما استقبل به القبلة وهذا ﴿٥٢﴾ إن كان ﴿٥٣﴾ أي الداعي الذي فرغ من صلاته ﴿٥٤﴾ مفرداً أو مأموماً أما الإمام فيستقبل المأمومين بوجهه في ﴿٥٥﴾ الذكر و﴿٥٦﴾ الدعاء ﴿٥٧﴾ عقب الصلاة وذلك بحيث يجعل يساره إلى المحراب ويمينه إليهم وإن كان الإمام بالمسجد النبوي على ما اعتمده ابن حجر واعتمد الرملي وأتباعه تبعاً للديمري خلافه في مسجدته ﷺ نادياً معه لئلا يجعله خلف ظهره وهذا هو الأولى وعليه عمل سائر أئمة المدينة اليوم على أن ابن حجر قال في التحفة له وجه وجيه مع رعاية أن سلوك الأدب أولى من استئثار الأمر قال البخاري في باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم عن سمرة بن جندب قال كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه وعن زيد بن خالد الجهني فلما انصرف أقبل على الناس وعن أنس فلما صلى أقبل علينا بوجهه وفي مسلم كما إذا صلينا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أحببنا أن نكون عن يمينه حتى يقبل علينا بوجهه قال ابن المنير استدبار

ولكل جلوس ذاكر الله تعالى بعد صلاة الصبح على طلوع الشمس قال رسول الله ﷺ من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمره تامة تامة تامة رواه الترمذي وحسنه وقال ﷺ من قعد في مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يسبح ركعتي الضحى لا يقول إلا خيرا غفر له خطاياہ وإن كانت أكثر من زبد البحر رواه أبو داود

الامام المأمونين انما هو لحق الامامة فاذا انقضت الصلاة زال السبب فاستقبلهم حينئذ يرفع الخيلاء والترفع عن المأمونين انتهى وقيل الحكمة فيه تعريف الداخل بأن الصلاة انقضت اذ لو استمر الامام على حاله لأوهم انه في التشهد مثلاً،

وقال الحافظ في فتح الباري واستنبط من مجموع الأدلة أن للإمام أحوالاً لأن الصلاة إما أن تكون مما يتنفل بعدها أو لا فإن كان الأول
فاختلف هل يتشاغل قبل التنفل بالذكر المأثور ثم يتنفل وبذلك أخذ الأكثرون أم لا وبذلك أخذ الحنفية وأما التي لا يتنفل بعدها كالعصر
فيتشاغل الإمام ومن معه بالذكر المأثور ولا يتعين له مكان بل إن شاء وانصرفوا وذكروا وإن شاءوا أمكثوا وذكروا وإن كان للإمام عادة أن
يعلمهم أو يعظمهم فيستحب أن يقبل عليهم جميعاً وإن كان لا يزيد على الذكر المأثور فهل يقبل عليهم جميعاً أو يتنفل فيجعل يمينه من قبل
المؤمنين ويساره من قبل القبلة ويدعو جزم بالثاني أكثر الشافعية ويحتمل أنه يستمر مستقبلًا للقبلة من أجل أنها أليق بالدعاء ويحتمل الأول
مالم يوطأ الذكر والدعاء كذا ذكره بعض المحققين.

(و) يسن (لكل) من المنفرد والمأموم والامام (الجلوس) في المسجد الذي صلى فيه حال كونه (ذاكرا) الله تعالى بعد صلاة
 الصبح (وما يتبعها من الأذكار الملائمة لها عادة) (الى طلوع الشمس) وبعد صلاة العصر الى غروبها وجاء من فضائل الجلوس بعد صلاة
 الصبح الى طلوع الشمس وفي صلاة ركعتين بعد ذلك ما يحل ومنه اختصنا ذكره فمن ذلك ما (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
 صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة رواه
 الترمذي) من حديث أنس (وحسنه و) من ذلك ما (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد في مصلاه حين ينصرف من
 صلاة الصبح حتى يسبح) (اي يصلي) (ركعتي الضحى لا يقول الا خيرا غفر له خطاياه وان كانت أكثر من زبد البحر رواه أبو داود)
 والطبراني من حديث سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه مرفوعا وعن علي رضي الله عنه من صلى الفجر ثم جلس في مصلاه يذكر الله صلى
 عليه الملائكة اللهم اغفر له اللهم ارحمه زواه أحمد وابن جرير وصححه والبيهقي وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما من صلى الصبح
 ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس جعل الله بينه وبين النار سترا رواه البيهقي وفي رواية له بعد قوله الشمس ثم قام يصلي ركعتين حرم
 الله على النار أن تلتفه وعن أبي أمامة وعقبة بن عامر رضي الله عنهما من صلى الصبح في مسجد جماعة ثم مكث حتى سبح سبح
 الضحى كان له كأجر حاج ومعتمر تام له حجه وعمرته رواه الطبراني في الكبير عنهما معا وعن أبي أمامة رضي الله عنه وحده من صلى صلاة الغدا
 في جماعة جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم قام وركع ركعتين انقلب بأجر حجة وعمرة رواه الطبراني في الكبير وعن سهل بن
 معاذ عن أبيه من صلى صلاة الفجر ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس وجبت له الجنة رواه ابن السنن وابن النجار وعن عائشة رضي
 الله عنهما من صلى الفجر فقع في مقعده فلم يلبث بشيء من أمر الدنيا يذكر الله عز وجل حتى يصلي أربع ركعات خرج من ذنوبه كيوم ولد
 أمه رواه ابن السنن وزوي الحسن البصري رحمه الله تعالى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكره من رحمة الله يقول انه قال يا
 آدم اذكرني بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما ،

وقال لأن أجلس مع قوم يذكرون الله عز وجل من صلاة العصر إلى أن تقرب الشمس أحب إلي من أن أعتق ثمانية من ولد إسماعيل عليه السلام
أعتق الله رقابنا من النار وغفر ذنوبنا وخطايانا وأصلح ما فسد من أعمالنا وتقبلها بمنه .

﴿باب صلاة التطوع﴾

﴿و﴾ من ذلك ما ﴿قال﴾ ﷺ ﴿لأن أجلس مع قوم يذكرون الله عز وجل من﴾ بعد ﴿صلاة العصر إلى أن تقرب الشمس أحب إلي﴾
من أن أعتق ثمانية من ولد إسماعيل عليه الصلاة والسلام ﴿أي ولو فرض أن ولد إسماعيل عليه السلام عبد وهو لم يكن كذلك بل هو من﴾
أفضل الناس وأشرفهم لأن النبي ﷺ منه وانما دل هذا الحديث على زيادة فضيلة صاحب هذا العمل رواه أبو داود الطيالسي في مسنده
وابن السني في عمل يوم ليلة واليهي في السنن عن أنس بلفظ لأن أجلس قوما يذكرون الله من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلي
بما طلعت عليه الشمس ولأن أذكر الله من صلاة العصر إلى غروب الشمس أحب إلي من أن أعتق ثمانية من ولد إسماعيل دية كل واحد
اثنا عشر ألفا كذا في الجامع الكبير ورواه ابن السني في رياضة المتعلمين والخطيب في الفقيه والمتفقه نحوه وليس عندهما ذكر الدية والذي
في سنن أبي داود من رواية موسى بن خلف عن قتادة عن أنس رفعه لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع
الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة العصر إلى أن تقرب الشمس أحب إلي
من أن أعتق أربعة قال الزبيدي وموسى بن خلف العمي قال فيه ابن مغيث ضعيف وقال مرة ولا بأس به ورواه أيضا هكذا أبو نعيم في
المعرفة واليهي في السنن والضياء المقدسي في المختارة كلهم عن أنس ﷺ ﴿أعتق الله﴾ جملة دعائية ﴿رقابنا﴾ ورقاب آبائنا
وأمهاتنا وأشياخنا وأخواننا ﴿من النار وغفر ذنوبنا وأصلح ما فسد من أعمالنا وتقبلها بمنه﴾ وكرمه وجوده ﴿منا آمين﴾ يا رب العالمين .

﴿باب صلاة التطوع﴾

وهو ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه ويعبر عنه بالسنة والندوب والحسن والمرغوب فيه والمستحب والتفل في معنى
واحد لترادفها على المشهور وثواب الفرض يفضل به سبعين درجة كما في حديث صحيحه ابن خزيمة قال الزركشي والظاهر أنه لم يرد
بالسبعين الحصر وزعم أن المندوب قد يفضل كإبراء المعسر وانتظاره وإبداء سلام ورده مردود بأن سبب الفضل في هذين اشتغال
المندوب على مصلحة الواجب وزيادة الإبراء زال الانتظار وبالإبداء حصل أمن أكثر بما في الجواب قاله ابن حجر فضله عليه كما قاله
الشبرا ملس من حيث اشتغاله على مصلحة الواجب لا من حيث ذاته ولا من حيث كونه مندوبا ومقابل المشهور كما ذهب إليه القاضي
وغيره إن غير الفرض ثلاثة تطوع وهو ما لم يرد فيه ثقل بخصوصه بل ينشئه الإنسان ابتداء وسنة وهي ما واطب عليه النبي صلى الله عليه
وسلم ومستحب وهو ما فعله أحيانا أو أمر به ولم يفعله ولم يتعرضوا للبقية وهي التفل والمندوب والحسن والمرغوب فيه لعمومها الثلاثة مع أنه
لا خلاف في المعنى فإن بعض المسنونات أكد من بعض قطعا وإنما الخلاف في الاسم والصلاة أفضل عبادات البدن بعد الإسلام
لخبر الصحيحين أي الأعمال أفضل فقال الصلاة لوقها لأنها تلي الإيمان وتابعة له في الشرف والذكر نحو الذين يؤمنون بالغيب ويقومون الصلاة
وأشبه به لاشتغالها على نطق اللسان وعمل بالآركان واعتقاد بالجنان ولقوله ﷺ استقيموا واعلموا أن خيرا أعمالكم الصلاة رواه أبو داود
وسماها الله تعالى إيمانا فقال وما كان الله ليضيع إيمانكم أي صلاحكم إلى بيت المقدس ولأنها يجتمع من القرب ما تفرق في غيرها من ذكر الله
تعالى ورسوله والقراءة والتسبيح واللبث والاستقبال والطهارة والسترة وترك الأكل والكلام وغير ذلك مع اختصاصها بالركوع
والسجود وغيرها .

أخرج أحمد والترمذي عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ ما أذن الله لعبد في شيء أفضل من ركعتين أو أكثر من ركعتين وإن البر ليدرك فوق رأس العبد ما كان في الصلاة وما تقرب عبد إلى الله عز وجل بأفضل مما خرج منه * والطبراني عنه ما أوتي عبد في هذه الدنيا خيرا له من أن يؤذن له في ركعتين يصليهما * ومسلم والترمذي عن عائشة رضي الله عنها ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها *

﴿ أخرج أحمد والترمذي عن أبي أمامة ﴾ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أذن الله ﷻ أي ما رضي وقبل وأتاب يستعمل أذن بمعنى أصغى وهو مستحيل هنا فالمراد ما ذكر وقيل بمعنى أذن هنا سمع فالمراد حينئذ سماع قبول وإثابة ﴿ لعبدي شيء أفضل من ركعتين أو أكثر ﴾ يعني ﴿ من ركعتين وإن البر ﴾ أي الخير والاحسان ﴿ ليدرك ﴾ أي ينثر ﴿ فوق رأس العبد ما كان في الصلاة ﴾ أي مدة دوام كونه مصليا ﴿ وما تقرب عبد إلى الله عز وجل بأفضل مما خرج ﴾ أي بما ظهر ﴿ منه ﴾ وهو كلامه تعالى فالخروج بمعنى الانفصال مستحيل عليه تعالى فهو بمعنى الظهور ويحتمل أن الضمير للعبد أي بأفضل مما خرج من ذلك العبد من تلاوة القرآن .
﴿ أخرج ﴾ الطبراني عنه ﴿ أي عن أبي أمامة ﴾ ما أوتي عبد في هذه الدنيا خيرا له من أن يؤذن له ﴿ من الله بالهامه تعالى وتوفيقه ﴾ في ركعتين يصليهما ﴿ لأن المصلي مناجي له .

﴿ أخرج ﴾ مسلم والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ ﴿ ركعتا الفجر ﴾ أي سنة صلاة الصبح ﴿ خير من الدنيا وما فيها ﴾ أي ثوابها خير من ثواب الصدق بجميع ما في الدنيا لملك ذلك هكذا ذكره الحنفى وقال العزيزى معناه نعيم ثوابها خير مما ينعم به في الدنيا انتهى . فالمفاضلة راجعة لذات النعيم لا إلى نفس ركعتي الفجر فلا يعارضه خير الدنيا ملعونة ملعون ما فيها وقال الطيبي إن حمل الدنيا على اعراضها وزهرتها فالخير اما جرى على زعم من يرى فيها خيرا أو يكون من باب أن الفريقين خير مقاماً وإن حمل على الاتفاق في سبيل الله فتكون هاتان الركعتان أكثر ثواباً منها كما ذكر .

وقد وردت أخبار في فضل هاتين الركعتين غير الذي أورده المصنف فمنها ما أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي هريرة لا تدع ركعتي الفجر ولو طرقتك الخيل رواه حفص بن غياث عن محمد بن زيد عن ابن عبد ربه قال سمعت أبا هريرة فسأقه وأخرجه الصحاوى من طريق عبد الرحمن بن اسحق عن محمد بن زيد لأنه قال عن ابن سيلان عن أبي هريرة بلفظ لا تتركوا ركعتي الفجر ولو طردكم الخيل ولفظ أبي بكر بن أبي شيبة أخرجه أحمد وأبو داود ومنها ما أخرجه الطبراني في الكبير والحاملي والخطيب عن ابن عمر لا تدعوا الركعتين اللتين قبل الفجر فإن فيهما الرغائب وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة عن هشيم بن أبي بشر عن يعلى بن عطاء عن الوليد بن عبد الرحمن عن ابن عمر أنه قال يا حيران لا تدع ركعتين قبل الفجر فإن فيهما الرغائب هكذا رواه ولم يرفعه وأخرج أيضاً عن كثير بن هشام عن جعفر بن برقان قال بلغنى أن عائشة كانت تقول حافظوا على ركعتي الفجر فإن فيهما الخير والرغائب ومنها ما أخرجه ابن أبي شيبة أيضاً عن هشيم بن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال قال عمر بن الخطاب قبل الفجر لهما أحب إلى من حمر النعم ومنها ما أخرجه أيضاً والشيخان والصحاوى من حديث عائشة قالت ما رأيت رسول الله ﷺ في النوافل أشد معاهدة منه على الركعتين قبل الفجر ولفظ الصحيحين لم يكن شيء من النوافل أشد الحديث ولفظ ابن أبي شيبة ما رأته يسرع إلى شيء من النوافل أسرعه إلى ركعتي الفجر ولا إلى غنيمة وكلهم أخرجه من طريق ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة ومنها ما أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة أيضاً عن وكيع عن سفيان عن زياد بن فياض عن أبي عبد الرحمن قال إذا صلى ركعتي الفجر ثم مات فكنما صلى الفجر وعن وكيع بن مسعر عن حماد عن إبراهيم قال إذا صلاهما أو أحدهما ثم مات أجزاء عن ركعتي الفجر ومنها ما أخرجه الطبراني من حديث عائشة قالت كان النبي ﷺ يصلى ويدعو ولكن لم أ

والبيهقي عن أبي هريرة لا يحافظ على ركعتي الفجر إلا أنواب * وأبو داود والترمذي عنه إذا صلى أحدكم ركعتي الفجر فليضطجع على جنبه الأيمن * والبيهقي عن عائشة نعم السورتان هما قرآن في الركعتين قبل الفجر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد * وابن السني عن ولد أبي المليح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين خفيفتين ثم سمعته يقول وهو جالس اللهم رب جبريل وإسرافيل وميكائيل ومحمد النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من النار ثلاث مرات *

ترك الركعتين قبل صلاة الفجر في سفر ولا خضر ولا صحة ولا سقم * (و) أخرج * البيهقي عن أبي هريرة لا يحافظ على ركعتي الفجر إلا أنواب * قال المناوي أي رجاء إلى الله تعالى بالتوبة مطيع له وقد ذهب بعضهم إلى وجوبهما .

(و) أخرج * أبو داود والترمذي * وابن حبان * عنه * أي عن أبي هريرة * إذا صلى أحدكم ركعتي الفجر * أي سنة * فليضطجع * ندبا وقيل وجوبا * على جنبه الأيمن * قال العلقمي أي يضع جنبه اليمين على الأرض قيل الحكمة فيه أن القلب في جهة اليسار فلو اضطجع عليه لاستغرق نوم الكونه أبلغ في الراحة بخلاف اليمين فيكون القلب معلقا فلا يستغرق وفيه أن الاضطجاع انما يتم إذا كان على شق اليمين قال شيخنا قال الحافظ أبو الفضل العراقي في شرح الترمذي وهل يحصل أصل سنة الاضطجاع بكونه على الشق اليسار أم مع القدرة على ذلك فالظاهر أنه لا يحصل به السنة لعدم موافقته للأمر وأما إذا كان به ضرر في الشق اليمين لعجزه لا يمكن معه الاضطجاع أو يمكن لكن مع مشقة فهل يضطجع على اليسار أو يشير إلى الاضطجاع على الجانب اليمين لعجزه عن كماله كما يفعل من عجز عن الركوع والسجود في الصلاة لم أر لأصحابنا فيه نصا وحزم ابن حزم بأنه يشير الاضطجاع للشق اليمين ولا يضطجع على اليسار انتهى .

والأمر بالاضطجاع أمر ندب واحتج الأئمة على عدم الوجوب بأنه لم يكن يداوم عليها فائدة ذلك الراحة والنشاط لصلاة الصبح وعلى هذا فلا يستحب ذلك إلا للمجتهد وبه حزم ابن العربي وقيل أن فائدتها الفضل بين ركعتي الفجر وصلاة الصبح وعلى هذا فلا اختصاص ومن ثم قال الشافعي وأصحابه يستحب أن يفصل بين سنة الفجر وصلاة الصبح باضطجاع على يمينه أو بحديث أو تحول من مكانه أو نحو ذلك واستحب البغوي في شرح السنة الاضطجاع بخصومه واختاره في المجموع لحديث أبي هريرة وقد قال أبو هريرة رأوى الحديث أن الفصل بالمشي إلى المسجد لا يكفي وقال في المجموع أن تعذر عليه فصل بكلام قال شيخ شيخنا وأفرط ابن حزم فقال يجب على كل أحد وجعله شرطا لصحة صلاة الصبح ورد عليه العلماء بعده وذهب بعض السلف إلى استحبابها في البيت دون المسجد وهو محكي عن ابن عمر وقواه بعض شيخنا بأنه لم ينقل عن النبي ﷺ أنه فعله في المسجد قاله العزيزي .

(و) أخرج * البيهقي عن عائشة * رضى الله عنها * نعم * كلمة مدح * السورتان هما قرآن في الركعتين قبل الفجر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد * (و) أخرج * ابن السني عن والد أبي المليح أن رسول الله ﷺ صلى ركعتين خفيفتين ثم سمعته * يقول وهو جالس اللهم رب جبريل وإسرافيل وميكائيل ومحمد النبي ﷺ تنصيصهم برؤيته وهو رب كل شيء وجاء مثل هذا كثيرا من إضافة كل عظيم الشأن له دون ما يستحق عند الثناء والدعاء مبالغة في التعظيم ودليلا على القدرة والملك فيقال رب السموات والأرض ورب المشرق والمغرب ورب العالمين ونحو ذلك وقال القرطبي خص هؤلاء الملائكة بالذكر تشريفا لهم إذ بهم ينظم هذا الوجود إذ أقامهم الله تعالى في ذلك فهم المدبرون له أفاده بعضهم * أعوذ بك من النار * أي نار جهنم قال ذلك * ثلاث مرات * وأعلم أنه يدخل وقت سنة الصبح بطول الفجر الصادق وهو المسطر الذي يطلع عرضا منتشرا يسمى صادقا لأنه صدق عن الصبح وبينه دون المستطيل منه وهو الذي يظهر طول كذب السرحان ثم يغيب ويسمى كاذبا لأنه يضيء ثم يسود ويذهب النور ويعقبه الظلام فكانه كاذب وقد جاء

في الحديث وصف الصبح بالمنتطير والمستطيل وإذا ركد ذلك بالمشاهدة بالبصر عير في أوله الآن يتعلم منازل القمر الثمانية والعشرين وهذا التعلم من المهمات للمريد حتى يطلع مفادير الأوقات بالليل وعلى الصبح وتفتت ركعتا الفجر بغوات وقت فريضة الصبح وهو طلوع الشمس ولكن السنة أذا هما قبل الفرض فإن دخل المسجد لصلاة الصبح ولم يكن صلاههما في بيته صلاههما في المسجد وأجزأنا عنه من تحية المسجد فإن دخل وقد قامت الصلاة فليستغل بالمكثوبة مع الجماعة فانه ﷺ قال إذا أقمت الصلاة فلا صلاة الا المكثوبة أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ثم إذا فرغ من المكثوبة قام اليهما وصلاهما وهل تكونان أداء أو قضاء والصحيح انهما أداء ما وقع قبل طلوع الشمس لانهما تابعان للفرض في وقته وانما الترتيب بينهما سنة في التقديم والتأخير إذا لم يصادف جماعة فإذا صادفهما انقلب الترتيب وبقي أداء والمستحب أن يصليهما في المنزل قبل خروجه الى المسجد كما يفعله ﷺ كما سيأتي في حديث حفصة قريباً.

وقال الولي العراقي اتفق العلماء على أفضلية فعل النوافل المطلقة في البيت واختلفوا في الرواتب فقال الجمهور الأفضل فعلها في البيت أيضاً وسواء في ذلك رتبة الليل والنهار وقال النووي ولا خلاف في هذا عندنا وقال جماعة من السلف الاختيار فعلها كلها في المسجد وأشار إليه القاضي أبو الطيب الطبري وقال مالك والثوري الأفضل فعل رتبة النهار في المسجد ورتبة الليل في البيت قال النووي ودليل الجمهور صلاته ﷺ سنة الصبح والجماعة في بيته وهما صلاتا نهار مع قوله ﷺ أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته الا المكثوبة والمستحب أيضاً أن يخففهما لما أخرج أبو بكر بن أبي شيبة عن عائشة قالت كان النبي ﷺ يخفف ركعتي الفجر وفي رواية عنها كان إذا طلع الفجر صلى ركعتين خفيفتين وعن حفصة مثله وفي رواية عنها كان يصليهما بسجدة خفيفتين إذا طلع الفجر وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال ما رأيت أباي يصليهما قط الا وكأنه ينادي راحة وعن الحسن ومحمد انهما كانا لا يريدان إذا طلع الفجر على ركعتين خفيفتين انتهى ولذلك بالغ بعضهم فقال لا يقرأ فيهما شيئاً أصلاً وقال العراقي في شرح الترمذي الحكمة في تخفيفهما وتطويل الأربع التي قبل الظهر من وجهين أحدهما استحباب التعليل في الصبح والابتعاد في الظهر والثاني ان ركعتي الفجر تفعلا بعد طول القيام في الليل فتناسب تخفيفهما وسنة الظهر ليس قبلها الا سنة الضحى ولم يكن ﷺ يواظب عليها ولم يرد تطويلها فهي واقعة بعد راحة انتهى وقال مالك وجمهور أصحابه لا يقرأ غير الفاتحة وحكاها ابن عبد البر عن أكر العلماء قال الصحاوي حدثنا يونس أخبرنا ابن وهب قال قال مالك بذلك أخذ في خاصة نفسه ان أقرأ فيهما بأم القرآن ثم ساق من طريق عمرة عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يصلي ركعتي الفجر ركعتين خفيفتين حتى أقول مل قرأ فيهما بأم القرآن انتهى.

وقال الشافعي وأحمد والجمهور كما حكاها عنهم النووي ويستحب أن يقرأ فيهما بعد الفاتحة سورة وقد ثبت من حديث عائشة كما عند ابن أبي شيبة والطحاوي أنه ﷺ كان يقرأ فيهما قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد يسر فيهما القراءة وروى ذلك أيضاً من حديث ابن عمر مثله وثبت أيضاً ان النبي ﷺ قرأ مع الفاتحة غير هاتين السورتين قال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو خالد الأحمر عن عثمان بن حكيم عن سعيد بن يسار عن ابن عباس ان النبي ﷺ كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى قولوا آمناً بالله وما أنزل إلينا الآية وفي الثانية تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي داود عن زعمة عن ابن طاوس عن أبيه انه كان يقرأ في ركعتين قبل الصبح إذا زلزلت والعبادات وفي الركعتين بعد العشاء آمن الرسول وقل هو الله أحد قال الطحاوي فقد ثبت بما ذكر ان تخفيفه ذلك كان منه قراءة وثبت بما مر من قراءته غير فاتحة الكتاب ففي قول من كره أن يقرأ فيهما غير فاتحة الكتاب ثبت انهما كسائر التطوع وانه يقرأ فيهما كما يقرأ في التطوع ولم نجد شيئاً من صلوات التطوع لا يقرأ فيه شيء ولا يقرأ فيه الا بفاتحة الكتاب خاصة انتهى ورتبة

وأبو داود والترمذي عن أم حبيبة من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمة الله على النار *

الظهر هي ست ركعات ركعتان بعدها وهي أيضا سنة مؤكدة كما أكد ركعتي الفجر وأربع قبلها وهي أيضا سنة وإن كانت دون الركعتين الأخيرتين في التأكيد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى الليل وكان ﷺ لا يدع أربعاً بعد الزوال يطيلهن ويقول إن أبواب السماء تفتح في هذه الساعة فأحب أن يرفع لي فيها عمل رواه أبو أيوب الأنصاري وتفرده به وأخرج ابن عدي عن حديث جرير من صلى أربع ركعات عند الزوال قبل الظهر يقرأ في كل ركعة الحمد لله وآية الكرسي بنى الله له بيتاً في الجنة الحديث وقال إنه غير محفوظ.

﴿و﴾ أخرج ﴿أبو داود والترمذي عن أم حبيبة﴾ رملة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية أم المؤمنين زوج النبي ﷺ وأما صفية بنت أبي العاص بن أمية ما جرت إلى الحبشة وهلك زوجها فزوجها النجاشي من رسول الله ﷺ توفيت سنة الأربع والأربعين رضى الله عنها ﴿من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمة الله على النار﴾ يحتمل أن المراد التي استحق بها التعذيب بارتكاب بعض الذنوب فتكون تلك الركعات مكفرة لذلك وقال المناوي أي ناز الخلود وأخرج الطبراني في الأوسط عن البراء من صلى قبل الظهر أربع ركعات كأنما تهجد بهن من ليلته ومن صلاه من بعد العشاء كن كمثلهن من ليلة القدر.

وأخرج ابن عساکر من حديث انس من صلى قبل الظهر أربعاً غفر له ذنوبه يومه وروى أم حبيبة زوج النبي ﷺ من صلى في كل يوم اثنتي عشرة ركعة غير المكتوبة بنى له بيت في الجنة ركعتين قبل الفجر وأربعاً قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب وقال ابن عمر رضى الله عنهما حفظت من رسول الله ﷺ في كل يوم عشر ركعات فذكر ما ذكرته أم حبيبة رضى الله عنها إلا ركعتي الفجر فانه قال تلك ساعة لم يكن يدخل فيها على رسول الله ﷺ ولكن حدثني أختي حفصة رضى الله عنها انه ﷺ كان يصلي ركعتين في بيته ثم يخرج وقال في حديثه ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد العشاء فصارت الركعتان قبل الظهر أكد من جملة الأربعة قاله الغزالي إن قلت قد يعارضه ما أخرجه البخاري من طريق شعبة عن إبراهيم بن محمد بن المنشدر عن أبيه عن عائشة أن النبي ﷺ كان لا يدع أربعاً قبل الظهر وركعتين قبل الغداة وما أخرجه مسلم من طريق عبد الله بن شقيق قال سألت عائشة عن صلاة رسول الله ﷺ فقالت كان يصلي في بيته قبل الظهر أربعاً ثم يخرج فيصلّي بالناس ثم يدخل فيصلّي ركعتين وفي آخره وكان إذا طلع الفجر صلى ركعتين فالجواب أنه لا تعارض فانه يحتمل أنه كان إذا صلى في بيته صلى أربعاً وإذا صلى في المسجد فركعتين فابن عمر إنما شاهده في المسجد فحكى ما رآه منه وعائشة حكّت ما رأت منه في بيته أو كان تارة يصلي أربعاً وتارة ركعتين أو كان الأربع ورداً مستقلاً بعد الزوال وإلى هذا جنح حجة الإسلام فسمى الأربع هذه صلاة الزوال وهي غير سنة الظهر التي قال ابن عمر انها ركعتان نعم قيل في وجهه عند الشافعية إن الأربع قبلها راتبة عملاً بمحدثيهم يأخذ الحنفية فقال صاحب الهداية السنة ركعتان قبل الفجر وأربع قبل الظهر وبعدها ركعتان وأربع قبل العصر وإن شاء ركعتين وركعتان بعد المغرب وأربع قبل العشاء وأربع بعدها وإن شاء ركعتين وذهب مالك في المشهور عنه أنه لا رواتب في ذلك ولا توقيت إلا في ركعتي الفجر وذهب العراقيون من المالكية إلى استحباب ركعتين بعد الظهر وقيل العصر وبعد المغرب قاله الزبيدي عن صاحب المفهم.

وراتبة العصر هي أربع ركعات قبل العصر روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال رحم الله عبداً صلى قبل العصر أربعاً وفعل ذلك على رجاء الدخول في دعوة رسول الله ﷺ مستحب استحباباً مؤكداً كما قاله الغزالي فإن دعوته عليه صلاة والسلام تسجاب

والطبراني عن ابن عمر من صلى قبل العصر أربعاً حرمه الله على النار *

لا محالة ولم تكن مواظبته ﷺ على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر وقد جاءت أخبار في سنة العصر منها ما فيه تعيين أربع ركعات ومنها ما فيه تعيين ركعتين قال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف حدثنا أبو الأحوص عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة قال قال ناس من أصحاب علي لا تحدثنا بصلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنهار التطوع قال قال علي أنكم لن تطيقوها قال فقالوا أخبرنا بها نأخذ منها ما أطقنا قال فذكر الحديث وفيه وصلى قبل العصر أربع ركعات يسلم في كل ركعتين على الملائكة المقربين والنبين ومن تبعهم من المؤمنين والمسلمين وروى الترمذي وحسنه من حديث علي قال كان النبي ﷺ يصلي قبل العصر أربع ركعات وأخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة من صلى قبل العصر أربعاً غفر الله له مغفرة عازماً .

﴿ وأخرج ﴾ الطبراني عن ابن عمر ﴿ رضي الله عنهما قال العلقمي بجانبه علامة الحسن ﴾ من صلى قبل العصر أربعاً حرمه الله على النار ﴿ أي كهر الله عنه بذلك ذنوبه فلا يعاقب بالنار عليها ويحتمل غير ذلك قال المناوي وفي رواية لم تمسه النار وفيه نذير أربع ركعات قبل العصر وعليه الشافعي وأخرج ابن أبي شيبة عن إبراهيم النخعي قال كانوا يستحبون قبل العصر ركعتين إلا أنهم لم يكونوا يعدونها من السنة وأخرج عن الشعبي أنه سئل عن الركعتين قبل العصر فقال إن كنت تعلم أنك تصليهما قبل أن يقيم فصل وما يدل على عدم تأكد سنة العصر بما أخرجه ابن أبي شيبة عن جماعة من التابعين أنهم ما كانوا يصلونها منهم أبو الأحوص والحسن البصري وقيس بن أبي حازم وسعيد بن جبير وعد صاحب الهداية من الحنفية السنن فذكر فيها وأربع قبل العصر وإن شاء ركعتين وراتبة المغرب ركعتان بعد الفريضة لم تختلف الرواية فيهما في الأحاديث إلا أن في حديث ابن عمر في الصحيحين وبعد المغرب ركعتين في بيته وهكذا هو في المواطن رواية يحيى بن يحيى والقعنبي وكذا هو في رواية ابن وهب واتفق العلماء على فضيلة فعل التوافل المطلقة في البيت .

واختلفوا في الرواتب فقال الجمهور الأفضل فعلها في البيت أيضاً وسواء في ذلك راتبة الليل والنهار وفصل بينهما مالك والثوري وبالع محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى فرأى أن سنة المغرب لا يجزئ فعلها في المسجد حكاه عبد الله بن أحمد في المسند فقال قلت لأبي أن رجلاً قال من صلى ركعتين بعد المغرب في المسجد لم تجزه إلا أن يصليهما في بيته لأن النبي ﷺ قال هذه من صلوات البيت قال من هذا قلت محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال ما أحسن ما قال أو ما أحسن ما نقل أو أترع وفي المغني لابن قدامة قيل لأحمد فإن كان منزل الرجل بعيداً قال لأدري وذلك لما روى سعد بن إسحاق عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ أتاهم في مسجد بني عبد الأشهل فصلى المغرب فرأهم يتطوعون بعدها فقال هذه صلاة البيوت رواه أبو داود وعن رافع بن خديج قال أنا رسول الله ﷺ في بني عبد الأشهل فصلى بنا المغرب في مسجدنا ثم قال اركعوا هاتين الركعتين في بيوتهم وعن جعفر بن ميمون قال كانوا يستحبون هاتين الركعتين بعد المغرب في بيوتهم .

قال الولي العراقي ويستثنى من تفضيل التوافل في البيوت ما شرعت فيه الجماعة كالعبدية والكسوف والاستسقاء وكذا التنفل قبل الزوال يوم الجمعة وبعده ففعله في المسجد أفضل لاستحباب التبرك للجمعة حكاه الجرجاني عن الأصحاب ونص عليه الشافعي في الأم وكذا ركعتا الطواف وركعتا الإحرام إن كان عند الميقات مسجد كما صرح به الأصحاب حكاه عنهم النووي في الحج وكذا ما يتعين له المسجد كخية المسجد والله أعلم وأما ركعتان قبل المغرب بين أذان المؤذن وإقامته على سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم كإبي بن كعب وعبادة بن الصامت وأبي ذر الغفاري وزيد بن ثابت وغيرهم قال الزبيدي وغيره وقال أبو بكر بن أبي شيبة

أحمد وأبو داود عن عبد الله المزني صلوا قبل المغرب ركعتين لمن شاء *

حدثنا الثقفى عن حميد عن أنس قال سئل عن الركعتين قبل المغرب قال رأيتهم إذا أذن المؤذن ابتدروا السورى فصلوا حدثنا عند رعن نعبة عن يعلى ابن عطاء عن أبي فزارة قال سألت أنس عن الركعتين قبل المغرب فقال كان يبد رهما على عهد رسول الله ﷺ وقال بعضهم لما صلى الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب أنا قد صلينا فيسأل أصليتم المغرب وقال البخارى فى الصحيح باب الصلاة قبل المغرب حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث عن الحسين عن ابن بريدة حدثنى عبد الله بن مغفل المزنى عن النبى ﷺ قال صلوا قبل صلاة المغرب قال فى الثالثة لمن شاء كراهية أن يتخذها الناس سنة حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا سعيد بن أبى أيوب حدثنى يزيد بن أبى حبيب قال سمعت مزهد بن عبد الله المزنى قال أتيت عبد الله بن عامر الجهنى فقلت ألا أعجبك من أبى تميم يركع ركعتين قبل صلاة المغرب فقال بئس ما كانفعله على عهد رسول الله ﷺ قلت فما يمتنع الآن قال الشغل.

﴿و﴾ أخرج ﴿أحمد وأبو داود عن عبد الله بن مغفل﴾ المزنى صلوا قبل المغرب ركعتين ﴿قال الحنفى ههنا من التفليز المؤكد ركعتين قبل العشاء وإن كرر طلبهما فى هذا الحديث حيث قال صلوا قبل المغرب ركعتين فالجملة الثانية تأكيد لاولى وقال فى الثانية ﴿لمن شاء﴾ دفعا لتوهم الوجوب قال ابن أبى شيبه حدثنا وكيع عن كهمس عن ابن بريدة عن عبد الله بن مغفل رفعه بين كل أذانين صلاة بين كل أذانين صلاة لمن شاء حدثنا عبد الأعلى عن الجريرى عن ابن بريدة مثله وهكذا هو عند البخارى تكرار القول ثلاث مرات فى آخره لمن شاء.

وقال البزار فى مسنده حدثنا عبد الواحد بن غياث عن حيان بن عبيد الله عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضى عنه مثله إلا أنه قال لا المغرب أى فانه ليس بين أذانها وأقامتها صلاة بل يندب المبادرة الى المغرب فى أول وقتها فلو استمرت المواظبة على الاشتغال بغيرها كان ذلك ذريعة الى مخالفة أدر الأول وقتها وبه تمسك أبو حنيفة فذكره النفل قبلها وتخص به خبر عبد الله بن مغفل وأخرج أبو داود باسناد حسن بن حديث ابن عمر قال ما رأيت أحدا يصلى ركعتين قبل المغرب على عهد رسول الله ﷺ وقال البزار بعد أن ذكر الحديث المذكور لا يعلم رواه الاحيان وهو بصرى مشهور لا بأس به انتهى وقال الهيثمى ضعفه ابن عدى وقيل انه اختلط وحكم ابن الجوزى بوضعه وقال تفرده حيان كذبه الناس وتعبه الحافظ السيوطى فى اللآلى المصنوعة فقال الذى كذبه الناس غير هذا وقال الولى العراقى ولا خلاف فى استحباب جميع النوافل المذكورة فى الأحاديث الا فى الركعتين قبل المغرب فهما وبخهان لأصحابنا أشهرهما لا يستحب والصحيح عند المحققين استحبابهما قال الزبيدى والذى صححه النووى انها سنة للأمر بهما فى حديث ابن مغفل عند البخارى وقال مالك بعدم لسنية وقال فى المجموع واستحبابهما قبل الشروع فى الإقامة فان شرع فيها كره الشروع فى غير المكروه وقال النجاشى انها بدعة لأنه يؤدى الى تأخير الفرض عن أول وقته وهذا قد منعه المصنف فى شرح مسلم وحكمة استحبابهما كما قاله ابن الجوزى وغيره رجاء اجابة الدعاء لأنه بين الأذانين لا يرد وكلما كان الوقت أشرف كان ثواب العبادة فيه أكثر ومجروح الأحاديث يدل على استحباب تحفيهما كركعتى الفجر.

وكان أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله تعالى يرى بالجواز وكان يصليهما عملا بما ورد فيهما فعاتبه الناس نظر الى ظاهر قول ابن مغفل فى حديثه كراهية أن يتخذها الناس سنة وهو عند البخارى أى سنة لازمة يواظبون عليها فتركها فقل له فى ذلك فقال لم أر الناس يصلونها فتركها لذلك وقال إن صلاهما الرجل فى بيته ثم يأتى المسجد فيصلى الفرض أو حيث لا يراه الناس فحسن فعلهما وقال الشيخ الأكبر قدس الله سره فى كتاب الشريعة والحقيقة هاتان الركعتان قبل المغرب سنة متروكة مغفول عنها فيها من الأجر ما لا يعلمه إلا الله فان الله

وعبد الرزاق عن مكحول مرسلًا من صلى بعد المغرب ركعتين قبل أن يتكلم كتبًا في عليين * والبيهقي عن حذيفة عجلوا الركعتين بعد المغرب لترفع مع العمل * وابن السنن عن أم سلمة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاة المغرب يدخل بيته فيصلّي ركعتين ثم يقول فيما يدعونا بقلب القلوب ثبت قلبي على دينك * والشيخان والترمذي وابن ماجه عن أم هريرة من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتي عشرة سنة * وابن نصر عن ابن عمر من صلى ست ركعات بعد المغرب قبل أن يتكلم غفر له ذنوب خمسين سنة * وابن نصر عن محمد بن المنكدر من صلى ما بين المغرب والعشاء فإنها صلاة الأوابين *

بين كل أذان واقامة صلاة كما ورد ذلك في الخبر وهي صلاة الأولياء وكان الصدر الأول يحافظون عليها وسبب ذلك ان النفل عبود اختيار والفرض عبودية اضطرار وعبودية الاضطرار تحتاج الى حضور تام بمعرفة ما ينبغي للسيد المعبود من الجلال والتزبه فتقوم عبود الاختيار لهذا المقام كالرياضة للنفس وكالعزلة بين يدي الخلوة فتنبه النفس بالنافلة قبل الفرض لما ينبغي للمصلّي أن يكون عليه في ح مناجاته سيده في عبادة الفرض فانه لا يستوي حال الشخص اذا قام الى صلاة فرض من صلاة نفل في قلبه واتباعه كحال شخص يذهب الى صلاة فرض من حديث وبيع أو شراء فينبههما من الحضور بون بعيد في الخاص والعام فلهذا شرع الشارع النفل بين يدي الفرض فهو كالصدقة على النفس بين يدي نحوهم فاعل الله ينبغي أن يحافظوا على ذلك وان كانوا على صلاتهم دائمين ثم ذكر المصنف أدلة في المغرب بعد الفريضة فقال.

﴿و﴾ أخرج ﴿عبد الرزاق عن مكحول مرسلًا﴾ وهو الشامي واستاده صحيح ﴿من صلى بعد المغرب ركعتين قبل يتكلم﴾ قال المناوي أي بشئ من أمور الدنيا ويحتمل الإطلاق وهو أول ﴿كتبًا﴾ أي الركعتان أي ثوابهما ﴿في عليين﴾ أي في مخصوص أعلى من غيره والأفكل أعمال الخير تكتب في عليين وهو علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عمله صلحاء الثقلين.

﴿و﴾ وأخرج ﴿البيهقي عن حذيفة﴾ بإسناد ضعيف ﴿عجلوا الركعتين﴾ اللتين ﴿بعد المغرب لترفع﴾ الى السماء ﴿العمل﴾ أي مع عمل النهار.

﴿و﴾ أخرج ﴿ابن السنن عن أم سلمة﴾ زوج النبي ﷺ ﴿رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من صلاة المغرب يدخل بيته فيصلّي ركعتين ثم يقول فيما يدعونا بقلب القلوب ثبت قلبي على دينك﴾ وطاعتك وهذه لأنه أن يكونوا ملازمين لمقام الخوف مشفقين من سلب التوفيق أفاده المناوي. ﴿و﴾ أخرج ﴿الشيخان والترمذي وابن ماجه عن هريرة﴾ قال العلقمي حديث ضعيف كما قاله الدمي ﴿من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن بالبناء للمفعول﴾ بعبادة ثنتي عشرة سنة ﴿قال المناوي والليل قد يفضل الكثير بمقارنة ما يخصه من الأوقات والأحوال.

﴿و﴾ أخرج ﴿ابن نصر عن ابن عمر﴾ رضي الله عنهما بإسناد ضعيف ﴿من صلى ست ركعات بعد المغرب قبل أن يغفر له ذنوب خمسين سنة﴾ قال المناوي أي الصفات الواقعة فيها ولا تعارض بينه وبين خبر الاثنين عشرون ذلك في الكفاية وهذا في ﴿و﴾ أخرج ﴿ابن نصر عن محمد بن المنكدر﴾ مرسلًا ﴿من صلى ما بين المغرب والعشاء﴾ يحتمل أن من شرطية والجواب بخذوذ فاز بالأجر العظيم أو بخذو ذلك ﴿فإنها صلاة الأوابين﴾ قال المناوي تمامه ثم تلا قوله تعالى انه كان للأوابين غفورا واحياء ما بين العشاءين مؤكدة.

والشيخان عنه صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ركعتين بعد العشاء قال النووي في المجموع يسن ركعتان قبل العشاء لخبرين كل أذانين صلاة وقال أيضا فيه يجب في سنة الظهر التعيين بالتي قبلها أو التي بعدها وإن لم يؤخر المقدمة وكذا كل صلاة لها سنة قبلها وسنة بعدها * وأبو داود والترمذي عن أبي أيوب الوتر حق على كل مسلم فمن أحب أن يوتر بخمس فليفعل ومن أحب أن يوتر بثلاث فليفعل ومن أحب أن يوتر بواحدة فليفعل * والبيهقي والحاكم أوتروا بخمس أو سبع أو تسع أو إحدى عشرة * ومسلم والترمذي عن جابر من خاف أن لا يقوم آخر الليل فليوتر آخره فليوتر آخر الليل فإن صلاة آخر الليل مشهودة وذلك أفضل * والنسائي وابن ماجه سنلت عائشة رضي الله عنها بأي شيء كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يقرأ في الأولى

﴿و﴾ يسن بعد عشاء ركعتان خفيفتان لما رواه ﴿الشيخان عنه﴾ أي عن محمد بن المنكدر قال ﴿صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ركعتين بعد العشاء قال النووي في المجموع﴾ شرح المذهب والحاكم في الباب ﴿يسن ركعتان قبل العشاء﴾ وحكاة لما وردى عن البويطي وذلك ﴿لخبرين كل أذانين﴾ أي اذان واقامة فغلب وحمل أخذ الاسمين على الآخر سائق شائع كالقمرين ذكره البخاري وغيره وتبعه القاضي فقال غلب الأذان على الإقامة وسماها باسم واحد وقال جماعة لاحاجة الى ارتكاب الغلب فان الإقامة اذان حقيقة لأنها اعلام بحضور فعل الصلاة كما أن الأذان اعلام بدخول الوقت فهو حقيقة لغوية واليه جنح الطيبين ﴿صلاة﴾ أي راقية صلاة ونكرت لتناول كل عدد نواه المصلي من الفعل كركعتين أو أربع أو أكثر ويحتمل أن يكون المراد به الحث على المبادرة الى المسجد عند سماع الأذان لانتظار الإقامة لأن منظر الصلاة في صلاة قاله ابن المنير وإنما لم يجر ذلك على ظاهره لأن الصلاة بين الأذانين مفروضة والخبر ناطق بالتخير لقوله بعد ﴿لمن شاء﴾ أن يصلي قال في النهاية يزيد بها السنن الرواتب التي تصلى بين الأذان والإقامة قبل الفرض أخرجه أحمد وأبو بكر بن أبي شيبة والسنن كلهم من حديث عبد الله بن مغفل .

﴿وقال﴾ النووي ﴿أيضا﴾ أي كما تقدم ﴿فيه﴾ أي في شرح المذهب ﴿يجب في سنة الظهر التعيين بالتي قبلها أو التي بعدها وإن لم يؤخر المقدمة وكذا﴾ يجب التعيين ﴿كل صلاة لها سنة قبلها وسنة بعدها﴾ يسن وتر بعد العشاء وقبل طلوع الفجر ويحصل بركة أو ثلاث أو خمس أو سبع أو تسع أو إحدى عشرة لما رواه ﴿أبو داود والترمذي عن أبي أيوب الوتر حق﴾ أي مؤكد لا واجب بدليل حديث هل على غيرها ﴿على كل مسلم فمن أحب أن يوتر بخمس فليفعل ومن أحب أن يوتر بواحدة فليفعل و﴾ روى ﴿البيهقي﴾ روثق رجاله ﴿والحاكم﴾ وصححه على شرط الشيخين ﴿أوتروا﴾ أي صلوا صلاة الوتر بعد فعل العشاء ﴿بخمس أو سبع أو تسع أو إحدى عشرة﴾ فان زاد عليها باحرام واحد بطل الجمع ان كان عامدا عالما والواقع فلا مطلقا فان فعلها صح التحريم خمس مرات . وبطل السادس ان كان عامدا عالما ولا انعقد فلا مطلقا أفاده الرملي كما نقله بعضهم .

﴿و﴾ يسن أن يوتر بعد صلاة التراويح في الجماعة إلا أن وثق باستيقاظه آخر الليل فالأخير أفضل لما رواه ﴿مسلم والترمذي عن جابر من خاف أن لا يقوم آخر الليل فليوتر أوله وطمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل﴾ أظهر في مقام الاضمار ثلاثتهم عود الضمير على الأول أو الآخر وكلاهما فاسد ﴿فان صلاة آخر الليل مشهودة﴾ أي تشهد ها الملائكة ﴿وذلك أفضل﴾ أي الصلاة آخره أفضل منها أوله وأتى بإشارة البعيد مع قرب المشار اليه إشارة الى بعد منزلته وعلوها .

﴿و﴾ يسن لمن أوتر بثلاث أن يقرأ في الأولى سبح . وفي الثانية للكاكفرون وفي الثالثة الإخلاص والمعوذتين لما رواه ﴿النسائي وابن ماجه سنلت عائشة رضي الله عنها . بأي شيء كان يوتر رسول الله ﷺ قالت كان ﷺ يقرأ في﴾ الركعة ﴿الأولى﴾

بسبح اسم ربك الأعلى وفي الثانية بقل يا أيها الكافرون وفي الثالثة بقل هو الله أحد والمعوذتين * ويسن أن يقرأ في كل من أولى الوتر بالإخلاص * وأبو داود والترمذي عن أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم في الوتر قال سبحان الملك القدوس ثلاث مرات يرفع في الثالثة صوته * ومما عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في آخر وتره اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك *

بعد الفاتحة ﴿ بسبح اسم ربك الأعلى وفي ﴾ الركعة ﴿ الثانية ﴾ بعدها ﴿ بقل يا أيها الكافرون وفي ﴾ الركعة ﴿ الثالثة ﴾ كذلك ﴿ بقل هو الله أحد والمعوذتين ﴾ وأخرج الطحاوي عن حسين بن نصر حدثنا سعيد بن عفير حدثنا يحيى بن أيوب عن يحيى ابن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الركعتين اللتين كان يوتر بهما بسبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها الكافرون ويقرأ في الوتر قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس وسئل العلامة ابن حجر عن نسي قراءة سبح وقل يا أيها الكافرون في الوتر فهل يقرأه إذا تذكر ذلك في الثالثة فيما إذا وتر ثلاث ركعات أو لا فأجاب بقوله إن وصلها فالقياس أنه يتدارك في الثالثة نظير ما لو ترك سورتي أولي المغرب فإن القياس كما بينته في شرح العباد أنه يتداركهما في ثالثهما وأنا إذا فصلها فالظاهر أنه لا يتدارك ويفرق بأن الأولى صارت الثلاثة فيها صلاة واحدة فلحق بعضها نقص بعض فشرع فيها التدارك جبراً لذلك التقص بخلاف الثانية فإن الثالثة بالفصل صارت كأجنبية عن الأولى فلم يشرع تدارك فيها .

﴿ ويسن أن يقرأ في كل من أولى الوتر بالإخلاص ﴾ وأن يقول بعد الوتر ثلاثاً سبحان الملك القدوس ويرفع صوته في الثالثة لما رواه ﴿ أبو داود والترمذي عن أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم في الوتر قال سبحان الملك القدوس ثلاث مرات يرفع في الثالثة صوته ﴾ وقال الغزالي يستحب بعد التسليم من الوتر أن يقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والأرض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدره وقهرت العباد بالموت انتهى وذلك ثلاث مرات كما ذكره صاحب القوت ثم يقول اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وذلك لخبر ذكره بقوله ﴿ ومما ﴾ أي وأخرج أبو داود والترمذي ﴿ عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في آخر وتره اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك ﴾

قال المناوي استعاذ بمعافاته بعد استعاذته برضاه لأنه يحتمل أن يرضى عنه من جهة حقوقه ويماقبه على حق غيره ﴿ وأعوذ بك منك ﴾ أي برحمتك من عقوبتك قال الخطابي ونقله العلقمي فيه معنى لطيف وذلك أنه استعاذ بالله وسأل أن يحيره برضاه من سخطه ومعافاته من عقوبته والرضا والسخط ضدان متقابلان وكذلك المعافاة والعقوبة فكما صار إلى ذكرهما لاضدله وهو الله تعالى استعاذ عتته منه لا غير ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب في حق عبادته والثناء عليه انتهى وقال ذلك أي أعوذ بك منك ترقية الأفعال إلى منشيء الأفعال مشاهدة للحق وغيبة عن الخلق وهذا محض المعرفة الذي لا يعبر عنه قول ولا يضبطه وصف ﴿ لا أحصى ثناء عليك ﴾ أي لا أطيقه في مقابلة نعمة واحدة وقيل لأحيط به وقال مالك معناه لا أحصى نعمتك وإحسانك والثناء بها عليك وإن اجتهد في الثناء عليك ﴿ أنت كما أثنيت على نفسك ﴾ بقوله تعالى فله الحمد الآية وغير ذلك مما حمد به نفسه قاله اعترافاً بالعجز عن تفصيل الثناء وأنه لا يقدر على بلوغ حقيقته وردا الثناء إلى الجملة دون التفصيل والاحصاء والتعريف فوكل ذلك إلى الله سبحانه وتعالى المحيط بشيء علماً جملة وتفصيلاً وكما أنه لا نهاية لصفاته لا نهاية للثناء عليه لأن الثناء تابع للمشي عليه فكل ثناء أثنى به عليه وإن كثر وطال و

فيه قدرة الله أعظم وسلطانه أعز وصفاته أكبر وأكبر فضله وأحسنه أوسع وأوسع .

وقال بعضهم ومعنى ذلك اعترافه بالعجز عند مظهره من صفات جلاله وكماله وحمديته مما لا ينتهي الى عده ولا يوصل الى حده ولا يحصى عقل ولا يحيط به فكر وعند الانتهاء الى هذا المقام انتهت معرفة الأنام ولذلك قال الصديق عليه السلام العجز عن درك الإدراك إدراك وفي هذا الحديث دليل لأهل السنة على جواز إضافة الشر الى الله تعالى كما يضاف إليه الخير لقوله أعوذ برك من سخطك وبمعافتك من عقوبتك وعند الشافعية أحسن الثناء على الله تعالى لأخصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فلوحلف شخص لثنتين على الله أحسن الثناء فطريق البر أن يقول ذلك لأن أحسن الثناء ثناء الله على نفسه أبلغ الثناء وأحسنه وأنا بجامع الحمد واجله فالحمد لله حمد إياي نعمه ويكافئ مزيده فلوحلف ليحمدن الله بجامع الحمد أو بجل التحاميد فطريقه أن يقول ذلك يقال إن جبريل عليه السلام قاله لآدم عليه الصلاة والسلام وقال قد علمتك بجامع الحمد .

* مهمات * الأولى قال الرافعي يستحب القنوت في الوتر في النصف الأخير من شهر رمضان فإن أوتر بركنة قنت فيها وإن أوتر بأكثر قنت في الأخير ولنا وجه أنه يقنت في جميع السنة قاله أربعة من أئمة أصحابنا أبو عبد الله الزيري وأبو الوليد النيسابوري وأبو الفضل بن عبدان وأبو منصور بن مهران والضحج اختصاص الاستحباب بالنصف الثاني من رمضان وبه قال جمهور الأصحاب وظاهر نص الشافعي كراهة القنوت في غير هذا النصف ولوترك القنوت في موضع يستحب سجد للسهو وحكى الرويانى وجهها أنه يجوز القنوت في جميع السنة بلا كراهة ولا يسجد للسهو بتركه في غير النصف قال وهذا اختيار طبرستان واستحسنه والثانية في موضع القنوت في الوتر أوجه أصحابها بعد الركوع ونص عليه في حرملته والثاني قبل الركوع قاله ابن سريج والثالث بتخير بينهما فإذا قدمه فالأصح أنه يقنت بـ لا تكبير والثاني يكبر بعد القراءة ثم يقنت والثالثة استحب الأصحاب أن يضم الى القنوت قنوت عمر عليه السلام اللهم انا نستعينك ونستغفرك الى قوله ملحق ثم يقول عذب كفره أهل الكتاب الذين يصدون عن سبيلك ويقاتلون أوليائك اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات وأصلح ذات بينهم وألف بين قلوبهم واجعل في قلوبهم الإيمان والحكمة وثبتهم على ملة رسولك وأوزعهم أن يوفوا بعهدك الذي عهدتهم عليه وانصرهم على عدوك وعدوهم الى الحق واجعلنا منهم وهل الأفضل أن يقدم قنوت عمر على قنوت الصبح أو يخرجه وجهان قال النووي الأصح تأخيرها لأن قنوت الصبح ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الوتر وينبغي أن يقول اللهم عذب الكفرة للحاجة الى التعميم في أرمنتنا والله أعلم انتهى قال الرويانى قال ابن القاضي يزيد في القنوت ربنا لا تأخذنا واستحسنه .

* تنبيه * أعلم أنه اختلف العلماء في صلاة الضحى فطائفة أنكروها وعندها بدعة لما روى البخاري في صحيحه عن مسدد عن يحيى عن شعبة عن توبة عن مروق قال قلت لابن عمر أتصلي الضحى قال لا قلت فبعض قال لا فابكر قال لا قلت فالتبي صلى الله عليه وسلم قال لا إخاله وأخرج هو ومسلم وأبو داود والنسائي عن طريق الزهري عن عروة عن عائشة قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحة الضحى وإنى لأسبحها وفي مصنف ابن أبي شيبة عن ابن عمر قال ما ضليت الضحى منذ أسلمت إلا أن أطوف بالبيت وأنه سئل عن صلاة الضحى قال وللضحى صلاة وأنه سئل عنها فقال إنها بدعة وعن ابن عبيدة قال لم يجبرني أحد من الناس أنه رأي ابن مسعود يصلي الضحى وعن علقمة أنه كان يصلي الضحى وحكى ابن بطلان أن عبد الرحمن بن عوف كان لا يصلي الضحى وعن أنس أنه سئل عن صلاة الضحى فقال الصلوات خمس فهذا مجموع ما احتج به المنكرون .

وأحمد والترمذي عن أبي هريرة من حافظ على شفعة الضحى غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر *

والذي عليه جمهور العلماء من السلف والخلف استحباب هذه الصلاة ولذا قال حجة الإسلام الغزالي إن المواظبة عليها من عزائم الأفعال وفواضلها وقد ورد فيها أحاديث كثيرة صحيحة مشهورة حتى قال محمد بن جرير الطبري أنها بلغت حد التواتر وفي مصنف ابن أبي شيبة عن ابن عباس أنها في كتاب الله ولا ينفوس عليها الأغواص ثم قرأ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال وقال القاضي ابن العربي وهي كانت صلاة الأنبياء قبل محمد صلوات الله وسلامه عليهم قال الله تعالى مخبرا عن داود أناسخرا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق فأبقى الله من ذلك في دين محمد العصر صلاة العشي ونسخ صلاة الإشراق وفي المسند لابن أبي شيبة فعل صلاة الضحى عن عائشة وأبي ذر وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والضحاك وابن مجاز.

وقال النووي في شرح مسلم وأما ما صح عن ابن عمر أنه قال في الضحى هل بدعة محمول على أن صلاتها في المسجد والظاهر بها كما كانوا يفعلونه بدعة لأن أصلها في البيوت ونحوها مذموم أو يقال قوله بدعة أي المواظبة عليها لأن النبي ﷺ لم يواظب عليها خشية أن تفرض وهذا في حقه ﷺ وقد ثبت استحباب المحافظة في حقا بمحدث أبي الدرداء ويقال ابن عمر لم يبلغه فعل النبي ﷺ الضحى وأما بها وكيف كان فجمهور العلماء على استحباب الضحى وإنما نقل التوفيق فيها عن ابن مسعود وعن ابن عمر انتهى قال الولي العراقي في شرح الترمذي الظاهر أن من عد صلاة الضحى بدعة لا يراها من البدع المذمومة بل هي بدعة محمودة فإن الصلاة خير موضوع وليس فيها ابتداء أمر ينكره الشرع ولذلك عفت عائشة رضي الله عنها النفي بقولها واني لأسبحها وفي مصنف ابن أبي شيبة عن ابن عمر أنه سئل عنها فقال بدعة ونعت البدعة وأنه كان لا يصلّيها وإذا رآهم يصلونها قال ما أحسن ما أحدثوا سبحتهم هذه وإذا كان كذلك فقد حصل الإجماع على استحبابها وإنما اختلفوا في أنها مأخوذة من سنة مخصوصة أو من عموميات استحباب الصلاة فتوقف هذا القائل الثاني في إثبات هذا الاسم الخاص لها والله أعلم ثم قال وإذا قلنا باستحباب صلاة الضحى فهل الأفضل المواظبة عليها أو فعلها في وقت وتركها في وقت الظاهر الأول لقوله ﷺ أحب العمل إلى الله ما دام عليه صاحبه وإن قل وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت صوم ثلاثة أيام من كل شهر وصلاة الضحى ونوم على وتر.

﴿ور﴾ أخرج ﴿أحمد والترمذي عن أبي هريرة﴾ رضي الله عنهم ﴿من حافظ على شفعة الضحى﴾ قال العلقمي قال العراقي المشهور في الرواية ضم الشين والمهروى وابن الأثير أنها تروى بالفتح والضم وهي مأخوذة من الشفع وهو الزوج والمراد ركعتا الضحى ﴿غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر﴾ وهو ما يعلو على وجهه عند هيجانه مبالغة في الكثرة والمراد الصغائر وقال الحافظ العراقي في شرح الترمذي أشهرين كثير من العوام أنه من صلى الضحى ثم قطعها يحصل له عسى فصار كثير من الناس لا يصلونها خوفا من ذلك وليس لهذا أصل ألبتة لأن السنة ولأن قول أحد من الصحابة ولأن التابعين ومن بعدهم والظاهر أن هذا مما ألقاه الشيطان على السنة العوام لكن يتركوا صلاة الضحى دائما ليفوتهم بذلك خير كثير وهو أنها يقومون عن سائر التسيح والتكبير والتهليل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي ذر وحاصل ما أجابوا به عن حديث عائشة المتقدم ما رأيت النبي ﷺ يسبح سبح الضحى قط واني لأسبغها تضعيف النفي لكونه متعارضاً بالأحاديث الصحيحة المشهورة عن الصحابة أنه ﷺ صلى الضحى وأوصوا بها والمثبت مقدم على الثاني وحمله على المداومة أو على وفيتها أو على عدد الركعات أو على إعلانها أو على الجماعة فيها.

وأبو الشيخ عن أنس ركنان من الضحى تعدلان عند الله بحجة وعمره مقبلتين * وسمويه عن سعد من سبج سبجة الضحى حولاً حولاً كعب له براءة من النار * والطبراني عن أبي هريرة إن في الجنة باباً يقال له الضحى فإذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا يديون على صلاة الضحى هذا بابكم فادخلوه برحمة الله * والديلمي عن عباد الله بن جراد: المنافق لا يصلي صلاة الضحى ولا يقرأ قل يا أيها الكافرون *

فهذه ستة أجوبة الأول أشار إليه محمد بن جرير الطبري وهو ضعيف لأن حديث النبي ثابت في الصحيحين ورواته أعلام حفاظ لا ينطرق إليه احتمال الخلل اليهم والثاني اختاره البيهقي وحكاؤه النووي في الخلاصة وحكاؤه صاحب الإكمال بصيغة التعريض ولم يرتضه والثالث أشار إليه القاضي والنووي في شرح مسلم والرابع أشار إليه القاضي والخامس ذكره ابن بطال والسادس ذكره ابن عباس القرطبي وزيد الجواب الخامس ما روى عن عائشة أنها كانت تغلق على نفسها الباب ثم تصلي الضحى وقول مسروق كما قرأ في المسجد فنبقى بعد قيام ابن مسعود ثم تقوم فنصلي الضحى فبلغ ابن مسعود ذلك فقال لا تحملوا عباد الله ما لم يحملهم الله إن كنتم لابد فاعلين ففي يوتكم وكان أبو جعفر يصلي الضحى في بيته وكان مذهب السلف الاستمرار بها وترك اظهارها للعامة لتلايروها واجبة،

﴿وخرج﴾ أبو الشيخ ﴿ابن حبان﴾ عن أنس ﴿باسناد ضعيف﴾ ركنان من الضحى تعدلان عند الله بحجة وعمره مقبلتين ﴿أي لمن لم يستطع الحجة والعمره﴾ ﴿خرج﴾ سمويه عن سعد ﴿بن أبي وقاص﴾ من سبج سبجة الضحى ﴿أي صلى صلاته﴾ حولاً حولاً ﴿وفي رواية حولاً بمجر ما بالجيم كمعظم أي حولاً تاماً﴾ كعب له براءة من النار ﴿أي خلاص منها﴾ ﴿وخرج﴾ الطبراني عن أبي هريرة ﴿قال العزيزي حديث حسن﴾ أن في الجنة باباً يقال له الضحى ﴿أي يسمى باب الضحى﴾ فإذا كان يوم القيامة نادى مناد ﴿من قبل الله﴾ أين الذين كانوا يديون على صلاة الضحى هذا بابكم ﴿أي فيأتون فيقال لهم هذا بابكم الذي أعده الله لكم جزاء لصلواتكم الضحى وقال الحنفى وهذه الخصوصية لمن لم يتركها إلا نادراً بعد تركه كمرض﴾ فادخلوه برحمة الله ﴿تعالى لا بأعمالكم فالمدواة على صلاة الضحى لا توجب الدخول منه وإنما الدخول بالرحمة ومقصود الحديث بيان شرف الضحى وأن فعلها مندوب ندباً مؤكداً.

﴿وخرج﴾ الديلمي عن عبد الله بن جراد ﴿باسناد ضعيف كما في العزيزي﴾ المنافق لا يصلي صلاة الضحى ولا يقرأ قل يا أيها الكافرون ﴿أي علامته أنه لا يفعلها فاداً وجد من هو مداوم على تركها أشعر بنفاق في قلبه ولعل هذا خرج مخرج الزجر عن تركها قال الحنفى فمن لازم ذلك دل على عدم ثقافته واعلم أن أقل صلاة الضحى ركنان دل على ذلك حديث تقدم ذكره وهو كذلك بالإجماع وإنما اختلفوا في أكثرها.

فحكى النووي في شرح المذهب عن أكثر الأصحاب أن أكثرها ثمان وذكره الغزالي وهو مذهب الحنابلة كما ذكره ابن قدامة في منية وحزم الرافعي في الشرح الصغير والحرر والنووي في الروضة والمنهاج تبعاً للرواية بأن أكثرها ثمان عشرة ركعة وورد فيه حديث ضعيف رواه البيهقي وغيره عن أبي ذر ﴿مرفوعاً أن صليت الضحى ركعتين لم تكب من الغافلين وإن صليتها أربعاً كتبت من المحسنين وإن صليتها ستاً كتبت من القانتين وإن صليتها ثمانياً كتبت من الفائزين وإن صليتها عشراً لم يكب لك ذلك اليوم ذنب وإن صليتها ثنتي عشرة بنى الله لك بيتاً في الجنة﴾ أشار البيهقي إلى ضعفه بقوله في استناده نظر وذكر أبو حاتم الرازي أنه روى عن أبي ذر وأبي الدرداء قيل له أيها أشبه قال جميعاً مضطربين ليس لهما في الرواية معنى قال الزيدى الآن المنذرى قال في حديث أبي الدرداء وجاله ثقات ولفظه

والشيخان عن أم هانئ رضي الله عنها قالت إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتي يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثماني ركعات فلم أر صلاة قط أخف منها غير أنه يتم الركوع والسجود وذلك ضحى * وابن حبان عن عقبة بن عامر صلوا ركعتي الضحى بسورتها والشمس وضحاها والضحى وورد في حديث رواه العقيلي كان صلى الله عليه وسلم يقرأ فيهما قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد

عند الطبراني في الكبير من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين ومن صلى أربعاً كتب من العابدين ومن صلى ستاً كفى ذلك اليوم ومن صلى ثمانية كتب من القانتين ومن صلى اثنتي عشرة بنى الله له بيتاً في الجنة وروى الترمذي في المعجم المفرد من طريق يونس بن بكير عن أبي إسحاق حدثني موسى بن خاف بن أنس عن عمه ثمامة بن أنس عن أنس عن النبي ﷺ قال من صلى الضحى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصر من ذهب في الجنة وقال سألت محمداً فقال هذا حديث يونس بن بكير ولم يصرف من حديث غيره وقال الروياني في الحلية أكرها ثنتا عشرة ركعة وكلما زاد كان أفضل وقال الحلبي الأمر في مقدارها إلى المصلى كسائر التطوع وهما غزيران في المذهب وبذلك قال بعض السلف قال محمد بن جرير الطبري بعد ذكره اختلاف الآثار في ذلك الصواب إذا كان الأمر كذلك أن يصلها من أراد على ما شاء من العدد وقد روى هذا عن قوم من السلف ثم روى بإسناده أن الأسود سئل كم أصلى الضحى قال كم شئت ولما ذكر النوى في الروضة أن أكرها ثنتا عشرة قال وأفضلها ثمان وقال في شرح مسلم أكملها ثمان ركعات وأوسطها أربع ركعات أوسط .

﴿ واحتج القائلون أن أكرها ثمان بهذا الحديث الذي رواه الشيخان عن أم هانئ ﴾ فاخته وقيل هند أخت علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهي شقيقته أمها فاطمة بنت أسد بن هاشم أسلمت عام الفتح وعاشت بعد علي دهرًا طويلاً روى لها الجماعة ﴿ رضي الله عنها قالت إن النبي ﷺ دخل بيتي يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثماني ركعات فلم أر صلاة قط أخف منها غير أنه يتم الركوع والسجود وذلك ضحى ﴾ وأخرجه مالك في الموطأ ومسلم من طريق أبي مرة عنها نحوه وأخرجه ابن خزيمة من طريق كريب عنها وزاد مسلم من كل ركعتين وفي المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع حدثنا ابن أبي خالد عن أبي صالح مولى أم هانئ قالت دخل علي رسول الله ﷺ بيتي يوم فتح مكة فوضعت له ماء فاغتسل ثم صلى ثمان ركعات صلاة الضحى لم يصلهن قبل يومه ولا بعده حدثنا شعبه عن عمرو بن مرة عن ابن أبي ليلى قال لم يخبرنا أحد من الناس أن النبي ﷺ صلى الضحى إلا أم هانئ فأنها قالت دخل علي رسول الله ﷺ بيتي يوم فتح مكة فاغتسل ثم صلى ثمان ركعات فحجف فيهن الركوع والسجود لم أره صلاهن قبل يومئذ ولا بعده حدثنا ابن عينة عن يزيد عن ابن أبي ليلى قال أدركت الناس وهم متوافرون أو متوافون فلم يخبرني أحد أن النبي ﷺ صلى الضحى إلا أم هانئ فأنها أخبرتنني أنه صلاها ثمان ركعات حدثنا أبو خالد عن أبي إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي مرة مولى أم هانئ أن النبي ﷺ صلى الضحى ثمان ركعات ﴿ ويسن أن يقرأ فيها سورتى الشمس والضحى لحديث رواه ابن حبان ﴾ والبيهقي والديلمي ﴿ عن عقبة بن عامر ﴾ وهو حديث ضعيف كما قاله العزيمى ﴿ صلوا ركعتي الضحى ﴾ ندبا ﴿ بسورتها ﴾ وهما ﴿ الشمس وضحاها والضحى وورد في حديث رواه العقيلي كان ﷺ يقرأ فيهما ﴾ أي في ركعتي الضحى ﴿ قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ﴾ .

وقد ذكر الجلال السيوطي أن الأفضل أن يقرأ في الركعة الأولى منها بعد الفاتحة سورة الشمس وتمامها وفي الثانية الفاتحة وسورة الضحى للمناسبة ولما ورد في ذلك وتبعه ابن حجر لكن الذي ذهب إليه الرملي واعتمده أنه يقرأ في الأولى الكافرون وفي الثانية الاخلاص ويفعل ذلك في كل ركعتين منها قال وهما أفضل في ذلك من الشمس والضحى وإن وردتا أيضاً في السورة الأولى تعدل ربع القرآن وللتانية ثلث القرآن انتهى . وعلى هذا فالجميع بين القولين أولى بأن يقرأ في الأولى سورة الشمس والكافرون وفي الثانية الضحى

ورود بعد الضحى رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور مائة مرة *

والإخلاص ثم يأتي الركعات يقتصر على الكافرون والإخلاص.

* فائدة * إذا فرغ من صلاته دعا بهذا الدعاء وهو اللهم ان الضحاء ضحاؤك والبهاء بهاؤك والجمال جمالك والقوة قوتك والقدرة قدرتك والعصمة عصمتك اللهم ان كان رزقي في السماء فأنزله وان كان في الأرض فأخرجه وان كان معسرا فيسره وان كان حراما فطهره وان كان بعيدا فاقربه بحق ضحائك وبهائك وجمالك وقوتك وقد رتبك آتني ما آتيت عبادك الصالحين قال في المسلك القريب يضيف اليه اللهم بك أصاول وبك أنحاول وبك أقاتل ثم يقول ما ذكره بقوله ﴿ وورد بعد الضحى رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور مائة مرة ﴾ أو أربعين مرة كما أفاده بعضهم .

* تمة * وقت صلاة الضحى إذا زالت الشمس من مطلعها قد رزح أو ربح فقد أخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث علي كان نبي الله ﷺ إذا زالت الشمس من مطلعها قد رزح أو ربح فقد رزح صلاة العصر من مغربها صلى ركعتين ثم أمهل حتى إذا ارتفع الضحى صلى أربع ركعات لفظ النسائي وقال الترمذي حديث حسن وقال الرافعي وقتها من حين يرتفع الشمس الى الاستواء وقال النووي نقلا عن الأصحاب وقتها من طلوع الشمس ويستحب تأخيرها الى ارتفاعها قال المازدي وقتها المختار إذا مضى ربع النهار وحزم به النوى في التحقيق والمعنى في ذلك كما قاله الفزالي أن لا يخلو كل ربع من النهار عن عبادة وقال ابن قدامة في المعنى وقتها إذا علت الشمس واشتد حرها لقول النبي ﷺ صلاة الأوابين حين ترمض الفصال رواء مسلم وظاهره أنه بيان أول الوقت لا الوقت المختار فانه لم يذكر غير ذلك وقال ابن العربي في هذا الحديث الإشارة الى الإقداء بسيدنا داود عليه السلام في قوله أنه أواب أنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق فنبه على أن صلاته كانت إذا أشرقت الشمس فأثر خرها في الأرض حتى تجدها الفصال حارة لا تبرك عليه بخلاف ما تضع الغفلة اليوم فانهم يصلونها عند طلوع الشمس بل يريد الجاهلون فيصلونها وهي لم تطلع قد رزح ولا ربح يعتمدون بجهلهم وقت النهي بالاجماع انتهى وعقد أبو بكر بن شيبه في المصنف بابا في بيان الوقت الذي تصلى فيه الضحى فأخرج فيه عن عمرو بن الخطاب قال أضحوا عباد الله بصلاة الضحى وعن أبي رملة الأزدي عن علي أنه رأىهم يصلون الضحى عند الطلوع الشمس فقال هلا تركوها حتى إذا كانت الشمس قيد رمح أو ربحين صلوها فذلك صلاة الأوابين ومن طريق النعمان بن ناقد أن عليا خرج فترآى قوما يصلون الضحى عند طلوع الشمس فقال ما لهم نحروها نحرم الله فهلا تركوها حتى إذا كانت بالجين صلوا فذلك صلاة الأوابين وعن يزيد بن مرون عن محمد بن عمرو قال كان أبو سلمة لا يصلى الضحى حتى تيل الشمس قال وكان عروة يجيء فيصلى ثم يجلس .

* فضيلة قيام الليل *

أما من الآيات فتقوله عز وجل ان عليك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل الآية فقد قرن الله سبحانه وتعالى قيام الليل برسوله ﷺ وجمعهم معه في شكر المعاملة وحسن الجزاء فقال وطائفة من الذين منك وقوله تعالى ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا قال مجاهد معناه أشد مواطأة لك في القول وأقوم قيلا أفرغ قلبك رواء لمين جرير ومحمد بن نصر وأما ناشئة الليل فالمراد به قيام الليل بلسان الحبشة روى ذلك عن ابن عباس أخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير ومحمد بن نصر وابن المنذر والبيهقي في السنن وأخرج محمد بن نصر عن أبي مجلز قال ما كان بعد العشاء الآخرة الى الصبح فهو ناشئة وقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا أي تبرغض الفراش فلا تظمن لما فيها من خوف الوعيد ورجاء الموعد ثم قال فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما

ومسلم عن أبي هريرة أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل * والدليمي عن جابر ركتان في جوف الليل تكفوان الخطايا * وأحمد
والترمذي عن بلال عليكم بقيام الليل فإنه ذاب الصالحين قبلكم وقرية إلى الله تعالى ومنهية عن الإثم ومكفرة للسيئات ومطرودة للداء عن
الجيد * وابن نصر عن حسن بن عطية مرسلا ركتان يركبهما ابن آدم في جوف الليل الآخر خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على
أمتي لفرضتها عليهم * ومسلم عن جابر إن في الليل لساعة

كانوا يعملون قيل عملهم كان قيام الليل وقيل كانوا أهل خوف ورجاء وهذا من أعمال القلوب عن مشاهدة الغيوب فلما أخفوا له لاجل
أعمال السر أترأخى من الحراء نفيس الذخائر وقوله عز وجل آمن هوقانت آباء الليل الآية فقد سمى الله تعالى أهل الليل علماء وجعلهم أهل
الخوف والرجاء وأخفى لهم قرة أعين فقال آمن هوقانت آباء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ثم قال تعالى قل هل يستوى
الذين يعلمون والذين لا يعلمون وهذا من المحذوف ضده دلالة الكلام عليه والمعنى آمن هو هكذا عالم قانت مطيع لا يستوى مع من هو غافل
ثامم ليله أجمع فهو غير عالم فيما يحذر ويرجو من ربه عز وجل وقوله تعالى في وصفهم في الدنيا ووصف ما أعد لهم في الآخرة والذين يستون
لرهم سجدا وقائما وقال بعض العلماء في تفسير قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة هي قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة
النفس والمعنى استعينوا بها على مجادتها ومعايرة العدو ثم قال سبحانه وتعالى وإنا لكبيره الأعلى الخاشعين يعني الخائفين المواقفين
لا يتقل عليهم ولا يتجولون تخف وتخلو من الآيات الدالة على فضل قيام الليل قوله تعالى وبالإسحار هم يستغفرون قيل معناه يضلون
والمراد بها صلاة الليل وقوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون.

﴿و﴾ من الأخبار فكثير منها رواه ﴿مسلم عن أبي هريرة﴾ ﴿أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل﴾ ﴿منها ما رواه
﴿الدليمي﴾ قال العزيمى حديث حسن غيره ﴿عن جابر ركتان في جوف الليل﴾ أى بعد نوم ﴿تكفوان الخطايا﴾ أى الصفائر ﴿و﴾
منها ما رواه ﴿أحمد والترمذي﴾ والحاكم والبيهقي ﴿عن بلال﴾ والترمذي والحاكم والبيهقي عن أبي أمامة الباهلي وابن عساكر عن أبي
الدرداء والطبراني عن سلمان الفارسي وابن السني عن جابر وهو حديث صحيح كما قاله العزيمى ﴿عليكم بقيام الليل﴾ أى التهجد فيه
﴿فانه ذاب الصالحين قبلكم﴾ أى عادتهم وشأنهم قال الطيبي أى هي عادة قديمة واطب عليها الأنبياء والأولياء السابقين ﴿وقرية إلى الله
تعالى ومنهية﴾ بفتح الميم وسكون النون ﴿عن الإثم﴾ قال في النهاية أى حالة من شأنها أن تنتهى عن الإثم أو هي مكان يختص بذلك وهي
مفعلة من النهي والميم زائدة ﴿ومكفرة للسيئات﴾ قال النيسابوري أى خصلة تكفر سيئاتكم ﴿مطرودة للداء عن الجسد﴾ قال في النهاية
أى حالة من شأنها إبعاد الداء أو مكان مختص به وهى مفعلة من الطرد انتهى والمعنى إن قيام الليل قرية تقر بكم إلى ربكم وخصلة تكفر سيئاتكم
تكم وتنهاكم عن المحرمات وتطرد الداء عن أجسادكم.

﴿و﴾ منها ما رواه ﴿ابن نصر عن حسان بن عطية مرسلا﴾ قال المناوي تابعى ثقة لكنه قد رى انتهى وهو حديث حسن كفاي
العزيمى ﴿ركتان يركبهما ابن آدم في جوف الليل الآخر﴾ وهو ثلثه ﴿خير له من الدنيا وما فيها﴾ من النعيم لو فرض أنه حصل له وحده
وتنعم به وحده قال العزيمى أى نعيم ثوابها خير من كل ما يتنعم به في الدنيا لأن ثوابها يبقى ويدوم تنعمه بخلاف الدنيا وما فيها وما عليها
﴿ولولا أن أشق على أمتي لفرضتها﴾ أى أوجب الركتين ﴿عليهم﴾ وهذا صريح في عدم وجوب التهجد على الأمة ﴿و﴾
منها ما رواه أحمد و﴿مسلم عن جابر﴾ بن عبد الله الأنصاري ﴿إن في الليل لساعة﴾ بالنصب اسم إن ودخلت اللام للحول
الخبر قبله كفاي قوله تعالى وإن لك لأجرا غير ممنون قال ابن مالك:

لا يرافقتها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه وذلك كل ليلة * والشيخان ينزل ربنا تبارك وتعالى أي أمره كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له *

وتصحب الواسط معمول الخبر * والفصل واسماحل قبله الخبر

قال الحنفى أى مبهمه فى جميع الليل فلا يختص بالثلث الاخير فالمرادها قطعة من الزمان وأهملت لأجل أن يجتهد الشخص جميع الليل لا يوافقها عبد مسلم * أى انسان حرا كان أو رقيا * يسأل الله فيها * خيرا كما فى رواية * من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه * الله اياه * وذلك كل ليلة * يعنى وجود تلك الساعة لا يختص ببعض الليالى دون بعض وفى هذا الحديث اثبات ساعة الاجابة فى كل ليلة ويتضمن الحث على الدعاء فى جميع ساعات الليل رجاء مصادفتها .

* * منها ما رواه مالك * والشيخان * وأبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة * ينزل ربنا تبارك وتعالى * جملتان معترضتان بين الفعل وظرفه لأنه لما أسند النزول الى ما لا يلىق اسناده حقيقة اليه اعتراض بما يدل على التنزيه كقوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون قال المصنف ومعنى ينزل ربنا * أى أمره * أو ملائكته أو روحته لاستحالة النزول على الله تعالى قال ابن القيم فى النزول راجع الى أفعاله لا الى ذاته بل ذلك عبارة عن ملكه الذى ينزل بأمره ونهيه فالتنزل حتى صفة الملك المبعوث بذلك أو معنوى بمعنى لم يفعل ثم فعل فسمى ذلك نزولا والحاصل أنه تأوله بوجهين اما ان المعنى ينزل أمره أو الملك وامانه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والاجابة لهم ونحوه * كل ليلة * بالنصب ظرف لينزل * الى سماء الدنيا * أى السفلى والقربى لقربها من الأرض * حين يبقى ثلث الليل الآخر * برفع الآخر صفة ثلث وتخصيصه بالليل وثلثه الآخر لأنه وقت التهجذ وعقلة الناس عن التعرض لتفجحات رحمة الله تعالى وعند ذلك تكون النية خالصة والرغبة الى الله وافرة وذلك مظنة القبول والاجابة * فيقول من يدعوني فأستجيب له * بنصب فأستجيب ورفع فالتنصب على جواب الاستفهام والرفع على الاستئناف وكذا ما بعده وهو قوله فأعطيه فأغفر له * ومن يسألني فأعطيه * أى مسؤوله * ومن يستغفرني فأغفر له * أى ذنوبه وقال فى فتح البارى ونقله بعضهم والفرق بين الثلاثة أن المطلوب اما دفع الضرر أو جلب المسار وذلك اما دنيوي أو ديني ففى الاستغفار اشارة الى الاول وفى السؤال اشارة الى الثانى وفى الدعاء اشارة الى الثالث وقال الكرماني يحتمل أن يقال الدعاء ما لا يطلب فيه غوى بالله والسؤال الطلب وأن يقال المقصود واحد واختلف اللفظ .

قال الزبيدى وعن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه رفعه ينزل الله فى كل ليلة الى سماء الدنيا فيقول هل من سائل فأعطيه وهل من مستغفر فأغفر له وهل من تائب فأتوب عليه حتى تطلع الفجر رواه أحمد والداريمى وابن جرير وابن السبكي والطبرانى والضياء ورواه الحاكم عن نافع بن جبير عن أبى هريرة قال حمرة الكنانى الحافظ لم يقل فيه أحد عن نافع عن أبيه غير حماد بن سلمة ورواه ابن عينة فقال عن نافع عن رجل من الصحابة وهو أشبه بالصواب .

وروى مسلم والترمذى من حديث أبى هريرة بلفظ ينزل الله تعالى الى سماء الدنيا كل ليلة حتى يمضى ثلث الليل الاول فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذى يدعوني فأستجيب له من ذا الذى يسألني فأعطيه من ذا الذى يستغفرني فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يضى الفجر وعند مسلم أيضا ينزل الله تبارك وتعالى فى السماء الدنيا ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له أو يسألني فأعطيه ثم يسقط يديه فيقول من يعرض الله غير عديم ولا ظلم . وروى الطبرانى فى الكبير عن عباد بن الصامت * رفعه ينزل الله تبارك وتعالى الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل فيقول ألا عبد من عبادي يدعوني فأستجيب له إلا ظالم لنفسه يدعوني فأغفر له إلا مقترار رزقه إلا مظلوم

وأحمد وأبو داود عن أبي هريرة رحم الله رجلا قام من الليل فضلى وأيقظ امرأته فصلت فان أبت نضح في وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فضلى فان أبى نضحت في وجهه الماء * وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة إذا استيقظ الرجل من الليل

يدعوني فأنصره ألعان يدعوني فأنك عاتيه فيكون كذلك حتى يصبح الصبح ثم يلعو عز وجل على كرسيه وروى ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن أبي أمامة رضي الله عنه رفعه ينزل الله في آخر ثلاث ساعات يتقين من الليل فينظر الله في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ثم ينظر في الساعة الثانية في جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن لا يكون معه فيها أحد إلا الأنبياء والشهداء والصديقون وفيها ما لم ير أحد ولا خطر على قلب بشر ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول الاستغفر استغفروني فأغفر له الأسائل يسألني فأعطيها الأذاع يدعوني فأستجيب له حتى يطلع الفجر وذلك قول الله وقرآن الفجران قرآن الفجر كان مشهودا فيشهد الله وملائكة الليل والنهار وعند ابن النجار من حديث أبي هريرة مرفوعا ينزل الله في كل ليلة إلى السماء حين يبقى نصف الليل الآخر أو ثلث الليل الآخر فيقول من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيها من ذا الذي يستغفروني فأغفر له حتى ينصعد الفجر وينصرف القاري من صلاة الفجر.

قال بعض شراح الحديث فجمع بين الروايات بحمل المطلقة على المقيدة وأما التي بأوفان كانت للشك فالجزم مقدم على الشك وإن كانت للتزديد بين حالتين فيجمع بأن ذلك يقع بحسب اختلاف الأحوال لأن أوقات الليل تختلف بالزيادة وفي الأوقات باختلاف تقديم الليل عند قوم وتأخره عند قوم أو النزول يقع في الثلث الأول والقول يقع في النصف وفي الثلث الثاني أو يحتمل ذلك على وقوعه في جميع الأوقات التي وردت بها الأحاديث أو يحتمل على أنه ﷺ أعلم بأحد الأمور في وقت فأخبره ثم أعلم به في وقت آخر فأخبره فنقل الصحابة عنه والله أعلم.

﴿و﴾ مما ذكره ما رواه ﴿أحمد وأبو داود﴾ والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم ﴿عن أبي هريرة﴾ ﷺ وهو حديث صحيح كافي العزيزي ﴿رحمه الله رجلا﴾ هو ما مضى بمعنى الطلب كما قاله العلقمي ﴿قام من الليل فضلى﴾ قال ابن رسلان تحصل هذه الفضيلة إن شاء الله بركعة الحديث عليكم بصلاة الليل ولوركة رواه الطبراني في الكبير والأوسط ولا تحصل هذه الفضيلة لمن صلى قبل أن ينام فإن التهجد في الاصطلاح صلاة التطوع في الليل بعد النوم قاله القاضي حسين ﴿وأيقظ امرأته﴾ في رواية لأبي داود إذا أيقظ الرجل أهله وهو أعم لشموله الولد والأقارب ﴿فصلت فان أبت﴾ أن تستيقظ ﴿نضح في وجهها الماء﴾ في رواية ابن ماجه رش في وجهها الماء ولا يتعين في هذا الماء أن يكون طهورا وإن كان هو الأولى لاسيما إن كان بفضل ماء طهوره بل يجوز بما في معناه كماء الورد والزهر ونحو ذلك وخص الوجه بالنضح لأنه أفضل الأعضاء وأشرها وبه يذهب النوم والنعاس أكثر من بقية الأعضاء وهو أول الأعضاء المفروضة غسلها في العيانية وهذا النوم ﴿رحمه الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فضلى فان أبى﴾ أن يقوم ﴿نضحت في وجهه الماء﴾ فيه الدعاء بالرحمة للحي كما يدعى بها الميت وفيه فضيلة صلاة الليل وفضيلة مشروعية إيقاظ التائب للنفل كما يشترع للفرض وهو من المعاونة على البر والتقوى.

﴿و﴾ من ذلك ما رواه ﴿أبو داود والنسائي﴾ وابن ماجه وابن حبان والحاكم ﴿عن أبي هريرة﴾ وأبي سعيد الخدري وهو حديث صحيح كما قاله العزيزي ﴿إذا استيقظ الرجل﴾ أي الإنسان ﴿من الليل﴾ قال بعضهم أي استيقظ من نومه وقيد بذلك لأن

وأيضا أهله وصلياً ركعتين كبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات * وأبو داود عن عائشة رضي الله عنها ما من امرئ يكون له صلاة بالليل فيغلبه عليها نوم إلا كتب الله له أجر صلاته وكان نومه عليه صدقة * والشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص يا عبد الله لا تكن مثل فلان

الاستيقاظ كما يكون من النوم يكون من الغفلة يقال استيقظ الشخص تنبه من غفلة * وأيضا أهله * أي حيلته من زوجة أو أمة أو نحوها أو غير أهله إذا المقصود تنبيه الغير لفعل الخير * وصلياً ركعتين * نقلاً وفرضاً * كبا * أي أمر الله تعالى بكتابتهما * من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات * أي بعض الذاكرين الذين أنشأ الله عليهم في كتابه العزيز فانهم أنواع أعلاهم الذاكر للحضرة القدسية بأن لم يفرط طرفة عين ومنهم المداومة على التفكير في مصنوعات الله تعالى ومنهم المشتغل بالذكر بلسانه ويدخل فيهم المشتغل بعلوم الشرع والآلة وإذا كتبنا من الذاكرين ترتباً لهما ما أعد الله تعالى للذاكرين بقوله تعالى أعد لهم مغفرة وأجراً عظيماً .

قال الزحخشري وثقه الدميري وغيره الذاكرون الله كثيراً والذاكرات من لا يكاد يخلو بقلبه أو بلسانه أو بهما عن ذكر الله وقراءة القرآن والاستغفار بالعلم من الذكر وقال القاضي عياض ذكر الله تعالى ضربان ذكر بالقلب وذكر باللسان وذكر القلب نوعان أحدهما وهو أرفع الأذكار وأجلها الفكر في عظمة الله وجلاله وجبروته وملكوته وآياته في سمواته وأرضه ومنه الحديث خير الذكر الخفي والمزاد به هذا والثاني ذكر بالقلب عند الأمر والنهي فيمثل ما أمر به ويترك ما نهى عنه ويقف فيما أشكل عليه وأما ذكر اللسان مجرد فهو أضعف الأذكار ولكن فيه فضيلة عظيمة كما جاءت به الأحاديث وقال الحفني المراد بالذكر في هذا الحديث ما يشمل التسبيح والتحميد والتكبير والاستغفار .

﴿ و ﴾ من ذلك ما رواه ﴿ أبو داود ﴾ والنسائي ﴿ عن عائشة رضي الله عنها ما من امرء يكون له صلاة بالليل ﴾ وعزمه أن يقوم عليها ﴿ فيغلبه عليها نوم إلا كتب الله له أجر صلاته ﴾ وهذا من كان عادته ذلك وقيل يكون له أجر نيته أو أجر من غنى أن يصلي تلك الصلاة أو أجر تأسفه على ما فات منها والاول أظهر لاسيما مع قوله ﴿ وكان نومه عليه صدقة ﴾ أي عبادة فيشبه الله حالة نومه لعدوه بالنوم قال العلقمي بخلاف هذا الحديث علامة الصحة وقال الزبيدي وفيه رجل لم يستم وسماء النسائي في رواية الأسود بن يزيد لكن في طريقه أبو جعفر الرازي قال النسائي وليس بالقوي ورواه النسائي وابن ماجه من حديث أبي الدرداء نحوه بسند صحيح . ﴿ و ﴾ من ذلك ما رواه ﴿ الشيخان عن عبد الله بن عمرو ﴾ رضي الله عنهما كان عبد الله من عباد الصحابة أسلم قبل أبيه وعمرو بفتح العين وسكون الميم وتكتب الواو بعد الراء هنا للقاعدة لأنه في غير حالة النصب تكتب بها فزاد بينهما وبين عمر المغدول وخص الاول بالزيادة لأنه أخف وزيد التواو دون الألف ثلاثين بالمنصوب ودون الياء ثلاثين بالمتصاف إلى ياء المتكلم لكن لذلك شروط أن يكون علماً وأن لا يكون على اللام وأن لا يضاف وأن لا يكون منصغراً وأن لا يؤمن اللبس وقد نظم ذلك بعضهم

فما عد انصب عمرو الحق به ﴿ و ﴾ واو إذا علما يأتي ولم يضاف

مأمون ليس بأن لم يأت قافية ﴿ و ﴾ ولم يصغر خلا من ال بهذا اعترف

﴿ ابن العاص ﴾ يكتب بالياء وعد هما والاول أفصح ﴿ يا عبد الله لا تكن مثل فلان ﴾ هو كناية عن شخص معين عنده ﴿ و ﴾ وأبهه خوفاً عليه من اللوم ثلاثين كسر خاطره قيل هو سيدنا عبد الله بن عمرو وردوه بأن الحافظ بن حجر قال لم أقف على تعيينه في رواية صحيحة ولا ضعيفة وبأن سيدنا عبد الله بن عمر من أجلاء الصحابة فمن البعيد أن يترك مثله التهجيد بعد العمل به لكن ربما يزيد ذلك القيل ما في

كان يقوم الليل فترك قيام الليل *

الصحيح من حديثه انه رأى رؤيا طويلة فقصها لأخته حفصة أم المؤمنين فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي بالليل أو كما قال ﷺ فلم يترك بعده قيام الليل فيحتمل انه كان يصلي ثم يتركه ثم لا يتركه أبدا (كان يقوم الليل فترك قيام الليل) لغير عذر قال في النهاية ويسن أن ينوي الشخص القيام عند النوم قال الشبرايمس حيث جوزه فان قطع بعدم قيامه فلا معنى لنيته.

ومن الآثار الدالة على فضيلة قيام الليل أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يمر بالآية الواحدة من ورده في صلاة الليل فيسقط دهباً حتى يعاد منها أياماً كثيرة بما اعتراه من الخوف كما يعاد المريض وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا هدأت العين قام إلى ورده من الليل فيسمع له دوى كدوى النحل حتى يصبح ويقال ان سفيان الثوري رحمه الله شبع ليلة فقال ان الحمار اذا زيد في علفه زيد في عمله فقام تلك الليلة يصلي حتى أصبح وكان طاووس بن كيسان اليماني رحمه الله اذا اضطجع على فراسه يتقل على كاهله كما تتقل الحبة في المقلاة ثم يثب قائماً ويدرج الفراش ويصلي إلى الصبح ثم يقول طير ذكر جهنم يوم العادين وكلما هم يذوق الكرى قال له القرآن قم لاتشم.

وقال الحسن البصري رحمه الله ما تعلم عملاً أشد من مكابدة الليل ونفقة هذا المال يعني صرفه إلى وجوه الخير فليل له ما بال المتجهدين في العبادة أحسن الثامن وجوهاً قال لأنهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره وقدم بعض الصالحين من سفره فمهد له فراش فنام عليه حتى فات ورده من الليل فحلف أن لا ينام بعده على فراش أبداً وكان عبد العزيز بن أبي رواد اذا جن عليه الليل يأتي فراشه فيترده عليه ويقول انك للين والله ان في الجنة لآين منك ثم لا ينام عليه فلا يزال يصلي الليل كله حتى يصبح.

وقال الحسن البصري رحمه الله ان الرجل ليدن الذنب فيحرم به قيام الليل وفي هذا المعنى قال الفضيل بن عياض رحمه الله اذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم انك محروم من الخير لانصيب لك فيه وقد كثرت خطيئتك وكان أبو الصهباء صلة بن أئيم العدوي تابعي جليل يصلي الليل كله فاذا كان في السحر يقول الهى ليس مثلى يطلب الجنة ولكن أجرني برحمتك من النار.

وقال رجل لبعض الحكماء اني لأضعف عن قيام الليل فما السبب في ذلك وما دواؤه فقال له يا أخى لاتعص الله بالنهار لاتقم بالليل يعني شؤم ذنوبك هو الذي يمنعك من قيام الليل وكان للحسن بن صالح الهمداني جارية فباعها من قوم فلما كان في جوف الليل قامت الجارية فقالت يا أهل الدار الصلاة الصلاة فقالوا أصبحنا أطلع الفجر فقالت وما تصلون الا المكوبة فقالوا لا نصلي الا المكوبة فرجعت الجارية إلى الحسن فقالت يا مولاي يعني من قوم لا يصلون بالليل ردتني فردها منهم اليه.

وقال الربيع بن سليمان المرادي رحمه الله تبقى منزل الشافعي رحمه الله ليالي كثيرة فلم يكن ينام من الليل الا يسيراً وقال أبو الجويرية عبد الحميد بن عمران الكوفي لقد صحبت أبا حنيفة رضي الله عنه ستة أشهر فما فيها ليلة وضع جنبه على الأرض لينام وكان أبو حنيفة رضي الله عنه من ورده يحسب الليل كله وصح عنه صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة ويروى أنه ما كان له فراش خاص بالليل يمهد له لنومه ويقال ان أبا يحيى مالك ابن دينار رحمه الله تعالى بات يردد هذه الآية ليلة حتى أصبح أم حسب الذين اجترحو السيات أن يجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء بحياهم ومماتهم سواء ما يمكن.

وقال المغيرة بن حبيب رقت مالك بن دينار قوضاً بعد العشاء ثم قام إلى مصلاه فقبض على لحية فخنقه الخنقة فجعل يقول اللهم حرم شئني مالك على النار الهى قد علمت سياكن الجنة من ساكن النار فأتى الرجلين مالك وأبى الدارين دار مالك فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر رواه أبو نعيم في الحلية وتخرج مسروق بن الأجدع الكوفي فمات ليلة الأساجدا وقال أنس بن سيرين عن امرأة مسروق وهي

وحكى الياقنى عن الشيخ أبى بكر الضرير قال كان في جوارى شاب حسن يصوم النهار ولا يفطر ويقوم الليل ولا ينام فجاءني يوما وقال يا أستاذني نمت عن وردى الليلة فزأيت كأن محرابي قد انشق وكأني بجوار قد خرجن من الحراب لم أر أحسن وجهاً منهن وإذا فيهن واحدة شوهاء فوهاء لم أر أقيح منها منظراً فقلت لمن أنتن ولمن هذه فقلن نحن لياليك التي مضين وهذه ليلة نومك ولومت في ليالك هذه لكنت هذه حظك

فميربت عمر وكان مسروق يضل حتى تورم قدماء فرعاجلست خلفه أبكىها أراه يصنع بنفسه وقال الشعبي غشى على مسروق في يوم صائف وهو صائم وكانت له ابنة تسمى عائشة وبها يكنى وكان لا يعصيا فنزلت إليه فقالت يا أباها أفطر وأشرب قال ما أردت بي يا بنية إنما طلبت الرفق لنفسى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وبرى عن أزهر بن مغيث وكان من القائمين أنه قال رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا فقلت لها من أنت قالت حوراء فقلت زوجيني نفسك فقالت اخطنبني الى سيدى وأمهرنى فقلت وما ماهرك قالت طول التهجد .

﴿وحكى﴾ الشيخ الامام عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن أسعد ﴿الياقنى﴾ اليمنى في روضه ﴿عن الشيخ أبى بكر الضرير﴾ ﴿قال﴾ كان في جوارى شاب حسن ﴿الوجه﴾ يصوم النهار ولا يفطر ويقوم الليل ولا ينام فجاءني ﴿الشاب﴾ ﴿يوماً﴾ من الأيام ﴿وقال﴾ يا أستاذي ﴿قال الفيومي﴾ والأستاذ كلمة أعجمية ومعناها الماهر بالشيء وإنما قيل أعجمية لأن السين والذال المعجمة لا يجتمعان في كلمة عربية وهمزته مضومة ﴿اننى نمت عن وردى الليلة فزأيت كأن محرابي﴾ اى صدر مسجدي ﴿قد انشق وكأني بجوار﴾ اى نساء شابة ﴿قد خرجن من الحراب لم أر أحسن وجهاً منهن وإذا فيهن واحدة شوهاء﴾ اى قبيحة المنظر ﴿فوهاء﴾ بفتح الفاء مع سكن الواو اى واسعة الفم أو خارجة الأسنان من الشفتين مع طولها كما في القاموس ﴿لم أر أقيح منها﴾ اى من تلك الواحدة ﴿منظراً فقلت لمن أنتن﴾ أيها الحسان ﴿ولمن هذه﴾ اى الشوهاء ﴿فقلن نحن لياليك التي مضين﴾ وفى نسخة مضت ﴿وهذه﴾ الشوهاء ﴿ليلة نومك﴾ عن وردك ﴿ولومت في ليالك هذه﴾ اى الليلة التي نمت عن وردك ﴿لكنت هذه﴾ الشوهاء ﴿حظك﴾ اى نصيبك ثم أنشأت الشوهاء تقول :

أسأل لمولاك وارددنى الى حالى * فانت قبختنى من بين أشكالى

لا ترقدن الليالى ما حيت فان * نمت الليالى فهن الدهر أمالى

نحن السرور لمن نال السرور بنا * جوف الظلام بسكن المنزل العالى

فقد أردت بخير اذ وعظت بنا * فأبشرفانت من المولى على بال

قال الشاب المذكور فاجابها جارية من الحسناء تقول :

أبشر بخير فقلت نلت المنى أبدا * فى جنة الخلد فى روضات جنات

نحن الليالى اللواتى كنت تسهرها * تلو القرآن بترجيع ورنات

نحن الحسان اللواتى كنت تخطبنا * جوف الظلام بلوعات وزقزات

أبشر فقد نلت ما ترجوه من ملك * برب يجود بأفضال وفرحات

غدا تراه تجلى غير محتجب * تدنى اليه وتحظى بالتحيات

فشوق شهقة وخرميتا رحمه الله

قال أبو بكر الضرير ﴿فشوق﴾ الشاب المذكور أرى رد نفسه مع سماع صوته من حلقه ﴿شهقة﴾ و﴿خرميتا﴾ أي سقط ﴿ميتا﴾ رحمه الله تعالى وحكى الياضي في روضه أيضا عن خادمة رابعة العدوية البصرية رضى الله عنها قالت كانت رابعة تصلى الليل كله فإذا طلع الفجر هجعت هجعة في مضلاها حتى يصفر الفجر فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقد هاذلك وهي فرعة يانفس إلى كم تنامين وإلى كم تقومين يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا بصرخة يوم النور قالت وكان هذا أباها إلى أن ماتت فلما حضرتها الوفاة دعته وقالت لا تؤذيني بموتى أحدا وكهني في جنتي هذه وكانت حبة من شعر تقوم فيها إذا هذأت العين قالت فكفناها بذلك الجبة وفي خمار صوف كانت تلبسه قالت فرأيتها في المنام عليها حلة استبراق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر شيئا قط أحسن منهما قلت يا رابعة ما فعلت في الجبة التي كفناها بها والخمار الصوف قالت إنه والله نزع مني وأبدلت به هذا الذي تربته وطويت أكفاني وختم عليها ورفعت في علين ليكون لي ثواب يوم القيامة فقلت لها هذا كنت تعملين أيام الدنيا فقالت وما هذا عندما رأيت مما أعد الله من كرامات الله عز وجل لأوليائه قلت فمررتي بأمر أتقرب به إلى الله فقالت عليك بكرة ذكره فانه يوشك أن تغبطي بذلك في قبرك .

وقال الياضي أيضا روى عن أحمد بن أبي الخوارى رحمه الله تعالى قال كان لرابعة أحوال شتى يعني زوجته رابعة الشامية وليست رابعة العدوية التي تقدمت قال فرمة يغلب عليها الحب وفرمة يغلب عليها الانس وفرمة يغلب عليها الخوف فسمعتها في حال الحب تقول:

حبيب ليس يعدله حبيب ❖ وما لسواه في قلبي نصيب

حبيب غاب عن بصرى وشخص ❖ ولكن عن فؤادي ما يغيب

وسمعتها في حال الانس تقول:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي ❖ وأبحت جسمي من أراد جلوسى

فالجسم منى للجلوس مؤانسي ❖ وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسى

وسمعتها في حال الخوف تقول:

وزادى قليل ما أراه مبلغى ❖ اللراد أبكى أم لطول مسافتى

أحرقنى بالنار يا غاية المتى ❖ فإين رجائى فيك أين مخافتى

قال وقلت لها وقد قامت بليل ما رأينا من يقوم الليل كله غيرك فقالت سبحان الله مثلك يتكلم بهذا إنما أقوم إذا نوديت قال فجلست أكل في وقت قيامها فجعلت تذكرنى فقلت لها دعينا تهنى بظعامنا فقالت ليس أنا وأنت ممن يتغص عليها الطعام عند ذكر الآخرة وقالت لي لست أحبك حب الأزواج إنما أحبك حب الإخوان وكانت إذا طبخت قدرا قال كها يا سيدي فما نضجت إلا بالتسيج قال وقالت لي اذهب فتزوج فتزوجت ثلاثا وكانت تطعمنى اللحم وتقول اذهب بقوتك إلى أهلك وقالت ربما رأيت الجن يذهبون ويحيون وربما رأيت الحور العين رضى الله عنها وتغننا بها .

قال الياضي والظاهر أن هذه الرؤية المذكورة كانت في البقعة فاما رؤية المنام فلهذا الأولياء وروى أن عمرة امرأة حبيب العجمي رضى الله عنهما كانت توقظه بالليل وتقول قم يا رجل فقد ذهب الليل وبين يديك طريق بعيد وزادنا قليل وقوافل الصالحين قد سارت قدأما وبقينا نحن قال بعض الصالحين تزوجت امرأة فكانت إذا صلت العشاء لبست ثيابها وتطيبت وتبخرت ثم تأتينى فتقول لك حاجة

﴿وحكى﴾ عن بعض الصالحين أنه قال رأيت سفيان الثوري في النوم بعد موته فقلت له كيف حالك يا أبا سعيد فأعرض عني وقال ليس هذا زمان الكفى فقلت له كيف حالك يا سفيان فانشأ يقول :

نظرت إلى ربي عيانا فقال لي * هنأ رضائي عنك يا ابن سعيد

لقد كنت قواما إذا الليل قد دجا * بعبرة مشاق وقلب عنيد

فدونك فاخترأي قصر تريدة * وزرني فاني عنك غير بعيد

وأبو داود والحاكم عن ابن عباس وصححه ابن خزيمة وحسنه الحافظ ابن حجر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب يا عباس يا عماء ألا أعطيك إلا أمنحك إلا أحبك إلا أفعل بك عشرة خصال إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوله وآخره وقديمه وحديثه وخطاه وعمده وصغيره وكبيره وسره وعلايته أن تصلى أربع ركعات تقرأ في كل ركعة

فإن قلت نعم كانت معي وإن قلت لا قامت فنزعت ثيابها ثم صنت قد ميا حتى تصبح وحكى أنه كان لبعض الملوك جارية يقال جوهره فاعتقها فمهرت بأبي عبد الله الترابي * وهو في كوخ له يتعبد فتزوجت به وتعبدت معه فمهرت في المنام خياما مضروبة فقالت لمن ضربت هذه الخيام فقيل للمتجدين بالقرآن فكانت بعد ذلك لا تنام وكانت توظف زوجها وتقول يا أبا عبد الله قد سارت القافلة وأنشد بعضهم :

أراني بعيد الدار لم أقرب الحمى * وقد نصبت للساهرين خيام

علامة طردى طول الليل نائم * وغيرى يرى أن المنام حرام

﴿وحكى﴾ إليافي أيضا في روضه ﴿عن بعض الصالحين﴾ وهو أبو عامر قبيصة بن محمد بن سفيان السوائي الكوفي صدوق مات سنة خمس عشرة روى له الجماعة ﴿أنه قال رأيت سفيان﴾ بن سعيد ﴿الثوري﴾ رحمه الله تعالى ﴿في النوم بعد موته فقلت له كيف حالك يا أبا سعيد﴾ كنية سفيان الثوري ﴿فأعرض عني وقال ليس هذا﴾ الزمان الذي أنا فيه وهو بعد الموت ﴿زمان الكفى فقلت له كيف حالك يا سفيان فانشأ يقول﴾ من بحر الطويل : ﴿نظرت إلى ربي عيانا﴾ وفي نسخة شفاها ﴿فقال لي﴾ * هنأ رضائي عنك يا ابن سعيد لقد كنت قواما إذا الليل قد دجا * ﴿أي أظلم﴾ بعبرة مشاق وقلب عنيد فدونك ﴿أي خذ﴾ فاخترأي قصر تريدة * ﴿وزرني فاني عنك غير بعيد﴾ رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا محمد بن إبراهيم بن الحسن بن أحمد بن ميمون الميموني قال سمعت أبا موسى هرون بن حبان قال سمعت أباك الحسن بن أحمد بن ميمون يقول سمعت أبا حاتم الرازي يقول سمعت قبيصة يقول رأيت سفيان الثوري في المنام فقلت ما فعل بك ربك فقال وساق الأبيات لأنه قال كما حاب دل عيانا أو شفاها .

﴿و﴾ تسن صلاة التسبيح وهي أربع ركعات بتسليمية أو تسليمتين قال الفزالي فإن صلاها نهارا وبسليمة واحدة وإن صلاها ليلا فبتسليمتين انتهى وعلى أنها بتسليمة واحدة له أن يفعلها بشهد واحد وله أن يفعلها بشهدين كصلاة الظهر هكذا قاله بعض المحققين فقد علمها النبي ﷺ لعمه العباس ﷺ وذلك فيما رواه جماعة من المحدثين منهم ﴿أبو داود﴾ في سننه ﴿والحاكم عن ابن عباس﴾ ﷺ ﴿وصححه ابن خزيمة وحسنه الحافظ ابن حجر﴾ المسقلاني ﴿أن رسول الله ﷺ قال للعباس بن عبد المطلب يا عباس يا عماء﴾ ﴿أي يا عمي﴾ ﴿ألا أعطيك إلا أمنحك إلا أحبك﴾ هذه الثلاثة الفاظ مترادفة ذكرت للتأكيد وفي بعض الروايات في أولها زيادة ألا أعلمك وفي بعضها مع ذلك الاقتصار على الأولى والثالثة وزيادة ﴿الأفعل بك عشر خصال﴾ في رواية بشيء إذا فعلته ﴿إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوله وآخره وقديمه وحديثه وخطاه وعمده وصغيره وكبيره وسره وعلايته أن تصلى أربع ركعات تقرأ في كل ركعة

فاتحة الكتاب وسورة فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركب فتقولها وأنت راكع عشرا ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها وأنت ساجد عشرا ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا وأنت جالس بين السجدين ثم تسجد فتقولها وأنت ساجد عشرا ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في أربع ركعات إن استطعت أن تصلها في كل يوم مرة فافعل فإن لم تفعل ففي كل جمعة مرة فإن لم تفعل ففي كل شهر مرة فإن لم تفعل ففي كل سنة مرة فإن لم تفعل ففي عمرك مرة ﴿واعلم﴾ أن صلاة التيسيح مرغوب فيها يستحب أن يعتادها في كل حين ولا يتغافل عنها هكذا قال عبد الله بن المبارك وجماعة من العلماء

فأخذه الكتاب وسورة ﴿من القرآن﴾ أي سورة كانت ويستحب كما قاله الزبيدي أن تكون عشرين آية.

﴿ فاذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم قلت ﴾ وفي رواية قلت وأنت قائم ﴿ سبحان الله ﴾ اسم مصدر لا مصدر على المشهور وقيل انه مصدر لسماع سيج مخففا كما في قول الشاعر:

سبحانه ثم سبحانا يعودله * وقبلنا سبح الجودي والحمد

﴿ والحمد لله ﴾ اى الثناء بالجميل على الجليل مع التعظيم لله ﴿ ولا اله الا الله ﴾ اى لا معبود بحق فى الوجود الا هذا الفرد الوجود بالحق الجامع الانومية الحاوى لتعوت الروبوية ﴿ والله اكبر ﴾ اى من كل كبير وهذه الكلمات هى التى فى أكثر روايات حديث صلاة التسيح ﴿ خمس عشرة مرة ثم تركب فتقولها وأنت رافع عشرا ﴾ اى بعد الاتيان تسيحات الركوع ثلاثا ﴿ ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا ﴾ وأنت مطمئن فى القيام ﴿ ثم تسجد ﴾ كذا فى رواية الجماعة وعند الدارقطنى ثم تهوى ساجدا ﴿ فتقولها وأنت ساجد عشرا ﴾ اى بعد الاتيان تسيحات السجود ﴿ ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا وأنت جالس بين التسيحتين ثم تسجد فتقولها وأنت ساجد عشرا ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا فذلك ﴾ اى التسيح كله ﴿ خمس وسبعون ﴾ تسيحة ﴿ فى كل ركعة ﴾ فالجمرع فى أربع ركعات ثلاثا تسيحة وان اختلفت الكيفية ﴿ تفعل ذلك فى أربع ركعات ان استطعت أن تصلها ﴾ اى صلاة التسيح ﴿ فى كل يوم ﴾ اى أوليلة ﴿ مرة فافعل ﴾ والاحب فعلها بعد الزوال قبل صلاة الظهر فقد روى الدارقطنى بسند حسن عن أبى الجوزاء أوس بن عبد الله البصرى من ثقات التابعين أنه كان اذا نوى بالظهر أتى المسجد فيقول للمؤذن لا تعجلن عن ركعتي فيصلهما بين الأذان والاقامة ﴿ فان لم تفعل ﴾ اى فان لم تستطع كل يوم مرة ﴿ ففى كل جمعة مرة ﴾ اى فافعل فى كل أسبوع لئلا أونها رامرة ﴿ فان لم تفعل ﴾ كل جمعة مرة ﴿ ففى كل شهر مرة ﴾ لئلا أونها رارة ﴿ فان لم تفعل ﴾ كل شهر مرة ﴿ ففى كل سنة مرة ﴾ قال بعضهم فى احدى لياليها المباركة أوابها ﴿ فان لم تفعل ﴾ كل سنة مرة ﴿ ففى عمرك مرة ﴾ فيه حث بليغ على ذلك وذكر عليه السلام لعنه العباس عليه السلام فى هذه الصلاة فضلا عظيما لوكنت ذنوبك مثل زبد البحر أو رمل عاج غفرلك وقال عبد العزيز بن أبى رواد من أراد الجنة فعليه بصلاة التسيح وقال أبو عثمان الخير الزاهد ما رأيت للشدائد والنفوس مثل صلاة التسيح .

﴿واعلم أن صلاة التسيح مرغّب فيها﴾ وقد نص على استحبابها ثمانية الطريقين من الشافعية كالشيخ أبي حامد والحاملر والجويني وولده امام الحرمين والغزالي والقاضي حسين البغوي والمتول وزاهر بن أحمد السرجسي والرافعي وتبعه النووي في الروضة قال وقد أفرط بعض المتأخرين من أتباع الامام أحمد فذكر الحديث في الموضوعات وحينذ ﴿يستحب﴾ للتعبد ﴿أن يعتادها في كل حين ولا يتغافل عنها هكذا قال عبد الله بن المبارك وجماعة من العلماء﴾ ومنهم الروياني في بحره

وقال تاج الدين السبكي صلاة التسبيح من المهمات في الدين فينبغي الحرص عليها فمن سمع ما ورد فيها من عظم الفضل ثم تغافل عنها تركها فهو متهاون بالدين غير مكثرت بأعمال الصالحين لا ينبغي أن يعد من أهل الخير في شيء * وقال ابن أبي الصيف اليميني يستحب صلاة التسبيح عند زوال يوم الجمعة يقرأ في الأولى بعد الفاتحة التكاثر وفي الثانية والعصر وفي الثالثة الكافرون وفي الرابعة الإخلاص فإذا كملت الثلاث مائة تسبيحة قال بعد فراغه من التشهد وقبل أن يسلم اللهم إني أسألك توفيق أهل الهدى وأعمال أهل اليقين ومناصحة أهل التوبة وعزم أهل الصبر وجد أهل الحشية وطلب أهل الرغبة وتعبد أهل الورع وعرفان أهل العلم حتى أخافك اللهم إني أسألك مخافة محجزني عن معاصيك حتى أعمل بطاعتك عملاً أستحق به رضاك وحتى أناصحك في التوبة خوفاً منك وحتى أخلص لك النصيحة حباً لك وحتى أتوكل عليك في الأمور كلها وأحسن الظن بك سبحانه خالق النور ربنا آمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير رحمتك يا أرحم الراحمين ثم يسلم ثم يدعو حاجته *

وقال تاج الدين السبكي رحمه الله تعالى في ترشيحه صلاة التسبيح من المهمات في الدين فينبغي الحرص عليها فمن سمع ما ورد فيها من عظم الفضل والثواب ثم تغافل عنها تركها فهو متهاون بالدين أي مستخف به غير مكثرت بأعمال الصالحين لا ينبغي أن يعد من أهل العزم والخير في شيء * نسأل الله السلامة انتهى وقال ابن أبي الصيف اليميني يستحب صلاة التسبيح عند الزوال يوم الجمعة يقرأ المصلى في الركعة الأولى بعد الفاتحة الهاكم التكاثر وفي الثانية بعدها والعصر وفي الثالثة الكافرون وفي الرابعة الإخلاص *

وقال صاحب القوت أحب أن تكون السورة التي تقرأ فيها مع الحمد فرق التشريع آية فقد روي في حديث عبد الله بن جعفر الذي رواه اسمعيل بن رافع أن النبي ﷺ قال في السورة التي بعد أم القرآن عشرين آية فصاعداً قال صاحب القوت فإن قرأ مع الفاتحة في كل ركعة عشرين قل هو الله أحد فقد ضاعف العدد واستكمل الأجر انتهى وقال التتبي السبكي استحب أن يقرأ فيها من طوال المفصل وثارة بالزلزلة والعاديات والفتح والإخلاص وقال ولده تاج السبكي وثارة بالتكاثر والعصر والكافرون والإخلاص قال وقد أحبيت أن أن يكون السور فيها من الخمس المسبحات الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن الأنبي لم أجده في ذلك سنة غير أنه ورد طول المفصل وهي منه واسمهن يناسب اسم هذه الصلاة فإذا كملت الثلاث مائة تسبيحة قال بعد فراغه من التشهد وقبل أن يسلم اللهم إني أسألك توفيق أهل الهدى وأعمال أهل اليقين ومناصحة أهل التوبة وعزم أهل الصبر وجد بكسر الجيم أي اجتهد أهل الحشية وطلب أهل الرغبة وتعبد أهل الورع وعرفان أهل العلم حتى أخافك اللهم إني أسألك مخافة محجزني أي تمنعني عن معاصيك حتى أعمل بطاعتك عملاً أستحق به رضاك وحتى أناصحك في التوبة وخوفاً منك وحتى أخلص لك النصيحة حباً لك وحتى أتوكل عليك في الأمور كلها وأحسن الظن بك سبحانه خالق النور روى هذا الدعاء أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس وفي بعض الروايات زيادة وهي ربنا آمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير برحمتك يا أرحم الراحمين ثم يسلم ثم يدعو حاجته وتستحب ركعتان بعد الرضوء لأن الرضوء قربة يتقرب به إلى الله تعالى ومقصودها الصلاة والأحداث عارضة عليه فربما طرأ الحدث قبل الصلاة فينقض الرضوء ويضع السعي فالمبادزة إلى ركعتين استيفاء لمقصود الرضوء قبل القوت.

وأبو داود غدير بن خالد بن توفى صلى ركعتين لا يسهو فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه * ومسلم عن عقبة بن عامر ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقول فيصلي ركعتين مقبلا عليهما بقلبه ووجهه إلا وحيث له الجنة * وقال شيخنا ابن حجر أن ركعتي الوضوء تقوتان إذا أخرجهما بحيث لا تنسبان عوقا وبحيث بعض المتأخرين امتداد وقتها ما بقي الوضوء ويسن أن يقرأ في الأولى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوا إلى رحيماء وفي الثانية ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه إلى رحيماء وقيل تقوتان بحفاف الأعضاء *

﴿ وعرف ذلك الاستحباب بما رواه الترمذي من حديث بريدة الأسلمي قال أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالا فقال يا بلال اني سبقتني الى الجنة فدخلت الجنة قط الاستمعت نحيشك أمانى وفي رواية للبخارى سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة فقال ما أحدثت الا توضأت وصليت ركعتين فقال رسول الله ﷺ بهذا وما رواه ﴿ أبو داود عن زيد بن خالد من توضأ ثم صلى ركعتين لا يسهو فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه ﴾ بما رواه ﴿ مسلم عن عقبة بن عامر ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ﴾ أي بأن يأتي بواجباته وسنن ﴿ ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبلا عليهما بقلبه ووجهه الا وحيث له الجنة ﴾ وينبغي كما قال البلقيني وحترم به بعضهم سنهما عقب التيمم والنفل أيضا

﴿ وقال شيخنا العلامة ﴿ ابن حجر ﴾ الهيئتي ﴿ ان ركعتي الوضوء تقوتان إذا أخرجهما بحيث لا تنسبان اليه ﴾ أي الوضوء ﴿ عرفا ﴾ وهو الوجه كما في التحفة وقال بعضهم تقوتان بقصد الاعراض عنهما ولم يطل الفصل ﴿ وبحيث بعض المتأخرين امتداد وقتها ﴾ أي ركعتي الوضوء ﴿ ما بقي الوضوء ﴾ فمتى لم يحدث له أن يصلبها ولو طال الفصل عرفا .

﴿ ويسن أن يقرأ في الأولى ﴾ بعد الفاتحة ﴿ ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوا إلى ﴾ قوله ﴿ ورحيماء ﴾ يقرأ ﴿ في الثانية ﴾ بعدها ﴿ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه إلى رحيماء ﴾ قال الحبيب طاهر بن حسين باعلوي ويقرأ في الأولى منهما بعد الفاتحة ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوا إلى فاستغفروا الله فاستغفر لهم الرسول لوحدوا الله توابا رحيماء ويقول استغفر الله ثلاثا ثم يقرأ الكافرون وفي الثانية بعد الفاتحة ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يحد الله غفورا رحيماء ويقول استغفر الله ثلاثا ثم يقرأ الاخلاص فاذا فرغ قال الله أكبر عشر الحمد لله عشر الا اله الا الله عشر استغفر الله عشر اسبحان الله وحمده عشر اسبحان الملك القدوس عشر اللهم اني أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة عشر انتهى ﴿ وقيل تقوتان بحفاف الأعضاء ﴾ أي أعضاء الوضوء فمتى لم تحف أعضاء له أن يصلبها ولو طال الفصل .

وتسن تحية المسجد لداخله وهي ركعتان فصاعدا وفهم منه انها لا تحصل بأقل من ركعتين وبه قال الجمهور من الأصحاب ومن غيرهم وهو ظاهر حديث جابر في قصة سبيلك الطفاني اذ قال له ﷺ صل ركعتين وقال بعض الأصحاب تحصل بركعة واحدة وبالصلوة على الجنائز وسجود التلاوة والشكر لأن المقصود اكرام المسجد وهو حاصل بذلك قال الولي العراقي وهذا ضعيف مخالف لظاهر الحديث انتهى وقال في الروضة ولو صلى الداخل على جنازة أو سجد لتلاوة أو شكر أو صلى ركعة واحدة لم تحصل التحية على الصحيح انتهى ولكن ثبت فعل ذلك أعني تحية المسجد بركعة واحدة عن عمر بن الخطاب وغيره ذكره ابن أبي شيبة في المصنف وفهم أيضا من قوله فصاعدا أنه لو صلى أكرم من ركعتين بتسليمية واحدة جاز وكانت كلها تحية لاشتغالها على الركعتين كذا في شرح المذهب وهذه الصلاة لا تسقط وإن كان الخطيب في حال الخطبة يوم الجمعة هذا مع تأكد وجوب الاصغاء والاستماع إلى الخطيب وهو مذهب الشافعي وأحمد ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن الحسن البصري وحجتهم في استحباب هاتين الركعتين ما أخرجه الشيخان عن جابر قال دخل

وابن حبان عن أبي ذر قال دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده فقال يا أبا ذر إن المسجد تحية وإن تحية
ركعتان فقم فاركعهما فقمتم فركعتهما ثم عدت * وقال النووي في التحقيق إن تحية المسجد تقوت بالجلوس ما لم يسه أو يجهل وقصر
الفصل * وقال شيخنا ابن حجر ويلحق بهما على الأوجه ما لو احتاج للشرب فيقعد له قليلا ثم يأتي بهما ﴿واعلم﴾ أن ركعتي التحية
والوضوء تأديان بغيرهما من فرض أو نفل آخر وإن لم ينوهما معه نعم الأوجه أن لا يحصل فضلها إلا إذا نويتا ويسن أن يقرأ في التحية وسنة
المغرب وصلاة الاستخارة والإحرام والطواف الكافرون والإخلاص *

﴿دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب﴾ قال أصليت ركعتين قال لا قال صل ركعتين ﴿و﴾ ما أخرجه ﴿ابن حبان عن أبي ذر﴾ الغفاري رضي الله عنه
﴿قال دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده﴾ أي منفردا بنفسه ﴿فقال يا أبا ذر إن للمسجد تحية وإن تحية
ركعتان فقم فاركعهما﴾ قال أبو ذر ﴿فقمتم فركعتهما ثم عدت﴾ وقال النووي في التحقيق إن تحية المسجد تقوت بالجلوس ﴿أي مسكنا
نستوفز أكمل قدميه ومعرضا عنها لا يستريح قليلا ثم يقوم لها﴾ ما لم يسه أو يجهل وقصر الفصل ﴿بين جلوسه وصلاته فان جلس
قصر أساهيا أو جاهلا أنها تقوت به تندب له التحية ولا تقوت به.

﴿وقال شيخنا﴾ العلامة ﴿ابن حجر ويلحق بهما﴾ أي بالسهر والجهل ﴿على الأوجه ما لو احتاج للشرب﴾ أي لعطشه
﴿فيقعد له﴾ أي للشرب ﴿قليلا﴾ لعد ركزاهة الشرب قائما والصلاة مع العطش ﴿ثم يأتي بهما﴾ أي بالتحية بعد الشرب جالسا وخالف
الرملي في النهاية فجري على الفوات بجلوسه للشرب ﴿واعلم أن ركعتي التحية والوضوء تأديان﴾ أي تحصيلان ﴿بغيرهما من فرض
أو نفل آخر﴾ لانهما من سنن غير مقصودة بخلاف نية سنة مقصودة مع مثلهما أو فرض فلا يصح قال الشبرايمسني ينبغي أن محل ذلك يعني
حصول ركعتي التحية والوضوء بغيرهما حيث لم يندرها والا فلا بد من فعلهما مستقلة لانهما بالنذر صارت مقصودة فلا يجمع بينهما وبين فرض
ولا نفل ولا تحصيل بواحد منهما ﴿وان لم ينوهما معه﴾ أي تأديان بذلك سواء نوى التحية وما بعدهما مع ذلك أم لا ﴿نعم الأوجه أن لا يحصل
فضلها﴾ أي ثوابها ﴿إلا إذا نويتا﴾ نعم المراد بحصولها بغيرهما عند عدم نيتها سقوط الطلب وزوال الكراهة لا حصول الثواب لأن
شرطه النية فالمعلق بالداخل حكمان متغايران أحدهما كراهة الجلوس قبل صلاة وتنقضي الكراهة بأي صلاة كانت من فرض أو نفل ما لم
ينوعدم التحية وثانيهما حصول الثواب عليها وهو متوقف على النية فإذا لم تنوعدم ذلك لم يحصل هذا ما اعتمد العلامة ابن حجر كشيخه
وإنا قال جماعة منهم الاستنوي والأذرعى قال إنه القياس واعتمد الرملي والخطيب حصول الثواب وإن لم ينوعدم صرح في البهجة .

﴿ويسن أن يقرأ في التحية وسنة المغرب وصلاة الاستخارة﴾ وأصل الاستخارة طلب الخيرة من الله تعالى ﴿و﴾ ركعتي
﴿الإحرام والطواف﴾ بعد الفاتحة في الركعة الأولى منها ﴿الكافرون و﴾ في الثانية كذلك ﴿الإخلاص﴾ وهي قل هو الله أحد إلى
آخرها .

* فرعان * الأول قال في الروضة من تكرر دخوله في المسجد في الساعة الواحدة مرارا قال الحاملي في اللباب أرجو أن
يجزئه التحية مرة واحدة وقال صاحب التمه لو تكرر دخوله يستحب التحية كل مرة وهو الأصح انتهى الثاني قال الحاملي في اللباب
وتكره التحية في حالتين أحدهما إذا دخل في المكربة والثانية إذا دخل المسجد الحرام فلا يشتغل بها عن الطواف انتهى أما الأول فلقوله
﴿إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكربة وأما الثاني فلأنه راجع في الطواف تحت الركبة وكذا إذا شرع في إقامة الصلاة أو قرب
انقائها وكذا للخطيب يوم الجمعة عند صعوده المنبر على الصحيح كما في الروضة .

وقال النووي في الأذكار قال بعض أصحابنا من دخل المسجد ولم يتمكن من صلاة التحية لحدث أو شغل أو نحوه فيستحب له أن يقول أربع مرات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم * وأبو داود والترمذي عن أبي بكر رضي الله عنه ليس عبد يذنب ذنبا فيقوم ويتوضأ ويصلي ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر له غفر الله ذنوبنا وقبل توبتنا * وأحمد عن أبي هريرة من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه *

﴿وقال النووي في الأذكار قال بعض أصحابنا من دخل المسجد﴾ لعبور أو جلوس ﴿ولم يتمكن من صلاة التحية لحدث أو شغل أو نحوه فيستحب له أن يقول أربع مرات﴾ ينبغي أن محل الاكتفاء بذلك كما قاله الشبرايمسي حيث لم يتيسر له الوضوء في المسجد قبل طول الفصل والافلا تحصل لتقصيره بترك الوضوء مع تسره ﴿سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر﴾ فإنها تعدل ركعتين في الفضل كما في النهاية وغيره زاد ابن الرفعة وتبعه المصنف ﴿ولا حول ولا قوة إلا بالله﴾ وغيره زاد ﴿العلي العظيم﴾ لأنها صلاة سائر الخليفة من غير الآدميين من الحيوانات والجمادات في قوله تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده أي بهذه الأربع وهي الطيبات والباقيات الصالحات والقرض الحسن والذكر الكثير في قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وفي قوله تعالى واذكر والله كثيرا لعلكم تفلحون .

﴿وتسن صلاة التوبة لما أخرج﴾ أبو داود والترمذي عن أبي بكر رضي الله عنه ليس عبد يذنب ذنبا فيقوم بالرفع عطف على يذنب لا بالنصب إذ لا يصح أن يكون جوابا للنفي وخبر ليس إلا غفر له ﴿ويتوضأ ويصلي ركعتين ثم يستغفر الله لا غفر له﴾ وهذه الصلاة واقعة قبل التوبة كما هو ظاهر الحديث حيث قال علي الراجح وأيضا فالصلاة وسيلة لقبول التوبة فتقدم عليها وقال بعضهم إنها بعدها وإن الاستغنان غير التوبة بل هو الشكر على حصولها ولطلب حصولها ودوامها وقال الرملي يسن ركعتان قبلها وركعتان بعدها انتهى ولكن صلاة التوبة إنما هي الركعتان اللتان قبلها أما اللتان بعدها فليست للتوبة بل للشكر على قبولها بحسب رجائه وجعل الاستغفار توبة يدل على أن الذنب في صدر الحديث هو الصغيرة لكن يرد عليها أن تكفيرها بالوضوء إلا أن يقال أن تكفيرها بذلك أمر متعلق بالآخرة فلا يسقط وجوب التوبة منها المتعلق بأحكام الدنيا والمناسب أن يحمل الذنب على ما يعم الكبيرة ويراد بالاستغفار بالنسبة لها الاتيان بما تشاءعنه المغفرة وهو التوبة وقوله ﴿غفر الله ذنوبنا وقبل توبتنا﴾ جملة دعائية .

﴿وأخرج﴾ أحمد عن أبي هريرة ﴿من قام رمضان﴾ قال العلقمي أي أقام لياليه مصليا والمراد من قيام الليل ما يحصل به مطلق القيام وذكر النووي أن المراد بقيام رمضان صلاة التراويح يعني أنه يحصل بها المطلوب وأغرب الكرماني فقال اتفقوا على أن المراد بقيام رمضان صلاة التراويح ﴿إيمانا﴾ أي تصديقا بوعده الله تعالى بالثواب عليه ﴿واحتسابا﴾ أي طلبا للأجر ﴿غفر له﴾ قال العلقمي ظاهره تناول الصغائر والكبائر وبه جزم ابن المنذر وقال النووي المعروف أنه يختص بالصغائر وبه جزم امام الحرمين وعزاه عياض لأهل السنة قال بعضهم ويجوز أن يخفف من الكبائر إذا لم يصادف صغيرة ﴿ما تقدم من ذنبه﴾ زاد في رواية وما تأخر قال العلقمي وقد استشكلت هذه الزيادة من حيث أن المغفرة تستدعي سبق شيء يغفر والمآخر من الذنوب لم يأت فكيف يغفر محل الجواب أنه قيل أنه كناية عن حفظهم من الكبائر فلا تقع منهم كثيرة بعد ذلك وقيل معناه أن ذنوبهم تقع مغفورة وبهذا أجاب جماعة منهم الماوردي في الكلام على حديث صيام عرفة وأنه يكفر سنتين ستة ماضية وسنة آتية .

وأعلم أن صلاة التراويح عشرون ركعة بعشر تسليمات في كل ليلة من رمضان وكيفية مشهورة قال النووي فلو صلى أربعاً بتسليم لم يصح ذكره القاضي حسين في الفتاوى لأنه خلاف المشروع وينوي التراويح أو قيام رمضان ولا يصح بنية مطلقة بل ينوي

ركعتين من التراويح في كل تسليم انتهى وقد ورد البيهقي باسناد صحيح انهم يقومون على عهد عمر بعشرين ركعة وعلى عهد عثمان وعلى بمثله فصار إجماعا وقال ابن الهمام كونها عشرين ركعة سنة الخلفاء الراشدين انتهى وهي سنة مؤكدة أما سنيها فلائها ثبت بفعل النبي ﷺ إياها كما سيأتي في حديث عائشة رضي الله عنها وأما تأكدها فهو الذي تظفرت عليه الأدلة وصرح به علماء الأمة ولم يرد خلافه في حديث صحيح ولا ضعيف.

واختلفوا في أن الجماعة فيها أفضل أم الانفراد الأول الأصح وقيل الأظهر وبه قال الأكثرون قاله النووي في الروضة وقد أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خرج ليلة في جوف الليل فصلى في المسجد وصلى رجال بصلاته فأصبح الناس فتحدوا فاجتمع أكثر منهم فصلوا معه فأصبح الناس فتحدوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة فخرج رسول الله ﷺ فصلوا بصلاته فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح فلما قضى الفجر أقبل على الناس فشهد ثم قال أما بعد فإنه لم يخف على مكانكم ولكن خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك وعند البخاري من حديث عائشة أن رسول الله ﷺ صلى في المسجد ذات ليلة فصلى بصلاته ناس ثم صلى من القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ فلما أصبح قال قد رأيت الذي صنعتم ولم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة قال خرج رسول الله ﷺ فاذا ناس في رمضان يصلون في ناحية المسجد فقال ما هؤلاء فقيل هؤلاء ناس ليس منهم قرآن وأبي ابن كعب يصلي وهم يصلون بصلاته فقال النبي ﷺ أصابوا ونعم ما صنعوا وفي إسناد مسلم بن خالد الزنجي ضعفه المحمديون والشافعي يوثقه وجمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس عليها وحث على الجماعة فيها حيث علم أن علة امتناعه ﷺ منها جماعة خشية الحرب عليهم شفقة عليهم وقد أمن بعد ذلك من الحروب الذي كان يخشاه ﷺ باقطار الرخي وإكمال الدين فقل لأجل ذلك أن الجماعة أفضل.

وأفضلية الجماعة لوجوه الأول لفعل عمر رضي الله عنه وقد قال ﷺ عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى وسيدنا عمر منهم بإجماع الأمة والثاني لأن الاجتماع بركة وله فضيلة زائدة بدليل الفرائض فإنها تصلى جماعة ووقع الحث على ذلك والثالث لأنه ربما يغلب عليه الكسل في إقامتها إذا كان منفردا وينشط عند مشاهدة الجمع وهذا مشاهد وقد روى البخاري عن عبد الرحمن بن عبد القاري قال خرجت ليلة مع عمر في رمضان إلى المسجد فاذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال اني أرى لو جمعت على هؤلاء على قاري واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبي ابن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون منها أفضل من التي يقومون بريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله وقيل الانفراد أفضل وذلك لأن هذه سنة ليست من الشعائر الدينية كالعبدين فالحاقها بصلاة الضحى وتحية المسجد أولى ولم تشرع فيها جماعة وقد جرت العادة واستمرت بأن يدخل المسجد أحيانا جمع معا في وقت واحد ثم لم يصلوا التحية بالجماعة وإنما يصلون فرادى ولقوله ﷺ فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت وروى أنه ﷺ قال صلاة في مسجدي هذا أفضل من مائة صلاة في غيره من المساجد وصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في مسجدي وأفضل من ذلك كله رجل يصلي في زاوية بيته ركعتين لا يعلمها إلا الله عز وجل وهذا لأن الرءاء والتصنع ربما ينطرق إليه في الجمع حيث يرويه ويأمن منه في الوحدة فهذا ما قيل في الانفراد وبه قال مالك وأبو يوسف وحكام ابن عبد البر عن الشافعي والمختار

ان الجماعة أفضل وهو الأظهر والأصح في المذهب كما تقدم وبه قال أبو حنيفة وأحمد وبعض المالكية وروى ابن أبي شيبه فعله عن علي وابن مسعود وأبي بن كعب وسويد بن غفلة وزاذان وأبي البخري واستمر عليه عمل الصحابة وسائر المسلمين وصار من الشعائر الظاهرة كصلاة العيد وفي الروضة :

قال العراقيون والصبيلاني وغيرهم الخلاف فمن يحفظ القرآن ولا يخاف الكسل عنها ولا تحتل الجماعة في المسجد بتخلقه فان فقد بعض هذا فالجماعة أفضل قطعاً وأما الاتفات للرءاء في الجمع والكسل في الانفراد فعدول عن طريق مقصود النظر في فضيلة الجمع من حيث انه جماعة وكان قائله يقول الصلاة خير من تركها بالكسل والاخلاص خير من الرءاء فلنفرض المسئلة فيمن يثق بنفسه أنه لا ينكسل لو اتفرد عن الناس ولا يرأى لو حضر الجمع فأيهما أفضل له فيدور النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الاخلاص وحضور القلب بالخشوع في حال الوحدة فيجوز أن يكون في تفضيل أحدهما على الآخر تردد .

ومما استحب القنوت في الوتر في النصف الأخير من رمضان وبه قال جمهور الأصحاب وظاهر نص الشافعي كراهة القنوت في غير هذا النصف وحكى الزبيدي وأبو الوليد وابن عبدان وابن مهران استحبابه في جميع السنة وحكى الروياني وجهاً في جوازه في جميع السنة بلا كراهة ويستحب للسهو بتركه في غير النصف وهذه اختيار مشايخ طبرستان ولفظ القنوت هو ما تقدم في قنوت الصبح .

*** فصل * قد ذكر العلامة الزبيدي في أحكامه فوائد منشورة ومسائل تتعلق بالباب فقال : الأولى قال أصحابنا يعني من الحنفية يستحب الجلوس بعد كل أربع ركعات منها بقدرها وكذا بين الترويجة الخامسة والوتر لأنه المتوارث من السلف وهكذا روى عن أبي حنيفة ثم هم يخبرون في حالة الجلوس بين التسبيح والقراءة وصلاة أربع فرادى والسكوت وأهل مكة يطوفون أسبوعاً يصلون ركعتين وأهل المدينة يصلون أربع ركعات فرادى ونقل السروجي في شرح الهداية عن خزائن الفقه كراهة الصلاة منفرداً بين كل شفعين . واختار بعض أصحابنا في التضيحات سبحانه ذي الملك والمملوك سبحانه ذي العزة والعظمة والهيبة والكبرياء والجبروت سبحانه الحي الذي لا يموت سبحانه قدوس رب الملائكة والروح ثلاث مرات عقب كل ترويجة وعليه العمل في بخاري ونواحيها واختار بعضهم لاله الا الله وحده لا شريك له لله الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ثلاثاً واختار بعضهم في اول الاول ذكر الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد الاول ذكر ابي بكر الصديق رضي الله عنه وبعد الثانية ذكر سيدنا عمر رضي الله عنه وبعد الثالثة ذكر سيدنا عثمان رضي الله عنه وبعد الرابعة ذكر سيدنا علي رضي الله عنه وبعد الخامسة الكلمات المؤذنة بالاختتام كل ذلك بألفاظ متنوعة منظمة مع بعضها وعلى هذا اجرت عادة أهل مصر غالباً واختار مشايخنا السادة النقشبندية التحلق بعد كل ترويجة للمراقبة بين يدي مشايخهم قدر مضى خمس دَرَج أو أكثر وذلك بعد اتيان التسبيح المذكور ثلاث مرات ثم يقومون الى الترويجة الأخرى وهذا أحسن ما رأيناه .**

الثانية سنن ختم القرآن فيها مرة في الشهر على الصحيح وهو قول الأكثر رواه الحسن عن أبي حنيفة يقرأ الإمام في كل ركعة عشر آيات أو نحوها لأن عدد ركعاتها في جميع الشهر ستائة ركعة ان كان كاملاً وخمسة وثمانون ان كان ناقصاً وآية القرآن على ما ذكره المنسرون ستة الاف وستة وستون آية فاذا قرأ في كل ركعة ان عشر آيات وشيئاً يحصل الختم فيها وقال بعضهم يقرأ في كل ركعة ثلاثين آية لأن عمر رضي الله عنه أمر بذلك فيقع الختم ثلاث مرات لأن كل عشر مخصوص بفضيلة على حدة كما جاءت به السنة أنه شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار ومنهم من يستحب الختم ليلة النبايع والعشرون وجاء موافقة ليلة القدر وروى عن أبي حنيفة أنه كان يختم احدى وستين ختمه في كل يوم ختمه وفي كل ليلة ختمه وفي كل التراويح ختمه وان من القوم من قرأ قدر ما لا يؤدي الى تنفيرهم على

المختار لأن تكثير القوم أفضل من تطويل القراءة وافق المتأخرون ثلاث آيات قصار أو آية طويلة أو آيات منسطة.

الثالثة قال أصحابنا هذه الصلاة لا تقضى أصلاً بقوتها عن وقتها لا منفرداً ولا جماعة على الأصح لأن القضاء من خصائص الواجبات وإن قضاها كان نقلاً مستحباً لا تراويح.

الرابعة قال الرافعي ويدخل وقت التراويح بالفراغ من صلاة العشاء انتهى وقال أصحابنا ما بعد صلاة العشاء على الصحيح إلى طلوع الفجر وقال جماعة من أصحابنا منهم اسماعيل الزاهد إن الليل كله وقت لها قبل العشاء وبعده وقبل الوتر وبعده لأنه قيلم الليل وقال عامة مشايخ بخاري وقتها ما بين العشاء والوتر وهو على الصحيح حتى لو تين فساد العشاء دون الوتر والتراويح أعاد والعشاء ثم التراويح دون الوتر عند أبي حنيفة لأنها تتبع للعشاء فتكون التي فعلها بعد فساد العشاء نافذة مطلقاً ليست واقعة عن التراويح لكونها ليست في محلها فتعاد أي تصلى في موضعها كما في التين والهداية والفتح والعناية.

الخامسة قال أصحابنا يصح تقديم الوتر على التراويح لأنها تتبع للعشاء لا الوتر وكذا يصح تأخيرها عنها وهو الأفضل فإذا قلنا تأخير فالاستحيات تأخيرها إلى قبيل ثلث الليل أو قبيل نصفه واختلفوا في أدائها بعد النصف فقال بعضهم يكره لأنها تتبع للعشاء فصارت كسنة العشاء وقال بعضهم لا يكره تأخيرها إلى ما بعد نصف الليل على الصحيح لأنها وإن كانت تتبع للعشاء لكونها صلاة الليل والأفضل فيها أمره ولكن الأحب أن يؤخرها إلى خشية الفوات.

السادسة تقدم في ذلك الحديث السابق قول سيدنا عمر رضي الله عنه فيها أنها نعم البدعة هذه وكذا عدها العزيز عبد السلام في البدع المستحبة قال القتي السبكي هو باعتبار المعنى اللغوي فإن البدعة في اللغة هو الشيء الحادث وأما في الشرع فإذا أطلق إنما يراد الحادث الذي لا أصل له في الشرع وقد يطلق مقيداً ويقال بدعة هدى وبدعة ضلالة فالتراويح على هذا من بدعة الهدى وكيف يرد عمر خلاف ذلك ويأمر بها معاذ الله أن يأمر ببدعة وهكذا مراد العزيز عبد السلام فليس هذا من البدعة المقابلة للسننة في شيء على أني أقول إن عمر رضي الله عنه لم يشر إلى أصل التراويح وإنما أشار إلى ذلك الاجتماع الخاص الذي حدث في زمنه بأمره فهو بدعة باعتبار اللغة وبدعة هدى باعتبار الشرع وأما أصل التراويح فلا يطلق عليها بدعة شيء من الاعتبارين ولا في كلام عمر ما يدل على ذلك وابن عبد السلام إن أراد ما أراد عمر وافقناه عليه والاختلاف فيه متمسكين باطلاق العلماء من المذاهب الأربعة أن التراويح سنة النبي ﷺ لا سنة عمر والله أعلم.

السابعة نقل الرافعي عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال رأيت أهل المدينة يقومون بسبع وثلاثين منها ثلاث للوتر ثم قال قال أصحابنا ليس لغير أهل المدينة ذلك انتهى واختاره مالك وقال إن عليه العمل بالمدينة وفي مصنف ابن أبي شيبة عن داود بن قيس قال أدركت الناس بالمدينة في زمن عمر بن حبيب العريزي وأبان بن عثمان يصلون سبعمائة وثلاثين ركعة ويوترون ثلاث وقال بعض أهل العلم وإنما فعل هذا أهل المدينة لأنهم أرادوا مساواة أهل مكة فإن أهل مكة كانوا يطوفون سبعمائة بين كل ترويحين فجعل أهل المدينة مكان كل سبع ركعات قال الحلي في المنهاج فمن اعتدى بأهل مكة فقام بعشرين فحسن ومن اعتدى بأهل المدينة فقام بسبعمائة وثلاثين فحسن أيضاً لأنهم إنما أرادوا بما صنعوا الاقتداء بأهل مكة الاستكمال من الفضل لا المناسبة كما ظن بعض الناصب قال ومن اقتصر على عشرين وقرأ فيها بما يقرؤه غيره في سبعمائة وثلاثين كان أفضل لأن طول القيام أفضل من كثرة الركوع والسجود قال الولي العراقي لما ولي والدي إمامة مسجد المدينة أوجب سننهم القديمة في ذلك مع مراعاة ما عليه الأكثر فكان يصلي التراويح أول الليل بعشرين ركعة على المعتاد ثم يقوم آخر الليل في

والديلمي عن ابن عباس العبدان واجبان على كل حالم من ذكر أو أنثى وصح أيضا أنه صلى الله عليه وسلم كان يواظب على صلاة العيدين فهي سنة مؤكدة عندنا

المسجد بست عشرة ركعة فيختم في الجماعة في شهر رمضان ختمين واستمر على ذلك عمل أهل المدينة بعده فهم عليه الآن انتهى وقال ابن قدامة في المغني لو ثبت أن أهل المدينة كلهم فعلوا لكان ما فعله عمر وأجمع عليه الصحابة في عصره أولى بالاتباع انتهى وبالإجماع الذي وقع في زمن عمر أخذ أبو حنيفة والنووي والشافعي وأحمد والجمهور واختاره ابن عبيد البر رواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن عمر وعلى وأبي بن كعب وشكيل ابن شاكل وأبي البخري وابن أبي مليكة والحريث الحمدايني.

الثامنة ينبغي طول القيام بالقراءة مع الحضور والخشوع خلافا لما يعتاده كثيرون في زماننا من تخفيفها ويتأخرون بذلك قال قطب الإرشاد سيدنا ابن علوي الحداد ويحذر من التخفيف المفرط الذي يعتاده كثير من الجهلة في صلاتهم للتراخي حتى ربما يقعون بسببه في الإخلال بشئ من الواجبات مثل ترك طمأنينة في الركوع والسجود وترك قراءة الفاتحة على الوجه الذي لا بد منه بسبب العجلة فيصير أحدهم عند الله لا هو صلى فجاز بالثواب ولا هو ترك فاعترف بالتقصير وسلم من الإعجاب وهذه وما أشبهها من أعظم مكاييد الشيطان لأهل الإيمان يبطل عمل العامل منهم عمله مع فعله للعمل فاحذروا من ذلك وتنبهوا له معاشر الإخوان انتهى وفي مثل صلاتهم كما قاله الشيخ الأكبر قدس الله سره في كتاب الشريعة والحقيقة قال النبي ﷺ للرجل ارجع فصل فانك لم تصل فمن عزم على قيام رمضان المستنون المرغب فيه فليتم كما شرع الشارع الصلاة من الطمأنينة والوقار والتدبر والتسبيح والافتراخ أولى.

﴿و﴾ أخرج الديلمي عن ابن عباس ﴿باسناد ضعيف﴾ كما في العزيزي ﴿العيذان﴾ عيد الفطر وعيد الأضحى ﴿واجبان على كل حالم﴾ أي محتلم ﴿من ذكر وأنثى﴾ يعني صلاتهما واجبة على كل بالغ والمراد أنها تقرب من الواجب في التأكيد ﴿وصح أيضا أنه صلى الله عليه وسلم كان يواظب على صلاة العيدين فهي﴾ أي صلاة العيد ﴿سنة مؤكدة عندنا﴾ على الصحيح المنصوص كما في الروضة وفي الحرر على أظهر الوجهين لأنها صلاة ذات ركوع وسجود وفي الوجه الثاني فرض كفاية وهي شعار من شعائر الإسلام وأول ما صلى رسول الله ﷺ صلاة عيد الفطر من السنة الثانية من الهجرة ثم واطب على صلاة العيد بن حتى فارق الدنيا ففي تركها تعاون فعلى هذا لو تركها أهل بلدة قوتلوا على القول بأنها فرض كفاية وعلى الأول في مقاتلتهم وجهان الأصح لم يقاتلوا كذا في شرح الحرر وفي سنن أبي داود عن أنس قال قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال ما هذان اليومان قيل كما تلعب فيهما في الجاهلية فقال رسول الله ﷺ ان الله قد أبدلكم بهما خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر وقال الرافعي في الشرح لم يصلها يعني النبي ﷺ بمنى لانه كان مسافرا كما لم يصل الجمعة قال الحافظ ابن حجر لم أره في حديث وكأنه مأخوذ بالاستقراء وقد احتج أبو عوانة في صحيحه انه ﷺ لم يصل العيد بمنى بحديث جابر الطويل قال فيه انه ﷺ رمي جمرة العقبة ثم أتى المنحر فتخبر ولم يذكر الصلاة وذكر الحب الطبري عن امام الحرمين انه قال يصلي بمنى وكذا ذكره ابن خزم في حجة الوداع واستنكر ذلك منه انتهى وقال في شرح الحرر والاصل في مشروعيتها الكتاب وهو قوله تعالى فضل لربك واخرو قوله تعالى وذكر اسم ربه فصلى والسنة والاجماع المتواتر فعلها.

* تنبيه * اعلم ان العيد بالكسر أصله واوى من العود اسم للموسم سمي به لأنه يعود في كل سنة والجمع أعياد على لفظ الواحد فرقا بينه وبين أعواد الخشب وقيل للزوم الياء في الواحد هذا قول أهل اللغة وقيل سمي به لأن الله تعالى فيه عوائد الاحسان الى عباده دينيه ودنيوية والى هذا الحظ الشيخ الأكبر قدس الله سره فقال في كتاب الشريعة والحقيقة وهما يوم اسرور عيد الفطر لفرحته بنظره فيعجل

واجبة كالأعيان عند أبي حنيفة ويكفر من أنكر مشروعيتها *

بالصلاة للقاء ربه فان المصلي يتأجى ربه قال ﷺ للصائم فرحان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه وأراد أن يجعل بحصول الفرحين فشرعت صلاة عيد الفطر وحرم صوم ذلك اليوم ليكون في فطره مأجورا اجزا الفرائض في عبوديه الاضطراب لتكون المثوبة عظيمة القدر وفي صلاة عيد الأضحى مثل ذلك لصيامه يوم عرفة في حق من صامه فانه صوم مرغّب فيه في غير عرفة وحرم عليه صوم يوم الأضحى ليؤجر أجر الواجبات فانها من أعظم الأجور ولما كان يوم زينة وشغل بأحوال النفوس من أكل وشرب وشرع في حق من ليس بحاج في ذلك اليوم أن يستفتح يومه بالصلاة بمناجاة ربه ليحفظه سائر يومه فان الصلاة في ذلك اليوم في أول النهار كالتية في الصلاة فكما أن التية تحفظ عليه هذه العبادة وان صحبه الغفلة في أثناء صلاته فالتية تجبره ذلك فانها تعلق عند وجودها بكمال الصلاة فيحكمها سار في الصلاة وان غفل المصلي كذلك الصلاة في يوم العيد تقوم مقام النية واليوم يقوم مقام الصلاة فما كان في ذلك اليوم من الانسان من لهو ولعب وفعل مباح فهو في حفظ صلاته الى آخر يومه ولهذا سميت صلاة العيد اى تعود عليه في كل فعل يفعله من المباحات بالأجر الذي يكون للمصلي في حال صلاته وان غفل لصحة نيته ولهذا حرم عليه الصوم فيه تشبيها بكثرة الاحرام ولما قابل به تية الصوم في حال وجوب الصوم فيكون في فطره صاحب فريضة كما كان في صومه في رمضان صاحب فريضة فجميع ما يفعله من المباحات في ذلك اليوم مثل ستن الصلاة في الصلاة وجميع ما يفعله من الفرائض في ذلك اليوم والواجبات من جميع العبادات منزلة الأركان في الصلاة فلا يزال العبد في يوم العيدين حاله في أفعاله حال المصلي فلماذا قلنا سميت صلاة العيد بخلاف ما يقول غيرنا من انه سمي بذلك لانه يعود في كل سنة فهذه الصلوات الخمس تعود في كل يوم ولا تسمى صلاة عيد فان قيل لا ارتباطه بالزينة قلنا والزينة مشروعة في الصلاة قال تعالى خذوا زينكم عند كل مسجد فلما عاد الفطر عبادة مفروضة سمي عيدا وعاد ما كان مباحا واجبا انتهى وهذا الذي ذكره الشيخ قدس سره بحسب ما أعطاه المقام والا فالمعروف عند أهل المعرفة باللسان العربي ما قدمناه ولا مانع من أن يلاحظ فيه المعنيان اذ لا منافاة بين عود نظيره في كل سنة وعود ما كان مباحا واجبا فيه فافهمه فانه دقيق كذا قاله الزيدى .

وهذه الصلاة ﴿ واجبة ﴾ على من تجب عليه الجمعة ﴿ كالأعيان عند أبي حنيفة ﴾ على الأصح ربه قال الأكثر وهو المذهب ونقل ابن هبيرة في الأفصاح رواية ثانية عن الامام بأنها سنة ﴿ ويكفر من أنكر مشروعيتها ﴾ وتسمية محمد إياها في الجامع الصغير سنة حيث قال عيدان اجتماعا في يوم واحد الاول سنة والثاني فريضة ولا يترك واحد منهما لكونها وجبت بالسنة الا ترى الى قوله ولا يترك واحد منهما فانه أخبر بعدم الترك والخبار في عبارات الأئمة والمشايخ بذلك فينبذ الوجوب والدليل على وجوبها اشارة الكتاب وتكملوا العدة وتكبروا الله على ما هداكم وقوله تعالى فصل لربك وانحر فان في الاول اشارة الى صلاة عيد الفطر وفي الثاني اشارة الى صلاة عيد النحر والسنة وهو ما ثبت بالتقليد المستفيض عنه ﷺ انه واظب عليهما من غير ترك وهو دليل الوجوب وكذا عمل الخلفاء الراشدين من بعده من غير ترك وقال مالك والشافعي سنة مؤكدة كما تقدم واستدل بحديث الاعرابي في الصحيحين هل على غيرها قال لا الا ان تطرأ واجاب الحنفية عن هذا الحديث انه لا ينافي الوجوب لأن الاعرابي لا تجب عليه اذ من شرائطها المصر .

فان قلت نقل المزني في المختصر عن الامام الشافعي رحمه الله انه قال من وجب عليه حضور الجمعة وجب عليه حضور العيد فهذا يدل على الوجوب وقد اجاب اصحابه عن هذا باجوبة منها انه محمول على التأكيد نقله القسطلاني في شرح البخاري ومنها انه مزيل بمن وجب عليه حضور الجمعة وجب عليه حضور العيد سنة والوجوب بمعنى السبوت اى ثبت عليه وقيل مزيل بمن وجب عليه حضور

الجمعة عينا وجب عليه حضور العيد كفاية وعلى التقدير من الأولين ذكر الوجوب للمساكلة والتأويلان الأولان ذكرهما شارح الحرر .
 وقال أحمد وجماعة هي فرض على الكفاية إذا قام بها قوم سقطت عن الباقيين كالجهاد والصلاة على الجنائز نقله ابن هيرة
 في الإفصاح وهو الوجه الثاني لأصحاب الشافعي كما تقدم وقال أصحاب أحمد لما كان قوله تعالى فصل لربك وانحر دالا على الوجوب
 وحديث الأعرابي دالا على عدم وجوبها على كل أحد فتعين أن يكون فرضا على الكفاية وقد نازعهم الشمس البساطي من أئمة المالكية
 في ذلك فقال لا نسلم أن المراد بقوله تعالى فصل لربك وانحر صلاة العيد سلمنا ذلك لكن ظاهره يقتضي وجوب النحر واتم لا يقولون به
 سلمنا أن المراد بالنحر ما هو أعم لكن وجوبه خاص به فيخص وجوب الصلاة العيد به سلمنا الكل وهو أن الأمر الأول غير خاص به
 والأمر الثاني خاص لكن لا نسلم أن الأمر الأول للوجوب فيحمل على الندب جمعا بينه وبين الأحاديث الأخر سلمنا جميع ذلك لكن صيغة صل
 خاص فإن حملت عليه وأتمه وجب ادخال الجميع فلما دل الدليل على إخراج بعضهم كما زعمتم كان قادحا في القياس انتهى .

* تنبيه * قال الحنفية ويشترط لها جميع ما يشترط للجمعة وجوبا وأداء الخطبة فانها ليست بشرط لها بل هي سنة بعدها
 لنقل المستفيض بذلك وأجاز مالك والشافعي أن يصليها منفردا من شاء من الرجال والنساء وعن أحمد وروايتان الأولى مثل قول الحنفية
 إلا أنه لم يشترط المصير والثانية مثل قول مالك والشافعي وهي ركعتان كالجمعة فيما لها إلا في أشياء ككون وقتها أعنى صلاة العيد بل
 لطلوع إلى الزوال ولكن الأفضل تأخيرها إلى أن ترتفع الشمس كرمح للطباع وكجواز فعلها في الصحراء للاتباع أيضا وكان يكبر جهرا
 في الركعة الأولى قبل القراءة والاستعاذة وبعد دعاء الافتتاح سبعا وفي الثانية خمسا للاتباع رواه الترمذي وحسنه ويسن رفع يديه مع كل
 تكبيرتين بقوله سبحانه لله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر ككونها لأذان لها ولا إقامة فيها وكان يكبر جهرا في ابتداء الخطبة الأولى
 تسعا وفي ابتداء الثانية سبعا ولأيهما لأن ذلك هو المأثور وذكر حكم صدقة الفطر والأضحى في الخطبة لأنه الاثنى بالحال وتقديم
 الصلاة عليها للاتباع رواه الشافعي وغيره وتشارك صلاة الأضحى صلاة الفطر في التكبير المزمع جهرا وهو من غروب شمس ليلتي العيد
 إلى صلاته وتخالفا في تأخير صدقتها وهي الأضحى عن الصلاة والخطبة للاتباع رواه الشيخان بخلاف صدقة الفطر يندب تقديمها
 على الصلاة وفي تعجيل صلاتها قليلا بخلاف صلاة الفطر يندب تأخيرها وذلك لتسع وقت التضحية بعد الصلوات ووقت الفطر قبلها
 وفي التكبير المقيد جهرا وهو لغير حاج من صلاة صبح يوم عرفة إلى وقت عصر آخر أيام التشريق للاتباع رواه الحاكم وصححه إسناده أم
 للحج فمن ظهر يوم النحر إلى صبح آخر أيام التشريق وقيل غير الحاج وصححه في المنهاج كأصله وهذا التكبير يكون خلف الفرائض و
 صلاة جنازة وخلف النوافل ولو كانت الفرائض والنوافل مقضية لأن التكبير شعار الوقت بخلاف عيد الفطر لا تكبير فيه خلف شيء ثم
 ذلك الاستحسان تلوادة وشكر فلا تكبير خلفها .

* فصل * في ذكر مسائل مشورة تتعلق بالعباد من شرح الرافعي وغيره الأولى يستحب رفع اليدين في التكبيرات الزوائد
 ويضع اليمنى على اليسرى بين كل تكبيرتين وفي العدة ما يشعر بخلاف فيه ولو شك في عدد التكبيرات أخذ بالأقل ولو كبر ثمان تكبيرا
 وشك هل نوى التحريم بأخذة منها فعليه استئناف الصلاة ولو شك في التكبير التي نوى التحريم بها جعلها الأخيرة وأعاد الزوائد و
 صلى خلف من يكبر ثلاثا أو سنا تابعه ولا يزيد عليه في الأظهر ولو ترك الزوائد لم يسجد للسهو ولو نسي التكبيرات الزوائد في ركة
 فتذكر في الركوع أو بعده مضى في صلاته ولم يكبر فإن عاد إلى القيام ليكبر بطلت صلاته فلو تذكرها قبل الركوع وبعد القراءة فتولا
 الجديد الأظهر لا يكبر لقوات محله والتقديم يكبر لبقاء القيام وعلى القديم لو تذكر في أثناء الفاتحة قطعها وكبر ثم استأنف القراءة و

تدارك التكبير بعد الفاتحة استحباب استئذانها وفيه وجه ضعيف انه يجب ولو أدرك الإمام في أثناء القراءة وقد كبر بعض التكبيرات فعلى الجديد لا يكبر ما فاتته وعلى القديم يكبر ولو أدركه في الراكع ركع معه ولا يكبر بالاتفاق ولو أدركه في الركعة الثانية كبر معه خمسا على الجديد فاذا قام الى ثابته كبر أيضا خمسا .

الثانية قال الرافعي ويستحب استحبابا مؤكدا أحياء ليلة العيد بالعبادة قال النووي وتحصل فضيلة الأحياء بمعظم الليل وقبل تحصل ساعة وقد نقل الشافعي رحمه الله في الأم عن جماعة من خيار أهل المدينة ما يؤيده ونقل القاضي حسين عن ابن عباس أن أحياء الليل العيد أن يصلى العشاء في جماعة ويعزم أن يصلى الصبح في جماعة والمختار ما قدمته قال الشافعي رحمه الله تعالى وبلغنا أن الدعاء يستجاب في خمس ليال ليلة الجمعة والعدين وأول رجب ونصف شعبان قال الشافعي واستحب كل ما حكيت في هذه الليالي والله أعلم انتهى . وقد وردت أحاديث تدل على ما ذكره فأخرج الطبراني في الكبير من حديث عباد بن الصامت من أحياء ليلة الفطر وليلة الأضحى لم يميت قلبه يوم تموت القلوب وأخرج الحسن بن سفيان عن ابن كردوس عن أبيه من أحياء ليلتي العيد وليلة النصف من شعبان لم يميت قلبه يوم تموت القلوب وأخرج الديلمي وابن عساكر وابن النجار من حديث معاذ من أحياء الليالي الأربع وجب له الجنة ليلة القروية وليلة عرفة وليلة النحر وليلة الفطر هذه الأحاديث الثلاثة هكذا أوردناها الحافظ السيوطي في الجامعين وفي كل منها كلام أما حديث عباد بن الصامت فأخرجه أيضا الحسن بن سفيان أيضا وفي سنده بشر بن رافع منهم بالوضع وفي سند الطبراني عمر بن هرون البلخي ضعيف قال الحافظ ابن حجر وقد خولف في صحابه وفي رفعه وأخرجه ابن ماجه من حديث بقة عن أبي أمامة بلفظ من قام ليلتي العيد لله محسبا لم يميت قلبه حين تموت القلوب وبقة صدوق ولكنه كثير الدليس وقد رواه بالنعنة ورواه ابن شاهدين بسند فيه ضعف وبجهول وأما حديث معاذ فقال الحافظ في تخرجه الأذكار هو غريب وعبد الرحيم بن زبد العمى راويه متروك انتهى وسبقه ابن الجوزي فقال حديث لا يصح وعبد الرحيم قال يحسب كذاب وقال النسائي متروك وقد استدلل النووي في الأذكار باستحباب الأحياء بحديث عباد قال فانه وإن كان ضعيفا لكن أحاديث الفضائل يسامح فيها والله أعلم .

الثالثة قال الرافعي السنة لقاصد العيد المشي فان ضعف لكبر أو مرض فله الركوب وقد روى انه عليه السلام كان يخرج للعيد ماشيا وروى مثله عن علي وإن راحلته كانت تقاد الى جنبه وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن جعفر بن برقان قال كعب بن العترة عن عبد العزيز من استطاع منكم أن يأتي العيد ماشيا فليفعل وعن الحرث عن علي قال من السنة أن يأتي العيد ماشيا وعن عمر بن الخطاب انه خرج في يوم فطر أو أضحى في ثوب قطن متلبيا به يمشي وعن إبراهيم انه كره الركوب الى العدين والجمعة ولكن روى عن الحسن البصري انه كان يأتي العيد راكبا وأم ما اشتهر من انه عليه السلام لم يركب في عيد ولا جنازة فلا أصل له به عليه الحافظ ابن حجر في تخرجه الرافعي .

الرابعة قال الرافعي يستحب في عيد الفطر أن يأكل شيئا قبل خروجه الى الصلاة ولا يأكل في الأضحى حتى يرجع قال النووي ويستحب أن يكون المأكول تمرا أن أمكن ويكون وترا والله أعلم وهذا قد أخرجه البخاري من حديث أنس رفعه كان لا يندو يوم الفطر حتى يأكل تمرات ويأكلهن وترا وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة عن أنس رفعه كان يفتط يوم الفطر على تمرات ثم يندو وعن الحرث عن علي قال اطعم يوم الفطر قبل أن تخرج الى المصلى عن ابن عباس قال إن من السنة أن تخرج يوم الفطر حتى تطعم وعن أبي حسين قال غدوت مع معاوية بن سريته بن مرون يوم فطر فقلت له يا أبا سريته هل طعمت شيئا قبل أن يندو قال نعمت من عسل وعن الشعبي قال إن من السنة أن

يطعم يوم الفطر قبل أن يغدو ويؤخر الطعام يوم النحر وعن أم الدرداء قالت كل قبل أن تغدو يوم الفطر ولو تمرّة وعن السائب بن يزيد قال مضت السنة أن يأكل قبل أن تغدو يوم الفطر وعن مجاهد مثل ذلك.

الخامسة قال الرافعي إذا وافق يوم العيد يوم الجمعة وحضر أهل القرى الذين يبلغهم النداء لصلاة العيد وعلموا أنهم لو انصرفوا فاتتهم الجمعة فلمهم أن ينصرفوا ويتركوا الجمعة في هذا اليوم على الصحيح المنصوص في القديم والجديد وعلى الشاذ عليهم الصبر للجمعة انتهى وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة عن وهب بن كيسان قال اجتمع عيدان في عهد ابن الزبير فأخّر الخروج ثم خرج فخطب فأطال الخطبة ثم صلى ولم يخرج إلى الجمعة فعاب ذلك أناس عليه فبلغ ذلك ابن عباس فقال أصاب السنة فبلغ ابن الزبير فقال شهدت العيد مع عمر فصنع كما صنعت وعن أبي عبيد مولى ابن أزهري قال شهدت العيد مع عثمان ووافق يوم الجمعة فقال إن هذا يوم أجمع فيه عيدان للمسلمين فمن كان مهتماً من أهل العوالي فقد أذنا له أن ينصرف ومن أحب أن يمكث فليمكث وعن أبي عبد الرحمن قال أجمع عيدان على عهد علي فصلي بالناس ثم خطب علي راحلته ثم قال يا أيها الناس من شهد منكم العيد فقد قضى جمعة إن شاء الله تعالى وعن النعمان بن بشير أن النبي ﷺ كان يقرأ في العيدين بسبح اسم ربك الأعلى وهل أذاك حديث الغاشية وإذا اجتمع العيدان في يوم قرأ بهما فيهما وعن أبي رملة قال شهدت معاوية يسأل زيد بن أرقم هل شهدت مع رسول الله ﷺ عيدين اجتماعاً قال نعم قال فكيف صنع قال صلى العيد ثم رخص في الجمعة قال من شاء أن يصلي فليصل وعن عطاء بن السائب قال اجتمع العيدان في يوم فقام الحجاج في العيد الأول فقال من شاء أن يجمع معاً فليجمع ومن شاء أن ينصرف فلينصرف ولا حرج فقال أبو البخترى وميسرة ماله قاتله الله من أين سقط على هذا.

* فصل * في مسائل مشورة تتعلق بالأضاحي من شرح الرافعي وغيره الأولى قال ابن المرزبان من أكل بعض الأضحية وتصدق ببعضها هل يثاب على الكل أو على ما تصدق وجهان كالوجهين فيمن نوى صوم التطوع ضحوة هل يثاب من أول النهار أم من وقت وينبغي أن يقال له ثواب التضحية بالكل والتصدق ببعض قال النووي وهذا الذي قاله الرافعي هو الصواب الذي تشهد به الأحاديث والقواعد ومن جزم به إبراهيم المروزي والله أعلم.

الثانية قال ابن كعب من ذبح شاة وقال اذبح لرضا فلان حلت الذبيحة لانه لا يتقرب اليه بخلاف من تقرب بالذبح إلى الصنم وذكر الروائي أن من ذبح للجن وقصد التقرب إلى الله تعالى ليصرف شرهم عنه فهو حلال وإن قصد الذبح لهم فحرام.

الثالثة قال الروائي من ضحى على عدد فرقه على أيام الذبح فإن كان شاتين ذبح شاة في اليوم الأول والأخرى في آخر الأيام قال النووي هذا الذي قاله وإن كان أرفق بالمساكين إلا أنه خلاف السنة فقد نحر النبي صلى الله عليه وسلم مائة بدنة أمداها في يوم واحد فالسنة التعجيل والمساورة إلى الخيرات الأما ثبت خلافه والله أعلم.

الرابعة الأفضل أن يضحي في بيته بمشهد أهله وفي الحايى أنه يختار للإمام أن يضحي للمسلمين كافة من بيت المال بدنة ينحره في المصلى فإن لم يتيسر فشاة وأنه يتولى النحر بنفسه وإن ضحى من ماله ضحى حيث شاء.

الخامسة قال الشافعي في البويطي الأضحية على كل من وجد السيل من المسلمين من أهل المدائن والقرى والحاضر والنساء والحاج من أهل منى وغيرهم ومن كان معه هدى ومن لم يكن هذا ما نصه بحروفه وخالف في ذلك أبو حنيفة والنخعي وروى عن علم فلم يروا على المسافرين الأضحية واستثنى مالك من المسافرين والمقيمين الحاج من أهل منى ومكة وغيرهما فلم ير عليهم أضاحي وهو في النخعي وروى ذلك عن أبو بكر وعمر وابن عمر وجماعة من السلف ووافق الشافعي أبو ثور في إيجابها على الحاج بمنى قلل النووي.

وأبو داود عن زيد بن ثابت صلاة أحدكم في بيته أفضل من صلاته في مسجدتي هذا إلا المكتوبة * وابن أبي شبة عن رجل تطوع الرجل في بيته يزيد على تطوعه عند الناس كفضل صلاة الرجل في جماعة على صلاته وحده *

بعض الشافعي المتقدم يرد على العبدري حيث قال في الكفاية إلا في الحق الحاج بمعنى فإنه لا أضحية عليهم قال وهذا الذي قاله فاسد يخالف للنص وقد صرح القاضي أبو حامد وغيره بأن أهل منى كثيرهم في الأضحية وثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ ضحى في منى عن نسائه بالبقرة والله أعلم.

السادسة لا يجوز بيع جلد الأضحية ولا جعله أجرة للجزار وإن كانت تطوعا بل يصدق به الضحى أو يتخذ منه ما ينتفع بعينه من خف أو نعل أو دلو أو فروة أو غيره لا يؤجره ولا يؤجره وحكى صاحب التتبع قولاً غريباً أنه يجوز بيع الجلد ويصرف ثمنه مصرف الأضحية فيجب التبرع كالانتفاع باللحم والمشهور الأول.

السابعة قال الزبيدي ذكر لي بعض الطلبة من أصحابنا يعني من الحنفية نقلا عن فتاوى القترنجانية أنه يجوز التضحية بالخليل فإنكرت عليه ذلك ولم يكن عندي الكتاب المذكور حاضرا فأراجعه والذي في كتب أصحابنا وأصحاب الشافعي أنه لم يؤثر عن النبي ﷺ التضحية بشيء إلا بالبقرة والغنم ثم رأيت الحافظ ابن حجر نقل عن السهيلي أنه زوى عن أسماء قالت ضحيتا على عهد رسول الله ﷺ بخيل وعن أبي هريرة أنه ضحى بذلك انتهى قال الزبيدي ولعله نسخ ذلك وكيف يجوز التضحية به عندنا وقد كرهه أبو حنيفة ومحمد بن الحسن والأوزاعي ووافقهم مالك وروى مثله عن ابن عباس وأباحه الشافعي وأحمد وأكثر أهل الحديث واستدلوا بحديث مسلم وأذن في لحوم الخيل والله أعلم.

﴿و﴾ أخرج ﴿أبو داود عن زيد بن ثابت﴾ وابن عساکر في تاريخه عن ابن عمر ﴿صلاة أحدكم في بيته أفضل من صلاته في مسجدتي هذا﴾ فضلة النفل بالبيت أفضل منها بمسجد المصطفى ﷺ بل والحرم المكي ﴿إلا المكتوبة﴾ وكل نقل شرع جماعة وهذا حديث صحيح كما في العزيزي ولفظ أبي يعلى في مسنده صلوا أيها الناس في بيوتكم فافضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة يروى الدارقطني في الأفراد من حديث أنس وجابر صلوا في بيوتكم ولا تتركوا النوافل فيها وروى الطبراني في الكبير من حديث صهيب ابن النعمان فضل صلاة الرجل في بيته على صلاته حيث يراه الناس كفضل المكتوبة على النافلة وفي رواية فضل صلاة التطوع ورواه أبو الشيخ في الثواب بلفظ صلاة التطوع حيث لا يراه من الناس أخذ مثل خمسة وعشرين صلاة حيث يراه الناس قال الذهبي في التجرید صهيب بن النعمان له حديث زواه عنه هلال بن يساف في الطبراني تفرد به قيس بن الربيع انتهى وقال الهيثمي فيه محمد بن مصعب القرظاني ضعفه ابن معين وغيره وثقه أحمد وعند ابن السكن عن ضمرة بن حبيب عن أبيه بلفظ فضل صلاة الجماعة على صلاة الرجل وحده خمس وعشرون درجة وفضل صلاة التطوع في البيت على فعلها في المسجد كفضل صلاة الجماعة على المنفرد وضمرة بن حبيب الزبيدي الحمصي عن عوف وشداد بن أوس وأبي أمانة وعنه أرطاة بن المنذر ومعاوية بن صالح وطائفة وثقه ابن معين روى له الأربعة أصحاب السنن.

وقال أبو بكر ﴿ابن أبي شبة﴾ في المصنف حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن هلال بن يساف عن ضمرة بن حبيب ﴿عن رجل﴾ من أصحاب النبي ﷺ قال ﴿تطوع الرجل في بيته﴾ أي غل بسكته ويحمل أن تطوعه خالفا عن الناس ولو في غير محل سكته ﴿يزيد على تطوعه﴾ أي صلاته ﴿عند الناس﴾ أي بحضورهم ﴿كفضل صلاة الرجل في جماعة على صلاته وحده﴾ لأنه أبعد عن الرأه.

وابن عساكر عن جابر من صلى ركعتين في خلاء لا يراه إلا الله والملائكة كتب له براءة من النار. كتب الله له لنا البراءة من النار وعذاب القبر آمين * وفي كتاب ابن السني عن أبي أمامة قال ما دنوت من رسول الله ﷺ في دبر كل صلاة مكتوبة ولا تطوع إلا سمعته يقول اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها إلى آخره. **فائدة** ومن البدع المذمومة التي يأتى فاعلها ويحب على ولاية الأمر منع فاعلها صلاة الرغائب اثنا عشرة ركعة بين العشاءين ليلة أول جمعة رجب وصلاة ليلة نصف شعبان مائة ركعة وصلاة آخر جمعة رمضان سبع عشرة ركعة بنية قضاء الصلوات الخمس الذي لم يتيقنه وصلاة يوم عاشوراء أربع ركعات أو أكثر وصلاة الأسبوع أما أحاديثها فموضوعة باطلة ولا يغتر بمن ذكرها وقفنا الله لاجتلاب الفضائل واجتناب الرذائل.

و أخرج **ابن عساكر** عن جابر من صلى ركعتين في خلاء **اي** في مكان خال من الآدميين بحيث **لا يراه إلا الله والملائكة** ومن في معناهم وهم الجن **كتب له براءة من النار** يحتمل أن الله سبحانه وتعالى سبب ذلك بوفقه للتوبة أو بعفوه عن ويرضى خصماءه فلا تمسه النار قال المصنف **كتب الله لنا** ولوالدينا ولمشايعنا وللمسلمين أجمعين **البراءة من النار** **عذاب القبر آمين** **اي** استجب يا رب العالمين **وفي كتاب ابن السني عن أبي أمامة** رضي الله عنه **قال ما دنوت** **اي** قرئت **من رسول الله صلى الله عليه وسلم في دبر كل صلاة مكتوبة ولا تطوع إلا سمعته يقول اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها إلى آخره** **اي** اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي واهدني لصالح الأعمال والأخلاق إنه لا يهدي لصالحها ولا يصرف سبيلها إلا أنت وتقدم هذا قيل باب صلاة التطوع *** فائدة *** ومن البدع المذمومة **القيحة** التي يأتى فاعلها ويحب على ولاية الأمر منع فاعلها صلاة الرغائب وهي **اثنا عشرة ركعة بين العشاءين** **اي** المغرب والعشاء **ليلة أول جمعة رجب** يفعل بين كل ركعتين تسليمة يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وإن أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات وقل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة فإذا فرغ من صلاته صلى على النبي ﷺ سبعين مرة يقول اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة سبوح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم أنك أنت الأعز الأكرم ثم يسجد سجدة أخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الأولى ينال حاجته في سجوده فاتها تقضى هذه صفة الصلاة المذكورة ويصوم يوم الخميس الذي قبله.

و منها **صلاة ليلة نصف شعبان** وهي **مائة ركعة** كل ركعتين تسليمة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله أحد إحدى عشرة وإن شأ صلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله أحد مائة مرة والحاصل كما قاله الزبيدي أن المقصود قراءة سورة الاخلاص ألف مرة في الصلاة وبأى كيفية أدت أجزاء.

و منها **صلاة آخر جمعة رمضان سبع عشرة ركعة بنية قضاء الصلوات الخمس الذي لم يتيقنه** وذلك حرام كما قاله ابن حجر وغيره.

و منها **صلاة يوم عاشوراء** وهي **أربع ركعات أو أكثر** منها **صلاة أيام الأسبوع** ولياليها **أما** ديتها **اي** المذكورات من صلاة رغائب وصلاة شعبان وصلاة عاشوراء وصلاة الأسبوع ولياليها **فموضوعة باطالة** وقد به الكلام على ذلك العلامة الزبيدي في شرح الاحياء فانظره **ولا تغتر بمن ذكرها** ومن ذكرها أبو طالب المكي في قوت القلوب والغزالي في الاحياء **وقفنا الله لاجتلاب الفضائل واجتناب الرذائل** آمين يا رب العالمين.

﴿باب صلاة الجماعة﴾

﴿أخرج﴾ الشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه خمسا وعشرين درجة وذلك أن أحدكم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد لا يريد إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفع الله له بها درجة وحط عنه خطيئة حتى يدخل المسجد فإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه وتصلى الملائكة عليه ما دام في مجلسه الذي صلى فيه يقولون اللهم اغفر له اللهم ارحمه اللهم تب عليه ما لم يؤذ فيه أو يحدث فيه * وفي رواية لهما صلاة الجماعة تفضل على الصلاة الفرد بسبع وعشرين درجة *

﴿باب صلاة الجماعة﴾

قال الشيخ قطب الدين القسطلاني في شرح عمدة الأحكام لمشروعية الجماعة بحكمة ذكرها في مقاصد الصلاة منها قيام نظام الآفة بين مصلين ولذا شرعت المساجد في المحال ليحصل التعاهد باللقاء في اوقات الصلوات بين الجيران وابتدأ المصنف رحمه الله في ذكر فضيلتها فقال ﴿أخرج﴾ أحمد و﴿الشيخان﴾ وأبو داود وابن ماجه ﴿عن أبي هريرة﴾ رضي الله عنه ﴿قال قال رسول الله ﷺ صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وعلى صلاته في سوقه خمسا وعشرين درجة﴾ قال ابن حجر مقتضا أن الصلاة في المسجد جماعة تزيد على الصلاة في البيت وفي السوق جماعة وفردى وقال ابن دقيق العيد والذي يظهر أن المراد بمقابل الجماعة في المسجد الصلاة في غيره منفردا لكونه خرج مخرج الغالب في أن من لم يحضر الجماعة في المسجد صلى منفردا ﴿وذلك﴾ أي وسبب التضعيف المذكور ﴿أن أحدكم إذا توضأ فأحسن الوضوء﴾ بأن أتى بواجباته ومندوباته ﴿ثم أتى المسجد﴾ في رواية ثم خرج إلى المسجد ﴿لا يريد إلا الصلاة﴾ أي لا يقصد الصلاة المكتوبة في جماعة ﴿لم يخط﴾ بفتح المثناة التحتية وظم الطاء ﴿خطوة﴾ بضم أوله ويجوز الفتح قال الجوهري الخطوة بالضم ما بين القدمين وبالفتح المرة الواحدة قال الحنفى كل صحيح ﴿الارفع الله له بها﴾ أي بالخطوة ﴿درجة﴾ أي منزلة عالية في الجنة ﴿وخط عنه بها خطيئة﴾ ولا يزال هكذا ﴿حتى يدخل المسجد فإذا دخل المسجد كان في﴾ ثواب ﴿صلاة ما كانت﴾ في رواية البخاري ما دامت ﴿الصلاة تحبسه﴾ أي تمتعه من الخروج من المسجد بأن كان جالسا لا ينتظر الصلاة أما جلوسه بعد الصلاة لذكر أو اعتكاف مثلاً فلا يترتب عليه خصوص هذا الثواب وإن كان فيه ثواب عظيم ﴿وتصلى الملائكة﴾ الحفظة أو أعم ﴿عليه﴾ أي تدعوله سواء كان بصيغة استغفار أو لا كما يعلم بما بعده ﴿ما دام في مجلسه﴾ أي مدة دوام جلوسه في الحل الذي صلى فيه ﴿في رواية الذي يصلى فيه أي الذي يوقع فيه الصلاة من المسجد﴾ يقولون اللهم اغفر له جملة مبنية لقوله صلى الله عليه وسلم تصلى عليه ﴿اللهم ارحمه﴾ طلب الرحمة له من الله بعد طلب المغفرة لأن صلاة الملائكة استغفاره ﴿اللهم تب عليه﴾ أي وفقه للتوبة وتقبلها منه وهذا ليس للصحيحين بل لابن ماجه ويستمر كذلك ﴿ما لم يؤذ فيه﴾ في رواية ما لم يؤذ فيه أي أحدا من الخلق ﴿أو يحدث فيه﴾ بالتخفيف أي ينتقض طهره ﴿وفي رواية لهما﴾ أي للشيخين ومالك وأحمد والترمذي وابن ماجه والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما ﴿صلاة الجماعة تفضل﴾ بفتح فسكون فضم ﴿على صلاة الفرد﴾ بفتح الفاء وشد الحجمة الفرد أي تزيد على صلاة المنفرد ﴿بسبع وعشرين درجة﴾ أي مرتبة كأن الصلاتين انتهتا إلى مرتبة من الثواب فوقت صلاة الفرد عتدها وتجاوزتها صلاة الجماعة بسبع وعشرين ضعفا .

وأحمد وابن حبان عن أبي ذر أن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف الإمام كتب له قيام ليلة * والطبراني والضياء على أنس ومن مشى إلى

وسر التقييد بالعدد لا يوقف عليه الإتيان النبوة والاحتمالات في هذا المقام كثيرة منها أن الفروض خمسة فأريد الكثير عليها بتضعيفها بعدد نفسها مبالغة فيها ولا ينافيه اختلاف العدد في ذكر الروايات لأن القليل لا ينفي الكثير وأنه أعلم بالقليل ثم بالكثير وهو يختلف باختلاف المصلين هيئة وخشوعا وكثرة جماعة وغيرها وأخرج أحمد والبخاري وابن ماجه من حديث أبي سعيد صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بخمس وعشرين درجة.

وأخرج مسلم عن أبي هريرة صلاة الجماعة تعدل خمسا وعشرين من صلاة الفذ وأخرج عبد بن حميد وأبو يعلى وابن حبان والحاكم عن أبي سعيد صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته وحده خمسا وعشرين درجة فإذا صلاها بأرض فلاة قائم وضواها وركوعها وسجودها بلغت صلاته خمسين درجة. وأخرج ابن ماجه من حديث زريق الهمداني عن أنس صلاة الرجل في بيته بصلاة وصلاته في مسجد القبايل بخمس وعشرين صلاة وصلاته في المسجد الذي يجتمع فيه الناس بخمسمائة صلاة الحديث قال الحافظ مستند ضعيف ومذهب الشافعي كما في المجمع أن من صلى في عشرة فله خمسون أو سبع وعشرون درجة وكذا من صلى مع اثنين لكن صلاة الأول أكمل.

﴿و﴾ أخرج ﴿أحمد﴾ وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ﴿وابن حبان عن أبي ذر﴾ الفخاري ﴿أن الرجل﴾ يعني الإنسان ذكرا كان أو أنثى ﴿إذا صلى مع الإمام﴾ أي اقتدى به واستمر ﴿حتى ينصرف الإمام﴾ في رواية حتى ينصرف أي من صلاته قال العلقي قلت هذا بعض حديث ذكره ابن ماجه والترمذي وأبو داود واللفظ له وأوله عن أبي ذر قال صمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمضان فلم يقم بنا شيئا من الشهر حتى بقي سبع فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل فلما كانت السادسة لم يقم شيئا فلما كانت الخامسة قام بنا حتى ذهب شطر الليل أي نصفه فقلت يا رسول الله لو نقلتنا قيام هذه الليلة بتشديد الفاء أي لوردتنا من الصلاة حتى مضت هذه الليلة فقال ﴿أن الرجل إذا صلى مع الإمام حسب له قيام ليلة﴾ قال فلما كانت الرابعة لم يقم فلما كانت الثالثة جمع أهله ونساءه والناس فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح قال قلت وما الفلاح قال السحور ثم لم يقم بنا بقية الشهر وقوله فقام بنا يعني الليلة السابعة كذا ابن ماجه يعني قام بهم ليلة ثلاث وعشرين وهي التي بعد سبع ليال فإن العرب تزوج بالباقي من الشهر وفي الحديث تسبنا رمضان بغير شهر فيجوز ذلك على الصحيح بالإكراه وكراهه غطاء ومجاهد ويسمى السحور فلاحا لأنه سبب لبقاء الصوم ويعين عليه والحاصل أنه قام بهم ليالي الأوتار ليلة ثلاث وعشرين وليلة خمس وعشرين وليلة سبع وعشرين فالأولى إلى نحو ثلث الليل والثانية إلى نحو نصفه والثالثة إلى أن خشوا أن يفوتهم السحور ﴿كتب له قيام ليلة﴾ وفي رواية حسب له وفي رواية أخرى فإنه يعدل قيام ليلة قال ابن رسلان يشبه أن تختص هذه الفضيلة التي هي كتب قيام الليلة لمن قام مع الإمام حتى يفرغ من صلاته بقيام رمضان فإن قوله صلى الله عليه وسلم أن الرجل إذا صلى مع الإمام هو جواب عن سؤالهم لو نقلتنا قيام هذه الليلة والجواب تابع للسؤال وهو تنفل قيام الليل ويدل عليه قوله إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف فذكر الصلاة مع الإمام ثم أتى بحرف يدل على الغاية والغاية لا بد لها من غاية ومغيا فتدل على أن هذه الفضيلة إنما تأتي إذا اجتمعت صلوات يقتدى بالإمام فيها وهذا لا تأتي في الغرائض المؤداة كذا قاله العزيز :

﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني والضياء﴾ أي ضياء الدين المقدس ﴿عن أنس﴾ وعن أبي أمامة رضي الله عنهما ﴿من مشى إلى﴾

الصلاة مكتوبة في الجماعة فهي كحجة ومن مشى إلى صلاة تطوع فهي كعمرة نافلة * والترمذي عن أنس من صلى أربعين يوما في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءة ثمان من النار وبراءة من النفاق * ومن صلى أربعين يوما في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كان قيام نصف ليلة ومن صلى الصبح في جماعة فكانما صلى الليل كله * وابن ماجه عن عمر رضي الله عنه من صلى في جماعة أربعين ليلة لا تقوته الركعة الأولى من صلاة العشاء كتب الله له بها عتقا من النار *

أداء ﴿ صلاة مكتوبة ﴾ ليصلها ﴿ في الجماعة ﴾ ولو في غير المسجد ﴿ فهي ﴾ أي المشيئة أو الخصلة ﴿ كحجة ﴾ أي كوثاها ﴿ ومن مشى إلى صلاة تطوع فهي كعمرة نافلة ﴾ أي كوثاها لكن لا يلزم التساوي في المقدار .

﴿ وأخرج ﴾ الترمذي عن أنس من صلى أربعين يوما ﴿ الصلوات الخمس ﴾ في جماعة ﴿ أي في مسجد قومه ﴾ يدرك التكبيرة الأولى ﴿ أي تكبيرة الاحرام ﴾ كتب له براءة ثمان براءة من النار وبراءة من النفاق ﴿ أي العمل وصحح الترمذي وقفه على أنس وأخرج الامام أحمد من حديثه وفيه زيادة ولفظه من صلى في مسجدي أربعين صلاة لا تقوته صلاة كتبت له براءة من النار وبراءة من العذاب وروي من النفاق وعند البيهقي من حديثه أيضا من صلى الغداة والعشاء الآخرة في جماعة لا تقوته ركعة كتبت له براءة ثمان براءة من النار وبراءة من النفاق وأخرج عبد الرزاق من حديثه بلفظ من لم تنه الركعة الأولى من الصلاة أربعين يوما كتبت له براءة ثمان براءة من النار وبراءة من النفاق .

﴿ وأخرج ﴾ مسلم وأحمد عن عثمان رضي الله عنه من صلى العشاء في جماعة ﴿ أي معهم ﴾ يدرك التكبيرة الأولى كان قيام نصف ليلة ﴿ أي اشتغال بالعبادة إلى نصف الليل ﴾ ومن صلى الصبح في جماعة فكانما صلى الليل كله ﴿ قال العلقمي يعني مع صلاة العشاء في جماعة يحصل له ثواب جميع الليل قال المناوي وأخذ بظاهرة الظاهرة فقالوا يحصل لمن صلاهما في جماعة قيام ليلة ونصف ويرده رواية أبي ذر من صلى العشاء والصبح إلى آخره .

﴿ وأخرج ﴾ ابن ماجه عن عمر رضي الله عنه من صلى في جماعة أربعين ليلة لا تقوته الركعة الأولى من صلاة العشاء كتب الله له بها عتقا من النار ﴿ وعند البيهقي وابن النجار وابن عساکر من حديثه بلفظ من صلى في مسجد جماعة أربعين ليلة لا تقوته الركعة الأولى من صلاة الظهر كتب له بها عتق من النار وأخرج الخطيب وابن عساکر وابن النجار من حديث اوس بن اوس الثقفي من صلى أربعين يوما صلاة الفجر وعشاء الآخرة في جماعة أغطاه الله برأتين براءة من النار وبراءة من النفاق وأخرج عبد الرزاق في مصنفه عن أبي العالية مرسلا من شهد الصلوات الخمس أربعين ليلة في جماعة يدرك التكبيرة الأولى أرحبت له الجنة .

* تنبيه * أورد البخاري في باب فضل الجماعة معلقا وكان الأسود إذا فاتته الجماعة ذهب إلى مسجد آخر وجاء أنس إلى مسجد قد صلى فيه فأذن وأقام وصلى في جماعة الأول وصله ابن أبي شيبة في مصنفه باسناد صحيح والثاني وصله أبو يعلى في مسنده وقال وقت صلاة الصبح وفي رواية البيهقي انه مسجد بني رفاعه وفي رواية أبي يعلى انه مسجد بني ثعلبة وعند البيهقي جاء أنس في عشرين من قتياته ووجه إيراد البخاري إياهما في الباب المذكور ثبوت فضيلة الجماعة عند ما وأن الفضل الوارد في أحاديث الباب مقصور على من جمع في المسجد دون من جمع في بيته لأنه لو لم يكن مختصا بالمسجد لجمع الأسود في بيته ولم يأت مسجدا آخر لأجل الجماعة .

والطبراني عن أبي عبيدة ليس من الصلاة صلاة أفضل من صلاة الفجر يوم الجمعة في الجماعة وما أحسب من شهدا منكم إلا مغفورا له * وهو ومالك عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حنيفة قال إن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقد سليمان بن أبي حنيفة في صلاة الصبح وأن عمر عندا إلى السوق ومسكن سليمان بن المسجد والسوق فمر على الشفاء أم سليمان فقال لها لم أر سليمان في الصبح فقالت أنه بات يصلي فغلبته عيناه فقال عمر لأن أشهد صلاة الصبح في جماعة أحب إلي من أن أقوم ليلة * وأحمد وأبو داود عن أبي هاتين الصلاتين يعني العشاء والصبح من أثقل الصلاة على المنافقين ولو يعلمون فضل ما فيها لأتوهما ولو حبوا عليكم بالصف المقدم فانه على مثل صف الملائكة ولو تعلمون فضيلته لا يندرتوه وصلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده وصلاة مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل وما كان أكثر فهو أحب إلى الله * وأبو داود والحاكم عن يزيد بن الأسود إذا صلى أحدكم في رحله ثم أدرك الإمام ولم يصل فليصل معه فإنها له نافلة * والشيخان عن أبي هريرة لقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام ثم أمر رجلا فيؤم الناس

وخرج الطبراني عن أبي عبيدة رضي الله عنه بن الجراح وإسناده حسن رضي الله عنه ليس من الصلاة صلاة أفضل من صلاة الفجر يوم الجمعة في الجماعة رضي الله عنه فأكد الجماعة بعد الجمعة الجماعة في صبحها ثم صبح غيرها ثم العشاء ثم العصر ثم الظهر ثم المغرب وأفضل الصلوات العصر ثم الصبح ثم العشاء ثم الظهر ثم المغرب رضي الله عنه وما أحسب من شهدا منكم إلا مغفورا له رضي الله عنه قال المناوي أي الصلوات على قياس نظائرها رضي الله عنه أي وأخرج الطبراني رضي الله عنه ومالك عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حنيفة قال إن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عنه فقد سليمان بن أبي حنيفة في صلاة الصبح رضي الله عنه في المسجد رضي الله عنه أي قصد رضي الله عنه إلى السوق ومسكن سليمان بن المسجد والسوق فمر رضي الله عنه عمر رضي الله عنه على الشفاء أم سليمان فقال لها لم أر سليمان في الصبح فقالت أنه بات يصلي فغلبته عيناه رضي الله عنه ولذا لم يحضر في صلاة الصبح جماعة رضي الله عنه فقال عمر لأن أشهد صلاة الصبح في جماعة أحب إلي من أن أقوم رضي الله عنه أي أن أصلي رضي الله عنه ليلة رضي الله عنه وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال تفقدوا إخوانكم في الصلاة فإذا تقدمتموهم فإن كانوا مرضى فعودوهم وإن كانوا أصحاء فعاقبوهم يعني على عدم حضورهم في الجماعة حيث تخلفوا عن غير عذر شرعي ولا ينبغي أن يتساهل في أمر الجماعة وقد كان الأولون من العلماء العاملين بالفتن فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة وهو الخشب الذي يحمل عليه الميت إلى باب من تخلف عن الجماعة لغير عذر إشارة إلى أن الميت هو الذي يتأخر عن الجماعة دون الحي فذل هذا الفعل منهم على التأكيد في أمر الجماعة والحفاظة .

وخرج أحمد وأبو داود عن أبي رضي الله عنه بن كعب رضي الله عنه أن هاتين الصلاتين يعني العشاء والصبح من أثقل الصلاة على المنافقين ولو يعلمون فضل ما فيها رضي الله عنه أي ما في صلاة العشاء والصبح في جماعة من الثواب رضي الله عنه لا توهما ولو رضي الله عنه كان الاثنان رضي الله عنه حبوا رضي الله عنه بفتح الحاء وسكون الموحدة أي مشيا على الركب والبدن رضي الله عنه عليكم رضي الله عنه أي الزموا رضي الله عنه بالصف المقدم رضي الله عنه وهو الذي يلي الإمام رضي الله عنه فانه على مثل صف الملائكة ولو تعلمون فضيلته رضي الله عنه أي الصف الأول رضي الله عنه لا يندرتوه رضي الله عنه أي لأسرعتم في تحصيله رضي الله عنه وصلاة الرجل مع الرجل أزكى رضي الله عنه أي أطم رضي الله عنه من صلاته وحده وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل وما كان أكثر فهو أحب إلى الله رضي الله عنه أي والجمع الكثير أفضل عند الله رضي الله عنه الجمع القليل رضي الله عنه أيضا استثنى من نحو بدعة إمامه . رضي الله عنه أخرج رضي الله عنه أبو داود والحاكم عن يزيد بن الأسود إذا صلى أحدكم في رحله رضي الله عنه في منزله رضي الله عنه ثم أدرك الإمام رضي الله عنه الحال أنه رضي الله عنه لم يصل فليصل معه رضي الله عنه أي مع الإمام رضي الله عنه فإنها رضي الله عنه أي صلاته معه رضي الله عنه له نافلة رضي الله عنه وخرج رضي الله عنه الشيخا عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رضي الله عنه قد ناسا في بعض الصلوات فقال رضي الله عنه لقد هممت رضي الله عنه وعند البخاري والذي نفسى يده لقد هممت هوجوا القسم أكد باللام وقد أي عزمت رضي الله عنه أن أمر رضي الله عنه بالمد وضم الميم رضي الله عنه بالصلاة فتقام ثم أمر رجلا فيؤم الناس رضي الله عنه أي بدلى

ثم انطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار * وأحمد والطبراني عن معاذ بن أنس
الحق أن الجفاء والكفر والتناق من يسمع منادي الله ينادي الصلاة فلا يجيبه * وأبو داود عن ابن أم مكتوم أنه أتى النبي ﷺ فقال يا
رسول الله إن المدينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضريب البصر شامع الدار أي بعيد ما ولي قائد يلزمي فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي
فقال هل تسمع النداء قال نعم قال

ثم انطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة أي لا يحضرون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار * وأحمد والطبراني عن معاذ بن أنس
الحق أن الجفاء والكفر والتناق من يسمع منادي الله ينادي الصلاة فلا يجيبه * وأبو داود عن ابن أم مكتوم أنه أتى النبي ﷺ فقال يا
رسول الله إن المدينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضريب البصر شامع الدار أي بعيد ما ولي قائد يلزمي فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي
فقال هل تسمع النداء قال نعم قال

وظاهر نص الشافعي أنها فرض كفاية وعليه جمهور أصحابه المتقدمين وصححه النووي في المنهاج كأصل الروضة وبه قال بعض
المالكية واحتاره الطحاوي والكرخي وغيرهما من الحنفية وعند مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إن أثقل صلاة على
المتأقين صلاة العشاء وصلاة الصبح ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حوبا ولقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام ثم أمر رجلا فيصلي بالناس
ثم انطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار قال شيخ الإسلام زكريا الأنباري وهذا
أورد في قوم منافقين يتخلفون ولا يصلون فرادى والسياق يؤيد ذلك لأنه لم يحرقهم وإنما هم يتخلفونهم فان قلت لو لم يجز تحريقهم لما هم به قلنا
لعله هم بالاجتهاد ثم نزل وحى بالمنع أو تغير الاجتهاد ذكره في المجموع.

وخرج أحمد والطبراني عن معاذ بن أنس * بأسند حسن * الجفاء أي البعد * كل الجفاء أي كل البعد وهذا
لأنه لبيان أن المراد البعد من الرحمة الكاملة قال في النهاية الجفاء البعد عن الشيء يقال جفأ إذا بعد عنه وأجفأ إذا أبعد * والكفر
التناق * خصال * من يسمع منادي الله أي المزدن * ينادي بالصلاة * المكوبة وزاد في رواية ويدعو إلى الفلاح أي يدعو إلى سبب
النقاء في الجنة وهو الصلاة * فلا يجيبه * بالسعي إلى الجماعة والمراد الحث على حضور الجماعة لأن المتخلف يصير كافرا أو منافقا كما
في العزيزي وقال الحنفى ليس المراد أن عدم الإجابة يقتضي الكفر بل المراد أن فعل من لم يجب كعمل الكفرة والمنافقين في الانصاف بهذا
الوصف الذي هو عدم الإجابة :

وخرج أحمد والطبراني عن معاذ بن أنس * بأسند حسن * الجفاء أي البعد * كل الجفاء أي كل البعد وهذا
لأنه لبيان أن المراد البعد من الرحمة الكاملة قال في النهاية الجفاء البعد عن الشيء يقال جفأ إذا بعد عنه وأجفأ إذا أبعد * والكفر
التناق * خصال * من يسمع منادي الله أي المزدن * ينادي بالصلاة * المكوبة وزاد في رواية ويدعو إلى الفلاح أي يدعو إلى سبب
النقاء في الجنة وهو الصلاة * فلا يجيبه * بالسعي إلى الجماعة والمراد الحث على حضور الجماعة لأن المتخلف يصير كافرا أو منافقا كما
في العزيزي وقال الحنفى ليس المراد أن عدم الإجابة يقتضي الكفر بل المراد أن فعل من لم يجب كعمل الكفرة والمنافقين في الانصاف بهذا
الوصف الذي هو عدم الإجابة :

فأجب فإني لأجد لك رخصة وهو من سمع المنادى بالصلاة فلم يمنعه من اتباعه عذر قيل وما العذر قال خوف أو مرض لم تقبل منه الصلاة التي صلى يعني في بيته * وسئل ابن عباس عن يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلي في الجماعة ولا يجمع فقال إن مات هذا فهو في النار **وروي** ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر خرج إلى بستان فرجع وقد صلى الناس العصر فقال إنا لله وإنا إليه راجعون فأتني صلاة العصر في الجماعة أشهدكم أن حائطي على المساكين صدقة أي يكون كفارة لما ضيع * قال حاتم الأصم فاتني مرة صلاة الجماعة فمزاني أبو إسحاق البخاري

عليه الصلاة والسلام **فأجب** إلى الجماعة في المسجد **فإني لأجد لك رخصة** في ترك الإجابة **وهو** أي وأخرج أبو داود **من سمع المنادى** أي المؤذن **بالصلاة فلم يمنعه من اتباعه عذر قيل وما العذر قال** عليه الصلاة والسلام **خوف أو مرض لم تقبل منه الصلاة التي صلى يعني في بيته**

وقد روى في الوعيد على عدم إجابة الداعي أخبار عن أبي موسى الأشعري وابن عرس وابن عباس وأبي زرارة الأنصاري فحدث أبي موسى عند الحاكم والبيهقي من سمع النداء فارغا صحيحا فلم يجب فلا صلاة له وعند الطبراني في الكبير من سمع النداء فلم يجب من غير ضرر ولا عذر فلا صلاة له وحدث ابن عرس عند ابن ماجه والطبراني والحاكم وابن حبان والعقيلي وابن الضريس من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر وحدث ابن عباس عند ابن ماجه والحاكم والدارقطني من سمع المنادى فلم يمنعه من اتباعه عذر خوف أو مرض لم تقبل منه الصلاة التي صلى ومثله ما في أبي داود كما تقدم وأما حديث أبي زرارة الأنصاري فعند البغوي وقال لأدرى أله صحة أم لا ولفظه من سمع النداء فلم يجب ثلاث كسب من المنافقين.

وسئل عبد الله **ابن عباس** رضي الله عنه **عن يصوم النهار ويقوم** أي يصلي **الليل** لكنه **لا يصلي في الجماعة ولا يجمع** بضم الياء وفتح الجيم وكسر الميم أي لا يصلي جمعة **فقال** ابن عباس **إن مات هذا** الذي فعل ما ذكر ولا يؤتى **فهو في النار وروي** عبد الله **ابن عمر** رضي الله عنهما أن **أباه** عمر **بن الخطاب** خرج إلى بستان فرجع وقد صلى الناس العصر فقال **معزنا لنفسه حين فاتته الجماعة** إنا لله وإنا إليه راجعون فاتني صلاة العصر في الجماعة أشهدكم أن حائطي **أي بستان** **على المساكين صدقة** قال المصنف **أي يكون** تصدقه بذلك **كفارة لما ضيع** من الجماعة وروي أن أبا أيوب ميمون **مهران** أتى المسجد الجامع فقبل له أن الناس قد انصرفوا عن الصلاة فقال إنا لله وإنا إليه راجعون لفضل الصلاة مع جماعة أحب إلى من ولاية العراق وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سمع المنادى فلم يجب يعني لم يشهد الصلاة مع جماعة لم يرد خيرا ولم يرد به خيرا وقال أبو هريرة **لأن تملأ أذن ابن آدم رصاصا مذابا بالنار خير له من أن يسمع النداء ثم لا يجب** وقال محمد بن واسع ما أشتي من الدنيا إلا ثلاثة أخرجني الله أن تعوجت قومتى وقوتا من الرزق عفوا يعني حلال بغير تبعة وصلاة في جماعة يرفع عنى سهوها ويكتب لي فضلها.

قال أبو عبد الرحمن **حاتم** بن علوان ويقال حاتم بن يوسف **الاصم** من أكابر مشايخ خراسا وكان تلميذ سيف بن أساذ أحمد بن حضرويه قيل لم يكن اصم وإنما تصام مرة فسمى به قال القشيري سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول جاءني امرأة فسالت حاتما عن مسألة فاتفق أنه خرج منها في تلك الحالة صوت فحجلت فقال حاتم أرفعى صوتك فأرى من نفسه أنه أصم فسرت المرأة بذلك وقالت أنه لم يسمع الصوت فغلب عليه اسم الصم **فاتني مرة صلاة الجماعة فمزاني أبو إسحاق البخاري** أحمد بن إسحاق بن الحصين بن جابر بن جندل السلمي المطوعى السرموى أحد فرسان الإسلام وكان زاهدا شقة روى عنه البخاري

وحده ولومات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف نفس لأن مصيبة الدين عند الناس أهون من مصيبة الدنيا وأنه لو مات لي الأبناء جميعا
 كان أهون علي من فوات هذه الصلاة في الجماعة ﴿وحكى﴾ الناشرى عن محمد بن سماعة أنه قال أقمت أربعين سنة لم تقنئني التكبيرة
 الأولى إلا يوما واحدا ماتت فيه أمي ففاتني صلاة واحدة عن الجماعة فقصت فصليت خمسا وعشرين صلاة أريد بذلك التضعيف
 فقلت عيني فأتاني آت فقال يا محمد قد صليت خمسا وعشرين ولكن كيف لك بتأمين الملائكة * وأخرج الطبراني من أم قوما فليق الله
 يعلم أنه ضامن مسؤول لما ضمن وإن أحسن كان له من الأجر مثل أجر من صلى خلفه من غير أن ينقص من أجورهم شيئا وما كان من
 نفس فهو عليه * وأبو الشيخ عن أبي هريرة الرحمة تنزل على الإمام ثم من على يمينه الأول فالأول * والطبراني عن طلحة أيا رجل أم
 قوما ومهم له كارهون لم تجاوز صلاته أذنيه * وهو عن مرثد الغنوي

﴿وحده﴾ أي ليس معه أحد ﴿ولومات لي ولد لعزاني﴾ فيه ﴿أكثر من عشرة آلاف نفس﴾ وذلك ﴿لأن مصيبة الدين عند الناس أهون
 من مصيبة الدنيا﴾ وفوت الجماعة أمر خفي لا يكاد يطلع عليه الأمن لازمه أو كان مكاشفا فلذا لم يعزه إلا أبو اسحاق بخلاف موت الأولاد
 لأنه مبني على الشهرة والناس تلبعون لها ﴿وأنه لو مات لي الأبناء جميعا لكان﴾ موتهم ﴿أهون علي من فوات هذه الصلاة في الجماعة
 وحكى الناشرى عن محمد بن سماعة أنه قال أقمت أربعين سنة لم تقنئني التكبيرة الأولى﴾ مع الإمام ﴿الأيومنا واحدا ماتت فيه﴾ أي في
 ذلك اليوم ﴿أمي ففاتني صلاة واحدة عن الجماعة فقصت فصليت خمسا وعشرين صلاة أريد بذلك﴾ أي بإتيان الصلاة بالعدد المذكور
 ﴿التضعيف فقلت عيني فأتاني آت فقال يا محمد قد صليت خمسا وعشرين﴾ صلاة ﴿ولكن كيف بتأمين الملائكة﴾ الذي هو مع تأمين
 الإمام كما في الحديث

﴿وأخرج الطبراني﴾ في الأوسط من حديث ابن عمر ﴿من أم قوما﴾ أي صلى بهم أمانا ﴿فليق الله ويعلم أنه ضامن﴾ قال
 الماوردي والمراد أنه يتحمل سهو المأموم كما يتحمل الجهر والسورة وغيرها ﴿مسئول لما ضمن وإن أحسن﴾ الصلاة بأن أتى بشروطها
 وأركانها ومندوباتها ﴿كان له من الأجر مثل أجر من صلى خلفه من غير أن ينقص من أجورهم شيئا وما كان من نقص﴾ بأن وقع في
 صلاته خلل ولم يعلم به المأمومون ﴿فهو عليه﴾ ولا عليهم أما لو رأوا إمامهم يصلي وعلى ثيابه نجاسة ظاهرة فانهم يعيدون صلاتهم على
 ما هو مفصل في غير هذا المحل فان لم يعلموا بها فلا إعادة عليهم لعذرهم وإن كانت ظاهرة .

وأورد صاحب القوت من سنن السلف أنهم كانوا يكرهون أربعة أشياء ويتدافعونها الفيا والإمامة والوصية والوديعة ثم قال
 وقال بعضهم ما شيء أحب إلي من الصلاة في جماعة وأكون مأموما فكيف سهوها ويتحمل غيري ثقلها وكان بشر رحمة الله تعالى يقول من
 أراد سلامة الدنيا والآخرة فليجنب أن لا يحدث ولا يشهد ولا يؤم ولا يقنئ ولا يجيب دعوة ولا يقبل هدية قال وهذا من تشديده رحمه
 الله تعالى قال وقال أبو حاتم كان سهل بن سعد يقول قيان قومه يصلون به فقلت له رحمك الله أنت صاحب النبي ﷺ ولك من السابقة
 والفضل لم لا تؤم قومك قال يا ابن أخي سمعت رسول ﷺ يقول الإمام ضامن فأكره أن أكون ضامنا .

﴿و﴾ أخرج ﴿أبو الشيخ﴾ ابن حبان في الثواب ﴿عن أبي هريرة﴾ ﷺ ﴿الرحمة تنزل على الإمام﴾ أي على إمام الصلاة
 ﴿ثم﴾ تنزل على ﴿من على يمينه﴾ من الصفوف ﴿الأول فالأول﴾ ثم من على يساره ثم الصف الثاني وهكذا .

﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني عن طلحة﴾ باسناد ضعيف كما قاله العزيزي ﴿أيما رجل أم قوما﴾ أي صلى بهم أمانا ﴿ومهم له
 كارهون﴾ أي والحال أنهم يكرهون إمامته كلهم أو غالبهم لارتكابهم أمرا غير لائق شرعا ﴿لم تجاوز صلاته أذنيه﴾ أي لم ترفع عن شحمة

إن سركم أن تقبل صلاتكم فليؤمكم علماؤكم فإنهم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم * ومسلم عن ابن مسعود يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سنا ولا يؤمن رجلا في سلطانه ولا يجلس في بيته على تكبرته إلا بأذنه *

أذنيه إلى القبول فيحرم عليه التقدم للإمامة حينئذ وإذا تقدم كره للقوم الاقتداء به أما إذا كرهوه لكونه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أو لكونه يأتي بالصلاة على الوجه المطلوب مثلا فلا عبرة بكرامتهم له وقال العزيمي يحتمل أن المراد نفى ثواب الجماعة .

﴿ وهو ﴾ أي وأخرج الطبراني ﴿ عن مرثد ﴾ بسكون الراء بعدها مثناة ﴿ الفئوى ﴾ بفتح المعجمة والنون وهذا كما ذكره العزيمي حديث حسن لغيره ﴿ أن سركم ﴾ أي فرحكم ﴿ أن تقبل صلاتكم ﴾ أي أن يقبلها الله تعالى ويشيكم عليها ثوابا كاملا ﴿ فليؤمكم ﴾ علماؤكم ﴿ أي بأحكام الصلاة العاملين وإن لم يتبحروا في غير الصلاة حتى الأفقه بأحكام الصلاة يقدم على غيره وإن تبجرا حكاما ﴾ فإنهم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم ﴿ أي هم الواسطة بينكم وبينه في التبليغ لأن الواسط الأعلى هو النبي ﷺ وهم ورثته .

﴿ و ﴾ أخرج ﴿ مسلم عن ابن مسعود ﴾ الأنصاري ﷺ قال قال رسول الله ﷺ ﴿ يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة ﴾ قال النووي فيه دليل لمن يقول بتقديم الأقرأ على الأفقه وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد وبعض أصحاب مالك والشافعي رحمهم الله وأصحابهما الأفقه مقدم على الأقرأ لأن الذي يحتاج إليه من القراءة مضبوط والذي يحتاج إليه من الفقه غير مضبوط ويعرض في الصلاة أمر لا يقدر على مراعاة الصواب فيه الا كامل الفقه قالوا ولهذا قدم النبي ﷺ أبابكر ﷺ في الصلاة على الباقرين مع أنه ﷺ نص عليه أن غيره أقرأ منه وأجابوا عن الحديث بأن الأقرأ من الصحابة كان هو الأفقه لكن في قوله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة دليل على تقديم الأقرأ مطلقا ولنا وجه اختياره جماعة من أصحابنا أن الأورع مقدم على الأفقه والأقرأ لأن مقتضى الإمامة يحصل من الأورع أكثر من غيره ﴿ فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة ﴾ قال أصحابنا يدخل فيه طائفتان أحدهما الذين يهاجرون اليوم من دار الكفر إلى دار الإسلام فإن الهجرة باقية إلى اليوم القيامة عندنا وعند جمهور العلماء وقوله ﷺ لا هجرة بعد الفتح لا هجرة من مكة لأنها صارت دار الإسلام ولا هجرة فضله كفضيلة الهجرة قبل الفتح الطائفة الثانية أولاد المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فإذا استوى اثنان في الفقه والقراءة وأحدهما من أولاد من تقدمت هجرته والآخر من أولاد من تأخرت هجرته قدم الأول ﴿ فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سنا ﴾ وفي رواية أخرى إسلاما وفي رواية أخرى فأكبرهم سنا معناه إذا استويا في الفقه والقراءة والهجرة ووجه أحدهما بتقديم إسلامه أو بكونه سنة قدم لأنها فضيلة يرجح بها ﴿ ولا يؤمن رجل رجلا ﴾ وفي رواية ولا يؤمن الرجل الرجل ﴿ في سلطان معناه كما قال النووي ما ذكره أصحابنا وغيرهم أن صاحب البيت والمجلس وإمام المسجد أحق من غيره وإن كان ذلك الغير أفقه وإنه وأورع وأفضل منه وصاحب المكان أحق فإن شاء قدم من يريده وإن كان الذي يقدمه مفضولا بالنسبة إلى باقي الحاضرين لانه سلطان فيتصرف فيه كيف شاء قال أصحابنا فإن حضر السلطان أو نائبه قدم على صاحب البيت وإمام المسجد وغيرهما لأن ولايته وسلطانه عامة قالوا ويستحب لصاحب البيت أن يأذن لمن هو أفضل منه ﴿ ولا يجلس في بيته على تكبرته إلا بأذنه ﴾ وفي الرواية الأخرى ولا يقعد وفي الرواية الأخرى ولا يجلس على تكبرته في بيته الا أن يأذن لك قال العلماء رحمهم الله التكرمة الفراش ونحوه من يستحب لصاحب المنزل ويخص به وهي بفتح التاء وكسر الراء .

والعقيلي عن ابن عمر من أم قوما وفيهم من هو أقرأ منه لكتاب الله وأعلم لم يزل في سفل إلى يوم القيامة * ومسلم عن أبي هريرة إذا نوب للصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون اتوها وعليكم السكينة فما أدركم فصلوا وما فاتكم فأتموا فان أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة * وأحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم عن البراء بن مالك أنه يصلون على الصف الأول *

﴿و﴾ أخرج ﴿العقيلي﴾ والبيهقي ﴿عن ابن عمر﴾ رضي الله عنهما ﴿من أم قوما وفيهم من هو أقرأ منه لكتاب الله﴾ تعالى ﴿وأعلم﴾ بأحكام الصلاة من أركانها وشروطها ﴿لم يزل في سفل﴾ أي مبروط وقص ﴿إلى يوم القيامة﴾.

﴿و﴾ أخرج ﴿مسلم عن أبي هريرة﴾ أن رسول الله ﷺ قال ﴿إذا نوب للصلاة﴾ معناه أقيمت سميت الإقامة تثنيا لأنها دعاء إلى الصلاة بعد الدعاء بالأذان من قولهم تاب إذا رجع ﴿فلا تأتوها وأنتم تسعون اتوها وعليكم السكينة﴾ فما أدركم فصلوا وما فاتكم فأتموا فان أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة ﴿فيه التدبير الأكيد إلى اتيان الصلاة بسكينة ووقار والنهي عن اتيانها سعيًا سواء فيه صلاة الجمعة وغيرها وسواء خاف فوت تكبيرة الاحرام أم لا والمراد بقول الله فاسعوا إلى ذكر الله الذهاب يقال سعيت في كذا أو إلى كذا ذهبته إليه وعملت فيه ومنه قوله تعالى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى قال العلماء والحكمة في اتيانها بسكينة والنهي عن السعي أن الذهاب إلى صلاة عامد في تحصيلها ومتوصل إليها فينبغي أن يكون متأذبا بآدابها وعلى أكمال الاحوال وهذا معنى قوله فان أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة وفي رواية إذا أقيمت الصلاة إنما ذكر الإقامة للتنبية بها على ما سواها لأنه إذا نهى عن اتيانها سعيًا في حال الإقامة مع خوفه فوت بعضها فقبل الإقامة أولى وأكد ذلك بيان العلة فقال ﷺ فان أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة وهذا يتناول جميع أوقات الاتيان إلى الصلاة وأكد ذلك تأكيدًا آخر قال فما أدركم فصلوا وما فاتكم فأتموا فحصل فيه تنبيه وتأکید لئلا يتوهم منهم أن النهي إنما هو لمن لم يخف فوت بعض الصلاة فصرح بالنهي وإن فات من الصلاة ما فات وبين ما يفعل فيما فات وقوله ﷺ وما فاتكم دليل على جواز قول فاتتنا الصلاة وأنه لا كراهة فيه وهذا قال جمهور العلماء وكرهه ابن سيرين وقال إنما يقال لم ندركها وقوله ﷺ وما فاتكم فأتموا هكذا ذكره مسلم في أكثر رواياته وفي رواية واقض ما سبقك.

واختلف العلماء في المسئلة فقال الشافعي وجمهور العلماء من السلف والخلف ما أدركه المسبوق مع الإمام أول صلاته وما يأتي به بعد سلامه آخرها وعكسه أبو حنيفة رضي الله عنه وطائفة وعن مالك وأصحابه روايتان كالمذهبين وحجة هؤلاء واقض ما سبقك وحجة الجمهور أن أكثر الروايات وما فاتكم فأتموا وأجابوا عن رواية فاقض ما سبقك أن المراد بالقضاء الفعل لا القضاء المصطلح عليه عند الفقهاء وقد كثر استعمال القضاء بمعنى الفعل فمنه قوله تعالى فقضاء من سبع سموات وقوله تعالى فإذا قضيت الصلاة يقال قضيت حق فلان ومعنى الجميع الفعل.

﴿و﴾ نذب وقوف في صف أول الحديث أخرجه ﴿أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم عن البراء﴾ ابن عازب وابن ماجه عن عبد الرحمن بن عوف والطبراني عن النعمان بن بشير والبخاري عن جابر ورجاله يوثقون ﴿أن الله تعالى وملائكته يصلون على الصف الأول﴾ أي أكثر من غيره والافهم يصلون أي يستغفرون على الجميع لما روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر للصف الأول ثلاثًا والثاني مرتين والثالث مرة فيستحب أن يتقدم الناس في الصف الأول ويستحب اتمامه ثم الذي يليه وأن يشرع في صف حتى يتم ما قبله وهذا الحكم مستمر في صفوف الرجال وكذا في صفوف النساء المنفردات بجماعتهم عن جماعة الرجال أما إذا صلت النساء مع الرجال جماعة واحدة وليس بينهما حائل فأفضل صفوف النساء آخرها.

وأحمد عن أبي أمامة إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول فسووا صفوفكم وحاذوا بين مناكبكم ولينوا بأيدي إخوانكم وسدوا الخلل فإن الشيطان يدخل فيما بينكم مثل الحذف * وأحمد عن عائشة إن الله وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف ومن سد فرجة رفعه الله بها درجة * وفي رواية من سد فرجة غفر له * والنسائي والحاكم عن ابن عمر من وصل صفا وصله الله ومن قطع صفا قطعه الله * والطبراني عن وابصة أنها المصلي وحده الأوصلت إلى الصف فدخلت معهم أو جررت إليك رجلا إن ضاق بك

المقام

* تنبيه * اعلم أن الصف الأول المدوح الذي قد وردت الأحاديث بفضلته والحث عليه هو الصف الذي يلي الإمام سواء جاء صاحبه مقدما أو متأخرا وسواء تخلله مقصورة ونحوها أم لا هذا هو الصحيح الذي يقتضيه ظواهر الأحاديث وصرح به المحققون وقال طائفة من العلماء الصف الأول هو المتصل من طرف المسجد إلى طرفه لا يتخلله مقصورة ونحوها فإن تخلل الذي يلي الإمام شيء فليس بأول بل الأول ما لا يتخلله شيء وإن تأخر وقيل الصف الأول عبارة عن مجيء الإنسان إلى المسجد أولا وإن صلى في صف متأخر وهذا القولان غلط صريح وإنما أذكره ومثله لا ينبه على بطلانه فلا يغتر به هكذا قاله النووي .

﴿ وأخرج ﴾ أحمد عن أبي أمامة إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول فسووا صفوفكم وحاذوا بين مناكبكم ﴿ كان ﴾ تجعلوا مناكبكم حذاء مناكب إخوانكم ﴿ ولينوا بأيدي إخوانكم وسدوا الخلل ﴾ فيها ﴿ فإن الشيطان يدخل فيما بينكم مثل الحذف ﴾ قال القيومي والحذف غنم سنود صغار الواحدة خذفة مثل قصب وقصبة ﴿ وأخرج ﴾ أحمد ﴿ وابن حبان والحاكم ﴾ عن عائشة ﴿ رضى الله عنها قال الحاكم صحيح وأقره ﴾ أن الله وملائكته يصلون ﴿ والمراد بصلاة الله الرحمة وبصلاة الملائكة الاستغفار أو المراد بالصلوة العطف أي التعطف ويفسر في حقه تعالى بلازمه وفي حق الملائكة بحقيقته المترتب عليه طلب الاستغفار ووقع لبعضهم هنا تفسير يصلون يستغفرون ومعنى الاستغفار في حقه تعالى الغفران لا طلبه إذ لا يطلب سبحانه من أحد ﴿ على الذين يصلون الصفوف ﴾ من الصلة ضد القطع فإذا امتد صف ثان قبل كمال الأول لا ثواب للثاني لتقصيره وكذا الأول والإمام أن قصره أو كان أحرم الإمام قبل أن يأمرهم بتسوية الصفوف وكان أمكن أهل الصف الأول جز شخص من الثاني وتركوا ذلك كسلا وحل ذلك في غير الجنازة والنساء مع الرجال إذا المطلوب في الجنازة جعلها ثلاث صفوف وإن كان كل شخص هنا واحدا والمطلوب جعل النساء خلف الرجال قاله الحنفى ﴿ ومن سد فرجة رفعه الله بها درجة ﴾ أي في الجنة والفرجة هي الخلل الذي يكون بين المصلين في الصفوف فيستحب أن تسد الفرج في الصفوف لينال هذا الثواب العظيم ويستحب الاعتدال في الصفوف فإذا وقفوا في صف فلا يتقدم بعضهم بصدده ولا غيره ولا يتأخر عن الناس ويستحب أن يكون الإمام وسط القوم كما قاله العزيمى ﴿ وفي رواية من سد فرجة غفر له ﴾ .

﴿ وأخرج ﴾ النسائي والحاكم عن ﴿ عبد الله ﴾ ابن عمر ﴿ رضى الله عنهما ﴾ بإسناد صحيح من وصل صفا ﴿ من صفوف الصلاة بأن وجد فرجة فسدها ﴾ وصله الله ﴿ أي زاد في بره وأدخله في رحمته ﴾ ومن قطع صفا ﴿ منها بأن وجد فرجة فتركها وصير صفا آخر ﴾ قطعه الله ﴿ أي عن كمال بره وأحسنه وهذا يحتمل الدعاء أو الخبر وحل ذلك في غير الجنازة كما مر لأنه يطلب فيها كثرة الصفوف وإن لم يتم الأول والثاني .

﴿ وأخرج ﴾ الطبراني عن وابصة أنها المصلي وحده أي المنفرد عن الصف ﴿ ألا ﴾ أي فلا فهو التحضيض ﴿ وصلت إلى الصف فدخلت معهم ﴾ أي المصلين ﴿ أو جررت إليك رجلا ﴾ منهم لمصطف معك ويسن له مساعدته ﴿ إن ضاق بك المقام ﴾ أي الصف

فقام معك أعد صلاتك فانه لا صلاة لك * وابن ماجه لا صلاة للذي خلف الصف والشيخان عن أبي هريرة أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار أو يجعل الله صورة حمار *

﴿فقام معك﴾ فصرتما صفا ﴿أعد﴾ أي ندبا ﴿صلاتك﴾ التي صليها وحدك منفردا عن الصف مع جماعة أخرى مع اتصالك بالصف ليحصل لك ثواب الجماعة فإن الأولى ليس فيها ثواب جماعة للانفراد عن الصف ﴿فانه لا صلاة لك﴾ أي كاملة وهذا قاله لرجل رآه يصلي خلف القوم وهذا حديث ضعيف كما قاله العزيزي.

﴿و﴾ أخرج ﴿ابن ماجه لا صلاة﴾ أي كاملة ﴿للذي خلف الصف﴾ يحرم تقدم المأموم على الإمام بركن فعلى تام كان ركع ورفع والإمام قائم للخبر الصحيح الذي أخرجه ﴿الشيخان﴾ عن أبي هريرة ﴿وغيرهما﴾ من أصحاب السنن الأربعة ﴿أما﴾ قال العلقمي حرف استفتاح مركب من حرف نفي وهمزة استفهام للتوبيخ ورواية ألا ﴿يخشى﴾ أي يخاف ﴿أحدكم﴾ إذا رفع رأسه قبل الإمام ﴿أي قبل رفعه من السجود﴾ ففي أبي داود الذي وقع رأسه والإمام ساجد وألحق به الركوع لكونه في معناه ونص على السجود المنطوق به لمزيد منزلة فيه لأن المصلي أقرب ما يكون فيه من ربه ولأنه غاية الخضوع المطلوب كذا قرره بعضهم وتعبه صاحب العدة بأنه لا يجوز تخصيص رواية البخاري برواية أبي داود لأن الحكم فيهما سواء ولو كان الحكم مقصورا على الرفع من السجود لكان لدعوى التخصيص وجه وتخصيص السجدة بالذكر في رواية أبي داود من باب سرايل تقيم الحرم ولم يعكس الأمر لأن السجود أعظم ﴿أن يجعل الله رأسه رأس حمار﴾ وفي رواية عند ابن حبان رأس كلب ﴿أو يجعل الله صورته صورة حمار﴾ وفي رواية مسلم وجه حمار وأولئك من الراوي أو غيره وروى يحول بدل يجعل في الموضعين ويحول في الأولى ويجعل في الثانية وخص الرأس والوجه بذلك لأن به رفعت الجنابة.

واختلفوا في هذا التحويل قليل حقيقة بناء على ما عليه الأكثر من وقوع المسخ في هذه الأمة أو مجاز عن البلادة الموصوف بها الحمار فاستعير ذلك للجاهل أو أنه يستحق به من العقوبة في الدنيا هذا ولا يلزم من الوعيد الوقوع وارتضى الغزالي الثاني ورد ما عده وقال هو قلب معنوي وهو مصيره كالحمار في معنى البلادة إذ غاية الحمق الجمع بين الاقتداء والتقدم فانهما متناقضان بأمر مستقبل فلم أنه كبيرة للتردد عليه بأشنع العقوبات وأشنعها وهو المسخ لكن لا تبطل صلاته عند الشافعية والحنفية وأبطلها أحمد كظاهره ورد هذا الثاني بالوعيد بأمر مستقبل وهذه الصفة حاصلة في فاعل ذلك على أن هذا الأمر قد وقع بالفعل ندد ذكر العلامة ابن حجر في بعض مؤلفاته أن بعض الأئمة تردد مدة مديدة على شيوخه في بيته ليسمع منه فكان دائما بينه وبين الطلبة ستر منيع لا يستطيع أحد منهم رؤية شيء من بدن الشيخ فتخلف عن أصحابه مرة لحاجة فلما رأى الشيخ المحل خاليا قال له قد لازمتني هذه المدة الطويلة ولم تقع بصرك علي فهل ترى أن أكشف الستر تراني قال نعم فرأى ذلك الأمر المهور وهو أن الوجه والصورة كلها كالحمار في جميع صفاته وكيفياته ثم بين له سبب ذلك أنه كان كلما مر على هذا الحديث استبعد ذلك حقيقة واعتقد أنه لا يتغير فقط ثم سبق الإمام فحول لوقته فلازم هذه السرة والاسماع من ورائها قال ابن حجر وهذا ينهك على القاعدة المقررة عند المحققين أن كل ما ورد في الكتاب والسنة وجوز العقل بأن لم يلزم عليه محال عقلي ولا عبرة بالعادي ولم يصح عند الشرع حديث آخر يعارضه تعين حمله على ظاهره واعتقاده ولم ينفع تأويله لأنه لا حاجة إليه فاخراج ما هو كذلك في ظاهره إلى مزوله تصرف في السنة بما يأذن به المتفضل بها فربما عوقب أتم العقاب أو حرم التوفيق والاحتساب نسأل الله السلامة من ذلك وأسأله.

وابن قانع عن شيان من رفع رأسه قبل الإمام أو وضعه فلا صلاة له * وأبو داود عن عائشة رضي الله عنها لا يزال قوم يتأخرون عن الصف الأول حتى يؤخرهم الله في النار * وهو وابن ماجه وحبان عنها إن الله وملائكته يصلون على من آمن من الصفوف * (تنبيه) إن الجماعة في أداء مكوبات الرجال الأحرار المقيمين فرض كفاية على الأرجح في مذهبي

﴿ و ﴾ أخرج ﴿ ابن قانع عن شيان ﴾ بن مالك الأنصاري ﴿ من رفع رأسه قبل ﴾ رفع ﴿ الإمام أو وضعه ﴾ أي وضع رأسه قبل وضع الإمام ﴿ فلا صلاة له ﴾ أي كاملة. ﴿ و ﴾ أخرج ﴿ أبو داود عن عائشة رضي الله عنها لا يزال قوم لا يتأخرون عن الصف الأول حتى يؤخرهم الله في النار وهو ﴾ أي وأخرج أبو داود ﴿ وابن ماجه وحبان عنها ﴾ أي عن عائشة رضي الله عنها بإسناد صحيح ﴿ أن الله وملائكته يصلون على من الصفوف ﴾ قد تقدم أن الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار أي يستغفرون لمن عن يمين الإمام من كل صف قال الغزالي وغيره ينبغي لدخول المسجد أن يقصد يمينه الصف فانها يمين وبركة وإن الله تعالى يصلي على أهلها انتهى وهذا إذا كان فيها سعة ولم يؤذ أهلها ولا تعطل مسيرة المسجد فان قلت ينافيه أي هذا الحديث قوله ﷺ من عمر مسيرة المسجد كتب له كفلان من الأجر قلت لا منافاة لأنه قد يحصل لصاحب الميمنة ما يوازي ذلك أو يزيد وقد يحصل لصاحب الميسرة ما يزيد على صاحب الميمنة بسبب نيته وإخلاصه وسبب الحرص على ميمنة الإمام أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا أحرص الناس على تحصيل القربات فلما حث النبي ﷺ على ميمنة الصف ازدحموا عليها فتعطلت المسيرة فقال ذلك.

﴿ * تنبيه * ﴾ اعلم ﴿ أن الجماعة في أداء مكوبات ﴾ غير الجمعة لأن الجماعة فرض عين في الجمعة وشرط لصحتها بالاتفاق سنة مؤكدة لخبر صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ سبع وعشرين درجة وقد سبق هذا الحديث والأفضلية تقتضي الندية فقط ولا تقتضي الفرضية وخرج بالأداء القضاء فلا تسن فيه الجماعة نعم إن اتفقت مقضية الإمام والمأموم سنت الجماعة والأخلاف الأول كالأداء خلف قضاء وعكسه وفرض خلف نقل وعكسه وتراويع خلف وتر وعكسه وبالمكوبة المنذورة والنافلة التي لا تسن فيها الجماعة كالزواتب والضحي فلا تسن فيهما الجماعة ولا تتركه ولا يتركه التذنب للنساء تأكده للرجال فلذلك يكره تركها لهم لاهن.

وقال النووي هي ﴿ الرجال ﴾ البالغين العقلاء ﴿ الأحرار ﴾ المستورين ﴿ المقيمين فرض كفاية ﴾ في المؤادة فقط ﴿ على الأرجح ﴾ والأصح ﴿ في مذهبي ﴾ وذلك لخبر ما من ثلاثة في قرية أو بدو لا تقام فيهم الجماعة إلا استحوذ عليهم الشيطان أي غلب رواد ابن حبان وغيره وصححه وفرض الكفاية هو عبارة عن كل مهم يقصد حصوله من المكلف من غير نظر بالذات إلى فاعله فخرج فرض العين فانه منظور فيه بالذات إلى فاعله حيث قصد حصوله من كل مكلف ولم يكف فيه بقيام غيره به عنه وخرج بالرجال غيرهم وبالبالغين الصبيان والعقلاء أضدادهم فلا تصح منهم وبالأحرار من فيه رق ولو ببعضه وإن كان بينه وبين سيده مهاباة والتوبة له سواء انفرد الأرقاء ببلد أم لا خلافا لمن رجح خلاف ذلك وبالمستورين العراة فلا تكون فرضا عليهم بل هي والانفراد في حقهم سواء إلا أن يكونوا عميا أو في ظلمة فتستحب لهم وبالمقيمين المسافرين فلا تجب عليهم كما نقله في الروضة عن الإمام وأقره وحزم به في التحقيق وما نقل عن ظاهر النص المقتضى لوجوبها على المسافرين محمول على نحو عاص بسفره ومتى كانت فرض كفاية فتجب إقامتها بحيث يظهر بها شعار الجماعة في تلك الحلة بإقامتها في كل مؤادة من الخمس بجماعة ذكر أحرار بالغين فيما يظهر كرد السلام بخلاف صلاة الجنائزة فان مقصودها الدعاء وهو من الصغير أقرب إلى الإجابة لانه لا ذنب عليه فان كانت أي الحلة كبيرة اشترط تعددها فيها بادية أو غيرها ولا يكفي فعلها في نحو محل ولا في البيوت وإن ظهرت في الأسواق لأن الشعار لا يحصل بذلك ومقتضى هذا التعليل انه إذا ظهر بها الشعار

وفرض عين عند أحمد بن حنبل وعطاء والأوزاعي وأبي ثور وابن المنذر وابن خزيمة وشرط لصحة الصلاة عند داود

الأكفاء بذلك وهو المعتمد كما نقله القاضي أبو الطيب عن أبي اسحاق كان فتحت أبوابها بحيث لا يحشم كبير ولا صغير من دخولها ومن ثم كان الأوجه الأكفاء باقامتها في الأسواق وإن كانت كذلك والأفلا لأن لأكثر الناس مروا تأبى دخول بيوت الناس والأسواق ولا يشترط اقامتها بجمهورهم بل تستقط بطائفة قليلة ظهر شمارهم وأما في القرية الصغيرة فلا يشترط تعددها فيها لحصول الفرض بدونه وضبط الشيخ أبو حامد القرية الصغيرة بأن يكون فيها نحو ثلاثين رجلا والظاهر أنه تقرب بل لوضبط ذلك بالعرف. لكن أقرب إلى المعنى وأكفاؤهم بحل في القرية الصغيرة وفي الكبيرة والبلد بمحليين مثلا مفروض فيما لو كان بحيث يمكن من يقصدها إدراكها من غير كبيرة مشقة فيها فيما يظهر فلا يشترط اقامتها في كل محلة منها خلافا للجمع.

﴿و﴾ هي ﴿فرض عين عند أحمد بن حنبل وعطاء والأوزاعي وأبي ثور وابن المنذر وابن خزيمة﴾ رحمه الله تعالى للخبر المذكور المستق عليه وهو لقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام ثم أمر رجلا فيصلي بالناس ثم انطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار وقد أجيب عنه كما مر بأنه وارد في قوم منافقين يتخلفون عن الجماعة ولا يصلون فرادى والسباق يؤيده وهو قوله ﷺ أنقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء والفجر ولو يعلمون ما فيها لأتوهما ولو حوبا ولقد هممت الخ ولأنه ﷺ لم يحرقهم وإنما هم بتحرقتهم لا يقال لولم يحز تحرقهم لما هم به لأننا نقول لعله هم بالأجتهاد ثم نزل وحي بالمنع أو تتيير الاجتهاد ذكره في المجموع وأنه قبل تحريم المثلة بالمسلمين والكفار ﴿وشرط لصحة الصلاة عند داود﴾ الظاهرى.

قال الرملي وعلى القول بأنها فرض عين فليست شرطا في صحة الصلاة كما في المجموع والجماعة في المسجد لغیر المرأة والحنثى أفضل منها خارجة لخبر أفضل صلاة المرأة في بيتة إلا المكوبة أي فهي في المسجد أفضل لأنه مشتمل على الشرف والطهارة والظهار الشعار وكثرة الجماعة وشمل ما ذكر ما لو كانت جماعة المسجد أقل من جماعة غيره وهو مقتضى تبرهن أن جماعة المسجد وإن قلت أفضل منها خارجة وإن كثرت وبه صرح الماوردي وأفتى به بعضهم ويدل له الخبر المار وهو مخصص لخبر ابن حبان وغيره وما كان أكثر فهو أحب إلى الله تعالى وإن عكسه القاضي أبو الطيب ورجحه بنص المتأخرين بأن المحافظة على الفضيلة المتعلقة بالعبادة أولى من المحافظة على الفضيلة المتعلقة بمكانها ويجاب عنه بأن الفضيلة المتعلقة بالعبادة وهي الجماعة موحدة في كل منهما.

أما المرأة والحنثى فيجماعتها في بيوتها أفضل لخبر لا تمتنعوا نساءكم المساجد ويوتن خير لمن ويكره لها حضور جماعة المسجد إن كانت مشتهة ولو في ثياب مهنة أو غير مشتهة وبها شيء من الزينة أو الريح الطيب وللإمام أو نائبه منع من حينئذ كما منع من تناول ذاريج كره من دخول المسجد ويحرم عليهن بنيران ولي في الحلية أو حليل في المتزوجة أو سيد أوها في أمة متزوجة ومع خشية فتنة منها أو عليها وللأذن لها في الخروج حكمها في الخروج للجماعة فيكره له الأذن حيث كره حضورها ويحرم حيث حرم ذلك وتحصل فضيلة الجماعة للشخص بصلاته في بيته بزوجة أو ولد أو رقيق أو غيرهم بل بحث الاسنوى والأوزاعي إن ذهابه إلى المسجد لو فوتهما على أهل بيته مفضل وإن اقامتها لهم أفضل ونظر فيه بأن فيه إثارا بقرينة مع إمكان تحصيلها بإعادتها معهم ويرد بأن الفرض فواتها لو ذهب للمسجد وذلك لا إثار فيه لأن حصولها لهم ربما عادل فضلها في المسجد أوزاد عليه فهو كسعادة الجور من الصف.

وأفضل الجماعة بعد الجمعة صباحها ثم صبح غيرها ثم العشاء ثم العصر ولا ينافيه كون العصر الوسطى لأن المشقة في دينك أعظم والأوجه تفضيل الظهر ذاتا وجماعة على المغرب لأنها اختصت من بين سائر الصلوات ببدل وهو الجمعة أي بصلاة تغفل في وقتها

وينبغي تسوية الصف وهي سد الفرج فيه وإتمام الصف الأول فالأول فتسويته مستحب في تأدية الجماعة وشرط لنيل فضلها وصلاة من تركها صحيحة على الأصح لكن جزم ابن حزم بوجوبها وببطلان صلاة تاركها

وبالإنراد وأما أفضل الصلوات فقد قال ابن حجر في أول كتاب الصلاة في وقت العصر ما نصه أفضلها العصر ويلها الصبح ثم العشاء ثم الظهر ثم المغرب فيما يظهر من الأدلة وإنما فضلوا جماعة الصبح والعشاء لأنها أشق انتهى وظاهره التسوية في الفضل بين صبح الجمعة وغيرها وقياس ما ذكر في الجماعة أن صبح الجمعة أفضل من صبح غيرها بل ذكر ابن قاسم أن بقية صلوات يوم الجمعة أفضل من صلوات غيرها وما كثر جمعه من المساجد أفضل مما قل جمعه منها وكذا ما كثر جمعه من البيوت أفضل مما قل جمعه منها إلا فيما استثنى من نحو بدعة إمامه قال الشيرازي بقي شيء آخر وهو أن الإمام أكثر ثوابا من المأموم أخذا بما قالوا من المفاضلة بينها وبين الأذان على الخلاف في ذلك وحينئذ لو تعارض كونه إماما مع جمع قليل ومأموما مع جمع كثير فهل يستوى الفضيلتان وتجبر فضل الكثرة الإمامة فيصلى إماما أولا فيصلى مأموما فيه نظر والأقرب الأول لما في الإمامة من تحصيل الجماعة لغيره بخلاف المأموم فإن الجماعة حاصلة بغيره فالمنفعة في قدوته عائدة عليه وحده وأقضى الغزالي بأنه إذا كان لو صلى منفردا خشع أي في جميع صلاته ولو صلى في جماعة لم يخشع فالانفراد أفضل وتبعه ابن عبد السلام قال الزركشي تبعنا للأذرعى والمختار بل الصواب خلاف ما قالوه وهو كذلك لما مر من الخلاف في أن الجماعة فرض عين وهو أقوى من الخلاف في كون الخشوع شرطا فيها ومن ثم كان الراجح أنها فرض كفاية وأنه سنة .

* فرع * إذا كان عليه الإمامة في مسجد فلم يحضر معه أحد يصلى معه وجبت عليه الصلاة فيه وحده لأن عليه شيئين الصلاة في هذا المسجد والإمامة فيه فإذا فات أحدهما لا يستقط الآخر بخلاف من عليه التدريس إذا لم يحضر أحد من الطلبة لا يجب أن يدرس لنفسه لأن المقصود من المدرس التعليم ولا يتصور بدون معلم بخلاف الإمام المقصود منه أمران لما تقدم قاله الرملي وقتله الشيرازي وغيره ﴿ وينبغي تسوية الصف وهي سد الفرج فيه ﴾ أي في الصف ويسن أن لا يزيد ما بين كل صفين والأول والإمام على ثلاثة أذرع ومضى كان بين صفين أكثر من ثلاثة أذرع كره للدخيلين أن يصطفوا مع المتأخرين فإن فعلوا لم يحصلوا فضيلة الجماعة أخذا من قول القاضي لو كان بين الإمام ومن خلفه أكثر من ثلاثة أذرع فقد ضيعوا حقوقهم فللدخيلين الاصطفاف بينهما والأكبر لهم ﴿ وإتمام الصف الأول فالأول ﴾ وهكذا ويجوز أن يسوى الصفوف غير الإمام ولكن الإمام أولى والسر في تسويتها مبالغة المتابعة وقد أخرج أحمد والشيخان وأبو داود وابن ماجه من حديث انس واللفظ للبخاري سورا صفوفكم فإن تسوية الصف من إقامة الصلاة ﴿ فتسويته مستحب في تأدية الجماعة وشرط لنيل فضلها وصلاة من تركها ﴾ أي التسوية ﴿ صحيحة على الأصح لكن جزم ابن حزم بوجوبها ﴾ ﴿ جزم ببطلان صلاة تاركها ﴾ أخذا بظاهر الخبر المذكور وذلك لأن الإقامة واجبة وكل شيء من الواجب واجب ومنع بأن حسن الشيء زيادة على تمامه ولا يضره رواية من تمام الصلاة لأن تمام الشيء عرفا أمر زائد على حقيقته غالبا وأخرج الدارمي في مسنده من حديث البراء بن عازب سورا صفوفكم لا تختلف قلوبكم وعند البخاري وأبي داود وابن ماجه من حديث نعمان بن بشير تسون صفوفكم أوليخالفن الله بين قلوبكم وفي رواية للبخاري بين وجوهكم وعند أحمد من حديث أبي أمامة تسون الصفوف أولطمسن الوجوه وفي الباب أحاديث كثيرة وكان السلف يتحاذون بين المتأكبين ويتضامون بالكعاب وروى مسلم من حديث جابر بن سمرة خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها قلنا وكيف تصف عند ربها قلنا يتسبون الصفوف الأول ويتراصون في الصف والمطلوب من تسويتها محبة الله لعباده .

وعدم مسابقة الإمام برفع الرأس أو قيام أو هوى قبله فمسا بقتة مكروهة على المراجع ويسن العود إلى الإمام إن كان باقيا في هذا الركن وحرام على ما جزم به بعض المتأخرين والاعتناء بالوقوف في الصف الأول فالحفاظة عليه أولى من المبادرة إلى الإحرام لإدراك الركوع مع الإمام في غير ركعة الأخيرة

﴿و﴾ ينبغي ﴿عدم مسابقة الإمام﴾ أي مسابقة المأموم الإمام ﴿برفع الرأس﴾ من نحو الركوع ﴿أو قيام أو هوى قبله﴾ أي الإمام بل يتأخر المأموم عنه فلا يهوى للسجود الا اذا وصلت جبهة الإمام إلى موضع السجود وهكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله ﷺ ولا يهوى للركوع حتى يسوي الإمام رَأْسَهُ ﴿فمسا بقتة مكروهة على المراجع﴾ والدليل على أن أفعال المأموم تكون متأخرة عن أفعال الإمام ما أخرجه الشيخان من حديث همام عن أبي هريرة رفعه انما جعل الإمام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه فاذا كبر فكبروا وإذا ركع فاركعوا وإذا قال سمع الله لمن حمده قولوا اللهم ربنا لك الحمد وإذا سجد فاسجدوا وإذا صلى جالسا فجلوسا أجمعون ووجه الدلالة منه انه رتب فعله على فعل الإمام بالفاء المقضية للترتيب والتعقيب ذكره ابن بطال وابن دقيق العيد في شرح العمدة قال العراقي في شرح التعريب وفيه نظر فان الفاء المقضية للتعقيب هي العاطفة أما الواقعة في جواب الشرط فانما هي للربط والظاهر انه لا دلالة لها على التعقيب على أن في دلالتها على التعقيب مذهبين حكاهما الشيخ أبو حيان في شرح التسهيل ولعل أصلها ان الشرط مقدم عليه مع الجزاء وهذا يدل على أن التعقيب ان قلنا به فليس من الفاء وانما هو من ضرورة تقدم الشرط على الجزاء وقد قيل ان الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد الإمام وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يكبرون ويركعون ويسجدون معه مواصلة له ومبادرة وطائفة ثالثة يخرجون بلا صلاة وهم الذين يسبقون الإمام فان سبقه من الكبار لما صرح به الزبيدي

﴿ويسن العود إلى الإمام ان كان باقيا في ذلك الركن﴾ وتلك المسبقة ﴿محرام على ما جزم به بعض المتأخرين﴾ قال ابن حجر في الزواجر عدنا هذا أي مسابقة الإمام من الكبار هو صريح ما في الأحاديث الصحيحة وبه جزم بعض المتأخرين وانما يتضح بناء على ما روى عن ابن عمر أن من فعل ذلك لأصلاة له قال الخطابي وأما أهل العلم فانهم قالوا قد أساء صلاته بجزئة غير أن أكثرهم يأمرونه أن يعود إلى السجود ويمكث في سجودها بعد أن يرفع الإمام رأسه بقدر ما كان نزل انتهى ومذهبنا أن مجرد رفع الرأس أو القيام أو الهوى قبله مكروه كراهة تنزه وانه يسن له العود ان كان باقيا في ذلك الركن فان سبقه بركن كان ركع أو اعتدل والإمام قائم ثم يركع حريم عليه ولا يبعد أن يحمل الحديث على هذه الحالة وتكون هذه المعصية كبيرة أو بركين كأن هوى إلى السجود والإمام لم يركع فلما أراد الإمام الاعتدل هوى المأموم للسجود بطلت صلاته ويكون فعل ذلك وتسميته كبيرة ظاهرا انتهى بحروقه قال الشيرازي في قوله مذهبنا ان مجرد رفع الرأس الخ لا ينافي كون السبق ببعض الركن حراما لانه لا يتحقق سبق بعض الركن الا بانتقاله من القيام مثلا إلى سبقي الركوع أو السجود والهوى من القيام وسيلة إلى الركوع أو السجود والرفع من السجود وسيلة إلى القيام أو الجلوس بين السجدين فلم يصدق عليه انه سبق بركن ولا يتعنه. ﴿و﴾ ينبغي ﴿الاعتناء﴾ والاهتمام ﴿بالوقوف في الصف الاول﴾ فان فضله كثير أخرجه أحمد والشيخان والنسائي وابن حبان من حديث أبي هريرة لو يعلم الناس ما في النداء والصف الاول ثم لم يجدوا إلا أن يستهوا عليه لاستهوا الحديث وأخرج ابن أبي شيبة والطبراني والضياء من حديث عامر بن مسعود لو يعلم الناس ما في الصف الاول ما صفوا فيه الا بقرة وغير ذلك من الأخبار ولذلك قال ﴿فالحفاظة عليه أولى من المبادرة﴾ أي المسارعة ﴿إلى الإحرام لإدراك الركوع مع الإمام في غير الركعة الأخيرة﴾ يعني لو تعارض على المأموم إدراك الصف الاول وإدراك ركوع غير الركعة الأخيرة فان ذهب للصف الاول يفوته ركوع ذلك وإن وقف في غير الصف الاول

﴿فرع﴾ يندب قطع النافلة وقلب فريضة مؤداة نقلا لخوف فوت جماعة

﴿فصل﴾ شروط الاقتداء بعدم تقدمه على إمامة يعقب

أدركه فالأول له الذهاب إلى الصف الأول ليحوز فضله أما الركعة الأخيرة فإن فوتها قصد الصف الأول بأن كان لو ذهب إلى الصف الأول رفع الإمام رأسه من الركوع ولو لم يذهب إليه أدرك ركوع الإمام في الركعة الأخيرة فأدراكها أول من الصف الأول خلافا للرمل الكبير حيث قال أن أدراك الصف أولى .

﴿* فرع *﴾ يندب المنفرد ﴿قطع النافلة وقلب فريضة مؤداة نقلا﴾ مطلق فلو قلبها نقلا معينا كركعتي الضحى لم يصح ﴿لخوف فوت جماعة﴾ أي جماعة مشروعة ثم يدخل فيها وهذا القلب يعتبر بشروط الأول أن يكون منفردا فلو كان في جماعة لا يجوز له قلبها نقلا والدخول في جماعة أخرى أما النقل نفسه إلى الأخرى من غير قلب فانه يجوز من غير كراهة أن كان بعدز والاكثرة . الثاني أن يرى جماعة يصلى منهم فلو لم يرها حرم القلب . الثالث أن تكون الجماعة مشروعة أي مطلوبة فلو لم تكون مشروعة كما لو كان يصلى الظهر فوجد من يصلى العصر فلا يجوز له القلب كما ذكر في المجموع . الرابع أن لا يكون الإمام ممن يكره الاقتداء به لبدعة أو غيرها كمخالفة في المذهب فإن كان كذلك لم يندب القلب بل يكره . الخامس أن يكون في ثلاثية أو رباعية فلو كان في ثنائية لم يندب القلب بل يباح . السادس أن لا يقوم لثلاثة فلو قام لها لم يندب القلب بل يباح كالذي قبله . السابع أن يتسع الوقت بأن يتحقق إتمامها فيه لو استأنفها فإن علم وقوع بعضها خارجا وشك في ذلك حرم القلب وخرج بالمؤداة الفاتحة فلو كان يصلى فاتحة والجماعة القائمة حاضرة أو فاتحة ليست من جنس التي يصلها حرم القلب فلن كانت من جنسها كظهر خلف ظهر لم يندب بل يجوز كذا في الروضة وشرحه قال في النهاية وغيره ومحل ما تقرر في غير الجمعة أما فيها فقطعه واجب لأدراكها بأدراك ركوعها . ولو أقيمت الجماعة والمنفرد يصلى حاضرة صبحا أو غيرها وقد قام في غير الثانية إلى ثلاثة سن له إتمام صلاته ثم يدخل في الجماعة وإن لم يقم في غير ما مر إلى الثالثة قلبها نقلا واقتصر على ركعتين ثم يدخل في الجماعة بل لو خاف فوت الجماعة لو تم ركعتين سن له قطع صلاته واستئنافها جماعة كما في المجموع ويكون مستثنى من حرمة قطع الفرض ومن بطلان الصلاة بتغيريته قال الجلال البلقيني لم يتعرضوا للركعة والمعروف أن للسنة الافتقار على ركعة فهل تكون الركعة الواحدة كالركعتين لم أر من تعرض له ويظهر الجواز إذ لا فرق انتهى وما ذكره ظاهر وإنما ذكرنا الأفضل .

﴿فصل﴾ في شروط صحة القدوة المستلزمة صحة الصلاة

﴿شروط الاقتداء﴾ سبعة أحدها ﴿عدم تقدمه﴾ أي المأموم في المكان ﴿على إمامه﴾ لما صح من قوله ﷺ إنما جعل الإمام ليؤتم به لا تناسل الاتباع والمقدم غير تابع فإن تقدم عليه بما سيأتي في غير صلاة شدة الخوف في جزء من صلاته بشيء مما ذكر لم تصح صلاته وفي الإيعاب بحث بعضهم أن الجاهل يفتقره التقدم لانه عذر بأعظم من هذا وإنما يتجه في معذور لبعده محله أو قرب إسلامه وعليه فالناسي مثله كذا نقله الكردي وغيره والاعتبار في تقدمه وتأخره ومساواته في القيام ومثله الركوع فيما يظهر ﴿يعقب﴾ وهو ما يصيب الأرض من مؤخر القدم لا الكعب وأصابع الرجل إذ فحش التقدم وإنما يظهر به فلا اعتبار بتقدم أصابع المأموم مع تأخر عقبه والفتوى باليه ولو في التشهد وإن كان راكبا وفي الاضطجاع بالجانب وفي الاستلقاء احتمالا أن أوجهها برأسه ومحل ما تقرر في العقب وما بعده أن اعتمد عليه فإن اعتمد على غيره وما بعده كأصابع القائم أو النياحيد وركبة الجالس اعتبر ما اعتمد عليه فيما يظهر ولو اعتمد على عقبه وقدم أحدهما صحت القدوة كما اقتضاه كلام البغوي وأفتى به بعضهم فلو صلى قائما معتمدا على خشبتين تحت إبطيه فصارت رجلاه

معلقين في الهواء فان لم تمكنه غير هذه الهيئة فالأوجه اعتبار الخشبتين اما اذا لم تمكن على غير هذا الوجه فصلاته غير صحيحة ولو تعلق
مقد بجبل وتعين طريقا اعتبر منكبه فيما يظهر وبحث العلامة ابن حجر ان العبرة في الساجد بأصابع قدميه ولا بعد غير ان اطلاقهم بحالته
كما قاله الرملي.

ويستدير المأمون استخبايا اذا صلوا في المسجد الحرام حول الكعبة ولا ينظر كونه أقرب الى الكعبة في غير جهة الامام في الأصح
وكذا لا ينظر لو وقف الامام والمأمون في الكعبة واختلفت جهتهما ويقف الذكر ندبا ولو صيا اذا لم يحضر غيره عن يمين الامام لما صح عن
ابن عباس انه وقف عن يسار رسول الله ﷺ فأخذ برأسه فأقامه عن يمينه ويؤخذ منه أنه لو فعل أحد من المتقدمين خلاف السنة استحب
للإمام إرشاده اليها يده أو غيرها ان وثق منه بالاستئصال ولا يبعد أن يكون المأمون في ذلك مثله في الإرشاد المذكور ويكون هذا مستثنى من
كرهية الفعل القليل بل في الجحوق والتحقيق انه لو وقف عن يساره أو خلفه نذب التحويل الى اليمين والا فيحوله الامام لحديث ابن عباس
ومقتضاه عدم الفرق بين الجاهل وغيره وهو الأقرب وان اقتضى كلام المذهب اختصاصه به فان حضر ذكر آخر أحرم ندبا عن يساره فان
لم يكن يساره محل أحرم خلفه ثم تأخر اليه من هو على اليمين ولو خالف ذلك كره وفاتت به فضيلة الجماعة كما أتى به بعضهم ثم بعد
احرام الآخر يتقدم الامام أو يتأخران في القيام ويلحق به الركوع كما بحثه بعضهم خلافا للبلقينى وتأخرهما أفضل من تقدم امامه عند
امكان كل منهما لأن الإمام متبوع فلا يناسبه الانتقال فان لم يمكن إلا أحدهما فقل الممكن ليعينه في أراء السنة . . .

وأصل ذلك خبر مسلم عن جابر رضي الله عنه قمت عن يسار رسول الله ﷺ فأذرنى عن يمينه ثم جاء جبار بن صخر فقام عن يساره
فأخذ بأيدينا جميعا فدفعنا حتى أقامنا خلفه أما في غير القيام وما ألحق به ولو كان شهيدا فلا يسن فيه ذلك وان أوهم كلام الروضة خلافه
لانه لا يأتى الا بعمل كثير أو شق غالبا ولو حضر ابتداء معا أو مرتبا رجلا أو صبيان أو رجل وصبي صفا خلفه للاتباع أيضا ويسن أن
لا يزيد ما بينه وبينهما كما بين كل صنفين على ثلاثة أذرع وكذا لو حضرت امرأة ولو حرما أو زوجة أو نسوة تقوم أو يقمن خلفه فان حضر
منه ذكر وامرأة وقف الذكر عن يمينه والمرأة خلف الذكر أو امرأة وذكران وقفا خلفه وهى خلفهما أو ذكر وامرأة وخشى وقف الذكر عن
يمينه والخشى خلفهما لاحتمال أنوثته والمرأة خلفه لاحتمال ذكوريته ويقف خلف الامام الرجال ثم ان تم صفهم وقف خلفهم الصبيان وان
كانوا أفضل من الرجال لعلم أو نحوه خلافا للدارمي ومن تبعه فان لم يتم صف الرجال كمل بالصبيان لانهم من الجنس ثم النساء لخبر مسلم
لبلى منكم أولو الارحام والنهى أي البالغون العقلاء ثم الذين يلونهم ثلاثا وأفضل صفوف الرجال أولها ثم الذي يليه وهكذا وأفضل كل
صف يمينه وان كان من اليسار يسمع الامام ويرى أفعاله خلافا لبعضهم حيث ذهب الى أنه أفضل حينئذ من اليمين الحالى من ذلك معللا
له بأن الفضيلة المتعلقة بذات العبادة مقدمة على المتعلقة بمكانها ويرده أن في جهة اليمين كالصف الاول من الله تعالى وملائكته على أهلها ما
يفوق سماع القراء وغيره .

* فرع * لو لم يحضر أحد من الرجال حتى اصطف النساء خلف الامام وأحر من هل يؤخرون بعد الاحرام ليتقدم الرجال أولا
فيه نظر ويظهر الثاني وفاقا للرملي وفي شرح العباب عن القاضي ما يفيد خلافاه والأقرب كما قاله الشيرازي الملتزم الاول حيث لم يترتب على
تأخرهن أفعال مبطللة وتقف امامتهن ندبا وسطين لورود ذلك عن عائشة وأن سلمة رضى الله عنهما فان أمهن خشى تقدم ذكر وامام
عراة فيهم بصير ولا ظلمة كإمامة النساء والا تقدم عليهم ومختلفة ما ذكر مكروهة تفوت فضيلة الجماعة واذا اجتمع الرجال مع النساء
والجميع عراة لا يفتن معهم لا في صف ولا في صنفين بل يتخلفن ويجلسن خلفهم ويستدبرن القبلة حتى تصلى الرجال وكذا عكسه فان

ونية الاقتداء بالإمام الحاضر مع تحريم وشروط في جمعة نية إمامته وهي سنة في غيرها وعليه باتتعالقات الإمام واجتماعهما بمكان فلو كانا
أمكن أن تتوارى كل طائفة بمكان حتى تصلي الطائفة الأخرى فهو أفضل كما ذكر ذلك في المجموع وصلاة الجنازة تتسوى صفوفها في
الفضيلة عند اتحاد الجنس لاستحباب تعدد الصفوف فيها .

﴿و﴾ ثانيهما ﴿نية الاقتداء﴾ أو الجماعة أو الانضمام ﴿بالإمام الحاضر﴾ أو الصلاة معه أو كونه مأموماً إذا لمتابعة عمل فيقتصر ال
نية ويجب أن تكون هذه النية مقترنة ﴿مع تحريم﴾ فإذا لم تقترن نية نحو الاقتداء بالتحريم لم تتعبد الجمعة ومثلها المعادة والمجموعة بالمطر
لاشتراط الجماعة فيها ويتعبد غيرها فلو ترك هذه النية وشك فيها وتابع مصلياً في فعل كأنه نوى الركوع متابعاً له أو سلام بأن قصد ذلك
من غير اقتداء به وطال عرفاً انتظاره له بطلت صلاته على الصحيح لتلاعبه أما لو وقع ذلك منه اتفاقاً من غير قصد أو كان الانتظار سبباً
أو كثيراً من غير متابعة لم تبطل جزماً وهل البطلان بما مر عام في العالم بالمنع والجاهل أم يختص بالعالم قال الأذرعى لم أرفه شيئاً وهو محتمل
والأقرب أنه يعذر الجاهل لكن قال الأذرعى في التوسط أن الأشبه بعدم الفرق وهو الأوجه .

﴿وشرط في جمعة نية إمامة﴾ أو جماعة ﴿معه﴾ أى مع التحريم فلو تركها معه لم تصح جمعة سواء كان من الأربعين أو زائداً عليهم
وان لم يكن من أهل وجوبها نعم ان لم يكن من أهل الوجوب ونوى غير الجمعة لم تجب عليه نية الإمامة ومثل الجمعة المعادة والمجموعة جمع
تقديم بالمطر قلزمه نية الإمامة فيهما ﴿وهي﴾ أى نية الإمامة ﴿سنة في غيرها﴾ ليحوز ثواب الجماعة وللخروج من خلاف من أوجبها
وتصح نيتها مع تحريمها وان لم يكن خلفه أحد ان وثق بالجماعة على الأوجه لانه سيصير اماماً فان لم ينو الإمامة أصلاً ولولعدم علمه
بالمقتدين حصل لهم الفضل دونة اذ ليس للمزمع من عمله الامانة ونوى وان نواها في أثناء الصلاة حصل له الفضل من حينئذ ولا تتعطف على ما
قبلها وفارق ما لو نوى صوم قبل الزوال حيث أثبت على الصوم من أول النهار بأن صومه لا يمكن ان يتبعص صوماً وغيره بخلاف الصلاة
فانه يمكن تبعضها جماعة وغيرها .

* فرع * المبادر من كلامهم أن من نوى الإمامة وهو يعلم أن لا أحد ثم يريد الاقتداء به لم تتعبد صلاته لتلاعبه وأنه لا اثر لحدوث
احتمال اقتداء جني به نعم ان ظن ذلك لم يبعد جواز نية الإمامة أو طلبها ثم رأيت في شرح العباب قال أى الزركشي بل ينبغي نية الإمامة
وان لم يكن خلفه أحد اذا وثق بالجماعة انتهى قال ابن قاسم وقد يقال يؤخرها لحضور الموثق بهم .

﴿و﴾ ثالثها ﴿علمه﴾ أى المأموم ﴿باتتعالقات الإمام﴾ ليسكن من متابعته بأن كان يراه أو يرى بعض صف من المقتدين به أو واحداً
منهم وان لم يكن في صف أو سمعه أو سمع مبلتة ثقة وان لم يكن مصلياً وظاهر أن المراد بثقة هنا عدل الرواية اذ غيره لا يقبل اخباره وقول
المجموع يقبل اخبار الصبي فيما طريقه المشاهدة كالغروب ضعيف وان نقله عن الجمهور واعتمده غير واحد أو بهدابة ثقة بحجب أعين
أصم في نحو ظلمة ولو ذهب المبلغ في أثناء صلاته لزمته نية المفارقة أى ان لم يرج عوده قبل مضي ما يسع ركبتين في ظنه فيما يظهر فلو لم يكن
ثم ثقة وجعل المأموم أفعال امامه الظاهرة كالركوع والسجود لم تصح صلاته فيقضى لعذر المتابعة حينئذ .

﴿و﴾ رابعها ﴿اجتماعهما﴾ أى الإمام والمأموم ﴿بمكان﴾ أى في مكان والمراد ما يشمل المسجد وغيره اذ من مقاصد
الاقتداء اجتماع جمع في مكان كما عهد عليه الجماعات في العصر الخاليات وبني العبادات على رعاية الاتباع لا الابتداع فليس لنا
أحداث صفة لم توجد في عهده عليه السلام كالتقليد كالتقليد على ما ثبت عنه .

﴿فلو كانا﴾ أى الإمام والمأموم في مسجد صح الاقتداء وان بعدت المسافة بينهما فيه وحالت أبنية متنافذة أبوابها اليه أو ال

في بناءين شرط عدم حائل أو وقف واحد خذاء منفذ فيه ولو وقف في علو وإمامه في سفلى أو عكسه لم يشترط محاذاة بعض بدنه على طرية العراقيين التي رجحها النووي.

سطحه كما يفهمه كلام الشيخين خلافا لما يفهمه كلام الأنوار ولو مغلقة غير مشمرة كثير وسطح ومناورة داخلية فيه لأنه كلة مبنى للصلاة فالمجتمعون فيه مجتمعون لأقامة الجماعة مؤدون لشعارها والمساجد المتنافذة مثله في ذلك وإن انفرد كل منها بإمام ومؤذن وجماعة بخلاف ما إذا كان في بناء غير نافذ كان سمر بابه وإن كان الاستطراق يمكن من فرجة من أعلاه فيما يظهر لأن المدار على الإستطراق العادي وكسطحه الذي ليس له مرقى أو حال بين جانبيه أو بين المسجد ورحبته أو بين المساجد المذكورة نهر أو طريق قديم بأن سبق وجوده أو وجودها فلا يكون كالمسجد بل كمسجد وغيره وعلم أنه يضر الشباك فلو وقف من ورائه بحدار المسجد ضرر كما هو المنقول في الرافعي أخذاً من شرطه كالزوضة والمجموع وغيرهما تنافذ أبنية المسجد فقول الاسنوي لا يضر الشباك سهو كما قاله الحصني.

ومثل المسجد رحبته وهو ما كان محوطاً عليه لأجله في الأصح ولم يعلم كونها شارعا قبل ذلك أو نحوه سواء أعلم وقيتها مسجداً أم جهل أمرها عملاً بالظاهر وهو التحويط عليها وإن كانت منتهكة غير محترمة كما اقتضاه كلام الشيخين وجرى عليه بعض المتأخرين وخرج بالرحبة الحريم وهو الموضع المتصل به الميأ لمصلحته كاتصبااب الماء وطرح القمامات فيه فليس له حكمه فيما مر ولا في غيره ولا يلزم الواقف تمييز الرحبة من الحريم كما قاله الزركشي لتعطى حكم المسجد ولو حال بين المسجدين أو المساجد نهر أو طريق بأن حفر بعد حدودها لم يخرجها عن كونها كمسجد واحد وكالنهر فيما ذكره الطريق.

فإن كان الإمام والمأموم ﴿في بناءين﴾ كصحن وصفة من دار أو كان أحدهما ببناء والآخر بفضاء ﴿شرط﴾ مع قرب المسافة بأن لا يزيد ما بينهما على ثلثمائة ذراع تقريباً وهي بعترة من طرف المسجد الذي يلي من هو خارجه إن كان الإمام فيه والمأموم خارجه أو من طرفه الذي يلي الإمام إن كان المأموم فيه والإمام خارجه ﴿عدم حائل﴾ بينهما يمنع مروراً أو رؤية ﴿أو﴾ وجد حائل شرط ﴿وقوف واحد﴾ من المأمومين ﴿خذاء منفذ﴾ كائن ﴿فيه﴾ أي في الحائل فإن حال ما يمنع مروراً كشباك أو رؤية كباب مردود وإن لم تقلق ضيقه لمنعه مشاهدة الإمام وإن لم يمنع الاستطراق ومثله الستر المرخى بين الإمام والمأموم أو لم يحل ما يمنع المرور أو الرؤية بأن جال ما لا يمنع ذلك ولكن لم يقف واحد منهم خذاء منفذ في ذلك الحائل لم ينصح الاقتداء في الصورتين وإذا وجد منهم خذاء المنفذ ليرى الإمام أو بعض من معه في البناء الذي يصلى فيه الإمام تصح صلاة من بالمكان الآخر تبعاً لهذا المشاهد للإمام أو بعض من معه فهو في حقهم كالإمام فلا يجوز التقدم عليه في الموقف والاحرام ولا بأس بالتقدم عليه في الأفعال ولا يضرهم بطلان صلاته بعد احرامهم على الأوجه كرد الريح الباب أثناء الصلاة لأنه يفتقر في الدوام ما لا يفتقر في الابتداء.

* فرع * المعتد أنه إذا رد الباب في الأثناء بواسطة الريح أو غيره امتنع الاقتداء وإن علم انتقالات الإمام لتقصيره بعد احكام فتحه بخلاف ما لو زالت الرابطة في الأثناء بحدث أو غيره لا يمنع بقاء الاقتداء بشرط العلم بالانتقالات.

﴿ولو وقف﴾ المأموم ﴿في علو﴾ بضم العين وكسرهما مع سكون اللام من غير مسجد كصفة مرتفعة وسط دار مثلاً ﴿وقف﴾ الإمام في سفلى بضم السين وكسرهما مع سكون الفاء كصحن تلك الدار ﴿أو عكسه﴾ أي الوقوف أي وقفاً عكس الوقوف المذكور ﴿لم يشترط محاذاة بعض بدنه﴾ أي المأموم ﴿بعض بدنه﴾ أي الإمام بأن يخاضى رأس الأسفل قدم الأعلى مع فرض اعتدال قائمة الأسفل وهذا على طريق العراقيين التي رجحها النووي وهي المعتددة وطريق المراوزة الاستراط وهي ضعيفة وعلى الأول يشترط أن لا

وتوافق صلاتيهما نظما لانية وعددا

يوجد حائل بينهما يمنع الاستطراق الى الامام عادة ويشترط أيضا القرب بأن لا يزيد ما بينهما على ثلثائة ذراع ان كانا أو أحدهما في غير المسجد والا فلا يشترط قال الخطيب وينبغي أن تعتبر المسافة من السافل الى قدم العالي قال النووي وغيره يكره ارتفاع المأموم على امامه حيث أمكن وقوفهما بمستوى وعكسه سواء أكان في المسجد أم غيره كما نص عليه الشافعي وحزم به في الجواهر وأفتى به بعضهم خلافا لمن وهم فيه وظاهر أن المدار على ارتفاع يظهر حسا وان قل حيث عده العرف ارتفاعا وما نقل عن الشيخ أبي حامد ان قلة الارتفاع لا تؤثر يظهر حمله على ما تقرّر لحاجة تتعلق بالصلاة كبلوغ يتوقف عليه اسماع المأمومين وكثافتهم صفة الصلاة فيستحب ارتفاعهما لذلك تقدما لمصلحة الصلاة ولا يقوم من أراد الاقتداء وان كان شيخا ما لم يفرغ المؤذن من الإقامة لانه ما لم يفرغ منها لم يحضر وقت الصلاة وهو مشغل بالاجابة قبل تمامها اما المقيم فيقيم قائما حيث كان قادرا اذا القيام من سنها كما نص عليه الحب الطبري وهو واضح.

وقال الزبيدي في تحافه اختلفوا في المأموم متى ينبغي أن يقوم الى الصلاة اذا كان في المسجد ينتظر الصلاة فمن قائل في أول الإقامة ومن قائل عند قوله حي على الصلاة ومن قائل عند قوله حي على الفلاح ومن قائل لا توقيت في ذلك وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوموا حتى تورثني فان صح هذا الحديث وجب الفعل به ولا يعدل عنه ومشايخنا أهل الكشف الباطن يقولون عليه المسارعة في أول الإقامة

﴿و﴾ خاسنها ﴿توافق صلاتيهما﴾ اي الامام والمأموم ﴿نظما﴾ والمراد بالنظم الصورة والهيئة الخارجية اي توافق صورة وهيئة صلاتيهما في الأفعال الظاهرة ﴿لانية وعددا﴾ فان اختلف نظم صلاتيهما لمكوبة أو فرض آخر غير المكوبة كالمندورة أو نقل وكسوف أو كمكوبة أو فرض آخر أو نقل وجناراة لم تصح القدوة بمن يصلي غير الجناراة بامام يصلي عليها وغير الكسوف بمصليه وعكسهما لعدم المتابعة مع اختلاف النظم ومن ثم يصح الاقتداء بامام الكسوف في القيام الثاني من الركعة الثانية لا مكان المتابعة حينئذ.

ويصح مع الكرامة المقتونة لتفضيلة الجماعة الظهر خلف مصلى العصر والمغرب وعكسه لاتحاد النظم وان اختلفا عددا ونية والقضاء خلف مصلى الأداء وعكسه والفرض خلف النقل وعكسه لاتفاق النظم في الجميع وحيث كانت صلاة الامام أطول من صلاة المأموم كالصبح خلف الظهر تخير المأموم عند تمام صلاته بين أن يسلم بعدنية المفارقة وأن ينتظر الامام يسلم معه وهو أفضل من المفارقة وحل حل انتظاره حيث لم يفعل المأموم شهدا لم يفعله الامام والام يحل ذلك بل تجب نية المفارقة فلو صلى المغرب خلف مصلى العشاء امتنع الانتظار وان جلس الامام للاستراحة في الثالثة أو صلى الصبح خلف مصلى الظهر جاز الانتظار بل هو الأفضل كما مر ان جلس الامام للشهد الاول وشهد بالفعل لأن المأموم في انتظاره حينئذ يكون مستصحا لشهد الامام فلا تحش المخالفة فان لم يجلس أو جلس ولم يأت بالشهد لزم المأموم المفارقة بالنية فلا يحدث شهدا لم يفعله الامام قاله ابن حجر.

واحتج الشافعي رضي الله عنه على اقتداء المفترض بالمتفعل بخبر الصحيحين ان معاذا كان يصلي مع النبي ﷺ عشاء الأخيرة ثم يرجع الى قومه فيصلي بهم تلك الصلاة وفي رواية للشافعي في له تطوع وعلم من هذا الخبر حصول الفضيلة الجماعة خلف صلاة المفترضه صبحا كان أو غيرها ويدل عليه أيضا خبر ابن حبان في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه أنه كان يصلي مع رسول الله ﷺ المغرب ثم يرجع الى قومه فيؤمهم وخبر أبي داود والترمذي والنسائي من حديث يزيد بن الاسود وضححه الترمذي وابن حبان والحكم أنه ﷺ صلى الصبح في مسجد الحيف فلما انتقل من صلاته رأى في آخر القوم وجلين لم يصليا معه فقال ما منعكما أن تصليا معنا فقالا يا رسول الله

وموافقة في سنن فحش مخالفة فيها فعلا وتركاً كشهد أول وقتوت

صلينا في رحالنا فقال اذا صليتما في رحالكما ثم أتيتما مسجد جماعة فضليهما معهم فانها لكما نافلة وهو كما يريد بالعموم وعدم الاتصال على أنه لفرق بين المصلي منفردا والمصلي جماعة اماما او مأموما وقد علل الشيخان وغيرهما الوجه المرجح القائل بأن صلاة بطن نخل أفضل من صلاة ذات الرقاع بحصول فضيلة الجماعة على التمام لكل طائفة ومرادهم ان ايقاع الصلاة بكما لها خلف الامام أكمل من ايقاع البعض فان حصلت فضيلة الجماعة في جميع الصلاة وأما قولهم يسن للمفترض أن لا يقتدى بالمتنفل للخروج من خلاف أبي حنيفة فتحله في المتنفل المختص أما الصلاة المعتادة فلا يسن للمفترض أن لا يقتدى بإمامها بل يسن له الاقتداء لحصول فضيلة الجماعة فيها لانه قد اختلف في فرضيتها اذ قيل ان الفرض احدهما يحسب الله ماشاء منهما ورعا قيل يحسب أكملها لأن الثانية لو تعينت للنفلية لم يسن فعلها في جماعة كسنة الظهر وغيرها وقيل ان من صلى منفردا فالفرض الثاني لكما لها وان صلى في الجماعة فالاولى وقيل ان كلا منهما فرض لأن الثانية مأموماً بها والاولى سبقة للخرج لاناعة من وقوع الثانية فرضاً بدليل سائر قروض الكفایات كالبطائفة الثانية المصلية على الجنائز وغيرها .

* فرع * نقل عن شيخنا الشوبري ان الامام اذا لم يراع الخلاف لا يستحق المعلوم وليس من ذلك ما لو أتى بالتسمية جهرا في الفاتحة قال لأن الواقف لم يقصد تحصيل الجماعة لبعض المصلين دون بعض بل قصد حصولها لجميع المقتدين وهو انما يحصل برعاية الخلاف المانعة من صحة صلاة البعض أو الجماعة دون البعض انتهى وهو قريب حيث كان امام المسجد واحدا بخلاف ما اذا شرط الواقف ائمة مختلفين فينبغي أنه لا يتوقف استحقاق المعلوم على مراعاة الخلاف بل وينبغي ان مثل ذلك بما لو شرط كون الإمام حنفيا مثلاً فلا يتوقف استحقاقه المعلوم على مراعاة غير مذهبه أو جرت عادة الأئمة في تلك الحلة بتقليد بعض المذاهب وعلم الوقف بذلك فيحمل وقعه على ما جرت به العادة في زمنه فيراعيه دون غيره نعم لو تذررت مراعاة الخلاف كأن اقتضى بعض المذاهب بطلان الصلاة شيء وبعضها وجوبه أو بعضها استحباب شيء وبعضها كراهته فينبغي أن يراعي الإمام مذهب مقلده ويستحق مع ذلك المعلوم كذا قاله الشبرا الملسي .

﴿و﴾ سادسها ﴿موافقة﴾ للامام ﴿في سنن﴾ أما الفروض فان ترك الامام فرضاً منها لم يتابعه في تركه لأنه ان تعدد فصلاته باطله والافعله غير معتد به بل يتخير بين أن يفارقه ويتم لنفسه وبين أن ينتظره الى أن تنتظم صلاته فيتبعه في المنتظم لكن بشرط أن لا يفضى انتظاره الى تطويل ركن قصير كما نبه عليه جمع من اليمانيين وهو متجه جدا وقد ذكر البغوي عن فتاوى القاضي ان المأموم لو اعتدل مع الامام فشرع الامام في قراءة الفاتحة انه لا ينتظره في الاعتدال لانه ركن قصير وينتظره في السجود لانه ركن طويل ﴿فحش مخالفة فيها فعلا وتركاً﴾ اي مخالفة المأموم للامام في السنن من جهة الفعل أو الترك فالشرط أن يوافقه في فعل أو ترك سنن فحش مخالفة المأموم له فان فعلها الامام وافقه فيه وان تركها وافقه فيه بخلاف ما اذا لم تفحش المخالفة فيها فلا يشترط موافقه و﴿كشهد اول﴾ فتجب الموافقة له تركاً فقط بمعنى ان الامام اذا تركه لزم المأموم تركه واما اذا فعله الإمام فلا يلزم المأموم فعله بل له أن يتركه وينتظر الامام في القيام ﴿وقنوت﴾ فلا تجب الموافقة فيه أصلاً لا فعلاً ولا تركاً بل للمأموم أن يتركه وينتظر الامام في السجود وله أن يتخلف له اذا تركه الامام فتبطل صلاة من وقعت بينه وبين الامام مخالفة في سنة فحش المخالفة بها كسجدة تلاوة فعلها الامام وتركها المأموم عامدا عالماً بالتحريم وتشهد أول فعله الامام وتركه المأموم أو عكسه عامدا عالماً وان لحق امامه على القرب حيث لم يجلس الامام للاستراحة

وتبعية بان تأخر احرامه وأن لا يعتمد مع علم تحريم تقدمه بتمام ركبن فعلين ولو قصيرين أو تخلفا بهما بلا عذر فإن خالف بطلت صلاته أو بأربعة طويلة بعذر أوجبه نحو بطاء أو شك في قراءة لا وسوسة

لعدوله عن فرض المتابعة الى سنة ويخالف ذلك سجود السهو والتسليم الثانية لأنهما يفعلان بعد فراغ الامام لا قبله بخلاف ما في مسئلتنا فإنه يفعل في أثناء القدوة .

﴿و﴾ سابعها ﴿تبعية﴾ الامام ﴿بان تأخر احرامه﴾ اى المأموم عن جميع تحريم اماه فان قارنه في التحريم أو في بعضها أو شك فيه أو بعده هل قارنه فيه أو لا و طال زمن الشك أو اعتقد تأخر تحريمه عن احرام الامام فبان تقدمه بطلت صلاته للخبر الصحيح اذا كبر فكبروا ولانه نوى الاقتداء بغير مضى اذا تبين بتمام تكبيرة الاحرام الدخول في الصلاة من أولها بخلافه قبل تمامها فانه مشكوك في كونه في الصلاة ﴿وأن لا يعتمد﴾ المأموم ﴿مع علم تحريم تقدمه﴾ على الامام ﴿بتمام ركبن فعلين﴾ متوالين كما في التحفة والنهاية ﴿ولو قصيرين﴾ فلو تقدم على امامه عامدا عالما في التحريم بهما ولو غير طويلين وذلك بان يركع المأموم فلما أراد امامه أن يركع رفع المأموم فلما أراد أن يرفع من ركوعه سجد فلم يجتمعا في الركوع ولا في الاعتدال فبجرد سجوده تبطل صلاته هذا ما مثله العراقيون ﴿أو تخلفا﴾ اى تأخرا عن الامام ﴿بهما﴾ اى بركبن فعلين تامين ولو غير طويلين كان ركع الامام واعتدل وهوى للسجود وان كان الى القيام أقرب والمأموم قائم أو سجد الامام السجدة الثانية وقام وقرا وهوى للركوع والمأموم جالس بين السجدةتين هذا ان كان ﴿بلا عذر﴾ فان خالف ﴿المأموم ما ذكر﴾ بطلت صلاته لفحش المخالفة اما ان كان لعذر فلا بطلان وخرج بالفعلين القولان كالشهاد الاخير والصلاة على النبي ﷺ فيه أو القول والفعل كالفاتحة والركوع ﴿أو﴾ تخلفا أو تأخرا عن الامام ﴿بأربعة﴾ أركان ﴿طويلة﴾ كان تخلف بالركوع والسجدةتين والقيام والامام حينئذ في الركوع ﴿بعذر أوجبه﴾ اى اقتضى وجوب ذلك التخلف ﴿نحو بطاء﴾ اى بطاء قراءة المأموم لعجز خلقى والامام معتد لها ﴿أو شك﴾ اى شك المأموم ﴿في قراءة﴾ للفاتحة هل قرأها أم لا قبل ركوعه ﴿لا وسوسة﴾ ظاهرة طال زمنها عرفا أما لتخلف لها بان كان يردد الكلمات من غير موجب فليس بعذر فيجب عليه حينئذ أن يقرأ الفاتحة ولا يسقط منها شيء فاذا تخلف لا كما لها فله ذلك الى قرب فراق الامام من الركن الثاني فحينئذ يلزمه نية المفارقة ان بقى عليه شيء منها بطلان صلاته بشروع الامام فيما بعده والأوجه عدم الفرق بين استمرار الوسوسة بعد ركوع الامام أو تركه لها بعده اذ تقويت اكمالها قبل ركوع امامه نشأ من تقصيره بترديه الكلمات من غير بطاء خلقى في لسانه سواء نشأ ذلك من تقصيره في العلم أم من شكه في اتمام الحروف اى بعد فراغه من الفاتحة فلا يبعد تركه بعد ركوع امامه رفع ذلك التقصير خلافا لبعضهم أما لو شك في ترك بعض الحروف قبل فراغ الفاتحة وجبت اعادته وهو معذور وصورة ذلك ان يشك انه أتى بجميع الكلمات أو ترك بعضها كان شك قبل فراغ الفاتحة في البسطة فرجع اليها بخلاف ما لو شك بعد فراغ الكلمة في أنه أتى بحروفها على الوجه المطلوب فيها من نحو الممس والرخاوة فأعادها لياتى بها على الوجه الأكمل فانه من الوسوسة فيما يظهر .

* نبيه * قال في النهاية وقد أفتى جمع فيمن سمع تكبير الرفع من سجدة الركعة الثانية فجلس للشهادة ظانا أن الامام يشهد فاذا هو في الثانية فكبر للركوع فظنه لقيامه فقام فوجد راعيا بأنه يركع معه ويحمل عنه الفاتحة لعذره مع عدم إدراكه شيئا من القيام ويعارضه أقراء آخرين بأنه كالناسى للقراءة ولهذا لو نسى كونه مقتديا وهو في سجوده مثلا ثم ذكر فلم يبق عن سجدة الا والامام راعى ركع معه كالسبوق ففرقهم بين هاتين الصورتين يعنى قوله وقد أفتى جمع الى آخره وقوله ويعارضه الى آخره يصح بالفرق بين من يذكر قيام الامام ومن لا يذكره هذا الوجه الثاني وهو كون من جلس ظانا جلوس الامام للشهادة كالناسى فلا يسقط عنه القراءة انتهى قال الشبرايملى

فليوافق في الرابع ويقطع مسبوق الفاتحة فان قرأ فئاته الركوع لغت ركعته وتختلف بلا عذر فان اشتغل بسنة أو سكت أو استمع قراءة الإمام قرأ وجوبا قدرها بعد ركوع الإمام وعذر فيختلف ويدرك الركعة ما لم يسبق بأكثر من ثلاثة أركان طويلة على ما قاله الشيخان كالنغوي

بقي ما لو كان مع الإمام جماعة فكبر شخص للاحرام فظن أحد المأمومين أن الإمام ركع فركع قبل تمام قراءة الفاتحة فتبين أن الإمام لم يركع فيجب عليه العود للقيام لكن هل يعود الركوع المذكور قاطعا للموالة فيستأنف قراءة الفاتحة أولا وإن طال فيتم عليها فيه نظرا لأقرب الثاني لأن ركوعه معذوره فيه فاشبهه السكوت الطويل سهوا وهو لا يقطع الموالة وبقي أيضا ما لو كان مسبقا فركع والحالة ما ذكرتم تبين له أن الإمام لم يركع فقام ثم ركع الإمام عقب قيامه فهل يركع معه نظرا لكونه مسبوقا أولا بل يتخلف ويقرأ من الفاتحة بقدر ما فوقه في ركوعه لتقصيره فيه نظرا لأقرب الثاني أيضا للعللة المذكورة ولأن العبرة في العذر بما في الواقع لا بما في ظنه.

وان تخلف مع عذرا بأكثر من ثلاثة أركان طويلة بأن لم يفرغ من قراءته أو الإمام قائم عن السجود أو جالس للشهادة ﴿فليواقف﴾ إمامه وجوبا ﴿في﴾ الركعة ﴿الرابع﴾ وهو القيام أو الجلوس للشهادة وقضى ما فاتته بتخلفه بعد سلام إمامه هذا كله في المأموم الموافق ومؤمن أدرك مع الإمام محل قراءة الفاتحة أما المسبوق وهو بخلافه فهو ما ينه بقوله ﴿ويقطع مسبوق﴾ وإمامه في الركوع ﴿الفاتحة﴾ لأجل متابعة الإمام فيه ويسقط عنه بقيتها لأنهم يدرك غير ما قرأه ﴿فان﴾ تخلف المسبوق بعد قراءة ما أدركه من الفاتحة و﴿قرأ﴾ لتمامها ﴿فقاته الركوع﴾ مع الإمام وأدركه في الاعتدال ﴿لغت﴾ أي بطلت ﴿ركعته﴾ لأنه لم يتابعه في معظمتها ﴿وتختلف بلا عذر﴾ فقد ارتكب مكروها وبطلت صلاته في وجهه ضعيف ﴿فان اشتغل﴾ المسبوق ﴿بسنة﴾ كالتعوذ وافتتاح ﴿أو﴾ لم يشتغل بشيء بأن ﴿سكت﴾ زمنا بعد تحريمه وقبل قراءة تاء وهو عالم بأن واجبه الفاتحة ﴿أو استمع قراءة الإمام قرأ وجوبا﴾ من الفاتحة ﴿قدرها﴾ أي السنة حروفا في ظنه أو قدر زمن من سكوته لتقصيره بعدوله عن فرض إلى غيره ﴿بعد ركوع الإمام﴾ سواء أعلم أنه يدرك الإمام قبل سجوده أم لا على الأرجح خلافا لما في النهاية عن الفارقي أن صورة تخلفه للقراءة أن يظن أنه يدرك الإمام قبل سجوده وإلا فليتابعه قطعاً ولا يقرأ وذكر مثله الروياني في حليته والغزالي في أحيائه لكن الذي نص عليه في الأم أن صورتها أن يظن أنه يدركه في ركوعه وإلا فليغارقة ويتم صلاته منه على ذلك الأذرعى وهو المعتمد لكن ينتج لزوم المفارقة له عند عدم ظنه ذلك فان لم يفعل أثم ولكن لا تبطل صلاته حتى يصير متخلفا بركعتين أي بأن هزى الإمام للسجود الأول ﴿وعذر﴾ المسبوق المختلف لقراءة قدر ما ذكر من السنة التي اشتغل ومن السكوت ومن استماع قراءة الإمام ﴿فيختلف﴾ للقراءة ﴿ويدرك الركعة﴾ ثم يجري على نظم صلاته ﴿ما لم يسبق بأكثر من ثلاثة أركان طويلة﴾ فان سبقه وافق الإمام وجوبا فيما هو فيه وأتى بعد السلام بركعة أو نوى المفارقة وعذر من ذكر ﴿على ما قاله الشيخان كالنغوي﴾ للزامة بالقراءة وقال القاضي والمتولي غير معذور لتقصيره بما مر فان لم يدرك الإمام في الركوع فئاته الركعة ولا يركع لانه لا يحسب له بل يتابعه في هويته بالسجود كما جزم به التحقيق.

قال الأذرعى وقضية التعليل بتقصيره بما ذكر أنه إذا ظل ادراكه في الركوع فأتى بالافتتاح والتعوذ فركع الإمام على خلاف العادة بأن قرأ الفاتحة وأعرض عن السنة التي قبلها والتي بعدها يركع معه وان لم يكن قرأ من الفاتحة شيئا بمقتضى إطلاق الشيخان وغيرهما أنه لا يفرق انتهى وهذا المقتضى هو المعتمد لبناء محل القراءة ولا نسلم أن بتقصيره بما ذكر منتف في ذلك ولا عبرة بالظن البين خطؤه كذا في شرح الروض وقوله لا يفرق أي بين ظنه ادراك الفاتحة وعدمه

فإن ركع بدون قراءة بقدر ما بطلت صلاته ولا يصح اقتداؤه بمن يعتقد بطلان صلاته ولا قارئه بأني
 ﴿فإن ركع بدون قراءة بقدر ما﴾ أي السنة ﴿بطلت صلاته﴾ أن كان عالماً عامداً والآن لم يعتقد بما فعله فيأتي بركعة بعد سلام الإمام كما
 نقله بعضهم عن الجبرمي وخرج بالمسبوق الموافق فإنه إذا لم يسم الفاتحة لا شغاله بسنة كدعاء افتتاح وتعوذ وإن لم يظن معه يكون كبطي
 القراءة بلا نزاع في أنه يعتذر ويفتقر له ثلاثة أركان طويلة.

﴿ولا يصح اقتداؤه بمن يعتقد﴾ المأموم ﴿بطلان صلاته﴾ بأن يظنه ظناً غالباً وليس المراد به ما اصطلاح عليه الأصوليون وهو
 التصديق الجازم المطابق لدليل وشمل قوله يعتقد الاعتقاد الجازم لدليل نشأ عن اجتهاد في الفروع فعليه لو اقتدى شافعي بحجتي مثلاً
 ارتكب مبطلاً في اعتقاده أو اعتقاده كأن مس فرجه أو اقتصد فالأصح الصحة في الفصد دون المس اعتباراً فيها بنية المقتدى أي
 اعتقاده لأنه محدث عنده بالمس دون الفصد وقد صورها صاحب الخواطر السريعة بما إذا نسي الإمام كونه مفصداً لتكون نيته جازمة
 في اعتقاده بخلاف ما إذا غلظه لأنه متلاعب عندنا أيضاً لعلمنا بعدم جزئه بالنية ولو شك شافعي في إيمان المخالف بالواجبات عند
 المأموم لم يؤثر في صحة الاقتداء به تحسبنا للظن به في توقي الخلاف قال في الروض وشرحه ومحافظة على الكمال عنده انتهى وقد يعترض
 على كلا التعليلين بأن قد لا يكون المتروك عنده من الكمال ولا بما يطلب الخروج من الخلاف فيه عنده فلا يكون الظاهر الإتيان بجميع
 الواجبات ولو ترك الإمام البسطة لم تصح قدوة الشافعي به ولو كان المقتدى به الإمام الأعظم أو نائبه كما نقله عن تصحيح الأكثرين وقطع
 جماعة وهو المعتمد وإن نقله عن الحلبي وأبي بكر الأودني الصحة خلفه واستحسنه وتعليل الجواز بخوف الفتنة ممنوع فقد لا يعلم الإمام
 بعدم اقتدائه أو مفارقتة كأن يكون في الصف الأخير مثلاً أو يتابعه في أفعالها من غير ربط وانتظار كثير فينتفي خوف الفتنة
 * فرع * رأيي امتناناً تواضعاً وأغفل لمعة فهل يصح اقتداؤه به لاحتمال أن هذا الموضوع تجدد أولاً يصح لأن الظاهر أنه
 حدث فيه تردد قال الرملي الأصح منه عدم الصحة.

* فرع * لو اقتدى من يرى الاعتدال قصيراً بمن يراه طويلاً فأطاله أو اقتدى شافعي بمثله فقرأ الإمام الفاتحة وركع واعتدل
 شرع في الفاتحة لم يوافق بل يسجد وينظر ساجداً ذكر ذلك القاضي وكلام البغوي يقتضيه قال الزركشي وهو واضح واعتدله الرملي
 وإن كان كلام القاضي يقتضي أنه ينتظره في الاعتدال ويحتمل تطويل الركن القصير في ذلك قال في شرح الروض والمختار جواز كل من
 الأمرين وقد أقيمت به في نظيره من الجلوس بين السجدين انتهى وقال الرملي المعتمد الأول يعني قول الزركشي وهو واضح الجواب وانظر
 يخالف الأول في شرح الروض في الزحمة أنه يجوز الدار من السنود أن يقتدى في اعتداله بغيره قبل ركوعه ويتابعه أو يفرق قال ابن قاسم
 والظاهر الفرق لأنه في مسألة الاقتداء ينقطع اعتداله بقصد المتابعة فلا يعد فعله تطويلاً للركن القصير بخلاف ما هنا.

﴿ولا﴾ تصح قدوة ﴿قارئه﴾ بأن لم يمكن من التعلم أو لم يعلم المقتدى بحاله لعدم صلاحية لتحمل القراءة عنه لو أدرك
 رأكماً مثلاً ومن شأن الأنام التحمل والتدبير يصح اقتداء به في السرية دون الجهرية بناء على أن المأموم لا يقرأ في الجهرية بل يحتمل الأمد
 عنه فيها وهو القول القديم أيضاً والأني منسوب للأني كأنه على الحالة التي ولدته عليها وأصله لغة لمن لا يكتب واستعمله الفقهاء في
 ذكر محارم صار حقيقة عرفية.

* فرع * علم أمية وغاب غيبة يمكنه التعلم فيها فهل يصح اقتداء به أم لا فيه نظر والأقرب الثاني لأن الأصل بقاء الأمية
 عن قارئه الرملي أنه لو ظن أنه تعلم في غيبة صح الاقتداء به وقد يوقف فيه وينقل بما قد ساء لا يقال يشكك على ما ذكرنا قالوه فيها

بالحرف من الفاتحة كارت بالفتح ولو اقتدى بمن ظنه قارئا أو غير مأوم فبان أميا أو مأوما أعاد وكذا بمن جهله في الجهرية إن أسر

للمحدث ثم فارق مدة يمكن فيها طهره من صحة الاقتداء حملا على أنه تطهر في غيبته لأننا نقول الظاهر من حال المصلي تطهر بعد خدته
بصح صلاته وليس الظاهر من حال الأمي ذلك فإن الآية علة مزمنة والأصل بقاءها وقد يجاب عن التوقف فيما مر بأن ذلك مفروض
بأن لو استوى عنده الاحتمالان وما نقل عن الفتاوى مصور بما إذا ترجح عنده أحد الاحتمالين بقرينة إفادته الظن والأمي من **يحل**
بوت بأن عجز عن إخراجهم من مخرجه أو تشديده **من الفاتحة** لرخاوة في لسانه ومن يحسن سبع آيات مع من لا يحسن إلا الذكر
يحافظ نصف الفاتحة الأول بحافظ نصفها الثاني مثلا كقارئ مع أمي كما في النهاية وهذا واضح فيمن يحفظ القرآن مع من يحفظ الذكر
لأن من يحفظ نصف الفاتحة الأول مع من يحفظ الثاني فكأن من اختلفنا في المعجور عنه فلا يصح اقتداء أحدنا بالآخر وكأنه أدخله في
قارئ مع الأمي بالنظر إلى كل واحد منهما مع صاحبه في النصف الذي يحفظه دون غيره قاله الشيرازي.

ولو أحسن أصل التشديد وتعدت عليه المبالغة صحت القدوة به مع الكراهة كما في الكفاية عن القاضي **كارت** بمثناة
شدة وهو من يدغم ببدال في غير موضع الإدغام **بالتع** بمثلثة وهو من يبدل حرفا بحرف كراء بنين وسين بئاء نعم لو كانت اللثغة
سيرة بأن لم يمنع أصل مخرجه وإن كان غير صاف لم تؤثر والإدغام في غير موضعه المبطل مستلزم للإبدال لأنه إبدال خاص فكل أرت التثنية
ولا عكس وتصح قدوة أمي ولو في الجمعة بمثله في الحرف المعجور عنه وإن لم يكن مثله في الإبدال كما لو عجز عن الراء وأبدلها أحدنا
عينا والآخر لا ما بخلاف عاجز عن راء يعاجز عن سين وإن اتفقا في البديل لأن أحدنا يحسن ما لا يحسنه صاحبه وعلم منه أي من هذا
التعليل عدم صحة اقتداء أخرم بأخرس ولو عجز إمامه في أثناء صلاته عن القراءة لحرم لزمه مفارقه بخلاف ما لو عجز عن القيام لأن
اقتداء القائم بالقاعد صحيح ولا كذلك القارئ بالأخرس قاله البغوي في فتاويه فلم يعلم بخبره حتى فرغ من صلاته أعاد لأن حدوث
الحرس نادر بخلاف طروا الحدث وبحث الأذرع بصحة اقتداء من يحسن نحو التكبير أو الشهاد أو السلام بالعربية بمن لا يحسنها بها
وجهه أن هذه لا مدخل لتحمل الإمام فلم ينظر لعجزه عنها.

ولو اقتدى بمن ظنه أهلا للإمامة فبان خلافه كأن ظنه **قارئا** أو مسلما أو ليس وزنديقا أو كبرا للأحرام أو لم يسجد على
كفه الذي يحرك بحركه **أو غير مأوم** أو رجلا أو عاقلا **فبان أميا** أو كافرا أو زنديقا أو لم يكبر للأحرام أو ساجدا على كفه
الذي يحرك بحركه **أو مأوما** أو أمراة أو مجنونا **أعاد** الصلاة وجوبا لتقصيره بترك البحث في ذلك وبحل الإعادة إن بان بعد
البراع من الصلاة فإن بان في أثناءها وجب استئنافها عملا بالقاعدة التي ذكرها بعضهم وهي كل ما يوجب الإعادة إذا طرأ في الأثناء أو
ظهر وجب الاستئناف ولا يجوز الاستمرار مع نية المفارقة وكل ما لا يوجب الإعادة مما يمنع صحة الاقتداء ابتداء عند العلم إذا طرأ في
الأثناء أو ظهر لا يوجب الاستئناف ويجوز الاستمرار مع نية المفارقة **وكذا** أي مثل وجوب الإعادة لو اقتدى المأموم **بمن جهله**
كأي بأنما جهل المأموم كونه قارئا أم لا **في الصلاة** الجهرية إن أسر الإمام في قراءته أعاد المأموم صلاته إذا الظاهر أنه لو كان قارئا
يظهر ويلزمه كما نقله الإمام عن أئمتنا البحث عن حاله أما في السرية بأن قرأ فيها على وجه لم يسمعه المأموم فلا إعادة عليه عملا بالظاهر
ولا يلزمه البحث عن طهارة الإمام نقله ابن الرفعة عن الأصحاب لا إن قال بعد سلانه من الجهرية نسيت الجهر أو أسورت لكونه جائزا
وصدقه المأموم فلا تلزمه الإعادة بل تستحب وإن لم يحل المأموم وجوب الإعادة خلافا للنسبكي إذ متابعة المأموم لإمامه بعد أسراره
لا تبطل عملا بما تقدم من التعليل وهو قولهم عملا بالظاهر وهذا وإن عارضه أن الظاهر أنه لو كان قارئا لجهر ترجح عليه باحتمال أن يخبر

لا إن بان ذا حدث أو نجاسة خفية على المأموم بحيث لو تأملها لم يرها

إمامه بعد سلامته بأنه أسر ناسيا أو لكونه جاثرا فسوغ بقاء المتابعة ثم بعد السلام أن وجد الأخبار المذكور عطل بالاول وهو عدم الاعادة والافعال الثاني وهو الاعادة ويحمل سكوته عن القراءة جهرا على القراءة سرا حتى يجوز له متابعتها وجواز الاقتداء لا ينافي وجوب القطع كما لو اقتدى بمن اجتهد في القبلة ثم ظهر الخطأ فإنه في حال الصلاة متردد في صحة القدوة ومن جهل حال امانته الذي له حاله حينئذ وافاقه واستلام وردة فلم يدر هو في أيهما لم تلزمه الاعادة بل تسن ولو منفردا لأن اعادته ليست لجرد طلب الفضيلة بل لاحتمال بطلان صلاة امامه ﴿لا﴾ يعيد الصلاة ﴿ان﴾ اقتدى بمن ظنه مطهرا أو ناويا أو عاجزا عن ستر العورة ف ﴿بان ذا حدث﴾ ولو حدث أكبر أو أنه لم ينو وأنه كان قادرا على ستر العورة ﴿أو﴾ ﴿بان ذا﴾ نجاسة خفية على المأموم بحيث لو تأملها لم يرها وذلك لاتقاء تقصير المأموم إذا لاماره عليهما ومن ثم حصل له فضل الجماعة أما إذا بان ذا خبث ظاهر فيلزم المأموم الاعادة لتقصيره ان كان غير أعمى وخبر به الأعمى فلا تجب عليه الاعادة لعدم تقصيره والأوجه في ضبط الخبث الظاهر ان يكون بحيث لو تأمله المأموم رآه وصحح النووي والتحقيق عدم وجوب الاعادة مطلقا سواء كان الخبث الذي تبين في الامام ظاهرا أو خفيا .

* تنبيه * تصح القدوة للعوضي باليتم الذي لا تلزمه اعادة لكمال حاله وللموضوعي بمن مسح الخبث اذ لا اعادة عليه لان ما خرج حديثه والقائم بالقاعد والمضطجع والمستلقي ولو موميا كما صرح به المتولي ولا حدهم في الآخر كذلك الخبر البخاري عن عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم صلى في مرض موته قاعدا وأبو بكر والناس قياما قال البيهقي وكان ذلك يوم السبت أو الأحد في صلاة الظهر وتوفي صلى الله عليه وسلم ضحوة يوم الاثنين فكان ناسخا لخبر الشيخين عن أبي هريرة وعائشة إنما جعل الامام ليؤتم به الى أن قال وإذا صلى جالسنا فصلوا جلوسا أجمعون لا يقال لا يلزم من نسخ وجوب القعود وجوب القيام لأننا نقول الأصل القيام وإنما وجب القعود لما سلكه الامام فلما نسخ ذلك زال اعتبار متابعة الامام فلزم وجوب القيام لأنه الأصل وتصح أيضا قدوة الكامل بالصبي المميز ولو كانت الصلاة فرضا للاعتداء بصلاته لأن عمرو بن سلمة بكسر اللام كان يؤتم قومه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ست أو سبع سنين كما رواه البخاري نعم البالغ أولى من الصبي وان كان الصبي أقرا وأفق لصحة الاقتداء به بالاجماع بخلاف الصبي ولهذا نص في البيهقي على كراهة الاقتداء به وبالعبد أيضا وان كان صبيًا لأن صلاته معتد بها ولأن ذكران مولى عائشة كان يؤمها رواه البخاري نعم الحر أولى منه والقل ما فيه من الرق إلا أن تميز بنحو فقه والحر في صلاة الجنابة أولى مطلقا لأن دعاءه أقرب الى الاجابة والظاهر تقديم المنبسط على كمال الرق ومن زادت حرته على من نقصت منه وتكره امامة الأقف وان كان بالنا كما ذكره شرح في روضه والأعمى والبصير في الامام سواء على النص لتعارض فضيلتهما لأن الأعمى لا ينظر ما يشغله فهو أخشع والبصير ينظر الخبث فهو أحفظ لتجنبه ومعلوم أن الكلام في حالة استوائهما في سائر الصفات والا فالقدم من ترجيح بضفة من الصفات المرجحة ويؤيد ذلك قول الماوردي الحر الأعمى أولى من العبد البصير ومثله فيما ذكر من الاستواء السني مع الأضمر والنحل مع الخصى وقيل البصير أولى مراعاة للمعنى الثاني وهو أن البصير أحفظ لتجنب الخبث ونقل ابن كج عن النص بصيغة قيل واستظهر الأذرع ان الأعمى لو كان مبتدلا لا يصيبون نفسه عن المستقذرات كأن كانت ثياب البذلة فالبصير أولى منه وتبعه ابن المقرئ على ذلك وزده بعضهم بأنه لا حجة اليه بل ذكره يروهم خلاف المراد لانه معلوم من قولهم نظافة الثوب والبدن ولا يخص ذلك بالأعمى بل لو تبدل البصير كان الأعمى أولى منه .

وتكره اقتداء بفاسق ومبتدع

﴿وتكره اقتداء بفاسق﴾ وإن اختص بصفات مرجحة ككونه أفتة أو أقرأ لأنه يخاف منه عدم محافظته على الواجبات نعم إن كان المأموم فاسقا مثله واختلف الفسق فلا كراهة ما لم يكن فسقا الإمام أفحش وتكره أيضا امامته مع جوازها وإن توقفت الجماعة عليها فإن يصلح للإمامة غيره وتحصل فضيلة الجماعة خلف من ذكر وكذا خلف المخالف الذي لا يعتقد وجوب بعض الواجبات كالحنفي وكذا خلف من يكرهه أكثر القوم لأمر مذموم فيه لأن الكراهة في جميع ذلك لأمر خارج قال الزبيدي وإنما صحت الصلاة خلف الفاسق وفي حكمه صاحب الكبائر والمبتدع الذي لم يكفر ببدعته والمصر لما رواه الشيخان أن ابن عمر كان يصلي خلف الحجاج قال الإمام الشافعي وكفي به فاسقا وهكذا ذكر أصحنا بنو يعنى من الحنفية بأن امامة الفاسق جائزة مع الكراهة وثبت أن أنس بن مالك أيضا كان يصلي خلف الحجاج إلا أنهم خصوا بها الجمعة لا غير ويروي عن الحسن البصري قال عمر بن عبد العزيز لو جاءت كل أمة بحسيناتها وجئنا بأبي محمد يعنى الحجاج لقلنا هم ثم إذا صلى خلف هؤلاء يكون محررا لثواب الجماعة لكن لا ينال ثواب من يصلي خلف تنى صالح محترز عن الأوصاف الذميمة ولا يجوز لأحد من ولاية الأمور بل يحرم كما قاله الماوردي نصب امام فاسق للصلوات وإن صححنا الصلاة خلفه لأن روى الأمر ما ضرر بمراعاة المصلحة للناس وليس منها أن يوقعهم في مكروه لأن منزلته من الرعية منزلة الولي من مال اليم والناظر أو الواقف كالحاكم في تحريم ذلك فلا يصح تقرير الفاسق وإن أخفى فسقه ومثله المبتدع وكل من تكره الصلاة خلفه قال النزوي في الروضة الاستيعاب التي يترجح بها الإمام ستة الفقه والقراءة والورع والسن والنسب والهجرة فاذا اجتمع عدل وفاسق فالعدل أولى بالإمامة وإن اختص الفاسق بزيادة الفقه والقراءة بل تكره الصلاة خلف الفاسق والمبتدع لا يكفر ببدعته وفي الورع مع الأفتة والأقرأ وجهان قال الجمهور هما مقدمان عليه وقال الشيخ أبو محمد وصاحب التبيين والتهديب يقدم عليها والاول أصح ولو اجتمع من لا يتروا إلا ما يكره الصلاة ولكنه صاحب فقه وآخر يحسن القرآن كله وهو قليل الفقه فالأصح أن الأفتة أولى والثاني هما سواء فأما من جمع الفقه والقراءة فهو مقدم على المنفرد بأحدهما قطعا والفقه والقراءة يقدم كل واحد منهما على النسب والسن والهجرة وعن بعض الأصحاب قول يخرج أن السن يقدم على الفقه وهو شاذ وإذا استويا في الفقه والقراءة ففيه طرق انتهى .

﴿فائدة﴾ قال الحسيني الزبيدي رحمه الله ومشايخنا أهل الكشف يجيزون امامة الفاسق من غير كراهة ولم يفرقوا بين الفاسق المقطوع بنفسه وبين المظنون فسقه وبين المتأول وبين غيره وقالوا المؤمن ليس بفاسق أصلا إذ لا يقاوم الإيمان شيء مع وجوده في محل المعاصي فإن الفاسق عندهم من خرج عن أصله الذي خلق له وهو أن يعبد الله فإن العبد لا يمكن له أن يخرج عن أصله الحقيقي وهو كونه عبدا فإنه لا بد أن يكون عبدا لله أو عبدا للهواء فلم يبق خروجه إلا عن الإضافة التي أمر أن ينضاف إليها فتجوز امامته لأن الموفق من عباد الله بأن هذا الفاسق فإنه يراه قائما بعبوديته في حق هواء الذي فيه شقاؤه فيتعلم منه استيفاء حق العبودية التي أمره الله أن يكون بها عبدا له فيقول أنا أولى بهذه الصفة في حق الله من هذا العبد في حق هواء فلما رأينا أولياء الله كأنس وابن عمر يأتون به وينفعهم ذلك عند الله ويكون هذا الاقتداء سببا لنجاتهم صحت امامته من غير كراهة فكل من آمن بالله وقال بتوحيد الله في الهية فالله أجل أن يسمى هذا فاسقا حقيقة مطلقا وإن سمي لغة بخروجه عن أمر معين وأن قل والمعاصي لا تؤثر في الإمامة مادام لا يسمى كافرا .

﴿و﴾ تكره الصلاة أيضا خلف ﴿مبتدع﴾ لا يكفر ببدعته كالمعتزلي القائل بخلق القرآن أو عدم الرؤية ونص الشافعي على تكفير من ذكر مؤول بكفر التيم وإن كان بعيدا والقدرى وهو من ينسب أفعال العباد إلى قدرتهم والجهنمي وهو القائل بذهب جهنم بن

وإن لم يوجد أحد سواهما وكره تعمد مقارنة الإمام بالأركان حتى السلام والتخلف عنه إلى فراغ الركن

صفوان الترمذي وهو أنه لا قدرة للعبد بالكلية والمرجى وهو القائل بالارجاء وهو أنه لا يضر مع الإيمان مفسية والرافضي وهو القائل بأن علياً كرم الله وجهه أمر إليه النبي صلى الله عليه وسلم بالخلافة وأنه أولى من غيره وأن من لم يسلمها إليه فهو كافراً ما من يكفر ببذعه كالجسم صريحاً ومنكر العلم بالجزئيات فلا يصح أن يكون اماماً بحال وهم الفلاسفة أثبتوا علمه تعالى بالكلية دون الجزئيات كجزئيات الإنسان والرملي مثلاً قالوا أيضاً بقدوم العالم وعدم حشر الأجسام فهذه الثلاثة أصل كفرهم وتنظيمها بعضهم في قوله:

ثلاثة كفر الفلاسفة المد *** إذا أنكروا هارهي قطعاً مثبتة

علم بجزئى حدوث عوالم *** حشر لأجساد وكانت ميتة

وهذا باطل بل علمه تعالى عام للكلية والجزئيات ولو غير متناهية واستحالة علمه ما لا نهاية له إنما ثبتت في حق الحوادث ومثل إنكاره تعالى بذلك إنكار علمه بالمعدوم لعدم علمه تعالى له والمستحيل ومعنى علمه به علمه تعالى باستحالة وإنه لو تصور وقوعه لزمنه من الفساد كذا وهذا يميز عن علمنا به وهذه الكراهة ثابتة هنا *** وإن لم يوجد أحد سواهما *** أى الفاسق والمبتدع وذلك للخلاف في صحة الاقتداء بهما لعدم أمانتهما وخبر الحاكم وغيره أن سرهم أن قبل صلاتكم فليؤنكم خياركم فانكم وفدكم أى الواسطة بينكم وبين ربكم وذلك لأنه سبب في حصول ثواب الجماعة للمؤمنين وهذا يتفاوت بتفاوت أحوال الأئمة وقيل لا يصح الاقتداء بهما وكره أيضاً اقتداء بموسوس وأتلف لا بولد الزنا ومثله ولد الملاعنة ومن لا يعرف له أب كالقنيط لكنه خلاف الأولى قاله الشرقاوى أى لغير مثله وغير من وجده قد أحرم فلا بأس بذلك.

﴿ وكره تعمد مقارنة الإمام ﴾ أى مقارنة المأموم بالإمام ﴿ بالأركان ﴾ أقوالاً كانت أو أفعالاً فهما في كراهة المقارنة سواء وقال بعضهم إن المقارنة في الأفعال مكروهة تقوت فضيلة الجماعة لفحش المخالفة بخلاف المقارنة في الأقوال ﴿ حتى السلام ﴾ وكره التخلف عنه ﴿ أى عن الإمام ﴾ إلى فراغ الركن *** والتقدم عليه بابتدائه فالسنة للمأموم أن يتأخر ابتداء فعله عن ابتداء فعل الإمام ويتقدم على فراغه منه قالوا في التحفة والنهاية وأكمل من هذا أن يتأخر ابتداء فعل المأموم عن جميع أفعال الإمام فلا يشترع حتى يصل الإمام لحقيقة المنقل إليه قال ابن قاسم قضية أنه يطلب من المأموم أن لا يخرج عن الاعتدال مثلاً حتى يقبل الإمام بالسجود وقد يتوقف فيه قال الكردي لا يتوقف فيه ففي الصحيحين وغيرهما عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمع الله لمن حمده لم يكن أحد منا ظهره حتى سمع النبي صلى الله عليه وسلم ساجداً ثم تقع سجوداً بعده وفي رواية حتى يضع جبهته على الأرض وفي البخاري أنهم كانوا إذا صلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه الشريف من الركوع قاموا قياماً حتى يزونه سجدوا ثم سجدوا فإذا رفع رأسه من الركوع لم ينزل قياماً حتى نراه وضع جبهته في الأرض ثم تبعه وفيه أيضاً وكان لا يحنى رجل منا ظهره حتى يستقيم ساجداً فهذه الأحاديث كما ترى تفيد ما قلناه نعم في شرح مسلم استثناء ما إذا علم من حاله لو أخر إلى هذا الحد لرفع الإمام من السجود قبل سجوده وهو ظاهر ولعله وجه توقف ابن قاسم ونقل ابن حجر في شرح الغباب عن الزركشي أنه ينبغي شروعه عقب ابتداء الإمام والأكراهة سيما إذا قلنا الزائد على أقل الركن غير واجب قال في الإيعاب ويروده قول الأحياء ينبغي أن لا يهوى للسجود إلا إذا وضعت جبهة الإمام إلى المسجد هكذا كان اقتداء الصحابة به صلى الله عليه وسلم ولا يهوى للركوع حتى يستوي الإمام راکماً وعليه يحمل كلام الشيخين كذا نقله بعضهم وجزم به.

بأنه يرد عن الصف ووقف الذكر الفرد عن يسار الإمام ووراءه ومحاذياله ومأخرا له كثيرا ﴿اعلم﴾ أن الجماعة تتأدى أي يسقط إثمها مع هذه المكروهات لكن لا يحصل الثواب عليها كع سائر ما يكره من حيث الجماعة وقال بعضهم اتقاء الفضيلة يلزمه الخروج عن الجماعة حتى يصير كالمنفرد ولا يصح له الجماعة

﴿و﴾ كره للمأموم ﴿انفراد عن الصف﴾ لخبر البخاري عن أبي بكر أنه دخل والنبي ﷺ راكم فركع قبل أن يصل إلى الصف المذكور ذلك له ﷺ فقال زادك الله حرصا ولا تعد وفي رواية أخرى لأبي داود وصحها ابن حبان فركع دون الصف ثم مشى إليه ويؤخذ من عدم لزوم الإعادة لعدم أمره بها وما رواه الترمذي وحسنه أن النبي ﷺ رأى رجلا يصلي خلف الصف فأمره أن يعيد الصلاة حملوه على الندب جميعا بين الدليلين على أن الشافعي ضعفه وكان يقول في القديم لو ثبت قلت به وحل الكراهة عند اتحاد الجنس فإن اختلف المرأة وليس هناك نساء أو حنثي وليس هناك خنثي فلا يكره ذلك بل يندب فإن وجد في صف سعة ولو بان لا يكون خلاه بل يكون بحيث لو دخل بينهم لو سعمهم اخترق الصف الذي يليه فما فرقه إليها لتقصيرهم بتركها ولا يتقيد خرق الصفوف بصفين كما زعمه بعضهم وإنما يتقيد به تحطى الرقاب في الجمعة والابان لم يجد سعة أحرم ثم جر في القيام واحدا من الصف إليه ليصطف معه خروجا من الخلاف قال الزركشي وغيره وينبغي أن يكون محله إذا جوز أن يوافقه والإفلا جر بل يمتنع لخوف الفتنة وندب لجروره مساعده بموافقه لينال فضل المعاونة على البر والتقوى وفي مراسيل أبي داود أن جاء فلم يجد أحدا فليحتلج إليه رجلا من الصف فليقيم معه فما أعظم أجر المحتلج وظاهره لا يجز أحدا من الصف إذا كانا اثنين لأنه يصير أحدهما منفردا ولهذا كان الجرفيما ذكر بعد الاحرام نعم أن أمكنه الخرق ليصطف مع الإمام أو كان مكانه يسع أكثر من اثنين فينبغي أن يخرج في الأولى ويجرهما معا في الثانية كذا في الروض وشرحه ﴿و﴾ كره مشروع في صف قبل اتمام ما قبله من الصف و﴿وقوف الذكر الفرد عن يسار الإمام﴾ وقال أجمد من وقف على يسار الإمام بطلت صلاته كذا في شرح البخاري للتسلاطاني ﴿و﴾ وقوفه ﴿وراءه ومحاذياله﴾ أي مساويا للإمام ﴿ومأخرا له﴾ أي عن الإمام تأخرا ﴿كثيرا﴾ بأن يكون زائدا على ثلاثة أذرع.

﴿اعلم﴾ أن الجماعة تتأدى أي يسقط إثم تركها ﴿على القول بوجوبها﴾ أما على العين أو الكفاية أو يسقط كراهة تركها على القول بأنها سنة مؤكدة لقيام الشعار ظاهرا ﴿مع هذه المكروهات لكن لا يحصل الثواب عليها﴾ أي على الجماعة قال الزركشي وضابطه أنه حيث فعل مكرها مع الجماعة من مخالفة مأموره في الموافقة والمطاعة كالانفراد عنهم فإنه فضلها إذا المكره لا ثواب فيه مع أن صلاته الجماعة أي صحيحة إذا يلزم من اتقاء فضلها اتقاؤها انتهى كما لا يلزم من صحة الصلاة حصول الثواب كما لو صلى جماعة في أرض منصوبة فإن الاقتداء صحيح وهو في جماعة ولا ثواب فيها ومثل ذلك صلاة المرأة جماعة فإنه يصح الاقتداء ومع ذلك لا ثواب فيها لأنها غير مطلوبة ﴿ك﴾ عدم حصول الثواب ﴿مع سائر ما يكره من حيث الجماعة﴾ أي متعلق بذاتها بأن لم يتصور وجوده في غيرها وأخرج به المكره لا من حيث الجماعة وهو الذي يتصور وجوده مع غيرها كالصلاة خائبا أو حازقا أو غيره فلا يفوت فضيلتها ﴿و﴾ أما ﴿قال بعضهم اتقاء الفضيلة يلزمه الخروج عن المطاعة حتى يصير﴾ من اتقى عنه فضيلة الجماعة ﴿كالمنفرد ولا تصح له الجماعة﴾ فهذا وهم كما بينه الزركشي وغيره وقوله ولا تصح له الجماعة عطف على ما قبله من عطف اللازم على المأمور وذلك لأن الجماعة شرط في الجمعة فإذا صار كالمنفرد بطلت الجمعة لاتقاء شرطها.

﴿باب صلاة الجمعة﴾

(شعة) لا تترك الجماعة الا بعدد كخطر شديد ووحل وريح باردة ليل ومدافعة خدث وتوقان لطعام وخوف على معصوم وغلبة نوم واقامة على مريض بلا متعهد أو على نحو قريب منزول به اى تنزل به الموت وخوف انقطاع عن رفقة في سفر ورجاء وجدان ضالة اذا لم يأت الجماعة قاله شيخ الاسلام زكريا وبقي من الأعداء وأكل ذي ربح كربه كرم وبصل وكرات سواء كان مذكرباً أو مطبوخاً بقي له ربح يؤذى وإن قل ومن ذلك الدخان كما ذكره الشبرايملى فتسقط بذلك الجمعة والجماعة بشرطين أن تعسر ازالته وأن لا يقصد بأكله الاسقاط والاوجب الحضور واعتزال الناس.

واعلم ان أكل ذى الربح الكره مكره مطلقاً سواء كان في المسجد أو في غيره بشرط أن لا توق نفسه اليه وإن يجد غيره يأثم به فإن تأقت نفسه اليه أو لم يجد غيره لذلك فلا كراهة وذكر في المواهب أنه ﷺ أكل البصل مطبوخاً وبقي منها أيضاً الخوف من عقوبة ككود وخذل قذف وتغزير لله تعالى أو لأدمى يرجو الخائف العفو عنها بغيته فيغيب مدة رجائه العفو وهي مدة يرف فيها سكن قلب من له الحق بخلاف ما لا يقبل العفو كحد مفرقة وشرب وزنا اذا بلغت الامام وثبت عنده أو كان لا يرجو العفو واستشكل الامام جواز الغيبة لمن عليه قود بان موجبها اى سببه وهو القتل كثيرة والتخفيف بالغيبة ينافي ذلك لانه يجب عليه تسليم نفسه خالوا لى المقتول وأجاب بان العفو مندوب اليه اى مستحب والغيبة طرفة فجازت كما ان رد المفسوب واجب خالاً ويجوز تأخيرها اذا لم يجد من يشهده عليه لانه لا يصدق في دعوى الرد فالتسليم وإن كان واجباً خالاً لكن لما كان العفو مستحباً ولا يتوصل له الا بالغيبة كانت جائزة وبقي منها أيضاً ما لو حلف عليه نحو والداه أو لا يخرج لخوف عليه مثلاً ومنها ما لو زفت اليه جديدة بكر أو ثيب فيعذر في ترك الجماعة والجمعة أيام الزفاف وإن كان لا يجب عليه ترك ذلك فيها على المعتد والله أعلم.

﴿باب فضيلة صلاة الجمعة﴾

وجودها وآدابها وشروط صحتها اعلم ان الجمعة من الاجتماع كالجمعة من الاتجاع وهو يسكن الميم وأهل اللسان والقراءة يضره ان المصباح ضم الميم لغة الحجاز وفتحها لغة تميم واسكانها لغة عقيل وقرأها الأعمش والجمع جمع وكفوف وغرفة في وجوها انتسب اليها اليوم والصلاة ثم كثر الاستعمال حتى حذف منها المضاف وسمى اليوم بها لما جمع فيه من الخير وقيل لانه جمع فيه خلق آدم عليه السلام وقيل لاجتماع فيها مع حواء عليهما الصلاة والسلام في الأرض كذا في شرح المنهاج وقال القسطلاني الجمعة بضم الميم اتباعاً بضمة الجيم كمن في عسرا سم من الاجتماع وجوز اسكانها مع الأصل للفعول كهزاة وهي لغة تميم وقرأها المطوعي والأعمش وفتحها بمعنى فاعل اى الذي الجامع فهو كهمزة ولم يقرأ بها واستشكل كونه أنث وهو صفة اليوم وأجيب بأن التاء ليست للتأنيث بل للبالغة كما في رجل علامة أو هو صفة للساعة وحكي الكسر أيضاً انتهى وقال العراقي في شرح التقريب يوم الجمعة بضم الميم واسكانها وفتحها ثلاث لغات الاولى أشهرها وبها قرأ السبعة والاسكان قرأه الأعمش وهو تخفيف من الضم وفتح الجيم حكاية في الحكم ووجهها بأنها التي جمع الناس كثيراً كما قال رجل ضحكك كثيراً الضحك وحكاها الواحدى عن الفراء والمشهور أن سبب تسميتها جمعة اجتماع الناس فيها وقيل لانه جمع فيه خلق آدم عليه السلام تحكاة قلنى الحكم عن الفراء أنه روى عن ابن عباس وذكر النووي في تهذيبه انه جاء فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم انها سميت لذلك قال والذى يعنى به الزين العراقي في شرح الترمذي ولم أجد لهذا الحديث أصلاً انتهى وقيل لأن المخلوقات اجتمع خلقها وفرع منها يوم الجمعة حكاة في المشارق وقيل لاجتماع آدم عليه السلام فيه مع حواء في الأرض رواه الحاكم في مستدرکه من حديث

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسمعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون

يصلحان الفارسي قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سلمان ما يوم الجمعة قلت الله ورسوله أعلم قال يا سلمان يوم الجمعة فيه جمع أنبياءكم وأممكم وقيل لأن قريشا يجتمع فيه إلى قصر في دار الندوة حكاه في المحكم عن ثعلب فلهذه خمسة أوجه في سبب تسميتها بذلك . واختلفوا هل كان في الجاهلية اسمها له أو حدثت التسمية في الإسلام فذهب إلى الأول ثعلب وقال إن أول من سماه بذلك كعب بن الزبيدي وذهب غيره إلى الثاني حكى هذا الخلاف ابن سيده في المحكم والسهيلي وله أسماء آخرتها يوم العروبة كان اسمه في الجاهلية قال أبو جعفر النحاسي في كتابه صناعة الكتاب معناه اليوم بين المعظم من أعرب إذا بين انتهى وقال أبو موسى المديني في ذيله على الفريسيين والأفصح أنه لا يدخلها الألف واللام قال وكأنه ليس بعربي ومن أسمائه خربة حكاه أبو جعفر النحاسي أنه مرتفع عال كالخربة قال وقيل من هذا اشتق الحراب ومن أسمائه يوم المزبد . رواه الطبراني في الأوسط عن أنس بإسناد ضعيف ومن أسمائه حجج المساكين جاء ذكره في حديث ابن عباس عند الحرب بن أسامة في مسنده عن رواية الضحاك ابن مزاجم عنه مرفوعا وهو منقطع الضحاك لم يلق ابن عباس انتهى قال الزبيدي وكون أول من سمي هذا اليوم بالجمعة كعب بن الزبيدي وكانوا يسمونه العروبة ذكره الزبيدي في كتاب النسب ونقله السهيلي في الروض وابن الجوزي في المقدمة الفاضلية ورأيه هكذا في أنساب قريش ونقله أيضا السيوطي في الأوليات والله أعلم .

واعلم وفقك الله تعالى أن هذا اليوم يوم عظيم عظيم الله به الإسلام وزينه وخصص به المسلمين من هذه الأمة دون غيرهم من الأنبياء السابقة وشرفهم به وفضلهم ﴿ قال الله تعالى ﴾ في كتابه العزيز ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسمعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ وقوله إذا نودي للصلاة أي أذن لها عند قعود الإمام على المنبر ومن يوم الجمعة بيان وتفسير لا إذا وقيل بمعنى في وقوله فاسمعوا هي القراءة المشهورة المتفق عليها وكان عمر رضي الله عنه يقرؤها فامضوا إلى ذكر الله وينكروا على أبي بن كعب قرأته وكان يقول أبي أعلمنا بالمنسوخ هكذا أخرجه عبد بن حميد وغيره ورويت كذلك عن ابن مسعود كما هو عند الطبراني وأبي بكر بن أبي شيبة وروى عن ابن عباس أنه قال فاسمعوا إلى أمضوا أخرجه عبد بن حميد .

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي حاتم وابن أبي شيبة وابن المنذر عن الحسن أنه سئل عن قوله تعالى فاسمعوا إلى ذكر الله قال ما هو السعي على الأقدام ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ولكن بأقلوب والنية والخشوع وروى مثله عن قتادة كما عند البيهقي في الشعب وقال عطاء السعي الذهاب والمشي أخرجه ابن المنذر وأخرج البيهقي في السنن عن عبد الله بن الصامت قال خرجت إلى المسجد يوم الجمعة فلتيت أبا ذر فبينما أنا أشى إذا سمعت النداء فرفعت في المشي فاجذبني جذبة فقال أولسنا في سعي وقال سعيد بن المسيب في تفسير قوله ذكر الله أي موعظة الإمام أخرجه ابن أبي شيبة وأخطبة أو الصلاة أوهما معا والأمر بالسعي لما يدل على وجوبها لا يدل السعي الأعلى واجب .

وقوله تعالى وذروا البيع أي أتركوه وفي معناه الشراء وقال الضحاك إذا زالت الشمس من يوم الجمعة حرم البيع والتجارة حتى تنقضي الصلاة أخرجه ابن أبي شيبة وقال مجاهد من باع شيئا بعد الزوال من يوم الجمعة فإن بيعه مردود لهذه الآية أخرجه ابن المنذر وقال القرطبي وغيره فحرم الاشتغال بأمور الدنيا وبكل صارف عن السعي إلى الجمعة عند طائفة من العلماء لعدم النهي عنه وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن ابن جريج قال قلت لعطاء هل تعلم من شيء يحرم إذا أذن بالأول سوى البيع قال عطاء إذا نودي بالأول حرم اللهو والبيع والصناعات كلها هي بمنزلة البيع والرقاد وأنه يأتي الرجل أهله وأن يكتب كتابا ومنهم من جعل البيع فاسدا

فإذا قضية الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴿وأخرج﴾ القضاعي وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة حج الفقراء * والشافعي وأحمد عن سعد بن عبادَةَ سيد الأيام عند الله يوم الجمعة وهو أعظم من يوم النحر ويوم الفطر وفيه خمس خصال فيه خلق الله آدم وفيه أهبط من الجنة إلى الأرض وفيه توفي وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئا إلا أعطاه إياه ما لم يسأل إنما أو قطيعة رحم وفيه تقوم الساعة وما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا ربح ولا جبل ولا حجر إلا وهو مشفق من يوم الجمعة *

عند الأذان الأول كما روى ذلك عن بعض السلف ومنهم من خصه بالأذان الثاني وهو مع خروج الإمام إذا قعد على المنبر ﴿فإذا قضيت الصلاة﴾ أي إذا فرغ من صلاة الجمعة ﴿فانتشروا في الأرض﴾ للتجارة والتصرف في حوائجكم ﴿وابتغوا من فضل الله﴾ يعني الرزق وهذا أمر أباحه قال ابن عباس إن شئت فخرج فإن شئت فاقعد وإن شئت فصل إلى العصر وقيل قوله فانتشروا في الأرض ليس لطلب الدنيا ولكن لعبادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله وقيل وابتغوا من فضل الله طلب العلم وعن عراك بن مالك أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال اللهم أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فأرزقني من فضلك وأنت خير الرازقين ﴿واذكروا الله كثيرا﴾ أي إذا فرغتم من الصلاة ورجعتم إلى التجارة والبيع والشراء فاذكروا الله كثيرا قيل باللسان وقيل بالطاعة قيل لا تكون من الذاكرين الله كثيرا حتى تذكره قائما وقاعدا ومضطجعا ﴿لعلكم تفلحون﴾ بخير الدارين .

﴿وأخرج القضاعي﴾ أي نقل ﴿وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ الجمعة حج الفقراء﴾ يعني ذهاب العاجزين عن الحج إلى الجمعة هو لهم كالحج في حصول الثواب وإن تفاوت وفيه الحث على فعلها والترغيب فيه .

﴿وأخرج﴾ الشافعي في مسنده ﴿وأحمد﴾ وغيرهما ﴿عن سعد بن عبادَةَ﴾ سيد الانصار ﴿سيد الأيام﴾ أي أيام الأسبوع ﴿عند الله يوم الجمعة﴾ أي هو من أفضلها ﴿وهو أعظم﴾ عند الله ﴿من يوم﴾ عيد ﴿النحر ويوم﴾ عيد ﴿الفطر﴾ الذي ليس بيوم جمعة ﴿وفيه خمس خصال﴾ هذا بيان لوجه الأفضلية ﴿فيه خلق الله آدم وفيه أهبط من الجنة إلى الأرض وفيه توفي﴾ وذلك من الخصال الحميدة لما ترتب على ذلك من ولاية الأنبياء وكذا موته فيه باعتبار ما يرتب عليه من لقائه بولاه أحسن لقاء ﴿وفيه ساعة﴾ أي لحظة لطيفة ﴿لا يسأل العبد فيها﴾ الله تعالى ﴿شيئا إلا أعطاه إياه﴾ أي بمن ما طلب ﴿ما لم يسأل إنما﴾ أي نحو اللهم ارزقني بخبر أو مال حرام ﴿أو قطيعة رحم﴾ أي حجر قرابة بنحو إهداء أو صد ﴿وفيه تقوم الساعة﴾ أي القيامة ﴿وما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا ربح ولا جبل ولا حجر إلا وهو مشفق من يوم الجمعة﴾ أي خائف من قيام القيامة فيه أكثر من الخوف في غير ذلك اليوم أي يخلق الله تعالى لها أدراكا لما يقع في ذلك اليوم فتخاف ويقال إن الطير والبهائم يلتقي بعضها بعضا في يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح كل في القوت والسر في ذلك أن الساعة كما تقدم تقوم يوم الجمعة بين الصبح وطلوع الشمس فما من دابة إلا وهي مشفقة من قيامها في صباح هذا اليوم فإذا أصبح حمدن الله تعالى وسلمن على بعضهن وقلن يوم صالح حيث لم تقوم فيها الساعة .

وفي مسند الشافعي قال حدثني إبراهيم بن محمد قال قال موسى بن عبيدة حدثني أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة عن عبد الله بن عمير أنه سمع أنس بن مالك يقول أتني جبريل عليه السلام بمرآة بيضاء فيها وكة إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ ما هذه فقال هذه الجمعة فضلت بها أنت ومنك فالناس لكم فيها تبع اليهودي والنصارى ولكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعوا الله بخير إلا استجب له وهو عندنا يوم المزد قال النبي ﷺ يا جبريل وما يوم المزد قال إن ربك اتخذ في الفردوس راديا أفج فيه كتب مسك فإذا كان يوم الجمعة

أنزل الله ما شاء من ملائكته وحوله من نور عليها مقاعد للنين وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكحلة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من ورائهم على تلك الكتب فيقول الله تعالى أنا ربكم صدقتم وعدى فسلوني أعطكم فيقولون ربنا نسألك رضوانك فيقول قد رضيت عنكم ولكم على ما تنتم ولدي مزيد فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخيرات وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش وفيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة.

قال الشافعي أخبرنا إبراهيم بن محمد قال حدثني أبو عمران إبراهيم بن الجعد عن أنس شيهابه وزاد فيه أيضا أشياء انتهى ما في المسند .

وفي المصنف لابن بكير بن أبي شيبه في باب فضل الجمعة ويروها حدثنا عبد الرحمن بن محمد الحاربي عن ليث عن عثمان عن أنس قال قال رسول الله ﷺ أناني جبريل وفي يده كالمراة البيضاء فيها كالنكة السوداء فقلت يا جبريل ما هذه قال هذه الجمعة قال قلت وما الجمعة قال لكم فيها خير قال قلت وما لنا فيها قال تكون عيد لك ولقومك من بعدك ويكون اليهود والنصارى تبعالك قال قلت وما لنا فيها قال لكم فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئا من أمور الدين والآخرة هوله قسم إلا أعطاه إياه أو ليس له قسم الا إذا خوله عنده ما هو أفضل منه أو يعذبه من شره وعليه مكوب الا صرف عنه من البلاء ما هو أعظم منه قال قلت وما هذه النكة فيها قال هي الساعة وتقوم يوم الجمعة وهو عندنا سيد الأيام ونحن ندعوه يوم القيامة ويوم المزيد قال قلت سم ذلك قال لأن ربك تبارك وتعالى اتخذ في الجنة واديا من مسك أبيض فاذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه تبارك وتعالى ثم حف العرش بمنابر من ذهب مكحلة بالجواهر ثم يجي النبيون حتى يجلسوا عليها وينزل أهل الغرف حتى يجلسوا على ذلك الكتب ثم يتجلنى لهم ربهم تبارك وتعالى ثم يقول سلوني أعطكم فيسألونه الرضا قال فيشهدهم انه قد رضى عنهم قال فيفتح لهم ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر قال وذلك بمقدار انصرفكم من يوم الجمعة قال ثم يرتفع وترتفع معه النبيون والصديقون والشهداء ويرجع أهل الغرف الى غرفهم وهي درة بيضاء ليس فيها فسم ولا وصم أو درة حمراء أو زبرجدة خضراء فيها غرفها وأبوابها مطرزة وفيها أنهارها وغرورها مدية قال فليسوا الى شيء أحج منهم الى يوم الجمعة ليزدادوا الى ربهم نظرا ويزدادوا منه كرامة .

وأخرج أبو معاوية عن الأعمش عن يزيد الرقاشي عن أنس رفعه جاتني جبريل بمراة بيضاء فيها نكة سوداء قال قلت ما هذه قال هذه الجمعة وفيها ساعة انتهى قال الزبيدي ليث ويزيد ضعيفان وأخرج الخطيب عن ابن عمر قال نزل جبريل عليه السلام الى النبي ﷺ وفي يده شبه مراة فيها نكة سوداء فقال يا جبريل ما هذه قال هذه الجمعة .

وينبغي أن يكون حسن المراقبة والانتظار للساعة الشريفة الموعود بها ففي الخبر المشهور ان في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئا إلا أعطاه إياه وفي خبر آخر لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى فيها شيئا إلا أعطاه إياه وأشار بيده يقللها .

واختلف في تعيينها على أقوال فقل انما عند طلوع الشمس نقله صاحب القوت وهو القول الاول وقيل عند زوال الشمس من كبد الشمس رواه ابن أبي شيبه عن البصري وحكاه ابن المنذر عنه وعن أبي العباس وهو القول الثاني وقيل مع الأذان رواه ابن أبي شيبه عن أبي أمامة وهذا هو القول الثالث وقيل إذا صعد الخطيب المنبر وأخذ في الخطبة ورواه ابن أبي شيبه عن أبي أمامة وهذا هو القول الرابع وقيل إذا قام الناس الى الصلاة رواه ابن أبي شيبه والطبراني عن أبي أمامة وروى الطبراني في الكبير من حديث ميمونة بنت سعد قلت آية

ومسلم وأبو داود عن أبي موسى الأشعري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن ساعة الإجابة ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة *

ساعة هي يا رسول الله قال ذلك حين يقوم الإمام وسنده ضعيف وهو يحتمل أن يراد به القيام للصلاة أو القيام للخطبة وهو القول الخامس وقيل آخر وقت العصر معنى وقت الاختيار رواه أحمد من حديث أبي سعيد وأبي هريرة وقال العراقي في شرح الترمذي أكثر الأحاديث يدل على أنها بعد العصر فمن ذلك حديث أنس وعبد الله بن سلام وجابر بن عبد الله وأبي سعيد وأبي هريرة وفاطمة صح منها حديث عبد الله بن سلام وجابر وأبي سعيد وأبي هريرة انتهى وروى ابن أبي شيبة في مصنفه هذا القول عن ابن عباس وأبي هريرة وطاوس ومجاهد وحكاه ابن بطلال عن مجاهد وقال المهبلي وحجة من قال أنها بعد العصر قوله صلى الله عليه وسلم يتعاقبون فيكم ملائكة الليل والنهار يجتمعون في صلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فهو وقت العروج وعروض الأعمال على الله تعالى فيوجب الله تعالى مغفرته للمصلين من عباده وقيل في قوله تعالى أتجسبنوها من بعد الصلاة أنها العصر انتهى وحكاه الترمذي في جامعه عن أحمد وإسحاق ثم قال وقال أحمد أكثر الأحاديث في الساعة التي يرجى فيها الإجابة أنها بعد العصر وقال ابن عبد البر أن هذا القول أثبت شيء أن شاء الله تعالى انتهى والظاهر أن المراد بقولهم بعد العصر أي بعد صلاة العصر وبه صرح ابن عباس فحينئذ فهل يختلف الحال بتقديم الصلاة وتأخيرها أو يقال المراد مع الصلاة المتوسطة في أول الوقت وقد يقال المراد دخول وقت العصر وهو القول السادس وقيل قبل غروب الشمس إذا تدلى حاجبها الأسفل وكانت فاطمة رضى الله عنها تراعى ذلك الوقت وتأمّر خادمتها أن تنظر إلى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ في الدعاء والاستغفار إلى أن تغرب الشمس وتخبر بأن تلك الساعة هي المنتظر للإجابة وتنقل ذلك عن أبيها صلى الله عليه وسلم وهذا هو القول السابع .

وقال بعض العلماء هي مهيمة في جميع اليوم لا يعلنها إلا الله تعالى كأنه جعلها مثل ليلة القدر مهيمة في جميع شهر رمضان وكأنها مثل الصلاة الوسطى في جملة الصلوات الخمس حكاه القاضي عياض وغيره ونقله صاحب الفتاوى هكذا فإن قيل لم أنهما قليل في الجواب حين توافر الدواعي على مراقبتها في ذلك اليوم وهذا هو القول الثامن وقيل أنها لا تلزم ساعة بعينها بل تنقل في جميع ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر عند بعضهم في ليالي الشهر ليكون العبد إلى الله طالبا راغبا متضرعا مفتقرا في جميع ذلك اليوم وهذا هو القول التاسع وهو الأشبه وأشار إليه النووي في الخلاصة فقال ويحتمل أنها تنقل كذا ذكره الغزالي وغيره وبقيت أقوال في تعيين تلك الساعة أحدها أنها من حين تصغر الشمس إلى أن تغيب حكاه ابن عبد البر عن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار الثاني هي ما بين أن يجلس الإمام على المنبر إلى الفراغ من الصلاة حكاه ابن المنذر عن الحسن البصري وقرب منه قول من قال هي ما بين أن يحرم البيع إلى أن يحل حكاه ابن عبد البر عن الشعبي وحكاه العراقي في شرح الترمذي عن أبي موسى الأشعري وأبي أمامة .

وقال النووي هو الصواب كما أخرجه مسلم وأبو داود عن أبي موسى الأشعري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن ساعة الإجابة ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة قال مسلم هذا أجود حديث وأصح في بيان ساعة الجمعة حكاه عنه النيهي الثالث أنها من حين خروج الإمام إلى الفراغ من الصلاة رواه ابن أبي شيبة عن الشعبي عن عوف بن حصيرة وهو تابعي وحكاه ابن عبد البر عن الشعبي وهو قريب من الذي قبله لكنه أوسع منه لأن خروج الإمام مقدم على جلوسه على المنبر الرابع هي حين يقف الإمام الخطبة إلى الفراغ من الصلاة حكاه ابن عبد البر وهو أضيق من القولين قبله لأن افتتاح الخطبة متأخر عن جلوسه على المنبر لما

بعد الجلوس من الأذان الخامس أنها من حين تمام الصلاة إلى أن يفرغ منها رواه ابن أبي شيبة عن أبي بردة بن أبي موسى قال كنت عند ابن عمر فسئل عن الساعة التي في الجمعة فقلت هي الساعة التي اختار الله لها أو فيها الصلاة فمسح رأسى وبرك على وأعجبه ما قلت هكذا نقله العراقي في شرح الترمذ وهو غلط والصحيح أن هذه القصة لابن عباس قال أبي بكر بن أبي شيبة في المصنف حدثنا علي بن هاشم عن ابن أبي ليلى عن عطاء عن ابن عباس وأبي هريرة قالوا الساعة التي تذكر في الجمعة قال فقلت هي الساعة التي اختار الله لها أو فيها الصلاة فساق الحديث وهكذا نقله السيوطي في الدار المنثور عن المصنف كما ذكرت ولم أجد فيه ما وقع بين أبي بردة وابن عمر ولعله أن صح فهما قصتان ولكن نص المصنف ما ذكرت وهذه النسخة التي أنقل منها نسخة قديمة صحيحة بخط بعض الحداث والله أعلم ثم قال العراقي وحكاها ابن عبد البر عن خوف بن حصيرة ويدل له ما أخرجه الترمذي وابن ماجه عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه قالوا يا رسول الله آية ساعة هي قال حين تمام الصلاة إلى انصرافه منها قال الترمذي حسن غريب قال النووي في الخلاصة وليس كذلك فإن كثير بن عبد الله متفق على ضعفه قال الشافعي هو أخذ أركان الكذب وقال أحمد هو منكر الحديث ليس بشيء انتهى وقال ابن عبد البر لم يروه فيما علمت الا كثير وليس بمن يحتاج به انتهى السادس منها من حين جلوس الخطيب على المنبر إلى الشروع في الصلاة حكاها ابن المنذر عن أبي السوار العدوي السامع أنها من الزوال إلى أن يصير الظل نحو ذراع حكاها القاضي عياض الثامن أنها مع زيف الشمس بشبر إلى ذراع حكاها ابن المنذر وابن عبد البر عن أبي ذر رضى الله عنه أنه قاله لامرأته لما سأله وقال لها إن سألتني بعد فانت طالق وهذا القول قريب من الذي قبله التاسع أنها عند أذان المؤذن لصلاة الغداة قال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف حدثنا معاوية بن هشام حدثنا سليمان بن أفرم عن أبي حبيب عن نبل عن سلامة بنت أفعى قالت كنت عند عائشة في نسوة فسمعتهما تقولان يوم الجمعة مثل يوم عرفة وإن فيه لساعة تنفتح فيها أبواب الرحمة فقلنا أي ساعة فقالت حين ينادي المنادي بالصلاة وحدثنا عبدة بن حميد عن سنان بن حبيب عن نبل بنت يذر عن سلامة بنت أفعى عن عائشة قالت إن يوم الجمعة مثل يوم عرفة تنفتح فيه أبواب الرحمة وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئاً إلا أعطاه قيل وآية ساعة قالت إذا أذن المؤذن لصلاة الغداة فهي رضى الله عنها أطلقت النداء مرة وقيدته مرة أخرى فحملنا المطلق على المقيد وفهم ابن المنذر من كلامها أنها تعنى بالنداء في حديثها الأول لصلاة الجمعة فحكى عنها أن ساعة الإجابة إذا أذن المؤذن لصلاة الجمعة ولعله وقف عنها على تصريح بذلك فعلى هذا يكون هذا القول مع ما مر من قول المصنف أنها عند النداء واحداً من غير مغايرة ولكن عددها هنا قولاً مستقلاً للتصريح الواقع في حديثها الثاني عند أبي بكر بن أبي شيبة وظاهر سياقه دال على التباين فتأمل العاشر أنها ما بين طلوع الشمس حكاها ابن المنذر وابن عبد البر عن أبي هريرة الحادي عشر أنها من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس حكاها أبو العباس القرطبي والنووي الثاني عشر أنها الساعة الثالثة من النهار حكاها ابن قدامة في المعنى ..

فهذه اثنا عشر قولاً إذا ضمت مع ما قبلها تصير إحدى وعشرين قولاً وهناك قول آخر أنها قد رفعت حكاها ابن عبد البر وقال هذا ليس بشيء عندنا وقال القاضي عياض رد السلف هذا على قائله وقد قيل لأبي هريرة زعموا إن الساعة التي في يوم الجمعة قد رفعت فقال كذب من قال ذلك قيل له فهي في كل جمعة استقبلها قال نعم قال ابن عبد البر على هذا تواترت الآثار وبه قال علماء الانصار ويقال إن كعب الأخير كان يقول أنها في جمعة واحدة من السنة فلما سمع ذلك أبو هريرة رده عليه فراجع التوراة فراجع إليه .

وأحمد والترمذي عن ابن عمر ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله تعالى فتنة القبر أعادنا الله منها * والطبراني عن أبي سعيد أن الله كتب عليكم الجمعة في مقامي هذا في ساعتي هذه في شهري هذا في عامي هذا إلى يوم القيامة من تركها بغير عذر مع إمام عادل أو إمام جائر فلا جمع له شمله ولا بورك له في أمره إلا ولا صلاة له إلا ولا حج له إلا ولا بر له إلا ولا صدقة له * وأبو داود والحاكم عن طارق بن شهاب الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا على أربعة عبد مملوك

﴿و﴾ أخرج أحمد والترمذي عن ابن عمر ﴿بن العاص﴾ وفي العزيزي قال الشيخ حدث حسن ﴿ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله تعالى فتنة القبر﴾ قال المناوي بأن لا ينسل في قبره انتهى وهذا خلاف ظاهر الحديث والذي اعتمد الزبدي أن السؤال في القبر عام لكل مكلف إلا شهيد المعركة وما ورد في جماعة من أنهم لا يسألون محمول على عدم الفتنة في القبر أي يسألون ولا يفتنون وأخرج أبو نعيم في الحلية من حديث جابر من مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أجبر من عذاب القبر وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء وأخرج الشيرازي في الألقاب من حديث عمر بن الخطاب من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة عوفي من عذاب القبر وجرى له عمله قل المصنف ﴿أعادنا الله منها﴾ أي فتنة القبر.

﴿و﴾ أخرج الطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ﴿أن الله كتب﴾ أي فرض ﴿عليكم الجمعة في مقامي هذا في ساعتي هذه في شهري هذا في عامي هذا إلى يوم القيامة من تركها بغير عذر﴾ من أعتار الجماعة والجمعة ﴿مع إمام عادل أو إمام جائر﴾ أي ما تل عن الحق ﴿فلا جمع له شمله﴾ أي ما تفرق من أموره ﴿ولا بورك له في أمره إلا ولا صلاة له إلا ولا حج له إلا ولا بر له إلا ولا صدقة له﴾ وأخرج ابن ماجه من حديث جابر باستناد ضعيف قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال إن الله افترض عليكم الجمعة في مقامي هذائي يومي هذائي شهري هذائي عامي هذا إلى يوم القيامة فمن تركها استخفافاً بها أو جحوداً بها فلا جمع الله شمله ولا بورك له في أمره إلا ولا صلاة له ولا زكاة له ولا حج له ولا بركة حتى يتوب فمن تاب تاب الله عليه.

﴿و﴾ أخرج أبو داود والحاكم عن طارق بن شهاب ﴿البجلي﴾ الاحمسي الصحابي الكوفي رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيئاً فالحديث مرسل بل وضعيف الاستيذان قاله العزيزي وأجاب النووي في الخلاصة بأن مرسل الصحابة حجة على عند كل العلماء إلا أناسخاق الاستفراشي وبأن الحاكم رواه عنه على شرط الشيخين عن أبي موسى الأشعري فاندفع الارسال ذكره بعض المحققين ﴿الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة﴾ استدل به على أن من شرط الجمعة أن تقام في جماعة لأن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده لم ينقل عنهم ولا عن أحدي زمانهم ولا بعدهم أنه فعلها فرادى ﴿الاعلى أربعة﴾ أن نصب فقطاً هو لا بد من شئ من كلام تام موجب وإن رفع فعلى تأويل الكلام بالنفي كأنه قيل لا يترك الجمعة مسلم في جماعة إلا أربعة أو على أن الابعنى لكن وأربعة مبتدأ وسوخ الابتداء به مع أنه نكرة وصفه بمحذوف مفهوم من السياق أي من المسلمين والخبر محذوف أي لا تجب عليهم وعبد بدل أرخب مبتدأ محذوف أي أولهم ﴿عبد مملوك﴾ كذا بصورة المرفوع فهو خبر مبتدأ محذوف كما تقرر ويحتمل أنه منصوب بدل من أربعة على النصب إذ كانت عادة المتقدمين كما ذكره النووي وغيره أن يكتبوا المنسوب من غير ألف ويكتبون تنوين المنسوب وروى الدارقطني وغيره خبر من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة الامراة أو مسافراً أو عبداً أو مريضاً وفي اعراب هذا نظير ما مر بل نقل عن أبي الحسن بن عصفور أنه قال إن كان الكلام الذي قبله لا موجبا جاز في الاسم الواقع بعد الأوجهان أفصحهما النصب على الاستثناء والآخر أن تجعله مع الأتباع لاسم الذي قبله فتقول قام القوم الأزيداً بنصبه ورفعاً وعليه يحمل قراءة من قرأ فشرى منه الأقليل منهم بالرفع وفي البخاري

أو امرأة أو صبي أو مريض * وأحمد ومسلم عن أبي هريرة من تروا يوم الجمعة فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة واستمع وأنصت غفر له ما بين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصى فقد لنا * وأحمد والحاكم عن أبي الجعد من ترك ثلاث جمع منها وتابها طبع الله على قلبه * والطبراني عن أسامة بن زيد من ترك ثلاث جمعات من غير عذر كسب من المنافقين

فلما تفرقوا أحرموا كلهم الأبقادة وعن الفتح بن جنى يجوز أن تحمل الأصفة ويكون الاسم الذي بعد الأعراب ما قبلها تقول قام القوم الأزيد ورأيت القوم الأزيد أو مررت بالقوم الأزيد فيعرب ما بعد الأعراب ما قبلها لأن الصفة تتبع الموصوف وكان القياس أن يكون الأعراب على الالكن الأحرف لا يمكن أعرابه فنقل إلى ما بعده ألا ترى أن غير لما كانت استمأظها الأعراب فيها إذا كانت صفة تقول قام القوم غير زيد ورأيت القوم غير زيد ومررت بالقوم غير زيد ﴿أو امرأة أو صبي أو مريض﴾ أو بمعنى الواو ومثله من له عذر مرخص في ترك الجماعة وتلزم الجمعة الحرم والزمن أن وجدا مركبا لم يزرهما ركوبه ولو أدى ما يملك أو باعار لأمته فيها بان فتهت المنفعة جدا أو باجارة بأجرة مثل وجدها فاضلة عما يستبر في الفطرة ولم يشق عليهما الركوب كالمشقة في الوحل وتلزم أيضا الأعمى أن وجد قائدا يليق به مرافقته لا نحو فاسق ولو بأجرة كذلك والالم تلزمه وإن اعتاد المشى بالعصا على المعتد خلافا للفاضي والمتولى قال في التحفة وإن قرب الجامع منه خلافا للأذرعى لانه قد تحدث حفرة أو تصدمه دابة فيتضرر بذلك

﴿و﴾ أخرج أحمد ومسلم عن أبي هريرة من تروا يوم الجمعة فأحسن الوضوء ﴿بأن أتى بواجباته وستنته وشروطه﴾ ثم أتى الجمعة واستمع ﴿للخطبة﴾ وأنصت ﴿هنا شيان متايزان وقد يجتمعان فالاستماع الاصغاء والانصات السكوت ولهذا قال الله تعالى وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا﴾ غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ﴿قال العللاء معنى المغفرة له ما بين الجمعتين وثلاثة أيام أن الحسنة بعشر أمثالها وصار يوم الجمعة ان الذي فعل فيه هذه الأفعال الجميلة في معنى الحسنة التي تجعل بعشر أمثالها قال بعض أصحابنا والمراد بما بين الجمعيتين من صلاة الجمعة وخطبتها إلى مثل الوقت من الجمعة الثانية حتى تكون سبعة أيام بلا زيادة ولا نقصان ويضم إليها ثلاثة فيصير عشرة كذا ذكره النووي في شرح مسلم ﴿ومن مس الحصى فقد لغا﴾ فيه النهي عن مس الحصى وغيره من أنواع العبث في حالة الخطبة وفيه إشارة إلى إقبال القلب والجوارح على الخطبة والمراد بالغر هنا الباطل المذموم المردود

﴿و﴾ أخرج أحمد والحاكم وغيرهما ﴿عن أبي الجعد﴾ الضمري بإسناد حسن ﴿من ترك ثلاث جمع﴾ يضم ففتح ﴿منها وتابها﴾ قال العراقي المراد بالتهاون الترك من غير عذر ﴿طبع الله على قلبه﴾ أي ختم الله على قلبه ومنعه من الطاعة ودخول الأسرار فيه فلا يكون محلا للأسرار والأنوار وقال العزيمي المراد بطبع ما يجعله الله في قلبه من الجهل والجهلاء والقسوة وفي النهاية معنى طبع الله على قلبه ختم الله عليه وغشاه ومنعه الطافه والطبع بالسكون الختم وبالتحريك الدنس وأصله من الصبأ والدنس يفسحان السيف يقال طبع السيف طبع طبعاً ثم استعمل فيما يشبه ذلك من الأوزار والآثام وغيرهما من القبايح

﴿و﴾ أخرج الطبراني عن أسامة بن زيد ﴿من ترك ثلاث جمعات﴾ يضم الجيم والميم أو فتحها أو سكونها ﴿من غير عذر كسب من المنافقين﴾ أن كان ممن تحبب الجمعة عليه والمراد النفاق العملى لا الحقيقي بحيث يصير يظهر خلاف ما يطن في امره أو المراد أن تركه الجمع الثلاث مثل عمل المنافقين وفي رواية أخرى سندها صحيح عن ابن عباس موقوفة فقد نبذ الإسلام وراء ظهره وأخرج الطبراني بسند حسن لينتهن أقوام يتبعون النداء يوم الجمعة ثم لا يأتونها أو يطعن الله على قلوبهم ثم ليكون من المنافقين وابن ماجه عن جابر رضي الله عنه خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا وبادروا بالأعمال الصالحة قبل

﴿وحكى﴾ الدينوري عن الأوزاعي قال كان عندنا صياد وكان يخرج في الجمعة لا يمنعه مكان الجمعة من الخروج فخسف به وبغلقته في الأرض فخرج الناس وقد ذهبت بغلته في الأرض فلم يبق منها إلا أذنها وذنبها ﴿وحكى﴾ ابن شعبة عن مجاهد أن قوما خرجوا في سفر حين حضرت الجمعة فاضطرم عليهم خباؤهم ناراً من غير نار يرونها قال يعني بلغنا أن الموتى لا يعذبون ليلة الجمعة بشرنا لهذا الوقت

أن تشغلوا وصلوا الذي ينكم وينكم بكرة ذكركم له وكثرة الصدقة في السر والعلانية ترزقوا وتجبروا واعلموا أن الله افترض عليكم الجمعة في مقامى هذا في شهري هذا في عامى هذا إلى يوم القيامة فمن تركها في حياتي أو بعدى وله إمام عادل أو جائر استحقاقاً بها وجحوداً بها فلا جمع الله شمله ولا بركة له في أمره ألا ولا صلاة له ولا زكاة له ولا حج له ولا صوم له ولا بر له حتى يتوب فمن تاب تاب الله عليه

* تنبيه * قد عد العلانية ابن خنجر في الزواجر هذا من الكبائر وهو واضح مما ذكر في هذه الأحاديث وبه صرح غير واحد ويؤيده أن فعلها في الجماعة على غير ذوى الأعذار المذكورة في الفقه فرض عين إجماعاً بل هو معلوم من الدين بالضرورة فمن استحلّه وهو مخالف للمسلمين كفر فيما يظهر لأنه مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة ومن ثم لو قال إنسان أصلى ظهر إلى الجمعة قتل على الأصح عندنا كما سيأتي للمصنف لأن ذلك بمنزلة تركها من أصلها وقال الحلي أن ترك الجمعة لغيرها صغيرة ومعنى قوله لغيرها أنه اعترض عن الجمعة وقصد صلاة الظهر بدلها وما ذكره من أن ذلك صغيرة حينئذ فيه نظر كما قاله الأذرعي ولعله مبنى على الوجه الضعيف أن من قال أصلى الظهر ولا أصلى الجمعة لا يقتل بناء على الضعيف أيضاً أن الجمعة ظهر مقصورة أما على الأصح فإنه يقتل بناء على الأصح أنها صلاة مستقلة وليست بدلاً عن الظهر فتركها كبيرة وإن قال أصلى الظهر كما تقرر

* فائدة * وأخرج أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم من ترك الجمعة من غير عذر فليصدق بدينار فإن لم يجد فنصف دينار وفي رواية لليهي بدرهم أو نصف درهم أو صاع أو مد وفي أخرى لابن ماجه مرسلة أو صاع حنطة أو نصف صاع

﴿وحكى﴾ الإمام ﴿الدينوري﴾ عن ﴿أبي عبد الرحمن﴾ الأوزاعي قال كان عندنا صياد وكان يخرج ﴿لاصياد الصيد﴾ راکباً بغلته ﴿في﴾ يوم ﴿الجمعة لا يمنعه مكان﴾ يوم ﴿الجمعة﴾ أى منزلته ﴿من الخروج﴾ ولا يزال به ﴿فخسف به وبغلقته في الأرض﴾ عقوبة لعدم مبالاة حرمة الجمعة ﴿فخرج الناس وقد ذهبت بغلته في الأرض فلم يبق منها إلا أذنها وذنبها﴾ وحكى ﴿ابن أبي شعبة﴾ عن مجاهد ﴿بن جابر المكي﴾ رحمه الله ﴿أن قوما خرجوا في سفر حين حضر الجمعة فاضطرم﴾ أى التهب ﴿عليهم﴾ خباؤهم ناراً غير نار يرونها قال ﴿أبو محمد عبد الله بن أسعد﴾ البافعي ﴿في روض الرماح﴾ بلغنا أن الموتى لا يعذبون ليلة الجمعة تشريقاً لهذا الوقت قال ويحمل اختصاص ذلك بعصاة المسلمين دون الكفار وعمم تقى في بحر الكلام فقال إن الكافر يرفع عنه العذاب يوم الجمعة وليلتها وجميع شهر رمضان قال وأما المسلم العاصي فإنه يعذب في قبره لكن يرفع عنه العذاب يوم الجمعة وليلتها ثم لا يعود إليه إلى يوم القيامة وإن مات يوم الجمعة أوليلتها يكون له العذاب ساعة واحدة وضغطة القبر كذلك ثم ينقطع عنه العذاب ولا يعود إلى يوم القيامة انتهى وهذا يدل على أن عصاة المسلمين لا يعذبون سوى جمعة واحدة أو دونها وأنهم إذا وصلوا إلى يوم الجمعة انقطع ثم لا يعود وهو يحتاج الدليل وقال ابن القيم في البدائع نقلت من خطا لقاضي أبي يعلى في تعليقاته لا بد من انقطاع عذاب القبر لأنه من عذاب الدنيا والدنيا وما فيها تنقطع فلا بد أن يلحقهم الثناء والبلى ولا يعرف مقدار ذلك قال السيوطي ويؤيد ذلك ما رواه هناد في الزهد عن مجاهد قال للكفار هجمة يحدون فيها طعم النوم حتى يوم القيامة فإذا أصبح بأهل القبور يقول الكافر يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا هذا فيقول المؤمن إلى جنبه

﴿وحكى﴾ الأوزاعي عن مسيرة بن جليس أنه مر بمقابر باب توما وقاتد يقوده وكان مكفوفاً فقال السلام عليكم أهل القبور أتم لنا سلف ونحن لكم تبع ورحمنا الله وإياكم وغفر لنا ولكم ورد الله الروح في رجل منهم فأجابه فقال طوبى لكم يا أهل الدنيا حين تحجون في الشهر أربع مرات قال وإلى أين يرحمك الله قال إلى الجمعة أفما تعلمون أنها حجة مبرورة متقبلة ﴿تنبيهان﴾ أحدهما أن أداء صلاة الجمعة مع الجماعة على غير ذوى الأعذار فرض عين إجماعاً، فمن استحل تركها وهو مخالط للمسلمين كفر ومن ثم لو قال إنسان أصلى ظهراً لا جمعة قتل على الأصح * وثانيهما أنه يحرم على من تلزمه الجمعة كقيم لم يتوطن إنشاء سفر بعد فجرها ولو لطاعة

هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون .

﴿وحكى﴾ الأوزاعي عن مسيرة بن جليس أنه مر بمقابر باب توما بالضم قرية بد مشق كما في القاموس ﴿وقاتد يقوده وكان﴾ ابن جليس ﴿مكفوفاً﴾ أي أعمى ﴿فقال السلام عليكم﴾ يا ﴿أهل القبور أتم لنا سلف. ونحن لكم تبع ورحمنا الله وإياكم وغفر لنا. ولكم ورد الله الروح في رجل منهم﴾ أي من أهل تلك المقابر ﴿فأجابه﴾ الرجل ﴿فقال طوبى لكم يا أهل الدنيا حين تحجون في الشهر أربع مرات. قال﴾ ابن جليس ﴿وإلى أين﴾ نحج في الشهر كذلك ﴿قال﴾ الرجل منهم ﴿إلى الجمعة أفما تعلمون أنها حجة مبرورة متقبلة﴾.

﴿تنبيهان﴾ * أحدهما أن أداء صلاة الجمعة مع الجماعة على غير ذوى الأعذار فرض عين إجماعاً، ﴿وحكى﴾ ابن كج رجحاً أنها فرض كتابية وحكى قولاً وغلطوا حاكبه قال الروياني لا يجوز حكاية هذا عن الشافعي انتهى وقال جمع من الحنفية صلاة الجمعة فرض عين بالكتاب والسنة والاجماع ونوع من المعنى فالكتاب قوله تعالى إذا نودي الآيات والسنة قوله ﷺ الجمعة واجب على كل مسلم الحديث في أخبار كثيرة وأما الاجماع فظاهر وأما المعنى فلأننا امرنا بترك الظهر لأقامة الجمعة والظهر فريضة ولا يجوز ترك الفرض إلا للفرض هو أكد وأولى منه فدل على أن الجمعة أكد من الظهر في الفريضة ﴿فمن استحل تركها وهو مخالط للمسلمين كفر ومن ثم لو قال إنسان أصلى ظهراً لا جمعة قتل على الأصح﴾ عندنا لأن ذلك بمنزلة تركها من أصلها كما تقدم ﴿وثانيهما أنه﴾ أي الحال والشأن ﴿يحرم على من تلزمه الجمعة﴾ بأن كان من أهلها وإن لم تتعده به ﴿ك﴾ مقيم لا يجوز له القصر و﴿مقيم لم يتوطن إنشاء سفر﴾ نفوت به الجمعة كان ظن أنه لا يدركها في طريقه بأن لم يكن فيه محل تقام فيه الجمعة أو مقصده وظنه أو غيره بأن ظن أنه إذا وصله يجد الجمعة قد وصلت ﴿بعد فجرها﴾ أي فجر يوم الجمعة لما صح أن من سافر يوم الجمعة بعد الفجر دعا عليه ملكاً فيقولان لا نجاء الله من سفره ولا أعانه على قضاء حاجته إلا أن خشي من عدم سفره ضرراً كإقطاعه عن الرفقة فلا يحرم أن كان غير سفر معصية ولو بعد الزوال وإنما حرم من بعد الفجر مع أن وقت الوجوب إنما يدخل بالزوال لأن الجمعة مرتبطة باليوم ولذا وجب السعي إليها قبل الزوال على بعيد الدار ﴿ولو﴾ كان السفر ﴿للطاعة﴾ مندوبة كانت كزيارة قبر النبي ﷺ أو واجبة كالجاء أما المسافر لمعصية فلا تسقط عنه الجمعة مطلقاً وحيث حرم السفر بأن سافر بعد فجر يوم الجمعة ولم تمكنه في طريقه ولم يتضرر بتخلفه لم يترخص برخص السفر من القصر والجمع والتبطل إلى جهة مقصده مالم تفت الجمعة فإن فاتت بخروج وقتها أو باليأس منها ترخص من حين القوات ويكره السفر ليلة الجمعة لما روى بسند ضعيف من سافر ليلتها دعا عليه ملكاً سئل العلامة ابن حجر رحمه الله هل يكره السفر ليلة الجمعة فأجاب بقوله مقتضى قول الغزالي في الخلاصة من سافر ليلتها دعا عليه ملكاً الكراهة وهو متجه أن قصد بذلك الفرار عن الجمعة قياساً على بيع النصاب الزكوى قبل الحول إلا أن يفرق بأن الحول ثم سبب للوجوب واعتقد في حقه بخلافه هنا وكان هذا مدرك قولهم لما رآه أحد من الأصحاب ما يقتضى الكراهة.

﴿وأخرج﴾ أحمد وابن حبان عن ابن عباس اغتسلوا يوم الجمعة واغسلوا رؤوسكم وإن لم تكونوا جنباً ومسوا من الطيب * وابن أبي شيبه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه من اغتسل يوم الجمعة كثرت عنه ذنوبه وخطاياؤه فإذا أخذ في المشي كتب له بكل خطوة عشرون حسنة * والديلمي عن أبي هريرة الغسل في هذه الأيام واجب يوم الجمعة ويوم الفطر ويوم النحر ويوم عرفة *

﴿وأخرج أحمد وابن حبان عن ابن عباس﴾ رضي الله عنهما ﴿اغتسلوا يوم الجمعة﴾ إن كنتم جنباً ﴿واغتسلوا رؤوسكم﴾ تأكيد لاغتسلوا من عطفت الخاص على العام لينبه على أن المطلوب الغسل التام ثلاث يومهم إن أفاض الماء دون حل الشعر مثلاً تجزئ في غسل الجمعة أو المراد بالثاني التنظيف من الأذى واستعمال الدهن ونحوه قاله بعض شراح البخاري ﴿وإن لم تكونوا جنباً﴾ فاغسلوا للجمعة ولفظ الجنب يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع قال تعالى وإن كنتم جنباً فاطهروا ﴿ومستوا من الطيب﴾ من التبعيض قائم مقام المفعول أي استعملوا بغض الطيب وأخرج ابن أبي شيبه عن الزهري أخبرني ابن نياق أن رسول الله ﷺ قال في جمعة من الجمع إن هذا يوم عيد فاغسلوا ومن كان عنده طيب فلا يضره أن يمس منه وعليكم بالسواك وأخرج أيضاً عن أبي بكر بن عمرو بن عتبة عن ابن مغفل قال لما أتى للجمعة غسل وطيب إن كان وأخرج أيضاً عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن رجل من الأنصار عن رجل من أصحاب النبي ﷺ رفعه ثلاثة حق على كل مسلم الغسل يوم الجمعة والسواك ويمس من طيب إن كان أحب طيب الرجال الاثني بهم المتناسب لشهاتهم ما ظهر ريحه وخفى لونه كالمسك والعنبر وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه عن الأجانب كالزعفران وغيره وروى ذلك في الآثار وقال الشافعي ﷺ من نظف ثوبه قلَّ منه ومن طاب ريحه زاد عقله .

* تنبيه * ودخل في الطيب أنواعه على كثرتة فمن أحسن ما يطيب به بعد المسك الأدهان المستخرجة من الأخشاب وغيرها كدهن الصندل ودهن الليمون وأشرفها دهن الورد وهو المعروف بعطر شاه أي سلطان العطور وبعد هن النسرين فهو يقاربه في الرائحة وعلى ذلك المياه المستخرجة من الورد والزهورات على اختلاف أنواعها وكثيراتها فإن لم يجد الماء الورد لكفى .

﴿وأخرج﴾ ابن أبي شيبه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه من اغتسل يوم الجمعة كثرت عنه ذنوبه وخطاياؤه * وهذا هو المراد بقوله ﷺ من اغتسل يوم الجمعة كان في طهارة إلى الجمعة الأخرى رواء الحاكم عن قتادة والمراد الطهارة المعنوية ﴿فإذا أخذ في المشي كتب له بكل خطوة عشرون حسنة﴾ أخرج الديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه ﴿الغسل في هذه الأيام واجب يوم الجمعة ويوم﴾ عيد ﴿الفطر ويوم﴾ عيد ﴿النحر ويوم عرفة﴾ ليس المراد أنه واجب فرضاً بل هو مؤول أي واجب في السنة أو المرة أو في الأخلاق الجميلة كما تقول العرب حَقَّك واجب علي أي مأكَّد كما أفاده بعض المحققين وقد ذهب بعض العلماء إلى وجوب غسل الجمعة حكاه ابن المنذر عن أبي هريرة وعمار بن ياسر وحكاه الخطاب عن الحسن البصري وحكاه ابن حزم عن عمر بن الخطاب وابن عباس وأبي سعيد الخدري وسعد بن وقاص وابن مسعود وعمرو بن سليم وعطاء وكتب والمنسب بوجود هذا النص أن يعلق الإيمان بذلك المعلوم لأنه يزول عن علمه ويؤمن بهذا النص على مراد الله به فإن أعلمه الحق في كشفه ما هو المراد بذلك النص القادح في معلومه امن به في موضعه الذي عينه الحق له بالنظر إلى من هو المخصوص بذلك الخطاب وهل هذا الكشف يحرم علينا اظهاره في العامة لما يؤدي إليه من التشويش فليشكر الله على ما منحه فهذه مقدمة نافعة في الطريق ولما اختص الله من الشهور شهر رمضان وسماه باسمه تعالى كذلك اختص الله تعالى من أيام الأسبوع يوم الغزوة وهو يوم الجمعة وعرف الأمم أن الله تعالى يوم ما اختصه من هذه السبعة الأيام وشرفه على سائر أيام الأسبوع ولهذا غلط من يفصل بينه وبين يوم عرفة ويوم عاشوراء فإن فضل ذلك يرجع إلى مجموع أيام السنة لا إلى أيام الأسبوع ولهذا قد يكون يوم

وأبو داود والترمذي عن أوس بن غسلة وأبكر بن بكير وابن بكير ومشي ولم يركب ودنا من الإمام واستمع فأنصت ولم يبلغ كان له بكل خطوة يخطوها من بيته إلى المسجد عمل سنة أجر صيامها وقيامها * وأحمد وأبو داود عن أبي سعيد من اغتسل يوم الجمعة واستاك ومس من طيب إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد ولم يخط رقاب الناس ثم ركع ما شاء الله أن يركع ثم أنصت إذا خرج الإمام فلم يتكلم حتى يفرغ من صلاته كان كفارة لما بينهما وبين الجمعة التي قبلها *

عرفة يوم الجمعة ويوم عاشوراء يوم الجمعة لا يتبدل لا يكون أبدا يوم السبت ولا غيره من الأيام ففضل يوم الجمعة دأب لعينه وفضل يوم عرفة وعاشوراء وغيره لأمر عرضت اذا وجدت في أي يوم كان من أيام الأسبوع كان الفضل لذلك اليوم لهذه الأحوال العوارض فيدخل مفاضلة عرفة وعاشوراء في المفاضلة بين الأسباب العارضة الموجبة للفضل في ذلك النوع كما ان رمضان انما فضله على سائر الشهور القمرية لا في الشهور الشمسية فان أفضل أيام الشهور الشمسية يوم تكون الشمس في برج شرفها وقدياتي شهر رمضان في كل الشهور السنة الشمسية فيشرف ذلك الشهر الشمسي على سائر شهور الشمس يكون رمضان كان فيه وكونه فيه أمر عرض له في سيره فلا تفاضل يوم الجمعة يوم عرفة ولا غيره ولهذا شرع الغسل فيه لليوم لأنفس الصلاة فان اتفق ان يغسل في ذلك اليوم لصلاة الجمعة فلا خلاف بيننا أنه أفضل بلا شك وأرفع للخلاف الواقع بين العلماء هذا كلامه ونقله العلامة الزبيدي .

﴿ و ﴾ أخرج ﴿ أبو داود والترمذي ﴾ وحسنه والحاكم وصححه على شرط الشيخين ﴿ عن أوس بن أوس ﴾ الثقي ﴿ من غسل ﴾ يوم الجمعة كما في رواية ﴿ واغتسل ﴾ أي غسل الجمعة وروى غسل بالتشديد والتخفيف وهو أرجح وعليهما في معناه ثلاثة أوجه أحدها زوجته بأن جامعها فأجأها إلى الغسل واغتسل هو واديسن له الجامع في هذا اليوم ليأمن أن يرى في طريقه ما يشغل قلبه ثانيها غسل أعضاء الوضوء بأن توضع ثم اغتسل للجمعة ثالثها غسل ثيابه ورأسه ثم اغتسل وانما أفرد الرأس بالذكر لأنهم كانوا يجعلون فيه الدهن والخطمي ونحوهما وكانوا يغسلون أولا ثم يغسلون ﴿ ثم بكر ﴾ بالتخفيف أي خرج من باب بيته باكرا ومسرعا بالتشديد أي أتى الصلاة أول وقتها ﴿ وابتكر ﴾ أي أدرك أول الخطبة ﴿ ومشى ولم يركب ﴾ قيل هما بمعنى واحد جمع بينهما تأكيدا قال في الأسنى والمختار إن قوله ولم يركب أفاد نفي توهم حمل المشي على المضى وإن كان راكبا ونفي احتمال أن يراد المشي ولو في بعض الطريق فالمراد المشي في جميع الطريق وذلك نظير قوله تعالى ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ﴿ ودنا من الإمام ﴾ أي قرب من الخطيب في خطبه بحيث يسمعه ﴿ واستمع ﴾ أي الخطبة ﴿ فأنصت ﴾ وأصغى لها ﴿ ولم يبلغ كان له بكل خطوة يخطوها ﴾ من محل خروجه ﴿ من بيته إلى المسجد ﴾ فلا ينقطع الثواب كما قاله بعضهم بوصولهم للمسجد بل يستمر فيه أيضا وكذا في المشي لكل صلاة قاله في التحفة ﴿ عمل سنة أجر صيامها وقيامها ﴾ أي من فعل نفسه لو فعل قال في التحفة قيل ليس في السنة في خبر صحيح أكثر من هذا الثواب فلينبه له وحله في غير نحو الصلاة بمسجد مكة لمضا عفة الصلاة الواحدة فيه إلى ما يفوق هذه المراتب لاسيما ان انضم إليها نحو جماعة وسواك وغيرهما من مكملاتها .

﴿ و ﴾ أخرج ﴿ أحمد وأبو داود عن أبي سعيد من اغتسل يوم الجمعة واستاك ومس من طيب إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد ولم يخط رقاب الناس ثم ركع ﴾ أي صلى ﴿ ما شاء الله أن يركع ثم أنصت ﴾ أي سكت ﴿ اذا خرج الإمام فلم يتكلم حتى يفرغ من صلاته كان ﴾ ما ذكر ﴿ كفارة لما بينهما وبين الجمعة التي قبلها ﴾ تابعه على ذلك وحجابه بن سلمة عن محمد بن إبراهيم نحوه ومعناه عند البخاري من حديث سلمان لا يغتسل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه أو يمس طيبا ثم

والبزار كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيم أظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل الخروج إلى الصلاة *

يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام الاغفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وعند ابن خزيمة في رواية اللبث عن ابن عجلان ما بينه وبين الجمعة التي قبلها فقله فلا يفرق أي لا يخطئ فصيح عند أبي داود من حديث ابن عمرو ثم لم يخط رقاب الناس وكذا عند الطحاوي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عيم جده .

* فوائد * الأولى قول البخاري الاغفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى يحتمل أن يكون المراد بها الماضية والمستقبلية لأنها ثابتة الآخر فتح الحاء لا بكسر هاء والمغفرة تكون للمستقبل كما تكون للماضي قال الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر لكن رواية أنس عند الخطيب إلى الجمعة الأخرى تعين المستقبل ورواية ابن خزيمة ما بينه وبين الجمعة التي قبلها تعين الماضية .

الثانية في رواية البخاري ثم يصلي ما كتب له المراد به فرض صلاة الجمعة أو المعنى ما قدر له فرضاً أو نقلاً وفي حديث أبي الدرداء ثم يركع ما قضى له وعند الطحاوي من حديث سلمان وصلى ما كتب الله له وفي حديث أبي أيوب فيركع أن بداله وفيه مشروعه النافلة قبل صلاة الجمعة .

الثالثة المراد بالمغفرة هنا مغفرة الصغائر لما في حديث ابن ماجه عن أبي هريرة ما لم يغفر الكبائر وأخرج الطحاوي من طريق إبراهيم بن علقمة عن قرش عن سلمان رفعه فساقه وفيه ما اجتنبت المقتلة وليس المراد أن تكثير الصغائر مشروط باجتناب الكبائر إذا جازت الكبائر بمجرد يكفر الصغائر كما نطق به القرآن العزيز في قوله أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه أي كل ذنب فيه وعيد شديد تكفر عنكم شيئاً تكلم أي تمنح عنكم صغائركم فإذا لم يكن له صغائر تكفر رجي له أن يكفر عنه بمقدار ذلك من الكبائر والأعطي من الثواب بمقدار ذلك .

الرابعة قد تبين بمجموع ما ذكر في الأحاديث المتقدمة أن تكفير الذنوب وغفرانها من الجمعة إلى الجمعة وإعطاء عمل سنة بتمامها مشروط بوجود جميعها وهو الاغتسال وتنظيف الرأس والياف والتغسيل والسواك ودهن الرأس لازالة الشعث ومس الطيب وليس أحسن الثياب والبكور والتبكير والمشي على الرجلين وعدم الخطى وعدم التفرقة والدنو من الإمام والانصات للإمام عند خروجه أو عند تكلمه والاستماع وعدم اللغو وعدم مس الحصى كذا أفاده الزبيدي ﴿و﴾ أخرج ﴿البزار﴾ كان رسول الله ﷺ يقيم أظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة ﴿أي﴾ اتفق أنه وقع ذلك يوم الجمعة لأنه يطلب تأخيرها إلى يوم الجمعة أو الخميس بل المدار على الحاجة إلى ذلك ولم يشع في تخصيص يوم بالنص شيء وقولهم أنه في يوم السبت أكلة الخ لأصل له ولا في كيفية شيء كما قاله ابن حجر لكن صح عندنا كما في الله أن يطلب البدء بسبابة النبي الخ ﴿قبل الخروج إلى الصلاة﴾ وقال ابن مسعود ﷺ من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله منه داء وأدخل فيه شفاء وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث عائشة من قلم أظفاره يوم الجمعة وقى من السوء إلى مثلها وقال ابن أبي شيبة في المصنف حدثنا معاذ عن المسعودي عن أبي حميد بن عبد الرحمن عن أبيه قال من قلم أظفاره يوم الجمعة تخرج الله منها الداء وأدخل فيها الشفاء .

* تنبيه * قال النووي في الروضة ويستحب التزين للجمعة بلبس أحسن الثياب وأولها البياض فإن لبس مضبوطاً فماصياً غفر له ثم نسخ كالبرد لا ماصين منسوجاتونه به انتهى بل يكره لبسه كما صرح به البندنجي وغيره قال الزبيدي وهذا يختلف باختلاف الأزمان والبلاد فلبس البياض يكون في الصيف ولبس المصبوغ يكون في الشتاء إذ لو لبس في الشتاء البياض لسارعت إليه العيون ويكون شهرة ربما يخل بمرواته فلا بد من التفصيل بالنسبة إلى هذه البلاد انتهى .

والطبراني عن أبي الدرداء إن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمامة يوم الجمعة *

ولا يلبس من الثياب ما فيه شهرة كالأحمر القاني والأصفر الفاقع فقد ورد من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوب مثله ثم تلهب فيه النار ورواه أبو داود وابن ماجه عن ابن عمر وعند ابن ماجه والضياء عن أبي ذر من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه وأخرج أحمد من حديث ابن عمر من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل بل يكره جماعة النظرا إليه لأنه بدعة محدثة بعد النبي ﷺ قاله الغزالي وقال أبو طالب في القوت ولبس السواد يوم الجمعة ليس من السنة ولا من الفضل أن تنظر إلى لابسها انتهى ثم أن ظاهر كلامهما أنه يكره مطلقا سواء فيه الخطيب والمصلون والمعروف أن هذا كان خاصة بالخطيب فهو الذي لبس السواد وأما عامة الناس فلم يقل أحد بأنه يستحب لهم ذلك وقد خالفهما أبو الحسن الماوردي وأشار إلى ما ذكرت فقال ينبغي أن يختص بالمساجد السلطانية وأن لا يجعل كل أحد شعاره هكذا نقله الجليلي في شرح التبيين وقال القمولى والظاهر أنه أراد في زعمه وهي الدولة العباسية فإنه كان شعارهم قال النروي والصحيح أنه لا يستحب السواد لأن يظن ترتب مفسدة وقال الشيخ عز الدين المواقبة على لبس السواد بدعة وإن منع أن لا يخطب إليه فليفعل كذا في التجريد للمزج لكن قد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعليه عمامة سوداء وعن عائشة رفعت كانت عمامته سوداء وأورايته سوداء تسمى العتاب ولواءه أسود وروى أبو بكر أحمد بن محمد الحلال عن سلمة بن وردانه قال رأيت على أنس عمامة سوداء قد أرخاها من خلقه وروى عن الحسن قال كانت عمامة النبي ﷺ سوداء وعن ابن لؤلؤة قال رأيت على ابن عمر عمامة سوداء وروى عبد الوهاب البغدادي عن عائشة أنها جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم بردة سوداء من صوف فذكرت سوادها وبياضه فلبسها فلما عرق وخرج رجع الصوف قد فها وكان يحب الريح الطيبة وروى أحمد عن عائشة قالت كان على رسول الله ﷺ خميصة سوداء حين استقل به وجع فهو يضعها مرة على وجهه ومرة يكشفها عنه وعن أم خالد بن شعيب بن العاص قالت أتى رسول الله ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء فقال أثنوني بأمر خالد فأتى بها فلبسها يده فقال ابلى واخلفي وجعل ينظر إلى علم الخميصة ويشير يده إلى ويقول يا أم خالد هذا سناء والسناء بلسان الحبشة الحسن وفي الشفاء ليعاض في باب معجزات رسول الله ﷺ ذكر ما اطلع عليه من الثوب أنه ﷺ أخبر بخروج ولد العباس بالرايات السود فهذا منسك الخلفاء من بني العباس في جعل السواد شعارهم ولذا قال الزبلي في شرح الكنز أنه يسن لبس السواد للخطيب وقد لبس السواد جماعة كعلي بن عيسى عثمان وكان الحسن يخطب بثياب سوداء وروى ذلك عن ابن الزبير ومعاوية وأنس وعبد الله بن جرير وعبار وابن المسيب وغيرهم والعمامة مستحبة في هذا اليوم للخطيب والمصلين قال النروي ويستحب للإمام أن يزين في حسن الهيئة ويتعم ويرتدي انتهى وتحصل السنة بكونها على الرأس أو على قلنسوة تحتملها والأفضل كبرها وينبغي ضبط طولها وعرضها بما يليق بلباسها عادة في زمانه ومكانه فإن زاد على ذلك كره.

﴿و﴾ قد وردت في فضل العمامة آثار منها ما أخرجه الطبراني عن أبي الدرداء إن الله وملائكته يصلون ﴿أي﴾ يعظمون ﴿على﴾ أصحاب العمامة ﴿أي﴾ الذين يلبسون العمامة جمع عمامة بالكسر هو ما يتعم به على الرأس من قطن أو صوف أو نحو ذلك سميت بها لكونها تعم الرأس كلها ويقال فيها أيضا العنة بالكسر ﴿يوم الجمعة﴾ ويحضرون صلاتها بها ومنها ما أخرجه الديلمي في الفردوس من حديث ابن عباس العمامة تبجان العرب فإذا وضعوا العمامة وضع الله عزهم وفي رواية له فإذا وضعت العرب عمامتها وضعت عزها في طريقه عتاب ابن حرب قال الذهبي قال الفلاس ضعيف جدا وأخرجه ابن السني أيضا وفي سنده عبد الله بن حميد وهو

والشيخان عن أبي هريرة إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المساجد ملائكة يكتبون الناس على قدر منازلهم لأول فالأول فإذا جلس الإمام طموا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر

ضعيف أيضا وأخرج أبو نعيم من حديث علي الغنائم تيجان العرب والأحباء حيطانها وجلوس المؤمن في المسجد رباطه وفيه خنظلة السدس قال الذهبي تركه القطان وضعفه النسائي وأخرج البارودي من حديث ركانة بن عبد يزيد العمامة على القلنسوة فعل ما بيننا وبين المشركين يعطى يوم القيامة بكل كورة يدورها علي رأسه نورا وركانة من مسلمة الفتح وليس له إلا هذا الحديث كما في التقريب وأخرج الطبراني في الكبير من حديث ابن عمر والبيهقي من حديث عبادة عليكم بالعمائم فإنها سيمى الملائكة وأرواحها خلف ظهوركم وأخرج الطبراني في الكبير من طريق محمد بن ضالح بن الوليد عن بلال بن بشر عن عمران بن تمام عن أبي حمزة عن ابن عباس رفعه اعتموا تزدادوا حلما وأخرج الحاكم في اللباس من طريق عبد الله بن أبي حميد عن أبي المليح عن ابن عباس وقال الحاكم صحيح ورواه الذهبي وقال عبيد الله تركه أحمد انتهى وأورد ابن الجوزي في الموضوعات وتعقبه الحافظ السيوطي في اللآلئ المصنوعة وبالجملة فالحديث ضعيف وأما كونه موضوعا فمتمنع وأخرج ابن عدى والبيهقي كلاهما من طريق اسماعيل بن عمر عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن عبيد الله بن أبي حميد عن أبي المليح عن أسامة بن عمير رفعه اعتموا تزدادوا حلما والعمائم تيجان العرب .

﴿و﴾ أخرج ﴿الشيخان﴾ البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى ﴿عن أبي هريرة﴾ ؑ إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المساجد ملائكة ﴿وهم الذين وظفهم كتابة حاضري الجمعة وما تشتمل عليه من ذكر وغيره وهو غير الحفظة﴾ يكتبون الناس على قدر منازلهم الأول فالأول ﴿قال في المصابيح نصب على الحال وجاءت معرفة وهو قليل﴾ فإذا جلس الإمام طموا ﴿أي الملائكة﴾ الصحف ﴿أي صحفهم التي كتبوا فيها درجات السابقين على من يليهم في الفضيلة فكان ابتداءه خروج الإمام وانتهاءه بجلوسه على المنبر وهو أول سماعهم للذكر وفي حديث ابن عمر عند أبي نعيم في الحلية مرفوعا إذا كان يوم الجمعة بعث الله ملائكة بصحف من نور وأقلام من نور الحديث فيه صفة الصحف بظني الصحف على صحف الفضائل المتعلقة بالمبادرة إلى الجمعة دون غيرها من سماع الخطبة وإدراك الصلاة والذكر والدعاء ونحو ذلك فإنه يكتبه الحافظان وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عند ابن خزيمة فيقول بعض الملائكة لبعض ما حبس فلانا اللهم إن كان ضالاً فاهده وإن كان فقيراً فأغنّه وإن كان مريضاً فشفاه ﴿وجاءوا﴾ أي هؤلاء الملائكة ﴿ستمعون الذكر﴾ أي الخطبة وأتى بصيغة المضارع لاستحضار ضرورة الحال اعتناء بهذه المرتبة وجملا على الاقتداء بالملائكة قال الترمذي في استماع الملائكة خض على استماعها والانصات اليها وقد ذكر كثير من المفسرين أن قوله تعالى وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ورد في الخطبة وسميت قرآنا لاشتغالها عليه والانصات السكوت والاستماع شغل السمع بالسماع فينبغي عموم وخصوص من وجه .

واختلف العلماء في هذه المسئلة فمعد الشافعية يكره الكلام حال الخطبة من ابتدائها لظواهر الآية وحديث مسلم عن أبي هريرة إذا قلت لصاحبك أنصت يوم الجمعة والإمام يخطب فقد لغوت ولا يحرم للأحاديث الدالة على ذلك كحديث أنس المروي في الصحيحين بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة قام أعربني فقال يا رسول الله ملك المال وجاع العيال فادع لنا فرفع يديه ودعا وحديث أنس أيضا المروي بسند صحيح عند البيهقي أن رجلا دخل والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة فقال متى الساعة فأومأ الناس إليه بالسكوت فلم يقبل وأعاد الكلام فقال له النبي ﷺ في الثالثة ما أعددت لها قال حب الله وحب الله وحبه رسول الله قال أنك مع من أحببت وجه الدلالة منه لم يذكر عليه الكلام ولم يبين له وجه السكوت والأمر في الآية للتدب ومعنى لغوت تركت الأدب جمعاً بين الأدلة .

ومثل المهجر كمثل الذي يهدي بذنة ثم كالذي يهدي بقرة ثم كالذي يهدي الكبش ثم كالذي يهدي الدجاجة ثم كالذي يهدي البيضة *
وأحمد والطبراني عن الأرقم أن الذي يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة يفرق بين اثنين بعد خروج الإمام كالجار قصبه أي أمعاء في النار *

وقال أبو حنيفة وخروج الإمام قاطع للصلاة والكلام وأجازه أصحابه إلى كلام الإمام له قوله عليه الصلاة والسلام إذا خرج الإمام للصلاة ولا كلام ولما قوله عليه الصلاة والسلام خروج الإمام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام وقال المالكية والحنابلة أيضا بالمنع لحديث إذا قلت لصاحبك أنصت وأجابوا عن حديث أنس السابق وما في معناه بأنه غير محل النزاع لأن محل النزاع الانصات والإمام يخطب وأما سؤال الإمام وجوابه فهو قاطع لكلامه فيخرج عن ذلك وقد بنى بعضهم القولين على الخلاف في أن الخطبتين بدل عن الركعتين وبه صرح الحنابلة وعزوه لنص إمامهم أوهي صلاة على حيالها القول عمر رضي الله عنه الجمعة ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ﷺ وقد خاب من افتري رواه الإمام أحمد وغيره وهو حديث حسن كما قاله في المجموع فعلى الأول يحرم لأعلى الثاني ومن ثم أطلق منهم إباحة الكلام ولو كان به صمم أبعد عن الإمام بحيث لا يسمع قال المالكية يحرم عليه أيضا لعموم وجوب الانصات ولما روى عن عثمان رضي الله عنه من كان قريبا استمع وأنصت ومن كان بعيدا أنصت وقال الحنفية الاحوط السكوت وأما الكلام قبل الخطبة وبعدها وفي جلوسه بينهما وللداخل في أثنائها ما لم يجلس فعند الشافعية والحنابلة وأبي يوسف يجوز من غير كراهة وقال المالكية يحرم في جلوسه بينهما قبل الشروع فيها ولو سلم داخل على مستمع الخطبة وجب الرد عليه بناء على أن الانصات سنة كما سبق وصرح في المجموع وغيره مع ذلك بكرامة السلام ونقلها عن النص وغيره لكن إذا قلنا لا يشرع السلام فكيف يجب الرد وفي المدونة لا يسلم الداخل وإن سلم فلا يرد عليه لأنه سكوت واجب فلا يقطع بسلام ولا رده كالسكوت في الصلاة وكذا قال الحنفية.

﴿ومثل المهجر﴾ بضم الميم وتشديد الجيم المكسورة أي وصفة المبكر ﴿كمثل الذي يهدي﴾ بضم أوله وكسر ثالثه أي يقرب خبر عن قوله مثل المهجر والكاف لتشبيهه بصفة أخرى ﴿بذنة﴾ من الإبل ذكر أو أنثى والتاء للوحدة وللثانيث وظاهره أن الثواب لو تجسد لكان قدر الجزور ﴿ثم﴾ الثاني ﴿كالذي يهدي بقرة﴾ ذكرا أو أنثى والتاء للوحدة ﴿ثم﴾ الثالث ﴿كالذي يهدي الكبش ثم﴾ الرابع ﴿كالذي يهدي الدجاجة﴾ بتثنية الدال والفتح وهو الفصح ﴿ثم﴾ الخامس ﴿كالذي يهدي البيضة﴾ إنما قدرنا بالثاني لأنه كما قال في المصايح لا يصح العطف على الخبر لثلاث مع خبر عن واحد وهو مستحيل وحينئذ فهو خبر مبتدأ محذوف مقدر بما مر .
﴿و﴾ أخرج ﴿أحمد والطبراني عن الأرقم أن الذي يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة ويفرق بين اثنين﴾ قال شارح البخاري التفرقة تناول أمرين أحدهما أن يزحرج رجلين عن مكانهما ويجلس بينهما والثاني التخطى واختار العزري الأول ﴿بعد خروج الإمام﴾ من مكانه يصعد المنبر للخطبة ﴿كالجار قصبه﴾ بضم القاف وسكون الصاد المهملة ﴿أي أمعاء﴾ أي مصاريمه ﴿في النار﴾ أي له في الآخرة عذاب شديد مثل عذاب من يجر أمعاء في النار بمعنى أنه يستحق ذلك قال المناوي فيحرم تخطى الرقاب والتفرق انتهى واعتمد الرمل في تخطى الرقاب أنه مكروه وافقه الخطيب الشيرازي فقال يكبره تخطى الرقاب إلا لإمام أو رجل صالح يتبرك به ولا ينادى الناس بتخطيه وألحق بعضهم بما ذكر الرجل العظيم ولو في الدنيا قال لأن الناس يتساحون بتخطيه ولا يأتون به أو واحد فرجة لا يصيبها إلا بتخطى واحد أو اثنين أو أكثر ولم يبرج سدا فلا يكبره وإن وجد غيرها لتقصير القوم باختلافها لكن يسن له أن وجد غيرها أن لا يتخطى فإن رجلا سدا كان رجلا أن يتقدم أحد إليها إذا أقيمت الصلاة كره.

والترمذي وابن ماجه من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا إلى جهنم * وأحمد وأبو داود عن سمرة أحضروا الجمعة وأذنوا من الإمام فان الرجل لا يزال يتباعد حتى يؤخر في الجنة وإن دخلها * وأحمد عن ابن عباس مثل الذي يتكلم يوم الجمعة والإمام يخطب مثل الحمار يحمل أسفار والذي يقول له أنصت لا جمعة له وأبو داود والترمذي عن معاذ بن أنس نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحبرة يوم الجمعة والإمام يخطب *

﴿و﴾ أخرج ﴿الترمذي وابن ماجه﴾ عن معاذ بن أنس ﴿من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة﴾ أي من تجاوز رقابهم بالخطو إليها ﴿اتخذ جسرا إلى جهنم﴾ سبب ذلك قال العلقمي المشهور في رواية هذا الحديث اتخذ على بناءه للمفعول ورجحه العراقي وقال هو أظهر وأوفق للرواية بمعنى انه يجعل جسرا على طريق جهنم ليوطأ ويتخطى كما تخطى رقاب الناس فان الجزء من جنس العمل ويجوز ان يكون على البناء للفاعل والمعنى انه اتخذ لنفسه جسرا يمشي عليه إلى جهنم بسبب ذلك كقوله تعالى من كذب علي معتدا فلنؤا مقعده من النار وفيه بعد واقتصر عليه التوريشي وقال الطيبي قوله إلى جهنم جسرا أي جسرا ممتدا إلى جهنم وقال الترمذي بعدما أخرجه غرب ضعيف فيه رشدين بن سعيد ضعفه انتهى وتبعه عبد الحق وأورده الديلمي في مسند الفرد وس بلفظ من تخطى رقبة أخيه المسلم جعله الله يوم القيامة جسرا على باب جهنم وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف عن القاسم بن مخيمرة قال الذي يخطى رقاب الناس يوم الجمعة والإمام يخطب كالرافع قدمه في النار وواضعها في النار وأخرج الطبراني في الكبير من حديث عثمان بن الأرقم من تخطى رقاب الناس بعد خروج الإمام أو فرق بين اثنين كان كجبار قصبه في النار ذكره الزبيدي وظاهر الحديث ان ذلك حرام وقال شيخ الاسلام زكريا في شرح البهجة واذا قلنا بالكراهة أي كراهة التخطى فكلام الشيخين يقتضي انها كراهة تنزيه وصرح به في المجموع ونقل الشيخ أبو حامد عن نص الشافعي انها كراهة تحريم واختاره في الروضة في الشهادات للأخبار الصحيحة انتهى واعتمد الزملي انها كراهة تنزيه.

﴿و﴾ أخرج ﴿أحمد وأبو داود عن سمرة﴾ بن جندب وهذا الحديث صحيح كما قاله العزيمي ﴿أحضروا الجمعة﴾ بضم الحنة والضاد المعجمة بينهما حاء مهملة ﴿وأذنوا من الإمام﴾ أي أقربوا منه في يوم الجمعة وغيره قال العلقمي في الحديث فضيلة القرب من الإمام فله بكل خطوة يخطوها للقرب منه قيام سنة وصيامها كما رواه الإمام أحمد وضابط ما يحصل به القرب انه يجلس مجلسا يتمكن فيه من الاستماع والنظر للخطيب فاذا أنصت ولم بلغ كان له كفلان من الأجر ﴿فان الرجل لا يزال يتباعد﴾ أي عن الإمام ﴿حتى يؤخر في الجنة﴾ بالضم التحتية وتشديد الحاء المعجمة المفتوحة أي يؤخر عن الدرجات العالية فيها أو يؤخر عن الدخول فيها مع السابقين ﴿وان دخلها﴾ أخرج ﴿أحمد عن ابن عباس﴾ رضي الله عنهما ﴿مثل الذي يتكلم يوم الجمعة والإمام يخطب مثل الحمار يحمل أسفار﴾ أي كبا كبارا ممن كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها الا ما يمر بجنبه وظهره من الكد والتعب ﴿والذي يقول له أنصت لا جمعة له﴾ أي كاملة مع كونها ضحيحة قال الحفني فيطلب أن يشير له بالسكوت ولا يقول له أنصت.

﴿و﴾ أخرج أحمد و﴿أبو داود والترمذي﴾ والحاكم ﴿عن معاذ بن أنس﴾ قال الترمذي حسن وقال الحاكم صحيح ﴿نهى رسول الله ﷺ عن الحبرة﴾ أي خوفا من كشف العورة أو تقص الوضوء ان لم يكن متبعا والحبرة بكسر الحاء وضمة الهمزة من الاحياء وهو أن يضم الانسان رجلين إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره وقد يكون بالدين ﴿يوم الجمعة والإمام يخطب﴾ أي انه حينئذ أشد كراهة فان أمن كشف العورة فلا كراهة في غير وقت الخطبة أما في وقتها فتكره مطلقا لانها تؤدي إلى التورم المفوت لسماع الخطبة.

وابن أبي شيبه عن كعب قال الصدقة تضاعف يوم الجمعة * وابن زنجويه عن المسيب بن رافع قال من عمل خيرا في يوم الجمعة ضعف له بعشرة أضعاف في سائر الأيام ومن عمل شرا فمثل ذلك * والبيهقي عن أبي سعيد من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له ما بينه وبين البيت العتيق * وهو عن أبي هريرة من قرأ ليلة الجمعة حم الدخان ويس أصبح مغفورا له *

﴿ وأخرج ﴾ ابن أبي شيبه عن كعب قال الصدقة تضاعف يوم الجمعة ﴿ وفي القوت وروينا عن كعب الاخبار انه قال من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع الى المسجد فركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما وخشوعهما ثم يقول اللهم اني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا اله الا هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم يسأل الله تعالى شيئا الا أعطاه وفي قول البديع الحافظ السخاوي عن أبي موسى المديني والتميزي موقوفا من غدا الى المسجد فتصدق بصدقة قلت أو كثرت فاذا صلى الجمعة قال اللهم اني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم الذي ملأت عظمته السموات والارض وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا اله الا هو الذي عنت له الوجوه وخشعت له الابصار ووجلّت القلوب من خشية أن تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم وأن تقضي حاجتي وهي كذا وكذا فانه يستجاب له إن شاء الله تعالى قال وكان يقال لا تعلموها سفهاءكم فلا يدعوا به في مآثم أو قطيعة رحم.

﴿ وأخرج ﴾ ابن زنجويه ﴿ قال المناوي واسمه حميد ﴾ عن ابن المسيب بن رافع قال من عمل خيرا في يوم الجمعة ضعف له بعشرة أضعاف في سائر الأيام ومن عمل شرا فمثل ذلك ﴿ اي تضعيفه بعشرة أضعاف.

﴿ وأخرج ﴾ البيهقي عن أبي سعيد ﴿ باسناد حسن كما في العزيزي ﴾ من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة ﴿ قال المناوي وفي رواية يوم الجمعة وجمع بأن المراد الليلة يومها واليوم بليته ﴿ أضاء له ﴾ من النور ﴿ ما بينه وبين البيت العتيق ﴾ يحتمل انه على ظاهره فيكون نور الأبعد أكثر من نور الأقرب لأن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ويحتمل أن نور الأقرب وإن كان أقل مسافة يساوي نور الأبعد أو يزيد عليه وإن كان أطول مسافة قاله ابن قاسم في حواشي التحفة ثم إن كان المراد بالبيت العتيق الكعبة فلا إشكال فيه على أن المراد بالإضاءة المغفرة وكذا إن أريد بالنور حقيقته وبالبيت العتيق ما في السماء من البيت المعمور لاستواء الناس بالنسبة إليه فان أريد به الكعبة على هذا لزم كثرة نور البعيد منه على نور القريب ولا مانع منه أو يحتمل على اختلافه بالكيفية كما في درجات الجماعة أو على مجرد الترتيب كذا قاله القليوبي وذكر العلامة الكردي في الكبرى حديثا كالصريح في قوله وكذا الى آخره وروى ابن مردويه تفسيره عن ابن عمر مرفوعا من قرأها يوم الجمعة سطع له من تحت قدمه الى عنان السماء يضيء له الى يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين.

﴿ وهو ﴾ اي وأخرج البيهقي ﴿ عن أبي هريرة ﴾ رضي الله عنه ﴿ من قرأ ليلة الجمعة حم الدخان ويس أصبح مغفورا له ﴾ وأخرج الترمذي عن أبي هريرة من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك والنسائي عن أبي هريرة من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة غفر له وابن الضريس عن الحسن مرسلا من قرأ سورة الدخان في ليلة غفر له ما تقدم من ذنبه وأبو نعيم عن ابن مسعود من قرأ يس في ليلة أصبح مغفورا له والبيهقي عن أبي هريرة من قرأ يس كل ليلة غفر له والبيهقي عن أبي سعيد من قرأ يس مرة فكأنما قرأ القرآن مرتين والبيهقي عن معقل بن يسار من قرأ يس ابتغاء وجه الله غفر له ما تقدم من ذنبه فاقرؤوها عند موتاكم والبيهقي عن أبي هريرة من قرأ يس مرة فكأنما قرأ القرآن عشر مرات قال المناوي لا يبارضه حديث أبي سعيد المذكور لاختلاف ذلك باختلاف الأشخاص والأحوال

وابن زنجويه عن وهب بن منبه قال من قرأ ليلة الجمعة سورة البقرة وآل عمران كان له نور ما بين غربنا وعجيبا العرش وعجيبا أسفل الأرضين * وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها ألا أخبركم بسورة ملأت عظمتها ما بين السماء والأرض ولكاتبها من الأجر مثل ذلك ومن قرأها يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ومن قرأ الخمس الأواخر منها عند نومه بعثه الله أي الليل شاء وهي سورة أصحاب الكهف * والدارمي عن مكحول من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة صلت عليه الملائكة إلى الليل * وهو عن كعب أقرأ سورة هود يوم الجمعة * والطبري عن أبي أمامة من قرأ حم الدخان في ليلة جمعة أو يوم جمعة بنى الله له بيتا في الجنة * وابن أبي شيبه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما من قرأ بعد الجمعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس سبع مرات حفظ ما بينه وبين الجمعة الأخرى وفي رواية ضعيفة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأعطى من الأجر بعد كل من آمن بالله واليوم الآخر *

والأزمان وكل منهما خرج جوابا لسائل اقتضى حاله ما أجيب به .

﴿و﴾ أخرج ﴿ابن زنجويه عن وهب بن منبه قال من قرأ ليلة الجمعة سورة البقرة وآل عمران كان له نور ما بين غربنا وعجيبا﴾ معنى ﴿غربنا العرش﴾ معنى ﴿عجيبا أسفل الأرضين﴾ أخرج ﴿ابن مردويه﴾ في تفسيره ﴿عن عائشة رضي الله عنها ألا أخبركم بسورة ملأت عظمتها﴾ أي عظيمة الثواب الحاصل لقارئها ﴿ما بين السماء والأرض ولكاتبها﴾ أي تيممة أو في لوح ﴿من الأجر مثل ذلك﴾ أي ثواب عظيم يملأ ما بينهما لوجسهما ﴿ومن قرأها يوم الجمعة غفر له﴾ أي زيادة على الثواب الذي يملأ ما تقدم كما قاله الحنفى ﴿ما بينه وبين الجمعة الأخرى﴾ أي الصفات الواقعة منه من يوم الجمعة إلى الجمعة التي بعدها ﴿وزيادة﴾ بالرفع عطفا على نائب الفاعل الذي هو ما أتى غفر له ذنوب ما بينه وبين الخ وغفر له ذنوب زيادة ﴿ثلاثة أيام ومن قرأ﴾ الآيات ﴿الخمس الأواخر﴾ منها أي من قوله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إلى آخرها ﴿منها عند نومه﴾ أي عند إرادته النوم ﴿بعثه الله﴾ أي أيقظه من ﴿أي الليل شاء﴾ قالوا أخبرنا قال ﴿وهي سورة أصحاب الكهف﴾ وفي رواية عقب قوله ومن قرأها كما أنزلت .

﴿و﴾ أخرج ﴿الدارمي عن مكحول من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة صلت﴾ أي استغفرت ﴿عليه الملائكة إلى الليل وهو﴾ أي وأخرج الدارمي والبيهقي ﴿عن كعب﴾ الأخبار مرسلًا قال الحافظ ابن حجر مرسل صحيح الإسناد ﴿أقرأ وسورة هود يوم الجمعة﴾ قال المناوي فإنها من أفضل سورة القرآن فليق قراءتها في أفضل أيام الأسبوع لكنه كما قاله الحنفى يقدم عليها سورة الكهف ثم الصلاة عليه ﷺ ثم سورة هود فلا يخالف ما في النسخة فقرا سورة هود مطلوب إذا ترك قرأ سورة الكهف والصلاة عليه ﷺ قال النزالي عن بعض السلف أنه بقي في سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ من تدبرها ﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني عن أبي أمامة من قرأ حم الدخان في ليلة جمعة أو يوم جمعة بنى الله له بيتا في الجنة﴾ ظاهره كما قاله العزبي أن ذلك يكرر بكرر قراءتها .

﴿و﴾ أخرج ﴿ابن أبي شيبه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما من قرأ بعد﴾ صلاة ﴿الجمعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس سبع مرات﴾ قال ابن حجر ينبغي تقيده بما بعد المأثور في الصحيح ﴿حفظ ما بينه وبين الجمعة الأخرى وفي رواية ضعيفة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر﴾ قال المناوي أي من الصفات إذا اجتنبت الكبائر ﴿وأعطى من الأجر بعد كل من آمن بالله واليوم الآخر﴾ قال الزبيدي قلت أخرجه أبو بكر بن أبي شيبه في المصنف فقال حدثنا أبو خالد الأحمر عن حجاج عن عوف عن أسماء قال من قرأ قل هو الله أحد والمعوذتين يوم الجمعة سبع مرات في مجلسه حفظ إلى مثلها هكذا نص ابن أبي شيبه

في المصنف والنسخة التي نقلت منها تاريخها احدى وأربعين ومبعمائة بخط يوسف بن عبد اللطيف بن عبد العزيز الحراني ولم يذكر فيه الفاتحة واسماء هذا هو اسماء بن الحكم الفزاري يروي عن علي وثقه العجلي .

ورأيت في الجامع الكبير للحافظ السيوطي مانصه من قواعده الجمعة بقاحة الكتاب وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس حفظ ما بينه وبين الجمعة الأخرى وعزاه لابن أبي شيبة وقال عن اسماء بنت أبي بكر قلت وهو غلط لعله من النسخ لما رأوا اسماء فظنوا انه اسماء بنت أبي بكر لانه من اسماء فزادوا فيه تلك الزيادة رفعا للايهام وفيه أيضا من قرأ بعد صلاة الجمعة قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس سبع مرات أعاده الله عز وجل بها من السوء الى الجمعة الأخرى وعزاه لابن السنن وابن شهبين عن عائشة وليس فيه ذكر الفاتحة قال الحافظ وسنده ضعيف قال وله شاهد من مرسل مكحول أخرجه سعيد بن منصور في سننه عن فرج بن فضالة وزاد في أوله فاتحة الكتاب وقال في آخره كبر الله عنه ما بين الجمعتين وفرج ضعيف انتهى وقد ذكر ابن منصرف في منظومه له كما أورده المصنف وقال ان المواظب عليه يرزقه الله القبول والهيبة في قلوب الرجال والنساء وقد أشار الى ذلك غير واحد عن المصنفين في أسرار الأذكار والدعوات .

وقد جاء ذكر الفاتحة أيضا في كتاب الأربعين لأبي الأسعد القشيري عن أبي عبد الرحمن السلمي عن محمد بن أحمد الرازي عن الحسين بن داود البلخي عن يزيد بن هارون عن حميد عن أنس رفعه من قرأ إذا سلم الإمام يوم الجمعة قبل أن يثنى رجلاه فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوذتين سبعين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأعطى من الأجر بعد ذلك من آمن بالله واليوم الآخر ويستحب أن يقول بعد صلاة الجمعة والأولى أن يكون بعد قراءة السور المذكورة وهو رافع يديه اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا وادود أغني بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عن سواك يقال من داوم على هذا الدعاء في ذلك الوقت أغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب فيفتح عليه أبوابا من أنواع الرزق الظاهري والمعنوي هكذا أورده هذا الدعاء صاحب القوت وأبو حامد الغزالي ولم يذكر له عدد انحصارها والظاهر انه موكول بهمة الطالب ونشاطه فالأقل ثلاثة والأوسط خمسة وسبعة وتسعة واحدى عشرة وان وجد له حلاوة مناجاة فلا يضربان زاد وأورده أبو العباس الشرجي في فوائده بمثل هذا السياق الا انه قال واكفني بفضلك وقال قضى دينه واغناه عن خلقك وذكر أيضا عن بعض الشيوخ انه جاء في رواية من قال بعد صلاة الجمعة سبعين مرة اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغني بفضلك عن سواك قضى الله دينه واغناه عن خلقه قال وذكر بعض العلماء ان من واظب على ذلك بعد كل فريضة الى الجمعة فماتت الجمعة الأخرى الا وقد أغناه الله تعالى وكل ذلك منوط بالتصديق وصالح النية وقد روى ذلك الترمذي عن علي رضي الله عنه ان مكاتبا جاء فقال عجزت عن مكاتبتى فقال ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ لو كان عليك مثل أحد أداء الله عنك قال بلى قال قل اللهم اكفني فساقت الدعاء المذكور .

* تنبيه * إشارة هذه الأسماء في السياق ستة فالمعنى هو الذي لا تعلق له بغيره لا في ذاته ولا في صفاته بل يكون منزها عن العلاقة مع الأغيار فمن تعلق ذاته أو صفاته بأمير خارج من ذاته توقف عليه وجوده وكماله فهو محتاج فقير الى الكسب ولا يتصور أن يكون غنيا مطلقا الا الله تعالى هو المعنى وهو المعنى أيضا ولكن الذي أغناه لا يتصور أن يكون باغناؤه مطلقا فان أقل أموره انه يحتاج الى المعنى فلا يكون غنيا بل يستغنى عن غير الله تعالى بأن يمد الله تعالى بما يحتاج اليه لا بأن يقطع عنه أصل الحاجة والمعنى الحقيقي هو الذي لا حاجة له الى أحد أصلا والذي يحتاج ومعه ما يحتاج اليه فهو غنى بالجواز وهو غاية ما يدخل في الامكان في حق غير الله تعالى ،

وابن السني عن أنس من قال صبيحة يوم الجمعة قبل صلاة الغداة

فأما فقد الحاجة فلا ولكن إذا لم يبق حاجة إلا الله تعالى سمي غنيا ولم يبق له أصل الحاجة لما صح قوله والله الغني وأتم الفقراء ولولائه يتصور أنه يستغنى عن كل شيء سوى الله تعالى لما صح لله تعالى وصف الغني فالعارف المستغنى بالحق أغنى الأغنياء وإن كان يحزن مؤنة من كلف به فإن ذلك من آداب الكمل لقوة معرفتهم بحدود الله والكامل من لا يطفى نور معرفته نور ورعه .

وأما الحميد فهو الذي يحمد على سبيل الطاعة ويجازي بكثير الثواب هو الحميد بما هو حامد نفسه بنفسه إجمالا ولسان كل جامد تفصيلا وبما هو محمود بكل ما هو مشئى عليه فإن عوقب الثناء تعود إليه وكل اسم فاعل من أسماء الحق يعم اسم الفاعل والمفعول بالدلالات الوصفية فهو الحامد والمحمود وأعلم أنه ما في لفظ الأوفيه ثناء جميل في صور الكشف يشهد أهله ومرجع ذلك الثناء إليه تعالى وإن كان له وجه إلى مذموم فلا بد أن يكون له وجه محمود عند أهل الحمد لله ثم الحامد في حال الحمد أما أن يقصد الحق أو غير الحق فإن حمد الله فقد حمد من هو أهله وإن حمد غير الحق فما يحمده إلا بما يشاهد فيه من الصفات الكمالية ونعوت الحاسن وتلك الصفات عطاء أو منحه له من حضرة الربوبية أما ركوزة في جبلته وأما مكتسبة في تخلقه وتخليقه وهي مردودة إلى الحق فرجوع عاقبة الثناء إلى الله تعالى .

وأما المبدئ المعيد فمعناه الموجد لكن الإيجاد إذا لم يكن مسبوقا بمثله سمي ابتداء وإن كان مسبوقا بمثله سمي إعادة والله تعالى بدأ خلق الناس ثم هو الذي يعيدهم والأشياء كلها منه بدت وإليه تعود وبه بدت وبه تعود .

وأما الرحيم فمن الرحمة وهي تامة وعامة فالأمانة إضافة الخير على المحتاجين فارادته لهم عناية بهم والعامة هي التي تناول المستحق وغير المستحق فتعامها من حيث أراد قضاء حاجات المحتاجين قضاها وعمومها من حيث شمل المستحق وغير المستحق وعمم الدنيا والآخرة وتناول الضرورات والحاجات والمزايا الخارجية عنها فهو الرحيم المطلق حقا .

وأما الودود فهو الذي يحب الخير لجميع الخلق فيحسن إليهم ويشئ عليهم وهو قريب من معنى الرحيم لكن الرحمة إضافة الرحيم إلى مرحوم والمرحوم هو المحتاج والمضطر وأفعال الرحيم تستدعي مرحوما ضعيفا وأفعال الودود لا تستدعي ذلك بل الأنعام على سبيل الابتداء من نتائج الود وكذا أن معنى رحمته تعالى إرادته الخير للمرحوم وكفايته له وهو منزّه عن رقة الرحمة فكذلك وده إرادته الكرامة والتنمية للبرود وإحسانه وإنعامه وهو منزّه عن ميل المودة والرحمة لا تردان في حق المرحوم والمودود إلا في ثمرتهما وفائدتهما لا للقرقة والميل والفائدة هي لباب الرحمة والمودة روحها وذلك هو المقصود في حق الله تعالى دون ما هو مقارب لها وغير مشروط في الاستفادة وهذا هو السر في ذكر الودود بعد الرحيم ولما كان اسمه الغنى متضمنا لاسمه الكافي وهو قاطب هذه الأسماء الخمسة بنى منه دون غيره فعل الطلب فقال أغنى ولذا كانت ثمرة اجابته الغنى عن الخلق أي عن سواء بأن لا تبقى له حاجة إلا الله تعالى وهو مقام شريف وفي قوله ورزقه من حيث لا يحتسب إشارة إلى أن ذلك الغنى الذي يحصل له بلا وسائط ولا رؤية أسباب إذ في كل منهما نقص في مقام العارف وهو أعم من رزق الإبدان ورزق الأرواح فرزق الأبدان الأقوات والأطعمة وذلك للظواهر ورزق الأرواح المعارف والمكاشفات وذلك للبواطن وهذا أشرف الأرزاق وكل طالب من الله ينطلي له على قدر همته في الطلب واستعداده وقابليته قاله المرتضى الحسين الزبيدي .

﴿و﴾ أخرج ﴿ابن السني﴾ والطبراني في الأوسط وابن عساكر وابن النجار ﴿عن أنس من قال صبيحة يوم الجمعة قبل صلاة

الغداة﴾ الصبح

أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله تعالى له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر * وهو عن ابن عباس من قال بعد ما يقضي الجمعة سبحان العظيم وبحمده مائة مرة غفر الله تعالى له مائة ألف ذنب ولوالديه أربعة وعشرين ألف ذنب * والخطيب عن جابر لودعى بهذا الدعاء على شيء بين المشرق والمغرب في ساعة من يوم الجمعة يعني ساعة الإجابة إلا استجيب لصاحبه

﴿أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله تعالى له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر﴾ كناية عن المبالغة في الكثرة والمراد الصغائر كما قاله العزيزي وفي الاسناد خفيف بن عبد الرحمن الجزري ضعيف لكن وثقه ابن معين قاله الزبيدي ﴿وهو﴾ أي وأخرج ابن السنن ﴿عن ابن عباس﴾ رضي الله عنهما ﴿من قال بعد ما يقضي الجمعة سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة غفر الله تعالى له مائة ألف ذنب و﴾ غفر ﴿لوالديه أربعة وعشرين ألف ذنب﴾.

وأخرج هو أيضا والديلمي من حديث ابن عباس رفعه من قال بعد صلاة الجمعة وهو قاعد قبل أن يقوم من مجلسه سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وأستغفر الله مائة مرة غفر الله له مائة ألف ذنب ولوالديه أربعة وعشرين ألف ذنب وفي طبقات الحنفية للمجد الشيرازي صاحب القاموس مانعه روى صاحب الهداية عن محمد بن أحمد بن عبد الله الخطيب حديثا بسنده من قال بعد أن يصلي الجمعة سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة غفر الله له مائة ألف ذنب ولوالديه أربعة وعشرين ألف ذنب في كتاب الضعفاء لابن حبان من قال بعد أن يصلي الجمعة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده أستغفر الله مائة مرة أغناه الله تعالى وقدر روى الطبراني والبيهقي من حديث أبي أمامة من قال سبحان الله وبحمده كان مثل مائة رقبة يعني إذا قالها مائة مرة وروى الطبراني وابن عساکر من حديث ابن عمر من قال سبحان الله وبحمده كتب له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة وروى الديلمي من حديث أبي هريرة من قال سبحان الله وبحمده من غير عجب ولا فزع كتب الله عز وجل له ألف حسنة وروى الطبراني من حديث ابن عباس من قال سبحان الله وبحمده وأستغفر الله وأتوب إليه كتب كما قالها ثم علقت بالعرش لا يمحوها ذنب عمله حتى يلقى الله وهي مختومة كما قالها وروى الحاكم في التاريخ والديلمي من حديث أنس من قال سبحان الله وبحمده غرس الله له بها ألف شجرة في الجنة أصلها من ذهب وفرعها دروطلتها كئدي الأنكار أين من الزبد وأحلى من الشهد كلما أخذ منه شيء عاد كما كان وروى أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف والترمذي وحسنه وابن منيع وأبو يعلى وابن حبان والطبراني والحاكم وأبو نعيم والضياء عن حديث جابر من قال سبحان الله العظيم غرس له نخلة في الجنة ففي هذه الأخبار وإن لم تنقيد بالجمعة تأيد بفضل التسبيح .

* تنبيه * روى عن الإمام ابن عبد الله القرشي قال دخلت على الشيخ أبي عبد الله المتأواري فقال إذا احتجت إلى شيء قل يا الله يا واحد يا جواد انقضى منك بنفحة خيرتك على كل شيء قدير فانا أنق منكم ما نذ سمعتموها وقد تلقينا عن شيخنا العارف بالله تعالى أبي الحسن على ابن حجازي بن محمد الأحمد رحمه الله تعالى مقيدة بعد صلاة الجمعة اثني عشرة مرة ورأيت في رحلة الإمام أبي سالم العياشي من فوائد بعض شيوخه مقيدة بعد صلاة مكتوبة إحدى عشرة مرة ولكل وجهة والدعاء شريف والمريد بخير والله أعلم .

﴿و﴾ أخرج ﴿الخطيب عن جابر﴾ بن عبد الله وهذا حديث حسن كما في العزيزي ﴿لودعى﴾ بالبناء للمفعول ﴿بهذا﴾ الدعاء على شيء بين المشرق والمغرب ﴿أي على حصوله من مسافة بعيدة﴾ في ساعة من يوم الجمعة ﴿قال المصنف﴾ يعني ساعة الإجابة ﴿وقال العلامة الحنفى﴾ أي ساعة كانت لا خصوص ساعة الإجابة والأفلا خصوصية لهذا الدعاء ﴿الاستجيب لصاحبه﴾

لا إله إلا أنت يا حنان يا منان يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام * والبيهقي عن أبي هريرة أكثروا من الصلاة علي في كل يوم جمعة فإن صلاة أنبي تعرض على في كل يوم جمعة فمن كان أكثرهم علي صلاة كان أقربهم إلى منزلة * والدارقطني وحسنه العراقي من صلى علي يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلاة عليك قال تقول اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وتعد واحدة * وأبو نعيم من صلى علي يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة ومعه نور لو قسم ذلك النور بين الخلق كلهم لوسعهم * والبيهقي أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كتبت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة

والدعاء ﴿ لا إله إلا أنت يا حنان ﴾ أي كثير التحسين على عباده ﴿ يا منان ﴾ أي كثير الانعام عليهم ﴿ يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام ﴾ بقوله ويذكر حاجته .

﴿ و ﴾ أخرج ﴿ البيهقي عن أبي هريرة ﴾ رضى الله عنه ﴿ أكثروا من الصلاة علي في كل يوم الجمعة فإن صلاة أنبي ﴾ أي أمة الاجابة ﴿ تعرض علي في كل يوم جمعة ﴾ أي عرضا خاصا مقتضيا لمزيد الفضل والافقد تعرض عليه مطلقا من غير تنقيد بيوم الجمعة كما أخرجه النسائي عن أبي الدرداء أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهد الملائكة وإن أحدا لن يصلي الا عرضت علي صلته حين يفرغ منها قال أبو الدرداء قالت وبعد الموت يا رسول الله قال وبعد الموت إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء والورد في الصلاة عليه ألفاظ كثيرة واشهرها اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم قال أبو طالب المكى وأقل ذلك أي الأكار ثلثانة مرة ﴿ فمن كان أكثرهم علي صلاة كان أقربهم إلى منزلة ﴾

﴿ و ﴾ أخرج ﴿ الدارقطني وحسنه العراقي من صلى علي يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلاة عليك قال ﴾ ﴿ تقول اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي ﴾ نسبة إلى الأم لأنه باق على حاله التي ولد عليها والمراد به الذي لا يقرأ الخط ولا يكتب وهذا الوصف من خصوصياته ﷺ اذ كثير من الأنبياء كان يكتب ويقرأ أو العامة على ضم الهجزة أما نسبة إلى الأمة وهي أمة العرب وذلك لأن العرب لا تحسب ولا تكتب ومنه الحديث أنا أمة أمية لانكتب ولا نحسب وأما نسبة إلى الأم وهو مصدر أم يوم أي قصد يقصد والمعنى على هذا أن هذا النبي الكريم مقصود لكل أحد وفيه نظر لأنه كان ينبغي أن يقال الامي بفتح الهجزة وخرجها بعضهم على أنه من تغيير النسب وأما نسبة إلى أم القري وهي مكة وأما نسبة إلى الأم كان الذي لا يقرأ ولا يكتب على حالة ولادته من أمه أفاده المغيرين ﴿ وتعد واحدة ﴾ قال العلامة الزبيدي وأخرجه الأزدي في الضعفاء والدارقطني أيضا في الأفراد من حديث أبي هريرة بلفظ الصلاة على نور في الصراط فمن صلى علي يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين عاما وهذه الصيغة أوردتها القطب الجزولي في دلائله في أول الحرب الرابع بلفظ عبدك ورسولك النبي الأمي وفي آخرها زيادة وعلى آله وقد ورد مغفرة الذنوب والشفاعة والتبوير وقضاء الحوائج لمن يصلي عليه ﷺ فروى الديلمي من حديث أبي دار رفعه من صلى علي يوم الجمعة مائتي صلاة غفر له ذنب مائتي عام ومن حديث عائشة من صلى علي يوم الجمعة كانت شفاعته له عندي يوم القيامة ﴿ و ﴾ أخرج ﴿ أبو نعيم ﴾ في الحلية عن علي بن الحسين بن علي عن أبيه عن جده ﴿ من صلى علي يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة ومعه نور لو قسم ذلك النور بين الخلق كلهم لوسعهم ﴾ .

﴿ و ﴾ أخرج ﴿ البيهقي ﴾ عن أنس ﴿ أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كتبت له شهيدا أو شفيعا ﴾ أي شفاعته مخصوصة والاف هو شفيع في كل المؤمنين ﴿ يوم القيامة ﴾ قال المناوي إنما خص يوم الجمعة وليلتها لأن يوم الجمعة سيد الأيام .

وفي رواية من صلى صلاة العصر من يوم الجمعة فقال قبل أن يقوم من مكانه اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم تسليما ثمانين مرة غفرت له ذنوبه ثمانين عاما وكتبت له عبادة ثمانين سنة * والبيهقي أكثروا من الصلاة على ليلة الجمعة ويوم الجمعة فمن صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا * وأبو داود والنسائي إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا على من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة على ﴿وحكى﴾ أن خلاد بن كثير كان في النزع فوجد تحت رأسه رقعة مكتوب فيها هذه براءة من النار لخلاد بن كثير فسألوا أهله ما كان عمله فقال أهله كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم كل يوم جمعة ألف مرة اللهم صل على محمد النبي الأمي نسأل الله القدير بجاء النبي البشير أن يكتب لنا البراءة من النار والخلود في دار القرار

والمصطفى سيد الأنام فللصلاة عليه فيه مزية ﴿وفي رواية من صلى صلاة العصر من يوم الجمعة فقال قبل أن يقوم من مكانه اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم تسليما ثمانين مرة غفرت له ذنوبه ثمانين عاما وكتبت له عبادة ثمانين سنة﴾

﴿وأخرج﴾ البيهقي أكثروا من الصلاة على ليلة الجمعة ﴿وقدم الليلة لسبقها في الوجود﴾ ويوم الجمعة فمن صلى ﴿أي طلب ودعالي بزيادة القرب منه تعالى﴾ على صلاة واحدة ﴿صلى الله عليه بها عشرا﴾ أي تجلى عليه فرحه عشر رحمت وكلما زاده زاده بتلك النسبة ﴿وأخرج﴾ أبو داود والنسائي إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ﴿أي أتى بمن لأن يوم عرفة أفضل الأيام السنة ويليها في الفضيلة يوم النحر في يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع﴾ فأكثروا على الصلاة فيه ﴿أي في يوم الجمعة وكذا أيتها﴾ فإن صلاتكم معروضة على ﴿وكفى بالعبد شرفا وفخرا أن يذكر اسمه بين يديه صلى الله عليه وسلم قاله العزيزي وأخرج أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن أوس بن أوس أن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا على من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي قالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت قال أن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء أي لانهم أحياء في قبورهم .

﴿وحكى﴾ أن خلاد بن كثير كان في النزع ﴿أي قلع الروح عن الجسد﴾ فوجد تحت رأسه رقعة مكتوب فيها هذه براءة من النار لخلاد بن كثير فسألوا ﴿أي الحاضرون جنازته﴾ أهله ما كان عمله فقال أهله كان ﴿ابن كثير﴾ يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم كل جمعة ألف مرة ﴿بقوله﴾ اللهم صل على محمد النبي الأمي ﴿قال المصنف رحمه الله﴾ نسأل الله القدير بجاء النبي البشير أن يكتب لنا البراءة من النار ﴿أن يكتب لنا﴾ الخلود في دار القرار ﴿وهي الجنة﴾ .

* تمة * اذكر فيها بعض ماورد في فضل الصلاة على النبي ﷺ أخرج أحمد والبخاري في الأدب المفرد والنسائي وأبو يعلى وابن حبان والحاكم والبيهقي والضياء من حديث أنس من صلى على واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحظ عنه عشر خطيئات ورفعه له عشر درجات وأخرج أحمد وابن حبان من حديث أبي هريرة من صلى على مرة واحدة كتب الله له عشر حسنات وأخرج أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان في حديثه من صلى على واحدة صلى الله عليه بها عشرا وأخرج الطبراني في الكبير عن أنس عن أبي طلحة وأخبره أيضا عن ابن عمرو عن أبي موسى وعن أبي أمامة ولكن لفظ من صلى على واحدة صلى الله عليه بها عشرا بها ملك موكل حتى يبلغن بها وأخرج الحاكم في الكافي والطبراني في الكبير من حديث عامر بن ربيعة من صلى على صلاة صلى الله عليه فأكثروا أو أقلوا وأخرج الطبراني في الكبير من حديث أبي الدرداء من صلى على حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركه شفاعتي يوم القيامة وأخرج أحمد عن عبد الله بن عمرو من صلى على صلاة صلى الله عليه وملاكه بها سبعين صلاة فليقل عبده من

ذلك أو ليكثر وأخرج البيهقي عن عامر بن ربيعة من صلى على صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى على فليقلل عبد من ذلك أو ليكثر وأخرج ابن النجار عن جابر من صلى على في يوم مائة مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين لآخرته وثلاثين منها لدنياء وأخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة من صلى على في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمي في ذلك الكتاب وأخرج البيهقي عن أبي هريرة من صلى عند قبري سمعته ومن صلى على نائيا بلغه وأخرج البيهقي والخطيب من حديثه نحوه بلفظ وكل بها ملك يبلغني وكفى بها أمر دنياء وآخرته وكنت له شهيدا أو شفيعا وأخرج أبو الشيخ عن أنس من صلى على في كل يوم الف مرة لم يمت حتى يشر بالجنة وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاءني جبريل عليه السلام وقال لي رسول لا يصلي عليك أحدا ولا يصلي عليه سبعون الف من الملائكة وروى أنه ﷺ قال من صلى علي صلت عليه الملائكة ومن صلت عليه الملائكة صلى الله عليه ومن صلى الله عليه لم يبق شيء في السموات ولا في الأرض الا صلى عليه قال بعض الصوفية كان لي جار سرف على نفسه لا يعرف يومه من أمسه من تعمقه في السكر وكنت أعظه فلم يقبل وأمرته بالتوبة فلم يفعل فلما مات رأيته في المنام وهو في أرفع مقام وعليه حلة خضراء من خلل الجنة لباس الاعزاز والاکرام فقلت له بم نلت هذه المرتبة العظيمة قال حضرت يوما مجلس الذكر فسمعت العالم يقول من صلى على النبي ﷺ ورفع صوته وجبت له الجنة ثم رفع صوته بالصلاة على النبي ﷺ ورفعت صوتي ورفع القوم أصواتهم فغفر لنا جميعا في ذلك اليوم فكان نصيب من المغفرة والرحمة أن جاء علي بهذه النعمة.

* تنبيه * في القول البديع للحافظ أبي الخير محمد بن عبد الرحمن البخاوي رحمه الله تعالى وهو أحسن كتاب صنف في الصلاة عليه ﷺ مانصه وأما الصلاة عليه عند ذكره ففيه أحاديث تقدم ذكرها وقد نقل القاضي عياض عن إبراهيم النجيبى أنه قال واجب على كل مؤمن ذكره ﷺ أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته يأخذ من هيئته ﷺ واجلاله بما كان يأخذه نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا الله به قال وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وأئمتنا الماضين وكان مالك ﷺ إذا ذكر النبي ﷺ يتغير لونه وينحنى حتى يصبغ ذلك على جلسائه فقليل له يوما في ذلك يقال لو رأيتم ما رأيتم لما أنكرتم على ما ترون لقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لانكاد نسأله عن حديث أبا الإيبي حتى نرجعه ولقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثيرا الدعاية والتبسم فإذا ذكر عنده النبي ﷺ أصفر وما رأيته يحدث عن رسول الله ﷺ الا على طهارة ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي ﷺ فننظر الى لونه كأنه نرف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيئة لرسول الله ﷺ ولقد كنت أتى عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذكر عنده رسول الله ﷺ يبكي حتى لا يبقى في عينيه دموع ولقد رأيت الزهري وكان من ابناء الناس وأقربهم فإذا ذكر عنده النبي ﷺ فكانه ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت أتى صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فإذا ذكر النبي ﷺ يبكي فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وكأنه دخل على أيوب السخيانى فإذا ذكر له حديث رسول الله ﷺ يبكي حتى نرحمه انتهى وإذا تأملت هذا عرفت ما يجب عليك من الخشوع والوقار والتأدب والمواظبة على الصلاة والتسليم عليه عند ذكره أو سماع اسمه الكريم ﷺ تسليما كثيرا كثيرا آمين.

﴿فصل﴾ شروط صحة الجمعة ستة وقوعها جماعة بنية إمامة واقتداء بأربعين مكلفا ذكرنا حرا متوطنا

﴿* فصل *﴾ في شروط صحة الجمعة

اعلم ان الجمعة تشارك سائر صلوات الخمس في الأركان والشروط وتتميز عنها باشتراط أمور زائدة منها ما هي لصحتها ومنها ما هي بوجوبها ومنها ما هي آداب تشريع فيها فما اختصت عنها لصحتها أشار إليه المصنف بقوله .

﴿شروط صحة الجمعة﴾ اى انعقادها ﴿ستة﴾ أحدها ﴿وقوعها جماعة﴾ لأنها لم تقع في عصر النبي ﷺ والخلفاء الراشدين الا كذلك ﴿بنية إمامة﴾ اى جماعة مصحوبة بنية الامام لان نية الامامة في الجمعة واجبة على الامام لتحصل له الجماعة فان لم ينوها بطلت جمعة وكذا تبطل جمعة المأمومين خلفه ان لم يكن زائدا على الأربعين لعدم تمام العدد ببطلان صلاته فان كان زائدا على الأربعين لم تبطل جمعته كما لو بان أنه لم يتو أصلا وانه حدث ﴿و﴾ نية ﴿اقتداء﴾ من المأمومين مقتربة بالتحريم فلا تصح الجمعة بالعدد فرادى اذ لم ينقل فعلها كذلك والجماعة شرط في ركعة الاولى فقط بخلاف العدد فانه شرط في جميعها فلو صلى الامام ركعة بأربعين ثم أحدث قائم كل منهم لنفسه أجزأتهم الجمعة نعم يشترط بقاء العدد الى سلام الجميع حتى لو أحدث واحد من الأربعين قبل سلامه ولو بعد سلام من عداه منهم بطلت جمعة الكل والمسبوق اذا أدرك الركعة الثانية مع الامام في الجمعة كان مدركا للجمعة واذا سلم الامام أتى بنائية وان لم يدرك ركوع الامام في الركعة الثانية لم يدرك الجمعة ومضى في اقتدائه بالامام ونوى الظهر لأنها الحاصلة واذا سلم الامام يقوم ويتماظهر او الأصح ينوي الجمعة موافقة للامام فلو صلى مع الإمام ركعة ثم قام فصلى اخرى وعلم في التشهد أنه ترك سجدة من إحدى الركعتين نظر ان علمها من الثانية فهو مدرك للجمعة فيسجد سجدة ويعد التشهد ويسجد للسجود ويسلم وان علمها من الاولى او شك لم يكن مدركا للجمعة وجعلت له ركعة من الظهر ولو أدركه في الثانية وشك هل سجد معه سجدة او سجدة اوسجدتين فان لم يسلم الامام بعد سجدة اخرى كان مدركا للجمعة وان سلم الامام لم يدرك الجمعة فيسجد ويسم الظهر كذا في الاتحاف للزبيدي .

﴿و﴾ ثانيها وقوعها ﴿بأربعين﴾ منهم الامام لما روى البيهقي عن ابن مسعود أنه ﷺ جمع بالمدينة وكانوا أربعين رجلا قال في المجموع قال أصحابنا وجه الدلالة ان الأمة اجتمعوا على اشتراط العدد والاصل الظهر فلا تجب الجمعة الا بعد ثبت فيه توقيف وقد ثبت جوازها بأربعين وثبت صلواتها كما رأيت مني أصلى ولم تثبت صلاته لها بأقل من ذلك فلا يجوز بأقل منه ولا بأربعين وفيهم من قصر في العلم لارتباط صحة صلاة بعضهم ببعض فصار كإقتداء القارئ بالأمى كما نقله الأذرع عن فتاوى البغوي ونقل صاحب التلخيص قولاً عن القديم انها تنعقد بثلاثة امام ومأمومين ولم يشبه عامة الأصحاب قاله النووي وكونها تنعقد بأربعين هو المشهور عن أحمد من روايته وغنه تنعقد بخمسين وقال مالك تنعقد بكل عدد تقربى به قرية في العادة ويمكهم الإقامة فيكون بينهم البيع والشراء من غير حصر الا انه منع ذلك في الثلاثة والأربعة وشبههم وعند الحنفية شرط لأدائها وهم ثلاثة رجال سوى الامام وهو قول أبي حنيفة ومحمد وبالإمام عند أبي يوسف لأن الاثنين مع الامام جمع ولهما ان الجماعة شرط على حدة والامام شرط آخر فيعتبر جمع سوى الامام ويشترط في كل واحد من الأربعين أن يكون مسلما ﴿مكلفا﴾ اى بالنا عاقلا ﴿ذكرنا حرا﴾ لأن اضدادهم لا تجب عليهم لتنصهم بخلاف المريض فانها انما تجب عليه رقباه لا لنفسه ﴿متوطنا﴾ بمحلها لا بطن منه شئ ولا صيفا لا لحاجة كجارية وزيارة فلا تنعقد بالكفار ولا بالنساء والخنثى وغير المكلفين ومن فيهم رقب لتنصهم ولا بنير المتوطنين كمن أقام على عزم عوده الى وطنه بعد مدة ولو طويلة كالمثقفه والتجار لعدم التوطن ولا بالمتوطنين خارج محل الجمعة وان سمعوا النداء لعدم الإقامة بمحلها .

وهل يشترط تقدم احرام من تتعد بهم الجمعة لتصح لغيرهم لأنه تبع اولاً اشترط بغوى ذلك ونقله في الكفاية عن القاضي والراجح صحة تقدم احرامهم كما اقتضاه كلام الأصحاب ورجحه جماعة من المتأخرين كالبلقينى والزر كشى بل صوبه وأفتى به بعضهم قال البلقينى ولعل ما قاله القاضي ومن تبعه من عدم الصحة مبنى على الوجه الذي قال انه القياس وهو انه لا تصح الجمعة خلف الصبح أو العبد أو المسافر اذا تم العدد بغيره والأصح الصحة فان قيل تقدم احرام الامام ضرورى فيفتقر فيه ما لا يفتقر في غيره أجيب بانه لا ضرورة الى امامته فيها وللمشقة على من لا تتعده به في تكليفه معرفة تقدم احرام اربعين من أهل الكمال على احرامه وان حضر الأربعين ثم انقضوا كلهم أو بعضهم حتى نقص العدد بأن بقى دون اربعين فاما ينفضون قبل الخطبة أو بعدها او في الصلاة فان انقضوا قبل افتتاح الخطبة لم يستدوها حتى يجتمع أربعون وان كان في اثناهما فلا خلاف ان الركن الماتى به في غيبتهم غير محسوب أما اذا حرم بالعدد المعبر ثم حضر اربعون آخرون واحرموا ثم انقض الأولون فلا يضر بل يتم الجمعة سواء كان اللاحقون سمعوا الخطبة ام لا واما اذا لم يحرم الأولون وانقضوا فلا تستمر الجمعة الا اذا كان اللاحقون سمعوا الخطبة.

أما اذا انقضوا فنقص العدد في باقى الصلاة فيه خمسة اقوال منصوبة ومخرجة أظهرها لم تصح الجمعة بل لا بد منهم من الاول الى الآخر فعلى هذا لو أحرم الامام وتباطأ المتقدمون ثم أحرموا فان تأخر تحرهم عن ركوعه فلا جمعة وان لم يتأخروا عن ركوعه فقال فقال تصح الجمعة وقال الشيخ ابو محمد يشترط ان لا يطول الفصل بين احرامه واجرامهم وقال امام الحرمين الشرط ان يتمكنوا من اتمام الفاعلة فاذا حصل ذلك لم يضر الفصل وهذا هو الأصح عند الغزالي والقول الثاني ان بقى اثنان مع الامام أتم الجمعة والابطلت والثالث ان بقى معه واحد لم تبطل وهذه الثلاثة منصوبة الاولان في الجديد والثالث قديم ويشترط في الواحد والاثنين كونهما بصفة الكمال وقال صاحب القرب في اشراط الكمال احتمال لانا كفيئنا باسم الجماعة وقال النووي هذا الاحتمال حكاه صاحب الحاوى وجهاً محققاً لأصحابنا حتى لو بقى صيانتان أو صبي كفى والصحيح اشراط الكمال قال في النهاية احتمال صاحب القرب غير معتد به والرابع لا تبطل وان بقى وحده والخامس ان كان الانقضاء في الركعة الاولى بطلت الجمعة وان كان بعد ما لم تبطل ويتم الامام الجمعة وحده وكذا من معه ان بقى مئة احد.

* تنبيه * لو كان في قرية أربعون أخرس فهل تتعد جمعهم قال ابن القطان يحتمل وجهين انتهى والوجه كما قاله الخطيب الجزم بعدم الانعقاد لأنه لا بد من الخطبة.

﴿و﴾ ثالثها وقوعها ﴿بأبينة﴾ ولو من خشب أو قصب أو طين لأن الجمعة لم تقم في عصر النبي ﷺ والخلفاء الراشدين الا في مواضع الإقامة بخلاف الصخرات وان كان بها خيام ولوانهذمت الأبينة وأقام أهلها على العمارة لزمهم الجمعة فيها لأنها وطنهم وسواء كانوا في مظل أم لا.

* تنبيه * قضية التمييز بالأبينة أنه لا تصح اقامتها ببناء واحد متسع استوطنه جماعة تتعد بهم الجمعة. وليس مراداً كما قاله الشبرايملى ففي التحفة والتمييز بالبناء والجمع للغالب اذ نحو الفيران والسراد يبنى نحو الجبل كذلك والبناء الواحد كان كما هو ظاهر وفي النهاية التمييز بها للجنس فيشمل الواحد اذا ذكر فيه معتبر وفي الاياعاب والحقوا بالأبينة في ذلك الاسراب جمع سرب بفتح اوليه بيت في الأرض والفيران والكهوف فيلزم أهلها الجمعة بشروطها وان خلت عن البناء ﴿بجمعة﴾ فان تفرقت لم تجب الجمعة وان تقاربت

وروق الصلاة كلها في وقت ظهر وعدم تعدد إلا لعسر اجتماع

وجبت والمعتد في ضابط الاجتماع والافتراق العرف خلافا لجمع فقالوا أحد القرب أن يكون بين منزل ومنزل دون ثلاثمائة ذراع فقد قال في الإيعاب الوجه أن يقام ما هنا بما مر في باب السفر في اعتبار الاتصال أو الانفصال بين البلدين أو القريتين من أن الفصل بذراع يصيرهما منفصلين عند من قال بنظيره ثمة وأن بعضهم اعتبر العرف لكونه أضبط وأظهر ومن ثمة جزموا باعتباره هناك ما مر عن الجواهر وغيرها ثم رأيت النووي نقل عن الشامل فقال ضابط الأبنية المقررة أن بعض أهلها لو أراد السفر كان له القصر وإن لم يفرق البناء انتهى .

﴿و﴾ رابعها ﴿وقوع الصلاة﴾ أي صلاة الجمعة ﴿كلها في وقت ظهر﴾ للاتباع رواه الشيخان وقال الامام أحمد يجوزها قبل الزوال وبه القطب محي الدين بن العربي ويدل لأناته عليه السلام كان يصلي الجمعة حين تزول الشمس رواه البخاري وعلى ذلك جرى الخلفاء الراشدون فمن بعدهم ولانها فرضا في وقت واحد فلم يختلف وقتها كصلاة الحضر وصلاة السفر كما في شرح المنهاج فلا تقضى الجمعة على صورتها بالاتفاق ولو خرج الوقت أو شكوا في خروجه لم يشرعوا فيها ولو بقي من الوقت ما لا يستغ خطبتين وركعتين يقتصر فيهما على ما لا بد منه لم يشرعوا فيها بل يصلون الظهر نص عليه في الأم ولو شرعوا فيها في الوقت ووقع بعضها خارجه فأتت الجمعة قطعاً ووجب عليهم إتمامها ظهراً على المذهب وفيه قول يخرج أنه يجب استئناف الظهر فعلى المذهب يسر بالقراءة من حينئذ ولا يحتاج إلى تجديدية الظهر على الأصح وإن قلنا بالخرج فهل تبطل صلاته أم تنقلب نقلاً قولان ولو شك هل خرج الوقت وهو في الصلاة أتمها ظهراً في الأصح وجمعة على الثاني ولو سلم الإمام والقوم التسليمة الأولى في الوقت والثانية خارجه صحت جمعهم ولو سلم الإمام الأولى خارج الوقت فأتت جمعة الجميع ولو سلم الإمام وبعض المأمومين الأولى في الوقت وسلمها بعضهم خارجه فمن سلم خارجه فظاهر المذهب بطلان صلاتهم وأما الإمام ومن سلم معه في الوقت فإن بلغوا عدداً تصح بهم الجمعة صحت لهم ثم سلامه وسلامهم خارج الوقت إن كان مع العلم بالحال تعذر ببناء الظهر عليه قطعاً بطلان الصلاة إلا أن يغيروا النية إلى النقل ويسلموا فيه ما سبق وإن كان من جهل منه لم تبطل صلاته .

والمسبوق اذا وقعت ركعته الأخيرة خارجا عن الوقت ففيه خلاف ومذهب أبي حنيفة اذا دخل وقت العصر وقد صلوا من الجمعة ركعة تبطل الصلاة جملة ويستأنفون الظهر وقال أحمد يمتونها بركعة أخرى وتجزئهم جمعة فأما مذهب مالك في هذه المسئلة فقد اختلف أصحابه عنه فقال ابن القاسم تصح الجمعة ما لم تغرب الشمس فإن خرج وقتها ودخل وقت العصر فإن كان قد صلى ركعة بسجدة قبل دخول وقت العصر أضاف إليها أخرى وتمت له جمعة وإن كان قد صلى ذلك بنى وأتمها ظهراً كذا في الإفصاح لابن هيرة وأعلم أن إقامة الجمعة لا تتوقف على إذن الإمام أو نائبه باتفاق الأئمة الثلاثة خلافاً لأبي حنيفة وعن الشافعي والأصحاب أنه يندب استئذانه فيها خشية الفتنة وخروجاً من الخلاف أما تعدد هذه فلا بد فيه من الإذن لأنه محل اجتهاد قاله الشرقاوى .

﴿و﴾ خامسها ﴿عدم تعدد﴾ أي تعدد الجمعة في بلدتها ولو عظمت كما قاله الشافعي لأنه عليه السلام والخلفاء الراشدون لم يقيموا سوى جمعة واحدة ولأن الاختصار على واحدة أفضى إلى المقصود من اظهار شعائر الاجتماع واتفاق الكلمة قال الشافعي ولأنه لو جاز فعلها في مسجدين لجاز في مساجد للشعائر ولا يجوز اجتماعاً ﴿اللعسر اجتماع﴾ أي اجتماع الناس في محل مسجد أو غيره يقينا أما لكثرتهم أو لقنال بينهم أو بعد أطراف البلد بأن يكون من بطرفها لا يبلغهم الصوت بشروطه والظاهر أن المراد اجتماع أهل البلد أو القرية بمن تلتزمه الجمعة أي تصح منه وإن كان الغالب أنه لا يفعلها واستبعده في الخفة وقال والذي يجهه اعتبار فعلهم لها عادة وإن ضابط العسر أن تكون فيه مشقة لا تحتمل عادة قال ابن قاسم والأوجه اعتبار الحاضرين بالفصل في تلك الجمعة وأنهم لو كانوا ثمانين وعسر اجتماعهم بسبب

وتقديم خطبتين بالعربية وإن يفهموا

واحد منهم فقط بأن سهل اجتماع ما عدا واحدا منهم أو عسر اجتماع الجميع أنه يجوز التعدد انتهى ونقل العلامة الكردى عن الأيما ب مثله واعتمد جمع من المتأخرين منهم ابن عبد الحق السباطى والشيخ شمس الدين الميدنى والعنابى وغيرهم اعتبار أهل البلد مطلقا وهو الظاهر من كلامهم لأنهم ربما يحضرون حين أرادوا وحين اذيقن عسر الاجتماع يجوز التعدد للحاجة بحسبها لأن الامام الشافعى رضى الله عنه دخل ببغداد وأهلها يقيمون بها جمعتين وقيل ثلاثا فلم ينكر عليهم فتحاء الأكرهون على عسر الاجتماع قال الرويانى ولا يَحْتَمِل مذهب الشافعى غيره وقال الصيمرى بفتح الميم وبه أفتى المزنى بمصر وإذا تحققت الحاجة الى تعدد الجمعة في مسجدين أو أكثر فالأفضل الصلاة خلف الأفضل من الامامين فان تساوى في الفضل فالمسجد الاقدم فان تساوى في التاريخ ففي الأقرب من دار المصلى إلا أن تكون له نية في الأبعد لاستماع علم أو تعلمه وصلاتها في الجامع الأعظم وحيث يكون المسلمون أكثر أفضل ومن صلى في أيها أحب حسبت صلاته قال ابن جريج قلت لعطاء إذا كان في المصر جامعان أو ثلاثة في أيها أصلى فقال صل حيث جمع المسلمون فانها الجمعة .

وان لم تكن حاجة منعنا الزيادة على جمعة فعقدوا جمعتين فله صور احداها أن تسبق احداها فهي الصحيحة والثانية باطلة و بهم يعرف السبق فيه ثلاثة أوجه أصحها بالإحرام والوجه الثاني بما يعرف به السبق بالسلام والثالث بالشروع في الخطبة ولم يحك أكثر العراقيين هذا الثالث وإذا قلنا بالاول فالاعتبار بالفراغ من تكبيرة الاحرام فلو سبقت احداها بهزمة التكبير والأخرى بالراء منها فالصحيحة هي السابقة بالراء على الأصح وعلى الثاني السابقة بالهزمة ثم على اختلاف الأوجه لو سبقت احداها وكان السلطان مع الأخرى فلا يظهر أن السابقة هي الصحيحة ولا اثر للسلطان والثاني أن التي معها السلطان هي الصحيحة ولو دخلت طائفة فأخبروا أنهم طائفة سبقتهم بها استحب لهم استئناف الظهر وهل لهم أن يتوها ظهرها فيه الخلاف .

الصورة الثانية أن تقع الجمعتان مغايبا طلطان وتساقت جمعة ان وسع الوقت . الصورة الثالثة لا يدري اقترتا أم سبقت احداهما فيعيدون الجمعة أيضا لأن الأصل عدم جمعة مجزئة وقال امام الحرمين وقد حكم الأئمة بانهم اذا عادوا الجمعة برئت ذمتهم . الصورة الرابعة أن تسبق احداها بعينها ثم تلبس فلا تبرا واحدة من الطائفتين عن العهدة خلافا للمزنى ثم ماذا عليهم فيه طريقتان المذهب ان عليهم الظهر والثاني على القولين . الصورة الخامسة وبه قطع العراقيون في الصورة الخامسة أن تسبق احداها ولا تتيق بأن سمع مريضان أو مسافران تكبيرتين متلاحقتين وهما خارجا المسجدين فاخبراهم بالحال ولم يعرفوا المقدمة فلا تبرا واحدة منهما عن العهدة خلافا للمزنى أيضا وما ذا عليهم قولان أظهرهما في الوسيط أنهم يستأنفون الجمعة والثاني يصلون الظهر قال الأصحاب وهو القياس قال النووي الثاني أصح وصححه الأكرهون انتهى وصححه أيضا في شرح المذهب واقتصر الرافعى في الحرر وفي الشرح الصغير على ترجيحه كذا في الانتحاف .

﴿و﴾ سادسها ﴿تقديم خطبتين﴾ على الصلاة للاتباع رواه الشيخان ممن تصح خلفه الجمعة ولو وصيا زاد على الاربعين بخلاف من لا تصح خلفه كعجنون وصبي من الاربعين وكافر ومعتبر وقوعهما في وقت ظهر يومها لما روى أنه ﷺ كان يخطب بعد الزوال فلجواز تقديمها قدمها ﷺ اياعا لها في أول الوقت وتخفيفا على المبكرين ومعلوم أنه كان خروجه ﷺ الى الجمعة متصلا بالزوال ومثله جميع الأئمة في جميع الأمصار ويشترط كون الخطبتين ﴿بالعربية﴾ لاتباع السلف والخلف ولأنهما ذكر مفروض فيشرط فيه ذلك ككثيرة الاحرام ﴿وان﴾ كان القوم عجماء ﴿لم يفهموا﴾ تلك العربية لأنهم يعرفون أنه معظم في الجملة فالمدار

وأركانها حمد الله وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بلفظهما ووصية بالتقوى ولو أطيعوا الله في كل وقراءة آية مفهومة في إحداهما على معرفتهم بقرينة أنه واعظ وإن لم يعرفوا ما يعظم به ويجب عليهم تعلمها بالعربية ويكفي في ذلك واحد منهم فإن لم يتعلم أحد منهم أمثوا كلهم ولا تصح خطبتهم قبل التعلم فيصلون ظهرا هذا كله مع إمكان التعلم فإن لم يمكن خطب واحد منهم بأي لغة شاء بشرط أن يفهم الحاضرون تلك اللغة على المعتمد بخلاف العربية لا يشترط فهمهم أيها كما مر لأنها أصل وغيرها بدل فإن لم يحسن أحد منهم الترجمة فلا جمعة لهم لا نقاء شرطها.

﴿وأركانها﴾ أي الخطبتين خمسة الأول ﴿حمد الله﴾ تعالى ﴿و﴾ الثاني ﴿صلاة على النبي﴾ بلفظهما ﴿أي حمد الله والصلاة على رسول الله﴾ ويتعين لفظ الحمد لأنه الذي مضى عليه الناس سلفا وخلفا فلا يجوز الشكر والثناء والمدح والعظمة ونحو ذلك ومنهم من قال لا يتعين لفظ الحمد بل يجوز الحمد لله أو أحمد الله أو الله الحمد أو الله أحمد كما في الحارثي وصرح الجليلى بأجزاء أنا حامد لله وهذا هو المعتمد وإن توقف فيه الأذرعى وقال قضية كلام الشارحين تعين الحمد لله باللام انتهى ويتعين لفظ الله قال الرافعي ولو قال الحمد للرحمن أو الرحيم فمقتضى الغزالي أنه لا يكفيه ولم أره مسطورا وليس بعيد كما في كلمة التكثير انتهى وجزم بذلك النووي في المجموع قال الرافعي ويتعين لفظ الصلاة ويحكي في النهاية عن كلام بعض الأصحاب ما يروهم أنهما لا يتعينان ولم ينقل وجها يجوز ما به ولو قال والصلاة على محمد أو على النبي أو على رسول الله انتهى والذي في شرح المنهاج أنه لا يتعين لفظ الصلاة كما لا يتعين لفظ الحمد فلو قال أصلى على محمدا ونصلى على أحمد أو الرسول أو الأسي أو العاقب أو الحاشر أو النذير أجزأ ولا يكفى رحم الله محمدا وصلى الله عليه وصلى الله على جبريل ونحو ذلك قال القمولى في الجواهر وفي وجوب الصلاة على النبي ﷺ اشكال فإن الخطبة المروية عنه ﷺ ليس فيها ذكر الصلاة عليه لكنه فعل السلف والخلف وبعد الاتفاق على فعل سنة دائما وقال ابن الشافعي ﷺ تفرد بوجوب الصلاة على النبي ﷺ في الخطبة انتهى قال الزبيدي ويدل له رضي الله عنه ما في دلائل النبوة للبيهقي عن أبي هريرة رفعه قال الله تعالى وحملت أسك لا يجوز عليهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدى ورسولى.

﴿و﴾ الثالث ﴿وصية بالتقوى﴾ أي بتقوى الله تعالى وهل يتعين لفظ الوصية وجهان الصحيح المتخصص لا يتعين لأن القرض الرعظ والجل على طاعة الله فيكفى ما دل على المرعظة طويلا كان أو قصيرا ﴿ولو﴾ بنحو ﴿أطيعوا الله﴾ وراقبوه بما فيه حث على طاعة الله أو زجر عن المعصية قال امام الحرمين ولا خلاف في أنه لا يكفى الاقتصار على التحذير من الاغترار بالدنيا لأنه معلوم حتى عند الكافر بل لا بد من الحمل على طاعة الله تعالى والمنع من المعاصى وهذه الأركان الثلاثة المذكورة أركان ﴿في كل﴾ من الخطبتين لاتباع السلف والخلف ولأن كل خطبة منفصلة عن الأخرى ﴿و﴾ الرابع ﴿قراءة﴾ القرآن وهو ركن على المشهور وقيل على الصحيح والثاني ليست بركن بل مستحبة وعلى الأول أقلها قراءة ﴿آية﴾ من القرآن نص عليه الشافعي سواء كانت وعدا أو وعيدا أو حكما أو قصة ﴿مفهومة﴾ أي معنى مقصودا كالوعد والعيد وخرج به ثم نظروا ثم عبس أو نحو ذلك وإن كانت آية لأنها غير مفهومة كما قاله البويطي ووافقه في المجموع قال الرافعي واختلفوا في محل القراءة على ثلاثة أوجه أصحابها ونص عليه في الأم تجب ﴿في﴾ إحداهما أي الخطبتين لا بعينها والثاني تجب فيهما والثالث تجب في الأولى خاصة وهو ظاهر نصه في المختصر ونقل النووي عن الدارمي أنه يستحب أن يقرأ في الخطبة الأولى سورة ق قال والمراد قراءتها يكملها لاشتغالها على أنواع المواعظ وعند الحنفية قراءة القرآن في الخطبة من جملة سننها وذكروا أنه ﷺ قرأ في خطبته واثقوا يوما ترجعون فيه إلى الله وروى أنه قرأ يا أيها الذين آمنوا اتقوا

ودعاء للمؤمنين بأخروي في ثانية وشرط جلوس بينهما بطمأنينة وموالة عرفا بين أركانها وبينهما وبين الصلاة.

الله وقولوا قولا سديدا وروى أنه قرأ وتادوا يا مالك ليقض علينا ربك وروى أنه قرأ إذا زلزلت الأرض قالوا وإذا قرأ سورة تامة يتعوذ ثم يسمى قبله وإن قرأ آية قبل يتعوذ ثم يسمى وقيل يتعوذ ولا يسمى وهو الأكثر قاله الزبيدي ﴿و﴾ الخامس ﴿دعاء للمؤمنين﴾ لنقل الخلف عن السلف فإن قيل تعبيره بالمؤمنين لا يشمل المؤمنات أجيب بأن المراد بهم الجنس الشامل لمن وبهما عبر في الوسيط وفي التنزيل وكانت من القاتين قال الامام ووافقه المصنف وأرى أن يكون الدعاء متعلقا ﴿بأخروي﴾ غير مقتصر على أوطار الدنيا وأنه لا بأس بتخصيصه بالسامعين كقوله رحمكم الله انتهى بل يكفي تخصيص بعض السامعين إذا كان ذلك البعض أربعين فلو انصرف من خصهم وأقام الجمعة بأربعين لم يدع لهم كفى لكن التعميم أول من تخصيصه بالحاضرين ويمتنع اللهم اغفر لجميع المسلمين جميع ذنوبهم لوجوب اعتقاد دخول طائفة من المؤمنين النار ولو واحدا وما ذكرنا فيه بخلاف اللهم اغفر لجميع المسلمين ذنوبهم وخروج السامعين بتخصيصه بالتائين كرحمهم الله فلا يكفي وأما الدعاء للسلطان بخصوصه فالمختار أنه لا بأس به إذا لم يكن فيه مجازفة في وصفه ونحوها بخلاف الدعاء لأئمة المسلمين وولاء أمورهم عموما بالصالح والهداية فسنة ومحل ما ذكرنا لم يخش من تركه ضررا أو فتنة والأوجب كما في قيام بعض الناس لبعض ولا يشترط في خوف الفتنة غلبة الظن بل يكفي أصله.

* حكاية * اعلم أنه قد اتفق أن الملك الظاهر بيبرس رحمه الله تعالى لما وصل الشام وحضر لصلاة الجمعة أبدع الخطيب بالفاظ حسنة يشير بها إلى مدح السلطان وأطنب فيه فلما فرغ من صلاته أنكر عليه وقال مع كونه تركيا نال هذا الخطيب يقول في خطبته السلطان السلطان ليس شرط الخطبة هكذا أو أمر به أن يضرب بالمقارع فتشفع له الحاضرون هذا مع كمال علم الخطيب وصلاحه وورعه فنادى خلص الأبعد الجهد الشديد واتفق مثل هذا البعض أمراء مصر لما صلى الجمعة في إحدى جوامع مصر وكان مغرورا بدولته مستبدا برأيه وربما تازعته نفسه في خلافه على مولانا السلطان نصره الله تعالى فأطنب الخطيب في مدحه بعد أن ذكر اسمه بعد اسم السلطان فلما فرغ من صلاته أمر بضرب ذلك الخطيب وأهاتته وتقيه عن مصر إلى بعض القرى فهذا أو أمثال ذلك ينفي للخطباء أن يلتبسوا بسخط الله تعالى برضا الناس فإن ذلك موجب لسخط الله تعالى والمقت الإبدى نسأل الله تعالى العفو عنه أمين ويكون الدعاء ﴿في﴾ خطبة ﴿ثانية﴾ لأنه يلحق بالخواتم ثم لما فرغ المصنف من ذكر أركان الخطبتين شرع في ذكر شروطها فقال ﴿وشرط جلوس بينهما بطمأنينة﴾ أي معهما فيه لا تباع زواه مسلم وأقل الجلوس أن يكون بقدر اطمأنينة في الصلاة كما في الجلوس بين السجدين ويسن أن يكون بقدر سورة الاخلاص وأن يقرأها فيه فلو ترك الجلوس بينهما حسبا واحدة فيجلس ويأتي بخطبة أخرى ومن خطب قاعد العذر فصل بينهما وجوبا بسكة فوق سكة التنفس والتمنى وكذا من خطب قائما أو مضطجعا المعجزه عن الجلوس في فصل كل منهما بسكة كذا قاله الشرقاوي ﴿و﴾ شرط على الأظهر ﴿موالاة﴾ بأن لا يفصل الخطيب فصلا طويلا ﴿عرفا﴾ أي في العرف يعني أن المعتبر في ضابط الطول العرف فلا يضرب فصل يسيرا بأن كان دون قدر ركعتين قال بعضهم ولا بد أن يكون لا يتعلق له بالخطبة فإن فصل باله تعلق بها لم يضرب فلا يقطع الموالاة الوعظ وإن طال وكذا اقراءه وإن طالت حيث تضمنت وعظا خلافا لمن أطلق القطع بها ﴿بين أركانها﴾ أي بين أركان كل من الخطبتين ﴿وبينهما﴾ أي بين مجموع الخطبتين ﴿وبين الصلاة﴾ وذلك للتابع ولأن الموالاة أثرا ظاهرا في استماله القلوب والخطبة والصلاة شيهتان بصلاة الجمع ومقابل الاظهار لا تشترط لأن الغرض الوعظ والتذكير يحصل مع تقريب الكلمات.

وطهور ستر وقيام لقادر ويجب إسماع الأربعين الذين تتعقد بهم الجمعة أركانها

* تنبيه * قال الشمس محمد بن طالون الحنفي الدمشقي في كتابه التقرب لشرائط الخطبة والصفات الخطيب مانعه وفي كيفية الخطابة ثلاث طرائق الأولى طريقة أهل المشرق عامة وبعض المصريين ونزر من الشاميين وهي أن يخطب بالنغم بصوت هاد لطيف مطرب غير مروع وهذا يحصل به رقة في القلوب وراحة للخطيب ومن اتفق هذه الطريقة خطيب الموصل من المتقدم وعثمان بن شمس الحنفي من المتأخرين الثانية طريقة جل المصريين وبعض الشاميين وهي بين النغم والتحقيق كأنه يخاطب مخاطبة ويعاقب معاتبة ومن اتفق هذه الطريقة الخطيب بدر الدين الدمشقي من المتقدمين وشيخنا العلامة سراج الدين ابن الصيرفي الشافعي من المتأخرين الثالثة طريقة جل الشاميين وهي التحقيق يصعد بها صدعا وهي المشابهة لخطابة رسول الله ﷺ ففي صحيح مسلم وسنن ابن ماجه عن جابر أن النبي ﷺ كان إذا خطب الناس أحمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صباحكم ومساءكم وهذه طريقة الشيخ كمال الدين العشمانى وأولاده والمنسسين إليه من المتقدمين والقاضي نور الدين بن منعة الحنفي الخطيب بجامع الأفرم بسفح قاسيون من المتأخرين انتهى والأحسن أن ينصح الخطيب بصوت هاد ولا يستعمل في خطبته غريب اللغة ولا يخطط فيها بأن يطول فيها طويلا فاحشا ولا يخطط في حروفها وكلماتها فانه يكره ذلك ولا يتغنى بل يخرج الحروف من مخارجها مسترسلة غير مجاوز عن الحدود وينبغي أن تكون الخطبة قصيرة قصرا عرف في القصر الذي يخرج عن التوسط وبلغته بأن تكون غير مؤلفة من الكلمات المبتدلة ولا من الكلمات البعيدة عن أفهام الحاضرين وهي المشتملة على الألفاظ البعيدة وجامعة لمعاني الرعظ والتذكير والنصيحة مع اختصارها كما هي خطب السلف الصالحين

﴿و﴾ شرط ﴿طهر﴾ من الحدث الأكبر والأصغر والخبث غير المعفوع عنه في بدنه ومكانه وثوبه فلو أحدث في أثناء الخطبة استأنفها وإن سبقه الحدث وقصر الفصل بخلاف ما لو استخلف هو والقوم واحدا من الجاهلين فانه يبنى على ما فعله الأول من الخطبة نعم لا يجوز البناء في الأغماء مطلقا وإذا غمى على الخطيب قبل أن يتم الخطبتين لم يجز البناء منه ولأن الخليفة لزوال الأهلية فيه دون الأول أو أحدث بين الخطبة والصلاة وتطهر عن قرب لم يضر ﴿وستر﴾ للعمرة للاتباع وكما في الصلاة ﴿وقيام لقادر﴾ عليه للاتباع رواه مسلم فان عجز عنه خطب قاعداتهم مضطجعا كالصلاة ويصح الإقتداء به وإن لم يقل لا يستطيع لأن الظاهر أنه إنما فعل ذلك لعجزه والأولى له أن يستنب فان بان انه كان قادرا فلا يؤثر كإمام بان محدثا ﴿ووجب إسماع الأربعين الذين تتعقد بهم الجمعة أركانها﴾ بأن يرفع الخطيب صوته بها بحيث يسمعونها لأن المقصود وعظهم وهو لا يحصل إلا بذلك فعلم انه يشترط الإسماع والسماع وإن لم يفهموا معناها كالعامي يقرأ الفاتحة في الصلاة ولا يفهم معناها فلا يكون الأسرار كالآذان ولا إسماع دون من تتعقد بهم الجمعة فقوله كثيره أربعين أي بالامام فلو كانوا صا أو بعضهم لم تصح كبعضهم وقضية كلامهم انه يشترط في الخطيب إذا كان من الأربعين أن يسمع نفسه حتى لو كان أصم لم يكتب وهو كما قال الأسنوى بعيد بل لا معنى له لأن الشخص يعرف ما يقول وإن لم يسمعه ولا معنى لامره بالانصات لنفسه ولا يشترط أن يعرف الخطيب معنى أركان الخطبة خلا فاللزكشى كمن يؤم القوم ولا يعرف معنى الفاتحة ولا يشترط أيضا إسماعهم جميع الخطبة فلو أسر في غير الأركان ضحت الخطبة فالإسماع ليس شرطا إلا في الأركان ومثله سائر الشروط فهي إنما تعتبر في الأركان خاصة فلو انكشف عورته أو جلس في غير الأركان لم يؤثر.

وأن يتأخر إحرام من لا تتعقد بهم الجمعة عن إحرام من تتعقد بهم .

﴿فرع﴾ من له مسكنان ببلدين فالعبرة بما كثر فيه إقامته فيما فيه أهله وماله فإن استويا في الكل فبالحل الذي هو فيه حالة إقامة الجمعة .

﴿و﴾ ينبغي ﴿أن يتأخر إحرام من لا تتعقد بهم الجمعة عن إحرام﴾ أربعين ﴿من تتعقد بهم﴾ الجمعة على ما شرطه جمع محققون كابن الرفعة والاسنوي وشيخ الاسلام . وإن خالف فيه كثيرون وهذا هو الراجح عند ابن حجر والخطيب والربلي .
* تنبيه * تسن الخطبة على منبر للاتباع رواه الشيخان أو على موضع مرتفع لأنه أبلغ في الاعلام هذا إن لم يكن منبر كما في الشرحين والروضة فإن تعذر استند إلى خشبة كما كان صلى الله عليه وسلم يفعل قبل فعل المنبر وسلم عند دخول المسجد على الحاضرين لا قبالة عليهم وعلى من عند المنبر ندبا إذا انتهى إليه كما في الحرر للاتباع رواه البيهقي ولم يفارقه إياهم ولا يسن له تحية المسجد كما في زوائد الروضة وإن خالفه غيره ويسن أن يقبل عليهم إذا صعد المنبر أو نحوه واستند إلى ما مروا انتهى إلى ما يجلس عليه أو استند إلى ما يستند عليه ويسلم عليهم للاتباع ولا قبالة عليهم قال في المجموع ويجب رد السلام في الخالين وهو فرض كفاية كالسلام في باقي المواضع وإنما يسن إقباله عليهم وإن كان فيه استند بالقبلة لأنه لو استقبلها فإن كان في صدر المسجد كما هو العادة كان خارجا عن مقاصد الخطاب وإن كان في آخره ثم استند بروده لزم ما ذكرناه وإن استقبلوه لزم ترك الاستقبال لخلق كثير وتركه لواحد أسهل ويجلس بعد السلام على المستراح ليستريح من تعب الصعود ثم يؤذن في حال جلوسه ويستحب أن يكون الأذان من واحد لا من جماعة كما استحبه أبو على الطبري وغيره .
ولفظ الشافعي في ذلك وأحب أن يؤذن مؤذن واحدا إذا كان على المنبر لاجتماع المؤذنين لأنه لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم المؤذن واحد فإن اذنتوا جماعة كرهت ذلك ولا يفسد شيء منه الصلاة لأن الأذان ليس من الصلاة وإنما هو دعاء إليها وفي البخاري كان الأذان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر حين يجلس الإمام على المنبر فلما كثر الناس في عهد عثمان أمرهم بأذان آخر على الزوراء واستقر الأمر على هذا .

﴿* فرع *﴾ من له مسكنان ببلدين فالعبرة ﴿في انعقاد الجمعة بالشخص﴾ بما ﴿أي بالبلد أو المسكن﴾ كثر فيه إقامته ﴿فإن استوت إقامته فيهما﴾ ذ ﴿العبرة﴾ بما ﴿أي بالذي﴾ فيه أهله وماله ﴿وإن كان له في بلداهل وفي بلد آخر مال فالعبرة بالبلد الذي فيه أهله﴾ فإن استويا ﴿أي بالبلدان أو المسكنان﴾ في الكل ﴿أي في كل ما مر بأن استوت الإقامة فيهما أو كان له في كل واحد منهما أهل ومال أو في كل واحد أهل فقط أو مال فقط﴾ ذ ﴿العبرة﴾ بالحل الذي هو فيه حالة إقامة الجمعة ﴿تتعقد الجمعة به﴾ .

* تنبيهات * الأول يستحب لأصحاب الأعذار تأخير الظهر إلى أن يفرغ الناس من الجمعة وإن حضر الجمعة مريض أو عبدا أو امرأة صحت جمعهم وأجزأت عن الظهر هكذا ذكره الغزالي قال الرافعي إن حضر الصبيان والنساء والعبيد والمسافرون الجامع فلهم الانصراف ويصلون الظهر وخرج صاحب التلخيص وجها في العبد أنه تلزمه الجمعة إذا حضر قال في النهاية وهذا غلط باتفاق الأصحاب فأنما المريض فأطلق كثيرون أنه لا يجوز له الانصراف بعد حضوره بل تلزمه الجمعة وقال إمام الحرمين إن حضر قبل الوقت فله الانصراف وإن دخل الوقت وقامت الجمعة لزمت الجمعة وإن تحلل زمن بين دخول الوقت والصلاة فإن لم يلحقه مزند مشقة الانتظار لزمته والأفلا وهذا تفصيل حسن .

الثاني قال صاحب الانصاح والمحاملي المستحب أن يكون المؤذن للجمعة واحدا وأشار إليه الغزالي وفي كلام بعض الأصحاب اشعار باستحباب تعدد المؤذنين.

الثالث اذا اجتمع معذورون استحب لهم الجماعة في ظهرهم على الأصح قال الشافعي رحمه الله واستحب لهم إخفاء الجماعة لئلا يتهما قال الأصحاب هذا اذا كان عذرهم خفيا فان كان ظاهرا فلا تهمه ومنه من استحب الإخفاء مطلقا وقال الرافعي ثم اذا صلى المعذور الظهر قبل فوات الجمعة صحت ظهره فلوزال عذره وتمكن من الجمعة لم يلزمه الا في الخشى اذا صلى الظهر ثم بان رجلا وتمكن من الجمعة فتلزمه والمستحب لهؤلاء حضور الجمعة بعد فعلهم الظهر فان صلوا الجمعة ففرضهم الظهر على الأظهر أما اذا زال العذر في أثناء الظهر فقال القفال هو كروية التيمم الماء في الصلاة وهذا يقتضي خلافا في بطلان الظهر كالاخلاف في بطلان صلاة التيمم وذكر الشيخ أبو محمد وجهين هنا والمذهب استمرار صحة الظهر وهذا الخلاف تفرع على ابطال ظهر غير المعذور اذا صلاها قبل فوات الجمعة فان لم يبطلها فالعذر أولى وقال الرافعي في شرح الوجيز من عذر له اذا صلى الظهر قبل فوات الجمعة لم تصح ظهره على الجديد وهو الأظهر وتصح على القديم قال الاصحاب القولان مبنيان على أن الفرض الاصل يوم الجمعة ما اذا الجديد أنه الجمعة والقديم أنه الظهر وان الجمعة بدل فان صلى الظهر بعد ركوع الامام الثانية وقبل سلامه فقال ابن الصباغ ظاهر كلام الشافعي بطلانها يعني على الجديد ومن الاصحاب من جوزها والله أعلم.

﴿باب ما يحرم على الرجل من استعمال حرير صرف وحلى نقد ومن تشبه بالنساء﴾

﴿أخرج﴾ أبو داود والنسائي عن علي رضي الله عنه رأيت رسول الله ﷺ أخذ حريرا فجعله عن يمينه وذها فجعله عن يساره ثم قال إن هذين حرام علي ذكرور أمتي * والحاكم من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربه في الآخرة ومن شرب في آية الذهب والفضة لم يشرب بها في الآخرة ثم قال لباس أهل الجنة أي الحرير وشراب أهل الجنة أي الخمر وآية أهل الجنة أي آية النقد * والشيخان لا تلبسوا الحرير فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة * وروي النسائي قال ابن الزبير من لبسه في الدنيا لم يدخل الجنة قال الله تعالى ولباسهم فيها حرير * وأحمد والشيخان وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن عمر رضي الله عنه إنما يلبس

﴿باب ما يحرم على الرجل من استعمال حرير صرف﴾ أي خالص ﴿وحلى نقد﴾ أي ذهب وفضة

﴿وما يحرم من تشبه﴾ أي تشبه الرجال ﴿بالنساء﴾ وعكسه

﴿أخرج﴾ الشيخان عن خديجة لا تلبسوا الحرير ولا الديباج وأخرج البخاري عنه أيضا أنها نارا رسول الله ﷺ عن لبس الحرير والديباج وأن يجلس عليه وأخرج ﴿أبو داود والنسائي عن علي رضي الله عنه﴾ قال ﴿رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حريرا فجعله عن يمينه﴾ وأخذ ذهبا عن يساره ثم قال ﷺ ﴿إن هذين﴾ أي الحرير والذهب ﴿حرام علي ذكرورة أمتي﴾ حل لأناتهم قال امام الحرمين وكان فيه منع معنى الخلاء أنه ثوب رفاهية وزينة وإبداء زى يليق بالنساء دون شهامة الرجال قال الرافعي وهو حسن لكنه لا يقضى التحريم عند الشافعي ففي الأم ولا أكره لبس اللؤلؤ للرجل إلا للآداب فإنه من زي النساء لا للتحريم انتهى ويجب أن المقضى للتحريم في كلام إمام الحرمين متعدد وهو منتف في كلام الشافعي والحقوا بالرجل الخنثى احتياطا .

﴿وما﴾ أخرج ﴿الحاكم من لبس الحرير في الدنيا﴾ أي لبسا محرما بأن كان اللباس ذكرا لغير ضرورة ﴿لم يلبسه في الآخرة﴾ أي في الجنة فيحرم لبس الحرير فيها لكونه تمتع به في الدنيا ﴿ومن شرب الخمر في الدنيا﴾ ولو قليلا وإن لم يسكر كما أفاده الحنفى والخمري المتعصر من العنب إذا أغلى وقذف بالزبد أو من غير العنب ﴿لم يشربه في الآخرة﴾ قال بعضهم هذا وعيد بأنه لا يدخل الجنة لأن الخمر شراب أهل الجنة لأنهم لا يصدعون ولا ينزفون ومن دخل الجنة لا يحرم شربها أو كان يدخل الجنة ويحرم شرب الخمر بأن لا يشتهي شربها في الجنة كما لا يشتهي منزلة من هو أرفع منه لحديث البيهقي من شرب الخمر في الدنيا ولم يشرب لم يشربها في الآخرة وإن دخل الجنة وروى أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن عمر كل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يد منها ولم يشرب لم يشربها في الآخرة ﴿ومن شرب في آية الذهب والفضة لم يشرب بها في الآخرة﴾ ثم قال ﷺ ﴿لباس أهل الجنة﴾ مبتدأ خبره ﴿أي الحرير﴾ وكذا يقال فيما بعده ﴿وشراب أهل الجنة أي الخمر وآية أهل الجنة أي آية النقد﴾ من الذهب والفضة .

﴿وما﴾ أخرج ﴿الشيخان﴾ سمعت ابن الزبيدي يخطب ويقول لا تلبسوا نساءكم الحرير فاني سمعت عمر بن الخطاب يقول قال رسول الله ﷺ ﴿لا تلبسوا الحرير فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة﴾ وروي النسائي قال ابن الزبير من لبسه في الدنيا لم يدخل الجنة قال الله تعالى ولباسهم فيها حرير ﴿وروى النسائي والحاكم وقال صحيح على شرطهما عن عتبة بن عمار أنه كان يمنع أهله الخلية والحرير ويقول إن كنتم تحبون حلية أهل الجنة وحريرها فلا تلبسوها في الدنيا وفهم هو ابن الزبير أن هذا الوعيد بعدم لبسه في الآخرة يجري في النساء ونحوه من بمن أبيع له لبسه إنما هو مجرد احتياط ولا فتجوز لبسه لمن الظاهر منه أنه لا يمنع لبسه في الآخرة .

﴿وما﴾ أخرج ﴿أحمد والشيخان وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن عمر رضي الله عنه﴾ إنما يلبس ﴿بفتح الباء

الحرير في الدنيا من لا خلاق له في الآخرة * والبرار عن حذيفة موقفا من لبس ثوب حرير لبسه الله ثوبا من النار يوما ليس من أيامكم ولكن من أيام الله الطوال * وأحمد لا يستمتع بالحرير من يرجو أيام الله أي لقاءه وحسابه * وهو من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس حريرا ولا ذهباً * والنسائي أن رجلا قدم من بخران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه خاتم من ذهب فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنك جئتني وفي يدك جمرة من نار *

﴿الحرير في الدنيا من﴾ أي مكلف ذكر ﴿لا خلاق له في الآخرة﴾ قال المناوي يعني من لا حظ ولا نصيب له من لبس الحرير فعدم نصيبه كناية عن عدم دخوله الجنة وهذا في الكافر ظاهر وفي غيره أن استحل والا فهو تهويل وتنفير انتهى قال العلقمي قال ابن بطال اختلف في الحرير فقال قوم يحرم لبسه في كل الأحوال حتى على النساء نقل ذلك عن علي وابن عمر وحذيفة وابن موسى وابن الزبير ومن التابعين عن الحسن وابن سيرين وقال قوم يجوز لبسه مطلقا وحملوا الأحاديث الواردة في النهي عن لبسه على من لبسه خيلاء أو على التنزيه قلت وهذا الثاني ساقط لثبوت الوعيد على لبسه واختلف في علة تحريم الحرير على زَيْن مشهورين أحدهما الفخر والخيلاء والثاني كونه ثوب رفاهية وزينة فيلبس بزي النساء دون شهامة الرجال .

﴿و﴾ أخرج أحمد والطبراني بسند فيه جابر الجعفي وقد وثقه جماعة من لبس ثوب حرير لبسه الله يوما أو ثوبا من النار يوم القيامة وفي رواية من لبس ثوب حرير في الدنيا لبسه الله تعالى ثوب مذلق من النار رواه ﴿البرار عن حذيفة موقفا من لبس﴾ من الرجال ﴿ثوب حرير﴾ في الدنيا عالما عامدا بغير ضرورة ﴿لبسه الله ثوبا من النار﴾ جزاء بما عمل ﴿يوما ليس من أيامكم ولكن من أيام الله الطوال﴾ ﴿و﴾ أخرج أحمد لا يستمتع بالحرير من يرجو أيام الله أي لقاءه وحسابه ﴿و﴾ أحمد إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا يرجو أن يلبسه في الآخرة قال الحسن فما بال أقوام يبلغهم هذا عن بينهم فيجعلون حريرا في ثيابهم ويتوهم وأحمد والبيهقي يبيت قوم من هذه الأمة على طعم وشرب ولهو ولعب فيصبحوا قد مسخوا قرودا وخنازير وليصيبهم خسف وقذف حتى يصبح الناس فيقولون خسف الليلة ببنى فلان ولترسلن عليهن حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط على قبائل فيها وعلى دور وترسلن عليهم الريح العقيم كما أرسلت إلى عاد على قبائل فيها وعلى دور بشرهم الخمر ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وأكلهم الربا وقطيعتهم الرحم وأخرج ﴿هو﴾ أي أحمد بسند رواه ثقات ﴿من كان يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ أي يؤمن بوجوده وبما يقع فيه من الأحوال وسمى آخر لأنه لا دليل بعده ومن كان يؤمن بالله أي يصدق بوجوده وعظيم قدرته ﴿فلا يلبس حريرا ولا ذهباً﴾ والبخاري تعليقا وأبو داود ليكون من أمسى أقوام يستحلون الحرير ينسخ منهم قرودا وخنازير إلى يوم القيامة والبيهقي وقواه إذا استحلّت أمسى خمسا فعليهم الدمار أي الهلاك إذا ظهر التلاعن وشرب الخمر ولبسوا الحرير واتخذوا القينات واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء والحاكم وقال صحيح على شروطين أحدهما عن سعد رضي الله عنه أنه قال لمن استأذن عليه فكان متكئا على شبه مخدة من حرير فأزالها فأخبر أنه أزالها لأجله نعم الرجل أنت إن لم تكن ممن قال الله تعالى أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا والله لأن اضطجع على جمر الغنى أحب إلى من أن اضطجع عليها والبرار والطبراني بسند رواه ثقات رأى رسول الله ﷺ صلى جبة بحية بحرير أي لها جيب أي طوق كنه فقال طوق من نار يوم القيامة وهو محمول على غير التسجيف بدليل أنه ﷺ والمسلم كان له جبة مكشوفة أي مسجفة بالذهب يباح قاله العلامة ابن حجر .

﴿و﴾ أخرج ﴿النسائي أن رجلا قدم من بخران إلى رسول الله ﷺ وعليه خاتم من ذهب فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال إنك جئتني وفي يدك جمرة من نار﴾ وأحمد بسند رواه ثقات والطبراني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال من مات من

ومسلم أنه صلى الله عليه وسلم رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه وطرحه وقال يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده فقبل للرجل بعد ما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ خاتمك اتنع به فقال والله لا آخذه وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم * والبخاري لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء والأول جمع مخنث بفتح النون وكسرهما وهو من فيه الانحناء أي التكسر والتثني كما تفعله النساء وإن لم يفعل الفاحشة الكبرى والثاني المشبهات من النساء بالرجال *

أمتى وهو يشرب الخمر حرم الله عليه شربها في الجنة ومن مات من أمتى وهو يتحلى الذهب حرم الله عليه لبسه في الجنة .
 ﴿هو﴾ أخرج ﴿مسلم﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿أنه صلى الله عليه وسلم رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه وطرحه﴾ وفيه إزالة المنكر باليد لمن قد رعلها ﴿وقال﴾ ﷺ حين نزعه من يد الرجل ﴿يعتمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده﴾ وهذا فيه تصريح بأن النهي عن خاتم الذهب للتحريم ﴿فقبل للرجل﴾ صاحب الخاتم ﴿بعد ما ذهب رسول الله ﷺ خذ خاتمك اتنع به﴾ فقال والله لا آخذه وقد طرحه رسول الله ﷺ ﴿وقول صاحب هذا فيه المبالغة في استئثار رسول الله ﷺ واجتناب نهيه وعدم الترخص فيه بالتأويلات الضعيفة ثم إن هذا الرجل إنما ترك الخاتم على سبيل الإباحة لمن أرا دأخذه من الفقراء وغيرهم وحينئذ يجوز أخذه لمن شاء فاذا أخذه جاز تصرفه فيه ولو كان صاحبه أخذه لم يحرم عليه الأخذ والتصرف فيه بالبيع وغيره ولكن تورع عن أخذه وأراد الصدقة به على من يحتاج إليه لأن النبي ﷺ لم ينه عن التصرف فيه بكل وجه وإنما نهاه عن لبسه وبقي ماسواه من تصرفه على الإباحة كذا قاله النووي ﴿هو﴾ أخرج ﴿البخاري﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال ﴿لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال و﴾ لعن رسول الله ﷺ المترجلات من النساء والأول ﴿وهو لفظ المخنثين﴾ جمع مخنث بفتح النون ﴿في الفرع قال الكرمانى وهو المشهور﴾ وكسرهما ﴿وهو القياس وبالثاء المثلثة مشتق من الانحناء وهو التثني والتكسر كما قال﴾ وهو من فيه الانحناء أي التكسر والتثني كما تفعله النساء وإن لم يفعل الفاحشة الكبرى ﴿فالمخنث هنا كما قاله بعض شراح البخاري هو الذي في كلامه لين وفي أعضائه تكسر وليس له جارية تقوم وهو في عرف هذا الزمان من يلاط به﴾ والثاني ﴿وهو لفظ للمترجلات بكسر الجيم المشددة﴾ المشبهات من النساء بالرجال ﴿كحمل السيف والرمح والسحاق وذلك لإخراج الشيء عن الصفة التي وضعها عليه أحكم الحاكمين كما ورد ذلك في لعن الواصلات بقوله المغير خلق الله﴾ وأخرج البخاري أيضاً لعن رسول الله ﷺ المشبهين من الرجال بالنساء والمشبهات من النساء بالرجال والأول في الزينة والزينة كالمقانع والأساور والقرطة وكذا الكلام والمشي والانحناء والثاني والتثني والتكسر إذا لم يكن خلقة فإن كان ذلك في أصل خلقة فانما يؤمر بتكليف تركه والادمان على ذلك بالتدرج والثاني في الزنى وبعض الصفات ﴿هو﴾ أخرج ﴿أبو داود﴾ والنسائي لعن رسول الله ﷺ الرجل الذي ﴿يلبس لبسة﴾ بكسر اللام ﴿المرأة﴾ كخلخال وخمار وإن لم يقع منه تكسر فذلك زيادة اثم قاله الحنفى ﴿هو﴾ لعن رسول الله ﷺ ﴿المرأة﴾ التي ﴿تلبس لبسة الرجل﴾ كبس عمامة قال العزيمى أفاد أن ذلك حرام أي بلا ضرورة ﴿هو﴾ أخرج ﴿الطبراني﴾ أن امرأة مرت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حال كونها ﴿مقلدة قوسا﴾ فقال ﷺ ﴿لعن الله المشبهات من النساء بالرجال﴾ وأحمد بسند حسن لعن رسول الله مخنثى الرجال الذين يشبهون بالنساء والمترجلات من النساء المشبهات بالرجال وزأك الفلاة وحده والطبراني بسند فيه مختلف فيه أربعة لعنوا في الدنيا والآخرة وأمنت الملائكة رجل جعله الله ذكراً فأنتت نفسه وتشبه بالنساء وامرأة جعلها الله أنثى فتذكرت وتشبهت بالرجال والذي يفضل الأعمى ورجل حصور ولم يجعل الله حصوراً إلا يحيى بن زكريا .

وأبو داود والنسائي لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس الرجل * والطبراني إن امرأة مرت على رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلدة قرصاً فقال لعن الله المشبهات من النساء بالرجال * وأبو داود أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخنث قد خضب يديه ورجليه بالحناء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال هذا قالوا يشبه بالنساء فأمر به فنفى إلى النعيق ﴿وحكي﴾ عن القطب عبد القادر الجيلاني رحمه الله أنه عطش في بعض سياحاته فرأى إناء من فضة معلقاً في السماء فأدلى عليه في سحابة وسمع صوتاً داخلها اشرب يا عبد القادر قد أبحنا لك الحرمات وأسقطنا عنك الواجبات فقال رضي الله عنه وتغننا به اجتنبنا يا ملعون لست أكرم على الله من نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فإنه لم يفعل له شيء من ذلك

﴿و﴾ أخرج ﴿أبو داود أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخنث قد خضب يديه ورجليه بالحناء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال هذا قالوا يشبه بالنساء فأمر به فنفى إلى النعيق﴾ بالنون وهو بعيد من المدينة قال المنذري في سننه نكارة وليس في سنده مجهول خلافاً لمن زعمه وصح ثلاثة لا يدخلون الجنة العاق لوالديه والديوث ورجلة النساء وفي رواية ثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً الديوث ورجلة النساء ومد من الخمر قالوا يا رسول الله أما مد من الخمر فقد عرفناه فما الديوث قال الذي لا يبالي بمن يدخل على أهله قلنا فما الرجلة من النساء قال التي تشبه بالرجال

﴿تنبيه﴾ قال العلامة ابن حجر عدد هذان الكبائر واضح ما عرفت من هذه الأحاديث الصحيحة وما فيها من الوعيد الشديد والذي رأيته لأئمتنا أن ذلك التشبه فيه قولان أحدهما حرام وصححه النووي بل صوبه وثانيهما أنه مكروه وصححه الرافعي في موضع والصحيح بل الصواب ما قاله النووي من الحرمة بل ما قدمته من أن ذلك كبيرة ثم رأيت بعض المتكلمين على الكبائر عده منها وهو ظاهر وعلم من خبر المخنث المخضرب الذي نفاه ﷺ لأجل تشبهه بالنساء بخضبه يديه ورجليه أن خضب الرجل يديه أو رجليه بالحناء جرم بل كبيرة على ما ذكر فيه من التشبه بالنساء وإن الحديث المذكور صريح في ذلك

﴿وحكي﴾ عن القطب الراباني والفرد الجامع الصمداني والأصل الظاهر أبي محمد ﴿عبد القادر﴾ بن أبي صالح جنكي دوست وقيل جنكا دوست موسى بن أبي عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجوني بن عبد الله المحض بن الحسن المثني ابن أمير المؤمنين أبي محمد الحسن بن أمير المؤمنين علي ﴿الجيلاني﴾ الحنبلي ﴿رحمه الله﴾ تعالى رحمة واسعة ﴿أنه عطش في بعض سياحاته فرأى إناء من فضة معلقاً في السماء فأدلى﴾ أي أرسل الإناء ليستقي به ﴿عليه في سحابة وسمع﴾ رضي الله عنه ﴿صوتاً داخلها﴾ أي السحابة ﴿اشرب يا عبد القادر قد أبحنا لك الحرمات وأسقطنا عنك الواجبات فقال﴾ ﷺ وتغننا به اجتنبنا يا ملعون لست أكرم على الله ﴿أي عنده﴾ من نبيه محمد ﷺ فإنه لم يفعل له شيء من ذلك ﴿أي أباحه الحرمات وأسقط الواجبات وفي قلادة الجواهر مانعه قال سيدي الشيخ موسى ابن سيدنا الشيخ عبد القادر رضي الله عنهما سمعت والذي يقول خرجت في بعض سياحتي إلى البرية ومكبت أياً ما لأجد ماء فاشتد بي العطش فظلمتني سحابة ونزل علي منها شيء يشبه الندى فترويت به ثم رأيت نورا أضاء به الوقت وبدت صورة ونوديت منه يا عبد القادر أنا ربك وقد أحلت لك الحرمات أو قال ما حرمت على غيرك فقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أخساً بالعين وإذا ذلك النور ظلام وتلك الصورة دخان ثم خاطبني وقال يا عبد القادر نجوت مني بعلمك وبحكم ربك وفنك في أحوال منازلاتك ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق فقلت لربي الفضل والمنة قليل له كيف علمت أنه شيطان فقال بقره أحلت لك الحرمات فعلت إن الله لا يأمر بالفحشاء انتهى

﴿تثبيات﴾ أحدها أنه يحرم على الرجال استعمال الحرير وما أكثره وزنا منه لا ظهورا ولو باحتاذه بطنانة وبافتراشه بلا حائل أو احتاذه سترا وكذا تزين البيوت والمساجد به أو بصورة وبغيرهما مكروه وكالحرير المزعفر والمعصر

وقال الشيخ على الحارثي سمعت الشيخ أبا القاسم عمر يقول سمعت سيدي الشيخ عبد القادر رحمته الله يقول من استغاث بي في كربة كشفت عنه ومن نادى اسمي بشدة فرجت عنه ومن توسل إلى الله بي في حاجة قضيت حاجته ومن صلى ركعتين يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الإخلاص إحدى عشرة مرة ويصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد السلام من التشهد إحدى عشرة مرة يسلم علي ويذكرني باسمي ويذكر حاجته فانها تنقضي إن شاء الله تعالى وفي رواية ويخطو إلى جهة الشرق نحو قبري إحدى عشرة خطوة أو قال سبع خطوات ويذكرني ويذكر حاجته فانها تنقضي . وينشد من كلامه :

أبدر كني ضيم وأنت ذخيرتي ☆ وأظلم في الدنيا وأنت نصيري

وعار على حامى الحمى وهو منجدي ☆ اذا ضل في اليد اعتال بعيري

وقد جرب ذلك مرارا فصيح رضي الله عنه .

﴿تثبيات أحدها أنه يحرم على﴾ غير المرأة والصبي من ﴿الرجال﴾ والخنثى ﴿استعمال الحرير﴾ ولو قزا وهو نوع من الحرير كمد اللون فهو اعم منه ومن الأبرسم وذلك لأن القز ما قطعه الدودة وخرجت منه حية والأبرسم ما ماتت فيه والحرير بعهما ﴿و﴾ يحرم ﴿ما أكثره وزنا منه﴾ أي من الحرير ﴿لا ظهورا﴾ يعني أن العبرة في الكثرة بالوزن لا بالظهور فالثوب الذي أكثره حرير بالوزن يحرم استعماله وإن لم يظهر الحرير فيه والذي حريره أقل بالوزن لا يحرم استعماله ولو ظهر الحرير فيه قال في شرح الروض خلافا للفتاوى في قوله أن الحرير في المركب حرام وإن قل وزنه وإن استمر لم يحرم وإن كثر وزنه ﴿ولو باحتاذه﴾ أي الحرير ﴿بطانة﴾ أي للعبة أو نحوها قال الفيومي البطانة خلاف الظهارة ﴿وبافتراشه﴾ تحته ﴿بلا حائل﴾ أمام وجود الحائل فيحل له فلوفرش رجل ومثله الخنثى على الفراش الحرير شيئا غير حرير ولو خفيما لم يهل النسج وجلس فوقه جاز كما يجوز جلوسه على مخدة مخشوة بحرير وعلى نجاسة بينه وبينها حائل حيث لم تلاق شيئا من بدن المصلي وثيابه وكما يجوز الجلوس عليه مع الحائل يجوز الاستناد إليه معه ﴿أو احتاذه سترا﴾ فيحرم على من ذكر والتقييد في بعض الأخبار السابقة باللبس والجلوس جرى على الغالب فيحرم باعدهما ﴿وكذا﴾ يحرم ﴿تزين البيوت والمساجد﴾ حتى مشاهد العلماء والصلحاء ﴿به﴾ أي بالحرير ﴿أو بصورة﴾ لعموم الأخبار الواردة فيها نعم يجوز ستر الكعبة بالحرير وكذا المساجد مما أفتى به الغزالي وكلام ابن عبد السلام في فتاويه يميل إليه لكن الأصح كما قال ابن العماد عدم الجواز فيها وهو ما يقتضيه كلام المصنف رحمه الله ﴿و﴾ تزين ذلك ﴿وبغيرهما﴾ أي الحرير والمصور كالثياب ﴿مكروه﴾ لحبر مسلم أن الله لم يأمرنا أن نلبس الجدان واللبن ﴿وكالحرير﴾ فيما ذكر ﴿المزعفر والمعصر﴾ للأخبار الدالة على ذلك ولأنه من زى النساء وقول الشافعي يحرم على الرجل المزعفر دون المعصر قال البيهقي فيه الصواب بتحريم المعصر عليه أيضا للأخبار الصحيحة التي لو بلغت الشافعي لقال بها وقد أوصانا بالعمل بالحديث الصحيح ذكر ذلك في الروضة وغيرها ونقل الزركشي عن البيهقي نصا ثم قال وفيه أن للشافعي نصا يوافق وإن محل النهي عن المعصر إذا صبغ بد النسج لا قبله قال وعليه يحمل اختلاف الأحاديث في ذلك ولا يكره لمن ذكر مصبوغ بغير الزعفران والعصفر سواء الأحمر والأصفر والأخضر وغيرها فعلم جوازه لذلك وأنه يجوز لبس الكتان والقطن والصوف والخز وإن كانت نقية غالية الثمن لأن نقاسمها بالصنعة وبه صرح في الروضة وظاهر كلام الأكرين جواز المصبوغ بالورس لكن نقل الزركشي عن القاضي أبي الطيب وابن الصباغ الخاقه بالمرعفر .

﴿فرع﴾ لو لم يجد الرجل الإثوب حرير لزمه الصلاة فيه قال الأسنوي يلزم قطع ما زاد من الحرير على قدر العورة إن لم ينقص أكثر من أجرة الثوب ويقدم الثوب المتنجس على الحرير في ستر العورة في غير الصلاة ويحرم إنزال ثوبه أو إزاره عن كعبه بقصد الخلاء والإكراه *

* تنبيه * يحل للمرأة لبس الحرير وقد انعقد الإجماع بعد عبد الله ابن الزبير عليه والأصح أن للولي الباسه الصبي ولو بميزا إذا لبس له شهامة تنافي خنثوة الحرير ولعدم تكليفه وللولى تزينه بالحلى من ذهب أو فضة ولو في غير يوم عيد والأصح حل اقتراشها إياه وبه قطع العراقيون وغيرهم ويحل للرجل والخنثى لبسه للضرورة كحرق وبرد مهلكين أو مضرين كالخوف على عضو أو منقعة إزالة للضرر أو فجأة حرب ولم يجد غيره يقوم مقامه للضرورة وجوز ابن كبح اتخاذ القباء وغيره مما يصلح للقتال وإن وجد غير الحرير مما يدفع لما فيه من الهيبة وانكسار الكفار كتحلية السيف ونحوه ونقله في الكفاية عن جماعة وصححه والأوجه عدم الجواز كما هو ظاهر كلام الأصحاب ويجوز له أيضا للحاجة كحرب وحكمة إن أذاه لبس غيره كما شرطه ابن الرفعة لأن النبي ﷺ أرخص لعبد الرحمن بن عوف وابن الزبير في لبسه للحكمة متفق عليه وللحاجة في دفع القمل لأنه لم يقبل بالخاصة وفي الصحيح أن ابن الزبير وعبد الرحمن رضي الله عنهما شكيا القمل إلى رسول الله ﷺ فأرخص لهما في قميص الحرير ويحل المركب من الحرير وغيره أن استويا وزنا فيما ركب منهما في الأصح لأنه لا يسمى ثوب حرير والأصل الحل وفي أبي داود بإسناد صحيح عن ابن عباس قال أمانى رسول الله ﷺ عن الثوب المصمت من الحرير فأما العلم وسدى الثوب فلا بأس به والمصمت الخاص والعلم الطراز ونحوه ولا أثر للظهور خلافا للفتاى كما تقدم ولو شك هل الأكثر الحرير أو نحوه أو هما مستويان حرم كما جزم به في الأنوار.

ويحل لمن ذكر ثوب طرز أو وقع بجزير إذا لم يجاوز كل منهما قدر أربع أصابع مضمومة دون ما يجاوزها لخبر مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما نهى رسول الله ﷺ عن لبس الحرير إلا موضع أصبع أو أصبعين أو ثلاث أو أربع ولو كثرت محالها بحيث يزيد الحرير على غيره حرم والأفلا والتطريز أن يركب على الثوب طراز كله من حرير ويحل حشوجة أو نحوه بالحرير كالمخدة لأن الحشوليس ثوبا منسوجا ولا يعد صاحبه لابس حرير وبهذا فارقته تحريم البطانة فإنه يحرم عليه أن يجعل بطانة الجبة أو نحوه حريرا كما سبق ويحل ما طرف بجزير قدر العادة بأن يجعل طرف ثوبه منسجفا بالحرير بقدر العادة لخبر مسلم عن أسماء بنت أبي بكر أنه ﷺ كان له جبة يلبسها لها لبنة من ديباج وفرجاها مكشوفان بالديباج واللينة بكسر اللام وسكون الباء رقعة في جيب القميص أى طوقه والمكشوف الذي جعل له كلمة بضم الكاف أى سجاى أما ما جاوز العادة فيحرم وفرق بين هذا وبين اعتبار أربع أصابع فيما مر بأن التطريف محل حاجة وقد تمس الحاجة للزيادة على الأربع بخلافه فيما مر فإنه مجرد زينة فيتقيد بالأربع وخرج بالحرير عن التطريز أو التطريف بذهب أو فضة فإنه حرام وإن قل لكثرة الخلاء فيه قال في المجموع ويحل منه أى من الحرير خيط السبحة قال الزركشي ويقاس به لينة الدواة وقال التوراني ويجوز منه كيس المصحف للرجل وتحل خياطة الثوب به ويحل لبسه ولا يجزى فيه تفصيل المضرب لأن الحرير أهون من الأواني.

﴿فرع﴾ لو لم يجد الرجل الإثوب حرير لزمه الصلاة فيه ﴿فإن وجد غيره حرم لبسه﴾ قال الأسنوي يلزم قطع ما زاد من الحرير على قدر العورة إن لم ينقص أكثر من أجرة الثوب ويقدم الثوب المتنجس على الحرير في ستر العورة في غير الصلاة ﴿أما فيها فيقدم الحرير على المتنجس﴾.

﴿ويحرم﴾ على الرجل إطالة العذبة طولا فأنحشا ﴿أنزال ثوبه أو إزاره عن كعبه بقصد الخلاء﴾ أى التكبر ﴿والأ﴾ أى وإن لم يقصد الخلاء ﴿مكره﴾ ذلك لخبر البخاري من جرثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة فقال أبو بكر يا رسول الله إن أزارى يسترخى

وثانيها أنه يحرم عليه استعمال حلي ذهب أو فضة إلا خاتما من فضة فيجوز بل يسن ويحرم تمويهه بالذهب وإن لم يحصل منه شيء بالعرض على النار وكذا جعل شيء من ذهب داخل فضة الذي غطى بنحو بلور صاف

الآن أنما هذه فقال له أنك لست ممن يفعله خيلاء والخبر الصحيحين ما استقل من الكعنين من الإزار ففي النار والخبر الأسبالي في الإزار والقميص والعمامة من جر شيا خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة رواه أبو داود وغيره بإسناد صحيح على ما في المجموع وحسن على ما في الروضة والسنة أن تكون العذبة بين الكعنين كما أفتى به النووي للإتباع رواه مسلم وسيأتي ويسن تقصير الكم لأن كنهه ﷺ كان إلى الرضع رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن ويجوز لبس العمامة بارسال طرفها وبدونه ولا كراهة في واحد منهما ولم يصح في النهي عن ترك إرساله شيء وصح في إرخائه خبر مسلم عن عمرو بن حريث قال كآني أنظر إلى رسول الله ﷺ وعليه عمامة سوداء فقد أرخى طرفها بين كفيه أما المرأة فيجوز لها إرسال الثوب على الأرض لخبر من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة فقالت أم سلمة كيف تصنع النساء بذيولهن قال يرخين شبرا قالت أذن تنكشف أقدامهن قال فيرخينه ذراعا لا يزدن عليه رواه أبو داود والترمذي وقال حديث صحيح ذكر ذلك في المجموع والأوجه أن ابتداء الذراع من الحد المستحب للرجال وهو انصاف الساقين لامن الكعنين ولامن أول مايس الارض قال الزركشي طي الثياب فقد روى الطبرني بأسانيد ضعاف خبرا طورا ثيابكم ترجع إليهم أرواحها فان الشيطان إذا وجد الثوب نظوا ما يلبسه وإذا وجد مشورا لبسه وخبر إذا طويتم ثيابكم فاذكروا اسم الله لا يلبسها الجن بالليل وأنتم بالنهار فتبلى سريعا .

* فرع * يجوز بلا كراهة لبس القميص والقباء والفرجية ونحوها مزرورا ومحلول الإزار إذا لم تبد عورته ذكره في المجموع قال ابن عبد السلام وأفرط توسعة الثياب والأكمام بدعة وسرف وتضييع للمال ولا بأس بلبس شعار العلماء ليعرفوا بذلك فيسألوا فأنى كنت محرما فأنكرت على جماعة محرمين لا يعرفونني ما أدخلوا به من آداب الطوائف فلم يقبلوا فلما لبست ثياب الفقهاء وأنكرت عليهم ذلك سمعوا وأطاعوا فاذا لبسها فمثل ذلك كان فيه اجود لأنه سبب لاستئثار الله تعالى والانتها عما نهى الله عنه .

﴿وثانيها﴾ أي التنيهاث ﴿أنه﴾ أي الحال والشأن ﴿يحرم عليه﴾ أي على الرجل ﴿استعمال حلي ذهب أو فضة﴾ فيحل الذهب والفضة بلا سرف لامرأة وصبي اجماعا في نحو السوار ﴿الاخاتما من فضة فيجوز بل يسن﴾ للرجل لبس خاتم الفضة في خنصر يمينه وفي خنصر يساره للإتباع رواه الشيخان ولبسه في اليمن أفضل لأنه زينة واليمن أشرف ويجوز لبسه فيهما معا بنص وبدونه وجعل النص في باطن الكف أفضل للأخبار الصحيحة فيه ويجوز نقشه وإن كان فيه ذكر الله تعالى ففي الصحيحين كان نقش خاتمه صلى الله عليه وسلم محمد رسول الله ولا كراهة فيه قال ابن الرقعة وينبغي أن ينقص الخاتم عن مثقال وصوبه الأذرع عن الخبر أبي داود أنه صلى الله عليه وسلم قال لرجل وجده لا لبس خاتم حديد مالى أرى عليك حلية أهل النار فطرحه فقال يا رسول الله من أى شيء أخذه قال من ورق ولا تبلغه مثالا انتهى والخبر ضعفه النووي في شرحي المذهب ومسلم فينبغي الضبط بما لا يعد إسرافا في العرف كما اقتضاء كلامهم وصرح به الخوارزمي وغيره في الخلخل وقال أقيت بذلك كذا في الروض وشرحه ﴿ويحرم تمويهه﴾ أي الخاتم بالذهب وإن لم يحصل منه شيء ﴿أي منسول﴾ بالعرض على النار وكذا ﴿يحرم﴾ جعل شيء من ذهب داخل فضة ﴿أي الخاتم﴾ قال النووي فص الخاتم ما يركب فيه من غيره وجفه فصوص مثل فلوس قال ابن الفارابي وابن السكيت وكسر الفاء رديء ﴿الذي غطى﴾ بالبناء للمفعول ﴿بنحو بلور صاف﴾ في المصباح البلور حجر معروف وأحسنه ما يجلب من جزائر الزنج وفيه لغتان كسر الباء مع فتح اللام مثل سنور وفتح مع ضم اللام وهي مشددة فيهما مثل تنور .

ويحرم على المكلف ولو امرأة استعمال وتزيين بآناء وإن صغر جدا ومكحلة ومرود وخلال وما يخرج به وسخ الأذن من ذهب أو فضة وكذا اقتناؤها وتآلتها أن تشبه الرجال بالنساء فيما يختص بهن عرفا غالبا من لباس أو كلام أو حركة وعكسه حرام فمن التشبه المحرم خضب الرجل يده وزجله بالحناء بغير عذر واستعمال الرجل الثياب والكواشي التي فيها خيوط القصب ولو يسيرا لأنه من زينة النساء المختصة بهن فمن فعله من الرجال صار مشبها بهن ملعونا على لسان نبيه ﷺ ومحروما من حلية الجنة ألبيسنا الله تعالى بمنه وكرمه حلية الجنة

﴿ويحرم على المكلف﴾ وهو البالغ العاقل ﴿ولو امرأة﴾ أشار بالغاية إلى دفع توهم القياس على الحللى المباح لها وجرى كافة الأصحاب على إطلاق التحريم على الرجال والنساء كما في المطلب ونقله العلامة الكردي ﴿استعمال وتزيين بآناء﴾ معمول من الذهب أو فضة ولا فرق في هذه الحرمة بين الخلوة وغيرها إذا الخلاء موجودة على تقدير الإطلاع عليه وعلّة التحريم فيهما مركبة من العين والخلاء كما يدل عليه كلامهم فالخلاء جزء علة أو شرط إفاده في النهاية قال في حواشي الروض الفرق بين شرط العلة وشرطها أن شرط العلة الوصف المناسب أو المتضمن لمعنى مناسب وما ينفق عليه الحكم ولا يناسب هو الشرط قاله الغزالي في شفاء العليل قال علي الشبر الملسي ولا ينافيه قول الرملي مركبة وإن كان ظاهرا في أن كلاما من العين والخلاء جزء لجواز أن يريد بالتركيب أن كل واحدة علة حتى يبقى الحكم ببقائهما ذكره بعض المحققين ﴿وإن صغر﴾ الأناء المستعمل أو المتخذ زينة ﴿جدا﴾ حتى تساوى الضبة المباحة فلا فرق بين الأناء الصغير والكبير في الحرمة ﴿وذلك الأناء الصغير نحو﴾ مكحلة ﴿بضم الميم والحاء﴾ قال بعضهم وجميع أسماء الآلة بكسرا ولها كبرودة ومغرفة وملعة ونحو ذلك الاثلاثة فالضم وهي مسعط ومشط ومكحلة بناء على إحدى اللغتين في مسعط ومشط من ضم الميم فيهما والالا فقيهما لغة أخرى بكسر الميم في كل منهما وأما المكحلة فهي بضم الميم لا غير ﴿ومرود﴾ أي لغير حاجة الخلاء ﴿وخلال﴾ بكسر الخاء المعجمة بوزن كتاب ما يخلل به الأسنان قال بعضهم وفي جعل الخلال من الأناء مساححة بخلاف الميل لأنه يحمل الكحل فيعد آناء بهذا الاعتبار وقد يقال الخلال أيضا يعمل ما بين الأسنان من أثر الطعام ومثله المسمى به الآن ﴿و﴾ هو ﴿ما يخرج به وسخ الأذن﴾ وكل ذلك ﴿من ذهب أو فضة وكذا﴾ يحرم ادخار أو أنى الذهب والفضة ﴿واقتناؤها﴾ من غير استعمال لأنه جرد إلى استعمالها المحرم وما أدى إلى معصية له حكمها وإنما جاز اتخاذ نحو ثياب الحرير بالنسبة للرجل على خلاف ما أفتى به ابن عبد السلام الذي استوجبه بعضهم لأن للنفس ميلا ذاتا لذلك أكثر بأن كان اتخاذه مظنة استعماله بخلاف غيره كذا نقله بعض المحققين عن التحفة.

﴿وتآلتها﴾ أي التبيهاات ﴿أن تشبه الرجال بالنساء﴾ فيما يختص بهن عرفا غالبا من لبس أو كلام أو حركة أو نحو ذلك ﴿وعكسه﴾ أي تشبه النساء بالرجال ﴿محرم فمن التشبه المحرم﴾ خضب الرجل يده وزجله بالحناء بغير عذر واستعمال الرجل الثياب والكواشي ﴿جمع كوفية وهي غطاء الرأس﴾ التي فيها خيوط القصب ولو يسيرا لأنه من زينة النساء المختصة بهن فمن فعله من الرجال صار مشبها بهن ملعونا على لسان نبيه ﷺ و﴿صار﴾ محروما ﴿من حلية الجنة﴾ أي زينتها ﴿ألبيسنا الله تعالى﴾ جملة دعائية ﴿وبمنه وكرمه حلية الجنة﴾.

* خاتمة * نسأل الله حسنتها يجب على الزوج أن يمنع زوجته عما تقع فيه من التشبه بالرجال في مشية أو لبسة أو غيرهما خوفا عليها من اللعنة بل وعليها أيضا فانه إذا أقرها أصابه ما أصابها واستألا لقوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا التي بتعليمهم وتأديبهم وأمرهم بطاعة ربهم وفهم عن معصية ولقول نبيه ﷺ كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته الرجل في أهله راع وهو مسؤول عنهم يوم القيامة وفي الحديث أن هلاك الرجال طاعتهم لسانهم ومن ثم قال الحسن والله ما أصبح اليوم رجل يطع امرأته فيما تهوى الاكبة الله في النار والله أعلم

﴿باب عيادة المريض﴾

﴿أخرج﴾ مسلم إن الله تعالى يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أنا علمت أنك عدته لوجدتني عنده أي لوجدت عنده ثوابي الذي لانهاية لعظمه *

﴿باب﴾ فضيلة ﴿عيادة المريض﴾ ومطلوبتها وما يقوله العائد له وغير ذلك.

اعلم أن أصل عيادة عوادة بالواو فقلت الواو ياء لكسرة ما قبلها ويقال عدت المريض أعوده عيادة إذا زرته وسألت عن حاله والأكثر في الاستعمال أن يقال في المريض عاد وفي الصحيح زار أفاده بعض شرح البخاري ﴿أخرج مسلم﴾ عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ﴿إن الله تعالى يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال﴾ عز وجل ﴿أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده﴾ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ﴿قال العلماء﴾ إنما أضاف المرض إليه سبحانه وتعالى والمراد العبد تشريفا للعبد وتقربا له قالوا ومعنى لوجدتني عنده ﴿أي لوجدت عنده ثوابي﴾ أي وكرامتي ﴿الذي لانهاية لعظمه﴾ ويدل عليه قوله تعالى في تمام الحديث لو أطعته لوجدت ذلك عندي ولو أسقيته لوجدت ذلك عندي أي ثوابه وأخرج أحمد وابن حبان وغيرهما عن أبي سعيد الخدري عودوا المريض واتبعوا الجنائزة تذكركم الآخرة ومسلم عن ثوبان عائد المريض يمشي في مخرفة الجنة حتى يرجع وأحمد والطبراني عائد المريض يخوض في الرحمة فإذا جلس عنده غمرته الرحمة ومن تمام عيادة المريض أن يضع أحدكم يده على وجهه أو على يده فيسأله كيف هو وتنام تحيكم بينكم المصافحة والديلمي عن أبي أمامة إذا عاد أحدكم مريضا فلا يأكل عنده شيئا فإنه حظه من عيادته والبيهقي عن أنس بن مالك العيادة فواق ناقة أي زمان عيادة المريض قدر فواق ناقة وهو ما بين الحلبتين والفواق بضم الفاء وفتحها الزمان الذي بين الحلبتين لأن الناقة تحلب ثم تترك سريعة يرضعها الفاضل لدر وتحلب والديلمي عن جابر أفضل العيادة أجرا سرعة القيام من عند المريض أي أفضل عيادة أن يكون يعود العائد عنده فواق ناقة لأنه قد يبدو للمريض حاجة وهذا في غير متعهده ومن يأنس به كذا في السراج المنير والحاكم عن أبي عمرو ابن العاص إذا عاد أحدكم مريضا فليقل اللهم اشف عبدك ينكأ لك عدوا أو يمشي لك إلى صلاة وفي رواية إلى جنازة أي إذا عاد مسلما في مرضه فليقل في دعائه له ندبا اللهم اشف عبدك إلى آخر قوله ينكأ بفتح المثناة التحتية وسكون النون وفتح الكاف وبالهزة وتركه أي يخرج ويؤلم من النكاية بكسرها النون وهي القتل والآن تخان وقوله عدوا أي من الكفار أما إذا عاد كافرا فلا يمكن الدعاء له بذلك وإن جازت عيادته.

وفي شرح الباب قال عثمان رضي الله عنه مرضت فعادني رسول الله ﷺ فقال بسم الله الرحمن الرحيم أعيدك بالله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد من شر ما تجد قالها مرارا ودخل صلى الله عليه وسلم على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو مريض فقال له قل اللهم اني أسئلك تعجيل عافيتك أو ضرا على بليتك أو خروجا من الدنيا إلى رحمتك فانك ستعطى وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال من عاد مريضا فكأنما صام يوما في سبيل الله تعالى اليوم بسبعمائة يوم ومن تبع جنازة فكأنما صام يوما في سبيل الله تعالى اليوم بسبعمائة يوم وروى أن رجلا جاء إلى أم الدرداء رضي الله عنها فشكا إليها المساواة من قلبه قالت هي أعظم الداء ولكن عد المريض وشيع الجنائزة وأطلع في القبر ففعل فكانه رأى من نفسه ما يسره فرجع إليها فقال جزاك الله خيرا ذكره أبو الليث السمرقندي.

والطبراني إن العائد يظله الله بخمسة وسبعين ألف ملك * والبخاري في الأدب ثلاث كلهن حق على كل مسلم عيادة المريض وشهود الجنائز وتسميت العاطس إذا حمد الله تعالى * وأحمد إذا عاد الرجل أخاه المسلم فإن كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي وإن كان عشيا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح * (تنبيه) إن العيادة مطلوبة إجماعا وإنها سنة عين عند الجمهور وفرض كفاية عند بعض قد ماء المالكية وصرح البخاري بوجوبها ولا يسن عيادة الفاسق المتجاهر بفسقه بل يكره أو يحرم لتصريحهم بحرمة إيناسه ولو بالجلوس معه ويكره عيادة ذي بدعة دينية

﴿و﴾ أخرج الطبراني إن العائد يظله الله بخمسة وسبعين ألف ملك ﴿و﴾ وفي الأحياء عنه ﷺ من عاد مريضا قعد في محارف الجنة حتى إذا قام وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى الليل . ﴿و﴾ أخرج البخاري في الأدب ﴿و﴾ عن أبي هريرة باسناد حسن كما في العزيزي ﴿ثلاث كلهن حق على كل مسلم عيادة المريض﴾ أي زيارته ولورمدا خلافا لبعض الأئمة ولو في أول يوم خلافا لمن قيد بعد الثلاث ﴿وشهود الجنائز﴾ أي حضور جنازة المسلم والذهاب للصلاة عليه ودفنه ﴿وتسميت العاطس إذا حمد الله تعالى﴾ بأن يقول يرحمك الله فإن لم يحمد لم يسمه ويسن تنبيهه على الحمد بأن يقول قل الحمد لله فإذا حمد شتمه . ﴿و﴾ أخرج أحمد إذا عاد الرجل أخاه المسلم ﴿هذا شرط في سن العيادة وهو في معتبر في المعاد وأطلق في المعيد فقضية أنه يستحب منه ولو كافرا لأنه مخاطب بفروع الشريعة أفاده بعض المحققين ﴿فإن كان﴾ ما فعله من العيادة ﴿غدوة صلى﴾ أي استغفر ﴿عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي﴾ أي دخل في المساء ﴿وإن كان عشيا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح﴾ أي دخل في الصباح

﴿* تنبيه *﴾ إن العيادة مطلوبة إجماعا وإنها سنة عين عند الجمهور ﴿و﴾ أنها ﴿فرض كفاية عند بعض قد ماء المالكية وصرح﴾
 امام المحدثين الشيخ اسماعيل ﴿البخاري بوجوبها﴾ ونقل النووي الإجماع على عدم الوجوب يعني على الأعيان فقد يجب على الكفاية كاطعام الجائع وفك الأسير واطلاق البخاري وجوب العيادة عملا بظاهر الأمر في حديث ذكره في صحيحه عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله ﷺ أطعموا الجائع وعودوا المريض الحديث قال شارحه في كل مرض وفي كل زمن من غير تقييد بوقت وعند أبي داود وصححه الحاكم من حديث زيد بن أرقم عাদني رسول الله ﷺ من وجع كان بعيني وجيند فاستثناء بعضهم من العموم عيادة الأرمد معلل بأن العائد يرى ما لا يراه الأرمد متعقب بأنه قد يأتي مثل ذلك في بقية الأمراض كالمغص عليه والاستدلال للمنع بحديث البيهقي والطبراني مرفوعا ثلاثة ليس لهم عيادة العين والدم والضرر ضعيف لأن البيهقي صحح أنه موقوف على يحيى بن أبي كثير وخزم الغزالي في الأحياء بأن المريض لا يعاد إلا بعد ثلاث مستند الحديث أنس عند ابن ماجه كان النبي ﷺ لا يعود مريضا إلا بعد ثلاث تعقب بأن الحديث ضعيف جدا لأنه تفرد به مسلمة بن علي وهو متروك وسئل عنه أبو حاتم فقال حديث باطل لكن الحديث شاهد من حديث أبي هريرة عند الطبراني في الأوسط وفيه راو متروك أيضا قاله في الفتح وقال شيخنا الشمس البخاري وللحديث أيضا طرق أخرى بمنجذرها يتوى ولهذا أخذ به النعمان بن أبي عياش الرزقي أحد التابعين من فضلاء أبناء الصحابة فقال عيادة المريض بعد ثلاث والا عمش ولفظه كما تقعد في المجلس فإذا فقدنا الرجل ثلاثة أيام سألنا عنه فإن كان مريضا عدناه وهذا يشعر بعدم انفراد وليس في صريح الأحاديث ما يخالفه .

﴿ولا يسن عيادة الفاسق المتجاهر بفسقه بل يكره أو يحرم﴾ ذلك ﴿تصريحهم بحرمة إيناسه ولو﴾ كان الإيناس ﴿بالجلوس معه﴾ أي الفاسق المذكور ﴿ويكره عيادة ذي بدعة دينية﴾ وأهل الفجور والمكسر إذا لم تكن قرابة ولا جوار ولا وجه توبة لأنهم موردون

إلا من عالم يترتب على عيادته له إغراء العامة على اتباعه وحسن طريقته فيحرم عليك ذلك وضابط المرض الذي يسن العيادة منه ما
يسح ترك الجمعة ولو رمدا بأن يكون مشقة الخروج والمشي معه كمشقة المشي في الوحل فلا أثر لصدايح ووجع ضرر خفيفين وقال متأخرو
أئمتنا إن العيادة يوم الجمعة أفضل منها في غيره ويسن للعائد أن يطيب نفسه بذكر بعض ثواب المرض والصبر عليه وأن يحصل مشتهاه إن لم
يضره وأن لا يعترض عليه في الأئمن وقد غلطوا من أطلق كراهته نعم إن أمكنه أن يرشده بلطف إلى أن الذكر أولى فعل

بجرحهم فإن كان كذلك سنت عيادته لما في البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه
النبي ﷺ يعود فقعده عند رأسه فقال أسلم فظفر إلى أبيه وهو عنده فقال له أطلع أبا القاسم فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول الحمد لله
الذي أنقذه من النار ﴿الا﴾ استثناء من قوله ويكره ﴿من عالم يترتب على عيادته له﴾ أي لمن ذكر من صاحب البدعة ومن بعده
﴿إغراء العامة﴾ واغوائهم ﴿على اتباعه وحسن طريقته فيحرم عليه﴾ أي على العالم ﴿ذلك﴾ أي العيادة.

﴿وضابط المرض الذي يسن العيادة منه﴾ قال بعض شراح البخاري والمرض خروج الجسم عن الجري الطبيعي ويعبر عنه بأنه
حالة تصدر بها الأفعال خارجة عن الموضوع لها غير سليمة ﴿ما يسح ترك الجمعة ولو رمدا﴾ وهو وجع العين ﴿بأن يكون مشقة
الخروج والمشي معه﴾ أي مع المرض ﴿كمشقة المشي في الوحل﴾ بفتح الحاء جمعه أحوال مثل سبب وأسباب واستوحل المكان
صار ذا وحل وهو الطين الرقيق كما في المصباح ﴿فلا أثر لصدايح﴾ وهو وجع الرأس ﴿ووجع ضرر خفيفين﴾ أي فلا تسن العيادة لذلك
﴿وقال متأخرو أئمتنا أن العيادة يوم الجمعة أفضل منها﴾ أي من العيادة ﴿في غيره﴾ أي يوم الجمعة من سائر الأيام .

* تنبيه * ولكن العيادة غبا فلا يواصلها كل يوم إلا أن يكون مغلوبا وحل ذلك في غير القرب والصديق ونحوهما ممن يتأسر
بالمريض أو يترك به أو يشق عليه عدم رؤيته كل يوم أما هؤلاء فيواصلونها ما لم ينهوا أو يعلموا كراهته لذلك ذكر ذلك في المجموع ويخفف
الكتكث عنده بل تكره أطالته لما فيه من اضطجاره ومنعه من بعض تصرفاته نعم إن فهم منه الرغبة فيها فلا كراهة قاله الأذرعى فإن خاف
عليه الموت رغبة في التوبة والوصية وتكره عيادته إن شئت عليه ﴿ويسن للعائد أن يطيب نفسه﴾ أي تطيب نفس المريض بموضه لخير
الترمذي وابن ماجه بإسناد ضعيف عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا دخلتم على مريض فتنفسوا له في
أجله فإن ذلك لا يرد شيئا ويطيب نفسه والتطيب المذكور ﴿بذكر بعض﴾ ما ورد من الأخبار والآثار في ﴿ثواب المرض والصبر
عليه﴾ كخبر من مرض ليلة فصرور رضي بها عن الله خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه وقاله
بعضهم إن ساعة أو يوما منه خير عنده من قيامه أربعين سنة وأنه يعقبه الفرج وإنما من تعب الأوله عند الله الفرج ﴿وإن يحصل﴾ العائد
﴿مشتهاه﴾ أي المريض من طعام أو مشروب أو غيرهما ﴿أن لم يضره﴾ ذلك ﴿وإن لا يعترض عليه﴾ أي على المريض ﴿في الأئمن﴾ قال
في المجموع والصواب أنه لا يكره وإن صرح بكراهته جماعة لأنه لم يثبت فيه نهى مقصود بل في البخاري إن عائشة قالت وارساء فقال النبي
ﷺ بل أنا وارساء لكن الاستغفار بالتسبيح ونحوه أولى منه فهو خلاف الأولى ولعله مرادهم كما أشار إليه بقوله ﴿وقد غلطوا من أطلق
كراهته نعم﴾ لا يعترض عليه في الأئمن ﴿إن أمكنه﴾ أي العائد ﴿أن يرشده﴾ أي المريض ﴿بلطف إلى أن الذكر أولى فعل﴾ إرشاده إلى
ذلك قال الحافظ في الفتح وجملة آداب عيادة المريض عشرة أشياء ومنها ما لا يختص بالعيادة أن لا يقبل الباب عند الاستذان وإن يدق
الباب برفق وأن لا يبهيم نفسه بأن يقول أنا وأن لا يحضر في وقت غير لائق بالعيادة كوقت شرب المريض الدواء وأن يخفف الجلوس وأن يفض
البصر وأن يقلل السؤال وأن يظهر الرقة وأن يخلص الدعاء وأن يوسع للمريض في الأمل ويعينه عليه بالبصر كما فيه من جزيل الأجر

بأن يسأل المريض الدعاء له لصحة الخبر بالأمر به وأنه كدعاء الملائكة وصح أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل على مريض قال لا
أش طهور إن شاء الله أي مرضك يطهر من الذنوب * وصح أيضا أن من قال أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يعافيك ويشفيك سبع
مرات عند مريض لم يحضره أجله عافاه الله من مرضه وينبغي فتح الكاف في المؤنث مريدا الشخص إتياعا للفظ الوارد

ويحذره من الجرع لما فيه من الوزر انتهى قال في المجموع ويستحب لأهله وخادمه الرقيق به واحتماله والصبر عليه وكذا من قرب موته
بسبب حد أو نحوه ويستحب للأجنبي أن يوصيهم بذلك وأن يحسن المريض خلقه وأن يجتنب المنازعة في أمور الدنيا وأن يسترضى من
له به علة كزوجته وأولاده وعلمائه وخيراته وأصدقائه وأن يتعهد نفسه بقراءة القرآن والذكر وحكايات الصالحين وأحوالهم عند الموت
وأن يوصي أهله بالصبر عليه ويترك النوح عليه واكتار البكاء ونحوهما بما جرت به العادة من البلوغ في الجنائز ويستحب طلب الدعاء منه
ووعظه بعد عافيه وتذكيره الوفاء بما عاهد الله عليه من التوبة وغيرها من الخير وينبغي له هو الحافظة على ذلك قال تعالى وأوفوا بالعهد
أن العهد كان مسؤولا وأشار المصنف إلى سنة طلب الدعاء من المريض بقوله ﴿وَأَنْ يَسْأَلَ﴾ العائد ﴿المريض الدعاء له﴾ أي العائد
﴿لصحة الخبر بالأمر﴾ بذلك ﴿وأنه﴾ أي دعاء المريض ﴿كدعاء الملائكة﴾ قال النووي وروينا في سنن ابن ماجه وكاتب ابن السني
باسناد صحيح أو حسن عن ميمون بن مهران عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ إذا دخلت على مريض فمعه
فلدع لك فان دعاءه كدعاء الملائكة لكن ميمون بن مهران لم يدرك عمر ﴿وصح﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما كما في البخاري
﴿أنه﴾ كان إذا دخل على مريض ﴿حال كونه يعود﴾ قال ﴿عليه الصلاة والسلام له﴾ لا بأس ﴿عليك هو﴾ طهور إن شاء الله أي
مرضك يطهر ﴿أي مطهر لك﴾ من الذنوب ﴿تمام الحديث﴾ قال أي الاعرابي قلت طهور كلابل هي حمى تنور أو شور على شيخ كبير
تبره القبور فقال النبي ﷺ فتعبد إذا قال بعض شراح البخاري الفاء مرتبة على محذوف وإذا جواب وجزاء ونعم تقرير لما قال أي إذا أيت
كان كما ظننت وقال في شرح المشكاة يعني أرشدك بقولي لا بأس عليك أي أن الحمى تطهرك وتنقي ذنوبك فاصبروا شكري الله عليها
فأيت إلا اليأس والكفران فكان كما زعمت وما اكتفيت بذلك رددت نعمة الله عليه قاله غضبا عليه وقال ابن التين يحتمل أن يكون دعاء
عليه وأن يكون خبرا عما يؤول إليه أمره وقال غيره يحتمل أن يكون ﷺ علم أنه سيموت من ذلك المرض فدعاه بأن تكون الحمى طهرة
لذنوبه فأصبح ميتا ﴿وصح﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ كما في سنن أبي داود والترمذي ﴿أيضا﴾ أي كالحديث
السابق ﴿أن من قال أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يعافيك ويشفيك﴾ بفتح أوله ﴿سبع مرات عند مريض لم يحضره أجله﴾ أي
مدة موته ﴿عافاه الله من مرضه﴾ قال الترمذي حديث حسن وقال الحاكم أبو عبد الله في كتابه المستدرک على الصحيحين هذا
حديث صحيح على شرط البخاري ﴿وينبغي فتح الكاف في المؤنث مريدا الشخص إتياعا للفظ الوارد﴾ في هذا الحديث قال النووي
في الأذكار وروينا في صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا شفي
الإنسان الشيء منه أو كانت قرحة أو جرح قال النبي ﷺ بأصبعه هكذا ووضع سفيان بن عيينة الراوي سبابه بالأرض ثم رفعها وقال
بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى به سقيمتنا بآذن ربنا وفي رواية تربة أرضنا وريقة بعضنا قلت قال العلماء يعني بريقة بعضنا أي
ببصاقه والمراد بصاق بني آدم قال ابن فارس الرقيق ريق الإنسان وغيره وقد يؤنث فيقال ريقة وقال الجوهرى في صحاحه الريقة أصح من
الرقيق وروينا في صحيحهما عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعود بعض أهله يمسح يده اليمنى ويقول اللهم
رب الناس أذهب البأس آشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما وفي رواية كان يرقى يقول آمسح بالبأس رب الناس

﴿خاتمة﴾ في ثواب المريض أخرج الشيخان ما يصاب المؤمن من نصب أي تعب ولا وصب أي مرض ولا هم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها *

بيدك الشفاء لا كاشف له إلا أنت وروينا في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أنه قال لثابت رحمه الله ألا أريك برقة رسول الله ﷺ قال بلى اللهم رب الناس مذهب الباس أشف أنت الشافي لا شافي إلا أنت شفاء لا يغادر سقما قلت معنى لا يغادر أي لا يترك والباس الشدة والمرض وروينا في صحيح مسلم رحمه الله عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أنه شكى إلى رسول الله ﷺ وجعا يجده في جسده فقال له رسول الله ﷺ ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما لجد وأحاذر وروينا في صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قال عاذني النبي ﷺ فقال اللهم أشف سعدا اللهم أشف سعدا اللهم أشف سعدا وروينا في كتاب الترمذي عن علي رضي الله عنه قال كنت شاكيا فمر بي رسول الله ﷺ وأنا أقول اللهم إن كان أجلى قد حضر فأرحني وإن كان متأخرا فرفعني وإن كان بلاء فصببرني فقال رسول الله ﷺ كيف قلت فأعاد عليه ما قال فضر به برجله وقال عافه أو أشفه شك شعبة قال فما اشتكيت وجمعي بعد قال الترمذي حديث حسن صحيح وروينا في صحيح مسلم وكب الترمذي والنسائي وابن ماجه بالأسانيد الصحيحة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال يا محمد اشتكيت قال نعم قال بسم الله أريك من كل شيء يؤذيك من كل نفس أو عين حاسد اللهم يشفك بسم الله أريك قال الترمذي حديث حسن صحيح وروينا في كتاب ابن السني عن سلمان رضي الله عنه قال قال عاذني رسول الله ﷺ وأنا مريض فقال يا سلمان شفى الله سقمك وغفر ذنبك وعافاك في دينك وجسدك إلى مدة أجلك .

* خاتمة * نسأل الله حسناتها ﴿في﴾ بيان ﴿ثواب المريض أخرج الشيخان﴾ عن أبي سعيد الخدري وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال ﴿ما يصاب المؤمن من نصب أي تعب ولا وصب أي مرض﴾ أو مرض دائم ملازم ﴿ولا هم﴾ بفتح الهاء وتشديد الهميم ﴿ولا حزن﴾ بفتح الحين أو بضم فسكون قال في الفتح هما من أمراض الباطن ولذا مساع عطنها على الوصب انتهى وقيل الهم يختص بما هوأت والحزن بما مضى زاد البخاري ولا أذى ولا غم ﴿حتى الشوكة﴾ جوز أبو البقاء فيه الجر على أن حتى جارة بمعنى إلى والنصب بفعل محذوف أي يجد الشوكة ﴿يشاكها﴾ قال بعض شراح البخاري بضم أوله أي يشوكة غيره بهاتفيه وصل الفعل لأن الأصل يشاك بها وقاله السفاسي حقيقة قوله يشاكها أي يدخلها غيره في جسده يقال شكته أشوكة قال الأضمرى ويقال شاكنى تشوكنى إذا دخلت هي ولو كان المراد هذا القيل تشوكة ولكن جعلها هي مفعولة وهذا يرده ما في مسلم من رواية هشام بن عروة ولا يصاب المؤمن شوكة فأضاق الفعل إليها وهو الحقيقة ولكنه ويمنع إرادة المعنى الأعم وهو أن تدخل هي بغير إدخال أحد أو بفعل أحد ﴿الاكراهة﴾ بها من خطاياها ﴿ولا بن حبان﴾ الأرفعه الله بها درجة وخط عنه بها خطيئة وفيه حصول الثواب ورفع العقاب وفي حديث عائشة عند الطبراني في الأوسط بسند جيد من وجه آخر ما ضرب على مؤمن عرق الاخط الله به عنه خطيئة وكب له به حسنة ورفع له درجة وفي حديث عائشة عند الإمام أحمد وصححه أبو عوانة والحاكم أن رسول الله ﷺ طرقه وجع فجعل ينقلب على فراشه ويشكى فقالت له عائشة لوضع هذا بعضنا لو حدث عليه فقال إن الصالحين يشدد عليهم وإنه لا يصاب المؤمن نكبة تشوكة الحديث وفيه رد على قول القائل إن الثواب والعقاب إنما هو على الكسب والمصائب ليست منه بل الأجر على الصبر عليها والرضا بها فإن الأحاديث الصحيحة صريحة في ثبوت الثواب بمجرد حصولها وأما الصبر فقد رزاند ولكن الثواب عليه زيادة على ثواب المصيبة .

وأبو داود إن المؤمن إذا أصابه السقم ثم عافاه الله منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل وإن المنافق إذا مرض ثم عوفي كان كالغير عقله أهله ثم أرسلوه فلم يدرك عقلوه ولم يدرك أرسلوه *

﴿و﴾ أخرج ﴿أبو داود﴾ عن عامر الرامي بيا بعد الميم ويقال بتخفيف الياء وهو الأكثر سمي بذلك لأنه كان حسن الرمي وكان أرمي العرب ﴿إن المؤمن إذا أصابه السقم﴾ بضم فسكون ويفتحين أي المرض ﴿ثم عافاه الله منه﴾ أي بأن لم يكن ذلك مرض موته وفي رواية ثم عفى بالبناء للمفعول ﴿كان﴾ أي مرضه ﴿كفارة لما مضى من ذنوبه﴾ وهذا كما قاله بعض الشراح يشمل الكبائر أي على مذهب بعضهم والراجح أن الكبائر لا بد لها من التوبة والكفارة صيغة مبالغة من الكفر بمعنى التغطية ومعناه أن ذنوب المؤمن تغطي بما يقع له من ألم المرض أفاده بعض شراح البخاري ﴿وموعظة له فيما يستقبل﴾ قال المناوي لأنه لما مرض عقل أن سبب مرضه ارتكابه الذنوب فتاب منها فكان كفارة لها ﴿وإن المنافق إذا مرض ثم عوفي﴾ أي عافاه الله من مرضه ﴿كان كالغير عقله أهله﴾ أي أصحابه لكونه ضارا بعض الناس ﴿ثم أرسلوه﴾ أي أطلقوه من عقاله ﴿فلم يدرك عقلوه﴾ أي لأي شيء فعلوا به ذلك لأنه ليس من العقلاء ﴿ولم يدرك أرسلوه﴾ فكذلك المنافق إذا مرض ثم عوفي ولم يدرك ذلك لشدة غفلة كان كالغير الذي لا عقل له فهو لا يذكر الموت ولا يعظ بما حصل له ولا يستيقظ من غفلة قال المناوي لأن قلبه مشغول بحب الدنيا ومشغول بلذاتها وشهواتها ولا ينجع فيه سبب الموت ولا يذكر حسرة الموت انتهى فيحتمل أن المراد بالتناق التناق الحقيقي ويحتمل أن المراد العملي.

وأول الحديث كما في أبي داود عن عامر الرامي قال أني لبلادي أذرفت لئارايات وألوية فقلت ما هذا قالوا هذا لواء رسول الله ﷺ فأتية وهو تحت شجرة قد بسط له كساء وهو جالس عليه وقد اجتمع عليه أصحابه فجلست إليهم فذكر رسول الله ﷺ الاسقام فقال إن المؤمن فذكره وبعد لفظ النبوة فقال رجل من حوله يا رسول الله وما الاسقام والله ما مرضت قط فقال قم عنا فجلست منا أي لست على طرقتنا وعادتنا فيمتحن عنده إذا قبل رجل عليه كساء وفي يده شيء قد ألف بعض الكساء عليه فقال يا رسول الله اني لما رأيتك أقبلت فمررت بغیضة شجر فسمعت فيها اصوات فراخ طائر فأخذتهن فوضعتهن في كسائي فجاءت أمهن فاستدارت على رأسي فكشفت لها عنهن فوقعت عليهن نعى فلففتهن بكسائي فهن أولاء معي قال ضعهن عنك فوضعهن وأبت أمهن الا لزومهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه أتعجبون لرحم أم الافراخ فراخها ورحم بضم الراء يعني الرحمة قالوا نعم يا رسول الله قال والذي بعثني بالحق لله أرحم بعباده من أم الافراخ ارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن وأمن معهن فرجع بهن .

* تنبيه * إذا أرسل الشخص صيدا مملوكا لم يحز لما فيه من التشبيه بفعل الجاهلية وقد قال الله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولأنه قد يختلط بالمباح فيصاد ولم يزل ملكه عنه وإن قصد بذلك التقرب إلى الله تعالى ويستثنى من عدم الجواز إذا خيف على ولده بحبس ما صاده فيجب الإرسال صيانة لروحه ويشهد له حديث الغزاة التي أطلقها النبي صلى الله عليه وسلم من أجل أولادها لما استجارت به وحديثها عن أم سلمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحراء فإذا مناد ينادي يا رسول الله فالتفت فلم ير أحدا ثم التفت فاذا ظلية موشة فقالت اذن مني يا رسول الله فدنا منها فقال ما حاجتك فقالت ان لي حشنتين في هذا الجبل فحلنني حتى أذهب فأرضعهن وأرجع اليك قال وتعلين قالت عذبنني الله عذاب العشار ان لم أفعل فأطلقها فذهب فأرضعت حشنيهما ثم رجعت فأوثقها فاتبعه الاعرابي فقال ألك حاجة يا رسول الله قال تطلق هذه فأطلقها فخرجت تعدو وهي تقول أشهد أن لا إله الا الله وأنت رسول الله هكذا في سراج المنير .

والبخاري من يرد الله به خيرا يصب منه أي يوجه الله إليه مصيبة أو بلاء * والطبراني يؤتى بالشهيد يوم القيامة فيوقف للحساب ثم يؤتى بالمتصدق فينصب للحساب ثم يؤتى بأهل البلاء لا ينصب لهم ميزان ولا ينصب لهم ديوان فيصب لهم الأجر صبا حتى إن أهل العافية ليمتنون في الموقف أن أجسادهم قرضت بالمقارض من حسن ثواب الله * وهو إذا مرض العبد ثلاثة أيام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه *

﴿و﴾ أخرج ﴿البخاري﴾ وأحمد عن ابن هريزة رضي الله عنه ﴿من يرد الله خيرا﴾ أي عظيما كثيرا ﴿يصب منه﴾ بكسر الصاد كما يدل عليه تفسيره ﴿أي يوجه الله إليه مصيبة أو بلاء﴾ قال العزيمي أي يتلى بالمصائب ليشبه عليها وروى بفتح الصاد أي يوصل له المصائب عن الله فضمير يصب حينئذ راجع لمن وضمير منه راجع لله هذا والاحسن والأليق بالاول لقوله تعالى وإذا مرضت فهو يشفين ﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني﴾ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ﴿يؤتى بالشهيد يوم القيامة فيوقف للحساب ثم يؤتى بالمتصدق فينصب للحساب ثم يؤتى بأهل البلاء لا ينصب لهم ميزان ولا ينصب لهم ديوان﴾ أي كتاب عمله ﴿فينصب عليهم الأجر صبا﴾ كما كان يصب عليهم البلاء صبا ﴿حتى إن أهل العافية﴾ في الدنيا ﴿ليمتنون في الموقف أن أجسادهم قرضت﴾ بالبناء للمفعول ﴿بالمقارض﴾ جمع مقارض وهو المقص المعروف وذلك تحسرا على ما فاتهم من الثواب المعطى على البلاء كما أفاده قوله ﴿من حسن ثواب الله﴾ لهم فذلك قوله تعالى إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب وروى الطبراني في الكبير من حديث أنس إذا أحب الله عبدا صب عليه البلاء صبا ووجه ثجا وروى البيهقي عن سعيد بن المسيب مرسل إذا أحب الله عبدا ألصق به البلاء فان الله يريد أن يضافه وروى الديلمي عن حديث علي إذا رأيت العبد ألم به الفقر والمرض فان الله يريد أن يضافه وروى ابن النجار في تاريخه من حديث عمر بن الخطاب إذا كان يوم القيامة جرى بأهل البلاء فلا ينشر لهم ديوان ولا ينصب لهم ميزان ولا يوضع لهم صراط ويصب عليهم الأجر صبا ..

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال شكاني من الأنبياء إلى ربه فقال يا رب العبد المؤمن يطيعك ويحجبك معاصيك تزوي عنه الدنيا وتعرض له البلاء ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويحترى عليك وعلى معاصيك تزوي عنه البلاء وتبسط له الدنيا فأوحى الله تعالى إليه إن العباد لي والبلاء لي وكل يسبح بحمدي فيكون المؤمن عليه من الذنوب فأزوي عنه الدنيا وأعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقيني فأجزه بحسناته ويكون الكافر له الحسنات فأبسط له في الرزق وأزوي عنه البلاء فأجزه بحسناته في الدنيا حتى يلقيني أي في الآخرة فأجزه بسيناته وهذا أيضا أثر أوردته في خلال الأخبار وروى أنه لما نزل قوله تعالى من يعمل سؤا يحجز به قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه كيف الفرج بعد هذه الآية فقال رسول الله ﷺ غفر الله لك يا أبا بكر أنت تمرض أنت يصيبك الأذى أنت تحزن فهذا مما تحزون به يعني أن جميع ما يصيبك من المرض والأذى والحزن يكون كفارة لذنوبك ذكره الغزالي .

﴿وهو﴾ أي وأخرج الطبراني عن أنس بن مالك ﴿إذا مرض العبد﴾ قال المناوي أي عرض لبدنه ما أخرجه عن الاعتدال الخاص به فأوجب الخلل في أفعاله ﴿ثلاثة أيام﴾ ولو مرضا خفيفا كخمى بسيرة وصداع قليل فيكفر الصغائر لكن إنما يكفر جميع الصغائر المرض الشاق دون الخفيف كما قاله الحنفى ﴿خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه﴾ قال العزيمي أي غفر له فصار لأذنب له فهو كيوم ولدته في خلوصه عن الآثام وفيه شمول الكبائر لكن نزل على غيرها قياسا على النظائر وقال الحنفى يحرم يوم وخص يوم الولادة وإن كان لأذنب على الشخص إلى البلوغ لأنه أول وقت تطهيره عن الذنوب ولا فرق فيترتب التكفير على المرض بين المصاب وغيره خلافا لبعضهم والتقييد بالصبر في بعض الأحاديث إنما هو لحول شيء مخصوص غير التكفير .

وابن أبي الدنيا من كم حمى يوما أصابه أخرجه الله من ذنوبه كيوم ولدته أمه وكب الله له براءة من النار وستر عليه كما ستر بلاء الله في الدنيا * وأحمد والطبراني إن الصداع والمليلة لا يزالان بالمؤمن وإن ذنوبه مثل أحد فما يدعاه وعليه من ذنوبه مثقال حبة من خردل * والقضاة الحمي حظ كل مؤمن من النار وحمى ليلة تكفر خطايا سنة بحمرة أي كاملة * وابن ماجه الحمي كبر من كبر جهنم فحقوها عنكم بالماء البارد * وأحمد والترمذي والنسائي من قتله بطنه لم يعذب في قبره وضح من أصيب بمصيبة بماله أوفي نفسه فكفها ولم يشكها إلى الناس كان حقا على الله أن يغفر له

﴿و﴾ أخرج ﴿ابن أبي الدنيا﴾ من كم حمى أصابه أخرجه الله من ذنوبه كيوم ولدته أمه وكب الله له براءة من النار وستر عليه كما ستر بلاء الله في الدنيا و﴿أحمد والطبراني﴾ عن أبي الدرداء ﴿إن الصداع﴾ بالضم أي وجع الرأس بعضه أوكله وهو مرض الأنبياء والاول يسمى بالشقيقة والثاني يسمى بيضة وخوذة قاله العزيزي وغيره ﴿والمليلة﴾ بوزن عظيمة وهي حرارة الحمي ووجعها وقيل هي الحمي التي تكون في العظام قال المناوي وأصلها من الملة التي يخبز فيها فاستعيرت لحرارة الحمي ووجعها ﴿لا يزالان﴾ أو أحدهما فيقرب التكفير على أحدهما أيضا لكن لجميع الذنوب ﴿وإن ذنوبه﴾ جملة حاله ﴿مثل أحد﴾ بضمين جبل معروف أي عظمه كما وكيفا وهو كناية عن كثرة ذنوبه ﴿فما يدعاه﴾ أي يتركانه ﴿وعليه من ذنوبه مثقال حبة من خردل﴾ قال العزيزي بل يكفر الله بهما أو أحدهما عنه كل ذنب والمراد الضغائر على قياس مأمور

﴿و﴾ أخرج ﴿القضاة﴾ عن ابن مسعود بأسناد ضعيف ورواه بن صحيحه قاله العزيزي ﴿الحمي﴾ حظ كل مؤمن من النار أي نصيبه منها حتى إذا ذاق لهبها في الآخرة ﴿وحمى ليلة تكفر خطايا سنة بحمرة﴾ بضم الميم وقح الجيم وشدة الراء ﴿أي كاملة﴾ أخرج ﴿ابن ماجه﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه ﴿الحمي كبر﴾ بكسر الكاف وسكون المشاة التحية ﴿من كبر جهنم﴾ قال الحنفى فيه تشبيه أي حرارتها الواصلة للبدن كحرارة جهنم الواصلة بالكبر الآلة المعروفة وفيه من المبالغة ما لا يخفى وقال العزيزي أي حقيقة أرسلت منها للدنيا نذيرا للجاحدين وبشيرا للمقرين لأنها كفارة لذنوبهم ﴿فحقوها﴾ أي أزيلوها ﴿عنكم بالماء البارد﴾ بأن تصبوا قليلا منه في طوق المحرم أو بأن تغسلوا أطرافه ﴿و﴾ أخرج ﴿أحمد والترمذي والنسائي﴾ وابن ماجه كلهم عن خالد بن عوفطة وعن سليمان بن صرد ﴿من قتله بطنه﴾ أي من مات بمرض بطنه قال القرطبي في التذكرة فيه قولان أحدهما أنه الذي يصيبه الذرب وهو الاسهال والثاني أنه الاستسقاء وهو أظهر القولين فيه ﴿لم يعذب في قبره﴾ قال المناوي وإذا لم يعذب في قبره لم يعذب في غيره لأنه أول منازل الآخرة فإن كان سهلا فبأبعده أسهل ﴿ووضح﴾ فينا رواه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿من أصيب بمصيبة بماله﴾ أي فيه ﴿أوفي نفسه فكفها ولم يشكها إلى الناس﴾ أي لم يذكرها لهم على سبيل الضجر أما ذكرها للطبيب أو غيره لأجل أن يعذره فلا بأس به فقد قال ﷺ وأرأساء على وجه الخبر ليعذر لا الشكوى ﴿كان حقا على الله﴾ فضلا منه وكرما ﴿أن يغفر له﴾ ويقال ثلاث من كنوز البر كمان الصدقة وكمان الرجوع وكمان المصيبة

قال أبو البيث ذكر في الخبر أن مؤمنا وكافرا في الزمن الاول انطلقا بصيدان الفسك فأخذ الكافر يذكو آلتته فصار رفع شبكه حتى أخذ سمكا كثيرا وجعل المؤمن يذكر الله فلا يجنى شيء ثم أصاب سمكة عند الغروب واضطربت فوقعت في الماء فرجع المؤمن وليس معه شيء ورجع الكافر وقد أفلت شبكه فأمسك ملك المؤمن الموكل به فلما صعد إلى السماء أراه الله مسكنا المؤمن في الجنة فقال والله ما يضره ما أصابه بعد أن يصير إلى هذا وأراه مسكنا الكافر في النار فقال والله ما يعنى عنه ما أصاب من الدنيا بعد أن يصير إلى

﴿تنبيه﴾ اعلم أن الأنمة اختلفوا في أن ثواب المريض هل على الصبر على مرضه أو على نفس مرضه والأصح في ذلك أنه إن صبر أئيب على المرض والصبر والام يشب هذا ما دلت عليه الأحاديث

هذا ويقال إن الله تعالى يحب بأربعة أجناس يحب على الأغنياء سليمان بن داود عليهما السلام فإذا قال الغنى الغناء شغلنى عن عبادتك يحب عليه سليمان ويقول له لم تكن أغنى من سليمان فلم يمنعه غناه عن عبادتى ويحب على العبيد يوسف عليه الصلاة والسلام فيقول العبد كنت عبدا والرق منعتنى عن عبادتك فيقول له إن يوسف عليه السلام لم يمنعه رقه عن عبادتى وعلى الفقراء يعيسى عليه الصلاة والسلام فيقول الفقير إن حاجتى منعتنى عن عبادتك فيقول أنت كنت أحوج أم عيسى وعيسى لم يمنعه فقره عن عبادتى وعلى المريض بأبوب عليه الصلاة والسلام فيقول المريض منعتنى المرض عن عبادتك فيقول مرضك كان أشد أم مرض أوب عليه السلام فلم يمنعه مرضه عن عبادتى فلا يكون لاحد عند الله عذر يوم القيامة وكان الصالحون رحمهم الله تعالى يفرحون بالمرض والشدة لأجل أن فيه كفارة للذنوب.

وأخرج أبو الليث عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءت الحمى للنفس المؤمنة فتنادي الروح من خوف النفس فتقول أيتها الحمى ما تريد منى من هذه النفس المؤمنة فتجيبها الحمى فتقول أيتها الروح الطيبة إن نفسك هذه كانت طاهرة فقد قذفتها الذنوب والخطايا فانا أظهرها فتجيبها الروح أدنى إذا ثلاث مرات فطهرها وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال إذا ابتلى الله العبد المؤمن بالنسقم قال لصاحب الشمال ارفع القلم عنه وقال لصاحب اليمين اكب لعبدى أحسن ما كان يعمل وهو صحيح فانه في وثاقى وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أين المرض تسبيح وصياحه تهليل ونفسه صدقة ونومه عبادة وتقلبه من نجاة الى جانب جهاد في سبيل الله ويكب له أحسن ما كان يعمل في الصحة وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دخل على سلمان رضي الله عنه وهو مريض فقال إن لك في مضجعك ثلاث خصال أولها تذكرة من ربك والثاني تمحيص وكفارة لما سبق من ذنوبك والثالث أن دعاء المبتلى مستجاب قادع الله ما استطعت وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال إن السقيم لا يكب له أجر إنما الأجر في العمل ولكن يكفر به الخطايا قال الفقيه رحمه الله تعالى لا يكب له بالمرض ولكنه يكب له مثل عمله الذي كان يعمل إذا كان محسنا وعجز عن العمل ويعلم الله تعالى انه لو كان صحيحا لكان يعمل مثل ما كان يعمل فانه ثواب تلك الأعمال ويكون المرض كفارة لذنوبه يعنى إذا تاب من ذنوبه وأما إذا لم يبت ومن ينه أنه إذا برئ من مرضه يعود الى مثل أعماله الخبيثة فانه لا يكفر عنه وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال ربكم وعزتى وجلالى لا أخرج عبدا من الدنيا وأنا أريد أن أرحمه حتى أتقنه من خطيته عملها يستقم في جسده أو ضيق في معيشته فان بقى عليه منها شئ شددت عليه الموت حتى يمضى الى كما ولدته أمه ولا أخرج عبدا من الدنيا وأنا أريد أن أعذبه حتى أوفيه كل حسنة عملها بصحة في جسده أو سبعة في رزقه فان بقي منها شئ هونت عليه الموت حتى يمضى الى وليست له حسنة.

﴿* تنبيه *﴾ اعلم أن الأنمة ﴿رضوان الله عليهم﴾ اختلفوا في أن ثواب المريض هل ﴿هو﴾ على الصبر على مرضه أو على نفس مرضه والأصح في ذلك ﴿أى حصول الثواب﴾ انه ﴿أى المرض﴾ ان صبر أئيب على المرض والصبر والام يشب هذا ما دلت عليه الأحاديث التي قيدت حصول الثواب بالصبر على المصائب وعدمه بعدم الصبر عليها وتلك الأحاديث كثيرة.

قال عز الدين بن عبد السلام إن المصائب لا ثواب فيها لأنها ليست من كسب العبد بل الثواب في الصبر عليها لا غير نعم فيها التكفير وإن لم يصبر إذ لا يشترط في المكفر أن يكون كسبا

سما ما رواه الحاكم في النوادر والديلمى في مسند الفردوس من حديث أنس قال قال الله تعالى إذا وجهت إلى عبدى مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحيت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشرله ديوانا ومنها ما رواه أبو يعلى وابن حبان والضياء من حديث ابن عباس قال قال الله تعالى إذا أخذت كريمى عبد فصبر واحتسب لم أَرْضْ له ثوابا دون الجنة ومنها ما رواه ابن شاهدين من طريق الوليد بن صالح عن أبي المليح الرقى حدثنا محمد بن خالد بن زيد بن جارية بالجيم عن أبيه عن جده سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا كان للعبد عند الله درجة لم ينله إياها ابتلاء في الدين ثم صبره على البلاء ليله تلك الدرجة ومنها ما رواه الطبراني والحاكم من حديث أمانة أن الله ليحرب أحدكم بالبلاء وهو أعلم به كما يحرب أحدكم ذنبه بالنار فمتهم من يخرج كالذهب الأبريز فذلك الذي حماه الله من الشبهات ومنهم من يخرج كالذهب دون ذلك فذاك الذي يشك بعض الشك ومنهم من يخرج كالذهب الأسود فذاك الذي قد افتن قال الحاكم صحيح ومن ذلك ما رواه أحمد والبيهقي من حديث محمود بن لبيد إذا أحب الله قوما ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل أن صبرت مضى أمر الله وكنت مأجورا وإن جزعت مضى أمر الله وكنت مأزورا وروى الطبراني عن أبي هند الدارمي قال قال الله تعالى من لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى فليتمس رباسوائى وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال مات ابن سليمان بن داود عليهما السلام فوجد عليه وجدا شديدا فأتاه ملكا فحيا بين يديه في رضى الخصوم فقال أحدهما بذرت بذرا فلما حان أن تحصد مر به هذا فأفسده فقال سليمان للآخر ما تقول فقال أخذت الجادة فأثبت على زرع فنظرت يمينا وشمالا فاذا الطريق عليه فقال سليمان عليه السلام للرجل المدعى ولم بذرت على الطريق أما علمت أن لا بد للناس من الطريق قال الرجل فلم تجز علي ولدك أما علمت أن الموت نسيلا الآخرة لا بد للناس من المرور عليها فتاب سليمان عليه السلام إلى ربه ولم يجزع على ولد بعد ذلك ويحكى عن ابن المبارك رحمه الله تعالى أنه مات ابن له فعزاه مجوسى يعرفه فقال له ينبغي للعاقل أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام يعنى الصبر فقال ابن المبارك لأصحابه اكتبوا عنه هذه القولة فانها من الحكم

﴿قال﴾ سلطان العلماء ﴿عز الدين﴾ عبد العزيز ﴿بن عبد السلام﴾ السلمى الدمشقى ثقة على الفخر بن عساكر وبرع في فنون العلم كان مجبولا على ترك التكلف صلبا في الدين له مكاشفات وكرامات ومن تصانيفه تفسير حسن في مجلدتين واختصار النهاية والقواعد الكبرى وهو الدال على علو قدره والقواعد الصغرى وغير ذلك وترجمته طويلة ومناقبه جملة توفي سنة ومستمائة وست وستين رحمه الله رحمة واسعة قال ظن بعض الجهلة أن المصائب مأجور وهو خطأ صريح فإن الثواب إنما هو على الكسب و﴿إن المصائب لا ثواب فيها لأنها ليست من كسب العبد بل الثواب في الصبر﴾ والرضا ﴿عليها لا غير﴾ وتعبه بعضهم ووجهه أن الأحاديث الصحيحة صريحة في ثبوت الأجر بمجرد حصول المصيبة كخبر البخاري ما من مصيبة تصيب المسلم الا كبر الله عنه وذنبه الحديث أما الصبر والرضا فقد زائد يمكن أن يثاب عليها زيادة على ثواب المصيبة قال القرافي المصائب ككلمات جز ما سنوءا اقترن بها الرضا أم لا لكن إن اقترن بها الرضا عظم التكفير ولا قل كذا قال والتحقيق أن المصيبة كفارة لذنب يوازىها كما أشار إليه بقوله ﴿نعم﴾ لا ثواب في تلك المصائب ﴿فيها التكفير﴾ للذنب ﴿وإن لم يصبر إذ لا يشترط في المكفر أن يكون كسبا﴾ للعبد والرضا يوجب على ذلك فإن لم يكن للمصاب ذنب عوض عن ذلك من الثواب بما يوازىه وزعم القرافي أنه لا يجوز لأحد أن يقول للمصاب جعل الله هذه المصيبة كفارة فسؤال

التكفير طلب لحصول الحاصل وهو إساءة أدب على الشارع كذا قال وتعقب بما ورد من جواز الدعاء بما هو واقع كالصلاة على النبي ﷺ وسؤال الوسيلة وأجيب بأن الكلام فيما لم يرد فيه شيء وأما ما ورد فهو مشروع لثاب من استأل الأمر فيه على ذلك إفاده في سراج المنيرة.

* خاتمة * نسأل الله حسنها في معرفة ألفاظ يستعملونها في الاختيار والتراجع ببعض الأقوال والوجوه اصطلاحاً فلا بد من التعرض لها ليكون الناظر على بصيرة وتلك الألفاظ هي قول الأئمة الأصح والأظهر والصحيح والظاهر والأقرب والأشبه والأشهر والمتشابه والأخوطة والأرجح وقولهم ظاهر المذهب أو المذهب كذا ورجح بالبناء للمفعول ورجح المعبرون والجديد ونحن نفسر هذه الألفاظ تعريفاً وتمثيلاً على ما لخصنا مما نقله الزبيدي عن الذي أورده التاج الأصفهاني في كشف تعليل المحرم.

قال الأصح أعلى مرتبة من الكل ومقابلة الصحيح فالأصح ما قوى صحته أصلاً وجانحاً أو واحداً منهما من القولين أو الوجهين أو الأقوال أو الوجوه كقول الرافعي في الحرر المستعمل إذا بلغ قلّتين فأصح الوجهين أنه يعود طهوراً قياساً على الماء النجس والثاني لا يعود قياساً على ماء الورد فالقياس الثاني صحيح والاول أصح للمجانسة والجلاء وغروض ما يخرج عن حقيقة.

ثم الأظهر أعلى من الصحيح والظاهر وهو ما قوى ظهور أصله وعلة أو واحد منهما كذلك ومقابلة الظاهر كقول الرافعي في الحرر إذا اشتبه ماء وبول وماء ورد لم يجتهد على أظهر القولين فالقول بعدم الاجتهاد أظهر أصلاً وعلة لعدم اعتضاد كل واحد بأصل ظاهر وكون الاجتهاد اتباع ظن ناشئ من دليل وأما رة عند غروض ما على أصل أحد الشينين أو وصفه والقول للاجتهاد ظاهر علة بناء على وجود الأمانة في الكل وكالمغفر بالتراب المطروح فالأظهر أنه مطهر لأن تراب أحد الطهورين إذا لم يكن مقبياً لم يكن مضجعاً والشارع قد اعتبر تقويته كما في التغير وجعله غير مطهر قياساً على الزعفران من حيث أن كل واحد منهما مستغنى عنه ظاهر لكن ليس مثل الاول ويقع كل من الأظهر والأصح موضع الآخر لقرب معناهما في كلام الأئمة.

والصحيح ما صح أصلاً وجامعاً أو واحداً منهما كذلك من القولين أو الأقوال أو الوجهين أو الوجوه ومقابلة الفاسد كلاً أو بعضاً كقول الرافعي في الحرر في باب التيمم فإن لم يكن عليه ساتر غسل الصحيح والصحيح أنه يتيمم لمكان الجراح لبقاء الحدث فالقول بغسل الصحيح من غير تيمم وبرعاية الترتيب بين غسل الصحيح والتيمم فاسد لا وجه له بل اللازم أحد الأمرين غسل الصحيح والتيمم للجراحة أو الإكفاء بالتيمم والترتيب بين عضوين لا عضو واحد.

والظاهر هو ما ظهر أصلاً وعلة أو واحداً منهما كذلك ومقابلة الخفي كلاً أو بعضاً كقول الرافعي في الحرر في أية الذهب والفضة الطاهر لا يجوز اتخاذه قياساً على آلات الملاهي وهذا قياس ظاهر وأما كونه لا يحرم اتخاذه كما في الوجه الثاني فخفي فإن علة جمع المال المتفرق وحفظه وكون جمع المال وحفظه سبباً لحل اتخاذه حرام أمر خفي غير مناسب للحكم واستعمال كل من الظاهر والصحيح مقام الآخر تساهل وإن كان كل واحد منهما يقرب معنى الآخر لكن استعمالهما مقام الأظهر والأصح خطأ لا يليق بالحصلين.

والأقرب ما قوى قياسه أصلاً وجامعاً أو واحداً منهما كذلك وبهذا المعنى قد يستعمل في موضع الأظهر والأصح إذا كان الوجهان أو القولان متقاسمين وقد يستعمل بمعنى الأقرب بكلام الشافعي أو بمسائل الباب كقول الرافعي في الحرر في باب السلم والأقرب تحويزه في المصبوغ بعد النسيج والوجه الآخر لا يجوز لجهل مقدار الصبغ واختلاف الغرض به فالذي أقرب قياساً إلى كلام الأصحاب في الباب هو الوجه الاول لكون الثاني مردوداً.

وبهذا المعنى يستعمل موضع الأشبّه ويقابله الشبه لأن الأشبّه ما قوى شبهه بكلام الشافعي أو بكلام أكثر أصحابه أو معظمهم وليس المراد أنه قياس شبه أو قياس علة المشابهة كقول الرافعي في المحرر في الأواني والأشبّه أنه لا فرق بين أن يكون الضبة في محل القرب والاستعمال أو غيره أراد الأشبّه بكلام الشافعي وفي تعجيل الزكاة قال والأشبّه اعتبار قيمة يوم القبض أراد الأشبّه بكلام الأصحاب وأصل المذهب..

والأرجح ما رجع جانبه أصلا وعلة على مقابله وهو الراجح كما يقال في ثمن ما باعه القاضي من مال المفلس إذا خرج مستحقا هل يضارب المشتري مع الغرماء أو يتقدم عليهم فيه قولان أرجحهما التقدم على مصالح الحجر من أجر الكيال والدلال وغيرهما والمضاربة قياسا على سائر الديون لأنه دين تعلق بذمته لكن قياس التقدم أرجح لأنه معقول المعنى إذ عدمه يؤدي إلى عدم الرغبة في شراء مناعه فيؤدي إلى إضرار كثير ومقابله الراجح ثم الترجيح أن كان قويا يصح استعمال الأصح مقامه واستعمال الصحيح مقام الراجح وإن لم يكن في الغاية فيصح إيقاع الأظهر والظاهر مقامهما.

والأحوط ما يلوح إلى علة أقوى كما إذا كان القولان أو الوجهان قوين معنى واعتبارا وقياسا لكن في أحد الجانبين تلوح إلى نص من الشارع أو تميم نص رعاية لذلك بقول والأحوط كقول الرافعي في المحرر في تزويج الأمة إذا كان تحت حرة لا تصلح للاستماع الأحوط المنع لعدم قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا لأن كلا من الجانبين اعتبره جماعة من معظم الأصحاب من الفريقين ويصح استعمال الأصح والأرجح مكانه لا قضاء مقام كل قوة.

والأقرب ما قوى اعتباره وهذا أدنى درجة من الذي تقدم فيراد بالأقرب الأقرب بالاعتبار أو بأصل المذهب أو بكلم أكثر العلماء كقول الرافعي في المحرر في الوصية بمج التطلع وإن أطلق فأقرب الوجهين أنه يخرج من الميقات لأنه الأقرب إلى الإعتبار ركما في الفرض فإن الأصل في الإطلاق الحمل على أقل الدرجات والثاني من بلد أدهي الغالب في النهوض والتجهز للحج ولا شك أن هذا بعيد إذ قد يكون البلد بعيدا كما في أقصى الشرق أو الغرب فيؤدي إلى مشقة وارتكاب محظورات كثيرة ويجوز استعمال الراجح مقامه وكذا استعمال الصحيح إن كان الوجه الآخر فاسدا أو مقدوحا.

والأشهر مقابله المشهور وهو ما قوى اعتبار كونه في المذهب واشتهر أنه منه كقوله في مسألة الميزاب وإن سقط الكل فالواجب نصه على الأظهر أي من الوجهين أو القولين توزيعا على ما حصل من مباح مطلق ومباح بشرط سلامة العافية والثاني يوزع على ما في الداخل والخارج فيجب قسط الخارج ثم بعد ذلك فالاعتبار إما بالوزن عند بعض وبالمساحة عن بعض آخر والثاني مشهور من المذهب لكن الأول أشهر اعتبارا في المذهب ويجوز استعمال الأظهر مقامه عند ظهور علة كما في الصورة المذكورة.

وقولهم في المذهب أو الظاهر من المذهب أو المذهب الظاهر فمقتضى النص والظاهر من النص أو النص الظاهر فالأول لا يلزم أن يكون في مقابلة شيء والثاني والثالث يكونان في مقابلهما إما نص خفي أو فاسد أو وجه قوي أو فاسد كقوله في سجود السهو إذا لم يسجد الإمام فظاهر المذهب أي ظاهر النص أن المأموم يسجد لأن سجوده لأمر من لهو الإمام ومتابعه لا لمتابعه فقط ومذهب البويطي والمزني أنه لا يسجد لأنه يسجد لمتابعه إلا أم فقط وهذا ضعيف جدا بل أقرب من الفاسد وإذا كان الجانبان متساويين علة أو قياسا يقول رجع بالبناء للمفعول وإذا كان ترجيح جانب التصحيح ضعيفا ينسب الفعل إلى الفاعل الظاهر صريحا فيقول رجع المرجحون وقد يستعمل ينبغي ويراد به الوجوب وقد يراد به التندب والأدب والجواز ولا ينبغي في مقام الحرمة والكراهة ونظير الأحياط للوجوب والتندب والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿باب النياحة وتوابعها واستماعها﴾

﴿أخرج﴾ الشيخان عن أبي موسى الأشعري أنه قال أنا بريء ممن بريء منه رسول الله ﷺ إن رسول الله ﷺ بريء من الصالحة أي الرافعة صوتها بالندب والنياحة والحالقة أي لرأسها عند المصيبة والشاقة أي لثوبها * وهما عن عبد الله بن مسعود ليس منا من لطم الحدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية * والحاكم وابن حبان ثلاثة من الكثر بالله شق الجيب أي طرق القميص والنياحة والطعن في النسب. وابن ماجه النياحة من أمر الجاهلية وإن النائحة إذا ماتت ولم تب قطع الله لها ثيابا من قطران ودرعا من لهب النار * والطبراني إن هذه النوائح يجعلن يوم القيامة صفين في جهنم وصف عن يمينهم وصف عن يسارهم فينبجن على أهل النار كما تنبح الكلاب *

﴿باب﴾ ذم ﴿النياحة وتوابعها﴾ أي من ضرب الحدود وشق الجيوب وغيرهما ما لا يجوز شرعا ﴿واستماعها﴾.

قال النووي في الأذكار وأعلم أن النياحة رفع الصوت بالندب والندب تعديد النادبة بصوتها محاسن الميت وقيل هو البكاء عليه مع تعديد محاسنه قال أصحابنا ويحرم رفع الصوت بافراط في البكاء وأما البكاء على الميت من غير ندب ولا نياحة فليس بحرام.

﴿أخرج﴾ الشيخان عن أبي موسى الأشعري أنه قال أنا بريء ممن بريء منه رسول الله ﷺ إن رسول الله ﷺ بريء من الصالحة ﴿بالصاد المهملة والقاف﴾ أي الرافعة صوتها ﴿في المصيبة﴾ بالندب والنياحة والحالقة أي التي تحلق ﴿لرأسها عند المصيبة والشاقة﴾ أي التي تشق ﴿لثوبها﴾ وقوله بريء بكسر الراء بزا بالفتح قال القاضي بريء من فعلهن أو مما يستوجبن من العقوبة أو من عهدة ما لزم من بيانه وأصل البراءة الانفصال وليس المراد التبري من الدين والخروج منه قال النووي ويحتمل أن يراد به ظاهره وهو البراءة من فاعل هذه الأمور ﴿وهما﴾ أي وأخرج الشيخان ﴿عن عبد الله بن مسعود﴾ رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ ﴿ليس منا﴾ أي من أهل سبيلنا ولا من المهدين هدينا وليس المراد خروجه عن الدين لأن العاصي لا يكفر بها عند أهل السنة نعم يكفر باعتقاد جملها.

وعن سفيان أنه كره الخوض في تأويله وقال ينبغي أن يمسك عنه ليكون أوقع في النفوس وأبلغ في الزجر ﴿من لطم الحدود﴾ كبقية الوجوه والحدود جمع خد قال في العدة وإنما جمع وإن كان ليس للانسان الاخذان فقط باعتبار ارادة الجمع فيكون من مقابلة الجمع بالجمع وأما على حد قوله تعالى وأطراف النهار وقول العرب شابت مفارقة وليس الامفرق واحد ﴿وشق الجيوب﴾ بضم الجيم جمع جيب من نجا به أي قطعه. قال تعالى وثمود الذين جابوا الصخر بالوادى وهو ما يفتح من الثوب ليدخل فيه الرأس للبسه ﴿ودعا بدعوى﴾ أهل ﴿الجاهلية﴾ وهي زمان الفترة قبل الاسلام بأن قال في بكانه ما يقولون بما لا يجوز شرعا كواجبلاء واعضداه والواو فيهما بمعنى أو فالحكم في كل واحد لا مجموع لأن كلامهما دال على عدم الرضا والتسليم للقضاء.

﴿و﴾ أخرج ﴿الحاكم وابن حبان﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ثلاثة من﴾ فعل أهل ﴿الكفر بالله شق الجيب أي طرق القميص والنياحة﴾ على الميت ﴿والطعن في النسب﴾ أي أنساب الناس كأن يقول هذا ليس بابن فلان قال العزيزي يفيد أن هذه الخصال من الكبائر ﴿و﴾ أخرج ﴿ابن ماجه النياحة﴾ على الميت ﴿من أمر الجاهلية﴾ أي فعلهم ﴿وإن النائحة إذا ماتت ولم تب﴾ قبل موتها ﴿قطع الله لها ثيابا من قطران﴾ بفتح فكسر نحاس مذاب أو ماتداوى به الابل ﴿ودرعا﴾ وهو القميص ﴿من لهب النار﴾ أخرج ﴿الطبراني﴾ أن هذه النوائح ﴿من النساء جمع نائحة وهي التي ترفع صوتها عند الحزن مع ضم كلام يصيح على الحزن أفاده الحفنى﴾ يجعلن يوم القيامة صفين في جهنم وصف عن يمينهم ﴿أي أهل النار﴾ وصف عن يسارهم فينبجن ﴿أي فيصوتن ويصرفن﴾ على أهل النار كما تنبح ﴿بكسر الباء أو فتحها﴾ الكلاب ﴿وهذا يدل على أن النوح من الكبائر كما قاله العزيزي﴾.

وأبو داود عن أبي سعيد الخدري قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة والمستعنة * وابنة ماجه وحبان عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الخامسة وجهها والشاقة جيبها والذاعية بالويل والثبور * وأبو داود عن امرأة من المبيعات قالت كان فيما أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعروف الذي أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نخمش وجهها ولا ندعويلها ولا نشق جيبها ولا نتفق شعرا * والشيخان الميت يعذب في القبر بما نيج عليه * والترمذي ما من ميت يموت فيقوم بأكيهم فيقول واجملاه اسنداه ونحو ذلك إلا وكل الله به ملكين يهزمانه أهكذا كنت * والبخاري عن النعمان بن بشير قال أغشى على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته تبكي واجملاه وأكذا وأكذا تعدد عليه فقال لها حين أفاق ما قلت شيئا إلا قيل لي أنت كذلك فلما مات لم تبك عليه * وفي رواية رواها الطبراني فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أغشى علي فصاحت النساء واعزاه واجملاه فقام ملك معه مرزبة فجعلها بين رجلي فقال أنت كما تقول قلت لا ولو قلت نعم ضربي بها

﴿و﴾ أخرج ﴿أبو داود﴾ وأحمد ﴿عن أبي سعيد الخدري قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة﴾ أي الرافعة لصوتها بالندب ويقال الصائقة أيضا ﴿والمستعنة﴾ لنوحها .

﴿و﴾ أخرج ﴿ابن ماجه وحبان عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الخامسة وجهها﴾ أي جارحة باظهارها وخامشة بيناتها ﴿والشاقة جيبها﴾ أي جيب قميصها عند المصيبة ﴿والذاعية﴾ على نفسها ﴿بالويل﴾ كقولها ياويلي قال في النهاية الويل الحزن والهلاك والمشقة من العذاب ومعنى النداء يا حزني أقبل يا هلاكي أقبل يا عذابي احضر فهذا وقتك وأوانك وكأنه نادى الويل أن يحضره لما عرض له من الأمر الفظيع ﴿والتبور﴾ أي الهلاك . ﴿و﴾ أخرج ﴿أبو داود عن امرأة من المبيعات قالت كان فيما أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعروف الذي أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نخمش وجهها ولا ندعويلها ولا نشق جيبها ولا نتفق شعرا﴾ أي عند المصيبة .

﴿و﴾ أخرج ﴿الشيخان﴾ عن المغيرة رضي الله عنه ﴿الميت يعذب في القبر بما نيج عليه﴾ بادخال حرف الجر على ما في مصدرية غير ظرفية أي بالنياحة عليه قال في الفتح أو بعضهم ما نيج بغير موحدة على أن ما ظرفية قال العيني ما في هذه الرواية للدة أي يعذب بدة الترح عليه ولا يقال ما ظرفية وفي رواية للبخاري أيضا أن للميت ليُعذب بسكاء أهله عليه والصحيح كما يأتي للمصنف أنه محمول على ما إذا وصى بذلك . ﴿و﴾ أخرج ﴿الترمذي﴾ وقال حسن غريب ﴿ما من ميت يموت فيقوم بأكيهم فيقول واجملاه واسنداه﴾ بأنف الندبة فيهما تطويل مد الصوت والهاء للاستراحة ﴿أو نحو ذلك إلا وكل الله به ملكين يهزمانه﴾ ويقولان ﴿أهكذا كنت﴾ واللهز الدفع بجميع اليد في الصدر .

﴿و﴾ أخرج ﴿البخاري عن النعمان بن بشير قال أغشى على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته تبكي﴾ وتندب وتقول ﴿واجملاه وأكذا وأكذا تعدد عليه فقال لها حين أفاق﴾ من غشيت ﴿ما قلت شيئا إلا قيل لي أنت﴾ أي أنت ﴿كذلك﴾ أي كما تقول أخيتك ﴿فلما مات﴾ ابن رواحة ﴿لم تبك﴾ أخته ﴿عليه وفي رواية رواها الطبراني﴾ عن ابن عمر قال أغشى على عبد الله بن رواحة فقامت النائحة فدخل عليه النبي ﷺ وقد أفاق ﴿فقال﴾ ابن رواحة ﴿يا رسول الله أغشى علي فصاحت النساء واعزاه واجملاه فقام ملك معه مرزبة﴾ بكسر الميم وسكون الراء وفتح الباء وهي عصية من حديد كما في القاموس ﴿فجعلها بين رجلي فقال أنت كما تقول قلت لا ولو قلت نعم ضربي﴾ الملك ﴿بها﴾ أي بتلك المرزبة .

﴿وروي﴾ من أصابته مصيبة فخرق عليها ثوبا أو لطم خذا أو شق جيبا أو تف شعرا فكأنما أخذ رحا يريد أن يحارب ربه .
قال صالح المري نمت ليلة جمعة بمقبرة فرأيت الأموات خرجوا من قبورهم وتحلقوا ونزلت عليهم أطباق مغطاة وفيهم شاب يعذب فتقدمت
فسأله فقال لي والدتي جمعت النوادب فانا معذب بذلك فلا جزاها الله عني خيرا ويكي ثم أمرني أن أذهب إليها

وحكى الأوزاعي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع صوت بكاء فدخل ومعه غيره فقال عليهم ضربا حتى بلغ النائحة
فضربها حتى سقط خمارها وقال اضرب فانها نائحة ولا حرمة لها انها لا تبكي لشجركم انما تهريق دموعها على أخذ دراهمكم
وانها تؤذي موتاكم فيقبورهم وأحياكم فيدورهم انها تنهى عن الصبر وقد أمر الله به وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه ﴿وروي﴾ في الحديث
﴿من أصابته مصيبة فخرق عليها﴾ أي لأجلها ﴿ثوبا أو لطم﴾ أي ضرب ﴿خذا أو شق جيبا أو تف شعرا فكأنما أخذ رحا يريد أن
يحارب به﴾ أي بالرمح ﴿ربه﴾ وقال أبو مسعود البلخي رحمه الله من أصيب بمصيبة فمزق ثوبا أو ضرب صدرا فكأنما أخذ رحا يريد أن
يقا تل به ربه عز وجل أي ملائكة ربه كما قاله الشعرا نبي وأنشد بعضهم:

عجبت لجازع بك مصاب ❖ بأهل أو حميم ذي اكتاب

شقيق الجيب داعي الويل جهلا ❖ كأن الموت كالشيء العجاب

وساوى الله فيه الخلق حتى ❖ رسول الله منه لم يجاب

له ملك ينادى كل يوم ❖ لدوا للموت وابنوا للخراب

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال أول شيء كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ اني أنا الله لا اله الا أنا ومحمد رسول من
استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر لنعمائي كتب صديقا وبعث يوم القيامة مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي
ولم يشكر لنعمائي فليخذ الحاسوائى قال ابن المبارك المصيبة واحدة فاذا جزع صاحبها صارت اثنتين يعنى صارت المصيبة اثنتين
احداهما المصيبة والثانية ذهاب أجر المصيبة وهو أعظم من المصيبة وروى الخبر عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن رسول الله ﷺ
انه قال من أصابته مصيبة فليذكر مصيبيته بي فانها من أعظم المصائب وروى عنه أيضا كرم الله وجهه عن رسول الله ﷺ انه قال من
اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن أشفق على النار لها عن الشهوات ومن راقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه
المصائب وذكر ان في بعض الكتب مكتوبة أسطر في السطر الاول من أصبح حزينا أصبح ساخطا على الله وفي الثاني من شكك بمصيبة
نزلت به فأنما يشكو ربه وفي الثالث من لا يبالي من أتى باب آتاه رزقه لا يبالي من أتى أبواب النار أدخله الله وفي الرابع من أتى خطيئة وهو
يضحك دخل النار وهو يبكي وفي الخامس من كان أكبر همه الشهوات نزع الله خوف الآخرة من قلبه وفي السادس من تواضع لغنى لأجل
دنياه أصبح والفقر بين عينيه .

﴿قال﴾ الإمام الجليل الشيخ ﴿صالح المري﴾ رحمه الله تعالى ﴿نمت ليلة جمعة بمقبرة فرأيت الأموات﴾ في منامى قد ﴿خرجوا
من قبورهم وتحلقوا﴾ أي اجتمعوا في جلوسهم مستديرين ﴿ونزلت عليهم أطباق﴾ جمع طبق مثل سبب وأسباب وهو من أمتعة البيت
﴿مغطاة وفيهم شاب يعذب فتقدمت﴾ الى هذا الشاب ﴿فسأله﴾ ما سبب هذا العذاب ﴿فقال﴾ الشاب ﴿لى والدة جمعت
النوادب﴾ وتتدب معهن والنوادب جمع نادبة ﴿فانا معذب بذلك﴾ أي بما فعلت والدتي ﴿فلا جزاها الله عني خيرا ويكي ثم أمرني﴾
ذلك الشاب ﴿أن أذهب إليها﴾ أي الى أمه

وأعلمني بحملها وأن أنا شديدا بترك هذا العذاب العظيم الذي تسببت له فيه فلما أصبحت ذهبت إليها ورأيت عندها تلك النوادب ووجهها قد اسود من كثرة اللطم والبكاء فذكرت لها ذلك المنام فأتت وأخرجت النوادب وأعطتني دراهم لاتصدق بها عنه فأتيت المقبرة ليلة الجمعة على عادتي وتصدقت عنه بتلك الدراهم فتمت فرايته وهو يقول لي جزاك الله عنى خيرا أذهب الله عني العذاب ووصلت إلى الصدقة فأخبرني بذلك فاستيقظت فذهبت إليها فوجدتها ماتت فحضرت الصلاة عليها ودفنت بحسب ولدها

﴿وأعلمني بحملها وأن أنا شديدا﴾ أي أسأله وأطلبها ﴿بترك هذا العذاب العظيم الذي تسببت﴾ أمه ﴿له﴾ أي لذلك الشاب ﴿فيه﴾ أي في هذا العذاب ﴿فلما أصبحت﴾ أي دخلت في الصباح ﴿ذهبت إليها ورأيت عندها تلك النوادب﴾ التي ذكرها الشاب ﴿ووجهها﴾ أي وجه والدته ﴿قد اسود من كثرة اللطم والبكاء﴾ فذكرت لها ذلك المنام ﴿المذكور﴾ فأتت ﴿إلى رجاها﴾ وأخرجت النوادب ﴿من عندها﴾ وأعطتني دراهم لاتصدق بها عنه ﴿أي عن ولدها﴾ فأتيت المقبرة ليلة الجمعة على عادتي وتصدقت عنه بتلك الدراهم فرايته ﴿في المنام﴾ وهو يقول لي جزاك الله عنى خيرا أذهب الله عني العذاب العظيم ﴿ووصلت إلى الصدقة فأخبرني﴾ يا صالح ﴿أمرى بذلك﴾ أي برفع العذاب عني بسبب توبة أمي وفعلها الخيرات ﴿فاستيقظت فذهبت إليها فوجدتها ماتت فحضرت الصلاة عليها ودفنت بحسب ولدها﴾ المذكور.

قال أبو محمد خلف بن عمر العكبري في فوائده حديثا حدثنا أبو جعفر محمد بن صالح بن ذريح العكبري حدثنا اسماعيل بن مهram حدثنا الأشجعي عن شيخ عن ابن سيرين قال ما حدثك الميت بشيء في النوم فهو حق لانه في دار الحق وأخرج أبو الشيخ في كتاب الوصايا والحاكم في المستدرک والبيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل عن عطاء الخراساني قال حدثتني ابنة ثابت بن قيس بن شماس ان ثابنا قتل يوم اليمامة وعليه درع قنينة فقمه رجل من المسلمين فأخذها فبينما رجل من المسلمين تأتم إذا ثابنا ثابت في منامه فقال أو صيكت بوصية فأياك أن تقول هذا حلم قضيه أني لما قتلت أسمر مربي رجل من المسلمين فأخذ درعي ومنزله في أقصى الناس وعند خباته فرس يسير في طوله وقد كُتبا على الدرع برمة وفوق البرمة رجل فأت خالد بن الوليد فقمه أن يبعث إلى درعي فيأخذها وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني أبا بكر الصديق فقل له ان علي من الدين كذا وفلان من رقيق عتيق فلان فأتى الرجل خالد فأخبره فبعث إلى الدرع فأتى بها وحدثت أبا بكر برواها فأجاز وصيه قال ولا تعلم أحدا أجيزت وصيه بعد موته غير ثابت بن قيس.

وقال محمود بن محمد بن الفضل في كتاب المتعجبين حديثا هاشم بن القاسم الخراساني حدثنا بشر بن بكر النيسابوري حدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عطاء الخراساني قال أتيت المدينة فلقيت بها رجلا قلت حدثني بحديث ثابت بن قيس بن شماس يروحك الله تعالى قم معي فانطلقت معه حتى اتهمنا إلى باب دار فدخل فلبث لبنة ثم خرج إلى فادخلني فإذا امرأة جالسة فقال هذه ابنة ثابت بن قيس فأسألهما عما بدالك قلت حدثني عن أبيك رحمه الله قالت لما أنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية أغلق عليه بابه وطفق يركى فساق الحديث وفيه قوله صلى الله عليه وسلم لست منهم ولكن تعيش حميدا وتقتل شهيدا ويدخلك الجنة بسلام فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد إلى مسيلمة وفيه وكانت على ثابت درع قنينة وفيه فرأى رجلا من الصحابة في منامه أنه ثابت فنبأه إلى آخره نحو السياق الأول وفيه قالت ولا ترى أحدا من المسلمين أجيزت وصيه بعد موته إلا وصية ثابت بن قيس.

﴿تنبيه﴾ قد اجتمعت الأئمة على تحريم النذب وهو تعديد محاسن الميت كواجبائه والنوح وهو رفع الصوت بالنذب ومثله إفراط رفعه بالبكاء وإن لم يقتن بنذب ولا نوح وضرب نحو الخد والصدر وشق نحو الجيب ونشر الشعر وحلقه وتفه وتسويد الوجه والقاء الرماد على الرأس والدعاء بالويل والثبور أي الهلاك وكل شيء فيه تغيير للزى كلبس ما لا يعتاد لبسه أصلاً أو على تلك الصفة وكترك شيء من لباسه والخروج بدونه على خلاف عادته

وقال الياقبي رحمه الله رؤية الموتى في خير أو شر نوع من الكشف يظهره الله تبشيراً وموعظة أو لمصلحة للميت من إيصال خير له وقضاء دين أو غير ذلك ثم هذه الرؤية قد تكون في نوم وهو الغالب وقد تكون في اليقظة وذلك من كرامات الأولياء أصحاب الأحوال وقال في موضع آخر مذهب أهل السنة أن أرواح الموتى ترد في بعض الأوقات من عليين أو من سجين إلى أجسادهم في قبورهم عند إرادة الله تعالى وخصوصاً ليلة الجمعة ويجلسون ويتحدثون وينعم أهل النعيم قال وتختص الأرواح دون الأجساد بالنعيم أو العذاب مادامت في عليين أو سجين وفي القبور يشترك الزوج والجسد انتهى وقال ابن القيم الأحاديث والآثار تدل على أن الزائر متى جاء علم به المزور ويسمع كلامه وأنس به وورد سلامه عليه وهذا عام في حق الشهداء وغيرهم وأنه لا توقيت في ذلك قال وهو أصح من أثر الضحك الدال على التوقيت.

﴿تنبيه﴾ قد ظهر من هذه الأحاديث المذكورة وما اشتملت عليه من اللعين وأن ذلك كفر أي يؤدي إليه أولئك استحلال أو بالنعم ومن غير ذلك من أنواع الوعيد صحة ما قاله غير واحد من أن تلك كلها كباثر ويلحق بها ما في معناها وأما تقرير الشيخين لصاحب العدة على أن النياحة والصياح وشق الجيب في المصائب من الصفات المردودة قال الأذرع لم أر ذلك لغيره والأحاديث الصحيحة تقتضي أن ذلك من كباثر الذنوب لأنه صلى الله عليه وسلم تبرأ من فاعل ذلك وقال ليس منّا من لطم الخدود وشق الجيوب الحديث وقال اثنتان هما بئهم كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت رواه مسلم قال النووي في شرح مسلم وهذا الحديث يدل على تغليظ تحريم الطعن في النسب والنياحة قيل فيه أقوال أصحها أنهما من أعمال الكفار وأخلاق الجاهلية والثاني أنه يؤدي إلى الكفر والثالث أنه كفر النعمة والإحسان والرابع أن ذلك في المستحل انتهى.

وموجب الجزم بأن من جمع بين النياحة وشق الجيب والصياح مع العلم بالتحريم واستحضار النهي عنه والتشديدات فيه وتعمد ذلك خروج عن العدالة فجمعه بين هذه القبائح وإيذاء الميت بذلك كما نطقت به السنة انتهى كلام الأذرع وقال في موضع آخر وأما النياحة وما بعدها فإن كان ذلك تسخفاً بالقضاء وعدم رضا بالمقتضى فالظاهر أنه كبيرة وإن كان لفراط الجزع والضعف عن حمل المصيبة من غير استحضار سخط ونحوه فمحتمل وهل يغذ الجاهل فيه نظر وقال في الخادم وأما النياحة وما بعدها فقضية الخبر بالتوعد عليه أن يكون كبيرة انتهى.

﴿وقد أجمعت الأئمة﴾ وانتفت رضوان الله عليهم ﴿على تحريم النذب وهو تعديد محاسن الميت كواجبائه﴾ وإكفائه واجبائه ﴿وتحريم﴾ النوح وهو رفع الصوت بالنذب ومثله ﴿أي مثل النوح في التحريم﴾ إفراط رفعه بالبكاء وإن لم يقتن بنذب ولا نوح ومثله أيضاً ﴿ضرب نحو الخد والصدر وشق نحو الجيب ونشر الشعر وحلقه وتفه وتسويد الوجه والقاء الرماد على الرأس والدعاء بالويل والثبور أي الهلاك وكل شيء فيه تغيير للزى﴾ بالكسر أي الهية ﴿كلبس ما لا يعتاد لبسه أصلاً أو على تلك الصفة وكترك شيء من لباسه والخروج بدونه﴾ أي اللباس ﴿على خلاف عادته﴾ وقد ابتلى كثير من الناس بتغيير الزى مع ما تقرر من حرمة بل كونه كبيرة وفساق قايماً على تلك المذكورات وإن كانت أفحش منه لأنهم عللوا بما يعيهم الكل وهو أن ذلك يشعر أشعاراً ظاهراً بالسخط وعدم الرضا بالقضاء.

أما البكاء السالم من كل ذلك فهو جائز قبل الموت وبعده لكن الأولى تركه بعده وما مر من أن الميت يعذب ببكاء أهله واختلف الأئمة فيما ذا يحمل عليه والصحيح عندنا أنه محمول على ما إذا أوصى بذلك بخلاف ما إذا سككت فلم يأمر به ولم ينه وقيل إنه إذا سككت ولم ينه عن نحو النوح يعذب بذلك أيضا لأن سكوته رضا منه به فعذب به كما لو أمر فمن أراد الخروج من ورطة هذا القول ينبغي إذا نزل به مرض أن ينههم عن بدع الجنائز وغيرها من المحرمات الشنيعة والقبائح الفظيعة وفقنا الله لمرضاته .

﴿أما البكاء السالم من كل ذلك﴾ أي الندب والنوح ونحوهما ﴿فهو جائز قبل الموت وبعده لكن الأولى تركه﴾ أي البكاء المذكور ﴿بعده﴾ أي الموت أن أمكن ذلك وقال جمع أنه مكروه لقوله ﷺ في الحديث الصحيح فإذا وجبت فلا تبكين بأية وقد بكى ﷺ قبله على ولده وغيره أخرج الشيخان أنه ﷺ عاد سعد ابن عباد ومعه جماعة فبكى فلما رأوه بكوا فقال الاتسمعون أن الله لا يعذب بدمع العين ولا يحزن القلب ولكن يعذب بهذا وأمر برحم وأشار إلى لسانه وأخرج أيضا أنه رفع إليه ﷺ ابن لبته وهو في الموت ففاضت عيناه فقال له سعد ما هذا يا رسول الله قال هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء وأخرج البخاري أنه ﷺ دخل على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف وأنت يا رسول الله فقال يا ابن عوف إنها رحمة ثم أتبعها بأخرى فقال إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وأنا بفراقك يا إبراهيم لحزونون وأخذ أصحابنا من ذلك كله قولهم دمع العين بلا بكاء ولا كراهة فيه بل هو مباح قاله العلامة ابن حجر .

﴿وما مر﴾ في الأحاديث الصحيحة ﴿من أن الميت يعذب ببكاء أهله اختلف الأئمة﴾ رضي الله عنهم على مذاهب ﴿فيما ذا يحمل﴾ ما مر من ذلك ﴿عليه﴾ أحدها أنه على ظاهره مطلقا وهو رأي عمر بن الخطاب وابنه والثاني لامطلقا والثالث أن البكاء للخال أي أنه يعذب حال بكاؤهم عليه والتعذيب بماله من ذنب لا بسبب البكاء والرابع أنه خاص بالكافر والقولان عن عائشة رضي الله عنها والخامس أنه خاص بمن كان النوح من سنته وطريقته وعليه البخاري ﴿و﴾ السادس ﴿الصحيح عندنا أنه﴾ أي تعذيب الميت ببكاء أهله ﴿محلول على ما إذا أوصى﴾ الميت ﴿بذلك﴾ أي البكاء كقول طرفة بن العبد: إذا مت فانهي بما أنا أهله * وشقني على الجيب يا بنت معبد فان قيل ذنب الميت فيما إذا أوصى الأمر بذلك فلا يختلف عذابه بامتثالهم وعدمه أجيب بأن الذنب على السبب يعظم بوجود المسبب وشاهده خبر من سن سنة نسيته عليه وزرعا وزر من يعمل بها فالأثم يزد عليه بالامتثال بما لا يوجد ولا يمتثل والسناع أنه فيمن لم يوص بتركه فيكون الرخصة بذلك واجبة إذا علم أن من شأن أهله أن يفعلوا ذلك والثامن أن التعذيب بالصفات التي يكون بها عليه وهي مذمومة شرعا لما كان أهل الجاهلية يقولون يا مرسل النسوان يامسن الأولاد يا حزن الدور والتاسع أن المراد بالتعذيب توبيخ الملائكة له بما ينذبه به أهله لحديث الترمذي والحاكم وابن ماجه مرفوعا ما من ميت يموت فتقوم ناديه تقول واجبله واسنداه أو شبه ذلك من القول الأوكل به ملكان يلهمانه أهكذكت وتقدم هذا الحديث ونحوه ﴿بخلاف ما إذا سككت فلم يأمر به﴾ أي بالبكاء ﴿ولم ينه﴾ عنه ﴿وقيل﴾ أنه إذا سككت ولم ينههم ﴿أي أهله﴾ عن نحو النوح يعذب بذلك ﴿أي بسكوته وعدم نهيه لهم عن ذلك﴾ أيضا ﴿أي كما أنه يعذب ببكاء الأهل إذا أوصى به﴾ لأن سكوته ﴿عن نهيم﴾ رضامنه به ﴿أي بنحو النوح﴾ فعذب به ﴿أي بالسكوت﴾ عن ذلك كما لو أمر ﴿بما ذكر﴾ فمن أراد الخروج من ورطة ﴿أي هلكة ومفسدة﴾ هذا القول الذي ذكر قريبا وهو أنه إذا سككت ولم ينههم عن نحو النوح يعذب بذلك ﴿ينبغي إذا نزل به مرض أن ينههم عن بدع الجنائز وغيرها من المحرمات الشنيعة﴾ أي القبيحة ﴿والقبائح الفظيعة﴾ أي الشديدة في قبحها ﴿وفقنا الله لمرضاته﴾ جملة دعائية .

﴿فصل﴾ فيما يقوله المريض للنجاة من العذاب ﴿أخرج﴾

* خاتمة * نسال الله حسنهما في نسيان أهل الميت ميتهم قال الشعراني في مختصر التذكرة روى مرفوعا أن الله تعالى قد وكل بمن يتبع الجنائز من أهل الميت ملكا إذا رجعوا من دفنها وخف معهم وحزنهم بميتهم أن يأخذ كما من تراب ويرمى به في وجوههم ويقول لهم ارجعوا أنساكم الله موتاكم فينسون ميتهم ويأخذون في أكلهم وشربهم وضحكهم وبيعهم وشراءهم كأنهم لم يكونوا منه ولم يكن منهم الحديث بمعناه وروى أن الله تعالى لما مسح على ظهر آدم عليه الصلاة والسلام فاستخرج ذريته قالت الملائكة يا رب لا تسعهم الأرض فقال تعالى اني جاعل موتا فقالت الملائكة باب لا يهنهم العيش فقال اني جاعل أملا انتهى فكان طول الأمل برحمة من الله تعالى للناس تنظم به أسباب معاشهم وتستحكم لهم الأمور ويقوى الصانع على صنعة والعابد على عبادته فهذا محمود ولولا ذلك لتفسخت عزائم الناس ولم يتم لهم عمل فعلم أن الأمل المذموم هو الذي ينسى العبد أمور آخرته ويقسى قلبه ويشطه عن الأعمال وكان الحسن البصري رضى الله عنه يقول الغفلة والأمل نعمتان عظيمتان على ابن آدم ولولا هما ما مشى المسلمون في الطريق وتعطلت الأسباب على أهلها وأدى ذلك إلى ضرر عظيم لعدم من يقوم بأمر معاشهم وكان مطرف بن عبد الله يقول لو علمت وقت أجلى لحشيت على ذهاب عقلى ولكن الله تعالى يمن على عباده بالغفلة عن الموت في نبض الأوقات ليهنوا بالعيش ولولا ذلك ما يهنئون به ولا قامت بينهم أسواقهم انتهى فانه يجعلنا من الذين يذكرون الموت ولا يلهمهم ذلك عن أعمال آخرتهم والحمد لله رب العالمين.

﴿فصل فيما يقوله المريض﴾ من الكلمات المباركة ﴿للنجاة من العذاب﴾ في القبر وغيره

﴿أخرج﴾ الطبراني في الكبير والترمذي في نوادر الأصول والاصبها في الترغيب عن عبد الرحمن بن سمرة قال خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال اني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمي جاء ملك الموت ليقبض روحه فجاء به لوالديه فردة عنه ورأيت رجلا من أمي بسط عليه عذاب القبر فجاء وضوءه فاستنقذه من ذلك ورأيت رجلا من أمي قد احتوشته الشياطين فجاء ذكر الله فخلصه من بينهم ورأيت رجلا من أمي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذه من أيديهم ورأيت رجلا من أمي يلهث عطشا كلما ورد حوضا منع منه فجاءه صيامه فسقاه وأرواه ورأيت رجلا من أمي والنيون قعود حلقا حلقا كلما دنا لخلقة صردوه فجاء اغتساله من الجنابة فأخذ يده وأقعده إلى جنبى ورأيت رجلا من أمي بين يديه ظلمة وخلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة فهو متحير فيها فجاءه حجه وعبرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور ورأيت رجلا من أمي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلوات الرحم فقالت يا معشر المؤمنين كلوه فكلوه ورأيت رجلا من أمي يتقى ومهج النار وشزرها يده عن وجهه فجاءته صدقة فصارت سترًا على وجهه وظلا على رأسه ورأيت رجلا من أمي أخذته الزانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله مع ملائكة الرحمة ورأيت رجلا من أمي جاثيا على ركبته بينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذه يده فأدخله على الله ورأيت رجلا من أمي قد هوت به صحيفة من قبل شمالة فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه ورأيت رجلا من أمي قد خف ميزانه فجاءه أفراطه فقتلوا ميزانه ورأيت رجلا من أمي قائما على شفير جهنم فجاءه وجهه من الله فاستنقذه من ذلك ومضى ورأيت رجلا من أمي هوى في النار فجاءه دموعه التي بكى بها من خشية الله في الدنيا فاستخلصه من النار ورأيت رجلا من أمي قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فجاءه حسن ظنه بالله فسكن روحه ومضى ورأيت رجلا من أمي على الصراط يزحف أحيانا فجاءته صلاته على فأخذت يده فأقامته ومضى على

الترمذي والتسائي وابن ماجه وحبان والحاكم عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله والله أكبر صدقه ربه فقال لا إله إلا أنا وأنا أكبر وإذا قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي وإذا قال لا إله إلا الله له الملك وله الحمد قال الله لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد وإذا قال لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله قال الله لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار * وابن عساکر عن علي كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم كلمات من قالهن عند وفاته دخل الجنة لا إله إلا الله الحليم الكريم ثلاثا والحمد لله رب العالمين ثلاثا تبارك الذي بيده الملك يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والحاكم عن سعد بن أبي وقاص عنه صلى الله عليه وسلم أيما مسلم قال في مرضه لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين أربعين مرة فمات في مرضه ذلك أعطى له أجر شهيد وإن برئ برئ غفرت له جميع ذنوبه * والطبراني من قرأ سورة قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه مائة مرة لم يقن في قبره وأمن من ضغطة القبر وحمله الملائكة يوم القيامة بأجنحتها حتى يجيزونه من الصراط إلى الجنة *

الصراط ورأيت رجلا من أمي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله فتفتحت له الأبواب وأدخله الجنة ورأيت ناسا تقرر شفاهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال المشاءون بين الناس بالنسبة ورأيت رجلا معلقين بالسنتهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا قال القرطبي هذا حديث عظيم ذكر فيه أعمالا خاصة تنجي من أهوال خاصة.

وأخرج الترمذي والتسائي وابن ماجه وحبان والحاكم عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما ﴿قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله والله أكبر صدقه ربه فقال عز وجل ﴿لا إله إلا أنا وأنا أكبر وإذا قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي وإذا قال لا إله إلا الله له الملك وله الحمد قال الله لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد وإذا قال لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله قال الله لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي﴾ وكان يقول ﴿من قالها﴾ أي هذه الكلمات ﴿في مرضه ثم مات لم تطعمه النار﴾ قال الترمذي حديث حسن.

﴿و﴾ أخرج ابن عساکر عن علي كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم كلمات ﴿جمع كلمة والمراد بها هنا الكلام ﴿من قالهن عند وفاته﴾ أي يكثر من ذلك في مرضه قبل الاحتضار أما عند الاحتضار فالملوك لا إله إلا الله أروع لفظ أشهد فقد ورد أن من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة كما يأتي ﴿دخل الجنة﴾ مع السابقين أو من غير سبق عذاب ﴿لا إله إلا الله الحليم الكريم﴾ يقولها ﴿ثلاثا﴾ من المرات ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ يقولها ﴿ثلاثا تبارك الذي بيده الملك يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير﴾ ظاهر السياق أن هذه يقولها مرة واحدة.

﴿و﴾ أخرج الحاكم أبو عبد الله ﴿عن سعد بن أبي وقاص﴾ رضي الله عنه ﴿عنه صلى الله عليه وسلم أيما مسلم قال في مرضه لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين أربعين مرة فمات في مرضه ذلك أعطى له أجر شهيد وإن برئ﴾ من مرضه ﴿برئ﴾ وقد غفرت له جميع ذنوبه ﴿أخرج الطبراني من قرأ سورة قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه مائة مرة لم يقن في قبره وأمن من ضغطة القبر﴾ أي ضمة الميت ﴿وحمله الملائكة يوم القيامة بأجنحتها حتى يجيزونه من الصراط إلى الجنة﴾ وفي رواية وجاوز الصراط على أهل الملائكة.

واعلم أن ضغطة القبر هي أول ما يلحق الميت من أهوال القبر فهي قبل السؤال وقد صرحت الأخبار والآثار بأن ضمة القبر عامة لكل أحد فدخل فيه الصبيان الذين ماتوا صغارا وما يشهد لذلك ما رواه الطبراني بسند صحيح عن أبي أيوب أن صيا دفن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفكت هذا الصبي وروى الطبراني في الأوسط عن أنس أن النبي ﷺ صلى على صبي أوصية فقال لو أن أحدا نجح من ضمة القبر لنجح هذا الصبي وروى علي بن معبد في كتاب الطاعة والعصيان من طريق إبراهيم الغنوي عن رجل قال كنت عند عائشة فمرت جنازة صبي فبكيت فقلت لها ما يبكيك قالت هذا الصبي بكيت له شفقة عليه من ضمة القبر وروى غير من شية في كتاب المدينة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال ما عفى أحد من ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد قيل يا رسول الله ولا القاسم ابنك قال ولا إبراهيم وكان أصغرهما ومن الغرب ما قال الزبير ابن بكار حدثني أبو غزيرة الأنصاري عن إبراهيم بن سعد عن محمد بن اسحاق قال قال عبد الله بن عمرو توفي سعد بن معاذ فخرج إليه رسول الله ﷺ فينما هم يمشون إذ تحلف فوقوا حتى أدرهم فقالوا يا بني الله ما خلفك عنا قال سمعت سعد بن معاذ حين ضم في قبره وقد اهتز له عرش الرحمن فقال سعد أكرم على الله أم يحجي بن زكريا فوالذي نفسي بيده لقد ضم لانه شبع شعبة من خبز شعير.

قال السيوطي هذا حديث منكر بمره واستناده معضل والمعروف أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يضغطون قال أبو القاسم السعدي في كتاب الروح له لا ينجم من ضغطة القبر صالِح ولا طالح غير أن الفرق بين المسلم والكافر فيها دوام الضغطة للكافر وحصول هذه الحالة للمؤمن في أول نزوله إلى قبره ثم يعود إلى الإفراح فيه قال والمراد بضغطة القبر التقاء جنيته على جسد الميت وقال الحكيم الترمذي سبب هذه الضغطة أنه ما من أحد إلا وقد ألم بخطيئة ما وإن كان صالحا فجعلت هذه الضغطة جزاء لها ثم تدركه الرحمة ولذلك ضغط سعد بن معاذ في التصير من البول قال وأما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلا تعلم أن لهم في القبر ضمة ولا سوء إلا لعصيتهم وقال النسفي في بحر الكلام المؤمن المطيع لا يكون له عذاب القبر وتكون له ضغطة القبر فيجد هول ذلك وخوفه لما أنه تتمم بنعمة الله تعالى ولم يشكر النعمة.

وروى ابن أبي الدنيا عن محمد التيمي قال كان يقال إن ضمة القبر إنما أصلها أنها أهمهم ومنها خلقوا فغابوا عنها الغيبة الطويلة فلما رد إليها أولادها ضمتهم ضمة الوالدة التي غاب عنها ولدها ثم قدم عليها فمن كان لله مطيعا ضمته برأفة ورقق ومن كان عاصيا ضمة بعنق سنخط منها عليه لربها وروى البيهقي وابن مندة والديلمي وابن النجار عن سعيد بن المسيب أن عائشة قالت يا رسول الله منذ يوم حدثني بصوت منكر ونكير وضغطة القبر ليس ينفعني شيء قال يا عائشة إن اصوات منكر ونكير في اسماع المؤمنين كالأثم وإن ضغطة القبر على المؤمن كالآم الشقيقة يشكو إليها ابنها الصداق فتغمر رأسه غمرا رفيقا ولكن يا عائشة ويل للشاكرين في الله كيف يضغطون في قبورهم كضغطة الصخرة على البيضة.

* فائدة * قال بعضهم من فعل سبئة فإن عقوبتها تدفع عنه بعشرة أسباب أن يتوب فيتاب عليه أو يستغفر فيغفر له أو يفعل حسنات تمحوها أو يتلى في الدنيا بمصائب فكفر عنه أو في البرزخ بالضغطة والفتنة فكفر عنه أو يدعوه أخوانه من المؤمنين ويستغفرون له أو يهدون له من ثواب أعمالهم ما ينفعه أو يتلى في عرصات القيامة بأهوال تكفر عنه أو تدركه شفاعته نبيه أو رحمه ربه.

* تنبيه * قال الفقيه رحمه الله من أراد أن ينجم من عذاب القبر فعليه أن يلزم أربعة أشياء ويحجب أربعة أشياء فاما الأربعة التي يلزمها فمحافظة الصلوات والصدقة وقراءة القرآن وكثرة التسبيح فان هذه الأشياء تضيء القبر وتوسعه وأما الأربعة التي

يحبسها بالكذب والخيانة والنميمة والبول فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال تنزهوا عن البول فان عامة عذاب القبر منه وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال ان الله تعالى كره لكم أربعة العث في الصلاة واللغو في القراءة والرفث في الصيام والضحك عند المقابر وروى عن محمد بن السماك أنه نظر الى مقبرة فقال لا يغرنكم سكوت هذه القبور فما أكر المغمومين فيها ولا يغرنكم استواء القبور فما أشد تفاوتهم فيها فينبغي للعاقل أن يكثر من ذكر القبر قبل أن يدخله قال سفيان الثوري رحمه الله من أكثر من ذكر القبر وجدته روضة من رياض الجنة ومن غفل عنه وجدته حفرة من حفر النيران.

وروى عن علي عليه السلام أنه قال في خطبته يا عباد الله الموت الموت ليس منه قوت ان أقسم له أخذك وان فررت منه أدر كك الموت فالنجاة النجاة الوحى الوحى فان وراءكم طالبا حثيا وهو القبر ألا وان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران ألا وانه يتكلم في كل يوم ثلاث مرات فيقول انا بيت الظلمة انا بيت الوحشة انا بيت الديدان ألا وان وراء ذلك اليوم أشد من ذلك اليوم يوما يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير وتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ألا وان وراء ذلك اليوم ناراً حرها شديد وقبرها بعيد وحليها حديد وماؤها صديد ليس فيها الرحمة قال فبكى المسلمون بكاء شديدا فقال وان وراء ذلك اليوم جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين أجاربا الله إياكم من العذاب الأليم وأحلنا وإياكم دار النعيم . وقال السيوطى في شرح الصدور أخرج أبو نعيم عن سلمان الفارسي ان بعض أهل الكتاب أخبره ان عيسى عليه السلام قال طول القنوت الأمان على الصراط وطول السجود الأمان من عذاب القبر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال للرجل ألا أتحمك بحديث تشرح به قال بلى قال اقرأ تبارك الذي بيده الملك وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيانك وجيرانك فانها المنجية والمجادة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارنها وتطلب له أن ينجيه من عذاب النار وينجوها صاحبها من عذاب القبر وأخرج خلف بن هشام في فضائل القرآن والحاكم وصححه والبيهقي عن ابن مسعود عليه السلام قال سورة الملك هي المانعة تمنع من عذاب القبر يؤتي صاحبها في قبره من قبل رأسه فيقول لاسيل علي فانه وعى في سورة الملك ثم يؤتي من قبل رجله فيقول رجلاه ليس لك علي سبيل انه كان يقوم بي بسورة الملك وأخرج النسائي عن ابن مسعود عليه السلام قال من قرأ تبارك الذي بيده الملك كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر وكما في عهد رسول الله ﷺ نسيها المانعة.

وأخرج ابن عساکر في تاريخه بسند ضعيف عن أنس عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ ان رجلا مات وليس معه شيء من كتاب الله الا تبارك الملك فلما وضع في حفرة أتاه فتارت السورة في وجهه فقال لها انك من كتاب الله وأنا أكره مساءتك واني لأملكك ولاله ولا لنفسي ضرا ولا نفعا فان أردت هذا به فانطلقى الى الرب تعالى فاشفعني له فتطلق الى الرب فيقول يا رب ان فلانا عبد الى من بين كتابك فتعلمني وتلاوني أفرقه أنت بالنار ومعذبه وأنا في جوفه فان كنت فاعلا ذلك به فاعني من كتابك فيقول لأراك غضبت فتقول وحق لي أن أغضب فيقول اذهبى فقد وهبته لك وشفعتك فيه فتجي فتزير الملك فيخرج كاشف البال لم يحل منه شيء فتجي فتضعها على فيه فتقول مرحبا بهذا القم فرما تلاني ومرحبا بهذا الصدر فرما وعاني ومرحبا بها بين القديمين فرما قاما بي وتونسه في قبره مخافة الوحشة عليه قال فلما حدث رسول الله ﷺ بهذا الحديث لم يبق صغير ولا كبير ولا جز ولا عبد الا تعلمها وسماها رسول الله ﷺ المنجية قال في الصحاح رجل كاشف البال أى سبى الحال وكاشف الوجه أى عباس الوجه وقوله لم يحل منه شيء أى لم يستند منه فائدة ولا يتكلم به الا مع المجدد والزبر بزمى أى موحدة وراء الزجر والانتهاز .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك بأمر حق من تكلم به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار قلت بلى قال لا إله إلا الله يحني ويميت وهو حي لا يموت وسبحان الله رب العباد والبلاد والحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال الله أكبر كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم إن كنت أمرضني لقبض روعي في مرضي هذا فاجعل روعي في أرواح من سبقت لهم منك الحسنى وأعدني كما أعدت أولئك الذين سبقت لهم منك الحسنى أن مت في مرضك ذلك فإني رضوان الله والجنة وإن قد اقترفت ذنوبا تاب الله عليك * وعن معاذ من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة *

وأخرج أبو عبيدة في فضائله والبيهقي في الدلائل عن ابن مسعود قال إن الميت إذا مات أوقدت نيران حوله فأكل كل نار ما يليها إن لم يكن له عمل يحول بينه وبينها وإن رجلا مات ولم يقرأ من القرآن الأسورة تبارك الملك فأتته من قبل رأسه فقالت إنه كان يقرؤني فاتته من قبل رجله فقالت إنه كان يقوم بي فاتته من قبل جوفه فقالت إنه كان وعاني فأنجته وأخرج الدارمي في مسنده عن خالد بن معدان قال بلغني أن أبا تمزبل تجادل عن صاحبها في القبر يقول اللهم إن كنت من كتابك فشغفني فيه وإن لم أكن من كتابك فاجنني منه وإنها تكون كالطير تجعل جناحيها عليه فتشفع له وتمنعه من عذاب القبر وفي تبارك مثله فكان خالد لا يبيت حتى يقرأها وأخرج هو والترمذي عن جابر قال كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ ألم تنزل السجدة وتبارك الملك.

وأخرج الأصبهاني في الترغيب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ من صلى بعد المغرب ركعتين في ليلة الجمعة قرأ كل ركعة منهما بفاتحة الكتاب مرة وإذا زلزلت خمس عشرة مرة مؤمن الله عليه سكرات الموت وأعاده الله من عذاب القبر ويسر له الجواز على الصراط يوم القيامة. وأخرج وأبو يعلى عن أنس قال قال رسول الله ﷺ من مات يوم الجمعة وقى عذاب القبر وأخرج البيهقي عن عكرمة بن خالد المخزومي قال من مات يوم الجمعة أوليلة الجمعة ختم بخاتم الإيمان ووقى عذاب القبر وأخرج البيهقي قال ابن رجب روى بإسناد ضعيف عن أنس بن مالك أن عذاب القبر يرفع عن الموتى في شهر رمضان.

﴿و﴾ أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفارات وابن ماجة في مسنده ﴿عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾ يا أبا هريرة ﴿ألا أخبرك بأمر حق من تكلم به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار قال بلى﴾ أخبرني بذلك ﴿قال﴾ ﷺ هو ﴿لا إله إلا الله يحني ويميت وهو حي لا يموت وسبحان رب العالمين والحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال﴾ و ﴿الله أكبر﴾ كبيرا ﴿كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم إن كنت أمرضني لقبض روعي في مرضي هذا فاجعل روعي في جملة﴾ أرواح من سبقت لهم منك الحسنى وأعدني كما أعدت أولئك الذين سبقت لهم منك الحسنى أن مت في مرضك ذلك قال رضوان الله والجنة وإن كنت ﴿قد اقترفت﴾ أي ارتكبت ﴿ذنوبا تاب الله عليك﴾ أي قبل توبتك.

﴿و﴾ أخرج أحمد وأبو داود والحاكم ﴿عن معاذ﴾ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ ﴿من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة﴾ وأخرج الحكيم عن زيد بن الأرقم قال قال رسول الله ﷺ من قال لا إله إلا الله خلصا دخل الجنة فقد اشترط في هذا القول الإخلاص ولا يكون الإخلاص الآن يعمه ذلك القول عنده من الذنوب فإن كان القول لا يمتنع من الذنوب فليس بمخلص ويخاف أن يكون ذلك القول عنده عارية والغارية تسترد منه قال الفقيه رحمه الله الناس في إيمانهم على ضربين منهم من يكون إيمانه له عطاء ومنهم من يكون له عارية فالعامة في ذلك أن الذي يكون إيمانه عطاء يمتنع إيمانه من الذنوب ويرغنه في الطاعات والذي هو عارية لا يمتنع من الذنوب ولا يرغنه في الطاعات لأنه لا تدبر له في مكان هو فيه عارية.

وعن ابن عباس اقتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله ولقنوههم عند الموت لا إله إلا الله فإن من كان أول كلامه لا إله إلا الله وآخر كلامه لا إله إلا الله ثم عاش ألف سنة ما نسل عن ذنب واحد * وعن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم اقرؤا على موتاكم يس ﴿وروي﴾ ما من ميت يقرأ عنده يس إلا هون الله عليه ويستحب إذا احتضر الميت أن يقرأ عنده أيضا سورة الرعد فإن ذلك يخفف عن الميت سكرة الموت أنه أهون لقبضه وأيسر لشأنه وذكر جماعة أن السواك يسهل خروج الروح لاستياكه صلى الله عليه وسلم عند موته ﴿و﴾ أخرج البيهقي في شعب الإيمان ﴿عن ابن عباس﴾ رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال ﴿اقتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله ولقنوههم عند الموت لا إله إلا الله فإن من كان أول كلامه لا إله إلا الله وآخر كلامه﴾ عند خروجه من الدنيا ﴿لا إله إلا الله﴾ ثم عاش ألف سنة ﴿وفي رواية زيادة وعمل ألف سنة﴾ ما نسل عن ذنب واحد ﴿قال البيهقي خبر غريب لم نكتبه إلا بهذا الاسناد وأخرج مسلم عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال لقنوا موتاكم لا إله إلا الله﴾ قال ابن حبان وغيره أراد من حضره الموت وأخرج أبو يعلى والحاكم بسند صحيح عن طلحة وعمر قال سمعنا رسول الله ﷺ يقول اني لأعلم كلمة لا تقولها رجل يحضره الموت إلا وجد روحه لها راحة حين تخرج من جسده وكانت له نورا يوم القيامة وفي لفظ النفس الله عنه وأشرق له لونه ورأى ما يسره لا إله إلا الله وأخرج أبو نعيم عن فرقد السنجي قال إذا حضر العبد الوفاة قال الملك صاحب الشمال لصاحب اليمين خفف فيقول صاحب اليمين لا أخفف لعله يقول لا إله إلا الله فأكتبها وأخرج أبو القاسم القشيري في أماليه عن أبي هريرة مرفوعا إذا ثقلت مرضاكم فلا تملوهم قول لا إله إلا الله ولكن لقنوههم فإنه لم يختم به لمناقض قط .

﴿و﴾ أخرج ابن أبي شيبة وأحمد وأبو داود والنسائي والحاكم وابن حبان ﴿عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ﴾ قال ﴿اقرؤا على موتاكم يس﴾ قال ابن حبان أراد به من حضره الموت لأن الميت لا يقرأ عليه ﴿وروي﴾ بالبناء للمفعول أي روى أحمد وابن أبي الدنيا والديلمي عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال ﴿ما من ميت يقرأ عنده﴾ أي عند رأسه كما في رواية ﴿يس إلا هون الله عليه﴾ و﴿أخرج ابن أبي شيبة والمروزي عن جابر بن زيد قال كان﴾ يستحب إذا احتضر الميت أن يقرأ عنده أيضا ﴿أي كما يقرأ عنده يس﴾ سورة الرعد فإن ذلك يخفف عن الميت سكرة الموت وأنه أهون لقبضه وأيسر لشأنه ﴿وكان يقال قبل أن يموت الميت ساعة في حياة رسول الله ﷺ اللهم اغفر لفلان بن فلان وبرد عليه مضجعه ووسع عليه قبره وأعطه الراحة بعد الموت وألحقه بنيه وتول نفسه وصعد روحه في أرواح الصالحين واجمع بيننا وبينه في دار تقي فيها الصخرة ويذهب عنا النصب واللغوب ويصلي على رسول الله ﷺ ويكرر ذلك حتى يقبض وأخرج ابن أبي شيبة والمروزي عن الشعبي قال كانت الأنصار يقرؤن عند الميت سورة البقرة وأخرج أبو نعيم عن قتادة في قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا قال مخرجا من شبهات الدنيا ومن الكرب عند الموت ومن واقف يوم القيامة كذا في شرح الصدور .

﴿وذكر جماعة﴾ من العلماء ﴿أن السواك يسهل خروج الروح﴾ من البدن وأخذ بعضهم منه تأكده للمريض ﴿لاستياكه صلى الله عليه وسلم عند موته﴾ روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت ان من نعم الله علي أن الله جمع بين ربيقي وربيقة عند موته ودخل علي عبد الرحمن ويده سواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ فرأيت ينظر اليه وعرفت انه يحب السواك فقلت آخذه لك فأشار برأسه أن نعم وفي رواية له مر عبد الرحمن ويده جريدة رطبة فنظر اليه رسول الله ﷺ فظننت أن له بها حاجة فأخذهت فمضغت راسها ونقضتها ودفعها اليه فاستن بها أحسن ما كان مستنأثم ناولنيها فستطت يده أو سقطت من يده فجعل الله بين ربيقي وربيقة في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة وفي رواية له دخل عبد الرحمن بن أبي بكر علي النبي ﷺ وأنا مسندته إلى صدرى ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به

﴿وروي أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم من أتاه ملك الموت وهو على وضوء أعطى الشهادة﴾

فأمرو رسول الله ﷺ بصره فأخذت السواك فنصفه ونقضه وطيبته ثم دفعته إلى النبي ﷺ فاستن به فمأرأته استننا قط أحسن منه وفي حديث أخرجه العقيلي أنه ﷺ قال لها في مرضه اثني سواك رطب فامضيه ثم اثني به أمضغه لكي يختلط ريقى بريقك لكي يموت على عند الموت وروى ابن عبد البر عن عائشة قالت مات رسول الله ﷺ بين ارتفاع الضحى واتصاف النهار يوم الاثنين قالت فاطمة رضي الله عنها ما لقيت من يوم الاثنين والله لا تزال الأمة تصاب فيه بمظيمة.

﴿وروي أنس﴾ فيما أخرجه الطبراني عنه ﴿عن النبي صلى الله عليه وسلم﴾ قال ﴿من أتاه ملك الموت وهو على وضوء أعطى الشهادة﴾ وأخرج البيهقي في شعب الإيمان وأبو نعيم في الحلية عن مجاهد قال قال لي ابن عباس لا تنامن الأعلى وضوء فان الأرواح تبعث على ما قبضت عليه.

* مهمة * فيما قال عند دفن الميت وتلقينه بعد موته أخرج البزار عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال إذا بلغت الجنائزة القبر فجلس الناس فلا تجلس ولكن قم على شفير القبر فاذا دلى في قبره فقل بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ اللهم عبدك نزل بك وأنت خير منزل به خلف الدنيا خلف ظهره فاجعل ما قدم عليه خيرا مما خلف فانك قلت وما عند الله خير للأبرار وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن حيشة قال كانوا يستحبون إذا دفنوا الميت أن يقولوا بسم الله وفي سنن أبي داود وعلى ملة رسول الله ﷺ اللهم أجره من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن شر الشيطان الرجيم.

وأخرج الطبراني في الكبير وابن منده عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال إذا مات أحد من إخوانكم فسوِّم عليه التراب فليغم أحدكم على رأس القبر ثم ليقل يا فلان ابن فلانة قلته يسمعه ولا يجب ثم يقول يا فلان ابن فلانة فانه يسوِّى قاعدته يقول يا فلان ابن فلانة فانه يقول أرشدنا رحمة الله ولكن لا تشعرون فليقل أذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأنت رضى بالله رباً وبالاسلام ديناً ومحمد نبياً وبالقرآن إماماً فان منكراً ونكيراً يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول انطلق بنا ما تعد عند من لقن حجة فيكون الله حججه دونهما قال رجل يا رسول الله فان لم يعرف أمه قال ينسبه إلى حواء يا فلان ابن حواء وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال كان رسول الله ﷺ يقف على القبر بعد ما يسوِّى عليه اللهم نزل بك صاحبنا وخلف الدنيا خلف ظهره اللهم ثبت عند المسئلة منقطعه ولا تبته في قبره بما لا طاقة له به وكان شيبة بن أبي شيبة يقول أوصني أمي عند موتها أن أقوم عند قبرها بعد دفنها وأقول يا أم شيبة قول لا إله إلا الله ثم انصرف فلما كان الليل رأيتها في المنام وهي تقول إلى يابني كدت أهلك لولا تداركني بلاله إلا الله فاذا حضر أحدكم أيها الإخوان دفن أخيه المسلم فليقل له بعد تسوية التراب عليه يا فلان بن فلانة قل لا إله إلا الله محمد رسول الله أو ليقل قل الله ربى والاسلام دينى ومحمد ﷺ رسولى ولا يتعلل أحدكم بقوله لا أعرف ألقن الميت فان هذه ثلاث كلمات يسهل حفظها على كل بلد فضلاً عن غيره والحمد لله رب العالمين قاله الشعراني.

قال الآجروى يستحب الوقوف بعد الدفن قليلاً والدعاء للميت مستقبلاً وجهه بالثبات فيقول اللهم هذا عبدك وأنت أعلم به منا ولا نعلم منه الاخير أو قد أجلسه لنسأله اللهم فثبه بالقول الثابت في الآخرة كما ثبت في الدنيا اللهم ارحمه وألحقه بنيه محمد ولا تضلنا بعده ولا تحرمنا أجره وقال الترمذي الحكيم الوقوف على القبر وسؤال الثيب في وقت الدفن مدد للثيب بعد الصلاة لأن الصلاة لجماعة المؤمنين كالعسكر له قد اجتمعوا بباب الملك يشعرون له والوقوف على القبر وسؤال الثيب مدد للعسكر وذلك ساعة شغل

﴿فصل في الصبر على المصائب﴾

الميت لأنه يستقبله مول المطعم وسؤال الفتانين وأخرج ابن سعد عن الضحاک قال قال لي النزال بن سبرة إذا دخلت قبري فقل اللهم بارك في هذا القبر وفي داخله .

* خاتمة * ما وقع كثير من أن شخصا من الحاضرين للصلاة على الميت يشهد هم عليه بعد السلام منها ومثله بعد دفنه كما جرت به عادة بعض القطر في البلاد الجاوية فيقولون أهل خير له أهل في السنة الآن العوام طردوه في كل ميت ولو كان متجاهرا بالمعاصي وليس بلاقق وإنما اللائق أنه أن كان متجاهرا ومات على ذلك أولم يكن متجاهرا الكهم علموا أنه مات وهو مصر أن لا يذكره بخير بل لو كانت المصلحة في ذكر مساويه للتحذير من بدعته وسوء طوبته جاز لهم أن يذكره بالشر كما نقله العلقمي عن شيخ شيوخه ولا يرد على ذلك أنهم كيف يمكنون من ذكر الموتى بالشر مع ما ورد في البخاري وغيره من النهي عن سب الأموات كقوله ﷺ لا تذكروا أهل كذاكم إلا بخير وقوله عليه الصلاة والسلام اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم لأن النهي عن ذلك كما قال النووي في شرح مسلم ومثله العز بن عبد السلام إنما هو في غير الكفار والمنافقين وفي غير المظاهرين بفسق أو بدعة فأما هؤلاء فلا يحرم ذكرهم بالشر للتحذير من طريقهم ومن الاقتداء بآثارهم والتخلق بأخلاقهم كذا ذكره الديلمياطي والله أعلم .

﴿فصل في بيان فضيلة الصبر على المصائب﴾ من الكتاب والسنة .

اعلم انه قد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف جليلة وأوصاف أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر وجعلها ثمرة له ونتيجة وهو في القرآن على سبعة عشر نوعا النوع الأول أنه جعل الصابرين أئمة المتقين وقرن الصبر باليقين وأن بالصبر واليقين ينال الامانة والدين فقال عز من قائل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون قال ابن عيينة في هذه الآية أخذوا برأس الأمر فجعلهم الله رؤساء النوع الثاني اتم عليهم كلمة الحسنی في الدين فقال وتمت كلمة ربك الحسنی على بنی اسرائيل بما صبروا النوع الثالث إيجابه الجزاء لهم بأحسن أعمالهم فقال عز وجل وليجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون النوع الرابع مضاعفة أجرهم على كل عمل يدل على ذلك قوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا النوع الخامس رفع جزائهم فوق كل جزاء فجعله بلا نهاية ولا حد ومنه قوله تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فما من قرية إلا جزاؤها بتقدير وحساب إلا الصبر فقد أوجب الجزاء للمتصف بغير حساب وحد ذلك على أنه من أفضل المقامات ولأجل كون الصوم من الصبر وأنه نصف الصبر كما في حديث ابن ماجه وغيره قال الله تعالى الصوم لي وأنا أجزى به رواه الشيخان وغيرهما فأضافه إلى نفسه تشرفا له من بين سائر العبادات النوع السادس وعد الصابرين بأنه عز وجل معهم أي أوجب لهم معية تضمن حفظهم ونصرهم وتأيدهم ليست معية عامة أعني معية العلم والاحاطة فقال واصبروا إن الله مع الصابرين فهذا الخبر منه تعالى أنه معهم ومن كان معه الله غلب كمن كان معه عدة وهذا كما قال واتم الأعلون والله معكم النوع السابع أنه تعالى علق النصره والمدد بجنده على الصبر فقال عز من قائل بلى إن تصبروا ونقوا يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فاشترط الصبر والقوى لامتداده بجنده ونصره وتأيدته وفي الحديث النصر والفرج مع الكرب وإن مع العسر يسرا رواه أبو نعيم والخطيب وابن النجار عن أنس مرفوعا النوع الثامن أنه سبحانه وتعالى جمع للصابرين بين أمور ثلاثة لم يجمعها لغيرهم فقال أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون فالهدى والصلوات والرحمة مجموعة للصابرين النوع التاسع الأمر به وهو قوله تعالى واصبروا إن الله مع الصابرين وكقوله تعالى استعينوا بالصبر والصلاة وقوله عز وجل واصبروا واصبروا وقوله عز من قائل واصبر وما يصيرك

أخرج الشيخان أن بنتا له صلى الله عليه وسلم أرسلت إليه تدعوه وتخبره أن ابنتها في الموت فقال صلى الله عليه وسلم للرسول ارجع إليها فاخبرها أن الله ما أخذ وله ما أعطى

الابا لله النوع العاشر انتهى عن ضده كقوله تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وقوله لا تولم الأديبارقان تولم الأديبار ترك الصبر والمصابرة النوع الحادي عشر الثناء على أهله كقوله تعالى الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار وقوله والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ونظائره كثيرة النوع الثاني عشر إيجاب محبة تعالى لهم كقوله تعالى والله يحب الصابرين النوع الثالث عشر إخباره بأن الصبر خير لهم كقوله تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وكقوله وإن تصبروا فهو خير لكم النوع الرابع عشر إطلاق البشري لأهل الصبر كقوله تعالى وبشر الصابرين النوع الخامس عشر إخبار بأن أهل الصبر مع أهل الغنائم كقوله تعالى ولئن صبرتم وغفران ذلك لمن عزم الأمور النوع السادس عشر إخبار بأنه ما يلقى الأعمال الصالحة ونجاءها للأهل الصبر كقوله تعالى ولا يلقاها إلا الصابرون وقوله وما يلقاها إلا الذين صبروا النوع السابع عشر إخبار بأن الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب ودخول الجنة إنما آتاه بالصبر كقوله تعالى سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار .

وأما الأخبار الواردة في فضيلة الصبر فكثيرة منها قوله ﷺ الصبر نصف الإيمان رواه أبو نعيم والخطيب والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود ومنها قوله عليه الصلاة والسلام الصبر كرم من كوز الجنة ومنها ما رواه جابر بن عبد الله أنه سئل النبي ﷺ عن الإيمان فقال الصبر والسماحة وسئل مرة ما الإيمان فقال الصبر وهذا يشبه قوله ﷺ الحج عرفة معناه معظم أركان الحج عرفة فكذلك الصبر معظم أركان الإيمان وقيل أوصى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود تخلق بأخلاقى وإن من أخلاقى أنى أنا الصبور وفي حديث عطاء عن ابن عباس قال لما دخل رسول الله ﷺ على الأنصار فقال المؤمنون أتم فسكوا فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله قال وما علامة إيمانكم قالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء وقال ﷺ في الصبر على ما نكره خير كثير وقال المسيح عليه السلام انكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون .

ومن ذلك ما أخرجه الشيخان عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما ﴿ أن بنتا ﴾ وهى زينب كما عند ابن أبي شيبة وابن بشكوان ﴿ أرسلت إليه ﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿ تدعوه وتخبره أن ابنتها في الموت ﴾ وفي رواية البخاري أن ابنتا قبض قبيل الابن هو على بن أبي وقاص بن الربيع واستشكل بأنه عاش حتى ناهز الحلم وإن النبي ﷺ أردفه على راحلته يوم الفتح فلا يقال فيه صبي عرفا أو هو عبد الله بن عثمان بن عفان من رقية بنته ﷺ لما رواه البلاذري في الأنساب أنه لما توفي وضعه النبي ﷺ في حجره وقال يرحم الله من عباده الرحماء أو هو محسن لما روى البزار في مسنده عن أبي هريرة قال ثقل ابن الفاطمة رضى الله عنها نبئت إلى النبي ﷺ فذكر نحو الحديث المذكور ولأرب أنه مات صغيرا أو هى أمامة بنت زينب لأبي العاص بن الربيع لما عند أحمد عن أبي معاوية بسند البخاري وصوبه الحافظ ابن خبزة وأجاب عما استشكل من قوله قبض مع كونه أمامة عاشت بعد النبي ﷺ حتى تزوجها على بن أبي طالب وقتل عنها بأن الظاهر أن الله أكرم نبيه عليه الصلاة والسلام لما سلم لأميريه وصبر ابنته ولم يملك مع ذلك عينيه من الرحمة والشفقة بأن عافى ابنت ابنته فخلصت من تلك الشدة وعاشت تلك المدة وقال العيني الصواب قول من قال ابنتى اى بالتذكير لا بشئ بالتأنيث كما نص عليه في حديث الباب وجمع البرماوى من ذلك باحتمال تعدد الواقعة في بنت واحدة أو بنتين أرسلت زينب في علم أو أمامة أو رقية في عبد الله بن عثمان أو فاطمة في ابنتها محسن بن على ﴿ فقال رسول الله ﷺ ارجع إليها فاخبرها أن الله ما أخذ وله ما أعطى ﴾

وكل شيء عند باجل مسنى فمرها فلتصبر ولتحسب * والبخاري ما لعبدى المؤمن إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلى الجنة * وفي حديث من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبتيه بي فإنها أعظم المصائب وكان القاضي حسيناً من أكابر أئمتنا أخذ من هذا قوله الذي أقره عليه يجب على كل مؤمن أن يكون حزنه على فراق النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا أكثر منه على فراق أبويه كما يجب عليه أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه وأهله وماله * وفي آخر إنما الصبر عند الصدمة الأولى أي إنما يحمد الصبر عند مفاجأة المصيبة وأما فيما بعد فيقع السلو طبعاً

أي الذي أراد أن يأخذه هو الذي كان أعطاه فان أخذه أخذ ما هو له وقدم الإخذ على الاعطاء وإن كان متأخراً في الواقع لأن المقام يقتضيه ولفظهما في الموضعين مصدرية أي أن الله الأخذ والاعطاء أو موصولة والعائد محذوف للدلالة على العموم فيدخل فيه أخذ الولد واعطائه وغيرهما (وكل شيء) من الأخذ والاعطاء وغير ذلك (عنده) أي في علمه (بأجل مسمى) مقدر مؤجل (فمرها فلتصبر وتحسب) أي تنوي بصبرها طلب الثواب من ربها ليحسب لها ذلك من عملها الصالح وتقام الحديث كما في البخاري فأرسلت إليه تقسم عليه ليايتها فقام ومعه سعد بن عباد ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال فرجع إلى رسول الله ﷺ الصبي ونفسه تتعقم قال حسبه أنه قال كأنها شئ ففاضت عيناه فقال سعد يا رسول الله ما هذا فقال هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء .

قال النووي وقوله العلامة ابن حجر في الزواجر وأقره هذا الحديث من أعظم قواعد الإسلام المشتملة على مهمات كثيرة من أصول الدين وفروعه والآداب والصبر على النوازل كلها والهموم والاستقام وسائر الاعراض ومعنى أن الله مأخذان العالم كله ملكه فلم يأخذ إلا ما هو له عندكم في العارية وله ما أعطى أي ما وهبه لكم اذ لم يخرج عن ملكه فيفعل فيه ما يشاء وكل شيء عنده بأجل مسمى أي فلا يمكن تقديمه عليه ولا تأخير عنه فمن علم هذا أداه إلى أن يصبر ويحسب وقد ورد أنه ﷺ قال لمن شق عليه موت ابنه أيما أحب إليك أن تمتع به عمرك أو لاتأتي غداً باباً من أبواب الجنة الأوجدته قد سبقك إليه فيفتح لك فقال يا رسول الله هذا أحب إلى قال هولاك فقيل يا رسول الله هو له خاصة أم للمسلمين عامة فقال بل للمسلمين عامة (و) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يقول الله تعالى (ما لعبدى المؤمن جزاء) أي ثواباً (إذا قبضت صفيه) أي روح صفيه وهو بضم الصاد وكسر الفاء وتشديد الحية الحبيب المصافي كالولد والأخ وكل من أحبه الإنسان (من أهل الدنيا ثم احتسبه) أي صبر راجياً الثواب من الله (إلا الجنة وفي حديث آخر) من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبتيه بي (فإنها أعظم المصائب وكان القاضي حسيناً من أكابر أئمتنا أخذ من هذا) الحديث (قوله الذي أقره عليه) وهو أنه (يجب على كل مؤمن أن يكون حزنه على فراق النبي ﷺ من الدنيا أكثر منه على فراق أبويه كما يجب عليه أن يكون النبي ﷺ أحب إليه من نفسه وأهله وماله وفي) حديث (آخر) للبخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال مر النبي ﷺ بأمرأة تبكي عند قبر فقال اتقي الله واصبري قالت إليك عنى فأنك لم تصب بمصيبة ولم تعرفه فقيل لها أنه النبي ﷺ فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين فقالت لم أعرفك فقال (إنما الصبر عند الصدمة الأولى) الواردة على القلب (أي إنما يحمد الصبر عند مفاجأة المصيبة) فإن مفاجئتها بغنة هاروعة تززع القلب وتزعجه بصدمتها فإن صبر للصدمة الأولى انكسرت خدتها وضعفت قوتها فهان عليه استدامة الصبر (وأما) إذا طالت الأيام على المصائب (فيما بعد) أي بعد الصدمة الأولى (فيقع السلو) أي الصبر وطيب النفس وصار الصبر حينئذ (طبعاً) فلا يزجر عليه مثل ذلك .

ومن ثم قال بعضهم ينبغي للعاقل أن يفعل بنفسه أول أيام المصيبة ما يفعله الأحمق بعد خمسة أيام وفي آخر أن الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر وورد في حديث من قدم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا له حصنا من النار فقال أبو الدرداء رضي الله عنه قدمت اثنين قال واثنين قال آخر إني قدمت واحدا قال ووحدا ولكن ذلك في أول صدمة *

والصابر على الحقيقة من صبر نفسه وحسبها عن شهواتها وقهرها عن الحزن والجزع والبكاء الذي فيه راحة النفس وإطفاء نار الحزن فاذا قابل فيها سورة الحزن وهجومه بالصبر الجميل وتحقق أنه لا خروج له عن قضائه تعالى وأنه يرجع إليه وعلم يقينا أن الآجل لا تقديم فيها ولا تأخير وأن المقادير بيده تعالى ومنه استحق حينئذ جزيل الثواب فضلا منه تعالى وعد من الصابرين الذين وعدهم الله بالرحمة والمغفرة وإذا جزع ولم يصبر أثم وأتعب نفسه ولم يرد من قضاء الله شيئا ولو لم يكن من فضل الصبر للعبد إلا الفوز بدرجة المعية والمحبة إن الله مع الصابرين إن الله يحب الصابرين لكفى ففسأل الله العافية والرضا.

واعلم أن المصيبة كير العبد الذي يسبك فيه حاله فاما أن يخرج ذهباً أحمر وأما أن يخرج خبثاً كله كما قيل :

سبكناه ونحبسه لجنا ۞ فأبدى الكير عن خبث الحديد

فإن لم يتفقه هذا الكير في الدنيا فين يديه الكير الأعظم فاذا علم العبد أن ادخاله كير الدنيا وسيكها خير له من ذلك الكير والمسبك وأنه لا بد له من أحد الكيرين فليعلم قدر ضمة الله عليه في الكير العاجل فالعبد إذا استخه الله بمصيبة فصبر عند الصدمة الأولى فليخفد الله تعالى ﴿ومن ثم﴾ أي من أجل أن الصبر الكامل عند الصدمة الأولى ﴿قال بعضهم﴾ أي بعض الحكماء كما في الزواجر ﴿ينبغي للعاقل أن يفعل بنفسه أول أيام المصيبة ما يفعله﴾ وهو الصبر ﴿الأحمق﴾ أي الجاهل ﴿بعد خمسة أيام﴾ وقد تقدم هذا عن ابن المبارك رحمه الله أنه مات له ابن فمر به مجوسى يعزبه فقال له ينبغي للعاقل أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام فقال ابن المبارك اكتبوا هذا منه ﴿وفي﴾ حديث ﴿آخر﴾ روى صالح بن محمد بإسناده عن أنس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ﴿إن الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر﴾ والصبر عند الصدمة الأولى يعظم الأجر وعظم الأجر على قدر عظم المصيبة ومن استرجع بعد المصيبة جدد الله له أجزاها كيوم أصيب بها.

﴿ورود في حديث من قدم ثلاثة من الولد﴾ يعني من مات له ذلك ﴿لم يبلغوا الحنث﴾ بكسر المهملة وسكون النون آخره مثلثة أي سن التكليف الذي يكب فيه الأثم وخص الأثم بالذكر لانه الذي يحصل بالبلوغ لأن الصبي قد يثاب قال أبو الصباس القرطبي وإنما خصهم بهذا الحد لأن الصغير حبه أشد والشفقة عليه أعظم انتهى ومقتضاه أن من بلغ الحنث لا يحصل لمن فقد ما ذكر من الثواب وإن كان في فقد الولد ثواب في الجملة وبذلك صرح كثير من العلماء وفرقوا بين البالغ وغيره لكن قال الزين ابن المنير والعراقي في شرح تقریب الأسانيد اذا قلنا ان مفهوم الصفة ليس بحجة فتعلق الحكم بالذين لم يبلغوا الحلم لا يقتضي ان البالغين ليسوا كذلك بل يدخلون في ذلك بطريق الفحوى لانه اذا ثبت ذلك في الطفل الذي هو كل على أبويه فكيف لا يثبت في الكبير الذي بلغ معه السعى ولا ريب ان التفجع على فقد الكبير أشد والمصيبة أعظم لاسيما اذا كان نجيبا يقوم عن أبيه بأموره ويساعده في معيشته وهو معلوم مشاهد ﴿كانوا له حصنا﴾ أي حصينا ﴿من النار﴾ فقال أبو الدرداء ۞ قدمت اثنين قال ۞ عليه الصلاة والسلام ﴿واثنين﴾ وكأنه أوحى إليه بذلك في الحال ولا ينبغي أن ينزل عليا الرحي في أسع من طرفه عين أو كان عنده العلم بذلك لكنه أشفق عليهم أن يتكفروا فلما سئل عن ذلك لم يكن به بد من الجواب أفاده بعض شراح البخاري ﴿قال آخر إني قدمت واحدا قال وواحدا ولكن ذلك﴾ أي تقديم الواحد يعني صبره ﴿في أول صدمة﴾ وأخرج الطبراني

في حديث مسلم أن الأطفال دعا ميص الجنة أي حجاب أبوابها يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه فيأخذه بثوبه أو قال يده فلا ينتهي حتى يدخل الجنة * وفي خبر مسلم أنه مات ابن أبي طلحة من أم سليم فقالت لا يحدثه إلا أنا فلما جاء قربت إليه عشاءه فأكل وشرب ثم صنعت له أحسن ما كانت تتضع قبل ذلك فوقع بها

بالأوسط من حديث جابر بن سمرة مرفوعاً من دفن ثلاثة فصر عليهم واحتسب وجبت له الجنة فقالت أم أيمن واثنين فقال واثنين فقالت واحداً فسكت ثم قال وواحداً وعند الترمذي وقال غريب من حديث ابن مسعود مرفوعاً من قدم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا حصاناً من النار قال أبو ذر قدمت اثنين قال واثنين قال أبي بن كعب قدمت واحداً وهل يدخل أولاد الأولاد سواء كانوا أولاد البنين وأولاد البنات لصدق الانتم عليهم أولاد خلون لأن إطلاق الأولاد عليهم ليس حقيقة وقد ورد تقييد الأولاد بكونهم من صلبه وهو مخرج ولاد الأولاد فان صح فهو قاطع للفرع ففي حديث عثمان بن أبي العاص في مسند أبي يعلى والمعجم الكبير للطبراني مرفوعاً باسناد فيه عبد الرحمن بن اسحاق أبو شيبة القرشي وهو ضعيف لقد استجن بجنة حصينة من النار رجل سلف بين يديه ثلاثة من صلبه في الاسلام ﴿وفي حديث مسلم أن الأطفال دعا ميص الجنة﴾ هو بضم بالذال والعين والصاد المهملات واحدهم دعموص بضم الدال أي صغار أهلها وأصل الدعموص دوية تكون في الماء لا تنارقها أي أن هذا الصغير في الجنة لا يفارقها كما قال ﴿أي حجاب أبوابها﴾ وقال في القاموس أي سياحون في الجنة لا يمنعون من بيت ﴿يتلقى أحدهم أباه أو قال﴾ أي أبو هريرة ﴿أبويه فيأخذه بثوبه أو قال يده فلا ينتهي﴾ أي لا يتركه ﴿حتى يدخله الجنة﴾ ولفظه في صحيح مسلم عن أبي حسان قال قالت لأبي هريرة أنه قد مات لي ابنان فمأنت محدثي من رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا قال نعم صغارهم دعا ميص أهل الجنة يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه فيأخذه بثوبه أو قال يده كما أخذ أنا بصفة ثوبك هذا فلا ينتهي حتى يدخله الله وإياه الجنة وفي هذا الحديث دليل على كون أطفال المسلمين في الجنة وقد نقل جماعة في ذلك إجماع المسلمين.

وقال المازري أما أولاد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فالإجماع متحقق على أنهم في الجنة وأما أطفال من سواهم من المؤمنين فجماع العلماء على القطع لهم بالجنة ونقل جماعة الإجماع في كونهم من أهل الجنة قطعاً لقوله تعالى والذين آمنوا واتبعهم ذريتهم بإيمان الحقنهم ذريتهم وتوقف بعض المتكلمين فيها وأشار إلى أنه لا يقطع لهم كالمكلفين والله أعلم.

﴿وفي خبر مسلم﴾ عن ثابت عن أنس قال ﴿أنه مات ابن لأبي طلحة﴾ زيد بن سهل الأنصاري وابنه هو أبو عمير صاحب النخيل كما قاله ابن حبان في روايته وغيره وكان غلاماً صيباً وكان أبو طلحة يحبه حباً شديداً فلما مرض حزن عليه حزناً شديداً حتى تضعض من زوجته أم سليم رضي الله عنها هي ابنة ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب الأنصارية وهي أم أنس خادم رسول الله ﷺ وكانت قد أسلمت مع السابقين إلى الاسلام من الأنصار فنضب زوجها مالك بن النضر وخرج إلى الشام فمات بها فزوجت بعده أبا طلحة وكان صدقها الاسلام ﴿فقالت﴾ لأهلها ﴿لا يحدثه﴾ أي أبا طلحة بانه ﴿إلا أنا﴾ وأبو طلحة حينئذ غائب قال ﴿فلما جاء﴾ أبو طلحة ﴿قربت﴾ أم سليم ﴿إليه عشاءه﴾ بفتح العين ما يؤكل آخر النهار ﴿فأكل وشرب﴾ وفي رواية أنس بن سيرين قربت إليه العشاء فتعشى ثم أصاب منها وفي رواية حماد بن ثابت ثم تطيب وزاد جعفر عن ثابت فتعرضت له حتى وقع بها وفي رواية سليمان عن ثابت ﴿ثم صنعت له أحسن ما كانت تتضع قبل ذلك﴾ أي قبل موت ابنها ﴿فوقع بها﴾ قال بعض شراح البخاري وليس ما صنعت من التطيع وإنما فعلته إعانة لزوجها على الرضا والتسليم ولو أعلمته بالأمر في أول الحال لتكده عليه وقته ولم يبلغ القرض

فلما رآته أنه قد شبع وأصاب منها قالت يا أبا طلحة أرايت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم قال لا قالت أم سليم فاحتسب ابنك وغضب وأتى إلى رسول الله ﷺ فاخبره فقال بارك الله لكما في ليلكما ﴿وروي﴾ أن ابن عمر ضحك عند دفن ابنه فقيل له أتضحك فقال أردت أن أرغم الشيطان وقال أبو علي الرازي صحبت الفضيل ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكا ولا متبسما ولا مستبشرا إلا يوم مات ابنه على فقلت له في ذلك فقال إن الله أحب أمرا فأحبته ﴿وحكى﴾ اليافعي عن أبي الحسن السراج قال خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام فينما أنا أطوف وإذا بامرأة قد أضاء حسن وجهها فقلت والله ما رأيته اليوم قط ننضارة وحسنا الذي أرادته منه ولعلها عند موت الطفل قضت حقه من البكاء اليسير ﴿فلما رأيته﴾ أم سليم ﴿أنه قد شبع وأصاب﴾ أي وطئ ﴿منها﴾ قالت يا أبا طلحة أرايت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ﴿يجوز﴾ لهم ﴿أي لأهل البيت﴾ أن يمنعوهم قال ﴿أبو طلحة﴾ لا ﴿يجوز ذلك﴾ قال النووي وضربها المثل بالعارية دليل لكمال علمها وفضلها وعظم إيمانها وطمأنينتها ﴿قالت أم سليم فاحتسب ابنك﴾ قال ﴿ففضب﴾ أبو طلحة ﴿و﴾ قال تركني حتى تلطخت ثم أخبرتنى بابني فانطلق حتى ﴿أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾ وفي رواية عبد الله فقال يا أبا طلحة أرايت قوما أعاروا ماعا ثم بدا لهم فيه فأخذوه فكأنهم وجدوا في أنفسهم زاد حماد في روايته عن ثابت فابوا أن يردوها فقال أبو طلحة ليس لهم ذلك أن العارية مؤداة إلى أهلها ثم اتفقا فقالت إن الله أعارنا غلاما ثم أخذه منا زاد حماد فاسترجع ﴿فاخبره﴾ بما كان ﴿فقال﴾ رسول الله ﷺ ﴿بارك الله لكما في﴾ غابر ﴿ليلكما﴾ فجأت بولد وهو عبد الله بن أبي طلحة فأنجب ورزق أولاد اقرؤا القرآن منهم عشرة كملا .

﴿وروي﴾ أن عبد الله ﴿ابن عمر﴾ رضي الله عنهما ﴿ضحك عند دفن ابنه فقيل له أتضحك﴾ عند القبر ﴿فقال أردت أن أرغم﴾ أن أرغم ﴿أف﴾ الشيطان ﴿بضم الهزرة مضارع أرغم يقال أرغم الله أنه أي ألصقه بالتراب فهو كناية عن التحقير والاستقذار وفي الأخياء ما نصه ويروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه اشكى له ابن فاشد وجده عليه حتى قال بعض القوم لقد خشينا على هذا الشيخ أن حدث بهذا الغلام حدث فمات الغلام فخرج ابن عمر في جنازته وما رجل اشد سرورا أبدا منه فقيل له في ذلك فقال ابن عمر إنما كان حزني رحمة له فلما وقع أمر الله رضي بنا به انتهى وهذا هو الرضا بعد القضا .

﴿وقال أبو علي الرازي﴾ رحمه الله ﴿صحبت الفضيل﴾ بن عياض ﴿ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكا ولا متبسما ولا مستبشرا إلا يوم مات ابنه على فقلت له في ذلك﴾ أي في ضحكك واستبشاره يوم موت ابنه ﴿فقال﴾ ابن عياض رحمه الله ﴿إن الله أحب أمرا فأحبته﴾ وهذا مقام الراضى المحب وقال الجنيد سألت سربا بالسقطى هل يجد المحب أم البلاء قال لا قلت وإن ضربت بالسيف قل نعم وإن ضربت بالسيف سبعين ضربة على ضربة وهذا مقام المستغرق بالمحبة فان نفسه سكنت عن الاضطراب تحت مجارى الاقدار وقال بعضهم أخبيت كل شئ يحبه الله تعالى حتى لو أحب النار أخبيت دخول النار وهذا أيضا مقام الراضى المحب كما قال ابن خفيف الرضا سكن القلب إلى أحكامه وموافقة القلب بما رضى واختار وأشد صاحب مصارع العشاق لسمنون .

ولو قيل طأ في النار علم أنه ✽ رضا لك أو مدن لنا من وصالك

لقد مت رجلى نحوها فوطتها ✽ سرور الانى قد خطرت بك

﴿وحكى﴾ أبو محمد عبد الله بن أسعد ﴿اليافعي﴾ البني في روضه رحمه الله تعالى ﴿عن أبي الحسن السراج قال خرجت

حاجا إلى بيت الله الحرام فينما أنا أطوف وإذا بامرأة قد أضاء حسن وجهها فقلت والله ما رأيته اليوم قط ننضارة وحسنا﴾ عطف

مثل هذه المرأة وما ذاك إلا لقلة الهم والحزن فسمعت ذلك القول مني فقالت كيفما قلت يا هذا الرجل والله إني لوثيقة بالأحزان ومكثومة
القواد بالهموم والأشجان ما يشركني فيها أحد فقلت لها وكيف ذلك قالت ذبح زوجي شاة ضحى بها ولدان صغيران يلعبان
وعلى ثديي طفل يرضع فقممت لأصنع طعاما إذ قال ابني الكبير للصغير ألا أريك كيف صنع أبي بالشاة قال بلى فأضجعه وذبحه وخرج
ماربا نحو الجبل فأكله ذنب فأنطلق أبوه في طلبه فأدركه العطش فمات فوضعت الطفل وخرجت إلى الباب أنظر ما فعل أبوه فذب الطفل
إلى البرمة وهي على النار فألقى يده فيها وصبها على نفسه وهي تغلي فانتثر لحمه عن عظمه فبلغ ذلك ابنة لي كانت عند زوجها فرمت
بنفسها إلى الأرض فوافقت أجلها فأفردني الدهر من بينهم فقلت لها فكيف صبرك على هذه المصائب العظيمة فقالت ما من أحد ميز
الصبر والجزع إلا وجد بينهما منهاجا متقاونا فأما الصبر بحسن العلاية فمحمود العاقبة وأما الجزع فصاحبه غير معوض ﴿وحكى﴾ عن
بعض المشايخ أنه رأى سفيان الثوري في المنام فقال له كيف رأيت الموت فقال أما الموت فلا تسأل عن عظمته وشدة فقال أي الأعمال
وجدته أنفع فقال كل عمل صالح أنفع ولكني نجوت من الحساب بترجاعي وصبري عند مصيبة ولد لي مات فقال سبحانه وتعالى

تفسير على ما قبله ﴿مثل هذه المرأة وما ذاك﴾ أي ليس حسن منظرها ﴿اللاقلة الهم والحزن فسمعت﴾ المرأة ﴿ذلك القول مني فقالت
كيف ما قلت يا هذا الرجل والله إني لوثيقة﴾ أي ثابتة ومحكمة ﴿بالأحزان ومكثومة القواد﴾ أي جريحتة ﴿بالهموم والأشجان﴾ أي
الأحزان جمع شجن مثل سبب وأسباب ﴿ما﴾ نافية ﴿يشركني فيها﴾ أي في تلك الأحزان ﴿أحد فقلت لها وكيف ذلك﴾ أي الذي
ذكرته من حالك ﴿قالت ذبح زوجي شاة ضحى بها ولي ولدان صغيران يلعبان وعلى ثديي طفل يرضع فقممت لأصنع﴾ لهم ﴿طعاما
إذ قال ابني الكبير للصغير ألا أريك كيف صنع أبي بالشاة قال الصغير﴾ بلى ﴿أربنى ذلك﴾ فأضجعه ﴿أي أضجع الكبير لأخيه
الصغير﴾ وذبحه وخرج ﴿أي الكبير﴾ ماربا نحو الجبل فأكله ذنب فأنطلق أبوه في طلبه فأدركه العطش فمات ﴿قالت﴾ فوضعت
الطفل ﴿الذي يرضع في ثديي﴾ وخرجت إلى الباب ﴿أي باب الدار﴾ أنظر ما فعل أبوه ﴿أي الولد وفي رواية أبوه﴾ فذب الطفل ﴿أي
سارومشى﴾ إلى البرمة ﴿أي القدر من الحجر والجمع برم مثل غرفة وغرف﴾ وهي على النار فألقى الرضيع يده فيها ﴿أي في
تلك البرمة﴾ وصبها ﴿أي صب ما فيها﴾ على نفسه وهي تغلي فانتثر لحمه ﴿أي سقط﴾ عن عظمه فبلغ ذلك ﴿أي خبر المذكور من
ذبح الكبير لأخيه الصغير وغيره﴾ ابنة كانت لي عند زوجها فرمت بنفسها إلى الأرض فوافقت أجلها ﴿وماتت﴾ فأفردني الدهر من
بينهم ﴿أي زوجي وأولادي قال أبو الحسن﴾ فقلت لها فكيف صبرك على هذه المصائب العظيمة فقالت ما من أحد ميز الصبر والجزع
أي عدم الصبر ﴿الأوجد بينهما﴾ أي الصبر والجزع ﴿منهاجا﴾ أي طريقا ﴿متقاونا فأما الصبر بحسن العلاية فمحمود العاقبة
وأما الجزع فصاحبه غير معوض﴾ ثم أعرضت عني وهي تنشد :

صبرت وكان الصبر غير معول ✽ وهل جزع يجدي على فأجزع
صبرت على من لو تحمل بعضه ✽ جبال شرود أصبحت تصدع
ملكك دموع العين حتى رددتها ✽ إلى ناظري فالعين في القلب تدع

﴿وحكى﴾ عن بعض المشايخ أنه رأى سفيان بن سعيد الثوري رحمه الله تعالى ﴿في المنام فقال له كيف رأيت الموت،
فقال أما الموت فلا تسأل عن عظمته وشدة فقال أي الأعمال وجدته أنفع فقال كل عمل صالح أنفع. ولكني نجوت من الحساب
باسترجاعي﴾ أي بقولي أنا لله وأنا إليه راجعون ﴿وصبري﴾ وذلك ﴿عند مصيبة ولد لي مات فقال سبحانه وتعالى﴾ يا سفيان بن

أنسيت وقد قبضت ثمرة فؤادك فاسترجعت وحمدتني اذهب فقد غفرت لك سيئاتك وضاعفت حسناتك ورفعت درجاتك غفر الله
سيئاتنا وضاعف حسناتنا ورفع درجاتنا ﴿خاتمة﴾ قال أصحابنا وغيرهم يتأكد لمن ابتلى بمصيبة ميت أو في نفسه أو أهله أو ماله وإن
خفت أن يكثر إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبي وأخلف علي خيرا منها لما وعد الله تعالى من قال ذلك بأن عليهم صلوات
من ربهم ورحمة وإنهم هم المهتدون أي للترجيع أو للجنة والثواب

سعيد ﴿أنسيت وقد قبضت ثمرة فؤادك﴾ يعني ولده ﴿فاسترجعت وحمدتني اذهب فقد غفرت لك سيئاتك وضاعفت حسناتك
ورفعت درجاتك﴾ قال المصنف على سبيل الدعاء والتضرع ﴿غفر الله سيئاتنا وضاعف حسناتنا ورفع درجاتنا﴾ قيل وسبب توبة
مالك بن دينار أنه كان سكران فماتت له بنت كان يحبها فرأى ليلة نصف شعبان أنه خرج من قبره حية عظيمة تتبعه كلما أسرع أسرع
فمر شيخ ضعيف فسأله أن ينقذه منها فقال أنا عاجز مر وأسرع لعلك تنجو منها فأسرع وهي خلفه حتى مر على طبقات النار وهي تنور
وكاد أن يهوى فيها وإذا بصوت ليست من أهلي فمر حتى أشرف على جبل به طاقات وستور وإذا بصوت أدركوا هذا اليأس قبل أن
يدركه عدوه فاشرف عليه أطفال فيهم بنته فنزلت إليه وضربت يدها اليمنى إلى الحية فولت هاربة وجلست في حجرة قائلة الميان الذين
آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق فقلت أنقرؤن القرآن قالت نحن نعرف به منكم سألها ما مقامهم هنا فأخبرته أنهم
أسكنوا هنا إلى يوم القيامة ينظرون أباءهم يقدمون عليهم ثم سأل عن تلك الحية فقالت عملك السؤ وعن الشيخ فقالت عملك الصالح
أضعفته حتى لم تكن له طاقة بعملك السؤ فب إلى الله ولا تكن من الهالكين ثم ارتفعت عنه واستيقظ فتاب توبة النصوح لوقته فأقبلت
التوبة الذرية لكن إنما يحصل لمن رضي أو صبر وأمان سخط قد عابيل أولطم أو شق أو خلق مثلاً فعليه سخط الله ولعنة رجالا كان
أو امرأة كذا في الزواجر .

﴿خاتمة﴾ نسال الله حسناتها في طلب الترجيع وأكاد له لمن ابتلى بمصيبة ﴿قال أصحابنا وغيرهم يتأكد لمن ابتلى بمصيبة ميت أو
في نفسه أو أهله أو ماله﴾ لأن المصيبة كما قاله البيضاوي تعم ما يصيب الإنسان من مكروه لقوله عليه الصلاة والسلام كل شيء يؤذي
المؤمن فهو له مصيبة ﴿وان خفت﴾ تلك المصيبة ﴿أن يكثر﴾ من قوله ﴿إنا لله﴾ عيدا وملكا ﴿وانا إليه راجعون﴾ في الآخرة
فلا يضيع عمل عامل ﴿اللهم أجرني في مصيبي﴾ قال القاضي يقال أجرني بالقصر والمد حكاهما صاحب الافعال وقال الأصمعي
وأكثر أهل اللغة هو مقصور لا يمد ومعنى أجره الله أعطاه أجره وجزاء صبره وهمة في مصيبة ﴿وأخلف علي خيرا منها﴾ هو بقطع
الهمزة وكسر اللام قال أهل اللغة يقال لمن ذهب له مال أو ولد أو قريب أو شيء يتوقع حصول مثله أخلف الله عليك أي رد عليك مثله فأما
ذهب ما لا يتوقع مثله بأن ذهب والد أو عم أو أخ لمن لا جد له ولا والد له قيل خلف الله عليك بغير ألف كأن الله خليفة منه عليك قاله النووي
وذلك ﴿لما وعد الله تعالى من قال ذلك﴾ أي الاسترجاع ﴿بأن عليهم صلوات من ربهم﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما أي مغفرة من
ربهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى أي اغفر لهم وارحمهم وانما جمع الصلوات لأنه عنى مغفرة بعد مغفرة
ورحمة بعد رحمة ﴿ورحمة﴾ والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبي ﷺ من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبتة وأحسن
عقابه وجعل له خلفا صالحا ليرضاه ذكره البيضاوي ﴿وانهم هم المهتدون أي للترجيع أو للجنة﴾ والفائزين ﴿والثواب﴾ وقيل المهتدون
إلى الحق والصواب حيث استرجعوا وأسكنوا لقضاء الله تعالى وذلك الموعود في قوله سبحانه وتعالى وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم
مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون .

ولخبر مسلم أن من قال ذلك آجره الله وأخلف له خيرا * وأحمد ما من مسلم ولا مسلمة أصيب بمصيبة فتذكرها وإن طال عهدها فيسترجع إلا جدد الله عند ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب وقال ابن جبير لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم يعطه غيرهم إنا لله وإنا إليه راجعون ولو أوتوه لقاله يعقوب عليه السلام ولم يقل يا أسفا على يوسف

قال البيضاوي وغيره وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل وبالقلب بأن يتصور ما خلق له وأنه راجع إلى ربه ويتذكر نعمه عليه ليرى أن ما بقى عليه أضعاف ما استرد منه ليهون على نفسه ويستسلم له وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه نعم العدلان ونعمت العلاوة فالعدلان الصلاة والرحمة والعلوة الهداية ﴿ ولخبر مسلم ﴾ عن أم سلمة رضي الله عنها ﴿ أن من قال ذلك ﴾ أي المذكور من الترجيع والدعاء ﴿ آجره الله وأخلف له خيرا ﴾ قلت لفظ مسلم ما من عبد يصيب مصيبة فيقول أنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيرا منها الآجر الله في مصيبتى وأخلف له خيرا منها قالت فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ فأخلف الله خيرا منه رسول الله ﷺ وروى أحمد عن أم سلمة قالت أناني أبو سلمة يوما من عند رسول الله ﷺ فقال لقد سمعت من رسول الله ﷺ قولاً لم يصررت به قال لا يصيب أحدا من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبة ثم يقول اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيرا منها إلا فعل ذلك به قالت أم سلمة فحفظت ذلك منه فلما توفي أبو سلمة استرجعت وقلت اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيرا منه ثم رجعت إلى نفسي وقلت من أين أخلف لي خيرا من أبي سلمة فأبدلني الله بأبي سلمة خيرا منه رسول الله ﷺ ورواه الطيالسي وأبو نعيم في الحلية بلفظ ما من عبد يصاب بمصيبة فيقول أنا لله وإنا إليه راجعون اللهم عندك احتسبت مصيبتى فأجرني منها واعتقبتى منها خيرا إلا أعطاه الله ذلك وروى ابن سعد في الطبقات من حديث أم سلمة ما من عبد يصاب بمصيبة فيفرج إلى ما أمره الله به من قول أنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتى هذه وعوضني خيرا منها الآجره الله في مصيبتى وكان قمتان يعوضه الله منها خيرا منها .

﴿ و ﴾ روى ﴿ أحمد ﴾ وابن ماجه من حديث الحسين بن علي رضي الله عنهما ﴿ ما من مسلم ولا مسلمة أصيب بمصيبة ﴾ أو بشيء يؤذيه في نفسه أو أهله أو ماله ﴿ فتذكرها ﴾ أي تذكر مصيبتيه ولو بعد الشفاء منها بمن طويل كما دل عليه قوله ﴿ وإن طال عهدها فيسترجع ﴾ أي يقول أنا لله وإنا إليه راجعون ﴿ إلا جدد الله عند ذلك ﴾ وفي رواية إلا جعله الله له عند ذلك ﴿ فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب ﴾ أي مثل أجر المصيبة وقت نزولها به ﴿ وقال ﴾ سعيد ﴿ ابن جبير لقد أعطيت هذه الأمة ﴾ الحمدية ﴿ عند المصيبة ما لم يعطه ﴾ من الكلمات ﴿ غيرهم ﴾ من الأمم الماضية وهي ﴿ أنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ فيه فضيلة هذا القول قال العلقمي ونقله العزيزي جعل الله هذه الكلمات ملجأ لذوى المصائب وعصمة للمتقين لما جمعت من المعاني المباركة فإن قوله أنا لله توحيد وإقرار بالعبودية والملك وقوله وإنا إليه راجعون إقرار بالملك على أنفسنا والبعث من قبورنا واليقين بأن رجوع الأمر كله إليه كما هو له ﴿ ولو أوتوه ﴾ أي أعطى الأمم الماضية هذا القول ﴿ لقاله ﴾ نبي الله ﴿ يعقوب عليه السلام ولم يقل يا أسفا على يوسف ﴾ عليه الصلاة والسلام أي يا أسفى تعالى فهذا أوانك والاسف أشد الحزن والحسرة والاف بذل من ياء المتكلم وإنما جدد حزنه على يوسف عند وجود هذه الواقعة أعنى قول اخوته لأبيهم في بنيامين يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين لأن الحزن القديم إذا صادفه حزن آخر كان ذلك أوجع للقلب وأعظم الهيجان الحزن الأول كما قال متم بن نويرة لما رأى قبراً جديداً جدد حزنه على أخيه مالك :

يقول أتبكي كل قبر رأته * لتبرئوى بين اللوى والدكادك

فقلت له إن الأسى يبعث الأسى * فدعنى فهذا كله قبر مالك

جعلنا الله مع الصابرين في الضراء والشاكرين في السراء .

﴿فصل﴾ في التعزية ﴿أخرج﴾ الترمذي عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عزي مصابا فله مثل أجره وهو عن أبي برزة من عزي ثكلى كسى بردا *

فأجاب بأن الحزن يجدد الحزن وقيل إن يوسف وبنيامن لما كانا من أم واحدة كان يعقوب يسلى عن يوسف بنيامين فلما حصل فراق بنيامين زاد حزنه عليه ووجدوه وجد حزنه على يوسف لأن يوسف كان أصل المصيبة .

وقد اعترض بعض الجهال على يعقوب عليه السلام في قوله يا أسفا على يوسف فقال هذه شكاية واطهار جزع فلا يليق بعلو منصبه ذلك وليس الأمر كما قال هذا الجاهل المعترض لأن يعقوب عليه الصلاة والسلام شكى إلى الله لأمته فقوله يا أسفا على يوسف بمعنى يا رب ارحم أسفى على يوسف وقد ذكر ابن الأثير عن بعض اللغويين أنه قال نداء يعقوب بالأسف في اللفظ من المجاز يعني به غير المظهر في اللفظ وتلخيصه بالهوى ارحم أسفى أو أنت رأى أسفى أو هذا أسفى فنادى الأسف في اللفظ والمنادى سواء في المعنى ولما ثم إذا لم ينطق اللسان بكلام مؤثم لأنه لم يشك إلا إلى ربه عز وجل فلما كان قوله يا أسفا على يوسف شكوى إلى ربه كان غير ملوم في شكواه وقيل إن يعقوب لما عظمت مصيبته واشتد بلاؤه وقويت محنته قال يا أسفا على يوسف أي أشكو إلى الله شدة أسفى على يوسف ولم يشكه إلى أحد من الخلق بدليل قوله إنما أشكو بشي وحزنى إلى الله ثم قال المصنف على سبيل الدعاء ﴿جعلنا الله من الصابرين﴾ الراضين بقضائه تعالى ﴿في الضراء والشاكرين في السراء﴾ قال القشيري وسمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول إن الصبر حده أن لا يعترض على التقدير فأما اظهار البلاء على غير وجه الشكوى فلا ينافي الصبر قال الله تعالى في قصة أيوب عليه السلام أنا وجدناه صابرا نعم العبد أنه أواب مع ما أخبر عنه أنه قال مسنى الضر وسمعت يقول استخرج منه هذه المقالة يعني قوله مسنى الضر ليكون بنفسه لضعفاء هذه الأمة وسمعت يقول حقيقة الصبر الخروج عن البلاء على حسب الدخول فيه مثل أيوب عليه السلام قال في آخر بلائه مسنى الضر الآية فحفظ أدب الخطاب حيث عرض بقوله وأنت أرحم الراحمين ولم يصح بقوله أرحمنى .

واعلم أن الصبر على ضربين صبر العابدين وصبر الحيين فصبر العابدين أحسنه أن يكون محفوظا وصبر الحيين أحسنه أن يكون مرفوضا وفي معناه أشد :

تيزن يوم الدين أن اعترامه ﷺ على الصبر من إحدى الظنون الكاذبة

وفي هذا المعنى سمعت الأستاذ أبا على يقول أصبح يعقوب عليه السلام وقد وعد الصبر من نفسه فقال فصبر جميل أي فشأنى صبر جميل ثم لم يمض حتى قال يا أسفا على يوسف والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿فصل في التعزية﴾

قال الفيومي وعزى يعزى من باب تعب صبر على ما نابه وعزته تعزية قلت له أحسن الله عزاءك أي رزقك الصبر الحسن والعزاء مثل سلام اسم من التعزية مثل سلم سلا ما وكلم كلاما وتعزى هو تصبر وشعاره أن يقول أنا لله وأنا إليه راجعون ﴿أخرج الترمذي﴾ والبيهقي ﴿عن﴾ عبد الله بن مسعود ﴿عنه﴾ قال قال رسول الله ﷺ من عزي مصابا ﴿أي حمله على الصبر بوعده الأجر﴾ فله مثل أجره ﴿قال المناوى﴾ أي له مثل أجر صبره إذ المصيبة ليست فعله ذكره ابن عبد السلام ﴿وهو﴾ أي وأخرج الترمذي ﴿عن أبي برزة﴾ عن النبي ﷺ قال ﴿من عزي ثكلى﴾ بفتح المثناة مقصورا من فدت ولدها ﴿كسى بردا﴾ في الجنة مكافأة له على تعزيتها

ابن ماجه والبيهقي عن عمرو بن حزم ما من مؤمن يعزى أخاه بمصيبة إلا كساه الله عز وجل من حلال الكرامة يوم القيامة ﴿نتيجه﴾ إن التعزية وهي التصبر وذلك ما يسلى صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبة مستحبة قبل مضي ثلاثة أيام من بعد الدفن وتكره بعد مضيا ويسن أن يعم بالتعزية جميع أهل الميت وأقاربه الكبار والصغار والرجال والنساء ويكره لهم الجلوس لها

نكن لا يعزى المرأة الشابة الا نحو زوج كما سيأتي قال الترمذي ليس اسناده بالقوى وأخرج أبو داود والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما حديثا طويلا فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة رضى الله عنها ما أخرجك يا فاطمة من بيتك قالت أتيت أهل هذا الميت فترحمت اليهم ميتهم أو عزيتهم به ﴿و﴾ أخرج ﴿ابن ماجه والبيهقي﴾ باسناد حسن ﴿عن عمرو بن حزم﴾ رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ﴿ما من مؤمن يعزى﴾ أى يسلى ﴿أخاه بمصيبة﴾ أى بأن يحمله على الصبر عليها ﴿الاكسائه الله عز وجل من حلال الكرامة﴾ والاحسان ﴿يوم القيامة﴾ .

﴿نتيجه﴾ * ان التعزية وهي التصبر وذكر ما يسلى صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته مستحبة ﴿فانها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي داخلة أيضا في قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وهذا من أحسن ما يستدل به في التعزية وثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه .

واعلم أن التعزية مستحبة قبل الدفن وبعده قال أصحابنا يدخل في وقت التعزية من حين يموت ويبقى الى الزمن الذي ﴿قبل مضي ثلاثة أيام من بعد الدفن﴾ والثلاثة على التقرب لا على التحديد كذا قاله الشيخ أبو محمد الجويني من أصحابنا قال أصحابنا ﴿وتكره﴾ التعزية ﴿بعد مضيا﴾ أى الثلاثة لأن التعزية لتسكين قلب المصاب والغالب سكون قلبه بعد الثلاثة فلا يجدد له الحزن هكذا قاله الجماهير من أصحابنا وقال أبو العباس بن القاضي منهم لا بأس بالتعزية بعد الثلاثة بل يبقى أبدا وإن طال الزمن وحكى هذا امام الحرمين أيضا عن بعض أصحابنا والمختار أنها لا تفعل بعد ثلاثة أيام الا في صورتين استثناهما أصحابنا أو جماعة منهم وهما إذا كان المعزى أو صاحب المصيبة غائبا حال الدفن واتفق رجوعه بعد الثلاثة قالوا والتعزية بعد الدفن أفضل منها قبله لأن أهل الميت مشغولون بتجهيزه ولأن وحشتهم بعد دفنه لفراقه أكثر هذا إذا لم ير منهم جزعا شديدا فان رآه قدم التعزية ليسكنهم كذا قاله النووي .

﴿ويسن أن يعم بالتعزية جميع أهل الميت وأقاربه الكبار والصغار والرجال والنساء﴾ الا أن تكون امرأة شابة فلا يعزىها الا محارمها أو من في معناهم من زوجها وعندها الثقة وفي التحفة لابن حجر الشابة لا يعزىها الا نحو محرم أى يكره ذلك كابتدائها السلام ويحتل الحرمة وكلامهم اليها أقرب لأن في التعزية من الوصلة وخشية الفتنة ما ليس في مجرد السلام أما تعزيتها له فلا شك في جرمها عليها كسلامها انتهى قال أصحابنا وتعزية الصلحاء والضعفاء عن احتمال المصيبة والضيان أكد .

قال الشافعي وأصحابنا وتبعهم المصنف ﴿ويكره لهم﴾ أى لأهل الميت ﴿الجلوس لها﴾ أى للتعزية قالوا لأنه محدث وهو بدعة ولأنه يجدد الحزن ويكلف المعزى وما ثبت عن عائشة رضى الله عنها من أنه صلى الله عليه وسلم لما جاء خبر قتل زيد بن حارثة وجعفر وابن رواحة جلس في المسجد يعرف في وجهه الحزن فلا نسلم ان جلوسه كان لأجل ان يأتيه الناس فيعزوه فلم يثبت ما يدل عليه قاله العلامة ابن علان قالوا ويعنى بالجلوس المذكور أن يجتمع أهل الميت في بيت ليقصدهم من أراد التعزية بل ينبغي أن ينصرفوا في حوائجهم ولا فرق بين الرجال والنساء في كراهة الجلوس لها صرح به الحاملى ونقله عن نص الشافعي رضى الله عنه وهذه كراهة تنزيه إذا لم يكن معها محدث آخر فان ضم اليها أمر آخر من البدع المحرمة كما هو الغالب مبنيها في العادة كان ذلك حراما من قبائح المحرمات فانه

وصنع طعام يجمعون الناس عليه لما روى أحمد عن جرير بن عبد الله البجلي قال كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعهم الطعام بعد دفنه من النياحة ويستحب لجيران أهل الميت ولو أجنب ومعارفهم وإن لم يكونوا جيرانا وأقاربه الأباعد وإن كانوا بغير بلد الميت أن يصنعوا لأهله طعاما يكفيهم يوما وليلة وأن يلحوا عليهم في الأكل ويحرم صنعه للنائحة لأنه إغانة على معصية

محدث وثبت في الحديث الصحيح أن كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة.

﴿و﴾ يكره ﴿صنع طعام يجمعون﴾ أي أهل الميت ﴿الناس عليه﴾ وذلك ﴿لما روى أحمد﴾ وابن ماجه باسناد صحيح ﴿عن جرير بن عبد الله البجلي قال كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعهم الطعام بعد دفنه من النياحة﴾ ووجه عدة من النياحة ما فيه من شدة الاهتمام بأمر الحزن قاله ابن حجر ﴿ويستحب لجيران أهل الميت ولو﴾ كانوا ﴿أجنب ومعارفهم وإن لم يكونوا جيرانا وأقاربه الأباعد وإن كانوا بغير بلد الميت أن يصنعوا لأهله طعاما يكفيهم يوما وليلة﴾ لقوله صلى الله عليه وسلم لما جاء خبر قتل جعفر اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد جاءهم ما يشغلهم حسنة الترمذي وصححه الحاكم ولأنه بر ومعروف قال الاسنوي والتعبير باليوم والليلة واضح إذا مات في أوائل الليل فلو مات في أواخره فقياسه أن يضم إلى ذلك الليلة الثانية أيضا لاسيما إذا تأخر الدفن عن تلك الليلة قاله الخطيب في شرح المنهاج.

﴿و﴾ ينسب ﴿أن يلحوا عليهم﴾ أي على أهل الميت ﴿في الأكل﴾ من ذلك الطعام أن احتيج إليه لثلا يضعفوا فرما تركوه استخفاء أو لفرط الحزن ولا بأس بالتسم إذا عرف الحالف أنهم يبرون نفسه ﴿ويحرم صنعه﴾ أي الطعام ﴿لنائحة﴾ والنأبة ﴿لأنه إغانة على معصية﴾.

* تنبيه * لفظ التعزية لا حصر فيه فبأي لفظ عزاء حصلت واستحب الأصحاب أن يقول في تعزية المسلم بالمسلم أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك وغفر لمتك وفي المسلم بالكافر أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك وفي الكافر بالمسلم أحسن الله عزاءك وغفر لمتك وفي الكافر بالكافر أخلف الله عليك وزوى النسائي باسناد حسن عن معاوية بن قرة بن أبياس عن أبيه رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بعض أصحابه فسأل عنه فقالوا يا رسول الله بيه الذي رأيته هلك فلقية النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن بيه فأخبره أنه هلك فعزاه عليه ثم قال يا فلان أيما كان أحب إليك أن تقع به عمرك أو لا تأتي غدا بابا من أبواب الجنة إلا وجدت قد سبقك إليه يفتح لك يا نبي الله بن سبقتني إلى الجنة فيفتحها لي هو أحب إلى قال فذلك لك وروى البيهقي باسناؤه في مناقب الشافعي رحمه الله أن الشافعي بلغه أن عبد الرحمن المهدي بن مهدي رحمه الله مات له ابن فخرج عليه عبد الرحمن جزعا شديدا فبعث إليه الشافعي رحمه الله يا أخي عز نفسك بما تعزى به غيرك واستبج من فعلك ما تستبج من فعل غيرك . واعلم أن آخر المصائب فقد سرور وحرمان أجر فكيف إذا اجتمعا مع أكساب وزر فتناول حظك يا أخي إذا قرب منك قبل أن تطلبه وقد نأى عنك ألمك الله عند المصاب صبرا واحرز لنا ولك بالصبر أجرا وكب إليه:

اني معزك لاأني على ثقة * من الخلود ولكن سنة الدين
فما المعزى بياق بعد مته * ولا المعزى ولو عاشا إلى حين

وكتب رجل إلى بعض اخوانه يعزىه بأنه أما بعد فإن الولد على والده ما عاش حزن وقتة فاذا قدمه فصلاة ورحمة فلا تجزى على ما فاتك من حزنه وقتته ولا تضع ما عوضك الله عز وجل من صلاته ورحمته وقال موسى بن المهدي لابراهيم بن سالم وعزاه بانه

﴿فصل في زيارة القبور﴾

أسرك وهو بلية وقتنة وأحزتك وهو صلوآت ورحمة وعن الحسن البصري رحمه الله أن رجلا جزع على ولده وشكا ذلك إليه فقال الحسن كان ابنك يغيب عنك قال نعم كانت غيبته أكثر من حضوره قال فأنزله غائبا فانه لم يغيب عنك غيبة الأجر فكيف أعظم من هذه فقال يا أبا سعيد هونت عني وجدى على ابني وعن مسلمة قال لما مات عبد الملك بن عمر كشف أبوه عن وجهه وقال رحمك الله يا بني فقد سررت بك يوم بشرت بك ولقد عمرت مسرورا بك وما أنت على ساعة أنا فيها أسر من ساعتى هذه أما والله إن كنت لدعوا بك إلى الجنة وقال أبو الحسن المدائني دخل عمر بن عبد العزيز على ابنه في وجعه فقال يا بني كيف نجدك قال أجدني في الحق قال يا بني لأن تكون في ميزاني أحب إلى من أن أكون في ميزانك فقال يا أبا عبد الله لا يكون ما تحب أحب إلى من أن يكون ما أحب ومات ابن الإمام الشافعي رضي الله عنه فأنشد:

وما الدهر إلا هكذا فاضطر له ✽ رزية مال أو فراق حبيب

قال أبو الحسن المدائني مات الحسن والد عبيد الله بن الحسن وعبيد الله يومئذ قاض البصرة وأميرها فكثرت من يعزبه فذكروا ما يتين به جزع الرجل من صبره فأجمعوا على أنه إذا ترك شيئا كان يصنعه فقد جزع والآثار في هذا الباب كثيرة وفيما ذكرنا كفاية لمن تدبر.

* خاتمة * نسأل الله حسنهما سئل العلامة ابن حجر أعاد الله علينا من بركة عما يذبح من النعم ويحمل مع ملح خلق للميت إلى المقبرة ويتصدق به على الفقراء فقط وعما فعل يوم ثالث موته من تهنة أكل وإطعامه للفقراء وغيرهم وعما يعمل يوم السابع كذلك وعما يعمل يوم تمام الشهر من الكعك ويدار به على بيوت النساء اللاتي حضرن الجنائز ولم يقصدوا بذلك الامتصاص عادة أهل البلد حتى أن من لم يفعل ذلك صار محموتا عندهم خسيسا لا يعبأون به وهل إذا قصدوا بذلك العادة والتصدق في غير الأخيرة أو مجرد العادة ماذا يكون الحكم جوازا وغيره وهل يوزع ما تصرف على أنصبا الورثة عند قسمة التركة وإن لم يرض به بعضهم وعن الميت عند أهل الميت إلى متى شهر من موته لأن ذلك عندهم كالفرض ما حكمه فأجاب بقوله جميع ما يفعل مما ذكر في السؤال من البدع المذمومة لكن لإحرمية فيه إلا أن فعل شيء منه لنحو نائحة أو رثاء ومن قصد بفعل شيء منه دفع السنة الجهال وخوضهم في عرضه بسبب الترك يرجى أن يكسب له ثواب ذلك أخذ من أمره صلى الله عليه وسلم من أحدث في الصلاة يوضع يده على أذنيه وغللوه يصون عرضه عن حوض الناس فيه لو انصرف على غير هذه الكيفية ولا يجوز أن يفعل شيء من ذلك من التركة حيث كان فيها محجور عليه مطلقا أو كانوا كلهم رشدا لكن لم يرض بعضهم من فعله من ماله لم يرجع به على غيره ومن فعله من التركة غرم حصه غيره الذي لم يأذن فيه أذا صححها وإذا كان في الميت عند أهل الميت تسليية لهم أو جبر لحواظهم لم يكن به بأس لانه من الصلوآت المحمودة التي رغب الشارع فيها والكلام في ميت لا يتسبب عنه مكروه ولا محرم والأعطي حكم ما ترتب عليه إذ للوسائل حكم المقاصد والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب.

﴿فصل في مشروعية ﴿زيارة القبور﴾ والدعاء للميت وما يتعلق به﴾

اعلم أن زيارة القبور مستحبة على الجملة للذكورة والاعتبار وزيارة قبور الصالحين محبوبة لأجل التبرك والاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهي عن زيارة القبور ثم أذن في ذلك بعد كما رواه مسلم من حديث بريرة وقد روى عن علي عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنه قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة غير أن لا تقولوا هجرا بضم فسكون أي قبيحا أو فحشا وكان سبب النهي عن زيارة القبور حدثان العهد بالكفر ثم لما انصرفت آثار الجاهلية واستحكم الإسلام وصاروا أهل يقين وتقوى

أذن لهم في الزيارة وقال القاضي الفناء متعلقة بمحذوف أي نهيتكم عن زيارتها مباحاة بتكاثر الأنوات فعل الجاهلية وأما الآن فقد جاء الإسلام وهدم قواعد الشرك فزورها فانها تورث رقة القلب وتذكر الموت والبلى انتهى ونعم الدواء هي لمن قسا قلبه ولزمه ذنبه فان انتفع بالكثار منها فذاك ولا أكثر من مشاهدة الحضرن وقال بعضهم استدل به على حل زيارة القبور سواء كان الزائر رجلا أو امرأة وسواء كان المزور مسلما أو كافرا قال النووي وبالجواز قطع الجمهور وقال صاحب الحاشي أي الماوردي لا يجوز زيارة قبر الكافر وهو غلط انتهى وحجة الماوردي قوله تعالى ولا تقم على قبره وفي الاستدلال بذلك نظر لا يخفى وسئل مالك عن زيارة القبور فقال قد كان نهى عنه ثم أذن فيه فلو فعل ذلك إنسان ولم يقل الأخير لم أر بذلك بأسا وعن طاووس كانوا يستحبون أن لا يتفرقوا عن الميت سبعة أيام لأنهم يقتنون ويحاسبون فيقبورهم سبعة أيام وتكره للنساء لجزعهن.

وأما حديث أبي هريرة المروي عند الترمذي وقال حسن صحيح لعن الله زوارات القبور فمحمول على ما إذا كانت زيارتهن للتقديد والبكاء والتوجع على ما جرت به عادتهن وقال القرطبي وحمل بعضهم حديث الترمذي في المنع على من تكثرت الزيارة لأن زوارات القبور لعلن ولو قيل بالحرمة في حقهن فهذا الزمان لما بعد وذلك لما في خروجهن من الفساد ولا يكره لهن زيارة قبر النبي ﷺ بل تدب ويتبغى كما قال ابن رفة والقمول أن تكون سائر الأنبياء والأولياء كذلك وقال ابن أبي مليكة أقبلت عائشة رضى الله عنها يوما من المقابر فقلت يا أم المؤمنين من أين أقبلت قالت من قبري أخي عبد الرحمن فقلت أليس كان رسول الله ﷺ نهى عنها قالت نعم ثم أمر بهارواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور بسند جيد قال الغزالي وغيره ولا ينبغي أن يمسك بهذا فيؤذن للنساء في الخروج إلى المقابر فانهن يكثرن الهجر على الرؤس المقابر فلا يفي خير زيارتهن بشرها ولا يخلون في الطريق عن تكشف للعودة وتبرج وتزين وهذه عظامهم والزيارة سنة فكيف يحتمل ذلك لأجلها نعم لأبأس بخروج المرأة في ثياب بدلة ترد أعين الرجال عنها وذلك بشرط الإقتصار على الدعاء والإستغفار وترك الحديث على رأس القبر إلا ما أهم فالمستحب في زيارة القبور أن يقول الزائر مستديرا للقبلة مستقبلا لوجه الميت وأن يستلم عليه بالخصوص فيقول السلام عليك يا فلان ورحمة الله وبركاته أو هو مع غيره فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأنا إن شاء الله بكم لاحقون أتم لنا فرط ونحن لكم تبع أسأل الله لنا ولكم العافية كما ورد ذلك من حديث بريدة عند النسائي أو يقول ويرحم الله المستقدمين والمستأخرين وأنا إن شاء الله بكم لاحقون كما في حديث عائشة عند الترمذي أو يقول السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لكم أتم سلفنا ونحن بالآثر كما في حديث ابن عباس عند الترمذي أيضا أو يقول السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين أتم لنا سلف فارط ونحن لكم تبع عما قليل لاحق اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز بعفوك عنا وعنهم كما في معجم الطبراني عن علي رضي الله عنه وزوي ابن أبي شيبة عن أبي هريرة قال إذا مررت بالقبور قد كنت تعرفهم فقال السلام عليكم يا أصحاب القبور وإذا مررت بالقبور لا تعرفهم فقال السلام على المسلمين.

* تنبيه * روى أبو داود والترمذي وصححه من حديث أبي جري المجيمي قال أتيت النبي ﷺ فقلت عليك السلام يا رسول الله قال لا تقل عليك السلام فان عليك السلام تحية الموتى فهذا يشعر بأن السنة في السلام على الموتى بتقديم الصلة وقد ضحنا ﷺ قال لهم السلام عليكم دار قوم مؤمنين فيحتاج إلى الجمع حتى إن بعضهم قال إن هذا أصح من حديث النهي وذهب آخرون إن السنة ما دل عليه حديث النهي وقد أجاب ابن القيم في البدائع بأن كلام الفريقين إنما اتوا من عدم فهم الحديث فان قوله ﷺ عليك السلام تحية الموتى ليس تشريعا منه وإخبارا عن أمر شرعي وإنما هو إخبار عن الواقع المعتاد الذي جرى على السنة الناس في الجاهلية فانهم كانوا

﴿أخرج﴾ العقيلي عن أبي هريرة قال أبو رزين يا رسول الله إن طريقي على الموتى فهل لي كلام أتكلّم به إذا مررت عليهم قال قل السلام عليكم يا أهل القبور من المسلمين والمؤمنين أتم لنا سلف ونحن لكم تبع وأنا إن شاء الله بكم لاحقون قال أبو رزين هل يسمعون قال يسمعون ولا يستطيعون أن يجيبوا أي جوابا يسمعه الحي قال يا أبا رزين ألا ترضى أن ترد عليك بعددهم الملائكة وابن أبي الدنيا والبيهقي عن محمد بن واسع قال بلغني أن الموتى يعرفون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده *

يقدمون اسم الميت على الدعاء وهو في أشعارهم كثير والأخبار عن الواقع لا يدل على الجواز فضلا عن الإستحباب فتعين المصير إلى ما ورد عنه عليه السلام من تقديم لفظ السلام حيث يسلم على الأموات قال فان تخيل متخيل في الفرق أن السلام على الأحياء يتوقع جوابه فقدم الدعاء على المدعوله بخلاف الميت قلنا والسلام على الميت يتوقع جوابه أيضا كما ورد به الحديث انتهى.

ومن الوارد ما ذكره بقوله ﴿أخرج العقيلي عن أبي هريرة﴾ عليه السلام قال ﴿قال أبو رزين يا رسول الله إن طريقي على الموتى فهل لي من كلام أتكلّم به إذا مررت عليهم قال﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿قل السلام عليكم يا أهل القبور من المسلمين والمؤمنين أتم لنا سلف ونحن لكم تبع وأنا إن شاء الله بكم لاحقون﴾ فان قيل ما فائدة المشية مع أن الحقوق به مطّوع به قلت أجاب العلامة ابن حجر بأن المشية للترك أو هي للحقوق في الوفاة على الإسلام أو للحقوق بهم في هذه البقعة ﴿قال أبو رزين﴾ يا رسول الله ﴿هل يسمعون قال يسمعون﴾ لكن ﴿لا يستطيعون أن يجيبوا﴾ قال المصنف ﴿أي جوابا يسمعه الحي﴾ أي من الجن والإنس فهم يردون حيث لا يسمع كما صرح به السيوطي في شرح الصدور ﴿قال يا أبا رزين ألا ترضى أن ترد عليك بعددهم الملائكة﴾ ﴿أخرج﴾ ابن أبي الدنيا ﴿في كتاب القبور﴾ والبيهقي ﴿في الشعب﴾ عن محمد بن واسع ﴿البصري الزاهد رحمه الله تعالى﴾ قال بلغني أن الموتى يعرفون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده ﴿وأخرج أيضا عن الضحاك بن مزاحم الهلالي المفسر قال من زار قبر يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته قيل له وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة.

وفي شرح الصدور للسيوطي قال السبكي عود الروح إلى الجسد في القبر ثابت في الصحيح لسائر الموتى فضلا عن الشهداء وإنما النظر في استمرارها في البدن وفي أن البدن يصير حيا بها كحالته في الدنيا أوجابا بدنها وهي حيث شاء الله تعالى فان ملازمة الحياة للروح أمر عادي لأعقل فهذا إلى أن البدن يصير حيا كحالته في الدنيا بما يحوزه العقل فان صح به سمع أتبع وقد ذكره جماعة من العلماء ويشهد له صلاة موسى عليه السلام في قبره فان الصلاة تستدعي جسدا حيا وكذلك الصفات المذكورة في الأنبياء ليلة الأسراء كلها صفات الأجسام ولا يلزم من كونها حياة حقيقة أن تكون الأبدان معها كما كانت في الدنيا من الإحتياج إلى الطعام والشراب وغير ذلك من صفات الأجسام التي نشاهدها بل يكون لها حكم آخر وأما الإدراكات كالعلم والسمع فلا شك أن ذلك ثابت لهم وسائر الموتى.

وقال ابن القيم في مسئلة تزاور الأرواح وتلاقيها أن الأرواح قسمان منعمة ومعدبة فأما المعدبة فهي في شغل الزاور والتلاقي وأما المنعمة المرسله غير المحبوسة فتلاقي وتزاور وتذكر ما كان منها في الدنيا وما يكون من أهل الدنيا فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو على مثل عملها وروح نبينا صلى الله عليه وسلم في الرفيق الأعلى قال الله تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وهذه المعية ثابتة في الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار الجزاء والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاثة وقال الياضي رحمه الله مذهب أهل السنة أن أرواح الموتى ترد في بعض الأوقات من علقين أو من مسجين إلى

والبيهقي عن محمد بن النعمان مرسل من زار قبر أبيه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برا * وروي النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أنس ما يكون الميت في قبره إذا زاره من كان يحبه في الدنيا ﴿وأخرج﴾ مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون وزاد ابن السنن عن عائشة رضي الله عنها اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم * وابن أبي شيبة عن الحسن قال من دخل المقابر فقال اللهم رب الأجساد البالية والعظام النخرة

أجسادهم في قبورهم عند إرادة الله تعالى وخصوصا ليلة الجمعة ويجلسون ويحدثون وينعم أهل النعيم ويعذب أهل العذاب قال وتختص الأرواح دون الأجسام بالنعيم أو العذاب ما دامت فيعين أو سجين وفي القبر يشترك الروح والجسد وقال ابن القيم الأحاديث والآثار تدل على أن الزائر حين جاء علم به المزور وسمع سلامه وأنس به ورد عليه وهذا عام فيحق الشهداء وغيرهم وأنه لا توقيت في ذلك وهو أصح من أثر الضحاك الدال على التوقيت.

﴿و﴾ أخرج ﴿البيهقي عن محمد بن النعمان مرسل من زار قبر أبيه﴾ وفي لفظ والديه ﴿أو﴾ قبر ﴿أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برا﴾ بالديه وإن كان عاقلاهما في حياتهما قال العراقي رواه الطبراني في الصغير والأوسط من حديث أبي هريرة وابن أبي الدنيا في كتاب القبور من رواية محمد بن النعمان يرفعه وهو معضل ومحمد بن النعمان مجهول وشيخه عند الطبراني يحيى بن العلاء البجلي متروك انتهى قال الزبيدي وكذلك رواه الحكيم في النوادر من حديث أبي هريرة أيضا البيهقي من رواية محمد بن النعمان ولفظ الجميع في كل جمعة مرة وقال الذهبي في ذيل الديوان محمد بن النعمان روى عنه محمد بن المشي وغيره لكن قال مجهول ويحيى بن العلاء الرازي البجلي روى له أبو داود وابن ماجه قال أحمد كذاب يضع الحديث وقال أبو حاتم ليس بالقوي وقد جاء في فضل زيارة الوالدين عدة أخبار منها ما رواه الحكيم وابن عدي من حديث ابن عمر من زار قبر أبيه احتسابا كان كعدل حجة مبرورة ومن كان زوارا لهما زارت الملائكة قبره وروى أبو الشيخ في الثواب والديلمي وابن النجار والرافعي من رواية عائشة عن أبي بكر مرفوعا من زار قبر والديه أو أحدهما في كل جمعة غفر الله له بعد ذلك حرف منها وعن محمد بن سيرين رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليتوت والداه وهو عاققهما فيدعوا الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور وهو مرسل صحيح الاسناد

﴿و﴾ في الأربعين الطائفة ﴿روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أنس ما يكون الميت في قبره إذا زاره من كان يحبه في﴾ دار ﴿الدنيا وأخرج مسلم عن أبي هريرة﴾ ﴿أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم﴾ بالنصب على الإختصاص وهو أفصح أو النداء وبالجر بدل من كم قاله الشوبري فيكون بدل كل من كل ويكون هناك مضاف محذوف أي أهل دار كما قرره بعضهم ﴿مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون﴾ وهذا فيقبور المسلمين أما قبور الكفار فالقياس عدم جواز السلام عليها كما في الحياة بل أولى كما قاله الرملي ﴿وزاد ابن السنن عن عائشة﴾ رضي الله عنها ﴿اللهم لا تحرمنا﴾ بفتح التاء وضما من حرمه وأحرمه والأولى أفصح ﴿أجرهم ولا تفتنا بعدهم﴾ أي بارتكاب المعاصي.

﴿و﴾ يسن كما قاله البرماوى أن يزيد الزائر اللهم رب هذه الأجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة أنزل عليها رحمة منك وسلاما منى لما أخرجه ﴿ابن أبي شيبة عن الحسن﴾ البصري رحمه الله ﴿قال من دخل المقابر فقال اللهم رب الأجساد البالية والعظام النخرة﴾ أي البالية المتقنة

التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة أدخل عليها روحا من عندك وسلاما مني استغفر له كل مؤمن مات مذ خلق الله آدم * وأخرجه ابن أبي الدنيا بلفظ كتب الله له بعدد من مات من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة حسنات * والبيهقي عن بشر بن منصور قال كان رجل يختلف إلى الجبان فيشهد الصلاة على الجنائز فإذا أمسى وقف على باب المقابر فقال آس الله وحشكم ورحم الله غربتكم وتجاوز الله عن سيئاتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هؤلاء الكلمات قال ذلك الرجل فأمسيت ذات ليلة فانصرفت إلى أهلي ولم آت المقابر فينما أنا نائم إذا أنا بخلق كثير جاؤني قلت من أنتم وما حالكم قالوا نحن أهل المقابر وقد عودتنا منك هدية عند انصرافك إلى أهلك قلت وما هي قالوا الدعوات التي كتبت تدعو بها قلت فأنما أعود لذلك قال فما تركتها بعد

﴿التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة أدخل عليها روحا من عندك وسلاما مني استغفر له كل مؤمن مات مذ خلق الله آدم﴾ عليه السلام ﴿وأخرجه ابن أبي الدنيا بلفظ كتب الله له بعدد من مات من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة﴾ أي القيامة ﴿حسنات﴾
 ﴿و﴾ أخرج ﴿البيهقي﴾ في الشعب وابن أبي الدنيا في كتاب القبور ﴿عن﴾ أبي محمد ﴿بشر بن منصور﴾ السلمي الأزدي البصري ثقة عابد روى له مسلم وأبو داود والنسائي مات سنة ثمانين ﴿قال﴾ لما كان زمن الطاعون ﴿كان رجل يختلف﴾ أي يتردد ﴿إلى الجبان﴾ أي المقبرة ﴿فيشهد الصلاة على الجنائز فإذا أمسى﴾ أي دخل في المساء ﴿وقف على باب المقابر فقال آس الله وحشكم ورحم الله غربتكم﴾ أي في هذه المقابر ﴿وتجاوز الله﴾ عن سيئاتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هؤلاء الكلمات قال ذلك الرجل فأمسيت ذات ليلة ﴿ولفظ ذات مقحمة كما قاله بعضهم﴾ فانصرفت إلى أهلي ولم آت المقابر ﴿فادعوكما كتبت ادعوا﴾ فينما أنا نائم إذا أنا بخلق كثير ﴿قد﴾ جاؤني قلت من أنتم وما حاجتكم قالوا نحن أهل المقابر وقد عودتنا منك هدية عند انصرافك ﴿من المقابر﴾ إلى أهلك قلت وما هي ﴿أي الهدية﴾ قالوا ﴿هي﴾ الدعوات التي كتبت تدعو بها قلت فأنما أعود لذلك ﴿المذكور من الدعوات﴾ قال ﴿ذلك الرجل﴾ فما تركتها ﴿أي تلك الدعوات﴾ بعد ﴿أي بعد ذلك رأيت في المنام﴾

وقال بشار بن غالب الفجرائي رايت رابعة بنت اسماعيل العدوية العابدة في منامي وكتبت كثير الدعاء لها فقالت لي يا بشار بن غالب هداياك تأتينا على أطباق من نور خمرة بمناديل الحرير قلت وكيف ذاك قالت وهكذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك الدعاء على أطباق النور وخمر بمناديل الحرير ثم أتى به إلى البيت فقيل له هذه هدية فلان إليك رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور ويقولها فاستجيب لهم إشارة إلى أن الدعاء للميت ينفع إذا استجيب فيمنع الإطلاق ولكن قد يقال إن الدعاء للميت مستجاب كما اطلقوا اعتمادا على فضل الله الواسع وقد أثبت الله على القائلين ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان الآية وقال رسول الله ﷺ ما الميت في قبره إلا شبه الفريق المتفوث ينتظر دعوة من أب أو أم أو ولد أو صديق ثقة فإذا لحقه كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها وإن الله عز وجل يدخل على أهل القبور من دعاء أهل الدنيا أمثال الجبال وإن هدية الأحياء للاموات الاستغفار لهم والصدقة عنهم رواه الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس وزواه البيهقي في الشعب قال وقال أبو علي الحسين بن علي الحافظ هذا حديث غريب من حديث عبد الله بن المبارك لم يقع عند أهل خراسان

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن أبي الفتح قال كان مطرف يبدو فإذا كان يوم الجمعة ادبج وكان ينور له في سوطه فأقبل ليلة حتى إذا كان عند المقابر هموم وهو على فرسه فرأى كأن أهل القبور كل صاحب قبر جالس على قبره فقالوا هذا مطرف أتى يوم الجمعة قلت وتعلمون عندكم يوم الجمعة قالوا نعم وتعلم ما يقول فيه الطير قلت وما يقولون قالوا يقولون سلام سلام يوم صالح يقال هموم الرجل إذا

طائفاً رأسه من الناس . وروى أيضاً عن أفضل بن الموفق ابن خال سفيان بن عيينة قال لما مات أبي جزعت جزعا شديداً فكنت آتي قبره في كل يوم ثم أتى قصرت عن ذلك فرأيت في النوم فقال يا بني ما بظأبك عني قلت وإنك تعلم بمجيئي قال ماجئت مرة إلا علمتها وقد كنت تأتيني فأمر بك ونسرت من حولي بدعائك قال فكنت آتية بعده كثيراً وروى أيضاً عن سفيان قال كان يقال الأموات أحوح إلى الدعاء من الأحياء إلى الطعام والشراب .

وروى البيهقي عن أبي الدرداء هاشم بن محمد قال سمعت رجلاً من أهل العلم يقول إنه كان يزور قبر أبيه فطال عليه ذلك قال فقلت أزور التراب فأرثيه في منامي فقال يا بني مالك لا تفعل كما كنت تفعل فقلت أزور التراب فقال لا تنقل يا بني فوالله لقد كنت تشرق على فيشترني بك جيرانى ولقد كنت تنصرف فما زال أراك حتى تدخل الكوفة .

وروى ابن أبي الدنيا والبيهقي عن عثمان بن سودة وكانت أمه من العابدات وكان يقال لها راهبة قال لما ماتت بكنت آتيها في كل جمعة فادعوا لها واستغفروا لها وأهل القبور فرأيتها ليلة في منامي فقلت يأمه كيف أنت فقالت يا بني إن الموت لشديد كربة وأنا بحمد الله في برزخ محمود افتش فيه الريحان واتوسد فيه السندس والاسبراق فقلت ألك حاجة قالت نعم قلت ما هي قالت لا تدع ما تصنع من زيارتنا والدعاء لنا فاني آتس بمجيئك يوم الجمعة إذا أقبلت من أهلك زائراً فأبشروني ببشر بذلك من حولي من الأموات وقال الحافظ أبو طاهر السلفي سمعت أبا البركات عبد الواحد بن عبد الرحمن بن غلاب السوسى بالاسكندرية يقول سمعت والدتي تقول رأيت أمي في منامي بعد موتها وهي تقول يا بني إذا جئتني زائرة فاقعدى عند قبري ساعة أتملي من النظر إليك ثم ترحمني علي فأنك إذا ترحمت علي صارت الرحمة بيني وبينك كالحجاب ثم شغلني وقال الحافظ ابن رجب أنبأني علي ابن عبد الصمد بن أحمد البغدادي عن أبيه قال أخبرني قسطنطين بن عبد الله الرومي سمعت أسد بن موسى يقول كان لي صديق فمات فرأيت في المنام وهو يقول سبحان الله جئت إلى قبر فلان صديقك قرأت عنده وترحمت عليه وأنت ما جئت إلي ولا قرنتي قلت له وما يدريك قال لما جئت إلى قبر صديقك فلان رأيتك قلت كيف رأيتني والتراب عليك قال أما رأيت الماء إذا كان في الزجاج ما يسيئ قلت بلى قال فكذلك نحن نرى من يزورنا .

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن بعضهم قال مات أخ لي فرأيت في المنام فقلت ما كان حالك حين وضعت في قبرك قال أتاني آت بشهاب من نار فقلوا إن داعياً دعاني لرأيت أنه سيضربني به ومن هذا يستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له بالتثبيت قال في نوادر الأصول الوقوف وسؤال التثبيت في وقت الدفن مدد للميت بعد الصلاة لأن الصلاة بجماعة المؤمنين كالعسكر له وقد اجتمعوا بباب الملك يشفعون له والوقوف على القبر وسؤال التثبيت في وقت الدفن مدد للعسكر وذلك ساعة شغل الميت لأنه يستقبل هول المظلم وسؤال الفتانين كذا في الإتحاف .

وأخرج ابن أبي الدنيا عن بعض السلف قال رأيت أخاً لي في النوم فقلت أبعث اليك دعاء الأحياء قال إنه والله يترفف مثل النور ثم نلبسه وأخرج أيضاً عن عمرو بن جرير إذا دعا العبد لأخيه الميت أتاه بها إلى قبره ملك فقال يا صاحب القبر الغريب هذه هدية من أخ عليك شقيق وأخرج أيضاً عن أبي قلابة قال أقبلت من الشام إلى البصرة فنزلت الخندق فطهرت وصليت ركعتين بالليل ثم رفعت رأسي على قبر فنمت ثم اتبعت فإذا بصاحب القبر يشككي ويقول لقد آدبني منذ الليلة ثم قال انكم لا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على العمل إن الركعتين اللتين ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جرى الله أهل الدنيا خيراً فاقربهم مني السلام فانه يدخل علينا من دعائهم نور مثل الجبال .

وقال محمد بن أحمد المروزي سمعت أحمد بن حنبل يقول إذا دخلتم المقابر فاقرؤا بفتح الكتاب وإخلاص والمعوذتين واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم

وأخرج أيضاً عن بعض المتقدمين قال مررت بالمقابر فترحمت عليهم فتهف بي هاتف نعم فترحم عليهم فإن فيهم المجهوم والحزون وقال ابن رجب روى جعفر الخدرى حدثنا العباس بن يعقوب بن صالح الأنبارى سمعت ابن يقول رأى بعض الصالحين أباه في النوم فقال له يا بنى لم قطعتم هديكم عنا قال يا ابت هل تعرف الأموات هدية الأحياء قال يا بنى لولا الأحياء لهلك الأموات.

وأخرج ابن النجار في تاريخه عن مالك بن دينار قال دخلت المقبرة ليلة الجمعة فإذا أنا بتور مشرق فيها فقلت لاله الا الله نرى ان الله عز وجل قد غفر لأهل المقابر فإذا أنا بهاتف يهتف من العبد وهو يقول يا مالك ابن دينار هذه هدية المؤمنين الى اخوانهم من أهل المقابر قلت بالذي أنطقك الا أخبرتنى ما هو قال رجل من المؤمنين قام في هذه الليلة فأسبغ الوضوء وصلى ركعتين وقرأ فيهما فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وقال انى قد وهبت ثوابها لأهل المقابر من المؤمنين فادخل الله علينا الضياء والنور والفسحة والسرور في المشرق والمغرب قال مالك فلم أزل أقرأهما في كل ليلة الجمعة فرأيت النبی صلى الله عليه وسلم في منامى يقول لى يا مالك بن دينار قد غفر الله لك بعدد النور الذي أهديته الى أمى ولك ثواب ذلك ثم قال لى وبني الله لك بيتاً في الجنة في قصر يقال له المنيف قلت وما المنيف قال المطل على أهل الجنة ذكره السيوطى في شرح الصدور.

وروى عن على بن موسى الحداد قال كنت مع أحمد بن حنبل في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري معنا فلما دفن الميت جاء رجل ضربه يقرأ عند القبر فقال له أحمد يا هذا ان القراءة عند القبر بدعة قال محمد بن قدامة لأحمد يا أبا عبد الله ما تقول في مبشرين اسماعيل الحلبي قال ثقة قال هل كتبت عنه شيئاً قال نعم قال أخبرني مبشرين اسماعيل عن عبد الرحمن بن العلاء بن الجلاح عن أبيه أنه أوصى إذا دفن يقرأ عند رأسه فاتحة البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصى بذلك فقال له أجمد فارجع الى الرجل فقل له يقرأ وهكذا أورده القرطبي في التذكرة ﴿وقال محمد بن أحمد المروزي﴾ هكذا في النسخ والصواب أحمد بن محمد المروزي كنية أبو بكر والمروزي نسبة الى مروز والمروزي مدينة خراسان بينها وبين المروز الشاهجان خمس مراحل وأما محمد بن أحمد المروزي يكنى أبا زيد فهو من أئمة الشافعية حديث عن العزيزي مات سنة اثنين وسبعين ثلاث ثمانية ﴿سمعت أحمد بن حنبل﴾ رحمه الله ﴿يقول اذا دخلتم المقابر فاقرؤا بفتح الكتاب والإخلاص﴾ وهو قل هو الله أحد ﴿والمعاوذتين واجعلوا ثواب ذلك﴾ أى ما قرأته من السور الأربع ﴿لأهل المقابر فانه يصل إليهم﴾ كذا أورده عبد الحق الأزدي في كتاب العاقبة عن أبي بكر أحمد بن محمد المروزي على الصواب وروى النسائي والرافعى في تاريخه وأبو محمد السمرقندى في فضائل سورة الاخلاص من حديث على بن مر على المقابر وقرأ قل هو الله أحد احدى عشرة مرة ثم وهب أجره للأموات اعطى من الأجر عتد الأموات قال الشمس بن القطان ولقد حكى لى من اتق به من أهل الخير أنه مر بقبور فقرأ قل هو الله أحد وأهدى ثوابها لهم فرأى واحدا منهم في المنام وأخبره بأن الله تعالى غفر له ولسائر القبور فحفظه ثواب رأس واومن سورة قل هو الله أحد وتقسيم الباقيون باقيها بركة سورة قل هو الله أحد وفي العاقبة لعبد الحق قال حدثني أبو الوالد اسماعيل بن أحمد عرف بابن فريد وكان هو وأبوه صالحين معروفين قال لى أبو الوالد مات أبى رحمه الله عليه فحدثنى بعض اخوانه من يوثق بحديثه شيث انما اسمه قال لى زرت قبر أبى فقرأت عليه جزءاً من القرآن ثم قلت يا فلان هذا قد أهديته لك فما ذالى قال فهبت على نقحة مسك غشيتى وأقامت معى ساعة ثم انصرف وهي معى فما فارقتنى الا وقد مشيت نصف الطريق.

﴿ثمة﴾ قال السيوطي في شرح الصدور وأما قراءة القرآن على القبر فجزم بمشروعيتها أصحابنا وغيرهم قال الزعفراني سألت الشافعي عن القراءة عند القبر فقال لا بأس به وقال النووي في شرح المذهب يستحب لزائر القبور أن يقرأ ما تيسر من القرآن ويذرعهم عقبها نص عليه الشافعي واتفق عليه الأصحاب زاد في موضع آخر وإن ختموا القرآن على القبر كان أفضل انتهى وقد سئل الشمس محمد بن علي بن محمد بن عيسى الصقلاني الكنازي السمودي الشافعي عرف بابن القطان المتوفى سنة أربع عشرة وثمانين وهو من مشايخ الحافظ ابن حجر عن مسائل فأجاب ومنها هل يصل ثواب القراءة للميت أم لا فأجاب عنها في رسالة سماها القول بالاحسان الميم في انتفاع الميت بالقرآن العظيم وأنا أذكر منها هنا ما يليق بالمقام مع الاختصار قال رحمه الله تعالى عليه اختلف العلماء في ثواب القبر للميت فذهب الأكثرون إلى المنع وهو المشهور من مذهب الشافعي وبالك وبقل عن جماعة من الحنفية وقال كثير منهم يصل وبه قال الإمام أحمد بعد أن قال القراءة على القبر بدعة بل نقل عنه أنه يصل إلى الميت كل شيء من صدقة وصلاة وحج وضوم واعتكاف وقراءة وذكر وغير ذلك ونقل ذلك عن جماعة من السلف ونقل عن الشافعي انتفاع الميت بالقراءة على قبره واختار شيخنا شهاب الدين ابن عقيل وتواتر أن الشافعي زار الليث بن سعد واثني عليه خيرا وقرأ عنده ختمة وقال أرجو أن تدوم فكان الأمر كذلك وقد أفتى القاضي حسين بأن الاستجار للقراءة على رأس القبر جائز كالاستجار للأذان وتعليم القرآن قال النووي في زيادات الروضة وظاهر كلامه صحة الاجارة مطلقا وهو المختار فإن موضع القراءة موضع بركة وتنزل الرحمة وهذا مقصود ينفع الميت وقال الرافعي وتبعه النووي عود المنفعة إلى المستاجر شرط في الاجارة فيجب عود المنفعة في هذه الاجارة إلى المستاجر أو يمينه لكن المستاجر لا ينفع بأن يقرأ الغير له ومشهور أن الميت لا يلحقه ثواب القراءة المجرد فالوجه تنزيل الاستجار على صورة انتفاع الميت بالقراءة أقرب اجابة أكثر بركة وقال في كتاب الوصية الذي يعتمد من قراءة القرآن على رأس القبر قد ذكرنا في باب الاجارة طريقين في عود فائدتها إلى الميت وعن القاضي أبي الطيب طريق ثالث وهو أن الميت كالحى الحاضر فيرجى له الرحمة ووصول البركة إذا أهدى الثواب إلى القارئ وبعبارة الروضة إذا أوصل الثواب إلى القارئ انتهى وعن القاضي أبي الطيب الثواب للقارئ والميت كالحاضر فترجى له الرحمة والبركة وقال عبد الكريم الشالوسى القارئ أن نوى بقراءة أنه أن يكون ثوابها للميت لم يلحقه أن جعل ذلك قبل حصوله وتلاوته عبادة البدن فلا تنفع عن الغير وإن قرأه جعل ما حصل من الثواب للميت ينفعه أن قد جعل من الأجر لغيره والميت يؤخر بدعاء الغير وقال القرطوبى وقد استدل بعض العلماء على قراءة القرآن على القبر بحديث العسيب الرطب الذي شقه النبي ﷺ باثنين ثم غرس على قبر نصفاً وعلى قارئ نصفاً وقال لعله يخفف عنهما ما لم يبسا رواه الشيخان قال ويستفاد من هذا غرس الأشجار وقراءة القرآن على القبور وإذا خفف عنهم بالأشجار فكيف بقراءة الرجل المؤمن القرآن وقال النووي استحب العلماء قراءة القرآن عند القبور استنسوا لك بحديث الجريدتين وقالوا إذا وصل النفع إلى الميت بتسيحهما حال رطوبتهما فاتنفاع الميت بقراءة القرآن عند قبره أولى فإن قراءة القرآن من إنسان أعظم وأنفع من التسيح من عود وقد نفع القرآن بعض من حصل له ضرر في حال الحياة فالميت كذلك ابن الرفعة الذي دل عليه الخبر بالاستنباط أن بعض القرآن إذا قصد به نفع الميت وتخفيف ما هو فيه نفعه أن ثبت أن الفاتحة لما قصد بها القارئ نفع المملودغ نفعه وأقر النبي ﷺ ذلك بقوله وما يدريك أنهارية وإذا نفع الحى بالقصد كان نفع الميت بها أولى لأن الميت نفع عنه من العبادات بغیرا أنه لا ينفع من الحى نعم يبقى النظر في ما بعد الفاتحة من القرآن الكريم إذا قرئ وقصد به ذلك هل يلحق به فروى ابن السنن من حديث ابن مسعود أنه قرأ في أذن مبتلى فافاد فقال له رسول الله ﷺ ما قرأت في أذنه قال قرأت أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً حتى فرغت من آخر السورة فقال ﷺ لو أن رجلاً قرأ بها علم

جبل لزال ومثل ذلك ما جاء به في القراءة بالمعوذتين والاخلاص وغير ذلك وفي الرقية بالقائمة دليل على صحة الاجارة والجملة لينتفع بها الحي فكذلك الميت وما يشهد لنفع الميت بقراءة غيره حديث معقل بن يسار اقرعوا على موتاكم رواه بوداد وحديث اقرعوا على موتاكم رواه النسائي وابن ماجه وابن حبان وحديث يس ثلث القرآن لا يقرؤها رجال يريد الله والدار الآخرة الا غفر له فافرعوها على موتاكم رواه احمد وأول جماعة من التابعين القراءة للميت بالمختصر والتأويل خلاف الظاهر ثم يقال عليه إذا اتفق المختصر بقراءة يس وليس من سعيه فالميت كذلك والميت كالحى الحاضر يسمع كالحى الحاضر كما ثبت في الحديث انتهى ما نقلته من كلام ابن القطان وقال السيوطي في شرح الصدور اختلف في وصول ثواب القراءة للميت فالجمهور السلف والأئمة الثلاثة على الوصول وخالف في ذلك إمامنا الشافعي رحمته مستدلاً بقوله تعالى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأجاب الأولون عن الآية بوجوه أحدها أنها منسوخة بقوله تعالى والذين آمنوا واتبعهم ذريتهم بإيمان الآية أدخل الإبناء الجنة بصلاح الآباء الثاني أنها خاصة بقوم إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام فأما هذه الأمة فلها ما سعت وما سعى لها قاله عكرمة ، الثالث أن المراد بالإنسان هنا الكافر فأما المؤمن فله ما سعى وما سعى له قاله الربيع ابن انس الرابع ليس للإنسان إلا ما سعى من طريق العدل فأما من باب الفضل فجائز أن يرده الله ما شاء قاله الحسين ابن الفضل ، الخامس أن اللام في الإنسان بمعنى على أى ليس على الإنسان إلا ما سعى قال الزبيدي وقد أورد ابن القطان في الرسالة المذكورة هذه الأجوبة وقال القول بالنسخ روى عن ابن عباس قال فجعل الولد الطفل في ميزان أبيه ويشفع الله تعالى الآباء في الأبناء والأبناء في الآباء بدليل قوله تعالى آباءكم وأبناءكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نعمًا وذكر القول الثالث ونقل عن القرطبي أن كثيرا من الأحاديث يدل على هذا القول ونقل عنه أيضا أنه قال ويحتمل أن يكون قوله إلا ما سعى خاصة بالسيئة لما في الحديث وإن هم سيئة فلم يعملها كتبها له حسنة قال ابن القطان وكنت بحثت مع الشيخ سراج الدين البلقيني بالحشاية بجامع عمرو بن العاص هل تضعف هذه الحسنة أيضا قلت وينبغي أن تضعف لقوله تعالى إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فقال نعم وتضعف من جنس ما هم به ثم قال ومن المفسرين من قال المراد بالإنسان أبو جهل أو عقبة ابن معيط أو الولد ابن المغيرة قال ومنهم من قال الإنسان بسعيه في الخير وحسن صحبته وعشرته اكتسب الأصحاب وأسدى لهم الخير وتردد إليهم فصار ثوابه لهم بعد موته من سعيه وهذا حسن ومنهم من قال الإنسان في الآية للحى دون الميت ومنهم من قال لا ينف في الآية انتفاع الرجل بسعى غيره له وإنما بقى عمله بسعى غيره وبين الأمرين فرق ثم نقل عن الزمخشري ما لفظه فإن قلت أما صح في الأخيار الصدقة عن الميت والحج عنه قلت فيه جوابان أحدهما أن سعى غيره لما لم ينفعه إلا مبنيا على سعى نفسه لكونه تبعًا له وقائما لقيامه والثاني أن سعى غيره لا ينفعه إذا عمله لنفسه ولكن إذا نواه فهو في حكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه ثم قال والصحيح من الأجوبة أن قوله تعالى وإن ليس إلا ما سعى عام مخصوص لما تقدم من الأدلة وكذا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون وكذا إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث هذا كله كلام ابن القطان ثم قال السيوطي واستدلوا على الوصول بالقياس على الدعاء والصدقة والصوم والحج والعق فانه لا فرق في نقل الثواب بين أن يكون عن حج أو صدقة أو وقف أو دعاء أو قراءة وبالأحاديث الواردة فيه وهي وإن كنت ضعيفة فمجموعها يدل على أن لذلك أصلا وبأن المسلمين ما زالوا في كل مصر يجتمعون ويقرءون لموتاهم من غير تكبر فكان ذلك إجماعا ذكر ذلك كله الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الواحد المقدس الحنبلي في جزء ألفه في المسئلة ، قال القرطبي وقد كان الشيخ العزيز بن عبد السلام يقضى بأنه لا يصل إلى الميت ثواب ما يقرأ فلما توفي رآه بعض أصحابنا فقال له انك كنت تقول أنه لا يصل إلى الميت ثواب ما يقرأ ويهدى إليه فكيف الأمر قال له كنت أقول ذلك في دار الدنيا والآن قد رجعت عنه لما

فالإختيار أن يقول القاريء بعد فراغه اللهم أوصل ثواب ما قرأته إلى فلان ﴿وحكى﴾ بعض أهل العلم أن رجلا رأى في النوم أهل القبور في بعض المقابر قد خرجوا من قبورهم إلى ظاهر المقبرة وإذا بهم يلتقطون شيئا ما يدرى ما هو فتعجب من ذلك ورأيت رجلا منهم جالسا لا يلتقط معهم شيئا فدنوت منه وسألت ما الذي يلتقط هؤلاء

رأيت من كرم الله في ذلك وأنه يصل إليه ذلك ثم قال السيوطي ومن الوارد في قراءة القرآن على القبور ما تقدم من حديث ابن عمر والعلاء بن الجلاح مرفوعا كلاهما وأخرج الحلال في الجامع عن الشعبي قال كانت الأنصار إذا مات لهم ميت اختلفوا إلى قبره يقرءون له القرآن وأخرج أبو القاسم سعد بن علي الزنجاني في فوائده عن أبي هريرة رفعه من دخل المقابر ثم قرأ بفتح الكتاب وقل هو الله أحد والمهاكم التكاثر ثم قال أنى جعلت ثواب ما قرأت من كلامك لأهل المقابر المؤمنين والمؤمنات كانوا شفعا له إلى الله تعالى وأخرج القاضي أبو بكر بن عبد الباقي الأنصاري في شيخه عن سلمة بن عبيد قال قال حماد المكي خرجت ليلة إلى مقام مكة فوضعت رأسي على قبر فسمعت فرأيت أهل المقابر حلقة حلقة فقلت أقد قامت القيامة قالوا لا ولكن رجل من إخواننا قرأ قل هو الله أحد وجعل ثوابها لنا فنحن نقسمه منذ سنة وأخرج عبد العزيز صاحب الحلال من حديث ابن من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم وكان له بعدد من دفن فيها حسنات.

وقال القرطبي في حديث أقرءوا على موتاكم يس يحتمل أن تكون هذه القراءة عند الميت في حال موته ويحتمل أن تكون عند قبره قال السيوطي وبالأول قال الجمهور وبالثاني قال ابن عبد الواحد المقدسي في جزئه الذي تقدم ذكره وبالعيم في الحالين قال الحبيب الطبري من متأخري أصحابنا فقال القرطبي وقيل إن ثواب القراءة للقارئ وللميت ثواب الاستماع ولذلك تلحقه الرحمة قال الله تعالى وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون ولا يبعد في كرم الله أن يلحقه ثواب القراءة والاستماع معا ويلحقه ثواب ما يهدي إليه من القرآن وإن لم يسمع كالصدقة والدعاء انتهى.

* تنبيه * سئل ابن القطان هل يكفى ثواب أو يتعين مثل ثواب وأجاب في الرسالة المذكورة ما لفظه ولا يشترط في وصول الثواب لفظ هذا ولا جعل ثواب بل تكفي النية قبل القراءة وبعدها خلافا لما نقلناه عن عبد الكريم الشالوسي في القبلية نعم لو فعله لنفسه ثم نوى جعله للغير لم ينفع الغير ويكفى للقارئ ذكر ثواب ولا يتعين مثل ثواب وقال النووي المختار أن يدعو بالجعل فيقول اللهم اجعل ثوابها واقعا لفلان.

وقال في الأذكار وتبعه المصنف ﴿فالإختيار أن يقول القاريء بعد فراغه﴾ من القراءة ﴿اللهم أوصل ثواب ما قرأته إلى فلان﴾ وليس ثواب على تقدير المثل بل لو قال مثل ثواب تكون مثل زائدة كما هو أحد الأقوال في قوله تعالى ليس كمثل شيء نعم إن قيل للقارئ ثواب قراءته والمقروء له مثل ثوابها فيكون ثوابها على تقدير وهو خلاف ظاهر مختار النووي وخلاف الأئمة المهديين فانهم حين يهدون يقولون اجعل ثواب والأصل عدم التقدير وفي قوله اجعل ثواب احتمالا أن يكون للمهدي له وللقارئ مثلها الثاني أن يكون للمهدي وهو القارئ والمهدي له مثلها والله أعلم.

﴿وحكى﴾ بعض أهل العلم أن رجلا رأى في النوم أهل القبور قد خرجوا من قبورهم إلى ظاهر المقبرة وإذا بهم يلتقطون ﴿شيئا ما يدرى ما هو﴾ قال البعض ﴿فتعجب من ذلك﴾ أي التقاطهم ما ذكر ﴿ورأيت رجلا منهم جالسا لا يلتقط معهم شيئا فدنوت﴾ منه وسألت ﴿له﴾ ما الذي يلتقط هؤلاء ﴿الذين خرجوا من قبورهم﴾

فقال يلتقطون ما يهدي إليهم المسلمون من قراءة القرآن والصدقة والدعاء فقال قلت له فلم تلتقط أنت معهم قال أنا غني عن ذلك قلت بأي شيء أنت غني قال بجمعة يقرأها ويهديها إلى كل يوم ولدي بيع الزلاية في السوق الفلاني فلما استيقظت ذهبت إلى السوق حيث ذكر فإذا شاب بيع الزلاية وبحرك شقيقه قلت بأي شيء تحرك شقيقك قال أقرأ القرآن وأهديه إلى ولدي في قبره قال فلبثت مدة من الزمان ثم رأيت الموتى قد خرجوا من القبور كما تقدم وإذا بالرجل الذي كان لا يلتقط صار يلتقط فاستيقظت وتعجبت من ذلك ثم ذهبت إلى السوق لأتعرّف خبر ولده فوجدته قد مات ﴿وحكى﴾ أن بعض النساء توفيت فرأتها في المنام امرأة تعرفها فإذا عندها تحت السرير آية من نور مغطاة فسألتهما ما هذه الأوعية فقالت فيها هدية أهدها إلى أبو أولادي البارحة فلما استيقظت المرأة ذكرت ذلك لزوج الميت فقال قرأت البارحة شيئا من القرآن وأهديته إليها

﴿فقال﴾ الجالس ﴿يلتقطون ما يهدي إليهم المسلمون من قراءة القرآن والصدقة والدعاء فقال﴾ أي البعض ﴿قلت له﴾ أي للجالس ﴿فلم﴾ أي لا شيء ﴿لا تلتقط معهم قال أنا غني عن ذلك﴾ أي عن الشيء الملتقط ﴿قلت بأي شيء أنت غني﴾ عن ذلك ﴿قال﴾ بجمعة من القرآن ﴿يقرأها ويهديها إلى كل يوم ولدي﴾ تنازعه كل من يقرأها ويهديها ﴿بيع الزلاية﴾ بفتح الزاي وهي الحلواء كما في القاموس وتسمى عند أهل جاوه كويه بضم الكاف وكسر الواو مع سكن الياء والهاء على أحد الأقوال التي ذكرها الشيخ إدريس المروزي في قاموسه ﴿في السوق الفلاني فلما استيقظت﴾ من نومي ﴿ذهبت إلى السوق حيث ذكر﴾ الجالس ﴿فإذا شاب بيع الزلاية وبحرك شقيقه قلت بأي شيء تحرك شقيقك قال﴾ البائع ﴿أقرأ القرآن وأهديه إلى ولدي في قبره قال﴾ الرائي المذكور ﴿فلبثت مدة من الزمان ثم رأيت الموتى في المنام﴾ قد خرجوا من القبور كما تقدم ﴿أي إلى ظاهر المقبرة يلتقطون شيئا﴾ وإذا بالرجل الذي كان لا يلتقط ﴿ما ذكر﴾ صار يلتقط معهم ﴿فاستيقظت وتعجبت من ذلك﴾ أي من التقاطه بعد اعراضه عن ذلك ﴿ثم ذهبت إلى السوق لأتعرّف﴾ أي لأجل أن أطلب المعرفة ﴿خبر ولده فوجدته قد مات﴾

وحكى عن الحرث بن سبهال انه قال زرت جبانة فغلب على النوم في محراب فنمت وكان فيه قبر وسمعت صوت مقنعة من حديد يضرب بها صاحب ذلك القبر وفي عنقه سلسلة وهو أسود الوجه أزرق العينين وهو يقول يا ويلي ماذا حل بي لو رآني أهل الدنيا لما ركب أحد منهم المعاصي طولبت والله بالذات فأوبقني وبالخطايا فأجرقني فهل من مخبر أهلى بأمرى قال الحرث فاستيقظت من منامي فزعما مرعوبا وسألت عن أهله فوجدت له ثلاث بنات فأخبرتهن بحال أبيهن وأخبرت بذلك أصحابه فأتوا إلى قبره وبكوا وسألوا الله تعالى أن يغفر له فلما كان بعد أيام نمت بجانب قبره فرأيت في هيئة جسنة وعلى رأسه تاج يحطف البصر وفي رجله نعلان من ذهب وقال لي جزاك الله تعالى عنى خيرا حيث أعلمت بى بناتى وأصحابى حتى استغفروا لى ودعوا لى .

﴿وحكى﴾ أن بعض النساء توفيت فرأتها في المنام امرأة تعرفها فإذا عندها تحت السرير آية من نور مغطاة فسألتهما ما هذه الأوعية فقالت فيها ﴿أي في هذه الأوعية﴾ هدية أهدها إلى أبو أولادي البارحة ﴿أي الليلة الماضية﴾ فلما استيقظت المرأة ذكرت ذلك ﴿أي ما رآته من حال بعض النساء﴾ لزوج الميت فقال ﴿زوجها﴾ قرأت البارحة شيئا من القرآن وأهديته إليها ﴿أي إلى زوجتي التي توفيت﴾ وعن عبد الله بن صالح قال رأى أبو نواس في المنام وهو في نعمة كبيرة فقيل له ما فعل الله بك قال غفرتى وأعطاني هذه النعمة قبل وماذا وقد كنت مخلطا قال جاء بعض الصالحين إلى المقابر في ليلة من الليالي فبسط رداءه وصلى ركعتين قرأ فيهما ألف مرة قل هو الله أحد وجعل ثوابها لأهل المقابر فغفر الله لأهل المقابر عن آخرهم فدخلت أنا في جملتهم.

﴿خاتمة﴾ أخرج أبو داود والنسائي عن ابن عباس قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج * ومنسلم لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر * وابن منده عن القاسم بن مخيمرة قال لأن أطا على أسنان رحي حتى تبيد من قدمي أحب إلي من أن أطا على قبر وإن رجلا وطىء على قبر وإن قلبه ليقظان إذ سمع صوتا من القبر إليك عني ولا تؤذيني ﴿تنبيهان﴾ أحدهما قال أصحابنا يحرم الصلاة على قبور الأنبياء والأولياء والشهداء والعلماء تبركا بذى القبر وإعظاما له

* تنبيه * قال بعضهم في النوم معان ليست في اليقظة منها انه يرى المصطفى ﷺ والصحابه والسلف الصالحين في النوم ولا يراهم في اليقظة وكذلك يرى الحق في النوم وهذه مزية عظيمة .

﴿خاتمة﴾ تسأل الله حسنهما ﴿أخرج أبو داود والنسائي﴾ والترمذي ﴿عن ابن عباس﴾ رضى الله عنهما قال الترمذي من حديث حسن ﴿وقال لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور﴾ قال المناوى لأنهن مأمورة بالقراري بيوتهن وهذا لا يتعلق بزيارة القبور فالأولى حملة على ما إذا ترتب على زيارتهن نوح أو تعديد أو كشف عورة أو نحو ذلك ﴿والمتخذين عليها﴾ أى القبور ﴿المساجد﴾ بأن تجعل القبور في أسفل المسجد فهو حرام وإن شرطه من بنى المسجد كأن قال وقت هذا مسجدا بشرط أن أدفن فيه فلا يعمل بهذا الشرط ويحرم دفنه فيه لأن فيه تعظيما من نوع تعظيم الله فإن قصد شخص تعظيم صاحب ذلك القبر كتعظيم الله تعالى كفر نعم من استثنى محلا من المسجد قبل وقفة مسجدا يدفن فيه بأن قال وقت هذا مسجدا ماعدا هذا المحل فلا بأس بالدفن فيه سواء كان في وسط المسجد أو بجواره ﴿والسرج﴾ بضم المهملة جمع سراج فيحرم إسراج القنديل على قبر الولي ونحوه حيث لم يكن ثم من ينفع به لما فيه من إضاعة المال لا لغرض شرعى وتعظيم الولي بمثله غير مطلوب .

﴿و﴾ أخرج ﴿مسلم﴾ عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ﴿لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص﴾ أى تفضل إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر ﴿والمراد قبر مسلم المحترم وظاهره إخراج قبور أهل الذمة كما أفاده المناوى قال الأذرى وفى قبر الذمى ونحوه نظر والظاهر أنه لأحرمة له في نفسه لكن ينبغي اجتنابه لأجل كف الأذى عن أحيائهم إذا وجدوا ولا شك في كراهة المكث في مقابرهم وهذا الحديث فسرهُ رواية أبى هريرة بالجلوس للبول والغائط ورواه ابن وهب أيضا في مسنده بلفظ من جلس على قبر يقول عليه أو يتغوط قاله في الأسنى .

﴿و﴾ أخرج الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن اسحاق محمد يحيى ﴿ابن منده﴾ بفتح الميم وسكون النون وفتح الدال المهملة وبالحاء الساكنة وهو من أهل أصبهان مات سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ﴿عن القاسم بن مخيمرة قال لأن أطا على أسنان رحي حتى تبيد﴾ أى تهلك ﴿من قدمي أحب إلي من أن أطا على قبر﴾ لأنسان مسلم محترم ظاهره حرمة ذلك فيحمل على ما إذا وطئ القبر ووضع عقبه عليه ليبول أو يتغوط فإنه يحرم البول ونحوه عليه أما مجرد المشى على القبر فمكروه إلا الحاجة كأن لا يصل إلى زيارة قبره إلا بالمشى على القبور فلا بأس به حينئذ للحاجة فإن كان المراد من الحديث مجرد المشى على القبر كان المراد منه التفسير عنه لا أنه حرام كما أفاده الحنفى ﴿وإن رجلا وطئ على القبر وإن قلبه ليقظان إن سمع صوتا من القبر إليك﴾ أى تنح ﴿عني ولا تؤذيني﴾

﴿تنبيهان﴾ * أحدهما قال أصحابنا يحرم الصلاة ﴿مع كونها متوجها﴾ إلى قبور الأنبياء والأولياء والشهداء والعلماء تبركا بذى القبر وإعظاما له ﴿لما روى مسلم عن أبى مرثد الغنوى قال قال رسول الله ﷺ لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها قال النووي في

وأيقاد السراج على القبور تبركا وتعظيما به وإن قل * وثانيهما قال جماعة من أصحابنا وتبعهم النووي في شرح مسلم بحرمة الجلوس والوطء على القبر وحزم آخرون كالتنوي وغيره بالكراهة بلا حاجة وفقنا الله لطاعته وأنا لنا من سوانح رضاه وهباته وحمائنا من موجبات سخطه وأليم عقوباته آمين

تصرح بالنهي عن الصلاة إلى قبر قال الشافعي رحمه الله وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجدا مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس وهذا أنعنى التبرك والاعظام قيدان في الحرمة أي إنما تحرم بقصد التبرك أو الاعظام لذلك القبر فلم يقصد بذلك بل وافق في صلاته أن امامه قبر نبي كمن يصلي خلف قبر النبي ﷺ فلا حرمة ولا كراهة وبحث الزين العراقي بعدم كراهة الصلاة في مسجد طراد فن الناس حوله.

﴿و﴾ يحرم ﴿إيقاد السراج على القبور تبركا وتعظيما به﴾ أي بذى القبر ﴿وإن قل﴾ إيقاده ومحل ذلك حيث لا ينتفع به الأحياء ولهذا قال الفقهاء لا يصح الوقف والوصية على سراج الأضرحة فإن كان هناك من ينتفع به صح ذلك كما أفاده العزيزي.

﴿و﴾ ثانيهما قال جماعة من أصحابنا وتبعهم النووي في شرح مسلم بحرمة الجلوس والوطء على القبر ﴿لخبر يدل على التحريم وهو ما تقدم ذكره لكن يرد أن المراد بالجلوس عليه جلوسه لقضاء الحاجة كما بينته رواية أبي وهب في مسنده كما مر ﴿وحزم آخرون كالتنوي فيغيره﴾ أي شرح مسلم ﴿بالكراهة بلا حاجة﴾ كان لم يصل لقبر ميتة بدون الوطء فإن وجدت فلا كراهة وكذلك لا يكره ما ذكر إذا لم يمكنه الوصول إلى قبر ميت يريد زيارته إلا به ولو كان ذلك الميت غير قريب له ومثله ما إذا لم يتمكن من الدفن إلا به فلا يكره ثم قال المصنف تضرعنا لربه ﴿وفقنا الله لطاعته. وأنا لنا من سوانح رضاه﴾ أي كوامله ﴿وهباته وحمائنا﴾ أي منعنا وحفظنا ﴿من موجبات سخطه وأليم عقوباته آمين﴾ أي استجب.

* خاتمة * نسأل الله حسناتها فيما جاء أن الميت يدفن في الأرض التي خلق منها روى الترمذي وغيره أن رسول الله ﷺ قال إذا قضى الله للعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة وروى الديلمي مرفوعا كل مولود ينشر على سرته من تراب جفرتة فإذا مات ردت إلى تربته قال أبو حاتم رحمه الله ما نجد لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فضيلة مثل هذه الفضيلة فإن طينتهما من طينة رسول الله ﷺ وأنشدوا:

إذا ما حمام المرء كان ببلدة * دعه إليها حاجة فيطير

وروى الحكيم الترمذي أن رسول الله ﷺ خرج يطوف في نواحي المدينة فإذا بقبر يحفر فاقبل حتى وقف عليه فقال لمن هذا القبر فقالوا الرجل من الحبشة فقال لا إله إلا الله سيق من أرضه حتى دفن في الأرض التي خلق منها وأخرج ابن ماجه مرفوعا إذا كان أجل العبد بأرض أوقفته الحاجة إليها حتى إذا بلغ أقصى أثره قفوا الله بها فبعثه الله فتقول الأرض يوم القيامة يا رب هذا ما استودعني ومن هنا قال العلماء رضوان الله عليهم يستحب للعبد إذا سافر أن يخرج عن المظالم ويقضي جميع دينه ويوصي بماله وعليه فإنه لا يدري هل يرجع من تلك السفر أم لا وأنشد سيدي عبد العزيز الديلمي رحمه الله تعالى:

إذا ما ضاق صدرك من بلاد * ترحل طالبا بلدا سواها

فإنك واجد أرضا بأرض * وتفسك لم نصبا سواها

مشيناها خطا كعب علينا * ومن كب عليه خطا مشاها

ومن كانت منيه بأرض * فليس يموت في أرض سواها

﴿باب الزكاة﴾

وروى أن رجلا دخل على سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فقال يا نبي الله إن لي حجة بأرض الهند وأسألك أن تأمر الريح فتحملني إليها هذه الساعة فرأى سليمان ملك الموت عنده وهو متبسّم فقال له ممّ تبسّمك فقال تعجبا اني أمرت بقبض روح هذا الرجل في بقية هذه الساعة بالهند وأنا أراه عندك فروى أن الريح حملته الى الهند في تلك الساعة فقبض بها والله أعلم قال العلماء رضوان الله عليهم وفي الحديث السابق من قوله ﷺ ما من مولد الا وينشر على سرته من تراب حفرة منقبة عظيمة لأبي بكر وعمر رضى الله عنهما لأن طينتهما من طينة رسول الله ﷺ وكان محمد بن سيرين رحمه الله يقول لو اني حلفت صادقا بارا غير شاك ان الله ما خلق محمدا نبيه ﷺ وأبا بكر وعمر رضى الله عنهما الا من طينة واحدة ثم ردهم الى تلك الطينة انتهى قال القرطبي رحمه الله وعمن خلق من تلك الطينة أيضا عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام لما صح في الحديث انه يدفن عند قبر رسول الله ﷺ اذا نزل آخر الزمان والحمد لله رب العالمين كذا ذكره الشعراني في مختصره .

﴿باب﴾ ذم تارك ﴿الزكاة﴾ وما تجب من الذهب والفضة وغير ذلك .

اعلم أن الزكاة اما من الزكاة بالمدة بمعنى النماء والزيادة يقال زكا الزرع يزكو زكا وزكوا كعود أي نما وزاد وكذلك زكت الارض وأزكى الله المال وزكاة وتزكية أنما وزاده أو من معنى الظهارة كما في قوله تعالى قد أفلح من زكاه أي طهرها من المعاصي والشرك وكذا قوله تعالى قد أفلح من تركى أي تطهر وتركى الرجل ماله تزكية والزكاة اسم منه سمي القدر المخرج من المال زكاة على المعنى الأول لأن المال يزيد بها ويكثر لأنها شكر المال اذ شكر كل شيء بحسبه وقد قال تعالى ولئن شكرتم لأزيدنكم وعلى المعنى الثاني لأن الزكاة ثمرة قال الله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها .

* تسيئات * الأول انه لما كان موجب الزكاة وجود المال تعين معرفة الوجوه التي منها يحصل اعلم ان المال من الخيرات المتوسطة لأنه كما يكون سببا للخير يكون سببا للشر والناس خاض وعام فالخاص يفضلك بما يحسن والعام بما يملك واكسابه من الوجه الذي ينبغي صعب وتفرقه سهل ومن رام اكسابه من وجهه صعب عليه فالماكاسب الجميلة قليلة عند الحر العادل ومن رضي بكسبه من حيث اتفق قد سهل عليه والفاضل يتقبض عن اقتناء المال ويسترسل في ابتاقه ولا يريد لذاته بل لاكساب الحمدة وغير الفاضل يسترسل في اقتنائه ويتقبض عن ابتاقه ويطلبه لذاته لا لادخار الفضيلة به والمال يحصل من وجهين أحدها منسوب الى الجدد المحض من غير اكساب من صاحبه كمن ورث مالا أو وجد كزرا أو قبض له من اولاده شيئا والثاني أن يكسب الانسان كمن يشتغل بتجارة أو صناعة فيدخر منها مالا وهذا الضرب أيضا لا يستغنى عنه عن الجدد فحظ الجدد في المال أكثر من حظ الكد بخلاف الاخلاق والأعمال الأخروية التي حظ الكد فيها أكثر وقد نبه الله سبحانه على ذلك بقوله من كان يريد العجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد الآية الى قوله مشكورا فاشترط في العجلة مشيئة للمعطى وارادته للمعطى له ولم يشترط السعي واشترط في الآخرة السعي لها مع الايمان ولم يشترط ارادته تعالى ومشيئته ولو كان ذلك لا يعرى منهما فحق العاقل أن يعنى بما اذا طلبه ناله واذا ناله لم يحف زواله ويقل المبالاة بما اذا قدر له أنه طلبه أو لم يطلب .

التنبيه الثاني اعلم أن الله تعالى جد أو أغراض الدنيا بلغة فاتخذها الناس عقدة وصير الدنيا مراحلا ومراقصا وموطنا ومقرا ومن وجه منحة منحت للإنسان يشق بها مدة ويذر هالي يتنع بها غيره من بعده ومن وجه ودعة في يده رخص له استعمالها والاتقاع بها بعد أن لا يسرف فيها لكن الانسان لجهله ونسيانه لما عهد اليه اغتر بها وظن ان جعلت له هبة مؤبدة فركن اليها واعتمد اليها ولم يؤد أمانة الله

قال الله تعالى وويل للمشركين الذين لا يتقون الزكاة ساء ما لهم المشركين وقال تعالى ولا تحسبن الذين يخلون بما آتاهم الله من فضله هم خيرا لهم بل هو شر لهم

فيها لما طوب بربدها تضرر منه وضجر فلم ينزع عنها الابتزاع روجه أو كسريده وبعضهم وهم الاقلون خفظوا ما عهد اليهم فتناولوها تناول العارية والمنحة والوديعة فأدوا فيها الأمانة وعلموا أنها مسترجعة فلما استردت منهم لم يغضبوا ولم يجزعوا ورودوها شاكرين لما نالوه ومشكورين لأداء الأمانة فيها وقد ذكر بعض الحكماء مثلاً فقال ان مثل الدنيا فيما أعطوه من أعراض الدنيا مثل رجل دعا قوما الى داره فأخذ طبق ذهب عليه بخور ورياحين وكان اذا دخل أحدهم تلقاه به ورفعاه اليه لئلا يملكه بل يشمه ويدفعه الى من يجيء بعده فمن كان جاهلاً برسومه ظن أنه قد وهب له فيضجر اذا استرجع منه ومن كان عارفاً برسومه أخذ به بشكر ورده بانشرح صدره.

التنبيه الثالث في عقوبة مانع الزكاة اعلم أن الله عز وجل عقوبتين في معاقبة من تناول ما لا يجوز له تناوله من الدنيا أو تناوله من الوسخ الذي يجوز لكنه لم يوف حقه اخداً هما ظاهرة وذلك عقوبة من منع حق الله من الزكاة أو غصب مال بجاهرة أو سرقة خفية فان عقوبات ذلك ظاهرة أمر السلطان بإقامتها والثانية خفية عن البصر مدركة بمصائر أولى الابواب كعقوبة من تناول ما لا من حيث لا يجوز تناوله أو منعه من حيث لا يجوز منعه لأعلى وجه فيه خد أمر السلطان بإقامته فهذا عقوبته ما روى امرئ سكين قبله حب الدنيا بل بثلاث شغل لا يبلغ مدهم وفقراً لا يدرك غناه وأمل لا يدرك منتهاه وروى من كانت الدنيا أكبر همه شتت الله أمره وجعل فقره بين عينيه ولم ينال الله بأى واد من الدنيا هلك وعلى ذلك قوله تعالى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى وليس يعنى قلة المعيشة وإنما يعنى ما يقاس فيها من الغموم والهموم التي تكدر العيش عليه.

﴿قال الله تعالى وويل﴾ شدة العذاب ويقال ويل واد في جهنم من قبح ردم ﴿للمشركين﴾ من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله ﴿الذين لا يتقون الزكاة﴾ لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من أعظم الرذائل وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع قاله اليساوى وقيل معناه لا يظهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد وقيل معناه لا يتقون في طاعة الله ولا يتصدقون وقيل لا يزكون اعمالهم ﴿سماهم﴾ الله سبحانه ﴿المشركين﴾ وقال تعالى ولا تحسبن الذين يخلون بما آتاهم الله ﴿اعطاهم الله﴾ من فضله هو خيرا لهم ﴿من قرأ بالآء قدر مضافاً محذوفاً الى ولا تحسبن بجل البخيلين وهو فعل وخيرا لهم مفعول ثان وكذا من قرأ بالآء جعل فاعل يحسن ضمير رسول الله أو ضمير أحد ومن جعل فاعله الذين يخلون كان التقدير ولا يحسبن الذين يخلون خيرا لهم وهو فعل وخيرا لهم مفعول ﴿بل هو﴾ أى البخل ﴿شر لهم﴾ لاستجلاب العقاب عليهم والبخل هو امساك المقتنيات عما لا يستحق حبسها عنه والبخل هو الذي يكثر منه البخل والآية دالة على ذم البخل.

روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا اكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالفجور ففجروا واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية فقال عبد الله بن مسعود وأبو هريرة وابن عباس رضي الله عنهم في رواية صالح عنه والشعبي ومجاهد نزلت هذه الآية في الذين يخلون أن يؤدوا زكاة أموالهم ووجه هذه القول أن أكثر العلماء ذهبوا أن البخل عبادة عن منع الواجب وان منع الطوع لا يكون بخيلاً ويدل عليه الوعيد الشديد في سياق الآية وهو قوله تعالى سيطوفون ما بخلوا به وهذا لا يكون الا في ترك الواجب لا في الطوع وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطية عنه وابن جريج عن مجاهد أنها نزلت في أخبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وهذا القول هو اختيار الزجاج

سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة

ووجه هذا القول أن البخل عبارة عن منع الخير والنفع ويدخل فيه العلم كما يقال بخل فلان بعلمه وصحح الطبري القول الأول واختار
 ﴿سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾ تفسير لقوله بل هو شرطهم أي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق فإن حملنا معنى الآية على منع
 الزكاة والبخل بها فقد قال ابن مسعود وابن عباس يجعل ما منعه من الزكاة حية تطوق في عنقه يوم القيامة تنهشه من فرقه إلى قدمه ويدل
 على صحة هذا التأويل ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من أتاه الله ما لا فلم يود زكاته مثل له يوم
 القيامة شجاعا أقرع له زبيبان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمنه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك وسيأتي ذكر هذا الحديث وقيل في معنى الآية
 أنه يجعل في أعناقهم أطواق من النار وقيل يكلفون يوم القيامة أن يأتوا بما بخلوا به من أموالهم في الدنيا وإن حملنا تفسير البخل على البخل
 بالعلم وكنهانه فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة أي يحملون وزره وأثمه فيكون على طريق
 التمثيل كما يقال قلدك هذا الأمر وجعلته في عنقك وقيل يجعل في رقابهم طوق من نار ويدل عليه ما روى عن أبي هريرة ﷺ قال قال
 رسول الله ﷺ من سئل علما يعلمه فكتمه ألجم بلجام من نار أخرجه الترمذي وفي رواية أبي داود من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله
 بلجام من نار يوم القيامة قيل في معنى الحديث أنهم لما سئلوا عن العلم فكتموه ولم ينطقوا به بالسنة ولم يخرجوه من أفواههم عوضوا عن
 ذلك بلجام من نار في أفواههم عقوبة لهم والله أعلم ﴿وقال تعالى والذين يكنزون﴾ أي يجمعون ويخرجون ﴿الذهب والفضة﴾ سواء كانا
 في باطن الأرض أو ظاهرهما والكنز لغة جمع المال بعضه على بعض وإدخاره وقيل المال المدفون وقد صار في الشرع صفة لكل مال لم يخرج
 منه الواجب وإن لم يكن مدفونا هذا حاصل ما قاله أئمة اللغة ففي النهاية هو في الأصل المال المدفون تحت الأرض فإذا خرج منه الواجب
 بمن كنزا وإن كان مكشورا قال وهو حكم شرعي تجوز فيه عن الأصل انتهى وقال ابن عبد البر أما قوله تعالى والذين يكنزون الذهب
 والفضة وما في معناه فالجمهور على أنه ما لم يود زكاته وعليه جماعة فقهاء الأمصار ثم ذكر ذلك عن عمر وابنه عبد الله وجابر ابن عبد الله
 وابن مسعود وابن عباس ثم استشهد لذلك بما رواه عن أم سلمة قالت كت ألبس أوصاحا من ذهب فقلت يا رسول الله أكنز هو قال
 بلغ أن تؤدي زكاته فزكي فليس بكنز قال وفي إسناده مقال قال الولي العراقي قد أخرجه أبو داود وقال والده في شرح الترمذي إسناده جيد
 رجاله رجال البخاري قال الزبيدي يشير إلى أن في إسناده عتاب بن بشير أبا الحسن الحراني وقد أخرجه له البخاري وتكلم فيه غيره
 واحد قال ابن عبد البر ويشهد بصحته حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال إذا أدبت زكاة مالك فقد قضيت ما عليك قال العراقي روا
 الترمذي وقال حسن غريب والحاكم في مسند ركه وقال صحيح من حديث المصنفين وفي معناه أيضا حديث جابر مرفوعا إذا أدبت زكاة
 مالك فقد أذهبت عنك شره رواه الحاكم في مسند ركه وصححه على شرط مسلم ورجح البيهقي وقفه على جابر وفي سنن أبي داود
 عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة قال كبر ذلك على المسلمين فقال إذا أفرج عنكم فانطلق فقال للنبي
 ﷺ يا نبي الله كبر على أصحابنا هذه الآية فقال رسول الله ﷺ لم يفرض الزكاة إلا لطيب ما بقي من أموالكم وإنما فرض الموارث لتكون
 لمن بعدكم قال فكبر عمر ثم قال له ألا أخبرك بخير ما يكثر المرء المرأة الصالحة إذا نظرت إليها سرتة وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظت
 قال ابن عبد البر ولاسم الشرعي قاض على الاسم اللغوي وما أعلم مخالفا في أن الكنز ما لم يود زكاته إلا شيئا روى عن علي وأبي ذ
 والضحاك ذهب إليه قوم من أهل الزهد قالوا إن في المال حقوقا سوى الزكاة أما بؤذر فذهب إلى أن كل مال مجموع يفضل عن القوت وسوا
 العيش فهو كنز وإن آية الوعيد نزلت في ذلك وأما علي فروى عنه أنه قال أربعة آلاف نفقة فما كان فوقها فهو كنز وأما الضحاك فقال من ملا

ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم

عشرة آلاف درهم فهو من الأكثرين انتهى ومن قال ان في المال حقا سوى الزكاة ابراهيم النخعي ومجاهد والشعبي والحسن البصري روى عنهم ذلك أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف **﴿ولا ينفقونها﴾** الضمير للكوز الدال عليها يكزون أو للأموال فان الحكم عام وتخصيصها بالذكر لأنها قانون الشمول أو للفضة لأنها أقرب ويدل على أن حكم الذهب كذلك بطريق الأولى قاله الزبيدي **﴿في سبيل الله﴾** المراد به المعنى الأعم لا خصوص أحد السهام الثمانية والاترجح بالصرف إليه قال الغزالي في تفسير هذه الآية ومعنى الاتفاق في سبيل الله اخراج حق الزكاة انتهى فمن أخرج القدر المعلوم من المال لله تعالى فلا يكون داخل تحت هذه الوعيد فحينئذ فلا نسخ على ما زعم ابن عبد البر وقد أشار إليه الرماني في شرح البخاري واتفقوا أن هذه الآية نزلت فيمن لم يؤد زكاة ماله وهي عامة في المسلمين وأهل الكتاب وعليه أكثر السلف خلافا لمن ذهب إلى أنها خاصة بالكفار ووقع في شأن نزولها الشاجريين أبي ذر وبين معاوية رضى الله عنهما حتى أدى ذلك إلى خروج أبي ذر من الشام إلى المدينة ثم منها إلى الريزة وبها مات سنة اثنين وثلاثين قال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف حدثنا ابن ادريس عن حصين عن زيد بن وهب قال مررنا علي أبي ذر بالريزة فسألناه عن منزله قال كنت بالشام فقرأت هذه الآية والذين يكزون الذهب والفضة الآية فقال معاوية إنما هي في أهل الكتاب فقلت إنما لفينا وفيهم وأخرجه البخاري عن علي غير منسوب أنه سمع هشيا أخبره حصين عن زيد بن وهب فساقه نحوه وفي آخره فكان بيني وبينه في ذلك وكب إلى عثمان يشكوه فكب إلى عثمان أن أقدم المدينة فقد متها وساق الحديث قال ابن عبد البر وإن أكثر ما تواتر عن أبي ذر في الاخبار الإنكار على من أخذ المال من السلاطين لنفسه ومنع أهله فهذا عمالا خلاف عنه في إنكاره وأما إيجاب غير الزكاة فمختلف عنه فيه.

* تنبيه * الاتفاق ضربان ممدوح ومذموم والممدوح منه ما يكسب صاحبه العدالة وهو بذل ما أوجبت الشريعة بذله كالصدقة المفروضة والاتفاق على العيال وهو من الزمة الشريعة الاتفاق عليه ومنه ما يكسب صاحبه الحرمة وهو بذل ما بدت الشريعة إلى بذله فهذا يكسب من الناس شكر ومن ولى النعمة أجرا والمذموم ضربان افراط وهو التبذير والاسراف وتفرط وهو التقير والامساك وكلاهما يراعي فيه الكمية والكيفية فالتبذير من جهة الكمية أن يعطى أكثر مما يحمله حاله ومن جهة الكيفية فبأن يضعه في غير موضعه والاختبار فيه بالكيفية أكثر منه بالكمية فرب منفق درهمين من ألوف وهو في افاقه مسرف وبذله منقذ ظالم ورب منفق أوقالا يملك غيرها هو فيها مقتصد وبذله متحمدا كما روى في شأن الصديق **﴿عليه السلام﴾** والتقير من جهة الكمية أن ينفق دون ما يحمله حاله ومن جهة الكيفية أن يمنع من حيث يجب ويضع من حيث لا يجب والتبذير عند الناس أحمد لأنه جود لكنه أكثر مما يجب والتقير بخل والجود على كل حال أحمد من البخل لأن رجوع المبذر إلى السخا سهل وارتقاء البخل إليه صعب ولأن المبذر قد ينفع غيره وإن أضرب بنفسه والمقير لا ينفع غيره ولا نفسه على أن التبذير في الحقيقة هو من وجه أقبح إذا اسراف أو يحنه حتى مضيع ولأن التبذير يؤدي بصاحبه إلى أن يظلم غيره ولهذا قيل أن الشحيح اعذر من الظالم لاجاهل بقدر المال الذي هو سبب استبقاء النفس والجمل رأس كل شروا للتلطف ظالم من وجهين لاخذه من غير موضعه ووضع في غير موضعه **﴿فبشرهم﴾** أي الذين لا يؤدون زكاة أموالهم **﴿بعذاب اليم﴾** هذا من باب التهمك روى الشيخان عن أبي ذر قال انتهيت إلى النبي **﴿صلى الله عليه وسلم﴾** وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأيته قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجلست حتى جلس فلما اتقار حتى قمت فقلت يا رسول الله فذاك أبي وأمي من هم قال هم الأكثرون أموالا لا أمن قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم من صاحب البخل ولا يقر ولا غنم لا يؤدى زكاتها الإجابة يوم القيامة

يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كثرتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكزون وأخرج الشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره أي يوسع جسمه لها كلها وإن كثرت كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل يا رسول الله فالإبل قال

أعظم ما كانت وأسمه تطح به رقونها وتطووه باطلاؤها كما تعد تأخرها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس هذا اللفظ مسلم وفرقه البخاري في موضعين ﴿يوم يحمى عليها﴾ أي على الكوز فتدخل النار فيوقد عليها حتى تبيض من شدة الحرارة ﴿في نار جهنم فتكوى بها جباههم﴾ يعني بالكوز جباه كائنها ﴿وجنوبهم وظهورهم﴾ قال ابن عباس لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على حدته قال بعض العلماء إنما خص هذه الأعضاء بالكي من سائر الأعضاء لأن غنى صاحب المال إذا أتاه السائل فطلب منه شيئا تبدو منه آثار الكراهة والمنع فعند ذلك يقطب وجهه ويكبح ويجمع أسار يروجه فيتجدد جبينه ثم إن كرر السائل الطلب نأى بجنبه عنه ومال عن جهته وتركه جانباً ثم إن كرر الطلب وألح في السؤال ولأه ظهره وأعرض عنه واستقبل جهة أخرى وهي نهاية في الرد والغاية في المنع الدال على كراهة الاعطاء والبذل وهذا دأب مانعي البر والاحسان وعادة البخلاء فلذلك خص هذه الأعضاء الثلاثة بالكي يوم القيامة ﴿هذا ما كثرتم﴾ أي يقال لهم ذلك يوم القيامة ﴿لأنفسكم﴾ أي لمنفعتهم وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها ﴿فذوقوا ما كنتم تكزون﴾ أي فذوقوا عذاب ما كثرتم في الدنيا من الأموال ومنعم حق الله فيها ﴿وأخرج الشيخان﴾ وغيرهما ﴿عن أبي هريرة﴾ قال قال رسول الله ﷺ ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها ﴿أي زكاتها﴾ إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ﴿قال المصنف معناه﴾ أي يوسع جسمه لها كلها وإن كثرت ﴿كما رواه الطبراني عن ابن مسعود﴾ كلما بردت أعيدت له ﴿هكذا هو في بعض نسخ مسلم بردت بالباء وفي بعضها محذوف الباء وضم الراء وذكر القاضي الروائين وقال الأولى هي الصواب والثانية رواية الجمهور﴾ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد ﴿قال العراقي في شرح الترمذي ونقله الزبيدي يمكن أن يؤخذ منه أن مانع الزكاة آخر من يقضى فيه وأنه يعذب بما ذكر حتى يفرغ من القضاء بين الناس فيقضى فيه بالنار أو الجنة ويحتمل أن المراد حتى يشرع في القضاء بين الناس ويجيء القضاء فيه إما في أوائلهم أو وسطهم أو آخرهم على ما يريد الله وهذا أظهر انتهى قال ولده في شرح التفرغ قد يشير إلى الأول قوله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ويقال إنما ذكر في معرض إستيعاب ذلك اليوم بتعذيبه لجواز أن يكون القضاء فيه في آخر الناس وإن حمل أن يكون فصل أمره في وسطه أو أوله والله أعلم ﴿فيرى سبيله﴾ قال النووي ضبطناه بضم الباء وفتحها ورفع لام سبيله ونصبها ﴿إما إلى الجنة وإما إلى النار﴾ فيه أن هذا الوعيد كما قاله الزبيدي في حق المسلمين والكفار فقوله فيرى سبيله إما إلى الجنة هو المسلم والذي إلى النار فيحتمل أن يكون على سبيل التأييد فيها فهو الكافر ويحتمل أن يكون على سبيل التعذيب والتحجيص ثم دخوله الجنة وهو المسلم وفي دخول المسلم في هذا الوعيد رد على المرجحة حيث يقولون أنه لا يضر مع الإسلام معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة والكتاب والسنة مشحوتان بما يخالف قولهم واعتذروا عن ذلك بأن المراد به التخويف لينزجر الناس عن المعصية وليس على حقيقة وظاهره وهو باطل ولو صح قولهم لارتفع الوثوق عما جاءت به الشرائع واحتمل في كل متنبأ ذلك وهذا يؤدي إلى هدم الشرائع وسقوط فائدتها ﴿قيل يا رسول الله فالإبل قال﴾ صلى الله عليه وسلم

ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة يطح لها بقاع قرقر أو فرما كانت لا يفقد منها فضيلا واحدا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أو لاها رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل يا رسول الله فالبقر والغنم قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة يطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا ليس فيها عقضاء ولا جلعاء ولا أعضاء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه أو لاها رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار *

﴿ ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها ﴾ أي زكاتها ﴿ ومن حقها ﴾ قال ابن بطلال يريد حق الكرم والمواساة وشرف الأخلاق لأنه فرض ﴿ حلبها يوم وردها ﴾ على الماء هو يفتح اللام على اللغة المشهورة وحكي إسكانها وهو غريب ضعيف وإن كان هو القياس قاله النووي وذلك ليحضرها المساكين النازلون عليه أي الماء ومن لا ين له فيها فيعطى من ذلك اللبن ولأن فيه رفقا بالماشية .

قال العلماء وهذا منسوخ بآية الزكاة أو هو من الحق الزائد على الواجب الذي لا عقاب بتركه بل على طريق المواساة وكرم الأخلاق كما قاله ابن بطلال فيما مر واستدل به من يرى أن في المال حقوقا غير الزكاة وهو مذهب غير واحد من التابعين وفي الترمذي عن فاطمة بنت قيس عنه صلى الله عليه وسلم أن في المال لحقا سوى الزكاة ﴿ إلا إذا كان يوم القيامة يطح ﴾ قال جماعة معناه ألقى على وجهه قال القاضي قد جاء في رواية للبخاري يحبط وجهه بأخفافها قال وهذا يقتضي أنه ليس من شرط البطح كونه على الوجه وإنما هو في اللغة بمعنى البسط والمد فقد يكون على وجهه وقد يكون على ظهره ومنه سميت بطحاء مكة لأنبساطها قاله في شرح مسلم ﴿ لها بقاع قرقر ﴾ القاع المستوى الواسع من الأرض يعلوه ماء السماء فيمسكه قال الهروي وجمعه قيعا وقيعان مثل جارة وجيرة وجيزان والقرقر المستوى أيضا من الأرض الواسع وهو يفتح القافين ﴿ أو فرما كانت لا يفقد منها فضيلا واحدا ﴾ وفي الرواية أعظم ما كانت هذا للزيادة في عقوبته بكثرتها وقوتها وكمال خلقها فتكون أثقل في وطنها كما أن ذوات القرون تكون بقرونها ليكون أنكى وأصوب لطعنها ونطحها ﴿ تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أو لاها رد عليه أخرها ﴾ هكذا هو في جميع الأصول في هذا الموضع .

قال القاضي عياض قالوا هو تغيير وتصحيف وصوابه ما جاء في الحديث الآخر من رواية سهل عن أبيه وما جاء في الحديث المعروفين سويد عن أبي ذر كلما مر عليه أخرها عليه أو لاها وبهذا ينظم الكلام والحكمة في كونها تعاد كلما مع أن حق الله فيها إنما هو في بعضها لأن الحق في جميع المال غير متميز قاله بعض شراح البخاري ﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل يا رسول الله فالبقر والغنم قال ﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿ ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة يطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا ليس فيها عقضاء ﴾ وهي الشاة الملتوية القرنين ﴿ ولا جلعاء ﴾ وهي الشاة التي لا قرن لها ﴿ ولا أعضاء ﴾ وهي الشاة التي انكسر قرنها وإنما استثناهما لأنها لا تلم بنطحها ﴿ تنطحه ﴾ بكسر الطاء وفتحها لغتان حكاهما الجوهري وغيره والكسر أفصح وهو المعروف في الرواية ﴿ بقرونها وتطؤه بأظلافها ﴾ الظلف للبقو والغنم والظباء وهو المنشق من القوائم والخف للبعير والقدم للآدمي والجافر للفرس والبغل والحمار ﴿ كلما مر عليه أو لاها رد عليه أخرها ﴾ فيه ما تقدم ﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ﴾ قيل يا رسول الله فالخيل قال الخيل ثلاثة هي لرجل ووزر وهي لرجل ستر وهي لرجل أجر فاما التي هي وزر فرجل ربطها رياء وفخرا ونواء بكسر النون لأهل الإسلام أي معاداة لهم فهي له وزر وأما التي هي له ستر فرجل ربطها في سبيل الله ثم لن ينس حق الله في ظهورها ولا رقابها فهي له ستر وأما التي هي له أجر فرجل ربطها في

والبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزيمته أي شدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك * والشيخان عن الأحنف بن قيس قال جلست إلى ملا من قرش فجاء رجل حسن الشعر والثياب والهيئة حتى قام عليهم فسلم ثم قال بشر الكانزين برضف يحمى عليها في نار جهنم ثم يوضع على حلقة ثدي أحدهم حتى يخرج من نفث كفته

سبيل الله لأهل الإسلام في مرج أو روضة فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شيء الأكب له عدد ما أكلت حسنات وكب له عدد أروائها وأبوالها حسنات ولا يقطع طولها أي بكسر ففتح جبل تشد به قائمتها وترسل لترعى أو تمسك طرفه وترسل فاستنت أي بالتشديد جرت بقوة شرفا أي بالمعجزة فراء مفتوحين شوكا وقيل نحو ميل أو شرفين الأكب له عدد أثرها وأروائها حسنات ولا مر بها صاحبها على نهر فشربت منه ولا يريد أسقيها الأكب الله عددا ما شربت حسنات قيل يا رسول الله فالجر قال ما أنزل علي في الحمر الأهدى الآية الفاذة الجامعة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره.

﴿و﴾ أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿من آتاه﴾ بعد المعجزة أي أعطاه ﴿الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له﴾ بضم الميم مبنيا للمفعول أي صور له ﴿ماله يوم القيامة شجاعا﴾ بضم السين المعجزة والنصب مفعول ثانٍ للمثل والضمير الذي فيه يرجع إلى قوله مالا وقد تاب عن المفعول الأول وقال الطيبي شجاعا بنصب يجرى مجرى المفعول الثاني أي صور ماله شجاعا وقال ابن الأثير ومثل يعدي إلى مفعولين فإذا بنى للما يسم فاعله يتعدى إلى واحد فلذا قال مثل له شجاعا وقال البدر المامني شجاعا منصوب على الحال وهو الحية الذكر أو الذي يقوم على ذنبه ويواثب الرجل والفارس وربما بلغ الفارس ﴿أقرع﴾ لاشعر على رأسه لكثرة سمه وطول عمره ﴿له زبيتان﴾ أي زبدتان في شدقيه يقال تكلم فلان حتى زبب شدة أي خرج الزبد عليهما أو هما تابان يخرجان من فيه ورد بعدم وجود ذلك كذلك أو هما النكتان السوداء وان فوق عينيه وهو أوحش ما يكون من الحيات وأخشه ﴿طوقه﴾ بفتح الواو المشددة والضمير الذي فيه مفعوله الأول والضمير البارز مفعوله الثاني وهو يرجع إلى من في قوله من آتاه الله مالا والضمير المستتر يرجع إلى الشجاع أي يجعل طوقا في عنه ﴿يوم القيامة ثم يأخذ﴾ الشجاع ﴿بلهزيمته﴾ بكسر اللام والزاي بينهما هاء ساكنة وبعد الميم فوقية ثنية لهزمة وفسرها بقوله ﴿أي شدقيه﴾ بكسر الشين المعجزة أي جانبي الفم ﴿ثم يقول﴾ الشجاع له ﴿أنا مالك أنا كنزك﴾ يخاطبه بذلك ليزداد غصه وتهكما عليه ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تحسن الذين يخلون بما آتاهم الله من فضله وهو خير الهام الآية.

﴿و﴾ أخرج الشيخان عن الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين التيمي السعدي أبو بحر البصري والأحنف لقب واسمه الضحاك وقيل صخر قال العجلي تابعي ثقة مات ستة اثنين وسبعين بالكوفة روى له الجماعة ﴿قال جلست إلى ملا﴾ أي جماعة ﴿من قرش فجاء رجل﴾ هو أبوذر ﴿حسن الشعر﴾ وفي رواية بفتح الحاء وكسر الشين المعجمين من الحشونة هذا هو الصحيح كما في شرح البخاري ﴿والثياب والهيئة حتى قام﴾ أي وقف ﴿عليهم فسلم ثم قال بشر الكانزين﴾ أي الذين يكثرزون الذهب والفضة ولا يؤدون زكاتها ﴿برضف﴾ بفتح الراء وسكون الضاد المعجزة آخره فاء أي جماعة محماة ﴿يحمى عليها﴾ أي على الرضف وفي رواية عليهم ﴿في نار جهنم ثم يوضع﴾ الرضف ﴿على حلقة ثدي أحدهم﴾ بفتح لام حلقة وهي ما نشر من الثدي وطلال ﴿حتى يخرج من نفث كفته﴾ بضم النون وسكون الغين المعجزة ويسمى الغضروف وهو العظم القيق على طرف الكتف أو هو أعلاه وأصل النفث الحرك

ويوضع على نغص كفه حتى يخرج من حلمة ثديه فيترززل ثم ولي فجلس إلى سارية وتبعته وجلست إليه وأنا لا أدري من هو فقلت له لا أرى القوم إلا وقد كرهوا الذي قلت قال إنهم لا يعقلون شيئا * واليهيقي عن عائشة رضي الله عنها ما خلطت الصدقة أو قالت الزكاة مالا إلا أفسدته أي ما تركت في مال ولم تخرج منه إلا أهلكه * والطبراني عن أنس مانع الزكاة يوم القيامة في النار * وصح

فسمى به الشاخص من الكف لأنه يتحرك من الأسنان في مشيه وتصرفه ﴿ويوضع﴾ الرصف ﴿على نغص كفه حتى يخرج من حلمة ثديه فيترززل﴾ أي يتحرك الرصف ويضطرب ﴿ثم ولي﴾ أي أدبر الرجل المذكور ﴿فجلس إلى سارية﴾ أي أسطوانه قال الأحنف ﴿وتبعته وجلست إليه وأنا لا أدري من هو فقلت له لا أرى﴾ بضم الحزرة أي لا أظن ﴿القوم﴾ إلا وقد كرهوا الذي قلت ﴿لهم بفتح التاء﴾ خطاب لأبي ذر ﴿قال﴾ أبو ذر ﴿إنهم لا يعقلون شيئا﴾ قال لي خيل لي قال قلت من خليلك قال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر أتبصر أحدا قال فنظرت إلى الشمس ما بقي من النهار وأنا أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسلني في حاجة له قلت نعم قال ما أحب أن لي مثل أحد ذهباً أفقعه كله إلا ثلاثة دنانير وإن هؤلاء لا يعقلون إنما يجمعون الدنيا لا والله لأناس لهم دنيا ولا أستقيهم عن دين حتى اتقى الله عز وجل هذا لفظ البخاري وأخرجه مسلم في الزكاة إلا أنه قال إذا جاء رجل أخشن الثياب أخشن الجسد أخشن الوجه والباقي نحوه .

وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق سفيان بن عيينة عن علي بن زيد عن سمع أبا ذر يقول وقد قال له رجل مالك إذا جلست إلى قوم قاموا وتركوك أني أناهم عن الكوز وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة عن محمد بن بشر حد ثنا سفيان عن المغيرة بن النعمان عن عبد الله بن الأبقع الباهلي عن الأحنف بن قيس قال كنت جالسا في مسجد المدينة فأقبل رجل لآتره حلقة الأفروا منه حتى انتهى إلى الحلقة التي كنت فيها فثبت وفروا فقلت من أنت قال أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ قال فقلت ما نقر الناس منك قال أني أناهم عن الكوز .

﴿و﴾ أخرج ﴿اليهقي﴾ عن عائشة رضي الله عنها ﴿باسناد ضعيف كما قاله العزيزي﴾ ما خلطت الصدقة أو قالت الزكاة مالا إلا أفسدته ﴿قال المصنف معناه﴾ أي ما تركت ﴿الزكاة﴾ في مال ﴿وجبت فيه﴾ ولم تخرج منه إلا أهلكه ﴿أي بحقه﴾ بأن معطت عليه الآفات كسرقة وغصب أو المراد قلت بركه حتى لا ينتفع به وإن كان موجودا فهو حينئذ كالهالك المعلوم قال الجفني وذلك لأن الزكاة حصن روى الطبراني وأبو نعيم والخطيب حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة وأعدوا للبلاء الدعاء .

﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني﴾ عن عمر بن الخطاب ؓ ما تلف مال في بر ولا بحر إلا حبس الزكاة وأخرج أيضا ﴿عن أنس مانع الزكاة يوم القيامة في النار﴾ وصح ﴿ما منع قوم الزكاة إلا حبس الله عنهم التطور في رواية صحيحة إلا ابتلاهم الله بالسنين وفي أخرى عند اليهقي وغيره يامعشر المهاجرين خمس خصال إن ابتليهم بها ونزلت بكم أعوذ بالله أن تدركون لم تظهر الفاحشة في قوم لو طحت يعلتوا بها إلا فشا فيهم إلا وجاع التي لم تكن في أسلافهم ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا المطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولا تقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب عليهم عدو من غيرهم فأخذ بعض ما في أيديهم وما لم يحكم أنتمهم بكتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم وأخرج الطبراني بسند قريب من الحسن وله شواهد خمس بخمس قيل يا رسول الله وما خمس بخمس قال ما تقض قوم العهد إلا سلب عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الموت ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم التطور لا طفنوا المكيال إلا حبس عنهم الثياب وأخذوا بالسنين وهي جمع سنة وهو العام المقطع الذي لا تنبت الأرض فيه شيئا وقع مطرا ولا .

عن ابن مسعود أمرنا بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ومن لم يترك فلا صلاة له وفي رواية عن عبد الله من أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فليس بمسلم يتفعه علمه * وروى عن ابن عباس من كان له مال يبلغه حج بيت الله ولم يحج أو تجب فيه الزكاة ولم يترك سأل الرجعة عند الموت فقال له رجل اتق الله يا ابن عباس فإنما يسأل الرجعة الكفار فقال ابن عباس سألتوا عليك بذلك قرآنًا قال الله تعالى وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق أي أؤدي الزكاة وأكن من الصالحين أي أحج ﴿وحكى﴾ شيخان ابن حجر رحمه الله تعالى أن جماعة من التابعين خرجوا الزيادة أبي سنان فلما دخلوا عليه وجلسوا عنده قل قوموا بنا نزور جارا لنا مات أخوه ونعزبه قال محمد بن يوسف الغرياني فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه فجعلنا نعزبه ونسليه وهو لا يقبل تسلية ولا عزاء فقلنا له ما تعلم أن الموت سبيل لا بد منه قال بلى ولكن على ما أصبح وأسسى فيه أخى من العذاب فقلنا له قد أطلعك الله على الغيب قال لا ولكن

وضح ﴿عن ابن مسعود﴾ في قوله تعالى في مانعي الزكاة يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم قال لا يكوى رجل بكنز فيمس درهم درهما ولا دينار دينارًا يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم على حدته وإنما خص تعالى الجباه والجنوب والظهر بالكي لأن الغنى البخيل إذا رأى الفقير عبس وجهه وزوى ما بين عينيه وأعرض لجنبه فان أقرب منه ولاه ظهره فعزوب بكي هذه الأعضاء ليكون الجزاء من جنس العمل .

وضح عنه أيضًا ﴿أمرنا﴾ بضم الهمزة وكسر الميم ﴿بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ومن لم يترك فلا صلاة له وفي رواية﴾ لمسلم ﴿عن عبد الله﴾ بن مسعود رضي الله عنه ﴿من أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فليس بمسلم يتفعه عمله﴾ كذا في الزواجر .
﴿وروى عن ابن عباس﴾ رضي الله عنهما قال ﴿من كان له مال يبلغه حج بيت الله الحرام﴾ ولم يحج أو تجب فيه الزكاة ولم يترك أي لم يؤد الزكاة ﴿سأل الرجعة﴾ إلى الدنيا ﴿عند الموت فقال له رجل اتق الله يا ابن عباس فإنما يسأل الرجعة الكفار﴾ والمؤمنون لا يسألونها ﴿فقال ابن عباس سألتوا عليك بذلك﴾ أي بسؤال الرجعة ﴿قرآنًا قال الله تعالى وأنفقوا﴾ أي تصدقوا في سبيل الله ﴿فما رزقناكم﴾ أي أعطيناكم من الأموال ويقال أدوا زكاتكم ﴿من قبل أن يأتي أحدكم الموت﴾ أي من قبل أن يرى دلائل الموت ويعاين ما يأس معه من الإهمال ويتعذر عليه الاتفاق ﴿فيقول رب لولا أخرتني﴾ هلا أهلتني ﴿إلى أجل قريب﴾ مثل أجل الدنيا ﴿فأصدق أي أؤدي الزكاة﴾ من مالي ﴿وأكن من الصالحين أي أحج﴾ به وأكن من الحاجين فالمراد بالصالح هنا الحج هكذا ذكره أبو طاهر بن يعقوب في تنوير المقياس من تفسير ابن عباس وقيل نزلت هذه الآية في المنافقين ويدل على هذا أن المؤمن لا يسأل الرجعة .

﴿وحكى شيخنا﴾ العلامة ﴿ابن حجر رحمه الله تعالى أن جماعة من التابعين خرجوا الزيادة أبي سنان﴾ وكان رجلاً صالحاً .
﴿فلما دخلوا عليه وجلسوا عنده قال﴾ أبو سنان ﴿قوموا بنا نزور جارا لنا مات أخوه ونعزبه﴾ ونسليه ﴿قال محمد بن يوسف الغرياني فقمنا معه﴾ أي مع أبي سنان ﴿ودخلنا على ذلك الرجل﴾ الذي مات أخوه ﴿فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه﴾ الميت ﴿فجعلنا نعزبه ونسليه﴾ بأن تقول أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك ﴿وهو﴾ أي ذلك الرجل ﴿لا يقبل تسلية ولا عزاء﴾ أي صبرا حسنا والعزاء مثل سلام اسم من التعزية ﴿فقلنا له ما تعلم أن الموت سبيل لا بد منه﴾ أي من سلوكه ﴿قال﴾ الرجل ﴿بلى﴾ نعم ذلك ولكن ﴿أبلى وأجزع﴾ على ما أصبح وأسسى فيه أخى من العذاب فقلنا له ﴿أو﴾ قد أطلعك الله على الغيب ﴿الذي من جملة عذاب أخيك في القبر﴾ قال لا ﴿أطلعنى الله المغيبات كلها﴾ ولكن ﴿أطلعنى بعضها وذلك إني﴾

لما دفته وسويت عليه التراب وانصرف الناس عنه وجلست عند قبره وإذا صوت من قبره يقول آه أفردوني وحيدا أفا سي العذاب قد كنت أصوم قد كنت أصلي قال فأبكاني كلامه فنبشت التراب عنه لأنظر ما حاله وإذا القبر يلمع فيه نار وفي عنقه طوق من نار فحملتني شفقة الأخوة ومددت يدي لأرفع الطوق من رقبته فاحترقت أصابعي ويدي ثم أخرج إلينا يده فإذا هي سوداء محترقة قال فرددت عليه التراب وانصرفت فكيف لا أبكي على حاله وأحزن عليه فقلنا فما كان أخوك يعمل في الدنيا قال كان لا يؤدي الزكاة من ماله قال فقلنا هذا تصديق قوله تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة

﴿لما دفته﴾ أي أخي الميت ﴿وسويت عليه التراب وانصرف الناس عنه جلست﴾ جواب لما ﴿عند قبره وإذا صوت من قبره يقول آه﴾ بعد الهزمة وسكون الهاء كلمة تحسر وتوجع كما قاله الحريري أبو بكر الهاء متونة كما في القاموس ﴿أفردوني وحيدا﴾ أي مفردا عن الناس ﴿أفا سي العذاب﴾ و﴿قد كنت﴾ في الدنيا ﴿أصوم﴾ و﴿قد كنت أصلي﴾ قال الرجل المذكور ﴿فأبكاني كلامه﴾ أي أخي المتوجع في قبره ﴿فنبشت التراب عنه لأنظر ما حاله وإذا القبر يلمع فيه﴾ أي في القبر ﴿نار وفي عنقه طوق من نار فحملتني شفقة الأخوة﴾ على رفع ذلك الطوق من عنقه ﴿ومددت يدي لأرفع الطوق من رقبته فاحترقت أصابعي ويدي﴾ قال أبو سنان وغيره ﴿ثم أخرج﴾ الرجل ﴿إلينا يده فإذا هي سوداء محترقة قال فرددت عليه﴾ أي على قبر أخي ﴿التراب وانصرفت﴾ عنه ﴿فكيف لا أبكي على حاله وأحزن عليه فقلنا فما كان أخوك يعمل في الدنيا قال﴾ ذلك الرجل ﴿كان﴾ أخي ﴿لا يؤدي الزكاة من ماله قال﴾ محمد بن يوسف الغباني ﴿فقلنا هذا﴾ أي ما ذكر من عذاب المقبور الذي لا يؤدي زكاة ماله بخلًا منه ﴿تصديق قوله تعالى ولا تحسبن﴾ أي لا تظنن ﴿الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله﴾ من المال ﴿هو خيرا لهم بل هو﴾ أي البخل ﴿شر لهم﴾ لأن أموالهم ستزول عنهم ويبقى عليهم وبال البخل ﴿سيطوقون ما بخلوا به﴾ أي سيجعل ما لهم الذي منعه عن الحق طوقا في أعناقهم كما جاء في الحديث الذي تقدم ﴿يوم القيامة﴾ فقلنا وأخوك عجل له العذاب في قبره إلى يوم القيامة ثم خرجنا من عنده وأتينا أباذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرنا له قصة الرجل وقلنا له يموت اليهودي والنصراني ولا نرى فيهم ذلك فقال أولئك لا شك أنهم في النار وإنما يريدكم الله في أهل الإيمان لتعبروا قال الله تعالى فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ هكذا ذكره ابن حجر في الزواجر .

وذكر السيوطي نحوه في شرح الصدور قال وأخرج ابن الجوزي في كتاب عيون الحكايات بسنده عن محمد بن يوسف الغباني سمعت أبا سنان وكان رجلا صالحا قال عزيت رجلا باخيه فرجده جزعا فقال إنما أجزع لما رأيت لما دفته وسويت التراب عليه إذا بصوت من القبر يقول آه فقلت أخي والله ثم كشفت التراب فقبل لي لا تفعل فرددت التراب فلما ذهبت أقوم من القبر إذا بصوت من القبر يقول آه فقلت أخي والله وكشفت التراب فقبل لي يا عبد الله لا تنبشه فرددت التراب عليه فلما ذهبت أقوم قال آه فقلت أخي والله ثم كشفت التراب فقبل لي لا تفعل فرددت التراب فلما ذهبت أقوم إذا هو يقول آه فقلت والله لا تركت نبشه فنبشته فإذا هو مطوق بطوق من نار قد التمع عليه القبر نارا فطمعت أن أقطع ذلك الطوق فضرته يدي لأقطعه فذهبت أصابعي وأخرج إلينا يده فإذا أصابعه الأربعة قد ذهبت قال فأبكت الأوزاعي فحدثه فقلت يا أبا عمر ويموت اليهودي والنصراني والكافر ولا يرى مثل هذا فقال نعم أولئك لا شك أنهم في النار ويريدكم الله في أهل التوحيد لتعبروا .

﴿خاتمة﴾ في ذم البخل أخرج ابن عدي لا يجتمع الإيمان والبخل في قلب رجل مؤمن أبدا * وأبو يعلى ما يحق الإسلام بحق الشح شيء *

﴿* خاتمة *﴾ نسأل الله حسن الختام ﴿في ذم البخل﴾ وهو امساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه ويقابله الجود والبخل ثمرة الشح والشح بخل مع حرص وهو ضد الإيتار فإن المؤثر على نفسه تارك لما هو محتاج إليه فالشح حرص على ما ليس يده فاذا حصل يده شح وبخل والبخل من أجاب داعي الشح والمؤثر من أجاب داعي الجود والسخاء والاحسان وقال الله تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما أوتاهم من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ثم البخل ضربان بخل بقتيات نفسه وبخل بقتيات غيره وهو أكثرهما ذما وعلى ذلك قال الله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما أوتاهم الله من فضله .

﴿أخرج ابن عدي﴾ في الكامل من حديث عبد الغفور بن عبد العزيز بن سعد الأنصاري عن أبيه عن جده ﴿لا يجتمع الإيمان والبخل في قلب رجل مؤمن أبدا﴾ وأخرج ﴿أبو يعلى﴾ وغيره عن أنس وضعفه المنذري ﴿ما يحق الإسلام﴾ أي آثاره من الطاعات ﴿محق الشح﴾ أي كحقه ﴿شيء﴾ من الخصال الذميمة وهذا فاعل محق قال الحفنى معناه لم يكن شيء ما حقا للطاعات مثل محق الشح لها لكونه يمنع من صرف الأموال في محالها .

وأخرج ابن جرير في التهذيب من حديث ابن عمر أياكم والشح فانما أهلك من كان قبلكم الشح وأمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأخرج الخطيب في كتاب البخل وأبن عساكر في التاريخ لا يدخل الجنة خب ولا بخل ولا ليم ولا منان ولا خائن ولا سبي الملكة وإن أول من يقرع باب الجنة المملوك فاتقوا الله وأحسنوا فيما بينكم وبين الله وفيما بينكم وبين موالكم وقال ﷺ شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع رواه أبو داود من حديث أبي هريرة بأسناد جيد ومعنى الهالع هو الجازع يعني شح يتحمل على الحرص على المال والجزع على ذهابه وقيل هو أن لا يشبع كلما وجد شيئا بلعه ولا قرار له ولا يتين في جوفه ويحرص على تهية شيء آخر قال التوربشتي والشح بخل مع حرص فهو أبلغ في المنع من البخل فالبخل يستعمل بالظنة في المال والشح في كل ما تمتنع النفس عن الاسترسال فيه من بذل مال أو معروف أو طاعة قال والهالع أفحش الجزع والمعنى أنه يجزع في شحه أشد الجزع على استخراج الحق منه ومعنى قوله جبن خالع أي شديد كأنه يخجل فواده من شدة خوفه من الخلق قال الطيبي والفرق بين الشح بالهلع والجبن بالخلع أن الهلع في الحقيقة لصاحب الشح فاستند إليه مجازا فهما حقيقتان لكن الأسناد مجازي ولا كذلك الخلع اذ ليس مختصا بصاحب الجبن حتى يستند إليه مجازا بل هو وصف للجبن لكن على المجاز حيث أطلق وأريد به الشدة وإنما قال شر ما في الرجل ولم يقل شر ما في النساء لأن الشح والجبن مما تحمده المرأة ويذم به الرجل أولأن الخصلتين تقعان موقعا في الذم من الرجال فوق ما يقعان من النساء .

وأخرج أبو نعيم في المعرفة عن جابر قال قال لنا رسول الله ﷺ من سيدكم يا بني سلمة قالوا جد بن قيس على أن نبخله فقال بهذا هكذا ومديده وأي داء أدوا من البخل بل سيدكم عمرو بن الجموح قال وكان عمرو يولم على رسول الله ﷺ إذا تزوج وأخرج أبو خليفة عن ابن عائشة عن بشر بن الفضل عن أبي شبرمة عن الشعبي نحوه قال ابن عائشة فقال بعض الأنصاري في ذلك :

وقال رسول الله ﷺ والقول قوله ﷺ لمن قال منا من تسمون سيدا

فقالوا له جد بن قيس على التي ﷺ نبخلها منا وإن كان أسودا

فسودا عمرو بن الجموح لجوده ﷺ وحق لعمرى بالندى أن يسودا

فلو كنت يا جد بن قيس على التي ﷺ على مثلها عمرو لو كنت المسودا

والخطيب يقولون أو يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأي ظلم أظلم عند الله من الشح يحلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله أن لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل والديلمي الويل كل الويل لمن ترك عياله بخير وقدم على ربه بشر * والطبراني والبيهقي صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين وبهلاك آخرها بالبخل والأمل

﴿و﴾ أخرج ﴿الخطيب يقولون أو يقول قائلكم الشحيح﴾ أي البخل الحرص ﴿أعذر﴾ أي تقضا للعهد ﴿من الظالم وأي ظلم أظلم عند الله من الشح يحلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله أن لا يدخل الجنة﴾ أي مع الداخلين في الرعي الأول من غير عذاب أولا يدخلها حتى يعاقب بما اجترحه ﴿شحيح ولا بخيل﴾ أي هو البخل صفة لازمة له وتكرر منه ذلك قال العراقي لم أجده بتمامه وللتبريزي من حديث أبي بكر لا يدخل الجنة بخيل انتهى قال الزبيدي وروى الخطيب في كتاب البخلاء من حديث ابن عمر الشحيح لا يدخل الجنة .

﴿و﴾ أخرج ﴿الديلمي﴾ في مسند الفردوس عن ابن عمر ﴿الويل كل الويل لمن ترك عياله بخير﴾ أي ترك لورثته مالا ﴿وقدم على ربه بشر﴾ لكونه أكسب ذلك من غير حله قال الذهبي هذا الحديث وإن كان معناه حقاً فهو موضوع من حديث اللغظ .
﴿و﴾ أخرج أحمد و﴿الطبراني والبيهقي﴾ عن ابن عمرو ابن العاص قال المنذري استناده محتمل للتحسين ومثله غريب ﴿صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين﴾ اذ بهما يصير العبد شاكراً مفوضاً مسلماً متوكلاً ﴿وبهلاك آخرها بالبخل والأمل﴾ فانهما لا يكونان الآمن فقد يقينه وساء ظنه بربه فيبخل وتلذذ بالشهوات وظال أملة وما يبعد هم الشيطان الاغروا .

قال ابن عباس رضي الله عنهما لما خلق الله جنة عدن قال لها ترينى فترنت ثم قال لها أظهري أنهارك فأظهرت عين السلسيل وعين الكافور وعين التسليم فتفجر منها في الجنان أنهار الخمر وأنهار العسل واللبن ثم قال لها أظهري سررك وجمالك وكراسيك وحليك وحللك وهور عينك فأظهرت فنظر إليها فقال تكلمي فقالت طوبى لمن دخلنى فقال الله عز وجل لا أسكنك بخيلاً وقالت أم النين أخت عمر بن عبد العزيز أف للبخل لو كان البخل قميصاً ما لبسته ولو كان طريقاً ما سلكته وقال طلحة بن عبيد الله أحد العشرة رضي الله عنه ما نجد بأموالنا ما يجد البخلاء لكننا نصبر وقال محمد بن المنكدر رحمه الله كان يقال إذا أراد الله ب قوم شراً أمر عليهم شرارهم وجعل أوزاقهم بأيدي بخلائهم وقال كعب الأخبار رحمه الله تعالى ما من صباح الا وقد وكل به ملكان يتاديان يقول أحدهما اللهم عجل لمسك تلقا ويقول الثاني اللهم عجل لمنفق خلفنا وقال الامام أبو حنيفة رحمه الله لا أرى أن أعذل بخيلاً لأنه يحمل البخل على الاستقصاء في معاملته فيأخذ فوق حقه خيفة من أن يغبن فمن كان هكذا لا يكون مأموناً بالامانة وقال عمرو بن بحر الجاحظ ما بقي من اللذات الاثلاث ذم البخلاء وأكل القديد وحك الجرب وقال بشر بن الحرث البخل لا غيبة له لأن النبي ﷺ قال لرجل انك اذ البخل فلو كان غيبة لم يقل ذلك وقال بشر أيضاً النظر الى البخل يقسى القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين وقال يحيى بن معاذ الرازي ما في القلب للاستحياء الاحب ولو كانوا فجاراً وللبخلاء الانقض ولو كانوا أبراراً وقال أبو العباس عبد الله بن المعتز أنجل الناس بماله أجودهم بعرضه لأن من أكرم ماله أهان بعرضه والاحبار والآثاري ذم البخل أكثر وفيما ذكرنا كفاية لذوي الألباب .

* مهمة * قال ابن حجر في الزواجر البخل شرعاً هو منع الزكاة والحق بها كل واجب فمن منع ذلك كان بخيلاً وعوقب بما مر في الأحاديث قال الغزالي وغيره قد قال قائلون حد البخل منع الواجب فكل من أدى ما وجب عليه فليس ببخل وهذا غير كاف في فهم المرام فان من يرد اللحم مثلاً الى القصاب والخبز الى الخباز بعد ما اشتراهما لتقصان حبة أو نصف حبة فانه يعد بخيلاً بالاتفاق مع أنه لم يمنع

الواجب وكذلك من يسلم الى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم في لقمة زادوها عليه أو ثمرة أكلوها من ماله بعد بخيلا مع أنه يضايق في القدر الواجب ومن كان بين يديه رقيق فحضر من يظن أنه يأكل معه فأخفاه عنه عد بخيلا مع أن اشراكه في الرقيق لم يكن مما يجب حتى يكون أخفاؤه عنه بخلا.

وقال آخرون البخيل الذي يستصعب العطية وهو أيضا قاصر في فهم المرام فإنه ان أريد به أنه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كاللحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوقه وان أريد به أنه يستصعب بعض العطايا لاكلها فما من جواد الا يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله أو المال العظيم وهذا لا يجب الحكم بالبخل وكذلك اختلفوا في الجود ما هو قليل هو عطاء بلامن واسعاف من غير رؤية اى لا يمن في عطائه ولا يرى في نفسه أنه أسعف وقيل عطاء من غير مسئلة وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما أمكن وقيل هو لمن النفس بالعطاء وسعة القلب للمواساة وهذا نقله ابن العربي وقيل الجود عطاء على رؤية أن المال لله تعالى والعبد لله تعالى فيعطى عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر وهو قول لبعض الصوفية وقيل الجود اجابة الخاطر الاول وقيل افاد ما ينفي لا الغرض وجملته هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة البخل والجود.

والحق أن الامساك حيث وجب البذل ببخل والبذل حيث وجب الامساك تبذير وبينهما وسط هو المحمود ومنه قول ابن الوردي:

بين تبذير وبخل رتبة * وكلا هذين ان زاد قتل

وهو الذي ينبغي أن يعبر عنه بالسخاء والجود اذ لم يؤمر رسول الله ﷺ إلا بالسخاء وقد قال تعالى له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فهذا الاشارة الى المقام الوسط وقال تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا فالجود وسط بين الاسراف والاقتار وبين القبض والبسط وكما له أن لا يكون ناظرا بقلبه الى ما أعطاه بوجه بل ينبغي أن لا يعلق قلبه من المال الا بصرفه فيما يحمد صرفه اليه.

ثم الواجب بذله فيه اما شرعا واما مرواة وعادة فالسخي هو من لا يمنها والافهو البخيل لكن مانع واجب الشرع كالزكاة ونقد العيال أنجل وأقبح من مانع واجب المرواة كالمضايقة والاستقصاء في المحقرات والتدقيق فيها واستقبح هذا يختلف باختلاف الاحوال والأشخاص فيستحب من ذوى المال ومع الجار والأهل والصدوق ما لا يستحب مع أضدادهم وللبخل درجة ثالثة وهي مالو كرماله وهو فاء بواجب الشرع والمرواة ثم أمسك عن الاتفاق منه في وجهه القربات ليكون عدة على النوائب وإياها لهذا الغرض الباقى على ما أعد الله له لوائق من الثواب الباقي والدرجات العالية والمراتب المرضية فهذا بخيل اى بخيل لكن عند الأكياس دون عوام الخلق وذلك لأن نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون امساكه لدفع نوائب الزمان مهما يقولون الدراهم البيض تنفع للأيام السود وربما يظهر عند العوام أيضا سمة البخل عليه ان كان في جواره محتاج فمنعه وقال قد أدت الزكاة الواجبة وليس على غيرها ويختلف استقبح ذلك باختلاف مقدار ماله وشدة حاجة المحتاج وصلاحيته ثم هو باداء واجب الشرع وواجب المرواة اللاتقة به يرا من البخل ولا يثبت له الجود ما لم يزد زيادة عليهما لتل الفضيلة عند الله ونيل الدرجات العالية لا الطمع في شأن أو خدمة أو مكافأة ويكون جوده بحسب ما اتسعت له نفسه من قليل البذل وكثيره ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس أجود من بعض وقد صح أن النبي ﷺ كان أجود بالخير من الريح المرسلة.

* تنبيه * يتعين على كل من أراد البراءة لدينه وعرضه التنصل عن داء البخل حذرا من المهلكات ولا يتم ذلك الا بمعرفة سببه وعلاجه فسببه حب المال اما الحب الشهوات التي لا وصول اليها الا به مع طول الأمل اذ من علم أنه يموت بعد يوم لا يبقى عنده من أربخل شيء البتة واما الحب ذات المال ولذلك ترى من يتقن ان معه من الأموال ما يزيد على كفايته لو عاش العمر الطيعي وأتقن نفقة الملو

ولا وارث له ومع ذلك هو من البخل ومنع الزكاة وغيرها بمكان فيكنزه تحت الأرض عالما بأنه يموت بل ربما عند موته يتلعه وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج لاسيما في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه بخلاف الأول ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فأحب رسوله لنفسه ثم نسي محبته واشتغل برسوله فان الدنانير والدرهم رسول يبلغ الى الحاجات فصارت الدنانير والدرهم محبته لذلك لأن الموصل الى اللذيق لذيق ثم قد ينسى الحاجات ويصير الذهب عنده كأنه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال ونهاية الحسرة بل من رأى بينه وبين الحجر المرمى في الطريق فرقا فهو لجهله الامن حيث قضاء حاجته به دون الحجر والفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة لا فرق بينهما فهذه أسباب حب المال فحب الشهوات يعالج بالقناعة باليسير والصبر ويعالج طول الأمل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران وطول تعبهم في جمع المال وضياجه بعدهم في أقبح المعاصي وأقرب زمن ويعالج الالتفات الى الولد باستحضار الخبر السابق أن شر الناس من ترك ورثته في خير وقدم على الله بشر وبأن الله خلق للولد رزقا لا يزيد ولا ينقص وكم بمن لا يخلف أبوه فلوسا صار غنيا ومن خلف له القناطير المقتطرة صار فقيرا في أسرع وقت وبأن يتأمل في أحوال البخلاء وأنهم على مد رجة المقت والبعد من كل خير ولذلك تجدد النفوس تنفر عنهم بالطبع وتستبجهم حتى ان بعض البخلاء قد يستبج البخل من غيره كثيرا ويستقل كل خير من أصحابه ويغفل عن أنه مستقل ومستقذر في قلوب الناس كما أن البخلاء عنده كذلك ويتأمل في المنافع التي يقصد لها المال فلا يحفظ منه الا ما يحتاجه وما زاد ينبغي له أن يدخر ثوابه وبره عند الله تعالى باخراجه في مرضاته ومن آمن تأمله في هذه الادوية انصقل فكره وانشرح قلبه في جانب البخل بسائر أنواعه أو بعضها بحسب كمال استعدادة ونقصه وينبغي له حينئذ أن يحجب أول خاطر الاتفاق فان الشيطان ربما زين للنفس الرجوع عنه ولذا خطر لبعض الأكابر وهو أبو الحسن البوشنجي رحمه الله التصديق بثوبه وهو في الخلاء فخرج فورا وتصدق به ثم رجع فلما خرج سئل فقال خشيت أن الشيطان يثنى عنان عزمي ولا تزول صفة البخل الابالبدال تكلفا كما لا يزول العشق الابال سفر عن محل المعشوق .

وللمال فوائد دينية ودنيوية لأنه سماه خيرا في قوله عز وجل ان ترك خير وامتن به على عبادة أما الدنيوية فظاهرة وأما الدينية فمن أمهات العبادات ما لا يتوصل اليها الا به كالحج والعمرة وبه يتقوى على العبادات كالمطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة اذ لا يتفرغ للدين الامن كفى ذلك وما لا يتوصل للعبادة الا به فهو عبادة بخلاف ما زاد على الحاجة فانه من حظوظ الدنيا ومن فوائده الدينية ما يصرفه من صدقة أو هدايا أو ضيافات ونحوها من كل ما فيه فضيلة ويكتسب به أصدقاء وصفة سخاء أو وقاية عرض من نحو شاعر أو أجرة من يقوم بأشغاله اذ لو باشرها بنفسه فانت عليه الأخرية من علم وعمل وذكر وفكر أو في خير عام كبناء مسجد ورباط وقنطرة أو سقاية بالطرق أو دور للمرض وغير ذلك من الأوقاف المرصدة للخيرات وهذه من الخيرات المؤبدة الدائمة بعد الموت المستجيلة بركة أدعية الصالحين الى أوقات متعادية وناهيك بذلك خيرا فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما فيه من الحظوظ العاجلة كالعز وكثرة الخدم والأصدقاء وتعظيم الناس له وغير ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ الدنيوية .

وكذلك للمال آفات كثيرة دينية ودنيوية فمن الدينية أنه يجر الى المعاصي للتمكن به منها اذ من العصمة أن لا تجدد ومتى استشعرت النفس القدرة على معصية انبعثت داعيتها اليها فلا يستقر حتى تركها ويحمر أيضا ابتداء الى التعم بالمباحات حتى يصير القال لا يقدر على تركها حتى لو لم يتوصل اليها الا بسعي أو كسب حرام لا تفرقه تحصيله للموفاته اذ من كثر ماله كثر احتياجه الى مباشرة الناس ومخالطهم ومن لازم ذلك أنه يناقشهم ويمضي الله في طلب رضاهم أو سخطهم فتثور العداوة والحقد والحسد والراء والكبر والكذب

﴿فصل﴾ اعلم أنه تجب الزكاة

والغنية والتمسعة وغير ذلك من المعاصي والاخلاق والأحوال السيئة الموجبة للمقت واللعن ويجز أيضا إلى ما لا ينفع عنه أحد من ذوى الأموال وهو الاشتغال باصلاح ماله عن ذكر الله ومرضاته وكل ما يشغل عن الله وهو شؤم وخسران سين وهذا هو الداء العضال فان أصل العبادات وسرها ذكر الله والتفكير في جلاله وذلك يستدعي قلبا فارغا ومحال فراغه مع ما تعلق به من اصلاح المال والاعتناء بتحصيله ودفع مضاره وذلك بجرا لا ساحل له فهذه جمل الآفات الدينية سوى ما يقاسيه أرباب الأموال في الدنيا قبل الآخرة من الخوف والحزن والهم والغم الدائم والتعب في دفع الخسار وتحسم المصاعب والمشاق في حفظ الأموال وكسبها فان ترواق المال أخذ القوت منه وصرف الباقي إلى وجوه الخير وما عدا ذلك ستموم وآفات اذا تقرر ذلك فالمال ليس بجير محض ولا شر محض بل هو سبب للأمرين جميعا يمدح مرة لاحتالة ويذم أخرى لكن من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حقه وهو لا يشعر كما ورد ذلك ولما مالت الطباع إلى الشهوات القاطعة عن الهدى وكان المال آلة فيها عظم الخطر فيما يزيد على الكفاية فاستعاذ الأنبياء من شره حتى قال نبينا صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كقافا فلم يطلب من الدنيا الا ما تمحض خيره وقال اللهم أحيني مسكينا وأمتي مسكينا وقال تعس عبد الدنيا تعس عبد الدنيا رتعس عبد الدرهم تعس واتكس وإذا شيك فلا انتقش والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿* فصل *﴾ في الزكاة

﴿اعلم أنه تجب الزكاة﴾ على كل مسلم حر في الإبل والبقر والغنم والتمر والزبيب والزروع المقتاة حالة الاختيار والذهب والفضة والمعدن والركاز منهما وأموال التجارة .

وأول نصاب الإبل خمس فلا تجب في أقل منها ومن البقر ثلاثون ومن الغنم أربعون فلا زكاة قبل بلوغها ذلك ولا بد من جولان الحول بعد تمام النصاب قبل تمام حوله ولو بلحظة يتبع حول أمهاته ان كان من جنسها وملكها بملكه وبلغت به نصابا آخر أو ماتت وهو نصاب كأن ملك مائة وعشرين شاة وتجت واحدة بعد تمام الحول فتجب شاتان أو أربعين شاة فتجت كلها قبله ثم ماتت الأمهات وهكذا ولا بد أيضا من السوم من المالك أو ثابته في كلاء مباح أو مملوك قيمته يسيرة لا يعد مثله كلفة في مقابلة ثمنائها فلا زكاة في معلوفة أو سائمة بنفسها أو أسامها غير مالك كما صاب أو لهو ولكن علفها بنية قطعة أو قدرا لا تعيش بدونه بلا ضرر بين كيومين ونصف ولو مفارقة ولا بد أيضا من أن لا تكون نعمه عاملة في نحو حرث المالكها أو بأجرة فلا زكاة في عاملة وإن أسيمت وإذا تقرر ذلك فيجب في كل خمس من الإبل إلى العشرين شاة جذعة ضأن أو ثنية معز ففي عشر ثنتان وخمسة عشر ثلاث وعشرين أربع وإذا بلغت خمسا وعشرين ففيها بنت مخاض وهي من الإبل ما لها سنة أو ابن لبون وهو ماله سنان منها ان فقدتها وفي ست وثلاثين بنت لبون وفي ست وأربعين حقة وهي ما لها ثلاث سنين منها وفي إحدى وستين جذعة وهي ما لها أربع سنين منها وفي ست وسبعين بنت لبون وفي إحدى وتسعين حقتان وفي مائة وأحدى وعشرين ثلاث بنات لبون وفي مائة وثلاثين حقة بنت لبون ثم في كل أربعين بنت لبون وفي كل خمسين حقة وما بين النصب مفعو عنه ومن فقد الواجب صعد درجة وأخذ جبرانا وهو شاتان أو عشرين درهما أو نزل درجة وأعطى جبرانا ويجب في كل أربعين من الغنم شاة وهي اما جذع أو جذعة ضأن وان أجذع قبل تمام سنة أو ماله سنة وان لم يجذع أو ثنية معز وهي ما لها سنان كاملتان وفي مائة وأحدى وعشرين شاتان وفي مائتين وواحدة ثلاث وفي أربع مائة أربع في كل مائة شاة ويجب في كل ثلاثين من البقر تبيع أي ذكر ابن سنة كاملة وكذا تبيعة سمي بذلك لأنه يتبع أمه وفي كل أربعين مسنة وهي ما لها سنان سميت بذلك لتكامل أسنانها ويجزى فيها تيعان .

في الذهب إذا بلغ عشرين مثقالا وفي الفضة إذا بلغت مائتي درهم

وأما التمر والزبيب والزروع فأول نصابها خمسة أوسق لخبر ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة وهي ثلاثمائة صاع بصاعه عليه الصلاة والسلام وهو أربعة أمداد والمد رطل وثلاث بالبغدادى ويضم في أكمال النصاب زرع العام وثمره بعضه الى بعض بأن بلغ وقت نهما في عام واحد جذاذا في التمر وحصادا في الزرع وان لم يقطعا فيه وصورته أن يكون عنده نخل مثلا يثمر بعضه في الربيع وبعضه في الصيف أو مرتين وإطلاع الثاني قبل جذاذا الاول وجذاذا الكل في عام ولا يكمل جنس بجنس بخلاف نوع بنوع اختلف جودة ورداءة ولونا وتجب الزكاة فيما مر به والصالح في الثمر كله أو بعضه وان قل كحبة بأن تظهر مبادئ النضج والحلاوة واللون وضابطه بلوغه صفة يطلب فيها غالبا أنه حينئذ ثمرة كاملة وقبله حصوم وبلح ومع اشتداد الحلب كذلك في الزرع لأنها حينئذ قوت وقبله بقل ولا يصح الإخراج إلا بعد لجفاف والتصفية.

ثم اعلم أن الزرع والثمار أمانة يجب فيها العشر وذلك ان لم تسق بمؤنة كأن سقيت بمطر أو مهب من نحو نهر كجبل وعين وساقية حفرت من نهر وان احتاجت لمؤنة وأما نصفه وذلك ان سقيت بها كالتواضع من الابل والبقر والدواب أو عماء مملوك والمعنى في ذلك كثرة المؤنة وخفائها وما زاد على النصاب في الثمار والزروع ولو سيرا أخرج منه قدر زكاته وجوبا بقسطه وهو عشره أو نصفه إذا لو قص فيها بخلافه في النعم ولا زكاة فيما دون النصاب في النعم وغيرها إلا أن يتطوع مالكها بإخراج شيء منها فإنه يسر إطعام الفقراء من الزكوى وغيره.

وتجب الزكاة ﴿في الذهب إذا بلغ عشرين مثقالا﴾ من خالصه يقينا بوزن مكة وذلك لقوله ﷺ في أقل من عشرين دينارا شيء في عشرين نصف دينار رواه أبو داود باسناد صحيح والمثقال أربعة وعشرون قيراطا ووقع في عبارة بعضهم دينار بدل مثقالا وما لحظا. وأخذ لأن كل دينار رزته مثقال أفاده الزبيدي وخرج بالخالص المغشوش فلا زكاة فيه حتى يبلغ خالصه نصابا فإذا بلغته أخرج الواجب خالصا أو أخرج من المغشوش ما يعلم اشتماله على خالص بقدر الواجب ولو أخرج من أخرج عن ألف مغشوشة خمسة وعشرين خالصية أجزاء وقد تطوع بالفضل ولو أخرج خمسة مغشوشة عن مائتين خالصة لم يجزه وهل له الاسترجاع حكوا عن ابن سريج فيه قولين أحدهما لا وأظهرهما نعم كما لو عجل الزكاة قلف ماله قال ابن الصباغ وهذا إذا كان قد بين عند الدفع أنه يخرج عن هذا المال.

* تنبيه * لو كان له أمانة من ذهب وفضة وزنه ألف من أحد هما ستمائة ومن الآخر أربع مائة ولا يعرف أيهما الأكثر فان احتاط فزكي ستمائة ذهبا وستمائة فضة أجزاء وان لم يحط ميزهما بالنار أو امتحنها بأن يوضع قدر المخلوط من الذهب الخالص في ماء ويعلم على الموضع الذي يرتفع اليه الماء ثم يخرج ويوضع مثله من الفضة الخالصة ويعلم على موضع الارتفاع وهذه العلامة تقع فوق الاولى لأن أجزاء الذهب أكثر اكتنازا ثم يوضع فيه المخلوط وينظر ارتفاع الماء به أهوال علامة الفضة أقرب أم الى علامة الذهب ولو غلب على ظنه الأكثر منهما قال الشيخ أبو حامد ان كان يخرج الزكاة بنفسه فله اعتماد ظنه وان دفعها الى الساعي لم يقبل ظنه بل يلزمه الإحياط والتمييز وقال امام الحرمين الذي قطع به أئمتنا انه لا يجوز اعتماد الغزالي في الوسيط هذا الاحتمال وجها.

﴿و﴾ تجب ﴿في الفضة إذا بلغت مائتي درهم﴾ لقوله صلى الله عليه وسلم ليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة والأوقية أربعون درهما بالنصوص المشهورة والإجماع ومائتا درهم كما قاله الشافعي ثمانية وعشرون ريبالا ونصف تقريبا هذا ان كان في كل ريبال درهما من النحاس فان كان فيه درهم فقط كانت خمسة وعشرون ريبالا

ففيهما يجب ربع عشرهما إذا تم حول بعد أن ملكهما وأنه لا يجوز له تأخيرها بعد تمامه لما روي أحمد وإبنا خزيمه وحبان وأبو يعلى عن ابن مسعود

﴿ففيهما﴾ أي في العشرين بالنسبة للذهب والمائتين بالنسبة للفضة ﴿يجب ربع عشرهما﴾ أي ربع عشر العشرين في الأول وربع عشر المائتين في الثاني وإذا كان هناك زائد فبحسابه إذا وقص فيها فاذا كان عنده خمسة وعشرين مثقالا ففي العشرين نصف مثقال وفي الخمسة ثمن مثقال فالجملة خمسة أثمان ووجوب الزكاة في الذهب والفضة ﴿إذا تم حول بعد أن ملكهما﴾ أي الذهب والفضة نعم لو ملك نصبا باسنة أشهر ثم أقرضه إنسانا لم ينقطع حوله وكذا لو اشترى بعينه عرض تجارة فينبني حولها على حوله.

وأما المعدن أو الركاز فلا يشترط فيه الحول لأنه إنما يشترط للنماء وهما نماء فيخرج الزكاة مالتهما أو ثابته وجوبا حالا ولكن يخرج من الركاز خمسا لأنه لا مؤنة فيه بخلاف المعدن فإنه كثير من النقود ويصرف الخمس مصرف الزكاة على مشهور وقيل مصرف خمس الغنمة وشرط الركاز كونه نقدا ونصبا ولو بضمه لما في ملكه من جنسه أو عروض تجارة يقوم بنقده وكونه من دفن الجاهلية وهم من قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وإن يوجد بموات أو ملك أحياء ولا تجب في حلى مباح لم يقصد كثره أما المكروه كخضبة صغيرة لزينة وكيرة لحاجة والحرم لعينه كائنا ففيهما الزكاة.

وأما زكاة التجارة فلا تجب إلا في أموالها التي لا زكاة في عينها كخيل ورقيق وثياب إذا بلغت قيمتها نصاب أحد التقدين آخر الحول كما يأتي وحينئذ فنصابها نصاب ما اشترت به من أحد التقدين لأنها تقوم به فإن اشترت بغيرهما أو بأحدهما ونسى أو جهل اعتبر الغالب منهما بالبلد إذا التقويم به ولا يعتبر النصاب فيها إلا آخر الحول فمضى ببلغه آخره وجبت الزكاة والأفلا وان اشترتها بنصاب وباعه بعد التقويم بأكثر منه لأن آخر الحول وقت الوجوب ولا يجب فيها إخراج قدر الزكاة وهو ربع عشر القيمة إلا بشرطية التجارة مقترنة بالملك بمعاوضة محضة كبيع وإجارة ومنه أن يستأجر المتافع كسفينة وبيت ليؤجرها بقصد الربح أو غيرها كعوض دم ومهر وخلع نوى بها التجارة بخلافها بغيرها كارت وهبة بلا ثواب وإقالة ورد ببيع لعرض فنية قصد به التجارة وبشرط أن لا يتقص مالها ناقصا عن النصاب بنقده أثناء الحول والأفلا كان اشترى عرضا بذهب فباعه أثناء الحول بسبعة عشر مثقالا انقطع الحول فان اشترى به آخر بنيتها انعقد حول من حينئذ وأن لا يقصد به كله أو بعضه الفينة ولو محرمة والأفلا انقطع حول ما نواها فيه.

﴿واعلم﴾ أنه يجب أداء الزكاة فوراً لأن حاجة المستحقين إليها ناجزة إذا تمكن من الأداء كسائر الواجبات وحينئذ لا يجوز له تأخيرها ﴿أي الزكاة﴾ بعد تمامه أي الحول وبعد التمكن وذلك بحضور المال فلا يجب الإخراج عن المال الغائب في موضع آخر وإن جوزنا نقل الزكاة لاحتمال تلفه قبل وصوله إليه نعم إن مضى بعد تمام الحول مدة يمكن المضي إلى الغائب فيها صار متكما كما قاله السبكي ويجب عليه الإعطاء وبحضور الأصناف أو حضر الإمام أو الساعى لاستحالة الإعطاء بدون القابض وبخفاف الشار وتقية الحب والمعدن وخلو المال من مهم ديني أو ديني كعبادة وأكل ويجوز تأخيرها ليتروى حيث تردد في استحقاق الحاضرين وكذا الانتظار قرب أوجار أو أخرج أو أصلح أو انتظار الأفضل من تفرقه بنفسه أو بالإمام أو نائبه إذا لم يشد ضرر الحاضرين نعم لو تلف المال حينئذ ضمن.

وذلك أعني عدم جواز التأخير بعد ما ذكر ﴿لما روي أحمد وإبنا خزيمه وحبان وأبو يعلى عن ابن مسعود﴾

رضي الله عنه

أن لاوي الزكاة أي مؤخرها من جملة الملقونين على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ومن ثم جزم بعضهم بعده كبيرة فإن أخرها وهو قادر على أدائها ضمنها

﴿ أن لاوي الزكاة أي مؤخرها من جملة الملقونين على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ومن ثم ﴾ أي من أجل هذا الخبر ﴿ جزم بعضهم بعده ﴾ أي عد تأخيرها بعد وجوبها بشرطه ﴿ كبيرة ﴾ هكذا ذكر العلامة ابن حجر في الزواجر ﴿ فإن أخرها وهو قادر على أدائها ضمنها ﴾ لمستحقها وقال في الوجيز في تأخيرها وهو سبب الضمان والبصيان عند التمكن قال الشارح أي يدخل في ضمانه حتى لو تلف المال بعد ذلك لزمه الضمان سواء تلف بعد مطالبة الساعي أو الفقراء أو قبل ذلك لأنه قصر بحبس الحق عن المستحق فلزمه ضمانه وعند أبي حنيفة تسقط ولا ضمان إن كان التلف قبل المطالبة وإن كان بعدها فلا صحابه اختلاف وعبرة الوجيز وأن تلف النصاب بعد الحول وقبل التمكن فلا زكاة قال الشارح أي لاشيء عليه كما لو دخل وقت الصلاة فغرض له جنون ونحوه قبل التمكن من فعلها أو ملك الزاد والراحلة ولم يتمكن من فعل الحج وحكى صاحب الشامل عن أحمد أنه لا تسقط الزكاة كما لو أتلفه انتهى وإن أتلفه بنفسه بعد الحول وقبل التمكن لم تسقط عنه الزكاة باتلافه لتقصيره وعن مالك إن لم يقصد بالاتلاف الفرار عن الزكاة سقطت انتهى وإن أتلفه غيره بنى على أصل وهو إن إمكان من شرائط الضمان أو من شرائط الوجوب إن قلنا بالاول فلا زكاة كما لو تلف قبل الحول وإن قلنا بالثاني وقلنا مع ذلك الزكاة تتعلق بالذمة فلا زكاة أيضا لأنه تلف قبل حصول شرط الاستقرار وإن قلنا تتعلق بالعين انتقل حق المستحقين إلى القيمة وقال أبو حنيفة إنه ليس إلا من شرائط الضمان لأنه لو أتلف المال بعد الحول لا تسقط عنه الزكاة ولولا الوجوب لسقطت كما لو تلف قبل الحول وبه قال الشافعي في القديم ومال إليه كثيرون من الأصحاب .

* تنبيه * اعلم أن تعجيل الزكاة جائز بشرط أن يقع ذلك التعجيل بعد كمال النصاب وانقضاء الحول ويجوز تعجيل الزكاة حولين ومهما عجل فمات المستحق القابض للزكاة وهو المسكين مثلا قبل كمال الحول أو ارتد قبله أو صار غنيا بغير ما دفع إليه على سنين التعجيل أو تلف مال المالك أو باعه أو نقص عن النصاب فالمدفوع في هذه الصور ليس بزكاة واسترجاعه من يد القابض غير ممكن إلا إذا قيد الدفع بالاسترجاع لأن العادة جارية بأن المدفوع إلى الفقير لا يسترد فكأنه ملكه بالجهة المعينة إن وجد شرطها وإلا فهو صدقة وصار كما لو صرح وقال هذه زكاتي المعجلة فإن وقعت الموقع فذاك وإلا فهو نافلة ولو جرى الدفع من تعرض للتعجيل ولا علم القابض به فهل يثبت الاسترداد ظاهر نص الشافعي في المختصر أنه إن كان المعطى الإمام يثبت وإن أعطى المالك بنفسه فلا يثبت وللأصحاب فيه طريقتان أحدهما تقرير النصين والفرق أن المالك يعطى من ماله الفرض والتطوع فإذا لم يقع عن الفرض وقع تطوعا والإمام ينقسم مال الغير فلا يعطى إلا الفرض وكان مطلق دفعه كالمقيد بالفرض وهذا هو الذي ذكره القاضي ابن كجب وعامة العراقيين والثاني أنه لا فرق بين الإمام والمالك لأن الإمام قد يتصدق بماله نفسه ويتقدير أنه لا ينقسم إلا الفرض لكنه قد يكون معجلا وقد يكون في وقته واختلف هؤلاء على طريقتين أحدهما تنزيل النصين على حالين حيث قال يثبت الرجوع فذلك عند وقوع تعرج التعجيل وحيث قال لا يثبت فذلك عند إهماله والثاني إن فيهما قولين نقلنا وتخريجنا أحدهما أنه يثبت الرجوع كما لو دفع مالا إلى غيره على ظن أن له عليه ديننا والحال أنه لم يكن عليه فله الاسترداد والثاني لا يثبت لأن الصدقة تنقسم إلى فرض وتطوع وإذا لم تقع تطوعا فإن قلنا يثبت الاسترداد وإن لم يتعرض للتعجيل ولا علمه القابض لها وقال المالك قصدت التعجيل ونازعه القابض فالقول قول المالك مع اليمين فإنه أعرف بنية ولا سبيل إلى معرفتها إلا من جهته ولو ادعى المالك علم القابض بأنها كانت معجلة فالقول قول القابض لأن الأصل عدم العلم والغالب هو الأداء في الوقت وإن قلنا لا يثبت

ولو امتنع من أداها جاحدا وجوبها كفر وقتل بكفره كما يقتل المرتد وإن منعها بخلافها أخذت منه قهرا وعزر فإن امتنع بمنعة قاتله الإمام الاسترداد عند عدم التعرض للتعجيل وعلم القابض فلو تازعا في أنه هل شرط الرجوع أم لا ففيه وجهان أحدهما أن القول قول المالك مع يمينه لأنه المؤدى وهو أعرف بنية وأظهرهما أن القول قول المسكين مع يمينه لأن الأصل عدم الاشتراط والغالب يكون الأداء في الوقت ولأنهما اتفقا على انتقال اليد والمالك والأصل استمرارها.

* فرع * قال الإمام الحرمين وغيره لا يحتاج نخرج الزكاة إلى لفظ أصلا بل يكفي دفعها وهو ساكت لأنها في حكم دفع إلى مستحق قال وفي صدقة التطوع تردد والظاهر الذي عليه الناس كفاية أنه لا يحتاج إلى لفظ أيضا قاله الغزالي وغيره.

﴿ولو امتنع من أداها جاحدا وجوبها كفر﴾ على الإطلاق بأن أنكر أصلها من غير نظر إلى أفرادها أو في القدر المجمع عليه بأن أنكر بعض جزئياتها المجمع عليها فإنه يكفر به قال في الإيعاب نعم أن أنكرها جاهل معذور بجهله لنجوب بعده عن العلماء وغيره مما ينفي ظهور كذبه لم يكفر بل يعرف ثم أن أنكر بعد ذلك كفر وهذا يؤخذ من قولهم جاحد لأن الجحد اقتضى سبق العلم وإنما لم يكفر جاحدا في زمن الصديق عليه السلام لأنهم بما هم معذورون فيه من اختصاص الوجوب بالدفع إليه عليه السلام مع عدم استقرار الإجماع بعد فلما استقرت وعلمت من الدين ضرورة كفر جاحدا ومع عذر الجاهل بجهله لا يسقط عنه فلو مرت عليه سنون ولم يؤد زكاتها لجهله لكونه بدار الحرب مثلاً أدى عن جميعها خلافا لأبي حنيفة عليه السلام ﴿وقتل﴾ أي الجاحد ﴿بكفره﴾ كما يقتل المرتد وإن منعها بخلافها ﴿وشحا﴾ أي أخذت عنه ﴿أي من الممتنع اخذاً﴾ قهرا وعزراً ﴿سواء قاتل الممتنع الإمام أم لا﴾.

قال بعضهم والحاصل أن الناس فيها ثلاثة ضرب ضرب يعتقد وجوبها ويؤديها فيستحق الحمد وفيه نزل قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وضرب يعتقد وجوبها ويمتنع من إخراجها فإن كان في قبضة الإمام أخذها من ماله قهرا والاقاتله كما فعلت الصحابة رضي الله عنهم بمانعي الزكاة وضرب لا يعتقد وجوبها فإن كان ممن يخفى عليه لكونه قريب عهد بالاسلام عرفه أي الوجوب وينهى عن الترك والاحكام بكفره.

﴿فإن امتنع﴾ من أداها ﴿بمنعة﴾ بفتح النون أي قوة يمنح بها على من يريد به بذلك ﴿قاتله الإمام﴾ كما فعل الصديق رضي الله عنه فإنه قاتل الممتنعين منها بعد المباحة حتى قال والله لأجاهدكم ما استمكن السيف في يدي وإن معنوني عقالا أو عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال في جواب رد عمر بن الخطاب له بحديث فمن قالها عصم مني ماله ودمه إلا بحته وحسابه على الله والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال وقد قال لا يحقها قال عمر فوالله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال وكما يقال الممتنع من الأداء يقال الممتنع من أخذها لا قبولها فرض كفاية فيقاتلون على ذلك لتعطيلهم هذا الشعار العظيم كعطيل الجماعة بناء على أنها فرض كفاية بل أولى كما أفاده الرملي ونقله الشرقاوي.

* تشبيهان * الأول أن نية السلطان تقوم مقام نية المالك فإن دفعها إليه طوعا وتوى عند الدفع كفى وكذا حال الممتنع عن الزكاة فيأخذها منه قهرا إذا توى عند الدفع كفى ولا يشترط نية السلطان عند التفرقة لأنه نائب المساكين فإن لم ينو المالك ونوى السلطان أو لم ينو فوجهان أحدهما يجوزنه وهو ظاهر نصه في المختصر وبه قطع كثير من العراقيين والثاني لا يجوزنه لأنه نائب عن المسكين ولو دفع المالك إلى المساكين بلانية لم يجوزنه فكذا إلى نائبهم وهذا الثاني هو الأصح عند القاضي أبي الطيب وصاحبى المذهب والتهذيب وجهور المتأخرين . وحملوا كلام الشافعى رحمه الله على الممتنع يجوزنه المأخوذ وإن لم ينو لكن نقل عن نصه في الأم أنه قال يجوزنه وإن لم ينو طائفا كان أو كافرا

وأنه يشترط في صرف الزكاة نية زكاة المال أو صدقة المال المفروضة

فاذا امتنع عن أداء الزكاة للسلطان أخذ هاتمه قهرا خلافا لابي حنيفة قال الرافعي لنا قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم ولا يأخذ الا قدر الزكاة على الجديد لقوله صلى الله عليه وسلم في المال ليس في المال حق سوى الزكاة وقال في القديم يأخذ مع الزكاة شطر ماله لما روى أنه صلى الله عليه وسلم في كل أربعين من الابل السائمة بنت لبون من أعطاهما مؤتجرا بها فله أجرها ومن منعها فانا أخذها وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا ليس لآل محمد فيها شيء وقال النووي في زيادة الروضة المشهور هو الجديد والحديث الوارد بأخذ شطر ماله ضعفه الشافعي رحمه الله ونقل أيضا عن أهل العلم بالحديث أنهم لا يثبتونه وهذا الجواب هو المختار أما جواب من أجاب من أصحابنا انه منسوخ فضعيف فان النسخ يحتاج الى دليل ولا قدرة لهم عليه هنا انتهى .

الثاني قال الرافعي ان نوى الممتنع حالة الأخذ برئت ذمته ظاهرا وباطنا ولا حجة الى نية الامام وان لم ينو هل تبرأ ذمته نظران نوى الامام سقط عنه الفرض ظاهرا ولا يطالب به ثانيا وهل يسقط باطنا وجهان أحدهما انه يسقط اقامة لنية الإمام مقام نيته كما أن قسمه قائم مقام قسمه فاذا اختص خرج منه الوجهان المشهوران في أن الممتنع اذا أخذت منه الزكاة ولم ينو هل يسقط الفرض عنه باطنا فبنى الامام الحرمين والغزالي في الوجيز وجوب النية على الامام على هذين الوجهين ان قلنا لا تبرأ ذمة الممتنع باطنا فلا تحسب وان قلنا يبرأ فوجهان أحدهما لا لئلا يتهاون المالك فيما هو متعبد به والثاني نعم وظاهر المذهب انه يجب عليه أن ينوى ولو لم ينو عصي وان نية يقوم مقام نية المالك وهذا قاله القفال في شرح التلخيص وأقره الزبيدي .

﴿اعلم﴾ أنه يشترط في صرف الزكاة نية زكاة المال أو صدقة المال المفروضة ﴿ونيتها واجبة قطعاً وهل تعين بالقلب ام يقوم النطق باللسان مقامها فيه طريقتان احدهما تعين والثاني يتخير بين القلب والاقتصار على اللسان فينوى هذا زكاة مالى ولو يدون فرض بذلك تكون الا فرضاً كما صرح به المصنف او هذا فرض صدقة مالى او الصدقة المفروضة ولا يكفي التعرض لفرض المال لان ذلك قد يكون كجارة ونذرا ولا يكفي مطلق الصدقة على الأصح وليس عليه تعين الأموال التي يزكيها فلو ملك مائتي درهم حاضرة ومائتين غائبة فأخرج عشرة بلا تعين جاز وكذا لو ملك أربعين شاة وخمسة أبعرة فأخرج شاتين بلا تعين أجزاء ولو أخرج خمسة دراهم مطلقا ثم بان تلف المائتين أو تلف أحدهما بعد الاخراج فله أن يجعل المخرج عن الباقي فلو عين مالا لم ينصرف الى غيره كما لو أخرج الخمسة عن الغائب فبان تلفها لم يكن صرفه الى الحاضر فان كان له مال غائب فقال عند اخراج زكاته هذا عن مالى الغائب ان كان سالما باقيا فبان تلفها لم يكن له صرفه الى الحاضر على الأصح ولو قال هذه عن الغائب فان كان تلفا فهي صدقة أو قال ان كان الغائب باقيا فهذه زكاته والا فهي نافلة أو صدقة جاز لأن هذه صفة اخراج زكاة الغائب فلو اقتصر على زكاة الغائب حتى لو بان تلفا لا يجوز له الاسترداد الى اذا صرح فقال هذه عن مالى الغائب فان بان تلفا استردتها وليست هذه الصورة كما لو أخرج الخمسة وقال ان كان مورثي مات فورثت ماله فهي زكاته فبان انه ورثه لا يحسب المخرج زكاة لأن الأصل عدم الارث وهنا الأصل بقاء المال والتردد انعقد بالأصل أما اذا قال هذه زكاة الغائب فان كان تلفا فعن الحاضر فالمذهب والذي قطع به الجمهور ان كان الغائب باقيا وقع عنه والا وقع عن الحاضر ولا يضر التردد فان التعين ليس بشرط حتى لو قال هذه عن الحاضر أو الغائب أجزاء وعليه خمسة للآخر وعن صاحب التقریب تردد في اجزائه عن الحاضر ولو قال هذه عن الغائب ان كان باقيا والا فعن الحاضر أو هي صدقة وكان الغائب تلفا لم يقع عن الحاضر كما قال الشافعي رحمه الله ولو قال ان كان مالى الغائب سالما فهذه زكاته أو نافلة وكان سالما لم يجز له لأنه لم يخلص القصد عن الفرض وقولنا في هذه المسألة مال

عند دفعها أو عزلها أو إعطائها الوكيل فلو تصدق بجميع ماله ولم ينو الزكاة لم تسقط زكاته وإعطائها للمستحقين

غائب يتصور إذا كان غائبا في بلد آخر وجوزنا فعل الصدقة أو معه في البلد وهو غائب عن مجلسه ولا تشترط مقارنة النية للدفع بل تكفى قبله أن وجدت **عند دفعها للمستحقين** **أو** **عند عزلها** يعنى عند عزل قدر الزكاة عن المال أى تميزه عنه وفصله منه **أو** إعطائها الوكيل **عنه** فى تفرقة الزكاة على المستحقين ولا يشترطية الوكيل عند الصرف لهم لوجود النية من المخاطب لفعله إذا المال له وبه فارق نية الحج من النائب لأنه المباشر للعبادة **فلو تصدق بجميع ماله** ولو بعد تمام الحول كما صرح به فى الروضة **ولم ينو الزكاة لم تسقط زكاته** كما لو وهبه أو ألقه وكما لو كان عليه صلاة فرض فصلى مائة صلاة نافلة لا تجزئه عن فرضه قاله فى الأسنى .

و **يشترط إعطاؤها** أى الزكاة **للمستحقين** يعنى من وجد من الأصناف الثمانية المذكورة فى آية انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فلنذكر تعريف الأصناف على ترتيب الآية الشريفة فنقول .

الاول الفقراء والفقير هو الذي ليس له مال ولا قدرة على الكسب الذي يقع موقعا من حاجته فالذي لا يقع موقعا من حاجته كمن يحتاج عشرة ولا يملك الا درهمين أو ثلاثة فلا يسلبه ذلك اسم الفقير وكذا الدار التي يسكنها والثوب الذي يلبسه متجملا به وذكره صاحب التهذيب وغيره ولم يتعرضوا لعبده الذي يحتاج الى خدمته وهو في سائر الأصول ملحق بالمسكين قاله الرافعي زاد النووي فقال قد صرح ابن كح في كتابه التجريد بأنه كالمسكين وهو متعين والله أعلم فان كان معه قوت يومه وكسوة حاله بما يليق به فليس بفقير ولكنه مسكين وان كان معه نصف قوت يومه فهو فقير وان كان معه قميص وليس معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تنفى بجميع ذلك كما يليق بحال الفقراء فهو فقير لأنه في الحال قد عدم ما هو محتاج اليه وما هو عاجز عنه فلا ينبغي أن يشترط في الفقير أن لا يكون له كسوة سوى سائر العورة فان هذا غلو وتجاوز عن الحد والغالب أنه لا يوجد مثل هذا ولا يخرج عن الفقر كونه معادا للسؤال ومعروفا به فلا يجعل السؤال قائما مقام الكسب .

وقال النووي في الروضة ولا يشترط في الفقير الزمانة والتعفف عن السؤال على المذهب وبه قطع المعبرون وقيل قولان الجديد كذلك والقديم يشترط بخلاف ما لو قدر على كسب ما فان ذلك يخرج عن الفقر لقدرته على الكسب فان قدر على الكسب بالله وليس له آلة فهو فقير لأنه في حكم العاجز كأن يكون نجارا مثلا وليس معه القدوم والشارف فان قدر على كسب لا يليق بمروأته وبحال مثله فهو فقير وان كان مشغلا ببعض العلوم الشرعية كالفقه مثلا والحديث أو التفسير أو ماله حكم ذلك ويمتنع الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير حلت له الزكاة ولا تعتبر قدرته على الكسب وان كان متعبدا بأن يكون مقتصرا على الأذكار والعبادات ويمتنع الكسب من وظائف العبادات وأورد الأوقات الليلية والنهارية فليكسب على قدر قدرته لأن الكسب أولى وهذه عبادة تنفعها قاصر على نفسه فلا تحل له الزكاة مع القدرة على الكسب والمشتغل بالعلوم الشرعية ليس كذلك فان نفعها متعد الى الغير وعلى هذا من لا يأتي منه تحصيل العلوم الشرعية فلا يحل له أخذ الزكاة أيضا مع القدرة على الكسب صرح به الرافعي وقال النووي هذا الذي ذكره في المشتغل بالعلم هو المعروف في كتب أصحابنا وذكر الدارمي فيه ثلاثة أوجه أحدها يستحق والثاني لا والثالث ان كان نجيبا يرجى تفقهه ونفع الناس به استحق والا فلا ومن أقبل على نوافل العبادات والكسب يمتنع عنها أو عن استغراق الوقت بها لا تحل له الزكاة وإذا لم يجد الكسب من يستعمله حلت له الزكاة وان كان بنفقة أبيه أو من تجب نفقته فهذا أهون من الكسب فليس بفقير .

* تنبيه * ان كان عليه دين فيمكن أن يقال القدر الذي يؤدي به الدين لاعتبره به في منع الاستحقاق وفي فتاوى صاحب التهذيب أنه لا يعطى سهم الفقراء حتى يصرف ما عنده الى الدين قال ويجوز أخذ الزكاة لمن له على مسافة القصر الى أن يصل الى ماله ولو كان له دين مؤجل فله أخذ كتابه الى حلول الأجل .

الصف الثاني المساكين والمساكين هو الذي لا ينفي ما يدخل له في اليد من معاملة الدنيا بخروجه الذي يصرفه على نفسه وعائلته فقد يملك ألف درهم وهو مسكين لسعة ما يخرج به فلا ينفق هذا القدر بل وأكثر منه وقد لا يملك الا فاسيا يكسره الحطب وحبالا يربط به فيحمل على ظهره ويبيعه وهو غني لأنه يكفيه ما يتحصل منه والدوية التي يسكنها هو وعياله والثوب الذي يستره على قدر حاله وحال أمثاله لا يسلبه اسم المسكين وكذا أثاث البيت من فرش وغطاء ونحو ذلك أعني ما يحتاج اليه وذلك بما يليق به وبأمثاله وكذا كتب الفقه للفقيه لا تخرجه عن المسكنة فانها مما يحتاج اليها واذا لم يملك سوى الكتب فلا تلزمه صدقة الفطر كالذي ملك ثوبا يلبسه وحكم الكتاب حكم الثوب وأثاث البيت فانه يحتاج الى كل من الثوب والأثاث ولكن ينبغي أن يحاط في فهم الحاجة بالكتاب الذي عنده فالكتاب يحتاج اليه لثلاثة أغراض التعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة فما كان لغير هذه الأغراض الثلاثة كالجارة أو المباهاة بين أقرانه كما يفعله أرباب الأموال الجاهلون بالعلم فانه خارج عن هذا البحث أما حاجة التفرج بالمطالعة فلا تعتبر كافتاء كتب الأشعار من دواوين الشعراء الماضين جاهلية واسلاما أو المتأخرين منهم وتواريخ الاخبار الماضية والقصص السالفة وأمثال ذلك مما ينفع في الآخرة ولا يجري في الدنيا الا يجري التفرج والاستئناس فهذا يباع في الكفارة وزكاة الفطر ويمنع اسم المسكنة عنه فلا يعطى سهم المساكين وأما حاجة التعليم ان كان لأجل الكسب كالمؤدب للأطفال في البيوت والمعلم غيره والمدرس في الرط والمدارس كل هؤلاء بأجرة معلومة فهذه آله يستعين بها على تاديبه وتعليمه وتدريبه فلا يتابع في الفطرة وحكمها كأدوات الخياطين كالقص والذراع وكذا أدوات سائر المتحرفين المكسبين بالحرف والصنائع وان كان يدرس لأجرة بل للقيام بفرض الكفاية فلا يتابع أيضا ولا يسلبه ذلك اسم المسكين لأنها حاجة مهمة في حقه وأما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب لإدخاره كتب طب يعالج به نفسه ان احتاج الأمر اليه او كتاب وعظ ليطالعه ويتعظ به فان كان في البلد طبيب يرجع اليه في معرفة الأمراض والمعالجات وواعظ يعظ الناس فهذا مستغنى عنه بهما وان لم يكن في البلد طبيب ولا واعظ فهو محتاج اليه ثم ربما لا يحتاج الى مطالعة الكتاب لابتعد مدة تمضي عليه فينبغي أن يضبط هذه الحاجة والأقرب أن يقال في ضبط مدة الحاجة ما لا يحتاج اليه في السنة فهو مستغنى عنه فان قد ربح حاجة القوت باليوم فحاجة أثاث البيت وثياب البدن ينبغي أن تقدر بالسنة فلا يتابع ثياب الصيف في الشتاء ولا ثياب الشتاء في الصيف والكتب بالثياب والأثاث أشبه في الاحتياج اليها فهذا مقدار ضبط الحاجة .

الصف الثالث العاملون وهم السعادة الذين يجمعون الزكوات سوى الامام الأعظم والقاضي وكذا والى الاقليم فان هؤلاء لاحق لهم بل رزقهم اذا لم يتطوعوا في خمس الخمس المرصد للمصالح العامة ويدخل في لفظ العامل العريف والكتّاب والحاسب والحافظ للأموال والنقل الذي ينقل المال من موضع الى موضع وكذلك القسام والحاشر الذي يجمع أرباب الأموال قال المسعودي وكذا الختدي هؤلاء يدخلون في اسم العامل ولهم سهم من الزكاة ولا يزداد واحد منهم على أجرة المثل فان فضل شيء من الثمن على أجرة مثلهم رد على بقية الأصناف وان نقص كمل من المصالح .

الصف الرابع المؤلفة قلوبهم قال في الروضة وهم ضريان كقار ومسلمون فالكتّار قسمان قسم يميلون الى الاسلام ويرغبون فيه باعطاء مسلم وقسم يخاف شرهم فيألفون لدفع شرهم فلا يعطى القسمان من الزكاة قطعا ولا من غيرها على الأظهر وفي قول يعطون من

خمس الخمس وأشار بعضهم إلى أنه لا يعطون إلا أن ينزل بالمسلمين نازلة وأما مؤلفة المسلمين فأصناف صنف دخلوا في الإسلام ونيهم
ضعيفة فيألفون ليشبوا وآخرون لهم شرف في قومهم يطلب بأنفهم إسلام نظائرهم وفي هذين الصنفين ثلاثة أقوال أحدها لا يعطون من سهم
المصالح والثالث من الزكاة وصنف يراد بأنفهم أن يجاهدوا من يليهم من الكفار أو من مانعي الزكاة ويقتضوا زكاتهم فهو لا يعطون قطعا
ومن أين يعطون فيه أقوال أحدها من خمس الخمس والثاني من سهم المؤلفة والثالث سهم الغزاة والرابع قال الشافعي رحمه الله يعطون من
سهم المؤلفة وسهم الغزاة فقال طائفة من الأصحاب على هذا الرابع يجمع السهمين للشخص الواحد وقال بعضهم المراد أن كان التآلف لقتال
الكفار فمن سهم الغزاة وإن كان لقتال مانعي الزكاة فمن سهم المؤلفة وقال آخرون معناه يتخير الإمام لمن شاء من ذا السهم وإن شاء من ذلك
وربما قيل إن شاء جمع السهمين وحكى وجه أن التآلف لقتال مانعي الزكاة وجامعها يعطي من سهم العاملين وأما الأظهر من هذا الخلاف
في الأصناف فلم يتعرض له الأكثرون بل أرسلوا الخلاف وقال الشيخ أبو حامد في طائفة الأظهر من القولين في الصنفين الأولين أنهم لا يعطون
وقياس هذا أن لا يعطى الصنفان الآخران من الزكاة لأن الأولين أحق باسم المؤلفة من الآخرين لأن في الآخرين معنى الغزاة العاملين وعلى
هذا فيسقط سهم المؤلفة بالكلية وقد صار إليه من المتأخرين الروابني وجماعة لكن الموافق لظاهر الآية ثم لسياق الشافعي والأصحاب
أثبت سهم المؤلفة وأنه يستحقه الصنفان وأنه يجوز صرفه إلى الآخرين أيضا وبه أفتى أقضى القضاة الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية
الصف الخامس المكاتبون فيدفع إلى السيد سهم المكاتب بأذنه على الأحرار والأفضل ولا يجوز بغير إذن المكاتب لأنه
المستحق لكن يسقط عن المكاتب بقدر المعروف لأن من أدى دين غيره بغير إذنه برئت ذمته قال النووي وكون الدفع إلى السيد أحوط
وأفضل هو الذي أطلقه جماهير الأصحاب وقال الشيخ نصر المقدسي إن كان الحاصل آخر النجوم يحصل العتق فالدفع إلى السيد بإذن
المكاتب أفضل وإن حصل دون ما حصل عليه لم يستحب دفعه إلى السيد لأنه إذا دفعه إلى المكاتب أخرج فيه ونما فهو أقرب إلى العتق انتهى
وإن دفع إلى المكاتب بغير إذن السيد جاز ولو استغنى المكاتب عما أعطينا وعتق ببيع السيد باعتاقه أو بآبائه أو بآداء غيره عنه أو
بأدائه هو من مال آخر وبقي مال الزكاة في يده فوجها أن أصحابها يسترد منه لعدم حصول المقصود بالمدفوع وإن كان قد تلف المال في يده
بعد العتق غرمه وإن تلف قبله فلا على الصحيح قال في الوسيط وكذا لو تلفه وإذا عجز المكاتب وكان المال في يده استرد وإن كان تالفا
لزمه غرمه على الأصح وهل يتعلق بذمته أو برقبته وجها أن أصحابها يسترد منه ونقل بعض الأصحاب عن الإمام أن للمكاتب أن يتفق ما أخذ
ويؤدى النجوم من كسبه ومنعه صاحب الشامل وقطع به ونقله صاحب البيان عنه ولم يذكر غيره قال النووي وهذا أقيس من قول الإمام
وقال البغوي في الفتاوى لو اقترض ما أدى به النجوم فحق لم يصرف إليه من سهم الرقاب ولكن من سهم الغارمين ولا يدفع السيد زكاته إلى
مكاتب نفسه على الصحيح لأنه يعد عبدا له فتعود الفائدة إليه.

الصف السادس الغارمون والغارم هو الذي استقرض في طاعة أو مباح وهو فقير فان استقرض في معصية كالخمر والإسراف
في النفقة فلا يعطى قبل التوبة على الصحيح إلا إذا تاب فإنه يعطى وإن كان غنيا لم يقض دينه من سهم الغارمين إلا إذا كان قد استقرض
لإصلاح ذات البين أو أطفاء فتنة فينظر إن كان ذلك في دم تنازع فيه قيلتان ولم يظهر القاتل فتحمل الدية يقضى دينه من سهم الغارمين
فقيرا أو غنيا ولو تحمل فيه ما لا تملك أعطى مع الغنى على الأصح.

* فروع * الأول إنما يعطي الغارم عند بقاء الدين فأما إذا أداه من ماله فلا يعطى لأنه لم يبق غارما وكذا لو بذل ماله ابتداء لم
يعط لأنه ليس غارما الثاني قال أبو الفرج السرخسي ما استدانه لعمارة المسجد وقرى الضيف حكمه حكم ما استدانه لمصلحة نفسه

وحكى الرويانى عن بعض الأصحاب انه يعطى لهذا مع الغنى بالعقار ولا يعطى مع الغنى بالنقد قال الرويانى هذا هو الاختيار الثالث يجوز الدفع الى الغريم بغير اذن صاحب الدين ولا يجوز الى صاحب الدين بغير اذن المدين لكن يسقط من الدين قدر المصروف ويجوز الدفع إليه باذن المدين وهو أولى إلا إذا لم يكن وافيًا وأراد المدين أن يتجر فيه الرابع لو أقام بينة أنه غرم وأخذ الزكاة ثم بان كذب الشهود ففي سقوط القرض القولان المذكوران فيمن أدى إلا من ظنه فقيرا فبان غنيا قاله إمام الحرمين الخامس لو دفع إلى رجل وشرط أن يقضيه ذلك عن دينه لم يجز مطلقا ولا يصح قضاء الدين بها فلونوا ذلك ولم يشترط جاز قال في التهذيب ولو قال المدين يدفع إلى من زكاته حتى أقضيت دينك ففعل أجزاءه عن الزكاة ولا يلزم المدين دفعه إليه عن دينه ولو قال صاحب الدين اقض ما عليك لأرده عليك من زكاتي ففعل صح القضاء ولا يلزم رده السادس لو مات رجل وعليه دين ولا وفاء له ففي قضائه من سهم الغارمين وجهان حكاهما صاحب البيان ولم يبين الأصح والأصح الأشهر لا يقضى منه السابع لو ضمن دية مقولة عن قاتل لا يعرف أعطى مع الفقر والغنى وإن ضمن عن قاتل معروف لم يعط مع الغنى حكاه صاحب البيان عن الصيمرى .

الصف السابع الغزاة الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المرتقة فيصرف إليهم سهم وإن كانوا أغنياء إعانة لهم على الغزوة قال مالك وأحمد يأخذ الغني منهم كما يأخذ الفقير وقال أبو حنيفة هذا السهم مخصوص بجنس خاص من الغزاة وهو الفقير المنتقطع منهم وبه فسر في سبيل الله وبه قال أبو يوسف وهو المفهوم من اللفظ عند الإطلاق فلا يصرف إلى أغنياء الغزاة واختاره النسفي فقال الاسييجانى هو الصحيح وقال الاتقانى هو الأظهر واقتصر عليه كثيرون ذكره الزبيدي .

الصف الثامن ابن السبيل سمي به من يأتي ذكره للملازمة له فصار كأنه ولده كما يقال الصوفي ابن وقته وهو شخصان أحدهما الذي خرج من بلده أو بلد كان مقيما به منشأ للسفر فهذا يعطى قطعا ويشترط أن يكون سفرة في غير معصية فيعطى في سفر الطاعة وكذا في المباح كالتجارة وطلب الآبق على الصحيح فإن قلنا يعطى في المباح ففي سفر التنزه وجهان لأنه ضرب من الفضول والأصح أنه يعطى الثاني غريب اجتاز في البلد فيعطى أيضا على المذهب لكن إن كان فقيرا لا مال له أصلا ولا يحتاج له في سفره وإن كان له مال ببلده آخر غير المنقل منه أعطى بقدر بلغته .

فإن قلت فبم تعرف هذه الصفات قلنا أما الفقر والمسكنة فبقول الآخذ ولا يطالب فيهما بينة لفسرها لأنهما من الصفات الخفية لكن إن عرف له مال فادعى هلاكه طوبى بالينة لسهولتها ولم يفرقوا بين دعواه الهلاك بسبب خفي كالسرقة أو ظاهر كالخرق وإن قال لي عيال لا يفي كسبي بكمايتهم طوبى بالينة على العيال على الأصح ولو قال لا كسب لي وحاله يشهد بصدقه وإن كان شيخا كبيرا أو زمنا أعطى بلاينة ولا يخلف وإن كان قويا جلدا بل يجوز اعتماد قوله إذا لم يعلم كذبه بشهادة الحال وأما الغزو والسفر فهو أمر مستقبل فيعطى الغازى بقوله أنى غاز وابن السبيل بقوله أنى مسافر بلاينة ولا يمين فإن لم يف الغازى ولم يحقق الموعود به بأن يخرج للغزو استرد منه وكذا ابن السبيل وأما بقية الأصناف فلا بد فيها من البينة فإذا ادعى العامل العمل طوبى بالينة لسهولتها ويطالب بها المكاتب والغارم فلو صدقهما المولى وصاحب الدين كفى على الأصح ولو كذبه المقر له لقا الإقرار وأما المؤلف قلبه فإن قال نيتى في الإسلام ضعيفة قبل قوله لأن كلامه يصدقه وإن قال أنا شريف مطلع في قولى طوبى بالينة وكذا فصله جمهور الأصحاب ومنهم من أطلق أنه يطالب بالينة ويقوم مقام البينة الاستقاضة باشتهار الحال بين الناس لحصول العلم أو غلبة الظن ويشهد لما ذكرنا من اعتبار غلبة الظن ثلاثة أمور أحدها لو أخبر عن الحال واحد يبعد قوله كفى قاله بعض الأصحاب الثاني قال الإمام رأيت للأصحاب رمزا إلى تردد في أنه لو حصل الوثوق بقول

فلو أعطاهما لكافر أو عبد غير مكاتب أو مكفى بنفقة زوج أو قريب أو غني ملك كفاية العمر الغالب أو وجد كسبا لانفا حلالا يقع موقعا من حاجته أو لها شمي أو مطلبى أو مواليهما لم يقع عن الزكاة

من يدعى الغرم وغلب على الظن صدقه هل يجوز اعتماده الثالث لا يعتبر في اليقنة في هذه المواضع سماع القاضي والدعوى والانكار والشهاد بل المراد اختبار عدلين حكاه بعض المتأخرين.

﴿فلو أعطاهما﴾ أي الزكاة ولو كانت فطرة ﴿لكافر﴾ لافرق فيه بين أن يكون أصليا أو مرتدا ﴿أو﴾ أعطاهما لـ ﴿عبد﴾ ولو مبعضا ﴿غير مكاتب﴾ أما هو فيأخذ لدخوله في الآية المذكورة ﴿أو﴾ أعطاهما لـ ﴿مكفى بنفقة زوج أو قريب﴾ من أصل أو فرع ﴿أو﴾ أعطاهما لـ ﴿غنى﴾ وهو من ﴿ملك كفاية العمر الغالب﴾ على الأصح يعنى من عنده مال يكفيه العمر الغالب بحيث لو وزع عليه لخص كل يوم ما يكفيه وقيل من ملك كفاية سنة ﴿أو﴾ من ﴿وجد كسبا لانفا حلالا يقع موقعا من حاجته﴾ وخرج بالاتفاق به غيره وبالحلال ما إذا كان له كسب حرام كأن يصطنع آلة اللهو المحرمة ويقول يقع موقعا من حاجته ما إذا لم يقع موقعا منها فلا عبرة بذلك ويعطى من الزكوات ﴿أو﴾ أعطاهما لـ ﴿هاشمي أو مطلبى﴾ وهما من اتسب لهاشم والمطلب وإن لم يكن شريفا كالعباسية والعلوية والاشراف خصوص أولاد على كرم الله وجهه من فاطمة رضي الله عنها ﴿أو مواليهما﴾ أي عتاقهما للخبر الصحيح مولى القوم منهم ﴿لم يقع﴾ ما أعطاه لمن ذكر وهذا جواب لو ﴿عن الزكاة﴾ لأن شرط الأخذ بالاسلام وتام الحرية نعم يجوز كما قاله الرملى استجارا كافر وعبد كإل أوحال أو حافظ أو نحوهم من سهم العامل لأنه أجره لازكاة انتهى وبذلك يتدفع توقف الشويرى هنا وشرطه أيضا عدم كونه هاشميا ولا مطلبيا ولا مولى لهم فلا يعطون وإن منعوا حقهم من خمس الخمس لخبر مسلم أن هذه الصدقات أي الزكوات إنما هي أو سأل الناس وإنها لا تحل لمحمد ولا آل محمد وكالزكاة كل واجب ككفارة ونذر بناء على أنه يسلك به مسلك واجب الشرع فيحرم عليهم الأضحية الواجبة والجزء من أضحية التطوع وغيرها وحرم عليه ﷺ الكل لأن مقامه أشرف وحلت له الهدية لأنها شأن الملوك.

وبقيت هنا مسائل ينبغي التنبيه لها فمنها قال الحنفية لا يجوز أن يبنى بالزكاة المسجد لأن التملك شرط فيها ولم يوجد وكذا لا تبنى القناطر والسقايات وأصالح الطرقات وكل ما لم تملك فيه وبه قال مالك والشافعي وأحمد ومنها أنه لا يجوز عند الحنفية أن يكفن بها ميت ولا يقضى بها دين الميت لانعدام ركنها وهو التملك وبه قال مالك والشافعي وأحمد أما لتكفين فظاهر لاستحالة تملك الميت ولهذا لو تبرع شخص بكفنه ثم أخرجه السباع وأكلته يكون الكفن للمتبرع به لا لورثة الميت وأما قضاء دينه فان قضاء دين الحي لا يقضى التملك من المدين بدليل أنهما لو تصدقا أن لادين عليه يسترده الدافع وليس للمدين أن لا يأخذه وذكر السرجي في شرح الهداية معزنا إلى المحيط والمفيد أنه لو قضى بها دين حي أو ميت بأمره جاز.

ومنها أنه لا يجوز أن يشتري بها عبدا فيعتق خلافا لما لك فإنه قال تعتق منها الرقبة ويكون الولاء للمسلمين والحيلة في هذه الأشياء أن تصدق بها على الفقير ثم يأمره أن يفعل هذه الأشياء فيحصل له ثواب الصدقة ويحصل للفقير ثواب هذه القرب.

ومنها أنه لا يجوز دفعها إلى أصوله وهم الأبوان والجدود والجدات من قبل الأب والأم وإن علوا ولا إلى فروعه وإن سفلا لأن بين الأصول والفروع اتصالا في المنافع لوجود الاشتراك ما بينهم عادة خلافا لما لك فإنه قال من وراء الجد والجددة يجوز دفعها إليهم وكذلك إلى بني البنين لسقوط نفقتهم عنده.

﴿وحكى﴾ الحصني أنه كان بعض الناس يخرج زكاته ثلاث مرات ويقول يحتل أن الذي أخذها غير مستحق ومن يقدر على هذه العقوبات فبادر يا ابن آدم إلى تخليص ذمك بأداء زكاة مالك قبل أن يأتي بغتة عذاب ربك .

﴿فصل﴾ في صدقة التطوع

ومنها أنه لا يجوز عند الحنفية دفعها إلى زوجته كما لا يجوز لها دفعها إلى زوجها وفي الثانية خلاف الشافعي وأبي يوسف .
 محمد ومنها أنه لا يجوز دفعها إلى الطفل الغني لأنه يعد غنياً يسار أبيه بخلاف ما إذا كان كبيراً لأنه يعد غنياً بماله أي أنه كان تفتته .
 عليه ولا فرق في ذلك بين الذكر والأنثى وبين أن يكون في عيال الأب أو لم يكن في الصحيح وبخلاف امرأة الغني لأنها لا تعد غنية يسار الزوج .
 يقدر النفقة لا تصير موسرة ومنها أنه إذا تحرى وغلب على ظنه أنه مصرف ودفع فهو جائز أصاب أو أخطأ عند أبي حنيفة ومحمد .
 خلافاً لأبي يوسف إذا تبين خطؤه وإذا دفعها ولم يخطر بباله أنه مصرف أم لا فهو على الجواز إلا إذا تبين أنه غير مصرف وإذا دفعها وهو ناك ولم يتحر أو تحرى ولم يظهر له أنه مصرف أو غلب على ظنه أنه ليس بمصرف فهو على الفساد إلا إذا تبين أنه مصرف كذا في الإتحاف .
 ﴿وحكى﴾ العلامة تقي الدين ﴿الحصني﴾ رحمه الله ﴿أنه كان بعض الناس يخرج زكاته ثلاث مرات ويقول إن الذي أخذها غير مستحق﴾ للزكاة فعوقبنا وذلك لأنه شك أنه مصرف أو غلب على ظنه أنه ليس بمصرف وحينئذ فهو فساد كما مر ولذا قال البعض ﴿فمن يقدر﴾ أي لا أحد يقدر ﴿على هذا العقوبات﴾ قال الحصني ﴿فبادر يا ابن آدم إلى تخليص ذمك لأداء زكاة مالك قبل أن يأتي غتة﴾ أي فحاجة ﴿عذاب ربك﴾ نعوذ بالله من ذلك .

* خاتمة * يسن كما قاله الخطيب في شرح المنهاج للمستحق والساعي للدعاء للمالك عند الأخذ ترغيباً له في الخير وتطيباً .
 تلبه وقال تعالى وصل عليهم أي ادع لهم ولا يتعين دعاء الأولي أن يقول ما استحبه الشافعي رحمه الله أجرك الله فيما أعطيت وجعله لك ظهوراً وبارك لك فيما أبقيت وقال في الأذكار يستحب لمن دفع زكاة أو صدقة أو نذراً أو كفارة ونحو ذلك أن يقول ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم فقد أخبر الله سبحانه وتعالى بذلك عن إبراهيم وإسماعيل صلى الله عليهما وسلم وعن امرأة عمران والله أعلم .

﴿فصل في﴾ فضيلة ﴿صدقة التطوع﴾

اعلم أن الصدقة اسم من تصدقت على الفقراء والجمع الصدقات وتصدق بكذا أعطاه صدقة والفاعل متصدق ومنهم من يخفف بالبدل والادغام فيقول مصدق واختلف في اشتقاقها قيل من قولهم رمح صدق أي صلب سميت به لأن خروجها عن النفس شدة وكراهة وقيل غير ذلك وقال أبو الحسن الحراني الصدقة الفعلة التي يدوبها صدق الإنسان بالغيب من حيث أن الرزق غيب وقال ابن الكمال هي العطية يتغني بها المثوبة من الله وقال الراغب هو ما يخرج الإنسان من ماله على وجه القرية كالزكاة لكن الصدقة في الأصل يقال للتطوع به والزكاة للواجب ويقال لما يسامح به الإنسان من حقه تصدق به نحو قوله فمن تصدق به فهو كفارة له وقوله وأن تصدقوا فهو خير لكم فإنه أجرى ما يسامح به المحسن مجرى الصدقة .

والتطوع لئلا تكلف الطاعة وعرفاً التبرع بما لا يلزم كالنفل قال فمن تطوع خيراً فهو خير له ذكره الراغب وقال ابن الكمال التطوع زيادة على الفرض والواجب هذا ما يتعلق بالظاهر وأما ما يتعلق بأسرارها فقد قال الله تعالى آمروا عباد الله أقوموا الصلاة وأتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسناً فالقرض هنا صدقة التطوع وورد الأمر بالقرض كما ورد بإعطاء الزكاة والفرق بينهما أن الزكاة مؤقتة بالزمان والنصاب والأصناف الذين تدفع إليهم والقرض ليس كذلك وقد تدخل الزكاة هنا في القرض فكأنه يقول وأتوا الزكاة قرضاً لله بها فيضاً عنها

﴿وأخرج الطبراني عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدقوا فإن الصدقة فكاكم من النار﴾ * والشيخان عن عدي بن حاتم اتقوا الله ولو بشق تمره فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة * والقضاعي عن أبي هريرة الصدقة تمنع مئة سوء * والطبراني عن عقبة بن عامر أن الصدقة تطفي عن أهلها حر القبور وإنما يستظل المؤمن يوم القيامة في ظل صدقة *

لكم فالقرض الذي لا يدخل في الزكاة غير مؤقت لافي نفسه ولا في الزمان ولا بصنف من الأصناف والزكاة المشروعة والصدقة لفظان بمعنى واحد قال تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وقال تعالى إنما الصدقات للفقراء فسماها صدقة فالواجب منها يسمى زكاة وصدقة وغير الواجب يسمى صدقة التطوع ولا يسمى زكاة شرعاً لم يطلق عليه الشرع هذه اللفظة مع وجود المعنى فيها من النور والبركة والتطهير.

﴿أخرج الطبراني﴾ وأبو نعيم ﴿عن أنس﴾ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدقوا فإن الصدقة فكاكم من النار ﴿أي خلاصكم من نار جهنم قال العزيزي ورجاله ثقات﴾ و﴿أخرج﴾ الشيخان ﴿وأحمد﴾ عن عدي بن حاتم اتقوا النار ﴿أي اجعلوا بينكم وبين نار جهنم وقاية من الصدقات وأعمال البر﴾ ولو ﴿كان الاتقاء﴾ بشق تمره ﴿بكسر الشين المعجمة أي جانبها أونصفها فانه قد يسد الرق سبباً للطفل فلا يحترق المصدق ذلك وقد ذكر التمرة دون غيرها كقصة لأن التمر غالب قوت الحجاز والاتقاء من النار كناية عن محو الذنوب ان الحسنات يذهبن السيئات اتبع السيئة الحسنة ﴿فان لم تجدوا﴾ ما تصدقوا به حتى القليل لفقده حاساً أو شرعاً كأن اجتماعه لمن تلزمكم نفقته ﴿فبكلمة﴾ أي فاتقوا النار بكلمة ﴿طيبة﴾ تطيب قلب السائل بأن يتلطف به بالقول أو بالفعل فانها سبب للنجاة من النار.

* تكميل * روى أن عائشة رضي الله عنها اشترت جارية فنزل جبريل وقال يا محمد أخرج هذه الجارية من بيتك فانها من أهل النار فأخرجتها عائشة رضي الله عنها ودفع لها شيئاً من التمر فأكلت الجارية نصف تمره ودفعت النصف لفقير رآته في الطريق فجاء جبريل وقال يا محمد ان الله تعالى يأمرك ان ترد الجارية فان الله تعالى قد أعنتها من النار لأنها تصدقت بنصف تمره وفي هذا الحديث حث على الصدق ولو بما قل وأن اليسير من الصدقة يستر المصدق من النار.

﴿و﴾ أخرج ﴿القضاعي﴾ في مسند الشهاب ﴿عن أبي هريرة﴾ وهو حديث ضعيف كما في شرح العزيزي ﴿الصدقة تمنع مئة سوء﴾ بكسر الميم للهية ثم بفتح السين أي الموت بحالة وهيئة شنيعة كال موت حرقاً وهدماً ونحو ذلك وأقبح ذلك الموت على غير الاسلام والعباد بالله .

* تنبيه * قال المناوي قال أبو زرعة ليس معناه أن العبد يقدر له مئة سوء قد دفعها الصدقة بل الاسباب مقدرة كما أن المسيئات مقدرة فمن قدر له المئة سوء لا تقدر له الصدقة

﴿و﴾ أخرج الطبراني عن عقبة بن عامر أن الصدقة تطفي عن أهلها ﴿أي عن المصدقين بها الوجه الله تعالى خالصاً﴾ حر القبور ﴿أي عذابها وكرها فكما أن المصدق أطفأ بصدقة حرارة الجوع جوزى بنظيره جزاء وقال مكحول التابعي رحمه الله تعالى اذا تصدق المؤمن استأذنت جهنم أن تسجد لله شكراً على خلاص واحد من أمة محمد ﷺ من عذابها﴾ وإنما يستظل المؤمن يوم القيامة من حر الموقف ﴿في ظل صدقة﴾ قال الحنفى يحتمل انه حقيقة فبحسب صدقة وتكون فوق رأسه كالسحاب أو أنه كناية عن الراحة يوم القيامة من كل ما يؤذي.

والبيهقي عن أبي هريرة من أطعم أخاه المسلم شهوته حرمه الله على النار * والنسائي والحكم عن ابن عمر من أطعم أخاه الخبز حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق كل خندق سبع مائة عام وفي رواية ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام * والنسائي عن ابن عباس ما من مسلم كسا مسلما ثوبا إلا كان في حفظ الله تعالى ما دام عليه منه خرقة * والعقيلي عن ابن عمر كم من خوراء عينا ما كان مهرها إلا قبضة من حنطة أو مثلهما من تمر *

﴿و﴾ أخرج البيهقي عن أبي هريرة من أطعم أخاه المسلم شهوته حرمه الله على النار ﴿﴾ قال المناوي أي ناز الخلود التي أعدت للكافرين انتهى وهذه محرمة على كل مسلم فالظاهر أن المراد على الذي استحق التعذيب بها على ذنب هذا الفعل ككافره ويمكن حمل كلامه على أن الفعل علامة على حسن الخاتمة وفيه بشارة بالموت على الإيمان لمن أطعم المسلم شيئا يشبهه وفي الحديث من لئذ أخاه بما يشتهي كب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وأطعمه الله من ثلاث جنات جنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد وزوي أن أبي بن كعب قال للبراء بن مالك رضى الله عنهما ما تشتهي قال سويقا وتمر فأطعمه حتى أشبعه فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال إن المرأ إذا فعل ذلك بأخيه لوجه الله لا يريد بذلك جزاء ولا شكورا بعث الله إلى منزله عشرة من الملائكة يسبحون الله ويهللونه ويكبرونه ويستغفرون له حولا كاملا فإذا كان الحول كب الله له مثل عبادة أولئك الملائكة وحق على الله أن يطعمه من طيبات الجنة في جنة الخلد وعن أنس بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ من أشبع جائعا أو كسا عاريا أو آوى مسافرا أعاده الله من أهوال يوم القيامة وأخرج الطبراني عن أنس بن مالك ﷺ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقم أخاه لقمة حلواء صرف الله عنه مرارة الوقوف يوم القيامة.

﴿و﴾ أخرج النسائي والحاكم والبيهقي والخراطي في مكارم الأخلاق ﴿عن ابن عمر﴾ رضى الله عنهما ﴿من أطعم أخاه الخبز حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه﴾ من ذلك الماء ﴿بعده الله من النار سبع خنادق﴾ جمع خندق بوزن جعفر وهو في الأصل حفير حول أسوار المدن معرب كدة كما في القاموس ﴿كل خندق سبع مائة عام وفي رواية﴾ للطبراني ﴿ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام﴾ أي سنة سميت بذلك لأن الشمس تعوم في جميع بروجها قال ابن خنبان ليس هذا من حديث رسول الله ﷺ وقال الذهبي غريب منكر ذكره الحافظ العراقي ﴿و﴾ أخرج النسائي عن ابن عباس ﴿ما من مسلم كسا مسلما ثوبا إلا كان في حفظ الله تعالى ما دام عليه منه﴾ أي من الثوب ﴿خرقة﴾ أي رقعة وكذلك رواه الترمذي وقال حسن غريب ومن طريقه الحاكم وصححه وعند أبي الشيخ في كتاب الثواب عن ابن عباس من كسا مسلما ثوبا لم يزل في ستر الله ما دام عليه منه خيط أو سلك وعند ابن النجار بلفظ من كسا مسلما ثوبا كان في حفظ من الله ما بقى عليه منه خرقة قال الطين وأما لم يقل في حفظ الله ليدل على نوع من تفخيم وشيوع هذا في الدنيا وأما في الآخرة فلا حصر ولا عد لثوابه واحتج بهذا الحديث في تفصيل الغنى على الفقر لأن النفع والإحسان صفة الله وهو يجب من اتصف بشيء من صفاته فصفته الغنى الجواد قاله الزبيدي.

﴿و﴾ أخرج العقيلي عن ابن عمر ﴿رضى الله عنهما بإسناد ضعيف﴾ كم من خوراء ﴿أي ذات خوراي يابض عينا﴾ أي واسعة الغنن ﴿ما كان مهرها إلا قبضة من حنطة أو مثلهما﴾ بالنصب عطفا على قبضة ﴿من تمر﴾ أي ما كان مهرها إلا الصدق بذلك على الفقراء.

وأبو داود والترمذي عن ابن سعيد الخدري أنما مؤمن أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة وأنما مؤمن سقى مؤمنا على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم وأنما مؤمن كسا مؤمنا على عرى كساه الله يوم القيامة من حلل الجنة * وأبو داود وابن حبان عن أبي سعيد لأن تصدق الرجل في حياته وصحته بدرهم خير من أن تصدق بمائة عند موته * والشيخان عن حارثة تصدقوا فسيأتي عليكم زمان يمشي الرجل بصدقه فيقول الذي يأتيه بها لو جئت بالأس لقبلتها فأنما الآن فلا حاجة لي فيها فلا يجد من قبلها *

﴿و﴾ أخرج ﴿أبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري﴾ ﴿بإسناد حسن﴾ ﴿أنما مؤمن أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة وأنما مؤمن سقى مؤمنا على ظمأ﴾ ﴿أي عطش﴾ ﴿سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم﴾ ﴿أي سقى من خير الجنة الذي ختم عليه بمسك جزاء وفاقا إذ الجزاء من جش العمل﴾ ﴿وأنما مؤمن كسا مؤمنا على عرى﴾ ﴿أي عند حاجته إلى الكسوة لدفع حر أو برد أو ليجمل وإن لم يكن مكشوف العورة﴾ ﴿كساه الله يوم القيامة من حلل الجنة﴾ ﴿قال المناوي والمراد أنه يخص بنوع من ذلك والا فكل من دخل الجنة كساه الله من ثيابها وأطعمه وسقاه من ثمرها وخرمها انتهى ويحتمل أنه ينال ذلك قبل غيره ممن لم يتصف بهذه الصفات قاله العزيزي.

﴿و﴾ أخرج ﴿أبو داود وابن حبان عن أبي سعيد﴾ ﴿بإسناد صحيح﴾ ﴿لأن تصدق الرجل في حياته وصحته﴾ ﴿قبل مرض موته﴾ ﴿بدرهم خير من أن تصدق بمائة عند موته﴾ ﴿لأنه أشق على النفس تخويف الشيطان له من الفقر وطول الأمل فالصدقة حينئذ فيها مزيد قهر للنفس والشيطان وقصر الأمل والوثوق بما عند الله والأجر على قدر النصب﴾ ﴿و﴾ أخرج أحمد و﴿الشيخان﴾ والنسائي ﴿عن حارثة﴾ ﴿بن وهب الخزازي ريب عمر بن الخطاب﴾ ﴿تصدقوا فسيأتي عليكم زمن يمشي الرجل﴾ ﴿أي الإنسان﴾ ﴿بصدقه فيقول الذي يأتيه بها لو جئت بالأس لقبلتها فأنما الآن فلا حاجة لي فيها﴾ ﴿أي بصدقه﴾ ﴿فلا يجد﴾ ﴿الرجل﴾ ﴿من قبلها﴾ وهذا كما قاله بعض شراح البخاري إنما يكون في الوقت الذي يستغنى الناس فيه عن المال لاشتغالهم بأنفسهم عند الفتنة وهذا في زمن الدجال أو يكون ذلك لغرطال من والعدل البالغ بحيث يستغنى كل أحد بما عنده عما عند غيره وهذا يكون في زمن المهدي وعيسى أما عند خروج النار التي تسوقهم إلى الحشر فلا تلتفت أحد إلى شيء بل يقصد نجاة نفسه ومن استطاع من أهله وولده خلافا لمن قال المراد زمن عمر بن عبد العزيز فإنه لكثرة عدله يستغنى الناس عن أخذ الصدقات ورده بعضهم بأن زمان ابن عبد العزيز ليس من أشراف الساعة والوارد أن ذلك من أشرافها.

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تقتل فتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتها واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحتى يقبض القلم وتكثر الزلازل وتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من قبل صدقه وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي فيه وحتى يطاول الناس في البيان وحتى يمر الرجل فيقول يا ليتني مكانه وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطاويانه ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل لبن لقحه فلا يطعمه ولتقوم الساعة وهو يلبط حوضه فلا يسقى منه ابله ولتقوم الساعة وقد رفع أكله إلى فيه فلا يطعمها.

والبيهقي عن أبي هريرة ما فتح رجل باب عطية بصدقة أو صلة إلا زاده الله بها كثرة وما فتح عبد باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله بها قلة * والطبراني عن أبي أمامة لولا أن المساكين يكذبون ما أفلح من ردهم * والبيهقي عن ابن عمر من سئل بوجه الله فأعطى كذب له سبعون حسنة * واحمد والترمذي عن سليمان بن عامر الصدقة على المساكين صدقة وهي على ذي الرحم ثمان صدقة وصلة * وابن حبان صدقة السر تطفى غضب الرب

﴿و﴾ أخرج ﴿البيهقي عن أبي هريرة﴾ رواه عنه أحمد ورجاله رجال الصحيح ﴿ما فتح رجل باب عطية بصدقة أو صلة﴾ عطف خاص لأن صلة الرحم صدقة أيضا ﴿إلا زاده الله كثرة﴾ في ماله بأن يبارك له فيه ﴿وما فتح عبد﴾ وفي رواية رجل ﴿باب مسألة﴾ أي طلب من الناس ﴿يريد بها كثرة﴾ في معاشه ﴿إلا زاده الله بها قلة﴾ بأن يمحى البركة منه ويحوجه حقيقة إلى أرذل الناس قال الحنفى المقصود من هذا الحديث أنه ينبغي للشخص أن لا يطالب شيئا من المال إلا لحاجة نفسه أو عياله فان الله تعالى يبارك له حينئذ في ماله فان طلبه لكثير ماله نزع الله البركة من ماله .

﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني عن أبي أمامة﴾ بإسناد ضعيف ﴿لولا أن المساكين يكذبون﴾ في دعواهم الفاقة والحاجة ﴿ما أفلح من ردهم﴾ مع تمكنه من إعطائهم فمن ردهم له نوع عذر لكذبهم غالبا فقد سمعت عائشة رضى الله عنها سائلا يقول من يعشيني وله من ثمر الجنة فنعشه فذهب يقول ما ذكر ثانيا فقالت أنه ليس بمسكين بل تاجر أى قصد تحصيل الدنيا قاله الحنفى .

﴿و﴾ أخرج ﴿البيهقي عن ابن عمر﴾ رضى الله عنهما بإسناد حسن ﴿من سئل بوجه الله﴾ أى بذاته وفي رواية بالله أى بقدرة الله أو بمحبة الله ﴿فأعطى﴾ السائل ﴿كذب له سبعون حسنة﴾ قال المناوى المراد بسبعين الكثير لا التجديد ﴿و﴾ أخرج ﴿أحمد والترمذي﴾ والنسائي وابن ماجه والحاكم ﴿عن سلمان بن عامر﴾ بإسناد صحيح ﴿الصدقة على المساكين﴾ الأجانب وفيه شمول للفقير ﴿صدقة﴾ فقط ﴿وهى على ذى الرحم﴾ صدقتان ﴿ثمان صدقة وصلة﴾ فهى عليه أفضل لكن هذا غالبا وذلك لأنه قد تكون الصدقة على الأجنبى أفضل كأن كان مضطرا والقريب غير محتاج إليها .

﴿و﴾ أخرج ﴿ابن حبان﴾ عن أنس ﴿صدقة السر تطفى غضب الرب﴾ أى تمتنع انتقامه الذى شبيه بالنار في العذاب عن استحقاقه أن الحسنات يذهبن السيئات قال الطيبى يمكن حمل إطفاء الغضب على المنع من انزال المكروه في الدنيا ووخامة العاقبة في العقبى من إطلاق السبب على المسبب كأنه نفى الغضب وأراد الحياة الطيبة في الدنيا والجزاء الحسن في العقبى انتهى وروى الترمذي عن أنس بن مالك مرفوعا أن الصدقة تطفى غضب الرب وتدفع عن مية سوء وقال حسن غريب قال في الشريعة فهذا من آثار الصدقة الدفع وإطفاء نار الغضب فان الله يغضب يوم القيامة غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله على الوجه الذى يليق بحلاله فان الغضب الذى خاطبنا به معلوم بلا شك ولكن نسبته إلى الله مجهولة لأن الغضب مجهول أو يحمل على ما ينتج في الغاضب أو يحمل على معنى آخر لانهلم نحن إذ لو كان ذلك لخطبنا بما لا نفهم فلا يكون له أثر فبنا ولا يكون موعظة فان المقصود الإفهام بما يعلم ولكن انما جهلنا النسبة خاصة لجهلنا بالمنسوب إليه فاعلم ذلك .

وقد جرى لبعض العلماء من أهل المزية بالمغرب الأقصى أن السلطان رفع إليه في حقه أمور يجب قتله بها فأمر بإحضاره مقيدا ونادى في الناس أن يحضروا بأجمعهم حتى يسألهم عنه وكان الناس على كلمة واحدة في قتله والقول بكفره وزندقته فمرا الشيخ في طريقه بجبار فقال له أقرضنى نصف قرصة فأقرضه فتصدق بها على شخص عليل ثم حمل وأجلس في ذلك الجمع العظيم والحاكم قد عزم أن

وصلة الرحم تزيد في العمر وفعل المعروف يقي مقارع السوء * وابن عدي عن أبي هريرة أعطوا السائل وإن جاء على فرس *

شهد الناس فيه بما ذكر عنه أنه يقتل شر قتلة وكان الحاكم من أبغض الناس فيه فقال يا أهل البلد هذا فلان ما تقولون فيه فنطق الكل بلسان واحد أنه عدل رضا فتعجب الحاكم فقال له الشيخ لا تعجب فما هذه المسئلة بعيدة أي هول أعظم غضبك أو غضب الله وغضب النار قال غضب الله وغضب النار وأي وقاية أعظم وزنا وقد را نصف قرصة أو نصف ثمرة قال نصف قرصة قال دفعت غضبك هذا الجمع بنصف قرصة لما سمعت النبي ﷺ يقول اتقوا النار ولو بشق ثمرة وقال إن الصدقة لتطفي غضب الرب وتدفع ميتة السوء وقد فعل الله ذلك دفع عني شركم وميتة السوء بنصف رغيف مع حمار تكم وعظم صدقتي فان صدقتي أعظم من شق ثمرة وهول غضبك أقل من غضب النار وغضب الرب فتعجب الحاضرون من قوة إيمانه وأسوأ الموات أن يموت الإنسان على حالة تؤديه إلى الشقاء ولا يغضب الله الأعلى شقني فانظر أثر الصدقة كيف أثرت في غضب وفي أسوأ الموات وفي سلطان جهنم فالمصدق على نفسه عند الغضب ليس إلا بأن يملكها عند ذلك فان ملكها إياها عند الغضب صدقة عليها من حيث لا يشعر قال ﷺ ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب فان الغضب نار محرقة فهذا من صدقة الإنسان على نفسه ﴿ وصلة الرحم ﴾ أي القرابة بالتعهد والمراعاة والمواساة ونحو ذلك ﴿ تزيد في العمر ﴾ أي تبارك فيه فيصرف في الطاعات أو المراد الزيادة بالنسبة لما في صحف الملائكة أو اللوح المحفوظ فانه قد يكتب الشخص فيها قصير العمر ويحتم له بطوله وبالعكس بخلاف علم الله الأزلي فلا تغير فيه وبهذا التقرير يندفع التعارض بينه وبين فرغ ربك من ثلاث عمرك ورزقك وشقني أو سعيد .

* حكاية * اتفق أن شابا صاحب سيدنا داود عليه السلام فأخبره ملك الموت بأنه يموت بعد ثلاثة أيام فشق ذلك على سيدنا داود فلما مضت عليه ثلاثة أيام رآه سالما ثم مضى عليه شهر فتعجب من ذلك فجاءه ملك الموت وقال لما أردت قبض روحه بعد ثلاثة أيام تجلى الله تعالى علي وقال يا ملك الموت انه قبل فراغ عمره يوم خرج فوجد مسكينا فأعطاه عشرين درهما فقال له بارك الله في عمرك فاستجبت دعوته وأعطيته بكل درهم عاما ﴿ وفعل المعروف ﴾ إلى البر والفاجر قال الحفني أي فعل ما عرف شرعا بأن كان مطلوباً في الشرع ومعروفاً عند أهله بأن كان مما يثاب عليه ومنه توسيع المجلس للجلس ﴿ يقي مصارع السوء ﴾ أي السقوط في الهلكات من كل أمر مكروه وذنوب أو ديني .

* حكى * عن بعض الصالحين أنه رأى حية فقالت أجزني أجزرك الله فقال من أنت أنا من أهل التوحيد ففتح لها فاه فدخلت جوفه فاذا برجل معه سيف فسأله عنها فلم يجد لها فرج الرج من حيث جاء فقالت الحية لبعض الصالحين ان شئت ضربتك في كبدى أو غيره قال ولم قالت لأنك علمت المعروف مع غير أهله فقال لها أمهليني حتى أحفر لي قبرا فنزل عليه ملك فأطعمه شيئا فنزلت الحية قطعة قطعة فقال من أنت قال أنا المعروف الذي فعلته مع الحية وفي الحديث أن الأسد يقول اللهم لا تسلطني على أحد من أهل المعروف ﴿ وخرج ﴾ ابن عدي عن أبي هريرة ﴿ بأسناد ضعيف كما في العزيزي ﴾ أعطوا السائل أي الذي يسأل التصدق عليه ﴿ وإن جاء على فرس ﴾ يعني لا تردوه وإن جاء على حالة تدل على غناه ككونه راكبا فرسا قال شيخ الاسلام زكريا في شرح البهجة خاتمة تحمل الصدقة لغنى وكافر قال في الروضة ويستحب التزهد عنها ويكره التعرض لها وفي البيان يحرم عليه أخذها مظهرها للفاقة قال وهو حسر عليه حمل قوله ﷺ في الذي مات من أهل الصفة فوجدوا له دينارين كيان من نار قال وأما سؤالها فقال الماوردي وغيره ان كان محتاجا يحرم وإن كان غنيا بمال أو بصنعة فحرام وما يأخذه حرام انتهى واستثنى الغزالي في الأحياء من تحريم السؤال على القادر على الكسب

وهو عن جابر إذا أتاكم السائل فضعوا في يده ولو ظلما محرقا * وابن عساكر عن ابن عمر ما على أحدكم إذا أراد أن يتصدق لله صدقة تطوع أن يجعلها عن والديه إذا كانا مسلمين فيكون أجرهما لهما وله مثل مثل أجورهما بغير أن ينقص من أجورهما شيئا * والبخاري سبيع تجري للعبد وهو في قبره من علم علما أو كرى نهرا أو حفر بئرا أو غرس نخلا أو بني مسجدا أو ورث مصحفا أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته * ومسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتا في سحابة يقول اسق حديقة فلان فتبخر ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة فإذا شجرة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته فقال له يا عبد الله ما اسمك قال فلان الاسم الذي سمع في السحابة فقال له يا عبد الله لم تسألني عن اسمي قال إني سمعت صوتا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان الاسم فما تصنع فيها قال أما إذا قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأصدق بثلثه وأكل أنا وعيالي ثلثا وأرد فيها ثلثا *

مستغرق الوقت بطلب العلم (وهو) أي وأخرج ابن عدي (عن جابر) بن عبد الله قال الغزالي وهو حديث ضعيف (إذا أتاكم السائل فضعوا في يده) أي أعطوه قال الحنفى الاتيان ليس قيدا بل المدار على علم احتياجه وكذا الوضع في اليد ليس قيدا (ولو ظلما) بكسر فسكون (محرقا) قال العلقمي والظلف للبقر والغنم كالخافر للفرس والمراد أعطوا والسائل بما تيسر ولو كان شيئا قليلا (و) أخرج (ابن عساكر عن ابن عمر) بن العاص بإسناد ضعيف (ما على أحدكم إذا أراد أن يتصدق لله صدقة تطوع أن يجعلها عن والديه إذا كانا مسلمين) أي لا حرج عليه في جعلها عن أصلية المسلمين وإن علما (فيكون أجرهما لهما وله مثل أجورهما بغير أن ينقص من أجورهما شيئا) أخرج (البخاري) وسمويه عن أنس (سبيع تجرى) يعني يجري أجر من كما في رواية (العبد) المسلم (وهو في قبره) بعد موته (من علم) بالتشديد والبناء للفاعل (علما) شرعا لوجه الله (أو كرى نهرا) بقصد نفع الناس وكذا البئر (أو حفر بئرا أو غرس نخلا) أي بقصد الصدق بشره أو وقفه أما إذا غرسه بقصد تكثير ماله فليس له في سلك التفضيل انتظام (أو بني مسجدا أو ورث) بالتشديد والبناء للفاعل (مصحفا) أي خلفه لوارثه ليقرا فيه (أو ترك ولدا) أي مسلما (يستغفر له بعد موته) أي يطلب له من الله المغفرة وهذا حديث صحيح كما قاله العزري ولا ينافيه حديث إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث لأنه أخبر بالقليل ثم بالكثير على أن الثلاثة المذكورة في ذلك شاملة لهذه السبع إذا الصدقة الجارية تشمل ذلك كما قاله الحنفى .

(و) أخرج (مسلم عن أبي هريرة) (أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتا في سحابة يقول اسق حديقة فلان) الحديقة القطعة من النخل وتطلق على الأرض ذات الشجر (فتبخر ذلك السحاب) أي توجه إلى ناحية (فأفرغ ماءه في حرة) فهي بفتح الحاء المهملة أرض ذات حجارة سود (فإذا شجرة) وهو يسكون الراء وبالجميل ميل الماء من الحرة إلى السهل (من تلك الشراج) قد استوعبت ذلك الماء فتبخر (أي ذلك الرجل) الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته (وهي اسم آلة عريضة من الحديد مأخوذ من السحو وهو الكشف والإزالة) فقال له يا عبد الله ما اسمك قال فلان الاسم الذي سمع في السحابة فقال له يا عبد الله لم (أي لأى شيء) تسألني عن اسمي قال إني سمعت صوتا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان الاسم فما تصنع فيها أما إذا قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأصدق بثلثه وأكل أنا وعيالي ثلثا وأرد فيها ثلثا (وفي رواية) وأجعل ثلثه في المساكين والسائلين قال النووي وفي هذا الحديث فضل الصدقة والإحسان إلى المساكين وإنباء السبل وفضل أكل الإنسان والاتفاق على العيال .

وابن مصري عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتى سائل امرأة وفي فمها لقمة فأخرجت اللقمة فناولتها السائل فلم تلبث أن رزقت غلاما فلما ترعرع جاء ذنب فأحتمله فأخرجت تعدو في أثر الذنب وهي تقول ابني ابني فأمر الله تعالى ملكا الحق الذنب فجذب الصبي من فيه وقال قل لأمه الله يقرئك السلام قل هذه لقمة بلقمة *

﴿أخرج﴾ ابن مصري عن ابن عباس ﴿رضى الله عنهما﴾ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتى سائل امرأة وفي فمها لقمة ﴿من طعام﴾ فأخرجت المرأة ﴿اللقمة﴾ من فمها ﴿فناولته﴾ أي تلك اللقمة ﴿السائل فلم تلبث أن رزقت غلاما فلما ترعرع﴾ أي شب الغلام ومنه قول بعضهم إذا ترعرع الوالد ﴿جاء ذنب﴾ يهز ولا يهز ويقع على المذكر والأنثى وربما دخلت الهاء في الأنثى فقل ذنبه وجمع القليل أذوب مثل أفسس وجمع الكثير ذئاب وذوئان ﴿فأحتمله﴾ أي الغلام ﴿فخرجت﴾ أمه ﴿تعدو﴾ في مشيها ﴿في أثر الذنب وهي تقول ابني ابني فأمر الله تعالى ملكا﴾ وقال له ﴿الحق﴾ أي أدرك ﴿الذنب فجذب﴾ الملك ﴿الصبي من فيه﴾ أي فم الذنب ﴿وقال﴾ تعالى للملك ﴿قل لأمه﴾ أي الصبي ﴿الله يقرئك السلام قل هذه لقمة بلقمة﴾ يعني أن ابنك هذا لقمة الذنب فيسبب تصدقك لقمة الطعام أنجيئه من ذلك وقد ذكر نحو هذه اللقمة أبو الليث قال حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال خرجت امرأة ومعها صبي لها فجاء ذنب فأحتمل منها الصبي فخرجت فيأثره وكان معها رغيف فعرض لها سائل فأطعمه فجاء الذنب بصبيها حتى رده عليها فهتف هاتف هذه لقمة بلقمة.

وأخرج أبو الليث أيضا عن أبي الفرج الأزدي قال أن عيسى بن مريم عليهما السلام مر بقرية وفي تلك القرية قصار فقال أهل القرية يا عيسى إن هذا القصار يمزق علينا ثيابنا ويحبسها فادع الله ألا يرد به رزقه فقال عيسى عليه السلام اللهم لا ترد به رزقه قال فذهب القصار ليقصر الثياب ومعها ثلاثة أرغفة فجاءه عابد كان يتعبد في تلك الجبال وسلم على القصار وقال هل عندك خبز تطعمني أو ترزني حتى أنظر إليه وأشم ريحه فاني أكل الخبز منذ كذا وكذا فأطعمه رغيفا فقال يا قصار غفر الله لك ذنبك وطهر قلبك فأعطاه الثاني فقال يا قصار غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال فأطعمه الثالث فقال يا قصار بنى الله لك قصرا في الجنة فرجع القصار من العشى سالما فقال أهل القرية يا عيسى هذا القصار قد رجع فقال ادعوه فلما أتاه قال يا قصار أخبرني بما علمت اليوم فقال اتاني سيار تلك الجبال فاستطعمني فأطعمته ثلاثة أرغفة فبكل رغيف دعا لي بدعوات فقال عيسى عليه السلام هات رزمتك حتى أنظر إليها فأعطاه فتحتها فإذا فيها حبة سوداء ملجمة بلجام من حديد فقال عيسى عليه السلام يا أسود قال ليك يا نبي الله قال الست قد بعثت إلى هذا قال نعم ولكن جاءه سيار من تلك الجبال فاستطعمه فبكل رغيف أطعمه دعاه بدعوة وملك قائم يقول آمين فبعث الله تعالى إلى ملكا من الملائكة فالجنى بلجام من حديد فقال عيسى عليه السلام يا قصار استأنف العمل فقد غفر الله لك ببركة صدقتك عليه.

وروى عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت جالسة ذات يوم إذ جاءها امرأة سترت يدها في كفيها فقالت لها عائشة ما لك لا تخرجيني يدك من كحك فقالت لا تسألني يأثم المؤمن فقالت عائشة رضي الله عنها لا بد لك أن تخرجيني فقالت يأثم المؤمن إن كان له أبوان فكان أبي يحب الصدقة وأما أمي فكانت تبغض الصدقة فلم أرها تصدقت بشيء لا قطعة شحم وثوبا خلعا فلما ماتا رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت ورأيت أمي قائمة بين الخلق والخلفة موضوعة على عورتها ورأيت الشحمة بيدها وهي تلحسها وتنادي واعطشاه ورأيت أبي على شفير الحوض وهو يسقي الماء ولم يكن عند أبي صدقة أحب إليه من سقيه الماء فأخذت قدحا من ماء

وابن النجار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم رجل يأتي وكر طائر كلما أفرخ يأخذ فرخيه فشكا ذلك الطائر إلى الله تعالى ما يفعل به فأوحى الله تعالى عليه إن عاد فساهلكه فلما أفرخ خرج ذلك الرجل كما كان يخرج فلما كان في طريق القرية لقعه سائل فأعطاه رغيفا كان معه يتغذاه ثم مضى حتى أتى الوكر فوضع سلمه ثم صعد فأخذ الفرخين وأبواهنا ينظران إليه فقالا ربنا إنك لا تحلف الميعاد وقد وعدتنا أنك تهلك هذا إذا عاد وقد عاد فأخذ فرخينا ولم تهلكه فأوحى الله إليهما ألم تعلمنا أني لا أهلك أحدا تصدق في يومه بمئة سوء

فسميت أمي فنوديت من فوق الأمن سقاها شلت يده فاستيقظت وقد شلت يدي وروى عن محمد بن الفضل بإسناده عن رجل من أهل البصرة قال كان أعرابي صاحب ماشية وكان قليل الصدقة فتصدق بغرض من غنمه يعني بسلاحه مهزولة فرأى فيما يرى النائم كأنها أقبلت عليه غنمه كلها تنبطحه فجعل الغرض يحامى عنه فلما اتبه قال والله لن استطعت لأجعلن أتباعك كثيرة قال وكان بعد ذلك يعطى ويقسم.

﴿ و ﴾ أخرج ابن النجار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن قبلكم ﴿ من الأمم السالفة ﴾ رجل يأتي وكر طائر ﴿ أي عشه وبيته ﴾ كلما أفرخ ﴿ أي صار ذا فرخ ﴾ قال القيومي من كل بائض كالولد من الإنسان ﴿ يأخذ ﴾ لرجل ﴿ فرخيه ﴾ من وكره ﴿ فشكا ذلك الطائر إلى الله تعالى ما يفعل به ﴾ من أخذه الفرخين ﴿ فأوحى الله تعالى إليه ﴾ أي إلى الطائر ﴿ إن عاد ﴾ الرجل إلى أخذهما ﴿ فساهلكه فلما أفرخ ﴾ الطائر ﴿ خرج ذلك الرجل ﴾ من داره ﴿ كما كان يخرج ﴾ لأجل أخذهما ﴿ فلما كان في طريق القرية لقعه سائل فأعطاه ﴾ أي السائل ﴿ رغيفا كان معه يتغذاه ﴾ أي الرغيف ﴿ ثم مضى ﴾ الرجل ﴿ حتى أتى الوكر فوضع سلمه ﴾ بضم السين وهو ماله درج يتوصل به من سفلى إلى علو ﴿ ثم صعد ﴾ بكسر العين أي إلى موضع العش ﴿ فأخذ الفرخين وأبواهنا ينظران إليه ﴾ أي الرجل ﴿ فقالا ﴾ أي الأبنان ﴿ ربنا إنك لا تحلف الميعاد وقد وعدتنا أنك تهلك هذا ﴾ الرجل ﴿ إذا عاد ﴾ إلى الأخذ ﴿ والحال أنه قد عاد ﴾ إليه ﴿ فأخذ فرخينا ولم تهلكه فأوحى الله إليهما ألم تعلمنا أني لا أهلك أحدا تصدق في يومه بمئة سوء ﴾ بكسر الميم وفتح السين وهي ما لا تحمد عاقبته من الحالات الردية كالحرق والفرق وغير ذلك.

وقد ذكر نحو هذا ابن الوهاب الميرى في رويته عن الشيخ أبي جعفر عمر بن الحسن النيسابوري قال كان في زمن سليمان عليه السلام شجرة في دار رجل فعمش عليها قمرى كلما أفرخ يأخذ صاحب الدار أفراخه فاشبكى القمري إلى سليمان عليه السلام من ذلك الرجل وقال يا رسول الله قد كبرت ودنا وفاتى وأريد أن يكون لي فرخ يذكر الله بعدي وصاحب الدار كلما عشت على شجرته يأخذ أفراخي كل سنة فاستدعى سليمان عليه السلام الرجل وقال له أنته عن أخذ أفراخه فلم ينته فبعث سليمان شيطانين وقال إذا قصد أخذ فرخ القمري فازميا به عن تلك الشجرة فلما دنا فرخه من السنة القابلة قصد الرجل أن يأخذ الفرخ فحضر سائل على بابه فأعطاه رغيفا ثم صعد الشجرة فقصد له الشيطانان ليرمياه فجاء ملكان واحد منهما إلى المشرق والآخر إلى المغرب وأخذ الرجل الفرخ ونزل عنها فرجع القمري إلى سليمان فأخبره فطلب سليمان الشيطانين فلم يجدهما إلا بعد مدة ثم رجعا فسألهما فأخبره بالقصة فعلم سليمان عليه السلام أن الصدقة ترد البلاء وقد ذكر أيضا عن الشيخ المذكور قال سمعت أنه كان في نيسابور رجل يقال له أبو عمر والحفاف وكان من أول حاله فقيرا مقلا وكان بوابا لدته قد عت له الغنى فأغناه الله تعالى وكان كثير الصدقات والخيرات وقد بقى من أوقاته إلى يومنا هذا على القراء فكان يوما في داره وحده وكان ذلك اليوم كبير المطر والثلج فجاء سائل على بابه فقام وأخذ رغيفا

﴿وحكى﴾ اليافعي عن جعفر أبي سليمان قال مررت أنا ومالك بن دينار بالبصرة فبينما نحن ندور فيها مررنا بقصر يعمل وإذا شاب جالس ما رأيت أحسن وجهاً منه وإذا هو يأمر ببناء القصر وهو يقول افعلوا واصنعوا فقال لي مالك أما ترى إلى هذا الشاب وحسن وجهه وحرصه على هذا البناء ما أخرجني إلى أن أسأل ربي بخلصه فلعله من شباب أهل الجنة يا جعفر أدخل بنا إليه قال جعفر فدخلنا وسلمنا فرد السلام ولم يعرف مالكا فلما عرفه قام إليه فقال ما حاجتك قال كم نويت أن تنفق على هذا القصر قال مائة ألف درهم قال ألا تعطيني هذا المال فأضعه في حقه وأضرك على الله عز وجل قصرا خيرا من هذا القصر بولدانه وخدمه وقبا به وخيمه من ياقوتة حمراء مرصعا بالجواهر ثوابه الزعفران وملاطه المسك أفسح من قصرك هذا لا يجرب لم يمسه يدان ولم يمس به يان

ومشى حافيا على الثلج وأعطاه فلما توفي روي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال أكرمني وأحبني فقيل له بملك الصدقات الكثيرة فقال لا ولكن باعطائي الرغيف إلى الفقير لأجل الله وعز وجل خاصة.

وقال أيضا سمعت الأستاذ أحمد الاسحاقى قال وقف أعرابي على قبر النبي ﷺ الهى بحق هذه التربة الشريفة وبحق نبوة الإخلاص أن ترزقني أربعة آلاف درهم فسمعه أبو أيوب الأنصاري فقال له يا أعرابي تقسم على الله بحجزة الرسول ثم تطلب الدنيا فقال انك لم تدري كيف احتجت إلى ما سألته فقال كم تسأله قال أربعة آلاف درهم فقال ماذا تفعل بها قال أصرفها إلى الدين وأتزوج امرأة بألف وأصرف ألفا في نفقتها وأشتري فرسا بألف وأمضي إلى الغزو في سبيل الله عز وجل فأخذ أبو أيوب يده حتى جاء به إلى بيته وكان له قراح فباعها باثني عشر ألف درهم فأعطى الأعرابي أربعة آلاف درهم وفرق على جيرانه أربعة آلاف درهم ودفع أربعة آلاف درهم إلى عامة الفقراء وكان صائما فلم يبق لنفسه ما يظفر به فلما كان من الغد دخل المسجد مبكرا فرأى ثلاث بدر في الحراب في كل بدرة أربعة آلاف دينار مكتوب على حتم كل واحدة وما أنقش من شيء فهو يخلفه وفي أسفل كل واحدة رقعة مكتوب عليها يا أبا أيوب هذا خلف صدقتك في الدنيا وثوابها في الآخرة لا يبدل ولا يفتى وهو خير الرازقين.

﴿وحكى﴾ الشيخ أبو محمد عبد الله بن أسعد ﴿اليافعي﴾ في روضه رحمه الله تعالى ﴿عن جعفر أبي سليمان قال مررت أنا ومالك بن دينار﴾ ﴿بالبصرة﴾ ﴿وهي بلدة معروفة إسلامية بنيت في خلافة عمر﴾ ﴿ثماني عشر من الهجرة﴾ ﴿فبينما نحن ندور فيها﴾ ﴿أي البصرة إذ﴾ ﴿مررنا بقصر يعمل﴾ ﴿وبعمر﴾ ﴿وإذا شاب جالس ما رأيت أحسن وجهاً منه وإذا هو﴾ ﴿أي الشاب﴾ ﴿يأمر﴾ ﴿الناس﴾ ﴿ببناء القصر وهو يقول افعلوا واصنعوا فقال لي مالك أما ترى إلى هذا الشاب وحسن وجهه وحرصه على هذا البناء ما﴾ ﴿تعجبية﴾ ﴿أخرجني إلى أن أسأل ربي﴾ ﴿أن﴾ ﴿يخلصه﴾ ﴿أي ينجي من ورطة هذا البناء﴾ ﴿فلعله﴾ ﴿سبحانه وتعالى﴾ ﴿يجعله﴾ ﴿أي هذا الشاب﴾ ﴿من شباب أهل الجنة يا جعفر أدخل بنا إليه قال جعفر فدخلنا﴾ ﴿إليه﴾ ﴿وسلمنا﴾ ﴿عليه﴾ ﴿فرد السلام ولم يعرف مالكا فلما عرفه قام إليه فقال﴾ ﴿الشاب﴾ ﴿ما حاجتك قال﴾ ﴿مالك﴾ ﴿كم نويت أن تنفق على﴾ ﴿بناء﴾ ﴿هذا القصر قال﴾ ﴿قصدت أن أنفق﴾ ﴿مائة ألف درهم قال﴾ ﴿مالك﴾ ﴿ألا تعطيني هذا المال﴾ ﴿وهو مائة ألف درهم﴾ ﴿فأضعه في حقه وأضرك على الله عز وجل قصرا﴾ ﴿خيرا من هذا القصر بولد أنه﴾ ﴿أي قصر الجنة﴾ ﴿وخدمه وقبا به وخيمه من ياقوتة حمراء مرصعا بالجواهر ثوابه الزعفران وملاطه﴾ ﴿بكسر الميم أي طينه في القاموس وملاط بوزن كات الطين يجعل ساقى البناء ويملط به الحائط والجنب وجانب السنام﴾ ﴿المسك أفسح﴾ ﴿أي أفتح كما في بعض نسخ الروض ومعناه أوسع﴾ ﴿من قصرك هذا لا يجرب﴾ ﴿أبدا﴾ ﴿لم يمسه يدان ولم يمس به﴾ ﴿بأن﴾ ﴿من البائين بل﴾

قال له الجليل كن فكان فقال فخلني الليلة ويكر على غدا فقال نعم قال جعفر فبات مالك وهو يفكر في الشاب فلما كان في وقت السحر دعا فأكثر من الدعاء فلما أصبحنا غدونا فإذا بالشاب جالس فلما عاين مالك ما مش إليه ثم قال ما تقول فيما قلت بالأمس قال تفعل قال نعم فأحضر البدر ودعا بدواة وقرطاس ثم كتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما ضمن مالك بن دينار لفلان بن فلان إني ضمنت لك على الله قصرا بدل قصرك بصفته كما وصفت والزيادة على الله واشتريت لك بهذا المال قصرا في الجنة أفسح من قصرك في ظل ظليل بقرب العزيز الجليل ثم طوى الكتاب ودفعه إلى الشاب وحملنا المال فما أمسى مالك حتى ما بقي عنده فوق مقدار قوت ليلة وما أتى على الشاب أربعون يوما حتى وجد مالك كتابا موضوعا في الخراب عند ما انتقل من صلاة الغداة فأخذه ونشره فإذا في ظهره مكتوب بلامداد هذه براءة من الله العزيز الحكيم لمالك بن دينار ووفينا الشاب القصر الذي ضمنت له وزيادة سبعين ضعفا قال فبقى مالك متعجبا وأخذ الكتاب فقمنا فذهبنا إلى منزل الشاب فإذا الباب مسدود والبكاء في الدار فقلنا ما فعل الشاب قالوا مات بالأمس

﴿ قال له ﴾ أي لقصر الجنة ﴿ الجليل ﴾ سبحانه ﴿ كن فكان ﴾ أي وجد فالخالص أن المكنونات بتخلقه وتكوينه ولكن عبر عن إيجاد بقوله كن من غير أن كان منه كاف ونون وإنما هو بيان لسرعة الإيجاد كأنه يقول كما لا يتقل قول كن عليكم فكذا لا يتقل على الله ابتداء الخلق واعدادهم ﴿ فقال ﴾ الشاب ﴿ فخلني ﴾ أي فأجلني وأمهلي لا تفكر ﴿ الليلة ويكر على ﴾ أي جئني بكرة ﴿ غدا فقال ﴾ مالك ﴿ نعم ﴾ اهلك وأجيك غدا ﴿ قال جعفر فبات مالك ﴾ ليلة ﴿ وهو يفكر في ﴾ ذلك ﴿ الشاب ﴾ أهو يطبع أمره أم لا ﴿ فلما كان ﴾ مالك ﴿ في وقت السحر ﴾ وهو ما بين الفجرين كما قاله بعضهم ﴿ دعا فأكثر من الدعاء ﴾ وسأل الله تعالى بأن يجعل الشاب المذكور مطيعا لأمره فيكون من أهل الجنة.

قال جعفر ﴿ فلما أصبحنا ﴾ أي دخلنا في الصباح ﴿ غدونا ﴾ أي مررنا بالغداة على موضعه ﴿ فإذا بالشاب جالس فلما عاين مالك ما مش ﴾ أي تبسم وارتاح ﴿ إليه ثم قال ﴾ الشاب ﴿ ما تقول فيما قلت بالأمس ﴾ من ضمان قصر الجنة أن أطعك فيما تأمرني به من صرف المال ووضع في حقه ﴿ قال ﴾ مالك أ ﴿ تفعل ﴾ ما أمرتك به ﴿ قال ﴾ الشاب ﴿ نعم ﴾ أفعل ذلك ﴿ فأحضر ﴾ أي الشاب ﴿ البدر ﴾ وهو كس الدراهم المذكورة ﴿ ودعا ﴾ أي طلب مالك ﴿ بدواة وقرطاس ثم كتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما ضمن مالك بن دينار لفلان بن فلان ﴾ يعني الشاب المذكور ﴿ إني ضمنت لك على الله ﴾ تعالى ﴿ قصرا ﴾ في الجنة ﴿ بدل قصرك بصفته كما وصفت والزيادة على الله تعالى واشتريت لك بهذا المال ﴾ وهو مائة ألف درهم ﴿ قصرا في الجنة ﴾ أفصح ﴿ أفسح من قصرك في ظل ظليل ﴾ أي دائم لا تنسخه الشمس وهو إشارة إلى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل تأكيد معناه كقولهم شمس شامس وليل أيل ويوم أيوم وذلك الظل هو ظل الجنة ﴿ بقرب ﴾ الله ﴿ العزيز ﴾ أي الغالب على أمره ﴿ الجليل ﴾ قريبا معنويا ﴿ ثم طوى ﴾ مالك ﴿ الكتاب ودفعه إلى الشاب وحملنا المال فما أمسى مالك ﴾ أي دخل في المساء ﴿ حتى ما بقي عنده فوق مقدار قوت ليلة وما أتى على الشاب أربعون يوما حتى وجد مالك كتابا موضوعا في الخراب ﴾ أي في صدر مسجده مأخوذ من الحاربة لأن المصلين يحارب الشيطان ومحارب نفسه باحضار قلبه ﴿ عند ما انتقل ﴾ أي انصرف ﴿ من صلاة الغداة ﴾ أي الصبح ﴿ فأخذه ﴾ مالك ﴿ ونشره فإذا في ظهره ﴾ أي الكتاب ﴿ مكتوب بلامداد هذه براءة من الله العزيز الحكيم لمالك بن دينار ووفينا الشاب القصر الذي ضمنت له وزيادة سبعين ضعفا قال ﴾ جعفر ﴿ فبقى مالك متعجبا ﴾ بما وقع له ﴿ وأخذ الكتاب فقمنا فذهبنا إلى منزل الشاب فإذا الباب مسدود والبكاء ﴾ كان ﴿ في الدار فقلنا ما فعل الشاب قالوا ﴾ أي أهل داره ﴿ مات بالأمس ﴾ قال جعفر

فأخضرنا الغاسل فقلنا له أنت غسلته قال نعم قال مالك فحدثنا كيف صنعت قال قال لي قبل الموت إذا ما مت وكنتني فأجعل هذا الكتاب بين كفتي ويدني فجعلت الكتاب بين كفتي ويدنه ودفنته معه فأخرج مالك الكتاب فقال الغاسل هذا الكتاب بعينه والذي قبضه لقد جعلته بين كفتي ويدنه يدي قال فكبر البكاء فقام شاب آخر فقال يا مالك خذ مني مائتي ألف دينار واضمن لي مثل هذا فقال هيهات كان ما كان وفات ما فات والله يحكم ما يريد قال فكان مالك كلما ذكر الشاب بكى ودعاه ﴿وَحَكِي﴾ أيضا عن جعفر ابن خطاب قال وقف على بابي سائل فقلت لزوجتي هل معك شيء قالت أربع بيضات فقلت ادفعيني للسائل ففعلت فلما انصرف السائل أهدى إلى بعض إخواني مخللة فيها بيض فقلت لزوجتي كم فيها من بيضة فقالت ثلاثون بيضة فقلت لها ويحك أعطيت السائل أربع بيضات وجاءك ثلاثون أين حساب هذا فقالت هي أربعون إلا أن عشرا مكسورات وقيل في هذه الحكاية كانت ثلاث من البيض الذي أعطيت السائل صحيحات وواحدة مكسورة فجاء بكل واحدة منهن عشر على صفحتها ﴿وَحَكِي﴾ أيضا عن الشبلي قال خرجت ذات يوم أريد البادية فرأيت شابا صغير السن نحيل الجسم أشعث أغبر عليه ثياب رثة وهو جالس في الجنبانة يمرغ خديه بين القبور

﴿فَأخْضَرْنَا الْغَاسِلَ فَقُلْنَا لَهُ﴾ ما فعلت ﴿أَنْتَ غَسَلْتَهُ قَالَ﴾ الغاسل ﴿نَعَمْ﴾ غسّله ﴿قَالَ مَالِكُ فَحَدَّثَنَا كَيْفَ صَنَعْتَ قَالَ﴾ أي الغاسل ﴿قَالَ﴾ الشاب ﴿لِي قَبْلَ الْمَوْتِ إِذَا مَا مِتَ وَغَسَلْتَنِي وَكُنْتُ نِي فَاجْعَلْ هَذَا الْكِتَابَ بَيْنَ كَفْتَيْهِ وَيَدْنِي فَجَعَلْتُ الْكِتَابَ بَيْنَ كَفْتَيْهِ وَيَدْنَهُ وَدَفَنْتُهُ مَعَهُ﴾ أي مع الميت ﴿فَأَخْرَجَ مَالِكُ الْكِتَابَ فَقَالَ الْغَاسِلُ هَذَا الْكِتَابُ بَعِينُهُ﴾ الله ﴿الَّذِي قَبِضَهُ﴾ أي قبض روح الشاب ﴿لَقَدْ جَعَلْتُهُ بَيْنَ كَفْتَيْهِ وَيَدْنِهِ يَدِي قَالَ﴾ مالك ﴿فَكَرَّ الْبَكَاءُ فَقَامَ شَابٌ آخَرُ فَقَالَ يَا مَالِكُ خُذْ مِنْ مِائَتِي أَلْفَ دِينَارٍ وَفِي بَعْضِ النَّسَخِ دَرَاهِمٌ﴾ واضمن لي مثل هذا ﴿أَي مِثْلَ ضَمَانِكَ هَذَا الشَّابِ﴾ فقال ﴿مَالِكُ﴾ هيهات ﴿الضَّمَانُ أَي بَعْدَ﴾ كان ما كان وفات ما فات والله يفعل ما يشاء ﴿وَيَحْكُمُ مَا يَرِيدُ قَالَ﴾ جعفر ﴿فَكَانَ مَالِكُ كُلَّمَا ذَكَرَ الشَّابَّ بَكَى وَدَعَا لَهُ رَحِمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾

﴿وَحَكِي﴾ الياقني ﴿أَيْضًا﴾ أي كما حكى ما تقدم ﴿عَنْ﴾ أبي ﴿جَعْفَرِ بْنِ خَطَّابٍ﴾ وكان يقال أنه من الأبدال ﴿قَالَ﴾ وقف على بابي سائل فقلت لزوجتي هل معك شيء ﴿مِنَ الطَّعَامِ﴾ قالت ﴿يَعْنِي﴾ أربع بيضات فقلت ادفعيني للسائل ففعلت ﴿مَا أَمْرُهُ مِنْ دَفْعِنِ إِلَيْهِ﴾ فلما انصرف السائل أهدى إلى بعض إخواني مخللة ﴿أَي وَعَاءٌ وَأَصْلُهَا مَا يَجْعَلُ فِيهِ الْخَلَلُ﴾ فيها بيض فقلت لزوجتي كم فيها من بيضة فقالت ﴿فِيهَا﴾ ثلاثون بيضة فقلت لها ويحك ﴿كَلِمَةُ رَحْمَةٍ﴾ أعطيت السائل أربع بيضات وجاءك ثلاثون أين حساب هذا ﴿أَي مَا أَعْطَاهُ بَعْضُ إِخْوَانِي﴾ فقالت هي ﴿كُلُّهَا﴾ أربعون ﴿وَذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ حَسْبَةِ يَمُشِرُ أَسْمَاءَهَا﴾ إلا أن عشرا مكسورات وقيل في هذه الحكاية كانت ثلاث من البيض الذي أعطت زوجته ﴿السَّائِلُ صَحِيحَاتٌ وَوَاحِدَةٌ مَكْسُورَةٌ فَجَاءَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ﴾ أي أربع بيضات ﴿عَشْرَ عَلَى صَفْهَا وَحَكِي﴾ الياقني ﴿أَيْضًا﴾ أي كما حكى ما سبق ﴿عَنْ﴾ أبي بكر دلف بن جحدر ﴿الشَّبْلِيِّ﴾ ببغدادى المولد والمنشاء وأصله من أسروشة صاحب الجنيد ومن في عصره وكان شيخ وقته حالا وظرفا وعلما مالكي المذهب عاش سبعا وثمانين سنة ومات سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وقبره ببغداد رحمه الله تعالى ﴿قَالَ خَرَجْتُ ذَاتَ يَوْمٍ أُرِيدُ الْبَادِيَةَ فَرَأَيْتُ شَابًا صَغِيرَ السِّنِّ نَحِيلَ الْجِسْمِ أَشْعَثَ﴾ شعر رأسه وتلبد لقلته تهده بالدهن ﴿أَغْبَرُ﴾ أو في وجهه غبار من غير تنظيف ﴿عَلَيْهِ ثِيَابٌ رَثَةٌ﴾ أي خلة ﴿وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْجَبَانَةِ﴾ أي في المقبرة ﴿يَمْرُغُ خَدَيْهِ فِي الْقُبُورِ﴾ في المصليح راع الثعلب روغان باب قال زروغانا ذهب يمينه وسرة في سرعة خديعة فهو لا يستقر في جهة والرواغ بالفتح اسم منه

وجعل يرمى السماء تارة بعد تارة ويحرك شقيقه ويسيل الدمع من عينيه وهو مستغرق في الدعاء والذكر والاستغفار ولا يشغله شاغل عن المسيح والتقديس والتحميد والتمجيد والعظيم فلما رأيت الشاب على تلك الحالة مالت نفسي إليه وطابت على لقائه فتركت الطريق التي أروح عليها وقصدت نحوه فلما رأيته أقبلت إليه اتهمض من مكانه وقام يمشي هاربا مني فنهضت نفسي في اتباعه لعل الحق لم أقدر على إدراكه فقلت له رفقا يا ولي الله فقال الله فقلت بحقه إلا ما صبرت فأشار بأصبعه لا أفعل وقال الله فقلت إن كان حقا ما تقول فأرني صدقك مع الله تعالى فنأدى بصوت عال يا الله فوق في الأرض مغشيا عليه فدنوت منه وحركته فإذا هو ميت من ساعته فوهمت من ذلك وتعجبت من حاله وصدقه مع الله تعالى وقلت يختص برحمته من يشاء وقلت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم تركته في موضعه وسرت إلى حي من أحياء العرب لآخذ في جهازه وإصلاح شأنه فلما رجعت إليه حجب عني فطلبته في المكان فلم أجد له أثرا ولا سمعت له خبرا فبقيت سحيرا وقلت حجب عني هذا الشاب ومن سبقني إليه فسمعت قائلا يقول لي يا شبلي قد كليت أمر الفتى وما تولاه إلا الملائكة فعليك أنت بعبادة ربك وأكثر الصدقة من مالك فما بلغ الفتى ما بلغ إلا بصدقه يوما في الدهر فقلت سألتك بالله ألا أخبرني بصدقه يوما في الدهر ما هي فقال يا شبلي إن هذا الفتى كان في أول عمره مذنباً عاصياً فاستقانا فاعرض الله عليه رؤيا أفزعته وأقلقه وهي أنه رأى في المنام أحليته قد رجع ثعبانا ودار بفيه ثم إنه أطلق من فيه لهب النار فأجرته حتى عاد

﴿وجعل يرمى السماء تارة بعد تارة﴾ أي مرة بعد مرة ﴿ويحرك شقيقه﴾ وينكي ﴿ويسيل الدمع من عينيه وهو مستغرق في الدعاء والذكر والاستغفار ولا يشغله شاغل عن المسيح والتقديس والتحميد والتمجيد والعظيم﴾ قال الشبلي ﴿فلما رأيت الشاب على تلك الحالة مالت نفسي إليه وطابت على لقائه فتركت الطريق التي أروح﴾ أي أذهب وأسير ﴿عليها وقصدت نحوه﴾ أي جهة الشاب ﴿فلما رأيته أقبلت إليه اتهمض من مكانه وقام يمشي هاربا مني فنهضت نفسي في اتباعه لعل الحق لم أقدر على إدراكه فقلت له رفقا﴾ أي أرفق ﴿يا ولي الله فقال﴾ و﴿الله﴾ لا أفعل ﴿فقلت بحقه إلا ما صبرت فأشار بأصبعه لا أفعل فقال الله فقلت له إن كان حقا ما تقول فأرني صدقك مع الله تعالى فنأدى بصوت عال يا الله فوق في الأرض﴾ أي عليها ﴿مغشيا عليه فدنوت منه وحركته فإذا هو ميت من ساعته فوهمت﴾ أي وقع في خلدي ﴿من ذلك﴾ أي موته حالا ﴿وتعجبت من حاله وصدقه مع الله تعالى وقلت يختص برحمته من يشاء وقلت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم تركته في موضعه وسرت إلى حي من أحياء العرب﴾ أي إلى قبيلة من قبائلهم ﴿لآخذ من جهازه﴾ بفتح الجيم وكسره يعني في غسله وتكفينه ودفنه ﴿وإصلاح شأنه فلما رجعت إليه حجب عني الشاب﴾ عني فطلبته في المكان فلم أجد له أثرا ولا سمعت له خبرا فبقيت سحيرا وقلت حجب عني هذا الشاب ومن سبقني إليه ﴿أي إلى جهازه﴾ فسمعت قائلا يقول لي يا شبلي قد كليت أمر الفتى وما تولاه ﴿أي تولى أمره﴾ إلا الملائكة فعليك ﴿أي الزم﴾ أنت بعبادة ربك وأكثر الصدقة من مالك فما بلغ الفتى ما بلغ من الدرجة العلية ﴿الابصدقه يوما في الدهر فقلت سألتك بالله ألا أخبرني بصدقه يوما في الدهر ما هي﴾ أي تلك الصدقة ﴿فقال لي﴾ يا شبلي إن هذا الفتى كان في أول عمره مذنباً عاصياً فاستقانا فاعرض الله عليه رؤيا أفزعته ﴿أي أخوفته﴾ وأقلقه ﴿أي أزعجته﴾ وهي ﴿أي الرؤيا﴾ أنه رأى في المنام أحليته ﴿بكسر الهمزة أي يخرج بوله﴾ قد رجع ﴿أي صار﴾ ثعبانا ﴿أي حية عظيمة وهو فعلا ن ويقع على الذكر والأنثى والجمع الثعابين﴾ ودار بفيه ﴿أي فم الفتى﴾ ثم إنه أطلق من فيه ﴿أي فيه﴾ لهب النار ﴿أي لتقادها﴾ فأجرته حتى عاد ﴿أي صار الفتى﴾

كالفحمة السوداء فقام فزعاً مرعوباً وخرج فاراً بنفسه مشغلاً بعبادة ربه وله اليوم منذ رجع إلى طاعة ربه اثنتا عشرة سنة وهو على حالة التضرع والخشوع فلما كان أمس وقف له سائل سأله قوت يومه فخلع ثيابه وسلمها إليه ففرج السائل بذلك وبسط كفيه ودعا له بالمغفرة فأجاب الله دعاءه فيه ببركة الصدقة التي فرحه بها كما جاء في الحديث اغتنموا دعوة السائل عند فرجة قلبه بالصدقة

﴿كالفحمة السوداء فقام ﴿من نومه ﴿فزعاً ﴿أى خائفاً ﴿مرعوباً ﴿شديد الخوف ﴿وخرج ﴿من بيته ﴿فاراً بنفسه مشغلاً بعبادة ربه وله ﴿أى لهذا الفتى ﴿اليوم ﴿أى في هذا اليوم ﴿منذ ﴿أى حين ﴿رجع إلى طاعة ربه اثنتا عشرة سنة وهو على حالة التضرع ﴿أى التذل والخضوع ﴿وبكاء ﴿والخشوع ﴿أى الإقبال بقلبه على ربه ﴿فلما كان أمس وقف له سائل سأله قوت يومه فخلع ﴿أى نزع الثياب ﴿وسلمها إليه ﴿أى السائل ﴿ففرج السائل بذلك ﴿أى بما أعطاه الفتى من ثيابه ﴿وبسط ﴿السائل ﴿كفيه ودعاه ﴿أى الفتى ﴿بالمغفرة فأجاب الله دعاءه فيه ببركة الصدقة التي أفرحه بها كما جاء في الحديث اغتنموا دعوة السائل عند فرجة قلبه بالصدقة ﴿فان دعاءه أقرب للقبول والكلام في غير المعاصي ولو لم يكن في الصدقة سوى دعاء المساكين لكان الواجب على العاقل أن يرغب فيها رضا الله تعالى ورغم الشيطان لأنه روى في الخبر أن الرجل لا يستطيع أن يتصدق ما لم يفك لحي سبعين شيطانا وفيها الاقتداء بالصالحين لأن الصالحين كانت همهم في الصدقة كما ذكره أبو الليث .

وحكى الياقنى أيضا عن الجنيد رحمه الله أنه قال خرجت يوما في بعض الغزوات وكان قد أرسل إلى أمير الجيش شيئا من النفقة فكرهت ذلك ففرقه على مجاويح الغزاة فلما كان في بعض الأيام صليت الظهر وجلست متفكرا في ذلك نادما على قبوله وتفرقي إياه فغلبني النعاس فرأيت قصارا تبني مزخرفة ونعما طائلة فسألت عنها فقيل لي هذه لأصحاب المال الذي فرقته في الغزوة فقلت فمالى معهم شيء فقيل ذلك القصر وأشاروا إلى قصر عظيم من أحسن القصور وأعظمها فقلت فكيف فضلت عنهم فقيل أولئك أخرجوا المال وهم يتوقعون الثواب عليه فكان هذا جزاءهم وأنت فرقت ذلك المال خائفا محاسبا نفسك نادما فضاغف الله تعالى لك ذلك على ثواب سعيك وأنشد بعضهم:

إذا كانت الدنيا تعد قيسة ✽ فدار ثواب الله أعلى وأنبيل
وان كانت الارزاق قيسا مقدرا ✽ فقلة سعى المرء في الرزق أجمل
وان كانت الاجساد للموت أنشت ✽ فقل امرئ في الله بالسيف أفضل
وان كانت الأموال للترك جمعها ✽ فما بال متروك به المرء ينجل

وروى أنه أصاب الناس مجاعة فاشترى حبيب رضي الله عنه طعاما على سبيل الدين وفرقه على المساكين ثم خاطأ أكيسة فجعلها تحت رأسه ثم دعا الله تبارك وتعالى فجاءه أصحاب الطعام يتقاضونه فأخرج تلك الأكيسة فإذا هي مملوءة دراهم فوزنها فإذا هي قدر حقوقهم فدفعها إليهم وروى أنه أتاه مرة سائل وقد عجنت امرأته عجينا وذهبت تجيء بنا ر لتخبزه فقال للسائل خذ العجين فأخذه فجاءت امرأته وقالت ابن العجين فقال لها ذهبوا به يخبزونه فلما أكثر عليه أخبرها فقالت سبحان الله انه لا بد لنا من شيء ففأكله فإذا برجل قد جاء بجفنة عظيمة مملوءة خبزا فقالت ما أسرع ما ردوه عليك قد خبزوه وجعلوا معه لحما .

﴿خاتمة﴾ في مدح السخاء والجود ﴿أخرج﴾ البخاري والبيهقي السخاء شجرة من أشجار الجنة أغصانها متدليات في الدنيا فمن يأخذ بغصن منها فاده ذلك الغصن إلى الجنة والبخل شجرة من أشجار النار أغصانها متدليات إلى الدنيا فمن يأخذ بغصن من أغصانها فاده ذلك الغصن إلى النار * وابن عدي الجنة دار الأسخياء * والطبراني أن في الجنة بيتا يقال له بيت الأسخياء * والترمذي والبيهقي السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار

﴿* خاتمة *﴾ نسأل الله حسناتها ﴿في مدح السخاء والجود﴾ اذ به تعرق غوائل البخل وما فيه من الانحطاط عن تلك الدرجات العالية اذ الشيء انما يتم انكشافه بمعرفة ضده اعلم أن المال اذا كان مفقودا فينبغي أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وان كان موحودا فينبغي أن يكون حاله الايتار للغير والسخاء واصطناع المعروف وتباعد عن الشح والبخل فان السخاء خلق شريف من جملة أخلاق الأنبياء وهو أصل من أصول النجاة ﴿أخرج البخاري والبيهقي﴾ عن أبي هريرة وأبو نعيم عن جابر والخطيب عن أبي سعيد وابن عساكر عن أنس والديلمي عن معاوية ﴿السخاء شجرة من أشجار الجنة﴾ وفي رواية شجرة في الجنة ﴿أغصانها متدليات في الدنيا﴾ وفي رواية متدلية إلى الأرض ﴿فمن يأخذ﴾ وفي رواية فمن أخذ ﴿بغصن منها فاده ذلك الغصن إلى الجنة﴾ أي ان السخاء يدل على كرم النفس وقوة ايمان المتصف به حيث يعتمد عليه تعالى وينفق الاموال اتكالا على ما عنده تعالى ويعتقد أن الله ضمن الرزق وتكفل به فضلا منه وكرما فمن أخذ بهذا الأصل وعقد طويته عليه فقد استمسك بالعروة الوثقى الحاذية إلى ديار الأبرار ﴿والبخل شجرة من أشجار النار أغصانها متدليات في الدنيا فمن يأخذ﴾ وفي رواية فمن أخذ ﴿بغصن من أغصانها فاده ذلك الغصن إلى النار﴾ أي أن البخل يدل على ضعف الايمان لعدم الوثوق بضمان الرحمن وذلك جاذب إلى الجحيم وقائد إلى دار الهوان قيل ومن أقبح ما في البخل أنه يعيش صاحبه عيش الفقراء ويحاسب محاسبة الأغنياء وقيل جلباب المسكنة والبخل ليس له خليل .

﴿و﴾ ﴿أخرج﴾ ابن عدي والقضاعي عن عائشة وهذا حديث منكر بل قيل بوضعه كما في العزني ﴿الجنة دار الأسخياء﴾ السخاء المحمود شرعا لأن السخاء من أخلاق الله وهو يحب من تخلق بشيء من أخلاقه ومن أحبه أسكنه بجملة وقال الحقن لهم فيها مزيد النعيم ويدخلونها مع السابقين بخلاف البخلاء وان كانت دارهم أيضا لكن لا ينعمون فيها كالأسخياء ولا يدخلونها مع السابقين .

﴿و﴾ ﴿أخرج﴾ الطبراني ﴿عن﴾ وهذا حديث حسن ﴿ان في الجنة بيتا يقال له بيت الأسخياء﴾ فلا يدخله غيرهم ومراد الحديث الحث على السخاء وأنه سنة مؤكدة . ﴿و﴾ ﴿أخرج﴾ الترمذي ﴿عن أبي هريرة﴾ والبيهقي ﴿عن جابر بن عبد الله بأسانيد ضعيفة يقرى بعضها بعضا﴾ السخي قريب من الله ﴿أي من رحمته وثوابه فليس المراد قرب المسافة تعالى الله عنه﴾ قريب من الناس ﴿أي من محبتهم فالمراد قرب المودة لأن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها وبعض من أساء عليها﴾ قريب من الجنة ﴿لسعيه فيما يدينه منها وسلوكه طريقها فالمراد هنا قرب المسافة﴾ بعيد من النار ﴿لازم لما قبله والقرب من الجنة والبعد من النار جائر باعتبار قرب المسافة لأتهما مخلوقان والقرب والبعد انما هو برفع الحجاب وعدم رفعه فاذا قلت الحجب قلت المسافة قاله الزيندي﴾ والبخل بعيد من الله بعيد من الناس ﴿أما بعده عن الله فلكون البخل بما أنقضه الله تعالى فهو بعيد عن رحمته تعالى وثوابه وأما بعده عن الناس فلكونهم يمتقونه فيبعدونه عنه ويبعد عنهم﴾ بعيد من الجنة ﴿لأنه لم يسلك طريقها﴾ قريب من النار ﴿لكونها خفت بالشهوات وحجبت بها والبخل بالمال شهوة تقسية هي الطريقة الموصلة إلى النار

والجاهل السخي أحب إلى الله من عابد بخيل وقال سليمان الفارسي إذا مات السخي قالت الأرض والحفظة

هو والجاهل السخي أحب إلى الله من عابد بخيل لأن الجاهل السخي سريع الانقياد إلى ما يؤمر به وإلى ما ينهى عنه بخلاف العابد البخيل.

قال ابن العربي وهذا مشكل يبعد الحديث عن الصحة مباعدة كثيرة وعلى حاله فيحتمل أن معناه أن الجهل قسمان جهل بما لا بد من معرفته في عمله واعتقاده وجهل بما يعود نفعه على الناس من العلم فأما المختص به فعابد بخيل خير منه وأما الخارج عنه فجاهل سخي خير منه لأن الجهل والعلم يعودان للاعتقاد والسخاء والبخل للعمل وعقوبة ذنب الاعتقاد أشد من ذنب العمل انتهى وفي حديث آخر أقبلوا عشرات الكرم فإن الله أخذ بيده كلما عثر وجاهل كريم أحب إلى الله من عالم بخيل أي لأنه لم يعمل بعلمه فليس له في سلك التفضيل انتظام وقال ﷺ ما جبل الله ولما الأعلى السخاء.

* وحكي * أن يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام قال لابلis أخبرني بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك قال أحب الناس إلي المؤمن البخيل وأبغض الناس إلي الفاسق السخي أتخوف أن الله يطلع على سخائه فيقبله ثم ولي وهو يقول لولا أنت يحيى لما أخبرتكم وفي الحديث الجود جود الله فجودوا بحمد الله عليكم إلا أن الله تعالى خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل أصله راسخا في شجرة طوبى وشد أغصانها بأغصان سدرة المنتهى ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله الله الجنة لأن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة وخلق البخيل من مقتله وجعل راسخا في أصل شجرة الزقوم ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق ببعض أغصانها أدخله النار لأن البخيل من الكفر والكفر في النار.

وروى النبي ﷺ رأى رجلا يطوف بالكعبة وهو يقول اللهم بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي ذنبي قال ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون قال بل ذنبي أعظم قال ذنبك أعظم أم السموات قال بل ذنبي أعظم قال ذنبك أعظم أم العرش قال بل ذنبي أعظم قال ذنبك أم الله أعظم قال صف لي ذنبك قال يا رسول الله اني صاحب مال كثير واذا جاءني سائل فكلأما يأتيني بشعلة نار قال إليك عنى لا تحرقنى بئارك أما علمت ان البخيل كفر وان الكفر في النار.

وروى في الاسرائيليات ان الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام لا تقتل السامري فإنه سخي وقال على كرم الله وجهه إذا أقبلت الدنيا إليك فان وفر مالك وجاهك فاتفق منها لمن يستحق فإنها لا تبقى باتفاقك مع الاقبال وإذا أدبرت عنك وولت فاتفق منها أيضا فإنها لا تبقى فالإتفاق منها محمود على كل حال وأنشد:

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف

وان تولت فاجرى أن تجود بها * فالحمد منها اذا ما أدبرت خلف

وسأل معاوية بن أبي سفيان الحسن بن علي رضي الله عنهما عن المروءة والتجدة والكرم ما أحدهما فقال الحسن أما المروءة فحفظ الرجل دينه عما لا يليق به وحرزه نفسه عن الذهول والدناءة وحسن قيامه بضيفه وحسن المسارعة والآقدام فيما تكرهه النفس وأما التجدة فالذب عن الجار بان لا يوطئ جاره بما يكره والصبر في مواطن الشدة وأما الكرم فالترفع بالمعروف قبل السؤال والإطعام في الحل يقنى وقت الجذب وقلة المطر والرافة بالسائل مع بذل النائل أي العطاء.

وقال سلمان الفارسي * * * إذا مات السخي قالت الأرض والحفظة * من الملائكة

يا رب تجاوز عن عبدك بسخاته في الدنيا وإذا مات البخيل قالت اللهم احجب هذا العبد عن الجنة كما حجب عبادك عما في يده من الدنيا وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أجود من الريح المرسلة وصح أيضا أنه ﷺ لما مرض كان عنده سبعة دنانير فأمر عائشة أن تعطيها لعل يصدق بها فاشتغلت باغمائه صلى الله عليه وسلم فكان كلما أفاق أمر بذلك حتى أعطتها لعل فأمست

﴿ يا رب تجاوز عن عبدك بسخاته في الدنيا وإذا مات البخيل قالت ﴿ الأرض والحفظة ﴾ اللهم احجب هذا العبد ﴾ البخيل ﴾ عن الجنة كما حجب عبادك عما في يده من الدنيا وقد صح ﴿ في الخبر الذي رواه الشيخان من حديث ابن عباس ﴾ ﴿ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود ﴾ الناس بالخير وكان أجود ما يكون في شهر رمضان وفيه فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير ﴿ من الريح المرسلة ﴾ بفتح السين أي المطلقة وكذلك رواه الترمذي في الشمائل وعبر بالمرسلة إشارة إلى دوام هبوبها بالرحمة وإلى عموم النفع بجوده ﷺ نعم الريح المرسلة جميع ما تهب عليه ورواه كذلك أحمد بزيادة لا يسأل شيئا إلا أعطاه وسبب أجوديته إتيان جبريل له كل ليلة من رمضان كما في الصحيحين وإنما كان إتيانه سببا لذلك لأنه رسول ربه إليه وأمين حضرته والمولى لقسمته مواهبه وذلك موجب نهاية الأجودية وأيضا إذا جاءه جبريل وعرض عليه القرآن تجدد تخلقه بأخلاق ربه وأفيض عليه غاية جوده ونهاية قربه فحينئذ يزداد جوده وكان على رضي الله عنه إذا وصف النبي ﷺ قال كان أجود الناس كما وأوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أرقبه ولا بعده مثله وما سئل قط على الإسلام إلا أعطاه فان رجلا أتاه فسأله فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى قومه وقال يا قوم أسلموا فان محمد يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة.

وروى ابن سعد في الطبقات من مرسل محمد بن الحنفية كان ﷺ لا يكاد يقول لشيء لا فإذا هو سئل فأراد أن يفعل قال نعم وإذا لم يرد أن يفعل سكت ومن هنا قال الشاعر:

ما قال لا قط إلا في تشهده ﷺ لولا الشهد كانت لأوه نعم

وحمل إليه ﷺ تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قام إليها يقسمها فمأرد سائلا حتى فرغ منها هكذا رواه الترمذي وجاءه ﷺ رجل فسأله شيئا من متاع الدنيا فقال ما عندي شيء ولكن اتبع علي يعني اشتر شيئا يثمن الذمة علي أداؤه فإذا جاء شيء قضيناه فقال عمر يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي ﷺ ذلك فقال الرجل اتق ولا تخف من ذي العرش اقل لا تقسم النبي ﷺ وعرف السرور في وجهه رواه الترمذي في الشمائل كما قاله العراقي ولما قتل ﷺ من حين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله ﷺ وقال أعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العصابة نعمنا لقسمته بينكم ثم لم تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا رواه البخاري من حديث جابر بن مطعم قاله العراقي.

﴿ وصح أيضا أنه صلى الله عليه وسلم لما مرض كان عنده سبعة دنانير فأمر ﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿ عائشة ﴾ رضي الله عنها ﴿ أن تعطيها لعل ﴾ كرم الله وجهه ﴿ ليصدق بها فاشتغلت ﴾ عائشة ولم تعطيها لعل ﴿ باغمائه صلى الله عليه وسلم ﴾ أي بغشيانه لشدة ما يحصل له من فتر الأعضاء من تمام الحركة وفيه جواز الأغماء على الأنبياء عليهم السلام قال ابن حجر في شرح الشمائل لكن قيده الشيخ أبو حامد من أنتمنا بغير الطويل وجزم به البلقيني قال السبكي ليس كأغماء غيرهم لأنه إنما يسترحوا سبهم الظاهرة دون قلوبهم لأنها إذا عصمت من النوم الأخف فالأغماء أولى ﴿ فكان ﴾ ﷺ ﴿ كلما أفاق ﴾ من غشيانه ﴿ أمر ﴾ عائشة ﴿ بذلك ﴾ أي بأعطاء تلك الدنانير لعل ﷺ ﴿ حتى أعطتها لعل فأمست ﴾ أي دخلت في المنام

ليلة موته صلى الله عليه وسلم وليس عندها شيء فاحتاجت لمصباح فأرسلت إلى امرأة من نساته تطلب منها سمنا

﴿ليلة موته صلى الله عليه وسلم وليس عندها شيء﴾ فلم يترك ﷺ بعد وفاته مالا ولا بنى في حياته لبنة على لبنة ولا وضع قصبة على قصبة ﴿فاحتاجت﴾ عائشة رضي الله عنها ﴿لمصباح فأرسلت إلى امرأة من نساته﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿تطلب منها﴾ أي من إحدى نساته ﴿سمنا﴾ وقد كانت وفاته ﷺ يوم الاثنين بلا خلاف وذلك وقت دخوله المدينة في هجرته حين اشتد حر الضحى ودفن يوم الثلاثاء أو قيل ليلة الأربعاء فعند ابن سعد في الطبقات عن علي توفى رسول الله ﷺ يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء وعنده أيضا عن عكرمة توفى يوم الاثنين فجلس بية يومه وليلته ومن الغد حتى دفن من الليل وعنده أيضا عن عثمان بن محمد الأخنس توفى يوم الإثنين حين زاغت الشمس ودفن يوم الأربعاء وروى أيضا عن أبي بن عباس بن سهل بن سعد الأنصاري عن أبيه عن جده أنه ﷺ توفى يوم الإثنين فمكث يوم الإثنين والثلاثاء حتى دفن يوم الأربعاء وقد رثى ﷺ بمرات كثيرة منها قول عمته صفية بنت عبد المطلب:

أيا رسول الله كنت رجاءنا * وكنت بنا برا ولم تك جافيا
وكنت رجيا فاديا ومعلما * ليك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكي النبي لفقده * ولكن لما أخشى من الهجر آتيا
كان على قلبي لذكر محمد * وما خفت من بعض النبي المكاوليا
أفاطم صلى الله ربي بمحمد * علي جده أضحى بشرب ثاوبا
فذا الرسول الله أمني وخالتي * وعمي وخلتي ثم نفسي وماليا
ولو أن رب الناس أبقي نينا * سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية * وأدخلت جنات من العدن راضيا
أرى حسنا أئتمه وتركته * سيبيكي ويدعوجه اليوم نائيا

ومنها قول ابن عمه سفيان بن الحرث رضي الله عنه:

أرقت فبت ليلي لا يزول * وليل أخوي المصيبة فيه طول
واسعدني البكاء وذاك فيما * أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا ما عراها * تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتزيل فينا * يروح به ويغدو جبريل
وذاك أحق ما سألت عليه * نفوس الناس أوكادت تُسيل
نبي كان يحلو الشك عنا * بما يوحى إليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضللا * علينا والرسول لنا دليل
أفاطم أن جزعت فذاك غدر * وإن لم تجزعي ذاك السيل
فغير أبك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول

قال عمر رضي الله عنه أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تصدق فوافق ذلك ما لا عندي فقلت اليوم أسبق أبا بكر رضي الله عنه إن سبقته يوما فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لأهلك فقلت مثله فأتى أبو بكر رضي الله عنه كل ما له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لأهلك قال أبقيت لهم الله ورسوله فقلت لا أسألك بشيء أبدا منها قول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

بطيبة رسم للرسول ومعهده * بين وقد تغفو الرسوم وتمهد
ولأمتحي الآيات من ذات حرمة * بها منبر الهادي الذي كان يصعد
وأوضح آيات وباقي معالم * وربع له فيه مصلى ومسجد
بها جرات كان ينزل وسطها * من الله نور يستضاء ويوقد
معارف لم تطمس على العهد أيها * آباء التلا فالأى منها تجدد
عرفت بها رسم الرسول وعهده * وقبرها وأراه في التراب ملحد
فبوركت يا قبر الرسول وبوركت * بلاد ثرى فيها الرشيد المسدد
وضمن لحد منك ضمن طيبا * عليه بناء من صفيح متضدد
تهيل عليه التراب أيد وأعين * تباكت وقد عادت بذلك أسعد
لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة * عشية عالوه الثرى لا يوسد
ورا حواجزن ليس غيهم نبيهم * وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
يكون من تبكي السموات موته * ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد
ورثاه حسان أيضا بقوله: كنت السواد لنا ظرى * يعمى عليك الناظر
من شاء بعدك فليت * فعليك كنت أحادر
صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا كثيرا

وقال عمر رضي الله عنه فيما أخرجه ابن دريد والترمذي رضي الله عنه أن تصدق فوافق ذلك ما لا عندي فقلت اليوم أسبق أبا بكر رضي الله عنه أن سبقته يوما فجئت إلى النبي عليه الصلاة والسلام بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لأهلك فقلت ما أبقيت لأهلك فقلت لا أسألك بشيء أبدا وفي رواية لا أسألك بشيء أبدا قال الترمذي حسن صحيح وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سبق أبا بكر إلى خير قط إلا سبقته به وأخرج الطبراني في الأوسط عن علي قال والذي نفسي بيده ما سبقنا إلى خير قط إلا سبقنا إليه أبو بكر والحاصل أن أبا بكر رضي الله عنه كان أجود الصحابة رضي الله عنهم قال تعالى وسيجنبها الأنس الذي يترقب ماله يترقب إلى آخرها قال ابن الجوزي أجمعوا أنها نزلت في أبي بكر وأخرج أحمد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر فبكى أبو بكر فقال هل أنا ومالي إلاك يا رسول الله وأخرج أبو يعلى عن حديث عائشة مرفوعا مثله قال ابن كثير وروى أيضا من

﴿وروي﴾ الطبراني أن عمر رضي الله عنه أرسل غلامه بأربعمائة دينار لأبي عبيدة بن الجراح وأمره بالتأني ليرى ما يصنع فيها فذهب بها إليه وأعطاهما وتأتي سيرا ففرقها كلها فرجع الغلام لعمر فأخبره فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل فأرسلها معه إليه وأمره بالتأني كذلك ففعل ففرقها فاطلمت زوجته وقالت نحن والله مساكين فأعطينا فلم يبق بالخرقة إلا ديناران فأعطاهما لها فرجع الغلام لعمر وأخبره فسر بذلك وقال إنهم إخوة بعضهم من بعض *

حديث علي وابن عباس وأنس وجابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري وأخرجه الخطيب عن سعيد بن المسيب مرسلًا وزاد وكان رسول الله ﷺ يقضي في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه وأخرج ابن عساكر من طرق عن عائشة وعروة بن الزبير أن أبا بكر أسلم يوم أسلم وله أربعون ألف دينار وفي لفظ أربعون ألف درهم فخرج إلى المدينة في الهجرة وماله غير خمسة آلاف وكل ذلك ينفق في الرقاب والعون على الإسلام وأخرج ابن عساكر عن عائشة أن أبا بكر أعتق سبعة كلهم يعذب في الله وأخرج ابن شاهدين في السنة والبعوى في تفسيره وابن عساكر عن ابن عمر قال كتبت عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر الصديق عليه عباة قد خللها في صدره بخلال فنزل عليه جبريل فقال يا محمد مالي أرى أبا بكر عليه عباة قد خللها في صدره بخلال فقال يا جبريل أتفق ماله علي قبل الفتح قال فان الله تعالى يقرأ عليه السلام ويقول قل له أراض أنت عني في فترك هذا أم ساخط فقال أبو بكر أسخط على ربي أنا عن ربي راض أنا عن ربي راض غريب وسنده ضعيف جدا وأخرج أبو نعيم عن أبي هريرة وابن مسعود مثله وسندهما ضعيف أيضا وأخرج الخطيب بسند واه أيضا عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال هبط على جبريل وعليه طنفسة وهو متخلل بها فقلت يا جبريل ما هذا قال إن الله أمر الملائكة أن تتخلل في السماء كتخلل أبي بكر في الأرض قال ابن كثير منكرو جدا قال ولولا أن هذا والذي قبله يتداوله كثير من الناس لكان الأعرض عنهما أولى وأخرج أبو نعيم عن الحسن البصري أن أبا بكر أتى النبي صلى الله عليه وسلم بصدقة فأخفاها فقال يا رسول الله هذه صدقتي والله عندي معاد وجاء عمر بصدقة فأظهرها فقال يا رسول الله هذه صدقة لله عندي معاد فقال رسول الله ﷺ ما بين صدقتكما كما بين كلمتيكما استاده جيد لكنه مرسل وأخرج الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ما لاحد عندنا يد إلا وقد كافأناه إلا أبا بكر فإن له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة وما نفعتني مال أحد ما نفعتني مال أبي بكر وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ ما لاحد عندنا أعظم يدا من أبي بكر وإساني بنفسه وماله وأتكنحنى ابنته .

﴿وروي﴾ الطبراني أن عمر رضي الله عنه أرسل غلامه بأربعمائة دينار لأبي عبيدة بن الجراح وأمره ﴿أي الغلام﴾ بالتأني ﴿أي التثبت عنده﴾ ليرى ﴿الغلام﴾ ما يصنع ﴿ابن الجراح﴾ فيها ﴿أي في أربعمائة دينار﴾ فذهب ﴿الغلام﴾ بها إليه ﴿أي إلى ابن الجراح﴾ وأعطاهما وتأتي ﴿أي شبة وتمهل﴾ سيرا ففرقها ﴿أي قسم ابن الجراح تلك الدنانير للناس﴾ كلها فرجع الغلام لعمر وأخبره ﴿بتفريق ابن الجراح ذلك﴾ فوجده ﴿أي وجد الغلام عمر﴾ قد أعد ﴿أي هيا﴾ مثل أربعمائة دينار ﴿لمعاذ بن جبل فأرسلها﴾ عمر معه ﴿أي مع الغلام﴾ إليه ﴿أي إلى ابن جبل﴾ وأمره ﴿الغلام﴾ بالتأني ﴿أي التمهل عنده﴾ كذلك ﴿أي مثل تأنيه عند ابن الجراح ليرى ما يصنع ابن جبل﴾ ففعل ﴿الغلام﴾ ما أمره عمر ﴿ففرقها﴾ أي فرق وقسم ابن جبل تلك الدنانير ﴿فاطلمت زوجته وقالت نحن والله العظيم مساكين فأعطينا فلم يبق بالخرقة﴾ التي فيها الدنانير المذكورة ﴿إلا ديناران فأعطاهما﴾ أي أعطى ابن جبل الدينارين ﴿لها﴾ أي لزوجته ﴿فرجع الغلام﴾ من عنده ﴿لعمر﴾ وأخبره ﴿بما فعله ابن جبل من التفريق المذكور﴾ ﴿فسر﴾ أي فرح عمر ﴿بذلك﴾ الذي فعله من ذلك ﴿وقال إنهم﴾ أي الصحابة رضي الله عنهم ﴿إخوة﴾ في الله ﴿بعضهم من بعض﴾

جاء بسند حسن أن زوجة طلحة بن عبيد الله رأت منه ثقلاً فقالت له مالك لعله رابك منه شيء فنتعبك قال لا ولنعم حليلة المرء المسلم أنت ولكن اجتمع عندي مال ولا أدري كيف أصنع قالت وما ينمك منه ادع قومك فاقسمه بينهم فقال يا غلام على قومي فكان جملة ما قسم أربع مائة ألف . وفي الرياض النضية أعطى طلحة أعرابيا سألته ثلاث مائة ألف وبيع أرضا من عثمان بسبع مائة ألف نحملها إليه فلما جاء بها قال إن رجلا يبيت عنده هذه في بيته لا يدري ما يطرقه من أمر الله فبات ورسله تختلف في سكك المدينة حتى سحر وما عنده منها درهم *

﴿وجاء بسند حسن أن﴾ سعدى بضم السين المهملة والألف مقصورة بنت عوف بن خارجة بن سنان بن أبي حارثة المرية ﴿زوجة طلحة بن عبيد الله﴾ نسبها هكذا رواه ابن منده وقال أبو عمر في الاستيعاب سعدى بنت عمر وقال الحافظ والاول أول روت عن النبي ﷺ وعن زوجها وعن عمر روى عنها يحيى وابن ابنها طلحة بن يحيى ومحمد بن عمران الطلحي وقد خالف ابن حبان فذكرها في ثقات التابعين قال الحافظ ومن يسمع من عمر بعد وفاة النبي ﷺ بأيام وهي زوج طلحة فهي صحابية لا محالة ﴿رأت منه﴾ أي من زوجها طلحة ﴿ثقلاً﴾ أي مغموما كما في رواية ﴿فقال له مالك﴾ أي ما شأنك ﴿لعله رابك من شيء فنتعبك﴾ أي تلومك ﴿قال لا ولنعم حليلة المرء المسلم﴾ أي زوجته ﴿أنت ولكن اجتمع عندي مال﴾ كثير فقد غمى ﴿ولا أدري كيف أصنع قالت وما ينمك منه﴾ وفي لفظ وما ينمك ﴿ادع قومك فاقسمه﴾ أي هذا المال ﴿بينهم فقال﴾ طلحة ﴿يا غلام على﴾ أي جنى بـ ﴿قومي﴾ فسألت الخادم كم كان جملة ما قسم من المال وفي الحلية قال طلحة بن يحيى فسألت خازن طلحة كم كان المال ﴿أربع مائة ألف﴾ أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا الحسن بن محمد بن أحمد بن كيسان النحوي حدثنا اسماعيل بن اسحق القاضي حدثنا علي بن عبد الله المدني وحدثنا ابراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن اسحق حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن طلحة بن يحيى بن طلحة بن محمد بن سعدى بنت عوف المرية وكانت حل أزار طلحة قالت دخل طلحة علي ذات يوم وهو خائر النفس وقال قتيبة دخل علي طلحة ورأيت مغموما فقلت مالي أراك كالح الوجه وقلت ما شأنك أرابك من شيء فاعتبك قال لا ولنعم حليلة المرء المسلم أنت قلت فما شأنك المال الذي عندي قد كثر وكرهني قلت وما عليك أقسمه قالت فقسه حتى ما بقي منه درهم وقال أبو نعيم أيضا حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا سفيان عن طلحة بن يحيى عن سعدى بنت عوف قالت كانت غلة طلحة كل يوم ألفا وألفا وكان يسمى طلحة الفياض وقد رواه سفيان أيضا عن عمرو بن دينار مثله ومن طريق الأصمعي حدثنا نافع بن أبي نعيم عن محمد بن عمران عن سعدى بنت عوف لقد تصدق طلحة يوما بمائة ألف ثم حبسه عن المسجد ان جمعت له بين طرفي ثوبه ﴿وفي الرياض النضية أعطى طلحة﴾ ﷺ ﴿أعرابيا﴾ من سكان البادية ﴿سألته ثلاث مائة ألف وبيع﴾ طلحة ﴿أرضاً من عثمان﴾ ابن عفان ﷺ ﴿سبع مائة ألف فحملها﴾ عثمان ﴿إليه﴾ أي إلى طلحة ﴿فلما جاء﴾ عثمان ﴿بها﴾ أي سبع مائة ألف وثبتت عند طلحة ﴿قال﴾ أي طلحة ﴿إن رجلاً﴾ يعني نفسه ﴿يبيت عنده هذه﴾ الأموال الكثير ﴿في بيته لا يدري ما يطرقه﴾ أي ما يأتيه في ليله ﴿من أمر الله﴾ أي حكمه من موت أو غيره ﴿ف﴾ أمر طلحة بفرق الأموال المذكورة بين الناس و﴿بات﴾ طلحة ليله ﴿ورسله تختلف﴾ أي تتردد بتقسيم تلك الأموال ﴿في سكك المدينة﴾ في طرقها ﴿حتى أسحر﴾ أي دخل في وقت السحر ﴿وما بقي عنده درهم﴾ وقيل بكى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقبل له ما يبكيك فقال لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام أخاف أن يكون الله قد أهانني وأتى رجل صديقا له فدق عليه الباب فقلت ما جاء بك قال علي أربع مائة درهم دين فوزن أربع مائة درهم وأخرجها إليه وعاد يبكي

وبعث عبد الله بن الزبير إلى عائشة رضي الله عنها بمال في غرارين عدته ثمانون ومائة ألف درهم وهي صائفة فجعلت تقسم بين الناس فأست وما عندها من ذلك درهم فقالت لجارتها هلمي فطرتي فجاءت بخبز وزيت فقالت لها الجارية فما استطعت فيما قسمت في هذا اليوم أن تشتري لنا لحما بدرهم قالت لا تعنيني لو كنت ذكرتني لفعلت * ووصل عبد الرحمن بن عوف أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بمال بلغ أربعين ألفا وأوصى بحديقة لأمهات المؤمنين بيعت بأربعمائة ألف ولبن بقي من أهل بدر لكل رجل أربعمائة دينار وكانوا مائة فأخذوها وهي أيضا بخمسين ألف دينار وألف فرس في سبيل الله وباع أرضا له من عثمان بأربعين ألف دينار فقسم ذلك المال في رحمه بني زهرة وفقراء المسلمين وأمهات المؤمنين وتصدق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرط ماله أربعة آلاف درهم ثم بأربعين ألف درهم ثم بأربعين ألف دينار ثم بخمسمائة فرس في سبيل الله

فقال امرأته لم اعطيه اذ شق عليك اذ ظنت انه بكى لأجل ذلك فقال انما أبكى لأنى لم أتفقده حاله حتى احتاج الى مفا تحتي ذكره العشي في الرسالة فرحم الله من هذه صفتهم وغفر لهم أجمعين .

روى عن محمد بن المنكدر عن أم درة وكانت تخدم عائشة رضي الله عنها أنه بعث أي أرسل عبد الله بن الزبير إلى عائشة رضي الله عنها بمال في غرارين بكسر الغين ثنية غرارة والجمع غرائر عدته ثمانون ومائة ألف درهم فيكل غرارة تسعون ألفا وهي صائفة فجعلت تقسم بين الناس فأست أي دخلت في المساء وما عندها من ذلك المال درهم فقالت لجارتها هلمي فطرتي ولفظ القوت هلمي فطرتي فجاءت بخبز وزيت فقالت لها الجارية وهي أم درة المذكورة فما استطعت ولفظ القوت أما استطعت فيما قسمت في هذا اليوم أن تشتري لنا لحما بدرهم ففطر عليه قالت لا تعنيني أي لا تلوميني لو كنت ذكرتني لفعلت هكذا نقله صاحب القوت قال وروى هشام بن عروة عن أبيه أن معاوية بعث إلى عائشة مئة بمائة ألف قال فو الله ما غابت الشمس من ذلك اليوم حتى فرقها فقالت مولاه لها لو اشتريت لنا من هذه الدراهم بدرهم لحما فقالت لو قلت لي قبل أن أفرقها فعلت وقال تميم بن عروة بن الزبير لقد رأيت عائشة تتصدق بسبعين ألفا وانها لترقع جانب درعها ورواه حجاج عن عطاء قال بعث معاوية إلى عائشة بطوق من ذهب فيه جوهر قوم بمائة ألف فقسمته بين أزواج النبي .

ووصل أي أعطى عبد الرحمن بن عوف وكان من أغنياء الصحابة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بمال بلغ أربعين ألفا وأوصى عبد الرحمن بحديقة أي بستان لأمهات المؤمنين بيعت بأربعمائة ألف ولبن بقي من أهل بدر غزوة بدر وهو موضع بين مكة والمدينة وهو ال المدينة أقرب ويقال هو منها على ثمانية وعشرين فرسخا على منتصف الطريق تقريبا وعن الشعبي أنه اسم بئر هناك قال سميت بدر لأن الماء كان لرجل من جهينة اسمه بدر لكل رجل أربعمائة دينار وكانوا أي من بقي منهم مائة فأخذها عبد الرحمن بيعت هي أي تلك الحديقة أيضا بخمسين ألف دينار وألف فرس فجعل ذلك في سبيل الله وروى أبو نعيم في الحلية عن المسور بن مخرمة قال باع عبد الرحمن بن عوف أرضا له من عثمان بن عفان بأربعين ألف دينار فقسم ذلك المال في رحمه أي قربه بني زهرة وفقراء المسلمين وأمهات المؤمنين .

أخرج الطبراني من طريق المبارك عن معمر عن الزهري قال تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أي زمنه بشرط ماله أي نصفه أربعة آلاف درهم ثم تصدق بأربعين ألف درهم ثم تصدق بأربعين ألف دينار ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله وأخرج صاحب

ثم وردت قافلة من تجارة بالشام فحملها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة فنزل جبريل فقال بن الله يقرئك السلام ويقول لك أقرئ عبد الرحمن السلام وبشره بالجنة رضي الله عنهم وعنا معهم ﴿وحكى﴾ لما قدم إمامنا الشافعي رضي الله عنه من صنعاء إلى مكة كان معه عشرة آلاف دينار فقبل له تشتري بها ضيعة فضرب خيمة خارج مكة وصب الدنانير فكل من دخل عليه أعطاه قبضة فلما جاء وقت الظهر قام ونقض الثوب ولم يبق شيء

الحلية عن جعفر بن برقان قال بلغني أن عبد الرحمن بن عوف أعق ثلاثين ألف بيت ﴿ثم وردت له قافلة من تجارة بالشام﴾ وكان عامة ماله من التجارة ﴿فحملها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾ وأخرج أبو نعيم في الحلية قال حدثنا أبو يزيد التراطيس حدثنا أسد بن موسى حدثنا عمارة بن زاذان عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال بينا عائشة في بيتها إذ سمعت صوتا رجعت منه المدينة فقالت ما هذا قالوا غير قدمت لعبد الرحمن بن عوف من الشام وكانت سبع مائة راحلة فقالت عائشة أما أني سمعت رسول الله ﷺ يقول رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا فبلغ ذلك عبد الرحمن فأتاها ففساها عما بلغه فحدثته فقال فأنأشدهك أنها بأحمالها وأقاربها وأخلصها في سبيل الله وعمارة بن زاذان الصيدلاني أبو سلمة البصري صدوق ضعفه الدارقطني وغيره وقد روى له البخاري في الأدب المفرد وأبو داود والترمذي وابن ماجه ﴿فدعا له﴾ أي لعبد الرحمن ﴿النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة فنزل جبريل فقال إن الله يقرئك السلام ويقول لك أقرئ عبد الرحمن السلام وبشره بالجنة رضي الله عنهم وعنا معهم﴾ وروى الترمذي والنسائي في الكبرى من حديثه أبو بكر في الجنة الحديث وفيه وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وهو عند الأربعة من حديث سعيد بن زيد قال البخاري والترمذي وهو أصح ﴿وحكى﴾ عن عبد الله بن الزبير بن العمرى الأسدي الحميدي المكي أنه قال ﴿لما قدم إمامنا الشافعي ﷺ من صنعاء﴾ اليمن ﴿إلى مكة﴾ زادها الله شرفا ﴿كان معه عشرة آلاف دينار فقبل له تشتري بها ضيعة﴾ أي عقارا ﴿فضرب﴾ الشافعي ﴿خيمة﴾ وهو بيت تبنيه العرب من عيدان الشجر ﴿خارج مكة وصب الدنانير﴾ على ثوب ﴿فكل من دخل عليه أعطاه قبضة﴾ فلما جاء وقت الظهر قام ونقض الثوب ولم يبق شيء ﴿في ذلك الثوب﴾ وقد اختلف قول الحميدي هذا فقال ابن عساكر أخبرنا أبو الحسن القرظي حدثنا أبو نصر الخطيب حدثنا أبو بكر بن الحديد أخبرنا محمد بن بشر البكري سمعت الربيع يقول قدم علينا الشافعي من صنعاء فضربت له الخيمة ومعه عشرة آلاف دينار فجاء قوم وسألوه فما قلعت الخيمة ومعه منها شيء ثم روى من طريق أبي جعفر الترمذي عن الربيع عن الحميدي قال قدم الشافعي بثلاثة آلاف دينار فدخل عليه بنو عمه وغيرهم فجعل يعطيهم حتى قام وليس معه شيء وقال البيهقي أخبرنا الحاكم سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب الأصم سمعت الربيع بن سليمان يقول سمعت الحميدي يقول قدم الشافعي من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف دينار في مندبل فضرب خباء في موضع خارجا عن مكة وكان الناس يأتونه فيه فما برحت حتى ذهبت كلها قال البيهقي وقال غيره عن الربيع في هذه الحكاية وفرق المال كله في قرش ثم دخل مكة قال الزبيدي وروى ابن خزيمة عن الربيع بمثل رواية البيهقي الأولى وفيه معه عشرون ألف دينار وفيه وأقام حتى فرقها وقال الزبير بن عبد الواحد الأسدي وأخبرني أبو محمد البستي السجستاني فيما كتب إلى قال حدثني أبو ثور قال أراد الشافعي أن يخرج إلى مكة ومعه مال فقلت له وقلما كان يمسك الشيء من سماحته ينبغي أن تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك من بعدك فخرج ثم قدم علينا فسالته عن ذلك المال ما فعل به فقال ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني أن أشتريها لمعرفتي بأصلها أكثرها قد وقفت ولكن قد بنيت بمنى مضر يا يكون لأصحابنا إذا حجوا ينزلون فيه ورواه أبو عبد الله محمد بن أحمد غنجال الحافظ البخاري حدثنا خلف بن محمد حدثنا إبراهيم بن محمود بن حمزة حدثني داود ابن

وقيل أن أمه قالت له لو دخلت ومعك درهم ما سلمت عليك يا ابن آدم اتفق ينفق عليك ووسع يوسع عليك ولا تقتر فيقتر عليك واشتر بالقباني الباقي قبل أن تبلغ النفس التراقي

علي بن خلف حدثني إبراهيم بن خالد الكلبي يعني أبا ثور الشافعي بهذا وزاد بعد قوله ينزلون فيه قال فكأنني اهتممت فأشدد الشافعي قول ابن أبي حازم :

إذا أصبحت عندى قوت يوم ❊ فخل الهم عني ياسعيد

ولم تخطر هموم غد بيالى ❊ لأن غداله رزق جديد

أسلم ان أراد الله أمرا ❊ واترك ما أريد لما يريد

وما لأرادتى وجه اذا ما ❊ أراد الله لى ما لا أريد

وخرج الشافعي من الحمام مرة فأعطى الحمامى مالا كثيرا وسقط سوطه من يده مرة فرفعه انسان اليه فأعطاه جزاء عليه خمسين دينارا وسخاوة الشافعي رحمه الله أكثر من أن تحصى قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال كان الشافعي أسخى الناس بما يجد وقال داود بن علي الظاهري حدثنا أبو ثور قال كان الشافعي من أجود الناس وأسمحهم كفا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي سمعت عمرو بن سواد الدجى قال كان الشافعي أسخى الناس على الدينار والدرهم والطعام وقال محمد بن عبيد الله محمد أخبرنا أبو عمر محمد بن الحسين البسطامي أخبرنا أحمد بن عبد الرحمن بن أجارود سمعت المزني يقول سمعت الشافعي يقول السخاء والكرم يغطيان عيوب الدنيا والآخرة بعد أن لا يلحقها بدعة .

﴿وقيل ان أمه﴾ اى أم الشافعي وهى أزدية على الصحيح وقيل هاشمية واسمها فاطمة بنت عبد الله بن الحسن بن الحسين ولم يثبت هذا ﴿قالت له لو دخلت﴾ مكة ﴿ومعك درهم ما سلمت عليك﴾ قال المصنف ﴿يا ابن آدم اتفق ينفق عليك ووسع يوسع عليك ولا تقتر﴾ اى لا تضيق ﴿فيقتر عليك واشتر بالقباني﴾ وهو متاع الدنيا ﴿الباقي﴾ اى الدائم وهو ثواب الآخرة ﴿قبل أن تبلغ النفس﴾ اى الروح ﴿التراقي﴾ جمع ترقوة وزنها فعلاوة بفتح الفاء وضم اللام وهى العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين وقال العلامة أبو الليث رحمه الله تعالى عليك بالصدقة بما قل أو أكثر فان فى الصدقة عشر خصال محمودة خمسة فى الدنيا وخمسة فى الآخرة فأما الخمسة التى فى الدنيا فأولها تطهير المال كما قال النبى ﷺ ألا ان البيع يحضره اللغو والحلف والكذب فشوبه بالصدقة والثانى أن فيها تطهير البدن من الذنوب كما قال عز وجل خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها والثالث أن فيها دفع البلاء والأرض كما قال النبى ﷺ داووا مرضاكم بالصدقة والرابع أن فيها ادخال السرور على المساكين وأفضل الأعمال ادخال السرور على المؤمنين والخامس أن فيها بركة فى المال وسعة فى الرزق كما قال الله تعالى وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وأما الخمسة التى فى الآخرة فأولها أن تكون الصدقة ظللا لصاحبها من شدة الحر والثانى أن فيها خفة الحساب والثالث أنها تثقل الميزان والرابع جواز على الصراط والخامس زيادة الدرجات فى الجنة .

* خاتمة * نسال الله حسنهما فى حكاية الأسخياء روى المسعودى فى مروج الذهب والخطيب فى التاريخ واللفظ للمسعودى قال الواقدي كان لى صديقان أحدهما هاشمى وكما كنفس واحدة فنالتنى ضائفة شديدة وحضر العيد فقالت لى امرأتى أما نحن فى أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبى رحمة لهم لأنهم يرون صبيان الجيران وقد تزينوا فى عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحالة من الثياب الرثة فلو احتلت فى شيء نصرته فى كسوتهم قال فكبت الى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة على فوجه الى كيسان محتوما ذكر أن فيه ألف درهم فما استقر قراى حتى كسب الصديق الآخرة يشكوك مثل ما شكوت الى صاحبي الهاشمي

فوجهت إليه الكيس على حاله وخرجت إلى المسجد وأقمت فيه ليلتين مستحيا من امرأتى فلما دخلت عليها استحسنت ما كان منى ولم تعنفني عليه فينا أنا كذلك إذا وافي صديقي الهاشمي ومعه الكيس كميته فقال لي اصدقني عما فعلت فيما وجهت به إليك فغرقته الخبر على وجهه فقال لي أنك وجهت إلى وما أملك على الأرض إلا ما بعثت به إليك وكب إلى صديقنا أسأله المواساة فوجه كيسي بخاتمي قال الواقدي فتواسينا ألف درهم فيما بيننا ثم أخرجنا للمرأة مائة درهم قبل ذلك ونمى الخبر إلى المأمون فدعاني فشرحت له الخبر فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد منا ألفا درهم وللمرأة ألف دينار وخرج عبد الله بن عامر بن كرز من المسجد يريد منزله وهو وحده ليس معه أحد فقام إليه غلام من ثقيف فمضى إلى جانبه فقال له عبد الله ألك حاجة يا غلام قال صلاحك وفلاحك رأيك تمشي وحدك فقلت أفيك بنفسى وأعوذ بالله أن طار يحنالك مكروه فأخذ عبد الله يده ومشى معه إلى منزله ثم دعا بألف دينار وقد فيها إلى الغلام وقال استغنى هذه فنعم ما أذكبك أهلك هكذا أخرجه أبو الحسن المدائني في أخبار الأسخياء وقيل أن نفذ هرون الرشيد إلى مالك بن أنس خمسمائة هدية فبلغ ذلك الليث بن سعد فأنفذ إليه ألف دينار فغضب هرون لما بلغه ذلك وقال أعطيه خمسمائة وتعطيه ألفا وأنت من رعيته فقال يا أمير المؤمنين إن لي من غلتي التي اشتغلها من أرضي كل يوم ألف دينار واستحييت أن أعطى مثله في جلالة قدره أقل من دخل يوم نقله محمد بن صالح الأشج وقال أيضا قدم منصور بن عمار على الليث فوصله بألف دينار واحترق بيت عبد الله بن لميعة فوصله بألف دينار وقال شعيب بن الليث خرجت مع أبي حاجا فقدم المدينة فبعث إليه مالك بطبق رطب فجعل على طبق ألف دينار ورزقه إليه وروى محمد بن ربح قال كان دخل الليث في كل سنة ثمانين ألف دينار ما أوجب الله عليه زكاة درهم قط وقال شعيب بن الليث يشتغل أبي في السنة ما بين عشرين ألف دينار إلى خمسة وعشرين ألفا تأتي عليه السنة وعليه دين.

وقال الأعمش رحمه الله اشكت شاة عندي فكان حيثة بن عبد الرحمن يعودها بالغدوة والعشي ويسألني هل استوفيت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتي لبد أجلس عليه فإذا خرج قال خذ ما تحب اللبد فأخذه حتى وصل إلى في علة الشاة أكثر من ثلاثمائة دينار من بره وصلته حتى تمت أن الشاة لم تبرأ أو قال الشافعي رحمه الله لا زال أحب حماد بن أبي سليمان لشيء بلغني عنه أنه كان ذات يوم راكبا جماره فحزكه فاقطع زر قميصه فمر على خياط فأراد أن ينزل إليه ليسوى زره فقال الخياط والله لأنزلت فقام الخياط إليه فسوى زره فأخرج حماد إليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها إلى الخياط واعتذر إليه من قلتها وهذا من المروءة والسخاء.

وقال الصلت بن بسطام كان حماد يظفر كل ليلة في رمضان خمسين انسانا فإذا كان ليلة الفطر كساهم ثوبا ثوبا وقال أبو حفص عمر بن الحسن النيسابوري مدح بعض الشعراء بعض الأمراء فلم يصله بشيء فكذب على لوح هذه الأبيات:

ماذا أقول إذا انصرفت وقيل لي * ماذا أصيب من الجواد المفضل

إن قلت أعطاني كذبت وإن أقل * بخل الجواد بماله لم يقبل

فاختر لنفسك ما تريد فانني * لا بد يخبرهم وإن لم أسئل

ثم طرح اللوح في الساقية يجرى في الماء إلى دار الأمير فوقع اللوح بيد الأمير فقرأ الأبيات فأمر له بمائتي ألف درهم على ظهر اللوح هذه الأبيات

عاجلتنا فأتاك عاجل برنا * فورا ولو أمهلتنا لم يقلل

فخذ القليل وكن كأنك لم تكن * تسأل ونحن كأننا لم نفعل

وقال أبو حفص أيضا كان بالكوفة رجل غني فافتقر وأراد أن يزوجه ابنته فأشار عليه أحد أصدقائه أن امض إلى الحسن بن علي

﴿فصل في الضيافة﴾ أخرج الديلمي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل الضيف على القوم دخل برزقه وإذا خرج خرج بمغفرة ذنوبهم * وأبو الشيخ عن أبي قرصافة إذا أراد الله تعالى لقوم خيراً أهدى إليهم هدية الضيف ينزل برزقه ويرتحل برزقه وقد غفر الله لأهل المنزل * وابن أبي الدنيا عن حبان بن أبي جندة إن أسرع صدقة إلى السماء أن يضع الرجل طعاماً طيباً ثم يدعو عليه ناساً من إخوانه والحكيم الترمذي

فانه يكفيك هذا المم فدخل الى الحسن وأخبره بالقصة فقال للخازن أعطه ألف درهم فأعطاه ألف درهم قراضة فجعل السائل يتقدمها فقال الخازن يا رجل خذ ما أعطيتك فانك لم تبع دم أخيك فقال الرجل لم أبيع دم أخي ولكني بعت ماء وجهي فاستحسن الحسن كلامه وقال للخازن أعطه ألف درهم صحاح وأعطاه ألف دينار ثم قال أما القراضة فلتعبك من الكوفة الى ههنا والصحاح لبذل ماء وجهك والالف دينار فلا نساظك معنا دون أصدقائك واشترى عبد الله بن عامر بن كرز من خالد بن عقبة بن أبي معيط داره التي في السوق بالمدينة بتسعين ألف درهم فلما كان الليل سمع عبد الله بكاء أهل خالد فقال لأهله ما هؤلاء قالوا يكون لداهم فقال يا غلام اتهم فأعلمهم ان الدار والمال لهم جميعاً أخرجه أبو الحسن المدائني وقيل مرض قيس بن سعد الأنصاري عليه السلام فاستبطأ إخوانه الذين كانوا يأتونه فقبل انهم يستحيون بمالك عليهم من الدين فقال أخزى الله ما لا يبيع الاخوان من الزبارة ثم أمر منادياً من كان عليه لقيس بن سعد حتى فهو منه برئ قال الواقدي فكسرت درجاته من الازدحام بالمشي لكثرة من زاروه وعاده فقله القشيري في الرسالة وعن الربيع بن سليمان قال أخذ رجل بركاب الشافعي رحمه الله فقال ياربيع أعطه أربع دنانير واعتذر اليه عنى أخرجه البيهقي في مناقبه والله أعلم.

﴿فصل في﴾ فضيلة ﴿الضيافة﴾

اي من ضافه ضيفاً اذا نزل عنده فهو ضيف ويطلق على الواحد والجمع وأصل الضيف الميل يقال ضافت الشمس للغروب مالت والضيف من مال بك نزولاً وصارت الضيافة معارفة في القرى.

أخرج أبو الليث عن أبي شريح الخزاعي مرفوعاً من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام فما كان بعد ذلك فهو صدقة وأخرج الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عقبة بن عامر لا خير فيمن لا يضيف اي لا يطعم الضيف الذي ينزل به وذلك اذا كان قادراً على ضيافته ولم يعارضه ما هو أهم من ذلك كنفقة من تلزمه مؤتته وأخرج الخرائطي في مكارم الأخلاق من رواية ابن المنهال مرسلًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له ابل وبقر كثيرة فلم يضيفه ومراة لها شويهاة فذبحت له فقال صلى الله عليه وسلم انظروا اليهما انما هذه الأخلاق بيد الله فمن شاء أن يمنحه خلقاً حسناً فعل وأخرج الشيخان سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الايمان فقال اطعام الطعام وبذل السلام وأخرج الترمذي وصححه والحاكم من حديث معاذ رضي الله عنه في الكفارات والدرجات اطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وقال أنس بن مالك رضي الله عنه كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة يعني ملائكة الرحمة.

و﴿أخرج الديلمي عن أنس﴾ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل الضيف على القوم دخل برزقه﴾ اي فاكرموه بخلف الله عليكم ﴿واذا خرج خرج بمغفرة ذنوبهم﴾ أي الصغار أكرموه وذكر القوم مثال فالواحد كذلك وهذا حديث ضعيف كما قاله العزيزي. ﴿و﴾ أخرج ﴿أبو الشيخ﴾ ابن حبان ﴿عن أبي قرصافة اذا أراد الله تعالى لقوم خيراً﴾ كاملاً ﴿أهدى إليهم هدية الضيف ينزل برزقه ويرتحل برزقه وقد غفر الله لأهل المنزل.﴾ و﴿أخرج﴾ ابن أبي الدنيا عن حبان بن أبي جندة ان أسرع صدقة الى السماء ﴿هو كناية عن قبولها﴾ أن يضع الرجل طعاماً طيباً ﴿اي حلالاً﴾ ثم يدعو عليه ناساً من إخوانه. و﴿أخرج﴾ الحكيم الترمذي ﴿في نوادر الأصول

عن عائشة رضي الله عنها أن الملائكة لا تزال تصلي على أحدكم ما دامت مائتته موضوعة * والحاكم عن أبي هريرة من أطعم أخاه المسلم شهوته حرمه الله على النار * وعن جابر من ذبح لضيفة ذبيحة كانت فداء له من النار * والشيخان عن أبي هريرة جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني بجهود فأرسل إلى بعض نسائه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء فقال من يضيف هذا الليلة فقال رجل من الأنصار أنا يا رسول الله فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية قال لامرأته هل عندك شيء قالت لا إلا قوت صياني

﴿عن عائشة رضي الله عنها﴾ بإسناد ضعيف ﴿أن الملائكة لا تزال تصلي على أحدكم﴾ أي تستغفله ﴿ما دامت مائتته موضوعة﴾ أي مدة دوام وضعها لأكل الضيفان ونحوهم والمائدة ما يفرش على الأرض ويوضع عليه الطعام وأخرجه أيضا الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب وقال تفرد به بن دار بن علي قال الحكيم الترمذي سؤال الملائكة ربهم أن يغفروا لعبده من الأسباب الموجبة للمغفرة له فهو سبحانه نصب الأسباب التي يفعل بها ما يشاء بأوليائه وأعدائه وجعلها أسبابا لا يراد منه كما جعلها أسبابا لوقوع مراده فمنه السبب والمسبب وإن أشكل عليك ذلك فانظر إلى الأسباب الموجبة لمحبة وغضبه فهو يجب ويورضى ويغضب والكل منه واليه وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد.

﴿و﴾ أخرج الحاكم والبيهقي ﴿عن أبي هريرة﴾ مرفوعا ﴿من أطعم أخاه المسلم شهوته﴾ أي ما يشتهيه من الطعام أو الشراب ﴿حرمه الله على النار﴾ أي منعه من دخولها فيه بشارة بالموت على الإيمان لمن أطعم المسلم شيئا يشتهيه وهذا حديث حسن كما في العزيزي وأخرج الطبراني عن معاذ من أطعم مؤمنا حتى يشبعه من سغب أدخله الله بابا من أبواب الجنة لا يدخله إلا من كان مثله وأخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي سعيد من أطعم مسلما جائعا أطعمه الله من ثمار الجنة وأخرج الديلمي عن عبد الله بن جراد من أطعم كذا جائعا أطعمه الله من أطيب طعام الجنة ﴿و﴾ أخرج الحاكم في تاريخه ﴿عن جابر من ذبح لضيفة﴾ المسلم ﴿ذبيحة﴾ قال الحقني أي أي ذبيحة كانت ولو دجاجة ونحوها ﴿أكراما لله﴾ كانت فداء من النار ﴿بأن يدخله الله الجنة بغير عذاب ظاهره وإن ارتكب كبائر ويحتمل أن يكون ذلك سببا لتوبته فلا إشكال أفاده العزيزي.

﴿و﴾ أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه ﴿جاء رجل﴾ هو أبو هريرة كما وقع مفسرا في رواية الطبراني ﴿إلى النبي﴾ فقال إني بجهود ﴿أي أصابني الجهد أي المشقة والجوع﴾ فأرسل ﴿عليه الصلاة والسلام﴾ إلى بعض نسائه ﴿يطلب منها ما يضيفه به﴾ فقالت والذي بعثك بالحق ﴿نيا﴾ ما عندي إلا ماء ثم أرسل ﴿إلى أخرى فقالت مثل ذلك﴾ أي ليس عندي إلا ماء ﴿حتى قلن﴾ أي نساء أمهات المؤمنين ﴿كلهن مثل ذلك﴾ أي مثل ما ذكر وهو قولها ﴿لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء﴾ فقال ﴿ألا﴾ من يضيف ﴿بكسر الضاد المعجمة وسكون التحتية أو بفتح الضاد بعدها تحية شديدة﴾ هذا الرجل هذه الليلة ﴿يرحمه الله﴾ كما في رواية ﴿فقال رجل من الأنصار أنا يا رسول الله﴾ أضيفه ﴿فانطلق﴾ الأنصاري ﴿به﴾ أي بالضيف ﴿إلى رحله﴾ أي منزله ﴿فقال لامرأته أكرمي ضيف رسول الله﴾ وفي رواية قال لامرأته هل عندك شيء ﴿من الطعام وفي رواية لا تخبره شيئا﴾ قالت لا إلا قوت صياني ﴿وفي رواية قالت والله ما عندي إلا قوت الصية.

وفي مسلم فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة وعلى هذا فالمرأة أم سليمان والأولاد أنس وأخوته لكن امتنع الخطيب أن

قال فعلليهم بشيء فإذا أرادوا العشاء فتومئهم وإذا دخل ضيفا فاطفى السراج وأريه أنا تأكل فقعدوا وأكل الضيف وباتوا طوابين فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد عجب الله بصنيعكما بضيفكما الليلة فأنزل الله ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة

يكون أبو طلحة هذا هو زيد بن سهل عم أنس بن مالك زوج أمه فقال هو رجل من الأنصار لا يعرف اسمه ووجهه أن هذا الرجل المضيف ظهر من حاله أنه كان قليل ذات اليد فإنه لم يجد ما يضيف به الاقوت أولاده وأبو طلحة زيد بن سهل كان أكثر أنصاري بالمدينة مالا وقتل ابن بشكوال عن أبي المؤكل الناجي أنه ثابت بن قيس وقيل عبد الله بن رواحة ﴿قال﴾ الأنصاري لامراته ﴿فعلليهم﴾ أي الصبيان ﴿بشيء﴾ فإذا أرادوا العشاء ﴿فتفتح العين﴾ فتومئهم ﴿حتى لا يأكلوا﴾ وقول البرماوى كالكرمانى وهذا القدر كان فاضلا عن قدر ضرورتهم والافتقة الأطفال واجبة والضيافة سنة فيه نظر لأنها صرحت بقولها والله ما عندى الاقوت الصبية فلعلها علمت صبرهم لقلة جوعهم وهيات لهم ذلك ليأكلوه على عادة الصبيان للطلب من غير جوع يضر ﴿وإذا دخل ضيفا فاطفى السراج﴾ بهمزة قطع ﴿وأريه أنا تأكل﴾ فهيات زوجة الأنصاري طعامها وأوقدت سراجها ونومت صبيانها بغير عشاء ثم قامت كأنها تصلح سراجها فاطفأته ﴿فقعدوا﴾ أي هؤلاء الثلاثة الأنصاري وزوجة وضيفه فجعل الأنصاري وزوجاته يربانه كأنها يأكلان ﴿وأكل الضيف وباتوا طوابين﴾ أي بغير عشاء ﴿فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ﴾ جواب لما قوله غدا ضمن فيه معنى الاقبال أي لما دخل الصباح أقبل على رسول الله ﷺ ﴿فقال﴾ ﴿لقد عجب الله﴾ أي رضى وقيل ﴿بصنيعكما بضيفكما الليلة فأنزل الله﴾ تعالى ﴿ويؤثرون﴾ أي الأنصار ﴿على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ أي فاقة والمعنى يقدمون المحاييج على حاجة أنفسهم وبدءون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ يوم النصير للأنصار ان شتم قسمتهم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركهم في هذه الغنيمة وان شتم كانت لكم أموالكم ودياركم ولم تقسم لكم شيئا من الغنيمة فقال الأنصار بل تقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فأنزل الله عز وجل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة الآية .

واعلم أن أكرام الضيف سواء كان غنيا أو فقيرا بالبشر في وجهه وطيب الحديث معه وبالمبادرة باحضار ما تيسر عنده من الطعام من غير كلفة ولا اضرار بأهله الآن يرضوا وهم بالغفون عاقلون وأما حديث الأنصاري المذكور الذي اثنى الله ورسوله عليه وعلى امرأته بآثارهما الضيف على أنفسهما وعلى صبيانهما حيث نومتهم بأمره حتى أكل الضيف فقد أجاب الغلامه ابن حنبل عما اقتضاه ظاهره من تقديمهما ما يحتاج اليه الصبيان بأن الضيافة لتأكدها والاختلاف في وجوبها مقدمة وبأن الصبيان لم تشد حاجتهم للأكل وإنما خشيا أن الطعام لو حي به للضيف وهم مستيقظون لم يصبروا عن الأكل منه وان كانوا شبعا على عادة الصبيان وشوشوا على الضيف فتومئوا لذلك وهذا ظاهر خلافا لمن توقف فيه وقد ذكر محمد بن عبد الكريم السمرقندى في كتاب روح المجالس ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان اذا أراد أن يتعدى ولم يحضره ضيف خرج مسيرة ميل أو ميلين يطلب من يتعدى معه انتهى وقال ابن أبي الدنيا في قرى الضيف حدثنا ابن جميل أخبرنا عبد الله عن طلحة عن عطاء قال كان ابراهيم عليه السلام اذا أراد ان يتعدى خرج ميلا أو ميلين يلتبس بمن يتعدى معه وهو أول من سن الضيافة وعظم أمرها قال أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم في كتاب الأوائل حدثنا وهبان بن يقيعة حدثنا خالد عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعا أول من ضيف الضيف ابراهيم عليه السلام ورواه ابن أبي الدنيا في قرى الضيف عن محمد بن عبد الله بن المبارك حدثنا أبو أسامة حدثنا محمد بن عمرو فذكره مثله قال وحدثنا اسحاق بن اسماعيل

﴿وحكى﴾ اليافعي عن الشيخ أبي الربيع المالقي أنه قال بامرأة من الصالحات في بعض القرى اشتهر أمرها وكان من دأبنا أن لا نزور امرأة فدعت الحاجة إلى زيارتها للاطلاع على الكرامة التي اشتهرت عنها وكانت تدعى بالفضة فنزلنا القرية التي هي فيها فذكر لنا أن عندها شاة تحلب لبنا وعسلا فاشترينا قدحا جديدا لم يوضع فيه شيء ومضينا إليها وسلمنا عليها ثم قلنا لها نريد أن نرى هذه البركة حدثنا جرير عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال كان إبراهيم أول من أضاف الضيف وروى ابن أبي الدنيا في قرى الضيف من طريق سفيان الثوري عن أبيه عن عكرمة قال كان إبراهيم عليه السلام يكمي أبا الضيفان وكان لقصره أربعة أبواب لكيلا يفوته أحد قال الغزالي ولصدق يته في أمر الضيافة دامت ضيافته في مشهده في غار حبرون إلى يومنا هذا فلا تنقضي ليلة الا ويأكل عنده جماعة من بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة وقال خدمته القائمون بشعار الكس والإيقاد الملازمون هناك أنه لم يحل إلى الآن ليلة عن ضيف انتهى قال الزبيدي وقد اتفق لي أنني لما وردت لزيارته كان معي جماعة نحو الخمسة فلما فرغت من الزيارة إذا أنا بسماط ممدود وفيه من أنواع الأطعمة فتعجبت لكوني ما أعرف هناك أحدا فمن أين هذا فقال لي واحد لا تتعجب هذه ضيافة الخليل عليه السلام وهي لكل قادم لزيارته ثم اني كنت في ضيافته ثلاثة أيام في أرغد عيش صلى الله عليه وعلى ولده وسلم.

* تنبيه * قد قال أحمد بوجوب الضيافة لأحاديث ظاهرة في ذلك وفي أن الضيف يستقل بأخذ ما يكفيه من غير رضا من نزل عليه أو على نحو بستانه أو زرع له لكن خالفه الجمهور وحملوا تلك الأحاديث على غير ظاهرها فحملوا الوجوب على أول الإسلام فانها كانت واجبة حين اذ كانت المواساة واجبة فلما ارتفع وجوب المواساة ارتفع وجوب الضيافة أو على التأكيد كما في خبر غسل الجنعة واجب على كل محتمل وحملوا الاستقلال بالأخذ من غير رضا على المفطر لكنه بعد ذلك ينرم بدل ما أكله وذلك لأدلة أخرى منها لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس ومنها قوله ﷺ جازته يوم وليلة الجائزة الصلة والعطية المتطوع بها قال بعضهم يحتمل تخصيص أكرام الضيف بغير الفاسق والمبتدع والمؤذي ونحوهم فهؤلاء لا يكرمون بل يهانون ردعاً لهم عن فجورهم ويحتمل جعلهم من ذوات الجهتين فيكرمون من حيث الضيافة ويهانون من حيث الفجور لأن الكافر يرعى حق ضيافته ونحوه فالمسلم على نحو فسقه أول وجاء في كل كبد حراء أجر قال بعضهم حتى نحو الحية والكلب العقور يطعم ويسقى اذا اضطر إلى ذلك ثم يقتل انتهى والوجه هو الاحتمال الثاني وهو جعلهم من ذوات الجهتين كما صرح به كلام أئمتنا ولا ينافيه قولهم يحرم الجلوس مع الفساق إيتاسا لهم لأن هذا فيه اعانة لهم على فسقهم كما يدل عليه تنقيدهم القعود معهم بالإيتاس من حيث الفسق فافهم أنه معه لا بالإيتاس كذلك جائز وما ذكره البعض من إطعام العقور ونحوه فيه نظر لوجوب قتله فوراً فلا حاجة لإطعامه كما يدل عليه قول أئمتنا لو استطعتم من يراد قتله بحق لم يطعم بخلاف ما لو استسقى لقله زمنه أفاده العلامة ابن حجر في شرح الأربعين .

﴿وحكى﴾ الامام أبو محمد عبد الله ابن أسعد ﴿اليافعي﴾ في روضه رحمه الله تعالى ﴿عن الشيخ أبي الربيع المالقي﴾ بفتح اللام نسبة إلى ملقونية كحلزونية بلد قرب قونية ﴿أنه قال سمعت بامرأة من الصالحات في بعض القرى اشتهر أمرها﴾ بالكرامة ﴿وكان من دأبنا﴾ أي عادتنا ﴿أن لا نزور امرأة﴾ أجنبية ﴿فدعت الحاجة إلى زيارتها للاطلاع على الكرامة التي اشتهرت عنها وكانت﴾ تلك المرأة ﴿تدعى﴾ أي تسمى ﴿بالفضة فنزلنا القرية التي هي﴾ أي المرأة الصالحة ﴿فيها﴾ في القرية ﴿فذكر﴾ بالبناء للمفعول أي ذكر بعض الناس ﴿لنا أن عندها شاة تحلب لبنا وعسلا فاشترينا قدحا جديدا لم يوضع فيه﴾ أي في القدح ﴿شيء ومضينا إليها وسلمنا عليها ثم قلنا لها نريد أن نرى هذه البركة﴾ أي الخبر الإلهي

التي ذكرت لنا عن هذه الشاة التي عندكم فأخذنا الشاة وجلبناها في القدر فشربنا لبنا وعسلا فلما رأينا ذلك سألناها عن قصة الشاة فقالت نعم كانت لنا شويبة ونحن قوم فقراء ولم يكن لنا شيء فحضر العيد فقال لي زوجي وكان رجلا صالحا نذبح هذه الشاة في هذا اليوم قلت له لا تفعل فإنه قد رخص لنا في الترك والله يعلم حاجتنا إليها فاتفق أن استضاف بنا في ذلك اليوم ضيف ولم يكن عندنا قري فقلت له يا رجل هذا ضيف وقد أمرنا باكرامه فخذ تلك الشاة فاذهبها قال فحفظنا أن يبكي عليها صغارنا فقلت له أخرجها من البيت إلى وراء الجدار فاذهبها فلما أراق دما ففرت شاة على الجدار ففرت إلى البيت فخشيت أن تكون قد انفلتت منه فخرجت لأنظرها فإذا هو يسلخ الشاة فقلت له يا رجل عجبنا وذكرت له القصة فقال لعل الله أبدلنا خيرا منها فكانت تلك تحلب اللبن وهذه تحلب اللبن والعسل بركة إكرامنا الضيف

﴿التي ذكرت لنا عن هذه الشاة التي عندكم فأخذنا﴾ بعد إعطائها ﴿الشاة وجلبناها في القدر﴾ المذكور ﴿فشربنا لبنا وعسلا فلما رأينا ذلك﴾ اللبن والعسل ﴿سألناها عن قصة الشاة﴾ وقلنا أخبرني بذلك ﴿فقالت نعم﴾ أخبرك عن القصة ﴿كانت لنا شويبة﴾ تصغير شاة والجمع شاء وشياه بالهاء رجوعا إلى الأصل كما قيل شفة وشفاء ويقال أصلها شاة مثل عاهة ﴿ونحن قوم فقراء ولم يكن لنا شيء﴾ غير هذه الشويبة ﴿فحضر العيد فقال لي زوجي وكان رجلا صالحا نذبح هذه الشاة في هذا اليوم قلت له لا تفعل﴾ النذبح ﴿فأنه﴾ أي الحال والشأن ﴿قد رخص﴾ بالبناء للمفعول ﴿لنا في الترك﴾ أي ترك النذبح ﴿والله يعلم حاجتنا إليها﴾ أي إلى هذه الشاة ﴿فاتفق أن﴾ مخفية من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وفي لفظ أنه ﴿استضاف بنا في ذلك اليوم ضيف ولم يكن عندنا قري﴾ أي الشري الذي قربه ونكرمه هذا الضيف ﴿فقلت له﴾ أي لزوجي ﴿يا رجل هذا ضيف وقد أمرنا﴾ الله تعالى ﴿باكرامه فخذ تلك الشاة فاذهبها قال﴾ زوجي ﴿فحفظنا أن يبكي عليها﴾ أي تلك الشاة ﴿صغارنا فقلت له أخرجها من البيت إلى وراء الجدار﴾ أي خلف الجدار للبيت ﴿فاذهبها فلما أراق﴾ زوجها ﴿دمها﴾ بالنذح ﴿ففرت﴾ أي وثبت ﴿شاة على الجدار ففرت إلى البيت فخشيت أن تكون﴾ الشاة المذبوحة ﴿قد انفلتت﴾ أي تخلصت وخرجت بسرعة ﴿منه﴾ أي من زوجي ﴿فخرجت﴾ من البيت ﴿لأنظرها فإذا هو﴾ أي زوجي ﴿يسلخ﴾ بفتح الياء وضم اللام وكسر هاء من بابي قتل وضرب ﴿الشاة﴾ المذبوحة ﴿فقلت له يا رجل﴾ رأيت ﴿عجبنا وذكرت له القصة﴾ أي قصة الشاة التي ففرت على الجدار ﴿فقال لعل الله﴾ تعالى أن يكون قد ﴿أبدلنا خيرا منها﴾ أي من هذه الذبيحة ﴿فكانت تلك﴾ المذبوحة ﴿تحلب اللبن وهذه﴾ الشاة المباركة ﴿تحلب اللبن والعسل بركة إكرامنا الضيف﴾ ثم قلت يا أولادي إن شويبتنا هذه ترعى في قلوب المردين فاذا طابت قلوبهم طاب لبنها وإن تغيرت تغير لبنها فطيبوا قلوبكم يطب لكم كل شيء طلبتموه منه رضي الله عنها هكذا ساقه الياقبي بنسائه قال وقد سألني بعض أهل العلم والأخبار ماذا تعني بالمردين فظهر لي والله أعلم أنها تعني بالمردين نفسا وزوجها ولكن أطلقت لفظا ظاهره العموم مع إرادة التخصيص تستر وتحريضا للمريدين على تطيب قلوبهم اذ يطيب القلوب يحصل كل طيب محبوب من الأنوار والأسرار ولذة العيش بمناذمة الملك الغفار والمعنى لما طابت قلوبنا طاب ما عندنا فطيبوا قلوبكم يطب لكم ما عندكم ولو لم يكن الأمر كذلك بل المراد عموم المردين لكان يطيب اللبن من سائر الغنم ولو خبث قلبها لما نفعها طيب قلوب المردين واذا طابا هما لم يضرهما خبث قلوب المردين والله سبحانه وتعالى أعلم.

* خاتمة * نسال الله حسناتها في آداب الزائر والمزور وهي أربعة: أحدها وهو للزور ترك التكلف أولا وتقديم ما حضر وتيسر ويسهل في الحال من كل ما يؤكل عادة فإنه أدوم للرجوع وأذهب لكرامة رب المنزل فإن لم يحضره شيء ولم يملك فلا يأخذ من الدين لأجل

ذلك فيشوش على نفسه بالهم في أدائه مع عدم القدرة عليه وإن حضره ما هو محتاج إليه لقوته أو قوت من يمونه ولم تسمح نفسه بالتقديم إلى الضيف فلا ينبغي أن يقدم وقد كان من المتقدمين من إذا دخل عليه وهو يأكل لم يعرض على أخوانه الأكل إذا لم يحب أن يأكل معه خشية التزين بالقول أو لا يعرضهم لما يكرهون دخل قوم على أبي عاصم وكان ذا زهد وهو يأكل فقال لولا أنني أخذته بدين لأطعمكم منه وكان بعض العلماء يقول التكلف في الطعام أن يأخذه بدين أو يطعمه من خبائه وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول إنما تقاطع الناس بالكلف يدعو أحدهم أخاه فيكلف له فيقطعه عن الرجوع ومن التكلف أن يقدم للضيف جميع ما عنده من الطعام فيجحف أي يضر به يذرههم جيا عا ويؤذي قلوبهم الآن يكون العيال قلوبهم في صدق التوكل على الله بقلب رب المنزل روى أن رجلاً دعا علياً كرم الله وجهه إلى منزله فقال أجيبك على ثلاث شرائط لا تدخل من السوق شيئاً يعني لا تكلف بشيء من السوق ولا تدخر ما في البيت ولا تجحف بعيالك أي لا تضرهم بأخذ قوتهم فيشتغل قلوبهم وقال بعضهم إذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر من الطعام من غير تكلف وإن اسزرت فلا يبق من همتك شيئاً ولا تذر نقله صاحب القوت .

وثانيها وهو للزائر أن لا يترج على رب المنزل ولا يتحكم عليه بشيء من أنواع الطعام بعينه ويسمى فيقول أريد كذا فليس ذلك من القناعة فرعما يشك على المزور احضاره ويوقعه فيما لا يستطيعه فان خيره أخوه المزورين نوعين من الطعام فليختر أقربهما إليه وأسهلها عليه كذلك السنة ففي الخبر أنه ما خير رسول الله ﷺ بين شئين إلا اختار أسيرهما هذا إذا تهم تعذر ذلك على أخيه أو كراهته له فان علم أنه ممن يأنس به وأنه مما يسر باقتراحه عليه وأنه يسر عليه تحصيل ذلك فلا يكره له الاقتراح قد فعل الشافعي رحمه الله ذلك مع تلميذه الحسين بن محمد بن الصباح الزعفراني إذا كان نازلاً عنده ببغداد وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ويسلمها إلى الجارية فأخذ الشافعي الرقعة في بعض الأيام وألقى بها لونا آخر بخطه فلما رأى الزعفراني ذلك اللون أنكر وقال ما أمرت بهذا فعرضت عليه الرقعة ملحاً فيها خط الشافعي فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك وأعق الجارية سروراً باقتراح الشافعي عليه وقال أبو بكر الككائي دخلت على السري فجاء بخبز مقوت وأخذ يجعل نصفه في القدر فقلت له أي شيء تعمل وأنا أشربه كله في مرة واحدة فضحك السري وقال هذا أفضل لك من حجة كذا في القوت أي عمل قليل وثوابه كثير لما فيه من النية الحسنة بإدخال السرور على أخيه وقال بعضهم الأكل على ثلاثة أنواع أكل مع الفقراء الصادقين بالائثار وأكل مع الإخوان بالانسياط وترك الحشمة وأكل مع أبناء الدنيا بالأدب وحفظ الحرمة والسكون .

وثالثها أن يشتهي المزور أخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة متشرجة بفعل ما يترج فذلك حسن وفيه أجر كبير وفضل جزيل قال رسول الله ﷺ من صادف من أخيه شهوة غفر له ومن سر أخاه المؤمن فقد سر الله تعالى .

ورابعها أن لا يقول المزور للزائر هل أقدم لك طعاماً أو هل تأكل بل ينبغي أن يقدم له من غير أن يقول قال سفيان الثوري رحمه الله إذا زارك أخوك فلا تقل له هل تأكل أو أقدم إليك الطعام ولكن قدم له فان أكل فهو المراد والا فارغ من بين يديه كذا في القوت وإن كان لا يريد أن يطعمهم طعاماً فلا ينبغي أن يظهرهم عليه أو يصفه لهم قال الثوري إذا أردت أن تطعم عيالاً مما تأكله فلا تجدهم به ولا يرونها معك انتهى وذلك لئلا يتعلق قلوبهم بذلك الطعام فيشوش خاطرهم وقال بعض الصوفية وغيره إذا دخل عليكم الفقراء فقدموا إليهم طعاماً فان ديدهم الأكل فانهم لا يملكون شيئاً فياكلون به فالأولى مواساتهم بالأكل لأجل حضور قلوبهم في العبادة فإذا دخل الفقهاء فسلوهم عن مسألة فانهم يحبون مذاكرة العلم وإذا دخل القراء أي أهل التلاوة فدلوهم على الخراب فان ديدهم الصلاة والعبادة وقد تجتمع هذه الأوصاف بأن كان قارناً فيها وفقيراً فيقدم له ما هو الأهم وهو الطعام والله أعلم .

﴿فصل في الزهد﴾ قال الله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب
﴿وأخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل

﴿فصل في﴾ فضيلة ﴿الزهد﴾ من الآيات والأخبار وبيان معناه

أما فضيلته من الآيات فقد قال الله تعالى اذ وصف قارون فخرج على قومه في زينته الى قوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا فتنسب الزهد الى العلماء ووصف أهله بالعلم اذ جاء في التفسير أن المراد بهم الزاهدون في الدنيا وهو غاية الثناء ونهاية المدح وهذه الآية كافية في بيان فضل الزهد والزاهدين وقال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا جاء في التفسير صبروا على الزهد في الدنيا وقال عز وجل من قاتل اتابعنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أنهم أحسن عملا قيل أيهم أزهدها فيها رواه ابن أبي حاتم عن سفيان الثوري و﴿قال الله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب﴾ معنى نزد له في حرثه أي لا نحاسبه بما نطلبه بعد أن لا يريد ما وأن لا يكون من همة فما أدخل عليه منها يخرج منه العبد من غير محاسبة فهذا مجاز الدنيا لأن الرزق لا يزداد فيه ذرة على ما قسم له أول مرة فجعل ذلك له فجعل المجازاة على زهده فيها وجري مجرى المكافأة لخروج همة منها وقال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى فأمره بأن لا يمد عينه الى زهرة الحياة الدنيا وهو عين الزهد ووصف رزق الآخرة بما وصف به نفسه بوصفين من الخيرية والبقاء حيث قال والله خير وأبقى وهذا غاية الثناء وقال تعالى الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة قد وصف الكفار بذلك فمفهومه أن المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو أن يستحب الآخرة على الحياة الدنيا فهذه الآيات كلها دالة على الزهد بمنطوقها ومفهومها

﴿و﴾ أما من الأخبار فقد ﴿أخرج البخاري عن﴾ عبد الله ﴿ابن عمر رضي الله عنهما قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي﴾ بفتح الميم وسكون كل من النون والياء وهو جمع العضد والكف وجاء في رواية منكبي بتشديد الياء مثني منكبي وفيه تعيين ما أنهم في رواية أخذ ببعض جسدي وأنه ينبغي للمعلم أو الواعظ مس بعض أعضاء المتعلم أو الموعوظ عند التعلم أو الوعظ ونظيره قول ابن مسعود ﷺ علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بين كفيه وحكمة ذلك ما فيه من التأنيس والتنيه والتذكير وفيه دليل على محبة لابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهم اذ العادة أن الشخص لا يفعل ذلك الا لمن يميل اليه ﴿فقال كن في الدنيا﴾ على حذف مضافين أي في مدة اقامتك في الدنيا ﴿كأنك غريب﴾ في محل نصب خبر كن أي كن مشبها بالغريب ﴿أو عابر سبيل﴾ أي جائر طرق قال الطيبي ليست أولئك بل للتخير والاباحة والاحسن أن تكون بمعنى بل وفيها معنى الترقى فشبه الناسك السالك بالغريب الذي ليس له مكان يأويه ولا مسكن يسكنه ثم ترقى وأضرب عنه الى عابر سبيل لأن الغريب يسكن في بلد الغربة فان من شأنه أنه لم يقيم لحظة ولا يسكن لحظة وأنشد بعضهم:

يا من له في باطن الأرض حفرة * أتانس بالدنيا وأنت غريب

وما الدهر الا كرم يوم وليله * وما الموت الا نازل وقرب

وتبني من الدنيا الكثير وانما * يكفيك منها مثل زاد الراكب

لا تعجب بما ترى فكأنه * قد زال عنك زوال أسس الذاهب

ومعنى الحديث استمر سائرا ولا تقتر فانك ان قصرت انقطعت وهلك في تلك الأودية وقال ابن بطال لما كان الغريب قليل التبساط الى

وكان ابن عمر يقول إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك *

الناس بل هو مستوحش منهم إذ لا يكاد يمر بمن يعرفه ويتأنس به فهو ذليل في نفسه خائف وكذلك عابر السيل لا ينفذ في سفره لبقوته عليه وتخيفه من الانتقال غير متسبب بما يمنعه من قطع سفره معه زاده وراحته يبلغانه إلى بيته من قصده شبه بهما وفي ذلك إشارة إلى آثار الزهد في الدنيا وأخذ البلغة منها والكفاف وقال غيره عابر السيل هو المار على الطريق طالباً وطنه والمرء في الدنيا كعبد أرسله سيده في حاجة إلى غير بلده فشأنه أن يبادر بفعل ما أرسل فيه ثم يعود إلى وطنه ولا يتعلق بشيء غير ما فيه وقال بعضهم المراد أن ينزل المومن نفسه في الدنيا منزلة الغرب ولا يتعلق قلبه بشيء من بلد الغربة بل قلبه متعلق بوطنه الذي يرجع إليه ويجعل إقامته في الدنيا لقضاء حاجته وجهازه للرجوع إلى وطنه وهذا شأن الغرب أو يكون كالمسافر لا يستقر في مكان بعينه بل هو دائم السير إلى بلد الإقامة.

﴿وكان ابن عمر يقول إذا أمسيت فلا تنتظر﴾ بأعمال الليل ﴿والصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر﴾ بأعمال الصباح ﴿المساء﴾ لأن لكل منهما عملاً يخصه فإذا أخر عنه فات ولم يستدرك كماله وإن شرع قضاء فطلبت المبادرة بعمل كل في وقته أو المراد إذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالبقاء إلى الصباح وإذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالبقاء إلى المساء بل انتظر الموت في كل وقت واجعله نصب عينيك وعقبه المصنف ما قبله لأن ذلك للحصن على ترك الدنيا والزهد فيها وهذا الحصن على تقصير الأمل فذاك متوقف على هذا لأنه المصلح للعمل والمنجي من آفات التراخي والكسل فإنه من طال أمله ساء عمله فعلم أن هذا سبب للزهد في الدنيا فمن قصر أمله زهد ومن طال أمله طمع ورغب وترك الطاعة وتكاسل عن التوبة وقسا قلبه لتسيانه الآخرة ومقاماتها من الموت وما بعده من الأهوال والمارقة القلب وصفاؤه بذكر ذلك قال تعالى فطال عليهم الأمد فغسقت قلوبهم ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون.

فينبغي للعاقل أن يجاهد أمله وهواه فإن ابن آدم محبوب على الأمل وورد أنه ﷺ قال لا يزال قلب الكبير شاباً في حب الدنيا وطول الأمل وقال ابن عمر رأيت رسول الله ﷺ وأنا أصلي فخصني بي من القصب فقال ما هذا فقلت خصص لنا نصليحه فقال ما أرى الأمر إلا أقرب من ذلك فعلم أن قصر الأمل أصل كل خير وطوله أصل كل شر فإن من لا يقدر في نفسه أنه يعيش غدا لا يسعى لكفايته ولا يهتم بها فيصير حرام ريق الحرص والطمع والذل لأبناء الدنيا ومن يقدر أنه يعيش عشرين مثلاً يصير عبداً لهذه الأوصاف الذميمة ولا يكتفي شيء من الدنيا ولا يملأ عينه ويطنه إلا التراب كما جاء في الحديث ﴿وخذ من﴾ زمن ﴿صحتك لمرضك﴾ أي لزمنه والمعنى اغتصم العمل الصالح في أيام صحتك فإن المرض قد يطرأ عليك ويمنعك منه فتقدم المعاد بغير زاد ولا يعارض حيث إذا مرض العبد أو سافر كتب الله له ما يعمل صحيحاً مقيماً لأنه ورد في حق من يعمل والتحذير الذي في هذا الخبر في حق من لم يعمل شيئاً فإنه إذا مرض ندم على ترك العمل أو عجز لمرضه عنه فلا يفيد الندم ﴿و﴾ خذ ﴿من حياتك لموتك﴾ أي اغتصم ما تلقى نفعه بعد موتك مادمت حياً فإن من مات انقطع عمله وفات أمله وحق ندمه وتوالي حزنه وهمه.

واعلم أنه سيأتي عليك زمان طويل وأنت تحت الأرض لا يمكنك أن تذكر الله عز وجل فبادر في زمن قوتك وحياتك واغتنم نوبة الامكان لعل أن تسلم من العقاب والحوار وما أحسن ما قيل :

إذا هبت رياحك فاغتنمها * فغنى كل خافقة سكون
ولا تنفل عن الإحسان فيها * فما تدري السكون متى يكون
وإن تظفر بذاك فلا تقصر * فإن الدهر عادته سكون

وابن ماجه عن سهل بن سعد الساعدي قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبنى الناس قال ازهد في الدنيا

وما ذكره ابن عمر من ترجع من معنى الحديث لأن الغريب إذا أمسى في بلد غربه لا ينتظر الصباح وإذا أصبح لا ينتظر المساء فكذلك الإنسان في الدنيا المشبه للغريب في حاله وامكان حدوث ترحاله وقد ورد معنى هذه الوصية عنه عليه السلام في عدة طرق منها خبر الحاكم أنه عليه السلام قال لرجل وهو يعضه اغتصم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وفي الحديث أيضاً بادروا بالأعمال قبل فتن قطع الليل المظلم أي لما صح ثلاث إذا خرجن لم ينفعن نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض وروى الترمذي ما من ميت يموت الأندم قالوا وما نداهه قال إن كان محسنًا أن لا يكون زاد وإن كان منسياً أن لا يكون استعيب أي تاب وأصلح شأنه فلذا يتعين اغتنام ما بقي من العمر إذ هو لا قيمة له قال ابن جبير كل يوم يعيشه المؤمن من غنمة.

وخرج **ابن ماجه** **والعقيلي** **وابن عدى** وغيرهم بأسانيد حسنة **عن** **أبي العباس** **سهل بن سعد** **بن مالك** **بن خالد** **بن ثعلبة** **بن حارثة** **بن عمر** **بن الحزرج** **بن ساعدة** **بن كعب** **بن الحزرج الأنصاري** **الساعدي** **نسبة** إلى جده ساعدة بن كعب ثم المدني الصحابي هو وأبوه وكان اسمه حزناً فسماه النبي صلى الله عليه وسلم سهلاً شهد قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الملا عتير قال الزهري سمع من النبي صلى الله عليه وسلم وكان عمره يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم خمس عشر سنة روى له عن النبي صلى الله عليه وسلم مائة حديث وثمانية وثمانون حديثاً اتفق الشيخان على خمسة وعشرين واقتردا البخاري بأحد عشر وروى عنه الزهري وأبو حازم وغيرهما وتوفي بالمدينة سنة ثمان وثمانين وقيل سنة إحدى وتسعين قال ابن سعد هو آخر من مات من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة بلا خلاف وقال غيره بل فيه خلاف **قال** **جاء** **رجل** **إلى** **النبي** **صلى الله عليه وسلم** **قال** **ازهد** **في** **الدنيا** **فعل** **عليه وسلم** **قال** **دلني** **بضم** **اللام** **مشددة** **على** **عمل** **فوفعل** **بقصد** **وارادة** **المراد** **هنا** **عمل** **صالح** **إذا** **عملته** **أحبنى** **الله** **وأحبنى** **الناس** **قال** **وفي** **رواية** **فقال** **ازهد** **من** **الزهد** **بضم** **أوله** **وقد** **يفتح** **وهو** **لغة** **الاعراض** **عن** **الشيء** **احتقار** **أمن** **قولهم** **شيء** **زهيد** **أي** **قليل** **وفي** **خبر** **أنت** **لزهيد** **وفي** **آخر** **أفضل** **الناس** **مؤمن** **مزهدي** **أي** **قليل** **المال** **وزهيد** **الأكل** **قليله** **وشرعاً** **أخذ** **قدر** **الضرورة** **من** **الحلال** **المتيقن** **الحل** **فهو** **أخص** **من** **الورع** **أذ** **هو** **ترك** **المشبه** **وفيهما** **أقوال** **آخر** **وهذا** **هو** **زهيد** **العارفين** **وهو** **المراد** **هنا** **وأعلى** **منه** **زهيد** **المترفين** **وهو** **الزهد** **فيما** **سوى** **الله** **من** **دنيا** **وجنة** **وغيرهما** **أذ** **ليس** **لصاحب** **هذا** **الزهد** **مقصد** **الوصول** **إليه** **تعالى** **والقرب** **منه** **في** **الدنيا** **بإستصغار** **جملتها** **واحتقار** **جميع** **شأنها** **لتصغير** **الله** **تعالى** **وتحقير** **أياها** **وتحذيره** **من** **غرورها** **في** **أي** **كثيرة** **من** **كاتبه** **العزير** **نحو** **قل** **متاع** **الدنيا** **قليل** **فلا** **تقرنكم** **الحياة** **الدنيا** **إنما** **مثل** **الحياة** **الدنيا** **كأ** **أنزلناه** **من** **السما** **إلى** **قوله** **صراط** **مستقيم** **اعلموا** **أنما** **الحياة** **الدنيا** **لعيب** **ولهو** **وزينة** **وتفاخر** **بينكم** **وتكاثر** **في** **الاموال** **والأولاد** **لأن** **استصغارها** **وتحقيرها** **لتصغير** **الله** **لها** **يستلزم** **أهانتها** **وترك** **مالا** **قربة** **فيه** **من** **لذاتها** **والاعراض** **عن** **شهواتها** **وراحتها** **والإقتصار** **على** **أدنى** **ما** **يقوم** **نفسه** **الازائد** **أندب** **أخذه** **كأن** **أخذ** **ثوب** **ثان** **لنحو** **جمعة** **أو** **عيد** **بقصد** **إظهار** **النعمه** **لأنه** **تعالى** **يجب** **أن** **يظهر** **أثر** **نعمته** **على** **عبده** **كما** **في** **الحديث** **أو** **الراحة** **ندب** **فعلمها** **كروم** **القبولة** **للاستعانة** **على** **قيام** **الليل** **فالزاهد** **هو** **المستصغر** **المحقر** **للدنيا** **كما** **تقرر** **فلا** **يفرج** **بشيء** **منها** **ولا** **يجزن** **على** **فقد** **ولا** **يأخذ** **منها** **إلا** **ما** **يعينه** **على** **طاعة** **ربه** **أو** **ما** **أنر** **يأخذه** **مع** **دوام** **الذكر** **والمراقبة** **والتفكر** **في** **الآخرة** **وهذا** **أرفع** **أحوال** **الزهد** **أذ** **من** **وصل** **إليه** **أنما** **هو** **في** **الدنيا** **بشخصه** **فقط** **وأما** **بمعناه** **فهو** **مع** **الله** **تعالى** **بالمراقبة** **والمشاهدة** **لا** **ينفك** **عنه**.

يحبك الله

واعلم أن العلماء فسر والدينا بأنها ما حواه الليل والنهار وأظلمت السماء وأظلمت الأرض واختلفوا في المزهود فيه منها فقيل الدينار والدرهم وقيل المطعم والمشرب والمنكح والملبس والمسكن وقيل الحياة والوجه أنه كل لذة وشهوة ملازمة للنفس ما ذكر وغيره حتى الكلام بين مستمعين له ما لم يقصده وجه الله تعالى والدار الآخرة وقد قسم كثير من السلف الزهد إلى ثلاثة أقسام زهد فرض وهو اتقاء الشرك الأكبر ثم الأصغر وهو أن يراد بشيء من العمل قولاً أو فعلاً غير الله ثم اتقاء جميع المعاصي وعلى هذا الزاهد في الحرام فقط قيل لا يسمى زاهداً وعليه الزهدي وابن عيينة وغيرهما وقيل لا يسماه إلا أن ضم إلى ذلك الزهد بنوعيه الآخرين وهما ترك الشهوات رأساً وفضول الحلال ومن ثم قال بعضهم لا زهد اليوم لفقد المباح المحض وقد جمع أبو سليمان الدراني رحمه الله أنواع الزهد كلها في كلمة واحدة فقال هو ترك ما شغلك عن الله عز وجل .

ثم الحامل على الزهد أشياء منها استحضار الآخرة ووقوفه بين يدي مولاه فحينئذ يغلب شيطانه وهواه ويصرف نفسه عن لذات الدنيا ونعيمها وشاهده أن حارثة رضي الله عنه لما قال للنبي ﷺ أصبحت مؤمناً حقاً قال له إن لكل مؤمن حق حقيقة فما حقيقة إيمانك قال صرفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حيزها ومدرها وكانني أنظر إلى عرش ربي بارزاً وكانني أنظر إلى أهل الجنة في الجنة يتنعمون وإلى أهل النار في النار يعذبون قال يا حارثة عرفت فالزم ومثل هذا هو الذي تكون الدنيا سجنه كما قال ﷺ الدنيا سجن المؤمن وسجن الكافر ومن ثم قال أئمتنا لو أوصى لأعقل الناس صرف للزهاد أي لأنه لأعقل منهم حيث أثروا الباقي على الفاني ومنها استحضار أن لذاتها شاغلة للقلوب عن الله تعالى ومتنقصة للدرجات عنده وموجبة لطول الخس والوقوف في ذلك الموقف العظيم للحساب والسؤال عن شكر نعيمها ومنها كثرة التعب والذل في تحصيلها وكثرة غيبتها وسرعة تقلبها وفنائها ومزاحمة الأرذال في طلبها وحقارتها عند الله تعالى ومن ثم قال الفضيل بن عياض لو أن الدنيا بحذا فيرما عرضت عليّ خللاً لا أحاسب عليها لتقدرتها كما تنقذ راحة الجيفة . ومنها استحضار أنها وما فيها ملعونة كما في الحديث الحسن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاه أو عالم أو مقعلم وفي رواية إلا ما ابتغى به وجهه الله تعالى أي أنها وما فيها مبعده عن الله تعالى إلا العلم النافع الدال على الله تعالى وعلى معرفته وطلب قربه وذكر الله تعالى وما والاه مما يقرب إليه تعالى فهذا هو المقصود منها .

ومن ذلك استحضار أن تركها موجب لرفع الدرجات وحلول الرضوان الأكبر منه تعالى في دار الكرامات ومن ثم قال ﷺ ﴿يحبك﴾ بفتح الباء المشددة والأصل يحبك بكسر الهمزة وسكون التانية مجزوم على جواب الأمر الذي هو أزهد في الدنيا فأصبحت الباء الأولى عند إرادة الادغام بنقل حركتها إلى الساكن قبلها وهو الحاء فاجتمع ساكنان فحركت الآخر لالتقاء الساكنين بالفتح تخفيفاً ﴿الله﴾ لأنه تعالى يحب من أطاعه ومحبه مع محبة الدنيا مما لا يجتمع كما دلت عليه النصوص والتجربة والواتر ومن ثم قال ﷺ ﴿حب الدنيا رأس كل خطيئة والله لا يحب الخطايا ولا أهلها ولا لها هو ولعب والله لا يحبها ولأن القلب بيت الرب لا شريك له فلا يحب أن يشركه في بيته حب دنياه ولا غيره .

والحاصل أنقطع بأن حب الدنيا مبغوض عند الله فالزاهد فيها محبوب له تعالى ومحبتها المنبوذة هي إثارها لئيل الشهوات واللذات لأن ذلك يشغل عن الله أما محبتها لفعل الخير والتقرب به إلى الله تعالى فهو محمود لخبر نعم المال الصالح للرجل الصالح يصل به رحماً ويصنع به معروفات ثم المراد بالمحبة في حق تعالى غايتها من إرادة الثواب فتكون صفة ذات أو الاتابة فتكون صفة فعل لاستحالة حقيقتها

وأزهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس *

عليه تعالى من الميل النفسي منه وفي حقنا طاعة الله وتعظيمنا إياه وموافقته على جميع مراداته مع رجاء أن يشبنا على امتثال أمره واجتناب نهيه وينعم علينا بنعمه التي لا تحصى ومن ثم قال ﷺ أحبوا الله لما يغدوكم به من نعمة فلا تمنع غيره ولا تحسن إلا إياه إذ هو الخالق للمحسن وإحسانه فكان هو الحقيقي بالحبة كما أشار لذلك ﷺ بقوله جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ومن حبة الله تعالى محبة من أحبه من نحو بني أو ملك أو ولي .

وبين الأستاذ أبو القاسم الشيرازي قسميها المذكورين محبة الله تعالى لعبده ومحبة العبد لربه تعالى بكلام تقيس حاصله أنها منه تعالى للعبد إرادته لأنعام بخصوص عليه كما أن رحمة إرادته مطلق الانعام فالحبة أخص من الرحمة وهي أخص من الإرادة لإرادته تعالى وإن كانت صفة واحدة لأنها تتفاوت بحسب تفاوت متعلقاتها فتعد متعلقها بالعقوبة تسمى غضبا وبعموم النعم رحمة وبخصوصها محبة ومن العبد له تعالى حالة يجدها في قلبه تطف عن العبارة وقد تحملها تلك الحالة على تعظيمه وإثارة رضاه وقلة الصبر عنه مع الاستئناس بدوام ذكره له بقلبه وليست ميلا ولا اختلاطا كيف وحقيقة الصمدية مقدسة عن اللحوق والاحاطة والحب بوصف الاستهلاك في المحبوب أولى منه بوصف الاختلاط وليس لها وصف ولا حد أوضح ولا أقرب للفهم من لفظ المحبة انتهى ولما نقل القرطبي هذا ذكر معه عن بعض أرباب القلوب أنه لم يتأول محبة العبد لله تعالى حيث فسرها بأنها الميل الدائم بالقلب الهائم ثم قال فهو لا قد صرحوا بأن محبة العبد لله تعالى ميل من العبد وتوقان وحال يجدها من نفسه من نوع ما يجده من محبوباته المعتادة له وهو صحيح لأن النفوس مجبوبة على الميل إلى الحسن والجمال والكمال فيقدر ما ينكشف من ذلك يكون الميل والتعلق حتى ربما يفضى إلى استيلاء ذلك المعنى فلا يصبر عنه ولا يشتغل بغيره ثم ذلك الحسن أما محسوس كالصورة الجميلة المشتهة لنيل لذة جسمية وهذا أقطعي الاستحالة في حقه تعالى وأما معنوي كمن اتصف بالعلم والكرم والخلق الحسن فهذا تميل إليه النفوس الفاضلة والقلوب الكاملة ميلا عظيما فتحتاج لذكره وتهتز لسماع أحواله وتشوق لمشاهدتها وتلذذ لذلك لذة روحانية لا جسمية كما نجد عند ذكر الأنبياء والعلماء والكرماء من الميل واللذة والفرقة والانس وإن لم نعرف صورهم المحسوسة بل وإن عرفنا قبجها ولا ينكر ذلك إلا باله أو مكابر ويتضاعف ذلك الميل بوصول بر وإحسان من المتصف بذلك الجمال المعنوي إلى أن يستغرق فيه ويذهل عن جميع أشغاله وأحواله وإذا كان هذا في حق من جماله وكماله منشوب بالنقص ومعرض للزوال كان من لا يشاب ذلك منه بنقص ولا يعرض للزوال مع انعامه الذي لا يحصى أولى بذلك الميل وأحق بذلك الحب وليس ذلك إلا الله تعالى وحده ثم من خصه بالكمال المطلق على سائر خلقه وهو محمد ﷺ فمن تحقق بذلك كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فتأهب للقائهما واتصف بما يرضيهما وجانب ما يسخطهما فأقبل عليهما وأعرض عما سواهما إلا باذنهما انتهى ملخصا قال غيره وهذا كلام لا يرد منصف ولا ينكره إلا منصف قاله العلامة ابن حجر **﴿وأزهد فيما في أيدي الناس﴾** وفي رواية فيما عند الناس **﴿يحبك﴾** بفتح الباء المشددة نظير ما مر **﴿الناس﴾** أي لأن قلوب غالبهم مجبولة على حب الدنيا فمن رآهم عليها يفضوه ومن زهد فيها وتركها لهم أحبوه ومن ثم قال الإمام الشافعي **﴿...﴾**

ومن يذوق الدنيا فاني طعمتها ❊ وسبق لنا عذبا وعذابا

فما هي الاجيفة مستحيلة ❊ عليها كلاب همهن اجتذايا

فان تجتنبها كنت سليما لأهلها ❊ وان تجتذبها نازعتك كلابها

والديلمي أتركوا الدنيا لأهلها فإن من أخذ منها فوق ما يكفيه أخذ من حقه وهو لا يشعر *

قال بعضهم ولا يبعد عندي أن الزاهد في الدنيا يحبه الأنس والجن أخذا بعموم لفظ الإنسان إذا كان يطلق لغة على الأنس والجن وأخرج الطبراني وغيره خبرا زهد فيما في أيدي الناس تكن غنيا وقال الحسن لا يزال الرجل كريما على الناس ما لم يطعم فيما في أيديهم فحينئذ يستخفونه ويكرهون حديثه ويبغضونه وقال أيوب السخيتاني لا ينبل الرجل حتى يعفو عما في أيدي الناس ويتجاوز عما يكون منهم.

﴿وخرج﴾ الديلمي ﴿عن أنس بن مالك﴾ أتركوا الدنيا لأهلها ﴿المراد بها هنا﴾ كما قاله الحنفى الذهب والفضة والمطعم والمشرب فإن من توغل في ذلك ثم قللت عنه لم يصبر على تركها بل يستجلبها ولو من حرام فيهلك بخلاف من ترك ذلك وتعود على القلة فإنه يصبر على الضيق وقد ورد أن سيدنا عيسى مر على نائم فقال له قم يا عبد الله فقال له ما تريد مني وقد تركت الدنيا لأهلها فقال له سيدنا عيسى ثم حيي فأراد عليه الصلاة والسلام أولا أن ينبه لظنه أنه غافل فإذا هو متنبه غاية التنبيه ﴿فإن من أخذ منها فوق ما يكفيه﴾ لنفسه وعياله ﴿أخذ من حقه﴾ قال العلقمي الحنف الحلاك والذي يظهر أن من هنا يكون بمعنى في كما في قوله تعالى إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة أي فيه وبعدها مضاف محذوف ويكون المعنى أخذ في أسباب هلاكه وقال الحنفى معنى قولهم فلان مات حتف أمه أنه مات بلا نسب ظاهر كعدم وذبح وأفهم قوله فوق ما يكفيه أن أخذ ما يكفى لا يضر بل ربما كان واجبا نعم أن أخذ زيادة على ما يكفيه وإدخره بقصد أن ينفع به مستحقه وقت حاجته ووثق من نفسه بالوفاء فهو ممدوح ﴿وهو لا يشعر﴾ أي لا يعلم والقصد الحث به على الاقتصاد على قدر الكفاية وهذا حديث ضعيف كما قاله العزيمى.

* تنبيه * اعلم أن الذم الوارد في الكتاب والسنة للدنيا ليس راجعا لزمانها وهو الليل والنهار فإن الله جعلها خلقا لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ولا لمكانها وهو الأرض لأن الله جعلها لنا مهادا ولا إلى ما أودعه الله فيها من الجمادات والحيوانات لأن ذلك كله من نعم الله تعالى على عباده قال تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا وإنما هو راجع إلى الاشتغال بما فيها عما خلقنا لأجله من عبادته تعالى قال الله عز وجل وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون ثم من الناس من أنكر المعاد وهؤلاء هم أهل التمتع بالدنيا مع أن معهم من كان يأمر بالزهد فيها ويرى أن كثرتها توجب الهم والغم ومن ثم قال أصحابنا لا يكفى اقتصار الخطيب على ذم الدنيا عن الوصية بالقوى لأن ذمها معلوم لكل أحد حتى لمنكرى المعاد وبقيةهم يقرون بالمعاد لكنهم متعصبون إلى ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات فالأولى وهم الأكثرون هم الذين وقفوا مع زهرة الدنيا بأخذها من غير وجهها واستعمالها في غير ذلك قصارت أكبر همهم وهؤلاء هم أهل اللهو واللعب والتفاخر والتكاثر وكل هؤلاء لم يعرف المقصود منها ولا أنها منزل سفر يتردد منها إلى دار الإقامة وإن آمن به بجملا والثاني أخذها من وجهها لكنه توسع في مباحاتها وتلذذ بشهواتها المباحة وهو وإن لم يعاقب عليها لكنه ينقص من درجاته في الآخرة بقدر توسعه في الدنيا وصح عن ابن عمر رضي الله عنهما لا يصيب أحد من الدنيا شيئا الا نقص من درجاته في الآخرة عند الله وإن كان عليه كرميا يعنى وإن كان العبد كريما على الله وروى الترمذي أن الله إذا أحب عبدا حماه عن الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمته الماء والحاكم أن الله يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه وفي صحيح مسلم الدنيا سجن المؤمن أي بالنسبة لما أمامه من النعيم الآخروي وجنة الكافر أي بالنسبة لما أمامه من العذاب الآليم الدائم المقيم والثالث هم الذين فهموا المراد من الدنيا وإن الله سبحانه أنما أسكن عباده فيها وأظهر لهم لذاتها ونضرهم ليلوهم أنهم أحسن عملا كما نص على ذلك في غير آية قال بعض السلف يعنى بالأحسن عملا من هو زاهد في الدنيا وراغب في الآخرة ولما بين الله تعالى أنه جعل ما على الأرض رزينة

والترمذي الزهادة في الدنيا ليس بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أو شق بما في يد الله وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت أرغب منك فيها لو أنها أبقت لك * والقضاعي الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن والرغبة فيها تكثر الهم والحزن والبطالة تقسي القلب * والطبراني تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم فإنه من كانت الدنيا أكثر همه أفشى الله ضيعته

لما يبلوهم أيهم أحسن عملا بين سبحانه وتعالى انقطاع ذلك ونقاده بقوله وأنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا فمن فهم أن هذا هو مآله جعل همه التزود منها لدار القرار واكتفي من الدنيا بما يكفي به المسافر في سفره ثم من أهل هذا القسم من أقصر من الدنيا على سدر منق فقط وهو حال كثير من الزهاد ومنهم من فسح لنفسه أحيانا في تناول بعض مباحاتها لتقوى النفس به وتنشط للعمل ومنه خبر أحمد والنسائي حبيب التي من دنياكم النساء والطيب وتناول الشهوات المباحة بقصد التقوى على الطاعة بصيرها طاعات فلا تكون من الدنيا ومن ثم صح على ما قاله الحاكم أنه رحمه الله قال نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لآخرته حتى يرضى ربه ويثبت الدار لمن صدت به عز آخرته وقصرت به عن رضاه وإذا قال العبد قبح الله الدنيا قالت الدنيا قبح الله أعصابا لربه.

﴿وخرج الترمذي﴾ وابن ماجه عن أبي ذر ﴿الزهادة في الدنيا﴾ أي ترك الرغبة فيها ﴿ليس بتحريم الحلال﴾ علم نفسك كان لا تأكل لحما ولا تجامع ﴿ولا إضاعة المال﴾ بإخراجه عن ملكك ﴿ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يدك﴾ من المالا وفي رواية بما في يدك ﴿أو ثوق﴾ منك ﴿بما في يد الله وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت﴾ بها ﴿أرغب منك فيها لو أنها أبقت لك﴾ أي إذا نزل بمالك مصيبة كسرقة وغرق كت على غاية من الرضا بذلك وحبا لذلك أكثر من سلامته بأن تقول لو بقي مالي يحتمل أني لا أفعل منه خيرا فلا أثاب عليه بخلاف تلفه في ذلك فاني مثاب عليه فحينئذ أحب هذا التلف الذي وقع أكثر من سلامته لتحقيق الثواب الذي هو خير من الدنيا وما فيها أي فتعتقد أن الثواب الذي أعده الله تعالى لك بسبب زوال المال خير لك من إبقائه هذا هو الايمان الكامل قال الترمذي وهذا غريب وفي استاده من هو منكر الحديث ورواه أحمد وموقوفا على أبي مسلم الخولاني بزيادة وأن يكون مادحك وذامك في الحق سواء ووقعه هو الصحيح قاله ابن حجر الهيتمي.

﴿وخرج الطبراني وابن عدي والبيهقي عن أبي هريرة الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن والرغبة فيها تنع القلب والبدن﴾ وأخرج أحمد في الزهد والبيهقي في الشعب عن طاوس بن كيسان مرسلا الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن والرغبة في الدنيا تطيل الهم والحزن وأخرج ﴿القضاعي﴾ عن ابن عمرو ﴿الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن﴾ لأنه حينئذ شعبان فلا يتعب بسفره ولا غيره بخلاف الراغب فيها فإنه يسعى في طلبها بالأسفار وغيرها ﴿والرغبة فيها تكثر الهم والحزن والبطالة تقسي القلب﴾ فينبغي الاشتغال بنحو الأذكار بطلب العلم أو التكسب لعياله إذا احتاج لذلك قال أبو يزيد رحمه الله ما غلبني الأشاب من بلخ قال لي ما حد الزهد عندكم قلت ان وجدنا أكلنا وان فقدنا صبرنا فقال هكذا عندنا كلاب بلخ قلت فما حده عندكم قال ان فقدنا صبرنا وان وجدنا آثرتنا نقله العلامة المتناوي.

﴿وخرج الطبراني﴾ عن أبي الدرداء وضعفه المنذرى ﴿تفرغوا من هموم الدنيا﴾ أي جاهدوا في تطهير قلوبكم من شغل الدنيا كطلب الزائد على ما يحتاج إليه ﴿ما استطعتم﴾ أي فلا يقدّر الشخص على تطهير قلبه دفعة واحدة بل شيئا فشيئا وهذا أص عظيم لأهل التسليك ﴿فانه من كانت الدنيا أكثر همه﴾ بأن يكون شغله بالدنيا أكثر من شغله بالآخرة وفي رواية أكثر همه أي أعظم شيء يهتم به ﴿أفشى الله﴾ تعالى ﴿ضييعته﴾ أي كثر عليه معاشه ليغفله عن الآخرة

وجعل الله فقره بين عينيه ومن كانت الآخرة أكبر همه جمع الله تعالى أمره وجعل غناه في قلبه وما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلا جعل الله قلوب المؤمنين تقدر إليه بالود والرحمة وكان الله بكل خير إليه أسرع * والشيخان قالت عائشة رضي الله عنها ما شيع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز شعير يومين متابعين حتى قبض * والترمذي قال عبد الله بن مسعود نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر في جنبه فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء فقال مالي وللدينا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها * وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت لم يملئ جوف النبي ﷺ شبعاً قط ولم يث شكوى إلى أحد وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى وإن كان ليظل جائعاً يلتوى طول ليلة من الجوع فلا يمتعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها فاعطى

﴿وجعل الله فقره بين عينيه﴾ فلا يزال منهم كمال الجمع والمنع ﴿ومن كانت الآخرة أكبر همه﴾ وفي رواية أكبر همه ﴿جمع الله تعالى﴾ له ﴿أمره وجعل غناه في قلبه وما أقبل عبد بقلبه إلى الله﴾ تعالى أشار بذلك إلى أن الظواهر لا تفرقها عن الباطن من شخص مقبل بظاهره وقلبه خال وكمن من شخص يتبسطن في الظاهر وفي الباطن مقبل بقلبه على الله تعالى ﴿الإجعل الله قلوب المؤمنين تقدر﴾ بفتح المثناة الفوقية وكسر الفاء الإيفاد الإسراع أي تسرع ﴿والله بالود والرحمة وكان الله بكل خير إليه أسرع﴾ أي أشد اضراعا إليه من غيره فيفيض عليه الخير بغير حساب ولا قياس فالعبد إذا اشتغل بالله طالباً لرضاه رفع عن باطنه هموم الدنيا وجعل الغنى في قلبه وفتح عليه باب الرفق .

﴿و﴾ أخرج الشيخان قالت عائشة رضي الله عنها ما شيع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز شعير يومين متابعين حتى قبض أي توفي محمد ﷺ وأخرج البزار من حديث ابن عمران بن حصين قال ما شيع رسول الله ﷺ وأهله غداء وعشاء من خبز شعير حتى لحق بربه وفيه عمرو بن عبيد العذري متروك الحديث والترمذي من حديث عائشة ما شيع من طعام فما أشاء أن أبكي إلا بكيت قلت لم ثم قالت أذكر الحال التي فارق رسول الله محمد ﷺ عليها الدنيا والله ما شيع من خبز ولحم مرتين في يوم قال حديث حسن .

﴿و﴾ أخرج أحمد و﴿الترمذي﴾ وابن ماجه والحاكم والبهاء المقدسي قال عبد الله بن مسعود ﷺ ﴿نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير﴾ أي بارية ﴿فقام﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿وقد أثر﴾ الحصر ﴿في جنبه﴾ الشريف ﴿فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء﴾ بكسر الواو مهادا وفرشا لينة كحصير وكسرى فلهم فرش لينة وأنت سيد الخلق فانت أولى منهم بذلك ﴿فقال﴾ ﷺ ﴿مالي وللدينا﴾ أي لست راکباً إليها ولا متعلقاً بها ﴿ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح﴾ أي ذهب ﴿وتركها﴾ يعني بل أنا كمنسافر يجلس زمناً يسيراً تحت شجرة يستظل بها ثم يرتحل إلى وطنه الطائر إليه ﴿وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت لم يملئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعاً قط ولم يث شكوى إلى أحد﴾ من خلق الله ﴿وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى وإن﴾ مخففة من الثقله واسمها ضمير الشأن ﴿كان﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿ليظل جائعاً يلتوى طول ليلة من الجوع فلا يمتعه﴾ الجوع ﴿صيام يومه ولو شاء﴾ ﷺ ﴿سأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها﴾ أي سعة ﴿فأعطى﴾ لكن لم يرد عليه الصلاة والسلام متاع الدنيا وزينتها .

روى أن جبريل عليه السلام نزل عليه ﷺ فقال له ان الله يقرئك السلام ويقول لك أنت أحب أن تكون لك هذه الجبال ذهباً وفضة تكون معك حيثما كنت فاطرق ﷺ ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبك الله بالقول الثابت وعن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ ذات يوم وجبريل على الصفا فقال رسول الله ﷺ يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أسمى آل محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه بأسرع من أني سمع هذه من السماء فخرجه فقال رسول الله ﷺ أمر الله

ولقد كنت أبكي له رحمة بما أرى وأمسح يدي على بطنه مما به من الجوع وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة مالي وللدنيا إخواني من أولى العزم ومن الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فعضوا على حالهم فقد سوا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجندني أستحي أن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غدا دونهم وما من شيء أحب إلي من اللحوق بإخواني وأخلاتي قالت فما أقام بعد إلا شهرا حتى توفي صلى الله عليه وسلم

التيامة أن تقوم قال لا ولكن الله أمر اسرافيل فنزل إليك حين سمع كلامك فأناؤه اسرافيل فقال ان الله سمع ما ذكرت فبعثنى إليك بما تبيح خزائن الارض وأمرني أن أعرض عليك أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فان رضيت فعلت فان شئت نيا ملكا وان شئت نيا عبدا فأوما جبريل أن تواضع فقال بل نيا عبدا ثلاثا رواه الطبراني فانظر الى همة العلية كيف عرضت عليه مفاتيح كوز الارض فأباهما ومعلوم أنه لو أخذها لأنفقها في طاعة ربه فأبى ذلك واختار العبودية المحضة فينالها من همة شريفة رفيعة ما أسناها ونفس زكية كريمة ما أبهاها أفاده القسطلاني في المواهب قالت عائشة ﴿ولقد كنت أبكي له﴾ ﴿رحمة بما أرى وأمسح يدي على بطنه مما به من الجوع وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت﴾ أي لو أخذت البلاغ والراد ﴿من الدنيا بما يقوتك فيقول﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿يا عائشة مالي وللدنيا﴾ أي ليس لي ألفة ومحبة معها ﴿إخواني من أولى العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد﴾ وهو أذى قومه ﴿من هذا﴾ الذي أنا فيه وهو الجوع قال ابن عباس أولو العزم ذوو الحزم وقال الضحاك ذوو الجد والصبر.

واختلفوا في أولى العزم من الرسل من هم فقال ابن زيد كل الرسل كانوا أولى عزم لم يبعث الله نبياً الا كان ذا عزم وحزم ورأى وكما عقل وهذا القول هو اختيار فخر الدين الرازي وقال بعضهم الانبياء كلهم أولو العزم الا يونس لعجلة كانت فيه ألا ترى أنه قيل للنبي ﷺ ولانكن كصاحب الحوت وقال قوم أولو العزم نجباء الرسل المذكورون في سورة الانعام وهم ثمانية عشرين لقوله بعد ذكرهم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال الكلبي هم الدين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشرة لأعداء الله وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون على النسق في سورة الاعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على أذى قومه وإبراهيم صبر على النار وإسحق صبر على الذبح في قول ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على الحب والسجن وأيوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقادة هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى أصحاب الشرائع فهم مع محمد ﷺ وعليهم أجمعين خمسة وقد ذكرهم الله على التخصيص والتعين في قوله وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وفي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية روى البغوي بسنده عن عائشة قالت قال لي رسول الله ﷺ يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد وآل محمد يا عائشة ان الله لم يرص من أولى العزم الا بالصبر على مكروها والصبر على محبوبها ولم يرص الا أن كلنني ما كلنهم فقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وانني والله لا بد لي من طاعته والله لا صبرن كما صبروا ولا جهدن ولا قره الا بالله ﴿فعضوا على حالهم فقد سوا على ربهم فأكرم مآبهم﴾ أي مرجعهم ﴿وأجزل﴾ أي أعظم ﴿ثوابهم فأجندني﴾ أي أجد نفسي ﴿أستحي أن ترفهت﴾ أي تمتعت ﴿في معيشتي أن يقصر بي غدا﴾ أي في الآخرة ﴿دونهم﴾ فالصبر أيا ما سيرة أحب الي من أن ينقص حظي غدا في الآخرة ﴿وما من شيء أحب الي من اللحوق بإخواني وأخلاتي﴾ من الرسل ﴿قالت﴾ عائشة رضي الله عنها ﴿فما أقام﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿بمد﴾ أي بعد قوله المذكور ﴿إلا شهرا حتى توفي محمد صلى الله عليه وسلم﴾ قال العراقي لم أجده قلت وهو أشبه بمخاطبة عمر رضي الله عنه مع ابنته حفصة حين لامت عليه في خشونة العيش أورده الذهبي في نعم السمر في سيرة عمر

﴿وروي﴾ أن سليمان عليه السلام كان مع ما أعطى من الملك لا يرفع بصره إلى السماء تخشعا وتواضعا لله وكان يطعم الناس لذائد الأطعمة ويأكل خبز الشعير وقد قيل له مالك تجوع وأنت على خزائن الأرض قال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع * وقال عروة بن الزبير لقد تصدقت عائشة رضي الله عنها بخمسين ألفا وأن درعها لموقع ﴿وحكى﴾ الياقوت أن بعض ملوك الأمم السالفة بنى مدينة وتأنق وتعالى في حشمتها وزينتها ثم صنع طعاما ودعا الناس وأجلس أناسا على أبوابها يسألون كل من خرج هل رأيتم عينا فيقولون لا حتى جاء ناس في آخر الناس عليهم أكسية فسألوهم هل رأيتم عينا فقالوا عيين اثنين فحبسوههم ودخلوا على الملك فأخبروه بما قالوا فقال ما كنت أرضى بعب واحد فأتوني بهم فادخلوهم عليه فسألهم عن العيين ما هما فقالوا تخرب ويموت صاحبها قال أقتلهمون دارا لا تخرب ولا يموت صاحبها قالوا له نعم فذكروا له الجنة ونعيمها وشوقه إليها وذكروا النار وعذابها وخوفه منها ودعوه إلى عبادة الله عز وجل فأجابهم إلى ذلك وخرج من ملكه هاربا إلى الله تعالى

﴿وروي أن سليمان عليه الصلاة والسلام كان مع ما أعطى من الملك لا يرفع بصره إلى السماء تخشعا وتواضعا لله وكان عليه السلام يطعم الناس لذائد الأطعمة ويأكل خبز الشعير وقد قيل له مالك تجوع وأنت على خزائن الأرض قال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع﴾ وقال الغزالي وكان سليمان بن داود عليه السلام إذا أصبح تصبّح وجوه الأغنياء والأشراف حتى يجيئ إلى المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مسكين وأخرج أحمد في الزهد عن أبي الخليل قال كان داود عليه السلام يدخل المسجد فينظر أغضض خلقه من بني إسرائيل فيجلس إليهم ثم يقول مسكين بين ظهراني مساكين .

﴿وقال عروة بن الزبير﴾ أبو عبد الله كان فقها عالما كثير الحديث روى عن أبيه وخاله وعلى وعنه أولاده والزهرى مات وهو صائم ﴿لقد تصدقت عائشة رضي الله عنها﴾ للفقراء ﴿بخمسين ألفا﴾ درهما ﴿وأن درعها﴾ أي خمارها ﴿لموقع﴾ أي قديم فيه رقع .

﴿وحكى﴾ أبو محمد عبد الله بن أسعد ﴿اليافعي﴾ اليمنى رحمه الله في روض الراحين ﴿أن بعض ملوك الأمم السالفة بنى مدينة وتأنق وتعالى في حشمتها وزينتها ثم صنع طعاما﴾ أي أمر الملك صنيعه ﴿ودعا الناس وأجلس﴾ أي الملك ﴿أناسا على أبوابها﴾ أي تلك المدينة ﴿يسألون كل من خرج﴾ منها ويقولون ﴿هل رأيتم﴾ في هذه المدينة ﴿عينا فيقولون﴾ أي الخارجون منها ﴿لا﴾ أي ما رأينا عينا ﴿حتى جاء ناس في آخر الناس﴾ وفي الروض في آخر القوم ﴿عليهم أكسية﴾ جمع كساء وهو معروف ﴿فسألوهم﴾ أي سأل الناس الجالسون على أبوابها هؤلاء الذين يخرجون منها آخرًا ﴿هل رأيتم عينا فقالوا﴾ رأينا فيها ﴿عيين اثنين فحبسوههم ودخلوا على الملك فأخبروه بما قالوا﴾ من أن فيها عيين ﴿فقال﴾ الملك ﴿ما كنت أرضى بعب واحد فأتوني بهم فادخلوهم عليه﴾ أي على الملك ﴿فسألهم عن العيين ما هما فقالوا تخرب﴾ الدار ﴿ويموت صاحبها قال﴾ الملك ﴿أقتلهمون دارا لا تخرب ولا يموت صاحبها قالوا له نعم﴾ نعلم ذلك ﴿فذكروا له﴾ أي الملك ﴿الجنة ونعيمها وشوقه إليها وذكروا النار وعذابها وخوفه منها ودعوه إلى عبادة الله عز وجل فأجابهم﴾ الملك بتوفيق الله ﴿إلى ذلك﴾ أي مادعوه وظلبوه من من عبادة الله ﴿وخرج من ملكه هاربا﴾ ثابا ﴿إلى الله﴾ سبحانه و﴿تعالى﴾ رحمة الله تعالى عليه .

* وحكى * الياقوت أيضا أنه تحارب ملكان من ملوك اليمن في قديم الزمان فغلب أحدهما صاحبه وقتله وشرّد أصحابه وهبنت له السرور وزينت له دار الملك وتلقاه الناس ليدخل فينبسط هو في بعض السكك يقصد دار الملك اذ وقف له رجل ينسب إلى

﴿تنبه﴾ إن الزهد الحقيقي بزودة الدنيا على قلب العبد لأجل الله وعظيم ثوابه ومقدماته ترك طلب المفقود من الدنيا وتفرق المجموع منها وترك إرادتها واختيارها فإذا أتى بها العبد أورثت تلك الزهد الحقيقي

الجنون فأنشده :
تمتع من الأيام ان كنت حازما * فإنك فيها بين ناه وأمر
فكم ملك قد مر كم الرب فوقه * وعهدى به بالأسر فوق المنابر
إذا كنت في الدنيا بصيرا فأنما * بلاغك منها مثل زاد المسافر
إذا أبقيت الدنيا على المرء دينه * فما فاتته منها فليس بضائر
فقال له صدقت ونزل عن فرسه وفارق أصحابه ورقى الجبل وأقسم على أصحابه أن لا يتبعه أحد فكان آخر العهد به وبقيت اليمن شاغرة أياما حتى اختير لها من عقده راية الملك عليها رحمه الله تعالى .

﴿* تنبيه *﴾ اعلم ﴿ان الزهد الحقيقي﴾ هو ﴿بزودة الدنيا على قلب العبد﴾ بمعنى أنه لا يحبها ﴿لأجل الله﴾ أي لا يفرض من الأغراض الفاسدة ﴿وعظيم ثوابه﴾ في الدار الآخرة ﴿ومقدماته﴾ أي الزهد الحقيقي ثلاثة أولها ﴿ترك طلب المفقود﴾ عنده ﴿من الدنيا﴾ ثانيا ﴿تفرق المجموع﴾ أي تقسيمه على وجه مرضى عند الله ﴿ومنها﴾ ثالثها ﴿ترك إرادتها﴾ بالقلب ﴿واختيارها﴾ فإذا أتى بها ﴿أي بتلك المقدمات﴾ وأورثت تلك ﴿بزودة الدنيا على قلبه وهذا عندي هو﴾ الزهد الحقيقي ﴿

وقد اختلف العلماء في الزهد وحده وكل تكلم على حسب وقته وحاله قيل ومن صدق في زهده في الدنيا أنه وهي رغبة لأنه لا رغبة له فيها وما قدره الله له آتية رغما أو لأنه تعالى يمتحن بها أولياءه كما قال تعالى أنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وأحسن العمل فيها الزهد قال بعضهم الله يعطي الزاهد فوق ما يريد والراغب دون ما يريد والمستقيم وفق ما يريد وقال الامام أحمد ترك الحرام زهد العوام وترك فضول الحلال بالقلب زهد الخواص وترك ما يشغل عن الرب بالقلب زهد العارفين وقال الفضيل بن عياض رحمه الله جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا فإذا أعرض العبد عنها تسرت له الخيرات كلها وقال آخرون الزهد مفارقة حظوظ النفس في كل شيء وكان سفيان يقول الزهد في الدنيا هو الصبر على الحق وسئل حاتم الأصم عن الزهد فقال رأسه الثقة بالله ووسطه الصبر وآخره الاخلاص فأدخل فيه التوكل وجعله أوله لأنه لا يزهد حتى يثق بالله في الرزق ويتوكل عليه فيه وجعل الصبر حالا منه أراد الثبات للاميل أو يخرج فيرجع الى الرغبة وجعل نهايته الاخلاص وهذا اخلاص الصادقين أن تريد بذلك وجه الله وحده وابتغاء مرضاته لا تطلعا الى عوض ولا تطلبا لسبب هو دون الله تعالى وكذلك جعل أحمد بن حنبل الاخلاص هو الزهد ففسره به لأنه إذا بلغ حقيقة الاخلاص لله وحده فقد زهد فيما سواه فاتفقا بمعنى تقاربا فيه أما أحدهما ففسر الزهد بالاخلاص جعله نهايته وهو حاتم وأحمد عبر عن الاخلاص بالزهد لأنه حقيقة وأما أيوب السخيانى فإنه سئل عن الزهد ما هو فقال هو أن تتعد في بيتك فإن كان قعودك لله رضا والا خرجت تتفق درهمك فإن كان رضا والا أمسكت تمسك مالك فإن كلن رضا والا أخرجه تسكت فإن كان سكوتك لله رضا والا تكلمت تكلم فإن كان كلامك لله رضا والا سكت هذا هو الزهد والا فلا تلعبوا وهذا مقام المحاسبة للنفس وحال المراقب للرب ووصف المراعى للوقت فجعل الدنيا هي ترك موافقة رضا الله تعالى في كل شيء إذ جعل الزهد فيها هو اتباع مرضاته في الأشياء وقال أبو سليمان الداراني الزهد التخلي من الدنيا والاشتغال بالعبادة فأما من تركها وتبطل فأنما طلب الراحة لنفسه .

ثم الباعث على الترك والتفريق ذكر آفات الدنيا وعيوبها قال بعضهم

* تنبيهات * الأول ان الزهد يكون بمعنيين ان كان الشيء موجودا فالزهد فيه اخراجه وخروج القلب منه ولا يصح الزهد مع بقاءه للنفس لأن ذلك دليل الرغبة فيه وهذا زهد الأغنياء وان لم يكن الشيء موجودا وكان العدم هو الحال فالزهد هو الرضا بالحال والقبلة بالفقد وهذا زهد الفقراء وكذلك في القدرة على الهوى لا يصح الامع وجود الابتلاء به فمضى قدر عليه فصر عنه بالمجاهدة نفس أو مدافعة وقت أو قطع سبب فذلك زهد فيه فأما ان يريد أن يزهد فيه أو يتركه أو يعزم على قطعه فليس ذلك زهدا فيه بل نيات وأرادات من غير حقيقة فمن أخرج من يده الشيء طوعا ونفسه تتبعه فله مقام في الزهد بالمجاهدة ومن أمسك الشيء واظهرت نفسه الزهد فيه بالإرادة فذلك تميل وتمن يدخل في باب نيات الخير لا في المسارعة الى الخيرات ولا المسابقة بالقرابات بالسعى لها والمنافسة فيها ولا مقام في المنافسة لمن لم يتبع الإرادة بالسعى والمعاملة ولا مقام في الزهد لمن لم يردف الإرادة باخراج المزهود فيه لأن الامساك علامة الرغبة والرغبة ضد الزهادة فكيف يوصف بالشيء وضده في حالة قائمة بالمسك للشيء الموهوم للزهد باظهار نفسه ذلك بأحد وصفين إما ان لا يعرف الزهد أو لا يعرف خفى شهوة النفس ولطيف تمنيهما من معدن حسن ظنها بوصفها هذا ان لم يمويه على الراغبين ولم يكذب على وجده لأجل خفى الرغبة فيهم والمخرج للشيء عن يده المخرج لقلبه منه هو المتحقق بالزهد فيه والمسك للشيء المغتبط بامساكه الذي همه فيه وقلبه عاكف عليه هو المتحقق بالرغبة فيه وكذلك كل من أمل شيئا وادخره لنفسه لا يكون زاهدا فيه حتى يخرج منه من يده وقلبه استصناراه وتعوضا منه .

الثاني قد يصح الزهد للعارف في الشيء مع وجوده عنده اذا لم يقنعه لمتعة النفس ولم يملكه ويسكن اليه بل كان موقفا في خزائنه الله تعالى منتظرا لحكم الله فيه وصحة ذلك استواء وجوده وعدمه والمساورة اذا رأى حكما لله أن ينفعه ويكون كأنه لغيره من اخواته أو سبيل من سبيل الله وقد يصح الزهد مع الوجود لمن دون العارف من المردين اذا أمسك الشيء لأوقات حاجته واستعان به على آخرته أو يكف به نفسه عن الرغبة والطمع ويقمع به طبعه عن الشره والضرع ويكون تنبها لقطع التشرف وحسب النفس من التصنع والتكلف وقد يكون هذا المقام للخصوص من العلماء بهذه النيات زائدا على مقامات من الزهد للمريدين قال عبد الرحمن بن مهدي خرج محمد بن يوسف الاصبهاني الى مكة ومعه مائة دينار وليس معه الاكساء أدبت وما رأيت مثله وكذلك يحيى بن سعيد القطان ما رأيت مثله وقدمه على الثوري ولما قدم عبد الجليل الزاهد الى واسط اجتمع اليه اهل العراق يسألونه عن الزهد فقال اصبروا حتى أبيع دقائق تمر حمله من البصرة وأنفخ لكم للمسائل وكان يتجزئ ثلثا لأهله وعباله وثلثا لآخوانه وثلثا يرد في تجارته وكذلك كان حال جماعة من زهادي السلف فلم يكن ذلك ينقصهم عند العلماء وكان مزيدا في حالهم وطريقاتهم الى مقامهم من الزهد وهو وصف الأقوياء من الزهاد هكذا ذكره الزبيدي .

ثم الباعث على ترك الطلب والتفريق والتقسيم للمجموع ذكر آفات الدنيا وعيوبها وهي كثيرة منها ما قاله عيسى بن مريم يا معشر الحوارين اني قد أكبت لكم الدنيا على وجهها فلا تنشوها بعدى فان من خبث الدنيا أن عصى الله فيها وان من خبث الدنيا أن الآخرة لا تترك الا بتركها الا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة ورثت أهلها جزا طويلا وقد بسط الكلام على ذم الدنيا حجة الاسلام الغزالي في احيائه فانظره فانه مهم **قال بعضهم** وهو يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله

تركت الدنيا لقلّة غناها وكثرة عناؤها وسرعة فناؤها وخسة شركائها وقال الغزالي القول البالغ فيه ما قاله شيخنا أبو بكر الطوسي إن الدنيا عدوة الله عز وجل وأنت محبه فمن أحبّ أحدا أبغض عدوه جعلنا الله من المبغضين للدنيا والحين للآخرة * وروي الليث عن جرير قال صحب رجل عيسى عليه السلام وقال يا نبي الله أكون معك وأصحبك فانطلقا إلى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقي رغيف فقام عليه السلام إلى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف قال لا أدري فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية ومعه خشفان لها قال فدعا أحدهما فأناه فذبحه وشوى منه وأكل هو والرجل ثم قال للخشف قم بإذن الله فقام

﴿تركت الدنيا لقلّة غناها﴾ بالفتح والمد أي نفعها ﴿وكثرة عناؤها﴾ أي تعبها وبين الغناء والعناء الجناس المصحف وهو اختلاف الحروف في النقط ﴿وسرعة فناؤها وخسة شركائها﴾ قال أبو بكر الوراق رحمه الله لكن يجيء من هذا رائحة الرغبة الفاتحة لأن من شكّا فراق أحد أحب وصاله ومن ترك شيئا لمكان الشركاء فيه أحب أنه لو انفرد به ولم يشاركه فيه غيره ﴿وقال الغزالي﴾ رحمه الله تعالى ﴿القول البالغ﴾ أي الكامل ﴿فيه﴾ أي في ذكر آفات الدنيا الذي يبعث على الترك والتفريق ﴿ما قاله شيخنا أبو بكر الطوسي﴾ رحمه الله تعالى ﴿إن الدنيا عدوة الله عز وجل﴾ وعدوة لأوليائه وعدوة لأعدائه أما عداوتها لله فإنها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها وأما عداوتها لأوليائه الله فإنها تزينت لهم بزینتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الضير في مقاطعتها وقطعوا النظر عن زينتها وأما عداوتها لأعداء الله فإنها استدرجتهم بمكرها ومكيدتها واقتنصتهم بشبكها حتى اطمئنوا بها وعولوا عليها فخذلتهم أحوج ما كانوا إليها فاجتنبوا منها حسرة تنقطع دونها الأكباد ثم حرمتهم السعادة أبدا لا باد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكابدها يستغيثون ولا يغاثون بل يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ﴿وأنت محبه فمن أحبّ أحدا أبغض عدوه﴾ أي عدو ذلك الأحد ﴿جعلنا الله من المبغضين للدنيا والحين للآخرة﴾ قال في النصائح ثم إن الدنيا عبارة عن كل ما على وجه الأرض من الشهوات واللذات وأصناف الأمتعة التي تشبهها النفوس وتميل إليها وتحرص عليها وقد جمع الله أصولها في قوله زين للناس حب الشهوات الآية فمن أحب ذلك واشتد حرصه عليه وليس له غرض فيه إلا مجرد التمتع والتلذذ صار من جملة محبيها فإن أفرط حتى لم يبال من أين يأخذ من حل أو حرام واشتغل بسببه عما فرض الله عليه وقع فيما حرم الله عليه من معصيته وتحقق في حقه الوعيد الوارد في الحين لها بلا شك وصار أمره في نهاية الخطر إلا أن يتدارك الله بالتوبة قبل مماته وخروجه من هذه الدار انتهى بمعناه ﴿وروي الليث﴾ بن أبي سليم الكوفي في صندوق اختلط روى له البخاري معلقا ومسلم وأصحاب السنن الأربعة ﴿عن جرير﴾ بن حازم بن زيد بن عبد الله الأزدي البصري كنية أبو النصر وهو والد وهب ثقة مات سنة سبعين روى له الجماعة ﴿قال صحب رجل عيسى﴾ بن مريم ﴿عليه السلام﴾ وقال يا نبي الله أكون معك وأصحبك فانطلقا ﴿فاتميا﴾ إلى شط نهر ﴿أي جانبه﴾ فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقي رغيف ﴿ثالث﴾ فقام ﴿عيسى﴾ عليه السلام إلى النهر فشرب ﴿منه﴾ ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف قال لا أدري ﴿قال جرير﴾ فانطلقا ﴿عيسى﴾ ومعه صاحبه فرأى ظبية ومعه خشفان لها ﴿ثنية خشف وهو ولد الغزال يطلق على الذكر والأنثى والجمع خشوف مثل حمل وحمول﴾ ﴿قال﴾ جرير ﴿فدعا﴾ عيسى ﴿أحدهما فأناه فذبحه وشوى منه وأكل هو والرجل﴾ الذي صحبه ﴿ثم قال﴾ عيسى ﴿للخشف﴾ المذبح ﴿قم بإذن الله﴾ أي بإرادته ﴿فقام﴾ الخشف

فذهب فقال للرجل أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف قال ما أدري قال فأتبها إلى نهر فأخذ عيسى بيد الرجل مشيا على الماء فلما جاوزا قال أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف قال لا أدري قال فأتبها إلى منارة فجلس فأخذ عيسى جمع ترابا أو رملا وقال له كن ذهبا بإذن الله فكان ذهبا فقسمة ثلاثة أثلاث فقال لي ثلث وثلث لك وثلث لمن أخذ الرغيف فقال أنا خذته قال فكله لك وفارقه عيسى فاتمى إليه رجلان وهو في المغارة ومعه المال فأراد أن يأخذه منه ويقتله فقال هويتنا أثلاثا فابعثوا حدكم إلى القرية ليشتري طعاما فقال الذي بعث لأي شيء فقاوم هذا المال لأجعلن لهما في الطعام سما فأقلهما به وأخذ هذا المال جميعه فجعل فيه السم وقال صاحبه في غيبته لأي شيء فقاوم المال إذا جاء قتلناه واقسما المال نصفين فجاء فقتله ثم أكل الطعام ما تروى في المال في المغارة وأولئك الثلاثة قتلى حوله فمر عيسى عليه السلام بهم على تلك الحالة فقال لأصحابه هذه الدنيا فاحذروها

﴿خاتمة﴾ في فضل الفقر والفقر

﴿فذهب فقال للرجل أسألك بالذي أراك هذه الآية﴾ وهي إحياء هذا الخشف ﴿من أخذ الرغيف قال﴾ الرجل ﴿ما أدري قال﴾ جرير ﴿ثم أتبها﴾ أي عيسى وصاحبه ﴿إلى نهر فأخذ عيسى﴾ عليه السلام ﴿بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا﴾ النهر ﴿قال﴾ سألك بالذي أراك هذه الآية ﴿وهي مجاوزة النهر من غير غرق﴾ من أخذ الرغيف قال لا أدري قال ﴿جرير﴾ فأتبها إلى منارة قال لفيومي والمغارة الموضع المهلك مأخوذة من فوز بالتشديد إذا مات لأنها مظنة الموت وقيل من فاز إذا نجا وسلم سميت به تزاولا بالسلامة ﴿فجلس﴾ أي كل منها وفي رواية فجلسا ﴿فأخذ عيسى فجمع ترابا أو رملا وقال له﴾ أي للمجموع من التراب أو الرمل ﴿كن ذهبا﴾ إذن الله ﴿أي بإرادته﴾ فكان ﴿أي صار﴾ ذهبا فقسمة عيسى ﴿ثلاثة أثلاث فقال لي ثلث وثلث لك وثلث لمن أخذ الرغيف فقال﴾ لرجل ﴿أنا﴾ الذي ﴿أخذته﴾ أي الرغيف ﴿قال﴾ عيسى ﴿فكله﴾ أي الذهب ﴿لك وفارقه عيسى فاتمى إليه﴾ أي الرجل ﴿رجلان وهو في المغارة ومعه المال﴾ أي الذهب المذكور ﴿فأرادا﴾ أي الرجلان ﴿أن يأخذه﴾ أي المال ﴿منه﴾ أي من الرجل المذكور ﴿أن﴾ يقتله فقال الرجل ﴿هو﴾ أي المال ﴿بيننا أثلاثا فابعثوا أحدكم إلى القرية ليشتري﴾ لنا ﴿طعاما﴾ فأكله فابعثوا حدهم ﴿فقال الذي بعث لأي شيء فقاوم﴾ هؤلاء ﴿هذا المال لأجعلن لهما في الطعام سما فأقلهما به﴾ أي الطعام المسموم ﴿وأخذ هذا المال جميعه﴾ وحدي ﴿فجعل﴾ المبعوث ﴿فيه﴾ أي في الطعام ﴿السم وقال صاحبه في غيبته﴾ أي الرجل المبعوث ﴿لأي شيء فقاوم المال﴾ ولكن ﴿إذا جاء قتلناه واقسما المال نصفين فجاء فقتله ثم أكل الطعام فمات﴾ لأنه كان مسموما ﴿وبقي المال في المغارة وأولئك الثلاثة قتلى حوله﴾ أي عند المال ﴿فمر عيسى عليه السلام بهم على تلك الحالة فقال لأصحابه هذه الدنيا فاحذروها﴾ وقد رواه صاحب القوت مختصرا ولفظه وفي أخبار عيسى عليه السلام أنه مر في سياحته ومعه طائفة من الخواريين بذهب مصبوب في أرض فوقف عليه ثم قال هذا القاتل فاحذروه ثم جاوز وأصحابه فتخلف ثلاثة لأجل الذهب فأقام اثنان عليه ودفعا إلى واحد شيئا منه يشتري لهم من طبقات الدنيا من أقرب الأمصار اليهم فوسوس اليهما العدو وترضيان أيكون هذا المال بينكم اقتلاه هذا فيكون المال بينكما نصفين فاجمعا على قتله إذا رجع اليهما قال وجاء الشيطان إلى الثالث فوسوس إليه أراضيت لنفسك أن تأخذ ثلث المال أقتلها فيكون المال كله لك قال فاشترى سما فجعله في الطعام فلما جاء هما به وثبا عليه فقتلاه ثم قعدا يأكلان الطعام فلما فرغا ماتا فرجع عيسى عليه السلام من سياحته فنظر اليهم صرعى حول الذهب والذهب بحاله فعجب أصحابه وقالوا ما شأن هؤلاء قتلى فأخبرهم بهذه القصة

﴿خاتمة﴾ في بيان النوعين النوع الأول في حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساليبه . والنوع الثاني ﴿في فضل الفقر والفقر﴾

أما النوع الأول فاعلم أن الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج إليه مالا أو غيره أما فقد مالا حاجة إليه فلا يسمى فقرا وإن كان المحتاج إليه موجودا مقدورا عليه لم يكن المحتاج فقيرا فالفقير هو المفاقد المحتاج والفقر هو الفقد والاحتياج وإذا فهمت هذا لم تشك في أن كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لأنه محتاج إلى دوام الوجود في ثلثي الحال ودوام وجوده مستفاد من فضل الله تعالى فإن كان الوجود موجودا ليس وجوده مستفادا له من غيره فهو الغنى المطلق ولا يتصور أن يكون مثل هذا الموجود إلا واحدا فليس في الوجود الاغنى واحد وكل من عداه فانهم محتاجون إليه ليمد وجودهم بالدوام وإلى هذا الحصر الإشارة بقوله تعالى والله الغنى وأتم الفقراء هذا معنى الفقر مطلقا ولكن لم نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر من المال على الخصوص والافتقر العبد بالإضافة إلى أصناف حاجاته لا تنحصر لأن حاجاته لا حصر لها ومن جعلتها ما يتوصل إليه بالمال وهو الذي تريد الآن بيانه فنقول.

كل فاقد للمال فاما أن نسميه فقيرا بالإضافة إلى المال الذي فقده اذا كان المفقود محتاجا إليه في حقه ثم يتصور أن يكون له خمسة أحوال عند الفقد ونحن نميزها ونخصص كل حال باسم لتوصل بالتمييز إلى ذكر أحكامها . الحالة الأولى وهي العليا المبغض للمال الكاره له بحيث لو أتاه المال لكرهه وتأذى به وهرب من أخذه مبغضا له ومستقبلا ومستحقا ومحترزا من شره وشغله عما هو الأهم وهو القرب من الله تعالى وهذا هو الزهد واسم صاحبه الزاهد . الحالة الثانية أن يكون ذلك المفاقد بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله ولا يبغضه ولا يكرهه كراهة يتأذى بها ويزهد فيه لو أتاه وصاحب هذه الحالة يسمى راضيا . الحالة الثالثة أن يكون وجود المال أحب إليه من عدمه لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته أن يسرع ويتحرك لطلبه بل أن أتاه صفوا صفوا من غير تعب أخذه وفرح به وإن افتقر إلى معالجة تعب ومشقة في طلبه لم يشتغل به ولم يلتفت إليه وصاحب هذه الحالة تسمى قانعا اذا قنع نفسه بالموجود الحاضر حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة . الحالة الرابعة أن يكون تركه الطلب لعجزه عن تحصيله والا فهو راغب فيه رغبة لو وجد سيلا إلى طلبه ولو بالتعب لطلبه أو هو مشغول بالطلب في الحال وصاحب هذه الحالة يسمى الحرص ورغبته هي الرغبته المذمومة . الحالة الخامسة أن يكون ما فقده من المال مضطرا إليه كالجائع المفاقد للخبر والعاري المفاقد للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا كيفما كانت رغبته في الطلب اما ضعيفة واما قوية قلما تنفك هذه الحالة عن الرغبة لأنها ليست مذمومة .

فهذه خمسة أحوال أعلاها الزهد وهي الحالة الأولى والاضطرار ان انضم إليه الزهد تصور ذلك بأن يكون كارهها للمال مع اضطراره فهو أقصى درجات الزهد وإن انضم إلى حالة الاضطرار جزع وشكوى حرم ذلك وبين الدرجتين أوساط مختلفة المراتب فأي فقد قارنه رضا أو قناعة كان له فضل الراضي والقانع وإن قارنه حرص كان له ولا عليه إلا أن يجره الحرص إلى أخذ المال من شبهة أو حرام فهذا هو الفقر الحرام الذي يستعاذ منه ووراء هذه الأحوال الخمسة حالة هي أعلى من الزهد وهي أن يستوى عنده وجود المال وفقده فإن وجدته لم يفرح به ولم يتأذى وإن فقده فكذلك بل حاله حال الغنى عن دخول المال في يده وعن بقائه وعن خروجه من يده فانه ليس يتأذى به فيحتاج إلى الخروج ولا يفرح به فيحتاج إلى البقاء وليس فاقدا له فيحتاج إلى الدخول وهذا كما كان حال عائشة رضي الله عنها اذا أتاهم ألف درهم من العطاء فأخذتها وفرقتها من يومها فقالت خادمتها ما استطعت فيما فرقت اليوم إن تشتري لنا بدرهم لحبا نطهر عليه فقالت لو ذكرتني لفعلت فمن هذه حاله فلو كانت الدنيا مجذا فيرها في يده وخزائنه لم يضره اذ هو يوزي الأموال في خزائن الله تعالى لا في يد نفسه ولا يفرق بين أن تكون في يده أو في يد غيره ذكره الغزالي وغيره .

﴿أخرج﴾ ابن ماجه عن ابن عمر يا معشر الفقراء ألا أبشركم إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم خمسمائة عام *
وأما النوع الثاني وهو بيان فضل الفقر والفقراء من الآيات والأخبار والآثار فأقول أما من الآيات فيدخل عليه قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم الآية وقوله للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض ساق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر قال الزبيدي ومن المواضع التي فيها الفقر قوله تعالى إنما الصدقات للفقراء والمساكين الآية وقوله تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله وقوله تعالى رب اني لما أنزلت الي من خير فقير والمراد في الآية الأولى والثانية خواص الفقراء وفي قوله إنما الصدقات الآية فقراء المسلمين خاصتهم وعامتهم وفي قوله يا أيها الناس الآية الفقراء العام لأهل الأرض كلهم غنيهم وفقيرهم مؤمنهم وكافرهم وفي الآية الأخيرة الفقر إلى الله المشار إليه بقوله اللهم اغني بالافتقار إليك وبهذا ألم الشاعر بقوله :

ويعجبنى فقرى إليك ولم يكن لي يعجبنى لولا محبتك الفقرا

والفقراء الموصوفون في الآية الثانية يقابلهم أصحاب الجدة ومن ليس محصرا في سبيل الله ومن لا يكف فقره ضعفا فمتا بلهم أكثر من مقابل الصنف الثاني والصنف الثاني يقابل أصحاب الجدة ويدخل فيهم المتضعف وغيره والمحصر وغيره والصنف الثالث لا مقابل لهم بل الله وحده الغنى وكل ما سواه فقير إليه ومراد المشايخ بالفقر شيء أحص من هذا كله وهو الافتقار إلى الله في كل حالة وهذا المعنى أجل من أن يسمى فقرا بل هو حقيقة العبودية ولها وعزل النفس عن مزاحمة الربوبية .

وأما الأخبار في مدح الفقر فأكثر من أن تحصى روى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ لأصحابه أي الناس خير فقالوا مؤسر من المال يعطي حق الله في نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به أي ليس بالذي أريده قالوا فمن خير الناس يا رسول الله قال فقير يعطي جهده رواه أبو نعيم في الحلية وقال ﷺ لبلال ألق الله فقيرا ولا تلبقه غنيا رواه الحاكم والطبراني من حديث بلال وقال ﷺ إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال رواه ابن ماجه من حديث عمران بن حصين .

﴿وأخرج ابن ماجه عن ابن عمر يا معشر الفقراء ألا أبشركم أن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم﴾ من أيام الآخرة وهو ﴿خمسمائة عام﴾ وأخرج أحمد والترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه من حديث أبي هريرة يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام وروى الحكيم في النوادر من حديث سعيد بن عامر بن جذيم يدخل فقراء المسلمين قبل الأغنياء بخمسمائة سنة حتى أن الرجل يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج وفي حديث آخر بأربعين خريفا أي أربعين سنة فيكون المراد به أي أربعين خريفا تقدير تقدم الفقير الحرص على الفنى الحرص ويكون التقدير بخمسمائة عام تقدير تقدم الفقير الزاهد على الفنى الراغب وكان الفقير الحرص على درجتين من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد هذه نسبة الأربعين إلى خمسمائة ولا تظن أن تقدير رسول الله ﷺ مجرى على لسانه جزافا وبالاتفاق من غير قصد نكسة أو فائدة بل لا يستنطق ﷺ إلا بحقيقة الحق فانه عليه صلاة والسلام لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى كذا قاله الغزالي وقال العلقمي يمكن الجمع بين حديث الأربعين وحديث الخمسمائة عام بأن سباق الفقراء يسبقون سباق الأغنياء بأربعين عاما وغير سباق الأغنياء بخمسمائة عام أذكر كل صنف من الفريقين سياق وقال بعض المتأخرين يجمع بأن هذا السبق يختلف بحسب أحوال الفقراء والأغنياء فمتهم من يسبق بأربعين ومنهم من يسبق بخمسمائة كما يأتى آخر مكث العصاة من الموحدين في النار بحسب جرأتهم ولا يلزم من سبقهم في الدخول ارتفاع منازلهم بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة وإن

وأبو نعيم عن أبي سعيد يبشر فقراء المؤمنين بالفوز يوم القيامة قبل الأغنياء بمقدار خمسمائة عام هؤلاء في الجنة يتمتعون هؤلاء يحاسبون * ومسلم عن ابن عباس اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء * وابن عساكر إن أطولكم في الدنيا حزنا أطولكم فرحا في الآخرة وإن أكثركم شيعا في الدنيا أكثركم جوعا في الآخرة *

سبقة غيره في الدخول فالمرتبة مرتبان مرتبة سبق وميزة رفعة قد تجتمعان وقد تنفردان وأفتى ابن الصلاح بأنه يدخل في هذا الفقراء الذين لا يملكون شيئا والمساكين الذين لهم شيء لا تتم به كتابتهم إذا كانوا غير مرتكبين شيئا من الكبائر ولا مصرين على شيء من الصفات ويشترط فيهم أن يكونوا صابرين على الفقر والمسكنة راضين بهما وقد زعم بعضهم أن دخول النبي ﷺ متأخر عن دخول هؤلاء الفقراء لأنهم يدخلون قبله وهو في أرض القيامة تارة عند الميزان وتارة عند الصراط وتارة عند الحوض وهذا قول باطل تردده الأخاديت فيدخل الجنة ويسلم ما عدله فيها ثم يرجع إلى أرض القيامة ليخلص أمته بمقتضى ما جعل الله في قلبه من الرحمة والشفقة عليهم قال القاضي عياض ويحتمل أن هؤلاء السابقين إلى الجنة يتمتعون في أفنيئها وظلالها ويتذذون إلى أن يدخل محمد ﷺ ثم يدخلونها على قدر منازلهم وسبقهم .

﴿و﴾ أخرج ﴿أبو نعيم﴾ في الحلية ﴿عن أبي سعيد﴾ الخدرى ﴿باسناد حسن﴾ ﴿لبشر﴾ بفتح اللام وضم المعجمة ﴿فقراء المؤمنين﴾ أي ليحصل لهم الفرج والسرور ﴿بالفوز﴾ أي بالسبق إلى الجنة ﴿يوم القيامة قبل الأغنياء﴾ الذين أشغلهم غناهم عن مولاهم فضيعوا حقوقه والافكم من غنى صرف المال في مصارفه فيكون أفضل من كما قاله الحنفى ﴿بمقدار خمسمائة عام﴾ من أعوام الدنيا ﴿هؤلاء﴾ الفقراء ﴿في الجنة يتمتعون وهؤلاء﴾ الأغنياء في الحشر ﴿يحاسبون﴾ على أموالهم ﴿و﴾ أخرج الطيالسى وأحمد وهناد و﴿مسلم عن ابن عباس﴾ رضي الله عنهما ﴿اطلعت﴾ بتشديد الطاء المهمله أي أشرفت ﴿في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء﴾ قال ابن بطل وقله العلقمى وغيره ليس قوله اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء يوجب فضل الفقير على الغنى وإنما معناه أن الفقراء في الجنة أكثر من الأغنياء فأخبر عن ذلك كما تقول أكثر أهل الدنيا الفقراء أخبارا عن الحال وليس الفقر أدخلهم الجنة وإنما دخلوا بصلاحهم مع الفقر فإن الفقير إذا لم يكن صالحا لا يفضل قلت وظاهر الحديث التحريض على ترك التوسع من الدنيا كما أن فيه تحريض النساء على المحافظة على أمر الدين فلا يدخلن النار ﴿واطلعت في النار﴾ أي عليها والمراد نار جهنم ﴿فرأيت أكثر أهلها النساء﴾ لأن كثران العشير وترك الصبر عن البلاء فيهن أكثر قال ابن بطل وقله العلقمى وغيره وفي حديث مسعود عند مسلم في صفة أدنى أهل الجنة ثم يدخل عليه زوجته ولأبي على عن أبي هريرة فيدخل الرجل على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله زوجتين من لدن آدم فاستدل أبو هريرة بهذا الحديث على أن النساء في الجنة أكثر من الرجال كما أخرجه مسلم من طريق ابن سيرين عنه وهو واضح لكن يعارضه قوله ﷺ في حديث الكسوف رأيت أكثر أهل النار ونجاب بأنه لا يلزم من كثرتهن في النار نغنى كثرتهن في الجنة وقال شيخنا زكرا وبجواب أيضا بأن المراد بكونهن أكثر أهل النار نساء الدنيا وبكونهن أكثر أهل الجنة نساء الآخرة فلا تنافى أولأن المراد كما قاله الحنفى أكثر أهل النار ابتداء ثم يشفع فيهن ﷺ ويدخلن الجنة ورواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند بلفظ اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء فقلت ما شأنهن فقال شغلن الاحمران الذهب والزعفران . ﴿و﴾ أخرج ابن عساكر إن أطولكم في الدنيا حزنا أطولكم فرحا في الآخرة وإن أكثركم شيعا في الدنيا أكثركم جوعا في الآخرة * وأخرج الطبراني من حديث ابن عباس أن أهل الشيع في الدنيا هم أهل الجوع غدا في الآخرة قال المنذرى اسناده حسن وأخرج ابن ماجه والحاكم من حديث سلمان بلفظ أن أكثر الناس شيعا في الدنيا أطولهم يوم القيامة جوعا .

وهو وأبو نعيم عن أبي هريرة إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة يكفرها المحموم في طلب المعيشة * وابن عساکر إن الله تعالى لما خلق الدنيا نظر إليها أعرض عنها ثم قال وعزتي وجلالي لا أنزلك إلا في شرار خلقي * والترمذي لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء * والبيهقي نزل جبريل في أحسن ما كان يأتيني صورة فقال إن الله تعالى يقرئك السلام يا محمد ويقول لك إني قد أوحيت إلى الدنيا أن تمرري وتكدي وتضيق وتشددي إلى أوليائي كي يحبوا لقائي فإني خلقتها سبحانه لأوليائي وجنة لأعدائي * ومسلم عن أبي هريرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أوليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالوا الجوع يا رسول الله قال وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما

﴿وهو﴾ أي وأخرج ابن عساکر ﴿وأبو نعيم﴾ في الحلية ﴿عن أبي هريرة﴾ باسناد ضعيف ﴿ان من الذنوب ذنوباً لا يكفرها الصلاة﴾ لا الفرض ولا النفل ﴿ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة﴾ قالوا يا رسول الله وما يكفرها قال ﴿يكفرها﴾ أي تكفر الضغائر فقط ﴿المحموم﴾ جمع هم وهو القلق والحزن ﴿فيطلب المعيشة﴾ أي السعي فيتحصيل ما يعيش به ويقوم بكفايته ومومنه وهذا كما قال الغزالي في حق الحق أما حق العباد فلا بد فيه من الخروج من المظالم ﴿و﴾ أخرج ابن عساکر ﴿في تاريخه عن علي بن الحسين مرسلان الله تعالى لما خلق الدنيا أعرض عنها فلا ينظر إليها من هوأها عليه وأخرج ابن عساکر أيضاً عن أبي هريرة ﴿ان الله تعالى لما خلق الدنيا﴾ المراد بها في هذا الحديث ونحوه كل ما شغل عنه تعالى من غوافضة والذهب ﴿نظر إليها﴾ أي نظر تدبيره والابان كان لم ينظر إليها أصلاً لقنيت واضمحلت لوقتها ثم ﴿أعرض عنها﴾ بنصاً لأصافها الذميمة وأفعالها القبيحة ﴿ثم قال وعزتي وجلالي لا أنزلك﴾ بضم الهمزة وسكون اللام وضم المثناة الفوقية أي لا أنزل حبك والانهماك عليك ﴿الاف شرار خلقي﴾ ووجدت في نسخة مضبوطاً بالقلم لا أنزلك بضم الهمزة وكسر الزاي وفتح اللام وشدة النون قاله العزيزي ﴿و﴾ أخرج الترمذي والضياء المقدسي عن سهل بن سعد الساعدي ﴿لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة﴾ مثل لغاية القلة والحقارة ﴿ما سقى كافراً منها شربة ماء﴾ أي فهي لا تعدل فسقاه وهذا حديث صحيح كما في العزيزي ﴿و﴾ أخرج البيهقي نزل جبريل ﴿أي إلى النبي ﷺ﴾ في أحسن ما كان يأتيني صورة فقال إن الله يقرئك السلام يا محمد ويقول لك إني قد أوحيت إلى الدنيا أن تمرري وتكدي وتضيق وتشددي إلى أوليائي كي يحبوا لقائي فإني خلقتها سبحانه لأوليائي ﴿أي بالنسبة إلى ما أعد لهم من النعيم﴾ وجنة لأعدائي ﴿أي بالنسبة إلى ما أعد لهم من العذاب الأليم﴾ ﴿و﴾ أخرج مسلم عن أبي هريرة ﴿قال خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم أوليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قال﴾ أخرجنا ﴿الجوع﴾ قال النووي معناه لما كانا عليه من مراقبة الله تعالى ولزوم طاعته والاشتغال به فعرض لهما هذا الجوع الذي يزعجهما ويقلقلهما ويمنعهما من كمال النشاط للعبادة ويقام التلذذ بها سعياف في إزالته بالخروج في طلب سبب مباح يدفعانه به وهذا من أكمل الطاعات وأبلغ أنواع المراقبات وقد نهى عن الصلاة مع مدافعة الأخبثين وبحضرة طعام تنوق النفس إليه وفي ثوب له أعلام وبحضرة المتحدثين وغير ذلك مما يشغل قلبه ونهى الفاضي عن القضاء في حال غضبه وجوعه وهمه وشدة فرحه وغير ذلك مما يشغل قلبه ويمنع كمال الفكر ﴿ما رسول الله ﷺ قال وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما﴾ فيه جواز ذكر الإنسان ما يناله من ألم ونحوه لأعلى سبيل التشكي وعدم الرضا بل للتسليه والتصبر كفعله ﴿هنا ولا تماس دعاء أو مساعدة على السبب في إزالة ذلك العارض فهذا كله ليس بمذموم إنما يذم ما كان تشكياً وتسخطاً وتجزعاً

قوموا فقاموا معه فأتى رجلا من الأنصار فإذا هو ليس في بيته فلما رآته المرأة قالت مرحبا وأهلا فقال لها رسول الله ﷺ أين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبه ثم قال الحمد لله ما أجد اليوم أكرم أضيافا مني فانطلق فجاء بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا وأخذ المدينة فقال له رسول الله ﷺ إياك والحلوب فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن العذق وشربوا فلما أن شبعوا

﴿قوموا فقاموا معه﴾ هكذا عوفي الأصول بضمير الجمع وهو جازم بلا خلاف لكن الجمهور يقولون إطلاقه على الاثنين مجاز وآخرون يقولون حقيقة ﴿فأتى رجلا من الأنصار﴾ هو أبو الهيثم مالك بن النيهان بفتح المثناة فوق وتشديد المثناة تحت مع كسرهما وفيه جواز الأدلال على صاحب الذي يوثق به واستباج جماعة إلى بيته وفيه منقبة لأبي الهيثم إذ جعله النبي ﷺ أهلا لذلك وكفى به شرفا ﴿فإذا هو﴾ أي الرجل الأنصاري ﴿ليس في بيته فلما رآته﴾ ﴿المرأة﴾ زوجة الأنصاري ﴿قالت مرحبا وأهلا﴾ كلمتان معروفتان للعرب ومعناه صادفت رجلا وسعة وأهلا تنس بهم وفيه استحباب أكرام الضيف بهذا القول وشبهه وأظهار السرور بقدمه وجعله أهلا لذلك كل هذا وشبهه أكرام للضيف وقد قال ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وفيه جواز سماع كلام الأجنبية ومراجعتهما الكلام للحاجة وجواز إذن المرأة في دخول منزل زوجها لمن علمت علما محققا أنه لا يكرهه بحيث لا يخلو بها الخلوة المحرمة ﴿فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء﴾ أي يأتي نايما عذب وهو الطيب وفيه جواز استعذابه وتطيبه ﴿اذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه﴾ أي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ﴿ثم قال﴾ الأنصاري ﴿الحمد لله ما أجد اليوم أكرم أضيافا مني﴾ فيه فوائد منها استحباب حمد الله تعالى عند حصول نعمة ظاهرة وكذا يستحب عند اندفاع نعمة كانت مرفوعة وفي غير ذلك من الأحوال ومنها استحباب اظهار البشر والفرح بالضيف في وجهه وحمد الله تعالى وهو يسمع على حصول هذه النعمة والثناء على ضيفه ان لم يخف عليه فتنة فان خاف لم يش عليه في وجهه وهذا طريق الجمع بين الأحاديث الواردة بجواز ذلك ومنعه وفيه دليل على كمال فضيلة هذا الأنصاري وبلاغته وعظيم معرفته لأنه أتى بكلام مختصر بدع في الحسن في هذا الموطن ﷺ قال أبو هريرة ﴿فانطلق﴾ الأنصاري ﴿فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال﴾ للنبي عليه الصلاة والسلام وصاحبه ﴿كلوا﴾ من هذه قال النووي العذق هنا بكسر العين وهى الكباشة وهى الغصن من النخل وإنما أتى بهذا العذق الملون ليكون أطرف وليجمعوا بين أكل الأنواع فقد يطيب لبعضهم هذا وفيه دليل على استحباب تقديم أكل الفاكهة على الخبز واللحم وغيرهما وفيه استحباب المبادرة إلى الضيف بما تيسر وأكرامه بعده بطعام يصنعه له لاسيما ان غلب على ظنه حاجته في الحال إلى الطعام وقد يكون شديد الحاجة إلى التعجيل وقد يشق عليه انتظار ما يصنع له لاستعجاله للانصراف وقد كره جماعة من السلف التكلف للضيف وهو محمول على ما يشق على صاحب البيت مشقة ظاهرة لأن ذلك يمنعه من الاخلاص وكمال السرور بالضيف وربما ظهر عليه شيء من ذلك فيأذى به الضيف وقد يحضر شيئا يعرف الضيف من حاله انه يشق عليه وأنه يتكلف له فيأذى الضيف لشقته عليه وكل هذا مخالف لقوله ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه لأن أكل أكرامه راحة خاطره وأظهار السرور به وأما فعل الأنصاري وذبحه الشاة فليس مما يشق عليه بل لو ذبح أغناما بل جمالا وأثقل أموالا في ضيافة رسول الله ﷺ وصاحبه رضي الله عنهما كان مسرورا بذلك مغبوطا فيه والله أعلم ﴿وأخذ المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إياك والحلوب﴾ المدينة بضم الميم وكسرهما هى السكين والحلوب ذات اللبن فعول بمعنى مفعول كركب ونظائره ﴿فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن﴾ ذلك ﴿العذق وشربوا فلما أن شبعوا﴾ وأن زائدة

وروا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجهن من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم * والبخاري عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه أتى بطعام وكان صائما فقال قتل أو توفي مصعب بن عمير وهو خير مني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة إن غطي بها رأسه بدت رجلاه وإن غطي رجلاه بدا رأسه ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط لنا أو قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا قد خشينا أن تكون حسنا قد عجلت لنا

وروا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجهن من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم قال النووي فيه دليل على جواز الشيع وما جاء في كرامة الشيع فمحمول على مداومة عليه لأنه يقسي القلب وينسى أمر المحتاجين وأما السؤال عن هذا النعيم فقال القاضي عياض المراد السؤال عن القيام بحق شكره والذي نعتقد أن السؤال هنا سؤال تعداد النعم وأعلام بالامتنان بها وإظهار الكرامة بأسبابها لأسؤال توبخ وتقرع ومحاسبة وهو البخاري عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه أتى بطعام وكان عبد الرحمن يومئذ صائما فقال قتل أو توفي مصعب بن عمير يوم أحد قتله عبد الله بن قتيبة وهو أي مصعب خير مني قاله تواضعا وهضما لنفسه فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة وللكشميهني كما في الفرج وأصله البردة بالضمة العائدة على مصعب قال الحافظ بن حجر وهو رواية الأكثر إن غطي بضم الغين مبنيا للمفعول بها رأسه بدت أي ظهرت رجلاه وإن غطي رجلاه بدا أي ظهر رأسه لقصر تلك البردة قال الهلب وابن بطلان وإنما استحب أن يكفن في هذه البردة لكونه قتل فيها قال ابن حجر وفي هذا الجزم نظر بل الظاهر أنه لم يوجد له غيرها وفي حديث أبي واثل بن سلمة عن خباب بن الارت فأمرنا النبي ﷺ أن نغطي رأسه وأن نحمل رجله من الأذخر بكسر الهمزة وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المعجمة والراء نبت حجازي طيب الرائحة وفي الحديث من الفوائد أن الواجب من الكفن ما يستر العورة قال في المجموع واحتمال أنه لم يكن له غير الثمرة مدفوع بأنه بعيد من خرج للقتال وبأنه لو سلم ذلك لوجب تسميته من بيت المال ثم من المسلمين انتهى وقد يقال أمرهم بتسميته بالأذخر وهو سائر ويجاب بأن التكفين به لا يكفي إلا عند تعذر التكفين بالثوب كما صرح به الجرجاني لما فيه من الأضرار باليت على أنه ورد في أكثر طرق الحديث أنه قتل يوم أحد ولم يخلف الإغرة.

وبالجملة فالأصح أن أقل الكفن ساتر العورة لكن استشكل الاسنوي الاقتصار على ساتر العورة بما في النفقات من أنه لا يحل الاقتصار في كسوة العبد على ساتر العورة وإن لم يتأذنجأ أو برز لأنه تحيز وإذلال فامتناعه في الميت الحر أولى وأجيب عنه بأنه لأولوية بل ولانساوي إذ للفرمان منع الزيادة على الثوب الواحد والحر المفلس يبقى له ما يجعله لاحتياجه إلى التجلل للصلاة وبين الناس ولأن الميت يستر بالتراب عاجلا بخلاف العبد والأولى أن يجاب بأنه لا فرق بين المسألين إذ عدم الجواز في تلك ليس لكونه حقا لله تعالى في السر لكونه حقا للعبد حتى إذا أسقطه جاز وفي الحديث أيضا بيان فضيلة مصعب بن عمير وأنه ممن لم ينقص له من ثواب الآخرة شيء.

قال عبد الرحمن بن عوف ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط لنا أو قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا شك من الراوي وقد خشينا أن تكون حسنا قد عجلت لنا يعني خفنا أن ندخل في زمرة من قيل في حقه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد يعني من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد وقيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والإرادة لأنه لا يجد كل مشن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وفي رواية لقد خشيت أن تكون قد عجلت لنا طبيائنا في حياتنا الدنيا يعني أصبنا ما كذب لنا من الطبيات في دنيانا فلم يبق لنا بعد استيفاء حظنا شيء منها والمروءة بالحظ الاستماع والنعيم الذي يشغل القلب به عن الدين

ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام * وهو عن أبي هريرة قال لقد رأيته وأنا في منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حجرة عائشة رضي الله عنها مغشيا علي فيجيء الجاني فيضع رجله على عنقي ويرى أنني مجنون وما بي جنون وما بي إلا الجوع * وروي أنه صلى الله عليه وسلم كان بيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاولا لا يجدون عشاء * وروي أن جبريل عليه السلام نزل فقال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله يقرئك السلام ويقول لك أنت أحب أن أجعل هذا الجبل ذهباً ويكون معك حيثما كنت فأطرق ساعة ثم قال يا جبريل الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له يجمعها من لا عقل له فقال جبريل بئسك الله يا محمد بالقول الثابت * وروي عن الحسن البصري أنه قال قال النبي ﷺ يؤتى بالعبد الفقير يوم القيامة فيعذر الله عز وجل إليه كما يعذر الرجل إلى الرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي ما زويت وتكاليفه حتى يعكف همه على استيفاء اللذات أبا من تمتع بنعم الله ورزقه الذي خلقه الله تعالى لعباده ليتقوى بذلك على دراية العلم والقيام بالعمل وكان تاهضاً بالشكر فهو عن ذلك بمنزل قاله بعض شراح البخاري ﴿ثم جعل﴾ عبد الرحمن ﴿يبكي﴾ خوفاً من تخلفه عن اللحاق بالدرجة العلى ﴿حتى ترك الطعام﴾ في وقت الإفطار .

﴿وهو﴾ أي وأخرج البخاري ﴿عن أبي هريرة﴾ ﴿قال لقد رأيته﴾ أي رأيت نفسي ﴿وأنى لأخر﴾ أي سقط ﴿فيما بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حجرة عائشة رضي الله عنها مغشيا علي فيجيء الجاني فيضع رجله على عنقي ويرى أنني مجنون وما بي إلا الجوع وزوي أنه صلى الله عليه وسلم كان بيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاولا لا يجدون عشاء﴾ بفتح العين قال العراقي روى ابن ماجه من حديث عائشة يأتي على آل محمد الشهر ما يرى في بيت من بيوتهم دخان لحبز ولا طبخ قال عروة فقلت لعائشة يا أمه فما كان تعيشكم قالت الأسود ان التمر والماء وكان لنا جيران من الانصار يرسلون إلينا بالبن في الحين بعد الحين وفي رواية له ما يوقد فيه بنار ولاحمد كان يمر بنا هلال وهلال ما يوقد في بيت من بيوتهم نار وفي رواية ثلاثة أهلة وقال الفضيل بن عياض رحمه الله ما شيع رسول الله ﷺ منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر .

﴿وروي أن جبريل عليه السلام نزل﴾ على رسول الله ﷺ ﴿فقال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله يقرئك السلام ويقول لك أنت أحب أن أجعل هذا الجبل ذهباً ويكون معك حيثما كنت فأطرق﴾ رسول الله ﷺ ﴿ساعة ثم قال يا جبريل الدنيا دار من لا دار له﴾ قال الطيبي لما كان القصد الأول من الدار الإقامة مع عيش هنيء أبدى والدنيا بخلافه لم تستحق أن تسمى داراً فمن داره الدنيا فلا دار له از الدار الآخرة لهي الحياة لو كانوا يعلمون قال عليه السلام من ذا الذي ينشئ على البحر داراً لكم الدنيا فلا تتخذوها قراراً ﴿ومال من لا مال له﴾ لأن القصد من المال الاتفاق في وفرة القرب فمن اتلفه في شهواته واستيفاء لذاته فحقيق بأن يقال لا مال له وما الحياة الدنيا إلا امتاع الغرور ولها ﴿يجمعها من لا عقل له﴾ لغفلة عما همهم في الآخرة ويراد منه في الدنيا والعامل انما يجمع للدار الآخرة وتزودوا فان خير الزاد التقوى ﴿فقال﴾ له ﴿جبريل بئسك الله يا محمد بالقول الثابت﴾ قال العراقي هذا ملق من حديثين فروى الترمذي من حديث أمانة عرض على ربي ليجمع لي بطحاء مكة ذهباً قلت لا يا رب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك وقال حسن وقدرناه كذلك أحمد وابن سعد والطبراني والبيهقي وأحمد من حديث عائشة الدنيا دار من لا دار له الحديث ورواه كذلك الشيرازي في الألقاب والبيهقي ورواه أيضاً عن ابن مسعود موقوفاً عليه قال المنذري وإسناده جيد .

﴿وروي عن الحسن البصري﴾ رحمه الله تعالى ﴿أنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعبد الفقير يوم القيامة فيعذر الله عز وجل إليه كما يعذر الرجل إلى الرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي ما زويت﴾ أي ما منعت ولا صرفت

عنك الدنيا لخوانك علي ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة أخرج يا عبدي إلى هذه الصفوف ونظر إلى من أطعمك أو كساك وأراد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل به ذلك في الدنيا فيأخذ بيده ويدخله الجنة ﴿وحكى﴾ القشيري عن بعضهم أنه قال رأيت

﴿عنك الدنيا لخوانك علي ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة أخرج يا عبدي إلى هذه الصفوف وانظر إلى من أطعمك أو كساك وأراد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك والناس يومئذ﴾ أي يوم إذا قال له ربه أخرج إلى ذلك ﴿قد ألجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل به ذلك﴾ أي الإطعام أو الكسوة ﴿في الدنيا فيأخذه﴾ أي الفقير ﴿بيده﴾ أي يمد من فعل ذلك ﴿ويدخله الجنة﴾ وذكر الغزالي في الإحياء مثله وقال العراقي رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أنس بسند ضعيف يقول الله عز وجل يوم القيامة ادنوا مني أحيائي فتقول الملائكة ومن أحبائك فيقول فقراء المسلمين فيدنون منه فيقول أمانني لم أزو الدنيا عنكم لخوان كان بكم علي ولكن أردت بذلك أن أضعف لكم كرامتي اليوم فتمنوا علي ما شتم اليوم فيؤمرهم إلى الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفا دون آخر الحديث.

وأما أول الحديث فرواه أبو نعيم في الحلية من حديث الحسين بن علي بسند ضعيف اتخذوا عند الفقراء أيادي فان لهم دولة يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة نادى مناد سيروا إلى الفقراء فيعذر اليهم كما يتعذر أحدكم إلى أخيه في الدنيا انتهى وفي المقاصد للحافظ السخاوي رواه أبو نعيم في ترجمة وهب بن منبه من الحلية كما عزاها الديلمي ثم العراقي في تخرجه الإحياء عن الحسين بن علي ولم أره في النسخة التي عندي وقال شيخنا أنه لا أصل له نعم في الحلية من حديث إبراهيم بن فارس عن وهب من قوله اتخذوا اليد عند المساكين فان لهم يوم القيامة دولة في قضاء الحاجات لأبي النرسي بسند فيه مجاهيل عن أبي عبد الرحمن السلمي التابعي رفعه مرسلًا اتخذوا عند الفقراء أيادي فان لهم دولة قيل يا رسول الله وما دولتهم قال يتأدى مناد يوم القيامة يا معشر الفقراء قوموا فلا يبقى فقير الا قام حتى إذا جمعوا قيل أدخلوا في صفوف أهل القيامة فمن صنع اليكم معروفًا وردوه الجنة قال فيجعل يجتمع على الرجل كذا وكذا من الناس فيقول له الرجل ألم أكسك في صدقه فيقول له الآخر ألم أكسك في صدقه فيقول له الآخر يا فلان ألم أكلم لك قال ولا يزالون يخرجونه يملصونوا إليه وهو يصدقهم بما صنعوا إليه حتى يذهب بهم جميعا فيدخلهم الجنة فيقول قوم لم يكونوا يصنعون المعروف باليتيم كنا نضع المعروف حتى ندخل الجنة وبسند رواه عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رفعه ان للمساكين دولة قيل يا رسول الله وما دولتهم قال إذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم في الله تعالى لقمة أو كساكم ثوبا أو سقاكم شربة فادخلوه الجنة انتهى قال الزبيدي حديث ابن عباس هذا رواه ابن عدي في الكامل وقال منكر وابن عساكر في التاريخ من طريق ميمون بن مهران وروى ابن أبي الدنيا في قضاء الحاجات والخطيب من حديث أنس إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الجنة وأهل النار صفوفًا فينظر الرجل من صفوف أهل النار إلى الرجل من صفوف أهل الجنة فيقول يا فلان أما تذكر يوم اصططعتك إليك في الدنيا معروفًا فيأخذ بيده فيقول اللهم هذا اصططع إلى في الدنيا معروفًا فيقال له خذ بيده فادخله الجنة بروحمة الله.

﴿وحكى﴾ الإمام العالم الجامع بين الشريعة والحقيقة أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن ﴿القشيري﴾ قال شيخ الإسلام كان مولده في شهر ربيع الأول سنة ست وسبعين وثلاثمائة وتوفي صبيحة يوم الأحد سادس عشر شهر ربيع الآخر خمس وستين وأربعمائة بمدينة نيسابور نور الله مضجعه وبردمثواه وصرعه ﴿عن بعضهم أنه قال رأيت﴾ في المنام

كان القيامة قد قامت ويقال أدخلوا مالك بن دينار ومحمد بن واسع الجنة فنظرت أيهما يقدم فتقدم محمد بن واسع فسألت عن سبب تقدمه فقيل لي أنه كان له قميص واحد ولمالك قميصان ﴿وحكى﴾ الياضي عن الشيخ أبي محمد الحريري قال دخل علينا الرباط بعد صلاة العصر شاب مصفر اللون أشعث الشعر حاسر الرأس حافي القدمين فجدد الوضوء وصلى ثم جلس ووضع رأسه في جيبه إلى المغرب فلما صلى معنا المغرب جلس كذلك وإذا رسول الخليفة يسد عينا في دعوة فقمنا إلى الشاب وقلت له هل لك أن توافقنا إلى دار الخليفة فرفع رأسه وقال ليس لي قلب إلى دار الخليفة ولكن أشتهى عصيدة حارة فاطرحت قوله حيث لم يوافق الجماعة والتبس شهوة

﴿كان القيامة قد قامت ويقال أدخلوا مالك بن دينار ومحمد بن واسع الجنة فنظرت أيهما يقدم فتقدم محمد بن واسع﴾ علي بن دينار ﴿فسألت عن سبب تقدمه فقيل لي أنه كان له قميص واحد و﴾ كان ﴿لمالك قميصان﴾ وسلك علي طريق ابن واسع يوسف بن أسباط حيث قال منذ أربعين سنة ما ملكت قميصا. وقيل أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء عليهم السلام أن أردت أن تعرف رضائي عنك فانظر كيف رضا الفقراء عنك.

قال القشيري سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد بن أحمد الفراء يقول سمعت أبا بكر بن طاهر يقول من حكم الفقير أن لا يكون له رغبة فإن كان ولا بد فلا تجاوز رغبته كفايته وأنشدنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال أنشدني عبد الله بن إبراهيم بن العلاء قال أنشدني أحمد بن عطاء لبعضهم:

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه * فقلت خلعة ساق حبه جزعا
فقرو صبر هنا ثوباي تحتها * قلب يرى الله الأعياد والجمعا
أحرى الملابس أن تلقى الجيب به * يوم التزاوي في الثوب الذي خلعا
الدهر لي مآتم ان غبت يا أملي * والعيد ما كنت لي مراني مستعا

وقيل ان هذه الأبيات لأبي علي الروذباري.

﴿وحكى﴾ الشيخ الإمام عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن أسعد ﴿الياضي﴾ اليمنى تقدمه الله برحمته وأسكبه فسيح جنته ﴿عن الشيخ أبي محمد الحريري﴾ رحمه الله تعالى قال حضر باب داري باز أشهب فلم أضده ومكنت أربعين سنة أنصب حبال عليه لعل أظفر به أو بمثله فما ظفرت فقيل وما ذاك البازي الأشهب ﴿قال﴾ رجل ﴿دخل علينا الرباط﴾ وهو موضع بين الفقراء ﴿بعد صلاة العصر شاب مصفر اللون أشعث الشعر حاسر الرأس﴾ أي كاشفه ﴿حافي القدمين﴾ قال الفيومي حفي الرجل يخفى من باب تعب مشى بغير نعل ولا خف فهو حاف والجمع حفاة مثل قاض وقضاة ﴿فجدد الوضوء وصلى ثم جلس ووضع رأسه في جيبه﴾ أي طوق قميصه ﴿إلى المغرب فلما صلى معنا المغرب جلس كذلك﴾ أي مثل الجلوس الأول ﴿وإذا رسول الخليفة يسد عينا في دعوة فقمنا إلى الشاب وقلت له هل لك أن توافقنا إلى دار الخليفة﴾ في اجابة الدعوة ﴿فرفع﴾ الشاب ﴿رأسه وقال ليس لي قلب﴾ حاضر ﴿إلى دار الخليفة ولكن أشتهى عصيدة حارة﴾ وهو طعام معروف ويعمل بلغة أهل الملايو من كجى تنوع برمينق ساقى كما ذكره المربوي في قاموسه قال ابن فارس سميت بذلك لأنها تصعد أي تقلب وتلوى يقال عصدها عصدا من باب ضرب إذا لوثها وأعصدها بالالف لغة ﴿فاطرحت قوله﴾ ولم ألتفت إليه ﴿حيث﴾ أي لأجل أنه ﴿لم يوافق الجماعة﴾ في الحضور إلى دار الخليفة ﴿و﴾ مع ذلك ﴿التبس﴾ أي طلب ﴿شهوة﴾ المذكورة

وقلت في نفسي هذا قرب العهد بالطريقة لم يتأدب ومضيت الى دار الخليفة وأكلنا وشبعنا وفرقنا آخر الليل فلما دخلت الرباط رأيت الشاب على تلك الحالة فجلست على سجادتي ساعة فلمجعت عيناى بالنوم واذا جماعة وقائل يقول هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنبياء كلهم عليهم السلام قد نوت إليه وسلمت عليه فولى وجهه عنى معرضا فكثرت عليه وهو معرض عنى ولا يجيب فخفت من ذلك فقلت يا رسول الله ما الذي أذنبت حتى تعرض عنى بوجهك فقال فقير من أمتى أشتى عليك شهوة فتهاونت به فاستيقظت مرعوبا وقمت نحو الفقير فلم أجده وسمعت صوت الباب فخرجت في طلبه فاذا هو به خرج فناديته يا فتى اصبر حتى تحضر شهوتك التي طلبتها فالتفت إلي وقال اذا أشتى فقير عليك شهوة فلا توصلها اليه حتى يشفع اليك بمائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي فلا حاجة اليها ومضى حشرنا الله في زمرة المساكين وأدخلنا معهم الجنان آمين

﴿وقلت في نفسي هذا﴾ الشاب ﴿قرب العهد بطريقة﴾ أي سلوك طريقة القوم ولهذا ﴿لم يتأدب﴾ بأدابهم حيث أراد أن يعاطى شهوة نفسه المباحة ولا ينهض الى ما يقربها من مولاهما ﴿ومضيت﴾ مع الجماعة ﴿الى دار الخليفة وأكلنا وشبعنا وفرقنا﴾ منها ﴿آخر الليل فلما دخلت الرباط﴾ رأيت الشاب على تلك الحالة ﴿أي جلوسه ووضع رأسه في الجيب﴾ فجلست على سجادتي ساعة فلمجعت ﴿أي أسرعت وأصل اللهج الولوع وشدة الحرص كما قاله الحريري﴾ عيناى بالنوم واذا جماعة وقائل ﴿منهم﴾ يقول هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنبياء كلهم عليهم السلام والصلاة والسلام قد نوت اليه ﴿أقربت الى النبي ﷺ﴾ وسلمت عليه فولى وجهه ﴿أي أعرض بوجهه الشريف﴾ عنى ﴿حال كونه﴾ معرضا فكثرت السلام عليه وهو ﴿عليه الصلاة والسلام﴾ معرض عنى ﴿يعنى يستمر على اعراضه﴾ ولا يجيب ﴿سلامي﴾ فخفت من ذلك ﴿أي من اعراضه وعدم جوابه﴾ فقلت يا رسول الله ما الذي أذنبت حتى تعرض عنى بوجهك ﴿الكرنم﴾ فقال ﴿رسول الله ﷺ﴾ فقير من أمتى أشتى عليك شهوة أي مشتهة ﴿فتهاونت به﴾ ولم تأنه بها ﴿فاستيقظت﴾ أي انتهت من نومي ﴿مرعوبا﴾ أي خائفا ﴿وقمت نحو الفقير﴾ وهو الشاب المذكور ﴿فلم أجده﴾ في مكانه ﴿وسمعت صوت الباب﴾ أي باب الرباط ﴿فخرجت في طلبه فاذا هو به﴾ وفي بعض نسخ الروض فاذا به بانسقاط هو ﴿فخرج فناديته يا فتى اصبر﴾ ولا تخرج ﴿حتى تحضر شهوتك التي طلبتها فالتفت الي وقال﴾ حال كونه مكاشفا بتلك الحال ﴿اذا أشتى فقير عليك شهوة فلا توصلها اليه حتى يشفع﴾ اليك بمائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي فلا حاجة ﴿بي﴾ اليها ﴿تركنى﴾ ومضى ﴿وأنشد﴾

طلبت الفنى من صاحبي فأجابني ❦ ان الفقير الى الغنى بغض

ثم قال المصنف داعيا لربه ﴿خشرنا الله﴾ أي جمعنا ﴿في زمرة المساكين﴾ أي جماعتهم ﴿وأدخلنا معهم الجنان آمين﴾ وانما دعا بذلك بما ورد من قوله ﷺ اللهم أحيني مسكينا وأمتي مسكينا واحشرنى في زمرة المساكين رواه ابن ماجه وغيره ولا يناقض هذا ما رواه البيهقي وغيره من قوله ﷺ كاد القرآن يكون كبرا اذ فقر المضطر هو الذي استعاذ منه والفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار الى الله تعالى هو الذي سأل في دعائه ﷺ كما قاله الغزالي واليه يشير كلام المشايخ وهذا الذي يشيرون اليه لاثنا فيه الجدة ولا الاملاك فقد كان رسول الله ﷺ وأنبياء عليهم السلام في ذروة الفقر مع جدتهم وملكهم كبرائهم عليه الصلاة والسلام كان يكس أباه الضيفان وكانت له الأموال والمواشي وكذلك كان سليمان وداود عليهما السلام وكذلك كان نينا ﷺ قال تعالى ووجدك عاتلا فاغنى وكانوا أغنياء في فقرهم فقراء في غناهم .

﴿فصل في المن بالصدقة﴾ قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمكث صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين

ثم اعلم ان الفقر الذي هو خلو اليد من المال وسيلة القبل والانقطاع وهما الوسيلة الى الغنى بالله وسيلة الى تجرده عما سوى الحق من أعراض بل نفس وحال فالتجرد على ثلاث درجات الاولى تجرد عن الكشف عن نسب اليقين وذلك ان اليقين مكسوب في البداية وموهوب في النهاية فالتجرد ارتقاء العبد من المكسوب الى الموهوب الثانية تجريد الجمع عن درك العلم لأن العالم بالسكر ليس بسكران حذرا من أن يكون عنده علم الخلال لأغيبه الثالثة تجريد اخلاص عن شهود التجريد ومقصوده بذلك تجرده عن رؤية تجرده وهذا التقسيم لصاحب منازل السائرين ولا يجب من ذلك الاعتقاد بتجريد القدم عن الحدث ويستحب علمه وما ذكرنا هو قرينة ومعرفة ويستعان بالنظر الى صفات السلب مثل قل هو الله أحد وليس كمثل شيء وما كنت متخذ المضلين عضدا وما أشبه هذا .

* خاتمة * نسأل الله حسنتها قوله آمين بمعنى استجب خلافا لمن يقول انه اسم من أسمائه تعالى وخلافا لمن قال آمين بمعنى افعل وقد بسط الكلام على ذلك ابن هشام في شذوره .

﴿فصل في﴾ ذم ﴿المن بالصدقة﴾ من المصدق وعلى المصدق بها عليه ﴿قال الله تعالى﴾ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم﴾ يعني أجور صدقاتكم ﴿بالمن والأذى﴾ يعني على السائل الفقير وقال ابن عباس رضي الله عنهما بالمن على الله تعالى معناه العجب والأذى لصاحبها ثم ضرب الله تعالى لذلك مثلا فقال تعالى ﴿كالذي ينفق ماله رئاء الناس﴾ أي كابطال المنافق الذي يراني بانفاقه أو كما تلى الذي ينفق رئاء الناس أي مرأه لهم سمعة ليروا نفقته ويقولوا انه سخي كريم ﴿ولا يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ يعني ان الرءاء يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الرءاء من فعل المؤمنين لكن من فعل المنافقين لأن الكافر يعلن بكفره غير مرأه به ﴿فمثل﴾ أي مثل هذا المرائي بصدقه وسائر أعماله ﴿كمثل صفوان﴾ هو الحجر الأملس الصلب وهو واحد وجمع فمن جعله جمعا قال واحده صفوانة ومن جعله واحدا قال جمعه صفي ﴿عليه﴾ أي على ذلك الصفوان ﴿تراب فأصابه وابل﴾ مطر عظيم قال بعضهم:

ماروضة من رياض الحزن مغشبة ❀ خضراء جاد عليها وابل هطل

أراد بالحزن ما غلظ وارتفع من الأرض ﴿فتركه صلدا﴾ يعني ترك المطر ذلك الصفوان صلدا أملس لا شيء عليه من ذلك التراب فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرائي والمؤمن المنان بصدقه يؤذي الناس أن هؤلاء أعمالا في الظاهر كباري التراب على الصفوان فاذا جاء المطر أذهب وأزاله وكذلك حال هؤلاء يوم القيامة تبطل أعمالهم وتفضحل لأنها لم تكن لله تعالى كما أذهب الوابل ما على الصفوان من التراب ﴿لا يقدرون على شيء مما كسبوا﴾ أي لا يتبعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون له ثوابا والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى لأن المراد به الجنس أو الجمع كما في قوله:

وان الذي حانت بفلج دناؤهم ❀ هم القوم كل القوم يا أم خالد

﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ والمرائين بنفقهم في الشرك والرءاء كذلك المنان لا يشبه الله بنفقته .

روى البخاري بسنده عن محمود بن ليد ❀ أن رسول الله ﷺ قال إنما أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصفر قال الرءاء يقال له يوم تجازى العباد بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا على تجدون عندهم جزاء وروى مسلم عن أبي هريرة ❀

بين الله تعالى أن من تصدق بشيء من أنواع الصدقة اشترط لنيله ذلك الثواب العظيم الذي أعده الله للمتصدقين أن تسلم صدقته من المن بها على المعطى والأذى فالمن هو أن يعدد نعمته على الآخر أو يذكرها لمن لا يحب الأخذ اطلاعه وقيل أن يرى لنفسه منزلة على المتصدق عليه بإحسانه ولذلك لا ينبغي أن يطلب منه دعاء ولا يطعم فيه لأنه ربما كان في مقابلة إحسانه فيسقط أجره ﴿أخبرنا﴾ شيخنا قطب الوجود وشمس دائرة الشهود محمد البكري عن جدته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها كانت إذا تصدقت على أحد أرسلت على أثره رسولا يتبعه إلى مسكنه ليتعرف هل يدعو لها فقد عوله بمثل دعائه فلا يكون دعاءه في مقابلة الصدقة فينتقص أجره

قال سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركه وشركه ﴿بين الله تعالى﴾ بالآية الأولى أن من أنفق شيئاً في وجه من وجوه القربات كالانفاق على نفسه وأهله وبالآية الثانية ﴿أن من تصدق بشيء من أنواع الصدقات اشترط لنيله ذلك الثواب العظيم الذي أعده الله﴾ سبحانه وتعالى ﴿لله﴾ متقين وال﴿متصدقين﴾ أن يسلم انفاقه و﴿تسلم صدقته من المن﴾ بها على المعطى ﴿في الثاني﴾ وعلى الله وعلى رسوله وعلى المؤمنين في الأول كما أشار إليه القائل بقوله وقد يكون هذا الشرط أي عدم المن ﴿والأذى﴾ معبراً أيضاً فيمن أنفق على نفسه كمن ينفق على نفسه في الجهاد مع النبي ﷺ ابتغاء مرضاة الله تعالى ولا يميز به على النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنين ولا يؤذي أحداً من المؤمنين مثل أن تقول لولم أحضر لما تم هذا الأمر أو يقول لغيره أنت ضعيف لا تنفع بك في الجهاد ﴿فالمن هو أن يعدد نعمته على الآخر أو يذكرها لمن لا يحب الأخذ اطلاعه وقيل هو أن يرى﴾ أن ﴿لنفسه منزلة﴾ وهي فعيلة بمعنى التمام والفضيلة يمتاز بها عن غيره قالوا ولا يبنى منه وهو ذو منزلة في الحسب والشرف أي ذو فضلة والجمع مزايا مثل عطية وعطايا ﴿على المتصدق عليه بإحسانه﴾ إليه ﴿ولذلك﴾ أي للإشراط المذكور ﴿لا ينبغي﴾ أي لا يطلب من المتصدق ﴿أن يطلب منه﴾ أي من المتصدق عليه ﴿دعاء ولا يطعم فيه﴾ أي في دعائه ﴿لأنه﴾ ربما كان في مقابلة إحسانه ﴿أي المتصدق﴾ فيسقط أجره وأصل المن القطع ولذلك يطلق على النعمة لآن المنعم يقطع من ماله قطعة للمنعم عليه والمنة النعمة الثبيلة يقال من فلان على فلان إذا أثقله بالنعمة ويكون ذلك بالقول أيضاً ومنه قول الشاعر:

فنن علينا بالسلام فانما ككلامك يا قوت وذرم منظم

وتسمية الموت منواً لأنه يقطع الحياة والعرب تمدح بترك المن وكرم النعمة وتذم على اظهارها والمن بها قال قائلهم في المدح بترك المن:

زاد معروفك عندي عظما * انه عندك مستور حقير

تنا ساء كان لم تأته * وهو في العالم مشهور كبير

وقال قائلهم يذم المنان بالعطاء: أتيت قليلاً ثم اشرعت منه * فيليك معنون لذاك قليل

﴿أخبرنا﴾ شيخنا قطب الوجود وشمس دائرة الشهود محمد البكري رحمه الله تعالى عن جدته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها كانت إذا تصدقت على أحد أرسلت على أثره ﴿بتحسين أو بكسر الهمزة والسكون﴾ رسولا يتبعه إلى مسكنه ﴿أي ذلك الأخذ﴾ ليتعرف ﴿الرسول﴾ هل يدعو ﴿أي المتصدق عليه﴾ لها أم لا ﴿فإن كان يدعو لها﴾ تدعوله بمثل دعائه فلا يكون دعاءه في مقابلة الصدقة فينتقص أجره ﴿وذلك لما ورد أنه لما قالت المهاجرون في الشكر يا رسول الله ما رأينا خيراً من قوم نزلنا عندهم فاسموا الأموال حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كله فقال ﷺ كل ما شكرتم لهم وأنشئتم عليهم به فهو مكافأة هكذا أوردته صاحب القوت وينبغي للأخذ أن يشكر المعطى ويدعوله بالخير ويكون شكره ودعائه ولا يخرج عن كونه جليلاً ومسطحة للبر وسبيلاً للخير ولكبه طريق

فلذا قال أصحابنا يستحب للمتصدق أن يدعو للمتصدق عليه بمثل ما دعا له * وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كان أبي يقول إذا أعطيت رجلا شيئا ورأيت أن سلامك يتقل عليه أي لكونه يتكلف لك قياما ونحوه لأجل احسانك إليه فكف سلامك عنه والأذى هو أن ينهره أو يعيره أو يشتمه فهذا كالمسقط للثواب كما أخبر الله تعالى

وصول نعمة الله إليه والطريق حق من حيث جعله الله طريقا واسطة في الظاهر وذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله سبحانه وتعالى فإن الآخذ إنما يأخذ بما أخذ من يد الله فهو في شهوده هذا غير مستريب ولما كان ظهورها على يد هذا المعطى لزم شكره بحسب هذا الظهور فلا تنافي بين الشهودين فقد قال عليه السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله فإن فيه إثبات حكم الوسائط واستعمال حسن الأدب في الاظهار والتخلق بأخلاق المنعم لأنه أنعم عليهم ثم شكر لهم كرامته فكذلك العبد الموقن يشهد يد مولاه في العطاء فحمده ثم شكر المنفقين اذ جعلهم مولاه سببا وظرفا للرزق فقد أمر المولى بشكر الناس فمن لم يشكرهم لم يطعه في استئثار أمره والشكر انما يتم بمطاعته فمن لم يطعه لم يكن مؤديا لشكره وقد وجه البيضاوي في الحديث وجهها آخر فقال لأن من لم يشكر الناس مع ما يرى من حرصهم على حب الثناء على الاحسان فأولى بأن ينهوا عن شكر من يسوى عنده الشكران والكفران والاول أقرب وهو الذي فهمه صاحب القوت وغيره ومن ثم اقتصر عليه القاضي أبو بكر بن العربي حيث قال الشكر في العربية اخبار عن النعمة المسداة الى المخبر وفائدته صرف النعم في الطاعة وأصل النعم من الله والخلق وسائط وأسباب فالنعم في الحقيقة هو الله فله الحمد والشكر فالحمد خبر عن حاله والشكر خبر عن انعامه وافضاله لكن أذن في الشكر للناس لما فيه من تأكيد المحبة والألفة انتهى وقد أثبت الله تعالى على عباده في مواضع علي أعمالهم وهو خالقها وفاطر القدرة عليها نحو قوله تعالى نعم العبد انه أواب الى غير ذلك ﴿فلذلك﴾ أي لأجل خوف نقص الأجر والثواب ﴿قال أصحابنا﴾ يستحب للمتصدق أن يدعو للمتصدق عليه بمثل ما دعا له * من المن بالقول ما هو مستقيم بين الناس مثل أن يمين على الانسان بما أعطاه ﴿قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كان أبي يقول إذا أعطيت رجلا شيئا ورأيت أن سلامك يتقل عليه أي لكونه يتكلف لك قياما ونحوه﴾ من أنواع الأكرام ﴿لأجل احسانك إليه فكف﴾ أي امنع ﴿سلامك عنه﴾ وسمع ابن سيرين رجلا يقول لآخر أحسنت اليك وفعلت وتعلت فقال له ابن سيرين أسكت فلا خير في المعروف اذا أحصى وما أشد للإمام الشافعي ﴿عنه﴾ :

لا تحمل من الأنا * م عليك احسانا ومنه

واختر لنفسك حظها * واصبر فإن الصبر جنة

من الرجال على القلو * بأشد من وقع الاسنة

وصاحب سلفت منه الى يد * أبطا عليه مكافاتي فعاداني

لما يتقن أن الدهر حاولني * أبدى الندامة مما كان أولاني

أفسدت بالمن ما قدمت من حسن * ليس الكريم اذا عطى بمنان

وكذا بعضهم:

﴿والأذى هو أن ينهره﴾ من باب منع أي يزجر المتصدق للآخر ﴿أو يعيره﴾ أي يفتحه بنحو سب أو عيب ﴿أو يشتمه﴾ أو يوحنه بالمسئلة ويقهره ﴿فهذا﴾ أي الأذى ﴿كالمسقط للثواب﴾ والأجر ﴿كما أخبر الله تعالى﴾ يقوله يأنيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمرز والأذى وانما كان المن من صفاته تعالى العلية ومن صفاتنا الذبومة لأنه منه تعالى إفضال وتذكير بما يجب على الخلق من أداء واجب شكر ومناكير وتكدير إذا أخذ الصدقة مثلا منكسرا القلب لأجل حاجته الى غيره معترف له باليد العليا فاذا أضاف المعطى الى ذلك اظهار

﴿وأخرج﴾ مسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب اليم المسبل إزاره والمائن الذي لا يعطى شيئا إلا منه والمنفق سلعة بالخلف الكاذب * والحاكم ثلاثة لا يقبل الله منهم يوم القيامة صرفا ولا عدلا عاق ومنان ومكذب بالقدر * والنسائي لا يدخل الجنة خب ولا بجبل ولا منان ﴿مهمات﴾ أخرج الطبراني بإسناد صحيح والذي بعثنى بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابة محتاجون صلته ويصرفها إلى غيرهم والذي نفسي بيده لا ينظر الله إليه يوم القيامة * وهو أيضا ما من ذي

إنعامه تعديدا عليه أو ترفعاً أو طلبا للمقابلة عليه بخدمة أو شكر زاد ذلك في مضرة الآخذ وانكسار قلبه والحق العارض والنقص به وهذه قبائح عظيمة على أن فيه أيضا النظر إلى أن له ملكا وفضلا وغفلة عن أن الله تعالى المالك الحقيقي وهو الذي يسر الاعطاء وأقدر عليه فوجب النظر إلى جناب الحق والقيام بشكره على ذلك والإعراض عما يؤدي إلى منازعة الحق في فضله وجوده إذ لا يمن إلا من غفل أن الله تعالى هو المحطى والمفضل قاله العلامة ابن حجر قال الغزالي وعندى أن للمن أصلا في القلب ويقترح منه على اللسان والجوارح فأصله أن يرى نفسه محسنا إلى الفقير ومنعما عليه وحقه العكس بأن يرى الفقير منعما عليه بقوله حق الله منه.

﴿و﴾ أعلم أن المن من الكبار كما في الزواجر لما ﴿أخرج﴾ أحمد و﴿مسلم﴾ والأربعة عن أبي ذر الغفاري ﴿ثلاثة﴾ من الناس لا يكلمهم الله يوم القيامة أي كلاما يسرهم بل يكلمهم كلاما فيه مزيد العذاب أو المراد لا يعاملهم معاملة من توانسه بالكلام والعدد لا مفهوم له فلا ينافي الزيادة على الثلاثة في بعض الأخبار ﴿ولا ينظر إليهم﴾ نظرا رحمة وعطف ﴿ولا يزكهم﴾ أي لا يظهرهم من الذنوب أو لا يشي عليهم ﴿ولهم عذاب اليم﴾ أي مؤلم ﴿المسبل إزاره﴾ إلى أسفل الكعنين بقصد الخلاء قال الحنفى ومثل الإزار غيره من النجس الجوخه وخصه لأنه عادة أهل الحجاز ﴿والمائن الذي لا يعطى﴾ غيره ﴿شيئا إلا منه﴾ بفتح الميم وشدة النون أي إلا من به على من أعطاه ﴿والمنفق سلعة﴾ بتشديد الفاء مكسورة أي المروج مناعه ﴿بالخلف الكاذب﴾ كأن يقول والله لا يجد مثله والله أنها نفيسة.

﴿و﴾ أخرج ﴿الحاكم﴾ والطبراني عن أبي أمامة بأسنادين في أحدهما متروك وفي الآخر ضعيف ﴿ثلاثة لا يقبل الله منهم يوم القيامة صرفا﴾ نافذة ﴿ولا عدلا﴾ أي فريضة يعني لا يقبل الله منهم فريضة قبول لا يكفر به هذه الخطيئة وإن كان يكفر بها ما شاء من الخطايا ﴿عاق﴾ لأصله ﴿ومنان﴾ بما يعطيه ﴿ومكذب بالقدر﴾ بالتحريك أي جميع الأمور بتقدير الله تعالى وإرادته ثلاثة لا يحجبون عن النار المنان وعاق والذية ومد من الخمر.

﴿و﴾ أخرج ﴿النسائي﴾ والترمذي عن أبي بكر ﴿لا يدخل الجنة خب﴾ قال في النهاية بالفتح وقال المناوي بخاء معجمة مكسورة وموحدة خداع يفسد بين الناس بالخداع أي لا يدخلها مع هذه الخصلة حتى يظهر منها بالنار ﴿ولا بجبل﴾ أي مانع للزكاة أو مانع للقيام بمؤنة مومنه ﴿ولا منان﴾ أي من يمن على الناس بما يعطيه وأخرج أحمد لا يدخل الجنة صاحب خمس مد من الخمر ولا مؤمن بسحر ولا قاطع رحم ولا كاهن ولا منان.

﴿مهمات﴾ أخرج الطبراني بسند رواه ثقات والذي بعثنى بالحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليم والآن له في الكلام ورحمته وضعفه ولم يتناول على جاره بفضل ما آتاه الله به بإسناد صحيح والذي بعثنى بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابة محتاجون إلى صلته أي عطيته ويصرفها إلى غيرهم والذي نفسي بيده أي بقدرته ﴿ولا ينظر الله﴾ نظرا رحمة ﴿إليه يوم القيامة﴾ وهو أي وأخرج الطبراني في الأوسط والكبير أيضا أي كما أخرج ما تقدم بأسناد جيد عن جرير بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله ﷺ ما من ذي ﴿أي صاحب﴾

رحم يأتي ذا رحمه فيسأله فضلا أعطاه الله إياه فيبخل عليه إلا أخرج الله له من جهنم حية يقال له شجاع يتلمظ فيطوق به والتلمظ تطعم ما يبقى في الفم من أثر الطعام * والشيخان ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم رجل على فضل ماء بالفلاة يمنع من ابن السيل ورجل بايع رجلا سلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك ورجل بايع أمارا لا يبايعه إلا الدنيا فإن أعطاه منها وفي وإن لم يعط منها لم يف وفي رواية يقول الله اليوم أمنعتك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يدك * وابن ماجه قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله ما الشيء الذي لا يحل منعه قال الماء والملح والنار * وأخرج أبو داود والحاكم من يكل لي أن لا يسأل الناس شيئا

رحم يأتي ذورحة فيسأله فضلا أعطاه الله إياه فيبخل عليه إلا أخرج الله له أي البخل * من جهنم حية يقال له شجاع يتلمظ * أي يتبع بلسانه بقية الطعام في فمه وأخرج لسانه فمسح به شفته فيطوق به * أي يجعل في عنق هذا البخل * والتلمظ * أي معناه تطعم ما يبقى في الفم من آثار الطعام *

أخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ثلاثة لا يكلمهم الله غضبا عليهم * يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم * أي مؤلم وصف به للنبالة * رجل على فضل ماء * أي ماء فاضل عن كفايته * بالفلاة * أي بالمفازة * يمنع * أي الفاضل من الماء * من ابن السيل * أي المسافر المضطر للباء لنفسه أو لخرم معه * ورجل بايع رجلا سلعة * أي ساومه فيها وزوى سلعة بغير باء وعليه فبايع بمعنى باع * بعد العصر * خصه لشرفه لأنه آخر النهار وآخر الأعمال فاذا ختمه بسوء كان له الوعيد الشديد كما أفاده الحنفى * فحلف * البائع * له * أي للمشتري * بالله * تعالى * لأخذها * بصيغة الماضي * بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك * أي والحال أن البائع لم يشتريها بذلك الثمن * ورجل بايع أمارا * أي غاقد الامام الأعظم على أن يعمل بالحق والحال أنه لا يبايعه لا يعاقده إلا الدنيا * بلاتون كجبلي أي لغرض دنوي * فإن أعطاه منها وفي * له بيعه * وإن لم يعط منها لم يف * له بها لأن الأصل أن المبايعه على أن يعمل بالحق فمن جعل مبايعته لما يعطاه دون ملاحظة المقصود استحق الوعيد

زاد * في رواية يقول الله عز وجل * اليوم * أي يوم القيامة * أمنعتك فضلي * الذي لا يرجى في ذلك اليوم غيره * كما منعت فضل ما لم تعمل يدك * أي بالاثاثير ليدك فيه فإن الذي صنعه مجرد الحفر أمانع الماء فهو بمحض قدرته تعالى وكم من محل حفر ولم ينبع فيه الماء وأخرج أبو داود يا رسول الله ما الشيء الذي لا يحل منعه قال الماء قال يابى الله ما الشيء الذي لا يحل منعه قال الملح قال يابى الله ما الشيء الذي لا يحل منعه قال أن تفعل الخير خيرا لك وأخرج أبو داود أيضا الناس شركاء في ثلاث في الكلاء والماء والنار

أخرج ابن ماجه قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله ما الشيء الذي لا يحل منعه قال * الماء والملح والنار * قالت قلت يا رسول الله هذا الماء قد عرفنا فما بال الملح والنار قال يا حميراء من أعطى نارا فكنما تصدق بجميع ما انضجت تلك النار وأعطى ملحاً فكنما تصدق بجميع ما طبخت تلك الملح ومن سقى مسلماً شربة من ماء حيث يوجد الماء فكنما أعق رقبة ومن سقى مسلماً شربة من ماء حيث لا يوجد الماء فكنما أحياها وأخرج ابن ماجه أيضا المسلمون شركاء في ثلاث في الماء والكلاء والنار وثمة حرام قال أبو سعيد يعني الماء الجاري

وأخرج أبو داود والحاكم عن ثوبان * من يكل * بالرفع * لي أن لا يسأل الناس شيئا * مفعول يسأل وأن لا يسأل مفعول

أتكفل له الجنة * وهما واحد من أصابته فاقه فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ومن أنزلها بالله أو شك الله له بالغنى إما بموت أجل أو غنى عاجل * وأحمد عن أبي ذر لا يسأل الناس شيئا ولا سوطك وإن سقط منك حتى تنزل إليه فتأخذه * والبيهقي يستغن أحدكم عن الناس بقضيب سواك * والترمذي إن المسألة لا تحل لغنى ولا لذى مرة أي قوة سوى أي تام الخلق سالم من موانع الأكساب إلا الذي فقر مدقع أي شديد أو غرم منقطع ومن سأل الناس ليثرى به ماله كان خموشا في وجهه يوم القيامة

يتكفل أي من يلزم على نفسه عدم السؤال ﴿أتكفل له الجنة﴾ أي أضمن له على كرم الله الجنة قال العلقي وفي آخره كما في أبي داود فقال ثوبان أنا فكان ثوبان لا يسأل أحدا شيئا وعند الشيخين فكان ثوبان يقع سنوطه وهو راكب فلا يقول لاحدنا ولنيه حتى ينزل ويأخذ وفي الحديث كما قاله الحنفى تحذير عن سؤال الناس بلا حاجة وضرورة والا فلا بأس وهذا حديث صحيح كما في العزيز ﴿وهما﴾ أي وأخرج أبو داود والحاكم ﴿وأحمد﴾ عن ابن مسعود قال الترمذي حديث حسن ﴿من أصابته فاقه﴾ أي فقر وحاجة لشيء قال الفيومي والفاقة الحاجة وفاقا احتياج وهو ذوقا فاقه ﴿فأنزلها بالناس﴾ أي عرضها عليهم وسألهم سدخله كما قاله المناوى ﴿لم تسد فاقته﴾ أي غالب الأزمنة كما ذكره الحنفى قال العلقي بل يغضب الله على من أنزل حاجته بغيره العاجز وهو قادر على قضاء حوائج خلقه كلهم من غير أن ينقص من ملكه شيء وقد قال وهب بن منبه لرجل يأتي الملوك ويحك تأتي من يغلن عنك بابه ويوارى عنك غناه وتدع من يفتح لك بابه نصف الليل ونصف النهار ويظهر لك غناه فالعبد عاجز عن جلب صالحه ودفع مضاره ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله تعالى هكذا نقله العزيزي ﴿ومن أنزلها بالله أو شك﴾ بفتح الهمزة والسين أي أسرع ﴿الله له بالغنى﴾ بالكسر أي الكفاية فليس المزد بالغنى كثرة المال بل ما يدفع حاجته قال تعالى وإن يمسسك الله بضر الآية وقال وإسألوا الله من فضله وفي الترمذي من لا يسأل الله يغضب عليه ﴿أما بموت أجل﴾ بالمداي متأخر والظاهر كما قاله الحنفى عاجل بدل أجل كما في بعض الروايات لأنه إذا تأخر الموت حصل له المشقة في تلك المدة فلم تسد فاقته ﴿أو غنى عاجل﴾ وهو ضد الأجل.

﴿و﴾ أخرج ﴿أحمد عن أبي ذر﴾ الثغفارى بإسناد حسن ﴿لا يسأل الناس شيئا﴾ أي إلا إذا احتجت لذلك احتياجا شديدا فإن السؤال ذل ﴿ولا سوطك﴾ أي مناوئته ﴿وإن سقط منك﴾ وأنت راكب ﴿حتى تنزل إليه فتأخذه﴾ قال المناوى تيم ومبالغة في البك عن السؤال ﴿و﴾ أخرج ﴿البيهقي﴾ بن حديث ابن عباس ﴿يستغن أحدكم عن الناس﴾ أي سؤلهم ﴿بقضيب سواك﴾ والقضيب الغصن المقطوع والجمع قضبان بضم القاف والكسولة وأخرج الطبراني والبخاري من حديث ابن عباس أيضا استغنوا عن الناس ولو بشنوص السواك وإسناده صحيح.

﴿و﴾ أخرج الطبراني وغيره بسند صحيح من سأل من غير فقر فكأنما يأكل الخمر وفي رواية للبيهقي الذي يسأل الناس من غير حاجة كمثل الذي يلتقط الخمر وأخرج ﴿الترمذي﴾ وقال غريب عن حبش بن جنادة قال سمعت رسول الله ﷺ في حجة الوداع وهو واقف بعرفة وأناه أعربا يأخذ بطرف رداءه فسأله إياه فأعطاه وذهب فعند ذلك حرمت المسئلة فقال رسول الله ﷺ ﴿إن المسئلة﴾ أي الطلب من الناس أن يعطوه من مالهم شيئا صدقة أو نحوها ﴿لا تحل لغنى ولا لذى مرة﴾ بكسر فشددة ﴿أي قوة سوى أي تام الخلق سالم من موانع الأكساب إلا الذي فقر مدقع﴾ بضم فسكون المهملة فكسر ﴿أي شديد﴾ بضمي بصاحبه إلى الدعاء وهي اللصوق بالتراب وقيل هو سوء احتمال الفقر ﴿أو﴾ لذى ﴿غرم منقطع﴾ بضم الميم وسكون الفاء وظاء معجزة وعين مهملة أي شنيع شديد كأن تدين لعائلته ﴿ومن سأل الناس ليثرى﴾ بالمثلثة أي يزد ﴿به ماله كان خموشا﴾ أي جارحا بظفوه ﴿في وجهه يوم القيامة﴾ وفي المصالح

ورضفا أي حجارة محما يأكله من جهنم فمن شاء فليكثر ومن شاء فليقل * وأبو داود من سأل وعنده ما يغنيه فأنما يستكثر من النار قالوا وما الغنى الذي لا ينبغي معه المسئلة قال قدر ما يغديه ويعشيه يعني أن من وجد غداء يومه وعشاءه يحرم عليه أن يسأل صدقة التطوع وأما صدقة الفرض فلا يحرم سؤلها إلا على من عنده كفاية بقية العمر الغالب على الراجح عندنا فيهما

خشت المرأة وجهها بظفرها خمشا من باب ضرب جرحت ظاهر البشرة ﴿ورضفا﴾ بفتح فسكون للمعجمة ففاء ﴿أي حجارة محما﴾ يأكله من جهنم فمن شاء فليكثر ومن شاء فليقل ﴿قال القرطبي هو أمر على جهة التهديد أو على جهة الأخبار عن مآل حاله ومعناه أنه يعاقب على القليل من ذلك والكثير زاد رزين واني لأعطي الرجل العطية فينطلق بها تحت ابطة وما هي إلا النار فقال له عمر ولم تعط يا رسول الله ما هو نار فقال يأبي الله لي البخل وأبو الاستثنى قالوا وما الغنى الذي لا ينبغي له المسئلة قال قدر ما يغديه أو يعشيه قال الحافظ المنذرى وهذه الزيادة لها شواهد كثيرة لكن لم أقف عليها في شيء من نسخ الترمذي

وأخرج أحمد والأربعة والحاكم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسئلته في وجهه خموش أو خدوش أو كدوح قيل وما الغنى قال خمسون درهما أو قيمتها من الذهب وأخرج ابن ماجه وابن خبان من سأل وله قيعة أو قيعة فقد ألحف وأخرج النسائي من سأل وله قيعة أربعين درهما فهو الملتحف وأخرج أحمد من استغف عفو الله ومن استغنى أغناه الله ومن سأل الناس وله عدل خمس أواق فقد ألحف وأخرج مسلم وغيره من سأل الناس تكبرا فأنما يسأل جمرا فليستقل أو ليكثر وأخرج عبد الله بن أحمد وغيره بسند جيد من سأل الناس مسئلة عن ظهر غنى استكثر بها من رصف جهنم قالوا وما ظهر غنى قال عشاء ليلة وأخرج الشيخان لآزال المسئلة بأحدكم حتى يلقي الله تعالى وليس في وجهه مزعة لحم بضم الميم فسكون الزا أي قطعة وصح من سأل مسئلة وهو عنها غنى كانت شيئا في وجهه يوم القيامة

﴿و﴾ أخرج ﴿أبو داود ومن سأل وعنده ما يغنيه فأنما يستكثر من النار﴾ قال أحد رواة ﴿قالوا﴾ أي الصحابة رضي الله عنهم ﴿وما الغنى الذي لا ينبغي معه المسئلة قال﴾ ﴿هو﴾ قدر ما يغديه ويعشيه ﴿ورواه ابن خبان في صحيحه وقال فيه من سأل شيئا وعنده ما يغنيه فأنما يستكثر من جمر جهنم قالوا يا رسول الله وما يغنيه قال وما يغديه أو يعشيه كذا عنده أو يعشيه بألف ورواه ابن خزيمة باختصار إلا أنه قال قيل يا رسول الله وما الغنى الذي لا ينبغي معه المسئلة قال أن يكون له سبع يوم وليلة أوليلة ويوم قال الخطابي اختلف الناس في تأويل هذا الحديث فقال بعضهم من وجد غداء يوم عشاء لم يحل له المسئلة على ظاهر الحديث وقال بعضهم إنما هو فيمن وجد غداء وعشاء على دائم الأوقات فاذا كان عنده ما يكفيه لقوته المدة الطويلة حرمت عليه المسئلة وقال آخرون هذا منسوخ بالأحاديث التي فيها تقدير الغنى بملك خمسين درهما أو قيمتها وملك أوقية أو قيمتها انتهى قال العلامة ابن حجر والراجح عندنا هو القول الأول أن كان يسأل صدقة التطوع فإن كان يسأل الزكاة لم يحرم عليه إلا أن كان عنده كفاية بقية العمر الغالب وإدعاء النسخ ممنوع إذ شرطه علم التاريخ وتأخر الناسخ عن المنسوخ ولم يعلم ذلك وذهب سفيان الثوري وابن المبارك والحسن بن صالح وأحمد واستحق إلى أن من له خمسون درهما أو قيمتها من الذهب لا يدفع إليه شيء من الزكاة وكان الحسن البصري وأبو عبيدة يقولان من له أربعون درهما فهو غنى وقال أصحاب الرأي يجوز دفعها إلى من يملك دون النصاب وإن كان صحيحا مكسبا مع قولهم من كان له قوت يوم لا يحل له السؤال استدلالا بهذا الحديث وغيره وإلى ذلك أشار المصنف بقوله ﴿يعني أن من وجد غداء يومه وعشاءه﴾ بفتح العين ﴿يحرم عليه أن يسأل صدقة التطوع وأما صدقة الفرض فلا يحرم سؤلها إلا على من عنده كفاية بقية العمر الغالب على الراجح عندنا فيهما﴾ أي في حربة

قال بعضهم إنما يحرم سؤال الصدقة على من وجد غداء وعشاء على دائم الأوقات أي للمدة الطويلة والزكاة على من وجد كفاية سنة وقال أبو حنيفة يجوز دفع الزكاة إلى من يملك دون النصاب وإن كان صحيحا مكسبا لكن لا يحل السؤال لمن كان له قوت يومه ﴿وأخرج البخاري عن عمر رضي الله عنه إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذهُ وما لا فلا تتبعه نفسك﴾ * والشيخان عن عائشة رضي الله عنها يا عائشة من أعطاك بغير مسألة فأقبله فانما هو رزق عرضه الله اليك * والترمذي

السؤال للتطوع وعدمها للفرص ..

﴿قال بعضهم إنما يحرم سؤال الصدقة على من وجد غداء وعشاء على دائم الأوقات أي للمدة الطويلة﴾ يحرم سؤال ﴿الزكاة على من وجد كفاية سنة وقال﴾ الإمام الأعظم ﴿أبو حنيفة﴾ ﴿يجوز دفع الزكاة إلى من يملك دون النصاب وإن كان صحيحا مكسبا لكن لا يحل السؤال لمن كان له قوت يومه﴾ استدل بالآثار المذكورة وغيره ..

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلا من الأنصار أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله قال أما في بيتك شيء قال بلى خلس أي يكسر المهلة فيكون فهملة كساء غليظ يكون بظهر البعير وقد يطلق على ما يداس من الأكسية ونحوها يلبس بعضه ويستط بعضه وقصب يشرب فيه من الماء قال اتنى بهما فأتاه بهما فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال من يشتري هذين قال رجل أنا أخذهما بدرهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يزد على درهم مرتين أو ثلاثة قال رجل أنا أخذهما بدرهمين فأعطاهما الأنصاري وقال اشتر بأحد هما طعاما فأنبذه إلى أهلك واشتر بالآخر قدوما فأتني به فأتاه به فشده فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عودا بيده ثم قال اذهب فاحطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوما ففعل فجاء وقد أصاب عشر دراهم فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير لك من أن تجيء المسئلة نكبة في وجهك يوم القيامة إن المسئلة لاتصلح الا لثلاث لذي فقر مرقع أو لذي غرم أي وهو ما يلزم أدائه تكلفا لا في مقابلة عوض مقطوع أي شديد شنيع أو لذي دم موبع أي وهو من يتحمل دية عن قاتل يعفو عنه أولياء الدم خشية من أن يقتلوه فيتوجع لنحو قرابة أو صدقة وصح طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافا أي بقدر الحاجة وقنع ..

﴿وأخرج البخاري عن عمر رضي الله عنه﴾ يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني العطاء فأقول أعطه من هو أفقر إليه مني فقال عليه الصلاة والسلام خذهُ ﴿إذا جاءك من هذا المال شيء﴾ أي من جنس المال ﴿وأنت غير مشرف﴾ يسكون الشين المعجمة بعد الميم المضنونة والجملة حالية أي غير طامع والاشراف أن يقول مع نفسه يبعث إلي فلان كذا ﴿ولا سائل﴾ أي ولا طالب له وجواب الشرط في قوله إذا جاءك قوله ﴿فخذهُ﴾ وأطلق الأخذ أولا وعلقه ثانيا بالشرط فحمل المطلق على المقيد وهو مقيد أيضا بكونه جلالا فلو شك فيه فالاحتياط الرد وهو الورع نعم يجوز أخذه عملا بالأصل وقد رهن الشارع عليه الصلاة والسلام درعة عند يهودي مع علمه بقوله تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت وكذلك أخذ منهم الجزية مع العلم بأن أكثر أموالهم من ثمن الخنزير والخمر والمعاملة الفاسدة وقيل يجب أن يقبل من السلطان دون غيره لحديث سمرة المروزي في السنن الآن يسأل ذا سلطان ﴿وما لا﴾ يكون على هذه الصفة بأن يحجى اليك ومالت نفسك إليه ﴿فلا تتبعه نفسك﴾ في الطلب واتركه ..

﴿وأخرج﴾ الشيخان عن عائشة رضي الله عنها يا عائشة من أعطاك بغير مسألة فأقبله أي عطاه ﴿فانما هو رزق عرضه الله اليك﴾ ﴿أخرج﴾ الترمذي وقال حسن صحيح غريب وابن السنن في اليوم والليلة وابن حبان من حديث أسامة بن زيد مرفوعا

من صنع إليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء * وابن ماجه إن الله يغيض السائل الملحف أي الملح * والطبراني : ملعون من سأل بوجه الله و ملعون من سئل بوجه الله ثم منع سائله ما لم يسأل هجرا أي فحشا أو أمرا قبيحا لا يليق ويحتمل أنه يراد ما لم يسأل سؤالا قبيحا بكلام قبيح * وأحمد إلا أخبركم بشر البرية قالوا بلى يا رسول الله قال الذي يسأل بالله ولا يعطى * والطبراني إلا أحدتكم عن الخضر

من صنع إليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء معنى ذلك أنه أعترف بتقصيره وعجز عن جزائه ففوضه الى الله تعالى ليجزئه الجزاء الأوفى فلذلك كان مبالغا في الثناء قال العزري وهذا عند العجز عن مكافأته بالاجسان فان قدر على مكافأته فالجمع بينهما أفضل من الاقتصار على الدعاء وأخرج البيهقي من حديث أبي هريرة بلفظ من صنع إليه معروف فليكافئ به فان لم يستطع فليذكره فمن ذكره فقد شكره .

وخرج ابن ماجه وأبو نعيم عن أبي هريرة أن الله يغيض أي يمت السائل الملحف أي الملح في السؤال وفي النهاية يقال ألحف في المسئلة يلحف الحافا اذا ألح فيها ولزمها انتهى وقال المناوي الملحف الملازم قال وهو من عنده غداء ويسأل عشاء وهذا الحديث ضعيف كما في العزري .

وخرج الطبراني بسند رجاله رجال الصحيح الا شيخه وهو ثقة على كلام فيه عن أبي موسى الأشعري أنه سمع رسول الله يقول ملعون من سأل بوجه الله قال الحفني القصد منه التغير والأديب والا فلا يحرم السؤال بذلك بل الأولى تركه لما فيه من الإلحاح في الطلب وعدم اجماله اتقوا الله واجملوا في الطلب و ملعون من سأل بوجه الله ثم منع سائله أي مع القدرة على اعطائه ما لم يسأل هجرا بضم الهاء أي فحشا أي كلاما قبيحا أو أمرا قبيحا لا يليق ويحتمل أنه يراد ما لم يسأل سؤالا قبيحا بكلام قبيح هكذا ذكره العلامة ابن حجر في الزواجر وأخرج أبو داود وغيره لا يسأل بوجه الله الا الجنة .

وخرج أحمد والترمذي وقال حسن غريب والنسائي وابن حبان في صحيحه إلا أخبركم بشر البرية أي الخلق قالوا أي الصحابة رضي الله عنهم بلى أخبرنا بذلك يا رسول الله قال هو الذي يسأل بالبناء للمفعول بالله ولا يعطى ذلك السائل مع القدرة على اعطائه وأخرج أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من استعاذ بالله فأنعذوه ومن سأل بالله فأعطوه ومن دعاكم فأجيبوه ومن صنع اليكم معروفا فكافؤوه فان تجددوا ما تكافؤوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه .

وخرج الطبراني وغيره قال الحافظ المنذرى وحسن بعض مشايخنا استناذه وفيه بعد إلا أحدتكم عن الخضر بفتح الخاء وكسر الصاد أو سكنها واسمها بلي بن ملكان بفتح الباء وسكون اللام بعدها مثناة تحية وفتح الميم وسكون اللام وآخره نون وكبته أبو العباس .

قل كان من بنى اسرائيل وقيل كان من أبناء الملوك الذين تزهّدوا وتركوا الدنيا قيل ان من عرف اسم آية دخل الجنة وهو من الأنبياء وقيل من الأولياء وهو المراد بالعبد في قوله تعالى فوجد عبدا من عبادنا آتياه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما فان الله أعطاه علم الحقيقة ومن ذلك ما وقع له مع موسى عليه السلام من قصة السفينة والغلام والجدار والخضر لقب له سمي به لأنه جلس على فروة بيضاء فأخضرت أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ انما سمي الخضر خضرا لأنه جلس على فروة

قالوا بلى يا رسول الله قال بينما هو ذات يوم يمشي في سوق بني اسرائيل أبصره رجل مكاتب فقال تصدق علي بارك الله فيك فقال الخضر آمنت ما شاء الله من أمر يكون ما عندي شيء أعطيكه فقال المسكين أسألك بوجه الله لما تصدقت علي فأنى نظرت السماحة في وجهك ورجوت البركة عندك فقال الخضر آمنت بالله ما عندي شيء أعطيكه إلا أن تأخذني فتيعني فقال المسكين وهل يستقيم هذا قال نعم لقد سألتني بأمر عظيم أما اني لا أخيبك بوجه ربي يعني قال قدومه إلى السوق فباعه أربع مائة درهم فمكث عند المشتري زمانا لا يستعمله في شيء فقال انما اشتريتنى لاتناس خير عندي فأوصني بعمل فقال أكره أن أشق عليك انك شيخ كبير ضعيف قال ليس يشق علي قال قم فاقبل هذه الحجارة وكان لا ينقلها دون ست نفر في يوم فخرج الرجل لبعض حاجاته ثم انصرف وقد قل الحجارة في ساعة فقال أحسنت وأجملت وأطقت ما لم أرك تطيقه ثم عرض للرجل سفر فقال اني أحسبك أميناً فأخلفني في أهلي خلافة حسنة قال أوصني بعمل قال اني أكره أن أشق عليك قال ليس يشق علي قال فاضرب من اللبن

بيضاء فاذا هي تهز تحته خضراء الفروة قطعة نبات مجمعة يابسة وقيل سمي خضرا لأنه اذا صلى أخضر ما حوله .

﴿قالوا﴾ أي الحاضرون ﴿بلى﴾ حدثنا به ﴿يا رسول الله قال﴾ ﴿بينما﴾ أي بين أوقات ﴿هو﴾ الخضر ﴿ذات يوم﴾ أي ساعة يوم وقيل ذات مقحمة ﴿يمشي في سوق بني اسرائيل﴾ اذا ﴿أبصره رجل مكاتب فقال تصدق علي بارك الله فيك فقال الخضر آمنت﴾ بالله ﴿ما شاء الله من أمر يكون ما﴾ أي ليس ﴿عندي شيء أعطيكه فقال المسكين أسألك بوجه الله لما تصدقت﴾ معناه ما أسألك بوجه الله إلا تصدقت ﴿علي﴾ ولما هنا حرف استثناء فتدخل على الجملة الاسمية نحو ان كل نفس لما عليها حافظ فيمن شدد الميم وعلى الماضي لفظا لا معنى نحو أنشدك الله لما فعلت أي ما أسألك بالله إلا فعلك فتعبلت ماض بمعنى المضارع قال الشاعر :

قالت له بالله يا ذا البردين ✽ لما غنثت تقسا أو اثنين

معناه أقسم عليك بالله لا تفعل شيئا الا غنثك وغنث بكسر النون من باب علم وهو التنفس عقب الشرب وكنت به عن الراحة بعد الجماع والمستثنى منه محذوف لا تفعل شيئا الا غنثك أي راحتك بعد الجماع مرة أو مرتين وفيه رد لقول الجوهرى ان لما بمعنى الا غير معروف في اللغة ﴿فأنى نظرت السماحة﴾ والجود ﴿في وجهك ورجوت البركة﴾ أي الخير الإلهي ﴿عندك فقال الخضر آمنت بالله ما عندي شيء أعطيكه إلا أن تأخذني فتيعني فقال المسكين وهل يستقيم هذا﴾ أي قولك بالبيع ﴿قال نعم﴾ يستقيم ذلك ﴿لقد سألتني بأمر عظيم﴾ وهو وجه الله عز وجل ﴿أما اني لا أخيبك﴾ أي لا أجعلك خائبا ﴿بوجه ربي يعني قال﴾ ﴿قدومه﴾ أي قدم المسكين للخضر ﴿إلى السوق فباعه بأربع مائة درهم فمكث﴾ الخضر ﴿عند المشتري زمانا لا يستعمله﴾ أي المشتري ﴿في شيء﴾ من أعماله ﴿فقال﴾ الخضر ﴿انما اشتريتنى لاتناس خير﴾ أي طلبه ﴿فأوصني بعمل﴾ من أعمالك ﴿فقال﴾ المشتري ﴿انى أشق عليك انك شيخ كبير ضعيف قال ليس﴾ العمل ﴿يشق علي قال﴾ المشتري ﴿قم فاقبل هذه الحجارة وكان﴾ أي الشأن ﴿لا ينقلها دون ست نفر﴾ أي أقرب منهم قال الفيومي والنفر بفتحين جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة وقيل إلى سبعة ولا يقال نفر فيما زاد على العشرة ﴿في يوم﴾ واحد ﴿فخرج الرجل﴾ المشتري ﴿لبعض حاجاته ثم﴾ بعد انتضاء حاجته ﴿انصرف﴾ إلى بيته ﴿و﴾ رأي الخضر ﴿قد قل الحجارة في ساعة فقال﴾ الرجل ﴿أحسنت وأجملت وأطقت ما لم أرك﴾ أي أظنك ﴿تطيقه﴾ لكبرك وضعفك ﴿ثم عرض﴾ أي ظهر ﴿للمرجل سفر فقال اني﴾ أريد السفر ﴿وأحسبك أميناً﴾ أي ما موثقي أمري ﴿فأخلفني﴾ أي كن خليفة ﴿في أهلي خلافة حسنة قال﴾ الخضر ﴿أوصني بعمل قال اني أكره أن أشق عليك قال ليس يشق علي قال فاضرب من اللبن﴾ بكسر الباء

ليسي حتى أقدم عليك قال فمر الرجل لسفره قال فرجع فقيد شيد بناءه قال أسألك بوجه الله ما سبيك وما أمرك قال سألتني بوجه الله ووجه أوقعتني في هذه العبودية فقال الخضر سأحدثك من أنا أنا الخضر الذي سمعت به سألني مسكين صدقة فلم يكن عندي شيء أعطيه فسألني بوجه الله فأمكنه من رقبتي فباعني وأخبرك أنه من سئل بوجه الله فرد سائله وهو يقدر وقف يوم القيامة جلده ولا لحم له يتقنع فقال الرجل آمنت بالله سقت عليك يا نبي الله لو أعلم قال لا بأس أحسنت وأبقيت فقال الرجل بأبي وأمي يا نبي الله احكم في أهلي ومالي بما شئت أو اختر فأخلى سبيلك قال أحب أن تحلى سبيلي فأعبد ربي فحلى سبيله فقال الخضر الحمد لله الذي أوثقني في العبودية ثم نجاني منها اللهم اجعلني من الحسين إلى الأخواني والفائزين بالجنان آمين .

ما يعمل من الطين ويبني به ﴿ ليسي حتى أقدم عليك ﴾ وفرغت من عملك .

﴿ قال ﴾ ﴿ فمر الرجل لسفره قال ﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿ فرجع ﴾ الرجل من سفره ﴿ وقد شيد ﴾ أي بنى الخضر بالجص ورفع ﴿ بناءه ﴾ أي الرجل ﴿ قال أسألك بوجه الله ما سبيك وما أمرك ﴾ في سرعة هذا البناء مع حسنه مع أنك شيخ ضعيف ﴿ قال سألتني بوجه الله ووجه الله أوقعتني في هذه العبودية فقال الخضر سأحدثك من أنا ﴾ قال الرجل لأدري من أنت قال الخضر ﴿ أنا الخضر الذي سمعت ﴾ الناس يقولون ﴿ به ﴾ أي الخضر وسبب وقوعي في تلك العبودية أنه ﴿ سألتني مسكين صدقة فلم يكن عندي شيء أعطيه فسألني بوجه الله فأمكنه ﴾ أي المسكين ﴿ من رقبتي ﴾ أي بقسي ﴿ فباعني ﴾ منك ﴿ وأخبرك ﴾ أيضا ﴿ أنه ﴾ أي الشأن ﴿ من سئل بوجه الله فرد سائله وهو يقدر ﴾ على إعطائه ﴿ وقف يوم القيامة جلده ولا لحم له يتقنع ﴾ أي يتصور قال ابن فارس القعقة حكاية أصوات الترسه وغيرها ﴿ فقال الرجل آمنت بالله سقت ﴾ أي فعلت ما شئت ﴿ عليك يا نبي الله لو أعلم ﴾ أنك الخضر ما فعلت ذلك بل أكرمتك غاية الأكرام ﴿ قال ﴾ الخضر ﴿ لا بأس ﴾ عليك ﴿ أحسنت وأبقيت ﴾ حيث عملتني ما ذكر بسؤال ذلك لا بذلك وتكليفك ﴿ فقال الرجل ﴾ أنت مفدى ﴿ بأبي وأمي يا نبي الله احكم في أهلي ومالي بما شئت أو اختر فأخلى سبيلك قال أحب أن تحلى سبيلي فأعبد ربي فحلى ﴾ الرجل ﴿ سبيله ﴾ أي الخضر ﴿ فقال الخضر الحمد لله الذي أوثقني في العبودية ثم نجاني منها ﴾ قال المصنف ﴿ اللهم اجعلنا من الحسين إلى الأخوان ﴾ من ﴿ الفائزين بالجنان آمين ﴾ .

* تنبيه * عد العلامة ابن حجر في الزواجر كلا من الأمرين المذكورين أعني سؤال السائل بوجه الله ومنع المسؤول سائله بوجه الله كبيرة قال وهو صريح اللعن في الحديث الصحيح وإن من سئل بالله ولا يعطى شر الناس كما في الحديث الذي بعده لكن لم يأخذ بذلك أئمتنا فجعلوا كلا من الأمرين مكروها ولم يقولوا بالحرمه فضلا عن الكبيرة ويمكن حمل الحديث في المنع على ما إذا كان المضطر وتكون حكمة التصبيص عليه أن منعه مع اضطرابه وسؤاله بالله أقبح وأفزع وحمله في السؤال على ما إذا لم يكرر السؤال بوجه الله حتى أضجر المسؤول وأضره وحينئذ فاللعن على هذين وكون كل منهما كبيرة ظاهر ولا يمنع من ذلك أصحابنا وكلامهم انما هو في مجرد السؤال بوجه الله تعالى وفي منع السائل بذلك لاعن اضطرابه وهذا اتضح الجمع بين كلام أئمتنا وتلك الأحاديث التي قدمناها .

ثم رأيت في كلام الحليمي في منهاجه ما يصرح بما ذكرته فانه قال ما من ذنب الا وفيه صغيرة وكبيرة وقد تنقلب الصغيرة بقرينة تضم اليها وتنقلب الكبيرة فاحشة بانضمام قرينة اليها الا الكبر بالله تعالى فانه أفحش الكبائر وليس من نوعه صغيرة وأما ما عدها فالأمر فيه على ما ذكرت ثم قال ومنع الزكاة كبيرة ورد السائل صغيرة فإن أجمع على منعه أو كان المنع من أحد الا أنه زاد على المنع

اتهام والاعلاظ فذاك كبيرة وهكذا ان رأي محتاج رجلا موسعا عليه على طعام فاقت اليه نفسه وسأله منه فرد ذلك كبيرة انتهى واعترض عليه الأذرعى بأن ماقاله من أن رد السائل صغيرة وأن رد المحتاج الذي تاقت نفسه وسأل من الموسر فردة كبيرة مشكلان الا أن يؤول وكلامه بعيد من التأويل انتهى قال الجلال البلقيني جوابا عن ذلك قلت يحمل كلامه الثاني على المضطر والاول على سائل لمن لزمته الزكاة في بلد فقراؤه محصورون انتهى فمأذكره الجلال البلقيني تأويل لكلام الخليمي صريح في تأييد ما ذكرته نعم اطلاق الجلال ل بأن ما ذكر آخر صغيرة فيه نظر ظاهر فانهم اذا انحصروا في ثلاثة فأقل من صنف ملكوا الزكاة ملكا تاما مستقرا فمنع أحدهم حينئذ كبيرة بلا شك فان انحصروا حصرا يقتضى وجوب استيعابهم على الملك بأن سهل ضبطهم عليه عادة وفي المال بهم أنجه أن الرد حينئذ صغيرة لأن التعميم واجب عليه ولكنهم لا يملكون فكان الرد صغيرة لا كبيرة وعلى هذه الحالة يحمل كلام الجلال.

﴿خاتمة﴾ نسأل الله حسناتها قال الغزالي وغيره اعلم أن السؤال يباح لضرورة وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الشيء إما أن يكون مضطرا اليه أو محتاجا اليه حاجة مهمة أو حاجة خفيفة أو مستغنى عنه أما المضطر اليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا أو مرضا يؤدى الى الموت وسؤال العارى وبدنه مكشوف ليس معه ما يواريه وهو يباح بهما وجدت بقية الشروط في المسؤول من الطعام أو الثوب بكونه مباحا وفي المسؤول منه بكونه راضيا في الباطن غير مستحي في اعطائه ولا مرء وفي السائل بكونه عاجزا عن الكسب فان القادر على الكسب وهو بطل ليس له السؤال الا اذا استغرق في طلب العلم أوقاته بحيث لم يتفرغ للكسب وأما المستغنى وهو الذي يطلب شيئا وعنده مثله أو أمثاله فسؤاله حرام قطعا وهذا من طريقين واضحا وهما الاضطرار والاستغناء مباح والاستغناء محرم وأما المحتاج حاجة مهمة فمأ المريض الذي يحتاج الى دواء ليس يظهر خوفه ولم يستعمله ولكن لا يخلو عن خوف وكن له حجة لا قميص تحتها في الشتاء وهو ينادى بالبرد ناديا لا ينتهي الى حد الضرورة وكذلك من يسأل لأجل الكراء وهو قادر على المشى بمشقة فهذا أيضا ينبغي أن تسترسل عليه الإباحة لأنها أيضا حاجة محقة ولكن الصبر عنه أولى وهو بالسؤال تارك للأولى ولا يسمى سؤاله مكروها مهما صدق في السؤال وقال ليس تحت جبتى قميص والبرد يؤذيني أذى أطيعه ولكن يشق على فإذا صدقه فصده يكون كفارة لسؤاله ان شاء الله تعالى.

وأما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قميصا لللبسة فوق ثيابه عند خروجه من منزله ليستريح الخروق من ثيابه عن أعين الناس كيلا يزدروا به وكن يسأل لأجل الادم وهو واجد للخبز وكن يسأل الكراء لفرس في الطريق وهو واجد كراء الحمار أو يسأل كراء المحمل وهو قادر على الراحلة فهذا ونحوه ان كان فيه تلبيس حال باظهار حاجة غير هذه فهو حرام وان لم يكن وكان فيه شيء من المحذورات الثلاثة من الشكوى والذل وايداء المسؤول فهو حرام لاشتماله على الأمور المحرمة لأن مثل هذه الحاجة لا تصلح لأن تباع بها هذه المحظورات وان لم يكن فيها شيء مما من ذلك فهو مباح مع الكراهة.

فان قلت فكيف يمكن أخلاء السؤال عن هذه المحظورات فاعلم أن الشكوى تندفع بأن يظهر الله تعالى بلسانه والاستغناء عن الخلق بأن يلتفت لما في أيديهم ولا يسأل سؤال محتاج ولكن يقول أنا بحمد الله تعالى مستغن بما أملكه ولكن تطالبني رعونة النفس بثوب فوق ثيابي وهو فضلة عن الحاجة وفضل من النفس فيخرج به عن حد الشكوى وأما الذل فبأن يسأل أباه أو قريبه في النسب أو صديقه الذي يعلم أنه لا ينقصه ذلك في عينه ولا يزددر به بسبب سؤاله ولا يحقره وهو سليل العارفين أو يسأل الرجل السخي الذي

قد أعد ماله لمثل هذه المكارم فيخرج بوجود مثله ويتقصد منه بقبوله منه ذلك فيسقط عنه الذل بذلك فإن الذل للمنة لا محالة وأما الإيذاء فسيل الخلاص عنه أن لا يعين شخصا بالسؤال بعينه بل يلقي الكلام عرضا وإن كان في القوم شخص منظور إليه لولم يبذل لكان يلام فهذا إيذاء فانه ربما يبذل كرها لا عن رضا قلبه خوفا من الملامة ويكون الاحب اليه في الباطن الخالص لو قدر عليه من غير ملامة وأما اذا كان يسأل معينا فينبغي ان لا يصرح باسمه بل يعرض له تعرضا يبقى له سبيل الى التغافل ان أراد ذلك فاذا لم يتغافل مع القدرة عليه فذلك لرغبته وانه غير متأذبه وينبغي ان يسأل من لا يستحي منه لورده أو تغافل عنه فان الحياء من السائل يؤدي كما أن الرياء مع غير السائل يؤدي .

فان قلت فاذا أخذ مع العلم بأن باعث المعطي هو الحياء منه أو من الحاضرين في المجلس ولولاه لما أعطاه فهل هو حلال أو شبهة فأقول ذلك حرام محض لاختلاف فيه بين الأمة وحكمه حكم أخذ مال الغير بالضرب والمصادرة اذ لا فرق بين أن يضرب ظاهر جلده بسياط الخشب أو يضرب باطن قلبه بسوط الحياء وخوف الملام وضرب الباطن أشد نكابة فيقلوب العقلاء من ضرب الجلد الظاهر وفي ذلك قيل : العبد يقرع بالعصا * والحر تكفيه الملامة

ولا يجوز أن يقال هو في الظاهر قد رضى به وقد قال صلى الله عليه وسلم إنما أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فان هذه ضرورة القضاء في فصل الخصومات اذ لا يمكن ردهم الى البواطن وقرائن الاحوال فاضطروا الى الحكم بظاهر القول باللسان مع انه ترجح ان كثير الكذب ولكن الضرورة دعت اليه وهذا سؤال عما بين العبد وبين الله تعالى والحاكم فيه أحكم الحاكمين والقلوب عنده كالاسنة عند سائر الحكام فلا تنظر في مثل هذا الا الى قلبك ولا تستفت الامنة وإن أفوتك وأفوتك كما ورد ذلك في خبر وابصة بن معبد وغيره فان المفتي معلم للقاضي والسلطان ومن في معناه من الحكم ليحكموا بفتواه في عالم الشهادة ومقتى القلوب هم علماء الآخرة وبقواهم النجاة من سطوة سلطان الآخرة كما أن بقوى الفقيه النجاة من سطوة سلطان الدنيا فاذا ما يأخذه مع الكراهة لا يملكه بينه وبين الله تعالى ويجب عليه رده الى صاحبه ان أمكنه فان كان يستحي من أن يسترده فلم يسترده فعليه أن يشبهه ويجزئه على ذلك بما يساوي قيمته في الوقت في معرض الهدية والمقابلة ليخلص عن عهده فان لم يقبل هديته فعليه أن يرد ذلك الى ورثته بعد موته ولا يجوز له أن يملكه بحال من الاحوال فان تلف في يده قبل الاسترداد فهو مضمون عليه بينه وبين الله تعالى وهو عاص بالتصرف فيه تصرف الملاك ثانيا وبالسؤال الذي حصل به الأذى أولا .

فان قلت فهذا أمر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل الى الخلاص منه فربما يظن السائل أنه راض ولا يكون هو في الباطن راضيا فأقول لهذا السر ترك المتقون السؤال رأسا فما كانوا يأخذون من أحد شيئا فكان بشر الخافي رحمه الله تعالى لا يأخذ الا من السرى السقطى رحمه الله تعالى وقال لما سئل عن ذلك لآتى علمت أنه يفرج بخروج المال من يده فأننا نعينه على ما يجب وانما عظم النكير في السؤال واشتد الأمر بالتعفف لهذا لأن الأذى انما يصير مباحا بضرورة وهو أن يكون السائل مشرفا على الهلاك ولم يبق له سبيل الى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة وأذى فيباح له ذلك كما يباح له لحم الخنزير وأكل الميتة فكان الامتناع عن السؤال طريق الورع ومن أرباب القلوب من كان وانما بصيرته في الاطلاع على قرائن الاحوال فكانوا يأخذون من بعض الناس دون البعض ومنهم من كان لا يأخذ الا من أصدقائه ومنهم من كان يأخذ مما يعطى بعضا ويرد بعضا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في

الكبش حيث رذه والاقط والسمن حيث أخذهما وكان هذا فيما يأتيهم من غير سؤال فإن ذلك لا يكون إلا عن رغبة ولكن قد تكون رغبته طمعا في جاه أو طلبا للرياء والسمعة فكانوا يحترزون من ذلك .

فأما السؤال فقد امتنعوا عنه رأسا إلا في موضعين أحدهما الضرورة والثاني السؤال من الأصدقاء والايوان فقد كانوا يأخذون ما لهم بغير سؤال واستئذان لأن أرباب القلوب علموا أن المطلوب رضا القلب لا نطق اللسان وكانوا قد وثقوا باخوانهم أنهم كانوا يفرحون بمباستطهم فإذا كانوا يسألون الاخوان عند شكهم في اقتدار اخوانهم على ما يريدونه والافكانوا يستغنون عن السؤال وحد اباحة السؤال أن تعلم أن المسؤول بصفة لو علم ما بك من الحاجة لا بدائك بالعطاء دون السؤال فلا يكون لسؤالك تأثيرا لا في تعرف حاجتك فأما في تحريكه بالحياء وإثارة داعيته بالجيل والحداع فلا تصدى للسائل حالة لا يشك فيها في الرضا في الباطن وحالة لا يشك فيها في الكراهة ويعلم ذلك بقرينة الاحوال فالأخذ بالحالة الأولى حلال طلق وفي الثانية حرام سحت وتردد بين الحالتين أحوال يشك فيها قلبه وليترك حزار القلب فإنه الاثم وليدع ما يريه الى ما لا يريه وادراك ذلك بقرائن الاحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه وشهوته فإن قوى الحرص وضعفت الفطنة ترائى لهما يوافق عرضه فلا يتقطن للقرائن الدالة على الكراهة والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿باب الصوم﴾

قال تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات * وأخرج ابن ماجه والبيهقي عن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ شهر رمضان شهر كتب الله عليكم صيامه وسنت لكم قيامه

﴿باب الصوم﴾

وهو في اللغة الانساک يقال صام النهار اذا اعتدل وقام قائم الظهير ومنه قوله تعالى حكاية عن مريم اني نذرت للرحمن صوما أي صمت لأنه انساک عن الكلام وفي الشرع عبارة عن الانساک عن الأكل والشرب والجماع في وقت مخصوص وهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع النية والأصل في وجوبه قبل الاجتماع مع ما يأتي من الأخبار ما قد ﴿قال الله تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا كتب﴾ أي فرض ﴿عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾ يعني على الأنبياء والأئمة من لدن آدم عليه السلام الى عهدكم فهو عبادة قديمة والتشبيه باعتبار ان كل أحده صوم أيام أي أتم متعبون بالصيام في أيام كما تعب من كان قبلكم وقيل ان النصارى فرض الله عليهم صوم رمضان فصاموا قبله يوما وبعده يوما لم يزالوا يزيدونه يوما بعد يوم حتى بلغ خمسين فلذلك نهى عن صوم يوم الشاك ﴿لعلكم تتقون﴾ يعني ما حرم عليكم في صيامكم لأن الصوم وضلة الى التقوى لما فيه من كسر النفس وترك الشهوات من الأكل والجماع وغيرهما وقيل معناه لعلكم تتقون ما فعله النصارى من تغيير الصوم وقيل لعلكم تنظمون في زمرة المتقين لأن الصوم من شعارهم ﴿أياما معدودات﴾ أي مقدورات وقيل قليلات قيل أنه في ابتداء الإسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر واجبا وصوم يوم عاشوراء (ثم) نسخ ذلك بفريضة صوم شهر رمضان قال ابن عباس رضي الله عنهما أول ما نسخ بعد الهجرة أمر القبلة ثم الصوم وقيل أن المراد من قوله أياما معدودات أيام شهر رمضان ووجهه أن الله تعالى قال أولا كتب عليكم الصيام وهذا يحتمل صوم يوم أو يومين ثم بينه بقوله معدودات على أنه أكثر من ذلك لكنها غير منحصرة بعدد ثم بين حصرها بقوله شهر رمضان فاذا أمكن ذلك فلا وجه لحمل الأيام المعدودات غير رمضان فتكون الآية غير منسوخة.

(قال) أن فريضة رمضان نزلت في سنة الثانية من الهجرة وذلك قبل غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان على رأس ثمانية عشر شهرا من الهجرة قال الزبيدي شرعه سبحانه وتعالى لفوائد أعظمها كونه موجبا سكون النفس الامارة بالسوء وكسر شهواتها في الفضول المتعلقة بجميع الجوارح من العين واللسان والأذن والفرج فان به تضعف حركتها في محسوساته ولذا قيل اذا جاعت النفس شبعت جميع الأعضاء فاذا شبعت جاعت كلها وعن هذا صفاء القلب من الكدر فان الموجب لكدر راته فضول اللسان والعين ومنها كونه موجبا للرحمة والعطف على المساكين فانه لما ذاق ألم الجوع في بعض الأوقات ذكر من هذا حاله في جميع الأوقات فتسارع اليه الرقة عليه والرحمة حقيقتها في حق الانسان نوع ألم باطن فيسارع لدفعه عنه بالاحسان اليه فينال بذلك ما عند الله تعالى من حسن الجزاء ومنها موافقة الفقراء بتحمل ما يتحملون وفي ذلك رفع حال عند الله تعالى كما حكى عن بشر الحافي رحمه الله تعالى أنه دخل عليه رجل في الشتاء فوجده جالسا برعد وثوبه معلق على المشجب فقال له في مثل هذا الوقت ينزع الثوب أو معناه فقال يا أخى الفقراء كثير وليس لي طاقة مواساة بهم بالثياب فأواسيهم بتحمل البرد كما يتحملون.

﴿وأخرج﴾ أي نقل ﴿ابن ماجه والبيهقي عن عبد الرحمن بن عوف﴾ رضي الله عنه ﴿قال﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شهر رمضان شهر كتب الله ﴿أي فرض﴾ عليكم صيامه وسنت لكم قيامه ﴿أي قيام بالاله مصلبا والمراد من قيام الليل ما يحمل به مطلق القيام كما أفاده العلقمي وذكر النووي أن المراد بقيام رمضان صلاة التراويح يعني أنه يحصل

فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه * وأحمد عن أبي هريرة من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنوبه وما تأخر * وهو عنه من أدرك رمضان وعليه من رمضان شيء فإنه لا يقبل منه حتى يصومه * وأبو يعلى عن ابن عباس عرا الإسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الإسلام من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم : شهادة أن لا إله إلا الله والصلاة المكتوبة وصوم رمضان ﴿وفي رواية﴾ من ترك منهن واحدة فهو بالله كافر ولا يقبل منه صرف ولا عدل وقد حل دمه وماله * وأبو داود والنسائي والترمذي والبيهقي وابن ماجه وخزيمة عن أبي هريرة من أفطروا من رمضان من غير رخصة رخصها الله به

بها المطلوب وأغرب الكرماني فقال اتفقوا على أن المراد بقيام رمضان صلاة التراويح ذكره العزيزي ﴿فمن صامه وقامه إيماناً﴾ أي تصديقاً بوعد الله تعالى بالثواب عليهما ﴿واحتساباً﴾ أي طلباً للأجر وقال الحفني أي إخلاصاً لله من الرياء ﴿خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه﴾ قال العلقمي أي بغير ذنب .

﴿و﴾ أخرج الخطيب عن ابن عباس و﴿أحمد﴾ والشيخان وغيرهم ﴿عن أبي هريرة﴾ ﴿من صام رمضان إيماناً﴾ والمراد بالإيمان الاعتقاد بحق فريضة الصوم كما قال في الفتح ونقله العزيزي عنى العلقمي ﴿واحتساباً﴾ المراد بالاحتساب طلب الثواب من الله تعالى قال أبو البقاء وفي نصب ذلك وجهان أحدهما هو مصدر في موضع الحال أي من صام مؤمناً محتسباً كقوله تعالى يأتيتك سعياً أي ساعياً والثاني هو مفعول لأجله أي للإيمان والاحتساب ﴿غفر له ما تقدم من ذنبه﴾ مفرد مضاف فيعم جميع الذنوب والمراد الصغائر قاله العزيزي ﴿وما تأخر﴾ قال العلقمي واستشكل هذا من حيث أن المغفرة تسبب عن سبق شيء يغفر والمأخر من الذنوب لم يأت فكيف يغفر ومحصل الجواب أنه قيل أنه كناية عن حفظهم من الكبائر فلا تقع منهم كبيرة بعد ذلك وقيل معناه أن ذنوبهم تقع مغفورة وبهذا أجاب جماعة منهم الماوردي في الكلام على حديث صيام عرفة وأنه يكفر سنتين ماضية وسنة آتية ﴿وهو عنه﴾ أي وأخرج أحمد عن أبي هريرة ﴿باسناد حسن﴾ ﴿من أدرك رمضان وعليه من رمضان﴾ أي من صومه ﴿شيء﴾ لم يقضه قبل مجيء مثله ﴿فإنه﴾ أي الشخص ﴿لا يقبل منه﴾ صوم ما عليه من القضاء ﴿حتى يصومه﴾ أي حتى يصوم رمضان الأداء فإذا صام يوماً في الأداء بنية القضاء لم يصح ولم يكفه عن الأداء ولا عن القضاء ويحتمل أن المراد لا يقبل منه صوم رمضان الأداء أي قبولاً كاملاً حتى يصوم ما عليه من القضاء قاله الحفني .

﴿و﴾ أخرج ﴿أبو يعلى﴾ باسناد حسن ﴿عن ابن عباس﴾ رضي الله عنهما قال حماد بن زيد ولا أعلمه الا وقد رفعه الى النبي ﷺ قال ﴿عزى الإسلام﴾ أي الأمور التي يستمسك بها فيه جمع عروة بالضم وأصلها أذن الكوز فاستعملت في ذلك على التشبيه ﴿وقواعد الدين﴾ جمع قاعدة وهي الأمر الكلي المطبق على جميع جزئياته ﴿ثلاثة عليهن أسس﴾ أي ابنتي ﴿الإسلام من ترك واحدة منهن فهو بها﴾ أي بسبب تركها ﴿كافر حلال الدم﴾ زاده دفعا لقولهم أن المراد كفر النعم ﴿شهادة أن لا إله إلا الله﴾ أي وأن محمداً رسل الله فاكفى باحداهما عن الأخرى ﴿والصلاة المكتوبة﴾ أي الصلوات الخمس ﴿وصوم رمضان﴾ وهذا بالنسبة للشهادة على بابها وبالنسبة للصلاة والصوم أن ترك ذلك جاحداً للوجوب والافهوز جوهراً وهويل ﴿وفي رواية﴾ من ترك منهن واحدة فهو بالله كافر ولا يقبل منه صرف ولا عدل أي فرض ولا نقل ﴿وقد حل دمه وماله﴾ أخرج ﴿أبو داود والنسائي والترمذي﴾ واللفظه ﴿والبيهقي وابن ماجه وخزيمة وأحمد والضياء﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه ﴿من أفطروا من رمضان من غير رخصة رخصها الله له﴾ كسفر

ولا مرض لم يقضه يوم الدهر كله وإن صامه * قال علي وابن مسعود رضي الله عنهما من أفطر يوماً من رمضان لا يقضيه صوم الدهر قال النخعي إن من أفطر يوماً من رمضان يجب عليه ثلاثة آلاف يوم والذي عليه أكثر العلماء أنه يجزني عن اليوم يوم ولو أقصر منه **﴿خاتمة﴾** في سرد أحاديث تتعلق بالصوم * أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ربكم يقول كل حسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمئة ضعف والصوم لي وأنا أجزي به

﴿ولا مرض لم يقضه صوم الدهر كله﴾ قال المناوي هو مبالغة ولهذا أكد بقوله **﴿وإن صامه﴾** أي الدهر ولم يفطر فيه وهذا مؤول بأن القضاء لا يقوم مقام الأداء وإن صام عوض اليوم دهره لأن الأثم لا يسقط بالقضاء وإنما يسقط بالتوبة وذكر البخاري هذا الحديث تعليقا غير مجزوم به فقال وتذكر عن أبي هريرة رفعه من أفطار يوماً من رمضان من غير عذر ولا مرض لم يقضه صوم الدهر وإن صامه .

﴿قال علي﴾ ابن أبي طالب **﴿و﴾** عبد الله **﴿ابن مسعود رضي الله عنهما﴾** واحتج بظاهر هذا الحديث **﴿من أفطر يوماً من رمضان لا يقضيه صوم الدهر﴾** لكن قال النووي في شرح المذهب اسناده غريب وإن سككت عليه أبو داود **﴿قال﴾** إبراهيم **﴿النخعي﴾** نسبة إلى نخع بفتح ن قليلة من مذحج رحمه الله تعالى **﴿إن من أفطر يوماً من رمضان يجب عليه ثلاثة آلاف يوم﴾** وقال سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى يجب في كل يوم ثلاثون يوماً وقال ربيعة بن عبد الرحمن شيخ مالك رضي الله عنهما يجب في كل يوم اثنا عشر يوماً لأن السنة اثنا عشر شهراً .

﴿والذي﴾ جزم **﴿عليه أكثر العلماء﴾** منهم الشافعي وأبو حنيفة ومالك وأحمد رحمهم الله تعالى كما ذكره العلقمي **﴿أنه﴾** أي الشأن **﴿يجزى عن اليوم يوم﴾** واحد بدل ذلك **﴿ولو﴾** كان يوم القضاء **﴿أقصر منه﴾** أي من اليوم الذي فطر فيه وذلك لظاهر قوله تعالى فعدة من أيام أخر كما قاله العلامة ابن حجر في الزواجر .

﴿*خاتمة*﴾ نسأل الله حسناتها **﴿في سرد أحاديث﴾** صحيحة أو حسنة أي ذكرها على الولاء قال الفيومي سردت الحديث سرداً من باب قتل آتيت به على الولاء **﴿تعلق بالصوم﴾** . أخرج الترمذي **﴿من رواية علي بن زيد عن سعيد بن المسيب﴾** عن أبي هريرة **﴿قال رسول الله ﷺ إن ربكم يقول كل حسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمئة ضعف والصوم لي وأنا أجزي به﴾** ولفظ مسلم عن أبي هريرة قال سمعت النبي ﷺ يقول قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فهو لي وأنا أجزي به وفي رواية أخرى له عنه قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فانه لي وأنا أجزي به والصيام جنة وفي رواية أخرى له عنه كل عمل ابن آدم تضاعف له الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمئة ضعف قال الله عز وجل إلا الصوم فانه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي وهكذا هو عند ابن ماجه من رواية الأعمش عن أبي صالح عنه زاد ابن ماجه بعد قوله إلى سبعمئة ضعف إلى ما يشاء الله وعند البخاري من طريق الأخرج عن أبي هريرة في أثناء حديث كل حسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمئة ضعف إلا الصيام فانه لي وأنا أجزي به وفي بعض طرقه لكل عمل كفاية والصوم لي .

﴿* فوائد ﴾ الأولى ظاهر الحديث يقتضي أن أقل التضعيف عشرة أمثال وغايته سبعمئة وقد اختلف المفسرون في قوله تعالى والله يضاعف لمن يشاء فقليل المراد يضاعف هذا التضعيف وهو السبعمئة وقيل المراد يضاعف فوق السبعمئة لمن يشاء وقد ورد التضعيف بأكثر من السبعمئة في أعمال كثيرة في أخبار صحيحة أكثر ما جاء فيه ما رواه الحاكم في صحيحه من حديث ابن عباس مرفوعاً من حج من مكة ما شيا حتى يرجع إلى مكة كتب الله له بكل خطوة سبعمئة حسنة كل حسنة مثل حسنة الحرم قيل وما

والصوم جنة من النار

حسنت الحرم قال بكل حسنة مائة ألف حسنة وقد أخرجه أيضا الدارقطني في الأفراد والطبراني في الكبير والبيهقي والجمع بينه وبين حديث أبي هريرة هذا انه لم يرد بحديث أبي هريرة انتهاء التضعيف بدليل أن في طريقه بعد قوله الى سبع مائة الى أضعاف كثيرة وفي أخرى الى ما يشاء الله فهذه الزيادة تبين ان هذا التضعيف يزداد على السبع مائة والزيادة من الثقة مقبولة على الصحيح .

الثانية اختلف في هذا الاستثناء فقل من التضعيف ثقله القاضي عياض عن أبي عبيد واعترض أبو العباس القرطبي على هذا بأن في الحديث ان صوم اليوم بعشرة وان صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر فهذه نصوص في اظها والتضعيف فبطل هذا الوجه وقيل من العمل ويؤيده رواية أبي صالح عن أبي هريرة كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لي وأنا أجرى به وبه يظهر معنى قوله لي أي ليس للصائم فيه حظ وهو أحد الوجوه في تفسيره ثقله القاضي عن الخطابي .

الثالثة اختلفوا في قوله لي وأنا أجرى به مع كون العبادات كلها له تعالى على أقوال منها ان الصوم لا يظهر من ابن آدم ولا يطلع عليه وانما هو شيء في القلب بخلاف سائر الأعمال فانها أفعال وحركات ترى وتشاهد ويؤيده حديث الصيام لارباء فيه معنى بمجرد فعله والا فقد يدخله الرباء بأن يخبر بأنه صائم ومنها ان معناه الصوم أحب العبادات الي والمقدم عندي ومنها ان الاستغناء عن الطعام والشراب من صفات الله تعالى فكأنه يتقرب الى الله بشبه صفة من صفاته وان كان تعالى لا يشبه له في صفاته ثقله القاضي وأشار اليه الشيخ الأكبر قدم سره بقوله ولما كان العبد موصوفا بأنه ذو صوم وأنه الصائم ثم بعد اثبات الصوم له سلبه الحق عنه وأضافه الى نفسه فقال الا الصيام فانه لي أي صفة الصمدانية وهي التنزيه عن الغداء ليس الا لي وان وصفك به فانما وصفك باعتبار تقيدها من تقييدات التنزيه لا باطلاق التنزيه الذي ينبغي للجلالي فقلت وأنا أجرى به فكان الحق جزاء الصوم للصائم ومنها قيل سبب اضافته اليه تعالى انه لم يعبد به أحد سواه فلم تعظم الكفار فيعصر من الاعصار معبودا لهم بالصيام وان كانوا يعظمونه بصورة الصلاة والسجود والصدقة والذكر وغير ذلك حكاه النووي في شرح مسلم قال العراقي في شرح الترمذي وتقضيه بعضهم بأرباب الاستخدامات فانهم يصومون للكواكب قال وليس هذا بنقض صحيح لأن أرباب الاستخدامات لا يعتقدون أن الكواكب آلهة وانما يقولون فعالة بنفسها وان كانت عندهم مخلوقة ومنها أن معنى هذه الاضافة ان سائر العبادات يوفى منها ما على العبد من الحقوق الا الصيام فانه يبقى موفرا لصاحبه لا يوفى منه حق وقد ورد ذلك في حديث وهو ما أخرجه البيهقي عن ابن عيينة قال اذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده ويؤدى ما عليه من المظالم من عمله حتى ما يبقى له الا الصوم فيحتمل الله ما بقي عليه ويدخله بالصوم الجنة قال أبو العباس القرطبي وقد كتبت استحسنته الى أن وجدت حديثا فيه ذكر للصوم في جملة الأعمال المذكورة للاخذ منها فانه قال فيه المغلس الذي يأتي يوم القيامة بصلاة وصدقة وصيام ويأتي وقد شتم هذا الحديث قال وهذا يدل على أن الصيام يؤخذ كسائر الاعمال انتهى ووافقه على ذلك العلامة الحفنى وغيره قال العراقي قلت اذا صحح ذلك الاستثناء فهو مقدم على هذا العموم فيجب الأخذ به هكذا نقله الزبيدي وحزم به .

﴿ والصوم جنة ﴾ بضم الجيم أي وقاية وسترة ﴿ من النار ﴾ هكذا في رواية الترمذي جنة من النار وكذا رواه النسائي من حديث عائشة وروى النسائي وابن ماجه من حديث عثمان بن أبي العاصي هكذا بزيادة كجنة أحدكم من القتال وكذا جزم به ابن عبد البر وصاحب المشارق وغيرهما انه جنة من النار وأخرجه البخاري والنسائي من طريق مالك وكذا أبو داود وأخرجه مسلم والنسائي من طريق سفيان بن عيينة وأخرجه مسلم من رواية المغيرة الحزامي ثلاثهم عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول

ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك

الله ﷻ قال الصيام جنة فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل فإن أمرؤ قاتله أو شاتمه فليقل أنى صائم وليس في رواية أبي داود قوله الصيام جنة وأنه رواها القعنبي ويحيى وأبو مصعب وجماعة ولم يذكرها ابن بكير قال صاحب النهاية معنى ذلك أن الصوم بقى صاحبه ما يؤذيه من الشهوات وذكر صاحب الأكمال الاحتمالات الثلاثة فقال ستر ومانع من الآثام أو من النار أو من جميع ذلك وقال الحافظ العراقي في شرح الترمذي وإنما كان الصوم جنة من النار لأنه أسالك عن الشهوات والنار مخوفة بالشهوات انتهى وسبقه الى ذلك ابن العربي وفي هذا الكلام تلازم الأمرين لأنه إذا كف نفسه عن الشهوات والآثام في الدنيا كان ذلك ستر له من النار غداً .

* تنبيه * في سنن النسائي وغيره من حديث أبي عبيدة مرفوعاً وموقوفاً الصوم جنة ما لم يخرقها ورواه الدرامي في مسنده وفيه بالغيبة ويوب عليه باب الصائم يغتاب وكذا أبو داود في باب الغيبة للصائم وأشار في الحديث بذلك إذا أتى بالغيبة ونحوها فقد خرق ذلك الساتر له من النار بفعله فقيه تحذير الصائم من الغيبة .

﴿و﴾ الذي نفس محمد بيده ﴿لخلوف فم الصائم﴾ أي تغير ريحه من الصوم ﴿أطيب عند الله من ريح المسك﴾ وفي لفظ لمسلم والنسائي أطيب عند الله يوم القيامة وليس في شيء من طرق البخاري يوم القيامة .

* فوائد * الأولى الخلوف بالضم هو المعروف في كتب اللغة والغريب وقال في المشارق كذا قيدناه عن المتقين وأكثر الحديثين يروونه بالفتح وهو خطأ عند أهل العربية وبالوجهين ضبطناه عن القاسبي وقال في الأكمال هكذا الرواية الصحيحة بالضم وكثر من الشيخ يروونه بالفتح وهو خطأ وحكى عن القاسبي الوجهين وصوب النووي في شرح مسلم الضم وهو الذي ذكره الخطابي وغيره وهو ما يخلف بعد الطعام في الفم من ريح كريهة بخلاء المعدة من الطعام .

الثانية فيه رد على أبي علي الفارسي في قوله أن ثبوت الميم في الفم خاص بضرورة الشعر فإنها تثبت في قوله فم الصائم في الاختيار .

الثالثة اختلف في معنى كون هذا الخلوف أطيب من ريح المسك بعد الاتفاق على أنه سبحانه وتعالى منزّه عن استطابة الروائح الطبية واستقذار الروائح فإن ذلك من صفات الحيوان الذي له طبائع يميل الى شيء فيستطيبه وينفر من شيء فيستذره على أقوال أحدها أنه مجاز واستعارة لأنه جرت عادتنا بتقريب الروائح الطبية منا فاستعير ذلك في الصوم لتقريبه من الله تعالى قال المارري فيكون المعنى أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك أي عندكم أي يقرب اليه أكثر من تقرب المسك اليكم وذكر ابن عبد البر نحوه الثاني أن معناه أن الله تعالى يجزيه في الآخرة حتى تكون نكهته أطيب من ريح المسك كما قال في المكحول في سبيل الله الريح ريح مسك حكاه القاضي عياض الثالث أن المعنى أن صاحب الخلوف ينال من الثواب ما هو أفضل من ريح المسك عندنا لاسيما بالاضافة الى الخلوف ومما ضدان حكاه القاضي عياض أيضاً الرابع أن المعنى أنه يعتد برائحة الخلوف ويدخر على ما هي عليه أكثر مما يعتد بريح المسك وإن كانت عندنا نحن بخلافه حكاه القاضي أيضاً الخامس أن الخلوف أكثر ثواباً من المسك حيث ندب إليه في الجمع والاعباد ومجالس الحديث والذكر وسائر مجامع الخير قاله الداودي وأبو بكر بن العربي والقرطبي وقال النووي وهو الأصح السادس قال صاحب المفهم يحتمل أن يكون ذلك في حق الملائكة يستطيعون ريح الخلوف أكثر مما يستطيعون ريح المسك وقال الشيخ الأكبر قدس سره في كتاب الشريعة خلوف فم الصائم رائحة فيه التي لا توجد في الأبع النفس وكل نفس الصائم أطيب عند الله جاء بالاسم الجامع المنعوت بالانتماء كلها

ن جهل على أحدكم جاهل وهو صائم فليقل إني صائم وللصائم فرحتان فرحة حين يفطر وفرحة حين يلتقي ربه *

قوله من ريح المسك فان ريح المسك أمر وجودي تدركه المشام وتلذ به فجعل الخلوف عند الله أطيب منه لأن نسبة ادراك الروائح الى نمة لا يشبه ادراك الروائح بالمشام فهو خلوف عندنا وعند هذا الخلوف فوق طيب المسك فانه روح موصوف لأمثل لما وصف به ولا شبه الرائحة للرائحة فان رائحة الصائم عن تنفس ورائحة المسك لا عن تنفس من المسك ولما كانت الروائح الكريهة تنفر عنها الامزجة طيبة من انسان وملك لما يجذبه من التأذي في ذلك وذلك لعدم المناسبة فان وجه الحق في الروائح الكريهة لا يدركه الا الله خاصة لملك لا غيره ولهذا قال عند الله فان الصائم أيضا في كونه انسانا يكره خلوف الصوم من غيره وهل يتحقق أحد من المخلوقين وقتا أو في مشهد فيدرك الروائح الخبيثة طيبة على الاطلاق فما سمعنا بهذا وقولي على الاطلاق من أجل أن بعض الامزجة يتأذي بريح المسك ولا سيما لحرور المزاج وما يتأذي منه فليس بطيب عند صاحب ذلك المزاج فلماذا قلنا على الاطلاق اذا غالب على الامزجة طيب المسك البورد وأما لها والمتأذي من هذه الروائح الطيبة مزاج غريب أي غير معتاد ولا أدري هل أعطى الله أحدا ادراك ذلك بل المتقول عن كمل من الناس ومن الملائكة التأذي بهذه الروائح الخبيثة وما انفرد بأدراك ذلك طيبا الا الحق هذا هو المقول .

الرابعة قوله في رواية مسلم والنسائي أطيب عند الله يوم القيامة يقتضي ان طيب رائحة الخلوف انما هو في الآخرة وقد وقع خلاف بن ابن الصلاح والعز بن عبد السلام في أن طيب رائحة الخلوف هل هو في الدنيا والآخرة أو في الآخرة فقط فذهب ابن الصلاح الى الاول ابن عبد السلام الى الثاني وقد استدل ابن الصلاح بأقوال العلماء وليس في قول واحد منهم تخصيص الآخرة بل جزموا بأنه عبارة عن لرضا والقبول ونحوهما بما هو ثابت في الدنيا والآخرة وأما ما ذكرتم يوم القيامة في الرواية فلانه يوم الجزاء وفيه يظهر رجحان الخلوف نيا لميزان على المسك المستعمل لدفع الرائحة الكريهة طلبا لرضا الله حيث يؤمر باجتنابها واجتلاب الرائحة الطيبة فخص يوم القيامة بالذكر في رواية لذلك كما خص في قوله تعالى ان ربهم بهم يومئذ لخبير وأطلق في باقي الروايات نظرا الى أن الأفضلية ثابتة في الدارين .

﴿ وان جهل على أحدكم جاهل ﴾ وذلك بأن تعرض ذلك الجاهل لقلته أو شتمه ﴿ وهو صائم فليقل إني صائم ﴾ ذكر فيه العلماء تأويلين أحدهما وبه جزم المتولي ونقله الرافعي عن الأئمة أنه يقول في قلبه لا بلسانه والثاني أن يسمعه صاحبه ليزجره عن نفسه ورجحه للنووي في الأذكار وغيره فقال أنه أظهر الوجهين وقال في شرح المذهب التأويلان حسنان والقول باللسان أقوى ولو جمعهما كان حسنا انتهى وحكى الرواي في البحر وجهها واستحسنه أنه كان في رمضان في قوله بلسانه وان كان نقلا فقلبه وادعى ابن العربي ان موضع الخلاف في التطوع وانه في الفرض يقول ذلك بلسانه قطعا فقال لم يختلف أحد انه يقول ذلك مصرح به في صوم الفرض كان رمضان أو قضاؤه أو غير ذلك من أنواع الفرض واختلفوا في التطوع فالأصح أنه لا يصرح به وليقل لنفسه إني صائم فكيف أقول الرفث انتهى .

﴿ وللصائم فرحتان ﴾ الاولى ﴿ فرحة ﴾ بفطره ﴿ حين يفطر ﴾ أي عند الغروب كل يوم ذلك الفرح ثلاثة أقسام فرح العوام بالتلذذ بالمأكول والمشارب وفرح الخواص بتمام عبادتهم وفرح خواص الخواص بما أعد لهم مولاهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بشر كشاهدة الذات العلية ﴿ و ﴾ الثانية ﴿ فرحة حين يلتقي ربه ﴾ بالنظر الى وجهه الكريم أو بمشاهدة جزاء صومه عيانا في الآخرة وللشيخين للصائم فرحتان يفرحهما اذا أفطر فرح واذالقي ربه بفرح بصومه وفي لفظ للنسائي اذا أفطر فرح بفطره ولمسلم وابن ماجه من طريق الأعمش عن أبي صالح للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه عز وجل وفي لفظ لمسلم ان للصائم فرحتين اذا أفطر فرح واذالقي الله عز وجل فرح وفي لفظ له واذالقي الله عز وجل فجزاءه فرح .

وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي مناد كل ليلة يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة *

﴿و﴾ أخرج ابن حبان والحاكم عن أبي هريرة ﴿﴾ إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ﴿﴾ قال العلقمي بالمهمل المضمومة بعدها فاء ثقيلة مكسورة أي شددت بالأصفا وهي الأغلال كي لا توسوس للصائم ﴿﴾ ومردة الجن ﴿﴾ أي عتاتهم ومنكبروهم في الصباح ومرد يبرد من باب قتل إذا عتاه فهو مارد وفيه أيضا عتاه يعن عتوا من باب قتل استكبر فهو عتات ﴿﴾ وغلقت أبواب النار ﴿﴾ كناية عن تنزه أنفس العوام عن الآثام قاله العزيزي وغيره ﴿﴾ فلم يفتح منها باب ﴿﴾ واحد ﴿﴾ وفتحت ﴿﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿﴾ أبواب الجنة ﴿﴾ قال المناوي كناية عن تواتر هبوط غيث الرحمة وتوالي صعود الطاعة بلا مانع ﴿﴾ فلم يغلق منها باب وينادي مناد ﴿﴾ من الملائكة ﴿﴾ كل ليلة يا باغي الخير ﴿﴾ أي طالبه ﴿﴾ أقبل ﴿﴾ من الاقبال ضد الأدبار ﴿﴾ ويا باغي الشر أقصر ﴿﴾ أي أمسك كما في رواية النسائي ﴿﴾ ولله عتقاء من النار ﴿﴾ وهم ستون ألفا ﴿﴾ وذلك ﴿﴾ أي اعتاقه سبحانه وتعالى لهم ﴿﴾ كل ليلة ﴿﴾ أي عند كل فطر من شهر رمضان فإذا كان يوم الفطر اعتق الله مثل ما اعتق في جميع الشهر ثلاثين مرة ستين ألفا كذا في الزواجر قال القاضي يحتمل أن قوله وصدفت الشياطين يحتمل على ظاهره حقيقة ويحتمل الحجاز ويكون إشارة إلى كثرة الثواب والعفو وأن الشياطين يقل اغراؤهم وإذاؤهم فيصبرون كالمصدقين ثم قال ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنة عبارة عما يفتح الله لعباده من الطاعات في هذا الشهر مما لا يفتح في غيره عموما كالصوم والقيام وفعل الخيرات والانكفاف عن كثير من المخالفات وهذه أسباب لدخول الجنة وكذلك تغلق أبواب النار وقال القرطبي يصح جملة على الحقيقة ويكون معناه أن الجنة قد فتحت وزحرفت لمن مات في رمضان لفضل هذه العبادة الواقعة فيه وغلقت عنهم أبواب النار فلا يدخلها منهم أحد مات فيه وصدفت الشياطين لئلا تفسد على الصائمين.

فان قيل قد نرى الشرور والمعاصي تقع في رمضان كثيرا كانت الشياطين مصفدة ما وقع شرفا الواجب من أوجه أحدها انما تغل عن الصائمين الصوم الذي حوفظ على شروطه وروعت آدابه أما ما لم يحافظ عليه فلا يغل عن فاعله الشيطان الثاني لو أسلم أنها مصفدة عن كل صائم فلا يلزم أن لا يقع شر لان وقوعه أيما با آخر بغير الشياطين وهو النفوس الخبيثة والعادات القبيحة والشياطين الأنيسة الثالث أن المراد غالب الشياطين والمردة منهم وأما غيرهم فيقتل لا يصفدون والمقصود تقليل الشر وذلك موجود في رمضان فان وقوع الشرور والفواحش فيه قليل بالنسبة إلى غيره من الشهور.

وأخرج البخاري ومسلم إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصدفت الشياطين وفي لفظ آخر لمسلم إذا جاء بدل إذا دخل وفي لفظ له إذا كان رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين وهكذا رواه أحمد وابن أبي شبة وعند البخاري في بعض طرقه فتحت أبواب السماء وزاد الترمذي وابن ماجه والحاكم وننادي مناد يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر أقصر قال الترمذي غريب وقال الحاكم صحيح على شرطهما وصحح البخاري وقعه على مجاهد وقال أبو بكر بن أبي شبة حدثنا معمر بن سليمان سمعت أيوب يحدث عن أبي قلابة عن أبي هريرة قال قال نبي الله ﷺ وهو يشر أصحابه قد جاءكم رمضان شهر مبارك افترض عليكم صيامه تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب النار وتصفد فيه الشياطين وحدثنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب عن عرفة قال كنت عند عتبة بن فرقة وهو يحدثنا عن فضل رمضان فدخل علينا رجل من أصحاب النبي ﷺ فسكت فكانه هابه فلما جلس قال له عتبة يا أبا فلان حدثنا بما سمعت من رسول الله ﷺ في رمضان قال سمعت رسول الله ﷺ يقول تفتح فيه أبواب الجنة

وابن خزيمة وحبان أنه صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين آمين آمين قیل یا رسول الله انك صعدت المنبر فقلت آمين آمين آمين فقال
 إن جبريل عليه السلام أتاني فقال من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين ومن أدرك أبويه أو
 أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل
 آمين فقلت آمين * ومحمد بن منصور السمعاني عن أنس إنما سمي رمضان لأنه يرمض الذنوب * والطبراني والبيهقي عن عمر رضي الله
 عنه ذاكر الله في رمضان مغفور له وسائل الله فيه

وتعلق فيه أبواب النار وتصفد فيه الشياطين وينادي مناد كل ليلة يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر أقصر قال الزبيدي وهكذا رواه
 النسائي بهذه الزيادة عن عوفجة عن رجل من أصحاب النبي ﷺ وروى ابن أبي شيبه أيضا من حديث أنس مرفوعا هذا رمضان قد
 جاء تفتح فيه أبواب الجنان وتعلق فيه أبواب النار وتغل فيه الشياطين .

وفي كتاب الشريعة لما كان محيى رمضان سببا في الشروع في الصوم فتح الله أبواب الجنة والجنة الستر فدخل الصوم في عمل
 مستور لا يعلم منه إلا الله تعالى لأنه ترك وليس بعمل وجودي فيظهر للبصر أو يعمل بالجوارح وغلقت أبواب النار فاذا غلقت أبواب النار
 عاد نفسه عليها فتضاعف خرمها وأكل بعضها بعضا كذلك الصائم في حكم طبيعته إذا صام غلق أبواب نار طبيعته فوجد للصوم حرارة
 زائدة لعدم استعمال المرطبات ووجد ألم ذلك في باطنه وتضاعفت شهوته للطعام الذي يتوهم الراحة بتحصيله فتتوهم نار شهوته بتعلق
 باب تناول الأطعمة والأشربة وصدت الشياطين وهي صفة البعد فكان الصائم قريبا من الله بالصفة الصمدانية فإنه في عبادة لا مثل لها
 تقرب بها من صفة ليس كمثله شيء ومن كانت هذه صفة فقد صدت الشياطين في حقها .

﴿و﴾ أخرج ﴿ابن خزيمة وحبان أنه ﷺ صعد المنبر فقال آمين آمين آمين قیل یا رسول الله انك صعدت المنبر فقلت آمين آمين آمين
 فقال ﷺ ﴿ان جبريل عليه السلام أتاني فقال من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فمات فدخل النار فأبعده الله قل﴾ يا محمد ﴿آمين
 فقلت آمين﴾ فقال جبريل ﴿ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما﴾ أي لم يحسنهما ﴿فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت
 آمين﴾ فقال ﴿ومن ذكرت﴾ يا محمد ﴿عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين﴾ وفي الزواجر احضروا
 المنبر فحضروا فلما ارتقى درجة قال آمين فلما ارتقى الدرجة الثانية قال آمين فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال آمين فلما نزل قلنا يا رسول
 الله لقد سمعنا منك اليوم شيئا ما كنا نسمعه قال ان جبريل عرض لي فقال بعد من أدرك رمضان فلم يغفر له قلت آمين فلما رقيت الثانية
 قال بعد من أدرك أبويه عندك الكبر أو أحدهما فلم يدخلا الجنة قلت آمين .

﴿و﴾ أخرج أبو زكريا يحيى بن مده و﴿محمد بن منصور السمعاني﴾ بفتح السين وسكون الميم نسبة إلى سمعان بطن من تميم
 فهو تميمي ﴿عن أنس﴾ ﷺ ﴿إنما سمي﴾ أي الشهر الذي يشرع صومه لهذه الأمة المعلوم ﴿رمضان لأنه﴾ أي لأن صومه ﴿يرمض
 الذنوب﴾ أي يحرقها ويزيلها لما يقع فيه من العبادة قال في المصباح رمض يوما رمضا من تعب اشتد حره ورمضت قدمه احترقت من
 الرمضاء ورمضت الفصال إذا وجدت حر الرمضاء فاحترقت أخفافها وذلك وقت صلاة الضحى وقيل سمي بذلك لأن وضعه وافق
 الرمض وهو شدة الحر وجمعه رمضان وأرمضاء .

﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني والبيهقي عن عمر﴾ وفي الجامع الصغير عن ابن عمر ﴿رضي الله عنه﴾ باسناد ضعيف كما في
 العزري ﴿ذاكر الله في رمضان﴾ أي ليلا كان أو نهارا ﴿مغفور له وسائل الله فيه﴾ شيئا من خير الآخرة أو الدنيا ليلا كان أو نهارا كما تقدم

لا ينجب * والبيهقي عن عبد الله بن أبي أوفى نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح وعمله مضاعف ودعاؤه مستجاب وذنبه مغفور *
والحكم عن ابن عمر لكل عبد صائم دعوة مستجابة عند افطره أعطيا في الدنيا أو أخرها له في الآخرة * وفي المسند عن واثلة بن
الأسقع عن النبي ﷺ أنه قال أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان وأنزل الإنجيل
لثلاث عشرة مضين من رمضان وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان ﴿وروى﴾ عن سعيد بن المسيب عن سلمان مرفوعا
﴿لا ينجب﴾ بالبناء للفاعل أو المفعول .

﴿و﴾ أخرج ﴿البيهقي عن عبد الله بن أبي أوفى﴾ ﴿نوم الصائم﴾ ﴿فرضا أو نقلا﴾ ﴿عبادة﴾ قال العلامة الحفنى أي إذا
نوى به التقوى على خير ونوم المفطر وإن كان كذلك إلا أن نوم الصائم أكثر ثوابا لكونه في عبادة الصوم وهو قائم قرره شيخنا والظاهر أن
المراد نوم الصائم عبادة وإن لم يتوبه ما ذكر لأن المراد أنه يكتب له عبادة الصوم حال النوم لأنه يثاب على نفس النوم بل على الصوم حالة النوم
قال المناوي ونقله العزيزي كذا في النسخ ورأيت السهروروى ساقه بلفظ نوم العالم عبادة فيحتمل أنها رواية ويحتمل أن أحد اللفظين سبق
قلم ﴿وصمته تسبيح﴾ أي يثاب عليه ثواب التسبيح ﴿وعمله مضاعف﴾ أكثر من مضاعفة عمل المفطر ﴿ودعاؤه مستجاب وذنبه
مغفور﴾ أي ذنوبه الصغائر وهذا في صائم لم يخرق صومه بشئ غيبه فالنوم وإن كان عين الغفلة لكن كل ما يستعان به على العبادة يصير
عبادة .

﴿و﴾ أخرج ﴿الحكيم﴾ الترمذي في نوادره ﴿عن ابن عمر﴾ رضي الله عنهما بإسناد حسن ﴿لكل عبد صائم دعوة
مستجابة عند افطاره﴾ أي كل يوم من الصوم الفرض أو النفل ﴿أعطيا﴾ أي يعطيه الله عين ما طلب بها ﴿في الدنيا أو أخرها له﴾
ثوابها ﴿في الآخرة﴾ قال المناوي وهذا من خصائص هذه الأمة فإذا دعا العبد حينئذ استجيب له وعند ذلك لا ينبغي له أن يقول قد
دعوت ولم يستجب لي لأن الداعي كما في الخبر على ثلاثة مراتب إما أن يجعل له ما طلب وإما أن يدخر له أفضل منه وإما أن يدفع عنه من
السوء مثله .

﴿و﴾ روى ﴿في المسند عن واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ أنه قال أنزلت صحف إبراهيم﴾ الخليل عليه الصلاة والسلام أي قطع
جلد أ ورق يكتب فيها ﴿في أول ليلة من شهر رمضان وأنزلت التوراة لست مضين﴾ فيكون ليلة السابع وكذا يقال نحوه فيما بعد ﴿من
رمضان وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضين من رمضان﴾ وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان كذا في رواية الطبراني ﴿وأنزل
الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان﴾ فيكون ليلة الخامس والعشرين وهذا أعظم دليل على كونه ليلة خمس وعشرين وهذا أنزل
اجتالي ثم نزل مؤقتا عليه ﷺ في نيف وعشرين سنة وحكمة ذلك أنه لو أنزل كله في وقت واحد لحارت العقول في معناه ولم ينتفع به أحد
نظير المطر لو نزل من السماء كله في وقت واحد لأفسد ولم ينتفع به بخلاف سائر الكسب فنزلت دفعة كما ذكره المفسرون عند قوله تعالى
لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة أي كسائر الكسب السابقة فالمراد بانزاله في تلك الليلة انزاله من اللوح المحفوظ جملة واحدة إلى سماء
الدنيا في بيت العزة ثم أنزل مؤقتا على نبينا ﷺ بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة قاله البراوي ونقله الحفنى وجزم به .

﴿وروى﴾ وفي التنبية للفتية السمرقندي قال حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا أبو
وهب عبد الله بن بكر حدثنا إياس عن علي بن زيد ﴿عن سعيد بن المسيب عن سلمان﴾ البارسي رضي الله عنه ﴿مرفوعا﴾ إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم

الخطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم شهر مبارك فيه ليلة خير من ألف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه بمحصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فيه فريضة كان بمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة وشهر يزداد فيه الرزق من فطر فيه صائما كان مغفورا لذنوبه وعتق رقبة من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء قالوا يا رسول الله ليس كلنا نجد ما نفطر الصائم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي الله هذا الثواب من فطر صائما على ثمرة أو شربة ماء أو مذقة لبن وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفورة وآخره عتق من النار ومن خفف من مملوك غفر الله له وأعتقه من النار واستكثروا فيه من أربع خصال خصلتين ترضون بهما ربكم خصلتين لا غنى لكم عنهما أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله

﴿قال خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم﴾ وهو رمضان ﴿شهر مبارك﴾ أي كثير الخير ﴿فيه ليلة﴾ القدر وهي ﴿خير من ألف شهر﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما ذكر لرسول الله ﷺ رجل من بني إسرائيل حمل سلاحا على عاتقه في سبيل الله ألف شهر فعجب رسول الله ﷺ لذلك وتحنى لأمته فقال يا رب جعلت أمي أقصر الأمم أعمارا وأقلها عمالا فأعطاء الله تبارك وتعالى ليلة القدر فقال ليلة القدر خير من ألف شهر التي حمل فيها الأسرا تلي السلاح في سبيل الله ولأمتك إلى يوم القيامة وعن مالك أنه سمع من يثق به من أهل العلم أن النبي ﷺ أرى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكانه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل مثل الذي يبلغ غيرهم في طول العمر فأعطاء الله ليلة القدر خيرا من ألف شهر أخرجه مالك في الموطأ قال المنسوري معناه العمل الصالح في ليلة القدر خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وإنما كان كذلك لما يريد الله تعالى فيها من المنافع والأرزاق وأنواع الخير والبركة ﴿جعل الله صيامه فريضة﴾ وجعل ﴿قيام ليله تطوعا من تقرب﴾ إلى الله تعالى ﴿فيه﴾ أي في هذا الشهر المبارك ﴿بمحصلة من﴾ خصال ﴿الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه﴾ أي فيما سوى رمضان من الأشهر.

﴿ومن أدى فيه فريضة﴾ واحدة ﴿كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر﴾ أي حبس النفس ومنعها عن هواها أو الصبر على امتثال الأوامر واجتناب النواهي ﴿والصبر ثوابه الجنة﴾ هو ﴿شهر المواساة﴾ والاحسان ﴿وشهر يزداد فيه الرزق﴾ أي رزق المؤمن كما في رواية ﴿من فطر فيه صائما﴾ أي من أعطاه في الشهر المذكور فطورا ﴿كان﴾ أي للمعطي ما ذكر ﴿له مغفورة لذنوبه وعتق رقبة من النار وكان له مثل أجره﴾ أي الصائم ﴿من غير أن ينقص من أجره شيء﴾ قالوا ﴿أي الصحابة رضوان الله عليهم﴾ يا رسول الله ليس كلنا نجد ما نفطر به ﴿الصائم قال رسول الله ﷺ يعطي الله هذا الثواب من فطر صائما على ثمرة أو شربة ماء أو مذقة لبن وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفورة وآخره عتق من النار ومن خفف عن مملوك﴾ وفي رواية عن مملوكه أي عن عمله ﴿غفر الله له وأعتقه من النار واستكثروا فيه﴾ أي في رمضان ﴿من أربع خصال خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غنى لكم عنهما أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم﴾ الخصلة الأولى منهما من ﴿شهادة أن لا إله إلا الله﴾ أي لا معبود بحق ﴿إلا الله﴾ وهو أفضل الذكر كما في الخبر لأنها كلمة التوحيد والتوحيد لا يماثل شيء ولأن لها تأثيرا في تطهير الباطن فيفيد نقي الآلهة بقوله لا إله إلا الله ويثبت الوحدةانية لله تعالى بقوله إلا الله ويعود الذكر من ظاهر لسانه إلى باطن قلبه ولأن الإيمان لا يصح إلا بها أي مع محمد رسول الله وليس هذا فيما سواها من الأذكار أناده بعض المحققين.

وتستغفرونه وأما اللتان لا غنى لکم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار ومن سقى صائناً سقاء الله من حوضي شربة لا يظلم بعدها أبداً

وقد وردت في فضيلة هذه الكلمة أخبار كثيرة منها قوله ﷺ أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له وقوله ﷺ ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشرهم كأنني أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رؤسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور وقوله ﷺ من قال لا إله إلا الله خلاصاً دخل الجنة قيل وما خلاصها قال أن تحجزه عن محارم الله وقوله ﷺ لأبي هريرة أن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة الأشهاد أن لا إله إلا الله فإنها لا توضع في ميزان من قالها صادقاً ووضعت السموات السبع وما فيهن كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك وقوله ﷺ لو جاء قائل لا إله إلا الله صادقاً بقراب الأرض ذنوباً لغفر له ذلك وللترمذي من حديث أنس يقول الله يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة وقال حسن إلى غير ذلك من الأخبار التي لا تحصى

﴿والخصلة الثانية﴾ تستغفرونه ﴿لذنوبكم وكان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول سبحانه اللهم ومحمدك اللهم اغفر لي إنك أنت الثواب الرحيم رواه الحاكم من حديث ابن مسعود وعن النبي ﷺ قال سيد الاستغفار أن يقول اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت إذا قال حين يمشي فمات دخل الجنة أو كان من أهل الجنة وإذا قال حين يصبح فمات من يومه بمثله وفي رواية من قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة

* تنبيه * شرح هذا الحديث سيد الاستغفار أي أفضل أنواع الأذكار التي تطلب بها المغفرة هذا الذكر الجامع لمعاني التوبة كلها ولذلك لقب سيد الاستغفار لأن السيد في الأصل الرئيس الذي يقصد في الخواص ويرجع إليه في المهمات وقوله أنت ربى قال الحافظ ابن حجر في نسخة معتمدة من البخاري تكرير أنت وسقطت الثانية من معظم الروايات وأنا عبدك يجوز أن تكون مقرررة أي وأنا عابدك كقوله وبشرناه بإسحاق نيا قاله الطيبي والمراد بالعهد والوعد ما عاهده عليه وواعده من الإيمان به وإخلاص الطاعة له وقيل العهد ما أخذ عليهم والوعد ما جاء على لسان النبي ﷺ أن من مات لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ما استطعت أي مدة دوام استطاعتي ومعناه الاعتراف بالعجز والقصور عن كنه الواجب من حقه تعالى أبوء أي أعترف وألزم قال الطيبي اعترف أولاً بأنه تعالى أنعم عليه ولم يقبده ليشمل كل الأنعام ثم اعترف بالتقصير وأنه لم يقم بأداء شكرها وعده ذنباً مبالغاً في التقصير وهضم النفس وفائدة الإقرار بالذنب أن الاعتراف يحوّل الإقرار قال الشيخ سيدي عبد الله بن أبي جرة ﷺ في شرحه على مختصره من البخاري قد جمع في هذا الحديث من بدیع المعاني وحسن الالفاظ ما يحق له أن ينسب إلى سيد الاستغفار فقيه الإقرار لله وحده بالألوهية والمعبودية والاعتراف بأنه الخالق والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه والرجاء بما وعده به والاستعاذة من شر ما جنى على نفسه وإضافة النعم إلى موجدتها وإضافة الذنب إلى نفسه إذ حظه في المغفرة واعترافه بأنه لا يقدر على ذلك إلا هو وكل ذلك إشارة إلى الجمع بين الحقيقة والشرعية فإن تكاليف الشرعية لا تحصل إلا إذا كان عون من الله تعالى ويظهر أن اللفظ المذكور لا يكون سيد الاستغفار إلا إذا جمع صحة النية والتوجه والأدب

﴿وأما﴾ الخصلتان ﴿التان لا غنى لکم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار ومن سقى صائناً سقاء الله من حوضي شربة لا يظلم﴾ أي لا يبطش ﴿بعدها أبداً﴾ وفي سند هذا الحديث من صحيح وحسن له الترمذي لكن ضعفه غيره ومن ثم ذكره ابن

خزيمة في صحيحه وعقبه بقوله ان صح كذا ذكره في الزواجر .

* مهمة * قال القرطبي في المفهم ونقله الزبيدي مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به ان الله تعالى قد خص حبيبه ﷺ بالحوض المصروح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي اذ روى ذلك عنه ﷺ من الصحابة ما نيف على الثلاثين وفي الصحيحين ما نيف على العشرين وفي غيرهما بقية ذلك كما صح نقله واشتهرت رواته ثم رواه عن المذكورين من التابعين أمثالهم ومن بعدهم أضعاف أضعافهم وهلم جرا واجتمع على اثباته السلف وأهل السنة من الخلف انتهى ومنهم من قال ان لكل نبي من الأنبياء حوضا هنالك يقوم عليه كسبنا ﷺ ففي حديث سمرة عند الترمذي ان لكل نبي حوضا ورواه ابن أبي الدنيا من مرسل الحسن وزاد وهو قائم على حوضه يده عضا يدعون عرف من أمته الأوائهم يتباهون أنهم أكثر تبعا واني لأرجو أن أكون أكثرهم تبعا وروى الطبراني من حديث أبي سعيد وكل نبي يدعوا مته ولكل نبي حوض فمنهم من يأتيه القيام ومنهم من يأتيه العصابة ومنهم من يأتيه الواحد ومنهم من يأتيه الاثنان ومنهم من يأتيه أحد واني لأكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة فان ثبت ما في هذه الاخبار فالمختص بنبينا ﷺ الكوثر الذي يصب من مائه في حوضه فانه لم ينقل نظيره لغيره ووقع الامتان عليه به في سورة الكوثر كذا في الفتح .

* فصل * في تعيين محله قال القرطبي في التذكرة ذهب صاحب القوت وغيره الى أن الحوض يكون بعد الصراط وذهب آخرون الى العكس والصحيح أن للنبي ﷺ حوضين أحدهما في الموقف قبل الصراط والآخر داخل الجنة وكل منهما يسمى كوثرًا وتعبه الحفاظ في الفتح بأن الكوثر نهر داخل الجنة وماؤه يصب في الحوض ويطلق على الحوض كوثر لكونه يمد منه فغاية ما يؤخذ من كلام القرطبي أن الحوض يكون قبل الصراط لأن الناس يردون الموقف وهم عطاش فيرد المؤمن وتساقط الكفار في النار بعد أن يقولوا ربنا عطشنا فترفع لهم جهنم كأنها سراب فيقال ألا ترون فيظنونها ماء فيساقطون فيها وفي حديث أبي ذر لما رآه مسلم ان الحوض يشخب فيه ميزانان من الجنة وهو حجة على القرطبي لانه لأن الصراط جسر جهنم وهو بين الموقف والجنة والمؤمن يمرون عليه لدخول الجنة فلو كان الحوض دونه لحالت النار بين الماء الذي يصب من الكوثر في الحوض وظاهر الحديث أن الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الماء من النهار الذي داخلها وقال غياض ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم من شرب منه لم يظما بعدها أبدا يدل على أن الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار لأن ظاهر حال من لم يظما أن لا يعذب بالنار ولكن يحتمل أن من قدر عليه التعذيب منهم أن لا يعذب فيها بالظما بل بغيره .

والاخبار الواردة في الحوض كثيرة قال أنس رضي الله عنه أغفى رسول الله ﷺ أغفأة فرفع رأسه متبسما فقالوا له يا رسول الله لم ضحكك فقال آية انزلت على آتينا وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر حتى ختمها ثم قل هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله أعلم انه نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه أمسى يوم القيامة آيته عدد نجوم السماء ورواه مسلم وغيره وقال أنس أيضا كان رسول الله ﷺ يقول ما بين لابتى حوضي مثل ما بين المدينة وصنعاء أو مثل ما بين المدينة وعمان قال الزبيدي صنعاء مدينة باليمن وعمان ضبطه ابن الأثير بتشديد الميم وقال إنما مدينة بالشام من أرض البلقاء فأما بالضم والتخفيف فهو صقع عند البحرين انتهى وهذا الحديث رواه مسلم وغيره وقال ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ ان حوضي ما بين عدن الى عمان البلقاء ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظما بعدها أبدا أول الناس ورودا عليه فقرا المهاجرين فقال عمر ابن الخطاب ومن هم يا رسول الله قال هم المشعث رءوسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح أبواب السدد فقال عمر بن عبد العزيز والله لقد نكحت المتنعمات فاطمة بنت عبد الملك وفتح لي أبواب السدد إلا أن يوحيني لأجوم لا

وفي رواية من فطر صائنا في شهر رمضان من كسب حلال صلت عليه الملائكة ليالي رمضان كلها وصافحه جبريل عليه السلام ليلة القدر ومن صافحه جبريل عليه السلام يرق قلبه وتكثر دموعه وروي سلمة بن شبيب عن ابن عباس مرفوعا

أدهن رأسي حتى يشعث ولا أغسل ثوبي على جسدي حتى يتسخ رواه الترمذي وقال غريب وابن ماجه قال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف حدثنا محمد بن بشر حدثنا زكريا عن عطية عن أبي سعيد الخدري رفعه أن لي حوضا طوله ما بين الكعبة إلى بيت المقدس أبيض مثل اللبن وآتية عدد النجوم واني لأكثر الانبياء تبعا يوم القيامة أخرجه ابن ماجه في سننه وعن بريدة بن الحصيب عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ حوضي ما بين عمان واليمن فيه آية عدد النجوم أحلى من العسل وأبيض من اللبن من شرب منه شربة لم يظما بعدها أبدا أخرجه اللالكائي في كتاب السنة وأخرج فيه أيضا عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول بين جنبي حوضي ما بين أيلة إلى صنعاء مسيرة شهر عرضه كطوله فيه مزرعان يشعان من الجنة من ورق وذهب أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج فيه أباريق عدد نجوم السماء من شرب منه لم يظما حتى يدخل الجنة أسناده صحيح على شرط مسلم وأخرج الحسن بن سفيان الضوي في مسنده عن البراء بن عازب رفعه أن لي حوضا لا ذود الأمم عنه يوم القيامة قيل يا رسول الله كيف تعرفهم قال إن أمي غر محجلون وإن عرضه كما بين أيلة وبصرى وإلى صنعاء وآتية أكثر من عدد النجوم وهو أطيب من ريح المسك وأحلى من العسل وأبيض من اللبن وأبرد من الثلج قالوا والحكمة في ذوده ﷺ عن الحوض هو إرشاد كل أحد إلى حوض نبيه فيكون هذا من انصافه ﷺ ورعاية أخوانه من النبيين إلا أنه يطردهم بخلا عليهم الماء ومحمّل أن يكون يطرد من لا يستحق الشرب من الحوض.

* تنبيه * تقدم في أحاديث الحوض في ذكر المسافات أنه ما بين الكعبة إلى بيت المقدس وفي بعضها ما بين ناحيتي حوضي كما بين أيلة وصنعاء مسيرة شهر عرضه كطوله وفي بعضها من صنعاء إلى بصرى وفي بعضها ما بين عدن وعمان وهذه المسافات كلها متقاربة وظن بعضهم أنه وقع اضطراب في ذلك وليس كذلك وأجاب النووي عن ذلك بأنه ليس في ذكر المسافات القليلة ما يدفع المسافة الكثيرة فالأكثر ثابت بالحديث فلا يعارضه وحاصله يشير إلى أنه أخبر أولا بالمسافة اليسيرة ثم أعلم بالمسافة الطويلة فأخبر بما كان الله عز وجل تفضل عليه باتساعه شيئا بعد شيء فيكون الاعتماد على ما يدل على أطولها مسافة ونقل صاحب المواهب عن أبي سعيد في شرف النبوة والنبيلاني من حديث أنس رفعه لحوضي أربعة أركان الأول يد أبي بكر والثاني يد عمر والثالث يد عثمان والرابع يد علي فمن كان محبا لأبي بكر مفضلا لعمر لا يسقيه أبو بكر ومن كان محبا لعلي مفضلا لعثمان لا يسقيه علي انتهى ومن أحسن القول في أبي بكر فقد أقام الدين ومن أحسن القول في عمر فقد أوضح السبل ومن أحسن القول في عثمان فقد استنار بنور الله ومن أحسن القول في علي فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ومن أحسن القول في أصحابي فهو مؤمن هكذا ساقه الزبيدي بإسناد رواه وفي كتاب الثواب لأبي الشيخ من حديث جابر لحوضي أربعة أركان ركن عليه أبو بكر وركن عليه عمر وركن عليه عثمان وركن عليه علي فمن جاء محبا لهم سقوه ومن جاء مفضلا لهم لم يسقوه قال الحافظ بن ناصر الدين الدمشقي لم أقف له على استناد.

وفي رواية من فطر صائنا في شهر رمضان من كسب حلال صلت عليه الملائكة ليالي رمضان كلها وصافحه جبريل عليه السلام ليلة القدر يقال صافحه مصافحة أفضيت يدي إلى يده ومن صافحه جبريل عليه السلام يرق قلبه قال الفيومي رق الشيء يرق من ضرب خلاف غلظ فهو رقيق وتكثر دموعه وروي سلمة بن شبيب عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

الله في كل ليلة من ليالي شهر رمضان عند الإفطار ألف عتيق من النار فإذا كان ليلة الجمعة أعتق الله في كل ليلة من ساعة منها ألف عتيق من النار كلهم قد استوجب النار فإذا ما نزل آخر ليلة من الشهر أعتق في ذلك اليوم بعد ما أعتق من أول شهر إلى آخره أعتقنا الله من النار

﴿الله في كل ليلة من ليالي شهر رمضان عند الإفطار﴾ أي افطار الصائمين بعد الغروب ﴿ألف ألف عتيق من النار فإذا كان ليلة الجمعة أعتق الله في كل ساعة منها ألف ألف عتيق من النار﴾ أي دخولها ﴿فإذا كان آخر ليلة من الشهر أعتق﴾ الله ﴿في ذلك اليوم بعد ما أعتق من أول الشهر إلى آخره﴾ قال المصنف داعيا لربه ﴿أعتقنا الله من النار﴾.

قال أبو الليث السمرقندي حدثني أبي رحمه الله قال حدثنا أبو جعفر الاسكاف عن محمد بن موسى حدثنا الفضل بن عمام حدثنا سلمة بن سيب القاسم بن الحكم العزى عن هشام بن الوليد عن حماد بن سليمان الدوسي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول إن الجنة لتنخر وترين من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان فإذا كان أول ليلة من رمضان هبت ريح من تحت العرش يقال لها الميثرة فتصفق ورق أشجار الجنة وحلق المصاريع فيسمع لذلك طنين لم يسمع السامعون أحسن منه قنطرة الحور العين حتى يقمن على شرف الجنة فينادين هل من خاطب إلى الله تعالى فزوجه الله سبحانه وتعالى منا ثم يقبلن يا رضوان ماهذه الليلة فيجيبهن بالتلبية يا خيرات حسان هذه أول ليلة من شهر رمضان ويقول الله يا رضوان افتح أبواب الجنان للصائمين من أمة محمد ﷺ ويقول يا مالك أغلق أبواب الجحيم عن الصائمين من أمة محمد ﷺ ويقول يا جبريل اهبط إلى الأرض فصعد مرده الشياطين وغلبهم بالأغلال ثم أقذفهم في لجج البحار حتى لا يفسدوا على أمة محمد صيامهم فيقول الله تعالى في كل ليلة من شهر رمضان ثلاث مرات هل من سائل فأعطيه سؤاله هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فأغفر له ثم ينادي من يقرض المولى غير العدم في الوفي غير الظلوم وإن الله تعالى في كل يوم من شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا العذاب فإذا كان في آخر يوم من شهر رمضان أعتق في ذلك اليوم بعد ما أعتق من أول الشهر إلى آخره فإذا كانت ليلة القدر يأمر الله تعالى جبريل فيهبط في كبكبة من الملائكة إلى الأرض ومعه لواء أخضر فيركبه على ظهر الكعبة وله ستمائة جناح منها جناحان لا ينشرهما إلا في ليلة القدر فينشرهما تلك الليلة فيجاوزان المشرق والمغرب فيبعث جبريل الملائكة في هذه الأمة فيسلمون على كل قائم وقاعد ومضل وذافر ويصافحونهم ويؤمنون على دعائهم حتى يطلع الفجر فإذا طلع الفجر نادى جبريل عليه السلام يا معشر الملائكة الرحيل الرحيل فيقولون يا جبريل ما صنع الله في حوائج المؤمنين من أمة محمد ﷺ فيقول إن الله تعالى نظر إليهم وعفا عنهم وغفر لهم الأربعة فقالوا ومن هؤلاء الأربعة قال مدمن خمر وعاق لوالديه وقاطع الرحم ومشاحن قيل يا رسول الله ومن المشاحن قال هو الصارم يعني الذي لا يكلم أخاه فوق ثلاثة أيام فإذا كانت ليلة الفطر سميت تلك الليلة ليلة الجائزة فإذا كانت غداة الفطر يبعث الملائكة في كل البلاد فيهبطون إلى الأرض فيقومون على أفواه السكك فينادون بصوت يسمعه جميع ما خلق الله تعالى إلا الجن والإنس فيقولون يا أمة محمد أخرجوا إلى ربكم يعطي الجزل ويغفر الذنب العظيم فإذا برزوا إلى مصلاهم يقول الله جل جلاله للملائكة يا ملائكتي ما جزاء الأجير إذا عمل عمله فتقول الملائكة الهنا وسيدنا جزاؤه أن توفيه أجره فيقول الله تعالى فاني أشهدكم يا ملائكتي أنني جعلت ثوابهم في صيامهم شهر رمضان وقيامهم رضائي ومغفرتي فيقول الله تعالى يا عبادي سلوني فوعزتي وجلالي لأسألوكم اليوم شيئا لدينكم ودنياكم إلا أعطيتكم إياه.

وقال النخعي صوم يوم من رمضان أفضل من ألف يوم وتسيحة فيه أفضل من ألف تسيحة وركعة فيه خير من ألف ركعة والنفقة فيه مضاعفة كالنفقة في سبيل الله ﴿وروي﴾ عن ابن مسعود أنه قال إذا كان يوم القيامة وأراد الله بعبد خيرا أعطاه الله كتابه جهرا وقال له اقرأ سرا حتى لا يفضح بين خلقه فيقرأ كتابه سرا فلم يسمعه أحد فتقول الملائكة الهنا هذه عناية لم تسبق لأحد من العصاة وقد أوعدت من عصاك أن تعذبه وتحرقه بالنار فيقول سبحانه وتعالى يا ملائكتي اني أحرقته في الدنيا بنار الجوع والعطش في الحر الشديد في شهر رمضان فلا أحرقه اليوم بالنيان وقد عفوت عنه وغفرت له ما سلف من الذنوب والعصيان وأنا الكريم المنان ﴿وحكى﴾ عن بعض أهل العلم أنه قال كان عندنا رجل اسمه محمد وكان لا يصلي إلا قاطعا فإذا دخل شهر رمضان زين نفسه بالثياب الفاخرة والطيب ويصوم ويصلي ويتقضى ما فاتته فقلت له في ذلك فقال هذا شهر التوبة والرحمة والبركة عسى الله أن يتجاوز عني بفضلته فمات فرأيت في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لي لأجل حرمة شهر رمضان غفر الله لنا ولجميع المسلمين .

﴿وقال﴾ إبراهيم بن الأسود ﴿النخعي﴾ فقيه الكوفة رحمه الله تعالى ﴿صوم يوم من رمضان أفضل من﴾ صوم ﴿ألف يوم﴾ من غيره ﴿وتسيحة فيه﴾ أي في رمضان ﴿أفضل من ألف تسيحة﴾ في غيره ﴿وركعة فيه خير من ألف ركعة والنفقة فيه مضاعفة﴾ أجرا ﴿كالنفقة في سبيل الله﴾ أي في الجهاد لأعلاء دين الله .

﴿وروي عن﴾ عبد الله بن مسعود ﴿أنه قال إذا كان يوم القيامة وأراد الله بعبد خيرا﴾ عظيما ﴿أعطاه الله كتابه﴾ أي كتاب عمله ﴿جهرا﴾ أي علانية ﴿وقال له﴾ يا عبدى ﴿اقرأ﴾ كتابك ﴿سرا حتى لا يفضح بين خلقه فيقرأ﴾ كتابه سرا فلم يسمعه أحد ﴿منهم﴾ فتقول الملائكة ﴿يا﴾ الهنا هذه ﴿العطية﴾ عناية ﴿منك لهذا العبد﴾ لم تسبق لأحد من العصاة وقد أوعدت من عصاك أن تعذبه وتحرقه بالنار فيقول سبحانه وتعالى يا ملائكتي اني أحرقته في الدنيا بنار الجوع والعطش في الحر الشديد في شهر رمضان فلا أحرقه اليوم ﴿أي يوم القيامة﴾ بالنيان وقد عفوت عنه وغفرت له ما سلف ﴿أي ما تقدم﴾ من الذنوب والعصيان وأنا الكريم ﴿وهو المفضل بالنوال قبل السؤال أو مطلقا أو الذي لا ينفذ عطاؤه أو الصفوح﴾ المنان ﴿مبالغة من المان وهو الذي يعطى النعم تفصيلا منه لا وجوبا عليه وقيل الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال والحنان هو الذي يقبل على من أعرض عنه والمن والمنة يطلقان على النعمة قال تعالى لقد من الله على المؤمنين الآية ويطلقان على تعداد النعم تقول فعلت مع فلان كذا وكذا قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى والمان هنا يجوز أن يكون مأخوذا من كل منهما لأنها في حق الله تعالى صحيحان وإن كان الثاني في حق الإنسان ذما .

﴿وحكى﴾ * عن بعض أهل العلم أنه قال كان عندنا رجل اسمه محمد وكان لا يصلي إلا قاطعا ﴿بكسر التاف وفتح الطاء جمع قطعة بمعنى طائفة من الزمان مثل سدرية وسدر يعني أن هذا الرجل قد يفعل الصلاة في بعض الأحيان وقد تركها في ذلك﴾ فإذا دخل شهر رمضان زين نفسه بالثياب الفاخرة ﴿أي الجيدة﴾ والطيب ويصوم ويصلي ويتقضى ما فاتته ﴿من الصلاة قال بعض أهل العلم﴾ فقلت له في ذلك ﴿أي ما السبب في تزين نفسك بالثياب الحسنة والطيب واجتهادك للعبادة في هذا الشهر دون غيره﴾ فقال هذا ﴿أي رمضان﴾ شهر التوبة والرحمة والبركة عسى الله أن يتجاوز عني بفضلته ﴿تعالى ورحمته﴾ فمات ﴿الرجل المذكور﴾ فرأيت في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال غفر الله ﴿لي لأجل حرمة شهر رمضان﴾ قال المصنف داعيا لربه ﴿غفر الله لنا ولجميع المسلمين﴾ آمين .

* تمة * يجب مراقبة أول رمضان كما قاله الغزالي وغيره وذلك بالتماس هلاله في ليلة الثلاثين من شعبان لأن الشهر قد يكون تسعة وعشرين يوما كما في الخبر الشهر هكذا وهكذا وهكذا يشير بأصابع يديه وخمس إبهامه في الثالثة يعني تسعة وعشرين يوما وقال الشهر هكذا وهكذا وهكذا من غير خمس فيجب طلبه لأقامة الواجب فان غم بعملة كالنسيم والغبار ونحوهما فباستكمال العدة ثلاثين يوما من شعبان لما في البخاري من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ ذكر رمضان فقال لاتصوموا رمضان حتى تروا الهلال ولا تقطروا حتى تروه فان غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين وللحديث الفاظ أخرى في الصحيحين .

والحاصل ان صوم رمضان يجب بأحد أمور أربعة كمال شعبان ثلاثين يوما أو رؤية الهلال في حق من رآه وإن كان فاسقا أو ثبتها في حق من لم يره بعدل شهادة أو أخبار عدل رواية موثوق به سواء وقع في القلب صدقه أم لا خلافا لما ذكره في شرح المنهج أو غير موثوق به كما سبق ان وقع في القلب صدقه ولورآه فاسق جهل الحاكم فسقه جاز الاقدام على الشهادة بل وجب أن توقف ثبوت الصوم عليها وإذا صمنا برؤية عدل أو عدلين ثلاثين أفطروا وإن لم نر الهلال بعدها وإن روى بمحل لزم حكمه محلا قريبا منه ويحصل القرب باتحاد المطالع قال بعضهم بأن يكون غروب الشمس والكواكب وطلوعها في البلدين في وقت واحد فان غرب شيء من ذلك أو طلع في أحد البلدين قبله في الآخرة أو بعده لم يجب على من لم يروا برؤية البلد الآخر حتى لو سافر من أحد البلدين إلى الآخر فوجدهم صائمين أو مفطرين لزمه موافقتهم في أول الشهر وآخره وقال أبو مخزومة إذا كان بين غروبى الشمس بمحلين قدر ثمان درج فأقل فمطلعهما متفق بالنسبة لرؤية الأهلة وإن كان أكثر ولو في بعض الفصول فمختلف أو شكوك فيه فهو كالمختلف كما نص عليه النووي وهذا أمر مرجعه إلى طول البلاد وعرضها سواء قربت المسافة أو بعدت ولا تنظر إلى مسافة القصر وعدمها .

ويجوز للمنجم وهو من يرى ان أول الشهر طلوع النجم الفلاني والحاسب وهو من يعتمد منازل القمر وتقدير سيره العمل بمقتضى ذلك لكن لا يجوزهما عن رمضان لو ثبت كونه منه بل يجوز لهما الاقدام فقط قاله في التحفة والفتح وصحح ابن الرفعة في الكفاية الاجزاء وصوبه الزركشى والسبكي واعتمده في الايعاب والخطيب بل اعتمد الرملى تبعا لوالده الوجوب عليهما وعلى كل من اعتقد صدقهما وعلى هذا يثبت الهلال بالحساب كالرؤية للحاسب ومن صدقه فهذه الآراء قريبة التكافؤ فيجوز تقليد كل منها والذي يظهر أو سطحا وهو الجواز والاجزاء نعم ان عارض الحساب الرؤية فبالعمل عليها لاعليه على كل قول وعمل الحاسب بحسابه شامل للحالات الثلاث وهى القطع بوجود الهلال ورؤيته أو بوجوده وامتناع رؤيته أو بوجوده وجواز رؤيته كما صرح به الرملى في فتاويه ونقله ابن قاسم على التحفة وأقره وتبعه الشبرا الملسى وحزم به الشرفاوى والحضرى والابيارى وغيرهم وقد قال بعضهم في حديث صوموا لرؤيته الخ بعد كلام طويل مانصه والوجه الذي لا يجوز غيره أن تحمل الرؤية على امكانها في الصوم والفطر انتهى ورجح في التحفة ان الحساب لودل على كذب الشاهد بالرؤية واتفق أهله على ان مقدماته قطعية وكان المخبرون منهم بذلك عدد التواتر ردت الشهادة بالرؤية أي لأن شرط المشهود به امكانه عقلا وعادة وتسرعوا لأن غاية الشهادة الظن وهو لا يعارض القطع وتظير الزركشى فيه بان الشرع لا يعتمد الحساب بل ألفاه بالكلية يرد بأنه ممنوع بل نظر إليه هنا في جواز صيام الحاسب استنادا إليه وفي بيان اختلاف المطالع واتفاقها وفي مواقيت الصلاة وغير ذلك كذا في الايعاب وقال في البنية قلا عن فتاوى السيد عبد الله بن حسين باقره ومن المعلوم لدى كل أهل هذا الفن اتفاق أهل الحساب قاطبة على أن مقدماته قطعية وعلى عدم امكان الرؤية في مسائلنا والمخبرون هم ومن تلقى عنهم بإجماع فضلاء عن عدد التواتر وكبهم مصرخة بذلك .

واعلم أنه لم يرد في أحاديث رسول الله ﷺ ما يصرح باعتبار حساب المؤقتين في وجوب الصوم أو الفطر ولم يعول أكثر الفقهاء سلفاً وخلفاً على قول علماء الميقات ولم يعتمدوا على الحساب في دخول رمضان للصوم ودخول شوال للخروج منه لأن الشارع علق كلا من الصوم والفطر على الرؤية بقوله صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته والمبادر من الرؤية البصرية بالفعل وإنما غلقهما عليها بالمعنى المذكور رحمة بالمكلفين وتيسيراً لهم قال السبكي في العلم المنشور في اثبات الشهور وجعل ذلك علماً على الشهر في الشريعة ليكون خطاباً بأمر ظاهر يعرفه كل أحد ولا يغلط فيه بخلاف الحساب فإنه لا يعرفه إلا القليل من الناس ويقع الغلط فيه كثيراً للتقصير في علمه ولبعد مقدماته وربما كان بعضها ظنياً فاقتضت الحكمة الإلهية والشريعة الحنيفة السميحة التخفيف عن العباد وربط الأحكام بما هو يسير على الناس من الرؤية أو اكمال العدد ثلاثين انتهى وليس عدم الاعتماد على الحساب لبطلانه وعدم صحة مقدماته في الواقع ونفس الأمر وتزيغته وتكذيب قائله بل لأن الشارع ألغاه في هذا الحكم لما ذكره الالغاء شيء والابطال شيء آخر فإن الشارع قد ألغى أموراً في مواضع من غير أن يبطلها فقد ألغى إصابة القبلة إذا صلى بلا تجرؤ واجتهاد واعتقر الخطأ فيها إذا صلى بتحرؤ واجتهاد عند اشتباهها عليه وألغى العلم القطعي الذي يحصل للإمام أو القاضي من المشاهدة في إقامة الحدود والقتل واعتبر الظن الذي يحصل له من شهادة المشهود فمنعه من إقامتها في الأول وأوجب عليه إقامتها في الثاني مع أن الأول من قبيل الحس وهو يفيد العلم القطعي قطعاً والثاني من قبيل خبر الواحد وهو لا يفيد إلا الظن قال ابن كثير اتفق العلماء على أن القاضي لا يقبل بعلمه .

ومما يؤيد القول بالعمل بالحساب الصحيح كما ذكره المطيعي في إرشاده أن أهل الشرع من الفقهاء وغيرهم يرجعون في كل جاذئة إلى أهل الخبرة بها وذوى البصيرة فيها أنهم يأخذون بقول أهل اللغة في معاني ألفاظ القرآن والحديث مع أن طريق نقلها ظني ويقول الطبيب المحاذف في افطار رمضان وغير ذلك فما الذي يمنع من بناء اكمال شعبان ورمضان وغيرهما من الأشهر على الحساب والرجوع في ذلك إلى أهل الخبرة العارفين به إذا أشكل علينا الأمر في ذلك على كون مقدماته قطعية وموافقة لما نطق به آيات القرآن وقد قال الإمام المرغيناني صاحب الهداية في مختارات النوازل علم النجوم في نفسه حسن غير مذموم اذ هو قسمان حسابي وأنه حق وقد نطق به الكتاب قال تعالى والشمس والقمر بحسبان أي سيرهما بحساب واستدلوا بسير النجوم وحركة الأفلاك على الحوادث وهو جائز كأستدلال الطبيب بحس النبض على الصحة والمرض وقوله ﷺ أنا أمة أمية لأنكذب ولا نحسب ليس ما يدل على تحطئة الكتابة والحساب بل يدل على تصويبهما وتصديقهما فإن صدوره في معرض اظهار المعجزة وبيان أن معارفه آلهية بوحى يوحى من عند الله تعالى فإن حاصل المراد منه أننا نعرف ذلك بأعلام الله تعالى وتعرفه لنا لا بغيره لأن أمة أمية لا تستعمل الحساب ولا تداول الكتابة وإنما يعرفه الحساب بمزاولة حسابهم والكتاب بالكتابة عن غيرهم قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذا لارتاب الميطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون انتهى وقال السبكي قوله ﷺ أنا يعني العرب لأن الغالب عليها ذلك وإن كان قد يعلم بعضهم الكتابة والحساب وكونهم لا يكتبون ولا يحسبون شرف لهم لما سبق في علم الله من أنهم أمة النبي وليس في الحديث أيضاً ابطال قول الحاسب في أن القمر يجتمع مع الشمس أو يفارقها أو يمكن رؤيته أو لا يمكن رؤيته والحكم بكذبه في ذلك وإنما في الحديث عدم اناطة الحكم الشرعي وتسمية الشهر به انتهى .

ومما يؤيد القول بالعمل بالحساب الصحيح أيضاً قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه وشهود الشهر ما بمعنى الحضور فيه وعدم السفر وإنما بمعنى العلم بوجوده وهذا الثاني هو الظاهر من الآية فإن الشهود بمعنى العلم هو سبب وجوب الصوم وقوله تعالى فليصمه جاء

مرتبا عليه بالقاء خبرا لمن أوجوبا للشرط فيكون الظاهر من الآية كل من علم منكم بوجود الشهر المعهود وهو شهر رمضان وجب عليه صومه ووجود الشهر شرعا كما هو مقتضى الأحاديث بوجود هلاله بعد غروب الشمس بحيث يرى الناظر فمن علم بوجود هلال الشهر بعد الغروب بأي طريق من طرق العلم الشامل لغلبة الظن سواء كان ذلك العلم برؤية نفسه أو باخبار من يثق به برؤيته أو بأمر القاضي بذلك وعلمه بأمره أو بحساب فلنكني دل على وجوده وامكان رؤيته بلاعسر لولا المانع وجب عليه الصوم.

وقد كان القول بالإعتماد على الحساب هو قول فريق من العلماء منهم السبكي وابن سريج ومطرف وابن قتيبة وابن مقاتل الرازي وهومن اصحاب محمد بن الحسن وهو قول بعض كبار التابعين وكفى بأولئك قدوة ولا ينافي ذلك ما قاله أبو عمر أنه لا يصح اعتقاد رمضان الا برؤية فاشية أو شهادة عادلة أو اكمال شعبان ثلاثين يوما لأننا سلم ما قال ولكن نقول لا يلزم أن تكون الرؤية بالفعل بل يكفي في الرؤية الفاشية أن يقوم الدليل على أنه يرى لولا المانع ولا ينافي ذلك ايضا ما قاله المازري أن الناس لو كفوا بالحساب ضاق عليهم لأنه لا يعرفه الا الافراد والشارع انما يأمر الناس بما يعرفه جماهيرهم لأنه انما يلزم ذلك لو كف الناس بالحساب ولم يقل بذلك أحد وماذا يصنع الذين لا يعتمدون الحساب في البلاد التي يستمر فيها طلوع الشمس وظهورها شهرين وأكثر الى ستة أشهر ويستمر اختفاؤها كذلك فهل يمكن لأهل تلك البلاد أن يصوموا برؤية الهلال بالفعل بعد الغروب أو يمكن أن يقول أحد أنهم غير مكلفين بالصوم اذا وافق رمضان شهرا من الأشهر التي تظهر فيها الشمس أو تختفي فيها مع أن القمر يجتمع مع الشمس في كل شهر مرة ويفارقها فإذا فارقها فهو أول الشهر القمري وذلك لا يختلف في جميع الكرة الأرضية وانما الاختلاف في مدة ظهور الشمس ومدة اختفائها ففي بعض الجهات يكون ظهور الشمس شهرين أو ثلاثة الى أن يكون في بعضها ستة أشهر تظهر فيها الشمس ستة تختفي فيها فالأشهر القمرية متحققة في كل جهة والسنة القمرية كذلك.

وبالجملة فالدورة اليومية والشهرية والسنية بجميع اقسامها لا تختلف في جميع أنحاء الكرة الأرضية فكما أنه في كل دورة يومية تجب الصلوات الخمس وتقدر أوقاتها بالساعات الفلكية بحسب أقرب البلاد المعتدلة الى أولئك مع أنه لازوال ولا بلوغ ظل كل شيء مثله او مثليه ولا غروب للشمس ولا غيبة للشفق الاحمر ولا الأبيض ولا طلوع للفجر لا كاذبا ولا صادقا وبالجملة فجميع علامات أوقات الصلاة مفقودة في الدورة اليومية في البلاد التي يستمر فيها ظهور الشمس أو اختفاؤها أكثر من أربع وعشرين ساعة الى ستة أشهر كذلك الدروة الشهرية شمسية أو قمرية والدورة السنوية شمسية أو قمرية موجودتان في جميع أنحاء الكرة وقد ثبتت فرضية كل واحدة من الصلوات الخمس بالكتاب والسنة واجماع الأمة على كل واحد من المكلفين من غير اختصاص بأهل قطر دون قطر وبدون حصرها في كل أهل عصر دون أهل عصر.

وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على أن لكل صلاة وقتا على حدة كما هو مبين في الصحاح كالبخاري ومسلم وغيرها وقد جاءت تلك الأحاديث بينا لقوله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فانه يدل على كونها فرضا موقتا محدود الاوقات لا يجوز اهمالها واضاعتها واخراجها عن أوقاتها لقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون الآية فانه يدل على أنها موزعة الى تلك الأوقات المعروفة في الدين ضرورة من الغدوة والظهيرة والعشية والمساء ولقوله تعالى أقم الصلاة طرقي النهار وزلفا من الليل وقوله وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه فهذه الآيات ظاهرة في تعلق

الصلوات الخمس بأوقاتها. وإن لكل صلاة وقتا وإن كانت مجتمعة فجاءت الأحاديث من قوله النبي صلى الله عليه وسلم وفعله المتواترين بيانا لذلك وعليه انعقد الإجماع.

ولا شك أن الزمان إنما هو مقدار متجدد غير قار سواء قلنا أن حقيقة مقدار حركة الفلك الأعظم على ما صرح به القاضي أبو زيد الدبوسي في كتابه المسمى بالأمد الأقصى وغيره من الأئمة العظام موافقة لما قاله الفلاسفة وإن كان جعله مقدار حركة الفلك إنما هو بحسب ما يبدو للنظر والا فالأقرب للصواب أن الحركة اليومية والحركة السنوية كلاهما منسوبتان للأرض ودورانها حول الشمس كما هو مذهب الفلاسفة الاقدمين وهو مذهب علماء الفلك اليوم أو قلنا أن حقيقة الامتداد المنتزع من الحوادث المتجددة باعتبار تقدم بعضها على بعض وتأخر بعضها على بعض في الوجود فانه على كل من القولين لا يخرج عن كونه المقدار المتجدد غير القار فاجعله ما شئت وسمه بما شئت فانه على كل حال لا يدخل في حقيقة شيء من الألوان من الحمرة والصفرة والبياض والظلمة والاطلوع ولا الزوال والعشى والغروب ولا يتوفق على وجودها وإنما هي أعلام معرفات مضى الزمان وانقضاء المقدار المعين من الأوقات يعرف بها حضور الأوقات التي جعلت بحكم الشرع مدار الأداء للصلوات ووجوبها قال تعالى يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج والمعنى والله أعلم أن الأهلة وماماثلها من العلامات مواقيت للحج وماماثلها من العبادات وإن هذا هو الذي يلزم المكلف السؤال عنه ومعرفة لا ما سئلوا عنه ولكن لا يتحقق شيء من ذلك باتقانها لأنها أعلام ومعرفات فقط.

ومثل تلك الأعلام التي نصبها الشارع علامة على ما ذكر مثل العلامات التي توضع لبيان مقادير المسافات في الأمكنة بأن يوضع على مقدار معين عانود منصوب ليكون علامة على ذلك المقدار فمقادير المسافات على حالها بقيت تلك العلامات أوزالت فالصلوات الخمس على هذا المتوال أديرت على الأوقات وجعل طلوع الفجر والزوال وبلوغ ظل كل شيء مثله أو مثله وغروب الشمس وغيبه الشفق الأبيض أو الأحمر علامات لوجوبها وأدائها معرفات لما يتمكن به العامة والخاصة من العلم بحضور الأوقات المعينة للصلوات ولم يجعل الشارع مدار العلم بتلك الأوقات على الآلات الرصدية والعلوم الحسابة والساعات الفلكية فانها وإن كانت معرفة أيضا لا نقضاء الزمان وحضور الأوقات إلا أنها لا تيسر لكل مكلف في كل موضوع فلا يتمكن من المعرفة بها كل أحد وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم جئتكم بالسحرة السهلة البيضاء ولكن بما لا شبهة فيه أن الشارع لم يجعل مدار وجوب الصلوات وأدائها تلك العلامات على الأوقات إلا بالنظر إلى الغالب لم يرد أن الصلوات تسقط إذا لم توجد تلك العلامات فتعين حينئذ أن نصير إلى معرف آخر كما أن الشارع لم يجعل مدار العلم بتلك الأوقات على علم الحساب ولم يمنع من الاستدلال به على تلك الأوقات لمن يعرفها لأنها معرفة أيضا كما علمت ألا ترى أنهم جعلوا بلوغ ظل كل شيء مثله أو مثله علامة على دخول وقت العصر وخروج وقت الظهر وليس المراد من هذا إلا تعيين وقت صلاة الظهر وتقديره بالمدة الفاصلة بين زوال الشمس لو كان وبين صيرورة ظل كل شيء مثله أو مثله لو كان وهكذا يكون المراد بزوال الشمس وغروبها وغيبه الشفق وطلوع الفجر وإدائها لم يوجد في الدورة اليومية شيء من ذلك فبعدم وجود تلك العلامات بقدرها بالساعات بحسب البلاد المعتدلة القريبة من البلاد التي لا يوجد فيها تلك الأوقات كما سبق ألا ترى أن الفلكيين قسموا السنة إلى فصول أربع وجعلوها تقطى اعتدال واتقلاب وغير ذلك وكل هذا ليس إلا باعتبار الغالب فكذلك الشارع إنما بنى خطابه على ما هو الغالب وعلى ذلك يكون الأمر كذلك في الصوم وعلى ما قلنا.

يقول بنحو الصوم من وقت طلوع الفجر الى وقت غروب الشمس في اليوم الذي تمكث الشمس فيه ظاهرة مقدار شهرين أو ثلاثة أو ستة أشهر عملاً بقوله تعالى وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل أو أن يقول انه يأكل ويشرب الى طلوع الفجر اذا خفت الشمس شهراً أو شهرين أو أكثر ووافق ذلك شهر رمضان أم يتعين أن يقال أمثل هذا الخطاب مبني على الغالب وكأنه قال وأما الذين يستمر عندهم ظهور الشمس أو اختفاؤها أكثر من أربع وعشرين ساعة فيقدرون وقت الصوم ووقت الافطار بالساعات بحسب أقرب الجهات المعدلة اليهم وذلك انما يكون بالحساب بلا شبهة .

فكما أن علماء الفلك بنوا أحكامهم على الغالب ولم يهملوا حكم غير الغالب كذلك الشارع بنى أحكامه في بيان أوقات الصلاة والصوم على الغالب ولكن لم يهمل بيان حكم غير الغالب فقد أخرج مسلم في صحيحه من رواية يونس بن سمعان من حديث الدجال وفيه قلنا يا رسول الله ﷺ فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم قال لا أقدر رواه وكذلك عدة أحاديث غيره جاءت في هذا المعنى فهل يمكن أن يقال أن معنى أقدر رواه له أتموا وأكملوه كلاب يتعين أن يكون المراد أنظروا فيه وتدبروه حتى تعرفوا الاوقات وذلك يختلف باختلاف الناس ولا يلزم أن يكون كل الناس عارفين بالعلامات التي تدل على حضور الاوقات بل يكفي أن يعرف ذلك البعض ومن لم يعرف يعرف بمن يعرف قال تعالى فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون ألا ترى أنه لو كان أهل بلد عبياناً ماعداً أفراداً قلائل فان هؤلاء المبصرين يعرفون علامات الاوقات ويخبرون الباقيين فكذلك الخواص يعرفون العلامات بالحساب ويخبرون من لا يعرفون ومنى كانوا عدولاً وجب قبول خبرهم ولا شك أن حديث الدجال وان كان مسوقاً لبيان حكم الصلاة في أيامه ولكن علم منه أن مدار العبادات على الدورة اليومية والدورة الشهرية والسنوية وبيان حكم الصلاة في أيامه بيان لحكمها فيما يماثل أيامه والظاهر أن الشارع أشار الى أن الأيام تختلف في الطول والقصر وأنها لاتساوى في سائر الاقطار بل يكون اليوم في بعضها كاسبوع وبعضها كسنة وأن حكم العبادات لا يختلف بسبب ذلك الاختلاف .

وما يرشد الى ذلك اقتضاره في غاية الطول على سنة ولا يكون اليوم في الواقع ونفس الأمر أكثر من ذلك فان غاية ما يكون ظهور الشمس ستة أشهر واختفاؤها كذلك فلا يتجاوز اليوم بنهاره وليله سنة أي دورة كاملة وقد يتفاوت الليل والنهار طولاً وقصرًا في جهات الكرة الأرضية ولكن لا يتجاوزان هذا المقدار فان الدورة لاتكون أكثر من سنة فهذا كله دليل على أن الشارع لم يأمر بالصلاة لدولك الشمس مثلاً ولا بالصوم لرؤية هلال رمضان وغير ذلك من الاوقات التي جعلها علامات لأوقات العبادات الالبناء على الغالب وتكون العلامات التي يعرف بها أوقات العبادات ظاهرة للخواص والعوام في غالب المعمورة لا لأن العبادات تسقط اذا لم توجد تلك العلامات لأن سقوطها لا يوجب سقوط نفس الاوقات فلا تسقط العبادات ولا لأن الشارع يمنع الاعتماد على العلامات الأخرى التي تدل على الاوقات أيضاً من آلات الرصد والحساب والساعات على أن الفقهاء كثير ما اعتمدوا على الحساب في تقدير السنة القمرية التي قدروا بهامدة التأجيل في العنين وسن اليأس وغير ذلك فقالوا أن السنة القمرية المعبرة في ذلك ثلاثمائة يوم وأربعة وخمسون يوماً وخمسة يوم وسدسه وبعضهم قال انها ثلاثمائة يوم وأربعة وخمسون يوماً بالتقريب وأن فضل ما بينها وبين السنة الشمسية عشرة أيام وثلاث يوم وربع عشر يوم وهذا لا يمكن الوقوف عليه إلا بالحساب وسير الشمس والقمر فاعرف ذلك فانه مهم جداً وأما ما ذكر في الكنز وغيره من سقوط العشاء والوتر في البلاد التي يطلع فيها الفجر قبل غيبة الشفق فهو غلط كما بينه في الفتح وغيره والله ولي التوفيق والهداية كذا ذكره العلامة الشيخ محمد بن حجت في إرشاده والله أعلم .

﴿فصل في أحكام الصوم﴾

فرضه نية ليلا لكل يوم من رمضان وأقلها

﴿فصل في أحكام الصوم﴾

﴿فرضه﴾ ثلاثة أشياء أحدها ﴿نية﴾ بأن يستحضر ذات الصوم أي الإمساك ويقرنه بالنية أي يقصد ثبوته وتحققه والاتصاف به ولو تسحر ليصوم أو شرب لدفع العطش عنه نهرا أو امتنع من الأكل أو الشرب أو الجماع خوفاً لطلوع الفجر كان نية أن خطر الصوم بئالهِ بصفاته الشرعية تضمن كل منها قصد الصوم وإنما اشترطت النية فيه مع أنه ترك وهي لا تجب في التروك لأنه كف قصده به قمع الشهوة فالتحق بالفعل وحملها القلب فلا تكفى باللسان قطعاً كما لا يشترط التلفظ بها قطعاً خلافاً لما يأتي عن المصنف ويعلم من كون محلها ما ذكر أنه لو نوى الصوم بقلبه في أثناء الصلاة صحت نيته وكالصوم في ذلك الاعتكاف على المعتمد.

وتصح نية الصوم أيضاً حال الجماع بخلاف نية الحج أو العنزة والفرق أنه لو صحت نيتهما حيثما لصار متلبسا بالعبادة في حال جماعه ولا كذلك نية الصوم فإنه لا يتلبس بالصوم إلا بعد ما علم من اشتراط تيسرها في الفرض واشتراط عدم المنا في نهارا في النفل فلم يلزم من اقترانه بالجماع التلبس بالعبادة إذ لا تلبس بها إلا بعد الفجر فافترق الصوم مع ما ذكر وإن كان كل يفسده الجماع بعد اعتقاده فتصح النية وإن أتى بعدها بمناف للصوم كان جامع أو استقاء أو جن أو حاضت المرأة أو نفست وقد تم في الليل أكثر الحيض أو النفاس أو تم قد رعاها فيها وإن لم ينقطع الدم فيها خلافاً لما ذكره في المنهج لأن الزائد على ذلك استحاضة بخلاف ما لو أتى بمناف للنية كأن رفضها أو ارتد بعدها فلا يصح.

وأما يجب اتقاء النية ﴿ليلاً﴾ أي بين الغروب وطلوع الفجر لخبر من لم يبيت الصيام قبل الفجر فلا صيام له رواه الدارقطني وقال رجاله ثقات وهذا في صوم الفرض أما صوم النفل فيكفى فيه نية بالنهار قبل الزوال بشرط اتقاء الموانع قبلها ولا بد من نية ﴿لكل يوم من رمضان﴾ فلو نوى ليلة أول صوم جميعه لم يكف لغير اليوم الأول لكن ينبغي له ذلك ليحصل له صوم اليوم الذي نسيها فيه عند مالك كما يسن له أن ينوي أول اليوم الذي نسيها فيه ليحصل له صومه عند أبي حنيفة وواضح أن محله أن قلده والا كان متلبسا بعبادة فاسدة في اعتقاده وهو حرام ولوشك نهارا هل نوى ليلاً أم لا فإن تذكر قبل الغروب قال الأذرعى أو بعده ولو بعد سنين ضحك والأفلا ولوشك هل وقعت نيته قبل الفجر أو بعده لم يصح لأن الأصل عدم وقوعها ليلاً إذا الأصل في كل حادث تقديره بأقرب زمن بخلاف ما لو نوى وشك هل طلع الفجر أو لا لأن الأصل عدم طلوعها أما لو شك هل طلع الفجر أو لا ثم نوى فإنه لا يصح للتردد في النية.

فالحاصل أنه إن طرأ الشك في طلوع الفجر بعد النية لم يضر وإن سبقها ضرر ولوشك بعد فرائض صوم اليوم هل نوى أولاً ولم يتذكر لم يؤثر لمشفة إعادة الصوم بخلاف الصلاة ولا يرد أن العلة المذكورة موجودة في الحج مع وجوب إعادته لأنه وظيفة العمر فاحتيط له ولو نوى قبل الغروب أو مع طلوع الفجر لم يحجز للخبر المذكور.

﴿وأقلها﴾ أي النية المجزئة في رمضان نويت الصوم غداً من رمضان فلا بد من الأتيان بقوله من رمضان على المعتمد لأن التعيين شرط في نيته ولا يحصل إلا بذلك لا بمجرد ذكر الغد فإن جمع بينهما كان أكمل كما سيأتي فالغد مثال للتعيين ولا يجب التعرض له ولا يحصل به تعيين ورمضان مثال للتعين.

ت صوم رمضان والأكل نويت صوم غد عن أداء فرض رمضان هذه السنة لله تعالى والتلفظ بها وترك منظر نهارا وسنة السحور

وأقل النية ﴿نويت صوم رمضان﴾ بدون الفرض على المعتمد كما في المجموع تبعا للأكثرين لأن صوم رمضان من البالغ لا يقع فرضا ومقتضى كلام الروضة والمنهاج وجوبه أو بلا غد لأن لفظ الغد كما في الروضة وغيرها اشترى في كلام الأصحاب في تفسير التعيين بث قالوا بأن ينوى صوم غد وهو في الحقيقة ليس من حد التعيين أي لا يتوقف التعيين عليه ولا يحصل صوم رمضان مع الإقتصار عليه وإنما مع ذلك من نظرهم في التيسير حيث فسروه بتفسيرين الأول إيقاع النية ليلا والثاني الغد قال الرملى ويستثنى من وجوب التعيين ما لو كان به قضاء يومين من رمضان أو صوم نذر أو كفارة من جهات مختلفة فنوى صوم غد من قضاء رمضان أو صوم نذر أو كفارة جاز وإن لم ن عن قضاء أيهما في الأول ولا نوعه في الباقي لأنه كله جنس واحد .

﴿والأكل﴾ أي أكمل النية في صوم رمضان ﴿نويت صوم غد﴾ هو اليوم الذي يلي الليلة التي نوى فيها ﴿عن أداء فرض رمضان هذه السنة لله تعالى﴾ بإضافة رمضان لما بعده وذلك للتمييز عن أضدادها لكن فرض غير هذه السنة لا يكون الإقضاء وقد خرج بد الأداء الآن يقال لفظ الأداء لا يغنى عن السنة لأن الأداء يطلق ويراد به الفعل ولو ترك ذكر السنة .

والأداء والإضافة إلى الله تعالى جاز كما في الصلاة قال الزيدى وأما الصوم وكونه من رمضان فلا بد منهما إلا ما كان من وجه يلحق كما حكاه صاحب التمهيد أنه يصح صوم رمضان بنية مطلقة قال النووي وهو شاذ وأما الأداء والفرضية والإضافة إلى الله تعالى بها الخلاف المذكور في الصلاة كذا ذكره الرافعي في كنبه وتبعه النووي في الروضة وظاهره أن يكون الأصح اشتراط الفرضية دون الأداء لإضافة إلى الله تعالى لكن ضحح في المجموع تبعا للأكثرين عدم اشتراطها هنا وهو المعتمد بخلافه في الصلاة .

وأما رمضان هذه السنة فالمذهب أنه لا يشترط وحكى الإمام في اشتراطه وجها وزينه وحكى صاحب التهذيب وجهين في أنه مب أن ينوى من فرض هذا الشهر أم يكفي فرض رمضان والصواب والصحيح ما تقدم فانه لو وقع التعرض لليوم لم يضر الخطأ في أوصافه ونوى ليلة الثلاثاء صوم الغد وهو معتقده يوم الاثنين أو نوى رمضان السنة التي هو فيها وهو معتقدها سنة ثلاث وكانت سنة أربع صح يومه بخلاف ما لو نوى يوم الثلاثاء ليلة الاثنين أو رمضان سنة ثلاث وهو في سنة أربع فانه لا يصح لأنه لم يعين الوقت وأما صوم التطوع فانه صح بنية مطلق الصوم كما في الصلاة .

﴿و﴾ ثانيها ﴿التلفظ بها﴾ أي بالنية لكن في المجموع وغيره أنه يسن التلفظ بها قياسا على الصلاة وليساعد اللسان القلب خروجا من خلاف من أوجبه في سائر العبادات فقول الشيخين لا يشترط النطق بلا خلاف معترض بذلك نعم أشار بعضهم وتبعه صنف إلى شذوذ القول بوجوبه فلعلهما ألغيا النظر إليه لذلك .

﴿و﴾ ثالثها ﴿ترك منظر نهارا﴾ هذا معنى قول غيره وإسالك عن المنظر من تناول طعام وغيره .

﴿وسننه﴾ أي الصوم كثيرة منها ﴿السحور﴾ أي السحر فهو بضم السين لأنه بضمها الفعل وأما بفتحها ما يتسحر به وذلك أو رد من قوله ﷺ تسحروا فان في السحور بركة وغيره مما يأتي من الأخبار وقيل المراد بالبركة زيادة القوة على أداء الصوم والنشاط وعليه لسحور بالفتح والمعنى كلوا واشربوا في ليالي رمضان قيل الصبح فان المأكول والمشروب من ذلك الوقت يزيد القوة وينشط ويحصل سببه الرغبة في الإزاد من الصيام لحفة المشقة فيه على المسحر وقيل المراد بها زيادة الأجر والثواب وعليه فهو بالضم والمعنى كلوا اشربوا الخ فان في الأكل والشرب زيادة الأجر والثواب والمعنى الأول أولى ويؤيده حديث استعينا بطعام السحر على صيام النهار

وبالتمر أحب ويحصل ولو بجرعة ماء ووقته من نصف الليل وتأخيره أولى ما لم يقع في الشك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السحور
أكله بركة فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين رواه أحمد وقال صلى الله عليه وسلم
خير خصال الصائم السواك رواه البيهقي وقال إذا صمت فاستاكوا بالغداة ولا تساكوا بالعشي

وبالقبولة على قيام الليل دل ذلك على أن الحكمة في مشروعيته التقوى على أداء الصيام وحديث العرياض بن سارية قال دعاني رسول
الله ﷺ السحور فقال هلم إلى الغداء وهو بكسر الفين والمد اسم لما يتعدى به من الطعام والشراب ﴿و﴾ كونه ﴿بالتمر أحب﴾ لخبر
خير سحوركم التمر رواه ابن عدي في الكامل عن جابر ﴿ويحصل﴾ السحور ﴿ولو بجرعة ماء﴾ لخبر ابن حبان تسحروا ولو بجرعة
ماء وللخبر الآتي والجرعة بضم الجيم قال الفيومي الجرعة من الماء كاللقمة من الطعام وهو ما يجرع مرة واحدة والجمع جرع مثل غرفة
غرف.

﴿و﴾ يدخل ﴿وقته من نصف الليل﴾ كما ذكره الرافعي في الإيمان وذكره في المجموع هنا وقيل يدخل بدخول السدس الأخير
ذكره الخطيب في شرح المنهاج والحاصل أن السحور يدخل وقته بنصف الليل فالأكل قبله ليس بسحور فلا يحصل به السنة.

﴿و﴾ منها ﴿تأخيره﴾ وهو إلى قرب الفجر بقدر ما يسع قراءة خمسين آية ﴿أولى﴾ لما ورد في قول بعض الصحابة تسحروا مع
رسول الله ﷺ ثم قمنا إلى الصلاة وكان قد رما بينهما خمسين آية وحل سن التأخير ﴿ما لم يقع﴾ الصائم ﴿في شك﴾ في طلوع الفجر وذلك
لخبر لا يزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور رواه الإمام أحمد ولأنه أقرب إلى التقوى على العبادة فإن شك في ذلك كأن ترد في
بقاء الليل لم يسن التأخير للخبر الصحيح دع ما يربك أي أترك ما تشك فيه إلى ما لا تشك فيه وقد أشار المصنف إلى فضيلة السحور وأنه
يحصل بالقليل بقوله ﴿قال رسول الله ﷺ السحور﴾ كرسول ما يؤكل وقت السحور ﴿أكله﴾ بفتح الهمزة والاضافة للضمير ﴿بركة﴾ أي
زيادة في الاجر لأنه يقوى على الصوم ﴿فلا تدعوه﴾ أي لا تركوه ﴿ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء﴾ بقصد التسحور ﴿فإن الله وملائكته
يصلون على المتسحرين﴾ وصلاة الله عليهم رحمته إياهم وصلاة الملائكة استغفار لهم قال الحنفى فمن لم يتسحر يحرم من رحمة الله
واستغفار الملائكة في هذا الوقت ﴿رواه أحمد﴾ في مسنده عن أبي سعيد الخدري بإسناد صحيح كما ذكره العزبى.

﴿و﴾ منها ترك السواك بعد الزوال فأما الحديث الذي ذكره بقوله ﴿قال﴾ رسول الله ﷺ خير خصال الصائم السواك ﴿لكونه
السواك عبادة والصائم متلبس بعبادة الصوم﴾ رواه البيهقي عن عائشة رضي الله عنها قال الشعراني حديث حسن فهذا مخصوص به
قبل الزوال أما بعده فيكره لقوله في حديث آخر فيما خصت به أمه في رمضان وأما الحائصة فانهم يمسون وخلف أفواههم أطيب عند الله
من ريح المسك والمساء ما بعد الزوال والسواك يزيل الخلوفا المشهود له بأنه أطيب من ريح المسك لأن ذلك مبدأ الخلوفا الناشئ من
خلو المعدة من الطعام والشراب وبه قال الشافعي في المشهور عنه وعبارته في ذلك أحب السواك عند كل وضوء بالليل والنهار وعند
تغير الفم الاثنى أكرهه للصائم آخر النهار من أجل الحديث في خلوف فم الصائم انتهى وليس في هذه العبارة تقييد ذلك بالزوال فلذلك قال
المأوردى لم يحد الشافعي الكراهة بالزوال وإنما ذكر العشي فحده الأصحاب بالزوال قال أبو شامة ولو جوده بالعصر لكان أولى لما
مسند الدارقطني عن أبي عمر كيسان العصاب عن يزيد بن هلال موله عن علي قال إذا صمت فاستاكوا بالغداة ولا تساكوا بالعشي
﴿و﴾ لما ﴿قال﴾ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿إذا صمت فاستاكوا بالغداة﴾ وهى الضحوة كما في المصباح ﴿ولا تساكوا
بالعشي﴾ بفتح العين المهملة وكسر المعجمة وشدة المثناة التحتية قيل هو ما بين الزوال إلى الغروب وقيل هو آخر النهار

فانه ليس من صائم تيسر شفاؤه بالعشى الا كان نورا بين عينيه يوم القيامة رواه الطبراني وتجيل فطر

﴿فانه﴾ اي الشأن ﴿ليس من صائم تيسر شفاؤه بالعشى الا كان نورا بين عينيه يوم القيامة﴾ يعني فيسعى به أو يكون علامة له يعترف بها في الموقف قال الشعراني ويسر الشفقين كناية عن عطش الصائم للروم له غالبا فالمقابل بذلك الجزاء الصبر عليه بعدم اجراء الريق وجلبه بالسواك ﴿رواه الطبراني﴾ وغيره عن ابن حبان وهذا حديث ضعيف منجبر كما في العزري .

قال الولي العراقي في شرح القرب لانسلم لأبي شامة أن تحديده بالعصر أولى بل اما أن يحذف بالظهر وعليه تدل عبارة الشافعي فانه يصدق اسم آخر النهار من ذلك الوقت لدخول النصف الأخير من النهار واما أن لا يوقت بمجد معين بل يقال يترك السواك متى عرف ان تغير فمه ناشئ عن الصيام وذلك يختلف باختلاف أحوال الناس باختلاف بعد عهده بالطعام وقرب عهده به لكونه لم يتسحر فالتحديد بالعصر لا يشهد له معنى ولا في عبارة الشافعي ما يساعده والأثر المنقول عن علي يقتضى التحديد بالزوال أيضا لأنه مبدأ العشى على انه لم يصح عنه قال الدارقطني كيسان ليس بالقوى ومن بينه وبين علي غير معروف انتهى وقال ابن المنذر كره ذلك آخر النهار الشافعي وأحمد واسحق وأبو ثور وروى ذلك عن عطاء ومجاهد انتهى وحكاها ابن الصباغ عن ابن عمر والأذرعي ومحمد بن الحسن وفرق بعض أصحاب الشافعي في ذلك بين الفرض والنفل فكرهه في الفرض بعد الزوال ولم يكرهه في النفل لأنه أبعد من الرأى حكاها صاحب المعتمد عن القاضي حسين وحكاها المسعودي وغيره عن الامام أحمد .

وقد حصل من ذلك مذاهب الاول الكراهة بعد الزوال مطلقا الثاني الكراهة آخر النهار من غير تقييد بالزوال الثالث تقييد الكراهة بما بعد العصر الرابع نفي استحبابه بعد الزوال من غير استحباب الكراهة الخامس الفرق بين الفرض والنفل ثم ان المشهور عند أصحاب الشافعي زوال الكراهة بغروب الشمس وقال الشيخ أبو حامد لا تزول الكراهة حتى يفطر فهذا مذهب سادس وذهب الأكثرون الى استحبابه لكل صائم في اول النهار وآخره كثير وهو مذهب مالك وأبي حنيفة والمزني وقال الترمذي بعد روايته جادث عامر بن ربيعة رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ما لا يحصى يتسوك وهو صائم والعمل على هذا عند أهل العلم لا يرون بالسواك للصائم بأسا ثم قال ولم ير الشافعي بأسا أول النهار وآخره انتهى قال الولي العراقي وهذا قول غريب عن الشافعي لا يعرف نقله الا في كلام الترمذي واختاره العزبي عبد السلام وأبو شامة والثوري وقال ابن المنذر رخص فيه للصائم بالعداء والعشى النخعي وابن سيرين وعروة بن الزبير ومالك وأصحاب الرأي وروينا الرخصة فيه عن عمر وابن عباس وعائشة فكلت المذاهب في ذلك شيعه .

واختلفوا في مسألة أخرى وهي كراهة استعمال السواك الرطب للصائم قال ابن المنذر فمعن قال لأبى أيوب السخيتاني وسفيان الثوري والأوزعي والشافعي وأبو ثور وأصحاب الرأي وروينا ذلك عن ابن عمر ومجاهد وعروة وذكره مالك وأحمد واسحق وروينا عن الشعبي وعمر بن شرحبيل والحكم وقادة انتهى .

﴿و﴾ منها ﴿تجيل فطر﴾ لقوله لا يزال الناس بخيرا ما عجلوا الفطر متفق عليه من حديث سهل بن سعد وعند أحمد من حديث أبي ذر بلفظ ما أخرخوا السجور وعجلوا الفطور وغير ذلك من الأخبار الآتية ولما في ذلك من مخالفة اليهود والنصارى ويكره أن يؤخره ان قصد ذلك ورأى أن فيه فضيلة والا فلا بأس به نقله في المجموع عن نص الأم وفيه عن صاحب البيان أنه يكره أن يمتص بماء ويمجه وأن يشربه ويتقياه الا للضرورة قال وكأنه شبيه بالسواك للصائم بعد الزوال لكونه ينزل الخلوفاً انتهى وهذا كما قال الزركشي انما يأتي على القول بان كراهة السواك لا تزول بالغروب والأكثر على خلافه .

إذا تحقق الغروب وتقدمه على الصلاة وكونه بثلاث رطبات فتمرات فحسوات ماء ودعاء بعده وهو اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت وبك آمنت وعليك توكلت ورحمتك رجوت واليك تبت ذهب الظما وابلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله تعالى

قال المصنف تبعاً للرافعي وأما يسن التعجيل ﴿إذا تحقق الغروب﴾ أي غروب الشمس وخرج بتحقيقه ظنه باجتهاد فلا يسن تعجيل الفطر به وظنه بلا اجتهاد وشكه فيحرم بهما قاله الخطيب في شرح المنهاج.

﴿و﴾ يسن ﴿تقدمه﴾ أي النظر ﴿على الصلاة﴾ لما رواه أحمد والترمذي والنسائي عن أنس قال كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلّي فإن لم يكن فعلى تمرات فإن لم يكن حسا حسوات من ماء قال ابن عدي تفرد به جعفر عن ثابت وذلك إن لم يخش من تعجيله فوات الجماعة أو تكثيره الإحرام فإن خشي ما ذكره آخر الفطر ﴿و﴾ الأكل ﴿كونه﴾ أي الفطر ﴿بثلاث﴾ رطبات ﴿ف﴾ ان لم يجدها فعلى ثلاث ﴿لتمرات﴾ ف ﴿على﴾ حسوات ماء ﴿أي جرعات وأخرج أبو يعلى عن إبراهيم بن الحجاج عن عبد الواحد بن ثابت عن أبيه أنه كان رسول الله ﷺ يجب أن ينظر على ثلاث تمرات أو شيء لم تصبه النار وعبد الواحد قال البخاري منكر الحديث وروى الطبراني في الأوسط من طريق يحيى بن أيوب عن حميد عن أنس كان رسول الله ﷺ إذا كان صائماً لم يصل حتى تأتبه برطب وماء فيأكل ويشرب وإذا لم يكن رطب لم يصل حتى تأتبه تمر وماء وقال تفرد به مسكين بن عبد الرحمن عن يحيى بن أيوب وعنه زكريا بن بحر قال الرافعي وذكر القاضي الزويني أنه ينظر على التمر فإن لم يجد فعلى حلاوة أخرى فإن لم يجد فعلى الماء خلافاً للشيخين قالاً لا شيء أفضل بعد التمر غير الماء لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال من وجد التمر فليفطر على الماء فإنه طهور رواه أحمد وأصحاب السنن وابن حبان والحاكم من حديث سلمان بن عامر واللفظ لابن حبان وله عندهم الفاظ ورواه الترمذي والحاكم وصححه من حديث مثله ﴿و﴾ يسن ﴿دعاء بعده﴾ أي بعد الفطر ﴿وهو﴾ أي هذا الدعاء ﴿اللهم لك صمت﴾ أي صمت لا لغرض ولا لأخذ غيرك بل خالصاً لوجهك الكريم ﴿وعلى رزقك أفطرت﴾ أي وأفطرت على رزقك الواصل التي من فضلك لا يحول ولا قوتي وهذا رواه أبو داود في سننه من معاذ بن زهرة باسناد حسن لكنه مرسل وهو معمول به هنا لأنه في الفضائل على أن الدارقطني والطبراني رواه متصلاً بسند ضعيف وزاد الطبراني فقبل مني أنك أنت السميع العليم ومن ثم قال سليم ونضر المقدسي يزيد أفطرت سبحانك وبحمدك تقبل منا أنك أنت السميع العليم اللهم أنك عفوتحب العفو فاعف عني ثم قالاً ويسن أن يعقد نية الصوم حينئذ وتوقف فيه الأذرعنى ثم قال وكان وجهه خشية الغفلة كذا ذكره بعض المحققين.

قال العلامة الكردى وتسبب زيادة ﴿وبك آمنت وعليك توكلت ورحمتك رجوت واليك تبت﴾ ثم يقول ﴿ذهب الظما﴾ بالهمز والقصر أي العطش ﴿وابلت العروق﴾ بتشديد اللام افعلت من البلل والعروق بضم العين عراق جمع عرق بكسرها وهو معروف ﴿وثبت الأجر﴾ أي أجر الصوم عندك ﴿إن شاء الله تعالى﴾ هذا وإن أفطر على غير ماء اتباعاً للوارد وإن لم يكن عنده ظماً أصلاً ولا كذب حينئذ لأن المراد دخل وقت اذهاب الظما وهذا الدعاء رواه أبو داود والحاكم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أفطر قال ذهب الظما الخ وورد أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول يا واسع الفضل اغفر لي الحمد لله الذي أعانني فصبت ورزقني فافطرت فيسن الاتيان بذلك عقب ما مر وروى ابن السنن وابن ماجه عن عبد الله بن عمر وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان للضائم عند فطره لدعوة ما ترد وكان ابن عمر وراويه إذا أفطرا يقول اللهم اني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي.

لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل قال الله أحب عبادي إلى أعجلهم فطرا رواه الترمذي وقال صلى الله عليه وسلم
تزال أمي على سنتي ما لم ينتظروا بفطرهم طلوع النجم رواه الطبراني ويسن في رمضان أكار تلاوة القرآن وصدقة وتوبة على العيال
حسان إلى الأقارب والجيران وتهجد واعتكاف لاسيما عشر آخره

وقد أورد المصنف في فضيلة تعجيل الفطر حديثين فقال ﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾ حكاية ﴿عن ربه عز وجل
لله أحب عبادي﴾ العوام ﴿إلى أعجلهم فطرا﴾ أي أسرعهم مبادرة إلى الفطر بعد تحقق غروب الشمس ﴿رواه﴾ أحمد
﴿الترمذي﴾ وابن حبان عن أبي هريرة وهو حديث حسن كما قاله العزيزي وهذا هو الأول والحديث الثاني ما ذكره بقوله ﴿وقال صلى
الله عليه وسلم لا تزال أمي على سنتي ما لم ينتظروا بفطرهم طلوع النجم رواه الطبراني ويسن﴾ مع التأكيد ﴿في رمضان أكار تلاوة
قرآن﴾ ومدارسه بأن يقرأ على غيره ويقرأ عليه غيره ومنه ما يسمى بالمدارس الآن وهي المعبر عنها عندهم بالإدارة لما في
مصححين أن جبريل عليه الصلاة والسلام كان يلقي النبي صلى الله عليه وسلم في كل سنة في رمضان حتى يتسليخ فيعرض عليه النبي
صلى الله عليه وسلم وينبغي أن يكون شأن القارئ التدبر وقد ذكر فضيلة التلاوة وآدابها سيدنا الحبيب عبد الله الحداد في نصائحه
ينظر فانه مهم ﴿و﴾ أكار ﴿صدقة﴾ في رمضان حديث أنس رضي الله عنه قيل يا رسول الله أي الصدقة أفضل قال صدقة في
رمضان رواه الترمذي وقال حسن غريب ولأن الحسنات مضاعفة فيه ولما فيه من تطهير الصائم فانه يستعين بذلك على فطره ﴿و﴾
بادة ﴿توسعة على العيال﴾ وهم كما في المصباح أهل البيت ومن يمونه الإنسان الواحد على مثال جناد وحيد ﴿و﴾ أكار ﴿احسان
للى الأقارب والجيران﴾ باعطاء ما يحتاجونه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان أجود الناس بالخير من الریح المرسلة
جود ما يكون في رمضان كما رواه البخاري في الصحيح.

والمعنى في تخصيص رمضان بزيادة الجود وأكار الصدقات تفرغ الصائمين بالعبادة بدفع حاجاتهم ﴿و﴾ أكار عبادة
﴿تهجد﴾ في رمضان وذلك لفضل أوقاته وحصول المضاعفة فيه وكثرة الثواب وتيسير العمل بالخير فيه وأما المضاعفة فلما ورد أن
نافلة في رمضان يعدل ثوابها ثواب الفريضة والفريضة فيه بسبعين فريضة في غيره وأما تيسير العمل بالخير فيه فلأن النفس الأمارة بالسوء
سجونة بالجوع والعطش والشياطين المبتطيين عن الخير المعوقين عنه مصفدون لا يستطيعون الفساد ولا يتكفون منه فلم يبق بعد ذلك عن
لذات مانع ولا من دونها حاجز الأمن غلب عليه الشقاء واستولى عليه الخذلان والعباد بالله هكذا ذكره السيد أبو بكر البكري ﴿و﴾
أكار ﴿اعتكاف﴾ وهو في اللغة الإقامة على الشيء ولزومه وحبس النفس عليه ومنه قوله تعالى ما هذه النمايل التي أنتم لها عاكفون
أما في الشرع فقد فسره أبو حامد الغزالي في الوحي باللبث في المسجد ساعة مع الحكيم عن الجماع وذلك للاتباع رواه الشيخان ولأنه
رب لصون النفس عن ارتكاب ما لا يليق ﴿لاسيميا﴾ والأفصح جر ما بعدها على الإضافة ويجوز رفعه على أنه خبر مبتدأ محذوف
نصبه على التشبيه بالمفعول به أو على أنه مفعول محذوف وقيل على التمييز لكن إذا كان نكرة ولا نافية للجنس واسمها سى بمعنى المثل
خبرها محذوف وما زائدة وقبل موصولة والاسم الذي بعدها مرفوع على أنه خبر مبتدأ والجملة صلة ﴿عشر آخره﴾ أي رمضان فهو
إلى بذلك من غيره للاتباع رواه الشيخان وسأني الأخبار في فضل العشر الأخير وأعلم أن الاعتكاف ينقسم إلى ثلاثة أقسام واجب
هو المندور وسنة وهو في العشر الأخير من رمضان ومستحب وهو في غيره من الأزمنة قاله الزبيدي.

ودعاء اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني في العشر الأواخر ويندب للصائم أن يكف نفسه عن الشهوات المباحة عن التلذذ بمسحوق أو مبصر أو ملموس أو مشعوم كشم ريحان ونظر إليه ولمسه وأن يغتسل لنحو جنابة قبل الفجر

﴿و﴾ يسن أكثر ﴿دعاء﴾ كما قاله الثوري في الأذكار عن الأصحاب ﴿اللهم انك عفو﴾ بفتح العين وضم الفاء وتشديد الواو بوزن غفور ومعناه الذي يحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي ويربها من صفات الأعمال قال بعضهم وهو يبلغ من الغفور لأن الغفران ينسب عن العفو ﴿تحب العفو﴾ بفتح العين وسكون الفاء مصدر ﴿فاعف عني﴾ أي امح عني جميع ذنوبي يقال عفا المنزل در من وعفته الرجح يستعمل لازماً ومتعدداً ومنه عفا الله أوجنا ذنوبك وسية هذا ﴿في العشر الأواخر﴾ لأن فيها ليلة القدر وذلك لما رواه الترمذي وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله أن علمت ليلة القدر ما أقول فيها قال قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني قال الترمذي حديث حسن صحيح.

﴿ويندب للصائم﴾ فرضاً أو نفلاً وفي الفرض أكد كما هو ظاهر ﴿أن يكف﴾ أو يمنع ﴿نفسه عن الشهوات المباحة﴾ والمراد به كف تعاطى ما اشبهته النفس وترك الشروع في أسبابها والأفهى نفسها التي هي ميل النفس إلى المطلوب لا يمكن التحرز عنها قال القيومي الشهوة اشتياق النفس إلى الشيء والجمع شهوات انتهى وخرج في المباحة غيرها كالنظر للأجنبية أو الأمر الجميل فهو حرام يجب كف النفس عنه ﴿عن التلذذ بمسحوق﴾ كاللأهوى والغناء ﴿أو مبصر﴾ كالنظر في الزخارف والنقوش والرياحين ﴿أو ملموس أو مشعوم كشم ريحان﴾ بفتح الراء كل ماله رائحة طيبة من النباتات كالورد والنرجس ونحو ذلك قال في المصباح لكن إذا أطلق عند العامة انصرف إلى نبات مخصوص ﴿ونظر إليه ولمسه﴾ أي الريحان وكذا ما ليس فيه رائحة فإن كفها عن تلك الشهوات هو سر الصوم ومقصوده الأعظم لتكسر نفسه عن الهوى وتقوى على حقيقة التقوى يكف سائر جوارحها عن تعاطى مشتبهاتها سواء المسوغات والمبصرات والملبوسات والملابس وسية الكف عما ذكر من التلذذ بمسحوق وما بعده لما في ذلك من الترفه الذي لا يناسب حكمة الصوم وهي كما استظهره في الإياعاب كرون الصائم اشعث أغبر كالحرّم قال لكن لما كان المقصود الأعظم ما ذكر أي كسر النفس عن الهوى وتقويتها على حقيقة التقوى طلب فيه كف الجوارح عن كل ما تشبهه وغلب فيه رعاية ما يليق بالواطن عكس الإحرام لأن القصد به التقرب عن الأوطان وقطع المسافات الظاهرة فيكون عوناً على قطع المسافات الباطنة فغلب رعاية ما يتعلق بالظواهر انتهى ويكره للصائم ذلك التلذذ بمسحوق وما بعده كما صرح به المتولي في شم الرياحين والطيب والنظر إليها وجزم غيره بكرامة ما يصل ريحه لداغته قال في الإمداد وقضية ما تقرر أنه لا يسن للصائم يوم الجمعة ترين تطيب ونحوه وهو محتمل ومحتمل أن المراد ترك شهوة تزيد ما النفس من حيث كونها لا من حيث امتثال الأمر بطلبها ولعل هذا أقرب انتهى.

﴿ويندب للصائم﴾ أن يغتسل لنحو جنابة ﴿من حيض ونفاس﴾ قبل ﴿طلوع﴾ الفجر ﴿الصلادق﴾ بأن يقع الغسل بتمامه في الليل ليؤدي الصوم على الطهارة ومن ثم ندب له المبادرة إلى الاشتغال عقب الاحتلام نهاراً أو ليلا يصل الماء إلى نحو باطن أذنه أو دبره ومن ثم ينبغي له غسل هذه المواضع قبل الفجر ويكون ذلك بنية رفع نحو الجنابة كما قاله الشيرازي ومعلوم أن هذا إذا لم يتهاه الغسل الكامل قبله أو لم يرد ذلك.

فان قيل كيف يسن الاغتسال قبل الفجر وقد ثبت عن النبي ﷺ خلافه كما صح به الأحاديث فالجواب أنه ﷺ فعله لبيان الجواز ويكون حينئذ في حقه أفضل لأنه يتضمن البيان للناس وهذا ما مور بالبيان وهذا كما توضأ مرة مرة في بعض الأوقات بياناً للجواز ومعلوم

وأن يحترز عن ذوق طعام أو غيره ومنع نحو الخير لطفل ولسانه عن الفحشاء * ومفسداته وصول عين جوفه

أن الثلاث أفضل وهو الذي واظب عليه وتظاهرت به الأحاديث وطاف على التغير يانا الجواز ومعلوم أن الطواف ماشيا أفضل وهو الذي تكرر منه ﷺ هذا ذكره بعض المحققين .

﴿و﴾ يندب ﴿أن يحترز﴾ الصائم ويحنب ﴿عن ذوق طعام أو غيره﴾ أي غير الطعام خوف الوصول إلى حلقه أو خوف تعاطيه لأجل غلبة شهوته له ومن ثم كره ذلك ﴿و﴾ عن ﴿منع نحو الخبز﴾ من اللبان وغيره من أنواع العلوك كالمصطكي فاللبان بالضم الكندر وهو ضرب من العلك تافع لقطع البلغم والعلك الموميا لأنه يجمع الريق فإن ابتلعه أفطر في وجهه ضعيف وإن ألقاه صيره عطشان ومن ثم كره كما في المجموع وتبعه العمولى في الجواهر الإلحاح الجلالة إلى مضغه ﴿لطفل﴾ أولغيره كما في المجموع ولم يجد غيره مما يقوم مقامه فلا كراهة حينئذ وصح عن ابن عباس رحمه الله عنهما رضى الله عنهما لأبأس أن يتطاعم العالم بالشيء يعنى بالمرقة وغيرها وبما تقرر علم اتجاه ما بحثه بعضهم من عدم كراهة ذوق نحو الطعام لغرض اصلاحه لتعاطيه وإن كان عنده مفطر غيره قال لأنه قد لا يعرف اصلاحه مثل الصائم .

﴿و﴾ يسن للصائم من حيث الصوم أن يكف ﴿لسانه عن الفحشاء﴾ كالكذب والغيبة والمشائمة المحرمات فلا يبطل صومه بارتكابها بخلاف ارتكاب ما يجب اجتنابه من حيث الصوم كالاستقاء وانما طلب الكف من ذلك لخبر البخارى وغيره كما سيأتى فإن شائمه أحد فليقل انى صائم لخبر الصحيحين الصيام جنة فإذا كان أحدكم صائما فلا رث ولا يجهل فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل انى صائم انى صائم مرتين بقله بقله لنفسه لتبصر ولا تشائم قد هب بركة صومها كما نقله الرافعى عن الأئمة أو بلسانه بنية وعظ المشائم ودفعه بالتي هي أحسن كما نقله النووي عن جمع وصححه ثم قال فإن جمعها فحسن وقال أنه يسن تكراره مرتين أو أكثر لأنه أقرب إلى امساك صاحبه عنه وقول الزركشى ولا أظن أحدا بقله مردود بالخبر السابق قاله في شرح الروض .

﴿و مفسداته﴾ أي الصوم بعد انعقاده كما هو شأن المفسد وذكر من ذلك أربعة وبقي منها خمسة الحيض والتفاس والجنون والاعماء كل اليوم والردة فجعلتها تسعة وجعلها أبوشجاع عشرة بزيادة الحقنة وهى داخلية في وصول العين هنا ﴿وصول﴾ أي إيصال لو عبر به لكان أولى لأنه يشترط العمد والاختيار كما سيأتى ﴿عين﴾ وإن قلت كسيسة أو لم تؤكل كخصاء من منفذ مفتوح ﴿جوفه﴾ أي ما يسمى جوفاً وإن لم يكن فيه قوة تحيل الغذاء أو الدواء كحلق ودماغ وباطن أذن وبطن وأحليل ومثانة بمثلثة وهى مجمع البول فلو كان برأسه مأومة فوضع عليها دواء فوصل خريطة الدماغ أفطر وإن لم يصل باطن الخريطة كما حكاه الرافعى عن الإمام وأقره ومثل ذلك الأمعاء فلو وضع على جائحة ببطنه دواء فوصل جوفه أفطر وإن لم يصل باطن الأمعاء وينبغي الاحتراز حالة الاستنجاء لأنه متى أدخل طرف أصبعه دبره ولو أدنى شيء من رأس الأئمة أفطر وكذا لو فعل به غيره ذلك بأذنه ومثله فرج الأنثى ولو طعن نفسه أو طعنه غيره بأذنه فوصل السكين جوفه أو أدخل في أحليله عودا فوصل إلى الباطن أفطر أفاده الرملى هذا إذا لم يتوقف خروج نحو الخارج على ادخال أصبعه في دبره ولا أدخله ولا فطر قاله الشرقاوى .

وخرج بالعين الأثر فلا يضر وصول ريح بالشام إلى دماغه ولا وصول الطعم أي الكيفية كالحلاوة وضدها بالذوق إلى حلقه من غير وصول عين من المذوق وبالمنفذ غيره فلا يضر الاكحال وإن وجد به طعم الكحل في الحلق ولا وصول الدهن إلى الجوف بتشريب المسام والجوف ما لو داوى جرحه على لحم الساق أو الفخذ فوصل الدواء داخل المخ أو اللحم أو غرز فيه حديد فإنه لم يفطر لاتقاء الجوف

واستقانة واستثناء ووطء في فرج مع تعدد اختيار وعلم بتحريمه ويكون مفطرا ويجب مع القضاء الإمساك في رمضان على متعدد فطر وتارك نية ليلا ومن تسحر ظانا بقاءه أو أفطر ظانا الغروب

﴿واستقاء﴾ أي طلب القيء أي تعمده وإن يتبين أنه لم يعد من القيء شيء إلى الجوف كأن تقاها معكوسا بناء على أن الاستقاء مفطرة لعينها لا يعود شيء قاله الرملي وكالقيء التجشئ فإن تعمده وخرج منه شيء من معدته إلى الحد ظاهر أفطروا وإن غلبه فلا قاله الخطيب ﴿واستثناء﴾ وهو إخراج المنى قصد اجتماع أو غيره فإن الإيلاج من غير انزال مبطل فالانزال بنوع شهوة أولى أن يكون مفطرا فإن خرج بمجرد الفكر والنظر بالشهوة لم يكن مفطرا .

ووجه كون الاستثناء مفطرا على المختار الاعتبار بالمباشرة الماء خذوة في معنى الجماع أعم من كونها مباشرة الغير أو لا بأن يراد مباشرة هي سبب الانزال سواء كان ما يوشرك ما يتق في عادة أو لا ولهذا أفطر بالانزال في فرج البهيمة والميتة وليس بما يشتهي عادة قاله الزبيدي ولا يفطر قبلة زوجته ولا بمضاجعتها ما لم ينزل لكن يكره ذلك للشباب إذا حركته شهوته ولم يأس على نفسه الآن يكون شيخا أو شابا مالكا لازبه فلا بأس بالتقيل وتركه أولى حسنا للباب ولأن الصائم يسر له ترك الشهوات مطلقا وروى أبو داود بإسناد جيد عن أبي هريرة أنه ﷺ سأل رجل عن المباشرة للصائم فرخص له وآتاه آخر فنهاه فإن الذي أَرخص له شيخ والذي نهاه شاب وهو يفيد التفصيل المذكور قال الرافعي كرهنا له القبلة فهل ذلك على سبيل التحريم أو التنزيه حكى في التمهيد فيه وجهين الأول هو المذكور في التهذيب وصحح النووي في المنهاج هذا القول لأن فيه تعريفا لفساد العبادة ولخبر الصحيحين من حرم حول الحمى يوشك أن يقع فيه وإذا كان يخاف من التقيل أو النفس أن ينزل فقبل أو لمس وسبق المنى أفطر لتقصيره في ذلك ﴿ووطء في فرج﴾ قبل أو دبر من آدمي أو غيره ولو زائدا أو أشبهه بذكر ولو زائدا كذلك أنزل أم لا فيفطر لو طأ الأدمي وإن كان الموطوء ليس آدميا وعكسه وتفطر المرأة إذا دخلها ذكر أمينا وعكسه ولا شيء على صاحب الفرج المبان من ذكر أو أنثى خلافا لما توهمه الأغنياء من طلاب العلم ﴿مع تعدد﴾ أي تعدد ذلك المذكور من وصول عين هنا ﴿واختيار وعلم بتحريمه﴾ أي ذلك المذكور والتقييد بالعمد والاختيار غير محتاج إليه بالنية للاستقاء لاستلزامها ما ذكره على جعل السين والتاء للطلب وإنما ذكره لاحتمال زيادتهما لكل واحد من الأمور الأربعة محتاج إلى التقييد بجميع القيود الثلاثة لكل واحد منها ﴿و﴾ علم ﴿كونه﴾ أي ما تعطاه من ذلك ﴿مفطرا﴾ وخرج بما ذكر النسيان والاكراه والجهل بتحريم إيصال شيء إلى الباطن ولكونه مفطرا فلا يفطر بدخول عين جوفه وإن كثرا ككه ولو ظن أن أكله ناسيا جاهلا بوجود الإمساك أفطر بالأكل الثاني لوقوعه منه عمدا .

﴿ويجب مع القضاء الإمساك﴾ عن المفطرات ﴿في رمضان﴾ أي في باقي نهاره فإن خلف فلم يمسه أثم لمخالفة الواجب لأففى غيره كذرو قضاء وكفارة وإنما اختص رمضان بذلك لحرمته الوقت ولأنه أخص بفضائل لم يشركه فيها غيره فلا يجب في غيره الإمساك على متعدد النظر لاتقاء شرف الوقت كما لا كفارة في ذلك أفاده الرملي ونقله الشرقاوى ﴿على متعدد فطر﴾ لتعديده بالفساد قاله شيخ الإسلام وفي بعض النسخ على متعددى فطر وهي أولى لخروج من تعدد الفطر وهو جائز له كسافر ومريض فلا يجب عليه الإمساك كما يؤخذ من قوله لتعديده إلى آخره إذ التعدي مفقود فيمن ذكر أفاده بعضهم ﴿و﴾ على ﴿تارك نية ليلا﴾ ويجب عليه بعد ذلك القضاء فوراً إن تعدد تركها أو الأفلأ كما اعتمده الزبائدي وله تقليد أبي حنيفة فينوي نهاراً وذلك لتقصيره حقيقة أن تعدد الترك أو حكما أن لم يتعمده كأن كان ناسيا أو جاهلا إذا المراد بالتارك في كلامه ما يعم العامد وغيره قال الرملي بعد قول المنهاج أو تعنى النية من الليل لأن نسيانه يشعر بترك الاهتمام بأمر العبادة فهو نوع تقصير ﴿و﴾ على ﴿تسحر ظانا بقاءه﴾ أي الليل ﴿أو أفطر ظانا الغروب﴾ كما يقع الآن كثيرا بسبب جهل

فبان خلافه ومن بان له يوم ثلاثي شعبان أنه من رمضان ومن سبقة ماء المبالغة في مضمضة واستنشاق لا على مسافر ومريض زال عذرهما بعد الفطر ولا على امرأة طهرت من حيض أو نفاس نهارا نعم يسن لهم الإمساك بقية النهار فان خلفوا نذب اخفاء أكلهم عن يجهل عذرهم وبما يبطل ثواب الصوم اجماعا الكتاب والغيبة والمشائمة

الميتاتية ﴿فبان﴾ أي ظهر ﴿خلافه﴾ أي خلاف ما ظنه من ذلك فيها لتقصره حقيقة ان كان بغير اجتهاد والافحكما ﴿و﴾ على ﴿من﴾ بان له ﴿أي وهو من أهل الوجوب﴾ يوم ثلاثي شعبان ﴿بالإضافة التي على معنى من واللام سواء تحدث الناس برويته أم لا﴾ أنه من رمضان ﴿لأنه يلزمه الصوم لو علم حقيقة الحال﴾ ﴿و﴾ على ﴿من سبقة ماء المبالغة في مضمضة أو استنشاق﴾ لتقصيره بها ﴿لا﴾ يجب الإمساك ﴿على مسافر ومريض زال عذرهما﴾ وهو السفر والمرض بان وصلت السفينة دار الإقامة وشفى المريض ﴿بعد الفطر﴾ اما لو زال عذرهما صائمين فيجب الاتمام عليهما كالصبي.

﴿ولا﴾ يجب ﴿على امرأة طهرت في حيض أو نفاس نهارا﴾ بخلاف على ما قاله الامام لكن القضاء واجب عليها لانحالة لأن مستغرق الحيض لا يسقط القضاء فتنقطعه أولى وهذا مبني على أن للخلاف في القضاء تعلقا بالخلاف في الإمساك تشبيها نقل الامام عن الصيدلاني ان من يوجب التشبيه به لا يوجب القضاء ومن يوجب القضاء لا يوجب التشبيه ﴿نعم﴾ لا يوجب الإمساك على المسافر والمرض زال عذرهما والحائض والنفسا لكن ﴿يسن لهم الإمساك بقية النهار﴾ ثم المسك ليس في صوم فلوار تكب يحظورا كالجماع لا شيء عليه سوى الاثم وانما أثبت مع أنه ليس في صوم لأنه قام بواجب خوطب به فتوبه من تلك الحيثية لا من حيث الصوم ﴿فان خلفوا﴾ فلم يمسكوا بقية النهار ﴿ندب اخفاء أكلهم﴾ وشربهم ﴿من يجهل عذرهم﴾ لئلا تعرض الى التهمة والعقوبة كما في شرح الروض.

* تنبيه * الصوم في السفر أفضل من المفطر لمن قوى عليه أما اذا لم يطق فالفطر أفضل وبه قال أبو حنيفة ومالك وقال أحمد الفطر للمسافر أفضل وان لم يجده وهو قول ابن حبيب من المالكية وقال لأنه آخر الأمرين من رسول الله ﷺ وأجمعوا على أنه اذا صام في السفر فان صومه صحيح مجزئ أو عزا صاحب الهداية من الحنفية الى الشافعي بأن الفطر في السفر أفضل وقد رد عليه في شرح الكتاب بأن مذهب الشافعي هو أن الصوم أفضل كذهبنا وانما يروى أفضلية الفطر عن أحمد كما ذكرنا به عليه ابن العماد وغيره ولا يفطر المسافر يوم يخرج عن محله وقد كان مقيما في أوله ولا يفطر أيضا يوم يقدم عن السفر الى محله اذا أقدم صائنا رعاية لحرمة الشهر واذا نوى المقيم للصوم ثم سافر في اثناء يومه لا يباح له الفطر اتفاقا الا احمد فانه أجازه في إحدى روايته والمدينون من أصحاب مالك.

﴿وبما يبطل﴾ ويحبط ﴿ثواب الصوم اجماعا الكذب والغيبة﴾ فيأكد للصائم تركهما وان ابيح في بعض الصور كالكذب لحاجة من اصلاح وغيره والغيبة لنحو تظلم فيتاب بهذا والترك نواين واجبا من حيث وجوب صون اللسان عن المحرمات ومندوبان حيث الصوم.

ومعنى الكذب الاخبار بما يخالف الواقع والغيبة ذكر كذا أخاك المسلم بما يكره ولو بما فيه ولو بمعرفة وهي من الكبائر في حق أهل العلم وحمل القرآن ومن الصغائر في حق غيرهم وقد يجبان كالكذب لاتقاء مظلوم وذكر عيب نحو مخاطب وهذا ان لا يأكد كلف اللسان عنهما لوجوبهما أفاده بعض المحققين ﴿والمشائمة﴾ المراد بها أصل الفعل أي الشتم وهو السب بمعنى واحد وهو مشاهدة الغير بما يكره وان لم يكن فيه حد كذا أحق وبإظهار القذف أحص منهما اذ هو الرمي بما يوجب الحد غالبا.

ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم رب صائم ليس له من صيامه إلا الظم إلا الظمأ رواه النسائي * وورد في حديث ليس الصيام من الطعام والشراب إنما الصيام من اللغو والرفث قال الحافظ أبو موسى المدني هو على شرط مسلم

وينبغي للصائم كما قاله الحليمي أن يصون بجميع جوارحه فلا يمشي برجله إلى باطل ولا يبطش يده في غير طاعة ولا يدهن ولا يقطع الزمن بالأشعار والحكايات التي لا عاقل تحيا ونحو ذلك خصوصاً ما يحرم مطالعته وذلك للأخبار الصحيحة الدالة على إحباط ذلك الحرام لثواب الصوم.

منها ﴿ما قال رسول الله ﷺ من لم يدع﴾ أي يترك ﴿قول الزور﴾ أي الكذب ﴿والعمل به﴾ أي بمقتضاه ﴿فليس لله حاجة﴾ أي إرادة اذ هو تبارك وتعالى لا حاجة له في شيء فهو الغني المطلق ﴿ففي أن يدع طعامه وشرابه﴾ قال ابن بطال ليس معناه أن يؤمر أن يدع صيامه وإنما معناه التحذير من قول الزور وقال ابن المنير هو كناية عن عدم القبول ﴿رواه البخاري﴾ وأصحاب السنن عن أبي هريرة. ﴿و﴾ منها ما ﴿قال﴾ رسول الله ﷺ ﴿رب صائم ليس له من صيامه إلا الظم﴾ أي العطش ﴿رواه النسائي﴾ وابن ماجه من حديث أبي هريرة كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش وفي رواية أخرى كم من صائم حظه من صيامه الجوع والعطش واختلف في المراد منه قليل هو الذي يجوع بالتهار ويفطر على الحرام من الطعام وقيل هو الذي يمسك من الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالنفية وهذا إن اقتصر عليهما صاحب العوارف وقيل هو الذي لا يحفظ جوارحه على الآثام هكذا ذكر هذه الأوجه الثلاثة صاحب القوت ثم قال والمراد من الصيام مجانبة الآثام لا الجوع والعطش كما ذكرناه من أمر الصلاة أن المراد بها الانتهاء عن الفحشاء والمنكر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يترك قول الزور والعمل به فليس لله تعالى حاجة بأن يترك طعامه وشرابه.

﴿و﴾ منها ﴿ورد في حديث﴾ رواه البيهقي والحاكم في صحيحه عن أبي هريرة ﴿ليس الصيام من الطعام والشراب﴾ وجميع المفطرات ﴿إنما الصيام﴾ أي الكامل المثاب عليه ﴿من اللغو والرفث﴾ أي الفحش من الكلام وجميع القباح وتام الحديث كما في الجامع فان سأتك أحد أو جهل عليه فقل إني صائم قال في شرح العباب ولو إغتاب وتاب لم يؤثر التوبة في النقص الحاصل بل في رفع الإثم فقط قاله السبكي تفقها وجرى عليه في الخادم.

﴿قال الحافظ أبو موسى المدني﴾ رحمه الله تعالى والحافظ من حفظ مائة ألف حديث متناً وإسناداً ولو تعدد الطرق والأسانيد أو من روى ووعى ما يحتاج إليه ولأهل الحديث مراتب أولها الطالب وهو المبتدئ ثم المحدث وهو من تحبل روايته وأعتنى بدرأته ثم الحافظ وقد ذكر أنما ثم الحجة وهو من أحاط بثلاثمائة ألف حديث ثم الحاكم وهو من أحاط بجميع الأحاديث المروية ذكره المطرزي ونقله ابن المدايني ﴿هو على شرط مسلم﴾ أي شرط صحيحه.

قال الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله شرط مسلم في صحيحه أن يكون الحديث متصل الإسناد بنقل الثقة عن الثقة من أوله إلى منتهاه سالماً من الشذوذ والعلّة قال وهذا حد الصحيح فكل حديث اجتمعت فيه هذه الشروط فهو صحيح بلا خلاف بين أهل الحديث وما اختلفوا في صحته من الأحاديث قد يكون سببه اختلاف فهم اتقاء شرط من هذه الشروط وبينهم خلاف في اشتراطه كما إذا كان بعض الرواة مستوراً أو كان الحديث مرسلًا وقد يكون سببه اختلافهم أنه هل اجتمعت فيه هذه الشروط أم اتقى بعضها وهذا هو الأغلب في ذلك كما إذا كان الحديث في روايته من اختلف في كونه من شرط الصحيح فإذا كان الحديث رواه كلهم ثقات غير أن فيهم

قال بعض السلف أهون الصيام ترك الطعام والشراب وقال اذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والحارم ودع اذى الجار * ﴿واعلم﴾ أن تقرب الى الله تعالى بترك المباحة لا يكمل الا بعد التقرب بترك المحرمات فمن ارتكب المحرمات ثم تقرب بترك المباحة كان بمثابة من يترك الفرائض ويتقرب بالنوافل وان كان صومه مجزئاً عند الجمهور بحيث لا ينمر باعادته لكن قال الأوزاعي يفطر بالكذب والغيبة

أبا الزبير المكي مثلاً أو سهيل بن أبي صالح أو العلاء بن عبد الرحمن أو حماد بن سلمة قالوا فيه هذا حديث صحيح على شرط مسلم وليس لصحيح على شرط البخاري لكون هؤلاء عند مسلم ممن اجتمعت فيهم الشروط المعبرة ولم يثبت عند البخاري ذلك فيهم وكذا حال البخاري فيما أخرجه من حديث عكرمة مولى ابن عباس واسحق ابن محمد الفروي وعمرو بن مرزوق وغيرهم ممن احتج بهم البخاري ولم يحتج بهم مسلم قال الحاكم أبو عبد الله الحافظ النيسابوري في المدخل عدد من خرج لهم البخاري في الجامع الصحيح ولم يخرج لهم مسلم أربع مائة وأربعة وثلاثون شيخاً وعدد من احتج بهم مسلم في المسند الصحيح ولم يحتج بهم البخاري في الجامع الصحيح ستمائة وخمسة وعشرون شيخاً والله أعلم وكذا قاله النووي في شرح مسلم.

﴿وقال بعض السلف﴾ رحمه الله تعالى ﴿أهون الصيام ترك الطعام والشراب وقال﴾ أيضاً ﴿اذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب و﴾ ارتكاب ﴿الحارم ودع﴾ أى اترك ﴿أذى الجارى﴾ وقال المتولى يجب على الصائم أن يصون بعينه فلا ينظر الى ما لا يحل ويسمعه فلا يسمع ما لا يحل ولسانه فلا ينطق بفحش ولا بشتم ولا يكذب ولا يغيب انتهى واستحسنه بعضهم الآن تغييره بالوجوب يومهم كما قاله الزركشى فساداً وهو اختصاصه بالصوم وإبطاله والتحقيق خلافة.

واعلم أن للصوم ثلاث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص أما العموم وهم عامة الناس فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة في الأكل والشرب والجماع وأما صوم الخصوص وهم خاصة الناس فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل عن الآثام فكف السمع عن الاصغاء الى ما نهى عنه وكف البصر عن النظر الى ما نهى عنه وكف اللسان عن الخوض فيما لا يعنى وكف اليد عن البطش فيما لا يحل وكف الرجل عن نقلها الى محظور وكف الفرج عن المحرمات وأما صوم خصوص الخصوص وهم خاصة الخاصة فصوم القلب وحفظه عن الهوى الدنية والافكار الدنيوية والخواطر الشهوانية وكفه عما سوى الله تعالى بالكيفية وذلك يحصل بمراعاة القلب وحفظه الانقاس بأن يكف الهوى عليه فيقطع الخواطر والافكار ويترك التمنى الذي لا يجدى ويحصل الفطر في هذا الصوم بالتفكير فيما سوى الله تعالى فيما سوى اليوم الآخر بجميع ما يتعلق به بالشكر في أمور الدنيا الادنيا تراد للدين ويستعان بها في التوصل اليه فان ذلك زاد الآخرة وليس من أمور الدنيا بل هو عند الله معدود من الدين ذكره الغزالي وغيره.

﴿واعلم أن التقرب الى الله تعالى بترك المباحات﴾ كالأكل والشرب ﴿لا يكمل الا بعد التقرب﴾ الى الله تعالى ﴿بترك المحرمات فمن ارتكب المحرمات ثم تقرب بترك المباحات كان بمثابة﴾ أى بمنزلة ﴿من يترك الفرائض ويتقرب بالنوافل وان كان صومه مجزئاً عند الجمهور﴾ وذلك ﴿بحيث لا يؤمر باعادته﴾ أى الصوم ﴿لكن قال﴾ الامام أبو طالب المكي صاحب القوت روى بشر بن الحرث عن سفيان من اغتاب فسد صومه وهكذا زواه صاحب العوارف أيضاً وقيل ان مذهب سفيان افساد الصوم بالغيبة حقيقة هكذا حكاه المنذر عنه عن عائشة رضى الله عنها وذهب الامام ﴿الأوزاعي﴾ الى هذا حيث قال الصوم ﴿يفطر بالكذب والغيبة﴾ فأوجب عليه القضاء وسائر العلماء على خلاف هذا كما تقدم وروى ليث بن أبي سليم البكري في أحد العلماء عن مجاهد أنه قال خصلتان تفسدان

لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس خصال يفطرن الصائم ويتقضى الوضوء الكذب والغيبة والنميمة والنظر بشهوة واليمين الكاذبة رواه الأزدي والديلمي عن أنس * وفي المسند الإمام أحمد أن امرأتين صامتا في عيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهدهما الجوع والعطش في آخر النهار حتى كادتا أن تلتقا فبعثنا إلى رسول الله تسأذنانه في الإفطار فأرسل إليهما قد حاو قال لهما قينا فيه ما أكلتما فقامت أحدهما نصفه وما عنيطا ولهما غريضا وقامت الأخرى مثل ذلك حتى ملأناه فتعجب الناس من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تان صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما

الصوم الغيبة والكذب وهذا إيمان يحمل على الحقيقة فيكون قوله كقول الأوزاعي وسفيان والافلح الماردي ذهاب الأجر قال صاحب القوت ويقال إن العيد إذا كذب أو اغتاب أو سعى في معصية في ساعة من صومه خرق صومه وإن صوم يوم يلق له من صيام أيام حتى يتم بها صوم يوم ساعة ساعة وكانوا يقولون الغيبة تفسد الصائم وقد كانوا يتوضئون من أذى المسلم وروى عن جماعة في الوضوء بما مسبت النار لأن أتوا من كلمة خبيثة أحب إلى من أن أتوا من طعام صليب.

ودليل الأوزاعي وغيره ما ذكره بقوله ﴿لما قال رسول الله ﷺ خمس خصال يفطرن الصائم ويتقضى الوضوء الكذب والغيبة﴾ وسبق معناهما ﴿والتبعية﴾ وهى نقل القول من بعض الناس للفساد بينهم وقال في الأحياء هذا هو الأكثر ولا يختص بذلك بل هى كشف ما تكبره كشفه سواء كرهه المتقول عنه أو إليه وسواء كان كشفه بقول وكاتبه أو رمز أو إيماء وسواء كان المتقول فعلا أو قولا عيا أو تعاوض المتقول عنه أو غيره فحقيقته إفشاء السر وهتك السر عما يكره كشفه وحينئذ فينبغى السكوت عن حكاية كل شيء شوهه من أحوال الناس إلا في حكاية نفع لمسلم أو دفع ضرر عنه ﴿والتبعية﴾ إلى حليلته أو غيرها ﴿واليمين الكاذبة﴾ رواه أبو الفتح ﴿الأزدي﴾ في كتاب الضعفاء والمتروكين عن عيسى بن سليمان عن داود بن رشيد عن بقة عن محمد بن حجاج عن جابان عن أنس أورده في ترجمته محمد بن الحجاج الحمصي وقال لا يكتب حديثه وقال أبو حاتم الرازي هذا كذب وقال الذهبي في الكاشف محمد بن الحجاج عن جابان عن أنس متكلم فيه وقول أبي حاتم هذا كذب يشير إلى أنه رواه عن بقة أيضا سعيد بن عنبسة كذبه ابن معين وقال ابن الجوزي هذا موضوع عن سعيد إلى أنس كلهم مطعون فيه وجابان متروك الحديث قال الزبيدي أما طريق داود بن رشيد عن بقة فإسناده متقارب وليس فيه من رضى بالكذب إلا أنه ضعيف لضعف محمد بن حجاج ﴿و﴾ رواه كذلك ﴿الديلمي﴾ في مسند الفردوس من حديث جابان ﴿عن أنس﴾ ولذلك أقول هذا حديث باطل كما في المجموع قال الماوردي ويفرض صحته فالمراد بطلان الثواب لا الصوم نفسه قال السبكي ومن هنا حسن عد الاحتراز عنه من أدب الصوم وإن كان واجبا مطلقا.

﴿وفي مسند الإمام أحمد﴾ من حديث عبيد مولى رسول الله ﷺ بسند فيه مجهول ذكره العراقي ﴿أن امرأتين صامتا في عهد رسول الله ﷺ﴾ أى في زمانه ﴿فأجهدهما﴾ أى أتعبهما ﴿الجوع والعطش في آخر النهار حتى كادتا﴾ أى قربتا ﴿أن تلتقا﴾ أى تهلكا من شدة الجوع والعطش ﴿فبعثنا﴾ رسولا ﴿إلى رسول الله ﷺ تسأذنانه﴾ أى تطلبان منه الإذن ﴿في الإفطار فأرسل﴾ إليهما ﴿قدح﴾ أى قدحين أى إناء ﴿وقال﴾ رسول الله ﷺ ﴿لها قينا فيه﴾ أى في هذا القدح ﴿ما أكلتما فقامت أحدهما نصفه﴾ أى القدح ﴿وما عنيطا﴾ أى خالصا ﴿ولهما غريضا﴾ أى طريا ﴿وقامت الأخرى مثل ذلك﴾ الدم المعيط واللحم الغريص ﴿حتى ملأناه﴾ أى القدح بما ذكره ﴿فتعجب الناس من ذلك﴾ أى بما رأوه من حال المرأتين ﴿فقال رسول الله ﷺ ما تان﴾ المرأتان ﴿صامتا عما أحل الله لهما﴾ أى من الطعام والشراب ﴿وأفطرتا على ما حرم الله عليهما﴾ ثم بين ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام

فعدت احدهما على الأخرى فجعلنا تغتابان الناس فهذا ما أكلنا من لحومهم ﴿وروي﴾ عن أبي مسعود الأنصاري أنه قال ما من عبد صام رمضان في انصات وسكوت وذكر الله وأحل جلاله وحرم حرمه ولم يرتكب فيه فاحشة الا انسلخ من رمضان يوم ينسلخ وقد غفرت له ذنوبه كلها وينبئ له بكل تسيحة وتهليلة بيت في الجنة من زمردة خضراء في جوفها ياقوتة حمراء في جوف تلك الياقوتة خيمة من درة مجوفة فيها زوجة من الحور العين اخواني اهتموا بأمر صومكم واحذروا بما يبطله ويرده عليكم فقد قيل اذا تعلق مظلوم بحسنات صوم ظالمه يقول الله سبحانه وتعالى الصوم لي وأنا أجزى به فلا تفسدوا مثل هذا العمل بترك المبالاة بمجدود الله عز وجل وأتركوا في رمضان المخالفة والجفاء فانه شهر الصفا والمعاملة بالوفاء فطوبى لأقوام صموا عن الشهوات وقاموا في الخلوات يتلون من آيات ذكره

﴿فعدت﴾ أي أسرع ﴿احدهما على الأخرى﴾ وفي رواية قعدت احدهما الى جنب الأخرى ﴿فجعلنا﴾ أي شرعنا ﴿تغتابان﴾ الناس فهذا ﴿أي ما ذكر من قيتهما﴾ ما أكلنا من لحومهم ﴿هكذا﴾ أورده صاحب العوارف والغزالي.

﴿وروي﴾ بالبناء للمفعول أي روى أبو الحسن الفراء باسناده ﴿عن﴾ عبد الله ﴿أبي مسعود الأنصاري﴾ رضي الله عنهما ﴿أنه قال ما من عبد صام رمضان في انصات وسكوت﴾ عما لا يعنيه ﴿وذكر الله وأحل جلاله وحرم حرامه ولم يرتكب فيه فاحشة﴾ من الفواحش ﴿الا انسلخ﴾ أي خرج العبد ﴿من رمضان يوم ينسلخ وقد غفرت له ذنوبه كلها وينبئ له بكل تسيحة وتهليلة بيت في الجنة من زمردة خضراء ياقوتة حمراء في جوف تلك الياقوتة خيمة من درة مجوفة فيها زوجة من الحور العين﴾ عليها سواران من ذهب موشح بياقوتة حمراء تضيء لها الأرض هكذا ذكره أبو الليث.

﴿اخواني﴾ أي يا اخواني نداء تعطف وشفقة ليكون أدعى الى الامتثال والقبول قال الله تعالى أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن قال أحمد الدمهوري واخوان جمع أخ في الله لأن النسب وجمعه من النسب اخوة انتهى وهذا على سبيل الغلبة كما قاله الأمير ﴿اهتموا﴾ واجتهدوا ﴿بأمر صومكم واحذروا بما يبطله﴾ ما ﴿يرده عليكم﴾ اذك من صوم فسد فلم يسقط به القرض وكمن صائم يفضحه الحساب يوم العرض الأكبر وكمن عاص في هذا الشهر تستغيث منه الأرض وتشكو من أعماله السماء فيألت شعري من المقبول ومن المطرود ومن الشقي ومن المسعود لقد عاد الأمر بهما تالله لقد سعد في هذا الشهر بحراسة أيامه من كف جواهره عن كسب آثامه ولقد خاب من لم يتله من صيامه الا الجوع والظما ﴿قد قيل﴾ قائله سفيان بن عيينة كما قاله الخطيب في شرح المنهاج ﴿اذا تعلق مظلوم﴾ يوم القيامة ﴿بحسنات صوم ظالمه يقول الله سبحانه وتعالى الصوم لي وأنا أجزى به﴾ يعني معنى هذه الاضافة ان سائر العبادة يوفى منها ما على العبد من الحقوق الا الصيام فانه يبقى موفرا لصاحبه لا يوفى منه حق وقد ورد ذلك في حديث هذا أحد الوجوه في معنى قوله الصوم لي قال أبو العباس القرطبي وقد كتبت استحسنه الى ان وجدت حديثا فيه ذكر الصوم في جملة الأعمال المذكورة للأخف منها فانه ﴿قال﴾ في المغلس الذي يأتي يوم القيامة بصلاة وصدقة وصيام ويأتي وقد شتم هذا الحديث قال وهذا يدل على أن الصيام يؤخذ كسائر الأعمال انتهى قال العراقي اذا صحح ذلك الاستثناء فهو مقدم على هذا العموم فيجب الأخذ والله أعلم ﴿فلا تفسدوا﴾ أي الأخوان ﴿مثل هذا العمل﴾ وهو الصوم ﴿بترك المبالاة﴾ وعدم الاكثار ﴿بمجدود الله عز وجل وأتركوا في رمضان المخالفة﴾ أي المعصية ﴿والجفاء﴾ أي قسوة القلب ﴿فانه﴾ أي رمضان ﴿شهر الصفا والمعاملة﴾ أي العبادة ﴿بالوفاء﴾ فطوبى ﴿قيل من الطيب والمعنى العيش الطيب وقيل شجرة في الجنة﴾ لأقوام صاموا ﴿أي اجتنبوا﴾ عن الشهوات ﴿أي المشتبهات النفسانية﴾ وقاموا في الخلوات يتلون من آيات ذكره ﴿وهو القرآن العزيز﴾

صحفا ضاعف الله لهم بصيامهم أجرا ووعدهم في الجنة قصورا وغرفا . شعر :

شهر صيام لقد علوت مكرما * وغدوت من بين الشهور معظما
يا صائمي رمضان هذا شهركم * فيه أيا حكمه المهيمن مغنما
يا فوز من فيه أطاع الهمة * مقربا متجنبنا ما حرما
فالويل كل الويل للعاصي الذي * في شبهه أكل الحرام وأجرما

نسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا ممن حفظ على حدود صيام رمضان قفاز بالفردوس والجنان والقصور والخور العين . الحسان

﴿ فصل ﴾ في فضل العشر الآخر وليلة القدر والإعتكاف وأحياء ليلتي العيد وصدقة الفطر * أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الآخر شد مزره وأحيا ليله وأيقظ أهله وفي رواية لمسلم عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهد في العشر الآخر ما لا يجهد في غيره

﴿ صحفا ضاعف الله لهم بقيامهم أجرا ووعدهم في الجنة قصورا ﴾ جمع قصر مثل فلس وفلوس ﴿ وغرفا ﴾ جمع غرفة وهي العلية . قال الفيومي وهذا ﴿ شعر ﴾ من بحر الكامل ﴿ شهر الصيام لقد علوت مكرما وغدوت ﴾ أي صرت ﴿ من بين الشهور معظما يا صائمي رمضان هذا شهركم فيه ﴾ أي في هذا الشهر ﴿ أيا حكمه المهيمن ﴾ أي الرقيب المبالغ في المراقبة والحفظ من قولهم هيمن الطائر إذا نشر جناحه على فرجه صيانة له وقيل معناه الشاهد أي العالم الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة ﴿ مغنما ﴾ أي غنيمة والجمع الغنائم والمغانم ﴿ يا فوز من فيه أطاع الهمة مقربا ﴾ و﴿ متجنبنا ما حرما فالويل ﴾ أي العذاب الشديد ﴿ كل الويل للعاصي الذي في شهره ﴾ أي رمضان ﴿ أكل الحرام وأجرما ﴾ أي ارتكب الحرم بضم الجيم الذنب ﴿ نسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا ممن حافظ على حدود صيام رمضان قفاز بالفردوس ﴾ وهو أعلى الجنان ﴿ والجنان والقصور والخور العين الحسان ﴾ بجاء سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم وعلى آله في كل آن أمين .

﴿ فصل في فضل العشر الأخير ﴾ من رمضان

﴿ و ﴾ فضل ﴿ ليلة القدر والاعتكاف ﴾ فضل ﴿ أحياء ليلتي العيد وصدقة الفطر ﴾ .

أما فضل العشر الأخير فقد ﴿ أخرج الشيخان ﴾ وأبو داود والنسائي وابن ماجه ﴿ عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي ﷺ إذا دخل العشر زاد في رواية ابن أبي شيبه ﴿ الأخير ﴾ من رمضان ﴿ شد مزره ﴾ بكسر الميم أزاره قال العلامة الحفنى حقيقة أو كناية عن الاجتهاد في العبادة ولا مانع من ارادتهما معا إذا جمع بين الحقيقة والحجاز جازر كما في البيان ﴿ وأحيا ليله ﴾ أي ترك النوم وتعبد معظم الليل لا كله بقرينة خبر عائشة ما علمته قام ليلة حتى الصباح ﴿ وأيقظ أهله ﴾ أي زوجاته المعتكفات معه بالمسجد واللاتي في بيوتهن قال العلامة المعنى أي التهجد فيسن إيقاظ من وثق بقيامه ﴿ وفي رواية لمسلم عنها ﴾ أي عن عائشة رضي الله عنها ﴿ قالت كان النبي ﷺ يجهد في العشر الأخير ما لا يجهد غيره ﴾

قال النووي في شرح نسلم اختلف العلماء في معنى شد مزره فقيل هو الاجتهاد في العبادات زيادة على عادته ﷺ في غيره معناه التسمير في العبادات يقال شددت لهذا الأمر مزرى أي تشعرت له وتفرغت وقيل هو كناية عن اعتزال النساء للإشتغال بالعبادات وقولها أحيا ليله أي استغرقه بالسير في الصلاة وغيرها وقولها وأيقظ أهله أي أيقظهم للصلاة في الليل في جد في العبادة زيادة على العادة ففي

كان النبي صلى الله عليه وسلم يخص عشر الأواخر في رمضان بأعمال لا يعملها في بقية الشهر * وأخرج الديلمي عن أنس أن الله تعالى وهب لأمى ليلة القدر ولم يعطها من كان قبلهم * والطبراني عن عبادة بن الصامت التمسوها في العشر الأواخر فاتها وتر في إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو آخر ليلة فمن قامها إيماناً واحساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر *

هذا الحديث أنه يستحب أن يزداد من العبادات في العشر الأواخر من رمضان واستحباب إحياء ليلته بالعبادات وأما قول أصحابنا يكره قيام الليل كله فمعناه الدوام عليه ولم يقولوا بكرة ليلة وليلتين والعشر ولهذا اتفقوا على استحباب إحياء ليلتي العيدين وغير ذلك .
قال المصنف ﴿ كان النبي صلى الله عليه وسلم يخص العشر الأواخر في رمضان بأعمال لا يعملها في بقية الشهر ﴾ وأما فضيلة ليلة القدر فقد ﴿ أخرج الديلمي ﴾ في مسند الفردوس ﴿ عن أنس ﴾ ﴿ أن الله وهب لأمى ﴾ أى أمة الاجابة ﴿ ليلة القدر ﴾ أى خصهم بها ﴿ ولم يعطها من كان قبلهم ﴾ أى من الأمم المتقدمة فيه دليل صريح على أنها من خصائص هذه الأمة وليلة القدر باسكان الدال وفتحها سميت بذلك لعظم قدرها لما فيها من الفضائل أى ذات القدر العظيم أولاً لأن الأشياء تقدر فيها وقد جوز المفسرون في الآية إرادة الشرف والتقدير مع كونه لم يقرأ إلا بالاسكان وجزم الهروى وابن الأثير في تفسيرهما بالتقدير فقالا وهى الليلة التى تقدر فيها الأرزاق وتقضى وصححه النووى في شرح المذهب فقال سميت ليلة القدر أى ليلة الحكم والفضل هذا هو الصحيح المشهور وحكاة في شرح مسلم عن العلماء .

والمراد بالعشر الأواخر هى الليالى وكان يعتكف الأيام معها أيضاً فلم يكن يقتصر على اعتكاف الليالى وإنما اقتصر على ذكرها على عادة العرب فى التاريخ بها وهذا يدل على دخوله محل الاعتكاف قبل غروب الشمس ليلة الحادى والعشرين والام يكن اعتكف العشر بكاملها وهذا هو المعبر عند الجمهور لمن أراد اعتكاف عشر أشهر وبه قال الأئمة الأربعة وحكاة الترمذى عن الثورى وقال آخرون بل يبدأ الاعتكاف من أول النهار وهو قول الأوزاعى وأبى ثور واسحق بن راهويه وابن المنذر والليث بن سعيد فى أحد قوله وحكاة الترمذى عن أحمد وحكاة النووى فى شرح مسلم عن الثورى وصححه ابن العربى وقال ابن عبد البر لأعلم أحدا من فقهاء الأمصار قال به إلا الأوزاعى والليث وقال به طائفة من التابعين واحتجوا بحديث عائشة فى الصحيحين كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يعتكف صلى الصبح ثم دخل معتكفه وتأوله الجمهور على أنه دخل المعتكف وانقطع فيه وتخلى بنفسه بعد صلاة الصبح لأن ذلك وقت ابتداء الاعتكاف بل كان من قبل الغروب معتكفا ثابتا فى المسجد فلما صلى الصبح انقرد .

﴿ و ﴾ أخرج ﴿ الطبرانى ﴾ فى معجمه الكبير وأحمد فى مسنده ﴿ عن عبادة بن الصامت ﴾ ﴿ أنه سأل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر فقال فى رمضان ﴾ التمسوها فى العشر الأواخر فاتها وتر فى ﴾ وفى رواية من ﴿ إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو ﴾ فى ﴿ آخر ليلة فمن قامها ﴾ أى ليلة القدر كأن أحيائها بالعبادة من صلاة وغيرها ﴿ إيماناً ﴾ أى تصديقاً بأنها حق وطاعة ﴿ واحتساباً ﴾ أى طلب رضا الله تعالى وثوابه للبراء ونحوه فى المصباح احتسب الأجر على الله تعالى أخره عنده لا يرجو ثواب الدنيا والاسم للحسبة بالكسر وفى رواية أخرى فمن قامها ابتغاءها ثم وقعت له ﴿ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ﴾ أى من الصغائر أو الأعم دون التبعات وهذا جواب قوله فمن قامها .

والشك في رجوعه ماضيا مع أن القرآن في المستقبل الإشارة إلى أنه ميقن الوقوع فضلا من الله تعالى على عباده وما أحسن قوله

بعضهم: هي ليلة القدر التي شرفت على * كل الشهور وسائر الأعوام

من قامها يسبحوا الله بفضلها * عنه الذنوب وسائر الآثام

فيها تجل الحق جل جلاله * وقضى القضاء وسائر الأحكام

فادعه واطلب فضله بنط المنى * وتجاب بالانعام والأكرام

فإنه يرزقنا القبول بفضلها * ويجود بالغفران للعوام

وبديننا فيها حلوة صفوة * ويمينا حقا على الإسلام

وفي هذا الحديث عبد الله بن محمد بن عقيل وهو حسن الحديث فإن قلت قوله أو في آخر ليلة مشكل لأنها ليست وتران كان الشهر كاملا وقد قال فإنها وتران كان ناقصا فهي ليلة تسع وعشرين فلا معنى لعطفها عليها فالجواب أن قوله أو في آخر ليلة معطوف على قوله فإنها وتر لا على قوله أو تسع وعشرين فليس تفسيراً للوتر بل معطوفاً عليه قال الشيرازي ثم يحتمل أنها تكون عند كل قوم بحسب ليلتهم فإذا كانت عند نهار الغير تأخرت الإجابة والثواب إلى أن يدخل الليل عندهم ويحتمل لزومها لوقت واحد وإن كان نهاراً بالنسبة لآخرين والظاهر الأول لينطبق عليه مسمى الليل عند كل منهما أخذاً بما قيل في سباعة الإجابة في يوم الجمعة أنها تختلف باختلاف أوقات الخطب وميل الشافعي رحمته إلى أنها ليلة حاد أو ثالث وعشرين فكل ليلة من ليالي العشر محتملة لها عنده لكن أرجاها ليلي الوتر وأرجاها من لياليه ما ذكر فمن مذهبه أنها تلزم ليلة بعينها .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها ليلة سبع وعشرين واستدل على ذلك بأن الله خلق السموات سبعة والأرضين سبعة والأيام سبعة وأن الإنسان خلق من سبع وجعل رزقه في سبع ويسجد على سبع أعضاء والطواف سبع والجمار سبع واستحسن ذلك عمر بن الخطاب كما في الحلية لأبي نعيم واستدل بعضهم على ذلك بأن عدد كلمات السورة إلى قوله هي سبع وعشرين وفيه إشارة إلى ذلك وحكي ذلك عن ابن عباس نفسه حكاه عنه ابن العربي وابن قدامة .

وذهب جماعة من العلماء أنها تنتقل فتكون سنة في ليلة وسنة في ليلة أخرى وهكذا رواه ابن أبي شيبه في مصنفه عن أبي قلابة وهو قول مالك وسفيان الثوري وأحمد وإسحق وأبي ثور وغيرهم وعزاه ابن عبد البر في الاستذكار للشافعي ولا يعرفه عنه ولكن قال به من أصحابه للمزني وابن خزيمة وهو المختار عند النووي وغيره واستحسنه ابن دقيق العيد للجمع بين الأحاديث الواردة في ذلك فإنها اختلفت اختلافًا لا يمكن معه الجمع بينها إلا بذلك وإذا فرغنا على انتقالها فعليه أقوال أحدها أنها تنتقل فتكون ليلة الحادي والعشرين أو الخامس والعشرين الثاني أنها في ليلة الخامس والعشرين أو السابع والعشرين وكلاهما مذهب مالك قال ابن الحاجب وقول من قال من العلماء أنها في جميع العشر الأواخر أو في جميع الشهر ضعيف الثالث أنها تنتقل في العشر الأواخر وهذا قول من قال بانتقالها من الشافعية الرابع أنها تنتقل في جميع الشهر وهو مقتضى كلام الحنابلة قال ابن قدامة في المغني يستحب طلبها في جميع ليالي رمضان وفي العشر الأواخر أكد وفي ليالي الوتر منه أكد ثم حكى قول أحمد هي في العشر الأواخر وفي رمضان لا تخطئ إن شاء الله تعالى ومقتضاه اختصاصها بأواخر العشر الأخير فإذا انضم عليه القول بانتقالها صار هذا قولاً خامساً على الانتقال وفيها للعلماء أقوال كثيرة وقال ابن العربي بعد حكاية ذلك الصحيح منها أنها لا تعلم انتهى وهو معنى قول أهل العلم أخفى الله تعالى هذه الليلة على عباده لئلا يتكلموا على

وهو عن واثلة ليلة القدر ليلة بلجة لا حرة ولا باردة ولا سحب فيها ولا مطر ولا ريح ولا يرمى فيها بنجم من علامة يومها أن تطلع الشمس لا شعاع لها * والنسائي عن عائشة رضى الله عنها قلت قلت يا رسول الله أريت أن علمت ليلة القدر ما أقول فيها قال قولي اللهم انك عفوتج العفو فاعف عني * وأخرج الديلمي عن عائشة من اعتكف ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه * وابن ماجه والبيهقي عن ابن عباس المعتكف يعكف الذنوب ويجري له من من الأجر كأجر عامل الحسنات كلها * والشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ثم اعتكف أزواجه من بعده *

فضلها ويقصروا في غيرها فأراد منهم الجد والاجتهاد في العمل أبداً قال الزيدى وهذا يحسن أن يكون قولاً مستقلاً وهو الكف عن الخوض فيها وأنه لا سبيل إلى معرفتها ويسن لمن رآها أن يكتمها لأن رؤيتها كرامة أذ هو أمر خارق وهو ينبغي كتمه باتفاق أهل الطريق ويحصل فضلها للعامل وإن لم يطلع عليها ومن قال لا ينال فضلها إلا من أطلع عليها محمول على فضلها الكامل وعلامتها عدم الحر والبرد فيها وإن تطلع الشمس صبيحتها بيضاء بلا كثرة شعاع ويستمر ذلك إلى أن ترتفع كرمح وحكمة ذلك كثرة اختلاف الملائكة ونزولها وقعودها فيها فتستر بأجنتها وأجسامها اللطيفة ضوء الشمس وشعاعها كما دل عليه الحديث الذي ذكره المصنف بقوله .

﴿وهو﴾ أي وأخرج الطبراني ﴿عن واثلة﴾ بن الأسقع ﴿ليلة القدر ليلة بلجة﴾ قال المناوي أي مشرقة نيرة ﴿لا حارة ولا باردة﴾ أي معتدلة ﴿ولا سحب فيها ولا مطر ولا ريح﴾ أي شديدة ﴿ولا يرمى فيها بنجم﴾ ومن علامة يومها أن تطلع الشمس لا شعاع لها ﴿قال العلقمي﴾ بمجانبة علامة الحسن والشعاع بضم الشين هو ما يرى من ضيوئها عند بروزها مثل الجبال والقضبان مقبلة إليك إذا نظرت إليها وقيل هو الذي تراه ممتداً بعد الطلوع . وجمعه أشعة وشنع بضم الشين والعين واشتت الشمس نشزت شعاعها قاله النووي ومن خصائصها أنه لا ينعقد فيها عطفة كافر وهي ليلة ينكشف فيها شيء من عجائب الملكوت والناس في هذا الكشف متفاوتون فمنهم من يكشف له عن ملكوت السموات والأرض فيرى الملائكة بين راع وساجد ومنهم من يرى طاقة من نور وغير ذلك وليكثر فيها وفي يومها من العبادة باخلاص وصحة يقين ومن الدعاء الذي ذكره بقوله .

﴿و﴾ أخرج الترمذي و﴿النسائي﴾ وابن ماجه ﴿عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يا رسول الله أريت أن علمت ليلة القدر ما أقول فيها قال﴾ ﴿قولي اللهم انك عفوتج العفو فاعف عني﴾ قال الترمذي حديث حسن صحيح .

﴿وأخرج الديلمي عن عائشة﴾ رضى الله عنها ﴿من اعتكف ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه﴾ قال المناوي من الصغائر حيث اجتنب الكبائر وتماه عند تحزجه ومن اعتكف فلا يكتر من الكلام ﴿و﴾ أخرج ابن ماجه والبيهقي عن ابن عباس ﴿رضي الله عنهما﴾ المعتكف يعكف الذنوب ﴿أي يدفرها عن نفسه باجتنابه لها﴾ ويجري له من الأجر كأجر عامل الحسنات كلها ﴿القصده الحث على الاعتكاف والترغيب فيه قاله العزري .

﴿و﴾ أخرج الشيخان ﴿وأبو داود والنسائي﴾ من طريق عقيل عن الزهري عن عروة ﴿عن عائشة رضى الله عنها﴾ أنها ﴿قالت كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله﴾ وفي رواية حتى قبضه الله عز وجل ﴿ثم اعتكف أزواجه بعده﴾ وأخرج النسائي من طريق عبد الرزاق هكذا بدون الجملة الآخرة وقولها حتى قبضه الله عز وجل استمرار هذا الحكم حتى في حق النساء فكن أمهات المؤمنين يعتكفن بعد النبي ﷺ من غير تكبر وإن كان هو في حياته قد أنكر عليهن الاعتكاف بعد إذنه لبعضهن كما هو في الحديث الصحيح فذلك بمعنى آخر وهو كما قيل خوف أن يكن غير مخلصات في الاعتكاف بل أردن القرب منه لغيرتهن

والبيهقي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما من اعتكف عشرا في رمضان كان كحجتين وعمرتين *

عليه أولغيرته عليهن اذ ذهاب المقصود من الاعتكاف يكون مع في المعتكف أو لتضييق المسجد بأبنيتهن والله أعلم لاشك في أن اعتكافه صلى الله عليه وسلم كان في مسجده وكذلك اعتكاف أزواجه فأخذ منه اختصاص الاعتكاف بالمساجد وأنه لا يجوز في مسجد البيت وهو الموضع المهيأ للصلاة فيه لأني حق الرجل ولأني حق المرأة إذ لجاز في البيت لفعلوه ولومرة كما في ملازمة المسجد من المشقة لاسيما في حق النساء وفي الصحيح عن نافع وقد أراني عبد الله يعني ابن عمر المكان الذي يعتكف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد وبهذا قال مالك والشافعي وأحمد وداود .

والجمهور وقال أبو حنيفة يصح اعتكاف المرأة في مسجد بيتها وهو قول قديم للشافعي قال ابن قتادة وحكى عن أبي حنيفة أنه لا يصح اعتكافها في مسجد الجماعة وحكاها ابن عبد البر عن أبي حنيفة والكوفيين مطلقا أنهم قالوا لا تعتكفي إلا في مسجد بيتها ولا تعتكفي في مسجد الجماعة ثم حكى عن أصحاب أبي حنيفة أن لها الاعتكاف في المسجد مع زوجها وجوزها بعض المالكية والشافعية للرجل أيضا في مسجد بيته قال الزبيدي الحنفى الذي في كتب أصحابنا المرأة تعتكف في مسجد بيتها ولو اعتكفت في مسجد الجماعة جاز والأول أفضل وليس لها أن تعتكف في غير موضع صلاتها وإن لم يكن فيه مسجد لا يجوز لها الاعتكاف فيه انتهى .

ثم اختلف الجمهور المشروطون للمسجد العام فقال مالك والشافعي وجمهورهم يصح الاعتكاف في كل مسجد قال أصحاب الشافعي ويصح في سطح المسجد ورحبته وقال يختص بمسجد يتقام فيه الجماعة الراتبية إلا في حق المرأة فيصح في جميع المساجد وقال أبو حنيفة بمسجد يصلى فيه الصلوات كلها أي في حق الرجل وروى الحسن عن أبي حنيفة بكل مسجد له امام ومؤذن معلوم ويصلى فيه الصلوات الخمس بالجماعة وقال أبو يوسف أن الاعتكاف الواجب لا يجوز في غير مسجد الجماعة والتفل يجوز وقال الزهري وآخرون يختص بالجامع الذي يتقام فيه الجمعة وهو رواية عن مالك ثم قد استدل بالحديث المذكور أنه لا يشترط لصحة الاعتكاف الصوم وذلك من وجهين أحدهما أنه اعتكف ليلا أيضا مع كونه فيه غير صائم ذكره ابن المنذر ثانيهما أن صومه في شهر رمضان إنما كان للشهر لأن الوقت مستحق له ولم يكن لا اعتكاف ذكره المزني والخطابي وبهذا قال الشافعي وأحمد في أصح الروايتين عنه وحكاها الخطابي عن علي وابن مسعود والحسن البصري وقال مالك وأبو حنيفة والجمهور يشترط لصحة الاعتكاف الصوم وروى ذلك عن علي وابن عمر وابن مسعود وعائشة وروى الدارقطني في حديث عائشة المتقدم من رواية ابن جريج عن الزهري بزيادة وإن السنة للمعتكف فذكر أشياء منها ويؤمر من اعتكف أن يصوم ثم قال الدارقطني إن قوله وإن السنة الخ ليس من قول النبي صلى الله عليه وسلم وأنه من كلام الزهري ومن أدرجه في الحديث وهم ولكن في سنن أبي داود صريحا أنه من كلام عائشة أي فمثله لا يعرف الاسماعا والمسئلة المقررة في كتب الخلاف قاله العلامة الزبيدي .

﴿و﴾ أخرج ﴿البيهقي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما﴾ بأسناد ضعيف كما قاله العزيزي ﴿من اعتكف عشرا من رمضان﴾ قال العلامة الحنفى سواء كانت الأولى أو الوسطى أو الأخيرة لكن الأخيرة أفضل طلبا لليلة القدر ﴿كان﴾ ثواب اعتكاف ﴿كحجتين وعمرتين﴾ أي كثوابهما وهذا ترغيب والافعلوم أن ثواب الحج أكثر قاله الحنفى .

والطبراني عن أبي أمامة تمام الرباط أربعين يوما ومن رباط أربعين يوما لم يسترى ولم يشرى ولم يحدث حداً ما خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه * وأخرج ابن ماجه عن أبي أمامة من قام ليلتي العيد محسباً لله لم يميت قلبه يوم يموت القلوب * وابن عساكر عن معاذ من أحيا الليالي الأربع وحبته الجنة ليلة تروية وليلة عرفة وليلة النحر وليلة الفطر *

﴿و﴾ أخرج الطبراني عن أبي أمامة تمام الرباط ﴿﴾ أي مرابطة النفس بالإقامة على مجاهدتها لتبديل أخلاقها الرديئة بالحسنة وهذا هو الجهاد الأكبر المراد بقوله صلى الله عليه وسلم رجعتنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ﴿﴾ أربعين يوماً ﴿﴾ وتسمى هذه الخلوة الأربعينية وهي الخلوة الكبرى عند أهل الله أخذوها من هذا الحديث وأمثاله فيمكث الشخص أربعين يوماً مقتصراً على قليل من الطعام على يد شيخ مرب فتتصفي معدته وينصب جيوش الروح لقتال جيوش النفس من الحقد والحسد والغل والزبء والعجب فيغلب أحد الجيشين الآخر فإذا غلب جيش النفس هلك لأن جيشها الضلالات وإذا غلب جيش الروح نجح وكان محالاً للأتوار والمعارف فلم يزل يتراد إلى أن يلتقى مولاه تعالى على أكمل الأحوال فيفوز بالخط الأوفر حيث فتح المدينة فتحلاً لا سد بعده وهذا كله في الرباط المعنوي والرباط الحسي الجلوس في بلاد المسلمين وهي الثغور لأجل مقاتلة الكفار إذا جاءوا وكذا قاله العلامة الحفنى ﴿﴾ ومن رباط أربعين يوماً لم يبع ولم يشر ولم يحدث حداً ما خرج ﴿﴾ أي لم يفعل شيئاً من الأمور الدنيوية لغير الضرورة ﴿﴾ من ذنوبه كيوم ولدته أمه ﴿﴾ أي خرج منها خروجا مثل خروجه يوم ولدته أمه أو خرج منها حال كونه مشبهاً لنفسه يوم ولادته في البراءة فهو إما صفة لمصدر محذوف أو في محل نصب على الحال قال العزيرى يحتمل أن يكون المراد غير حقوق العبادة.

قال الرافعي ويستحب استحباباً مؤكداً إحياء ليلة العيد بالعبادة قال النووي وتحصل فضيلة الإحياء بمعظم الليل وقيل تحصل بساعة وقد نقل الشافعي رضي الله عنه في الأم عن جماعة من أئمة أهل المدينة ما يزيد به ويقل القاضي حسين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن إحياء ليلة العيد أن تصلى العشاء في جماعة ويعزم أن تصلى الصبح في جماعة والمختار ما قدمه قال الشافعي رحمه الله وبلغنا أن الدعاء يستحب في خمس ليال ليلة الجمعة والعيد وأول رجب ونصف شعبان قال واستحب كل ما حكيت في هذه الليالي والله أعلم انتهى.

﴿و﴾ قد وردت أحاديث تدل على ما ذكره ﴿﴾ أخرج ابن ماجه ﴿﴾ من حديث بقة ﴿﴾ عن أبي أمامة من قام ليلتي العيد ﴿﴾ أي أحياهما ﴿﴾ محسباً لله لم يميت قلبه يوم يموت القلوب ﴿﴾ قال العلقي معنى قوله لم يميت قلبه يوم يموت القلوب فيقبل لا يشغف بحب الدنيا لأنه موت قال عليه الصلاة والسلام لا تدخلوا على هؤلاء الموتى قيل من هم يا رسول الله قيل الأغنياء قيل من يأمّن من سوء الخاتمة قال أو من كان ميتاً فأحييناه أي كافراً فهديناه قال الزيدى بقة صدوق ولكنه كثير التدليس وقد رواه بالعنعنة رواه ابن شاهين بسند فيه ضعف ومجهول وأخرج الطبراني في الكبير من حديث عبادة بن الصامت من أحيا ليلة الفطر وليلة الأضحى لم يميت قلبه يوم يموت القلوب وأخرج الحسن بن سفيان عن ابن كردوس عن أبيه من أحيا ليلتي العيد وليلة النصف من شعبان لم يميت قلبه يوم يموت القلوب وحديث عبادة الصامت قد أخرجه أيضاً الحسن بن سفيان وفي سنده بشر بن رافع منهم بالوضع وفي سند الطبراني عمرو بن هارون البلخي ضعيف قال الحافظ ابن حجر وقد خولف في صحابه وفي رفعه.

﴿و﴾ أخرج الديلمي و﴿﴾ ابن عساكر و﴿﴾ ابن النجار ﴿﴾ عن معاذ من أحيا الليالي الأربع وحبته الجنة ليلة التروية ﴿﴾ هي ليلة ثامن من ذي الحجة ﴿﴾ وليلة عرفة وليلة ﴿﴾ عيد ﴿﴾ النحر وليلة ﴿﴾ عيد ﴿﴾ الفطر ﴿﴾ وهذا الحديث كما قال الحافظ في تخرجه الأذكار

وأخرج دارقطنى والبيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما زكاة الفطر فرض على كل مسلم حر وعبد وذكر وأنثى من المسلمين صاع من تمر أو صاع من شعير *

غريب وعبد الرحيم بن زيد العمى زاوية متروكة انتهى وسبقه ابن الجوزى فقال حديث لا يصح وعبد الرحيم قال يحى كذاب وقال النسائي متروك وقد استدلل النووى في الأذكار باستحباب الأحياء بحديث عبادة قال فانه وإن كان ضعيفا لكن أحاديث الفضائل يساغ فيها هذه فضيلة الأحياء وأما فضيلة صدقة الفطر فهو ما ذكره بقوله.

﴿ وأخرج الدارقطنى والبيهقى ﴾ وغيرهما ﴿ عن ﴾ عبد الله ﴿ ابن عمر رضى الله عنهما زكاة الفطر ﴾ بكسر الفاء سميت بذلك لأن وجوبها بدخول الفطر ويقال أيضا زكاة الفطر بكسر الفاء أيضا وفي آخرها ناء كأنها من الفطرة التي هي المرادة بقوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها وقال ابن الرفعة بضم الفاء واستغرب والمعنى أنها وجبت على الخلقة تركية للنفس وتنمية لعملها قال وكيع بن الجراح زكاة الفطر في شهر رمضان كسجدة السهو للصلاة تجبر نقصان الصوم كما يجبر السجود لنقصان الصلاة وقال في المجموع يقال للمخرج فطرة بالكسر لا غير كذا في شرح المنهاج ﴿ فرض ﴾ وعليه أجمع الأئمة الأربعة كما قاله المناوى ﴿ على كل مسلم حر وعبد وذكر وأنثى ﴾ وظاهر الحديث أن قوله ﴿ من المسلمين ﴾ للتأكيد ﴿ صاع من تمر أو صاع من شعير ﴾ خبر ثان أو خبر مبتدأ محذوف قال العلامة الحنفى قيد بالتمر والشعير لأنهما غالب قوت المدينة والافال واجب كونه من غالب قوت البلد ولو حصا وعدسا.

وفي قدر الصاع للنووى اختلاف بين الأئمة فقال مالك والشافعى وأحمد هو خمسة أرطال وثلاث بالبغدادى قال الرافعى ستمائة درهم وثلاثة وتسعون درهما وثلاث درهم قال النووى هذا الذي قاله على مذهب من يقول رطل بغداد مائة وثلاثون درهما ومنهم من يقول مائة وثمانية وعشرون درهما وأربعة أسباع درهم هو الأرجح وبه القوى فعلى هذا الصاع ستمائة درهم وثمانون وخمسة أسباع درهم والله أعلم قال الزيدى وذكره صاحب القاموس عن الماوردى هكذا ثم قال وجبرته فوجدته صحيحا انتهى.

وذكر الفقهاء الشافى في محاسن الشريعة معنى لطيفا في إيجاب الصاع وهو أن الناس تمتنع غالبا من الكذب في العيد وثلاثة أيام بعده ولا يجد الفقير من يستعمله فيها لأنها أيام سرور وراحة عقب الصوم والذي يحصل من الصاع عند جفلة خبزاً ثمانية أرطال من الخبز فإن الصاع خمسة أرطال وثلاث ويضاف إليه من الماء نحو ثلثين فيأتى منه ذلك وهو كفاية النفقة أربعة أيام لكل يوم رطلان.

وقال ابن الصباغ وغيره الرطل فيه الكيل وإنما قدره العلماء بالوزن استظهارا قال النووى قد يشكل ضبط الصاع بالأرطال فإن الصاع المخرج به في زمن النبى ﷺ مكبال معروف يختلف قدره وزنا باختلاف جنس ما يخرج كالذرة والحبص وغيرهما فالصواب ما قاله أبو الفرج الدارمى عن أصحابنا أن الاعتماد في ذلك على الكيل دون الوزن والواجب أن يخرج بصاع معين بالصاع الذي كان يخرج به في عصر رسول الله ﷺ وذلك الصاع موجود ومن لم يجده ويجب عليه إخراج قدر يتيقن أنه لا ينقص عنه وعلى هذا التقدير بخمسة أرطال وثلاث تقربا وقال جماعة من العلماء أربع حفنات بكفى رجل معتدل الكفين.

والمشهور أن زكاة الفطر وجبت في السنة الثانية من الهجرة عام فرض صوم رمضان وهو الصحيح إلا أن افتراض الصوم والأمربصدقة الفطر كانا قبل افتراض الزكاة على الصحيح ولذا ذهب بعض العلماء إلى أنها منسوخة بالزكاة وإن كان الصحيح خلافه.

ثم اختلفوا بعد اتفاقهم على وجوبها على كل مسلم في صفة من تجب عليه من المسلمين فقال مالك والشافعى هو من فضل عز قوته لنفسه ومن يقوته يوم الفطر ولله وقال أبو حنيفة لا تجب الأعلى من ملك نصابا أو ما قيمته نصاب فاضل عن مسكه وإثابه وثبائه.

وهما عن ابن عباس زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين من أداها قبل الصلاة فهو زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات * وابن مصرية عن جرير أن شهر رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بزكاة الفطر *

وفرسه وسلاحه وعبدته ولا يشترط النماء إذ هو شرط وجوب الزكاة لاشترط الحرمان وفي الخبر أغنى عن المسئلة في هذا اليوم والأغنياء إنما يكون من الغنى والغنى حده الشرع بملك نصاب قال العبدري ولا يحفظ هذا عن غير أبي حنيفة وحكى ابن حزم عن سفيان الثوري أنه قال من كان له خمسون ديناراً فهو غنى والافهوفير قال وقال غيره درهمان وروى الدارقطني حديثاً عن عبد الله بن ثعلبة بن صقر عن أبيه رفعه وفيه والغنى والفقير أما غنيكم فيزيه وأما فقيركم فيرد عليه أكثر مما أعطى وقال القاضي أبو بكر بن العربي المالكى إلى مسألة أبي حنيفة قال والمسئلة له قوية فإن الفقير لا زكاة عليه ولا أمر النبي ﷺ بأخذها منه وإنما أمر بإعطائها له وحديث ثعلبة لا يعارض الأحاديث الصحاح ولا الأحوال القطعية وقد قال لأصدقة الأمن ظهر غنى وأبدأ بمن تعول وإن لم يكن هذا غنياً فلا تلزمه الزكاة انتهى قال الولي العراقي وهو ضعيف وليس التمسك بحديث ثعلبة وإنما هو بالعموم الذي في قوله فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان على الناس وقد ذكر ذلك هو في أول كلامه إلا أنا اعتبرنا القدرة على الصاع لما علم من القواعد العامة فأخرجنا عن ذلك العاجز عنه انتهى.

وقوله على كل مسلم خرج منه الكافر الأصلي لما تقدم في الخبرين المسلمين وهو اجتماع قاله الماوردي لأنها طهرة كما يأتي في الخبر والكافر ليس من أهلها والمراد أنه ليس مطالباً بإخراجها والعقوبة عليها في الآخرة فعلى الخلاف في تكليفه بالفروع قاله في المجموع والاضح أنه مكلف بها قال السبكي يحتمل أن هذه التكليف الخاص لم يشتملهم لقوله في الحديث من المسلمين وأما فطرة المرتد ومن عليه مؤنة فموقوفة على عودته إلى الإسلام وكذا العبد المرتد ﴿وهما﴾ أي وأخرج الدارقطني والبيهقي ﴿عن ابن عباس﴾ رضي الله عنهما ﴿زكاة الفطر طهرة﴾ بضم الطاء ﴿لصائم اللغو﴾ قال العلامة الحنفى هو الكلام المحرم فإن كان غير مكلف أو محفوظ من المعاصي فهي له رفع درجات ﴿والرفث﴾ أي الواقين منه حال صومه ﴿وطعمة للمساكين﴾ والفقراء ﴿من أداها﴾ أي أخرجها إلى مستحقها ﴿قبل الصلاة﴾ أي صلاة العيد ﴿فهي زكاة مقبولة﴾ أي مثاب عليها ﴿ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات﴾ أي وليست بزكاة الفطر وبهذا أخذ ابن حزم فقال لا يجوز تأخيرها عن الصلاة ومذهب الشافعى أن له تأخيرها ما لم تغرب الشمس.

﴿و﴾ أخرج ﴿ابن مصرية﴾ قاضى الفقهاء في أماليه الحديثية ﴿عن جرير﴾ بن عبد الله ﴿أن شهر رمضان معلق بين السماء والأرض﴾ قال المناوى أي صومه كما في الفردوس ﴿لا يرفع﴾ إلى الله تعالى رفع قبول أو رفعا تاماً ﴿الابزكاة الفطر﴾ قال العزيمى أي بإخراجها لقوله والاثابة عليه توقف على إخراجها وقال العلامة الحنفى لا يرفع أي من الثواب الكامل والأفالمعتمد أنه يرفع ويثاب عليه وإن لم يرك وإن حرم عليه لكن ليس رفعا تاماً بالثواب الكامل والقول بأنه لا يرفع أصلاً إذا لم يرك مردود انتهى.

وفي الروضة يشترط في مؤدى الفطر ثلاثة أمور الأول الإسلام فلا فطرة على كافر عن نفسه ولا عن غيره إلا إذا كان له عبد مسلم أو قريب مسلم أو مستولدة مسلمة ففي وجوب الفطرة عليه وجهان بناء على أنها تجب على المؤدى ابتداء أم على المؤدى عنه ثم تحتمل المؤدى قال النووي أصحهما الوجوب وصححه الرافعى في المحرر وغيره وهو مقتضى البناء . الأمر الثاني الحرية فليس على الرقيق فطرة نفسه ولا فطرة زوجته ولو ملكه السيد عبداً وقتلنا بملكه سقطت فطرته عن سيده لثوال ملكه ولا تجب على المملك لضعف ملكه وفي المكاتب ثلاثة أوجه أصحها لا فطر عليه ولا على سيده عنه . الأمر الثالث البسار فالمعسر لا فطرة عليه وكل من لم يفضل عن قوته وقوت من تنقته ليلة العيد ويومه ما يخرج في الفطرة فهو معسر ومن فضل عنه ما يخرج في الفطرة من أى جنس كان من المال فهو موسر ولم يذكر

اخواني مضي شهر رمضان وشهد على المسئ بالاساءة وعلى الحسن بالإحسان وحصل كل على ما قسم له من ربح وخسران في حصرة المفترط لقد أضاع الزمان وبأخيبة المسوف كأنه أخذ من الموت الأمان أو علم أن القضاء يمهله الى صوم رمضان ثان هذا شهركم قد انتصب لكم مودعا

الشافعي وأكثر الأصحاب في ضبط اليسار والاعسار الا هذا القدر وزاد الامام فاعتبر كون الصاع فاضلا عن مسكه وعبد الذي يحتاج اليه في خدمته ولم يذكره غيره وهو كالبيان والاستدراك لما أهمله الأولون وحكى الشيخ أبو علي وجه أن عبد الخدمة لا يباع في الفطرة. واعلم أن دين آدمي يمنع وجوب الفطرة بالاتفاق كما أن الحاجة الى حرفة في نفقة القريب يمنعه كما قاله الامام ثم اليسار انما يعتبر وقت الوجوب فلو كان معسرا عنده ثم أسرف فلا شيء عليه قال أبو حامد الغزالي وغيره وقسمتها كقسمة زكاة الأموال سواء كما دلت عليه تسميتها زكاة وبهذا قال مالك والشافعي وأحمد والجمهور وقال بعض المالكية انما يجوز دفعها الى الفقير الذي لم يأخذ منها وعن عمرو بن سيمون وعمرو بن شرحبيل مرة الحمداني أنهم كانوا يعطون الرهبان وقال الأولون فيجب فيها استيعاب الاصناف الثمانية عند الامكان وان يعطى من كل صنف ثلاثة وبه قال الشافعي وداود وابن حزم فان شقت القسمة جمع جماعة فطرتهم ثم قسموها ووجوب التسوية بين الاصناف ذكره غير واحد من الأصحاب قالوا وان كانت حاجة بعضهم أشد.

وأما التسوية بين آحاد الصنف سواء استوعبوا أو اقتصر على بعضهم فلا يجب لكن يستحب عند تساوى الحاجات وذهب مالك وأحمد وأبو حنيفة الى أنه يجوز أن يعطى فطرته لواحد بل يجوز اعطاء فطرة جماعة لواحد قال ابن المنذر وأرجوه أن يجوز وكذا اختار الشيخ أبو اسحق الشيرازي جواز الصرف الى واحد وقال الاصطخري يجوز صرفها الى ثلاثة من المساكين أو الفقراء.

وفي وقت وجوبها أقوال أظهرها وهو الجديد يدخل بغروب الشمس من آخر يوم من رمضان أي ليلة العيد لكونها أضفت الفطرية وذلك هو وقت الفطر وإضافتها الى الفطر لأنه وقت الوجوب وبه قال أحمد ابن حنبل وهو أحد الروايتين عن مالك وحكاها ابن المنذر عن اسحق بن راهوية وحكاها ابن قدامة عن سفيان الثوري والثاني وهو القديم تجب بطلوع الفجر يوم العيد وبه قال أبو حنيفة وغيره وقال بعض المالكية تجب بطلوع الشمس يوم العيد وقال آخرون منهم تجب بغروب الشمس ليلة الفطر وجوبا موسعا آخر غروبها من يوم الفطر.

ووقت تعجيلها شهر رمضان كله وانما جاز تعجيلها لكونها ليست مما تعلقت الزكاة فيه بالحول ويجوز تعجيلها بعد دخول رمضان وهذا هو الصحيح وفي وجه يجوز من أول يوم من رمضان لامن أول ليلة وفي وجه يجوز قبل رمضان وتمسك أكثرهم في جواز إخراجها في جميع الشهر بأنها حق المالى وجب بالسبين وهما رمضان والفطر منه فيجوز تقديمها على أحدهما وهو الفطر ولا يجوز عليهما معا كما في زكاة المال يجوز تقديمها بعد ملك النصاب وقبل الحول والله أعلم.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى ﴿ اخواني مضي شهر رمضان ﴾ المعظم قدره ﴿ وشهد على المسئ عمله ﴾ بالاساءة وعلى الحسن بالإحسان وحصل كل ﴿ منهما ﴾ على ما قسم له من ربح وخسران في حصرة المفترط ﴿ الذي يصوم ويأكل لحوم الاخوان ويصلو وجسمه في مكان وقلبه في مكان آخر ويذكر الله بلسانه وقلبه مشغول بذكر فلان وفلان ﴾ لقد أضاع الزمان ﴿ ويامن أصبح الى ما يضر مقدما وأمسى بيناء أصله مهتما ستعلم من يأتي غدا حزينا متدما ويبكى على تفرطه في شهره بدل الدموع دما ﴾ وبأخيه المسوف ﴿ لا قال الخيرات ﴾ كأنه أخذ من الموت الأمان ﴿ والسلامة ﴾ أو ﴿ كأنه ﴾ علم أن القضاء ﴿ وهو حلول الموت ﴾ يمهله الى صوم رمضان ثان هذا شهركم قد انتصب ﴿ وقام ﴾ لكم مودعا ﴿ من التوديع

يسار مسرعاً فأين البكاء لرحيله وأين الاستدراك لقليله وأين الاقتداء بفعل الخير ودليله فله ما كان أطيب زمانه من صوم وسهر وما كان أصفى أوقته من آفة الكدر وما كان ألد الاشتغال فيه بالآيات والسور فيأبى شعري من قام بواجباته وسنته ومن اجتهد في عمارة دينه ومن الذي أخلص في سره وعلنه ومن الذي خلص من آفة الصوم وقتنه رزقنا الله تعالى أمثال الفضائل واجتناب الرذائل ومن علينا بحسن القبول والثواب الجزيل آمين .

﴿فصل في صوم التطوع﴾

﴿وسار مسرعاً فأين البكاء لرحيله﴾ وأين الحزان لفراقه ﴿وأين الاستدراك لقليله﴾ وأين الاقتداء بفعل الخير ودليله فله ما كان أطيب زمانه من صوم وسهر ﴿أى عدم النوم بالليل﴾ وما كان أصفى أوقاته ﴿وأحواله﴾ من آفات الكدر ﴿وما كان أطيب المناجاة فيه بين سبط الليل والسحر﴾ وما كان ألد الاشتغال فيه بالآيات والسور فيأبى شعري من ﴿الذي﴾ قام بواجباته وسنته ومن ﴿الذي﴾ اجتهد في عمارة دينه ومن الذي أخلص في سره وعلنه ومن الذي خلص من آفات الصوم وقتنه ﴿ومن الذي﴾ قرع فيه باب التوبة وطرق بحك ودع شهرك هنا بكثرة الاستغفار من التقصير والعزم على دواله الطاعة والتشمير فغن فاته بركة الشهر فقد فاته الخير الكثير نيا خسرة من تخلف وباتجارة من سبق فيا أيها المقبول هنيئاً لك بثوابه وبشرى لك إذا أمكنك الرب من عقابه وطوبى لك حيث استخلصك باباه وفخر لك حين اشغلك بكبابه فاجتهد في شهرك هذا قبل ذهابه غرب مؤمل لقاء مثله ما قدر له ولا أنفق فيها أيها المطرود في شهر لسعادة خيبة لك إذ سبقك السادة ونجا المجتهدون وأنت أسير الوسادة وانسلخ عنك هذا الشهر وما انسلخت عن قبيح العادة فأين نلهمك عن التقصير وأين الحرف فرحم الله امرأً بادر لاخلاصه في باقى ساعاته والتفت الى وقته واجتهد في مراعاته واستعد لسفزه اخلاص طاعته واعتذر في بقية شهره من سالف اضاعته واعتبر بمن أمل أن يرى مثل هذا الشهر قبل مماته فتضرمت نار اجله في عودأمله فاحترق ابن من كان معكم في العام الماضى وكان زاده من جميع ماله الحنوط والحرق رخل والله عن أوطانه وازعج عن أهله والوطن وبقي في لحد أسير الحزن وما نفعه وما جمع وما حزن وتعنى أين يعادليزاد من الزاد ولنى يباد ولقد هتف به هاتف الانذار فما فطن واحصه لمهرى عن ناصح قد صدق فتبسط ايها الغافل وانظر لما بين يديك واحذر أن يشهد رمضان بالخطايا عليك وتزود لرحلك وانصب الأخرى بين عينيك واستعد للنميا قبل أن تمدها اليك قبل أن يوثق الأسير ويشد الزفير ويجر العرق اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد واجبر كسرنا على فراق شهرنا هذا بغفرانك وجد علينا بأوفي الخطوط من رضوانك وأزلفنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين عصيانك واجعل لنا نصيباً من جودك وامتنانك ولا تقطع عنا ما عودتنا من جودك واحسانك ذكره ابن الجوزى .

ثم دعا المصنف رحمه الله بقوله ﴿رزقنا الله تعالى أمثال الفضائل﴾ من الأخلاق الحمودة ﴿واجتناب الرذائل﴾ من الأخلاق المذمومة ﴿ومن علينا بحسن القبول والثواب الجزيل﴾ أى العظيم ﴿آمين﴾ أى استجب يا ربنا والله أعلم .

﴿فصل في فضل صوم التطوع﴾

والتطوع في الشرع التقرب الى الله تعالى بما ليس بفرض من العبادات من صلاة وصوم وغيرها ولا شك ان الصوم من أفضل العبادات وأبلغ الأشياء في رياضة النفس وكسر الشهوة واستنارة القلب وتأديب الجوارح وتقويمها وتنشيطها للعبادات في الحديث الصحيح ان في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم يقال أين الصائمون فيدخلون منه فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد رواه مسلم وورد في الخبر نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح وعمله مضاعف ودعاؤه مستجاب

أخرج البيهقي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل قال الله تعالى الصيام جنة يستجن بها العبد من النار وهوولى وأنا أجزي به * والخطيب عن سهل بن سعيد من صام يوما تطوعا لم يطعم عليه أحد لم يرض الله له بثواب دون الجنة * والشيخان عن أبي سعيد من صام يوما في سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا * والترمذي عن عمارة الصائم إذا أكلت عنده المقاطي صلت عليه الملائكة * وأخرج أحمد ومسلم عن أبي أيوب من صام رمضان وأتبعه ستا من شوال كان كصوم الدهر

وذنبه مغفور وعن عائشة رضى الله عنها أديموا قرع باب الملكوت يفتح لكم قالوا كيف نديم قالت بالجوع والعطش وعن بعض السلف قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية هي أيام الصيام اذ تركوا فيها الأكل والشرب وبالجمله فله من الفضائل والمثوب ما يحصيه الا الله تعالى كيف لا قد أضافه الى نفسه دون غيره من العبادات حيث قال في الحديث القدسي ما أشار اليه المصنف بقوله .

﴿ أخرج البيهقي عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ ﴾ حكاية ﴿ عن ربه عز وجل قال الله تعالى الصيام جنة ﴾ بضم الجيم وقا من النار لدفعه للشهوة التي هي أعظم أسلحة الشيطان ﴿ يستجن ﴾ أى يتقى ﴿ بها العبد ﴾ الصائم كما يتقى الترس من السلاح ﴿ النار وهو ﴾ أى الصيام ﴿ لي وأنا أجزي به ﴾ أى أحق لى جزاءه ولاأكله لغيرى من الملائكة والكريم الذي هو ملك الملوك جزاءه عظيم لا يماثل ﴿ و ﴾ أخرج ﴿ الخطيب عن سهل بن سعيد من صام يوما تطوعا لم يطعم عليه أحد ﴾ أى لبعده عن الرياء ﴿ لم يرض الله بثواب دو الجنة ﴾ أى دخولها بدون عذاب .

﴿ و ﴾ أخرج ﴿ الشيخان ﴾ وأحمد والترمذي والنسائي ﴿ عن أبي سعيد ﴾ الحذرى ﴿ مرفوعا ﴾ من صام يوما في سبيل .
﴿ أى في الجهاد كما هو الغالب في اطلاقه فيه دلالة على استحباب الصوم في القتال كما في شرح مسلم محمول على من لا يتضرر ولا يفوت حق ولا يتخل به قتاله ولا غيره من مهمات غزوه ويمكن حمل سبيل الله هنا على الطريق الموصل اليه بأن يخلص في صومه وان لم يكن جهاده وهذا المعنى يطلق عليه سبيل الله كثيرا وان كان خلاف الغالب ﴿ بعد الله وجهه عن النار ﴾ أى عفاه منها وباعده عنها ﴿ سبه خريفا ﴾ أى عما فهو من التعبير عن الكل باسم الجزء لأن الخريف أحد فصول السنة الأربعة والمراد أنه يبعد عن النار مسافة زمن لوقه كان سبعين سنة .

﴿ و ﴾ أخرج أحمد و ﴿ الترمذي ﴾ والبيهقي ﴿ عن عمارة ﴾ بضم العين بنت كعب الانصارية ﴿ الصائم إذا أكلت عنده ﴾
فها را بنحضرت ﴿ المقاطير ﴾ جمع منظر مثل مفلس مفالس ﴿ صلت ﴾ أى استغفرت ﴿ عليه الملائكة ﴾ وفي رواية بلفظ ان الصائم أكل عنده لم تزل تصلى عليه الملائكة حتى يفرغ من طعامه أى من أكل الطعام عنده لأن حضور الطعام عنده يهيج شهوته للأكل فلما كا شهوته امتالا أمر الشارع استغفرت له الملائكة وسببه ان النبى ﷺ دخل على عمارة بنت كعب فقذفت اليه طعاما فقال كلى فقفا ابنى صائمة فذكر لها الحديث .

واعلم ان الصوم ينقسم الى قسمين قسم لا يتكرر كصوم الدهر وقسم يتكرر في أسبوع أو سنة أو شهر فاذا عرفت هذا فاعلم
يسن صوم ستة من شوال للحديث ذكره بقوله .

﴿ و ﴾ أخرج ﴿ أحمد ومسلم ﴾ وأصحاب السنن ﴿ عن أبي أيوب ﴾ الانصارى ﴿ من صام رمضان وأتبعه ستا ﴾ أى ستو
أولا ﴿ من شوال كان كصوم الدهر ﴾ زاد النسائي من حديث ثوبان الحنفة بنشر ف شهر رمضان بعشرة أشهر والستة بشهرين فذلك
السنة ولا يشكل على هذا قيل أنه يلزم على ذلك مساواة ثواب الترض بالتشغل لأنه انما صار سنة بالتضعيف وهو مجرد فضل من الله ت

والطبراني عن عمر رضي الله عنه من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه * وأخرج مسلم عن أبي قتادة إن الصيام يوم عرفة يكفر ذنوب سنتين سنة ماضية وسنة آتية *

﴿وأخرج الطبراني عن عمر رضي الله عنه من صام رمضان وأتبعه ستاً﴾ ولم يقل ستة مع أن العدد مذكور لأنه إذا حذف جاز فيه وجهان ﴿من شوال خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه﴾.

وبما جاء في فضل ذلك ما حكى عن سفيان الثوري رحم الله تعالى أنه قال أقمت بمكة ثلاث سنين وكان رجل من أهلها يأتي كل يوم عند الظهر إلى المسجد فيطوف ويصلي ركعتين ثم يسلم على ثم يرجع إلى بيته فيحصل لي به ألفه وحبّة وصرت أتودد إليه فحصل له مرض فدعاني وقال لي إذا مت فغسلني بنفسك وصل علي وادفني ولا تتركني تلك الليلة وحيداً في قبري ولقني التوحيد عند سؤال منكرونيك فضمنت له ذلك فلما مات فعلت ما أمرني به وبثت عند قبره فينما أنا بين النائم واليقظان سمعت هاتفاً من فوق يناديني يا سفيان لا حاجة لنا إلى حفظك ولا إلى تلقينك ولا إلى أنسك لأننا أنسناه ولقناه فقلت بماذا فقل بصيامه شهر رمضان وأتبعه ستة من شوال فاستيقظت فلم أر أحداً فتوضأت وصليت حتى نمت فرأيت مثل الأول وهكذا ثلاث مرات فعرفت أنه من الرحمن لا من الشيطان فانصرفت عن قبره وقلت اللهم وفقني لصيام ذلك بمك وكرمك آمين كذا ذكره الجرداني.

* تنبيه * ظاهر إطلاق ما ذكر استحباب صومها لكل أحد سواء أصام رمضان أم لا كمن أفطر لمرض أو صاباً أو كافر أو غير ذلك وهو الظاهر كما جرى عليه بعض المتأخرين وإن كانت عبارة كثيرين يستحب لمن صام رمضان أن يتبعه بست من شوال كلفظ الحديث وتحصل السنة بصومها متفرقة كما تقدم ولكن تابعها أفضل عقب العبد مبادرة إلى العبادة ولما في التأخير من الآفات ولو صام في شوال قضاء أو نذراً أو غير ذلك هل تحصل له السنة أولاً أم من ذكره والظاهر الحصول لكن لا يحصل له هذا الثواب المذكور خصوصاً من فاتته رمضان وصام عنه شوالاً لأنه لم يصدق عليه المعنى المذكور ولذلك قال بعضهم يستحب له في هذه الحالة أن يصوم ستاً من ذي القعدة لأنه يستحب قضاء الصوم الراتب انتهى وهذا أنما يأتي إذا قلنا أن صومها لا يحصل بغيرها أما إذا قلنا بحصوله وهو الظاهر فلا يستحب قضاؤها قاله الخطيب في شرح المنهاج.

ويسن صوم يوم عرفة وهو تاسع ذي الحجة لغير الحاج أخرج مسلم صيام يوم عرفة أحسب على الله أنه يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده وهو أفضل الأيام لخبر مسلم ما من يوم أكثر أن يعق الله فيه من النار من يوم عرفة وأما قوله ﷺ خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فمحمول على غير يوم عرفة بقربة ما ذكر قال الإمام والمكفر الصغائر دون الكبائر قال صاحب الذخائر وهذا منه تحكم يحتاج إلى دليل والحديث عام وفضل الله واسع لا يحجر وقال ابن المنذر في قوله ﷺ من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه هذا قول عام يرجح أنه يغفر له جميع ذنوبه صغيرها وكبيرها قال الماوردي والتكثير تأويلان أحدهما الغفران والثاني العصمة حتى لا يعصى ويسن أيضاً صوم الثمانية قبل يوم عرفة كما صرح به في الروضة ولم يخصه بغير الحاج فيسن صومها للحاج وغيره فلا يسن له صوم يوم عرفة بل يسن له فطره وإن كان قوياً للاتباع رواه الشيخان وليقوى على الدعاء فصومه له خلاف الأولى بل في نكت التنبيه للنووي أنه مكروه وفيها كالجمع أنه يسن صومه لحاج لم يصل عرفة إلا ليلاً لفقد العلة هذا كله في غير المسافر والمرضى أما ما فيسن لحما فطره مطلقاً كما نص عليه الشافعي في الإملاء.

﴿وأخرج مسلم عن أبي قتادة إن صوم يوم عرفة يكفر ذنوب سنتين سنة ماضية﴾ يعني التي هو فيه ﴿وسنة آتية﴾ التي بعده وفيه

وأبو سعيد عن ابن عمر رضي الله عنهما من صام يوم عرفة له ما تقدم من ذنبه وما تأخر * والبيهقي عن الفضيل من حفظ لسانه وسمعه وبصره يوم عرفة غفر له من عرفة الى عرفة * وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي هريرة صوموا يوم عاشوراء هو يوم كانت الأنبياء يصومونه فصوموه * ومسلم عن أبي قتادة سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيام يوم عاشوراء فقال يكفر السنة الماضية * وهو عن ابن عباس لئن بقيت الى قابل لأصومن التاسع *

إشارة الى أن من صام يوم عرفة لا يموت في ذلك العام قاله ابن العماد .

﴿و﴾ أخرج أبو سعيد عن ابن عمر رضي الله عنهما من صام يوم عرفة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، و﴿أخرج﴾ البيهقي عن الفضيل بن عياض ﴿من حفظ لسانه﴾ أي صيَّاته عن النطق بما لا يحل ﴿وسمعه﴾ عن الاستماع الى ما لا يحل ﴿وبصره﴾ عن النظر الى ما لا يحل ﴿يوم عرفة غفر له من عرفة الى عرفة﴾ قال العزيزي ظاهره شمل الواقف بعرفة وغيره .

ويسن صوم عاشوراء وهو عاشور المحرم على المشهور من العلماء سلفهم وخلفهم لقوله ﷺ يوم صيام عاشوراء احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله رواه مسلم وإنما لم يجب صوم عاشوراء لخبر الصحيحين أن هذا اليوم يوم عاشوراء ولم يكب عليكم صيامه فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر . ﴿و﴾ أما الاخبار الواردة بالأمر بصومه فمحمولة على تأكد الاستحباب منها ما ﴿أخرج﴾ ابن أبي شيبة عن أبي هريرة ﴿باسناد صحيح﴾ كما قاله العزيزي ﴿صوموا يوم عاشوراء﴾ فإن فضيلته عظيمة وحرمة قديمة ﴿هو صوم كانت الأنبياء يصومونه فصوموه﴾ فضامه نوح وموسى وغيرهما ومنها ما أخرجه أحمد والبيهقي عن ابن عباس باسناد حسن صوموا يوم عاشوراء وخالفوا فيه اليهود صوموا قبله يوما وبعده يوما .

﴿و﴾ أخرج مسلم عن أبي قتادة سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيام يوم عاشوراء فقال ﴿عليه الصلاة والسلام﴾ ﴿يكفر السنة الماضية﴾ قال العراقي وغيره ويستحب أن يصوم معه التاسع من الحرم للحديث الذي أشار اليه بقوله ﴿وهو﴾ أي وأخرج مسلم وغيره ﴿عن ابن عباس﴾ رضي الله عنهما مرفوعا ﴿لئن بقيت الى قابل﴾ أي عام قابل ﴿لأصومن التاسع﴾ رواه البيهقي من رواية ابن أبي ليلى عن داود بن علي عن عباس بلفظ بقيت الى قابل لأمر بصيام يوم قبله أو يوم بعده يوم عاشوراء قال القرطبي ظاهره أنه كان عزم أن يصوم التاسع بدل العاشوراء هذا هو الذي فهمه ابن عباس وقال المناوي الأرجح أنه أراد اضافته الى العاشوراء في الصوم وبه تشعر بعض روايات مسلم وخبر أحمد صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود وصوموا يوما قبله ويوما بعده قال العلقمي وسببه كما في مسلم عن ابن عباس قال حسين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا يا رسول الله أنه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال رسول الله ﷺ فاذا كان المقبل ان شاء الله صمنا اليوم التاسع قال فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ .

وقال الرافعي في صوم التاسع معنيان منتولان عن ابن عباس أحدهما الاحتياط فانه ربما وقع في هلال غلط فيظن العاشر التاسع والثاني مخالفة اليهود فانهم لا يصومون الا يوما واحدا فعلى هذا لو لم يصم التاسع معه استحباب أن يصوم الحادي عشر قال الحافظ أما المعنى الأول فروى البيهقي من طريق ابن أبي ذئب عن شعبة مولى ابن عباس قال كان ابن عباس يصوم عاشوراء يومين ويوالي بينهما مخافة أن يفوته وأما المعنى الثاني فقال الشافعي أخبرنا سفيان أنه سمع عبد الله بن أبي يزيد يقول سمعت ابن عباس يقول صوموا التاسع والعاشر ولا تشبهوا باليهود وفي رواية له ما تقدم قريبا وفي كتاب الشريعة قامت حركة يوم عاشوراء في القوة مقام قوى أيام السنة كلها اذا عومل كل يوم بما يليق به من عبادة الصوم فحمل بقوته على الذي صامه جميع ما أنجرم في السنة التي قبله فلا يؤخذ بشيء مما اجترم

وأخرج أحمد والترمذي عن أبي ذر من صام ثلاثة أيام من كل شهر فقد صام دهر كله * وهما عن ابن حبان عنه إذا صمت من الشهر ثلاثة فصم ثلاث عشرة وأربع عشر وخمس عشر * والطبراني عن ابن عباس كان رسول الله ﷺ لا يدع صوم أيام أياام البيض في سفر ولا حضر . وأخرج أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة كان النبي ﷺ يصوم الإثنين والخميس فقليل يا رسول الله أنك تصوم الإثنين والخميس فقال فيها في رمضان وغيره من الأيام الفاضلة والليالي مع كون رمضان أفضل منه ويوم عرفة وليلة القدر ويوم الجمعة مما يكثر الصوم فضله الأيام إذا صلى بمن هو أفضل منه كابي عوف حين صلى برسول الله ﷺ المطوع بفضلته فانه يحمل سهوا للمأموم مع كونه أفضل فلا يستبعد أن يحمل صوم العاشوراء جرائم المحرم في أيام السنة كلها ولو شاهدت الأمر أو كنت من أهل الكشف عرفت صحة ما قلناه وما أراد الشارح كذا ذكره الزيدى .

ويسن صوم ثلاثة من كل شهر ولو غير أيام البيض كما في البحر وغيره قال السبكي والحاصل أنه يسن صوم ثلاثة وأن تكون أيام البيض فان صامها أتى بالنسقين وقد ذكره المصنف فضيلته بقوله «وأخرج أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والضياء» عن أبي ذر «الفقاري باسناد ضعيف كما قاله العزيزي» «من صام ثلاثة أيام من كل شهر فقد صام الدهر كله» لأن صوم كل يوم حسنة ومن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فتن داوم على ذلك كان من الصائمين وإن كان من الصائمين يسن صوم ثلاثة أيام الليالي البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر قال النوى هذا هو المعروف ولنا وجه شاذ غريب حكاه الصيمرى والماوردى والبغوى وصاحب البيان ان الثانى عشر بدل الخامس عشر والاحتياط صومها انتهى وذلك للأمر بصوم الأيام البيض في الخبر الذي أورده المصنف بقوله «وهما» أى أخرج أحمد والترمذي وابن حبان والنسائي «عنه» أى عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا صمت يا أبا ذر «من الشهر ثلاثة» أى أردت صوم ثلاثة أيام تطوعا من أى شهر كان «فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة» وفي رواية عنه أمرنا رسول الله ﷺ أن نصوم في شهر ثلاثة أيام البيض ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة ورواه ابن حبان من حديث أبي هريرة أيضا رواه ابن أبي حاتم في العلل عن جرير مرفوعا وصحح عن أبي زرعة وقفه وأخرجه أبو داود والنسائي من طريق ابن ملحان القيسى عن أبيه وأخرجه البرازى من طريق ابن سلمان عن أبيه عن ابن عمر «و» أخرج «الطبراني عن ابن عباس» باسناد حسن «كان رسول الله ﷺ لا يدع» أى لا يترك «صوم أيام البيض» وسُميت أيضا لأن القمر يطلع فيها من أولها إلى آخرها قاله العلقمى «في سفر ولا حضر» بل كان يلزم صومها .

قال الماوردى ويسن صوم أيام الثامن والعشرين وتاليه ولا يخفى كما قاله العراقى سقوط الثالث منها إذا كان الشهر ناقصا ولعله يعرض عنه بأول الشهر الذي يليه وهو من أيام السود أيضا لأن ليله كلها سود أو ينبغي أن يصام منها السابع والعشرون احتياطا وخصت أيام البيض وأيام السود بذلك لتعظيم ليالي الأولى بالنور وليالي الثانية بالسواد فتناسب صوم الأولى شكرا والثانية لطلب كشف السواد ولأن الشهر قد أشرف على الرحيل فتناسب تزويده بذلك .

ويسن صوم الاثنين والخميس لما ذكره بقوله «وأخرج أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة» رضى الله عنه «كان النبي ﷺ يصوم الاثنين والخميس» لأن الأعمال تعرض فيهما فيحب أن يعرض عمله وهو صائمه كما في الحديث الآتى وقوله الاثنين قال المناوى بكسر التون على أن اعرابه بالحرف وهو القياس من حيث العربية قال القسطلانى وهى الرواية المعبرة ويجوز فتح التون على أن لفظ المنى علم لذلك فاعرب بالحركة لا بالحرف «فقليل يا رسول الله أنك تصوم الاثنين والخميس فقال» عليه الصلاة والسلام

أن يوم الاثنين والخميس يغفر الله فيهما لكل مسلم إلا المهاجرين يقول دعهما حتى يصطلحا * والترمذي عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحرى صوم الاثنين والخميس وقال تعرض الأعمال فيهما فأحب أن تعرض أعمالى وأنا صائم *

﴿ أن يوم الاثنين والخميس يغفر الله فيهما لكل مسلم ﴾ أى يصومهما كما ذكره البعض ﴿ إلا المهاجرين يقول دعهما ﴾ أى أتركهما ﴿ حتى يصطلحا ﴾ وقدم يوم الاثنين لأنه أفضل من يوم الخميس لأنه ﷺ ولد وتوفى في ذلك اليوم وكذا بقية أطواره كانت فيه ولذا يسن للقاضى دخول البلد فيه ويسمى الاثنين لأنه ثانى الأسبوع كما يسمى الخميس بذلك لأنه خامسه وهذا بناء على أن أول الأسبوع الأحد والمعتد الذي عليه الأكثر أنه السبت كما أفاده الرملى .

واعلم أنه قد يوجد للصوم سببان كوقوع عرفة أو عاشوراء يوم اثنين أو خميس أو في سنة شوال فيزداد تأكده رعاية لوجود السببين فإن نواهما حصل كالصدقة على القريب صدقه وصلت وكذا لو نوى أحدهما فيما يظهر .

﴿ وأخرج ﴾ الترمذي ﴿ وغيره ﴾ عنه ﴿ أى عن أبى هريرة رضى الله عنه ﴾ كان ﷺ يتحرى صوم الاثنين والخميس ﴿ أى يتعهد صومهما أو يجتهد في إيقاع الصوم فيهما ﴾ وقال ﷺ إنها يومان ﴿ تعرض الأعمال ﴾ أى على الله تعالى لإظهار العدل وإقامة الحاجة إذ لا يخفى على الله شيء ﴿ فيهما ﴾ أى تعرض فيهما أعمال ما بينهما معها فتعرض أعمال الثلاثاء والأربعاء والخميس في الخميس وأعمال الجمعة والسبت والأحد والاثنين عرضاً جمالياً وكذا في ليلة النصف من شعبان والقدر وهناك عرض تفصيلي وهو عرضها كل يوم وليلة فتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار عند صلاة العصر ثم ترتفع ملائكة النهار وتلازم ملائكة الليل وتجتمعان عند صلاة الصبح فترتفع ملائكة الليل وتلازم ملائكة النهار وهذا معنى قوله ﷺ يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار والذي يعرض أعمال الأسبوع هم ملائكة الليل والنهار معا فتخلص من ذلك أن العرض الإجمالي في كل أسبوع مرتين وفي كل سنة كذلك والتفصيلي في كل يوم مرتين ذكر ذلك ابن حجر وقرره بعضهم ﴿ فأحب أن تعرض أعمالى وأنا صائم ﴾ أى متلبس بالصوم حقيقة لأن العرض قبل الغروب لما مر من أن الذي يقع منه العرض ملائكة الليل والنهار معا فهو عند العصر كعرض أعمال كل يوم فلا حاجة لتقدير بعضهم وأنا على أثر الصوم قرره الشيخ عطية وحزم به الشرقاوى وأما صوم يوم الجمعة فيكره أفراد لما رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة لا يصوم أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم قبله أو بعده وفي رواية لمسلم لا تحضوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالى ولا تحضوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم .

وأخرج الحاكم والبخارى من حديث أبى هريرة مرفوعاً يوم الجمعة عيدنا فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم إلا أن تصوموا قبله أو بعده . وأخرج الشيخان عن محمد بن عباد بن جعفر سألت جابر بن عبد الله وهو يطوف بالبيت أنهى رسول الله ﷺ عن صيام يوم الجمعة فقال نعم ورب هذا البيت زاد البخارى في رواية معلقة ووصلها النسائي يعنى أن ينفرد بصومه وأخرج البخارى من حديث جويرية بنت الحارث أن النبي ﷺ دخل عليها يوم الجمعة وهى صائمة فقال أصمت أمس قالت لا قال تريدن أن تصومى غدا قالت لا قال فافطرى .

* تنبيه * اختلف العلماء في صوم يوم السبت والأحد فمنهم من منع ذلك ومنهم من قال به قال الرافعى وكرهه أفراد يوم السبت فإنه يوم اليهود وقد روى أنه ﷺ قال لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم انتهى قال الزبيدى حجة المانعين هذا الحديث قد أخرج الحاكم والأربعة وابن حبان والطبرانى والبيهقى من حديث عبد الله بن بشر عن أخته الصماء وهى لها صحبة بزيادة فإن لم يجد أحدكم الأعود عنب أولهى شجرة فليمضغه وصححه ابن السبكي وقال أبو داود وهذا منسوخ وروى الحاكم عن الزهري أنه كان ذكر

وأخرج الترمذي وابن ماجه عنه ما من أيام أحب إلى الله أن يتعبد له فيها من عشر ذي الحجة يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر * وأبو داود أنه صلى الله عليه وسلم كان يصوم تسع ذي الحجة *

هذا الحديث قال هذا حديث حمصى وعن الأوزاعى قال ما رأيت له كائناً حتى رأيته اشتهد وقال أبو داود في السنن قال مالك هذا الحديث كذب قال الحافظ وقد أعل هذا الحديث باضطراب قليل هكذا وقيل عن عبد الله بن بشر من غير ذكر أخيه وهذه رواية ابن حبان وليست بعلّة قاذحة فانه أيضاً صحيحاً وقيل عنه عن الصماء عن عائشة قال النسائي هذا حديث مضطرب قال الحافظ ويحتمل أن يكون عن عبد الله عن أبيه عن أخيه وعنه عن أخيه بواسطة وهذه رواية من صححه ورجح عبد الحق الرواية الأولى وتبع في ذلك الدار قطنى لكن هذا التلون في الحديث الواحد بأسناد الواحد مع اتحاد المخرج يوهى روايته ويبنى بقلّة ضبطه إلا أن يكون من الحفاظ المكثرين المعروفين يجمع طرق الحديث فلا يكون ذلك دالاً على قلة ضبطه وليس الأمر هنا كذلك بل اختلف فيه أيضاً على الراوى عن عبد الله قال الحافظ يمكن أن يكون أخذه من كونه عليه السلام كان يجب موافقة أهل الكتاب في أول الأمر ثم في آخر أمره قال خالفهم فالتهمى عن صوم يوم السبت يوافق الحالة الأولى وصيامه يوافق الحالة الثانية وهذه صورة النسخ انتهى .

وأما حجة من أجازه ما رواه الحاكم بأسناد صحيح عن كريب أن ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثوني إلى أم سلمة يسألونها عن الأيام التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر لها صياماً فقالت يوم السبت والأحد فرجعت إليهم فقاموا بأجمعهم إليها فسألوها فقالت صدق وكان يقول انهما يوماً عيد المشركين فأنا أريد أن أخالفهم ورواه النسائي والبيهقي وابن حبان وروى الترمذي من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من الشهر السبت والأحد والإثنين ومن الشهر الآخر الثلاثاء والأربعاء والخميس .

واعلم أن يوم عرفة أفضل الأيام ويسن أن يصوم معه الثمانية التي قبله وهو مراد من عبر بقوله وعشر ذي الحجة لكن الثامن مطلوب من جهة الاحتياط لعرفة ومن جهة دخوله في العشر غير العيد كما أن صوم عرفة مطلوب من جهتين كونه من عشر ذي الحجة وكونه يوم عرفة ومن صرح بنسب صوم الثامن احتياطاً لعرفة المتوالي وحكاية الروايات في البحر عن بعض الأصحاب ثم هذه العشر وإن دخلت في صوم الجمعة المتأكد لكونه من أشهر الحرام فلها منزلة تامة على باقيه لكثرة الأحاديث في فضلها وفضل صومها منها ما أخرجه البخارى ما العمل في أيام أفضل من العمل في هذا العشر قالوا ولا جهاد إلا رجل خرج يحاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء ومنها ما أخرجه أبو عوانة في صحيحه صيام يوم منها يعدل صيام سنة وقيام ليلة بقيام ليلة القدر .

﴿ و ﴾ منها ما ﴿ أخرج الترمذي وابن ماجه عنه ﴾ أي أبي هريرة عليه السلام بأسناد ضعيف كما قاله العزيمى ﴿ ما من أيام أحب إلى الله تعالى ﴾ أن يتعبد ﴿ في أوّل مصدر فاعل أحب أي ما من أيام أحب إلى الله التبعيد ﴾ له فيها من عشر ذي الحجة ﴿ أي التبعيد في عشر ذي الحجة أحب إلى الله تعالى من التبعيد في غيره ﴾ يعدل ﴿ بالبناء للمفعول ﴾ صيام كل يوم منها بصيام سنة ﴿ ليس فيها عشر ذي الحجة ﴾ وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر ﴿ أي ثواب قيام ليلة من عشر ذي الحجة خير من ألف شهر كيلة القدر والثواب توفيقى ولهذا كان عليه السلام يصوم تسع ذي الحجة كما دل عليه قوله ﴿ و ﴾ أخرج ﴿ أبو داود ﴾ وغيره ﴿ أنه صلى الله عليه وسلم كان يصوم تسع ذي الحجة ﴾ وأما قول عائشة رضى الله عنها ما رأيته صائفاً قط وفي رواية لم يصمه فتنى باعتبار علمها فلا يعارض ما أثبتته غيره ولعله ربما كان يتركه لعارض .

ومسلم عنه أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل وأفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم * والبيهقي عن أنس أن في الجنة نهر يقال له رجب أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل من صام يوما من رجب سقاه الله من ذلك النهر *

والحق الغزالي بعشر ذي الحجة فيما ذكر عشر المحرم من أوله ونقله في التدريب عن الحامل ثم قال وهو غير معروف قال الحليمي ومن كان يتعب بصلاة وتلاوة فترك الصوم له أولى ليتقوى بالفطر كما في يوم عرفة والأفليصم قال الأذرعى وهذا حسن صحيح فان أفضل عبادات البدن الصلاة فالأكثار منها أولى.

﴿و﴾ أخرج ﴿مسلم﴾ وأصحاب السنن ﴿عنه﴾ إى عن أبى هريرة ؓ ومحمد بن هارون الرويانى في مسنده والطبرانى عن جندب ؓ ﴿أفضل الصلاة بعد المكتوبة﴾ إى بعد الرواتب ونحوها من كل نفل يسن جماعة اذهى أفضل من مطلق النفل على الأصح ﴿الصلاة في جوف الليل﴾ إى سدسه الرابع والخامس فالنفل المطلق في الليل أفضل منه في النهار لأن الخشوع فيه أوفر ﴿وأفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله﴾ اضافته اليه تعالى تعظيما وتفخيما ﴿المحرم﴾ إى هو أفضل شهر تطوع بصيامه كاملا بعد رمضان فأما تطوع ببعض شهر فقد يكون أفضل من بعض أيامه كصيام يوم عرفة وعشر ذي الحجة ويلى ذلك بقية الأشهر الحرم وظاهره الاستواء في الفضيلة نعم قال الشيخ الاسلام زكريا والظاهر تقدم رجب خروجا من خلاف من فضله على الأشهر الحرم شعبان لخبر كان النبى ﷺ شعبان كله كان يصوم شعبان الا قليلا قال العلماء اللفظ الثانى مفسر للأول والمراد بكله غالبه وقيل انما خصه بكثرة الصيام لأنه ترتفع فيه أعمال العباد في سنتهم.

فان قلت قد مر أن أفضل الصيام بعد رمضان المحرم فكيف أكرمه في شعبان دون المحرم قلنا لعله ﷺ لم يعلم فضل المحرم الا في آخر الحياة قبل التمكن من صومه أو لعله كان يعرض له أعذار تمنع من أكثاره الصوم قال العلماء وانما لم يستكمل شهرا غير رمضان ثلاثا يظن وجوبه قال القرطبي ونقله العلقمى عن شيخه انما كان صوم المحرم أفضل الصيام من أجل أنه أول السنة المستأنفة فكان استفتاحها بالصوم الذي هو أفضل الأعمال وقال الحافظ أبو الفضل العراقى في الشرح الترمذى ونقله أيضا عن شيخه ما الحكمة في تسمية المحرم شهر الله والشهور كلها لله يحتمل أن يقال أنه لما كان من الأشهر الحرم التي حرم فيها القتال وكان أول شهور السنة أضيف اليه اضافة تخصيص ولم يصح اضافة شيء من الشهور الى الله تعالى عن النبى ﷺ الأشهر الحرم وقال شيخه المذكور أقول سئلت لم خص المحرم بقولهم شهر الله دون سائر الشهور مع أن فيها ما يساويه في الفضل أو يزيد عليه كرمضان ووجدت ما يجاب به ان هذا الاسم إى المحرم اصلحى دون سائر الشهور فان أسماءها كلها على ما كانت عليه في الجاهلية وكان اسم المحرم فيها صفر الاول والذي بعده صفر الثانى فلما جاء الاسلام سماه الله المحرم فأضيف الى الله بهذا الاعتبار وهذه فائدة لطيفة .

﴿و﴾ أخرج الشيرازى في كتاب الالقاب والكنى و﴿البيهقي﴾ عن أنس أن في الجنة نهر ﴿فتح الماء على الأفصح إى ماء﴾ يقال له رجب ﴿إى سمي به بن أهلها﴾ أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل من صام يوما من رجب سقاه الله من ذلك النهر ﴿فيه اشعار باختصاص الشرب من ذلك بصومه قال الشعرانى والمعتمد أنه لم يثبت في صوم رجب حديث صحيح هذا ما أفاده وفي الاحتاف قال ابن حجر قال بعض الحفاظ لم يصح في فضل صوم رجب بخصوصه شيء عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه ولكن قال أبو قلادة في الجنة قصر لصوم رجب قال البيهقي أبو قلادة من كبار التابعين لا يقول مثله الا عن بلاغ انتهى ورأيت في صحيح مسلم ان عثمان الحكيم الأنصارى قال سألت سعيد ابن جبير عن صوم رجب ونحن يومئذ في رجب فقال سمعت ابن عباس يقول كان

وهو الترمذي عنه أفضل الصوم بعد رمضان شعبان لتعظيم رمضان وأفضل الصدقة صدقة في رمضان * والتسائي والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها قلت دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل عندكم شيء فقلنا لا فقال اني اذا صائم *

رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم قال النووي في شرح مسلم الظاهر ان مراد سعيد بن جبير بهذا الاستدلال انه لانهى عنه ولا نذب فيه لذاته بل له حكم باقي الشهور ولم يثبت في صوم رجب نهى ولا نذب بعينه ولكن أصل الصوم مندوب اليه وفي سنن أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نذب الى الصوم من الأشهر الحرم ورجب أحدها .

وفي فتاوى ابن حجر سئل عن حديث أن في الجنة نهر يقال له رجب ماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل من صام يوماً من رجب سقاه الله من ذلك النهر وحديث من صام ثلاثة أيام من شهر الحرم الخميس والجمعة والسبت له عبادة سبع مائة سنة وحديث من صام من رجب يوماً كان كصيام الشهر ومن صام منه سبعة أيام غلقت عنه أبواب الجحيم السبعة ومن صام منه ثمانية أيام فتحت له أبواب الجنة الثمانية ومن صام منه عشرة أيام بدلت سيئاته حسنات هل هي موضوعة أو لا فأجاب رحمه الله تعالى بقوله ليست موضوعة بل ضعيفة فتجوز روايتها والعمل بها في الفضائل بل قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في الاول ليس في استناذه من ينظر في حاله سوى منصور الأسدي وقد روى عنه جماعة لكن لم أر فيه تعديلاً وقد ذكر الذهبي وضعه لهذا الحديث وقال في الثاني له طرق بلفظ عبادة ستين سنة وهو أشبه ومخرجه احسن واستناذه أمثل من الضعيف قريب من الحسن والثالث له طرق وشواهد ضعيفة يرتقى بها من كونه موضوعاً انتهى وذكره ابن حجر في موضع آخر من فتاويه نقلاً عن البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصم بعد رمضان الا رجب وشعبان قال استناذه ضعيف وأخرج أبو داود وغيره عن عروة أنه قال لعبد الله بن عمر هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم في رجب قال نعم وهنالك أحاديث ضعيفة في ذلك وبالجملة فصوم رجب فيه فضيلة تامة لورود أحاديث في فضله وإن كانت ضعيفة وأما الأحاديث الموضوعة فيه فكثيرة ولكن لا حاجة لنا الى ذكرها لعدم جواز العمل بها .

﴿وهو﴾ اي وأخرج البيهقي ﴿والترمذي عنه﴾ اي عن أنس ﴿أفضل الصوم بعد رمضان شعبان لتعظيم رمضان﴾ اي لأجل تعظيمه لكونه يليه فصوله كالمقدمة لصومه . وهذا قاله قبل علمه بأفضلية صوم الحرم أو ذلك أفضل شهر بصيام كاملاً وهذا أفضل شهر يصام أكثره ثم ان هذا لا يعارضه حديث النهي عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين والنهي عن صوم النصف الثاني من شعبان لأن النهي محمول على من لم يصم من أول شعبان وأبدأ من نصفه الثاني ﴿وأفضل الصدقة صدقة في رمضان﴾ لأنه موسم الخيرات وشهر العبادة ولهذا كان المصطفى صلى الله عليه وسلم أجود ما يكون فيه وهذا حديث ضعيف كما قاله العزري .

ويسن صوم يوم وفطر يوم لخبر الصحيحين أفضل الصيام صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً وصوم يوم وفطر يومين لأمره صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو بن العاص بذلك رواه الشيخان ﴿و﴾ لما رواه ﴿التسائي والبيهقي﴾ وغيرهما ﴿عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل عندكم﴾ جمع ضميرها للتعظيم ﴿شيء﴾ اي غداء كما في رواية الدارقطني بفتح الغين والذال المهملة ممدوداً اسم لما يؤكل في الغداء اي قبل الزوال والجمع أغذية بخلاف العشاء بفتح العين فإنه ما يؤكل بعد الزوال وأما الغداء بالذال المعجمة فهو ما يتغذى به الطعام والشراب مطلقاً ﴿فقلنا لا﴾ اي ما عندى شيء ﴿فقال﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿اني اذا صائم﴾ وفي مسلم ثم أتانا يوم آخر فقلنا يا رسول الله أهدي لنا جيس فقال أرنيه فلقد أصبحت صائماً فأكل .

* تنبيه * اعلم أن صوم الدهر ما اختل العلماء فيه فمنهم من ذكره كذا في ذلك اذ وردت أخبار بتدليل على كراهته والصحيح أنه

وروى عن أنس ابن مالك أنه قال يخرج الصائمون من قبورهم يوم القيامة يعرفون يعرف صيامهم من أفواههم يخرج أطيب من ريح المسك تنقل اليهم الموائد والأباريق مخومة أفواهها بالمسك فيقال لهم كلوا فقد جئتم حين شبع الناس واشربوا فقد عطشتم حين روى الناس واستريحوا فقد تعبتم حين استراح الناس قال فيأكلون ويشربون ويستريحون والناس مشغولون في الحساب في عناء وظناً * عن أبي سليمان الداراني أنه صام يوماً في الحر ثم نام فرأى قائلاً يقول أتبع ثواب صومك في هذا اليوم بمائة دينار قال لا قال وبمائة ألف قال لا قال وبمائتي ألف قال لا وعزة ربي وجلاله قال فبأي شيء تتبعه فقال لا أتبع الثواب بالدنيا وما فيها ولكن أتبعه بالنظر إلى المولى فقيل له صم فسوف تراه ان شاء الله تعالى ﴿وَحِكْمِي﴾ إليا فمضى عن الشبلي

انما يكره صوم الدهر لشئين أحدهما أن لا ينظر في العدين والأيام التشریق فهو الدهر كله والآخر أن يرغب من السنة في الإفطار ويجعل الصوم حجراً على نفسه مع الله تعالى فإنه يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه فإذا لم يكن شيء من ذلك ورأى صلاح نفسه في صوم الدهر فليفعل ذلك فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان رضى الله عنهم وكذلك من بعدهم قال صاحب العوارف وكان عبد الله بن جابان صام نيفاً وخمسين سنة لا يفطر في السفر والحضر فجهد به أصحابه يوماً فافطر فاعتل من ذلك أياماً فإذا رأى المرید صلاح قلبه في دوام الصوم فليصم دائماً ويدع الإفطار جانباً فهو عون حسن له على ما يريد قال الزبيدي وقد كان على هذا القدم شيخنا الورع الزاهد محمد بن شاهين الدمياطي رحمه الله تعالى كان يوالى الصيام ولم ير يفطراً لا سفراً ولا حضراً وكان كثير الزيارات والأسفار لمشاهد الأولياء الكرام ولقد صمنا في ثغر دمياط على شط البحر الملح فقلت له ياسيدي اليوم عيدنا والعيد لا يصام فيه وجهدنا به حتى أفطر فأخبرني أصحابه أنه اعتل بذلك علة شديدة وقد قال النبي ﷺ فيما رواه أبو موسى الأشعري من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين ومعناه لم يكن له فيها موضع ذكره الغزالي وغيره .

﴿وروى عن أنس ابن مالك أنه قال يخرج الصائمون من قبورهم يوم القيامة يعرفون﴾ أي بين الناس ﴿يعرف صيامهم﴾ أي برائحه الطيبة يخرج ﴿من أفواههم يخرج﴾ ریح ﴿أطيب من ريح المسك تنقل اليهم الموائد﴾ جمع مائدة ﴿والأباريق﴾ جمع ابريق ﴿مخومة أفواهها بالمسك فيقال لهم كلوا﴾ هذه الموائد ﴿فقد جمعتم﴾ في الدنيا ﴿حين شبع الناس واشربوا﴾ هذه الأباريق ﴿فقد عطشتم﴾ فيها ﴿حين روى الناس﴾ من الماء ﴿واستريحوا فقد تعبتم حين استراح الناس قال﴾ أنس ﴿فيأكلون ويشربون ويستريحون والناس﴾ حينئذ ﴿مشغولون في الحساب﴾ أي حساب أعمالهم ﴿في عناء﴾ بفتح العين أي في تعب ﴿وظناً﴾ أي عطش .
 وحكي ﴿عن أبي سليمان الداراني﴾ رحمه الله تعالى ﴿أنه صام يوماً في الحر ثم نام فرأى﴾ في نومه ﴿قائلاً يقول أتبع ثواب صومك في هذا اليوم بمائة دينار قال لا﴾ أي بعد بذلك ﴿قال﴾ القائل ﴿و﴾ تبع ثوابه ﴿بمائة ألف قال لا قال و﴾ تبع ذلك ﴿بمائتي ألف قال لا﴾ أي بعد بهذا الشئ ﴿وعزة ربي وجلاله قال فبأي شيء تتبعه فقال﴾ الداراني ﴿لا أتبع الثواب بالدنيا وما فيها﴾ لأنني أعلم أن الدنيا فانية وإن ما عند الله باق ﴿ولكن أتبعه﴾ أي الصوم المذكور ﴿بالنظر إلى المولى﴾ الكريم ﴿فقيل لهم صم﴾ أي دم على صومك ﴿فسوف تراه﴾ جل وعز ﴿ان شاء الله تعالى﴾ قاله تبركا ذكر حقيقة رؤية الله والنظر إلى وجهه الكريم أبو حامد حجة الاسلام الغزالي في كتاب المحبة من أحيائه فليُنظر إليه فإنه مهم .

﴿وحكي﴾ أبو محمد عبد الله بن أسعد ﴿إليا فمضى عن﴾ أبي بكر دلف بن جحدر ﴿الشبلي﴾ باللام وكان شيخ وقته حالاً وظرفاً وعلماً مالكي المذهب عاش سبعا وثمانين سنة ومات سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وقبره ببغداد وكان الشبلي إذا دخل شهر رمضان

أنه قال كنت في قافلة بالشام فخرج الأعراب فأخذوها وجعلوا يعرضونها على أميرهم فخرج جراب فيه سكر ولوز وأكلوا منه ولم يأكل الأمير فقلت له لم لا تأكل فقال أنا صائم فقلت تقطع الطريق وتأخذ الأموال وتقتل النفس وأنت صائم فقال يا شيخ أتوك للصالح موضعاً فلما كان بعد حين رآته يطوف حول البيت وهو محرم كالشن البالي فقلت أنت ذلك الرجل فقال نعم ذلك الصيام أوقع الصلح بيننا رحمه الله ورحمنا معه * وهو أيضاً عن سعيد بن أبي عروبة قال حج الحجاج بن يوسف فنزل بعض المياه بين مكة والمدينة ودعا بالغداء

جد واجتهد فوق جد من عاصره ويقول هذا شهر عظمه ربي فانا أول من يعظمه وكان يقول في مناجاته ليت شعري ما اسمي عندك يا إعلام الغيوب وما أنت بي مانع يا غفار الذنوب وم تحم علي يا مقلب القلوب وأنشد:

ليت شعري كيف ذكرى * عند من يعلم سرى
أجمل أم قبيح * أم بخير أم بشر
ليت شعري كيف حال * يوم احضاري وحشر
ليت شعري كيف موتي * يبين أم بكفر
أترى يقبل قولي * أم ترى يشرح صدرى
ليت شعري أين مضى * لتعيم أم لجبر
فدعوا مدحى ووصفى * فانا أعرف قدرى

﴿أنه قال كنت في قافلة﴾ وتطلق القافلة على الرقعة واقتصر عليه الفارابي ﴿بالشام﴾ هو بلد مشهور ﴿فخرج الأعراب﴾ قطاع الطريق ﴿فأخذوها وجعلوا يعرضونها على أميرهم فخرج جراب فيه﴾ أي في ذلك الجراب ﴿سكر﴾ هو معروف وهو أيضاً نوع من الرطب شديد الحلاوة ﴿ولوز﴾ وهو ثمر شجر معروف قال ابن فارس كلمة عربية الواحة لوزة ﴿وأكلوا﴾ أي هؤلاء القطاع للطريق ﴿عنه﴾ أي ما في الجراب من السكر واللوز ﴿ولم يأكل الأمير﴾ أي أميرهم قال الشبلي ﴿فقلت له﴾ أي للأمير ﴿لم﴾ أي لا شيء ﴿لا تأكل﴾ بما في الجراب ﴿فقال أنا صائم فقلت تقطع الطريق وتأخذ الأموال وتقتل النفس وأنت صائم﴾ هذا شيء عجيب ﴿فقال يا شيخ﴾ أنا ﴿أتوك للصالح موضعاً فلما كان بعد حين رآته﴾ ذلك الأمير ﴿يطوف حول البيت﴾ أي بيت الله الحرام ﴿وهو محرم كالشن﴾ أي الجلد البالي ﴿فقلت أنت ذلك الرجل﴾ الذي جعل الأمير القطاع ﴿فقال نعم﴾ أنا ذلك الرجل ﴿ذلك الصيام﴾ الذي أنت منى ﴿أوقع الصلح بيننا﴾ قال الشبلي ﴿رحمه الله ورحمنا معه﴾

﴿وهو﴾ أي وحكى الياقني ﴿أيضا﴾ أي كما حكى الشبلي ﴿عن سعيد بن أبي عروبة قال حج الحجاج بن يوسف﴾ الثقفى وهو أمير عالم لكنه ظالم لأنه قتل عبد الله بن الزبير وصلبه وهو صحابي ثم لما قتل سعيد بن جبير أخذ أكبر التابعين والعلماء العالمين لم يزل دمه ينلى حتى ملاء أبواب الحجاج وقاض حتى دخل تحت سريره ولم يخمد في نفسه ولم ير شيء أكثر دماً من الإنسان فلم يزل الحجاج بذلك فزعاً حتى منع منه النوم فيقول مالى ولك يا سعيد بن جبير ثم ان بطنه استسقى حتى انشق فمات فلما دفن لفظته الأرض وبقي بعد سعيد بن جبير ستة أشهر وقتل أن المسجونين قد وجدوا بعد موته ثلاثين ألفاً من المظلومين وقد أحصى من قتله الحجاج صبراً فوجد مائة ألف وعشرين ألفاً كذا نقله بعضهم عن شرح الشفاء ﴿فنزل بعض المياه بين مكة والمدينة ودعا﴾ أي طلب الحجاج ﴿بالغداء﴾ أي ما يؤكل أول النهار

وقال الحاجبه انظر الى من يتغدى معى وأسأله عن بعض الأمر فنظر نحو الجبل فاذا هو بأعرابي بين شملتين تأثم فضربه برجله وقال انت الأمير فأتاه فقال له الحاجاج اغسل يدك وتغدى معى فقال انه قد دعانى من هو خير منك فأجبه قال ومن هو قال الله تبارك وتعالى دعانى الى الصوم فصمت قال في هذا الحر الشديد قال نعم صمت ليوم هو أشد حرا من هذا اليوم قال فأفطر وصم غدا قال ان ضمنت لى البقاء الى غدا أفطرت قال ليس ذلك الى قال فكيف تسألنى عاجلا بأجل لا تقدر عليه قال انه طعام طيب قال لم تطيبه أنت ولا الطباخ انما طيبه العفية رضى الله عنه وعنا ﴿خاتمة في فضل عاشوراء﴾ أخرج النسائي عن على رضى الله عنه ان كنت صائما بعد شهر رمضان فصم لحرمه فانه شهر الله فيه يوم تاب الله على قوم ويوب على آخرين * والشيخان عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا اليوم الذي تصومونه فقالوا هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكرا فنحن نصومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن أحق وأولى بموسى منكم فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه بصيامه * وسلم عن أبى قتادة .

﴿وقال الحاجبه انظر الى من يتغدى معى وأسأله عن بعض الأمر فنظر﴾ الحاجب ﴿نحو الجبل﴾ أى جهته ﴿فاذا هو بأعرابي بين شملتين تأثم﴾ قال الفيومى والشملة كساء صغير يؤتز به والجمع شملات مثل سجدة وسجدات ﴿فضربه﴾ أى ضرب الحاجب للأعرابي ﴿برجله وقال﴾ له ﴿أنت الأمير﴾ وهو الحاجاج المذكور ﴿فأتاه﴾ الأعرابي ﴿فقال له الحاجاج اغسل يدك وتغدى معى فقال﴾ الأعرابي ﴿انه﴾ أى الشأن ﴿قد دعانى من هو خير منك فأجبه قال﴾ الحاجاج ﴿ومن هو قال﴾ الأعرابي ﴿هو﴾ الله تبارك وتعالى ﴿دعانى الى الصوم فصمت قال﴾ الحاجاج أصمت ﴿في هذا الحر الشديد قال نعم صمت ليوم﴾ أى لزيد يوم ﴿هو أشد حرا﴾ يعنى يوم القيامة ﴿من هذا اليوم قال﴾ الحاجاج ﴿فأفطر وصم غدا﴾ أى بعد يومك هذا ﴿قال﴾ الأعرابي ﴿ان ضمنت لى البقاء﴾ والحياة ﴿الى غدا أفطرت﴾ ولا أصوم ﴿قال ليس ذلك﴾ أى الذي سأله منى الضمان مفوضا ﴿الى قال فكيف تسألنى عاجلا بأجل لا تقدر عليه قال﴾ الحاجاج ﴿انه طعام طيب﴾ وأردت ان تأكل معى ﴿قال﴾ الأعرابي ﴿لم تطيبه﴾ أى هذا الطعام ﴿أنت ولا الطباخ انما طيبه العافية﴾ وعنا ﴿وفي هذا المعنى قيل :

وما طيب الطباخ عيشا وإنما بعباية طاب الطعام لطاعم

اذا كان بى سقم فلا شيء طيب وإنما بى سقم طابت جميع المطاعم

﴿خاتمة﴾ نسأل الله حسنهما ﴿في فضل عاشوراء﴾ فيه لغات المد والقصر مع الألف والعين وعاشور كهارون ﴿أخرج النسائي عن على﴾ ان كنت صائما ﴿أى يريد صيام شهر﴾ بعد شهر رمضان فصم ﴿أى ندبا﴾ الحرم فانه شهر الله فيه يوم تاب الله على قوم ﴿وهو يوم عاشوراء تاب الله فيه على آدم وعلى قوم يونس﴾ ويوب ﴿فيه﴾ على آخرين ﴿فياكذ طلب التوبة فيه لكل أحد والاكثر من ذلك وسببه أن رجلا قال يا رسول الله أى شهر تأمرنى أن أصوم بعد شهر رمضان فذكره وهذا حديث حسن قاله العزبى ﴿و﴾ أخرج ﴿الشيخان عن ابن عباس﴾ رضى الله عنهما ﴿ان رسول الله﴾ قدم المدينة ﴿المنورة﴾ فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء فقال لهم رسول الله ما هذا اليوم الذي تصومونه فقالوا ﴿أى هؤلاء اليهود﴾ هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه من البحر ﴿وأغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكرا فنحن نصومه فقال رسول الله﴾ فنحن أحق وأولى بموسى ﴿أى بتعظيمه﴾ منكم فصامه ﴿أى يوم عاشوراء﴾ رسول الله وأمر أصحابه بصيامه و﴿أخرج﴾ مسلم عن أبى قتادة قال

سئل رسول الله ﷺ عن صيام يوم عاشوراء فقال يكفر السنة الماضية * واليهي صوموا التاسع والعاشر ولا تشبهوا باليهود * وروى بعض العلماء المتقدمين في المنام فسئل عن حاله فقال غفر لي بصيام يوم عاشوراء ذنوب ستين سنة

سئل رسول الله ﷺ عن صيام عاشوراء فقال ﷻ عليه الصلاة والسلام صوم عاشوراء ﷻ يكفر السنة الماضية، وﷻ أخرج ﷻ اليهقي صوموا التاسع والعاشر ولا تشبهوا باليهود، وروى بعض العلماء المتقدمين في المنام فسئل عن حاله فقال غفر لي بصيام يوم عاشوراء ذنوب ستين سنة ﷻ

واعلم ان العلماء قد اختلفوا في تفسير هذا اليوم فقال بعضهم إنما سمي عاشوراء لأنه عاشر يوم من المحرم وقال بعضهم لأن الله أكرم فيه عشرة من الأنبياء بعشر كرامات تاب الله على آدم عليه السلام يوم عاشوراء رفع الله إدريس مكانا عاليا يوم عاشوراء واستوت سفينة نوح على الجودي يوم عاشوراء وولد إبراهيم عليه السلام في يوم عاشوراء واتخذة خليلا وأنجاه من النار كذلك وتاب على داود يوم عاشوراء ورفع الله عيسى يوم عاشوراء وأنجى الله موسى من البحر وأغرق فرعون يوم عاشوراء وأخرج يونس من بطن الحوت يوم عاشوراء وولد النبي ﷺ يوم عاشوراء .

وقال بعضهم إنما سمي عاشوراء لأنه عاشر عشر كرامات أكرم الله بها هذه الأمة أولها شهر رجب وهو شهر الله الأصم وإنما جعله كرامة لهذه الأمة وفضله على سائر الشهور كفضل هذه الأمة على سائر الأمم، والثاني شهر شعبان وفضله على سائر الشهور كفضل النبي ﷺ على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والثالث شهر رمضان وفضله على سائر الشهور كفضل الله على خلقه، والرابع ليلة القدر وهي خير من ألف شهر، والخامس يوم الفطر وهو يوم الجزاء، والسادس أيام العشر وهي أيام ذكر الله تعالى، والسابع يوم عرفة وصومه كفارة سنتين، والثامن يوم النحر وهو يوم القربان، والتاسع يوم الجمعة وهو سيد الأيام، والعاشر يوم عاشوراء وصومه كفارة سنة فلكل وقت من هذه الأوقات كرامات جعلها الله تعالى لهذه الأمة لتكفير ذنوبهم وتطهير خطاياهم .

وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت كان يوم عاشوراء يوما تصومه قريش في الجاهلية وكان يعومنه رسول الله ﷺ بمكة فلما قدم المدينة فرض صيام شهر رمضان فقال النبي ﷺ إني كنت أمرت بصوم يوم عاشوراء فمن شاء صام ومن شاء ترك وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ من صام يوم عاشوراء من المحرم أعطاه الله تعالى ثواب عشرة آلاف ملك ومن صام يوم عاشوراء من المحرم أعطى ثواب عشر آلاف شهيد ومن مسح يده على رأس يمين يوم عاشوراء رفع الله تعالى له بكل شعرة درجة ومن فطر مؤمنا ليلة عاشوراء فكأنما أفطر عنده جميع أمة محمد عليه الصلاة والسلام وأشبع بطونهم قالوا يا رسول الله لقد فضل الله يوم عاشوراء على سائر الأيام قال نعم خلق الله تعالى السموات والأرضين يوم عاشوراء وخلق الجبال يوم عاشوراء وخلق البحر يوم عاشوراء وخلق اللوح والقلم يوم عاشوراء وخلق آدم يوم عاشوراء وخلقت حواء يوم عاشوراء وخلقت الجنة وأدخله الجنة يوم عاشوراء وولد إبراهيم يوم عاشوراء وأنجاه الله من النار يوم عاشوراء وقد أمر بالذبح يوم عاشوراء وفدى ولده من الذبح يوم عاشوراء وأغرق فرعون يوم عاشوراء وكشف البلاء عن أيوب يوم عاشوراء وتاب الله على آدم يوم عاشوراء وغفر داود يوم عاشوراء وزد ملك سليمان يوم عاشوراء وولد عيسى في يوم عاشوراء ورفع الله إدريس يوم عاشوراء وولد النبي ﷺ في يوم عاشوراء ويوم القيامة في يوم عاشوراء وعن عكرمة ﷻ قال يوم عاشوراء هو الذي تب فيه على آدم وهو اليوم الذي أهبط فيه نوح من السفينة فصامه شكرا وهو اليوم الذي أغرق فيه فرعون وخلق البحر لبنى إسرائيل فصاموه فان استطعت أن لا يفوتك صومه فأفضل كذا ذكره أبو الليث .

﴿وحكى﴾ اليافعي والناشري في إيضاحه من أعجب ما ورد في عاشراء أنه كان يصوم الوحوش والهوام ﴿وحكى﴾ عن فتح بن شخرف أنه قال كنت أفت للنمل الخبز كل يوم فلما كان يوم عاشراء لم تأكله * وأخرج أبو موسى المديني عن عبد الله بن عمر من صام عاشراء فكأنما صام السنة ومن تصدق فيه كان كصدقة السنة والطبراني والبيهقي عن أبي سعيد من وسع على عياله يوم عاشراء وسع الله عليه في سنته كلها * قال سفيان بن عيينة جربنا العمل بهذا الحديث خمسين سنة فوجدناه كذلك

﴿وحكى﴾ أبو محمد عبد الله بن أبيه في روضته ﴿والناشري في إيضاحه من أعجب ما ورد في﴾ يوم عاشوراء أنه كان يصومه الوحوش ﴿جمع وحش وهو ما لا يسانس من دواب البر﴾ والهوام ﴿جمع هامة وهو ما له سم يقتل كالحية قاله الأزهرى وقد تطلق الهوام على ما يقتل كالحشرات وهو الأنسب هنا قال العلامة الحفنى وكان بعض الملوك يبعث الخبز للنمل فكأنت لا تأكله يوم عاشوراء فدل ذلك على فضله.

﴿وحكى عن فتح بن شخرف﴾ الموصلى رحمه الله تعالى ﴿أنه قال كنت أفت﴾ أى أكبر في المختار فته كسره وبابه رد وفات الشيء ما تكسر منه والقوت والفيت من الخبز ﴿للنمل الخبز كل يوم فلما كان يوم عاشوراء لم تأكله﴾ وأخرج أبو موسى المديني عن عبد الله بن عمر من صام عاشوراء فكأنما صام السنة ومن تصدق فيه كان كصدقة السنة ﴿

﴾ وأخرج الطبراني والبيهقي عن أبي سعيد ﴿بأسانيد كلها ضعيفة كما قاله العزيزى﴾ من وسع على عياله ﴿وهم من في نفقه﴾ يوم عاشوراء وسع الله عليه في سنته كلها ﴿دعاء أو خبر وذلك مجرب وقد قال جابر الصحابي إني جربناه فوجدناه صحيحا﴾ وقال سفيان بن عيينة ﴿رحمه الله تعالى﴾ جربنا العمل بهذا الحديث خمسين سنة أو ستين سنة فوجدناه كذلك ﴿أو صحيحا وقال أحد أئمة المالكية رحمه الله تعالى:﴾

لاتنس لا ينسك الزحمن عاشورا * وأذكره لازلت في الأخيار مذكورا

قالة الرسول صلاة تشملة * قولا وجدنا عليه الحق والنورا

من بات في ليل عاشوراء ذاسعة * يكن بعيشه في الحول مجبورا

فارغب فديتك فيما فيه رغبتنا * خير الورى كلهم حيا ومعبورا

وذكر امام المحدثين ابن حجر العسقلاني في شرح البخارى كلمات من قالها في يوم عاشوراء لم يميت قلبه قال بعضهم ولا يموت في ذلك السنة وهى سبحانه الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش والحمد لله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش والله أكبر ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش لا ملجاء ولا منجى من الله الا اليه سبحانه الله عدد الشفع والوتر وعدد كلمات الله التامات كلها والحمد لله عدد الشفع والوتر وعدد كلمات الله التامات كلها أسألك السلامة برحمتك يا أرحم الراحمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

وقتل سيدى على الأجهورى ان من قال يوم عاشوراء سبعين مرة حسبى الله ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير كفاه الله تعالى شر ذلك اليوم ومن أخذ في يوم عاشوراء شيئا من ماء الورد وقرا عليه الفاتحة سبعا ثم مسح رأسه وجهه ويفعل ذلك بمن يجب من أهله وولده فان ذلك حفظ له من جميع العلل والأسقام الى مثل ذلك اليوم من الغاء التقابل.

﴿وحكى﴾ الياقنى انه كان في الرى قاض غنى فجاءه فقير يرم عاشره فقال له أعز الله القاضي أنا رجل فقير ذو عيال وقد جئتك مستشفعا بجرمة هذا اليوم لتعطينى عشرة أمتان خبز وخمسة أمتان لحم ودرهمين فوعده القاضي بذلك الى وقت الظهر فرجع فوعده الى العصر فلما جاء وقت العصر لم يعطه شيئا فذهب الفقير منكسر القلب فمر بنصرانى جالس بباب دراه فقال له بحق هذا اليوم اعطينى شيئا فقال النصرانى وما هذا اليوم فذكر له الفقير من صفاته شيئا فقال له النصرانى اذكر حاجتك فقد أقسمت بعظيم الحرمة فذكر له الخبز واللحم والدراهمين فأعطاه عشرة أفقزة حنطة ومائة من لحم وعشرين درهما وقال هذالك ولعيالك مادمت حيا في كل شهر كرامة لهذا اليوم فذهب الفقير الى منزله فلما جن الليل ونام القاضي سمع ها تفاقول ارفع رأسك فرفع رأسه فأبصر قصرا مبنيًا بلبنة من ذهب ولبنة من فضة وقصر امن ياقوتة حمراء بين ظاهره من باطنه فقال الهى ما هذان القصران فقيل هذان كان لك لو قضيت حاجة الفقير فلما رددته صار الفلان نصرانى قال فاتبه القاضي مرعوبا ينادى بالويل والثبور فقال ماذا فعلت البارحة من الخير فقال وكيف ذلك فذكر له الرؤيا قال لع يعنى الجميل الذي عملته مع الفقير بمائة ألف فقال أيها القاضي كل مقبول غال لا أبغ ذلك بملء الأرض كلها أتبخل على بالقصرين فقال أنت لست بمسلم فقطع الزنار وقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأن دينه

﴿وحكى﴾ أبو محمد ﴿الياقنى﴾ رحمه الله تعالى ﴿أنه كان لي في الرى﴾ بالفتح بلد من العراق العجم ﴿قاض غنى فجاءه فقير يوم عاشره﴾ فقال له أعز الله القاضي أنا رجل فقير ذو عيال وقد جئتك مستشفعا ﴿اى طالبا للشفاعة﴾ بجرمة هذا اليوم لتعطينى عشرة أمتان خبز وخمسة أمتان لحم ودرهمين ﴿وأمتان جمع من وهو الذي يوزن به رطلان﴾ فوعده القاضي بذلك ﴿اى بالاعطاء ما ذكر﴾ الى وقت الظهر فرجع الفقير ﴿فوعده الى العصر فلما جاء وقت العصر لم يعطه شيئا﴾ مما ذكر ﴿فذهب الفقير منكسر القلب﴾ اى حزنه ﴿فمر﴾ الفقير ﴿بنصرانى جالس بباب دراه فقال له﴾ اى للنصرانى ﴿بحق هذا اليوم﴾ وحرمة ﴿أعطينى شيئا فقال النصرانى وما هذا اليوم فذكر له الفقير من صفاته﴾ وحرمة ﴿شيئا فقال له النصرانى اذكر حاجتك فقد أقسمت﴾ وحلفت ﴿بعظيم الحرمة فذكر﴾ الفقير ﴿له﴾ اى للنصرانى ﴿الخبز واللحم والدراهمين فأعطاه عشرة أفقزة حنطة﴾ جمع فقير مكيال معروف ﴿ومائة﴾ من ﴿لحم وعشرين درهما وقال﴾ النصرانى ﴿هذا﴾ اى المذكور ﴿لك ولعيالك مادمت حيا في كل شهر كرامة لهذا اليوم فذهب الفقير الى منزله﴾ فرحاً وسروراً ﴿فلما جن الليل﴾ اى أظلم ﴿ونام القاضي سمع ها تفاقول﴾ اى صوتا لم ير شخصه ﴿يقول﴾ للقاضى ﴿ارفع رأسك فرفع رأسه فأبصر قصرا مبنيًا بلبنة من ذهب ولبنة من فضة﴾ رأى ﴿قصرا﴾ آخر ﴿من ياقوتة حمراء بين ظاهره من باطنه﴾ ويرى باطنه من ظاهره ﴿فقال﴾ القاضي ﴿الهى ما هذان القصران فقيل له هذان كانا لك لو قضيت حاجة الفقير الذي جاءك سائلا ما يحتاجه في يوم عاشره﴾ فلما رددته ﴿ولم تعطه شيئا﴾ صار اى القصران ﴿الفلان النصرانى قال﴾ الياقنى ﴿فاتبعه القاضي﴾ من نومه ﴿مرعوبا﴾ اى خائفا ﴿ينادى بالويل والثبور﴾ اى الهلاك ﴿فغدا﴾ اى ذهب القاضي بالغداة ﴿الى النصرانى فقال له﴾ ماذا فعلت ﴿بانصرانى﴾ البارحة ﴿اى الليلة التي مضت﴾ من الخير فقال النصرانى له ﴿وكيف ذلك﴾ يعنى ما سبب سؤالك عن فعل الخير فذكر القاضي ﴿له الرؤيا﴾ المذكورة ﴿ثم قال له﴾ اى النصرانى ﴿يعنى الجميل الذي عملته مع الفقير بمائة ألف فقال أيها القاض كل مقبول غال﴾ ثم ﴿لا أبغ ذلك﴾ اى ما عملته مع الفقير ﴿بملء الأرض كلها أتبخل على بالقصرين فقال﴾ القاضي ﴿أنت لست بمسلم فقطع﴾ النصرانى ﴿الزنار﴾ عن وسطه والزنار وزن تفاح علامة للنصارى الجمع زناير يقال تزناير النصرانى شد الزنار على وسطه ﴿وقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأن دينه

هو الحق ﴿وحكى﴾ أنه كان بمصر رجل تاجر في التمر يقال له عطية بن خلف وكان من أهل الثروة ثم افتقر ولم يبق له سوى ثوب يستر عورته فلما كان يوم عاشوراء صلى الصبح في جامع عمرو بن العاص ومن عادت هذا الجمع لا يدخله النساء إلا يوم في عاشوراء لأجل الدعاء فوق يدعومع جملة الناس وهو بمعزل عن النساء فجاءته امرأة ومعها أطفال فقالت يا سيدي بالك بالله لما فرجت عني وآثرني بشيء أستعين به على قوة هذه الأطفال فقد مات أبوهن وما ترك لهم شيئا وإن شرفة ولا أعرف أحدا أقصده وما خرجت في هذا اليوم إلا عن ضرورة أحوجتني إلى بذل وجهي وليس لي عادة بذلك فقال الرجل في نفسه أنا ما أملك شيئا وليس لي غير هذا الثوب وإن خلعتني ان كشفت عورتني وإن ردتها فأى عذر لي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها اذهبي معي حتى أعطيك شيئا فذهبت معه إلى منزله فأوقفها على الباب ودخل وخلع ثوبه واتزر بخلق

هو الحق ﴿وانشدوا في معنى ذلك :

لا يلحقنك ضجرة من سائل * فداوم عزك أن ترى مسؤولا
لا تصرفن بالرد وجه مؤمل * فلتخير يومك أن ترى مأمولا
واعلم بأنك عن قليل صائر * حبرا فكن حبرا يروق جميلا
تلقى الكرم فتستدل بيشره * وترى العبوس على اللثيم دليلا
ياطالب العفو هذا يوم عاشورا * يوم غدا فضله في الناس مشهورا
ما ان دعا ربه داع لحاجته * الا وعاد بما بهواه مسرورا
ولا أتى الله فيه مذنب خجل * الا وأصبح ذاك الذنب مغفورا
قرب إلى الله فيه وانج رحمة * من قبل توفق يوم الغرض مدعورا
وانت في فرق مضى وفي عرقه * تقرا كتابك بين الخلق منشورا
فاسأل الهك فيه فضل رحمة * وقف على بابه خجلان مكسورا

وانشدوا أيضا :

﴿وحكى﴾ أنه كان بمصر رجل تاجر في التمر يقال له عطية بن خلف وكان من أهل الثروة ﴿اي كثر المال﴾ ثم افتقر ﴿لم يملك شيئا حتى﴾ لم يبق له سوى ثوب واحد ﴿يستر عورته فلما كان يوم عاشوراء صلى﴾ الرجل ﴿الصبح في جامع عمرو بن العاص﴾ وقد علم ﴿من عادة هذا الجامع﴾ أنه ﴿لا يدخله النساء الا في يوم عاشوراء لأجل الدعاء﴾ في هذا الجامع ﴿فوقف﴾ اي الرجل ﴿يدعوا مع جملة الناس وهو بمعزل عن النساء﴾ اي بجانبهن ﴿فجاءته امرأة ومعها أطفال﴾ انام ﴿فقلت﴾ له ﴿يا سيدي سألتك بالله لما فرجت عني وآثرني بشيء أستعين به على قوت هذه الأطفال فقد مات أبوهن وما ترك لهم شيئا وأنا﴾ امرأة ﴿شرفة ولا أعرف أحدا أقصده وما خرجت في هذا اليوم﴾ اي يوم عاشوراء ﴿الا عن﴾ حاجة و﴿ضرورة أحوجتني إلى بذل﴾ ماء ﴿وجهي﴾ في السؤال ﴿وليس لي عادة بذلك﴾ اي ببذل وجهي في السؤال لأنني شرفة ﴿فقال الرجل في نفسه أنا ما أملك شيئا وليس لي غير هذا الثوب﴾ الذي ألبسه ﴿وان خلعتني ان كشفت عورتني وإن ردتها فأى عذر لي عند رسول الله ﷺ﴾ ان لم تعط هذه الشرفة ﴿فقال لها اذهبي معي﴾ الى منزلي ﴿حتى أعطيك شيئا فذهبت معه الى منزله فأوقفها﴾ اي أوقف الرجل هذه ﴿على الباب﴾ ولا أدخلها في منزله ﴿ودخل﴾ الرجل منزله ﴿وخلع ثوبه واتزر﴾ اي لبس ﴿بخلق﴾ اي بازار خلق في المصباح وخلق الثوب بالضم اذا بلى ثوبه

كان عنده ثم ناولها الثوب من شق الباب فقالت البسك الله من حلال الجنة ولا أحوجك في باقي عمرك بلا أحد إلى ففرج بدعائها وأغلق الباب ودخل به يذكر الله تعالى إلى الليل ثم نام فرأى في المنام حوراء لم ير الرأى من أحسن منها ويدها تفاحة قد عطرت ما بين السماء والأرض فتناولته التفاحة فكسرها فخرج منها حلة من حلال الجنة لا يساوى لها الدنيا وما فيها فالبستة الحلة وجلست في حجره فقال لها من أنت فقالت أنا عاشوراء زوجك في الجنة فقال فبم نلت ذلك فقالت بدعوة تلك المسكينة الأرملة والآيتام الذين أحسنت إليهم بالأس فاتبه وعنده من السرور ما يعلمه إلا الله تعالى وقد عبق من طيبه المكان فتوضأ وصلى ركعتين شكر الله تعالى ثم رفع طرفه إلى السماء أن كان منامى حقا وهذه زوجتى في الجنة فتبضنى إليك فما استتم الكلام حتى عجل الله بروحه إلى دار السلام ،

﴿واعلم﴾ أن ما يفعله الناس يوم عاشوراء من الاغتسال ولبس الثياب الجدد والاكحال وتطيب والاختضاب بالحناء وطبخ الأطعمة بالحبوب وصلاة ركعتان بدعة مذمومة فالسنة ترك ذلك كله لأنه لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولا أحد من الأئمة الأربعة وغيرهم وما روى فيها من الأحاديث فكذب موضوع

خلق بفتحين وأخلق الثوب بألف لغة وأخلفته يكون الرأى لازما ومتعديا ﴿كان عنده﴾ ثم ناولها الثوب من شق الباب فقالت ﴿له اى دعت لهذا الرجل﴾ ألبسك الله من حلال الجنة ولا أحوجك في باقي عمرك إلى أحد ففرج بدعائها وأغلق الباب ودخل به يذكر الله تعالى إلى الليل ثم نام فرأى في المنام حوراء لم ير الرأى من أحسن منها ويدها تفاحة ﴿وهى فاكهة معروفة﴾ قد عطرت ﴿اى طابت﴾ ما بين السماء والأرض فتناولته التفاحة فكسرها فخرج منها حلة من حلال الجنة لا يساوى لها ﴿اى لتلك الحلة﴾ الدنيا وما فيها فالبستة الحلة وجلست ﴿الحوراء﴾ في حجره ﴿قال في المصباح وحجر الانسان بالفتح وقد يكسر حضنه وهو ما دون ابطه الى الكشح وهو في حجره اى كفته وحماته والجمع حجور وفيه أيضا الكشح مثال فلس ما بين الحاصرة الى الفلح الخلف﴾ فقال لها من أنت فقالت أنا عاشوراء زوجك في الجنة ﴿بالبناء للمفعول﴾ فقال ﴿بم﴾ اى بأى شيء ﴿نلت ذلك﴾ اى تزوجك ﴿فقالت بدعوة تلك المسكينة الأرملة﴾ وأولادها ﴿الآيتام الذين أحسنت إليهم بالأس فاتبه﴾ الرجل من نومه ﴿وعنده من﴾ الفرج و﴿السرور ما لا يعلمه إلا الله تعالى وقد عبق﴾ اى ظهر وانتشر ﴿من طيبه المكان﴾ قال الفيومى عبق به الطيب عبقا من باب تعب ظهرت ريحه بثوبه اى بدنه فهو عبق قالوا ولا يكون العبق الا الرائحة الطيبة الذكية ﴿فتوضأ﴾ الرجل ﴿وصلى ركعتين شكرا لله تعالى ثم رفع طرفه﴾ بسكون الرأى اى بصره ﴿إلى السماء﴾ اى إلى جهة العلوانها قبله الدعاء ﴿فقال﴾ اى دعا ﴿الهي ان كان﴾ ما رأته ﴿منامى﴾ اى في نومى ﴿حقا﴾ وصدقا ﴿وهذه﴾ الحوراء التي رأيتها فيه ﴿زوجتى في الجنة فاقبضنى﴾ اى اقبض روحى ﴿إليك﴾ اى إلى رحمتك ﴿فما استتم الكلام حتى عجل الله بروحه إلى دار السلام﴾ وهى الجنة.

﴿واعلم﴾ أن ما يفعله الناس يوم عاشوراء من الاغتسال ولبس الثياب الجدد اى الجديدة واظهار السرور و﴿الاكحال والطيب﴾ اى استعمال الطيب و﴿الاختضاب بالحناء وطبخ الأطعمة بالحبوب وصلاة ركعات بدعة مذمومة فالسنة ترك ذلك﴾ المذكور ﴿كله لانه﴾ اى الحال والشأن ﴿لم يفعله﴾ اى جميع ما ذكر ﴿رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولا أحد من الأئمة الأربعة﴾ وهم الشافعى ومالك وأحمد وأبو حنيفة رضى الله عنهم و﴿غيرهم﴾ اى ما روى فيها ﴿أى في الحال المذكورة﴾ من الأحاديث فكذب موضوع اى وضعه الكذابون.

وان ما يفعل في كثير من البلدان من إيقاد القناديل الكثيرة من ليال معروفة من السنة بدعة قبيحة منكرة وفقنا الله لاكساب الفضائل واجتناب الرذائل .

﴿و﴾ اعلم أيضا ﴿أن﴾ ما يفعل عن كثير من البلدان من إيقاد القناديل الكثيرة في ليال معروفة من السنة بدعة قبيحة منكرة وفقنا الله ﴿تعالى﴾ لاكساب الفضائل ﴿من﴾ الاخلاق ﴿واجتناب الرذائل﴾ منها نعم فقال العلامة الجرداني عن بعض الأفاضل ان الأعمال في يوم عاشوراء اثنا عشر عملا الصلاة والأولى أن تكون صلاة التسايح والصوم والصدقة والتوسعة على العيال والاعطاس وزيارة العال الصالح وعيادة المريض ومسح رأس اليتيم والاكحال وتقليم الأظفار وقراءة سورة الاخلاص ألف مرة وصلة الرحم ونظمها بعضهم:

في يوم عاشوراء عشر تصل ﴿﴾ بها اثنان ولها فضل ثقل

صم صل زرع الماعد والاكحال ﴿﴾ رأس يسم امسح تصدق واغتسل

وسع على العيال قلم ظفر ﴿﴾ وسورة الاخلاص قل ألفا تصل

وقد وردت الاحاديث بفعل كل من هذه الأعمال في يوم عاشوراء فينبغي العمل بها وان كان لم يصب في ذلك اليوم الاحاديث التوسعة والصوم لأن الاحاديث الضعيفة يفعل بها في فضائل الأعمال والله سبحانه وتعالى أعلم .

وبلها باب الحج في الجزء الثاني

فهرست كتاب مناهج الإمداد على إرشاد العباد الجزء الأول

باب الإيمان	٢٣	٢٤٠ فصل في بيان معنى الرض من الكلمات المباركة للشيخ الأمين
فصل في بيان أحكام الردة أعادة إيمانها	٢٦	الدين
باب فضيلة طلب العلم وتعليمه ونشره ودم كسائه	٦٠	٢٤٧ فصل في بيان فضيلة الصبر على المصائب
عن نسخة		٢٥٦ فصل في التزنية
باب بيان الرض مع فضيله	٨٢	٢٥٩ فصل في شرعية زيارة القبور
فصل في أحكام الرضه فروضه وشروطه وستة	٨٥	٢٧٢ باب ذمها رك الزكاة
وسكروها وتوافقه		٢٨٢ خاتمة في ذم النخل
باب طهارة النسل	١١١	٢٨٦ فصل في الزكاة وفضلها وما ورد في مانعها من الوعيد
فصل في طهارة النسل	١١٧	٢٩٧ فصل في فضيلة حدة الطمع
باب فضل صلاة المكنونة	١٢٢	٤١١ خاتمة في مدح النجاة والجلود
فصل في تحريم تأخير الصلاة عن وقتها عدا	١٣١	٤٢٢ فصل في فضيلة الضيافة
والاستحباب تسجلها		٤٢٨ فصل في فضيلة الترميد
فصل في أحكام الصلاة من شروط وأركان وستة	١٣٨	٤٤١ خاتمة في فضل التمر والتمر
وسكروها وسبلات		٤٥٢ فصل في ذم المني بالصدقة
خاتمة في الأذكار المأثورة بعد الصلاة المكنونة	٢٠٥	٤٥٥ مهات في ذم الصدقة للأبد مع وجود الأقرب وغير ذلك
باب صلاة الطمع	٢١٢	باب الصوم
باب صلاة الجماعة	٢٥١	٤٦٦ خاتمة في سرد الحاديث ثلث الصوم
فصل في شروط صحة القدرة المستمرة صحة الصلاة	٢٦٦	٤٨٦ فصل في أحكام الصوم
باب فضيلة صلاة الجمعة	٢٨٠	٤٩١ فصل العشر الأخير والفقير والاعتكاف في الجاهلية
فصل في شروط صحة الجمعة	٢٠٥	الدية وصدقة التطوع
باب ما يحرم على الرطل من استعمال حرره وحلي حد	٣١٤	٥٠٩ فصل في فضل صوم التطوع
ومن تنبه للنساء		٥٢٠ خاتمة في فضل عاشوراء
باب فضيلة عيادة المريض وطهارة ربه وبقوله العائله	٣٢٢	
وغير ذلك		
خاتمة تسأل الله سبحانه في بيان أبواب المرض	٣٢٦	
باب ذم النجاسة وما فيها من شرب الخمر	٣٣١	